العربي

عدد
ممتاز
اطلب
الهدية





"عقد صفقة" - للفنان النمساوي تشارلز فيبر

العدد ٣٧٤ السنة الثالثة والثلاثون يناير ١٩٩٠



مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة
العربي
ص.ب: ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 الكويت
تلفون: ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيًا: "العربي" - الكويت
تلفون فاكسملي: ٢٤٢٤٣٧٥ - تلكس: MITR. 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI
Issue No. 374 Jan. 1990 P. O. Box : 748
Postal Code No. -13008 Kuwait.
A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information
State OF Kuwait.

الاعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الاعلانات

الاشتراكات
ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - الإعلام الخارجي
وزارة الإعلام - ص.ب: ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٦ د.ك أو ٢٠ دولارًا باقي دول العالم ٨ د.ك أو ٣٠ دولارًا

ثمن النسخة

الكويت ٣٠٠ فلس	تونس ٥٠٠ مليم	سوريا ١٥ ليرة
العراق ٤٠٠ فلس	الجزائر ٥ دنانير	الامارات ٧ دراهم
الأردن ٢٥٠ فلسًا	السعودية ٦ ريالات	المغرب ٥ دراهم
البحرين ٤٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٤ ريالات	ليبيا ٥٠٠ درهم
اليمن الجنوبي ٣٠٠ فلس	قطر ٧ ريالات	أوروبا: جنيه استرليني ونصف
مصر ٣٥ قرشًا	سلطنة عمان ٤٠٠ بيسة	فرنسا ٢٥ فرنكًا
السودان ٢٥ قرشًا	لبنان ٥٠ ليرة	أمريكا ٣ دولارات

محتويات العدد

قضايا عامة :

عروبة وإسلام :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

سياسة واقتصاد :

● وهران ، عاصمة الغرب الجزائري . ص ١٦٤

أدب وفنون :

منتدى العربي :



تربية وعلم نفس :

تاريخ وتراث واشخاص :

مكتبة العربي :

أبواب ثابتة :



صورة الغلاف

المكسيك . بلاد الأهرامات القديمة وامتزاج الحضارات والفنون . بلاد القبعات العريضة والرقصات الحيوية هي موضوع استطلاع « العربي » في هذا العدد الممتاز .
[طالع الاستطلاع ص ١٠٠]

البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع

على عتبات القرن الواحد والعشرين

لأننا في « العربي » من الذين يشغلهم الهمّ العربي ، واقعه ومستقبله ، ولأننا نعاني قلقاً لا حدود له حول مستقبل هذا الوطن ، وحول مصدر الثروة الأساس فيه ، وهي شبابه ، ولأن هدفنا وجهدنا هو التنوير من خلال هذه المطبوعة التي بين يديك ، فإن من حقنا وحقك أن نتساءل معك : ماذا عن المستقبل ؟ والتساؤل هو بداية المعرفة .

لذا فقد كان احتفالنا بالعقد الجديد الذي يضعنا مباشرة أمام القرن الواحد والعشرين ، بقرار محسوب ومدروس باتجاهين : الأول هو استقراء المستقبل في شؤونه العديدة ، لذا فقد طلبنا من مجموعة من الكتّاب والمفكرين العرب أن يطرحوا لنا رؤاهم للمستقبل العربي ، وقد كان ، ووضع بعضهم أصبعه على مواقع الألم . وفي هذا العدد نبدأ بنشر ما وصلنا من أولئك الكتّاب العرب المبرزين حول نظرتهم وتوقعاتهم في التسعينيات ، في ملف شارك فيه كتّاب من أمثال : غسان سلامة ، ومحمد سيد أحمد ، وعلي عتيقة ، فجاءت مقالاتهم مع افتتاحية العدد التي كتبها رئيس التحرير ، لتضعنا أمام طموحات المستقبل العربي ومصاعبه .

وفي الأعداد القادمة سنتابع هذا الملف بمقالات أخرى ، وصلتنا من كتّاب عرب بارزين ، في محاولة لوضع تصور شامل للتسعينيات العربية ، وما بعدها .

أما الاتجاه الثاني لاحتفائنا بالتسعينيات ، فقد خططنا له منذ فترة ، ونبدأ تنفيذه من هذا العدد ، وهو ملف الثقافة والإبداع العربي ، ولقد قررنا أن نستكتب نخبة من الكتّاب العرب الثقاة في موضوعاتهم عن حال الثقافة العربية في السنوات الخمس والعشرين الماضية ، وهذه النظرة إلى الخلف لها هدف مستقبلي ، فماذا حققنا في القصة والشعر والرواية والمسرح حتى الآن ؟ وما مستقبل هذه الفنون في القادم من الأيام ؟

وقد كتب لنا في هذا الصدد أهل ذكر في موضوعاتهم ، نبدأ بالشعر في هذا العدد ، فيكتب لنا حامد أبو أحمد ، وعبدالعزيز المقالح ، عن الشعر في منطقتين عربيتين . وسنوالي نشر موضوعات الشعر والقصة القصيرة والرواية والمسرح خلال هذا العام بشكل تتابعي ، ويكاد الملف أن يكتمل لدينا في « العربي » ، ولكننا نتوقع أن يسهم بعض المهتمين أيضاً بالتعليق على موضوعاته .

إلى جانب هذين الملفين يحفل عددنا هذا بالمادة الثقافية المتنوعة . فلأول مرة نقدم دراسة موثقة عن العمل التطوعي الكويتي ، ولا شك أننا نحتاج إلى إشاعة فكرة التطوع في مجتمعاتنا ، والعمل التطوعي في الكويت ، كما هو ظاهر من هذا الاستطلاع ، عميق ومتشعب ومؤسسي الطابع ، ولقد بدأنا العمل الجماعي في كتابة الاستطلاع ، حيث يظهر في هذا الاستطلاع الذي شارك فيه محرران من « العربي » .

أما استطلاعنا الثاني فهو عن « المكسيك » التي تصلها « العربي » لأول مرة ، وهي البلد الذي يحمل نقيضي الفقر والثروة . ونأخذك في استطلاعنا الثالث إلى وهران ، المدينة الجزائرية التي تغسل رجليها في البحر .

وستلاحظ ، عزيزي القارىء ، أن هناك موضوعات جديدة ، مثل « على هامش قول على قول » الذي يكتبه لنا في كل عدد الأستاذ حسن الكرمي . وفي الصفحة الأخيرة نقدم لك فكرة جديدة ، يكتبها كل مرة كاتب من كتّاب « العربي » بالإضافة إلى مواضيع حياتية ، مثل : موضوع : الشيخوخة لماذا تأتي مبكراً ؟ لوسمية الحوطي .

وكعادتنا في كل عام ، في عدد يناير ، نقدم لك هدية مجانية ، ذات فائدة عامة ، وهديتنا لهذا العدد « خريطة طرق المواصلات البرية في الوطن العربي » .

أما بقية المواد الثقافية والعلمية والاجتماعية ، فإنها كثيرة ومتنوعة ومتشعبة . هذا الجهد ، عزيزي القارىء ، جاء عن تخطيط وإعداد ومتابعة ، بذلت فيها أسرة « العربي » كل ما تستطيع ، كي يأتي الثمر يانعاً شهيّاً ، وليكون شكل احتفائنا بالتسعينيات مختلفاً ، دلالة على أننا نحاول أن نخطو الخطو الصحيح في المساهمة لإغناء الثقافة العربية .   وكل عام ـ عزيزي القارىء ـ وأنت بخير . □

المحـــرر



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

العَرَبُ في الألف الثالث بَعْد الميلاد

"التفاوض على المستقبل"



بساطة شديدة : إن لم نفكر في المستقبل فلن يكون لنا مستقبل ، فان أخطر ما يصيب العقل ـ عند أي أمة من الأمم ، هو أن يشعر قادة الرأي فيه ن لأمور محسومة من قبل الأجداد ـ وما سيأتي مع الأيام ليس أكثر جدّة مما مضى ـ ذلك يعني التوقف عن التفكير ـ وذاك أحد الأسباب الرئيسة للفشل في مناحٍ كثيرة من حياتنا ، والذي ما زلنا نُمنى به حتى الآن .

نقف بعد عشر سنوات فقط على عتبة الألف الثالث من الميلاد ـ وراءنا فقط نصف قرن أو يزيد قليلاً من الاستقلال الحديث ، وأمامنا تحديات كبرى ، لم تكن مسبوقة ، وعلى عاتقنا وحدنا تقع مسؤولية التفكير بتقديم حلول لها ، في عالم سمته السباق التقني والفكري والتغير الاجتماعي السريع ، وهو في أوج سرعته يكسب دفعاً جديداً يوماً بعد يوم .

لم يفز قرن من قرون البشرية باهتمام ودراسات مستقبلية كما فاز هذا القرن الواحد والعشرون القادم إلينا بخطوات حثيثة ، ولقد تكاثرت هذ

الدراسات في مجتمعات الغرب والشرق ، كل يبحث عن تصورات لما سوف يجلب له المستقبل من آمال يمكن تعزيزها ، وآلام يمكن تفاديها ، ونحن العرب على استحياء كانت لنا دراساتنا العلمية الخاصة ، وهي قليلة في العدد ، وضامرة في الإعلام والإعلان عنها ، فلم تتعد بضع أيدٍ وعقول نظرت إلى ما سوف يكون عليه المستقبل لنا ، فوجلت وارتعدت فرائصها .

وضعت أمامي عدة دراسات سابقة عن المستقبل في مجتمعات أخرى ، وخرجت بمحصلة مفادها : كم هو قاصر عقل الإنسان عن التنبؤ بالمستقبل ، لقد قرأت ما تيسر من الدراسات التنبؤية عن بعض المجتمعات ، فوجدت أن ما توصل اليه الإنسان بالفعل لم يكن متخيلا حتى في أكثر الدراسات تطرفاً قبل سنوات قليلة فقط . والحقيقة هي أن الواقع أكثر عمقاً من كل متوقع ، وعوامل التغير التي تفعل فعلها شديدة إلى درجة (اللامعقول) في بعض الأوقات ، وخذوا مما يحدث في أوربا الشرقية عبرة ! .

لم تعد الأرض ولا رأس المال ولا العمل بمعانيها القديمة هي الثروة، بل أصبحت ثروة الأمم عقل الإنسان

حلقات المستقبل :

وعندما نعود الى الوطن العربي ، لندرس ما يمكن أن يحمله لنا المستقبل من مشاهد وصور ، نجد أنفسنا ملزمين بدراسة ثلاث حلقات غير منفصلة ، هي المدخلات ، والمعضلات ، وأشكال إعادة البناء . المدخلات هي كل العناصر المحلية والعالمية التي تؤثر في مجتمعاتنا ، ويمكن أن نرصد الشامل منها والعام . أما المعضلات فهي ما يواجهنا ، أو ما نعتقد أنه يواجهنا من مشكلات اقتصادية واجتماعية وحياتية وثقافية ، أما أشكال إعادة البناء فهي من جهة الدراسات التي حاولت توضيح بعض مسارات المستقبل العربي ، ومن جهة أخرى الخطوات الفعلية التي يتخذها بعض الأقطار العربية للتأقلم والتكيف مع متطلبات المستقبل .



وقبل الدخول في عرض هذه الحلقات الثلاث ـ كما أراها ـ أريد أن أبدأ بتحفظين :

الأول : أنه لا يوجد توقع أحادي لمسار المستقبل ، فهناك عدة مسارات و(سيناريوهات) ، تتدخل في تحديدها مجموعة متكاثرة من العناصر المؤثرة .

والثاني : أن العناصر المكونة والمساهمة في الحلقات الثلاث التي أشرت إليها ، وهي المدخلات والمعضلات ، وأشكال إعادة البناء ، هي عناصر بالضرورة انتقائية ، قد يختار بعضنا بعضاً آخر منها ، غير الذي اخترته . ومن الإيجاز إلى التفصيل .

المـدخـلات :

أ ـ المدخل التقني الاتصالي :

بكل المفردات واللغات والتعابير : نحن نعيش اليوم على هذا الكوكب مع انفجار ثورة المعرفة والاتصالات . ويقول لنا أهل الذكر : إنه خلال عشر سنوات قادمة سيتراكم من المعرفة ما لم يتراكم عبر ألفي سنة إلا عشراً ، الماضية ، من تاريخ الإنسانية . هذا التراكم نستطيع أن نلحظ نتائجه أمامنا بكل سهولة . يقول أحد الاختصاصيين في صناعة (الكمبيوتر) مثلاً : إن تطور هذه الأجهزة في السنوات القليلة الأخيرة لو حدث مثله في صناعة الطيران مثلاً لاستطعنا السفر من نيويورك إلى طوكيو في دقيقة واحدة ! !

وإذا كان هذا المثال صعباً على بعضنا تصوره ، فتعالوا ننظر إلى أي مثال من الواقع ، فقد حدثنا الصحفي العربي الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل عن الزلزال في الاتحاد السوفيتي ، في سلسلة مقالاته التي نشرت في نهاية نوفمبر المنصرم ، حدثنا عن شيء يمكن مقارنته ، فنقل عن أناتوني دوبرنين ـ سفير الاتحاد السوفيتي في واشنطن مدة تزيد قليلاً عن ربع قرن ، عن (الاتصال) في أزمة الصواريخ المشهورة ، (وحصار كوبا) في بداية الستينات . قال : (كنت أقابل روبرت كنيدي ، أخ الرئيس جون كنيدي ، وأقوم بكتابة التقرير بخط يدي ، ثم يقوم رجل (الشيفرة) في السفارة بتحويله إلى رموز ، ثم نتصل بعامل البرق في شركة (وسترن يونيون) الذي يأتي على دراجة بخارية ، ومن ثم ترسل الرسالة إلى موسكو ، ويصلنا الرد بالطريقة نفسها وبالأسلوب نفسه . عندما نقرأ هذا الكلام ونعرف اليوم كيف يمكن أن ترسل رسائل بالهاتف الطابع (الفاكسميلي) وفي اللحظة نفسها التي ينهي فيها كاتبها آخر جملة ، نتعرف على النقلة الواسعة في موضوع الاتصال ونحن نتحدث الآن عن أقل من ثلاثة عقود من السنين !

إن حسبنا المدخلات التقنية في ثورة الاتصال فلن ننتهي حتى نقول : إن العالم يتصل بعضه ببعض بطرق ووسائل أسقطت حواجز كثيرة ، فأنت اليوم تستطيع أن تعرف رأي قانوني دولي في موضوع مهم ، بمجرد أن تقرر ذلك وأن تشاهد فيلماً تلفازياً عن حالة الأطفال في أثيوبيا ، بمجرد أن يتعرض عدد منهم إلى المجاعة ، كما تستطيع أن تعرف ـ إن أردت ـ توازن القوى العسكرية بين دولتين ـ بدرجة كبيرة من الدقة ـ بمجرد أن تكتب سؤالاً بهذا المعنى إلى إحدى الإذاعات العالمية ، وهكذا . ثورة الاتصال هذه المتزايدة في كل مناحي



الحياة لم تعد تترك بلداً ولا مجتمعاً ولا قرية منعزلة ، فالكل يعرف ما يدور لدى الكل .

ب ـ مدخل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية

وهنا أيضاً يشهد العالم مجموعة من المتغيرات غير المسبوقة ، فلم تعد نظريات الاقتصاد التقليدي أو الاجتماع التقليدي بقادرة على تفسير هذه التغيرات المتسارعة ، ونستطيع أن نحسب في كل الاتجاهات عوامل التأثير هذه ، فالتغير في الإطار الاقتصادي هو في حالة ثورة على الأشكال التقليدية الماضية .

لقد أصبح (المال) ـ على سبيل المثال ـ سلعة بحد ذاته ، ولم تعد القوانين الاقتصادية التي تكونت في رحم الثورة الصناعية الثانية ، في النصف الأول من القرن العشرين ، قابلة للتطبيق في الربع الأول من القرن الواحد والعشرين ، ولم تعد مقولات مثل : « الاكتفاء الذاتي » مقولات ذات قيمة في عالم مفتوح للتبادل التجاري على مصراعيه ، فحتى اليابان بدأت تشكو من تطبيق قاعدة كانت ذهبية إلى فترة متأخرة ؛ وهي (التصنيع للتصدير) . ولم يعد مصدر القوة الاقتصادية الرئيس ، بعد كل هذا ، هو الثروة المادية ، أي لم تعد الأرض ، ولا رأس المال ، ولا العمل بمعناه القديم هي الثروة ، بل أصبحت ثروة الأمم هي عقل الإنسان ، وبالتالي أصبح الإنسان مقدماً على كل ما عداه لخلق الثروة واستمرارها .

لـو حدث تطـور في صناعة الطـيران مثـل الذي حدث في تطـور أجهـزة "الكمبيوتر" لاستطعنا السفر من نيويورك الى طوكيو في دقيقة واحدة

وفي الشأن الاجتماعي نلحظ التغير المتسارع ، والذي هو سمة العصر وعنوانه ، وأحد أهم هذه التغيرات التزاحم البشري على هذا الكوكب . تكاد بلدان بعينها تتفجر من كثرة البشر ، يفيض بعضهم على بعض ، وتختلط الأجناس والثقافات إلى درجة أننا أمام عصر تعدد الحضارات عن حق ، تتزاوج فيه القواعد والمنجزات العلمية مع الثقافات المختلفة ، ويُنتج شيء جديد في مجتمعات كثيرة . عصر سمته الأساسية الانفصال عن الماضي الذي عرفه جيل سابق لنا فقط ، فوَقْعُ القرنِ الواحد والعشرين يدعو إلى نموذج ثقافة اجتماعية ، تُسقط وَهْمَ العزلة ، وتُسقط وَهْمَ التفرد ، سواء أكانت هذه العزلة والتفرد بمعناهما السلبي أم الإيجابي ، وستصبح هناك قيم حضارية عالمية تعمل (كجينات للتغيّر) .

نوع تدريب البشر وكيفية استخدام الثروة والثقافة المطلوبة التي يمكن أن تكون قاعدة للتطور العلمي ، كل ذلك يؤثر في تغير النسيج الاجتماعي

للمجتمعات ، وقد كان هذا التغير (الاجتماعي) من أبطأ أنواع التغيرات التي يمر بها الإنسان حتى عقود قليلة خلت ، ولكنه اليوم أضحى مشاهداً ومحسوباً أيضاً ، خاصة في المجتمعات التي وفرت للثقافة والعلم حظاً واسعاً في حساباتها ، وأصبح للتغير الاجتماعي « قواصد » كقواصد العلم التطبيقي ، تسعى إليها المجتمعات .

أقبلنا هذه المدخلات (المؤثرات) ، أم لم نقبلها فإنها ستكون من جملة عناصر أخرى مؤثرة على مستقبلنا ، قد يحدث بعضها عندنا ، وقد يحدث بعضها الآخر بعيداً عنا ، ولكن تأثيرها في النهاية سيصب باتجاهنا ، فماذا نحن فاعلون ؟

المعضلات :

ثانية الحلقات التي نجد أنفسنا ملزمين بدراستها ، عندما نتصدى لدراسة المستقبل بعد المدخلات هي المعضلات ، أو المشاكل التي تواجهنا . وهنا لا بد من البدء بالقول بأن أولويات المشاكل ، من منظور الدول النامية ، تختلف عنها من منظور الدول المتقدمة ، وأولويات الأخيرة تختلف عن أولويات المشاكل التي تواجهنا ، فهم في الغرب يواجهون مشكلات مثل تلوث البيئة ، ومشكلة الإنتاج الذري ، تواكبها مشكلات نزع السلاح ، ثم حقوق الإنسان ، والأشكال الأفضل من الأنظمة للحكم والسياسة ، في الوقت الذي تختلف فيه أولوياتنا ، بل نختلف نحن فيما بيننا على هذه الأولويات . ففي دراسة نشرت سنة ١٩٨٦م ، عن توقعات المستقبل لدى بعض القيادات الفكرية العربية[1] ، وجد الباحث أن هموم المستقبل ومشكلاته الملحة كما يراها هؤلاء تندرج في أولوياتها كالتالي : التنمية ، الديمقراطية ، التبعية ، أخطار التفتت ، وهي أولويات قد يتفق معها بعضنا وقد يختلف . وشخصياً أضع الأولوية السكانية والتنموية على رأس قائمة الأولويات ، يليها العلم والتقنية ، ثم الصناعة والزراعة ، وبعدها المشكلات الاجتماعية ، ثم السياسية . وإذا وافقنا على هذا النوع من التقسيم والتدرج فأينما نظرنا فسوف ننظر إلى صورة ليست بالضرورة - مع الأسف - إيجابية . ولنبدأ قراءة بعض المؤشرات : هناك فقط تحذير سابق ، وأحسب أنه مهم قبل الدخول في التفاصيل ، وهو أن الأرقام ليست بالضرورة دقيقة ، ولكنها فقط تقريبية ،

في نهاية العقد الحالي ستكون هناك على الأقل مدينتان عربيتان من أكبر عشرين مدينة في العالم، وتتدفق الهجرة من أقطار الثقل البشري إلى الأقطار قليلة السكان

---

(١) د. علي نصار : مستقبل الوطن العربي : جولة في هموم الحاضر وتوقعات المستقبل - المستقبل العربي - عدد ٨٩ يونيو ١٩٨٦ .



لسبب بسيط ، هو نقص في قاعدة المعلومات التي تتوافر للباحثين العرب ، وذاك نقص حضاري ليس من السهل القفز عنه أو تجاوزه .

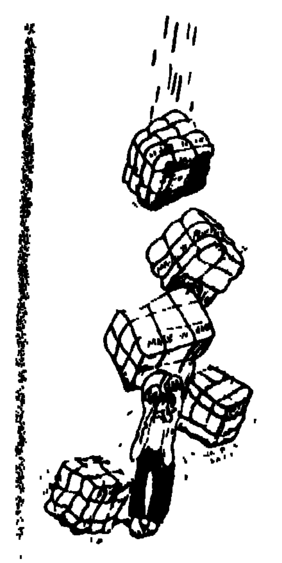
ولكن ما الصورة ، أو ما الواقع القريب إلى الصورة ، في أقطارنا العربية ، في الموضوع السكاني مثلاً ؟ تدل المؤشرات السكانية على أن الوطن العربي ، بعد عشر سنوات ، سيبلغ تعداده ثلاثمائة مليون نسمة ، ٤٥٪ منهم حينئذ تبلغ أعمارهم أقل من خمس عشرة سنة ، وسوف تزداد هجرة السكان من الريف والبادية إلى المدن ، حتى تحوي هذه المدن ٦٠٪ من عدد سكان الوطن العربي ، أي أن أريافنا وقرانا سوف تهجر نسبياً ، وسوف يتضخم عدد سكان مدننا ، بل مدن بعينها في بعض الأقطار .

وتقول الإحصائيات أيضاً : إن حوالي ٧٠٪ من سكان ليبيا سيتمركزون فقط في مدينتين ، وهما طرابلس وبنغازي ، في نهاية العقد الحالي ، وسوف يعيش نصف سكان العراق في بغداد ، وستكون هناك على الأقل مدينتان عربيتان من أكبر عشرين مدينة في العالم ، أي يبلغ عدد سكانها أكثر من عشرة ملايين نسمة ، وتتدفق الهجرة السكانية من أقطار الثقل البشري العربي إلى الأقطار القليلة السكان .

إن ترجمنا هذه الإحصائيات فإنها تقول لنا بوضوح :

إن قطاع الزراعة (في الريف) سوف يفقر أكثر وأكثر ، بل سوف تشكل الهجرة منه كارثة على الإنتاج الزراعي من جهة ، وعلى اكتظاظ المدن

الهم الاقتصادي هو الجهاد الأكبر وعندما ينتهي الناس من صناديق الاقتراع يبقى هذا الهم مستمراً



من جهة أخرى ، في الوقت الذي لا يتوافر لأبناء المدن المتضخمة ، السكن ولا التعليم ، ولا فرص العمل المناسبة . لقد قدرت الواردات الغذائية العربية في منتصف الثمانينيات بحوالي ٢٥ مليار دولار ، ويقدر أن العرب سوف يستوردون في نهاية العقد الذي نحن فيه أكثر من ٢٩ مليون طن من الحبوب ، يصل ثمنها إلى حوالي ٦٠ مليار دولار .

تزايد السكان ، والتمركز في المدن ، والنقص في الإنتاج الزراعي ، ما هي إلا مؤشرات لما سنكون عليه في نهاية هذا العقد ، وفي بداية الألف الثالث من الميلاد .

في كل الكتابات العربية الخاصة بالتنمية نجد أن هناك ضيقاً واضحاً ـ إذا استخدمنا أقل التعبيرات إيلاماً ـ بمسارات التنمية العربية ، وأملاً يتزايد في الخفوت بوضع حلول علمية لها ، ذات مدى زمني متوسط وطويل ، لا تعصف بها الأهواء السياسية ، ولكن الحقائق سوف تبقى حقائق ، وتأثيراتها سوف تظهر .

وفي مجال آخر هو التعليم والتقنية ، تقول لنا الإحصائيات : إن هذا التوسع في التعليم الذي كان سمة المجتمعات العربية ، في العقود الثلاثة الأخيرة ، سيظل في مساره ، وسيصل عدد تلاميذ المدارس الابتدائية في الوطن العربي ، في نهاية هذا العقد ، إلى ٤٥ مليون طفل ، مقارنة بما كان عليه مثلاً سنة ١٩٨٠ ، وهو عشرون مليوناً فقط (أي بنسبة ١٢٠٪) . وستفرض هذه الزيادة في السنوات الأولى من القرن القادم وجوب مضاعفة فرص العمل التي نراها اليوم تضيق على مر الزمن . وهنا سوف يحدث التباين بين هيكل العرض وهيكل الطلب ، مما يفرض ضغوطاً اجتماعية وسياسية كبيرة ، ومن هنا تبرز أهمية وضع فلسفة وسياسة جديدتين في موضوع التعليم الذي يُعد الإهدار فيه ليس تفويت فرص حالية ، إنما يعد أيضاً مضاعفة للأخطار المستقبلية .

أما في التقنية فالأمر أكثر فظاظة ، فالتقديرات تقول لنا : إننا سوف نستورد في العقد القادم فقط ما قيمته ألف مليار دولار من الأجهزة والأدوات الصناعية والمعارف التقنية . إن وضع (التبعية التقنية) سوف يتفاقم ، والنقص في المعرفة والمعلومات يزيد علينا أيضاً ـ كما تقول الإحصاءات المحافظة ـ ٤٠٪ من التكاليف ، أي أننا ندفع بسبب نقص معلوماتنا في هذا المقام ضريبة تبلغ ضعف الثمن تقريباً ، وهذه الضريبة تتسرب في قنوات من بينها عدم الدقة في الاختيار بين التقنية المعروضة ، أو عدم تأقلم هذه التقنية مع

الوسط المحلي ، أو أسباب أخرى عديدة .

وقد حدثني أحد رؤساء المؤسسات الصحفية الكبرى ، منذ فترة ، في أنه يصرف نصف مليون دولار شهرياً بسبب العطل في الأجهزة الجديدة التي اشتراها لمؤسسته ، بسبب احتكار المصنع لبعض الأجهزة الدقيقة ، وذاك غيض من فيض .

إن (التطعيم التقني) الذي نسير عليه يجعل اقتصادنا سجيناً للنظام الذي يولّد هذه التقنية ، وحل هذه المعضلة هو في الدأب على تعميق البحث العلمي ، الذي ما يزال في غرفة الإنعاش والذي نخصص له من الميزانيات قليلها وتافهها ، وقد بلغت في وسط الثمانينيات فقط (٠,٤٪) من مجموع الدخل القومي العربي .

وتنسحب هذه الصورة القاتمة على مستقبل الصناعة والطاقة والزراعة والثروة المائية والأراضي القاحلة في الوطن العربي . وكل هذه تعاني من نقص في التخطيط والمتابعة ، وضعف في الإدارة والإرادة ، ونظرة إلى اليوم ، ونسيان للغد وما بعده . وما يحمله الغد وما بعده جد خطير . تلك هي بعض المعضلات أو المشكلات الحياتية ، وهي بعض مكونات الحلقة الثانية في دراستنا للمستقبل العربي .

أشكال إعادة البناء :

الحلقة الأخيرة في دراستنا للمستقبل هي ـ كما اتفقنا ـ أشكال إعادة البناء ، وهي جزآن : جزء نظري ، وآخر عملي عبارة عن خطوات عملية اتخذتها وتتخذها بعض أقطارنا في محاولة للتصدي لهذا التحدي الصعب .

في المجال النظري لم يبخل بعض قادة الرأي العاملين في المجال الاقتصادي والتقني والثقافي في طرح تصوراتهم أمام الرأي العام العربي ، ووضع حلول واقتراحات يمكن الاستفادة منها . ولعلنا أمام تجربتين علميتين ، حاولتا التفاوض على المستقبل العربي ، بمعنى إيجاد بدائل و (سيناريوهات) تستقصي الواقع ، وترصد الإمكانات والقدرات ، وتتصور مسارات مستقبلية اعتماداً على الاستخدام الأمثل أو القاصر لهذه الإمكانات .

ما يحدث في الواقع يصبح أكثر عمقاً من كل ما هو متوقع وعوامل التغيير التي تفعل فعلها شديدة إلى درجة اللامعقول أحياناً

في العقد الماضي نما الوعي بأهمية دراسة المستقبل العربي ، وما سيكون عليه العرب في القرن الواحد والعشرين ، وتجدر الاشارة إلى مشروعين بحثيين كبيرين ، كان لي شرف الاشتراك المباشر في أولهما ، ومتابعة الثاني عن كثب . المشروع البحثي الأول هو مشروع « المستقبلات العربية

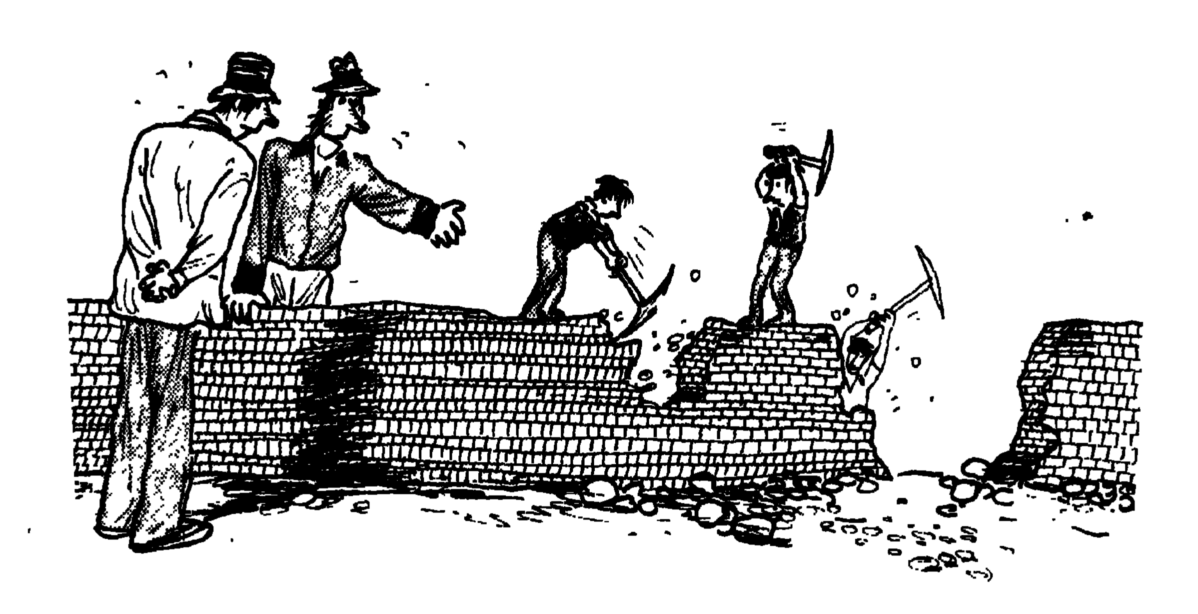
البحث العلمي العربي مازال في غرفة الانعاش فلم تزد ميزانيته في وسط الثمانينيات على ٠,٤٪ من مجموع الدخل القومي

البديلة » ، وهو أحد المشروعات البحثية لجامعة الأمم المتحدة (ومقرها في طوكيو) ، وأشرف على تنفيذه « منتدى العالم الثالث » في القاهرة ، تحت إشراف خبيرين اقتصاديين عربيين ، هما الدكتور اسماعيل صبري عبد الله ، والدكتور ابراهيم سعد الدين . بدأ هذا المشروع في يناير ١٩٨١ ، واستمر خمس سنوات ، وقدم مشروعه النهائي في نوفمبر ١٩٨٦ . وبين هذين التاريخين قام المنظمون بإجراء دراسات وأبحاث علمية ودقيقة في مجالات بارزة ومهمة ، لها أولوية قصوى في الإطار العربي ، وعقدوا ندوات لخبراء ومهتمين بمجالات عربية عديدة ، وكانت الاتجاهات التي توصلت اليها تلك الدراسات والندوات ملفتة للنظر . منها على سبيل المثال لا الحصر أن هناك اتجاهاً متزايداً لعملية التراجع عن المشروع القومي ، إلى مزيد من التفكك القطري ، وهناك اتجاه متزايد لتدويل الحياة الاقتصادية العربية ، أي دمجها في الإطار الدولي لتدفقات التجارة والمال والتقنية والاتصالات العالمية ، كما أن التقنية المستوردة من الخارج حملت معها أنماطاً فكرية وأيديولوجية واستهلاكية وتوزيعية جديدة ، عمقت الازدواجية الفكرية والاجتماعية في الوطن العربي ، كما أن هناك اتجاهاً متزايداً للاعتداء على البيئة وتخريبها ، كما فقدت « البيئة العربية » توازنها ، وارتفع معدل التصحر والتلوث فيها .

تلك بعض أبرز ما في الصورة التي رسمها التقرير الأخير للمستقبلات العربية البديلة ، مع مجموعة وافرة من الدراسات التي اهتمت بالاقتصادي والثقافي والديني والسياسي .

والمشروع البحثي الثاني كان أوفر حظاً من الأول في الحصول على مساحة أوسع في الإعلام العربي ، استمر مدة أربع سنوات بين ٨٣ - ١٩٨٧ ، وصدرت دراساته التفصيلية ثم المجمعة تباعاً ، وكان للدكتور خير الدين حسيب ، مدير مركز دراسات الوحدة العربية ، وللمركز نفسه ، فضل بذل هذا الجهد الضخم ، وقد وصف التقرير النهائي الذي عرض إبان ندوة في تونس (أكتوبر ١٩٨٧م) ، وصف الواقع العربي ، وهو واقع - كما رسمت بعض صوره في السابق - مليء بآليات التبعية والتخلف والتفكك المعطلة إلى حد كبير لإمكانياته .

وكانت التوجهات أو التمنيات في هذه الدراسات ، وبعض الدراسات النظرية الفردية ، كثيرة ، تتخللها (يَنْبَغِيَّات) عديدة ، على رأسها التكامل التنموي العربي البشري والاقتصادي ، ورفع نسبة التعليم ومستواه ، ودمجه



مع أهداف التنمية المتبناة ، والاهتمام بالزراعة والصناعة والبنية التحتية ، وترشيد استهلاك الطاقة وزرع التقنية واستنباتها ، إلى آخر المتطلبات التي تتيح لنا فرصاً أفضل لمواجهة تحديات سنين القرن الواحد والعشرين .

ولكن كل هذه التوجهات والتمنيات لن تنقل من حيز الرأي إلى حيز التنفيذ إلا بقرار ، ممن يملكون حق إصدار هذا القرار ، كما أنها لن تستمر إلا بوجود قناعة تامة عند المستفيدين ، فمع عدم قناعة هؤلاء لن تُفرض التنمية من أعلى ، فسرعان ما توضع أمامها ردود فعل سلبية ومعرقلة .

التوجهات والتمنيات لن تنتقل إلى حيز التنفيذ إلا بقرار ممن يملك القرار وبقناعة ممن يستفيد

هذا الأمر يأخذنا إلى الشق الأخير من هذا الحديث ، وهو الخطوات العملية التي يتخذها بعض أقطارنا لإعادة البناء التنموي ، ولعل أظهرها ما تم في مصر وتونس والأردن أخيراً ، وما يتم في الجزائر واليمن الديمقراطي . والملاحظ أن هذه الأقطار أمام المشكلات الاقتصادية والحياتية قد بدأت بالسياسي ، فأمام الضغوط الاقتصادية التي تصاعدت في الثمانينيات اجتهد بعض هذه الأقطار في تلمس مسارات قد تؤدي إلى تنمية متوازنة ، وكان أحد هذه المسارات هو ما فرضته الحكمة التقليدية ، من أن المشاركة ـ وقد أضاف بعضهم عليها مفهوم التعددية ـ هي التي يمكن أن تفجر طاقات الإنسان العربي ، وقدراته الإبداعية ، وتزيل غربته ، فيستعيد ثقته بنفسه وبقدرات وطنه وأمته .



وقد يكون ذلك صحيحاً إلى حد ما ، ولكنني أعتقد أننا هنا قدمنا السياسي (العاطفي) على الاقتصادي (الموضوعي) . قد يحل السياسي بعضاً من المشكلات التي تواجهنا في القرن القادم ، ولكن في تقديري لن تستطيع الخطوات السياسية الداخلية في صيغة مشاركة ، أو الإقليمية في صورة تجمعات (متعاونة) ، أن تقدم الحل الناجع ، بل ربما يكون بعض الحلول السياسية بمثابة مهدئات تضع غلالة من الطعم الحلو على حبة الدواء المرة التي لا بد من تجرعها .

يشير بعضنا في الموضوع « السياسي » إلى ما حدث ويحدث في بعض بلدان أوربا الشرقية ، ويقدمون الأدلة على أن رياح التغير السياسي هناك هي بوادر صحية في الاتجاه الصحيح ، وقد تكون كذلك ، إلا أنه على الرغم من كل الزغاريد في الصحافة العالمية فما زالت بلدان أوربا الشرقية تبحث عن حلول لمشكلاتها الاقتصادية ، وليست هناك وصفة سحرية تربط التغير السياسي بالرفاه الاقتصادي ، ونحن نشاهد اليوم بعثات تلك البلدان تطوف ببلدان أوربا الغربية ، تكاد « تستجدي » المعونات الاقتصادية . بيت القصيد هنا أن إشكالية « الاقتصادي » أكبر وأصعب بمراحل من إشكالية السياسي .

وهناك أكثر من تجربة عربية - إن أردنا ضرب الأمثلة - نجدها باتجاه التغير في السنوات الأخيرة من الثمانينيات ، ولعل ما يحدث في اليمن الديمقراطي والأردن والجزائر أمثلة من هذا التوجه .

في اليمن الديمقراطي طرحت منذ فترة وثيقة بالغة الأهمية ، هي « مشروع الاتجاهات الأساسية للإصلاح السياسي والاقتصادي الشامل » . ودوافع هذا المشروع - كما تقول الوثيقة - أن التغير « ضرورة موضوعية لمعالجة الاختلالات والتشوهات والأخطار التي رافقت بناء هيكل السلطة وأجهزتها وأدواتها المختلفة وعناصر المنظومة السياسية بعضها ببعض » ، وملخص الوثيقة تلك أن هناك تفكيراً واقعياً بالمراجعة وإعادة النظر .

ويحدثنا كاتب متابع ، هو فهد الفانك ، عن تجربة الأردن الأخيرة ، فيقول : إن « واحداً من خمسة مواطنين يحق لهم الانتخاب لم يكلفوا أنفسهم مشقة تسجيل أسمائهم في قوائم الناخبين ، وأن واحداً من كل سبعة مواطنين سجلوا أسماءهم لم يكلفوا خاطرهم بالذهاب إلى المراكز المحددة لاستلام بطاقاتهم ، وأن اثنين من كل خمسة ممن أخذوا البطاقات اعتبروا يوم الانتخاب بمثابة عطلة للراحة ، وبقوا في بيوتهم » ، أي أن المشاركة من حيث العدد كانت محدودة .

واقع القرن الواحد والعشرين يدعو إلى نموذج ثقافة جماعية تنشيط همّ العزلة التفرد

وفي الجزائر ، منذ نوفمبر سنة ١٩٨٨ حتى آخر العام الماضي ، حدثت تغيرات كثيرة ، عُدّل الدستور باتجاه التعددية ، ونوقشت مشاريع كثيرة من القوانين ، وصدرت ، ومن بينها قانون الأحزاب والانتخاب والإعلام ، وكثير غيرها .

هذه التحولات العربية التي حدثت في السنوات الأخيرة القليلة هي في الإطار « السياسي » ، إن كان ذلك مرحباً به فإن الصعوبة الحقيقية هي في ربط هذا « السياسي » بالتنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية التي شاهدنا صورها السلبية العميقة في صدر هذا الحديث . إن الهم الاقتصادي في نظري هو الجهاد الأكبر ، فعندما ينتهي الناس من صناديق الاقتراع ، يبقى ذاك الهم مستمراً ، فالحداثة السياسية دون حداثة اقتصادية ، أي دون مسكن ومياه شرب ومواصلات وعمل شريف ، تبقي المشكلة كما هي ، فمن الثابت أن نجاح السياسي يتطلب شروطاً اجتماعية واقتصادية لا يمكن للسياسي بدونها أن يصبح فعالاً .

ستظل الأديان باجتهاداتها المختلفة تعطينا القدرة على التكيف مع مستجدات عصرنا وتعصمنا قيمها من مخاطر هذه المستجدات

القيم الروحية :

أحد المناجم الغنية التي يمكن أن نلجأ إليها ونستفيد منها في مواجهة التحديات الجسام في التنمية الشاملة المبتغاة في هذا الوطن العربي هو المنجم الروحي ، فستظل الأديان باجتهاداتها المختلفة هي التي تعطينا القدرة على التكيف مع مستجدات عصرنا ، وتعصمنا قيمها من مخاطر تلك المستجدات ، ففيها من المنابع السلوكية والأخلاقية ما يعضد الأمل والقدرة على العمل ، وتجد فيها الفئات الاجتماعية المختلفة ملاذاً للراحة والاطمئنان . وهناك من القيم ، كقيمة التضحية والعمل والإنجاز ، ما يمكن أن يساعد برامج التنمية . وقد أصبح من واجب أهل الرأي الدعوة لترسيخ تلك القيم في إطار من السماحة والتعايش ، ووضعها بجانب برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في منظومة متكاملة تأخذنا إلى الألف الثالث من الميلاد وتحدياته العظمى ، وهي كما ترون ضخمة ، ضخمة ، في زمن قادم ، لا يُحسب عليك ما تفعله فقط ، ولكن يُحسب عليك ما لا تفعله أيضاً » . □

محمد الرميحي

أقوال



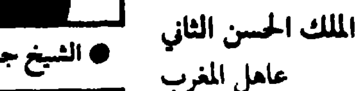
● الشيخ جابر الأحمد

■ « وللمظالم في كل عصر رموز ، وإن المديونية العالمية هي باستيل عصرنا الحاضر ، ومن أبرز رموز الظلم فيه . » .

الشيخ جابر الأحمد الصباح

أمير دولة الكويت

■ « السياسة كالفلاحة ، فكما أن القطف قبل الأوان مضر ، فكذلك القطف بعد الأوان . » .



الملك الحسن الثاني

عاهل المغرب



● الحسن الثاني

■ « السياسة هي مجال التنافس حول القيم النسبية القابلة للاختلاف والتفاوض ، أما الدين فهو جملة القيم الخالدة التي لا تفاوض بشأنها . » .

زين العابدين بن علي

رئيس الجمهورية التونسية.

■ « أنا رجل عمري ثلاثة وسبعون عاما ، والإنسان يملك حيوات كثيرة ، مثل السنوات ، وأنا اليوم أملك الحياة رقم ٧٣ . » .

كاميلو خوسيه ثيلا

(الأديب الاسباني الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٩ م)



● زين العابدين بن علي

■ « إن الذين يرفضون الاتفاق في شأن السيادة على حق في المطلق ، لكن الذين وقعوا الاتفاق على حق أيضا في الواقع . » .

البطريرك الماروني نصرالله صفير

■ « ليس من المنطق تصور أن ما يحدث في الشرق هو انتصار للغرب ، ولكنها مرحلة جديدة من مراحل صراع العقائد الذي يعود إلى قرن كامل مضى . » .

مرجريت تاتشر

رئيسة الوزارة البريطانية



● مرجريت تاتشر

■ « إن حق جميع الألمان في تقرير المصير لما يصبح واقعاً بعد . » .

هيلموت كول

مستشار ألمانيا الاتحادية

عِقدُ الخيَارات الصّعبَة

بقلم : الدكتور غسان سلامة*

« يدخل الوطن العربي إلى العقد الأخير من القرن العشرين مثقلاً بأعباء السنين الماضية ، وعليه أن يواجه تحدي الخيار ، والموقف والحسم في قضايا عاصرها طويلاً ، وهي قضايا لكي تحسم فإنها تتطلب قدراً كبيراً من إرادة التغيير والقدرة عليه » .

يصاب الناظر إلى منطقتنا من العالم بنوع من الدوار الذهني ، فالأمور فيها على تبدل دائم : هنا حرب ، وهناك نزاع ، وهنالك مصالحة لم يتوقعها أحد . فيأتيك شعور ، لا تقدر على مغالبته ، بأن المنطقة عصية على التناول المفهومي ، الشامل ، الهادىء ، وبأنها بالتالي مساحة من الأحداث المتلاحقة ، يدفع واحدها الآخر ، دون منطق بنيوي . ويبدو لك لوهلة ، أن المنطق الغالب في السياسة العربية ، هو منطق الحركة لذاتها ، دون هاجس الإنتاج العقلي للحركة ، وبلا اهتمام حقيقي بما قد تؤول إليه هذه الحركة المستمرة من نتائج ثابتة ، تمس جوهر الأمور ، فتعدلها أو تؤثر فيها . وتفتح جريدتك اليومية لتقرأ فيها ، حتى تزوغ عينك من البصر ، أخبارا متلاحقة عن وصول رئيس ، ومغادرة وزير ، و « قمم » كثيرة متدافعة هنا وهناك ، ومجالس تعاون تؤسس ، وهيئات يعلن عن إنشائها ، ناهيك عن تبادل الرسائل ، وتنقل المبعوثين . فالطائرات ملأى بالمندوبين ، والبريد مفعم بالبطاقات ، ناهيك عن النشاطات « السرية » التي لا تبدو لها فائدة إلا تلك الهالة المحيطة بالإعلان عنها في أخبار خاطفة منقولة عن « مصادر مطلعة » .

الثابت والمتغير

إزاء هذه النشاطية شبه المرضية ، يأتيك من يقول : إن هذه كلها أمور سطحية ، للالتهاء والإلهاء ، وكلاهما لا علاقة لهما بالسياسة . ويضيف هؤلاء بأن لا حاجة لتتبع هذه الأخبار ولا لقراءة اليوميات ، إذ لا شيء في الأساس حاصل فعلا على أرض الواقع . ويرى هذا الفريق أن المنطقة محكومة بعدد من القوانين الأساسية الجامدة التي تقيدها معتمدين بذلك على المثل الفرنسي المعروف : « بقدر ما تتغير

* أستاذ العلوم السياسية في جامعة باريس ـ فرنسا ، من القطر العربي اللبناني .

الأمور ، بقدر ما هي باقية على ما كانت عليه » ، وتلاقي هذه النظرة هوى عند معظم المستشرقين ، فهم يعتقدون أن جل المثقفين العرب يلتهون بحيثيات سياسية جارية (بمعنى الحساب الجاري في المصرف) بينما الأمور البنيوية على ثبات ، وهم قد يذهبون لحد القول بأن التاريخ المتحول في غير مكان ، هو متوقف في منطقتنا عند عدد من القواعد الدائمة ، بل شبه الأزلية : تبعية مرضية لدى بعض القادة والنخب إزاء الخارج ، انعدام مستمر لأي قدرة على التوحد أو على مستوى دائم وراق من التنسيق بين الأقطار العربية المختلفة ، هدر لا مسؤول لإمكانيات تنموية كانت متاحة ، ناهيك عن وزن الدين في السياسة الذي ما يغيب قرنا حتى يعود من خلال موجة سلفية استرجاعية أخرى ، تفوق سابقاتها حدة وعقما .

ويقف الناظر حائرا بين هذين الخيارين الذهنيين : دوار السياسة اليومية ، وادعاء القوانين الجامدة المقيدة لأي تبديل بنيوي حقيقي . ويبحث المرء بصعوبة كبرى عن حل ثالث بين نظريتي التبدل الدائم والسكون المستقر ، فيفاجأ بالتنبؤات المتناقضة من كل حدب وصوب : من قائل بأننا مقدمون على حل دائم وعادل للمسألة الفلسطينية ، إلى آخر يعتقد أننا ما كنا يوما أبعد مما نحن عليه اليوم عن ذلك الحل ، من قائل إن « الصحوة » الإسلامية ، كما يدعوها أصحابها ، إلى تطور يجعلها تجتاح السياسة العربية بأسرها ، إلى آخر يرى أنها موجة مقبلة لانحسار بدأ فعلا في الواقع ، من قائل إن الأنظمة القائمة منذ عقدين أو أكثر هي قائمة لفترة طويلة بفضل ما أوتيت من مقدرة تقنية على الاستمرار ، ومن شطارة في اللعب على التناقضات ، إلى آخر يجزم بأن تلك الأنظمة مقدمة على متاعب جمة ، ستودي بها الواحد تلو الآخر ، من قائل إن مجالس التعاون المتكاثرة إلى استمرار ، بل إلى تطور نحو فكر وممارسة عاقلين لمبادىء الوحدة العربية ، إلى آخر يقول إن المنطق القطري قد تكرس بصورة ثابتة دائمة ، وأن تكريسه سيتزايد في المقبل من الزمن .

افتقاد المعايير

هذه الأفكار (وعكسها) يحملها صاحبها ويعبر عنها بثقة وقوة ، ويقيني أن البون الشاسع بين التنبؤ وعكسه سببه أساسا افتقادنا لعدد من المعايير العلمية الأساسية التي نقيس بها الاحتمالات المختلفة . من هنا كلامنا الهش وغير الموثق عن المستقبل . أضف إلى ذلك عددا من العناصر الذاتية العربية التي تجعل الاستشراف المستقبلي نوعا من المجازفة الخطرة . فجل الأنظمة السياسية القائمة تسلطية الطبيعة ، والأنظمة التسلطية ، في أي مكان من العالم ، يصعب الحكم على عمرها ، فقد تدوم بينما ينتظر الجميع سقوطها ، وقد تسقط (كما حدث



في اسبانيا ، والفليبّين ، واليونان وبولندا) عندما كان كل الناس يتوقعون لها العمر المديد . ثم إن تبعية منطقتنا تجاه النظام الدولي ، والدول الكبرى على الأخص ، تجعل الاستشراف صعبا ، لأنه ينبغي علينا أن ندرس ما يريده الآخرون لنا ، قبل أن نتساءل عما قد نريده لأنفسنا ، وعن تمكننا من تحقيقه . (مثلا إن اعتمادنا الخطير ، شبه الأحادي ، على النفط كمصدر للعائدات بالعملة الصعبة ، مرتبط بصورة ثانوية بمدى قدرة المنتجين على الاتفاق ، وبصورة أساسية ، بمستوى الاستهلاك العالمي ، وبسياسات الدول الصناعية في مجال الطاقة) . ولابد أخيرا من أن نذكر كم تؤثر انحيازاتنا الأيديولوجية على مقاربتنا للواقع ، فنروح ننظر للمستقبل وفقا لأهوائنا ، لا استنادا على دراستنا له ، ويغدو استشرافنا للمستقبل في معظم الأحيان نوعا من التنبؤ الصبياني ، المرتبط بهوى قديم أو بمزاجية عابرة ، وكلاهما بعيدان عن الروح العقلانية .

من هنا الصعوبة الفائقة في استشراف العقد المقبل ، وذلك على الرغم من التنامي البطيء لروح الاستشراف العلمي ، في مشاريع جماعية ، بدأت تظهر عندنا ، أعظمها على الإطلاق ، ذاك الذي أطلقه مركز دراسات الوحدة العربية ، والذي أدى لصدور نحو عشرين كتابا ، مشدودة ، لهذا القدر أو ذاك ، نحو قراءة المستقبل . وعلى الرغم من تلك الصعوبة فالمحاولة تبقى شرعية ، حتى لو لم تكن بالضرورة مجدية .

ثلاثة اتجاهات

في مجال التنظيم السياسي الداخلي للجماعة العربية ، نلمس اتجاهات ثلاثة تقليدية : الأول يسعى لتكريس استقلالية الكيانات القائمة ، والثاني يسعى لإنشاء تجمعات محلية أو محورية بين عدد قليل من هذه الكيانات ، والثالث يسعى لإعادة تغليب الفكرة العربية كأساس للتعامل الداخلي بين الأقطار العربية ، ولتعاملها الجماعي مع الخارج . وينتهي العقد الحالي والصورة تميل نحو بروز المستوى الثاني ، أي نشوء تجمعات من الأقطار العربية ، يجمعها الاستمرار الجغرافي والتشابه الاجتماعي - الاقتصادي (كما هي الحال في الخليج) ، أو الرغبات السياسية المتقاربة (كما هي حال مجلس التعاون العربي) أو مزيج من الاثنين (كما هي الحال في المغرب) . ويعني هذا أن العقد منته والمؤسسات العربية الشاملة على وضع إداري ومالي ضعيف ، والفكرة العربية في موقع الدفاع الصعب ، إزاء قيام هذه التجمعات من جهة ، ومنافسة الفكرة الدينية من جانب آخر . بقي المستوى الأول ، وهو مستوى الكيانات ، وهو أيضا في موقع متقدم من تأكيد الذات ، ومن الضعف في الآن معاً .

وقد يحمل لنا العقد المقبل تمييزا أوضح بين الكيانات ، الكبرى منها والصغرى . فالأقطار العربية « الصغيرة » استطاعت حتى اليوم أن تستمر ، وفي أحيان كثيرة أن تكون أكثر تقدما في المجالين السياسي والاجتماعي من الكيانات الكبرى . لكن حرب اليمن في الستينيات ، وحرب لبنان المندلعة منذ منتصف السبعينيات ، ناهيك عن أحوال السودان التعسة ، كلها تشير إلى أن التنافس بين الأقطار العربية الأقوى ساعدا من شأنه أن يعرض الأحوال الداخلية في الدول الصغرى للخطر ، أو على الأقل ، أن يسهم في ذلك . وسنشهد على الأرجح محاولات كثيرة لدى الأقطار الصغيرة للممانعة دون تعرضها لاستقطاب جارة أقوى . لكن النظام الدولي الذي سعى في الإجمال لدعم الدول الصغيرة على حساب جاراتها الطامعات ، يبدو أقل ميلا الآن للتدخل ، لذلك فالمخاطر على الدول الصغيرة ، في استقلالها وفي استقرارها ، ستتزايد على الأرجح ، دون وجود رادع دولي فعال كما في السابق ، وقد تنتقل المجموعة العربية إلى نوع من الحروب الأهلية الشاملة إن لم يؤكد من جديد مبدأ عدم التدخل في شؤون البلدان المجاورة .

نوع من التوافق

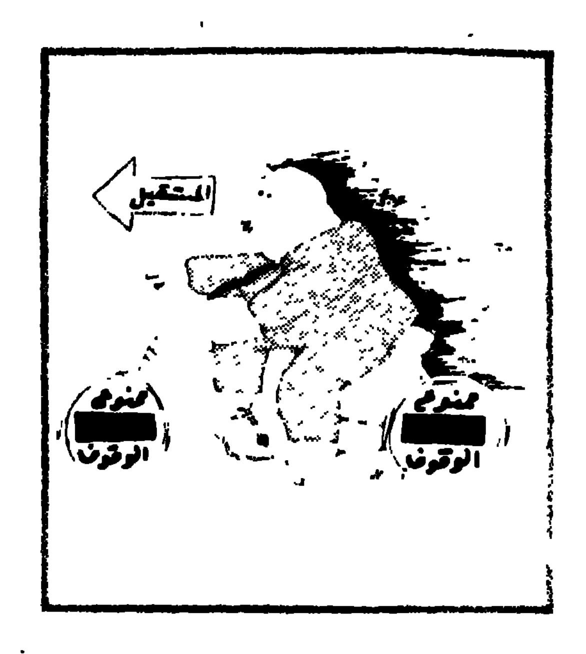
وينتهي العقد الحالي وقد نشأ نوع من التوافق الأكثري العربي حول عدد من المسائل الحساسة بعد سنوات طويلة من التعثر . فمقررات قمة عمان الاقتصادية سنة ١٩٨٠ بقيت حبرا على ورق ، وكذلك مقررات قمتي فاس سنة ١٩٨١ و ١٩٨٢ ، وبعدها انقطع حبل القمم العربية ، واندثر العمل العربي المشترك إلى حد كبير . وفي السنتين الماضيتين عادت القمم للانعقاد ، وبرز مجددا نوع من الاتجاه المتجدد نحو التوافق . فقمة عمان (١٩٨٧) أفرزت موقفا شبه موحد من التحدي الإيراني ، وقمة الجزائر (١٩٨٨) أنتجت موقفا متقاربا من الانتفاضة الفلسطينية ، بينما أدت قمة الدار البيضاء (١٩٨٩) إلى نوع من التفاهم على ضرورة إيجاد حل للمعضلة اللبنانية . بكلام آخر ، ينتهي العقد الحالي والجهد قائم لإيجاد قواسم سياسية مشتركة من جديد بعد سنوات من الإحباط .

لكن هذا الجهد محكوم إلى حد بعيد بالاعتبارات الظرفية كمثل اتساع رقعة القتال في الخليج إلى مياهه ، ولشواطىء الكويت ، وشوارع مكة المكرمة ، ومثل الفراغ الدستوري الحاصل في لبنان ، أو مسألة التأقلم العربي مع انتفاضة الأرض المحتلة . هذه الاعتبارات الظرفية ، ليس من شأنها تأسيس توافق ثابت عما يسميه بعضهم المصلحة العربية العليا . فالقليل من التوافق الراهن يجعل البحث في متطلبات تلك المصلحة ممكنا ، ولكنه لا ينشئها في الواقع . فتلك المصلحة لا تقوم إلا وقد حزم العرب أمرهم لمعالجة عدد من القضايا الحارّة ، مثل تعمق الاختلافات المذهبية ، وتكاثر السياسات الانعزالية ، ناهيك طبعا عن ضرورة التأقلم مع ظروف اقتصادية صعبة جديدة ، من شأنها أن تقيد حرية القرار العربي ، على المستويين القطري والجماعي .

والاقتصاد هو بيت القصيد ، مهما قال الايديولوجيون الجدد ، والسلفيون منهم خصوصا . فما نفع التأكيد على أهمية المجالس الجديدة إن كانت الأقطار المكونة لها متشابهة دون أن تكون متكاملة ، وشتان ما بين التشابه والتكامل ! ما معنى الحماسة الفائقة مثلا لقيام المغرب العربي الموحد ، إن كانت أقطاره تتميز بنسبة من السكان تتجاوز ٤٠٪ ممن هم دون الخامسة عشرة من عمرهم ، أو إن نحن لاحظنا أن ٤٪ فقط من الصادرات المغربية تذهب إلى بلد مغربي آخر ، بينما الصادرات نحو أوربا هي بحدود الستين (٦٠٪) ؟ لقد دخلت الأقطار العربية منذ سنة ١٩٨٢ مرحلة من العائدات النفطية المتواضعة ، وهي مرحلة ستطول على الأرجح إلى أبعد من سنة ١٩٩٥ . والأمر الواضح هو أن بلدان العالم الثالث التي لم تخرج يوما من الفقر ، هي في وضع أفضل لمواجهة مراحل العسر من الأقطار العربية التي عرفت طفرة مالية هائلة ، لن ترى لها مثيلا في القريب المنظور .

فالأقطار العربية غير النفطية عاشت سنوات طويلة وكأنها دول نفطية ، وذلك بفضل المساعدات الحكومية من الدول النفطية (أكثر من ٥٠ مليار دولار) ، وبفضل عائدات العمال المهاجرين للنفط .

أما اليوم ، فقد توقفت جل المساعدات ، وبدأت الدول غير النفطية تواجه أزمات هائلة ستبقى معها سنوات طويلة . فالدين الخارجي العربي الإجمالي يفوق حاليا ٢٥٠ مليار دولار ، موزعة على عدد من الأقطار غير القادرة على الوفاء بها ، مثل مصر حوالي (٤٥ مليارا) ، والجزائر حوالي (٢٤) ، وسوريا والمغرب والسودان والأردن ، وتمس الأزمة ، ولو بصورة أقل حدة ، الأقطار النفطية نفسها التي تعيش إلى حد كبير بفضل ما كدسته من ودائع خلال



سنوات الطفرة .

نحن ندخل العقد الأخير من القرن إذن مثقلين بديون خارجية كبيرة ، ومتزايدة ، تحكم إلى حد كبير علاقاتنا بالخارج . ومن الأسباب الأساسية لهذه التبعية ، انعدام « السيولة التحتية » ، أي عدم المقدرة على عصر حجم الواردات خلال مراحل الشدة الاقتصادية . فبينما انخفضت العائدات النفطية انخفاضا هائلا (لرُبع أو حتى خُمس ما كانت عليه في مطلع العقد) لم تنخفض الواردات العربية من البضائع والخدمات ، إلى أقل من نصف ما كانت عليه في مطلع العقد ، بل إن الواردات هذه ، في عدد من الأقطار عادت للارتفاع ، منذ سنة أو سنتين .

ومن المتوقع أن يرتفع حجم الواردات مجددا (والديون معها) لأسباب عديدة ، على رأسها الانفجار السكاني . فنحن ندخل العقد الأخير من القرن بقدر هائل من اللامسؤولية في هذا المجال ، وكأن المسألة السكانية مجرد قضية تقنية ، تهم خبراء الإحصاء .

بكلام واضح ، إن عدد المواطنين العرب تزايد بقوة تعادل ضعفي المعدل الدولي . إن [illegible] الأمر على حقيقته ، فالعرب قفزوا عدديا (من [illegible] في سنة ١٩٧٠ إلى [illegible] مليون في سنة

١٩٨٨ ، ليتجاوزوا ٢٨٠ مليونا قبل آخر هذا القرن ، وقد يصل عدد العرب هكذا إلى ٨٠٠ مليون ، سنة ٢٠٥٠ . وهذا يعني أن ٥٧٪ من عرب اليوم هم دون العشرين عاما ، مع ما يؤدي إليه ذلك من تبعات اقتصادية واجتماعية هائلة في المجالات الصحية والتربوية والإسكانية . وبذلك قد يكون أخطر قيد على حرية التحرك السياسي العربي في العقد الجديد هو الخطر المتأتي من انعدام السياسة السكانية ، ومن تزايدهم المفرط في ظروف الشدة الاقتصادية .

انفجار سكاني

ذلك أن الانفجار السكاني هو من المسببات الأساسية لتدهور الموقع العربي في مجال الغذاء . فحتى سنة ١٩٧٠ كانت هناك أقطار عربية سبعة ما زالت تصدر من المنتجات الغذائية أكثر مما تستورد . أما اليوم فقد أصبح الميزان الغذائي سلبيا في كل الأقطار العربية دون استثناء ، وبلغ العجز التجاري في هذا المجال أكثر من ٣٠ مليار دولار سنة ١٩٨٨ ، بينما يتوقع كثيرون ألا ينتهي عقد التسعينيات إلا وقد تجاوز هذا العجز مائة مليار دولار ! أضف إلى ذلك أن الزراعة العربية ، وعلى الرغم من الاستثمارات الواسعة ، ما زالت تنمو ببطء شديد (٢٫٧٪) سنويا ، بينما ترى أقطار عديدة نفسها مهددة بموجة من التصحر . ولن أتكلم عن مجالات الصناعة ، فقد كُتب فيها الكثير خلال السنوات الماضية ، مما يقضي نهائيا على أوهام التصنيع الواسع والشامل ، الآتي بالخيرات والموظف للخيرات والعمالة .

هذه الأسباب (هشاشة الواقع السياسي الحاصل حاليا وطبيعته الظرفية ، الخلط بين مفهومي التشابه والتكامل في بناء التجمعات الإقليمية ، الانفجار السكاني الخطير ، والسياسات الاقتصادية الخاطئة أحيانا والخطرة أحيانا أخرى) ، فإننا ندخل عقد التسعينيات [illegible]

الوطن العربي في التسعينات

والخوف ، كل الخوف من أن يحمل لنا العقد الجديد نوعا من التطبيع العملي لأوضاعنا . فيعود الوطن العربي ليكون (بعد مرحلة من الأوهام المتكسرة على صخور الواقع)، مرة أخرى ، جزءاً عاديا ، و« طبيعيا » من العالم الثالث ، من « الجنوب » بمشاكله المزمنة ، وانعدام استقراره ، وتبعيته المفرطة تجاه الغرب المصنّع . ويقيني أن التكديس الهائل للسلاح في عدد من الأقطار العربية لا ينفع كثيرا في هذا المجال ، لأنه يزيد التبعيّة التقنية ، ويضاعف أرقام الديون الخارجية ، بينما فائدته مشكوك فيها ، لأننا في الإجمال نخوض حروبا غير تلك التي كنا نود خوضها . فنحن ننظر لحروب تؤكد تحررنا واستقلالنا ، بينما الحروب التي يسمح لنا بخوضها هي حروب مفروضة علينا ، أو نحن انزلقنا إليها ، كالحروب الأهلية الدامية ، أو كالحروب بيننا نحن العرب ، أو بيننا وبين جيراننا التاريخيين .

تحدي التسعينيات

لذا ، من الخطأ والخطر أن يحل وهم السلاح المكدّس مكان وهم الصناعة الثقيلة ، كمصدر طبيعي « للقوة » ، إنما القوة العربية الحقيقية فهي المتأتية من المجتمع العربي ، لا من السياسات الظرفية الفوقية . والمجتمعات العربية ، على تنوعها ، ليست بخير ، لذلك فالمجموع العربي لا عافية له . فهذه المجتمعات يعوزها اندماج أوسع ، وحريات فردية وسياسية تفتح المجال أمام روح الإبداع ، وينقصها أمن اجتماعي حقيقي مبني على علاقة عصرية بين المواطن والدولة ، وعلى تصور أساسي مفاده أن الدولة هي بخدمة المجتمع ، لا العكس .

يمكن آنذاك أن نتصور إسهاما فعالاً للمواطن العربي في رفع تحدي التسعينيات . والحكومات العربية الراشدة هي التي تسعى لإفراز هذا الإسهام وتلك المشاركة في عملية البناء والتطور ، لا تلك التي تختزل التنمية إلى سلسلة من القرارات الفوقية . أما الحكومات الساعية لاحتكار القرار لنفسها دون المجتمعات التي تدعّي تمثيلها ، فهي ستكون عرضة في التسعينيات ، كما لم تكن يوما في السابق ، لضغط متناقض متزايد الحدة بين نظام دولي قاس ، وغير متوازن من جهة ، ومجتمعات محبطة وغاضبة من الجانب الآخر . □

المارشال يسأل



كان لقائد القوات الفرنسية في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) سائق سيارة يدعى بيير ، وكان زملاء السائق يحاصرونه كلما شاهدوه ويسألونه متى تنتهي الحرب يا بيير ؟ إنك تعلم حتما » .

وأراد بيير أن يرضي زملاءه فقال لهم يوما : « عندما أسمع شيئا من المارشال سأطلعكم عليه » .

وجاء اليوم في أحد الأيام وقال « لقد تكلم المارشال اليوم » فقالوا : « وماذا قال ؟ » فأجاب ! « لقد قال لي ، وأنت يا بيير ماذا ترى ؟ متى تنتهي هذه الحرب ؟ » .



ملامح جديدة للوفاق الدولي في التسعينات

بقلم : محمد سيد أحمد

« كانت السنوات الأخيرة من عقد الثمانينيات المنصرم حافلة بالمتغيرات ، في علاقات القوى في هذا العالم . ولأن العلاقات الدولية أداء متراكم ومتوالٍ ، وتمتد آثار التوتر أو الانفراج فيها لتلقي بظلالها على العالم كله ، فإن هذا المقال هو محاولة لفهم آفاق العلاقات الدولية في التسعينيات ولتحليلها » .

أتصوّر أن التسعينيات سوف تشهد ظواهر على المسرح الدولي هي نقيض الظواهر التي تبلورت في أعقاب الحرب العالمية الثانية والتي بلغت ذروتها في مرحلة الخمسينيات والستينيات من هذا القرن .

إن أبرز ما ميّز مرحلة الخمسينيات والستينيات هو ما عُرِف « بالحرب الباردة » . وهذه ظاهرة بحاجة إلى تعريف ، حتى يمكن تعريف نقيضها . كذلك إذا استطعنا تعريف النقيض ، كان علينا أن نحدّد الأسباب التي تدعونا إلى الاعتقاد بأن المرحلة القادمة سوف تشهد هذا النقيض .

حد أعلى للصراع

والحرب الباردة هي المرحلة التي تميز فيها العالم ـ جوهريا ـ بانقسامه إلى معسكرين متضادين قائمين على إيديولوجيتين متناقضتين ، وعلى نظامين اجتماعيين واقتصاديين متعارضين ، وعلى تزود كل منهما بأحدث مبتكرات العلم في مجال التسلح . وقد اكتسب سباق التسلح بينهما في هذا العصر الذي بلغ فيه تقدم العلم حدّ التعامل مع الطاقة النووية ، خاصية لم يكن من الممكن توافرها من قبل ، هي قدرة هذين النظامين على تدمير كل منهما الآخر تدميراً تاماً ، ومعنى ذلك تعريض البشرية كلها للهلاك .

وهكذا برز أن هناك حداً أعلى للصراع ، هو المتمثل في أن الصراع لم يَعُدْ يهدد بالقضاء على العدوّ فقط ، بل بالقضاء على الذات في أي محاولة للقضاء على العدو ، أي بعملية إفناء متبادل ، بل ثبت أن هذا الخطر لم يعد مقصوراً على أدوات التدمير العصرية وحدها ، بل أصبح أيضا من خواص أدوات التعمير العصرية . إنه من خواص التقنية العصرية ، سواء استخدمت كأداة تدمير أو أداة تعمير ، كأداة حرب أو كأداة تنمية وسلام . فلقد أصبحت لهذه التقنية خاصية المساس بالبيئة الطبيعية المحيطة بحياة الإنسان ، على نحو يعرِّض هذه الحياة نفسها للخطر . أصبحت هذه التقنية لا تُنبيء فقط بقدرة الإنسان على رفع مستواه المعيشي ، كماً وكيفاً ، على نحوٍ لم يسبق له مثيل عبر تاريخه كله ، بل بالقدرة في الوقت نفسه بفعل تلويث بيئة كوكبنا على إنهاء كل حياة . ومن هنا برزت الحاجة لتجنب أساليب الصراع التي تعود بنتائج عكسية لمن يُقدِم على ممارستها ، أساليب صراع « حضارية » لا تعرِّض المتصارعين لخطر الإفناء المتبادل .

غير أن بروز الحاجة « الموضوعية » إلى تغيير في معطيات الصراع العالمي ، على النحو الذي سبق ذكره ، لا يعني أن هذا التغيير لا بد أن يحدث حتما ، بل لا بد من بروز عوامل « ذاتية » عند متصارع أو أكثر على المسرح الدولي ، لدفعه إلى التخلي عن أساليب الصراع التقليدية ، وحَثِهِ إلى



البحث عن أساليب صراع بديلة . وربما كان أبرز هذه العوامل « الذاتية » إدراك القيادة السوفيتية الجديدة ، منذ تولي غورباتشوف هذه القيادة ، أن استمرار المواجهة بين النظامين العالميين على نمطها السابق إنما يعني إحياء للرأسمالية ، وتعزيزاً لمراكزها عالميا ، كما أنه يعني إفقاراً للشيوعية ، ودفعاً لها في طريق مسدود ، وتهديداً متعاظماً لقدرتها على مواصلة هذه المواجهة ، دون تعرضها لمآزق تزداد عمقاً قد تهدد البشرية كلها بانفجارات تفلت من سيطرة الجميع .

إعادة بناء شاملة

إن سباق التسلح ، على سبيل المثال ، هو مصدر أرباح مضعفة للاحتكارات الرأسمالية العالمية منتجة السلاح ، ولكنه مصدر استنزاف للمجتمعات الاشتراكية ، لأنه يقف حائلا دون توجيه الموارد المتاحة لأهداف تنموية ، من شأنها رفع مستوى معيشة الجماهير . وان ثورة تقنيات الإعلام والمواصلات العصرية - ثورة الحاسوب « الكومبيوتر » وغيرها من التقنيات المماثلة - قد استفاد منها وطورها العالم الغربي أكثر من العالم الشرقي لأن المجتمع الأول مجتمع مفتوح ، والثاني ظل لفترة طويلة مجتمعاً مغلقاً ، خشية تسرب « قيم المجتمع البرجوازي » إليه ، وربما على الأخص قيم مجتمعات الاستهلاك التي لم يكن في الحقيقة قادراً على تلبيتها . وإن العالم الشيوعي في محاولته اللحاق بالعالم الرأسمالي كثيراً ما وجد نفسه يُغفل متطلبات مراعاة البيئة على نحو عرّض كوكبنا لكوارث « إيكولوجية » ، وأمامنا جميعاً ، مثل كارثة تشيرنوبل وهكذا برزت فلسفة الـ « بيريسترويكا » . وتعني الكلمة حرفيا « إعادة البناء » . وليس المقصود بهذه العملية مجرد إعادة بناء الاتحاد السوفيتي ، وربما معه العالم الشيوعي كله ، داخلياً فحسب ، بل « إعادة بناء » العلاقات الدولية في شتى أبعادها ، ولا سيما « إعادة بناء » منهج المواجهة بين الشرق والغرب . وفي « إعادة البناء » هذه يتحدث غورباتشوف عن « عالم ينبذ الحرب » ، وعن « عالم ينبذ العنف » ، بل يتحدث عن « عالم يقوم على الاعتماد المتبادل والتداخل والتكامل بين دوله جميعها ، وليس على التناقض والتعارض وعدم التكافؤ بينها فقط . ومعنى ذلك في التحليل الأخير : عالم يقوم على التشابك والالتحام ، لا على الانقسام إلى معسكرين متضادّين. عالم هو نقيض ذلك الذي ساد في مرحلة « الحرب الباردة » .

وكثيراً ما أصبح يقال : إن هذا التلاحم ما هو في الحقيقة إلا إشهار لإفلاس الشيوعية ، واستسلام منها في وجه الرأسمالية . ولست ممن يؤمنون بهذا الرأي . ذلك أن عملية « البيريسترويكا » قد أقدم عليها غورباتشوف دون إجبار ظاهر من الخارج ، بل طواعيا ، ومدفوعاً بدوافع داخلية على الأخص . ومن المؤكد أن هذه العملية تعني أن الأنظمة الاشتراكية في أنماطها التقليدية قد وصلت إلى طريق مسدود ، ولكنها لا تعني حتما أن الاشتراكية غير قابلة لاعادة البناء والتجديد ، وأن لا مستقبل لها ، حتى مع تسليمنا بأن الصور البديلة للاشتراكية القائمة ما زال يكتنفها الكثير من الغموض ، وأن مقوماتها النظرية والعملية ما زالت بحاجة إلى أن يجري اكتشافها من خلال عملية إعادة البناء نفسها .

وأعتقد أن من أسباب « البيريسترويكا » إدراك القيادة السوفيتية حقيقة أن قيام الشيوعية في مجتمع محدد (الاتحاد السوفيتي) ، ثم تحولها إلى معسكر عالمي (بعد الحرب العالمية الثانية) ، قد أسهم في إعادة إحياء الرأسمالية العالمية ، ودفعها إلى تجديد نفسها ، أكثر مما أسهم في القضاء عليها . فلقد شكل هذا المعسكر الشيوعي العالمي إنذاراً للعالم الرأسمالي ،

وتهديداً كافيا له لحثّه على إبتكار سبل يجري بها تحصين نفسه ضد هذا الخطر ، دون أن يبلغ التهديد الشيوعي القدر من القوة الكفيل بتصفية الرأسمالية عالميا والحلول محلها . ومن أسباب ذلك - على الاقل في تصوُّر المؤمنين بإمكانية تجديد الاشتراكية - أن النظام الشيوعي قد أُقيم منذ البداية في القطاع الأكثر تخلفا من المعمورة ، وليس في قلب المجتمعات الرأسمالية وفق تنبؤ كارل ماركس ، مؤسس النظرية الشيوعية . ومن هنا ، كان من أبرز مهام تجديد الاشتراكية إنجاز هذا الالتحام مع المجتمعات الرأسمالية المتقدمة ، على أن يجري الالتحام على نحو يكفل للاشتراكية لا للرأسمالية الانتصار في نهاية المطاف .

التحام لا مواجهة

وأعتقد أن الآمال المعقودة على انتصار الاشتراكية لا الرأسمالية من خلال الالتحام ، لا المواجهة كما جرى في الماضي ، إنما تقوم على المراهنة على عددٍ من الافتراضات المهمة ، نذكر ما نتصوره أبرزها :

● ان ظاهرة الاستغلال التي تشكل جوهر الرأسمالية مصدرها ندرة المنتجات التي تقوم عليها حياة المجتمعات . غير أن التقنية العصرية تحمل في طياتها إمكانية تجاوز الندرة إلى الوفرة ، وذلك للمجتمع العالمي كله . ومن المؤكد أن مجرد توافر الوفرة لا يفضي بطريقة آلية إلى إنهاء الاستغلال ، وتصفية مقومات الرأسمالية ، وقيام الاشتراكية محلها ، وإنما يجعل التنظيم الاشتراكي للاقتصاد العالمي ، وضمان قيام نظام للتوزيع يقوم على التكافؤ والعدل ، أكثر تناسباً مع الظروف التي جدت مع هذه الوفرة .

● ان تحقيق الحد الاقصى من الربح ، وهو ما يقوم عليه النظام الرأسمالي ، يتعارض مع مقتضيات مراعاة « الايكولوجيا » ، والعدول عن المشروعات المُجزية الكفيلة بتلويث كوكبنا وتعريض حياة البشرية للخطر . وقد يكون ان الأنظمة الاشتراكية قد أهملت مقتضيات « الايكولوجيا » تماما كما يُغفلها العديد من المجتمعات الرأسمالية ، ولكن التنظيم الاشتراكي للمجتمع أكثر قدرة من النظام الرأسمالي على مراعاة هذه المقتضيات ، لأن التخطيط فيه لمصلحة المجتمع ككل ، ويتسم بصفة أنه خالص لا يعوقه المشروع الفردي المحكوم بهدف الربح .

● لعالمنا المعاصر صفات تداخل وتعقيد بالغة لم يشهد المجتمع العالمي نظيراً لها من قبل ، وسوف يتعاظم شأنها مستقبلاً . وهي صفات تستدعي أن يكون هناك تنبؤ لما يحتمل حدوثه ، وتخطيط لما يحقق العائد الأمثل ، ولا شك أن التنظيم الاشتراكي للمجتمع أكثر قدرة من النظام الرأسمالي على تلبية هذه الاحتياجات .

التقارب بين النظامين

وهكذا نرى أن إنجاز عملية الالتحام بين الشرق والغرب سوف يرى كل جانب فيه أنه الرابح في التحليل الأخير : يفسره العالم الرأسمالي على أنه إشهار لإفلاس الاشتراكية ، ويفسره العالم الاشتراكي على أنه المنهج الوحيد الكفيل بتخطي المأزق الذي وجدت الاشتراكية فيه ، وضمان انتصارها في النهاية . ومن شأن هذا الالتحام إحياء النظريات القائلة بالتقارب بين النظامين العالميين ، وببروز نظام عالمي يستمد خواصه من النظامين معا ، بديلا من النظريات السابقة التي كانت تقول بحتمية قهر

حد النظامين للآخر ، وانتصاره الحاسم عليه .

ومن المؤكد أن التعبير الأكثر وضوحا لهذا لتقارب بين النظامين العالميين إنما سوف يتمثل في صور متعددة للتلاحم بين الدولتين العظميين ، الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . ولا بد أن يصاحب هذا التلاحم آثار مهمة منها زوال « الحرب الباردة » ، وزوال انقسام العالم إلى معسكرين ، وبروز صيغ مبتكرة « للاشتراكية الديمقراطية » التي لا هي الشيوعية بمعطياتها التقليدية ، ولا الرأسمالية بتعبيراتها الأكثر فجاجة ، وهذه أمور لا بد ان تفضي بدورها إلى آثار وظواهر أخرى سوف تشهد التسعينيات بدايات لها ، ولا ينتظر لأغلبها أن تكتمل قبل القرن الواحد والعشرين . نذكر منها :

● اختفاء تدريجي للبعد الايديولوجي في تقرير التحالفات الدولية ، والواقع أن غورباتشوف ـ وهو زعيم الدولة المعروف عنها



دائما بإعلاء شأن الايديولوجية ـ ينادي صراحة « بتجريد العلاقات الدولية من بعدها الايديولوجي » . وهو أمر لا بد أن يتعاظم شأنه مع تعاظم شأن نزع السلاح ، وإحلال العامل الاقتصادي محل العاملين الايديولوجي والعسكري في تشكيل التجمعات الدولية .

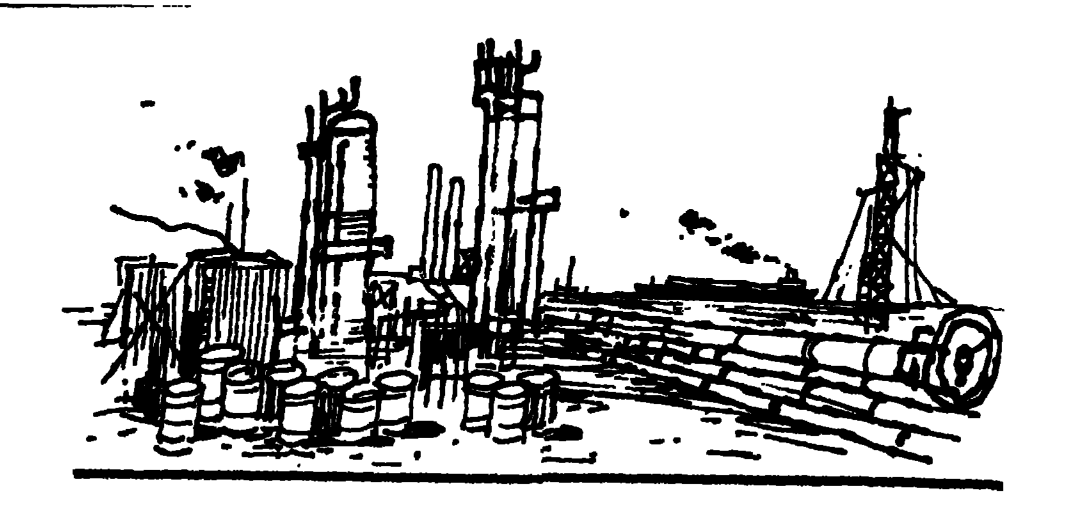
● إن إحلال عنصر المصلحة الاقتصادية محل عنصر الالتزام العسكري ، في تشكيل هذه التجمعات ، سوف يترتب عليه بروز عالم متعدد الأقطاب محل العالم الثنائي القطبين الذي ساد في مرحلة « الحرب الباردة » . كما أن هذا العالم المتعدد الأقطاب لا بد أن يعكس أمورا سوف يتعاظم تأثيرها مع زوال الاستقطاب العسكري الحاد ، وعلى الأخص بعد زوال خضوع المجتمع الدولي بأسره للصراع الحاد بين الدولتين العظميين . فمن المنتظر أن يتعاظم شأن التباينات الاقتصادية في عالم ما زالت تتسم قطاعاته المختلفة بمعدلات نمو غير متكافئة ، وذات تباينات تزداد تباعداً لا العكس . ومن المنتظر أن تستعر النزعات القومية والعرقية لزوال المعوقات التي طالما حالت دون التعبير الطليق عنها . ومع عالم سوف تزداد أوجه تداخله وترابطه ، سوف تزداد أيضا الحاجة لدى مختلف « وحداته » للتعبير عن « هويتها » ، بكل ما ينطوي عليه التعبير عن « الذات » من مكونات ثقافية وحضارية وتراثية ودينية ، ولن يكون بناء التجمعات الكبيرة على أساس إهدار قضية « الهوية » الشديدة الحساسية والتأجج لدى الأجزاء المكونة لها ، بل على أساس احترام هذه « الهوية » وإعلاء شأنها ، واكتشاف سبل شمولها في وحدات أكبر .

● سوف تكون تجربة الاندماج الأوربي ابتداء من ١٩٩٢ تجربة رائدة في تكشف إمكانيات بناء كيانات دولية ، تذوب داخلها بالتدريج الصلاحيات السيادية لمجموعات من الدول المستقلة ، وهي تجربة تجري مع مجموعة مرموقة

من الدول المتقدمة . فلسنا بعد بصدد كيان دولي شامل ، يضم كل دول العالم ، أي لسنا بعد بصدد « حكومة » أو « سلطة عالمية » ، يتخيل بعض أن هيئة الأمم المتحدة كفيلة بالتدريج أن تصبح نواتها ، ولكننا على وجه التأكيد بصدد عملية يجري بمقتضاها تجاوز السيادة الوطنية للدولة المستقلة ، من أجل اندماجها في كيان متعدد القوميات أكثر مواكبة لمتطلبات العصر ، وذلك في وقت ما زالت تجاهد فيه مجتمعات عديدة ، تنتمي إلى القطاع النامي والأكثر تخلفا من عالمنا من أجل حقها في تقرير المصير ، وفي مجرد الوجود على خريطة العالم في صورة دول مستقلة ذات سيادة .

عالم لا يحتمل التجزئة !

وفي النهاية ، أتصور أنه من الصعب الادعاء بأن انتصار الاشتراكية وارد من خلال معركة يجري خوضها في القطاع المتقدم من العالم ، دون إنجازات ملموسة لعملية تحرر قطاعاته الأكثر تخلفا وتنميتها . خاصة إذا ما تحدثنا عن عالم لا يحتمل التجزئة . وأخذنا بعين الاعتبار المتغيرات الديموغرافية والتوقعات القائمة بمضاعفة عدد سكان كوكبنا عند بداية القرن القادم ، ومعنى ذلك ارتفاع نسبة المنتمين منهم إلى عالم التخلف و«الندرة» ، لا العكس □



العرب والنفط في التسعينيات

بقلم : الدكتور علي أحمد عتيقة

لقد كانت حقبة الثمانينيات حقبة تقلب أسعار بيع النفط ، واضطراب معدلات الإنتاج التي أثرت على العائدات المالية للأقطار العربية ، ولقد كان نصيب الأقطار العربية من هذه التقلبات كبير ، خاصة في تأثيره على طموحات التنمية وتمويل الاستهلاك والاستثمار في الأقطار العربية المصدرة للنفط التي قلّت بشكل كبير وملحوظ . لكن ماذا عن مستقبل هذه الثروة؟ وما آفاق التغير في الصناعة النفطية في المنطقة العربية ؟ وما هو المتوقع ؟ وما شكل العلاقة القادمة مع الدول الصناعية الكبرى المستهلكة ؟

يعد اعتماد العرب بشكل عام ، والأقطار النفطية بصورة خاصة ، على تصدير النفط الخام من أبرز الخصائص التي تميز اقتصاديات الأقطار العربية . فالعائدات النفطية هي المصدر الرئيسي لتمويل النفقات العامة ، الجارية منها والاستثمارية ، وتمويل الواردات من سلع ومستلزمات ونفقات الدفاع ، وغيرها من الالتزامات المحلية والخارجية . وحتى الأقطار العربية غير النفطية أصبحت أيضاً تعتمد على علاقاتها الاقتصادية مع الأقطار النفطية فالمساعدات المالية والتحويلات المالية الأخرى من هذه الأقطار إلى الأقطار العربية غير النفطية أصبحت توفر قسطا مهما من عائداتها من العملة الأجنبية الصعبة ، لذلك يمكننا القول بأن جميع

الأقطار العربية أصبحت تعتمد على تصدير الثروة النفطية ولو بدرجة عالية من التفاوت بين قطر وآخر .

ثروة ناضبة

إن مثل هذا الاعتماد على تصدير ثروة طبيعية ناضبة يعد عامل ضعف أساسي في هيكل اقتصاديات الأقطار العربية منفردة ومجتمعة . فمن طبيعة الثروة الناضبة ، أنها مؤقتة ، بينما احتياجات المجتمع الاستهلاكية والاستثمارية مستمرة متواصلة ، وتزداد مع زيادة عدد السكان وارتفاع مستوى معيشتهم . لذلك لابد من برمجة التوازن بين درجة الاعتماد على مصدر ناضب ، مثل النفط ، من جهة ، وحاجة المجتمع والاقتصاد إلى مصادر ثروة متجددة ومتنوعة من جهة أخرى . أما عنصر الضعف الآخر في الاعتماد الكبير على تصدير النفط فهو طبيعة سوق النفط الدولية التي أصبحت تعود إلى سيرتها الأولى من حيث سيطرة الدول الصناعية الرئيسة وشركاتها على إدارتها وتوجيهها . لذا فإن الاعتماد على النفط لا يعد اعتمادا على ثروة مؤقتة ناضبة فحسب ، ولكن حتى أثناء توافر هذه الثروة الثمينة ، هنالك عوامل دولية خارجية ، تتحكم في تسويقها وتسعيرها ، وتسير بها نحو الاستغلال الأفضل لصالح اقتصاديات الدول المستوردة الرئيسة .

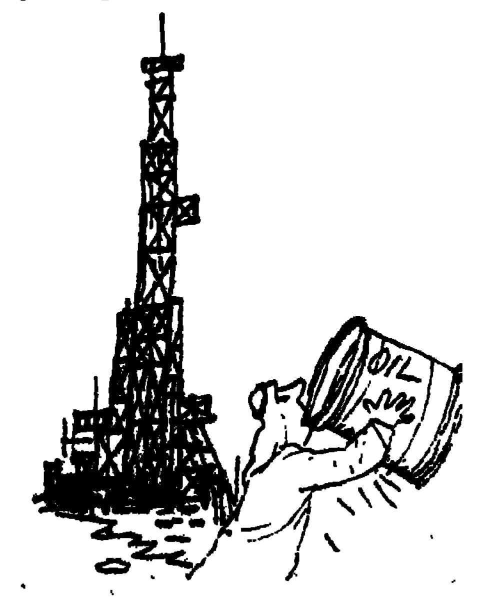
لا شك أن المسؤولين في الأقطار العربية المصدرة للنفط يدركون هذه الحقيقة ، وغيرها من الأمور المتعلقة بشؤ[illegible] الحاضر والمستقبل ، ولا شك أن حكومات تلك الأقطار قد أعلنت مرار[illegible] عـ[illegible]ـمها على التقليل من اعتمادها على النفط [illegible] الخطط الثلاثية والخماسية والعشرية لتنمية [illegible] [illegible]صادياتهم [illegible] تنويع مصادر دخلها ، بهدف التخفيف من اعتمادها على النفط . ولكن على الرغم من كل هذا [illegible] يزال الواقع الفعلي لاقتصاديات الأقطار المصدرة للنفط وللوطن العربي ككل يتسم بالاعتماد الكبير على العائدات النفطية . أما الآن فيحسن أن تنظر في التقلبات الشاسعة في حجم الإيرادات النفطية العربية التي ارتفعت من ٤,٦ مليارات دولار عام ١٩٧٠ ، إلى أكثر من ٢١٦ مليار دولار عام ١٩٨٠ ، ثم اتجهت إلى الانخفاض السريع بعد عام ١٩٨٢ ، حتى وصلت إلى أقل من ٥٠ ملياراً في عام ١٩٨٦ . وحتى بعد تحسن الأسعار النسبي خلال العامين الماضيين ، لم تتجاوز العائدات ٨٠ مليار دولار في عام ١٩٨٨ ، أي مجرد ٣٨٪ من حجمها في عام ١٩٨٠ ، عندما كانت أكثر ٤٦ مرة من قيمتها في عام ١٩٧٠ . إن الاعتماد المتزايد على إيرادات تتقلب بهذا القدر يشكل خطرا أساسيا على مسيرة التنمية ، والاستقرار في الوطن العربي .

آثار التقلبات

إن خطورة الاعتماد المتزايد على عائدات تتعرض لهذا القدر من التقلبات يتمثل في زيادة معدلات الإنفاق العام والخاص ، والتوسع في الالتزامات الخارجية ، مثل المساعدات ومتطلبات الدفاع العسكري ، عندما تتجه العائدات النفطية إلى الارتفاع بسبب زيادة الأسعار أو الانتاج أو الاثنين معا [illegible] ثم تأتي صعوبة التحكم في مستوى الإنفاق ، وجعله يتمشى مع مستوى الدخل ، عندما تتجه العائدات النفطية إلى الانخفاض ، مثل ما حدث في مطلع هذا العقد . فزيادة العائدات النفطية خلال فترة ١٩٧٣ - [illegible]٩٨٠ دفعت الحكومات المعنية إلى زيادة حجم الإ[illegible]اق على

الاستهلاك الضروري والكمالي، ورفع معدلات الاستثمار في البنية الأساسية والمرافق العامة ، كما أن الرغبة في تنويع مصادر الدخل يشجع على الاستثمار في المشروعات الإنتاجية في الصناعة والزراعة والخدمات بمعدلات كلفة عالية ، بسبب الاعتماد على السلع الرأسمالية والخدمات وحتى الإدارة المستوردة من الدول الصناعية . كل هذا زاد حدة الاعتماد على النفط ، وقلل نسبة الجهد المحلي الأهلي في عملية التنمية ، حتى أصبح الإنتاج الوطني من السلع والخدمات يعتمد على مستوى العائدات النفطية ، بدلا من أن يكون بديلا عنها . فالزراعة والصناعة أصبحتا تشكلان عبئاً على الثروة النفطية الناضبة ، حتى أصبح مستقبلهما يعتمد على مستوى العائدات النفطية المتوقعة . وهكذا أدى ارتفاع العائدات النفطية ، والطريقة التي تم التصرف فيها ، إلى انفصام المجهود المحلي عن المردود النقدي في عملية التنمية ، حتى أصبحت حقول النفط العربية تكاد تكون القطاع الاقتصادي الوحيد المنتج في الأقطار المصدرة للنفط .

إن هذه الظاهرة الخطيرة التي سادت في أثناء الطفرة النفطية كانت محل اهتمام وتعليق من قبل الأوساط المهنية والأهلية . ففي الجزائر مثلا علق أحد المسنين الحكماء على خطاب الرئيس الراحل هواري بومدين الذي حث فيه على ضرورة زيادة العمل والإنتاج الوطني بقوله : « لايوجد في الجزائر من يخدم الا زوز (اثنان) أنت يا سيادة الرئيس وسي مسعود » ، وعندما سئل : من هو سي مسعود قال : « كيف لا تعرفونه ! إنه حقل حاسي مسعود المشهور » . وعلى الرغم مما في هذا التعليق الفطري البسيط من إجحاف بحق كثيرين ممن يعملون بجد وإخلاص في الجزائر وغيرها من الأقطار النفطية ، فإنه بصورة عامة يعبر بصدق وبلاغة عن حقيقة أن حقول النفط (حاسي مسعود) العربية هي الوحيدة التي تعمل ليلا ونهارا على توفير الأموال اللازمة لسد احتياجات الحكومات والمواطنين في جل الأقطار العربية .



عقد التعاون والتنسيق :

وعلى الرغم من التوسع الملحوظ في طاقة التكرير وبعض « البتروكيماويات » الأساسية فإن أهم ما تملكه الأقطار العربية من الصناعة النفطية مايزال يتمثل في حقول النفط التي تحتوي على الجزء الأكبر من الاحتياطي العالمي المؤكد والمحتمل أيضا . وعلى الرغم من أن الأقطار العربية قد نجحت إلى حد كبير في تَسَلُّم ملكية حقول النفط من الشركات الأجنبية وإداراتها ، فالتقنية والخبرة والمعدات الأساسية لعمليات الاستكشاف ما تزال بيد الدول الصناعية الرئيسة وشركاتها ومعاهدها العلمية ، الأمر الذي جعل الأقطار العربية النفطية تعتمد على شراء ما تحتاجه من آلات وخبرات جاهزة بأسعار عالية التكاليف . إن هذا النوع من الاعتماد على الدول الصناعية المستوردة للنفط يجعل قطاع الاستكشاف والإنتاج المحلي في الأقطار العربية يستمر في اعتماده على مصادر عملية وتقنية خارجية ، تحد من حرية التصرف ، وتقلل من قدر الاستفادة الوطنية من الثروة النفطية . وبالمقابل يزيد هذا الاعتماد من قدرة الدول

الصناعية على السيطرة والاستفادة من الصناعة النفطية العالمية ، خاصة أنها ما تزال تملك الجزء الأكبر من طاقات التكرير والتصنيع والنقل والتوزيع ، بالإضافة إلى القدرات المالية والتسويقية الهائلة التي اكتسبتها هذه الدول عبر فترة طويلة . ومما يزيد قوة الدول الصناعية في السيطرة على مسيرة الصناعة النفطية في العقد القادم هو التعاون والتنسيق القائم فيما بينها ، وخاصة في تعاملها مع الأقطار المصدرة للنفط التي لما تتغلب بعد على صعوبات التعاون والتنسيق فيما بينها في إطار المؤسسات التي أقامتها لهذا الغرض ، مثل منظمتي الأوبك والأوابك ، وغيرها من المنظمات المشتركة .

النفط العربي في المقدمة

أما مستوى إنتاج النفط العربي فينتظر أن يستمر في الزيادة التدريجية حتى منتصف العقد القادم ، ثم يرتفع بعد ذلك بشكل سريع ، حتى يستنفد طاقة الانتاج المتاحة ، وتبدأ مشكلة النضوب التي لا ينبغي أن ننساها بسبب الفائض الحالي في طاقة الإنتاج وصعوبة التسويق . إن استمرار زيادة استهلاك النفط في الدول الصناعية خلال العقد القادم ، ولو بنسب متدنية ، وحاجة الدول النامية إلى المزيد من الاستهلاك الذي لا يحده إلا قدرتها على التنمية والحصول على القوة الشرائية ، سيزيد الطلب على النفط العربي بصورة أساسية ، وذلك بسبب استنفاد طاقة الإنتاج المتاحة في كثير من الأقطار النفطية الحالية . فمن المتوقع أن يزداد تركيز إنتاج النفط خلال العقد القادم في خمسة أقطار عربية وهي : السعودية والعراق والكويت والإمارات وليبيا .

ومع دخول القرن الميلادي ينتظر أن تواجه هذه الأقطار ، بالإضافة إلى إيران وفنزويلا ، ضغوطاً هائلة من أجل زيادة الإنتاج إلى الحد الذي يمكن أن يؤدي إلى نضوب حقولها خلال فترة أقصر بكثير مما هو متوقع الآن . فالقول بأن هنالك أقطاراً عربية لديها ما يكفي من احتياطات نفطية لمدة مائة عام أو مائتي عام هو قول صحيح من الناحية الحسابية ، إذا ما افترضنا أن معدلات الإنتاج بقيت في مستواها الحالي خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة . ولكن نظراً للزيادة المتوقعة في الطلب على النفط من جهة ، وانخفاض طاقات الإنتاج خارج دول الأوبك ، فلا بد من زيادة معدلات الإنتاج العربية ، مما سيقلل من عمر الحقول الحالية ، بل حتى المنتظر اكتشافها مستقبلا . لذلك فإن أفضل التقديرات الحالية لعمر النفط كمصدر أساسي للطاقة لا تتوقع أكثر من ٤٠ ـ ٥٠ عاما . إذن يمكن أن نستنتج أن مشكلة النضوب ، وليس مشكلة الطلب على النفط ، هي التي ستوجه حقول النفط العربية خلال العقد القادم وما بعد .

فن ادارة الطلب

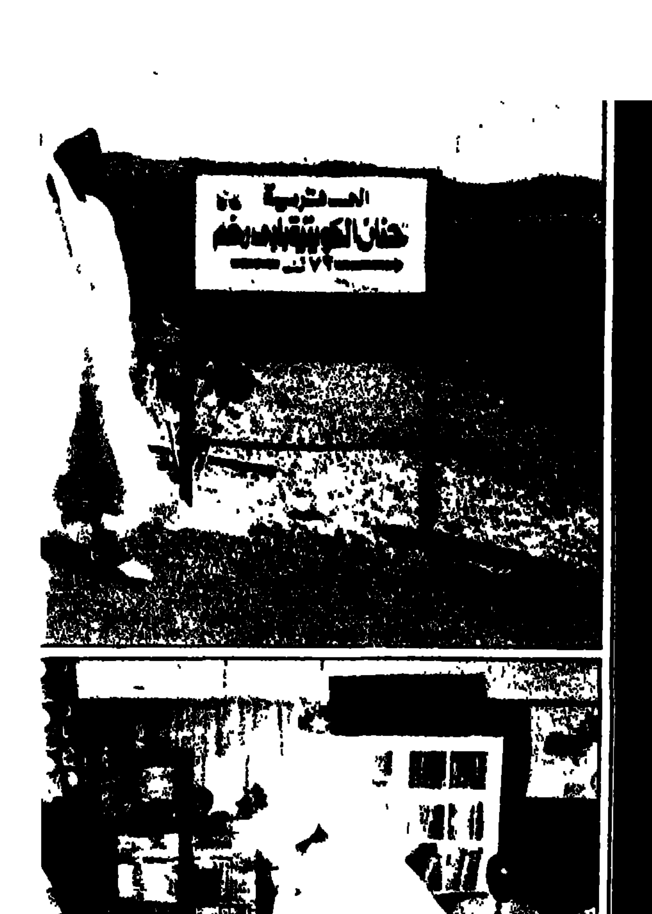
أما عن مستوى الأسعار فإن الأمر ـ للأسف ـ ليس بالوضوح نفسه الذي شرحناه في توقعات الإنتاج ، نظرا لتدخل عوامل عديدة تجعل من الممكن أن يزداد الطلب على النفط العربي دون أن ترتفع أسعاره . إن أهم هذه العوامل هي المرونة والخبرة التي اكتسبتها الدول الصناعية في إدارة الطلب على النفط المستورد ، بشكل جعلها قادرة على فصل سعر النفط المحلي في أسواقها الوطنية عن سعره الدولي الذي تدفعه للأقطار المصدرة . وقد عملت الدول الصناعية ، منذ بداية أزمة النفط خلال السبعينات ، على خلق البدائل للنفط المستورد من غاز وطاقة نووية وزيادة إنتاج النفط في بلادها وخارج المنطقة العربية ، وبناء

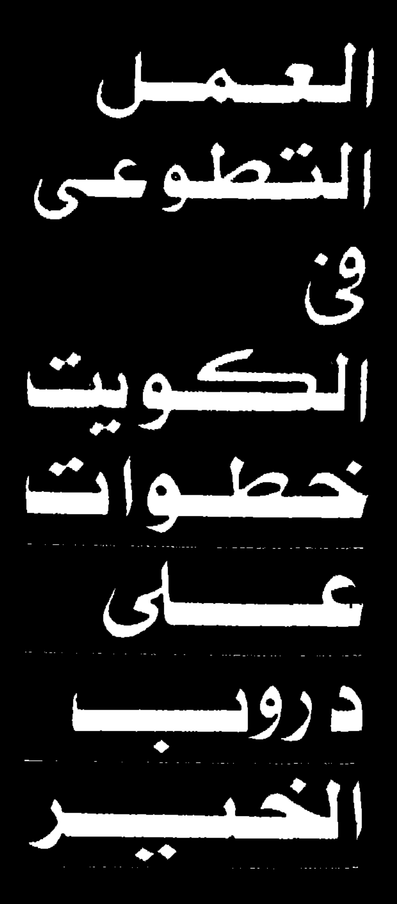
مخزون احتياطي من النفط الخام المستورد . وبالمقابل نجد أن الأقطار المصدرة للنفط لم تفلح في خلق بدائل من الدخل ، تعطيها المرونة اللازمة في تحديد مستوى إنتاج النفط وتصديره ، بل العكس هو الصحيح ، حيث توسعت الأقطار النفطية في الإنفاق والالتزامات الخارجية ، حتى تجاوزت مستوى دخوطا السنوية من النفط ، وأصبحت تعتمد إما على الاقتراض الخارجي في غالب الحالات أو الإنفاق مما تجمع لديها من احتياطيات نقدية في أثناء الطفرة النفطية ، حتى أوشكت هذه الاحتياطات أن تنفد . ومما زاد حدة هذا الاتجاه بالنسبة للدول النفطية العربية هو الإنفاق على التسلح ، خاصة بعد نشوب الحرب العراقية الإيرانية مع استمرار مشكلة تحرير فلسطين والنزاع في لبنان والسودان والصحراء الغربية وغيرها من مشاكل التوتر الداخلية والخارجية في الوطن العربي الكبير .

إن حاجة الأقطار العربية إلى المال ـ كما أوضحنا ـ وتوافر الطاقة الإنتاجية لدى العديد منها سيجعلها تسعى إلى زيادة الإنتاج في جميع الحالات . فإذا ارتفع سعر النفط فهي ستزيد الإنتاج للاستفادة من السعر المرتفع ، وإذا انخفض السعر فهي تزيد الانتاج في محاولة الحفاظ على المستوى نفسه من الدخل على الأقل . إن مثل هذا الوضع يخلق الظروف الملائمة للأقطار الصناعية المستوردة للنفط بما لديها من خبرة ومرونة في أن تدير الطلب على نفط الأوبك ، بهدف الحصول على المزيد من الإمدادات ، دون الحاجة إلى رفع الأسعار ، لأن العرض سيكون دائما أكثر من الطلب ، طالما أن الدول المصدرة لديها طاقة إنتاج للتوسع ، وحاجة شديدة للمال . وهكذا يمكن أن نتوقع زيادة الطلب على النفط العربي دون ارتفاع أسعاره الحقيقية خلال النصف الأول من العقد القادم ، وذلك ما لم تتفق الأقطار المصدرة على تنفيذ سياسة ترشيد الإنتاج لحماية الأسعار ، لأنها المنتج الرئيسي والمتمم في أسواق النفط العالمية .

هذا بالنسبة لأسعار النفط العالمية ، أما الأسعار النهائية للمستهلك في الأسواق المحلية للدول المستوردة الصناعية ، فمن المنتظر أن تحافظ على مستواها المرتفع ، بل يمكن أن تستمر في الزيادة ، بغض النظر عما يطرأ من تذبذب أو حتى انخفاض في الأسعار العالمية . إن استمرار هذا الوضع يساعد الدول الصناعية على تنفيذ سياستها الرامية إلى ترشيد استهلاك النفط ، ويمكنها من الحصول على الجزء الأكبر من الريع الاقتصادي (الفرق بين كلفة الإنتاج وسعر البيع للمستهلك) للنفط المستورد . ونظرا لضخامة الأموال التي تحقق من تطبيق سياسة المحافظة على أسعار النفط منخفضة عالميا ، ومرتفعة محليا ، تستطيع الأقطار الصناعية المستوردة للنفط أن توظف هذه الأموال في تنمية بدائل الطاقة ، ومساعدة صناعاتها النفطية المحلية ، وتشجيع المحافظة على الطاقة ، وترشيد استهلاك النفط بشتى وسائل الدعم والإعفاءات الضريبية . إن







العمل التطوعي في الكويت خطوات على دروب الخير







«لم يكن هذا الاستطلاع سهلا ولا ممكنا فلا أحد يريد أن يتحدث ، الكل يلوذ بشرنقة الصمت .

وعندما فرغت العربي اثنين من محرريها لرسم صورة عامة لأعمال الخير التطوعية في الكويت فوجئنا بأن أطراف الموضوع تلزم الصمت فهي تمارس أفعال الخير تطوعا وإيمانا ، دون سؤال أو منة ، ولاتنتظر جزاء ولا شكورا ، ولا تبحث عن صورة وخبر ، على الرغم من أن آثار العمل التطوعي الخيري في الكويت وإنجازاته قد تجاوزت حدود خريطة الوطن ، لتمتد إلى أقطار عربية وافريقية وآسيوية في بقاع كثيرة غير مطروقة » .

وقف الطفل متأملا صورة كبيرة لوجه طفل أفريقي ، سالت دمعته على خده بشكل بارز ، ثم مد يده فوق الدمعة ، وكأنه يريد التأكد من أنها دمعة حقيقية ، سالت على حد الطفل الإفريقي . ولم يكتمل المشهد ، إذ جاءت الأم بعد قليل واصطحبت ابنها الذي واصل تأمله في اللوحة الكبيرة إلى أن اختفى .

صناديق في كل مكان

ولم يكن ذلك الملصق الكبير سوى واحد من آلاف الصور والملصقات واللافتات والنشرات التي علقت في أماكن عديدة من أطراف الكويت ، تدعو الناس إلى التبرع لعمل الخير ، لإغاثة منكوبين من فيضان أصاب إخوتنا السودانيين ، أو ضحايا زلزال ضرب اليمن ، أو كارثة طبيعية أصابت هذه المنطقة أو تلك من مناطق آسيا وافريقيا الفقيرة . صور وملصقات وصناديق هبات وتبرع ، انتشرت في كل زاوية وكل ركن وكل شارع . صناديق مفتوحة لتلقّي الهبات والتبرعات ، تراها منتشرة في الجمعيات التعاونية ، في البقالات والأسواق المركزية ، وعلى أعمدة الكهرباء ، وفي مواقف السيارات ، وعند باعة المرطبات ، وعلى أبواب المجمعات التجارية الضخمة وأبواب المطاعم والمحلات . لكن هذه على كثرتها ليست سوى الجزء الظاهر من جبل الجليد الماثل للعمل الخيري في الكويت ، فخلف هذه الأعداد الكبيرة للملصقات والصناديق واللافتات هناك مؤسسات وجمعيات ومنظمات ولجان لعمل الخير . وإن كان التبرع بمعناه المباشر هو الجزء الظاهر ، فإن شبكة تسلمه وتنظيم توزيعه وأشكال تطوره وتشعبه هي الجزء غير الظاهر من هذا العمل الذي له جذور تمتد طويلا في تاريخ الكويت . فليس الأمر أن فيضانا نكب بعض الضحايا ، فهب أهل الخير في الكويت لمساعدتهم ، أو أن زلزالا دمر مدنا فتنادى هؤلاء لإعادة بناء ما دمر ، أو أن شعبا عربيا ، مثل الشعب الفلسطيني ، قام بانتفاضة جبارة ضد المحتلين ، فجمعت الأموال والملابس والمواد التموينية لشد أزره ، وحضه على الاستمرار ، حتى يزول الاحتلال عن أرضه المقدسة ، بل هو عمل متشعب ، متعدد الأوجه ، متنوع الأغراض ، له جذور عميقة في تاريخ الشعب الكويتي قديما وحديثا . وهو عمل لم يأت مع ظهور النفط بخيراته العميمة على الكويت ، كما قد يتبادر إلى الذهن . فقد تم افتتاح أول جمعية خيرية في الكويت في شهر آذار ـ مارس ـ من عام ١٩١٣ . وعلى الرغم من قلة إمكانياتها ، وقصر فترة نشاطها ، قدمت خدمات رائدة في مجال العمل الخيري آنذاك ، كان أبرزها افتتاح

مستوصف لعلاج الفقراء ، والاهتمام بشؤون الوعظ والإرشاد ، وتعمير المساجد ، وتوزيع الماء على الفقراء ، وتجهيز الموتى من الغرباء والمحتاجين ، كما عنيت الجمعية بجمع الكتب وحفظها في مقرها ، تمهيدا لتأسيس مكتبة عامة .

كان ذلك في زمن بعيد نسبيا ، بعيد بعمر الزمن وبعمر النقلة ، والشوط الذي قطعته الكويت التي تحولت من بلد يقاسي أهله الشدائد والصعاب ليحصلوا على أساسيات الحياة ، إلى بلد ينعم بخير عميم بفضل ثرواته النفطية الكبيرة .

لكن هناك خيطا متصلا ، يربط بين الآباء الذين عانوا الصعاب ، والأبناء الذين نعموا بحياة اليسر والراحة ، ذلك هو العمل الخيري التطوعي ، عمل مصدره الأساسي رغبة خاصة في مد يد العون والمساعدة لمن يحتاجون . وعندما تترسخ مثل هذه الفكرة الخيرة في الأذهان فلا شيء يعيقها ، سواء كان هذا الشيء عبارة عن صعوبات في الحياة ، كما كان الأمر سابقا ، أو كان إغراء بحياة سهلة مريحة وبرغد العيش الذي أتى مع الثروة النفطية .

آباء وأبناء

وما ذكرناه عن المبادرة الطوعية إلى عمل الخير في بداية القرن هو الوجه الآخر لما نراه اليوم ، في مجتمع الرخاء واليسر والراحة . شبان في مقتبل أعمارهم يزهدون بكل هذا الرخاء وهذه الراحة ، ويمضون إلى جفاف افريقيا وصحاريها ومستنقعاتها وأرضها القاحلة ، ليغيثوا إخوة لهم في العروبة أو الإسلام أو الإنسانية ، ويقاسون في رحلاتهم الصعبة تلك الغربة والوحدة والشدة ، دون شكوى أو تذمر .

وآخرون يغادرون هذه الحياة المترفة والعيش الرغد إلى أطراف آسيا البعيدة ، ليقيموا المساكن والمدارس والمستشفيات والمصحات والمساجد ومراكز توزيع المعونة . مدرسون يتطوعون لتدريس إخوتهم في العروبة والإسلام لغة القرآن الكريم ، ونشر الوعي بينهم بمختلف أشكاله . وأطباء نذروا أنفسهم لعلاج إخوتهم الذين يعانون أمراض سوء التغذية وانعدام شروط الحياة الإنسانية ، أو يقاسون آثار الجفاف أو الفيضانات والكوارث الطبيعية . ودعاة أخذوا على عاتقهم تعليم إخوتهم المسلمين في تلك الديار البعيدة أمور دينهم ودنياهم . ومذيعون ومهندسون إذاعيون توجهوا إلى عمق افريقيا لينشئوا إذاعة توصل اسم الكويت إلى تلك المناطق ، ناشرة الوعي والثقافة في تلك البلاد التي انقطعت عن العالم .

وغير هؤلاء ، وإلى جانبهم ، آخرون اتخذوا وجهة أخرى في العمل الخيري ، هي جانب الثقافة والتعليم ، ومنح الفرص للشباب العربي ، ممن حالت ظروفهم الخاصة دون إكمال علومهم على الرغم من تفوقهم العلمي ، وذلك عن طريق مساعدتهم على مواصلة تعليمهم الجامعي العادي والعالي ، من خلال توفير المستلزمات المادية لهم . لذا يتم اختيار المتفوقين من هؤلاء الطلبة وإرسالهم في بعثات دراسية .

وفي أحوال أخرى اختار فريق آخر من رجال الخير مساعدة مؤسسات تعليمية ، تمر بظروف صعبة عصيبة ، مثل الجامعات والمدارس في الأراضي الفلسطينية المحتلة وفي بعض الأقطار العربية والإسلامية ، ذات الإمكانيات المادية المتواضعة . وهناك يرتقي العمل التطوعي درجة ليتصل بالعمل الوطني والقومي ، مع احتفاظه بقيمته البسيطة الأولى المتمثلة في الرغبة الصادرة من أعماق محبة للخير وسعي نحو القيام به .

لكن هناك فرقا كبيرا بين ماكان يقوم به الآباء قديما وما يقوم به شبان الكويت هذه الأيام ، وإن كان من الصحيح أن فكرة العمل الصادق النابع من رغبة في حب الخير ، دون مقابل ، هي التي تجمع بين هذه الأعمال جميعا ، إلا أن العمل التطوعي والخيري في الكويت اليوم تحول

من عمل ارتجالي ، يقوم على النية الصادقة والحماس الكبير ، إلى عمل منظم ومؤسس ، تقوم به هيئات ولجان وجمعيات ومؤسسات ، عمل يقوم على دراسات ومعلومات موثقة وأبحاث جادة ، عمل منسق تشترك فيه جهات متعددة ، بعضها داخل الكويت وبعضها خارجها . فقد استقطب هذا اللون من العمل اهتمام عديد من الشخصيات والمؤسسات والمنظمات العربية والإسلامية والدولية ، وبدأت اتصالات بينها وبين مؤسسات العمل الخيري التطوعي في الكويت ، للارتقاء بمستوى هذا العمل وتوسيع رقعته ، حتى أصبحت جهات العمل الخيري التطوعي في الكويت اليوم تمثل شبكة ضخمة من الهيئات واللجان والجمعيات التي تقوم بعمل متصل لايهدأ .

وبتوجيه من سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح اتخذ مجلس الوزراء برئاسة ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبد الله الصباح قرارا بأن يكون الخامس عشر من شهر ديسمبر من كل عام يوما للمتطوعين من أجل التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، مشاركة



● مشروع زراعة الارز في بنغلاديش بمساعدة الهيئة الخيرية الاسلامية .

للأمم المتحدة في احتفالها بهذا اليوم .

وفي ديسمبر ١٩٨٨ . بادرت جمعية النجاة الخيرية ، وهي إحدى الجمعيات الخيرية في الكويت ، إلى إقامة معرض للعمل التطوعي ، بمشاركة بعض جمعيات النفع العام ولجانها العاملة في المجال نفسه . وقد اشتمل المعرض على ٢٥ جناحا ، منها أجنحة للجان النسائية وذلك لأول مرة .

وقد شارك في هذا المعرض :

- الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية
- بيت الزكاة
- جمعية إحياء التراث الإسلامي - واللجان التابعة لها
- جمعية الإصلاح الاجتماعي - واللجان التابعة لها
- جمعية الشيخ عبدالله النوري الخيرية
- الجمعية الخيرية للتضامن الاجتماعي - واللجان التابعة لها
- جمعية الهلال الأحمر الكويتي
- جمعية المعلمين الكويتية .
- جمعية النجاة الخيرية - واللجان التابعة لها - ومدارس الجمعية
- لجنة الفلاح الخيرية
- لجنة صندوق إعانة المرضى
- لجنة مسلمي افريقيا
- جمعية بيادر السلام النسائية
- جمعية الرعاية الإسلامية النسائية

وهذه الجمعيات واللجان المذكورة ليست سوى بعض الهيئات الخيرية العاملة على أرض الكويت ، فهي اليوم شبكة ضخمة تغطي مساحة كبيرة ، سنحاول إلقاء الضوء عليها .

تساؤلات منطقيه

طوال عملنا في جمع المادة الصحفية عن عمل الخير التطوعي ، كانت ملامح الصورة تتضح أمامنا كل يوم ، وكلما اكتملت معالم الصورة تأكد لدينا أن هناك سمتين بارزتين في العمل

الخيري التطوعي في الكويت ، وأن فهمها إدراك مغزاها يمنحنا إجابات عن كل تساؤلات المنطقية التي تثور في أذهان كل من سمع أو يتابع أعمال الخير التطوعية في الكويت .

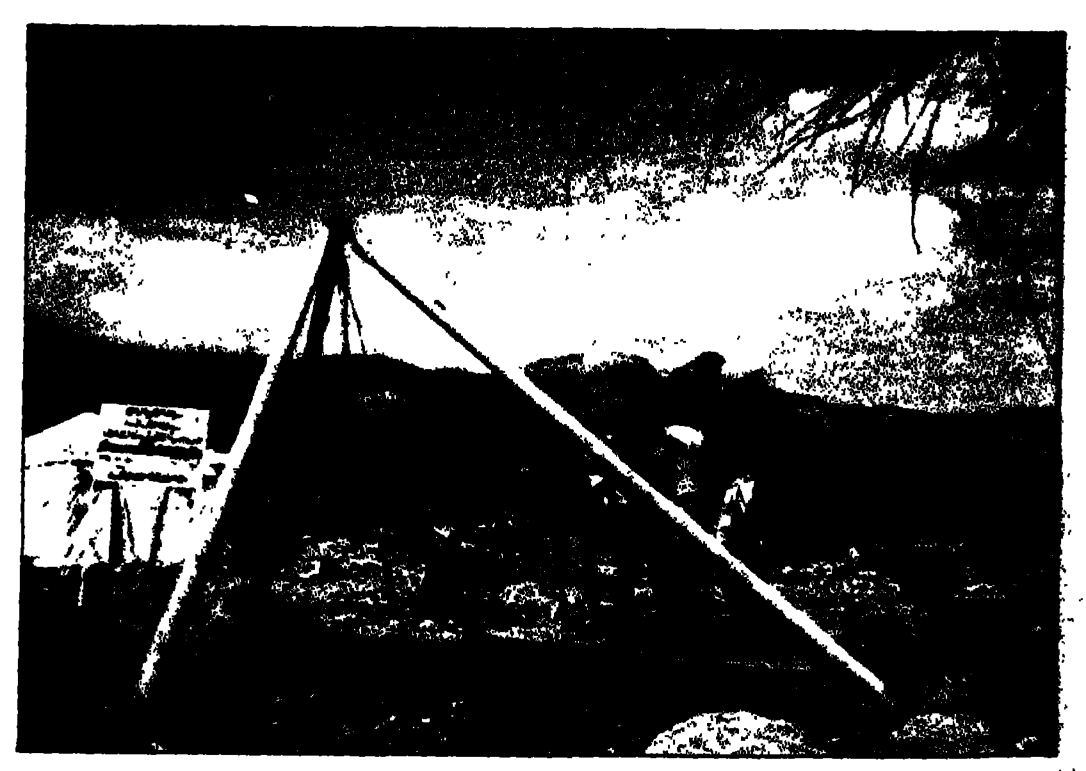
حول هذه الأسئلة يقول د . ابراهيم الشاهين ـ المدير العام للهيئة العامة للإسكان ، وعضو في اكثر من مجلس ادارة جمعية خيرية :

إن السمة الأولى للعمل الخيري التطوعي في الكويت ، هي هذا الشكل المختلف المتميز للمساعدة ، فليس هناك نقود تعطى ، أو تمنح للمحتاجين ، كمساعدة مؤقتة ، تنتهي سريعا بانتهاء المال ، أو تصبح بلا قيمة وبلا معنى ، وبخاصة إذا وجهت هذه المساعدات إلى مجتمعات يعز فيها مايمكن شراؤه .

لذلك فمساعدات العمل الخيري التطوعي وإنجازاته تتخذ أشكال استثمار أخرى ، فهناك مدارس تفتح وتحول لكي تستثمر ، أو آبار تحفر في قرى ، لكى تضمن إعمار القرى وحياة أهلها ، أو تأخذ شكل بناء قرى تهدمت ، أو تشييد مستشفيات وتحويلها لضمان استمرار الخدمة الطبية وتقديمها ، أو بناء مساجد .

ومن أشكال المساعدات المتميزة ، هي ما يُعرف برعاية الأطفال اليتامى الذين يتكفل بهم فاعلو خير ، فينفقون عليهم ويوفرون لهم المأكل والملبس والتعليم ، وهناك شكل آخر وهو الإنفاق على الطلاب المتفوقين الذين لايستطيعون أن يكملوا تعليمهم الجامعي .

هذه الأشكال من عمل الخير ، هي استثمار باقٍ ، ويمتد أثره في المجتمعات التي يمارس فيها ، ويساعد على تخفيف عبء الحياة وتقليل أثر حدة المشكلات في المجتمعات التي توجه إليها المساعدات . وعلى امتداد خريطة افريقيا وبعض بلدان آسيا نجد في قرى بعيدة ، مساجد



● عملية حفر بئر في جيبوتي .

ومستشفيات ومدارس ، وآبار مياه تعمل ، وتعين أهل هذه القرى على الحياة ، وبجوارها لافتة صغيرة مكتوب عليها : «هذا من إسهام فاعلي خير بدولة الكويت» .

ويضيف د. شاهين : أما السمة الثانية للعمل الخيري التطوعي في الكويت ، فهي في العدد الكبير المشارك في أعمال الخير ، وتزايدهم يوما بعد يوم ، وللتحديد فإننا نفرق بين الذين يتبرعون ببعض أموالهم صدقة أو هبة ويضعونها في صناديق المساعدات ، وبين القائمين على العمل نفسه ، والذين يدفعون مبالغ كبيرة تقترب من ملايين الدنانير ، أو يذهبون بأنفسهم لتقديم المساعدة للفقراء .

وبجانب المتبرعين بالمال - وما أكثرهم - هناك عدد كبير من الشباب والكهول الذين يذهبون على نفقتهم الخاصة إلى قرى غاية في الفقر ، في أفريقيا وآسيا يعلمون الناس أو يشرفون على توزيع المساعدات .

الظاهرة هنا هي تزايد عدد هذا التيار وكبر حجمه يوما بعد يوم . وهنا قد يثور التساؤل : لماذا ؟

فهذا مجتمع قد أفاء الله عليه بنعمة الرفاهية ، وأفراده يعيشون في بحبوحة عيش وخدمات ميسرة .

في الحقيقة لايوجد تفسير لهذه الظاهرة ، إلا نضج فكرة المجتمع المدني في الكويت .

فداخل الكويت نفسها ، توجد مراكز طبية ، تبرع بها ميسورون ، وهي مجهزة على أعلى مستوى عالمي ، وقد أنشأها أصحابها ، لايبغون جزاء ولا شكورا ، إلا دعوة صالحة من مستفيد من خدماتها ، وفي الكويت تقدم شركات القطاع الخاص نسبة مئوية من أرباحها سنويا إلى مؤسسة الكويت للتقدم العلمي التي تتولى دعم البحوث العلمية المتطورة وتشجيعها لخدمة المجتمع البشري كله .

أحد المتبرعين لإنشاء مركز طبي متقدم متخصص في الكويت يقول لنا - على الرغم من أنه رفض أن يتحدث أو أن يذكر اسمه في الاستطلاع - بحديث خاص : لم يكن أحد في عائلتي ، ولله المنة والحمد ، مريضا ، وأجيبك عن سؤالك وأقول : ولله الحمد على ما أعطى ، أستطيع أن أتعالج أنا وأسرتي في أي مكان بالعالم ، وعلى الرغم من ذلك ، فأنا ببساطة أقمت هذا المركز الطبي لعل أحد المتعالجين يقول فقط : رحم الله من أنشأه ، ليس لي من غرض إلا تخفيف الألم على الناس ، ومد يد العون إليهم ، وكان الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه .

تفسير واجابة

- إذن ، لماذا هذا التعاظم لأعمال الخير التطوعية في الكويت ؟

التفسير العلمي المقبول هو أن الكويت مجتمع قد استقر منذ زمن طويل ، وقد يقول بعضهم إن هناك مجتمعات كثيرة قد استقرت أيضا ولكن لم يظهر بها مثل هذه الأعمال.

لكن الحقيقة أن استقرار المجتمع لابد أن يسفر عن تطور المفاهيم والقيم العامة ونضجها التى تربط الجماعة البشرية ، وليس مجرد استقرار السكان في أرض ما ، واستقرار نظم اجتماعية وسياسية .

الكويت وفلسطين

في ثلاثينيات هذا القرن وبعد أسابيع من الاضراب العام الذي قام به الشعب الفلسطيني عام ١٩٣٦ م ، وثورته على سلطات الاحتلال البريطاني ، واعتداءات قطعان المستوطنين الصهاينة المتحالفين معها ، وليستنبط أشكالا عديدة لمقاومتهم اجتمع بعض أهل الخير في الكويت ، ونظموا حملة لجمع التبرعات ، ثم بادروا بتأسيس لجنة تجمع المعونات بكل أشكالها ، لتقديمها مساعدة غير ممنونة إلى

الشعب الفلسطيني ، وضمت اللجنة كلا من الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، وأحمد الحميدي ، ومحمد ثنيان الغانم ، وعبدالرحمن محمد البحر ، وسيد بن علي سليمان ، ومشعان الخضير ، ومحمد أحمد الغانم . وعقدت اللجنة اجتماعات لجمع التبرعات . وعلى الرغم من ضيق ذات اليد في ذلك الزمن ، حيث كان الغوص على اللؤلؤ هو المصدر الرئيسي للدخل في الكويت ، فقد جمعت اللجنة التبرعات وأرسلتها إلى فلسطين ، وواصلت عملها حتى انتهاء الثورة عام ١٩٣٩ م .

وقد شهدت الستينيات عددا من الأحداث المهمة على المستوى القومي ، ترافقت مع أجواء اليسر التي بدأت تلوح في سماء الكويت . ولأن دعم كفاح الشعوب ليس أمرا موسميا فقد بعثت عناصر الخير في الكويت الحياة من جديد في اللجنة الخيرية التي ساعدت أهل فلسطين في الثلاثينيات ، وذلك في بداية الستينيات ، وعادت هذه اللجنة إلى العمل الفعال في سبيل تقديم الدعم لشعب فلسطين في ثورته الحديثة ، وغير ذلك من أوجه عمل الخير وحتى الآن . حتى دخولنا عصر الانتفاضة الفلسطينية العارمة . ومازالت اللجنة الشعبية العليا لجمع التبرعات في الكويت هي الجهة الوحيدة المخولة بجمع التبرعات من أهل الخير في الكويت ، وتسليمها لمستحقيها عبر طرق عديدة .

لكن اللجنة الشعبية العليا ليست هي الطرف الوحيد الذي يقدم المعونات للشعب الفلسطيني ، كما أن تقديم التبرعات بعد جمعها ليس هو الشكل الوحيد لمساعدة الشعب الفلسطيني الذي تعقدت قضيته وتشعبت ، وامتدت مع امتداد أماكن وجوده . غير أن الكتلة الصامدة من هذا الشعب التي يقع عليها العبء الأكبر في الحفاظ على الهوية الفلسطينية ، وفي الصمود والتضحية ، لها مكان خاص مميز لدى الهيئات الخيرية في الكويت عموما . لكن الجديد في الأمر أن العمل الخيري قد انتقل من طور إلى آخر ، واتخذ أشكالا جديدة أكثر تنظيما ، فقد حل التنظيم محل العفوية ، وحلت المؤسسات محل الأفراد . وكبرت المؤسسات ، وانتشرت فروعها ، وتعددت أشكال أعمالها ، ليصبح عمل الخير في الكويت اليوم عملا مؤسسيا ، ينظم الطاقات ، ويطلق المبادرات ، ويستفيد من العمل التطوعي الذي يسعى إليه كثيرون من الشباب الكويتي ، على الرغم من الصعاب كما ذكرنا . ولكن أي فرع من المؤسسات ذلك الذي يقوم بهذه الأعمال الخيرية ؟

تحت الاحتلال

من يقم بزيارة بعض الجامعات أو المؤسسات التعليمية في الأرض المحتلة يمكنه مشاهدة بعض قاعات المحاضرات أو المختبرات أو التجهيزات العلمية تحمل أسماء بعض الشخصيات الكويتية التي أسهمت في دعم هذه المؤسسات التي تعد ركائز للصمود في وجه العدو . ومن بين هذه الأعمال دعم جامعات الضفة الغربية وقطاع غزة ، وهو دعم يأخذ أشكالا متعددة ، مثل المساهمة في المصاريف والإنفاق على تعليم بعض الطلبة ، والتعاقد مع أساتذة متخصصين للتدريس في الجامعات الفلسطينية تحت الاحتلال . ومنها أيضا الاتصال مع سفارات بعض الدول الصديقة ، أوربية كانت أو آسيوية ، لتقديم المنح للطلبة الفلسطينيين . وفي الكويت يتم التعاون مع بعض المؤسسات الكويتية ذات الطابع الاكاديمي ، مثل مؤسسة الكويت للتقدم العلمي للمساهمة في هذا الدعم .

ويقول داود مساعد الصالح ، وهو المشرف على هذا اللون من النشاط الخيري : إن هناك احتياطيا نقديا لتغطية نفقات هذا الدعم .

وداود مساعد الصالح هو رئيس مجلس أمناء فرع الكويت للمؤسسة العالمية لمساعدة الطلبة



● ملصقات وصناديق لتلقي المعونة الخيرية





● فصل دراسي والى (اليمين) عملية ختان في أوغندا .

العرب ، وهي مؤسسة خيرية تربوية ، لاتهدف إلى الربح المادي ، وقد تم تسجيلها في مدينة ترينتون بولاية نيوجيرزى بالولايات المتحدة الأمريكية ، وهي مؤسسة مستقلة ، لاتنتمي إلى أي جهة رسمية أو حزب سياسي أو منظمة أو طائفة دينية ، سواء كانت عربية أو أجنبية .

ويرسم سياسة المؤسسة مجلس أمناء ، يضم ٥٠ عضوا من رجال الأعمال والعلم في الأقطار العربية وأمريكا وبريطانيا ، وتناط بهم مهمة تحديد الأهداف التربوية ، ووسائل دعم المؤسسة ماليا ومعنويا على الأصعدة المحلية والعربية والدولية . أما الرئيس العام للمؤسسة فهو الأمير تركي بن عبدالعزيز . والمؤسسة تهدف إلى توفير فرص التعليم الجامعي في نطاق التخصصات المطلوبة والنادرة للشباب العرب المتفوقين والمحتاجين ماديا ، وجذب الكفاءات العلمية للعمل في مشروعات التنمية الصناعية والاقتصادية والاجتماعية في الوطن العربي ، كما تهدف إلى توطيد العلاقات مع الجامعات ومراكز البحث العلمي والهيئات الدولية والعربية المعنية بالتعليم الجامعي وتطوير الطاقة البشرية .

ويضيف السيد داود مساعد الصالح : إن دور المؤسسة لاينتهي بانتهاء الطلبة من دراستهم في التخصصات المطلوبة ، بل إنها تسهم في البحث لهم عن الوظائف المناسبة ، وتقدم لهم النصح والإرشاد في اختيار الجامعات المعترف بها ، سواء للدراسة أو للتدريس فيها . وتصدر المؤسسة نشرة شهرية باللغتين العربية والانجليزية ، تتضمن أسماء الخريجين العرب وصورهم ومؤهلاتهم ، وتوزعها على المؤسسات التي تهتم بتخصصاتهم ، لعلها تجد في هؤلاء الخريجين أشخاصا مناسبين لملء الشواغر فيها .

وخلال السنوات الاثنتي عشرة الماضية بلغ عدد المساعدات المالية التي قدمتها المؤسسة حوالى ستة آلاف وخمسمائة مساعدة مالية ، بكلفة مالية قدرها ثمانية ملايين ونصف مليون دولار .

وإن كان نشاط المؤسسة يمتد عبر الوطن العربي كله ، إلا أن هناك برنامجا خاصا لمساعدة الجامعات والمعاهد الفلسطينية . ويتضمن البرنامج تعزيز الكوادر من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات ، ووضع برنامج لمساعدة الطلبة بالاشتراك مع جمعية صندوق الأراضي المقدسة ، وتزويد المعاهد والمدارس والجامعات بالأجهزة والآلات الحديثة ، ومساعدة الطلبة الفلسطينيين الدارسين بالخارج ، ممن انقطعت عنهم المصادر المالية ، نتيجة لظروف الانتفاضة الفلسطينية .

استثمار للمستقبل

وتمثل مساعدة الطلبة ، باعتبارهم رجال المستقبل وأمله المنشود ، جزءا مهما من العمل الخيرى في الكويت ، وهذا بحد ذاته دليل على تطور معنى العمل الخيري نفسه ، بحيث يتحرر من مفهومه الضيق المرتبط بالإحسان ، ليصبح عملا منظما يقوم على أسس تأخذ بعين الاعتبار الحاضر والمستقبل ، كما تأخذ العامل الشخصي والنفسي إلى جانب العامل الوطني ، أي المرتبط بمستقبل الوطن العربي الواحد ، وبمستقبل الوطن العربي الكبير الذي يحتاج إلى سواعد أبنائه ، وإلى عقولهم أيضا .

ومن المؤسسات التي تبدي اهتماما بهذا الجانب الخلاق من العمل الخيري مؤسسة سلطان التعليمية التي أنشئت في الكويت عام ١٩٧٧ . وتقدم هذه المؤسسة المعونة للطلبة المتفوقين الذين لايستطيعون مواصلة دراستهم الجامعية على نفقتهم الخاصة جزئيا أو كليا .

وقد أعطت الجمعية الأفضلية للحقول التعليمية على النحو التالي : الهندسة وعلوم «الكمبيوتر» . الطب وعلوم التمريض والصحة العامة ، والفنون والموسيقا ، وعلم الإدارة ، وعلم السلوك والاجتماعيات ، مما يشير إلى الطابع المستقبلي لهذا اللون من العمل الخيري .

وتنحو رابطة الاجتماعيين بالكويت منحى مماثلا من حيث اهتمامها بالطلبة ، ودعمهم خلال فترة دراستهم ، وكانت الرابطة قد أنشأت صندوقا ، حمل اسم صندوق تعليم أبناء فلسطين ، لمساعدة الطلبة الذين تقف ظروفهم الاجتماعية عائقا أمام تفوقهم الدراسي ونجاحهم في المراحل الدراسية المختلفة ، عن طريق الموارد التي تأتي للصندوق من أهل الخير المحبين للعلم ، إلا أن مجلس إدارة الرابطة استجابة منه للتغيرات الاقتصادية التي طرأت على مجتمعات العالم ، ومنها المجتمع الكويتي ، بادر إلى إنشاء مكتب التوجيه والرعاية الاجتماعية الذي جاء محصلة لدمج مكتب تعليم أبناء فلسطين ومكتب الاستشارات الأسرية ، وتعد الخدمات الاجتماعية ، بمفهومها العام ، إحدى المرتكزات الأساسية لعمل هذا المكتب . وهذه الخدمات تشمل إلى جانب تعليم أبناء فلسطين على نفقة الرابطة تقديم المساعدات والمعونات المادية للأسرة المحتاجة ، وكذلك تقديم المشورة ، والتوجيه والمتابعة ، بهدف تحقيق الاستقرار لأسر أخرى .

وفي الإطار نفسه ، إطار عمل الخير في قطاع الثقافة والتعليم والتحصيل الأكاديمي ، تعمل «مبرة صباح السالم المبارك الصباح» ، وهي الجمعية التي أسسها في يناير من عام ١٩٧٦ المغفور له الشيخ صباح السالم المبارك الصباح الذي كان حينذاك أميرا للبلاد . وقد لخص لنا الدكتور ابراهيم مكي ، الأمين العام للمبرة ، أنشطة الجمعية ومجالاتها كما يلي :

* تقديم المنح الدراسية للمتفوقين من أبناء الكويت والدول العربية الأخرى لإجراء البحوث والدراسات العليا المتقدمة .

* تقديم المنح التشجيعية للباحثين في مجالات العلوم والآداب والفنون على اختلاف أنواعها .

ويضيف الدكتور مكي : إن أهم أنشطتها إيفاد الطلبة للدراسة خارج البلاد ، وتشمل أربعة مجالات هي :

* بعثات للدراسة العليا .

* بعثات لدراسة الإجازة الجامعية ، أي شهادات الليسانس والبكالوريوس .

* إيفادات لإنجاز أبحاث علمية متقدمة .

* منح تقدم لمراكز رعاية الطلبة دراسيا .

ويتولى إدارة المبرة مجلس إدارة ، يتألف من سبعة أعضاء ، برئاسة الشيخ سالم صباح السالم ، وعضوية كل من الشيخ أحمد صباح السالم ، والدكتور ابراهيم مكي ، والسيد سليمان حمود الخالد ، والسيد عبدالرحمن العتيقي ، والسيد عبداللطيف الحمد ، والسيد ناصر محمد الخرافي .

المرأة والعمل الخيري :

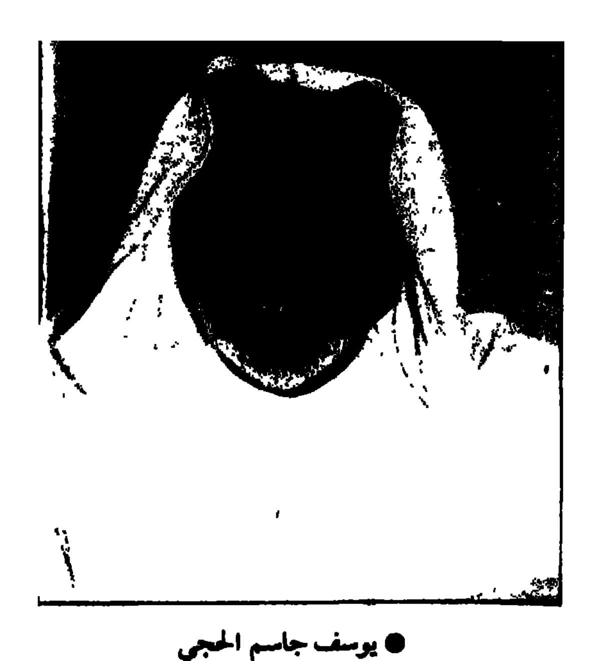
الآنسة لولوة القطامي هي المرأة الوحيدة من بين أعضاء مجلس الأمناء ، إلا أن هذا ليس استثناء في مجال العمل الخيري والعمل العام في الكويت ، فالآنسة لولوة القطامي ، إلى جانب عملها هذا ، هي رئيسة الجمعية الثقافية والاجتماعية النسائية ، وإحدى المؤسسات للجمعية ، وهن من سيدات الكويت المعروفات في مجال العمل العام على مستوى الوطن العربي كله . وقد تأسست الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية سنة ١٩٦٣ ، بهدف تهيئة السبل لأعضائها لممارسة النشاط الثقافي والاجتماعي والرياضي . وهذه الجمعية التي بدأت بعدد من الأعضاء ، لايزيد عن ١٤ ، أصبحت الآن تضم نحو ٢٠٠ عضو من السيدات الناشطات في مجال العمل الاجتماعي .

وبالإضافة إلى ذلك كله فإن الآنسة لولوة القطامي من خلال عملها رئيسة للجمعية الثقافية تقوم بدور رئيسي في لجنة طبق الخير ، مع سيدة أخرى من سيدات الكويت ، هي غنيمة المرزوق ، رئيسة تحرير مجلة «أسرتي» ،

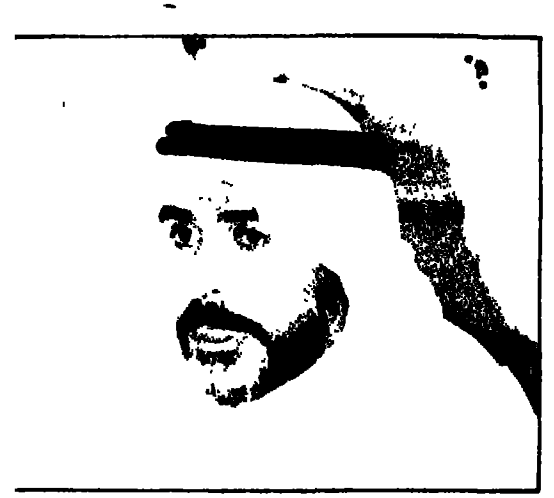
أول مجلة نسائية في الكويت ومنطقة الخليج العربي . ويشارك هاتين السيدتين عدد من سيدات الكويت ، هن حصة الغانم ، ودلال الزاحم ، وعادلة الساير ، وطيبة الخالد ، وسارة فهد المرزوق . فما طبق الخير وما حكايته ؟

الإجابة ترويها السيدة غنيمة المرزوق التي تمعنت في أحد أيام شهر مارس عام ١٩٧٥ بالمفارقة المأساوية المتمثلة في البؤس والدمار والموت وتشريد الأطفال والنساء في لبنان والسودان وأرتيريا وأنحاء أخرى من الوطن العربي والعالم الإسلامي ، وبين حياة الاكتفاء واليسر في دول أخرى ، وبخاصة في أقطار الخليج . وقد طرحت هذه الفكرة في مجلة «أسرتي» التي ترأس تحريرها من خلال التساؤل حول إمكانية الاستفادة من الأعياد الدينية ، وتحويلها من مجرد طقوس إلى فعل خيري ، يستفيد منه المحتاجون من أموال الموسرين غير المحتاجين ، إلا أن الفكرة لم تدخل حيز التنفيذ الفعلي قبل عام ١٩٧٧ ، حين التقت سيدات الجمعية الثقافية النسائية والسيدة غنيمة المرزوق لوضع هذه الأفكار موضع التنفيذ ، وعلى الفور تشكلت لجنة طبق الخير التي مر ذكرها . وقد بدأ الأمر كله من خلال مهرجانات طبق الخير التي تعتمد على إقامة حفل غداء أو عشاء ، يحضره الموسرون لشراء أطباق الطعام المختلفة بأسعار رمزية عالية ، لكي يستفاد بعد ذلك من الإيرادات في عمل الخير .

وإلى جانب هذا النشاط السنوي قامت اللجنة بمشروعين ، كان الهدف منهما تحويل العمل الخيري من عمل ذي طابع موسمي إلى عمل خيري مستمر متصل ، وهذا ما نعنيه (بمأسسة) العمل الخيري ، أي اتخاذه الطابع المؤسسي بدلا من الطابع الفردي ، والمنظم بدلا من العفوي ، والمخطط بدلا من الارتجالي . وقد كانت البداية في لبنان ، حيث تم عام



● يوسف جاسم الحجي





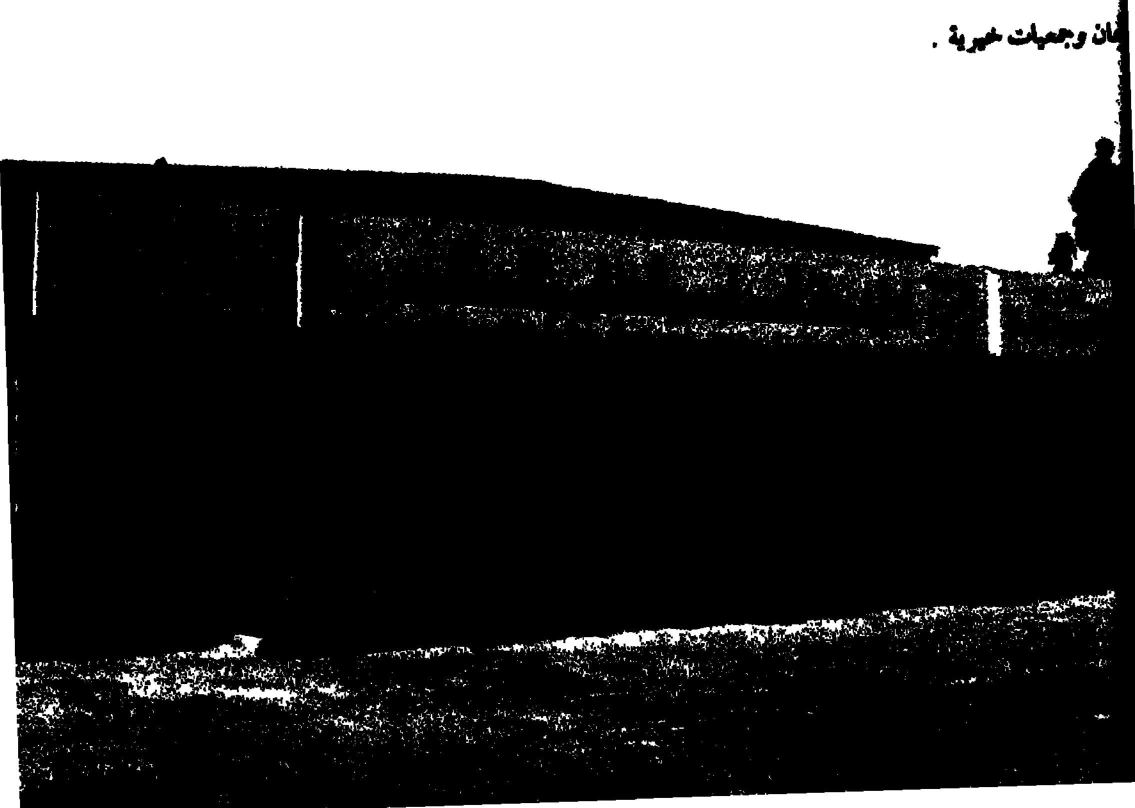
● د. ابراهيم الشاهين



● لولوة القطامي

...بي فلسطين بمدارس

...ان وجمعيات خيرية .



١٩٧٩ وضع حجر الأساس لقرية «حنان اللبنانية» ، وهي قرية خاصة بالأطفال الأيتام في لبنان ، اختيرت لها منطقة سوق الغرب بجبل لبنان ، وداخل هذه القرية يسكن أطفال فقدوا حنان الأهل ودفء قلوبهم . وجهزت هذه القرية بكل المرافق الأساسية ، من مدارس ومصحات ومنشآت وغيرها من المرافق الضرورية ، لكي يواصل سكان هذه القرية حياتهم في هذا المشروع الخيري الكبير .

وعند نجاح هذا المشروع الخيري بدأ العمل بمشروع مماثل في السودان . وعلى بعد ٤٥٠ كيلومترا من الخرطوم قامت «قرية حنان» «في أبو رخم» وقد جهزت بتجهيزات مماثلة ، لتجعل الخير فعلا متصلا مستمرا ، يفيد منه أطفال السودان وأرتيريا الذين فقدوا بعض أهلهم وذويهم ، سواء بسبب الحروب ، أو الكوارث الطبيعية أو المجاعات التي تعاني منها القارة الافريقية عموما ومنطقة القرن الافريقي على وجه الخصوص .

هيئة عالمية مقرها الكويت

والكوارث الطبيعية والظروف القاسية والبؤس والحرمان والبطالة والتشرد والمرض والجهل-التي لاتعاني منها افريقيا وحدها ، بل تعاني منها العديد من البلدان الإسلامية في افريقيا وآسيا - كانت دافعا لتحرك العديد من المؤسسات والهيئات والجمعيات الخيرية في الكويت ، في محاولة لتحسين أحوال هؤلاء الإخوة في الدين والإنسانية .

في ١٧ رمضان الموافق ١٧ حزيران - يونيو - ١٩٨٤ عقد على أرض الكويت مؤتمر ضم ما يربو على مائة وخمسين شخصية إسلامية ، من شتى أنحاء العالم ، وأقروا مبدأ إنشاء الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ، ليكون من أهدافها المتعددة تهيئة الغذاء والكساء والعلاج والرعاية والإيواء للمحتاجين ، وتقديم المعونات في حالات الكوارث والأوبئة والمجاعات . والإسهام في توفير فرص العمل ، وتدريب العمال ، وإقامة المشاريع الاقتصادية ، والعمل على تكوين الشخصية المسلمة ، ونشر الوعي الإسلامي الأصيل ، والمساهمة في محو الأمية ، وتعليم القرآن الكريم ، وتبليغ رسالة الإسلام ، والتعاون مع كل الهيئات الخيرية ، وما شابه ذلك من الأهداف النبيلة والوسائل الكريمة التي تلخص حقيقة هذه الهيئة التي أشهرت عام ١٩٨٦ ، على أن يكون مقرها الكويت على الرغم من طابعها العالمي ، ونشاطها الذى يشمل كثيرا من الدول الإسلامية ودولا أخرى تعيش فيها مجموعات أو أقليات إسلامية .

وتصدر الهيئة التي يرأسها الأستاذ يوسف جاسم الحجي مجلة شهرية ، بدأت اعدادها بالصدور منذ ابريل الماضي ، بعنوان (الخيرية) ، يرأس تحريرها الدكتور عادل الفلاح ، وهو المسؤول الإعلامي بالهيئة . وعبر هذه المجلة تنشر الهيئة أخبار نشاطاتها وتحقيقات عن مشاريعها المختلفة في هذا السبيل . ولدى حديثنا مع السيد الحجي أشار إلى عدد من مجالات عمل الخير التي تتوزع على رقعة العالم . فهناك مسلمون في بلاد غير مسلمة ، وأينما كان هناك مسلمون كان هناك مجال للعمل الخيري .

وعن الهيئة وأسلوب عملها وهيكلها التنظيمي قال السيد الحجي : إنها تضم ١٦٠ شخصية عالمية ، أنشأوا الهيئة التأسيسية المكونة من ٢١ شخصية ، يشكلون مجلس الإدارة ، ويجتمعون في الكويت كل ٤ شهور ، لدراسة كل المشاريع التي تقوم بها الهيئة ، من حيث الإيرادات والمصروفات والاستثمارات التي تقوم بها الهيئة ، وكذلك العلاقات مع الجهات الأخرى . ومن أبرز مجالات الاستثمار التي تعمل فيها الهيئة مجال الاستثمار العقاري الذي يغطي رقعة واسعة خارج الكويت أيضا . ومن

إيرادات هذه الاستثمارات تنفق الهيئة على المشروعات ذات الطابع الإسلامي ، مثل مشاريع الإسكان والمستشفيات وتوزيع الأدوية ، وحفر الآبار ، وإصلاح الأراضي للزراعة ، وإنشاء مراكز للتدريب المهني . وقدر حجم الإنفاق على هذه المشروعات بمبلغ ١٢ مليون دولار . ومعظم هذه المشروعات في آسيا وافريقيا . إضافة إلى ذلك هناك لجنة مشتركة لتقديم المعونة والتبرعات إلى لبنان .

وأشاد السيد الحجي بحماس سمو أمير البلاد وسمو ولي العهد لهذه الأعمال الخيرية ودورهما في إنشاء الهيئة ، كما أشار إلى تعاون المؤسسات الرسمية في الكويت ، مثل وزارة الإعلام ، ووزارة الداخلية ، ووزارة الشئون ، ووزارة الدفاع التي لعبت كل منها دورا في مساعدة الهيئة على إنجاز عملها الخيري .

كما أشاد السيد الحجي باستجابة العديدين من أبناء الكويت لدعوات العمل التطوعي ، وخوض غمار هذا اللون من العمل على الرغم من المشاق التي تواجههم .

إلى افريقيا

جمعية النجاة الخيرية اختارت طريقا مختلف بعض الشيء ، فقد تأسست عام ١٩٧٨ ، بهدف إنشاء مدارس وكليات علمية إسلامية ، والإشراف عليها وفقا للنظم والقرارات المعمول بها في وزارة التربية ، وتقديم العون الأدبي والمادي لطلاب العلم المحتاجين ، وتشجيع الأبحاث التربوية والاجتماعية الإسلامية ، والمساهمة في تقديم العون للأيتام والأرامل المستحقين ، وفتح ملاجيء للأيتام والمعوزين ورعايتهم دينيا واجتماعيا وثقافيا .

وقد أقيمت مدرستان ، واحدة للبنين ، والأخرى للبنات ، تحملان اسم مدرسة النجاة الخاصة ، حيث يتم التدريس فيهما حسب الصيغة المذكورة سابقا . وتشرف عليهما لجنة خاصة تابعة للجمعية ،هي لجنة المدارس التي تشكل واحدة من أربع لجان تسير الجمعية عملها من خلالها ، وهي لجان الزكاة التي تقوم بتقديم المعونة من أموال الزكاة ولجنة صندوق اعانة المرضى الذين أقعدهم المرض عن طلب الرزق ، وتسهم اللجنة في علاج هؤلاء ، ومساعدة المحتاجين منهم للسفر إلى الخارج ، ونشر الوعي الصحي ، والتعاون مع جهات أخرى مشابهة داخل الكويت وخارجها لتقديم العون المادي والصحي لمتضرري الكوارث .

أما اللجنة الرابعة فهي لجنة مسلمي افريقيا التي لعبت دورا بارزا مهما في مجال تقديم العون بكل أشكاله إلى مسلمي افريقيا ، سواء في حالات الكوارث والفيضانات ، أو في مجال الحياة اليومية البائسة التي يعيشها إخوتنا المسلمون الأفارقة .

وقد تأسست اللجنة في صيف عام ١٩٨١ ، عندما قامت مجموعة من شباب الكويت بزيارة لجمهورية مالاوي بافريقيا ، لبناء مسجد ، تبرعت به إحدى المحسنات ، وصعق الوفد لما رآه من وضع مأساوي للمسلمين في تلك الجمهورية الافريقية التى كان المسلمون يشكلون فيها نحو ٦٦٪ من عدد سكانها البالغ ستة ملايين نسمة . إلا أن عددهم بدأ يتناقص ليصبح ١٧٪ عام ١٩٨١ . واكتشف هؤلاء الشباب أن نحو ٤٨٦ ألف طفل مسلم لايذهبون إلى المدارس ، لعدم تمكنهم من دفع الرسوم التى لاتزيد عن دولارين سنويا ، وأن عددا من القبائل كانت مسلمة ، على أنها فقدت عقديتها بسبب بعدها وانقطاعها عن المسلمين . كما اكتشفوا أن هؤلاء ليسوا الوحيدين من المسلمين الأفارقة على هذه الحالة . وكان هذا دافعا لتكوين لجنة تختص بتقديم المعونة بأشكالها المختلفة لمسلمي افريقيا .

ويقول رئيس اللجنة الدكتور عبدالرحمن السميط : إن اللجنة تعتمد في عملها اعتماداً كلياً على تبرعات المحسنين من صدقات وزكاة وكفالة وتبني مشاريع محددة ، كما أنها تستثمر المال المخصص لصندوق الصدقة الجارية ، تحت إشراف هيئة استثمارية مختصة ، ضمن مؤسسات اللجنة ، وتنفق عائد الاستثمار على أعمال الخير في افريقيا .

وقد أفتت لجنة الفتوى بوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت بجواز دفع الزكاة والصدقات والأثلاث وإيقاف الأوقاف لهذه اللجنة . ومن أهم مصادرها صناديق جمع التبرعات المنتشرة في المنازل والمحلات التجارية والاستقطاعات الشهرية والتبرعات النقدية المقطوعة . وللجنة مسلمي افريقيا شبكة ضخمة من الدعاة والإداريين والفنيين ، يتوزعون على الدول الافريقية ، من تشاد في شمال القارة الافريقية حتى مالاوي وموزمبيق



● داود مساعد الصالح



● د. ابراهيم مكي

وزامبيا في الجنوب والوسط .

وقد أقامت عددا من المشاريع لتنظيم عملها في تلك البلاد البعيدة ، مثل مشروع كفالة معلم الخير ، ومشروع عيدية اليتيم والمسكين وغيرها ، وعبر هذه المشاريع تقدم المعونة الغذائية والكسائية والدوائية والتعليمية والمالية وغيرها . كما تقيم اللجنة مشاريع لتوفير المياه لمكافحة الجفاف ، ومشاريع غيرها لمكافحة المجاعة ، وتصدر اللجنة نشرة غير دورية بعنوان (أخبار اللجنة) ، تنشر فيها أخبارها ونشاطاتها ، بالإضافة إلى قضايا وشؤون أخرى ، وتتضمن النشرة جداول بالمشاريع التي تحتاج إلى متطوعين لتمويلها ، وتحتوي هذه الجداول على أسماء المشاريع وأماكنها وتكاليفها المحتملة . وهي معلومات قائمة على دراسات علمية دقيقة .

ويجدر بنا أن نذكر هنا أن هذه الطريقة معتمدة في العديد من مؤسسات عمل الخير وهيئاته . وهذا وجه آخر من وجوه (مأسسة) هذا النوع من العمل التطوعي ، والارتقاء به إلى عمل منهجي مخطط ، ومستوى علمي رصين .

ويضيف الدكتور السميط أن من أبرز المشاريع التي قامت بها اللجنة مشروع الإذاعة الاسلامية ، فقد افتتحت لجنة مسلمي أفريقيا في السنوات الأخيرة إذاعة خاصة بها في جمهورية «سيراليون» ، تسمى إذاعة القرآن الكريم ، حيث قامت اللجنة بشراء الإذاعة ، وتم تحويلها إلى أول إذاعة للقرآن الكريم في أفريقيا ، وهي تبث بعشر لغات محلية ، ويشرف عليها مهندسون تم انتدابهم من إذاعة الكويت كمتطوعين للعمل في لجنة مسلمي أفريقيا ، وقدمت كذلك وزارة الإعلام الكويتية ووزارة الكهرباء الكثير من المساعدات للإذاعة ، بدءا من البرامج الموجهة والأدوات الهندسية الخاصة بتوقيت البث ، إلى المولدات الكهربائية

● العمل التطوعي في الكويت



● مشروع بناء مدرسة في بنغلاديش



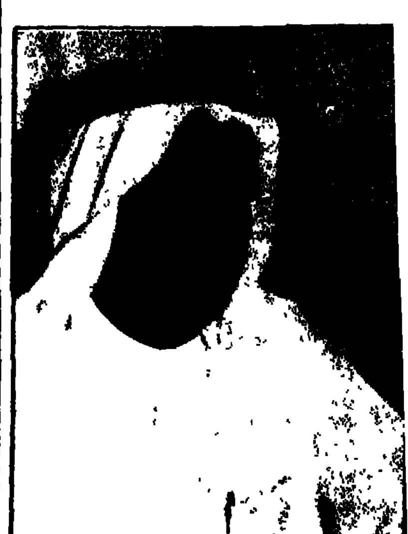
● المركز الاسلامي للتدريب المهني في الصومال .



● طارق سامي العيسى



● السيدة غنيمة المرزوق



● أحمد الجاسر

الضخمة التي تم نقلها إلى «سيراليون» بطائرات سلاح الطيران الكويتي ، كجزء من المساعدات التي تقدمها الحكومة الكويتية للعمل الخيري الأهلي في مناطق تحتاج إلى كل شيء يقدم ، للنهوض بها من التخلف والمجاعة .

واليوم ، وبعد سنوات قليلة نسبيا على عمل هذه اللجنة ، فإنها تملك سجلا حافلا بالعمل الخيري في الكويت وخارجها .

من الأطلسي إلى الهادي

وتسير جمعية إحياء التراث على الدرب الخيري نفسه ، من خلال مشاريعها لإعادة طباعة المخطوطات الإسلامية . وقد بلغت تكاليف تجهيز مركز المخطوطات نحو مليون دينار ، حيث تعد إعادة الطباعة والتصوير للمخطوطات الخاصة بالبلدان الإسلامية هدفا أساسيا من أهدافها ، وذلك بالإضافة إلى الأنشطة الأخرى التي تقوم بها الجمعية في افريقيا وآسيا ، من خلال مشاريع مثل مشروع كافل اليتيم ، ومشروع الصدقة الجارية ، ومشروع كفالة معلم القرآن . كما تقوم إدارة بناء المساجد والمشاريع الإسلامية بدور مهم في بناء مساجد ومصليات في البلدان الإسلامية الفقيرة ، أو تلك التي تضم أقلية إسلامية ، لاتستطيع حمل أعباء مثل هذه المشاريع .

وقد أقامت الجمعية مشاريع عديدة لها في الهند وبنغلادش والفلبين واندونيسيا وبقية دول جنوب شرق آسيا .

ومن ضمن المشروعات التي طرحتها أخيرا مشروع طباعة ألف نسخة سنويا من المصحف المفسر باللغة الاندونيسية ، وذلك بالتعاون مع الجمعيات الإسلامية هناك .

ولقارة آسيا العملاقة نصيبها الخاص من عمل الخير . ويعد هذا النوع من العمل بشكل أو بآخر استمرارا لتلك العلاقة التاريخية المميزة بين الكويت ومنطقة الخليج عموما ، وبين دول آسيا التي تمتد حتى شواطيء المحيط الهادي البعيدة .

وقد أثمرت الرحلات التجارية التي كانت تخرج من الكويت إلى الهند وأندونيسيا قديما علاقات نسب ومصاهرة حينا ، وعلاقة تجارة وعمل حينا آخر . واليوم مع تغير الظروف تغيرت طبيعة العلاقة مع تلك البلاد الأسيوية ، وهي علاقة يلعب فيها العمل الخيري التطوعي اليوم دورا بارزا .

واتجاه الخيرين من أبناء الكويت إلى بلدان آسيا ليس جديدا على أي حال ، فقد كان كثيرون منهم يداومون على زيارة تلك البلدان ، وبخاصة اندونيسيا ، ويقيمون فيها المشاريع الخيرية لبناء المساجد والمدارس وغيرها من المرافق المهمة .

وكان الشيخ عبدالله النوري ـ رحمه الله ـ من رجال الكويت المعروفين بصلاتهم القوية بالمسلمين في تلك المنطقة ،وبعملهم الدؤوب من أجل فقراء المسلمين . وقد اكتسب الشيخ النوري سمعة طيبة ، باعتباره من المحسنين الذين يبحثون عن درب الخير للسير فيه . وعندما توفي الشيخ النوري عام ١٩٨١ ، رغبت أسرته الكريمة في إكمال مسيرة الخير التي بدأها الشيخ النوري . وهكذا قامت جمعية الشيخ عبدالله النوري لتسير مع الجمعيات الإسلامية الشقيقة في دولة الكويت ، لتحقيق رسالة الخير والبر على هدى الإسلام الحنيف . وقد قامت الجمعية بأنشطة ذات أوجه متعددة ، وممتدة جغرافيا من سواحل الأطلسي في افريقيا إلى دول شرق آسيا . ومن هذه الأعمال تعمير المساجد ، وتدعيم الجامعات والمدارس الإسلامية ، ومساعدة مراكز الدعوة والمؤسسات الإسلامية ، ومساعدة المستشفيات الإسلامية ، وتقديم الإغاثة العاجلة والمساعدات الإنسانية ، ودعم العمل الإسلامي ، والمشاركة في مشروعات الدعوة الإسلامية ، ودعم مراكز

تحفيظ القرآن ، وتفقد أحوال المسلمين ، وتنفيذ مشروعات إسلامية ، وفقا لوصايا المحسنين ، وغير ذلك من أعمال خيرية . ومن الآثار الباقية لجمعية الشيخ عبدالله النوري مساجد ومراكز إسلامية في الصومال وباكستان واندونيسيا ومالاوي وفي بعض الدول الأوربية حيث توجد الجاليات المسلمة .

كلمة لابد منها

وبعد ، فإن ما ذكرناه لايمثل كل جهات العمل الخيري في الكويت ، فهناك الكثير من الجمعيات واللجان والهيئات الأساسية والفرعية التي لم نذكرها دون أن يكون في ذلك تقليل من اهميتها . هناك بيت الزكاة ، تلك المؤسسة الكبيرة الضخمة التي من ضمن أعمالها الكثيرة جمع أموال الزكاة والخيرات وصرفها في أعمال الخير . ومعها تتعاون الهيئات والمؤسسات الأخرى في الكويت ، فهناك لجنة الفلاح الخيرية التي تعمل على مساعدة المسلمين في مختلف بقاع الأرض ، من خلال مساعدة المنكوبين ، وإنشاء مراكز إسلامية ، وإنشاء مراكز صناعية وحرفية ، وغير ذلك من وجوه العمل الخيري . وهناك لجان مناصرة لبنان وفلسطين وافغانستان ، وبالإضافة إلى العديد من اللجان المحلية ، من بينها لجنة حفظ الأطعمة التي تقوم بعمل مبتكر حقا ، هو حفظ مايزيد من أطعمة الحفلات . في الفنادق الكبرى ، ووضعها في درجة حرارة مناسبة لحفظها حتى يتم توزيعها على الفقراء والمحتاجين ، وكثيرا ما تتعاون هذه الهيئات واللجان الخيرية للقيام بعمل منسق مشترك .

وفي واحد من الأمثلة التي تعاون فيها العديد من الجمعيات المشاركة في مشروع لإنقاذ مليون مشرد في لبنان ، والتي تولتها اللجنة الكويتية المشتركة لإغاثة مهجري الحرب الأهلية في لبنان ، وشاركت في هذا العمل كل من الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ، وبيت الزكاة ، ولجنة المناصرة الخيرية لفلسطين ولبنان ، ولجان الزكاة التابعة لجمعية الإصلاح الاجتماعي ، وجمعية إحياء التراث الإسلامي ، وجمعية المعلمين الكويتية ، والجمعية الثقافية النسائية ، وصندوق إعانة المرضى ، والجمعية الطبية الكويتية ، وجمعية الشيخ عبدالله النوري ، والاتحاد الوطني لطلبة الكويت ، وجمعية الرعاية الإسلامية ، ولجنة الفلاح الخيرية ، والجمعية الخيرية للتضامن الاجتماعي ، ولجنة التضامن مع الشعب الفلسطيني ، وجمعية النجاة الخيرية .

إن العمل الخيري في الكويت أكبر من أن يغطيه استطلاع واحد أو كتاب واحد ، لذا فإن ماقمنا به ليس سوى إلقاء الضوء على جوانب من العمل الخيري في بلد الخير . □



● قال رسول الله ، ﷺ ، لمعاذ بن جبل : ألا أدلكم على أبواب الخير؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : الصوم جُنَّة ـ بضم الجيم وتشديد النون مع الفتح ـ والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل . ثم تلا رسول الله ، ﷺ ، قول الله تعالى : « تتجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ المضاجع يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقونَ ، فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِىَ لَهُم من قُرَّةِ أَعْيُنٍ جزاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ » .



مملكة نحل العسل

بقلم : الدكتور فهمي مصطفى محمود*

مملكة على رأسها ملكة حريصة على مصالح شعبها ، تحكمه حكما أدبياً ودياً ، لا قهر فيه ولا تسلط ولا جبروت . وشعبها يتحلى بصفات لا مثيل لها ، فهو شعب نشيط ، لا يعرف الكسل ، متفان في الطاعة ، لا يعرف التمرد أو العصيان ، شجاع ليس فيه متخاذل أو جبان ، عظيم التضحية ، قل نظراؤه بين الكائنات ، أمين لا يعرف الخيانة ، نظيف دائم العمل والاجتهاد دونما تبرم أو كلل . إنها مملكة نحل العسل .

* كاتب من الأرض العربية المحتلة ، يعمل بجامعة النجاح الوطنية - نابلس - فلسطين .

تتألف مملكة النحل هذه من ملكة واحدة ، وعدة مئات من اليعاسيب (الذكور) ، وعدد كبير من العاملات يتراوح بين ٣٠ ـ ٨٠ ألفاً ، وقد يزيد عددها أحياناً عن مائة ألف عاملة .

والملكة أكبر حجماً من اليعسوب ، تعمر ٤ ـ ٥ سنوات ، بينما يعيش اليعسوب ثلاثة أشهر ، وهو أكبر قليلاً من العاملة التي تعيش ٥ ـ ٨ أسابيع فقط .

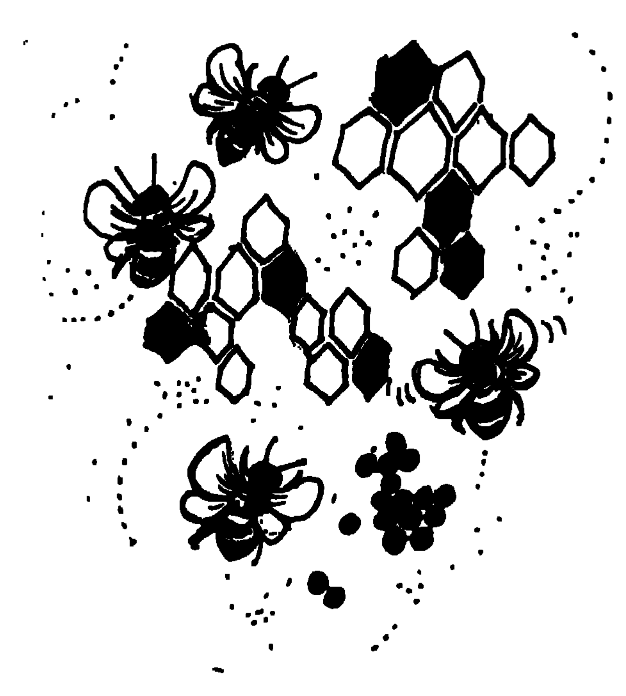
وباستثناء وضع البويضات لا تقوم الملكة بعمل يذكر داخل خلية النحل ، لكن وجودها ضروري جداً لبقاء المملكة ، إذ غالباً ما يعني موتها تشرد النحل وفناء المملكة .

ولا تقوم اليعاسيب بأي عمل على الإطلاق داخل الخلية ، بل إنها لا تقوم حتى بإطعام أنفسها ، فقد تشرف على الهلاك جوعاً إذا لم تقم العاملات بإطعامها . فحياتها داخل الخلية مليئة بالكسل والخمول والتواكل .

لكن دوام الحال من المحال ، فما أن تخرج الذكور لتلقيح الملكة ، حتى تقلب العاملات لهم ظهر المجن . فكل يعسوب يعود إلى الخلية يلاقي مصيراً رهيباً بانتظاره ، فسرعان ما تهاجمه مربياته التي كانت تبذل قصارى جهدها في تربيته وتدليله ، فتمزقه إرباً . فقد انتهى دوره الذي من أجله وجد ،وما عادت له فائدة أو عمل يقوم به ، فلا بد من قتله .

وقد تلاقي اليعاسيب المصير نفسه ، ولكن بطريقة أكثر رحمة من الأولى ، وذلك حين يحل الشتاء دون خروج الملكة للتلقيح .

ففي فصل الشتاء يقل الطعام داخل المملكة ، وتسوء الأحوال الجوية ، فيتعذر على النحل من العاملات الخروج لجلب الطعام ، وتعلن حالة الطوارىء في أرجاء المملكة ، وتفرض العاملات برنامج تقشف شديد للحفاظ على ما بقي من موارد غذائية إلى حين اعتدال الجو



مرة أخرى . وتكون اليعاسيب أول ضحايا هذا البرنامج التقشفي .

وتسارع العاملات إلى طرد اليعاسيب خارج الخلية ، لكي توفر طعامها . ولا تلبث اليعاسيب طويلاً بعد طردها ، إذ سرعان ما تهلك جوعاً ، ذلك لأنها لا تقدر على جمع طعامها بنفسها ، وهكذا يحل الهلاك باليعاسيب ، ولكنه هلاك « رحمة » لا عنف فيه ولا تقطيع .

الزفاف الملكي :

أول ما تقوم به الملكة الجديدة ضمن استعدادها لرحلة الزفاف الملكي ، هو قتل منافساتها من الملكات ، ذلك أن الملكة الأم تكون قد وضعت عدة بويضات في المقصورة (العيون الملكية) . وتشرف العاملات بجد واجتهاد على تغذية اليرقات الملكية فور فقس البويضات ، حتى يكتمل نمو إحداها .

وفور خروج أول ملكة ، تبادر مسرعة إلى المقصورة الملكية حيث تتواجد الملكات في مراحل النمو النهائية ، فتغرس زبانياتها في أجسادها ، واحدة تلو أخرى ، حتى تأتي على آخرها . وإذا تصادف أن خرجت ملكتان في آن واحد،فإنه يحدث بينهما نزال ينتهي بموت إحداهما .

وبعد أسبوع من الاستعداد والتجهيز ، تبدأ مراسم الزفاف الملكي ، فتغادر الملكة الخلية ،

وتحلق فوقها من جهات عديدة ، كي لا تخطيء الرجعة إليها بعد الانتهاء من عملية التلقيح . ثم تقوم بإرسال أنغامها الرنانة المغرية ، وتبث عطرها الملكي الجذاب المثير .

وتعجز اليعاسيب عن المقاومة ، وتسلم أمورها إلى الملكة . وهكذا تتدافع مسرعة إلى بوابة الخلية ، لتعلن بدء مراسم الزفاف الملكي .

ويبدأ الطيران ، وتفرد الملكة أجنحتها القوية ، وتنطلق في الفضاء كالسهم ، وتلحق بها اليعاسيب بنشاط وعزيمة ، وكلما أوشك أحدها على اللحاق بها ، زادت سرعتها وارتفاعها في الفضاء .

ويصيب اليأس مجموعة من اليعاسيب ، إذ لا أمل لها في اللحاق بها ، فتقرر التخلي عن المطاردة وتعود إلى الخلية ، طمعاً في الراحة وحياة الكسل والتطفل .

وينطلق بعضها خلف الملكة ، ويتساقط واحداً تلو الآخر ، ولا يبقى معها إلا قلة من اليعاسيب ، وترميها الملكة بآخر سهامها ، فتنطلق بأقصى سرعة تستطيعها ، وترتفع لأعلى مسافة يمكنها بلوغها ، ويظفر بها أقواها بنية ، وأجلدها على تحمل المشاق والصعوبات ، ويتم تلقيحها ، وتنتهي مراسم الزفاف الملكي بعد ١٥ ـ ٣٥ دقيقة من بدئها .

وتعود الملكة العروس جارة خلفها تركة عريسها الفقيد ، الدالة على نجاح الزفاف وحصول التلقيح . إذ ينفصل عضو التذكير ومعه جزء من أحشاء اليعسوب المسكين فور الانتهاء من التلقيح ، كعلامة بينة على نجاح المهمة التي خرجت من أجلها الملكة .

وينزف اليعسوب المسكين حتى الموت ، وتعود الأرملة المفجوعة ، مذيلة بأحشاء الفقيد ، وتبادر الوصيفات إلى تنظيف الملكة مما علق بها ، وتعم الفرحة أرجاء المملكة ، وتبدأ العاملات بتجهيز عيون شمعية جديدة ، وتقوم بإصلاح وتنظيف القديمة منها ، استعداداً لوضع البويضات فيها

وتقوم الملكة ـ والفرحة والنشاط يغمرانها ـ بوضع أعداد هائلة من البويضات ، فتضع حوالي ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ بويضة في اليوم الواحد ، لفترة تزيد عن ثلاثة أشهر .

ويقدر العلماء أن الملكة تضع حوالي ٢٠٠ ـ ٢٥٠ ألف بويضة في الموسم ، وأنها تترك وراءها قرابة مليون بويضة ، قبل أن تخطفها يد المنون .

أسئلة محيرة

ويترك الزفاف الملكي في الذهن أسئلة محيرة : لماذا يستلزم الزفاف وجود مائتي يعسوب ؟ ألا يكفي لإنجازه يعسوب واحد أو بضعة يعاسيب ؟ لماذا تقوم الملكة بهذه الرحلة الخطرة ؟ أليس بالإمكان إتمام مراسم الزفاف الملكي داخل الخلية ؟ ألا يمكن حصول التلقيح دون هلاك اليعسوب البطل ؟

إن العدد الكبير من الذكور ضروري جداً لبقاء المملكة ، فأحد الذكور المائتين سيكون أباً لجميع نحل الخلية التي ستظهر خلال سنوات أربع أو خمس قادمة . فلو كان هذا الذكر ضعيفاً ، أو ذا صفات وراثية غير جيدة لأدى ذلك إلى انقراض المملكة ، واختفائها عن الوجود منذ شهورها الأولى .

لهذا اقتضت الحكمة وجود عدد كبير من الذكور ، لضمان فرصة أكبر في وجود ذكر يحمل أفضل الصفات الوراثية ، الكفيلة باستمرار الخلية سنين طويلة .

وهناك سبب آخر يتعلق بسلامة الملكة أثناء رحلة الزفاف الملكية ، فوجود عدد كبير من اليعاسيب حول الملكة ، يشكل طوقاً واقياً لها من تلك المفترسات ، ويقلل كثيراً من احتمالات هلاكها .

وقد وجد الباحثون أن عضو تذكير اليعسوب ، لا يمكن له أن يظهر إلا إذا ضغطت عليه الأكياس الهوائية التي تحيط به . وهذه الأخيرة ـ أي الأكياس الهوائية ـ لا تنتفخ بالقدر



● النحل « شعب » لا يعرف الكسل

اللازم لإتمام عملية التلقيح ، إلا حين اندفاع اليعسوب بسرعة فائقة ، مسافة طويلة ، وعلى ارتفاع عال .

لذا ، فالذكور التي تطير مسافة قصيرة ، أو تندفع نحو الملكة ببطء لن تستطيع بحال تلقيح الملكة ، لعدم ظهور عضو تذكيرها ، ولعدم قدرتها على اللحاق بها .

وعودة إلى السؤال الثالث : الا يمكن حصول التلقيح دون موت اليعسوب البطل ؟ وما الفائدة المرجوة من موته ؟

لقد أسلفنا القول بأن اليعسوب الذي يلقح الملكة ، يترك عضو التذكير وبعضاً من أحشائه هدية لها ، وينزف حتى الموت . وذلك لإعلام الوصيفات بأن التلقيح قد حدث فعلاً .

فإن خرجت الملكة إلى رحلة الزفاف ، ولم تجد الوصيفات هذه الأمارة الواضحة ، تيقنت من فشل المهمة ، وبادرت من فورها بالتجهيز لزفاف ملكي آخر .

خدمـة متفانيـة :

وتفقس البويضات بعد وضعها بثلاثة أيام ، وتباشر العاملات تغذية اليرقات ورعايتها مدة ستة أيام ، تتشرنق بعدها اليرقات ، فتغلق النخروب على نفسها ، وتبقى كذلك حتى تخرج نحلة كاملة . ولقد دلت الدراسات على أن الملكة تحتاج إلى ستة عشر يوماً ، من وقت وضعها بويضة في النخروب ، وحتى خروجها منه حشرة كاملة ، بينما يحتاج الذكر إلى واحد وعشرين يوماً ، وتحتاج العاملة إلى أربعة وعشرين يوماً لإكمال نموها .

وهنا نجد أنفسنا أمام أعجوبة من عجائب مملكة النحل ، المليئة بالغرائب وما يبهر العقول ، فالعاملات تتفانى في رعاية اليرقات ، لدرجة أنها تتردد على كل واحدة منها حوالي ١٥٠٠ مرة يومياً ، منذ خروجها من البويضة حتى دخولها الشرنقة .

ويقدر الباحثون أن اليرقة الواحدة تتلقى عشرة آلاف زيارة منذ فقسها وحتى تشرنقها .

والعاملات تقوم بـ ٢٠٠٠ ـ ٢٥٠٠ مليون زيارة لليرقات ، خلال موسم وضع البويضات . إنه حقاً رقم خيالي ، لكنه أيضاً رقم حقيقي ، يخلو تماماً من المبالغات .

نتيجة للتغذية المتواصلة التي تقدمها العاملات لليرقات ، يتضاعف وزن الأخيرة تضاعفاً

هائلاً ، بحيث يزداد وزن اليرقة في اليوم الأول عشر مرات ، بينما يتضاعف وزنها في كل من اليومين التاليين أكثر من مائة مرة ، وفي كل يوم من الأيام الثلاثة التالية لذلك أكثر من ألف مرة . أي أن وزن اليرقة يزداد أربعة آلاف مرة ، خلال الأيام الستة الأولى من حياتها .

اختلف الطعام فاختلف المآل :

عندما تضع الملكة بويضات لتخرج منها عاملات ، فإنها تضغط على الحافظة المنوية ، فتخرج حيواناً منوياً أو بضعة حيوانات منوية ، فتلقح بها البويضة . وكذلك الأمر بالنسبة للبويضة التي تنتج عنها ملكة ، أما البويضات التي تعطي ذكوراً ، فلا يتم تلقيحها .

فكيف ـ إذن ـ تستطيع الملكة تمييز البويضة التي تفقس عاملة ، عن تلك التي تعطي ملكة ، خاصة أن البويضتين ملقحتان وحجمهما واحد ؟

في الواقع أن الملكة لا تملك تقرير ذلك ، إلا بنسبة ضئيلة ، تتمثل في وضع البويضات الملكية في النخاريب الملكية ، والأخرى في النخاريب الخاصة بالعاملات .

أما العامل الحقيقي الذي يحدد ما إذا كانت اليرقة ستصبح ملكة أو عاملة فهو نوع الطعام الذي تتلقاه اليرقة . فإن أعطيت اليرقة « الغذاء الملكي » (وهو غذاء تفرزه النحلات الفتية من غدد خاصة) طوال الأيام التي تسبق دخولها الشرنقة ، فإنها تخرج ملكة . أما إن أطعمت اليرقات الغذاء الملكي في الأيام الثلاثة الأولى من حياتها ، ثم غذيت بـ « خبز النحل » (وهو طعام يتكون من العسل المخلوط بغبار الطلع) حتى تتشرنق ، فإنها تصبح عاملة . وبالنسبة ليرقات الذكور ، فإنها تتغذى بخبز النحل طوال فترة حضانتها .

ولكن لا بد من التنبيه إلى أن توقيت تقديم الطعام ، له الدور الأساس فيما ستتمخض عنه اليرقة ، فقد تبين أن تغذية يرقة العاملة بالغذاء الملكي بعد تغذيتها بخبز النحل ، لا يجعلها يرقة ملكية ، إذ يجب أن لا يدخل جوف الأخيرة طعام « العامة » وإلا صارت منها .

دلت الأبحاث على أن العاملة تقوم بأعمال كثيرة خلال فترة حياتها القصيرة ، فبالإضافة إلى ما سبق فإنها في يومها الثاني عشر وحتى السادس عشر تبدأ بإفراز الشمع ، حيث تقوم ببناء نخاريب جديدة ، وتصلح الأجزاء المتكسرة من الخلية ، بعد ذلك تتولى مهمة تفريغ ما تحمله العاملات الأخريات من رحيق وغبار طلع ، فتضعه في النخاريب الخاصة بذلك ، بعد مضغه وتحويله إلى عسل . وعند بلوغها العشرين ، تتولى حراسة المملكة . وتبقى في هذه المهمة يومين أو ثلاثة . تقوم بعدها بآخر وأطول مهمة لها ، ألا وهي مهمة جمع الرحيق . وتودع الدنيا بعد ذلك بأسبوعين ونصف أسبوع ، بعد أن تكون قد جاوزت أربعين يوماً .

تفرز الملكة مادة يسميها بعضهم « العطر الملكي » ، تتحكم الملكة بواسطتها ببعض الجوانب المهمة في مملكتها . وتشمل هذه :

١ ـ إثارة الذكور لبدء رحلة التلقيح ، وقد أشرنا إليها سابقاً .

٢ ـ منع نضوج مبايض العاملات ، ذلك أن العاملات تخرج من الشرانق ومبايضها غير مكتملة النضوج . ولكي تبقى على تلك الحال ، تفرز الملكة عطرها الذي تكبح بواسطته نضوج المبايض الخاصة بالعاملات . وعند فقد العطر من الخلية (وذلك بموت الملكة) تتضخم مبايض بعض العاملات ، وتبدأ بوضع بويضات غير ملقحة ، تفقس لتعطي ذكوراً .

٣ ـ منع ظهور ملكات جديدة ، إذ أن إفراز العطر الملكي بانتظام ، يعطي العاملات شعوراً بالأمان ، لأنه يعني نشاط المملكة وحيويتها . لكن حين يضعف إفراز العطر الملكي (وذلك عند مرض الملكة أو شيخوختها أو اتساع مملكتها

كثيراً) ، أو ينقطع (عند موت الملكة) ، فإن الاضطراب يعم أرجاء المملكة ، وتبدأ العاملات من فورها ببناء نخاريب ملكية ، ثم تجبر الملكة على وضع بويضات فيها ، لا تلبث أن تفقس لتعطي ملكات جديدة لتحل محل الملكة القديمة الهرمة .

الإنقاذ الوطني

وبموت الملكة فجأة ، ينقطع إفراز العطر الملكي ، فيسود الاضطراب الشديد المملكة بأسرها ، ويظهر الاضطراب جلياً على حركة العاملات وتصرفاتها ، حيث تتحرك تحركات عنيفة دونما وجهة محددة ، كأنما تحاول العثور على الملكة المفقودة .

وسرعان ما تتيقن من هلاك الملكة ، فيخيم عليها الحزن الشديد ، وتعلن الحداد على الفقيدة .

لكن مصلحة الخلية تفرض عليها الخروج من حدادها ، والعمل بسرعة من أجل إنقاذ وطنها من الهلاك . فبعد ساعات قليلة من الحداد ، تبادر العاملات إلى النخاريب الخاصة باليرقات العاملة ، فتستخرج منها عدة يرقات تقل أعمارها عن ثلاثة أيام ، ثم تنقلها إلى النخاريب الملكية ، وتغذيها بالغذاء الملكي حتى تصبح ملكات .

وفي هذه الأثناء تتضخم مبايض بعض العاملات اللصيقة بالملكة الفقيدة ، وتبدأ بوضع البويضات التي لا تلبث سوى أسابيع ثلاثة حتى تخرج ذكوراً كاملة ، وتجري الاستعدادات لرحلة الزفاف الملكي ، وتعود الحيوية للخلية مره أخرى ، وتخرج المملكة من حزنها ، ويتم الإنقاذ الوطني في أبهج صورة .

عندما تنسخ الملكة ، تضعف قدرتها على إنتاج « العطر الملكي » ، فتضطرب العاملات ، وتسارع من فورها إلى تجهيز نخاريب ملكية وأخرى ذكرية . وفور تجهيزها تتجه العاملات إلى الملكة وتحثها (وقد تجبرها أحياناً) على وضع بويضات فيها .

وفور فقس البويضات ، تنصرف العاملات كلياً عن العناية بالملكة الأم ، وتفرغ وقتها وجهدها للعناية باليرقات الملكية . وتشعر الملكة الأم بتحول رعيتها عنها ، فتبدأ بتجهيز نفسها للرحيل عن الخلية دون إثارة للقلاقل والمشاكل داخل مملكتها . ولأول مرة في حياتها ، تغادر الملكة الخلية دون أن تتفقد مكانها أو تنظر إلى موقعها ، لأنها تعلم بأن خروجها هذه المرة يختلف تماماً عن السابق ، فهو خروج بلا عودة ، وذهاب لا يعقبه إياب . وتخرج الملكة في ثلة مواطنة مخلصة لها ، يتراوح عددها بين ٥ آلاف ـ ٢٥ ألف عاملة ، لتبدأ خلية جديدة .□

سر الغنى



يحكى عن شاب،أنه قصد مزارعا غنيا متقدما في السن ليقف منه على الكيفية التي تكونت له الثروه الكبيرة التي جمعها . وكانت زيارته ليلا ، ولما سأله عن سبب غناه أجاب المزارع . إنها قصة طويلة يابني ، فالأفضل أن نطفيء الشمعة توفيرا لها ، وقام من مقعده وأطفأ الشمعة ، فأجاب الشاب مقاطعا : لا لزوم ياعماه ، بأن تستمر في سرد القصة ، فلقد فهمت كيف جمعت ثروتك وكفى .





(الحياة مجموعة من الخبرات المتنوعة ، وليس بالضرورة أن تتشابه وتتكرر ، إنما كثير من الخبرات مفردة تضيف معنى جديدا للحياة ، وتعطيها لذة التراكم ، وقد اختارت العربي مجموعة من المتميزين العرب ليروي كل بطريقته الخاصة بعضا من ذكرياته التي أصبحت دروسا في الحياة) .

[illegible] !

بقلم : محمد العروسي المطوي *

كنت ـ منذ نشأتي ـ أزهد ما أكون مهتما بالعمل ، متطلعا للخروج ومن ثمة كنت لا أحتمل ما يلاقيني في الصباح من شارع أو بارح حسب الذي كان من عادات العائلة .

كان ذلك منذ الصغر حتى الرشد وتحمل المسؤولية . وكانت إحدى المسؤوليات التي حملتها إحداث أول سفارة تونسية في بغداد .

قدمت بغداد مفتتح سنة ١٩٥٨ وكان الحكم في العراق ـ إذ ذاك ـ ملكيا . أبرز شخصياته الملك الشاب فيصل بن غازي ، والوصي عبد الإله ، والملك غير المتوج نوري السعيد . وكانت وظيفتي الدبلوماسية مستشارا قائما بالأعمال .

وعلى الرغم من مضي ستة أشهر ونصف شهر إلا يوما واحدا على قدومي ، فإنني لم أزر مدينة « بعقوبة » التي لا تبعد كثيرا عن مدينة بغداد ولم يتم ذلك إلا يوم الأحد ١٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٥٨ ، حين ذهبت مع أسرتي نتجول باتجاه مدينة « بعقوبة » .

كان الوقت عصراً ـ فيما أذكر ـ عندما أصبحنا

---

* رئيس جمعية اتحاد الكتاب التونسيين

على مشارف « بعقوبة » التي بقيت في ذاكرتي منذ ذلك اليوم . ولم نتمكن من دخولها والسير في شوارعها إلا بشق الأنفس ، لكثرة ما اعترضنا من سيارات الجيش العراقي ودباباته . ثم عدنا إلى بغداد وقضينا ليلتنا في جو عادي تماما . وفي الصباح الباكر فوجئنا بانقلاب الأوضاع في البلاد ، فقد قامت القوات المسلحة العراقية بانقلاب . وأطاحت بالنظام الملكي لتعلن عن قيام الجمهورية العراقية . وكانت تلك القوات التي اعترضتنا في « بعقوبة » هي التي قامت بالانقلاب . ولهذا كثيراً ما تندرت مع الإخوان بأنني كنت أول المستقبلين لقوات الانقلاب .

في أكتوبر ١٩٥٩ كانت المحاولة الأولى لاغتيال الزعيم عبدالكريم قاسم في شارع الرشيد من بغداد ، وكان الوقت عشية . فكيف عرفت خبر ذلك الحادث ؟

في وقت الحادث بالضبط كنت داخل « استوديو » في الإذاعة العراقية ، أسجل قصيدة لي بعنوان « نداء الأرض » أصَرّ عليَّ مدير الإذاعة أن أسجلها بصوتي ذلك اليوم .

وعندما خرجت من « الاستوديو » وجدت الوجوم السائد ، والعيون الحائرة ، والوجوه المصفرة . فسألت أقرب واحد إليّ : ما الخبر ؟ فأجاب باقتضاب : « الزعيم انضرب » ثم عرفت أن الأمور لما تتضح بعد . ومن المستحسن أن أبقى في مقر الإذاعة حتى تتضح الأمور . ولم يطل بي الانتظار ، فأعلن الحاكم العسكري عن فشل محاولة اغتيال الزعيم عبدالكريم قاسم ، وأن صحته بخير ، وأن حالة الحصار ستبدأ من الساعة الثامنة . فبادرت بالخروج من دار الإذاعة .

في صباح الغد كانت لي مفاجأة أخرى ، فقد صدرت الصحافة تشرح الوقائع وتندد بالمعتدين . وفي الصفحة الأولى من تلك الصحف نشرت صورة للزعيم عبدالكريم قاسم وبجانبه جثة عبدالوهاب الغريري أحد القائمين بعملية الاغتيال . ولحد ذلك ، لا شيء يلفت نظري . وكانت المفاجأة عندما أمعنت النظر في الصورة ، لأجد عبدالكريم قاسم يجلس بين طفلتين صغيرتين . وكُتِبَ تحت الصورة كيف حاول المعتدون الفتك بأبي الشعب ؟

فمن هما الطفلتان ؟ إنهما ابنتاي : إحسان وطهران . ما السرّ في ذلك ؟ أنا جازم بأن السر لا يعرفه إلا نحن . حتى الذين اختاروا الصورة لا يعرفون شيئا عنها . فما سر ذلك ؟ .

في العشرين من مارس (آذار) ١٩٥٩ أقمنا حفلنا الوطني في حديقة سفارتنا الواقعة في منطقة الوزيرية ، وحضر الاحتفال الزعيم عبدالكريم قاسم . وبينما كان جالسا في الحديقة أقبلت الصغيرتان علينا ، فلم يكن مني إلاّ أن قدمتهما لسيادته متعللا بأن اليوم هو عيد الأم ، وانهال علينا المصورون ، وخاصة التركيز عليه وعلى الصغيرتين .

ويبدو أن عامل « الأرشيف » الحكومي فتش عن صورة تمثل عطف عبدالكريم قاسم على الطفولة والإنسانية البريئة المسالمة ، فلم يجد أنسبَ من تلك الصورة للتعبير عن المعنى المراد . غادرت بغداد أواخر سنة ١٩٥٩ ملتحقا بجدة ، وفيها عينت أول سفير لتونس في المملكة العربية السعودية . وفي شهر مايو ١٩٦٢ عدت إلى العراق وزيرا مفوضا وسفيرا فوق العادة لتونس في الجمهورية العراقية . وفي طريقي إلى بغداد أقمت أياما في عمارة أمام « روشة بيروت » . وبينما أنا أتطلعُ في واجهة إحدى المكتبات لفت نظري كتاب بالفرنسية عنوانه « لن تذهب إلا إلى العراق » ، والكتاب من أدب التجسس ، فاشتريت الكتاب قصد قراءته في أثناء تلك الإقامة القصيرة .

ولا أذكر بالضبط متى دار بخلدي ما يثيره ذلك العنوان في باطني ، حتى طفا سؤالٌ وظهرت فيَّ نزعة تشاؤم من ذلك العنوان . لكن هذا



● عبدالكريم قاسم بين ابنتي الكاتب

الهاجس لم يستمر بي طويلا ، لأنني لا أعبأ بتلك الأشياء منذ صغري . ومضت أشهرٌ قلّةٌ . وكانت منطقة الخليج العربي تشهد تطلّعات سياسة طموحة ، كان من أبرزها استقلال دولة الكويت . وفوجئت الأوساط السياسية في الشرق الأوسط والعالم بإعلان عبدالكريم قاسم عن سياسته نحو الكويت ، واعتباره جزءا من لواء البصرة ، ويعني ذلك عدم الاعتراف باستقلاله . ثم خطا خطوة أخرى فأعلن بأنه سيطرد سفير أي دولة تستقبل سفيرا كويتيا في بلدها

وكانت السياسة الخارجية التونسية تتمسك بمبدأ تقرير المصير وعدم الضم بالإكراه . وسبق للسياسة العربية ـ آنذاك ـ أن امتحنت باستقلال موريتانيا ومطالبة المملكة المغربية بها . ولكن تونس كانت سباقة في الاعتراف باستقلال موريتانيا احتراما لمبدأ تقرير المصير ، على الرغم من علاقات الأخوة القوية الرابطة بين تونس والمغرب . ونال تلك العلاقات الجفاء والجمود . ولكن تونس استمرت في موقفها على الرغم من تساقط عدد من الأقطار العربية ـ إذ ذاك ـ في الاعتراف بموريتانيا دولة « مستقلة » عكس موقفها فيما بعدُ من الكويت .

وبعثت دولة الكويت بسفيرها إلى تونس وقدم أوراق اعتماده . ونتج عن ذلك أن أمر عبدالكريم قاسم بطردي من بغداد . وأبلغني مدير الدائرة السياسية في وزارة الخارجية العراقية ذلك الطرد . ويشهد الله أن عينيه قد دمعتا قبل أن يقول ذلك .

وعدت إلى تونس ، ولم ألبث قليلا حتى حولت عن الخارجية ، وأصبحت عضوا بمجلس الأمة ثم مجلس النواب . ولم أعد إلى أي بلد آخر بصفتي دبلوماسيا .

أما العراق فعدت إليه مرات ومرات ، وما تزال صداقاتي المتينة وعلاقاتي الحميمة به وبالعراقيين إلى اليوم .

والذي أختم به هذه الورقات هو أن ذلك « التشاؤم » بعنوان « لن تذهب إلا إلى العراق » لم يجعلني أغير فكرتي وموقفي من الفأل والسارح والبارح . ولو أن الصدفة الغريبة حاولت زحزحتي عن موقفي الذي ما زلت عليه إلى يوم الناس هذا . □

أرقام

بقلم : محمود المراغي

هذه التجمعات

يبدو أن عرب التسعينيات قد حسموا أمرهم في ما يتعلق بقضية « الوحدة والتجزئة » ، فاحتاروا طريقا وسطا ، يتحاوز العزلة والتشرذم ، ويقف دون التوحد الكامل

هو طريق أقل شمولا من الناحية الجغرافية ، وأقل عمقا من الناحية الموضوعية ، لكنه بالتأكيد يتجاوز نموذج الدولة المنعزلة .

تقول الأرقام : إن خمس عشرة دولة عربية قد شكلت في ما بينها ثلاثة مجالس - أو تجمعات - للتعاون ، واحدا خليجيا ، وواحدا مغربياً ، وواحدا يضم العراق والأردن ومصر واليمن الشمالية . وتقول الأرقام : إن هذه التجمعات - طبقا لأرقام ١٩٨٧ - تضم (٧٨٪) من السكان ، و (٧٤٪) من المساحة الكلية للوطن العربي ، وتحوز (٩٠٪) من الناتج الزراعي العربي ، و (٩٥٪) من ناتج الصناعة التحويلية ، و (٩٣٪) من ناتج الخدمات .

وفي مجال التجارة الخارجية فإن التجمعات الثلاثة تقوم بتصدير (٩٧٪) من صادرات الوطن العربي ، وتستورد (٩٣٪) مما يشتريه من العالم الخارجي .

الأغلبية

هي إذن « حزب الأغلبية » - إن جاز التعبير - وهي القوة البشرية والاقتصادية الكبرى في المنطقة ، بل إنها - وفي مجال الموارد - تكاد تملك معظم المستقبل : أكثر من (٩٩٪) من احتياطي النفط المؤكد ، وثلثي الموارد المائية السطحية ، وثلاثة أرباع الموارد المائية الجوفية ، و (٦٣٪) من الأرض المزروعة أو الصالحة للزراعة .

ويجد الأمر ترجمة في الجانب العسكري ، فبين (٢,٦) مليونين وستة أعشار المليون من المقاتلين الذين يوجدون في الوطن العربي ، لايوجد خارج دائرة التجمعات الثلاثة سوى (٥٣٩) ألفا ، وبين خمسين مليارا من الدولارات ، كنفقات دفاع عام ٨٦ - ٨٧ ، لا ينفق الآخرون ، خارج التجمعات ، غير (٩٪) على وجه التقريب .

وبعبارة أخرى ، ووفقا لدراسة إحصائية أجراها مركز دراسات الوحدة العربية ، فإن الدول الست التي بقيت خارج التجمعات لاتضم أكثر من ربع مساحة الوطن العربي ، وخمس سكانه ، وخمس جنوده (على وجه التقريب) و (٥,٤٪) من ناتجه المحلي .

خارج التجمعات الآن : جيبوتي ، والسودان ، والصومال ، ولبنان ، واليمن الديمقراطية ، وسوريا . وإذا انضمت الأخيرة - كما تشير الدراسة - الى مجلس التعاون العربي فإن الميزان يزداد رجحانا بشكل ضخم .

في التفاصيل يقترب مجلس التعاون العربي من

(٤٠٪) من عدد السكان ، ويليه في الأهمية اتحاد المغرب ، حوالي ٣٠٪

وفي التفاصيل يحتل مجلس التعاون العربي المكان الأول في نصيب كل من الزراعة والصناعة من الناتج المحلي وفقا لأرقام (١٩٨٧) ، بينما يحتل اتحاد المغرب نصف الأراضي الزراعية الصالحة للزراعة ، ونصف الموارد المائية ، وحصة أقل من المياه السطحية .

في الوقت نفسه فإن دول مجلس التعاون الخليجي الست تحتل (٦٠٪) من صادرات الوطن العربي ، و (٤٣٪) من وارداته ، وتقدم ثلث الخدمات التي يتمتع بها المواطنون في سائر أنحاء الوطن .

آفاق المستقبل

وتبدو آفاق المستقبل من بعض المقارنات ، فمازال البون شاسعا بين الأراضي الصالحة للزراعة والأراضي المزروعة بالفعل ، ومجال التقدم بين الاثنين أمر قائم ، سواء بالنسبة للدول الداخلة في التجمعات أو التي في خارجها . وتحتل دول المغرب مركز الصدارة ، حيث تحوز نصف الأرض العربية الصالحة للزراعة .

وإذا كانت دول مجلس التعاون العربي تحتل المقام الأول في الصناعة التحويلية ، وتقترب من (٤٠٪) من ناتج الصناعة العربية كلها ، فإن دول المغرب تأتي في الأهمية التالية مباشرة ، لتسجل ثلث الناتج الصناعي .

وتبدو احتمالات التكامل الأكثر عمقا بمقارنة المورد البشري والصناعي والزراعي الذي يركز في جانب من الوطن ، بينما يتركز المورد المالي والنفطي وسوق الاستهلاك في جانب آخر ، وينعكس ذلك على نمط النشاط الاقتصادي ، ونمط الحياة ، فتسجل دول مجلس التعاون : معظم الصادرات ، وما يقرب من نصف الواردات ، وثلث الخدمات ، بينما تمثل سكانيا (١٠٪) من السكان .

والقضية هنا ليست الثراء والفقر ، ولكن ومن منظور وحدوي نقول :

١ ـ إن هذه هي المقومات البشرية والمادية للوحدة أو التكامل : إمكانيات زراعية لم تستنفد ، وإمكانيات صناعية تنمو معتمدة على بعض الموارد المادية وعلى سوق متسع ، وإمكانيات مالية تعكس نفسها ـ حيث تتركز ـ على تعامل واسع مع العالم الخارجي .

٢ ـ يسير خط المستقبل ، خط التسعينيات ، نحو مزيد من التعاون والتنسيق ، بل والتكامل أيضا . تسمح بذلك الإمكانيات ، وتدعو لذلك الضرورات ، ويبشر به ما بدأ بالفعل من إجراءات سريعة في التجمعات الثلاثة : العربي والخليجي والمغربي .

٣ ـ بمقابلة الاحتياجات والإمكانيات نجد أن حلقات التعاون سوف تتجاوز بالضرورة حدود التجمع الواحد ، فعلى الرغم من اختيار الصيغة الأكثر ضيقا من الجامعة العربية ومجلس الوحدة الاقتصادية العربية ، فإن جسور التعاون بين التجمعات الثلاثة وبينها وبين الأخرين الذين لم يشتركوا في أي من هذه التجمعات ، هذه الجسور لابد أنها ستمتد ، مستندة لهذه المفارقة في الموارد البشرية والمادية والمالية التي تعكسها الأرقام السابقة .

الى أين ؟

دوائر التعاون سوف تتضافر من المحيط الى الخليج ، والسؤال : الى أين ؟

تتوقع دراسة لاستشراف المستقبل العربي ، قام بها أيضا مركز دراسات الوحدة العربية : أن السيناريوهات الثلاثة المحتملة حتى عام ٢٠١٥ : سيناريو التجزئة ، وسيناريو الوحدة ، وسيناريو التنسيق .

ويبدو أن العرب قد اختاروا النسق الأخير ، ليدخلوا به القرن الواحد والعشرين ، فإذا ازدهر عدنا لما طرحناه في الأربعينيات والخمسينيات : وحدة شاملة . □



بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

نفذ بعض المغرضين للنيل من شخص الرسول الكريم ودعوته من ثغرة عثروا عليها في تفسير الطبري وكتاب الواقدي ، فألفوا القصص ، ونسجوا الروايات . كان آخرها تلك الافتراءات التي جاء بها سلمان رشدي ، فأين الحقيقة في كل ذلك ؟.

كنت أراجع منذ فترة قريبة كتاب « تاريخ الأفكار الدينية » ، وهو من ثلاثة مجلدات ، بقلم عالم الأديان الكبير الأستاذ « مرسيا إلياد » (١٩٠٧ - ١٩٨٦) . في ترجمته الإنجليزية عن أصله الفرنسي . وهو من منشورات جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية . والعنوان الفرعي للمجلد الثالث « من محمد إلى عصر الإصلاحات » وقد صدر عام ١٩٨٥ . [illegible] الفكر الديني في العالم [illegible] إلى القرن التاسع عشر [illegible]

[illegible] الخليل [illegible] في تاريخ الفكر الديني [illegible] والأصولية [illegible] . [illegible] والقصيرة والمسرحيات ، وإن كان أعظم إنتاجه في الدراسات الدينية . ولعل هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو أنضج ثمرات دراساته وإنتاجه المتنوع الذي استمر أكثر من نصف قرن .

من يكمل هذا الجهد ؟

وأود أن أستأذن القارىء الكريم في إيراد سطور من مقدمة هذا الجزء الثالث ، سطور إنسانية تحس فيها الرباط الفكري والروحي بين المؤلف وقرائه ، وهو يعرف بعضهم من زملائه وتلاميذه . ولا يعرف أكثرهم المنتشرين في العالم والمتابعين لما يكتب [illegible] وكأنه يكتب خطابا خاصا لا مقدمة عامة لكتاب عام : « يبدو أن تأخير صدور هذا الجزء يرجع إلى أسباب صحية فإن قوة إبصاري تتضاءل مع مرور الوقت ، ويزداد عندي عناد تصلّب المفاصل ، مما يجعلني أكتب بصعوبة . وقد اضطرني هذا إلى الاستعانة بكثير من زملائي في إنجاز الجزء الأخير

من : تاريخ الأفكار الدينية ، وكان اختيارهم من تلاميذي السابقين »

ثم يذكر بعد هذا كيف عدَّل خطة الكتاب تحت ضغط ظروفه الصحية ، ووعد في المجلد الختامي أن يقدم عرضا للديانات القديمة والتقليدية في أمريكا وافريقيا ، واستراليا وما حولها من الجزر . وسيحاول في الفصل الختامي أن يحلل الإبداع الديني في المجتمعات الحديثة .

فهل ترك المؤلف هذه الأصول كاملة ؟ هل ترك موادها العلمية ليقوم بها واحد أو أكثر ممن عاشوا معه هذه التجارب الطويلة ؟ وهل يظهر المجلد الختامي ؟ ومتى ؟ سؤال تجيب عنه الأيام بعد أن بارح المؤلف دنيانا عام ١٩٨٦ بعد إنجاز المجلدات الثلاثة الأولى .

ذكرت هذا الجانب الإنساني من حياة المؤلف لنعيش معه جانباً من المعاناة الجادة ، ونتصوره مع تقدم السن وضعف النظر ، وتصلب المفاصل ، جالسا إلى مكتبه ، وإلى جواره زوجته الوفية التي يذكرها بكل المودة في ختام المقدمة . ويهدي إليها هذا المجلد . وهو عابد في محراب العلم ، لا يسقط قلمه إلا مع توقف الحياة ، وتطوى صحيفة المؤلف وتبقى صحائفه التي كتبها حية من بعده

قصة الغرانيق

تناول الكاتب في الفصل الثالث والثلاثين من مجلد الثالث (ص ٦٢ ـ ٨٤) الرسول والرسالة . تحت عنوان « محمد وظهور الاسلام » . وبدأ بالبحث في عقيدة الألوهية عند العرب ، وبمكانة مكة والكعبة . وفي ص ٦٤ وجدت عنوان « قصة الغرانيق » ويقول فيها : « ومن هو أهم هو وجود ثلاث إلاهات في وسط الجزيرة العربية مناة (القدر) ، واللات (هي مؤنث الله) ، والعزى (القوية) . وكان ينظر إليها على أنها « بنات الله » ، وكانت تتمتع بشهرة واسعة . حتى إنه في بدء الدعوة أخطأ محمد (وقد صحح خطأه فيما بعد) ، ومدح وظائفها باعتبارها وسائط إلى الله » . وعاد الكاتب مرة أخرى إلى قصة الغرانيق في (ص ٦٨) ، وذكر ما جاء في سورة النجم ، بعد قول الله تعالى : « أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى » .

يقول : «يقول الحديث : إنه بعد هذه الآية جاءت آيات فيها « تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى » ، ولكن محمدا بعد ذلك تنبه أن هذه الكلمات من وحي الشيطان ، فبدلها على النحو الآتي : « ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذن قسمة ضيزى . إن هذه إلاّ أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان . إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى » (النجم : ٢١ ـ ٢٣) (انتهى النص مع ذكر الآيات كاملة) .

ونسير بعد هذا مع المؤلف وهو يعلق على القصة فيقول :

« ولهذه القصة أهمية لأمرين . أولا : إنها تظهر إخلاص الرسول ، فلقد أدرك وهو يتلو كلمات نزل بها الوحي المقدس أن الشيطان قد خدعه . والثاني : انه أعلن إلغاء هاتين الآيتين والوحدانية المطلقة لله . وإن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي يمارس نسخ آيات من الوحي . انتهى تعليق المؤلف (ص ٦٩) ، وإن أضاف إلى الهامش في الصحيفة نفسها آية النسخ ، وذلك قوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير » (البقرة : ١٠٦)

وأود أن أقف عند هذا الحد من عرض ما جاء عن قيام الإسلام في هذا الفصل من الكتاب ، وإن كانت هناك استدراكات واستنتاجات ونقول تحتاج إلى وقفات . ذلك لأن القصد هو تحديد مسؤليتنا نحو مراجعنا أولا ، لتكون المعلومات الصحيحة قريبة من أيدي كُتاب تنتشر مؤلفاتهم عالميا ، ولهم مكانتهم . ومن حق الإسلام علينا

أن نُقرّب صحيحه إلى أيديهم . ومن أجل ذلك سيكون التركيز على قصة الغرانيق كنموذج أساسي .

وليس « مرّسيا إلياد » هو الكاتب الجاد الوحيد الذي أورد هذه القصة معتمدا على مصادر إسلامية [illegible] مكسيم رودنسون في كتابه [illegible] الانجليزية [illegible] ص ١٠٦ ـ ١٠٧) [illegible] [illegible] تفصيله هذا الأمر.

[illegible]

عودة إلى الطبري

[illegible] ١١٩٢ ـ ١١٩٤ ، [illegible]

[illegible] والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » . فلما انتهى إلى قوله « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » ألقى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه ، ويتمنى أن يأتي به قومه « تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن ترتجى » (وفي روايات أخرى لترتجى) ، فلما سمعت ذلك قريش فرحوا [illegible] ما ذكر به آلهتهم ، فأصاخوا له [illegible] حتى إذا انتهى إلى السجدة [illegible] المسلمون بسجود [illegible] من في المسجد [illegible] ذكر آلهتهم.

وخرجت قريش [illegible] سمعوا من ذكر آلهتهم [illegible] الحبشة ، [illegible]

[illegible] على [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم » (الحج ٥٢) . فأذهب الله عز وجل عن نبيه الحزن ، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم [illegible] اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى « ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذن قسمة ضيزى » (أي عوجاء) . إلى قوله تعالى « لمن يشاء ويرضى » . أي فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده . فقالت قريش . ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتكم فغير ذلك وجاء بغيره » . ونكتفي بهذا من نص الطبري ، وقد جاء في تفسيره ، كما جاء في تاريخه .

ولكن ما منهج الطبري ؟

ولنذكر سطورا من منهج الطبري كما جاء في مقدمة تاريخه ، ولنرحل مكانته الكبيرة بين مؤرخين والمفسرين . يقول (١ : ٦ ـ ٧)
« وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه ، مما شرطت أني راسمه فيه ، إنما هو على ما رويتُ من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه ، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه دون ما أدرك بحجج العقول ، فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ، مما يستنكره قارئه ، من أجل أنه لم يعرف له وجها من الصحة ، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قِبَلنا ، وإنما أديناه على نحو ما أدي إلينا » انتهى .

فليس من العدل العلمي في شيء أن نقول : قال الطبري ، او هذا رأي الطبري ، إلا إذا قال هذا صراحة . والرجل أراد أن يكون كتابه مرآة عصره ، وأسند كل خبر إلى راويه ، وعلى القاريء أن يزن الخبر في سنده ومتنه .

فماذا قال علماؤنا في نقد قصة الغرانيق ؟

ونبدأ بالتفسير اللغوي للكلمة : فالغرنوق ـ كما جاء في لسان العرب ـ الناعم المنتشر من النبات ، والشاب الناعم الجميل .

وطائر أبيض . وطائر أسود من طير الماء ، طويل العنق . وتلك الغرانيق العلا : هي الأصنام ، وهي في الأصل الذكور من طير الماء . أو من الطير عامة . وكانوا يزعمون . (ولازلنا مع لسان العرب) أن الأصنام تقربهم من الله عز وجل وتشفع لهم إليه ، فشبهت بالطيور التي تعلو وترتفع في السماء . (انتهى) .

وسنذكر نقد مولانا شبلي نعماني لهذه القصة ، ومرجعنا كتابه القيم « سيرة النبي » (١ : ٢٢٣ ـ ٢٢٥) من الترجمة الانجليزية عن الأصل الأوردي . يقول : « إن القصة كلها سخيفة غير معقولة ولا تستحق الذكر . وإن أكثر المحدِّثين الأعلام قالوا : إنها كاذبة وموضوعة مختلقة . ومن هؤلاء البيهقي والقاضي عياض والعيني والحافظ المنذري والإمام النووي » . ويستند في هذا إلى ما جاء في كتاب « المواهب اللدُنِّية » للزرقاني تحت عنوان : هجرة الحبشة (١ : ٣٣٠) معزوًا إلى مؤلفات هؤلاء الأعلام .

ويعقب شبلي على ورود القصة في تاريخ الطبري مع عظمة منهجه ، وعند بعض المؤرخين الآخرين بقوله : « وإنه لمن المؤسف أن ترد هذه القصة بسندها عند بعض المحدثين كالطبري ، والأشد إثارة للدهشة أن عالما جليلا كالحافظ بن حجر العسقلاني ، وهو من أعلام المحدثين ، يذكر لها ثلاثة أسانيد في كتابه « فتح الباري شرح صحيح البخاري » يرى أنها ترفعها إلى درجة الصحيح عند الذين يقبلون الأسانيد المرسلة وهذا القول ينقله شبلي عن الزرقاني أيضا

ما ذكره العلماء

ثم ينتقل بعد هذا إلى صلب الموضوع ، إلى المتن ، بعد أن تكلم عن الروايات . يقول : « والحقيقة هي أن المشركين كان من عاداتهم إذا سمعوا الرسول عليه الصلاة والسلام يقرأ القرآن صاحوا ، وأضافوا بعض قولهم إلى ما يسمعون ، ويوضح القرآن ذلك في قوله تعالى : « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » (فصلت : ٢٦) .

ويذكر ياقوت الحموي في « معجم البلدان » تحت مادة « العزى » : كانت قريش تطوف بالكعبة وتقول : واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، فإنهن الغرانيق العُلى . وإن شفاعتهن لترتجى » .

بعض هؤلاء الشياطين (أي الكفار) لابد أنه كرر هذه الكلمات أو صاح بها عندما قرأ الرسول صلى الله عليه وسلم سورة النجم . وظن بعض الحاضرين ممن كانوا بعيدين عن الرسول أنه هو

الذي قالها . ولابد أن المسلمين تحدثوا في هذا الأمر ، وقال بعضهم لبعض إن شيطانا من الكفار هو الذي ألقى هذه الكلمات في صورة كأن الرسول هو الذي قالها . وظلت القصة تنتقل من فم إلى أذن ، حتى أصبحت في صورة أن الشيطان وضع هذه الكلمات في فم الرسول صلى الله عليه وسلم

وهذا ليس حدسا أو استنتاجا . ولكن علماء سابقين ذهبوا إلى توضيحه يقول الزرقاني في « المواهب » . قال البعض . إنه عندما تلا الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : ومناة الثالثة الأخرى . ظن المشركون أن سيعقبها تسفيه آلهتهم ، فصاحوا بهذه الكلمات كما هي عادتهم (يقصد تلك الغرانيق العلى) وذلك لكيلا يسمع الحاضرون القرآن ، وليلبسوا عليهم ما يسمعون ، والمقصود بالشيطان هنا الكافر . (شبلي نقلا عن الزرقاني في « المواهب » ١ : ٢٨٥)

ويضيف مولاي محمد علي في حواشيه على ترجمته لمعاني القران في سورة النجم . « إن هذه الايات اتخذها بعض الكتاب الغربيين أساسا لقصة مختلقة سموها « زلة محمد » ، أو « تراجع محمد » ، أو « مهادنة محمد للوثنية » (ص ١٠٠٢ ، ١٠٠٣) من ترجمته ، هامش رقم (٢٣٨٢) .

ويشير إلى ورود القصة عند الطبري والواقدي ، بينما حياة الرسول صلى الله عليه وسلم دعوة متصلة للتوحيد وتسفيه دائم للوثنية . ومع هذا يعقب سير وليم موير ، في كتابه « حياة محمد » قائلا : « إن الخلف من المسلمين الأتقياء يرفضون « زلة الرسول » ، في اتفاق واضح وسافر ، كأن السلف من المسلمين الذين قبلوا القصة لم يكونوا أتقياء مثلهم » . ويرد مولاي محمد علي على هذا بقوله : « وهذا طعن مردود . فليس هناك حديث صحيح واحد يؤيد هذه القصة » . وان محمد بن اسحق وقد توفي عام ١٥١هـ لم يذكر هذه القصة ، وأقدم رواة سير وليم موير هو الواقدي وكان مولده بعد ذلك بأربعين عاما وعندما سئل ابن اسحاق عن هذه القصة قال « إنها من وضع الزنادقة » وكان البخاري ، وهو أمير المؤمنين في الحديث النبوي معاصرا للواقدي . ولا يذكر البخاري في الصحيح أي شيء عن هذه القصة ، وذكر حديثا مرسلا عن ابن عباس في السجود في اخر سورة النجم .

والواقدي من الضعفاء عند معاصريه . ويذهب « الذهبي » في كتابه « ميزان الاعتدال في نقد الرجال » إلى أن بعض روايات الواقدي موضوعة . هذا وإن كتب السنة الستة الصحيحة لا تذكر هذه القصة إطلاقا .

وتحوي من الأحاديث ما يناقض القصة كاملة ، فإدخال قصة الغرانيق في سورة كلها دعوة إلى التوحيد ونبذ الوثنية ، هذا الإدخال لا مجال له من عقل أو نقل أو دين . ولنا أن نقرأ ما بعدها من الايات إلى نهاية سورة النجم ، لنرى كيف تؤكد التوحيد ، وتتحدث عن عظمة الله وقدرته . فكيف يكون في كل هذا الوضوح تراجع أو مكان لزلة أو مهادنة ؟ إن تحليل الآيات ومسارها يضاد قصة الغرانيق جملة وتفصيلا . التوحيد هو القضية المحورية في الإسلام ، ولا مجال فيه لأي مساومة . هذا وقد تناول القصة ونفاها عقلا ونقلا كتاب محدثون لهم مكانتهم ، نذكر منهم : محمد حسين هيكل في كتاب « حياة محمد » ، وأستاذنا الشيخ محمد أبو زهرة في كتاب « خاتم النبيين » .

ماذا علينا من حق نحو السيرة النبوية ؟

إن قراءة مراجعنا الأصيلة ، كتاريخ الطبري ، له قواعده التي رأينا جانبا منها . ومن الخطأ أن نرسل القول فيما رواه دون أن نذكر إسناده ، وأن نبين قوة هذا الإسناد ، بالاضافة إلى نقد المتن نفسه . وهذا ليس أمرا ميسرا على

قارىء أو طالب بحث . ومن هنا تبدو مسئولية المجامع الإسلامية المعاصرة . وأتصور أننا في حاجة في السيرة النبوية إلى أمور منها :

١ ـ كتاب في كيفية التعامل مع أمهات الكتب الإسلامية التي تناولتها ، والمناهج التي اتبعتها في عرض المادة العلمية واختيارها وتحليلها .

٢ ـ كتابة السيرة النبوية المصفاة من هذه الشبهات ، كقصة الغرانيق ، وقد ضربنا بها المثل في هذا المقال .

٣ ـ تناول السيرة ونقد الشبهات معاً ، ولعل من أفضل الكتب التي رجعت إليها في هذا الأمر كتاب « سيرة النبي » لمولانا شبلي نعماني ، ومولانا سليمان الندوي الذي تولى إتمام الكتاب بعد وفاة شبلي ، رحمهما الله تعالى . وقد كتبت عن هذا الكتاب القيم مقالا في « العربي » (العدد رقم ٢٣٢ مارس ـ اذار ـ ١٩٧٨) ، عرضت فيه منهجه المتفرد ، وكيف اشترط في كتبه السيرة شروط رجال الحديث ، لا رجال التاريخ ، ودعوت إلى ترجمة أجزائه السبعة من اللغة الأوردية إلى اللغة العربية ، والوصول بمناقشته لشبهات المستشرقين إلى الوقت الحاضر .

٤ ـ أن يترجم هذا الإنتاج إلى اللغات العالمية ، وبخاصة الانجليزية والفرنسية ، بحيث يكون ميسرا أمام الباحثين في الغرب والشرق .

وليت هذه الأعمال تصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي ، أو بتعاون بينها وبين المنظمات والمجامع الإسلامية المتخصصة ، ليكون لهذه الكتب وزنها من حيث جهة الإصدار ، بالإضافة إلى وزنها العلمي الرصين .

ولا أتصور هذا جهدا فرديا ، أو جهدا ينتهي بإصدار عدة كتب ، وإنما هو جهد متجدد ، يمثل خطين أساسيين : الأول عرض واسع وموضوعي للسيرة النبوية . والثاني دفاع ونقد للشبهات . والخطان يمثلان دورا إيجابيا في الحوار الديني المعاصر والحوار الباقي ما بقي الفكر والدين . □



مرايا مقفرة لوجه الفتى الشاعري

شعر :
فاضل عزيز فرمان*

(١)

يداه في الشُطآن
وروُحه تَبْدُو كنسرٍ حائرٍ
يحومُ فوقَ غابةِ الأحزان
يغوصُ في الماءِ طوالَ عُمْرِهِ
ويَشْتَكِي مِنْ قَلْبِهِ الظَمْآن

(٢)

لَمْ ألتفِتْ إليه
ساعةَ نَادَى :
يا فتى ، تعالَ لي
لَمْ ألتفِتْ إليهِ
لكنْ رُوحي هَرَبَتْ مِنْ جَسَدِي
وَأسْلَمَتْ أجْفانَها
للنومِ ما بينَ مُروجِ الوردِ في يديه

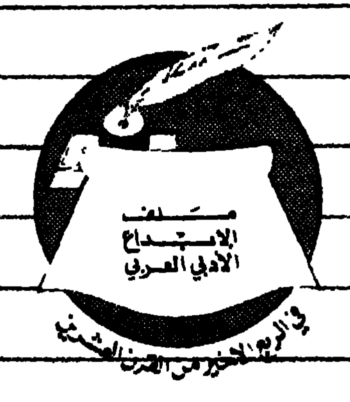
(٣)

شَدَّ عَلَى أصَابعي ، يَظُنُّني أخاف !
أسْرَجَ لي حصانَهُ المُقطَعِ الأطْرَاف
لَوَّحَ لي باللؤلؤ المكنونِ في الأصْدَاف
قُلْتُ له : يا سيدي العَرَّاف
ماذا ترى يفعله البحار ، في سفينةٍ مثقوبةٍ ،
بطيبة الشراع والمِجْدَاف ؟؟

(٤)

أيْقَظَ بي قصيدةً
وَصَاحَ بي : الله !!
مِنْ يومها
أصبحتُ مثلَ ريشةٍ
أطيرُ أوْ أحطُّ مِثْلَ ما
يريدُني هواه !!

* شاعر من القطر العربي العراقي



تقديم

ونحن على مشارف التسعينيات من هذا القرن ، استشعرنا حاجة القارىء المهتم بتطور الإبداع الأدبي في مجالات الرواية والقصة القصيرة والشعر والمسرح الى نظرة شاملة ، على خريطة هذا الإبداع في مختلف الأقطار العربية ، فبمثل هذه النظرة يمكن للقارىء أن يلمح التيارات الفنية والفكرية التي تؤثر في مسيرة هذه الأجناس الأدبية ، والتي تؤدي الى سيادة تيار أو انحسار آخر ، وأن يلمح العوامل الظاهرة ، أو الكامنة ، وراء هذه التيارات .

ومن أجل توفير مثل هذه الخدمة الثقافية لقارىء « العربي » فكرنا في السبل الملائمة ، فاستقر الرأي على تناول الوطن العربي ، من خلال وحداته الجغرافية الرئيسية ، مع ادراكنا الواضح لوحدة الثقافة العربية

ولم يكن الهدف التأكيد على جوانب اختلاف الأجناس الأدبية بين هذه الوحدات ، أو إعطاء أهمية خاصة للعامل الجغرافي ، أو الاعتقاد بأن مسيرة هذه الأجناس الأدبية في كل بلد تأخذ منحى خاصا بها ، بل كان الهدف هو إعطاء الفرصة لكي تبدو الصورة الأدبية في كل وحدة من هذه الوحدات واضحة المعالم ، بأفضل درجة ممكنة حين يكتب عن كل وحدة كُتاب من أهلها ، هم أكثر دراية بدقائق الصورة الإبداعية فيها ، وكي تتاح أيضا الفرصة للقارىء ليستخلص بنفسه في النهاية وجوه الاتفاق أو الاختلاف بين هذه الوحدات . ومن خلال حرصنا على أن تكون الصورة المقدمة أقرب الصور الى الموضوعية ، فقد عهدنا في كل وحدة من هذه الوحدات الى أكثر من ناقد ، وحرصنا على أن يمثل النقاد في كل وحدة أكثر من اتجاه فني أو فكري !

ودائما ستبقى هناك مسافة بين الطموح والإنجاز ، ولذلك فنحن نشكر الأساتذة الأفاضل الذين تفضلوا بالإستجابة لدعوتنا لهذا المشروع ، ونشكر أيضا أولئك الذين حالت ظروفهم دون هذه الاستجابة ، فاعتذروا لنا وللقراء ، وسوف نواصل نشر الدراسات والأبحاث التي وصلتنا بترتيب الأجناس الأدبية واحدا إثر الآخر خلال هذا العام . □

المحـــــرر



واقع الشعر

في الجزيرة العربية والخليج

بقلم : الدكتور عبد العزيز المقالح

لم يكن الشعر الجاهلي ـ كما تذهب الى ذلك بعض الدراسات ـ مقصور الوجود على أواسط الجزيرة أو على بعض أطرافها ، بل كان صوت العروبة القديم ، ولحنها الذي كانت رحلات نشأته وتقويمه ونقده تسير سنويا ، عبر أسواق « دومة الجندل » بجنوب الشام ، الى « هجر » في البحرين ، وتنطلق من « دبا » في عمان ، الى حضرموت و « عدن » ، ومنها تصعد الى « صنعاء » ، لكي تصل بعد ذلك الى « عكاظ » في الحجاز . هكذا كانت الجزيرة بأطرافها مهدا تاريخيا شاملا للقصيدة الحافلة بالأسرار والجملة المثيرة . وقد لانغلو إذا نظرنا الى ذلك الشعر باعتباره عملية توحيد ، تهدف الى تأكيد الذات العربية في إطارها الجغرافي القديم . ثم إذا نظرنا إليه باعتباره عملية تمهيد للدور الذي قامت به الجزيرة العربية في مرحلة لاحقة . وإذا كان القرآن الكريم بلغته المتميزة ، ونظام تشكيله الفريد ، قد خلخل توازن القصيدة ، وأعطى خلال فترة قصيرة شعورا مؤقتا بأن الشعر قد استوفى زمنه ، فإن صوت الشعر الوئيد الذي أفاد من القرآن قد عاد بعد ظهور الإسلام أكثر استواء واستيعابا لمضمون الزمن الجديد وشكل الحياة المختلفة . وإن كان ذلك قد حدث بصورة أكثر اكتمالا خارج نطاق الجزيرة وبعيدا عن أطرافها المعروفة الآن .

بدايات التحديث :

تتشكل الجزيرة العربية بأطرافها وحدة جغرافية ، لاغنى لأواسطها عن أطرافها ، والعكس صحيح ، وعلى الرغم من الرابط الجغرافي الذي لايمكن انكار تأثيره ، فإن أحدا لايستطيع أن ينفي التباين القائم بين الأجزاء التي تتكون منها الجزيرة ، سواء ذلك التباين الذي يرتبط بالمظاهر المتنوعة للطبيعة والمناخ ، أو ذلك الذي يرتبط بالمؤثرات الخارجية . وكانت عدن والبحرين أكثر الأطراف تقبلا للمؤثرات الثقافية والأدبية ، وقد كانت « عدن » كما كانت « المنامة » أكثر تجاوبا مع هاجس التحديث الشعري من بقية الأطراف التي سقطت في براثن الاحتلال . ويمكن القول دونما تحفظ ان المؤثرات الأجنبية في هذين الطرفين من أطراف الجزيرة لم تكن ذات حضور أدبي فاعل ، وإنما كان الحضور الفاعل والتأثير الغالب للمؤثر العربي الوافد من المركز المتقدم شعريا وثقافيا ،

والذي تمثله مصر والشام والعراق ، ثم للوافد العربي من المهجر الأمريكي . حيث نححت الشعرية العربية في تأسيس حركة ابداعية متطورة ، أفاد منها الشعر في الوطن العربي بمختلف أقطاره ، وتجدر الإشارة الى أن الشعر العربي في الأقطار العربية التي شكلت مركز التأثير خلال النصف الأول من هذا القرن ، قد وصل الى أقصى مستويات التطور في بنيته الجمالية والتقليدية ، وبات على مشارف مرحلة معاصرة جديدة ، تسعى الى الخروج من تأثير النموذج الذي خضع للتقليد والتكرار . وكان نظام المقطعات والمبيتات والتنويع في القوافي قد استنفد أغراضه . كما كانت الإحيائية قد أسلمت الشعر الى الكلاسيكية الجديدة ، ومنها الى الرومانتيكية ، حيث تم التركيز على جماليات اللغة وانتقاء الألفاظ الموحية . وبدأ الشعر شيئا فشيئا يكتشف لغته الجديدة ، فليس من المعقول في شيء ، بل ربما كان من غير المنطقي ، أن تعبر اللغة القديمة عن تجربة جديدة .

حدث ذلك بينما كان الشعر في منطقة الجزيرة والخليج أسير المحافظة السلفية ، يدور في فلك القدماء ، ويستنسخ أساليبهم ، ويحاكي قصائدهم قافية ووزنا . ولسنا بصدد عقد المقارنات بين ما كانت عليه حال الشعر في الجزيرة وبين ما كان عليه الشعر في مصر والشام والعراق ، لكننا نرغب في توضيح الفارق الكبير بين مستوى الشعر في المركز ومستواه في الأطراف والهوامش ، وما كان يعكسه هذا الفارق من تفاوت ملحوظ في خط التطور العام للحياة الثقافية والفكرية . وفي حين كانت التجربة الشعرية في الأقطار العربية المتقدمة تسعى الى اقامة الجسور مع تجربة الشعر العالمي بآفاقه الواسعة ، كانت الجزيرة تسعى - كما سبقت الإشارة - الى استقبال المؤثرات الشعرية العربية ابتداء من محاكاة أساليب شوقي وحافظ والرصافي مرورا بالكثير من عناصر التجديد عند جبران والعقاد وعلي محمود طه ، وقد أفرزت هذه التلمذة عشرات الشعراء في اليمن والسعودية والكويت والبحرين . ويستطيع حتى الدارس غير المتخصص أن يلمس صدى هذه المؤثرات في أغلب التجارب الشعرية التي صدرت في المنطقة.وقد صار واضحا أنه لاتطابق بالضرورة بين حالة الانحطاط السياسي والاجتماعي وفترات انحطاط الفنون والاداب ، والأمثلة على ذلك كثيرة لدى مختلف الشعوب وتكاد تكون واضحة في الجزيرة وبعض أطرافها عندما أثبت الشعر أنه قادر على النمو ، وعلى تحقيق قدر لابأس به في ظروف بالغة الجدب والتردي ، كما استطاع نفر من الشعراء في المنطقة أن يتجاوزوا ، في وقت قصير ، العلاقة شبه الوثيقة بين الواقع والإبداع ، وأن يتمكنوا من امتلاك ناصية الإبداع الشعري المتميز والمرتبط بأحلام الجزيرة وأحزانها .

ومن المهم في نهاية هذه الإشارات التي استهدفت رصد ملامح بدايات التحديث في شعر الجزيرة والخليج أن نشير الى أن السلفية الشعرية التي شهدتها هذه المنطقة ، في النصف الأول من هذا القرن ،قد تحولت ابتداء من الأربعينيات الى نزعة تأصيل وتطويع للقصيدة ، للدخول في مسارات العصرية ، وأن أهم



●ابراهيم العريض



الشعراء الذين ظهروا في هذه المرحلة قد كانوا حريصين أن تلحق بأسمائهم صفة العصرية، بما يوحي به هذه العصرية من رغبة في حلول الجديد في مواجهة التقليدي الجامد وتخطي، من بعض أن التجديد في الآداب والفنون «موضة». تمكن لأي شعب أسلافها أو احتواء مؤثراتها من خارج التجربة الابداعية ومورونها. فالجديد الحقيقي ينبثق من قاعدة القديم الحقيقي. ولا ينهض من العدم او يتسرب من الخفاء، واستكمال الكلاسيكية الجديدة لدورها من شروط الانتقال الى غيرها من المراحل. والشعر العربي المعاصر بوجه خاص ما كان ليصل الى ما وصل اليه من تقدم لو لم يكن الصوت الكلاسيكي بإيقاعاته الطللية والأندلسية والمهجرية قد مهد له وأعلن عن عدم قابليته للتكرار والتناسخ، وهنا يمكن القول أنه بفضل محمد محمود الزبيري في اليمن، ابراهيم العريض في البحرين، وحمزة شحاتة في السعودية، وفهد العسكر في الكويت، وبفضل الجهد الخارق لأضرابهم من شعراء الجزيرة والخليج الذين وصلت القصيدة الكلاسيكية الجديدة على أيديهم الى ذروة تطورها، أقول إنه بفضل هؤلاء وهؤلاء تمكنت القصيدة من الاستجابة بسهولة لطبيعة التحولات التي عرفها الشعر العربي المعاصر في الأقطار العربية المتقدمة، كما نجحت في إدراك مفهوم حركة التجديد وتمثل خصوصيتها الشعرية.

واقع الشعر خلال ربع القرن الأخير:

في الخمسينيات من هذا القرن بدأت العزلة الباردة التي كانت تحيط الجزيرة والخليج بالتكسر، وعلى عكس القول الذي ذهب الى (أن العرب أكبر المستفيدين من الاستعمار الذي أخرجهم من الجمود الى الحركة)، فقد كان الاستعمار في الجزيرة والخليج من أهم عوامل التمزق والجمود. وكانت الأصوات المنادية بالتحرر من سطوته، وما رافقها من مدى قوى هي التي أسهمت في خروج الجزيرة وأطرافها من الجمود الى الحركة. وقد شهدت الستينيات بدايات هذه الحركة المناوئة للجمود، فقد استعاد الكويت استقلاله الوطني في عام ١٩٦١.

وفي سبتمبر ١٩٦٢ قامت الثورة اليمنية التي أخرجت الشطر الشمالي من سراديب القرون المظلمة. وأدت الى تحرير الشطر الجنوبي من الاحتلال الذي استمر ما يقرب من قرن ونصف قرن وبفضل الثورة في شطري اليمن تمكن الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز من القيام بانقلابه الإصلاحي الذي فتح المملكة العربية السعودية على آفاق العصر. وتجسيدا لانفجارات مرحلة الثورة والتحرر استرجعت بقية الأطراف استقلالها، وصار الطريق أمام أبنائها مفتوحا نحو نهوض متدرج ومتفاوت الأبعاد في المجالات الابداعية والفنية.

وهكذا يحق للدارسين أن يعدوا الستينيات عقد الثورة الشاملة في الجزيرة والخليج، وإذا كانت هذه الثورة قد أخذت أشكالا مختلفة في الإعداد والتنفيذ فإنها قد خلقت في أوساط المبدعين شعورا موحدا بضرورة تجاوز التخلف الإبداعي، وأطلقت في سماء المنطقة حوارا جادا - ما يزال يتواصل - حول التغيير المطلوب، وضرورة أن يكون التعبير الأدبي، أيا كان نوعه، جزءا لايتجزأ من هذا العصر ومضامينه وتقنياته. وقد كان الشعر - وهو أجمل أحلام الجزيرة - أول متأثر بهذه التحولات، فقد عادت أصواته الغارقة في أعماق الزمن الى التصاعد، ، وتذكرت الصحراء التي كاد

الجمود يحرسها أطياف العصر الذهبي للكلمة ، بعد أن تلقفت بوعي أصيل صوت الموجة الشعرية الجديدة ، وهي الموجة التي أصبحت على الرغم من كل السلبيات ظاهرة شعرية عربية ، قادرة على استيعاب التحولات المتسارعة في الواقع العربي المعاصر ، وقادرة على التعبير الخلاق عن الروح المتجددة للأمة العربية .

وفي ضوء هذه الإشارات الموجزة نستطيع أن نفهم كيف تسنى للتجربة الشعرية الجديدة التي أرست قواعدها في المركز المتقدم أن تنطلق الى الأطراف والهوامش ، وأن توسع نطاق المعنى الحيوي الذي يبنى عليه الحدث في سيرة الشعر العربي الحديث ، في الجزيرة كما في غيرها من الأقطار القريبة والبعيدة . ونستطيع على ضوء هذا المعنى نفسه أن نقول بكل الموضوعية : إن الشعر الذي يمكن الحديث عنه الآن ، في منطقة الجزيرة والخليج ، خلال العقدين الماضيين من هذا القرن ، هو هذا الشعر الذي يحمل السمات العامة للعصر . وأن الأصوات الشعرية الجديدة في أقطار المنطقة هي الأصوات الجديرة ، لا لأنها اختارت الاندماج بعالم جديد ثقافيا وإبداعيا وحسب ، وإنما لأنها قبلت بقانون التحدي والاستجابة على مستوى الإبداع الشعري ، إذ أنه لا أحد في هذا العالم المتحرك المفتوح يستطيع ، بعد كل ماحدث ويحدث ، أن يدير ظهره للتحديات الملتهبة ، أو أن يحدد مسارا ينعزل به ثقافيا وإبداعيا عن روح العصر ومستجداته التعبيرية .

ويبدو أن المنطلق الذي يتعين علينا البدء منه ـ وقد وصلنا بعد مجموعة من الاشارات الى صميم موضوعنا ، وهو واقع الشعر في منطقة الجزيرة والخليج ـ هو الاعتراف بأهمية المقولة التي تذهب الى أن الشعر كالحقيقة لايأتي من طريق واحد ، وأن أهمية المركز بالنسبة للأطراف



● فهد المسكر

أو الهوامش قد اقتصرت على بدايات التكوين ، أو بالأصح على مرحلة المحاكاة .

انجازات طيبة

أما بعد أن استحوذ الهم الإبداعي على شعراء المنطقة ، فقد تفلتوا من الوقوع في دائرة التجارب الزائدة . وأصبح كل شاعر موهوب قادرا بثقافته الشعرية المعمقة أن يبحث لقصيدته عن منطقها المألوف أو المدهش في مجاله الخاص . وأن يتعامل مع أسرار التشكيل الشعري من خلال معاناته وطاقاته ، لامن خلال معاناة السابقين عليه وإنجازاتهم . ويصدق هذا القول على شعراء البحرين بشكل خاص ، فقد حققوا بعض الإنجازات الطيبة ، واستطاع نفر منهم أن يقدموا ، في إطار المشروع الشعري الجديد ، ما يمكن اعتباره إضافة نوعية مستندة في تجلياتها الى هم اجتماعي ، وتقنية جمالية ابداعية ، متمثلة في كل أشكال التعبير الخلاق ، سواء التراثي منها أو العالمي . فقد دخلوا الى مدينة الشعر مؤسسين ومتسائلين ، كما في ديوان « انتماءات » لقاسم حداد

لبست المدينة
وهيأتها للجهال
وفوبتها في الخيال



غسلت المدينة
وحولتها في رحيلي
وأغرقتها في حليب الطفولة
صبغت بها الدم
أنشدتها في العناقات
أسستها في السؤال

لقد تجاوز عدد من الشعراء ، في منطقة الجزيرة والخليج ، إرهاصات القصيدة الخمسينية ، وإحباطات القصيدة الستينية ، وحاولوا المشاركة في خلق تجربة شعرية ، قادرة على استيعاب الواقع المعاصر ، بتقلباته وتناقضاته ، وبطقسه المفعم بالمواعيد والنبوءة . ويلاحظ أنه في الأقطار التي تمكنت فيها القصيدة البيتية من إنجاز مهمتها التاريخية فإن الاستجابة للجديد تبدو أكثر تحققا وحضورا . والحال على العكس من ذلك في الأقطار التي لما تتمكن القصيدة البيتية فيها بعد من إنجاز تلك المهمة ، إذ ما تزال القصيدة الجديدة هناك تعبيرا عن فعالية محض لغوية غير مستقرة . وعلى سبيل المثال فإن القصيدة السائدة في عمان هي القصيدة السلفية التي يزاحمها مثل هذا الصوت ـ سيف الرحبي في ديوان « رأس المسافر » ـ الضارب بمغامراته في أغوار المستقبل

كل شيء بدأ
كل شيء لم يبدأ
هكذا أبدا
تموت وعول النفس في
خضرة الصراخ
هكذا تندلع حروب تغرق فيها
سفن الأفكار
وهكذا أيضا أحلم

إنني قائد أوركسترا
في جـــــزر
تشتعل فيها النيران .

ولا يكاد يختلف الأمر كثيرا في الإمارات العربية على الرغم من الجهد الخارق والعناء المشهود لبعض الشعراء الشبان الذين يحاولون ـ وسط اختلاط الأصوات المختلفة في المكان الواحد ـ أن تكون لهم تجربتهم المبدعة الخلاقة والقادرة على بعث أنفاس العصر في الهواء المحيط بها . وتتراءى في شمال اليمن وجنوبه. ملامح إنجاز شعري تتضح أبعاده عند جيل السبعينيات ، وتتأكد في جيل الثمانينيات ، وهو الجيل الذي تدور قصيدته في مناخ ينبثق طقسه من أساطير الجذور ، ومن ظلال كائنات التحول في زمن الابتداع والمغايرة ، حيث يقول شوقي شفيق في ديوانه « تحولات الضوء والمطر » :

أصيح : يا . . . .
منغلقا يرتد صوتي يا مليكة الزمان
معفرا بالطين وجهي ،
وأنا أقتات في رغيف الشعر
أقطع المسافة الآن الى مفاوز تمتد بين
القلب
والقصيدة . .
أدخل في المملكة الأشعار ،
أغسل العار الذي يعلق في مملكة الأشعار
وأفتدي الشعر بقلبي
أنقل الشعر الى مملكة يولد فيها الضوء
والنهار . .

وفي السعودية حيث بدأت القصيدة الجديدة لغة مرتبكة وصوتا صحراويا حائرا ، يبحث عن الحياة في الموت . هناك حيث تبدأ مواعيد الشعر

في أصفى معانيه ، وحيث يبتدىء عرار « نجد » اليابس بالاخضرار . هناك يعيد الشعر كتابة التاريخ ، ويمزج الماضي بالحاضر ، والحاضر بالمستقبل . حيث يقول الشاعر عبدالله الصيخان في ديوان « هواجس في طقس الوطن »

قم بنا
أيها الوطن المتعالي بهامات أجدادنا
أيها المستبد بنا لهفة وهوى
أيها المتحفز في دمنا
المتوزع في ذاتنا
أعطنا بصراً كي نراك ..

وعندما نقترب من الكويت حيث التوهج والإشعاع الثقافي الشامل ، وحيث الشهريات والدوريات ، وحيث يتم توسيع المجرى الأدبي الثقافي وتوزيع روافده الثرية الى بقية الأقطار العربية ، هناك نجد أن القصيدة الجديدة تكاد تعاش ولا تكتب ، أو أن الكويت قد اكتفى بما وصلت إليه القصيدة الكلاسيكية الحديدة من جودة تألق واتصال عميق بالجذور . ووحده « قطر » يقف صامتا أو كالصامت لايحضرني صوته الشعري . وربما كان الابن الأصغر في عائله الجزيرة والخليج ، وقد يكون حظه من الشعر بمقدار ما يتحقق منه مستقبلا لبقية أفراد العائلة .

عنصر الزمن

وتبقى في نهاية هذه الملاحظات إشارة صغيرة الى عنصر الزمن ، هذا الذي يلعب دورا متعاظما في فرض أسباب التحديث والنهوض . وطالما بقي للزمن مثل هذه القدرة على الحركة ، فإن الأسباب الداعية الى تغيير الأنماط الأدبية والفنية تبقى قدر كل الأجيال . وفي ظل هذا القانون الزمني صار من حق كل جيل أن يعيد النظر في الموروث الأدبي ، حتى لاتأسن تقاليده وتتعفن أشكاله . وما يحدث للشعر في منطقة الجزيرة العربية الأن قد حدث له عبر عصور الازدهار المختلفة ، على الصعيد النظري والتطبيقي ، فإن كل تعبير في الآداب والفنون لايخرج عن كونه استجابة حقيقية لعناصر الحيوية والتقدم في حركة الزمن ومن هنا فالقصيدة الراهنة في واقع هذه المنطقة لاتحاول أن تكون نقيضا لما كان سائدا من قبل من شعر وحسب ، وإنما تحاول أن تكون استجابة واعية للزمن ومؤثرات العصر . □

أيهما أذكى ؟

وقف أحد الولاة على باب طحّان ، فرأى الحمار يدور بالرحى يطحن القمح ، وفي عنقه جرس فقال الوالي للطحان : « لماذا وضعت الجرس في عنق الحمار ؟ » .

قال الطحان : « ربما ذهبت الى خارج المطحنة أو الى غرفة الخزين ، فاذا لم أسمع الجرس ، عرفت أن الحمار قد توقف عن الدوار » .

فقال الوالي : « فما رأيك إذا توقف الحمار ، وحرّك رأسه بالجرس ؟ »

فقال الطحان على الفور : أطال الله عمرك ياسيدي .. أين الحمار الذي له مثل عقل الوالي ؟ !



حالة الشعر في مصر

خلال الربع الأخير من القرن العشرين

بقلم : الدكتور حامد أبو أحمد

شهد العالم ، خلال المائة عام الأخيرة تقريبا ، مجموعة من المذاهب والحركات والاتجاهات التي غيرت أنماط تفكيره ورؤيته للأشياء بصورة جذرية في جميع مجالات العلوم والفنون والآداب . فبعد أن كانت الرؤية تقوم على محاكاة الطبيعة أو الواقع أصبحت تنطلق من منطلقات أخرى ، فتوغل في استبطان الذات ، وتأمل ما يمور فيها من أحاسيس وانفعالات وأوهام وهواجس ، أو تغوص فيما وراء الحس ، في محاولة لاكتشاف الجوانب الأخرى الخفية في حياة الإنسان ، أو تلجأ إلى التعبير بالرمز لتوليد مجموعة من الإيحاءات التي تضفي على العمل الفني جواً من السحر والإبهام والغموض . حدث ذلك في الرسم مثلا على يد رائدين كبيرين ، هما بيكاسو وسلفادور دالي . وفي الرواية دخل تيار الوعي والمونولوج الداخلي على يد جيمس جويس ، وفرجينا وولف وغيرهما ، ثم أخذت الرواية في التطور ، حتى ظهرت اتجاهات أخرى عملاقة ، مثل التعبيرية أو خلق عالم آخر موازٍ للعالم الواقعي ومفارق له ، عند ستراند برج ، وفرانز كافكا ، وسواهما ، وظهور إلغاء الزمن عند مارسيل بروست ، وبخاصة في روايته الشهيرة « البحث عن الزمن المفقود » ، ثم كانت الرواية الجديدة التي بدأت تزدهر في أواخر الأربعينيات من هذا القرن ، على يد كتّاب من أمثال كلودسيمون ، وميشيل بوتور ، وناتالي ساروت ، في فرنسا ،وكثيرين غيرهم في كل أنحاء العالم . وتطورت الرواية تطورا كبيرا في أمريكا الشمالية ، ثم فى أمريكا الجنوبية ، وكل هذه التطورات كانت تعد ثورة في المضمون وفي التقنية وفي الرؤية .

تجريد الفن

وفى مجال الشعر ظهرت الحركة الرمزية في أوربا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وازدهرت بصفة خاصة في فرنسا خلال الربع الأخير من ذلك القرن ، وفي أوائل القرن الحالي حيث أثرت تأثيرا حاسما في الرؤية الشعرية وفي بناء القصيدة . وقد تميزت عناصر البناء الجديد في إحلال الخيال محل الواقع ، والتأكيد على حطام العالم لا على وحدته والمزج بين عناصر متنافرة وناشزة ، والتأثير السحري عن طريق الغموض والإلغاز وسحر اللغة ، واعتماد الذهن بديلا عن العاطفة ، وهو ما أطلق عليه بعض النقاد الأوربيين : « اطراح النزعة البشرية » ، وما أسماه الفيلسوف الناقد

الإسباني خوسيه أورتيجا إي جاسيت « تجريد الفن » ، وغير ذلك من عناصر شكلت ثورة حقيقية في تطور فن الشعر في العصر الحديث ، حتى صار هناك خط فاصل في مسيرة الشعر التاريخية : ما قبل الرمزيين ومابعدهم . ومن ثم ظهرت تنظيرات نقدية كثيرة ، تفرق بين الصورة الشعرية بمفهومها التقليدي العقلي المنطقي في الشعر حتى نهايات القرن التاسع عشر ، والصورة بمفهومها الإيحائي السحري الذي لا يدرك إلا بالعاطفة عند الرمزيين ومن جاءوا بعدهم .

وفيما يتعلق بشعرنا العربي فقد بدأت حركة التجديد به مرتبطة ارتباطا وثيقا بحركة التجديد في الشعر الأوربي ، ولم تكن مجرد أصداء للفكر الأوربي العام ، وبرزت حركة الشعر الحديث أو الحر في أواخر الأربعينيات ، وكان الجو العام يساعد على ظهور هذه الحركة : ذلك أن جماعة أبوللو والرومانسيين بعامة كانوا قد استنفدوا أغراضهم ، ووصلت تجديداتهم إلى نقطة الذروة في سياق حسهم الفني والتاريخي ، كما أن الاتصال بالثقافة والفكر والفن في أوربا قد أخذ في التعمق ، وتبلور لدى الأجيال الجديدة إحساس عام بالتغيير . ومن ثم جاءت حركة التحديث قوية عميقة مؤثرة ، وأحدثت هي أيضا خطا فاصلا بين مرحلتين : مرحلة طويلة ، تمتد من العصر الجاهلي حتى الخمسينيات . وأخرى تمتد منذ الخمسينيات حتى الآن . وهذه الفترة الأخيرة ، على الرغم من قصرها ، شهدت من ألوان التجديد ما يكاد يستعصي الآن على الحصر . وقد تواكبت هذه الحركة الجديدة في آن واحد تقريبا في كل أنحاء الوطن العربي ، فظهر روادها في العراق ومصر ولبنان وبعض الأقطار العربية الأخرى في أوائل الخمسينيات ، وكان نصيب مصر في هذه الحركة ظهور رائدين كبيرين ، هما صلاح عبدالصبور وأحمد عبدالمعطي حجازي ، بالإضافة إلى عدد آخر من الشعراء لم يأخذوا حظهم من الشهرة والازدهار .

● حافظ ابراهيم



● أحمد شوقي

ومنذ الخمسينيات حتى الآن ظهرت عدة موجات أو أجيال ، هي على التحديد جيل الروّاد ، ثم الجيل الثاني للحداثة ، أو الموجة الثانية ، ثم ما أطلق عليه : جيل السبعينيات ، وأخيرا صار الحديث يدور على استحياء ، حول جيل جديد ، يطلق عليه : جيل الثمانينيات ، وإن كانت ملامحه الفنية لما تتضح بعد . وكل هذه الأجيال تعمل حاليا في الساحة الشعرية بقوة ، لأن من بقوا من جيل الريادة ، أو الجيل الأول ، ما زالوا في سن (ناهزوا الستين عاما) يتيح لهم الفرصة للمشاركة في الحياة الأدبية بكفاءة واقتدار .

اتجاهات الشعر في مصر الآن :

إذن فنحن أمام مجموعة من الأجيال ، تنتمي لشعر الحداثة ، لكل منها خصائصه المميزة ، وتوجهاته الفنية ، يضاف إليهم تيار آخر ، لا يحق لنا أن نغفله عند التقسيم ، وهو تيار الشعر الكلاسيكي الذي يحاول جاهدا أن يشق لنفسه طريقا وسط هذه التيارات الحداثية ، بل إن أصحابه يحلمون بوأد حركة الحداثة ، والقضاء عليها ، بعد أن استنفدت أغراضها في نظرهم ، ومن ثم فإن حالة الشعر في مصر الآن تبدو على النحو التالي :

١ ـ الشعراء الذين يكتبون القصيدة



الكلاسيكية أو ما يطلق عليها عادة «العمودية» ، وهؤلاء يمكن تقسيمهم إلى طائفتين : طائفة تنطلق من رؤية إحيائية خالصة ، أي تمضي على النهج الذي كانت تسير عليه مدرسة شوقي وحافظ ، من التزام بالبحر الخليلي إلى المحافظة على أغراض الشعر من غزل ووطنيات ورثاء ومدح وغير ذلك من الفنون المعروفة في هذا المجال ، وطائفة أخرى تسير على نهج القصيدة الرومانسية من تغليب للعاطفة ، إلى الرقة الوجدانية ، وإطلاق العنان للخيال بمفهومه الرومانسي ، مع بعض التجديدات المعتدلة في الشكل والمضمون على حد سواء . وهناك دعوة قوية حاليا لإنشاء ما يسمى بجماعة أبوللو الجديدة ، وكان يتبنى هذه الدعوة الدكتور مختار الوكيل الذي رحل عن عالمنا منذ عام ونصف عام تقريبا ، والآن يحمل لواءها مجموعة من الشعراء السائرين في هذا الفلك ، الذين أعلنوا أخيرا عن إنشاء ما يسمى سوق الفسطاط ، حيث يرجون لها أن تكون سوقا شعرية ، على غرار ما هو معروف في تراثنا من سوق عكاظ إلى سوق المربد . وكما ذكرت فإن هاتين الطائفتين ، ومن يلف لفهما (وليسوا بقليل فهناك كليات جامعية لا يتعدى ما يقدم فيها من أطروحات علمية هذا الحد) يرون في الشعر الحديث انحرافا ينبغي تصحيحه ، وبعضهم ، بل معظمهم ، يرفضون الشعر الحديث رفضا قاطعا .

الأقنعة والرموز

الشعراء الذين يمثلون امتدادا مباشرا لهم ، مثل فتحي سعيد (الذي توفي منذ فترة قصيرة) ، وكمال عمار ، وعبده بدوي ، وبدر توفيق . وبعض هؤلاء الشعراء لهم حضور واضح الآن ، بل إن بدر توفيق ، على سبيل المثال ، أصدر خلال عام (١٩٨٨) أهم كتبه ، وهو ترجمته لسونيتات شكسبير التي عدها النقاد من أهم الترجمات التي نشرت خلال عام ١٩٨٨ م . أما أحمد عبدالمعطي حجازي فيكتب حاليا تنظيرات نقدية ، تنشر كل يوم أربعاء بجريدة الأهرام . وقد عاب عليه بعضهم (بالتحديد الدكتور لويس عوض) لجوءه إلى التنظير النقدي ، وإن كنا نرى أن الكتابة ليست اختيارا في كثير من الأحيان .

ونحن نرى أيضا أن جماعة الرواد والموجة التي تمثل امتدادا لهم قدموا إنتاجا خصبا عميقا مجددا ، ولكن الحركة النقدية حتى الآن ما زالت غير قادرة على مواكبة الجديد ، فمعظم الرسائل التي تقدم بكليات الآداب حتى الآن ما زالت تدور حول شعر جماعة الإحياء وجماعة الديوان وجماعة أبوللو ، وما يخرج عن هذا الإطار ويدخل في ساحة الشعر الحديث لا يكاد يتعدى حتى الآن المشهورين جدا ، حتى لتدور معظم الرسائل حول صلاح عبدالصبور ، أو تتناول تيار الحداثة الريادي بعامة ، فتعرج على شعراء العراق وشعراء لبنان وسورية . معنى ذلك أن النقد مطالب الآن بالقيام بمراجعة شاملة لإنتاج هذا الجيل ، حتى يأخذ كل منهم حقه وموقعه الصحيح في تيار التجديد . ولا يعني هذا أن نفهم أنهم جميعا كانوا على درجة واحدة من ثراء التجربة وقوة التأثير ، ولكن من المؤكد أن لكل منهم دوره الفعال في إثراء تيار الحداثة وتمكينه ودفعه للأمام .

---

٢ - جماعة الرواد في الشعر الحديث ، ومن لازال يعمل منهم في الساحة الآن أحمد عبدالمعطي حجازي ، وملك عبدالعزيز ، وحسن فتح الباب ، ويمكن أن نضم إليهم أيضا



● أمل دنقل ● أدونيس

وقد حققت قصيدة الشعر الحديث على يد جماعة الرواد مجموعة من الإنجازات المهمة ، من أهمها اقتراب اللغة الشعرية من لغة الواقع اقترابا شديدا ، أو تعبيرها عن الواقع على طريقة المعادل الموضوعي ، كما ابتعد الشعر عن النغمة الغنائية الشائعة في الشعر التقليدي ، وانحاز إلى جانب التكثيف والتوتر ، ولجأ الشعر الحديث إلى استخدام الأقنعة والرموز ، وتأثر بالتراث الإنساني كله ، ومن ثم عهد إلى توظيف الأسطورة في سياق البنية الفنية للقصيدة ، كما أفادت القصيدة من الفنون المختلفة وتقنياتها المتباينة ، مثل المسرح والسينما والموسيقا والفنون التشكيلية . ومن بين هذه الإنجازات أيضا إبداع ما يسمى التجربة الدرامية في الشعر ، ومحاولة البعد عن الصورة التقليدية ، حيث استبدلت بها الصورة الإيحائية البسيطة أو المركبة ، وهي صورة تعتمد اعتمادا أساسيا على القوة الخارقة للعادة « للمخيلة » ، وتغوص أكثر في أعماق الذات .

الموجة الثانية في الشعر الحديث :

وقد أنجز الجيل التالي لجيل الرواد مهمة أخرى ، غاية في الأهمية ، يمكن أن نرصد تحققاتها بإيجاز في النقاط التالية : البعد عن السهولة واليسر في تركيب القصيدة ، فبينما كانت القصيدة عند جيل الرواد ـ ما عدا بدر شاكر السياب في بعض قصائده ـ بسيطة التركيب والبناء ، تعبر عن فكرة واحدة تقريبا واضحة ومفهومة ، نجد أن القصيدة عند هذا الجيل التالي تمثل صورة من صور العالم أو من صور الحياة ، وبما أن العالم مركب فلا بد أن تكون القصيدة أيضا مركبة ومتشابكة بشكل يجعل مهمة فك رموزها عسيرة ، بل تصير مستعصية على الفهم عند بعض الشعراء . وللتعويض عن الفهم لجأ الشاعر العربي ، مثلما فعل الشاعر الأوربي من قبله ، الى وسائل أخرى ، لها دور كبير في توصيل القصيدة للمتلقي مثل سحر اللغة والموسيقا . كما أن القصيدة الحديثة قد خطت مع هذا الجيل الثاني خطوة أخرى في التعامل مع اللغة ، بحيث أصبحت أكثر قدرة على التعبير عما يجيش في نفس الشاعر من انفعالات وأوهام ورؤى داخلية ، تتجاوز نطاق العالم المحسوس ، كي تصنع عالما خاصا ، يرتكز على الأحلام والأوهام والشطحات والخيال ، ولهذا تجد القصيدة في غالب الأحيان مجرد حدث في اللغة ، وليس لها من رابط مع الواقع إلا قدرة الشاعر على الصياغة ونجاحه في التعبير عن روح العصر .

وتضم هذه الموجة الثانية عددا كبيرا من الشعراء ، هم الآن في قمة نضجهم الفني ، وهم أبرز الشعراء في مصر حاليا ، وأكثرهم مشاركة في الحركة الشعرية بقصائدهم وكتبهم التي تصدر تباعا . ومن هؤلاء محمد عفيفي مطر ، ومحمد إبراهيم أبوسنة ، وفاروق شوشة ، ومحمد مهران السيد ، وحسن توفيق ، وأحمد سويلم ، ونصار عبد الله ، ويمكن أن نضم إليهم أيضا بدر توفيق ، ووفاء وجدي . وإن كان بدر توفيق ـ كما أسلفنا ـ يدخل ضمن امتداد موجة الرواد . وكان أمل دنقل شاعرا فحلا من شعراء هذا الجيل ، ولكن القدر لم يمهله حتى يتم رسالته على أكمل وجه . وبالطبع فإن لكل واحد من هؤلاء خصوصيته ، فمحمد



عفيفي مطر هو أبرز من كتبوا القصيدة المحكمة في شعرنا الحديث ، وأمل دنقل صاحب تجربة فريدة متميزة ، جعلت منه واحدا من كبار شعراء العربية ، ومحمد أبو سنة شاعر يهتم بمعمار القصيدة ويجيد التحليق والتنسيق . وهكذا نجد أن كل واحد من هؤلاء يحاول أن يضيف إلى الشعر العربي أبعادا جديدة ، تساعد على ثراء التجربة العربية الإنسانية .

شعراء السبعينيات :

وقد كان لثراء التجارب المقدمة في الشعر الحديث وتنوعها أثر في ظهور مجموعة من الاتجاهات مع أوائل السبعينيات ، يحمل كل منها ملامحه الخاصة ، وإن كانت التسمية التي تشمل كل هذه الاتجاهات لما تتحدد بعد بالشكل المطلوب ، حيث يطلق عليهم في العادة «شعراء السبعينيات» . وهذه التسمية - كما نلاحظ - فضفاضة ومبتسرة في آن واحد : فهي فضفاضة لأنها تضع مجموعة من الاتجاهات والملامح المتباينة في سلة واحدة ، ومبتسرة لأنها تغفل كثيرا من الحقائق.وعلى أي حال فإن النقد معذور في هذه التسمية لأسباب كثيرة من بينها : أولا أن كثيرا من هذه الاتجاهات لما تتحدد بعد ، أو لما تنضج بصورة كافية ، وثانيا لأن معظم شعراء هذه الموجة الثالثة مازالوا في حالة تحقق ، فمعظمهم أصدر ديوانا أو ديوانين فقط ، ومن ثم فإن معظم شعرهم مازال مفرقا في المجلات المصرية والعربية ، ويحتاج دراسته إلى جهود كبيرة في التجميع والتبويب ، وثالثا لأن كثيرين منهم مازالوا متأثرين بهذا التيار أو ذاك من التيارات السابقة عليهم ، وبخاصة عند الشاعرين علي أحمد سعيد (أدونيس) ومحمد عفيفي مطر ، وإن كان بعضهم - والحق يقال - استطاع أن يشق لنفسه طريقا متميزا ، وأن يحفر بيده خصوصيته التي تمكن له في عالم الشعر والإبداع . ورابعا لأن كثيرا من تجارب الشعر الحديث لما تستوعب بعد كما ينبغي ، والدليل على ذلك أن الدكتور عبدالقادر القط مازال يضع بعض قصائد محمد عفيفي مطر نفسه في باب «تجارب» بمجلة إبداع ، وهو باب تنشر فيه التجارب الجديدة المغرقة في التجديد ، وكل هذه الأسباب تنطوي على صعوبات جمة ، توضع أمام الناقد عند تناوله لإبداعات هذا الجيل الثالث .

ومع ذلك فسوف نحاول - في إيجاز شديد - أن نلتقط بعض الملامح المميزة للاتجاهات المختلفة عند جيل السبعينيات الشعري في مصر .

١ - هناك اتجاه يحاول الاستفادة إلى أقصى حد من الإمكانيات الصوتية للغة . ومن قيمة البلاغة العربية القديمة ، مثل الجناس والتورية والطباق وغيرها ، وتوظيفها في بناء فني حديث ، يتجاوز الدلالات القديمة لهذا العنصر أو ذاك ، إلى دلالات أكثر عمقا وتأثيرا . ومن أبرز شعراء هذا الاتجاه الآن حسن طلب ، ومحمد صالح .

٢ - وهناك اتجاه آخر يحرص على وضوح القصيدة ، بحيث تصل بسهولة إلى المتلقي ، ولكنهم في الوقت نفسه يجتهدون في تقديم تشكيلات جمالية ، تحمل من الخصوصية مايؤهلهم لصياغة تجارب جديدة ، تختلف عما قدم من إبداعات في شعر الحداثة ، وهؤلاء كثيرون منبثون في أقاليم مصر المختلفة ، بما في ذلك مدينة القاهرة .

٣ - وهناك شعراء يتميز شعرهم بالتحليق الرومانسي في إطار التجديدات التي عرفها

الشعر الحديث . وهؤلاء يتميزون بأن نزعة التجديد عندهم معتدلة ، وتقف عند حد معين ، وهم أيضا حريصون كل الحرص على وضوح التجربة وسهولة وصولها إلى المتلقي . ومن أبرز هؤلاء فاروق جويدة الذي أصدر حتى الآن عددا كبيرا من الدواوين ، وله جمهور واسع في كل أنحاء مصر ، وبخاصة بين الشباب .

٤ ـ ومن الجماعات الشعرية الشابة الآن في مصر جماعة «أصوات» وتضم مجموعة من الشعراء المتأثرين أكثر باتجاه أدونيس ، ويلتزمون جانب الرفض والنفي : رفض كل التجارب السابقة ماعدا أدونيس بالطبع ، ومحمد عفيفي مطر ، في كثير من الأحيان ، ونفي كل مايرونه عائقا أمام تحقق تجاربهم التي تتجاوز كل الحدود أحيانا ، حتى ليصبح تحطيم كل المواصفات هدفا في حد ذاته . وينبغي أن نعترف بأن هذه التجارب الجديده تمارس تأثيرا قويا على الشباب الذين يظهرون الآن في ساحة الشعر ، ويطلق عليهم عادة «شعراء الثمانينيات» .

٥ ـ ومن الجماعات التي تبشر بقصيدة جديدة أيضا جماعة «إضاءة» وتضم مجموعة من الشعراء ، من أبرزهم حلمي سالم ، وجمال القصاص ، وأمجد ريان ، ومحمود نسيم . ولهذه المجموعة مجلة تحمل اسم الجماعة ، صدر العدد الأول منها في يوليو ١٩٧٧ ، ولكنها مجلة غير دورية ، تصدر بجهود أصحابها بين كل حين وآخر ، وتتلاقى فيها جهود التنظير مع جهود تقديم الجديد المحطم للقيم والمعايير التقليدية .

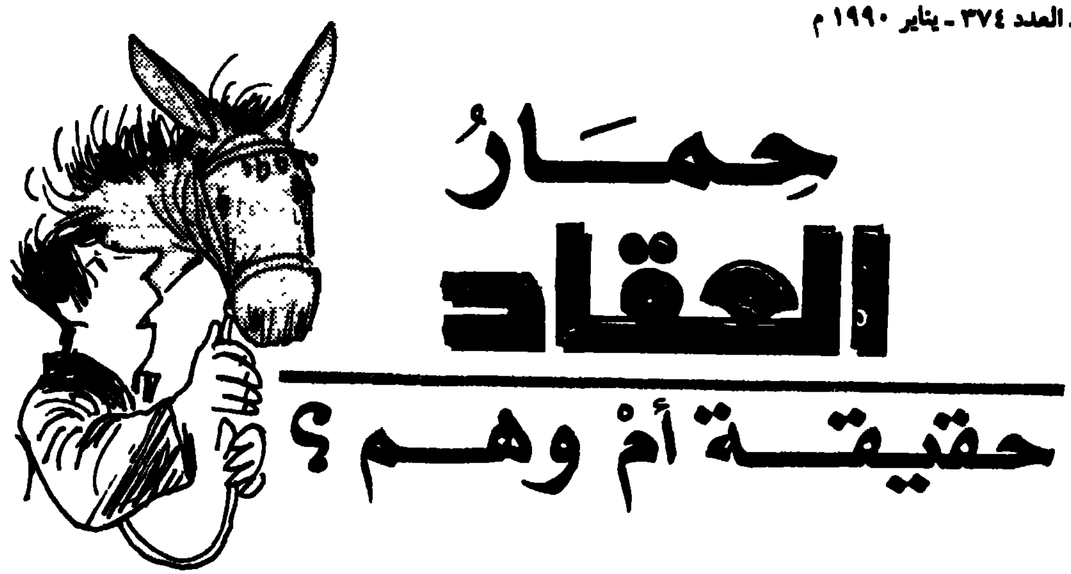
٦ ـ وهناك عدد آخر من الشعراء لاينضمون لجماعة ، أو كانوا في جماعة ثم آثروا الاستقلال ، وهم أيضا من الحريصين على تحطيم كل القيود ، وإبداع قصيدة جديدة ، وتختلف اختلافا جذريا عن كل ماسبق إبداعه ، سواء على امتداد تراثنا الشعري العربي أو خلال المرحلة الحداثية السابقة . ومن أبرز هؤلاء الشعراء محمد سليمان ، ومحمد أبودومة ، ومحمد فهمي سند .

وهكذا نرى أن الساحة الشعرية الآن في مصر تموج بالكثير من الاتجاهات التي يمكن أن تسفر في المستقبل عن ثراء إبداعي حقيقي عندما يقوم هؤلاء الشعراء بإصدار كل مالديهم من قصائد في دواوين كاملة ، تحمل ملامحهم وخصائصهم ، وتحدد بكثير من الدقة أهدافهم ونزعاتهم التجريدية السريعة المتلاحقة . □

ماذا تعرف عن فن الباليه ؟



الباليه تمثيل راقص لقصة ، مصحوب بالموسيقا ، وقد يؤديه راقص واحد أو مجموعة من الراقصين والراقصات . وكان الباليه معروفا في ايطاليا في القرن الخامس عشر ، وقد شاع في فرنسا في القرن الثامن عشر . ويعبر الراقصون والراقصات عن القصة بالرقص وحده ، فلا كلام أو غناء . ويفعلون ذلك في حركات رشيقة على أنغام الموسيقا ، ويدين فن الباليه الحديث بالكثير لروسيا . وقد وضع كثير من الملحنين موسيقا للباليه ، مثل « سيلفيا » و « كوبيليا » وهما اللتان من « السويت » ، وضعهما دليبز ، و « كسارة البندق » وهي « السويت » التي وضعها « تشايكوفسكي » . « والسويت » موسيقا تتألف من مجموعة من مجموعات الرقص ، تتعاقب مع تناسب في الأسلوب والطرب .



حمار العقاد
حقيقة أم وهم ؟

بقلم : محمد محمود عبد الرازق*

ضمن سلسلة « كتاب العربي » التي تصدر فصليا عن مجلة « العربي » ، وفي العدد الرابع والعشرين منها الذي صدر في تموز (يوليو) سنة ١٩٨٩ بعنوان « القصة العربية . . أجيال وآفاق » تم نشر قصة بعنوان « أحسن حمار » للكاتب المرحوم عباس محمود العقاد . والمعروف أن العقاد كاتب كبير في مجالات شتى ليس من بينها القصة ، وقد أثار الدكتور إحسان عباس الذي كتب مقدمة الكتاب الذي صدر عن السلسلة سؤالا يتعلق بحقيقة كتابة العقاد للقصة .

المقال التالي توضيح وتعليق على ما جاء في مقال الدكتور عباس ، وهو مليء بطرائف المواقف التي صادفت العقاد في حياته .

معروف أن للعقاد رواية وحيدة هي « سارة » ، أما غير المعروف فهو أن له قصة قصيرة وحيدة هي « أحسن حمار » . ويشك الدكتور إحسان عباس في نسبتها إليه إذ تعترض في سياق تعرضه لها جملة « إن كان هو الذي كتبها » . ويقول عند تقويمها « ولكن أيا كانت قصة « أحسن حمار » فإنها جاءت ترسم قدرة قصصية واضحة » ، والذي يدعو إلى هذا التحرز هنا هو نشرها بعد وفاته .

ولا نستطيع أن نبدد غيوم الشك بالحديث عن موضوعها ، فنقول مثلا : إن بعض وقائعها حدث في أسوان ، وأنها تتحدث عن بعض

* كاتب من القطر العربي المصري

معالمها مثل المسلة « الناقصة » أو « المهجورة » ، وفندق « كتاراكت » الذي يعرفه الأسوانيون غالبا ، فيقولون كما جاء بالقصة « الكتاراكت » . وأن الشخص الرئيسي فتى أسواني ، فارق بلدته وهو في الخامسة عشر ، ولم يكن يعود إليها إلا مرة كل خمس سنوات أو عشر على الرغم من حبه لها ، وكل هذا يتفق وسيرة العقاد . فإن جده الأعلى قد اشتغل بمصنع للحرير بدمياط فلقب بالعقاد ، وكانت والدته حفيدة أحد رجال الفرقة الكردية التي جردها محمد علي سنة ١٨٢١ لتأديب ملك شندي . فقد كان فتى أسوانيا أصيلا ، ولد بها عام ١٨٨٩ لأسرة متواضعة ، وأنهى دراسته الابتدائية عام ١٩٠٣ ، وسافر للقاهرة للمرة الأولى عام ١٩٠٥ لإجراء الكشف الطبي تمهيدا لتعيينه بالقسم بمدينة قنا ، فبهره ثراؤها الفكري وشخصياتها الذائعة الصيت . ونقل إلى الزقازيق ليكون قريبا من القاهرة ، لكنه استقال من وظيفته واستقر بالعاصمة منذ عام ١٩٠٦ م .

ولم يفصح المؤلف عن اسم الشخص الرئيسي بالقصة ، مكتفياً بلقب « الأستاذ » الذي كان يلقب به العقاد ، ولا يناديه تلاميذه وحواريوه إلا به . كما أنه كان مثل العقاد شخصا موسوعيا ، ما أن يعرف الموضوع الذي تميل إليه بحكم تخصصك أو موطنك مثلا ، حتى يخوض غماره نيبزك فيه ، بل وقد يدهش لسعة معلوماته عنه .

الأسلوب المعتمد

وهكذا ما إن عرف الشخص الرئيسي أن الفتاة روسية حتى انطلق يحدثها عن الأدب الروسي ، فدهشته وأدهشها . أدهشته لأنها وهي الفتاة الراقصة اللاهية تعرف الأدب الروسي الحديث ، كأنها طالبة في جامعة من الجامعات الكبرى تخصصت فيه . وأدهشها لأنها لم تكن تتوقع وهي قادمة إلى أسوان أن تعرف إنسانا من أهلها تتحدث إليه عمن تحب، من كبار الكتاب الروسيين ، ولا سيما « ديستوفسكي » . وقد اعتاد العقاد أن يرسم « ديستوفسكي » هكذا « دستيفسكي » .

وإذا انتقلنا إلى الأسلوب فسوف نرى الدكتور عباس يقول : « إن أسلوب العقاد فكري جاف ، شديد الإحكام في مقالاته ، لكنه حين كتب قصة « أحسن حمار » ـ إن كان هو الذي كتبها ، توخى أن يبعث في مستواه التعبيري شيئا من « اللين » والخفة ، واستعان على ذلك بالسخرية والمفارقات الضاحكة ، وإن لم يستطع أن يتخلى عن بعض الحدة التي تصبغ أسلوبه ، بل لعله أفاد من تلك الحدة في رفع درجة السخرية (هذا مع أنه ليست لدينا نماذج أخرى من القصص القصيرة لهذا الكاتب،حتى « سارة » لم يستطع أن يتخلى فيها عن أسلوبه « المعتمد ») .

وهذا تحليل بالغ الدقة لأسلوب القصة . أما مالاحظه أستاذنا الدكتور عباس على مستواها التعبيري من توخي اللين والخفة ـ والخفة هنا عكس الثقل واستعانتها على ذلك بالسخرية والمفارقات الضاحكة ، فلم يأت على غير عادة العقاد كما يستفاد من الحديث . فالعقاد كان يلون أسلوبه حسب مقتضيات الحال . وكان ـ مع حدة مزاجه ـ مغرما بالضحك ، مقتنصا للفكاهة من مظانها . وكانت فكاهته تصهر ـ في كثير من الأحيان ـ في أتون السخرية المرة ، يشهد على ذلك رواد ندوته الأسبوعية وكثير من يومياته أو صحفياته . وصرح ذات مرة بإيمانه بأن « التصوير الفكاهي ـ أو الكاريكاتور » هو خير وسيلة لإبراز فكرة تحتاج إلى « الإبراز » ، وقال تعليلا لاستعماله السجع في بعض مقالاته : « إنني أختار السجع في موضوعات التهكم والدعابة ، كما أختاره في الموضوعات الوجدانية وما إليها مما يلحق بالأغراض الشعرية ، فإن السجع ينبه الذهن إلى المعاني في هذه الأغراض ويزيدها جلاء ، وتوكيدا ، كأنه اللحن الذي يضيف إلى الكلمات ومعانيها قوة ليست للكلام

الذي يسمع بغير تلحين .

ولكنني أتجنب السجع في المباحث الفكرية ، لأنه ـ على عكس ذلك ـ يشغل الذهن بانتظار القافية ونهاية الفاصلة ، فيصرفه عن متابعة الفكرة والمضي مع سياق العبارة المتصلة بين المقدمات ونتائجها .

يشاهد الشخص المحوري في قصة « أحسن حمار » راقصة روسية في فندق « كتاراكت » فيغرم بها . ويتم التعارف عند المسلة الناقصة . ويكون السبب حمارها الجامح ، ويتواعدان على اللقاء في القاهرة . وقبل الموعد المضروب بدقائق معدودات يطرق بابه صديق له عُرف بالثرثرة ، فلا يجد مفرا من اصطحابه إلى الخارج متعللا ببعض العلل . وفي الطريق تظهر الفتاة ، فيهرع إلى بيته تاركا صديقه . وتعرف الفتاة القصة فتستغرق في الضحك ، ويعود الصديق إلى البيت فتواجهه الفتاة بقولها « الاستاذ نقل من هذا المنزل » ، وتعود لتستأنف ضحكها قائلة : « إنه لا يخجل » ، لكن الأستاذ يرى أنه خجل هذه المرة لأنه لو لم يخجل لسألها أن تصحبه « إلى منزل الاستاذ الجديد » .

ظلم الحمير

ونحسب أن هذه الحكاية من مخزون الذكريات التي يحلو للعقاد أن يعرض علينا بعض بضاعته كلما سمحت المناسبة . وقد تحدث عن الحمير في بعض المناسبات ، واستخرج من المخزون حكاية عنها في مقاله « ظلم الحمير » استدعتها المناسبة . فقد نشر بالصحف أن حمارا سرقه لص البهائم في بلدة « قويسنا » ، فامتحنه رجال الأمن بإطلاقه في الطريق ، ليعرفوا صاحبه بالمكان الذي يهتدي إليه . واهتدى الحمار إلى صاحبه بغير عناء . فتذكره هذه الحادثة بحادثة أخرى وقعت بعد الحرب العالمية الأولى ، عندما كان يقيم بإحدى الحجرات المفروشة في شارع عبد العزيز :

« كان في الشارع حانة تبيع المسكرات من جميع الألوان ، لأن الفرق بين أصناف الخمر جميعا في تلك الحانة إنما هو فرق الصباغ .

وكان من بين زبائنها رجل كسيح ، يشرب حتى يهذي ، فيضعه صاحب الحانة على حماره ويتركه ليصل إلى البيت .

ولكن الحمار تعود أخيرا أن يذهب بعد خطوات إلى قسم عابدين ، ليقف هناك ساعة ريثما يكتب المحضر اللازم لراكبه ، تنفيذا لحكم القانون على من يقلقون راحة النيام بالصخب والصياح .

وفي ليلة من الليالي غلب السكر صاحب الحمار على لسانه : فنام ولم يخالف القانون !

أما الحمار فلم يحد عن سكته الأخيرة ، وذهب بالرجل إلى القسم لإجراء اللازم .

ولم يتعتع من موضعه الا بإقناع شديد ، ربما جاوز الحدود في قانون الرفق بالحيوان ! » .

وإذا كان ثمة حمار آخر في قصة : « أحسن حمار » فهو يكمن في الجملة التي أطلقتها الفتاة الروسية على سبيل المداعبة عندما أشار « الترجمان » إلى « الأستاذ » فعندما قرّب الصبي الحمار إلى الفتاة نخسه على سبيل الاستعجال « فكانت هي النخسة المباركة التي لم ينتظرها أحد من الواقفين ، لأنه جمح وانطلق في الصحراء ، وانطلق وراءه الصبي ليعيده إلى الطاعة ، فوقفت الفتاة مدهوشة ، وهي تقول للترجمان كأنها تؤنب الفندق ومديره في شخصه : أهذا أحسن حمار في البلدة ؟ فارتبك الترجمان ولم يدر ما يقول ، ثم أقسم لها أنه لأحسن حمار « وإن لم تصدقي يا مدام فاسألي الأستاذ ! » فأغرقت الفتاة في الضحك قائلة : « وما شأن الأستاذ بهذا » ؟

وتقترب هذه المداعبة من نكتة رواها العقاد نقلاً عن مذكرات الدكتور شاكر بك الخوري المطبوعة سنة ١٩٠٨ بمطبعة الاجتهاد في بيروت ، وكان صاحب المذكرات أحد الطلاب *اللبنانيين الذين درسوا الطب برعاية الخديـ*

اسماعيل بمدرسة قصر العيني . وكان يحس الفكاهة ويقبلها إذا أصابته . وقد أصاب منها الكثير ، وضجر منه ، ولكنه أحاله إلى الطبيعة المصرية التي لا تعذرأحدا وقع في طريق القافية .

ومن فكاهته أن الطبيب الكبير « محمد علي البقلي باشا » كان يلقي درسه المشهور ، وكان من هيبته يخيف الطلاب ، فلا ينبس أحدهم بكلمة في حصته ، ويخيف الموظفين بالمستشفى ، فيمنعون كل ضوضاء فيه ومن حوله ، ولكنهم في ذلك اليوم سمعوا ضجة عالية يتخللها نهيق حمير وصياح أناس هنا وهناك ، فنظر الدكتور البقلي إلى طالب سوري ، اسمه بشارة ، وأمره أن يتعرف جلية الخبر ، فجاءه بعد لحظة بخبر عن حمار الباشا ، لم يدر كيف يلقبه وكيف يتكلم عنه ، وهو ـ في عرف الطالب ـ حمار لا يمكن أن يشبه الحمير . قال : « إن سعادة حمارك عندما رأى دابة مصطفى أفندي ابتدأ بالنهيق » . ونظر الباشا إلى صاحب المذكرات يقول له سائلا : « يا شاكر هل تمنحون الرتب والألقاب في بلادكم لحميركم ؟ » قال صاحب المذكرات : « نعم يا سيدي ولذلك نقول لبشارة « يا بشارة أفندي » .

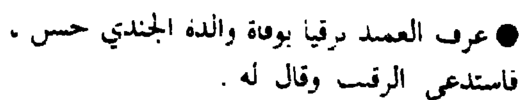
وقصة « أحسن حمار » تدل على معرفة صاحبها بطبائع الحمير « جمح على حسب العادة التي اعتادها كل حمار أصيل ! فإن هذه الحمير الأصيلة لا تحتمل النخس اليسير ، وقد تستحثها إلى الجري بأقصى سرعتها بهزة صغيرة في الرّكاب ، فتأتي بالسرعة التي يعجز عنها الحمار البليد ، ولو انهالت على رأسه ألف عصا ، واندس في خاصرته ألف مهماز » .

شهادة للجنس الحماري

والعقاد يقدر الحمير ، ويدافع عنها ، كما نلحظ عند قراءة مقاليه « ذكاء الحمار » و « ظلم الحمير » ، فهو يرى أن « غباوة الحمير » مثل من أمثلة الظلم الذي يثبت بالإشاعة . فليس الحمار بالغبي ، ولكنه عنيد ، إذا أراد العناد لأمر لا يفهمه غيره . وفرق بين الغباوة والعناد ، وإن يكن عنادا غير مفهوم . فأما فيما عدا هذا العناد فالحمار « فهيم » بمقاييس كثيرة من التي يقاس بها ذكاء الحيوان ، ومنها مقياس الأسماء . فالحيوانات التي تفهم معنى التسمية ذات شخصية تدرك علاقاتها بغيرها وتتفاهم مع الآخرين . والحمار يعرف الاسم الذي يطلق عليه . وليس كذلك البقر ولا الغنم ولا الطير الذي لا يخطر على بال أحد أن يتهمه بقلة الفطنة







□ من القلب

والدة الجندي

● عرف العميد برقيا بوفاة والدة الجندي حسن ، فاستدعى الرقيب وقال له .

لقد بلغني أن والده الجندي حسن قد توفيت ، وأنا أعتمد عليك في نقل هذا النبأ المحزن إليه ، ولكن بلباقة ، أفهمت ؟ بلباقة

فقال الرقيب : بالطبع ياسيدي العميد ، اعتمد عليّ

وبعد خمس دقائق جمع الرقيب الجنود الذين تحت إمرته ، وصاح بهم : من كانت أمه متوفاة فليتقدم خطوة الى الأمام

ولم يتحرك أحد منهم . عند ذلك راح الرقيب يصيح

حسن ، أيها الغبي ، ستسجن ١٥ يوما لعدم تنفيذك الأوامر

■ ■ ■

سأصلح أخطائي

القاضي : الان بعد صدور الحكم ، أرجو أن يكون عندك الوقت الكافي لإصلاح أخطائك .

اللص : سأصلح أخطائي ، صدقني ياسيدي . سأعتمد لكفوف في المرة القادمة

■ ■ ■

أثر المهنة

● تنهدت روجة المفوض في اسكتلنديارد قائلة : إن زوجي لا يفكر إلا في مهنته ، إلى حد أنه عندما يطفيء جهاز التلفاز قبيل النوم لا ينسى مطلقا أن يمسح بصمات أصابعه عن الزر .

□ في الصميم

● لايمكن أن يكون عدم عمل شيء أمرا ممتعا حقا ، مالم يكن لدينا عمل كثير متأخر

جيروم

● طوبى للإنسان الذي عندما لايجد ما يقول ، يمتنع عن إعطاء الدليل بالأقوال

جورج ايليوت

● الحرب موضوع مهم للمؤرخين ، والسلام تبعث روايته على الملل

هاردي

● أنا لست من الشباب بحيث أعرف كل شيء

باري

دعاء



● أوقد أعرابي نارا يتقي بها برد الصحراء في الليالي القارسة ، ولما جلس يدفأ ، ردد مرتاحا : اللهم لا تحرمنيها لا في الدنيا ولا في الاخرة

ذاكرة ضعيفة

● كانت الزوجة الثالثة للروائي المخرج ساشا غيتري ضعيفة الذاكرة . وكان زوجها يوصيها يوميا أن تدون في مفكرة خاصة كل ما يجب عليها عمله ، قائلا لها

أنت تعلمين جيدا أنك كثيرة النسيان

وكانت تحتج بقولها : لا ، لا ، هذا ليس صحيحا

فيمضي غيتري في قوله والدليل يا عزيزتي أنك تنسين حتى أنك ضعيفة الذاكرة

ضحكات عربية

أبو علقمة وابن أخيه

● قدم على أبي علقمة النحوي ابن أخ له ، فقال له : ما فعل أبوك ؟

قال : مات

قال . وما علته ؟

قال : ورمت قدميه

قال . قل : قدماه

قال : فارتفع الورم إلى ركبتاه

قال : قل : ركبتيه .

فقال : دعني يا عم ، فما موت أبي بأشد علي من نحوك هذا .

كمين شفوي



● في أثناء مناظرة تلفازية بين خصمين سياسيين قال أحدهما للآخر : هناك أكثر من مائة طريقة لجمع الفلوس ، ولكن ليست هناك إلا طريقة واحدة لجمع الفلوس بالحلال .

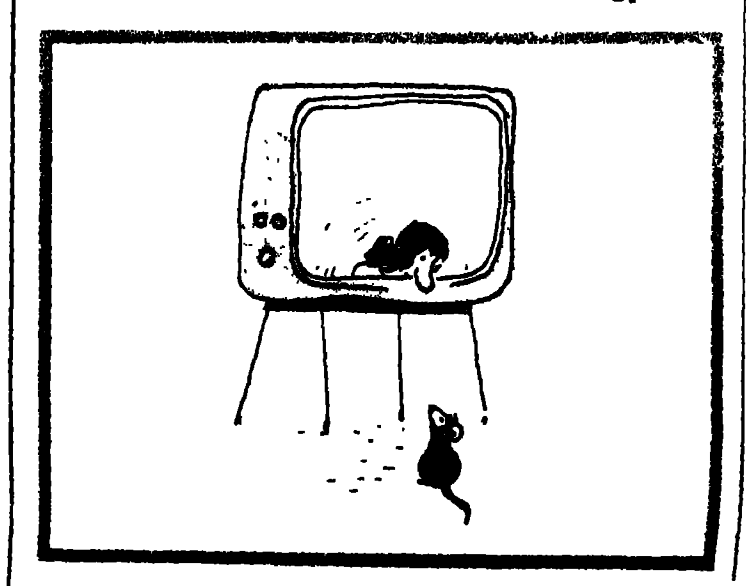
ـ وما هذه الطريقة ؟

ـ كنت متأكدا أنك لا تعرفها .

□□□

سر الغائب

● غاب عبدالحميد الديب أياما طويلة ، ثم عاد للظهور من جديد . ولما سأله أحد أصدقائه عن سر غيبته أجابه : كنت في البلد للاطمئنان على الفدانين ، ثم رجعت . فسأله الصديق مندهشا : أي فدانين ؟ فأجابه عبدالحميد الديب : صديق لي اسمه « محمد الفدانين » .



استطلاع : صلاح حزين

تصوير : طالب الحسيني

من بين حشد متحرك من الناس، التقطته عيناي، بملابسه البيضاء وملامح وجهه البائسة، وقبعته العريضة. حاول زميلي المصور أن يلتقط له صورة، وعندما شعر بالمحاولة تيقظت عيناه وحاول إخفاء وجهه، لكن عدسة زميلي لاحقته، فتقوقع على نفسه بجسده النحيل المنهك، [illegible] خلف قبعته [illegible]



جغرافياً . . تنتمي المكسيك إلى القارة الامريكية الشمالية الغنية القوية ، وثقافيا ودينيا تنتمي إلى قارة أمريكا اللاتينية الحيوية الثائرة ، ومن حيث النظام الاجتماعي الاقتصادي تنتمي إلى العالم الثالث المثقل بالديون والفساد والتخلف .

إلى هذا البلد المتعدد « الانتماءات » كانت رحلة « العربي » .

كيف يمكننا أن نتحرك في مدينة عدد سكانها ٢٥مليون نسمة ؟ سألني زميلي المصور ونحن نحاول أن نضع خطة لاستطلاع المدينة العملاقة ، وعندما وجدت أن أي جواب جدي سيكون عبثيا قلت :ـ بصعوبة !

لم نكن قد عرفنا درجة الصعوبة التي سنواجهها أثناء جولتنا في أكبر مدينة في العالم ، غير أن الرد السلبي من قسم الشرق الأوسط بوزارة الخارجية المكسيكية ، ثم دائرة السياحة في مكسيكو سيتي ، أوضح لي مما فيه الكفاية عن درجة الصعوبة الكبيرة . كان علينا أن نبدأ من الصفر ، الصفر بالنسبة لنا كان فندق « فونتانا » ، في شارع « لاريفورما » ، بوسط المدينة ، إن كان لمثل هذه المدينة المرعبة باتساعها وعدد سكانها وسط واحد فقط .

وحاولنا للمرة الأخيرة الاتصال بقسم الشرق الأوسط ، لنخبرهم أن لدينا توصية من سفير المكسيك بالمملكة العربية السعودية ، بتسهيل مهمتنا كصحفيين . وكانت المتحدثة هذه المرة موظفة تدعى « مريم زبيدة » . قلت : جاء الفرج . فمن المؤكد أن هذه الموظفة ذات أصل عربي ، ومن المؤكد أن أخلاقها العربية الأصيلة لن تسمح لها بتركنا هكذا ضائعين في هذه المدينة الشاسعة . لكن مريم زبيدة لم تكن أفضل من غيرها ، فأقلعنا عن أي محاولة أخرى لطلب المساعدة . وخرجنا إلى زحام المدينة الهائلة .

عابرون وعروض عابرة

كان الظلام قد بدأ يزحف على المدينة العملاقة ، وانتشرت صفوف منتظمة من الأضواء الصفراء وأضواء النيون على طول شارع لاريفورما أو الاصلاح ، وعلى جانبي الشارع الواسع فتحت دور السينما والمسارح والفنادق الكبرى والمطاعم أبوابها ، تستقبل الخارجين إلى حياة الليل الصاخبة . مقاهي الأرصفة غصت بالشبان والفتيات ذوي الملابس الحديثة ، وقصات الشعر الأكثر حداثة . وأمام دور السينما والمسارح وقفت السيارات الفارهة ، لتنزل منها نساء بملابس السهرة البراقة ، وبالتسريحات



● زقاق مكسيكي بمدينة كوارنافاكا

● تقع المكسيك جنوبي الولايات المتحدة الامريكية ، وتتصل جنوبا بغواتيمالا التي تعتبر صلة الوصل بامريكا الوسطى والجنوبية ، وتمتد على مساحة تزيد على مليون كيلومتر مربع ، وتتألف من ٣١ مقاطعة ، ويبلغ عدد سكانها نحو ٨٥ مليون نسمة يعيش منهم ٢٥ مليون نسمة في العاصمة مكسيكوسيتي .



الأنيقة ، بصحبة رجال لبسوا بدلات السهرة

ومن شارع « لاريفورما » دلفنا إلى شارع الثورة الذي يتقاطع معه .

مضينا متجهين نحو عدد من النصب والتماثيل التي احتلت مراكز التقاطع في وسط شوارع مدينة مكسيكو ، مزينة بالأضواء ونوافير المياه. نصب الاستقلال ، نصب الثورة ، نافورة القارات الخمس ، نصب تأميم النفط ، نصب الأزتيك الذي يمثل ملوك الشعوب السابقة على الفتح الاسباني الذين أطلق عليهم خطأ اسم الهنود الحمر . لا شيء مميز ، ولا شيء غير عادي . مدينة منتشرة على رقعة هائلة الاتساع من الأرض المنبسطة ، شقت فيها الشوار العريضة ، وأقيمت فيها الساحات الواسعة وبنيت الكنائس والحدائق والمباني العامة ، وبني تحتها خطوط « مترو » الأنفاق الذي يحمل جزءا من عبء الضغط السكاني الرهيب للمدينة .

لكن جولتنا الليلية لم تكتمل ، فقد وجدنا ما يستوقفنا في حديقة (الميدا) الواقعة بالقرب من دار الأوبرا ، ذات الهندسة المميزة ، بقبابها ولونها الأبيض وأبوابها الضخمة ، والتي تقدم على مسارحها العروض الفنية . وفي زوايا الحديقة العديدة ، وبالقرب من نوافيرها ، وقفنا مع الواقفين تحت أضواء الحديقة المنبعثة من أطراف الأعمدة ، لنستمع ، ونتفرج على متعة مجانية ، يقدمها للعابرين والمتسكعين ولمن قادتهم أقدامهم - مثلنا - عدد من الفنانين ، القليلي الحظ ، وأصحاب المواهب المغمورة في الرسم والغناء والتمثيل والسحر والشعوذة ، وبيع البضاعة الرخيصة .

..ضهم يقدم طريقة مبتكرة في الرسم ، تجمع ..صالة والمعاصرة ، على الطريقة .. يكية ، وبعض آخر منهم يقدم فاصلا .. يا ، وآخر يقدم ألعاب خفة يد أو هجاء

للحكومة والرؤساء .

لم تلفت نظري الألعاب السحرية الاستثنائية ، ولا الفن الراقي ، ولا الرقصات المكسيكية ذات الإيقاع السريع ، بل شدتني القدرات الكلامية المدهشة لهؤلاء « الفنانين » ، وتصورت أن بعضهم ضل طريقه من السياسة إلى السحر والشعوذة ، فخسر الأثنين .

شخص يقف بمفرده في ركن من أركان الحديقة ، ويبدأ بالحديث إلى عابري الطريق ، يستوقفهم بحديثه السريع الوتيرة الذي يستخدم فيه الإشارة والحركة والتعليق وربما اليد أيضا . وقد يوقف المارة بيده ليجذبهم إلى حلقته غير المكتملة ، وعندما يتحلق حوله جمهور من المتفرجين يزداد براعة في الحديث،وخفة في عرض فنه لمتفرجين عابرين ، كل منهم على استعداد لتركه في أي لحظة ، والانضمام إلى تجمع آخر لا يبعد عنه غير أمتار قليلة . موهبة كبيرة في فن الكلام ، لدعم موهبة قليلة وحظ أقل ، أمام جمهور لا يلزمه شيء تجاه فنان يقدم عروضه على رصيف الفن المكسيكي العجيب .



● الكاتدرائية المركزية وباعة ومتسكعون في ساحة تسوكالو .

في شوارع المدينة

في الصباح ، كانت الرؤية أكثر وضوحا ، فالشوارع قد ودعت الساهرين والمتسكعين والفنانين المغمورين ، والحدائق خلت من العشاق الذين تناثروا في زوايا الحدائق على العشب الأخضر أو على المقاعد الخشبية أو المساطب الرخامية ، يكسرون سكون الليل بضحكاتهم المكتومة وهمساتهم الصاخبة ، وبدلا من ذلك مضى الرجال والنساء إلى أعمالهم ، وانتشر الباعة أمام الفنادق الكبرى ، حيث ينزل السياح ، يعرضون المصنوعات النسيجية واليدوية المكسيكية التقليدية ، واصطفت عربات الباعة الجوالين ، تبيع كل شيء من ألعاب الأطفال الصغيرة والقبعات العريضة إلى الوجبات المكسيكية الحراقة التي يتناولها الذاهبون من أقصى المدينة إلى أقصاها ، وانهمك ماسحو الأحذية في عملهم ، فيما استغرق « الزبون » في قراءة صحيفة ، وقد استوى على كرسيه المرتفع المظلل بقطعة قماش عريضة مزركشة ، وأسلم رجله لماسح الأحذية باطمئنان تام .

أحد ماسحي الأحذية لم يجد « زبونا » حتى تلك الساعة من الصباح فيما يبدو ، فجلس على



الكرسي المرتفع ، وانهمك في قراءة صحيفة بانتظار ربون . أمنية مشروعة في أن يصبح يوما زبونا ، في مدينة ترامت أطرافها ، وقلّت فيها الأمنيات الكبيرة ، فقنع الفقراء بأمنيات تناسب وضعهم الاجتماعي .

الفقر والبؤس في هذا الطرف من المدينة أكبر من أن تخفيهما المدينة المترامية الأطراف .

الشوارع مزدحمة بالناس ، والحافلات مكتظة بالركاب ، وسيارات الأجرة الصفراء الصغيرة ومعظمها من نوع « فولكس فاجن » طراز « البيتل » أو الخنفساء ، فبدت وهي تتنقل بخفة وسرعة مثل حشرة زاهية الألوان ، تدب فوق جسد المدينة الواسعة .

الشوارع العريضة المنظمة لم تخل من وجود



● ألعاب للأطفال بانتظار من يشتريها

بعض البنايات المتصدعة أو المنهارة جزئيا ، بل والمدمرة تماما أحيانا . وأشار السائق إلى إحدى البنايات المتصدعة ، لكنها ما زالت واقفة كعملاق جريح ، وقال بلغة انجليزية متعثرة ، ملكنة لا تشبه إطلاقا اللكنة التي كثيرا ما سمعناها تتردد على ألسنة الشخصيات المكسيكية في أفلام رعاة البقر الامريكية :

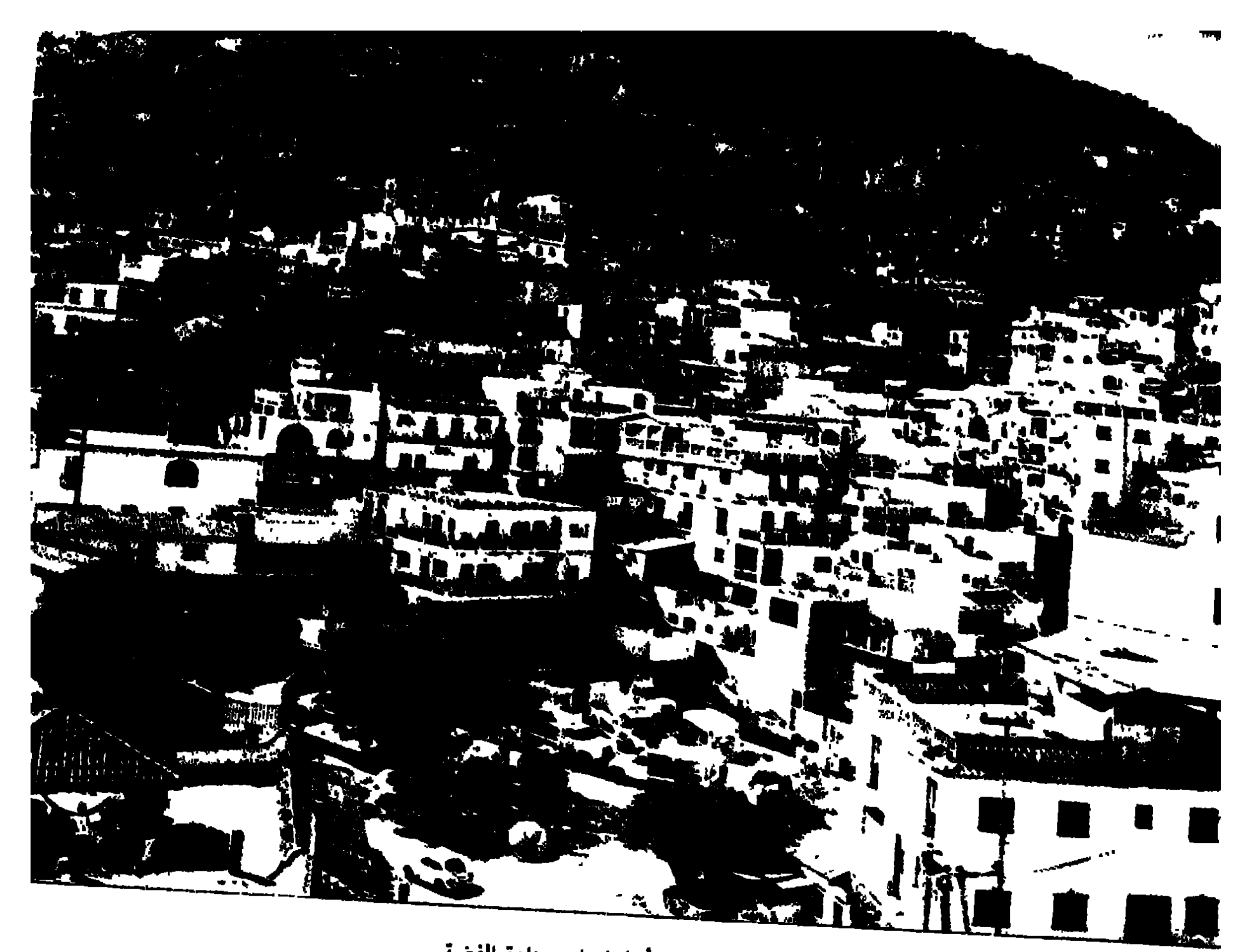
ـ فندق . . زلزال .

وتابعنا المسير في أرجاء المدينة الشاسعة : كنائس قديمة ، وبنايات تنتمي إلى طرز هندسية مختلفة وعصور متعددة ، وحدائق واسعة . قررنا زيارة إحداها ، لأخذ فكرة عما يمكن أن نرى في حديقة مكسيكية ، ولكن عندما قررنا أن نتوجه إلى حديقة (تشيبالتيبيك) اكتشفنا أننا كنا وصلنا إلى الضاحية الجنوبية من المدينة . وأشار لنا السائق الذي لا يعرف من الانجليزية إلا بضع كلمات يقولها ويترك الباقي لذكائنا ، أشار إلى منزل بسيط بنوافذ قاتمة وبوابة متجهمة ، يبعد قليلا عن الشارع ، وقال :

ـ تروتسكي .

وأشار إلى رقبته ، وأخرج صوتا لا يمكن كتابته ، قصد به الذبح ، وبالنسبة لنا كان هذا كافيا لأن نعرف أن المنزل الكئيب كان مسكنا للزعيم الثوري الروسي « ليون تروتسكي » الذي لجأ إلى المكسيك في الثلاثينيات ، وبقي هناك حتى قتل اغتيالا عام ١٩٤٠ م .

وحاولت أن اطلب من سائقنا زيارة المنزل التاريخي ، إلا أن لغة السائق الانجليزية وقفت حائلا بينه وبين فهم ما نريد ، وحين فهم كنا قد قطعنا مسافة طويلة . وقبل أن يتمكن من إفهامنا أن العودة الى منزل تروتسكي تستلزم سلوك شوارع عديدة كنا قد وصلنا الى اطراف حديقة « تشيبالتيبيك » فعدلنا عن العودة وقررنا زيارة الحديقة .



● تاسكو : مدينة يعيش أهلها على صناعة الفضة .

في حديقة الجندب

« تشيبالتيبيك » ، واحدة من أربع حدائق ضخمة في مكسيكو سيتي ، اسمها المأخوذ من اللغة الازتيكية القديمة يعني « الجندب » . تبلغ مساحتها ٧٩٤ هكتارا ، وبها ٦ متاحف ، وأربع بحيرات ، إحداها طبيعية يرتادها في العادة هواة رياضة التجديف ، وبها أعلى نافورة في المكسيك ، وبها أيضا حديقة حيوان . واشار السائق إلى حديقة الحيوان ، وقال عدة كلمات تبينا منها كلمتي « ازتيكو » و « موكتزوما » . وقد بدت الأولى وكأنها اسم إحدى شخصيات أفلام الكارتون ، أما الثانية فلم توح لي بشيء . لم اجهد نفسي بسؤاله عما يقول ، حتى لا أضيع معه في دوامة ، لا أفهم منها شيئا ، فسجلت الكلمتين ، لأعود إليهما وأسأل أهل العلم المكسيكي عما تعنيان .

ولكن بينما نحن في طريقنا إلى تلك العمارات الشاهقة ، مررنا بحي تلفت النظر فيه الشوارع العريضة وساحات الخضرة التي تمتد فاصلة بين اتجاهي الشارع النظيف ، والأشجار العالية التي تحف بجانبي الطريق المتفرع إلى طرق لا تقل عنه نظافة وجمالا . ووقفنا لنتأمل بذهول المنازل والأبنية التي تذكر بحدائقها الواسعة وهندستها الغربية الفخمة ـ بمنازل نجوم « هوليوود » وغيرهم من أثرياء العالم في أحياء « بيفرلي هيلز وبيل اير » قرب لوس انجلوس . وبأقل قدر من الكلمات ، وأكبر قدر من الإشارات سألنا السائق عن اسم هذا الحي الراقي فأجاب بعد لأي : ـ لاز لوماس



وواصل زميلي المصور التقاط صور « للفلل » الأسطورية الهندسة ، ولفت نظرنا - زميلي المصور وأنا - منزل شرقي الطراز ، بإطارات نوافذه الخشبية ، وأبوابه المنمنمة ، والقرميد الذي يعلو سطحه . وأمام المنزل وقفت عدة سيارات قديمة الطراز ، من أشهر « الماركات » في العالم إلى جانب السيارات الحديثة .

وقرأنا على اللوحة التي علقت على البوابة الخارجية « ميغيل ابيد » . وبينما كنا نقرأ الاسم اندفع السائق إلينا مبتسما وهو يقول : ليبانون .

فميغيل ابيد هذا ينتمي للجالية العربية التي تضم العديد من اللبنانيين والفلسطينيين والسوريين الذين يقدر عددهم بنحو ٨٠ ألفا ، ومعظمهم يسكنون في أماكن غير بعيدة عن هذه المنطقة الثرية . وقد عرفت أن هؤلاء يتميزون بحضور على المستوى الاجتماعي والتجاري ، ولكن ليس على المستوى السياسي . . لا بأس !

وحاولت أن أتعرف على الاسم العربي « لميغيل ابيد » هذا ، فلم أجد غير « ميشيل عبيد » . . ربما !

رحلة إلى عالم الأزتيك :

كان سائقنا شخصاً لطيفاً بسيطاً ، يدعى « بانتشو » ، وهو اسم يطلق للتحبب على كل شخص يدعى فرانسيسكو بالمكسيك . وكانت جولتنا معه على مدى يومين ممتعة ، فقد كان يعرف المدينة جيداً ، لكن لغته الانجليزية لم تساعدنا بأكثر مما ساعدته . وناقشنا الأمر - زميلي المصور وأنا - واتفقنا أخيراً على أن سائقاً يعرف المدينة معرفة بسيطة ، ويعرف لغة انجليزية جيدة أفضل من سائق يعرف المدينة جيداً بلغة انجليزية سيئة . وكان لا بد لنا أن نودع صديقنا الطيب « بانتشو » ، لنبحث في زحام المدينة عمن يتحدث انجليزية جيدة ، وكان ذلك صعباً حقاً .

باختصار ، عثرنا على سائق ودليل سياحي خاص ، عاش في كاليفورنيا عدة سنوات ، يتحدث الانجليزية بطلاقة ، بل ويغني ، ويقول النكات بها ، ولا تبدو لكنته المكسيكية واضحة خلال الحديث إلا عندما يحاول أن يتحدث بلكنة أمريكية سليمة .

قلنا لبيدرو ، دليلنا الجديد : إننا عرفنا ما يكفي عن مكسيكو سيتي الحديثة ، وإننا الآن نريد أن نعرف شيئاً عن المدينة القديمة ، فقال :

- إذن هيا بنا إلى (تسوكالو) .

وتوجهنا نحو مترو الأنفاق الذي لم يكن بعيداً خرجنا من باطن الأرض إلى ساحة تسوكالو :



● باعة ومشترون قرب أهرام تيوتيهواكان .

مساحة واسعة منبسطة ، مبلطة بالحجارة ، يتوسطها علم فوق سارية ، انبثقت من وسط قاعدة اسمنتية . وأخبرنا بيدرو أن هذه الساحة تسمى أيضاً ساحة الدستور . أما تسوكالو فتعني القاعدة ، وذلك نسبة للقاعدة التي حملت العلم . وكان من المفترض أن يرتفع فوقها نصب تذكاري ، إلا أن الخلافات السياسية حالت دون ذلك ، فاكتفي بالعلم الذي بقي يتوسط أضخم ساحة في مدينة مكسيكو ، وواحدة من أكبر الساحات في العالم .

على امتداد الضلع الغربي للساحة قامت كنيسة هائلة الحجم ، يمكن للناظر إليها أن يتبين أن عدة طرز هندسية استخدمت في بنائها ، من بينها طراز الهندسة الإسلامية التي أحضرها الغزاة الأسبان معهم إلى هذا الجزء من العالم ، عندما اكتشفوه عام ١٥١٩ ، فقد كان ذلك بعد خروج العرب من الأندلس بسنوات قليلة . ولأن بناء الكنيسة ، وهي الأضخم والأهم في المكسيك ، استغرق قرنين من الزمن ، فقد استخدمت في بنائها كل هذه الطرز الهندسية . وعلى امتداد الضلع الشمالي قام بناء مفرط في الضخامة ، ببواباته المقوسة ، وساحاته الواسعة ، المختفية

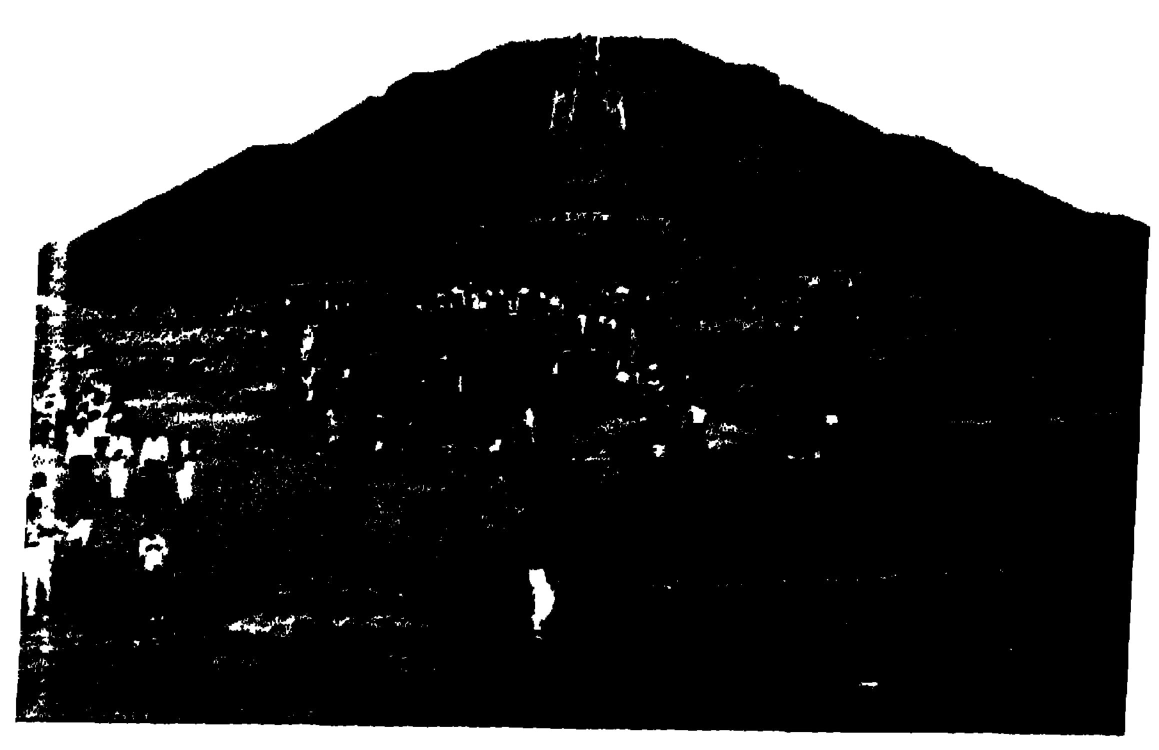


● زوجان يتسولان معاً - مشهد يتكرر بالمكسيك وفي الصفحة المقابلة زبون أسلم قدمه مطمئناً لماسح الأحذية

خلف جهامة المبنى الكبير ، وأعمدته التي حملت ثقل البناء . وفي الساحة الرئيسية للمبنى أقيمت أول مصارعة للثيران في نصف الكرة الغربي . فهذا البناء الكبير هو القصر الجمهوري . وقد أقيم فوق أنقاض قصر الملك « موكتزوما » ، أحد أعظم ملوك « الأزتيك » . وعلى الفور تمكنت من حل لغز الكلام غير المفهوم لسائقنا الطيب السابق « بانتشو » ، وسألت دليلنا بيدرو إن كان يعني أن الغزاة الأسبان وجدوا المكان أنقاضاً ، فبنوا القصر مكانه ، فأجاب بالنفي ، وأعاد مؤكداً كلماته ، بأن الكابتن « هرنان كورتيس » الذي فتح المكسيك أمر بتدمير قصر الملك موكتزوما الذي كان تحفة معمارية رائعة ، وبنى فوقه هذا القصر البشع . ونظرت إلى وجه بيدرو ذي السمات المغولية الذي يعني أنه ينحدر من سلالة تنتمي لسكان البلاد الأصليين ، نظرت إلى القصر الذي لم يبد لي بشعا جدا ، وقلت لنفسي : إننا بدأنا ندخل عالم المكسيك القديم ، عالم حضارات المايا والازتيك والتراسكيون والتولتيك والأولميك والتيوتيهواكان . تلك الشعوب القديمة التي سكنت أرض المكسيك ، وأقامت فيها الحضارات العظيمة ، والتي ما زالت آثارها قائمة حتى اليوم ، تشهد على مدى التطور الذي وصلت إليه ، قبل أن تدهمها ، « اللعنة البيضاء » التي جاءت مع الغزو الأسباني الوحش ، ممثلا بواحد من أكثر رجال التاريخ قسوة ، وهو هرنان كورتيس ، فقد قطع أيدي رسل السلام الذين أرسلهم إليه ملوك « الأزتيك » ، وقتل الأسرى ، ومثل بجثثهم ، ليدخل الرعب في قلوب شعب لم يكن مستعداً لمواجهة هذا النوع من الحضارة « المتوحشة » ، ولا هذا النوع من الرجال القساة الشرسين .

وانتزعني السائق بيدرو من تأملاتي ، وأخذني نحو موقع مربع ، أشبه بنافورة مياه ضحلة . ولكنني عندما تأملت ما في داخله رأيت مجسماً لمدينة كاملة ، بأسواقها وقصورها وجامعاتها





● هرم الشمس في تيوتيهواكان .

وملاعبها ومعابدها ، وأبنيتها ذات الحواف المربعة المدرجة بهرمية مزخرفة .

وعلى مسافة غير بعيدة من المجسم ، أحاط سياج حديدي ضخم بقطعة كبيرة من الأرض ، قامت على جوانب رقعة أقل انخفاضاً . وتوجهنا نحو الموقع الأثري ، في حين اختفى عنا زميلي المصور الذي جذبته الساحة الضخمة التي غصت بالمتفرجين والسياح والباعة والمتسولين والمغنين والفرق الموسيقية ورجال الشرطة والعشاق والمصلين والمتسكعين ، في مهرجان عفوي ، ملأ فراغ الساحة الشاسعة .

أهرامات ليست للموتى :

أبنية هرمية مربعة الأضلاع ، تداخل بعضها ببعض ، بألوان مختلفة ، غلب على أكثرها الأحمر القرميدي والأسود الناري ، فصلت بينها ممرات للعابرين ، وكان من السهل تتبع صف من الحجارة بشكل يعطي إيحاء بالتلوي ، وقد انتهت برأس ثعبان ، وهو حيوان مقدس عند الأزتيك يرمز للخصب . ومن بين الجدران المتداخلة بفنية عالية بدت قنوات الصرف التي تمثل نظاماً للمجاري متقدماً إلى درجة كبيرة ويشي بماض حضاري متطور ، كان يوماً ما ، في هذه البقعة من الأرض . أما الجدران المختلفة الألوان والأرضيات ، فتمثل طراز الهندسة الأزتيكية التي تقوم على بناء معبد أولا ، ثم توسيعه كل ٥٢ سنة ، وهي بالنسبة لهم مدة دورة الطقوس ، وهنا وهناك انبسطت ساحات مرتفعة كانت تستخدم لأداء الطقوس في المعابد التي كانت تقوم هنا في زمن غابر .

وأشار لي بيدرو إلى حجر ، يشبه شاهد قبر ، وقد انتصب بشكل طولي في إحدى الساحات الصغيرة المرتفعة ، وعلى مسافة قريبة منه قامت قطعة مستطيلة من الاسمنت ، تشبه سريراً حجرياً ، وبدأ يشرح كيف كان الأزتيك يحضرون الضحية التي يريدون تقديمها للآلهة ، وهي عادة من الأسرى الشبان الأقوياء،ويقذفون الضحية بقوة من الأعلى ، فوق الحجر المنتصب وسط الساحة ، ليكسر ظهره ، ثم يأخذونه ويمددون جثته فوق السرير الحجري الرهيب ، ليشق صدره ، ويستخرج قلبه المنتهب حرارة لتقديمه لإله الحرب الذي كان هذا معبده .

ولكن هذا ليس سوى الجزء العنيف من حضارة الأزتيك العظيمة ، فهناك جوانب كثيرة مشرقة .

كما أن الأزتيك ليسوا أعظم الشعوب التي أقامت حضارة لها في المكسيك ، أو ما يعرف بوسط أمريكا ، بل كانوا من آخر هذه الشعوب . وقد حكموا المنطقة الوسطى من المكسيك التي تقوم عليها العاصمة وضواحيها والمدن القريبة منها ، وكان هؤلاء متقدمين في الطب والهندسة والرياضيات وهندسة الري والمجاري ، كما عرفوا عدداً كبيراً من المنتجات الزراعية ، مثل الكاكاو والباباي والأفوكاتو والتبغ والقطن والطماطم ، و ٢٠ نوعاً من الفلفل الحار ، كما عرفوا الذرة بألوان مختلفة ، كالأبيض والأصفر والأسود والأزرق والبنفسجي وغيرها من الألوان . وكانوا متقدمين في الطب بما في ذلك معرفة بعض أمراض القلب ومداواتها . وفي الفلك كان باستطاعتهم التنبؤ بوقوع خسوف قبل ٥٠٠ عام ، أما في الهندسة فقد تمكنوا من صناعة اسمنت من نوعية جيدة ، ما زال موجوداً حتى الآن . وكان بإمكانهم البناء في الأراضي السبخة وذلك بأن يغرسوا أعواد الخشب في الأرض الطينية اللينة ، ثم يملأوا ما بينها بالحجارة الصغيرة ، ثم يعبئوها بالاسمنت ، قبل البناء



● نصب الاستقلال بالساحة التي حملت اسمه .

فوقها ، وهذه الطريقة تشبه ما يستخدم اليوم في البناء ، ولكن باستخدام قضبان الحديد بدلاً من الخشب ، أما الأرضيات التي ذكرنا أنها تمثل الدورات الطقسية المختلفة لهذا الشعب ، فقد كانت تصنع من الرخام . ويقال : إن الأسبان عندما أتوا إلى هذا المعبد كان البلاط ما زال يلمع نظافة ، فما كان من كورتيس إلا أن أمر بتدميره ، وبدأ بإنشاء مدينة جديدة فوقه . ووئدت مدينة ذات حضارة متقدمة ، ظلت كذلك حتى عام ١٩٢٧ ، عندما كانت شركة كهرباء المكسيك تقوم بحفرياتها لتمديد أسلاك الكهرباء ، فعثر العمال على حجر عليه نقوش ، فأوقفوا حفريات التمديدات ، وبدأت حفريات البحث عن الآثار . وما فعله كورتيس في مكسيكو كرر فعله في مدن الأزتيك والمايا وحضارات المكسيك

القديمة المختلفة ، فهذا المغامر القاسي لم يكن يهتم بالحضارة ، بقدر اهتمامه بالثروة ، ولم تكن تلفت نظره التحف الهندسية ، كما تفعل به صفائح الذهب . فعل هذا في طول البلاد وعرضها ، وما لم يفعله هو قام به من بعده الرهبان ورجال الدين المسيحيون الذين اعتبروا هذه المعابد الجميلة رمزاً للوثنية يجب تدميرها ، فدمروا المعابد ، ودفنوا التحف المعمارية ، وما لم يتمكنوا من دفنه بنوا فوقه القصور والقلاع والكنائس ، وعندما زرنا مدينة تولولا لمشاهدة أكبر هرم في العالم - من حيث الحجم وليس الارتفاع - لم نتبين ملامحه في البداية ، فقد بدا لنا

● دار الأوبرا في وسط نيومكسيكو

تلة ضخمة ، بنيت فوقها كنيستان ، إذ أشاع الرهبان حينها أن من يدمر أثراً وثنياً له الجنة . لذا فإن من المحتمل أن يكون تحت كل كنيسة في المكسيك الآن أثر من حضارة قديمة .

الشمس الخامسة :

لقد شاهدنا معبد الأزتيك ، فماذا عن أهراماتهم ؟

لنفاجئك عزيزي القاريء بالقول إن ما يعرف بأهرامات الأزتيك التي تشاهد صورها ليست في الواقع أهراماتهم ، فاسمها الحقيقي هو أهرامات « تيوتيهواكان » ، كما أن اسم الأزتيك يطلق خطأ على حضارة اسمها الحقيقي « مكسيكا » . وتيوتيهواكان اسم لهذا المكان الذي يقع شمال مدينة مكسيكو ، وللشعب ، وللحضارة التي قامت هناك . ولكن لأن اسم الأزتيك هو الشائع فإننا مضطرون لاستخدامه .

من بعيد تبدو أهرامات « تيوتيهواكان » مثل تلال هائلة ، وضعتها يد عملاقة في ذلك الوادي المشجر الفسيح ، وغادرتها لتبقى شاهداً على وجود كان هناك قبل أن يبيد . وكلما اقتربت منها بدت التفاصيل تنبيء عن حياة إنسانية متحضرة ، كانت يوماً ما ، تقوم في هذا الوادي العظيم ، الأدراج الحجرية التي تصعد مخترقة ضلع الهرم المربع صعوداً نحو قمته ، والقواعد المتعددة للهرم التي أعطته شكله المتدرج ، تزيل عنك الانطباع الأول بأنك تشاهد تله ترابيه ، وتعرف أنك دخلت إلى رحاب حضارة متطورة .

في « تيوتيهواكان » هرمان ، هرم الشمس وهرم القمر .

تقول الأسطورة : إن الشمس الرابعة أشرقت في تيوتيهواكان ، بعد أن انطفأت الشموس الثلاثة السابقة ، وعندما ماتت تلك الشمس ومات معها الناس ، سئمت الآلهة التي لم تعد تجد من يقدسها ، فاجتمعت في « تيوتيهواكان » ، واتفقت على أن تتحول إحداها إلى شمس



● في ركن بحديقة « أليدا » وقف الفنان يقلد السياسيين المكسيكيين

والأخرى إلى قمر ، وأقيمت محرقة عظيمة ، فتقدم الإله الفقير الشجاع « ناناواتزن » وألقى نفسه في النار دون تردد ، فتحول إلى شمس ، أما تيكتز يتكاتل ، الإله الغني الذي كان يتباهى دائماً بشجاعته ، فقد تردد قبل أن يلقي بنفسه في المحرقة ، فتحول إلى قمر شاحب ، شعاعه انعكاس لشعاع الشمس ، ومن هنا جاء اسم الهرمين ، أما اسم المكان فيعني « حيث يصبح الرجال آلهة » .

لم تبن شعوب المكسيك القديمة أهراماتها لدفن الموتى ، كما فعل الفراعنة ، فقد كان هؤلاء يدفنون جثث موتاهم في حفر عميقة جداً ، أو يحرقونها ، بل بنوا أهراماتهم باعتبارها معابد تقام فيها الاحتفالات . وفي بعض هذه الأهرامات تقدم القرابين ، وليس من الضروري أن تكون القرابين بشرية على الطريقة التي ذكرناها سابقاً .

في مجمع المعابد هذا يقوم العديد من المباني والانشاءات التي كانت مساكن لرجال الدين ، أو معابد لآلهة ، مثل معبد « كواتزكواتل » ، وقصر « كواتزلبابالوتل » وغيرها . كما تحيط مجموعة من هذه الانشاءات المدرجة التي ما زال بعضها يحمل الاسمنت نفسه الذي استخدم قديماً في بنائها . وتوازي هذه الانشاءات الحجرية ما يعرف بطريق الموتى الذي سماه كذلك الأزتيكيون ، وهم آخر شعوب المكسيك القديمة في هذه المنطقة ، فعندما اكتشفوا هذا الموقع وجدوا عظاماً بشرية على أطراف الشارع الذي يمتد في مكان ما ، بين الهرمين ، بطول ٤ كيلو مترات ، وعرض ٤٥ متراً ، فأطلقوا عليه اسم طريق الموتى .

وأقام الأزتيك بدورهم حضارتهم العظيمة ، بنوا الأهرامات ، وأقاموا المعابد والقصور ، ووصلوا ذروة أخرى من ذرى التطور الحضاري

المكسيكي . حتى وصل الكابتن « هرنان كورتيس » قادماً من العالم القديم .

غروب الآلهة المكسيكية :

حاول « موكتزوما » ـ وهو اسم لعدد من ملوك الأزتيك جاؤا بعد موكتزوما الأول ـ استرضاء القادم الجديد ، فلم يرض ، وحاول عقد سلام معه فلم يقبل ، وحاول مقاومته فلم يفلح ، وبدأت حروب « كورتيس » والمغامرين الذين كانوا معه ضد هذا الشعب المتحضر ، لكنها كانت حضارة لم تضع في حسبانها مواجهة الرجل الأبيض . ويقول المؤرخ « أجناسيوبرنال » : « إن رقة حاشية موكتزوما وكرمه وقدريته دفعته إلى ما أبداه من قلة العزم والضعف ، أمام كورتيس . لقد كانت أهم مزاياه وخيمة عليه ، وعلى امبراطوريته » . وفي مشهد درامي رهيب أخذ محارب شجاع من الأزتيك سيف الإله « هوتيزوبليوتشتيلي » الذي تقول الأساطير : إنه السلاح الذي لا يقهر ، وخرج وحده ليبيد الغزاة الأسبان . ويقول الرواة : إن الأسبان عندما صعدوا إلى أعلى البرج وأطاحوا بالأوثان في القاعة الكبرى التي يوجد فيها الإله « هوتيزوبليوتشتيلي » وجدوا كورتيس والشاب يهاجمان الإله . وبينما كان كورتيس يلتقط قناع الإله الذهبي ، كان الشاب يقطع رأس الإله الذي كان يعبده منذ زمن قريب : فلم يكن ذلك زمن الآلهة القديمة ، بل زمن غروبها عن أرض المكسيك ، بعد أن عجزت عن الدفاع عن عبادها .

وتلا الغزو العسكري ما يعرف بالغزو الروحي الذي كان أصعب بكثير منه ، فشعب له مثل هذه الحضارة لا يمكن انتزاعه بسهولة من ديانته ، وإدخاله في دين جديد ، لكن الرهبان الأسبان كانوا مصممين ، ولم يكن يهمهم على ما يبدو أن يكون الداخلون في الدين الجديد مؤمنين به حقاً ، فلم يتورعوا عن « التوليف » بين ديانة السكان القديمة والدين الجديد ، ليسهلوا الأمر على السكان « الوثنيين » .

ومن أبرز الأمثلة على ذلك التوليف أسطورة « تونانتسيتلا » ، وهي في الأصل إلهة محلية ، كان الهنود الحمر يعبدونها في مدينة تشولولا التي تقع إلى الشرق من مكسيكو سيتي . وقد كانت هذه الإلهة دموية قاسية ، لذا كان السكان يرهبونها ، ويخشون بطشها ، وكانوا يأتون إلى مزارها زحفاً على ركبهم من شدة الرعب . وعندما فشل الرهبان في إقناع هؤلاء بترك عبادتها ، وصلوا مع السكان إلى حل وسط ، إذ قالوا لهم : إن هذه الإلهة هي في الواقع قديسة مسيحية ، تسمى القديسة « تونانتسيتلا » ، فاقتنعوا ، لكنهم ظلوا يرهبونها ، بل بقي بعضهم إلى وقت قريب يأتون إلى الكنيسة المسماة باسمها زحفاً على ركبهم ، كما كان يفعل أجدادهم الوثنيون .

وتوجهنا إلى كنيسة القديسة « تونانتسيتلا » ، ولكن ليس زحفاً ، بل بالسيارة ، وفي الداخل لاحظنا أن جدران الكنيسة والمحراب والسقف زينت بأشكال ملونة لجميع أنواع الفواكه والخضراوات والنباتات والبهارات . ولفت الدليل نظرنا إلى أمر غريب حقاً .

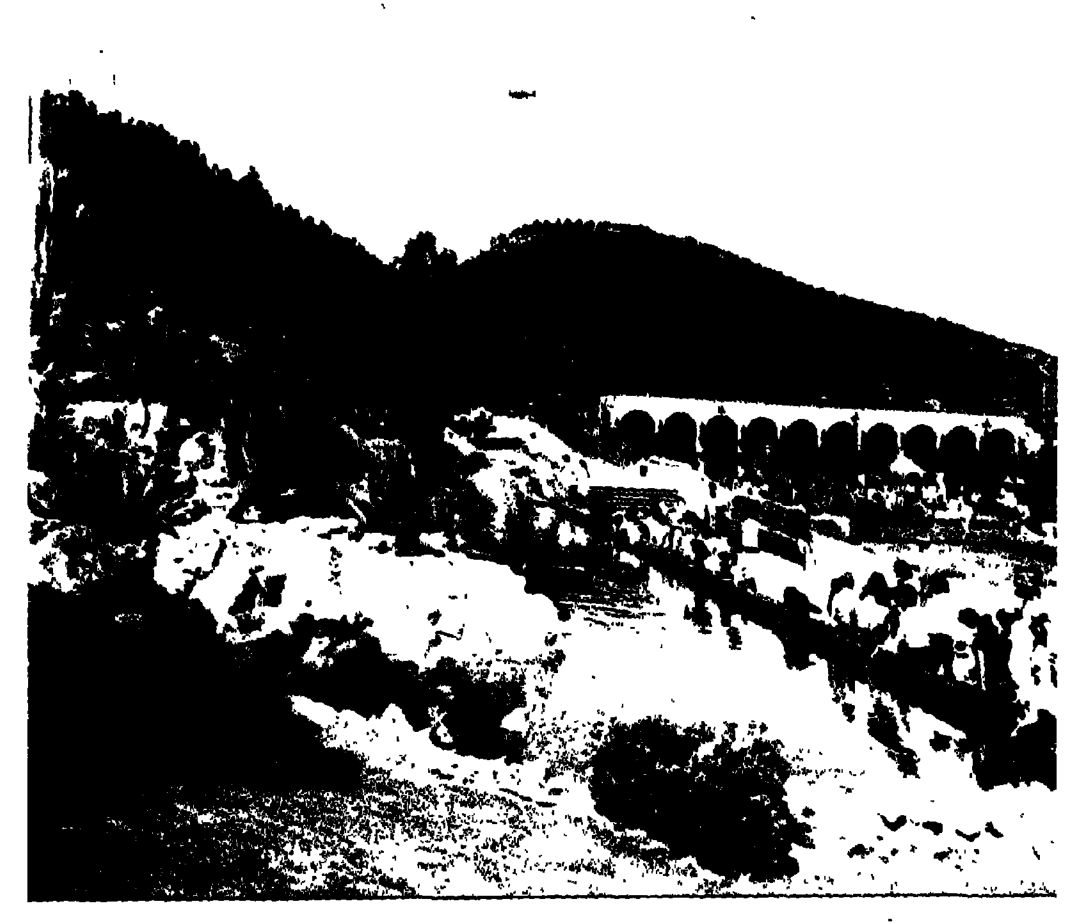
أشار لنا إلى تمثال يصور دم المسيح الذي يفترض حسب الطقوس المسيحية أن يكون من العنب ، ولكن ليس في المكسيك عنب ، إلا أن الحيلة لم تُعْيِ الرهبان ، فجعلوه من الخوخ الأحمر .

فيفازاباتا :

لكن هذه أصبحت قصصاً تروى ، فقد تحولت المكسيك بسكانها جميعاً إلى المسيحية . ومن الطريف أن نعرف أن منطقة تشولولا من أكثر المناطق تعصباً للديانة الكاثوليكية الآن . أما الكنائس القديمة فقد أصبحت مثل الأهرامات ، مزارات للسائحين الذين يتوافدون



● القبعة العريضة تحولت إلى أداة ترفيه سياحية .



● تماثيل بساحة « غواديلوبي » حيث يقال : إن السيدة مريم ظهرت لأحد الرعاة

على المكسيك من جميع أنحاء العالم . رغم الرغم من وجود النفط بكميات تجارية ، فان السياحة هي المورد الرئيسي للدخل في البلاد .

ومع السياحة تنتعش عدة قطاعات أخرى ، مثل الفنادق ، وأماكن التسلية والترفيه ، وكذلك المصنوعات اليدوية ، سواء الفخارية أو المصنوعات المعدنية أو الخشبية ومصنوعات السلال والحياكة والنسيج ، والمصنوعات الفضية التي تشتهر بها على وجه الخصوص مدينة تاسكو . وهناك الزراعة والمشاهد الطبيعية التي كثيراً ما تستخدم للتصوير السينمائي ، عدا صناعات تجميعية مثل صناعة السيارات .

وفي الطريق إلى المنتجع العالمي الشهير أكابولكو ، مررنا بتاسكو الجميلة ، وبعدد من القرى التي توارت خلف مساحات من الأشجار المثمرة الخضراء ، وهي تشبه الى حد كبير قرى المكسيك التي شاهدنا الكثير منها في الأفلام الأمريكية لكنها لا تشبهها ، منازل بسيطة من طبقة أو اثنتين ، غلب عليها اللون الأبيض ، تحيط بشوارع متقاطعة ضيقة عموماً ، لكننا لم نشاهد الفلاحين الكسالى بملابسهم البيضاء وقبعاتهم العريضة ، وهم يستندون على الجدران البيضاء مفترشين الأرض الرملية تحت حرارة الشمس اللاهبة بانتظار غريب أو « غرينغو » ، ليستغلوه أو ليقتلوه ، أو ليعملوا لديه قتلة مأجورين . لم نشاهد الحلاق المتآمر أو صاحب الحانة الذي يؤوي القتلة والخارجين على القانون . وبالمقابل شاهدنا المقاهي الحديثة و « البوتيكات » والسيارات تملأ الأزقة المرصوفة .

أثناء اختراقنا المساحات بين القرى والمدن كانت تدور في ذهني صورة الريف المكسيكي ، كما رسمتها الأفلام الأمريكية على وجه

الخصوص : فرسان مسلحون ممنطقون بأحزمة الرصاص المتصلبة على أجسادهم ، والبنادق في أيديهم ، وقد اعتمروا القبعات الشهيرة ، وعلت أصواتهم وهم يهاجمون قطاراً محملا بالذهب ، أو يسلبون قافلة أو عربة ، أو يهاجمون ثكنة حكومية بقيادة ثائر من ثوارهم الكثيرين .

ولأسباب عديدة كان « ايميليانو زاباتا » هو الذي يجسد بالنسبة لي صورة الثائر المكسيكي الحقيقي ، أهم هذه الأسباب ثوريته وشجاعته ، ونظرته الثاقبة للمسألة الفلاحية في المكسيك بالنسبة لفلاح أمي مثله . لكن ما شاهدناه كان ريفاً فقيراً على الرغم من غنى الطبيعة هناك . وفي لحظة استثنائية تداخل الخيال مع الواقع ، وتحول شريط الصور الذي كان يدور في ذهني إلى ما يشبه الحقيقة . فقد ارتبط اسم الثائر زاباتا لدي بالممثل الأمريكي الشهير مارلون براندو الذي قام بدور زاباتا في الفيلم الشهير (فيفا زاباتا) .

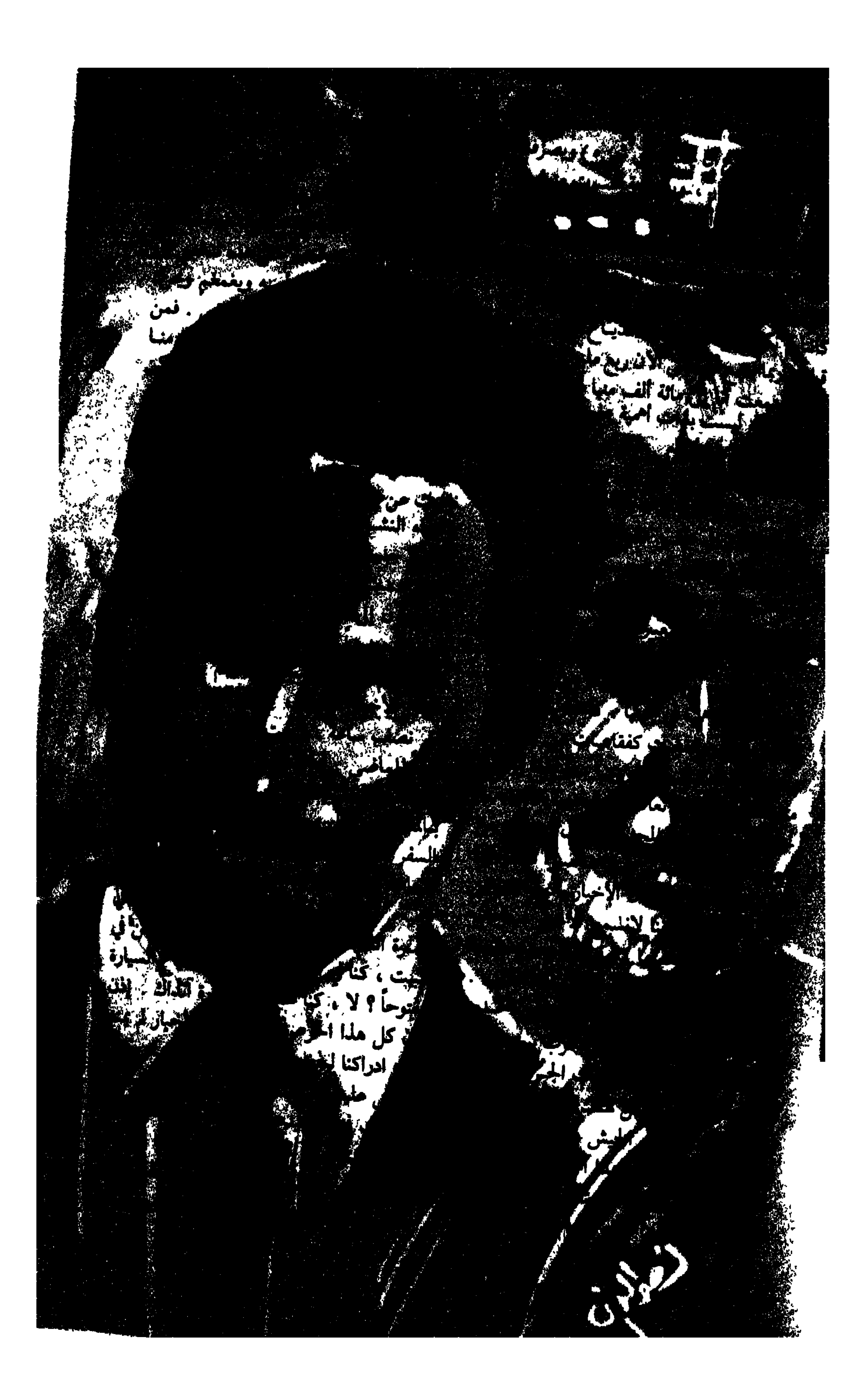
وفي اللحظة التي كنت أفكر فيها بزاباتا ، في صورة براندو ، كنا نعبر بلدة كوارنافاكا في الطريق إلى تاسكو وأكابولكو . وفي وسط دوار المدينة الرئيسي انتصب تمثال فارس يشرع سيفاً مكسيكياً ، يشبه بلطة ، في وجه أعداء غير مرئيين ، وقد اعتمر قبعته المكسيكية العريضة السوداء ، وبذلته التي تميز بها فلاحو المكسيك . ولاحظت أن هذا الفارس يشبه إلى حد كبير الممثل السينمائي الأمريكي ، قبل أن أعرف أن هذا هو تمثال الثائر المكسيكي ايميليانو زاباتا ، فقد كان الثائر في الواقع شبيهاً بمارلون براندو . كان زاباتا يقود الثورة في هذه المنطقة بجنوبي المكسيك ، فيما كان يقودها ثائر آخر هو (بانتشو فيلا) في الشمال ، ضد ديكتاتور المكسيك بيرفوريو دياز الذي حكم البلاد ، بقبضة من حديد بين عامي ١٨٦٧ و ١٩١٠ . وكان هناك ثوار آخرون عديدون في طول البلاد وعرضها ، تمردوا ضد الديكتاتور ، في ثورة استمرت نحو عشر سنوات ، قتل خلالها أكثر من مليون شخص ، من ضمنهم زاباتا الذي [illegible] غدراً . لكن الثورة انتصرت على دياز ، الا [illegible] لم تحقق الطموحات الوطنية للمكسيكيين [illegible] كانت النتيجة سقوط دكتاتورية الفرد ومجيء [illegible] ورية « الحزب الثوري الدستوري » الذي ما [illegible] يحكم البلاد منذ عام ١٩٢٩ .

الاستعمار والتعاسة

وفي أثناء زيارتي لمدينة « بويبلا » ، إلى الشرق من مكسيكو ، تحدثت مع طالب جامعة مكسيكي ، حول الأوضاع الاقتصادية المتردية . وتحدث الطالب الذي يدرس الاقتصاد في جامعة بويبلا ، وهي من أهم مدن المكسيك وأكثرها ثقافة وعلماً ، عدا عن أنها مهد الثورة المكسيكية التي انطلقت من هذه المدينة المهمة . تحدث الطالب عن ثروات المكسيك الضائعة ، وأشار الى قوة نفوذ الجار الشمالي الذي يلقي ظله على المشهد المكسيكي بأكمله ، وعرج بالحديث على تاريخ المكسيك الذي لم يخل من الاضطرابات الدموية ، منذ كانت المكسيك تسمى أسبانيا الجديدة ، وحتى الاستقلال الذي تحقق عام ١٨٢١ . ولكن ما لم يتحقق هو الاستقرار ، فقد تدخل الانكليز والفرنسيون ، واقتطعت الولايات المتحدة حوالي نصف الأراضي المكسيكية . فمن المعروف أن تكساس ونيومكسيكو ونيوكاليفورنيا كانت كلها مكسيكية حتى فبراير عام ١٨٤٨ . وفي ذلك التاريخ تم توقيع معاهدة غواديلوبي التي تنازلت بموجبها المكسيك للولايات المتحدة عما يعادل نصف التراب المكسيكي ، مقابل ١٥ مليون بيزوس مكسيكي ، تدفعها الولايات المتحدة تعويضاً .

ويخرج محدثي زفرة ألم ، ويقول : في بداية القرن الماضي انتشرت أغنية تقول : « يا أحبائي الوطنيين ، إن الحرية بين أيديكم ، فإن لم تزيلوا النير الأسباني فستظلون تعساء إلى الأبد » . لقد أزلنا النير الأسباني ، لكننا ما زلنا تعساء . □







لا يكون الكلام
يبتعد الأطفال عنا ،
لانتبادل الأحاديث حول
هو أصعب مافي الأمر ،
ليس هيناً ، يلحق بها ،
بأيدينا لنفعله ، طالما أن قضيتنا
اثنتان أو
غير أن الأمر
رسالتها ،
صحيحة ،
هكذا كان يزجنا
الخبر الذي
المحطة ،
غيرها ،
راسه مستنكرا ،
إلى
فيعمد إلى
بالغناء
ونطرب لصوته ،
لأننا يجب أن نسمع
إكراما لنا ،
إلى يافا والقدس
استمعنا



محاور أربعة في علاج القلق

بقلم : الدكتور عبدالستار ابراهيم

لأن حياتنا المعاصرة تتسم بسرعة التبدل ، وبالتعقيد ، فلقد ازدادت حالات القلق والأزمات النفسية التي تصيب كثيراً من الأفراد ، ولذلك تعددت محاولات البحث عن علاج ، وكثرت النظريات والممارسات العملية . وهذه واحدة من المحاولات العلمية التي استندت إلى فهم نظري وممارسة عملية في علاج القلق .

لعل من الحصافة أن ننبه ـ بادىء ذي بدء ـ إلى أن العلاج النفسي للقلق لا يهدف للتخلص تماما منه ، أو من التوترات النفسية التي تقترن به . فما من معالج نفسي حصيف إلا ويدرك أن هناك قلقاً محموداً ، يعبىء الشخصية ، ويدفع للنمو الشخصي والاجتماعي ، ويتطور بها نحو الصحة والنضوج ، فالاستعدادات التي نقوم بها عند مواجهة بعض التحديات ، أو المواقف الطارئة ـ فيما توضح الكتابات الحديثة ـ يمكن اتخاذها دليلا على أن للقلق والتوتر النفسي آثاراً إيجابية . ففي مثل هذه المواقف تؤدي ثورة القلق إلى التخطيط

والتـدريب المسبق ، وإلى الإعـداد الجيـد للمواجهة ، ومن ثم تتزايد فرص الكائن للتغلب على المخاطر التي قد تحيط به عندما يواجه تحديات لا يحسب حسابها .

العـلاج يصبح ضـرورة عندمـا تتزايـد حدة القلق فقط ، ومـا يـرتبط بـه من مبـالغـات ، وانفعالات ، لدرجة قد تعطل الفرد عن فاعليته وكفـاءته في أداء وظـائفه العقلية والاجتماعيـة والجنسية ، أو تعيقه عن توظيف هذه الجـوانب بكفاءة نحو ما يرسم لنفسه من أهداف . هنـا يصبـح التخلص من القلق ضرورة ، ويصبـح العلاج التزاما من الفرد نحو نفسه ، وهنا أيضا من الضروري أن لا يتم العلاج دون تشخيص وتقييم دقيق للظروف التي أحاطت بتولد القلق .

ثورة معاصرة

منهجنا الرئيس في العـلاج النفسي للقلق ، تطورت خطوطه العريضة من خلال سنوات من البحث والممارسة فيـما يسمى العلاج السلوكي الذي نعده بمثابة الثورة المعاصرة التي قدمها علم النفس خلال السنين العشرين الأخيرة من حياة العلاج النفسي وتطوره .

وهو منهج يتماثل من حيث تنوع أبعاده مع نظرتنا نفسها للقلق نفسه . فالقلق يرتكـز - في وجهة نظرنـا - على محـاور أربعة : فهنـاك أولا الموقف الذي يثيـره (امتحـان ، لقـاء مهم ، مـواجهة اجتمـاعية حـاسمـة ، مستقبـل يتسم بالغموض والتهديد) . ثانيا التغيرات الانفعالية غير السارة التي تصحبه ، والتي تأخذ - أحيانا - شكل تغيرات عضوية خـارجية ، أو داخليـة ، أشبه بالتغيرات التي تصيبنا في حالات الخوف ، كتسـارع دقات القلب ، والغثيـان ، وانقباض المعدة ، وصعوبـات التنفس ، وتوتـر عضلات الـوجه ، وتصلب عضـلات الظهـر ، وازديـاد « اللازمات » الحركية في الوجه أو اليدين . وثالثا الجوانب الذهنية والفكرية ، أي مجموعة الأفكار والحجج والمعتقدات التي يخـاطب الشخص بها نفسـه خـلال اختيـاره للمـواقف التي يمـر بهـا الشخص نفسه ، وتتسم معتقدات الشخص في حالات القلق بالمبالغة ، وإدراك مخاطر لا أساس لها ، مما جعل جمهور المعالجين النفسيين يصفون فكـر الشخص في حالات القلق بـاللامنـطقيـة والـلاعقـلانيـة . ورابعـا المـظهـر أو السلوك الاجتمـاعي الـذي يصف الشخص القلق في تفـاعلاتـه اليومية ، كـالخجـل ، والانـزواء ، والتردد ، وتجنب الآخرين .

وعلى الرغم من أن هذه المحاور تتفق فيما بينها في إبـراز القلق وتـعميقـه ، وتـطويـره في الشخصية ، إلى أن يصبح سمة دائمة فيها ، فإن المواجهة النـاجحة للتوتر النفسي ، والعـلاج الفعال للقلق ، يجب في تصورنا أن تجسد هـذه الرؤ ية المتنوعة ، فتتجه جهودنا نحو مواجهة كل جـانب من هـذه الجـوانب الأربعـة مجتمعـة أو مفردة . ومن الصحيح أن بعض الحالات الفردية من القلق تمثل سيطرة أحد هذه الأبعاد الأربعة أكثر من الأخرى .

المواجهة والتعويد

من المعروف أن نسبة كبيرة من الناس تسير مع القـول الشائـع « ما يـأتيك منـه الـريـح سـده واستريح » ، وجـريا مـع هذا القـول يستجيب النـاس للقلق بمحاولات انسحـابية وهـروبية ، وذلـك بتجنب المواقف التي يـدركونها عـلى أنها مصدر للقلق والانزعاج . ويرتكب الناس بهذا السلوك « التجنبي » الهروبي خطأ كبيرا من حيث لغة « الصحة النفسية » ، فهناك مـا يشير إلى أن الهروب من المشكلات يبعد الشخص عن البحث النشط للحلول الإيجابية والفعالة ، وهناك أيضا ما يشير إلى أن تجنب المواقف التي تثير القلق ، يضيق تـدريجيا من فـرص الشخص في النمو ، ويؤدي في النهاية إلى نتيجة معاكسة ، من حيث زيـادة الاضطراب الانفعـالي والتوتـر . وبعبارة

أخرى فإن حل المشكلات بالهروب منها بدلا من مواجهتها لا يكون علاجا إلا في المواقف التي يصعب تكرار تعرض الشخص لها ، وهي غاية في الندرة . ولهذا يعد ما يسمى طريقة « التعويد habituation » التي ولجت حديثا ميدان العلاج النفسي السلوكي من أنجح الممارسات والأساليب العلاجية للقلق . ويستخدم هذا الأسلوب لتشجيع العصابي على مواجهة مواقف القلق ، إلى أن تتحيد مشاعر المريض نحو هذه المواقف ، وتتناقص استجاباته الانفعالية المتطرفة نحوها

ويتم أسلوب التعويد إما تدريجيا أو بإطلاق الانفعالات وتفجيرها وتستخدم العلاج التدرجي من خلال تعريض الشخص تدريجيا ، وخطوة خطوة ، للمواقف التي ندرك أنها مثيرة للقلق والخوف وحسب رأي « جوزيف ولبي » الطب النفسي المعروف أن التعرض التدريجي للمواقف المثيرة للقلق - إذا ما استخدم مع أساليب أخرى كالاسترخاء العضلي - من شأنه أن يؤدي إلى تبدد القلق واختفاء كثير من مخاوفنا اللامنطقية من مواقف الحياة المختلفة وقد أثبت « لازاروس » الذي اسهم مع « ولبي » في كتاباته المبكرة ، ثم انشق عليه فيما بعد ، أن التعرض التدريجي وحده كفيل بأن يؤدي إلى نتائج علاجية ناجحة .

القلق والانفعال الشديد

وعندما يكون القلق هو التعبير المباشر عن الانفعال الشديد ، والتوتر العضلي ، ووراثة جهاز عصبي سريع الاستثارة (المحور الانفعالي) ، فإن العلاج الطبي باستخدام العقاقير المهدئة يعد من أكثر أشكال العلاج وأكثرها انتشارا على الإطلاق . فمن شأن بعض الأدوية المهدئة أن تساعد بالفعل على تهدئة ثورة الانفعالات الداخلية لكن العلاج بالعقاقير ليس علاجا نفسيا ، ومن المعروف أن هناك آثارا جانبية سيئة ، كالإدمان أو الإفراط ، يمكن أن تتطور لدى المريض ، خاصة إذا لم يكن تحت إشراف طبي مباشر . فضلا عن هذا ، فإن من المعروف أن حالات القلق قد تعود حالما يتوقف الشخص عن التعاطي . ولهذا فإننا نجد أنه بالإمكان مواجهة الجانب الانفعالي من القلق بمناهج سلوكية ، من أبرزها ما يسمى منهج الاسترخاء . والاسترخاء العضلي بطريقة منتظمة (عضلة فعضلة) أصبح الان منهجا أثيرا للتغلب على التوترات العضلية المصاحبة للقلق . إن هناك كثيرا من الأعراض البدنية المصاحبة للقلق ، أصبح علاجها الآن ممكنا بهذا المنهج ، بما فيها الصداع ، وآلام الظهر ، وخفقان القلب ، وارتفاع ضغط الدم ، وآلام الساقين والذراعين ، وغيرها من الشكاوى الدالة على التوتر العضلي والنشاط العضوي المفرط لهذا نجد أحيانا أن مجرد الاسترخاء العادي بالرقاد على أريكة ، أو الجلوس في مكان مريح هادىء ، قليل الإضاءة والضجيج ، من شأنه أن يؤدي إلى تغيرات انفعالية ملطفة

وفضلا عمّا للاسترخاء من آثار انفعالية مهدئة بشكل عام فإنه يستخدم بمصاحبة العلاج التدريجي للتغلب على ما تسببه المواقف الخارجية من توترات وصداع وهناك ما يؤكد فاعلية هذا المنهج في علاج حالات القلق الجنسي ، كالقذف السريع وضعف الانتصاب عند الذكور ، وذلك بارخاء الأجزاء السفلى من الجسم والساقين في الدقائق الأولى السابقة للاتصال الجنسي .

وللمعتقدات الخاطئة دورها

لكن التوترات النفسية والقلق لا يمكن عزلها عن الطريقة التي يفكر بها الشخص ، وعما يحمله عن نفسه وعن المواقف التي يتفاعل معها من آراء ومعتقدات . ولهذا نجد أن « اليس » و « بيك » الأمريكيين يشيران بوضوح إلى أن القلق العصابي يعد نتيجة مباشرة للطريقة التي يفكر بها الشخص

في نفسه ، وفي الخارج ، وليس بالضرورة لخصائص خارجية مهددة . لقد أطلقنا على هذا الجانب من القلق اسم المحور الذهني ، وهو محور يحظى باهتمامنا ، خاصة عندما يكون الشخص من النوع الذي يتميز تفكيره بالمبالغة ، وتوقع الخطر والانهيار والكوارث . ولعلاج هذا الجانب يتجه الاهتمام إلى تشجيع الشخص على التفكير بواقعية في الموقف ، وفي نفسه ، وفي إمكانياته . ويقترح « مايكنباوم » - من كندا - قائلا : إن من أنجح الوسائل للتغلب على التفكير الانهزامي للشخص في حالات القلق هي أن ننبهه إلى الأفكار والاراء التي يرددها بينه وبين نفسه (المونولوجات) ، عندما يواجه موقفا يتسم بالتهديد . إن من رأي هذا العالِم أن القلق الذي ينتابنا من المواقف المختلفة يعد نتيجة مباشرة لما نقوله لأنفسنا ، وما نقنع به ذواتنا من أخطار وكوارث . ولهذا فهو يقترح منهجا ، يقوم على تعديل محتوى ما يقوله الشخص لنفسه ، في المواقف التي يراها مهددة لنفسه وأمنه ، وفق ثلاث قواعد رئيسية :

١) أن تقنع نفسك بأن الخوف والهلع الذي يملك مشاعرك عند التفكير فيها قد يحدث من أشياء سيئة أسوأ بكثير من الأشياء التي ستحدث فعلا .



٢) إقناع النفس بشتى الوسائل الممكنة بأن الموقف الذي يثير مخاوفك الان سينتهي حتما .

٣) أن تقول لنفسك : إن التخلص من كل المشاعر المكدرة والتوترات المرتبطة بالقلق تماما أمر صعب . إذ لابد أن نقبل بعض جوانب التوتر مؤقتا .

وثمة طرق أخرى لمواجهة أخطار التفكير وتعديل الاتجاهات الانهزامية نحو النفس بين القلقين . فالحوار المنطقي العاقل مع النفس ، ودحض الأفكار الخاطئة التي تثير المخاوف والاكتئاب ، وتحصيل معلومات دقيقة عن المواقف التي تعتقد أنها مهددة ، وتجنب التفسير السلبي للمشاعر التي يحملها الآخرون عنك ، وتعويد النفس على التفكير في نقاط القوة عند التصدي لحل المشكلات الاجتماعية والعاطفية ، كل ذلك ينطوي - دون شك - على إمكانيات هائلة في تعديل الاضطراب النفسي والقلق .

تدريب النفس

أما من الجانب الاجتماعي للشخص القلق فإنه يتسم بخصائص تتذبذب بين أقطاب متعارضة كالانصياع الشديد ، والعدوان ، والخجل والاندفاع ، والتحدي أو تجنب المشاكل والهروب منها . إن هذه الجوانب على الرغم من التناقض الظاهر بينها يمكن فهمها في ضوء ما يتسم به السلوك العصابي من قيود انفعالية ، تكبل تلقائيته وحريته في الاستجابة للمواقف المتعارضة .

ونجد - في الوقت الحالي - أدلة قوية ،على أن تدريب الشخص على التعبير عن مشاعره بحرية ، من خلال التصرفات السلوكية والاجتماعية الملائمة ، من شأنه أن يؤدي إلى تضاؤل القلق بشكل ملحوظ . ويحظى هذا الجانب باهتمام كثير من المعالجين ، ويمثل أحد الفصول المهمة في كتب العلاج السلوكي



الحديثة . ويدرس تحت عناوين مختلفة ، منها تأكيد الذات ، أو تدريب القدرة التوكيدية ، أو التدريب على الحرية الانفعالية . ويقوم هذا المنهج على بديهة علمية ، قوامها التعرض للمواقف الاجتماعية المثيرة للخوف والانفعال والقلق ، وأنت تعرف مسبقا ما الذي ستقوله فيها ، وكيف تتصرف خلالها ، وإدراكك لحقوقك والتزاماتك إزاء هذه المواقف ، فإن من الطبيعي أنك ستكون أكثر هدوءا وقدرة على التحكم في انفعالاتك عند مواجهتك إيّاها بالظهور بالمظهر الملائم .

فضلا عن هذا فإن كثيرا من العلاقات الاجتماعية تتطلب اتصالا إيجابيا نشطا بالآخرين ، ولهذا فإن العلاقات الاجتماعية السلبية تحتوي على مزيج من الانفعالات المتنوعة ، بما فيها الغضب أحيانا ، وتبادل مشاعر الود أحيانا أخرى ، واللوم ، والإعجاب ، والضيق . ومن المعروف أن قدرة الشخص القلق على تبادل المشاعر تقل في المواقف الاجتماعية ، نتيجة لما يؤدي إليه القلق من قيود وعجز . ولهذا نجد أن الشخص في مواقف القلق يقمع رغبته في التعبير عن مشاعره الحقيقية ، ويكتم أفكاره عن الموقف ، فلا يبدي معارضته أو قبوله ، أو يرغم نفسه على قبول أشياء لا يحبها ، أو يهرب من أشياء يحبها . ومن ثم تجيء أهمية تدريب الشخص على التعبير عن الانفعالات بجوانبها الإيجابية : (الحب والاعجاب مثلا) ، والسلبية (الغضب والعدوان والرفض) . إن حرية التعبير عن الانفعالات لا تجتمع مع القلق . فالتعبير بحرية عن الانفعالات بما يتسم به من تلقائية يتعارض مع القلق والعصاب بما فيها من قيود .

ويتم تدريب القدرة على حرية التعبير الانفعالي بأساليب أخرى متنوعة ، منها مثلا التدريب على تنطيق المشاعر ، أي تحويل أي شعور ، أو التعبير عن أي انفعال بكلمات صريحة منطوقة . وينصح المعالجون أيضا بأن يتشجع الشخص على إحداث استجابات بدنية ملائمة للانفعال ، فاستخدام الإشارات والحركة الرشيقة ، وتشكيل ملامح الوجه بطريقة ملائمة ، والاحتكاك البصري المناسب ، من شأنها جميعا أن تتضافر لإحداث الثقة بالنفس في مواقف التفاعل الاجتماعي ، بما يخفف من آثار القلق والاضطراب . □

أيهما أفهم



المعلم : إذا كان والدك مدينا بمبلغ قدره ٤٠ دينارا على أن يدفعه في خمسة أقساط ، فكم دينارا يدفع في كل قسط ؟

التلميذ : لا يدفع شيئا

المعلم : اجلس فأنت لا تفهم الدرس

التلميذ : لا . بل أنت الذي لا تفهم والدي .



غادة السمّان و جان الكسان

- الكِتابةُ مُحاولةٌ بَشَرِيَةٌ لِرَدْمِ الهوّة بَيْنَ وَعْيِ الأشياءِ وَالصّمتِ أمَامَهَا.
- أنَا بَدَوِيَّة رَحّالةٌ في صحَارَى الكَلِمةِ، وَمُحَصَّنةٌ ضِدَّ الانبهَارِ بالغَربِ.
- لا أذهبُ الى الكِتابةِ متنكِّرةً داخِل ثيابِ عَنترة.
- الهَمُّ النسوي إمكانية فنيّة مدهِشة حين تتناولهُ أقلام مُبدعَة.
- الحداثةُ ليسَتْ بِدعَةً عَصريّة، وأسلافنا كانوا أُمراءَ الحداثةِ في عَصْرِهم.
- عَدَالةُ القضيّةِ ليسَتْ بَديلاً للشَرَارةِ الإبداعيّةِ في الأدبِ.

الدخول إلى عالم الأديبة غادة السمان ، في رواياتها وقصصها ومقالاتها ، وأشعارها ، وخواطرها ، وأدائها ، ويومياتها « ٢٦ كتاباً » مغامرة عصرية مفعمة بالإثارة . إذ لم يسبق أن كتب عن أديبة عربية معاصرة بالحجم والنوع اللذين كتب بهما عن أدب غادة السمان . فقد صدرت كتبها في عدة طبعات ، ووصل عدد المترجم من أعمالها إلى أربعين عملا ، بين روايات وشعر وقصص قصيرة .

نتلمس بعض خصائصه في هذا الحوار الذي أجراه معها الكاتب جان الكسان :



*** أسبغ عليك كبار الأدباء والنقاد العرب وعدد من المستشرقين في العالم، تقديرا لم يسبق أن توجت بمثله أديبة عربية معاصرة ، حتى يخيل للقارىء أنك تستطيعين الاتكاء طويلا على هذه الأمجاد ، في حين نعرف أنك تتهيبين مرحلة البدء بكتابة رواية جديدة ، وكأنها تجربتك الأولى هل هي معاناتك الدائمة ، أم الخوف من أن يكون العمل الجديد دون طموحك المؤمل ؟ .**

- لا أستطيع [illegible] على غير تكرار العطاء ، لا مجد لي غير [illegible] ، ولا شيء لي غير خوفي من الانفصال و [illegible] ضمانة لي إلا في دعوتي ووحشتي في خراب الدهشة ومع الكتابة لأن مصادقة التشاؤب على تلك الانتصارات العتيقة تعني النهاية .

لا أذهب إلى الكتابة متنكرة داخل ثياب عنترة ، بل أذهب كما في المرة الأولى : نملة صغيرة في بلاط . إنها معاناتي الدائمة ، وعداي الذي أتمنى أن يديمه الله عليّ . كل كتاب هو كتابي الأول والأخير ، أحاول أن أحفظه بحيوية الطفولة الأولى ، وصدق المحتضرين . أبدا كما لو أنني ولدت للتو على الورقة البيضاء ، وسأموت مع السطر الأخير .

لا أريد أن ألعب « ورقة التواضع » ، ولكن الأشياء تحدث لي على هذا النحو ، وذلك « الخوف من أن يكون العمل الجديد دون طموحي المؤمل » هو خوف له ما يبرره ، لأنه يحدث لي باستمرار ، ويخيل إليّ أن رحلة المرء مع الكتابة هي محاولة بشرية إضافية ، لردم تلك الهوة بين الوعي الحاد للأشياء والخرس أمامها ، وبهذا المعنى فكل ما كتبته وما سأكتبه هو « دون طموحي » ، ولهذا أستمر

الهموم النسوية والإبداع

*** لن نسألك عن أدب الرجل وأدب المرأة ، ولكننا سننطلق من رأي يقول : إن غادة السمان تخطت هذه الخدعة « مابين أدب الجنسين » ، وتركت « الحريم الأدبي » يحكي ثرثراته وأشياءه الخاصة ، ودخلت بقلمها وموهبتها في غمار القضايا الإنسانية الحية هذا الرأي ألا يظلم بقية الأديبات بقدر ما ينصفك ؟ .**

ـ حسن النية وعدالة القضية لا يصنعان وحدهما أدبا يبقى إذا لم يرتقِ الفن بهما من مستوى الثرثرة اليومية ، أو البيانات التقريرية ، إلى مرحلة التقطير . بدون التشكيل الفني لاتستطيع طائرة الإبداع الإقلاع ، مهما كانت محملة بالنوايا الحسنة والقضايا العادلة . الثرثرات والحديث عن « الأشياء الصغيرة » ، وعن « ضيق الأفق » ليست مرضا نسويا ، هذا مرض أدبي يصيب الرجال والنساء معا ، كنتيجة مباشرة لفقر الدم الإبداعي « موهبة أو ثقافة » أو محاولة تسخير الفن كأداة إعلامية .

الصلة أكيدة بين أحداث الحياة وأزماتها من جهة ، والأدب من جهة أخرى ، شرط ألا ننسى أن الإبداع كيان فني قبل كل شيء ، لاأيديولوجيا ومواعظ ، ومن يرغب في عرض قضية عادلة لا أكثر ، فليكتب خطبة ، أو بيانا لنناقشه بوضوح ، ونستنبط حلا ، بدلا من أن يرمي بين أيدينا بجثة عمل روائي . الفن ليس منشورا دعائيا أو بوقا لأي قضية ، مهما سَمَتْ ، وهو يطرح أسئلة ، وليست لديه إجابات جاهزة ، وعليه أن يكون فنا أولا ، وإلا فقد فاعليته على كل صعيد ، بشهادة أكثر المتطرفين الايديولوجيين تعصبًا ، كما وتسي تونغ مثلا الذي اضطر للاعتراف بأن « الأعمال التي تنقصها القيمة الفنية تظل عديمة المفعول ، من وجهة النظر السياسية ، حتى ولو كانت ذات صبغة تقدمية » .

إن للإبداع شروطه وأصوله التي لا نستطيع القفز من فوقها ، من أجل أي اعتبار آخر . وتكمن الخدعة في التوهم بأن عدالة القضية تستطيع أن تكون بديلا عن تلك الشرارة الفنية الإبداعية المقدسة التي تحيل النص الميت إلى نسيج حي ، يخاطب الإنسان في كل مكان . وهكذا نجد « الثرثرة » في الأدب الذي يكتبه الرجل والمرأة معا في كل زمان ومكان ، كما نجد الإبداع أحيانا .



لنتأمل ذلك الركام المروع من الخطابيات الذي سجله الرجل العربي ، تحت شعارات الأدب « الايديولوجي » أو « الثوري » ، وصولا إلى أدب « الحجارة » الذي يشكل اليوم موضة رائجة في الوقت الذي يتم فيه التغاضي عن القيم الجمالية في العمل الفني ، إكراما لخاطر القضية العادلة النبيلة . المرأة تقترف أحيانا الغلطة الفنية نفسها ، فتعتبر ألمها الداخلي ، وقضيتها العادلة ، بديلا أو مبررا للتغاضي عن بعض الهنات الإبداعية.إنه المرض نفسه إذن ، وهو لا يختص بأدب الرجال دون النساء ، بل علة شائعة في حياتنا الأدبية ، وإن كان بعض نقد الرجال يركز على غلطة « المرأة » الكاتبة ، ويغفر الغلطة نفسها للكاتب « الذكر » ، بدلا من إدانتهما معا . نحن نحتقر ما يدعى « الهموم النسوية » ، وهذا خطأ أدبي شائع . « الهم النسوي » إمكانية فنية مدهشة حين تتناوله أقلام مبدعة .

تكامل تاريخي وموضوعي

*** هل تطرحين المرأة في أدبك نموذجا اعتراضيا في وعيها ، أو نموذجا إشكاليا وسط مرحلة تحولية في التاريخ العربي الحديث ، أفرزت - أي المرحلة - صراعات ومعطيات جديدة ، تجاوزت تلك التي أفرزها فكر النهضة في بداية القرن ؟**

- لاتضارب بين الطرحين ، ثمة تكامل تاريخي ، موضوعي السياق ، في منظومة يتلاحم فيها الخاص والعام ، ولا يخلو أدب منها

المرأة في أدبي جزء من العذاب العربي ، والطموح ، والرغبة في تجاوز الذات ، إنها بهذا المعنى كالرجل تماما ، تعاني المراحل كلها مجتمعة متصارعة ومتكاملة ، بالإضافة إلى معاناتها كأنثى مقموعة . ولأن المرأة مركز حساسية المجتمع العربي - لأسباب تاريخية لامجال لحصرها - تحدها ، بصورة غير مباشرة ، تحرق الصراع من أجل التطور الواعي ذي الخصوصية العربية وأنا لا أستطيع تجاوز العلاقة الجدلية بين قضيتها الذاتية وقضية الرجل ، شريكها في الألم . ولا أستطيع عزلها داخل أنابيب مفرغة من هواء التطور التاريخي

المرأة في أدبي ليست فقط نموذجا اعتراضيا في وعيها ولا إشكاليا وسط مرحلة تاريخية تحولية ، بل هي شقيقة عذاب الرجل وحبيبته الأولى

أطروحة فضفاضة

*** هناك من يتهم كاتباتنا المعاصرات اللواتي حرضن على التقليد الموروث والأصفاد التي يفرضها مجتمع الرجال . هناك من يتهم كتاباتهن بأنها مجرد اعتراف رومانسي . يبدأ عند حدود الرجل ، لينتهي إليها . لأن الرجل يظل وحده ممثلا لتاريخ القوة ، فماذا تقولين في هذا ؟**

- هذه أطروحة فضفاضة ، من نمط « الكليشيهات » المتداولة والنقد الشفهي الجائع إلى التعميم ، هربا من التدقيق . وإذا فرضنا جدلا أن ذلك ينطبق على بعض المحاولات الأدبية النسوية الأولى فثمة جيل جديد من الكاتبات البراعم يحضن عالم الحرف برؤية أكثر شمولا واتساعا

أسلافنا أمراء الحداثة

*** هناك تهمة موجهة لروائيينا - وأنت منهم - من قبل النقاد أو المحاورين ، وهي أن اقتراف الحداثة في رواياتهم أمر مفتعل واستعراضي ، بدليل تصاعد هذا الانتقال بصورة متباينة أو متناقضة أحيانا من رواية إلى أخرى . هل هذا شكل من أشكال التجديد ، أو إعادة لصياغة الخطاب الروائي بما يواكب لغة العصر ومقتضياته ؟**

- كل أديب يمثل حالة خاصة ، كبصمة الأصبع ، ولذا أكتفي بالتحدث عن نفسي : أنا ببساطة امرأة عربية حتى قاعي ، وجوعي إلى التجديد لا صلة له بمقتضيات العصر ، بل بأصولي البدوية . أنا بدوية رحالة في صحاري الكلمة ، أريد أن أرى ، وأن أجرب ، وأذوق القمح والسراب . عشت طويلا في الغرب بما يكفي لتحصيني ضد الانبهار به ، ولتطعيم أدواتي بما هو إنساني وجوهري - في نظري - مع نبذ العقد النفسية لمرض التجديد الأعمى . التجديد ينبع من داخلي لا من حيرة داخلية ممتزجة بشعور بالنقص أمام العصر . فأنا كعربية جزء من شهية صناعة العصر ، ولست ضيفة على مائدته ، لقد كان أسلافي العظام - ومنهم المتنبي - أمراء الحداثة في عصرهم ، وأحب أن أستلهمهم في خطاي .

البطل الفرد والمجموعات البشرية

* في حين يعمد كثير من الروائيين المعاصرين إلى تغييب البطل الفرد، كمحور، في أعمالهم التي تحمل هاجس المجموعات البشرية، تصرين أنت على فرض الحضور المطلق للبطل الفرد الذي كثيرا ما يقترب - بوصفه نموذجاً - من شخصية الكاتبة، حتى ولو ناء بما يحمله إياه هذا الحضور من قضايا. إذا كنت ترين في هذا اتهاما مباشرا، فالمطلوب ردك عليه.

- أرى في هذا القول اتهاما مباشرا لصاحبه، وأطالبه بمنحي المزيد من وقته لقراءة أعمالي بأكملها، وليس الإكتفاء بما يذكره عن كتبي الأولى في مرحلة « لابحر في بيروت ». وصاحب هذا القول إذا كان منسجما مع نفسه، فسيجد نفسه مضطرا لتفسير أمر واقع، هو : لماذا تعمد بعض الدول اليسارية التي ترفض هذا النمط من الأعمال « الفردية » إلى ترجمة رواياتي بكثافة، أسوة بالدول الغربية؟ لماذا ترجمت روايتي « كوابيس بيروت » مثلا إلى الروسية والبولونية؟ ولماذا تطبع حاليا في المانيا الشرقية، بعد المانيا الغربية وغيرها من بلدان الغرب؟.

الأدب المبدع ليس كذلك بالضرورة، لأنه « يغيب البطل الفرد »، ولأنه « هاجس حركة المجموعات البشرية ». ولاتوجد وصفة سحرية لكتابة عمل أدبي مبدع بهذه المواصفات، و « البطل الفرد »، و « المجموعات البشرية » ليسا مادتين متنافرتين، لابد من غياب إحداهما في العمل الفني إكراما لحضور الأخرى، بل أرى الصلة بينهما أقرب إلى إمكانية التكامل.

من عشاق الأدب المقارن

* في كلية الآداب بجامعة دمشق - قسم اللغة الانجليزية وفي مادة الأدب المقارن، يدرس الطلاب أدبك بالمقارنة مع أدب الكاتبة الانجليزية فرجينيا وولف. ما قولك في ذلك؟

- أنا شخصيا معجبة بفن فرجينيا وولف إعجابي بمارغريت بورسنار، وولّادة بنت المستكفي، ونازك الملائكة، وفدوى طوقان، وغيرهن من المبدعات والمبدعين. وأنا أيضا من عشاق الأدب المقارن، ولو منحت عمرا آخر لكرسته لدراسة الأدب المقارن. لقد أعطينا العالم دفعا كبيرا في



درب الإبداع ذات يوم ، وآمل أن نعود إلى لعب دورنا الإنساني المجيد ، معتدين بما لدينا ، غير وجلين أمام الغَرْفِ من معين التراث العالمي لصقل أدواتنا وتطويرها .

تجريبية وهاوية

* التعامل مع نصك يثير في ذهن المتلقي جدلية مسبقة ، تنتهي إلى مقولة ، تؤكد أنك « تجريبية » ، ولكن ليس بالمعنى المتداول للكلمة ، فبعد مطالعة النص يشعر القاريء أن بعد الصفحة الأخيرة من الكتاب صفحات يتوقع أن تكون إضافات إلى الأبجدية العربية ، وكأنه على موعد متجدد معك . كيف تفسرين هذه الحال ؟

- يقول غوته : « الحياة قصيرة والفن شاسع » ، وما من كتاب في الدنيا يقول كل شيء ، ويتسع لكل شيء . « القرآن الكريم » مستثني بالطبع من هذه المداخلة . وهذا هو إحساسي دائما حينما أكتب . وعلى الرغم من ذعري وشجاعتي في آن واحد ، وعملي الطويل المسبق على الرواية ، تأتي لحظة الاكتشاف جديدة ومشحونة بحب الاكتشاف .

أنا تجريبية حتى لحظتي الأخيرة ، وهاوية لا محترفة ، لأنني أنمو داخل الكتابة لا خارجها .

البداية وليس الوصول

* ترجم عدد من أعمالك إلى عدة لغات أجنبية . هل الترجمة التي قد تتيحها ظروف معينة لأديب دون سواه ، هي مؤشر للخروج إلى العالمية ، في حين لم يستطع الأديب العربي حتى الآن أن يصل إلى قرائه العرب ، حيث تنشر خمسة آلاف نسخة من الكتاب لمائتي مليون عربي ؟



- الترجمة هي مؤشر على إمكانية الخروج إلى العالمية ، أما الترجمات التي تسهم فيها « ظروف معينة » فهي خارجة عن القيمة الفنية ، وهي تموت مع الزمن ، وقلما تصل إلى القاريء إلا بكميات محدودة ، وهكذا فالترجمة هي بداية الدرب ، لا الوصول .

لا أكذب على القاريء

* الغرابة والمخالفة والخروج على المألوف في الطرح والتعبير من السمات التي تميز أدبك . هل تعتقدين أن هذا أحد مفاتيحك الذهبية إلى قلب القاريء أو ذهنه ؟ .

- مايراه بعضهم غريبا يبدو لي مألوفا ، إنني أرى الأشياء على هذا النحو ، ولكنني لا أعتقد أن خصوصيتي في التعبير هي مفتاحي (الذهبي) إلى قلب القاريء ، أو أحد مفاتيحي .

أعتقد أن القاريء العربي أعمق مما يتوهمه بعضهم ، ولديه جوع إلى الكلمة التي تحترمه وتتعامل معه بديمقراطية ، وأنا أحترم قارئي ، ولا أكذب عليه ، ولا أنافق باسمه ، ولا أجامل

بحجة الخوف عليه ، ولا أزوّر الحقائق بحجة الدفاع عن مصلحته .

*** بين إيحاء الحدث المباشر (المقالة الصحفية) ، أو تداعي الأفكار (الخاطرة) ، أو هاجس الرصد المكثف لواقع أو موقف أو مدلول لدى شخص أو شريحة مؤطرة من المجتمع (القصة القصيرة) ، أو الإحاطة الشمولية والتقصي حتى عوالم الهوامش والتفاصيل التي تغني الحدث المحوري ، والأحداث الثانوية الرديفة (الرواية) . كيف تتخذين قرار الاختيار في الجنس الأدبي الذي تكتبين فيه ؟ .**

ـ أحاول قدر الإمكان عدم السماح لظروفي الآنية العابرة بالاختيار . وكم من عمل أدبي تم إجهاضه على مذبح نزوة الكتابة الآنية العابرة ، أو الحاجة المادية ، أو الحاجة إلى التواصل السريع مع الآخرين كسلاح ضد الوحشة .

أحاول قدر الإمكان أن أرصد أعماقي وتياراتي الداخلية ، لأميز بين حقائق القاع ونزوات فقاعات الأمواج .

أعتقد أن الاكتفاء المادي يساعد الفنان على شراء الزمن لغربلة حرفه وتطويره وتخزينه ، كي لا يذهب كل شيء في بالوعة « اليومي العابر » . وقرار الاختيار في الجنس الأدبي الذي أكتب تفرضه مادة الكتابة ، وكل ما أملكه هو أن أكون مستعدة لاستقبالها حين تحضر ، وأن أنجو بنفسي من فخ « الكتابة الإرغامية » أيا كانت الأسباب ، مادية أو عاطفية ، المهم ألا يرغم المرء رواية على التحول إلى خاطرة ، أو العكس ، وإلاّ خسر العملية .

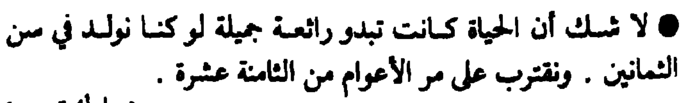
والتنقل بين مختلف الأجناس الكتابية متعة ، تشبه اختيار نوع صنارة الصيد الصالحة لما تريد .

بلاد العرب أوطاني

*** أثير في الصحافة الأدبية العربية أكثر من مرة موضوع الأدباء المقيمين في أوطانهم ، والأدباء المغتربين لسبب من الأسباب . وقد عشت تجربة الاغتراب عن الوطن ، فكيف ترينه من بعيد ؟**

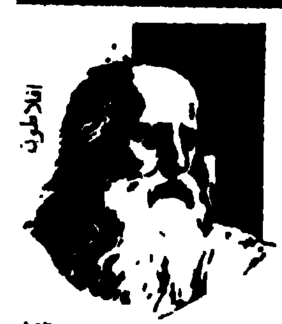
ـ لا أرى الوطن من بعيد ، فمازلت أقطنه بالمعنى الجوهري للكلمة ، ولست مغتربة ، فأنا في قطار سيعود دوما إلى الوطن ، إلى أي قطر عربي ، فقد فتحت عينيّ على صوت أبي وهو ينشد : « بلاد العرب أوطاني » ، وتلك حقيقة أومن بها وأحسها في أعماقي ، وقد كبرت وأنا أراه يؤلف الكتب عن « المجتمع العربي » ، ويحاضر كاقتصادي عن « الوحدة الاقتصادية المحتومة » بين أقطاره ، وأعيش اليوم غصة وأنا أرى تلك الوحدة الأمنية تتحقق ، ولكن بين الأقطار الأوروبية لا العربية .

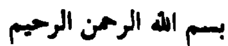
لا أرى الوطن من بعيد إلاّ لأتذكر مزاياه التي لايعرفها المقيم ، كأن الرحيل زادني انغراسا في جذوري ووعيا بأصولي ، وحنينا إليها ، فالوطن كالصحة ، تاج لايراه إلاّ المشرد . □



● لا شك أن الحياة كانت تبدو رائعة جميلة لو كنا نولد في سن الثمانين . ونقترب على مر الأعوام من الثامنة عشرة .
(مارك توين)

● قليل من العلم مع العمل به أنفع من كثير من العلم مع قلة العمل به .
(افلاطون)







مجلس الوزراء

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

الأمانة العامة

اعلان من جائزة الدولة التشجيعية في الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية والانسانية لعام ١٩٨٩ م

يعلن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب عن فتح باب الترشيح لجوائز الدولة التشجيعية لعام ١٩٨٩ م التى ستمنح للمبدعين من أبناء دولة الكويت في المجالات التالية :

١ ـ مجالات الفنون «أربع جوائز»

أ ـ الفنون التشكيلية (نحت ـ رسم ـ تصوير ـ الخ)
ب ـ التمثيل
جـ ـ الموسيقا والغناء
د ـ الفنون الجماعية (الإخراج والتقنيات)

٢ ـ مجالات الآداب «سبع جوائز»

أ ـ الشعر
ب ـ فنون النثر (مسرحية ـ قصة قصيرة ـ رواية)
جـ ـ أدب الطفل (مسرحية ـ قصة ـ شعر)
د ـ الدراسات اللغوية
هـ ـ الدراسات الأدبية والنقدية
و ـ تحقيق التراث
ز ـ الترجمة

٣ ـ مجالات العلوم الاجتماعية والانسانية «أربع جوائز»

أ ـ الفلسفة والاجتماع والأنثروبولوجيا
ب ـ التربية وعلم النفس
جـ ـ التاريخ والآثار
د ـ الجغرافيا

جهات الترشيح :

١ ـ الجهات العلمية والأكاديمية والثقافية والفنية في دولة الكويت .
٢ ـ اللجان المؤقتة التي يشكلها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب لهذا الغرض .
٣ ـ الترشيح الشخصي أي أن الشخص من حقه أن يقدم أعماله لنيل الجائزة .

شروط الجائزة :

١ ـ أن يكون العمل متميزاً في بابه .
٢ ـ أن لا يكون الإنتاج المقدم للتشجيع قد نال عليه صاحبه درجة علمية أو سبق أن فاز بجائزة من جهة أخرى .
٣ ـ أن يكون قد نشر أو أنتج لأول مرة خلال عام ١٩٨٩ م .
٤ ـ أن تكون المؤلفات مكتوبة باللغة العربية الفصحى .
٥ ـ تقبل الأعمال المشتركة بشرط أن يكون كل المشتركين في التأليف من الكويتيين .
٦ ـ آخر موعد للترشيح وتقديم الطلبات هو ٣١ يناير ١٩٩٠ م .

ـ قيمة الجائزة خمسة آلاف دينار كويتي وشهادة تقديرية تمنح في حفل رسمي يقام لهذه المناسبة .

ـ ترسل الطلبات والترشيحات إلى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ص . ب ٢٣٩٩٦ الصفاة 13100 الكويت . (اللجنة العليا لجائزة الدولة التشجيعية) .

حواشي قول على قول :

الغناء في المدينة المنورة

بقلم : حسن سعيد الكرمي*

السياسة فن ، والاقناع فن ، واستمالة العقول والقلوب فن آخر ، فكيف إذا اجتمعت لرجل واحد ؟ ذلك هو ، ما اجتمع لابن أبي عتيق الذي استطاع أن يثني عزم والي المدينة عن قرار اتخذه بالقليل القليل من الجهد على نحو ما نرى في هذه الحادثة :

لما دخل عثمان بن حيان المري المدينة واليا عليها من قبل يزيد بن معاوية اجتمع إليه الأشراف من قريش والأنصار ، وقالوا له : إنه لا يفعل شيئا أحدى ولا أوْلَى من تحريم الغناء ، فوعدهم خيرا ، وأجّلهم ثلاث ليال ، حتى ينظر في الأمر ، واتفق أن جاء ابن أبي عتيق المدينة في الليلة الثالثة ، ودخل على سلامة الزرقاء المغنية ، فأخبرته الخبر عن والي المدينة وتحريم الغناء ، فاغتم لذلك ، ونام ليلته تلك ، ثم مضى في الصباح إلى عثمان بن حيان ، فدخل عليه بعد الاستئذان ، ثم قال له : إن ما أقدمه عليه هو حب التسليم عليه . وقال : إن من أفضل ما عملت به تحريم الغناء ، فقال عثمان : إن أهلك من قريش أشاروا علي بذلك . فقال ابن أبي عتيق : إنك قد وفقت ولكني رسول امرأة إليك ، تقول : إن الغناء كان صناعة لها ، وقد تابت إلى الله منها . وأنا أسألك أن تدعها تجاور قبر النبي ﷺ . فقال عثمان : هي حرة في مجاورة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام . فقال ابن أبي عتيق : ولكن الناس قد لا يدعونها تجاور ، وأرى أن تنظر إليها أنت بنفسك ، لترى إذا كانت ممن يترك لمجاورة القبر . فقال عثمان : ادع بها حتى نراها . فذهب بها ابن أبي عتيق إلى الوالي ، وكانت قد تقشفت وأخذت سبحة في يدها ، فلما اجتمعت حدثته فسر بحديثها . ثم قرأت شيئا من القرآن الكريم بصوت رخيم . فأعجب الأمير بقراءتها ، ثم حدثت فطرب الأمير بحدائها . فقال ابن أبي عتيق : فكيف أيها الأمير لو سمعتها في غنائها ؟ فقال الأمير : قل لها فلتسمعنا ، فغنت سلامة .

سددن خصاص الخيم لما دخلنه ... بكل لباب واضح وجبين
كأن الخدور الجأت في ظلالها ... ظباء الملا ليست بذات قرون

ومضت في غنائها الأبيات ، فطرب الوالي ، ونزل عن سريره ، وجلس بين يديها يستمع ، ثم قال : لا والله ما مثلك يخرج من المدينة . فقال ابن أبي عتيق : ولكن الناس سيقولون : إن الأمير سمح لسلامة بالبقاء في المدينة ولم يسمح لغيرها . فقال عثمان بن حيان : قد أذنت لهم بالبقاء جميعا . □

---

* كاتب عربي من فلسطين



مَن قتل مريم الصّافي ؟

مجموعة قصصيّة من تأليف/ الدكتور محمد المنسي قنديل

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا

« محمد المنسي قنديل ، من الجيل الذي عاش في صباه الوعود الكبيرة لثورة يوليو سنة ١٩٥٢ .

وقبل أن تتاح له ولأبناء جيله أي فرصة للمشاركة في إنجاز ما بقي من هذه الوعود ، وجد نفسه فجأة وجها لوجه أمام كارثة أكبر من أن يستوعب وقعها ، أو يتدارك نتائجها ، وهي هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ .

فهل يمكن أن نقرأ هذه المجموعة ، دون أن نأخذ في اعتبارنا ، هذا التقابل الحاد الفاجع بين مرحلة تفتح الوعي والأحلام ، في حياة جيل شاب ينتمي إليه الكاتب ، ومرحلة انكسار كبير في حياة وطنه وأمته ؟! »

لعل أول انطباع يخرج به قارىء هذه المجموعة ؛ هو أن قصصها كلها تدور في فلك حزن غامض كبير ، وهي في حركتها واقعة في أسره ، وحين تبتعد عنه أو تغرق فيه تبدو كأنها تسعى لكشف أسراره ، لكنها في بعض الأحيان تكتفي بتسجيل وقائعه ، وبأن تكون مجرد شاهد عليه . في لوحة ضمن قصة « لحظة يمتلىء الجرح بالرماد » التي تضم سبع لوحات قصصية ، يشاهد الراوي عجوزا ، يقف إلى جوار سور حديدي فوق النهر ، في يد العجوز حبل طويل ، في الطرف الآخر للحبل كلب تعبر حركاته عما بينه وبين العجوز من ثقة وألفة . العجوز يطلب المساعدة مرة من الجندي الذي يحرس الجسر ، ومرة من الراوي ، وكل واحد منهما يرفض تقديم المساعدة حين يعلم أنها في إحكام لف الحبل من طرفه بأحد الأحجار الثقيلة ، ورفع الحجر فوق

سور الجسر ، يقول العجوز للكلب معتذرا : « ولكنه لا مفر من ذلك » . يبتعد الحارس والراوي حتى لا يبصرا النهاية التي اختارها العجوز لكلبه . يقوم العجوز وحده على الرغم من بؤسه ووهن بدنه بكل العمل على عدة مرات ، مستغلا ثقة الكلب به ، وحين يهوي الحجر في قاع النهر ساحبا الكلب خلفه ؛ تكون المسافة بين لحظة إدراك الحقيقة ، وإمكانية النجاة ، قد تلاشت ، ويعجز انسحاب الراوي وانسحاب الجندي عن إنقاذهما من أن يكونا شاهدين على المأساة وعلى عجزهما في الوقت نفسه ، وبمعنى من المعاني شريكين في صنع هذه النهاية ! .

لماذا يلقي العجوز بكلبه إلى قاع النهر ويدفعه إلى قاع الوحدة ؟

لاتعنى القصة بتقديم إجابة شافية سوى هذه الكلمات المقتضبة التي يرددها العجوز للحارس :

الأيام غدَّاره ، كل شيء غَدَّار والله . . !

أشكال متنوعة

لعل ثاني ما يلاحظه قاريء هذه المجموعة ، هو ذلك التنوع الواضح في أشكال قصصها ، وتطور ذلك التنوع في منحنى يبدأ من اللوحة القصصية التي تقترب في بنيتها وأسلوبها ولغتها من عالم الشعر ، ثم يتطور إلى شكل القصة الواقعية ذات الأبعاد الاجتماعية الواضحة ، ثم يستقر عند شكل القصة الواقعية التي تنصهر فيها



الأبعاد الاجتماعية والنفسية والإنسانية ، في كل بالغ الجمال والحيوية ، مثلما تبدى ذلك في رائعة هذه المجموعة ، ونعني بها قصة « من قتل مريم الصافي ؟ » . وقد يلاحظ القاريء أيضا أن القصص التي تأخذ شكل اللوحة غالبا ، هي قصص الكتاب الأولى التي كتبها من عام ١٩٦٩ وحتى ١٩٧٢ ، وهي بالتحديد : « أغنية المشرحة الخالية » ، « الجزء الأخير من الليل » ، « سعفان مات » ، « الأشياء » ، « الفراغ » ، « الأحزان القديمة » ، « البراري » ، فهل كان إيثار الكاتب بوعي أو بدون وعي ، لهذا الشكل القصصي في تلك المرحلة ثمرة لصدمة التقابل الحاد الفاجع الذي ألمحنا إليه في بداية هذا المقال ، بين مرحلة تفتح الوعي والأحلام في حياة جيل شاب ، وبين مرحلة انكسار كبير في حياة وطنه وأمته ؟!

اللوحة القصصية

قد لاتتميز اللوحة القصصية بحجمها الصغير فقط ، بل هي تتميز في الغالب بما فيها من جو نفسي أو فكري واحد ، أحيانا تقدم اللوحة لحظة نفسية مكثفة في حياة البطل عن طريق رصد تيار الشعور فى هذه اللحظة ، وهي في هذه الحالة تستخدم لغة الشعر الموجزة المتفجرة ، وصوره المكثفة المحتدمة ، وهي تنسج كل خيوطها من توترات هذه اللحظة ، وذلك في مثل قصة « الجزء الأخير من الليل » ، حيث نلتقي بشخصية البطل (الراوي) فيقول ، وكأنه يقدم لنا نفسه في هذه اللحظة : « أنا أتمنى لو أن العالم كله نافذة زجاجية واحدة ، أقذفها بحجر واحد ، وأجري » ، فإذا مضيت مع القصة (اللوحة) تسبر أغوار هذه اللحظة،فسوف تقرأ في فقرة تالية : « في المساء انتحر أحد أصدقائي ، كتب وصية يشتم فيها العالم ، ثم صعد فوق كوبري حديدي صدىء ، وألقى بنفسه في الماء ، قالوا : إنه ندم في منتصف طريق السقوط .

وفكـر في العودة ، لكن اهـدء اندفـع سـاردا . وانزاح الماء فاغرا عن هوة مظلمـة . » ، تمثل هذه الصورة الشعرية البالغة التكثيف التي تجعل القاريء شاهدا نصف محايد ، يدفعنا الكاتب إلى قلب اللحظة النفسية المحتدمة ، وهي لحظة من « الجزء الأخير من الليل » ، حيث تتراخى قبضة الوعي التي أنهكتها عذابات النهار عن مكنونات العقـل الذي يعـاني ، فتتدفق كـالشـلال صـور الخـوف والإحباط وأوهـام المطاردة ، إنها حفلة منوعة من الرعب الخلاب من حفلات المساء وما بعد السهرة ، حيث تنفرد بالمحزونين أحـزانهم وبـالخائفـين مخـاوفهم ، ولن نمضي في متـابعـة فقرات هذه الحفلة ، فكل ما أردناه هنا ، هو أن نسجل لمحة عن مستوى النبض الشعري لـدى الكـاتب حين تكـون اللوحة القصصيـة تجسيدا للحظة نفسية مكثفة ، وحين تستغرق هذه اللحظة عن جزء من هذا الحزن الغامض الكبير !! .

لكن في أحيان أخرى تقدم اللوحة القصصية في هذه المجموعة لحظة أو مشهدا يستمد عناصره من الـواقـع الخـارجي ، يتحـاور فيـه الـزمـان والمكـان ، وداخل الشخصية مـع خـارجهـا ، ويحكم هـذا الحـوار منطق الـواقـع الخـارجي الموضوعي ، ويتحول القاريء إلى شاهد محايد ، يرى اللوحة بعين آلة التصوير المحايدة ، وفي مثل هذه اللوحة أيضا يتفجر الشعر ، لكنه هذه المرة يتفجر بدرجة أقل من الصور واللغة والأسلوب ، وبدرجة أكثر من خلال عناصر المشهد نفسه ، من خلال العلاقات بين هذه العناصر ، وحركة هذه العلاقات ! .

أغنية المشرحة الخالية

في هذه القصة نلتقي بطالب في كلية الطب ، أمامه ساعتان على موعد القطار الذي ينقله كل يوم إلى قريته ، وفي جيبه ورقة مالية قديمة من فئة خمسة قروش ، تكاد تكفيه لشراء « سدوتش » للغداء ، ولا يجد وسيلة لقضاء الساعتين سوى أن يبقى بالمشرحة ، يراجع دروسه على الجثة ، انفض عنهـا زملاؤه منـذ لحـظات بعـد انتهـاء الـدرس ، يقترب منه « عم أحمـد » ، فـراش المشرحة ، محييا ، يدرك الـطالب على الفـور ما يفكر به الفراش من خلال مبالغاته في التحية ، فتمتد يده لتقبض بشدة على الورقة المالية البالية . يقول للفراش :

- سـأجلس قليلا ، بـاقي وقت على مـوعـد إغلاق المشرحة !

- كلنا تحت أمرك للصبح لو أردت !

تقدم القصة (اللوحة) مشهدا ثابتا لايتغير ، ولكنه يضج بحوار صامت وناطق بين محاولات الفراش الحصول عـلى « بقشيش » من الطالب مقابل تركه ينتظر ، وبين صمود الطالب إزاء هذه المحاولات لإنقاذ ورقة القروش الخمسة !

صمود الطالب يدعم من خلال تدفق خواطره عن أبيه الفقير ، وأشقائه الذين يعانون من أجل توفير نفقات دراسته المكلفة ، وعن سخرية زميله من قميصه ذي الياقة البالية ، وإلحاح الفـراش يصمد من خلال دربة السنين ، واعتياد أن يأخذ حتى ولـو لم يكن في أمس الحاجة ، والصـراع في جوهره بـين فقيرين يقف أشـدهما حـاجة الآن (الـطالـب) عـلى درجـة أعـلى في السـلم الاجتماعي ، ولهذا فهو يشعر بأن واجبه كدكتور أن يعـطي الفراش ، ولـو كان مـا يعطيـه ثمن غدائه ! وينتهي المشهد بما فيه من شد وجـذب بالطالب وهو يجد يده تمتد بـالورقـة الباليـة إلى الفراش ، إن الشعر في هذه اللوحة لا يتفجر فقط من المفارقة بين الموقفـين ، حيث يعطي الأكـثر حاجة الآن من هو أقل حاجة ، ولا من التجسيد الناعم لقوة الضغط الاجتماعي الصامتـة ، بل ينبع بدرجـة أقوى (مـع أنها أكثر خفـاء) من التصوير الهادي الهامس لجـو المشرحـة ، حيث تتمدد جثث رحـال ، كانوا أحياء ذات يـوم ، لعلهم كانوا مثله أو مثل الفراش أو كانوا أوفـر حظا ، لقد استسلموا جميعا أمام قهر المـوت .

ويتذكر الطالب من خلال هذا الجو أن أباه أيضا كان قد استسلم منذ زمن بعيد أمام ضغوط الحياة في مواقف عديدة ، وأنه ظل يقاوم بعناد في خندق واحد ، وهو خندق انقاذ الابن الطالب ، وها هو الابن يستسلم أمام إلحاح الفراش ، فهل كان الطالب يقاوم طوال الوقت إلحاح عم أحمد الواثق فقط من أجل إنقاذ ثمن الغداء ؟! أو أنه كان يخشى أن يستسلم ، بمعنى آخر يخشى أن يموت !؟

خوف من الموت وخوف من الحياة

إذا كان هاجس الخوف من الموت هو ما يمكن أن يكتشفه القاريء وراء قناع الخوف من الاستسلام في « أغنية المشرحة الخالية » .

فما الذي يمكن أن يكتشفه القاريء وراءقصص المرحلة الثانية في هذه المجموعة مثل قصص « البوار » ، ورحلة المعلم مسي وولده محمد » ، و « سوف نعيد ترتيب كل شيء » ؟

لعل أول ما يمكن أن يلاحظه القاريء هو أن شكل القصة (اللوحة) يختفي ، ليحل محله شكل القصة الواقعية ، ذات الأبعاد الاجتماعية الواضحة التي تتعدد فيها الشخصيات ، وتتنوع المواقف ، وتظهر العلاقة الجدلية بين الشخصية والموقف ، فكلاهما يصنع الآخر ، ويكاد يفسره ، ويتنوع الجو ويختلف الإيقاع باختلاف المواقف والمواقع والشخصيات !

لغة الشعر تنسحب ، وتحل محلها لغة الواقع اليومي في الحوار ، والوصف الموضوعي الهاديء المحايد في السرد ، ويصبح السؤال : ما الذي يكتشفه القاريء من خلال هذا التطور في شكل قصص هذه المرحلة ؟

في القصة (اللوحة) التي عرضنا لها في بداية هذا المقال يتمتم العجوز في ختامها « الأيام غدارة ، كل شيء غدار والله ؟! » (ولم نكن نعرف بوضوح وربما العجوز لماذا هي كذلك ؟

ولكن في قصة (البوار) يدور هذا الحوار بين الأب (وهو صانع نسيج يدوي في مدينة المحلة وعجوز أيضا) وبين التاجر

ـ إنت عارف شغلنا !

ويضحك التاجر بجفاف :

ـ وأنت عارف الزمن !

كان العجوز هنا في هذه القصة يعرف بوضوح أسباب محنته ، وإن كان الابن (وهو الذي يروي القصة) لا يعرف ، كان يقول في جزء آخر من القصة : « يومها لم أكن أعرف لماذا أصبح أبي يخشى يوم السوق ، بعد أن كان يتلهف شوقا لقدومه . . لم أدر ماذا يعني وجود المصنع الضخم في شرق المحلة ، وآلاف الماكينات الحديدة التي تهدر دون توقف ، ولازالت دقات الأنوال الخشبية في غرب المدينة تتابع كالأنين ؟ » .

وكان الأب يملك في بيته بعض هذه الأنوال اليدوية ، ويصنع عليها القماش الذي انصرف التجار والناس عن شرائه . وسوف يلاحظ القاريء في كل قصص هذه المرحلة أن المشكلات الاجتماعية هي النبع الذي يرتوي منه ذلك الشعور الذي تصطبغ به قصص هذه المرحلة .



● غلاف الكتاب

والـذي يمكن أن نسميه بنــوع من التجــاوز « هاجس الخوف من الحياة » . وإذا كان العمال الصغـار قـد تكيفـوا مـع مقتضيــات التـطور الاجتمــاعي ، والتحقـوا بــالمصنـع الجـديـد الضخم ، فقد كان تخليهم عن العمل اليدوي جـزءا آخر من مـأسـاة « المعلم منسي وولــده محمد » ، وربما كان هذا « الخوف القديم الكامن من الحياة » ، والذي بدا أن ثورة يوليو قد وجهت إليه ضربة قاضية ، هو المخـزون النفسي الذي تفجر بعد هزيمة يونيو سنـة ١٩٦٧ ، وأطلق في نفـوس الجيل الـذي يمثله محمد المنسي قنـديـل « هاجس الخوف من الموت » !

من قتل مريم الصافي ؟

في هذه القصة نلتقي بصلاح ، وهو ضـابط شرطة شاب من القاهرة . ويعمل في إحدى قرى الصعيد ، يقول للعمدة في غيظ مكتوم :

ـ هذه خامس جثة يلفظها النهر وأنت لاتقدم أي معاونة !

ـ هذه جثث غريبة لأناس غرباء . ولاصلة لبلدنا بهم ، إنهم طرح البحر !

مهمتـه كضـابط أن يحقق الأمن ، « ولكن القتل هنا يتم بسهولة ري الأرض الشراقي » ، فكيف يوقفه ؟ واجبه أن يعرف الحقيقـة بشأن القتلة « ولكن الحقيقة تضيع هنـا خلف صمت الفلاحين المطبق،وعيونهم المتلصصة التي تضاعف عددهم » ، حيث لايجدي العنف أو الـدهاء .

هل هو حقا كما يقول عنه أبـوه الضابط الكبـير السابق :

ـ أنت نـاعم مثل أمـك ، الحياة العسكـرية لا تصلح لأمثالك !

ولكنه في هذه الليلة رأى بعينيـه امرأة جميلة وحيدة ، تقتحم حلقة الرجال الذين التفوا حوله هـو والعمـدة ، جـاءت تـواجـه العمـدة أمـام الضابط .

ـ كـان العمـدة أول من فــوجيء بـوجــودهـا المقتحم ، بادرها قائلا :

ـ عيب يابنت ، اذهبي واجلسي وسط الحريم .

ـ العيب لاتعرفه أنت ، وكـل ما تفعله هـو أن ترسل الغفر ورائي وتنصب الشباك لي .

أهو عاجز حقا أن يكـون مثل هـذه المرأة ، فيـواجـه هؤلاء الـرجـال ، ويقتلع الســر من أدمغتهم ؟ لكن ماذا عن سر هذه المرأة ، مع أنها



اختفت بعد لحظات من تحميله مسئولية المحافظة عليها من العمدة ورجاله ، إلا أنه لم ينس عينيها المتحديتين قط ؟ متى رأي هاتين العينين ؟ وأين رآهما ؟ ماقالوه عنها بعد ذهابها زاد في سحر قوتها الغامضة ، ولكن أخطر ما يسمعه عنها يجيء في اخر الليل من « سلطان » ، عامل المياه الذي ينقل إليه أخبار القرية ، قال له : إنه رآها بعينيه تتسلل ليلا إلى الجثة الثالثة ، تنزع عنها الغطاء ، وتتعرف عليها . ويؤكد سلطان أن القتيل هو روجها الغائب ، وأنها هي التي قتلته أو دفعت لمن يقتله ، فهي لم تكن تحبه ، كان عاجزا ، وكانت هي تفور بالحياة ! مع أن ما سمعه الضابط ورآه قبل ذلك كان يعطي فرصة قوية للظن بأن ما يقوله سلطان دسيسة من العمدة ، فإن الضابط وحد نفسه مدفوعا بقوة لاتقاوم لمواجهة مريم بالتهمة في بيتها وتفتيش البيت بحثا عن دليل إدانة في هذا الوقت المتأخر من الليل . أكان دافعه لهذا التصرف هو مجرد الرغبة في معرفة الحقيقة الغامضة لتحقيق العدالة أم هي الرغبة في تحقيق إنجاز ما ، لرد اعتباره أمام أبيه ، وأمام رؤسائه ، وأمام أهل القرية ، أم الرغبة الخارقة في رؤية مريم الصافي ؟ (لاينسى النظرة التي رمقته بها وهي تغادر) ؟ لعله يعرف على وجهه اليقين ، أين رأي هذا الوجه ، ومتى ؟ هو الذي لم يقترب في حياته كلها من امرأة ! كانت أمه آخر امرأة اقترب من حضنها ، وقد هجرته في طفولته ، كما هجرت أباه ، لتبحث عن المتعة بين أحضان الرجال الآخرين كما يزعم أبوه !

ويقتحم الضابط بيت مريم ، كان يتوقع أن تسحقها المفاجأة فتنهار معترفة ، ولكنه فوجيء بها تطلب إليه أن يلتقط أنفاسه ، قوتها تستفز ضعفه ، فيصفعها بقوة ، يسقط الشال عن رأسها ، ويلوح له أن لوجهها الجميل ملامح الصورة التي وجدها في أحد أدراج مكتب أبيه ، تلك كانت صورة أمه التي طالما عيَّره بها أبوه ، أيمكن حقا أن تكون هذه المرأة هي أمه ؟ الحنان الذي عاش يفتقده ! ، والعار الذي عاش يتوقاه !

أكان وهو يبحث كالمجنون في أرجاء بيتها الصغير ، يبحث عن دليل إدانة أم عن دليل براءة ؟ أكان يريد أن يثبت أم ينفي أنها أمه .

من خلال بحثه اللاهث في محتويات البيت يشاهد القاريء في إيجاز فذ ملامح من تاريخ امرأة قوية فقيرة ، أصرت على أن تنتزع حريتها في عالم قاس متوحش ، حين علم من بحثه عما ظنه أدلة إدانتها كانت هي قد التقطت سكينا صغيرا واختصرت المعركة بينهما إلى قتال ضار بين رجل وامرأة ، كانت هي أول امرأة في حياته يقترب منها إلى حد الالتحام !

وكان هو الرجل الذي توقعت أن يكون مختلفا عن كل الرجال !

يقول لها وهو ينهنه مثل طفل ويضمها إليه بحنان

ـ لماذا هجرتني وأنا صغير ؟

وتقول له : اهدأ ياحبيبي ، أنا مريم الصافي !

وتصبح اللحظة الوحيدة الممكنة لإثبات قوته ورجولته هي اللحظة التي يجلله فيها العار والمهانة !

كان طوال الوقت يتساءل عمن يرتكب هذه الجرائم التي تطارده ، وها هو يبدو الآن بعد أن قتل مريم الصافي ، وحملها فوق حصانه ليلقي بجثتها في النهر ، وكأنه يجيب نفسه عن سؤاله ، كأنه يشير إلى القاتل المجهول قائلا :

هو كل سلطة جوفاء . كل طفولة محرومة ، كل رجولة يخنقها الخوف ، وكل أنوثة محرومة من الحرية والأمان . وتفتح هذه القصة العظيمة الطريق أمام الكاتب ليبدع روائعه « بيع نفس بشرية » ، « واحتضار قط عجوز » ، فحين يكون مفتاح الرؤية هو أن ينصهر في بوتقة واحدة ما هو فردي بما هو اجتماعي وإنساني ، يصبح الشعر هو لحمة العمل الفني وسداته ، ويصبح الفكر هو الوجه الآخر غير البراق للشعر ! . □



التضخم النقدي وأبعاده الاقتصادية والاجتماعية

بقلم : نعوم ابراهيم عبود

لم يعرف أجدادنا التضخم النقدي ، وآباؤنا عدّوه ظاهرة استثنائية ، أما نحن ـ أبناء هذا الجيل ـ فإن هاجس التضخم يقلقنا بشكل دائم ، وعودة شبحه تلاحقنا ، وتسيطر على أجوائنا الاقتصادية ، وتهدد نمونا وتطورنا وعلاقاتنا الاجتماعية . والمقال التالي ، يلقي الضوء على التضخم وأسبابه وآثاره وأبعاده وإمكانية كبح جماحه .

يُراد بالتضخم النقدي الارتفاع المستمر في المستوى العام للأسعار ، مما يؤدي الى تدني القوة الشرائية للنقود . هذا ما يتفق عليه كل الاقتصاديين ، غير أن معظمهم يعدون أن التضخم لايحدث أو أن الارتفاع في المعدل العام للأسعار لايعد من قبيل التضخم ، إلا إذا كانت الزيادة في المعدل السنوي للأسعار تزيد على (٢٪) في السنة

ويذهب هؤلاء الى أن الزيادة في المعدل العام للأسعار ، إذا كانت أقل من (٢٪) في السنة ، فإنها لاتثير القلق ، وتعد من قبيل الأعراض المزمنة التي تلازم اقتصاد البلاد المختلفة ، لاسيما الآخذة بسياسة الاستخدام الكامل لقدراتها الذاتية ، أو الراغبة بتحقيق تنمية اقتصادية سريعة متوازنة .

ومما لاشك فيه أن التضخم النقدي يظهر

[illegible] ارتفاع في الأسعار الوطنية ، بشكل [illegible] ارتفاع الأسعار العلمية ، غير أن مفهوم ارتفاع الأسعار التضخمي نسبي ، يحدث على العموم تدريجياً مما يعرف بالتضخم (الزاحف) .

ويقول عديد من المحللين الاقتصاديين والخبراء الماليين : إن التضخم الذي يظهر على شكل ارتفاع معين في الأسعار مرتبط ارتباطا وثيقا بتدهور قيمة النقد ، الناتج عن لجوء السلطات العامة إلى إصدارات نقدية ، حجمها أكبر من عائد العوامل الاقتصادية ، الأمر الذي يؤدي إلى خلق حالة من عدم التوازن في مجمل الهياكل الاقتصادية والمالية القائمة .

ويرى الاقتصاديون الذين يلقبون (بالنقديين) أن النقود تمثل دور (الشرير) في مسرحية التضخم . ويؤكدون أن العثور على سر التضخم يكمن بالأرقام المتعلقة بإصدار العملة والودائع المصرفية تحت الطلب ، لذلك كان طبيعيا في نظرهم . عند البحث في أسباب التضخم ضمن هذا المجال ، أن ينصب التركيز ـ منذ البدء ـ على النقود ، وأن يقال : (فتش عن النقود) . وفي حدود هذا التصور ، يُعرف التضخم نفسه بأنه نقود كثيرة تطارد سلعاً قليلة .

بينما ينظر اقتصاديون آخرون إلى التضخم ، من زاوية العوامل والقوى التي تفضي إليه ، كالتوسع في عرض النقود ، أو الزيادة في الطلب ، أو الزيادة في التكاليف ، أو هواجس الأرباح . ويؤكد بعض الاقتصاديين على أن التضخم لايمكن أن يتضح خارج العلاقات الاجتماعية وعلاقات الإنتاج ودوافع الاستهلاك .

حركة حلزون التضخم :

(إن مجتمع الاستهلاك هو مجتمع التضخم ، وإن التضخم هو سرطان الرأسمالية المعاصرة) هذا ما يقوله (ميشيل روكار ـ رئيس وزراء فرنسا منذ شهر يونيو (حزيران) ١٩٨٨ ، في كتابه « التضخم في الصميم ») .

ويربط معظم الاقتصاديين بين ظاهرة التضخم وبين الرغبة في الاستهلاك ، وطلب المزيد من السلع والخدمات ، نتيجة الارتفاع الذي يحدث في مدخولات العديد من الفئات الاجتماعية ، مما يؤدي إلى تغيير النمط الاستهلاكي لهذه الفئات .

وتواكب ـ عالميا ـ ظاهرة التضخم عدة اتجاهات ، تشكل فيما بينها ما اصطلح على تسميته (حلزون التضخم) ، ويمكن تلخيصها بالنقاط الرئيسة التالية :

١ ـ إن الطلب على السلع والخدمات غالبا ما يكون أكثر من العرض عليها

٢ ـ نتيجة ارتفاع الطلب على السلع والخدمات ، فإن مؤسسات البيع بأشكالها المختلفة ، تسعى إلى رفع أسعار منتجاتها ، متوقعة في ذلك قبول المستهلكين هذه الارتفاعات .

٣ ـ نتيجة ارتفاع الأسعار ، فإن العمال والموظفين يقومون بالمطالبة برفع أجورهم ورواتبهم بشكل يتناسب ومستوى المعيشة المرتفع ، الأمر الذي يُرغم السلطات العامة في أغلب الأوقات على الموافقة على رفع أجورهم نسبيا .

٤ ـ نتيجة الارتفاع الجديد للأجور والمرتبات ، فإن المؤسسات الصناعية والتجارية تقوم برفع أسعار منتجاتها ، مستغلة بذلك الطبيعة الجديدة لواقع الرواتب والأجور ، بسبب عدم وجود ضوابط سعرية من قِبل الدولة . ثم تبدأ من جديد عملية قلة العرض ـ زيادة الأجور ، وزيادة الأسعار ـ بالدوران من جديد ، مُشكلة بذلك (حلزون التضخم) في الاقتصاد الرأسمالي .

من المسلم به أن فترات التضخم هي أيضا فترات ارتفاع الأجور ، لذلك يقول اقتصاديون

كثيرون : إن سبب ارتفاع الأسعار يكمن بشكل كبير في ارتفاع الأجور ، ويؤكدون على أن ربط الأسعار بالأجور هو البوابة الرئيسة للتضخم .

وقد قام نقاش حاد بين أولئك الذين يتهمون الارتفاع الكبير للأجور بأنه سبب التضخم ، وبين أولئك الذين يرون في طلبات زيادة الأجور مجرد إجراءات دفاعية ، يلجأ إليها أصحاب الدخل المحدود الذين يعانون قبل غيرهم من عبء التضخم وآثاره .

ومنذ نهاية الخمسينيات استأثرت بنظرية التضخم العلاقة السببية المثلثة الجوانب التي تربط بين مستوى العمالة ومستوى الأجور ومستوى الأسعار ، وهذه النظرية تحمل اسم (نظرية فيلبس) التي كان (آ . فيلبس) قد شرحها في مقال ظهر عام ١٩٥٨ في مجلة (مدرسة لندن الاقتصادية) . وهدف هذه النظرية إثبات فرضية ترابط إحصائي بين تجاوز عتبة قصوى للاستخدام وبين ارتفاع الأجور ، وأن معدل تطور الأجر النقدي يمكن أن يُفسر مستوى البطالة ومعدل تطورها .

وحيث إن الأجور تؤلف القسم الأعظم من كلف المشاريع ، فينجم عن ذلك حسب رأي (فيلبس) أن معدل استخدام عال ، يجرّ إلى ارتفاع الاسعار .

وقد نادى بهذه النظرية وتبناها بعض علماء الاقتصاد (الانكلوسكسون) وعاشوا أكثر من عشر سنوات على هذا التفسير ـ وبعضم مازال يتمسك به ـ لا لأنهم كانوا يظنونه صحيحاً فقط ، بل ـ فضلاً عن ذلك ـ لأنه كان يقدم سنداً علمياً لتبرير البطالة بالنضال ضد التضخم ، وانتقد نظرية (فيلبس) وفرضياته سياسيون واقتصاديون آخرون ، ومن أكثر المشككين بها السيد (ميشيل روكار) ، رئيس وزراء فرنسا الحالي ، بكتابه الذي أشرت إليه سابقاً ، وهو (التضخم في الصميم) الذي شاركه بوضعه الاقتصادي (جاك كالي) ، حيث ينصب الانتقاد على نظرية (فيلبس) بأنه يبني محاكمته ، بقصره « إقامة الصِلات » على الأجور والأسعار . إلا أن إقامة علل هذه العلاقة تقتضي أن يتأكد المرء مسبقاً ـ كما يقول المؤلفان بكتابهما المذكور ـ من اجتماع الشرطين التاليين :

الشرط الأول : هو أن يكون نصيب الأجور من المداخيل ثابتا (نعلم أن المداخيل التي يوزعها مشروع ما ، تشمل بالتأكيد الأجور ، لكنها تشمل أيضاً الأرباح) .

الشرط الثاني : هو أن يتطور مجمل كلف الإنتاج الأخرى (مواد أولية) بايقاع مواز لإيقاع الأجور .

أهم أسباب التضخم :

يدور جدل (كلاسيكي) بين المحللين الاقتصاديين والخبراء الماليين ، حول أسباب التضخم ، ويوردون أسبابا متعددة لظاهرة التضخم ، بعضهم يعزو التضخم إلى مؤثرات داخلية صرفة ، وآخرون إلى مؤثرات خارجية ، ومعظمهم يقول بالمؤثرات المختلطة من الصنفين معاً (الداخلية والخارجية) ، لاسيما في الأقطار النامية المتصلة بالعالم الخارجي ، والتي تتأثر إلى حد بعيد بالظروف الاقتصادية التي تسود الدول الكبرى المسيطرة على الاقتصاد العالمي ، إذ قد تتعرض الدول الكبرى إلى مؤثرات داخلية ، فترتفع لديها الأسعار ، ويحصل لديها التضخم ، ثم ينتقل بدوره مع صادراتها إلى الخارج ، إلى الدول الأخرى ، لاسيا دول العالم الثالث ، وهذا ما يسمى (بالتضخم المستورد) .

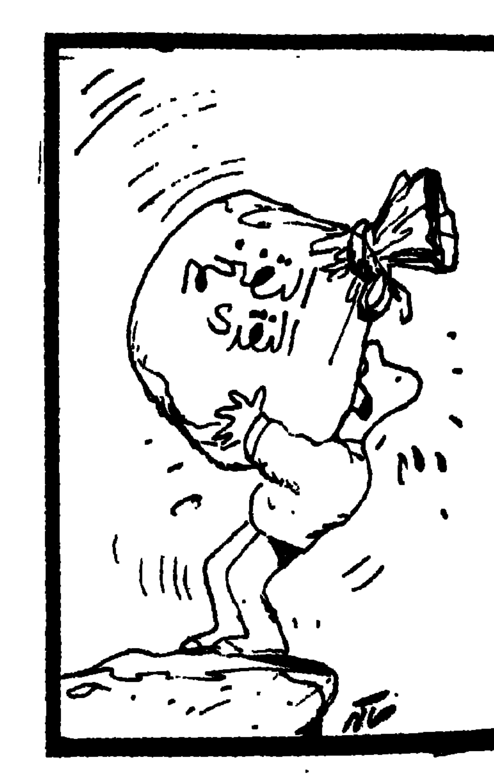
وهناك اقتصاديون وماليون يعدون تراكم الديون والاقتراض الخارجي المتزايد يشكّل عاملاً حاسماً من عوامل التضخم المفروض على الدول النامية ، خصوصاً إذا استعملت القروض الخارجية لأغراض غير إنتاجية ، أو إذا

مولت بها مشاريع ذات مردود إنتاجي بعيد المدى ، مثل : (إقامة مصانع للطاقة ، بناء سدود) .

وفي ضوء الجدل الحاد والاختلاف في وجهات نظر المحللين الاقتصاديين والماليين حول أسباب ظاهرة التضخم ـ وتجنبا للإطالة ـ نكتفي بذكر أهم الأسباب الرئيسية للتضخم ـ المتفق على معظمها ـ والتي يمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

١ ـ اختلال التوازن بين التدفقات المالية (الطلب الفعّال) وبين التدفقات الحقيقية (العرض المتاح من السلع والخدمات) ، أي عدم التوازن بين العرض والطلب (نقود كثيرة تطارد سلعاً قليلة) .

٢ ـ عدم التوازن بين الاستهلاك والاستثمار ، فإذا كان معدل الاستهلاك أكبر بكثير من معدل الاستثمار فإن هذا يؤدي إلى ارتفاع كبير في الطلب الفعلي الذي يخلق بدوره ارتفاعا في الأسعار .



٣ ـ ارتفاع العجز في ميزان المدفوعات ، أو تسديد عجوز موازنات الدولة ـ لاسيما في الدول النامية ـ عن طريق الاقتراض من مصرف الاصدار (البنك المركزي) وذلك بتخويل المصرف حق إصدار أوراق نقدية إضافية ، تكون تغطيتها الوحيدة إسناد (دين عام) على خزينة الدولة ، فتزداد تبعاً لذلك كمية النقود المتداولة في الأسواق ، مما يشكل كتلة نقدية ضاغطة ، تزيد الطلب على السلع .

٤ ـ إهمال مبدأ الاعتماد على الذات في تأمين الموارد المحلية وتنميتها ، والإخلال في تحقيق التوازن بين الواردات والنفقات ، إذ يؤدي ذلك إلى وقوع عجز في موازنة الدولة ، أو عدم مراعاة ترشيد الإنفاق الجاري والحدّ منه ما أمكن ، فإذا كانت النفقات العامة غير إنتاجية لتخصيصها لأغراض غير استثمارية فإن ذلك يؤدي إلى ظهور التضخم ، مثال ذلك (النفقات العسكرية ، مصاريف خدمات الصحة والتعليم) .

أبعاد التضخم :

معظم الدراسات الاقتصادية ، تميل إلى عدّ التضخم النقدي شكلاً من الاختلال الاقتصادي المحض ، وأن هذا الاختلال يفسّر ويعالج ضمن الحدود الاقتصادية وحدها ، وإلى جانب هذه الدراسات هناك طائفة من الاقتصاديين ، ترى أن التضخم ليس بالظاهرة الاقتصادية الصرفة ، وهؤلاء ينظرون إلى التضخم كما ينظرون إلى ظاهرة النمو الاقتصادي ، ويذهبون إلى أن كلاً منهما له جذور تمتد إلى خارج الاقتصاد التقليدي .

وتبين الوقائع في حالات عديدة أن التضخم أصبح أداة عامة للتهدئة وحل المنازعات الاقتصادية أو الاجتماعية من جميع الأصناف عندما يتم تغليفها بالتسويات التضخمية .

مقترحات لمواجهة التضخم .

ليس من السهل محاربة التضخم النقدي الذي يوصف بالظاهرة الشريرة التي لابد من مكافحتها بكل الوسائل الممكنة بسبب ماتحدثه من القلق الاجتماعي والرعب الاقتصادي ، ومن الصعوبة بمكان التصدي لسرطان التضخم . أو التحكم بشكل جذري بآثاره ، خاصة في الدول النامية ، نتيجة لطبيعة الهياكل الاقتصادية والمالية والاجتماعية القائمة فيها .

ولكن لابد من اتخاذ إجراءات معينة ، واتباع سياسات مستمرة ، لمواجهة التضخم وكبحه والحد من آثاره ، ومن هذه السياسات والإجراءات مايلي :

١ - مراقبة أسعار السلع الضرورية وتحديدها ، وبخاصة المواد الغذائية الرئيسة ، وزيادة مرونة العرض من أجل الحد من الاختناقات .

٢ - ربط الزيادة في الأجور والرواتب في انتاجية العمل بصفة أساسية ، مع تحريكها بالشكل الملائم في ضوء الأرقام القياسية لأسعار السلع الاستهلاكية .

٣ - تقليص حجم المستوردات والقروض الخارجية ، من أجل تمويل النفقات العامة وتسخيرها لتمويل البرامج الاستثمارية ذات المردودية السريعة فقط

٤ - ضغط النفقات غير الإنتاجية أو غير الضرورية ، وأن تكون ميزانية الدولة خالية من العجز .

٥ - اتباع سياسة ضريبية بناءة ، تلعب دورا في مواجهة التضخم ، وتهدف إلى زيادة الموارد الضريبية ، وإيجاد التوازن على الأقل بين النفقات والواردات في موازنة الدولة

٦ - تشجيع الادخار ، وذلك باستخدام أساليب عديدة ومبتكرة لجذب الأفراد إلى مؤسسات الادخار ، ومن هذه الوسائل رفع سعر الفائدة . على أن تستخدم تلك المدخرات في تمويل المشاريع الاستثمارية (الإنمائية) ، ضمن خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدولة .

٧ - إعادة توزيع الدخل القومي بشكل علمي ، يراعى فيه طبيعة الهياكل الاقتصادية والاجتماعية القائمة .

٨ - جعل الإنفاق السنوي على البرامج الإنمائية في حدود الإمكانات المتاحة ، وهذا يعين على السير بالتنمية بشكل متوازن ومتناسب ، ويجنبها الضغوط التضخمية التي يمكن أن ترافق ماأطلق عليه حينا اسم (التنمية الانفجارية) ، أو تتولد عنه .

علاج مع الزمن

في ضوء ماتقدم ، يبدو التضخم النقدي في العديد من مظاهره ، وكأنه وضع غير طبيعي ، على الرغم من أنه أخذ يتميز الآن أكثر فأكثر بالاستمرار ، ومد جذوره في المجتمعات والاقتصاديات التي كيفت أوضاعها مع حقيقة وجوده واستمراره .

ونستطيع القول بأن التضخم ليس بالظاهرة التي يمكن إيقافها بإجراء سحري واحد ، كما أنه من الغلو التصور أن التضخم من قبيل الأعراض التي لاعلاج لها . والوقائع التاريخية تبين أن الحد من وباء التضخم أو القضاء عليه ، لايتم عادة في مدة قصيرة . ولابد من القيام بحملة نشيطة وفعالة تستمر بعض الوقت ، حتى يتماثل تدريجيا اقتصاد البلد الذي ابتلي بهذا الداء الوبيل إلى الشفاء . □

أكثر خبرة

● طلبت الابنة نصيحة أمها عن خير الطرق للفوز بزوج طيب .
فقالت الأم : « يحسن أن توجهي هذا السؤال إلى أبيك ، فقد كان موفقا في زواجه أكثر مني » !





قضيــــــة

نظرة إلى مستقبل اللغة المسرحية

بقلم : عصام محفوظ *

« تظل قضية لغة الحوار في المسرح العربي من القضايا المثارة التي لم يتم حولها الاتفاق . ففريق يذهب إلى ضرورة استخدام الفصحى ، وفريق آخر يرى ضرورة استخدام العامية بحيث تتناسب لغة الشخوص مع واقعهم الثقافي والفني . وهذا اسهام في القضية يطرحه أحد العاملين بالعمل المسرحي العربي » .

إن الخط البياني العام للنص المسرحي كما عرفته الخشبات العربية بين منتصف القرن الماضي ومنتصف هذا القرن يشير إلى أن إشكالية الازدواجية اللغوية بين محكية ومكتوبة في لغتنا العربية كانت شبه محسومة : المسرح الهزلي يعتمد العامية ، والمسرح الجدي يعتمد الفصحى ، وربما كان يتخلل هذا الحسم بعض التساؤلات التي سرعان ما كانت تتغطى بطريقة تجعل التعايش بين الصيغتين أمرا طبيعيا .

لكن مع بداية النصف الثاني من هذا القرن أخذت هذه الإشكالية تطرح نفسها بقوة ، ثم تفجرت في أواخر الربع الثالث من هذا القرن وأوائل الربع الأخير ، وهي مستمرة . واتخذ هذا التفجير للأزمة أشكالا عدة : نظريا وعلميا . فما الذى أدى إلى تفجير هذه الإشكالية ؟ وأين يقف تطور المسرح منها ؟ وما سلبيات هذا التفجير وإيجابياته في حاضر الحركة المسرحية ومستقبلها في مختلف الأقطار العربية ؟

* كاتب وناقد من القطر العربي اللبناني

ليس لها مثيل !

في البدء يجب الإشارة إلى أن الازدواجية في اللغة العربية بين محكية ومكتوبة ليس لها مثيل في اللغات الحية الأخرى ، لذا ليس أمامنا تجربة سابقة نستفيد منها ، بل علينا أن نحلّ مشكلتنا بأنفسنا . ولأن المجال لا يسمح هنا بالتوسع في أسباب هذه الازدواجية واستمرارها أكتفي بإشارة ابن خلدون في هذا الصدد الذي يحمِّل المسؤولية للغويين والنحاة لتقاعسهم عن « تقعيد » التطور الذي لحق باللسان العربي بعد انتقال العربية من البداوة إلى الحضارة . ويفيدنا ابن خلدون أيضا أن هذا التفاوت لم يكن فقط بين الفصحى والعامية ، بل بين العاميات العربية نفسها في المناطق المختلفة .

وورثنا نحن هذه الأزمة عبر أربع عاميات أساسية في الوطن العربي:عامية سوريا الطبيعية (لبنان ، سوريا ، الأردن ، فلسطين ، والعراق) عامية المربع العربي (، الجزيرة والخليج) ، عامية وادي النيل (مصر ، السودان ، والصومال) ، عامية المغرب العربي الكبير (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب ، وموريتانيا) .

وإذا استثنينا العامية المصرية التي صارت مفهومة على نطاق واسع ، فإن العاميات الأخرى لا تصل كليا إلى فهم السامع في المناطق المختلفة التباعد .

ومع أن مسألة الازدواجية اللغوية كانت تطرح في مجال الفن المسرحي - منذ بداية هذا القرن - بعض التساؤلات ،إلا أن الكتّاب المسرحيين العرب الذين كانوا يكتبون للمسرح الحي لم تشغلهم كثيرا هذه الازدواجية ، لأنهم كانوا يعدون المسرح نوعا أدبيا تنطبق عليه الأنواع الأدبية الأخرى ، وكانوا جلهم من الأدباء والشعراء ، لذا كانت الفصحى هي المهيمنة على الانتاج المسرحي الجدّي ، سواء في النصوص الموضوعة ، أو في النصوص المترجمة ، بل إن الفرقة القومية للمسرح التي أنشئت في القاهرة في أواسط الثلاثينيات ، وهي أول فرقة مسرحية رسمية عربية ، كانت تشترط الفصحى لغة للحوار .

بين الأدبي والمسرحي

لكن بداية النصف الثاني من هذا القرن وما رافقها من تحول في النظر إلى المفاهيم الاجتماعية والسياسية والفنية ، شهدت وعيا جديدا للفن المسرحي الجاد ، سواء في الاخراج أو التمثيل أو الديكور والموسيقا وباقي العناصر المسرحية ، وخاصة لغة التعبير ، وهذا الوعي الفني الجديد ، في موازاة الوعي الاجتماعي الجديد ، شجع على ظهور كتّاب مسرحيين يهتمون بفنية التعبير منتقلين من المسرح الأدبي إلى المسرح المسرحي . وهم قبل ثلاثين سنة كانوا قلة ، أما اليوم فهم الغالبية الساحقة بين كتاب المسرح الواقعي ، وقد اختاروا تبني اللغة المحكية لمطابقتها للشروط الفنية ، ولم تخذلهم هذه اللغة في التعبير عن أدق الحالات النفسية والاجتماعية والسياسية .

وكان ظهور السينما العربية الناطقة في الأربعينيات بالعامية عاملا مشجعا ، ثم جاءت المسلسلات التمثيلية في التلفاز والإذاعة تدعم هذا الموقف .

وإذا كانت قلة من الكتاب ما تزال تعتمد الفصحى إلى اليوم فهي تتحايل على الموقف باختيارها المواضيع التاريخية أو الاسطورية التي تسمح باستخدام الفصحى دون إحراج .

ولم يدهشنا أن نرى توفيق الحكيم ، وهو أحد رواد المسرح العربي ، عندما انتقل بمسرحه إلى معالجة الواقع ، تخلى عن اعتبار النص المسرحي نوعا أدبيا ، ونظر إليه كنص فني للخشبة ، واضطر إلى الكتابة بصيغتين : أولى للكتاب بالفصحى ، وثانية للخشبة بالعامية ، فكان يترجم المسرحية التي ستقدم على الخشبة بنفسه

من الفصحى إلى العامية بدءاً من الستينيات .

أمام هذا المد للغة العامية في النص المسرحي ، كان لا بد من قيام ردود فعل بعضها بدافع رجعي ، وبعضها بدافع سياسي قومي بحجة أن السماح باستخدام العامية يساعد على تعطيل المشروع الوحدوي .

ولأننا هنا ليس في مجال الدفاع عن طليعيّي المسرح ضد الرجعيين نتوقف أمام الدافع السياسي ونتساءل : إلى أي حد هو مقنع ؟

اللغة والوحدة

لقد رأيت ومازلت أرى أن طرح مسألة العامية في إطار العقبات التي تواجه المشروع الوحدوي طرح خاطيء في أساسه ، لأننا إذا راجعنا تاريخ الأقطار العربية قبل التجزئة الاستعمارية حين كانت هذه الأقطار متوحدة في ظل الحكم العثماني قروناً طويلة سنلاحظ أن تلك الوحدة لم تمنع (استفحال) العاميات المختلفة على لسان الرعايا العثمانيين من العرب .

وفي المقابل نرى أن تعدد اللغات القومية في بلد واحد مثل الاتحاد السوفيتي ، لم يمنع إنشاء دولة اتحادية كبرى مع تعزيز مستمر للغات القومية المحلية رسميا .

انطلاقا من هذا لا يصح تحميل المسرح مسؤولية فشل المشروع الوحدوي ، لأن المسرحيين أنفسهم هم ضحايا هذه الازدواجية التي أربكتهم وأعاقت تطور المسرح العربي وتأصيله في أرضهم ، وستظل تربكهم حتى الوصول إلى إصلاح لغوي حاسم لهذه الأزمة المزمنة .

وفي اعتقادي أن الذين يحاولون منع المسرح الواقعي من اعتماد لغة الواقع سوف يسهمون في جعلنا نخسر المسرح دون أن يساعدهم ذلك على ربح الوحدة .

لكن إلى أي حد يخسر المسرح إذا لم يعتمد اللغة المحكية ؟



● الجاحظ

ما فعله الجاحظ

قبل ألف عام ، وقبل ولادة المسرح العربي ، قدم لنا الجاحظ الجواب الوافي عن هذا السؤال بحدس الفنان العبقري .

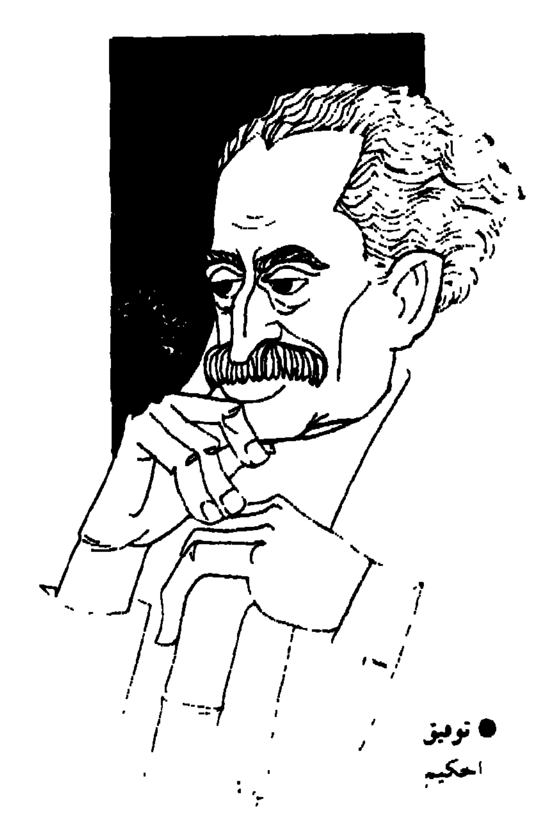
واجه الجاحظ هذه المشكلة عندما اضطر أن يجري الحوار على لسان شخصياته في بعض القصص والنوادر التي رواها في كتابيه (البخلاء) (والحيوان)،وبوعي حاسم لفنية العلاقة بين الشخصية وكلامها ، ذهب الجاحظ ، إلى أبعد من تبسيط الفصحى على لسان شخصياته من العوام ، إلى حد السماح بإسقاط الاعراب عندما يحتاج الحوار إلى ذلك .

ففي مستهل كتابه (البخلاء) ينبه القاريء : « وان وجدتم في هذا الكتاب لحنا أو كلاما غير معرب ولفظا معدولا عن جهته فاعلموا أننا تركنا

ذلك لأن الإعراب يغض هذا الوجه ويخرجه من حده . . . أي يخرجه من الشكل الفني اللائق به حيث يجب أن تتطابق الشخصية مع كلامها .

ثم نراه يكرر الملاحظة نفسها في كتابه (الحيوان) حيث كان يضطر إلى سرد بعض النوادر على لسان أهل البادية فينصح باستخدام الفصحى كما تجيء على ألسنة الشخصيات ، ثم يوضح :

« . . . . وانا أقول : إن الإعراب يفسد نوادر المولدين ، كما أن اللحن يفسد نوادر الأعراب . . . أي أن الكاتب يراعي واقع الحال في الحوار فلا يجعل ابن البادية الذي مايزال يتكلم الفصحى ، يغير لغته المحكية فيتكلم كأحد (المولدين) أو (البلديين) أي أهل المدينة ، ويخلص إلى القول . بأن إساءة استعمال اللغة هنا يجعل المعنى « ينقلب إلى ضده مع انقلاب نظمه وتتبدل صورته »



● توفيق الحكيم

ثم يعود إلى المسألة نفسها في كتابه « البيان والتبيين » ، منتقلا من الكلام على الحوار المكتوب إلى الكلام على الحوار المروي فيقول :

« ومتى سمعت - حفظك الله - بنادرة من نوادر الأعراب فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها ، فإنك إن غيّرتها بان تلحن في إعرابها وأخرجتها مخرج المولّدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير . وإذا سمعت بنادرة من نوادر العوام فإياك أن تستعمل فيها الإعراب أو أن تتخير فيها لفظا حسنا أو تجعل لها من فيك (أي فمك) مخرجا سرّيا ، فإن ذلك يفسد الإمتاع بها ويُخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له ويذهب استنباطهم إياها واستملاحهم - أي الجمهور - لها . »

في هذا المقطع يتصور الجاحظ طريقة إلقاء النادرة ، وليس كتابتها فقط ، فيصبح الذي يقوم بدور الراوي أن يكون الكلام الذي ينقله على لسان شخصياته مطابقا للواقع ، كما لو أن هذه النصيحة موجهة إلى ممثل معاصر له ، لو كان للتمثيل مكان في عصره .

إن الجاحظ ، دون أن يعرف الفن المسرحي ، أدرك الشرطين اللذين يميزان هذا الفن : المتعة والتعليم : أو (الامتاع) والفائدة حسب رأي الجاحظ،ولم يكن الجاحظ وهو أحد أسياد اللغة العربية ، والبيان العربي يتحدث هنا كأديب - كما يقول عمر الدقاق - بل كفنان .

إن هذا الدرس الذي قدمه لنا الجاحظ قبل ألف عام عن الحوار المسرحي ، بحدسه العبقري ، يتمثله كتاب المسرح العربي اليوم ، وهو الجواب عن السؤال حول مدى الخسارة الفنية التي تصيب المسرح الواقعي اليوم ، لو أن الكتاب المسرحيين استجابوا للضرورات السياسية في هذا المجال ، فجعلوا شخصياتهم الواقعية تتكلم على المسرح لغة غير اللغة التي تتكلم بها في واقعها .

فصحى شعبية !

يبقى السؤال الأخير الذي نطرحه نحن كتاب مسرحيين على أنفسنا : كيف يمكن التوفيق بين اخلاصنا للفن المسرحي وبين ايصال النص المسرحي المكتوب بالعامية إلى كل القراء العرب المعنيين بالمسرح ، لاستمرار التواصل المسرحي على هذا الصعيد ؟

أعتقد أن التغلب على هذا المأزق يتطلب تضافر جهود فريقين : الكتاب المسرحيون الذين يكتبون بالعامية والجهات الرسمية المعنية بالثقافة العربية

أما الكاتب المسرحي ، فمع استمراره في كتابة نصّه الأصلي بالعامية إلى جمهور بلده ، عليه أن يبذل جهدا إضافيا عندما ينشر نصه في كتاب . فيحوّل هذا النص الموجه إلى القراء العرب في الأقطار الأخرى ، إلى فصحى مبسطة . ومع أن النص يفقد هكذا عفويته ويخسر فنيته ، إلا أن مضمونه يصل كاملا إلى القارىء الذي سيتعامل اسدائد مع هذا النص تعامله مع أي نص مترجم عن لغة أجنبية : فهو يدرك أن هذا الحوار الذي يقرؤه بالفصحى ليس هو الكلام الحرفي الذي تنطق به الشخصية في واقعها أو على خشبة المسرح . وإنما هو تعبير محرّف يفي بايصال مضمون الكلام وليس الصيغة الأصلية .

وحفاظا على الأصل يمكن للكاتب المسرحي أن ينشر الصيغتين في الكتاب نفسه . الصيغة الأصلية المكتوبة باللغة المحكية ، والصيغة المحولة إلى الفصحى . وبهذه الطريقة يقوم بواجبه كاملا تجاه فنه وتجاه جمهوره وتجاه أمته .

ومن واجب الفرقة المسرحية أيضا التي تشارك بعرض مكتوب حواره بالعامية في مهرجان عربي للفنون المسرحية . حيث يفترض وجود متفرجين من مختلف الوطن العربي ، أن تقوم بالجهد نفسه حتى لا تحرم المتفرج من فهم النص كاملا . □

العربي ـ العدد ٣٧٤ ـ يناير ١٩٩٠ م



من الأدب إلى السينما

بقلم : خليل صويلح *

من قلب معارك الاستقلال العنيفة ، ولد للشعوب الافريقية جيل جديد ، شغلته هموم التعبير عن طموحاتها ، ومعاناتها في بحثها عن هوية مستقلة ، وسعى هذا الجيل بابداعاته المتنوعة لمد جسور التواصل بين أصوله وتراثه والحضارة المعاصرة .

وسمبين عثمان الفنان السنغالي واحد من هذا الجيل .

كانت الآداب الافريقية ، إلى وقت قريب ، ثمرة مجهولة في أدغال القارة الغريبة المدهشة ، وظلت الاسطورة الافريقية ، تحتل المشهد العام في الذاكرة ، وربما يعود ذلك الى أن الأدب الافريقي غالبا ما يكتب بلغات أوربية ، وكما يقول الروائي غابرييل أوكارا : « قول افريقي ، كلمات انجليزية » ، وهذه العبارة تفسر كثيرا من مأزق الكتابة الافريقية ، فالكاتب يسجل مناخاته ، والعادات والتاريخ « والميثولوجيا » والجذور ، لكن بلغة أجنبية ، تحمل كل تقنيات الكتابة الأوربية . وظلت هذه الاشكالية قائمة حتى الآن ، ففي البلد الواحد تجد أكثر من لغة ، بل لكل قبيلة لغة خاصة بها .

فكيف للكاتب أن يصل إلى من يخاطبه مباشرة ، والإرث الاستعماري الثقيل يحمله على

* صحافي و كاتب من القطر العربي السوري



● المخرج سمبين عثمان يوجه أحد ممثليه

كتفيه ، حيث أضاع جوهرته الحقيقية الوهاجة وهي اللغة ، بأصواتها ، ودمها القاني الذي لم يكتب به على « سبورة » المدارس التبشيرية ذات الأقنعة الحضارية ؟

موجة أفريقية في العربية

مع موجة الترجمة إلى العربية من آداب العالم الثالث ، أمريكا اللاتينية أولا - حيث فتح الباب على مصراعيه أمام أعمال ماركيز وآمادو واستورباس وغيرهم ، نكتشف الآن نهار القارة الأفريقية اليانعة ، الرواية بشكل خاص ، حيث ترجمت في السنوات الأخيرة ، في أكثر من مكان في الوطن العربي ، أعمال أهم الروائيين الأفارقة ، نذكر : غينوا اتشيبي في ثنائية « الأشياء تتداعى » ، « ومضى عهد الراحة » ، التي تعد الفاتحة الجديدة للرواية الأفريقية بما تحمله من سماء أفريقية صافية ، إلا من همومها الطويلة ، وصرختها المدوية ضد الماضي الداكن .

ونذكر أعمال فرديناند اينو ، وغابرييل أوكارا ، وجيمس نغوجي ، إلى سمبين عثمان وروايته الصغيرة الجارحة « الحوالة » التي صدرت حديثا بترجمة للشاعر سعدي يوسف

سنوات الضباب

سمبين عثمان ــ كما هو معروف ــ مخرج سينمائي مهم من السنغال ، اكتسب أهميته السينمائية بالدرجة الأولى من سيرة حياته ذات القاع الاجتماعي القاسي المرير ، فقد عمل في صيد السمك والميناء ، وعامل ميكانيك وبناء ، وغير ذلك من الاعمال العضلية الشاقة التي تضع المرء وجها لوجه مع الحياة الافريقية بعد الاستقلال مباشرة ، والأخطاء الكثيرة التي مارستها السلطات كامتداد للخط الاستعماري

القديم من مجاعات وتخلف وجهل ينخر في العظام .

ولد سمبين عثمان في عام ١٩٢٣ في مدينة « زيفينشور » ، وهي مدينة صغيرة على ضفاف نهر كاز أماس . وحين بلغ الثامنة عشرة التحق بالجيش سائق عربة عسكرية إبان الحرب العالمية الثانية ، وحين سرح من الجيش عاد إلى العمل المهني فانتقل إلى ميناء مرسيليا ، وتعرف هناك على الكلمة وأهميتها ، فقضى سنوات من الدراسة ، تعلم خلالها كثيرا عن معنى الوطن وأهمية الشباب في بنائه ، وأزاح عن دماغه المتعب صدأ سنوات المرارة القديمة .

ثمار التجربة

إن جميع روايات سمبين عثمان هي ثمار تجربته الدائمة ، سواء كعامل أو كسائق في الجيش أو كمثقف ، فكانت كتاباته صدى للذاكرة وموقفا مما يحدث ، ورأى أن الكتابة وحدها ليست هي السلاح الأنجح في مجتمع لأكثر من ثمانين بالمائة من أفراده لا يعرفون القراءة ، فكيف له أن يقرأ ؟!

فاتجه إلى السينما وجعل آلة التصوير سلاحا وقلما يكتب به آلام شعبه ، فاستطاع أن يلفت النظر بقوة إلى سينما أفريقية من نوع خاص . سينما الشارع الأفريقي وليس طرزان الغابة ، سينما البشر المحدودين وليس سينما الطبول والسحر وحديقة الحيوان المسلية .

أولى أعماله الروائية كانت « عامل المرفأ الأسود » ، وقد حولها إلى شريط سينمائي مثل معظم أعماله الروائية الأخرى ، ويتحدث عن السود [illegible] في ظل سطوة الاستعمار الأوروبي [illegible] يعيشه الشعب الأفريقي من ظروف [illegible] الصراع الطبقي في أفريقيا

ومن أعماله الأخرى [illegible] « [illegible] شعبي العظيم » وقد صدرت عام ١٩٥٨ ، وهي سيرة ذاتية [illegible] لسنوات الحرب العالمية الثانية .

استطاع من خلالها أن يلفت الرأي الأدبي العالمي إلى موهبتـه .

ثم توالت أعماله الأدبية وهي : « أخشاب الآلهة ، الاستفتاء ، كان هذا في الفولتا ، أزمنة تشيوسان ، الحوالة ، الخ . . . » .

وتراوح أفكاره هنا بين الوصف الدقيق لأحوال الشعب ، وما يعيشه من آلام ، وبين تشكل الوعي بين الجيل الجديد ، ومواجهته للواقع ومحاولة تغييره

وكما أشرنا سابقا فقد حول معظم أعماله إلى السينما ونذكر منها : الرجل صاحب العربة ، يناي ، سوداء من ؟ الحوالة ، ساوويد ، إله الرعد وغيرها

يقول سمبين عثمان عن خصائص السينما الأفريقية الحقيقية والظروف التاريخية التي تعيشها « في الحالة الراهنة ، أنا أفضل إنشاء





● ملصق فيلم « كسالا »

منزل ، أي أن يبنى المنزل نفسه قبل أن ينشغل الانسان بالجوانب الزخرفية فيه والجوانب التي تعطيه شكلا جميلا ، فلا بد من إنشاء المنزل أولا حتى يصبح ملجأ حقيقيا . والفيلم المفيد هو الذي يخدم قضية ويبعث الوعي الجماهيري ويبرز حقيقة معينة ، وهنا إذا وقع سينمائي ما تحت تأثير فنيات معينة في العمل ، فإنها لا تعد مهمه إلا إذا عكست بأمانة وصدق الواقع والمطامح الشعبية والخصائص الموجودة في تلك المنطقة » .

ولأن سمبين عثمان في أفلامه كافة ، قدم للمشاهد هواجس أفريقية محلية بآلة تصوير أفريقية ، ترصد عوالم تبدو غريبة لفرط حساسيتها وارتطامها بالواقع القاسي ، فقد حازت معظم أفلامه على جوائز من مهرجانات عالمية مهمة ، منها مهرجان نيويورك السينمائي ، ومهرجان قرطاج ، ومهرجان البندقية ، ومهرجان فيمو لسينما الطليعة ، على الرغم من الظروف الصعبة التي يعمل بها ، والإمكانيات المادية والتقنية البدائية .

الحوالة التي لم تصل !

« الحوالة » رواية صغيرة ، أقرب إلى القصة الطويلة ، تعتمد على حدث بسيط مؤثر ، وهو وصول حوالة بريدية من باريس إلى قرية بائسة في السنغال ، مرسلة إلى إبراهيم دينج ـ وهو محور القصة ـ من ابن اخته الذي يعمل في باريس ، تحتوي خمسة وعشرين ألف فرنك فرنسي ، يرجوه في رسالة صغيرة أن يحتفظ له بمبلغ عشرين ألف فرنك لكي يتزوج حين يعود من المهجر ، ويقتسم بقية المبلغ مع أمه الوحيدة .

من خلال هذا الحدث ، تتكشف لنا الحياة في القرية بما تحمله من بؤس وجوع ، وكذلك الحياة في العاصمة « داكار » بما تحمله من تناقضات ، وصراعات ، وبيروقراطية وفساد ، ورشوة وغير ذلك من عوالم الفساد الاجتماعي والسياسي في فترة الستينيات ، ومع ذلك فالحوالة لم تصل !

ابراهيم دينج رجل أمي ، عاطل عن العمل منذ سنوات ، متزوج من امرأتين ، يعاني من بؤس حقيقي في كل شيء ، يبدأمن داخل البيت وينتهي عند صاحب الدكان ، وديونه تراكمت على صدره النابض بجراح الحياة الصعبة .

حين يسلمه ساعي البريد إشعار وصول الحوالة ، ينتشر الخبر في أنحاء القرية ، وتبدأ صورة جديدة للرجل في ذهن الناس ، الرجل المحترم ، المحبوب ، المهم ، الثري . صاحب الدكان يبدأ بإرسال الرز الى بيته تلقائيا، بعد أن طرد زوجته أكثر من مرة من أجل حفنة رز تكفي لوجبة واحدة .

زوجته الصغرى ، تبرعت بحليها من أجل الحصول على الحوالة بأسرع وقت ممكن ، يستدين ابراهيم أجرة الحافلة للذهاب إلى المدينة واستلام الحوالة ، وحين يصل إلى شباك البريد بعد عناء ، يطلب منه الموظف هويته ، لكنه لم يحمل هويته ولم يحصل عليها من قبل !(وهذه إشارة واضحة إلى أن المجتمع الريفي ، مازال خارج المعادلة ، وهو لا يساوي شيئا ، أو أنه يعيش في فراغ هائل من الإهمال من قبل السلطات المحلية ، ويقودنا إلى أن أسرة ابراهيم دينج مازالت خارج السجلات الرسمية أصلا !) . يعود ابراهيم حائرا ، ماذا يفعل ؟ يحصل فيما بعد على إثبات أنه من مواليد عام كذا ، يقول له موظف الأحوال الشخصية : في أي شهر ؟ (هو أيضا خارج الزمن ، ولد في لحظة خطأ ، على أرض كانت تستثمرها السلطات الاستعمارية ، هي وبشرها وحيواناتها) .

عليه أيضا أن يحصل على صورة لإلصاقها على البطاقة الشخصية ، فيتعرض لموقف صعب حين تحترق صورته) ، فيتعارك مع مساعد

المصور الذي يطرده خارج « الاستوديو » بعد أن يشتمه في الشارع وأمام الناس .

بقي أمامه اسبوعان لإنجاز الهوية ، وإلا فالحوالة ستعود إلى مرسلها ، تقوده خطواته العاثرة إلى قريب له في المدينة وهو محام أفاق ، يستطيع أن يحصل منه على توكيل بقبض الحوالة ، فيستلمها ويدعي أنه سُرق ،



● غلاف كتاب « الحوالة »

ويصاب إبراهيم بدوار وتضيع أحلامه في هواء المدينة الفاسد ، ليعود إلى القرية من حيث بدأ ، إلى الجوع والديون والموت البطيء .

بين الأدب والسينما

الحوالة ، في بنائيتها الروائية أقرب إلى شريط سينمائي ، يحمل الكثير من « الكوميديا » السوداء المرة ، لمجتمع يتمزق تحت وطأة مشكلات كثيرة ، يمثل ابراهيم دينج محورها الذي يكشف الصورة الواضحة للفساد والاستغلال والجهل . لكن سمبين عثمان ، يعلق على هذا الرجل البائس بعض الأمل في مستقبل التغيير نحو عالم جديد مختلف :

« ـ غدا سنغير هذا كله .
ـ من نحن ؟
ـ أنت .
ـ أنا ؟
ـ أجل أنت يا ابراهيم دينج
ـ أنا ؟

وتظل إشارة استفهام كبيرة حائرة على شفتي ابراهيم وعينيه اللتين تحملان مئات الصور القديمة الداكنة .

من خصائص السينما في رواية الحوالة أيضا الحوار المتوتر ورسم المشهد بشكل«بانورامي»ثم تفكيكه إلى حالات صغيرة ، عبر الانفعالات الداخلية للأشخاص ، واللقطة السريعة المؤثرة ، والقطع الروائي للمشهد .

« سمبين عثمان في الرواية ، شأنه في السينما ، يحمل ضوءه الكشاف ، وعلى خلاف ليبولد سنغور ذي القصة المثقلة بالعتمة التي لاترينا من السنغال إلا اللقطة الباريسية المترفة ، نرى سمبين يبعد عن وجه وطنه الظلال ، بمهارة جارحة ، ويدفع إلى الواجهة العارية مشكلات بلاده ومصائر أناسها ، هؤلاء الذين تنهشهم الأدواء وتستلب جوهرهم النبيل ، إدارات متعاقبة لاتختلف كثيرا عن الادارة الاستعمارية في الظلم والفساد والبيروقراطية ، وإنه ليحلم بولادة عالم جديد في وطنه قائلا :

« من عيوب هذا العالم القديم ، المدين ، سوف يولد عالم جديد طال انتظاره ، ولازم أحلامنا طويلا » .

ألهذا إذن يحمل سمبين عثمان ضوءه الكشاف ؟ حيث ترتسم صورة أفريقيا على الشاشة بالابيض والأسود والرمادي ، وكافة تجليات ألوان المستقبل □

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

الانتفاع من وخز الابر دون وخز ودون إبر

● الوخز بالإبر الصينية طريقة تقليدية يعالج بها أهل الصين عددا كبيرا من الأمراض ، لاسيما الأمراض ذات الصلة بالأعصاب ، كالانزلاق الغضروفي ، والشلل النصفي ، إلى اخر ما هنالك . ويعجب المرء إذا ما أتيحت له فرصة مشاهدة جلسة من جلسات الوخز بالإبر ، كيف يمكن لإبرتين أو ثلاث ، تثبت على القدمين مدة ٢٠ ـ ٣٠ دقيقة يوميا طوال شهر ، أن تشفي أو تسكن الاما في الصدر أو الظهر أو العين ؟ ما أشبه ذلك بالذي يعاني من صداع شديد ، فيعمد إلى دق مسمار في الجدار من أجل تسكين صداعه !!

على أن الوخز بالابر الصينية لم يعد وقفا على الصين ، فقد انتشر في أمريكا والمانيا وبريطانيا ، فضلا عن اليابان ، ومضى المتخصصون الذين حصلوا على تدريباتهم في الصين في معالجة الناس والتخفيف من آلامهم في مراكز خاصة للوخز بالإبر ، انتشرت في شتى المدن الأوربية والأمريكية ، وبلغ تعدادها أكثر من مائة في لندن وحدها . ولم يقف الأمر عند هذا الحد .

وقد عكف علماء الغرب على دراسة علاج الوخز بالإبر دراسة متعمقة في بكين وغيرها ، ثم عادوا إلى بلادهم ، وأسسوا المعاهد في نيويورك وبرلين وباريس وغيرها ، لتدريس الراغبين من الأطباء مبادىء هذا الفن الطبي الصيني ، ولتدريبهم على ممارسته ، حتى يتمكنوا من مزاولته في عيادات خاصة يفتتحونها لهذا الغرض .

بقي أن نضيف إلى ما ذكرنا ملاحظتين أو ثلاثا ، استكمالا للفائدة :

الملاحظة الأولى هي أن أهل الصين لايستعملون الوخز بالإبر لتسكين الآلام ومعالجه الأمراض فحسب ، ولكنهم يستعملونه بقصد التخدير ، فالكثير الكثير من العمليات الخطيره ، كعملية زرع القلب أو الرئة ، وما إلى ذلك ، يجري في الصين بتأثير التخدير بالوخز بالإبر ، فترى المريض مستلقيا في عرفة العمليات ، وقد شق الأطباء صدره ، وأخرجوا قلبه من جسمه ، وهو في كامل صحوه ووعيه ، تراه يراقب الجراحين بمراة علقوها فوق السرير ، وكثيرا ما يمضي في تدخين سيجارته ، دون أن يشعر بأي ألم أو مضايقة . ذلك أنه مخدر ، لا بالأثير أو الكلوروفورم أو الغاز الضاحك ، على نحو ما تفعل المستشفيات الحديثة ، وإنما بإبرتين أو

ثلاث ، وضعت في المكان اللائق في جبينه أو ركبتيه أو غير ذلك ، فأصبح لايشعر بألم الجراحة التي يجرونها له في صدره ، وكأنه مخدر تخديرا موضعيا .

أما الملاحظة الثانية فاعتقاد أهل الصين بأن ثمة تيارا خافيا يجري في جسم الإنسان ، ويختلف عن الدم الذي يجري في عروقه ، وعن الطاقة الكهربائية التي تتناقلها أعصابه . فإذا أصيب المرء بعلة أو بأخرى تعطل سير ذلك التيار ، وأصبح بحاجة إلى مساعدة من الخارج . وتكون هذه المساعدة بالوخز بالإبر ، على أن يتم وخزها في المواضع المناسبة على وجه الدقة ، لافوقها ولا تحتها . عندئذ يتم الوخز دون ألم على الإطلاق ، ودون أي نزف ، وقد حصر أهل الصين في جسم الإنسان المواضع أو النقاط المختلفة ، ذات الصلة بأعضاء الجسم المختلفة ، فبلغ عددها نحو ألف نقطة . فالمرارة لها نقاط ، والكلى لها نقاط ، وكذلك القلب والرئتان والقولون ، وبقية الأعضاء والأجزاء .

وقد يكون للعضو الواحد نقطة واحدة أو عشر نقاط ، وقد يكون موضع هذه النقاط قريبا من مكان العضو ، وقد يكون بعيدا عنه ، والخبير المدرب هو الذي يعرف بالضبط أين تقع النقاط المختلفة ، فيجيد الوخز في النقاط المناسبة لمعالجة العلل أو تسكين الآلام في الأعضاء المناسبة ، ولكن ماهو ذلك التيار الأثيري على وجه الدقة ؟ وما العلاقة القائمة بينه وبين شتى أعضاء الجسم ، سواء في حالات المرض أو العافية ؟ وكيف يؤثر الوخز بالإبر في التسكين أو العلاج أو التخدير ؟ هذه أسئلة مازالت طي الغموض ، وموضع بحث وتدقيق من قبل العلماء الباحثين ، سواء في بلاد الغرب أو الصين .

على أن افتقار الوخز بالإبر إلى التعليل والوضوح النظري شيء ، والانتفاع به في معالجة الأمراض والحد من الآلام على نحو عملي شيء آخر .

وليس أدل على ذلك من مراكز الوخز بالإبر التي انتشرت في أكثر عواصم العالم ، وفي بعض عواصم الوطن العربي أيضا . على أن التقنية الغربية بدأت تتجاوز تلك المراكز للاستفادة من فن الوخز بالإبر ، وقد نجحت مؤخرا في تطوير شريط يوضع على كل من المعصمين ، وقد صنعوا مادة هذا الشريط الذي يبدو لك كالساعة في اليد من بلاستيك الاكريليك المطاط ، وجعلوه بعرض بوصة واحدة .

ولعل بيت القصيد في هذا الشريط هو في النتوء أو الزر الصغير الذي جعلوه في أسفله ، بحيث لايرى ذلك الزر حين يلف الشريط حول المعصم ، إذ يصبح تحت الشريط ضاغطا على المكان الذي صمم الزر وشريطه من أجل الضغط عليه . ذلك أن هذا المكان هو نقطة من نقط وخز الإبر الصينية ، وتقع بين وترين رئيسين داخل المعصم . وتعرف هذه النقطة باسم (ناي كوان) وهي تتحكم بغثيان الصباح ، وغثيان الحركة ،



وغثيان الأدوية الكيماوية ، وغير ذلك . ومعنى هذا أن الذين يعانون من الغثيان ويريدون التخلص منه ، عليهم أن يلبسوا شريط وخز الإبر هذا في كلا المعصمين .

والجدير بالذكر أن الاسطول البريطاني قد وزع على كل أفراده أشرطة الأكريليك هذه ، ليلبسوها على كلا المعصمين ، وقد أقرت وكالة الغذاء والدواء FDA استعمال هذه الأشرطة على ألا تعد أداة طبية على وجه التحديد ، فهي تعترف بفائدة الأشرطة ، لكنها لاتستطيع عدها طبية نظرا للغموض الذي مازال يكتنف تأثيرها وسر فاعليتها .

وحسبك أن مجلة الجمعية الطبية الملكية في بريطانيا رحبت بالشريط الجديد ، وأكدت أن أثره العلاجي لايقف عند غثيان الحركة ، بل يتعداه إلى شتى صور الغثيان الأخرى ، كغثيان الأدوية مثلا .

ولعلك تتساءل ـ عزيزي القارئ ـ عن الغثيان عامة ، وغثيان الحركة خاصة .

الغثيان ـ وهو الشعور بالحاجة إلى التقيؤ ـ ذو صلة بالتقلصات التي تحدث للمعدة باستمرار ، بقصد تفريغ محتوياتها في الاثنى عشر والأمعاء الدقيقة . فإذا توقفت هذه التقلصات مؤقتا ، وتقلص الاثنى عشر في الوقت نفسه ، ليمنع المعدة عن تفريغ محتوياتها فيه ، كان الغثيان .

أما غثيان الحركة فعلته معروفة ، وقد عانى منها القائد المشهور نلسون ، وكذلك لورانس العرب .



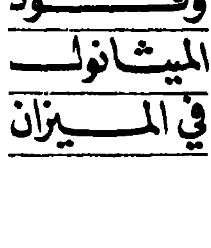
قمح جديد يبشر بالأمن الغذائي للجميع

● أعلنت « أكاديمية العلوم القومية (في أمريكا) أنها نجحت في تطوير فصيلة جديدة من الحبوب ، تبشر باستبعاد خطر المجاعات في المستقبل ، وبمضاعفة إنتاج الغذاء للأجيال القادمة . وتسمى الفصيلة الجديدة « تريتيكيل » Triticale ، وقد تم تطويرها بعمليات التلقيح والتهجين بين فصيلة القمح وفصيلة الشوفان . ويعجب المرء لهذا النجاح الذي اعلنته هذه « الأكاديمية » في مطلع شهر تموز (يوليو) ١٩٨٩ . إذ أن القمح والشوفان فصيلتان مختلفتان مستقلتان ، تنتمي الأولى إلى أسرة « تريتيكوم » ، وتنتمي الثانية إلى أسرة « سكيل » Secale ، أي أن الاندماج بين الفصيلتين بالتهجين والتلقيح متعذر أصلا ، شأنها في ذلك كشأن القطط والكلاب ، فالتزاوج بين هاتين الفئتين مستحيل تماما كالتلقيح والتهجين بين القمح والشوفان . من هنا كان إعلان « الأكاديمية » باعثا على العجب والدهشة .

بقي أن نذكر أن فصيلة الحبوب الجديدة تستطيع العيش والنمو في تربة فقيرة ، وفي مناخ جاف لا يستطيع القمح الصمود فيه . أضف إلى ذلك أن القيمة الغذائية لحبوب « تريتيكيل » لا تقل عن قيمة القمح الغذائية . وقس على مثل ذلك في قابلية الفصيلة الجديدة للعجن وصنع الخبز □



سلامة البشرية في سلامة البيئة



وقـــود الميثانول في الميـــزان

للحد من انتشار ملوثات عوادم السيارات في الولايات المتحدة الأمريكية ، بدأت السلطات المختصة فيها بمناقشة مشروع قانون الهواء النقي الذي يطالب صناعة السيارات في أمريكا بانتاج سيارات أخرى ، تستخدم وقودا آخر - غير البنزين - هو الميثانول في الغالب ، وذلك بمعدل مليون سيارة سنويا ، وابتداء من سنة ١٩٩٧ .

وأول ماينبغي ذكره هو أن الميثانول وقود يستخلص من كحول الميثيل ، بتكاليف مساوية لتكاليف صنع البنزين بالتقريب ، ويمكن استعمال الميثانول هذا في محركات البنزين المعروفة نفسها ، على أن يتم مزجه بالبنزين بنسبة مفضلة هي (٨٥ : ١٥) على الأرجح .

ويتعذر تشغيل محركات البنزين بالميثانول وحده في الطقس الشديد البرودة (١٠ درجات مئوية تحت الصفر) ، ولذلك يعمدون إلى مزج الميثانول بالبنزين ، بالنسبة التي ذكرناها ، للحصول على وقود الميثانول او (M85) كما يسمونه .

ويتميز هذا الوقود بأنه أقل تلويثا للجو والهواء من البنزين ، فالهيدروكربونات والمواد الكيماوية الضارة التي تخرج من عادم السيارة التي تستخدمه أقل من تلك التي تخرج من عادم سيارة البنزين ، فهي لاتكاد تبلغ خمسها ، إذا كان الوقود من الميثانول ١٠٠٪ ، أي (M100) ، أما إذا كان الوقود مزيجا ، أي (M85) ، فتتضاعف تلك النسبة ثلاثة أضعاف أو أكثر . ي أن المحركات التي تستخدم وقود(M85)تلفظ من الهيدروكربونات والمواد الكيماوية الضارة حوالي ٧٠٪ مما تلفظه محركات البنزين العادية .

والجدير بالذكر أن الهيدروكربونات ، وهي مواد كيماوية معقدة ، تتحد مع غازات أخرى موجودة في الهواء ، وتتفاعل بتأثير ضوء الشمس ، لتكوّن غاز الأوزون ، أي غاز الأكسجين الأحادي الذي يعمل على وقاية الحياة بوجوده في طبقات الجو العليا ، ويعمل أيضا على تلويث الهواء ونشر السّخام في الجو بوجوده على سطح الأرض .

وتشير بعض التقارير العلمية إلى أن الوقود المزيج (M85) قد لايقل عن البنزين من حيث هو عامل تلويث ، بل قد يزيد ذلك ، كون الميثانول يتبخر أسرع من البنزين ، فهو إذن يضاعف كمية الهيدروكربونات التي تتسلل إلى الجو ، دون أن تكون قد احترقت كلها . من هنا كان الخلاف القائم حاليا حول جدوى مشروع القانون المطروح على الكونجرس للمناقشة .



على أن وكالة البيئة الأمريكية ترى خلاف دلك ، وتؤكد أن الوقود المزيج (M85) يضمن للجو والهواء من النظافة ما يبرر مشروع القانون الذي وضعته إدارة الرئيس بوش . والوكالة ماضية في إعداد التقرير العلمي الوافي الذي سيقيم الدليل على مزايا المبثانول البيئية ، والذي ستصدره الوكالة عما قريب .

□□□

البيئة تقوم نفسها بنفسها!

اكتشف العلماء الاستراليون أن في الإمكان إزالة «الكلوروفلوروكربونات» من الجو، وبالتالي حماية حزام الأوزون الواقي، وذلك بطرق طبيعية بسيطة، فقد ثبت لهم أن إفرازات الميثان التي تتصاعد من (العثة) وتتكاثر داخل كثبانه كفيلة بالقضاء على «الكلوروفلوروكربونات» وهي المسؤولة الأولى والكبرى عن تدمير الأوزون الموجود في طبقات الجو العليا، ذلك أنهم قاموا بقياس مستوى «الكلوروفلوروكربونات» في جو أحد تلك الكثبان وقارنوه بمستواها في الجو الخارجي، فوجدوا المستوى الأول أقل بكثير من المستوى الثاني .

□□□

الجذور تغني عن الجذوع

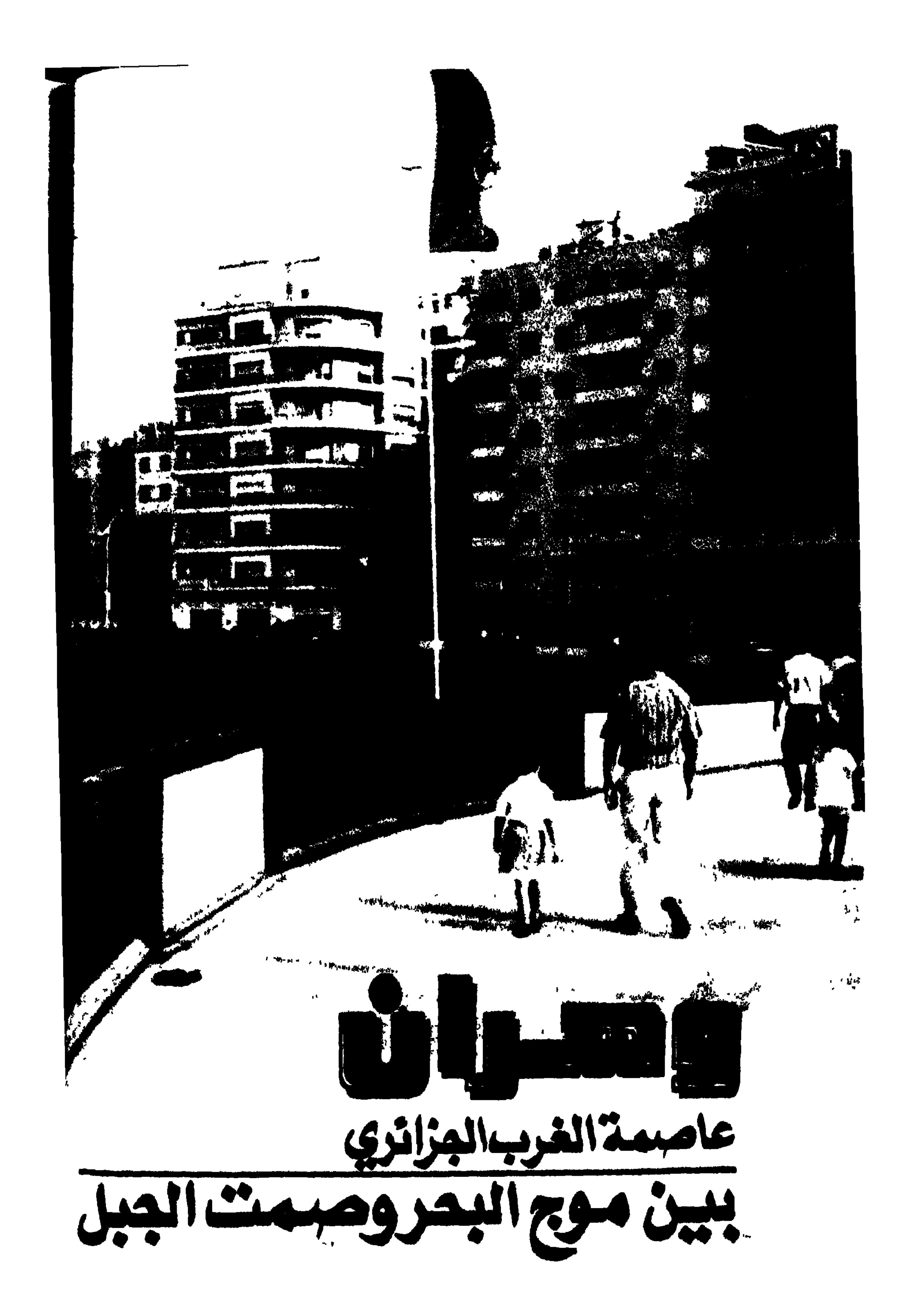
يؤكد علماء جامعة واشنطن في سان لويس، أن جذور بعض النباتات تصلح وقودا للطهي. ويذكرون من تلك النباتات على سبيل المثال «الكوسة» ويذكرون أيضا (اليقطين أو القرع)، فهذه الجذور وأمثالها لا تحتاج الى أكثر من التجفيف تحت أشعة الشمس، لتصبح الوقود المطلوب في شتى بلدان العالم الثالث. ولو ذكرنا المحنة التي تتعرض لها تلك البلدان في الوقت الحاضر في فقد كثير من غاباتها بسبب التحطيب، وشح الوقود لأدركنا أهمية النباتات التي يتحدث عنها علماء واشنطن بالنسبة الى هذه البلدان. فقد تسهم في حل أزمة الوقود فيها، وتغني عن التحطيب، وتبقي على الغابات أو ما بقي منها على أقل تقدير.

□□□

أخرس ولكنه قادر على النطق!

اكتشف بعض علماء التاريخ الطبيعي، أن «رجل نياندرثال» الذي عاش في أماكن مختلفة من العالم، قبل حوالي ٦٠,٠٠٠سنة، والذي افتقر الى النطق باجماع العلماء، اكتشفوا ما يدل على أن «رجل نياندرثال» الذي ذكرناه لم يفتقر الى عظمة اللسان المسماه (hyoid bone)، وإن كان محروما نعمة النطق، ومعنى هذا أنه تمتع بالقدرة على النطق، وإن بقيت تلك القدرة ملكة كامنة دون تحقيق.

ولعل أسلوب عيش «رجل نياندرثال» هو الذي حال بين تلك القدرة، وبين تحقيقها، إذ أنه لم يعش في مدن أو ضمن مجتمعات تستوجب التعاون بين الأفراد، وتقتضي المحادثة فيما بينهم، فقد عاش السلف المذكور في الكهوف، وهام على وجهه أثناء النهار في الغابات يجمع الثمار والجذور□



وهران

عاصمة الغرب الجزائري

بين موج البحر وصمت الجبل



استطلاع :
محمود عبد الوهاب
تصوير :
فهد الكوح

« ما هدأت شواطئها ولا طرقها قط . ظلت طوال تاريخها تنبض بالأحداث ، فقد جنى عليها موقعها » .

هذا المنفذ البحري الذي يستلقي عند سفح الجبل . .

وبين البحر والجبل تختصر وهران تاريخها وأحداثها وحياتها وهمومها ومشاكلها .

على ساحل البحر الأبيض المتوسط ـ قلب الدنيا وبؤرة التاريخ ـ ترقد وهران مستلقية عند سفح جبل « المرجاجو » الذي يحيط بها ، وعلى منحدراته وحتى السفح تمتد المدينة بنخيلها وميناثها ، وبيوتها ذات اللونين الأصفر والأبيض ، تحكي قصة مدينة يزيد عمرها عن ألف عام .

وصلناها صباح يوم جمعة ، كانت المدينة مازالت نائمة ، فالساعة لم تتجاوز السادسة والنصف صباحاً . قطعت بنا السيارة المسافة بين مطار وهران وقلب المدينة في عشرين دقيقة فقط .

دخول المدن وهي نائمة قد يعطي انطباعاً خاطئاً ، فالشوارع هادئة ، ورائحة النوم وبقايا مهملات الأمس تملأ الشوارع ، حتى الفندق الذي كنا قد حجزنا فيه كانت رائحة الطعام المتبقي من ليلة الأمس تملأ جنباته .

أسوأ من دخول المدن وهي نائمة الدخول إليها بانطباع مسبق ، في ذاكرتي كان يتقافز عديد من السطور وصفت بها وهران ، من ألبيركامو إلى السياب إلى صلاح عبدالصبور .

وما بين الصورة المقبضة التي صور بها كامو وهران إلى عشق السياب لها . ما بين الحالين كانت محاولة اكتشاف وجه مدينة عريقة .

تاريخ عريق

تتفق معظم الروايات التاريخية أن مدينة وهران قد شيدت في عام (٢٩٠هـ ـ ٩٠٣م) بأمر من الخليفة الأموي بالأندلس أبي عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن (توفي ٣٠٠هـ) ، وإن كان تاريخها أقدم من ذلك وأعرق ، فهي واحدة من الموانىء التي غزاها إميلكار ٢٣٧ق.م ، وجيوش روما ، وهجمات كل قوى العصر القديم .

ووهران من المدن التي صاغ تاريخها موقعها ، فهي نتوء يمتد داخل البحر الأبيض المتوسط ، قريبة من أراضي كل امبراطوريات التاريخ القديم ، وهي بموقعها البحري ، وبجبل المرجاجو الذي يحيط بها ، تمثل مفتاحاً برياً للزحف باتجاه منطقة الغرب في المغرب العربي .

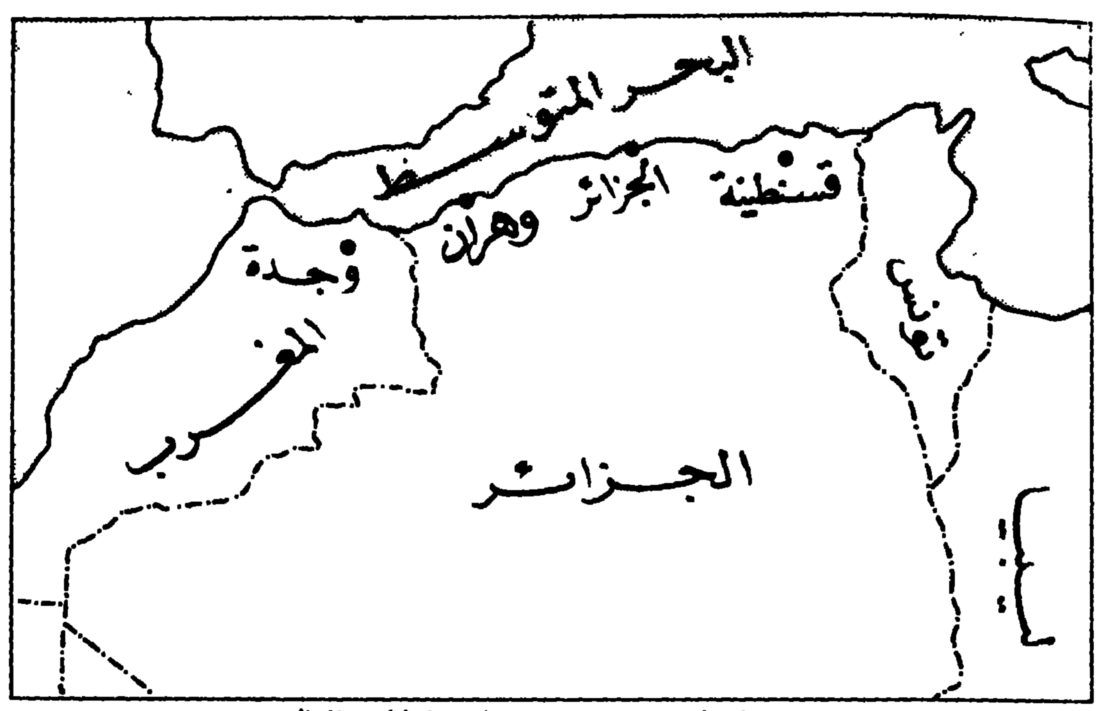
وبين البحر والجبل توزع تاريخ وهران كله .

فعندما كانت الأندلس عربية ، كانت وهران مركز التجارة المزدهرة ، من مناطق افريقيا إلى شواطىء أوربا ، وشهد ميناؤها ازدهارا تجاريا ، ساندته قوة بحرية ، تفرض سيطرتها على البحر والسفن العاملة والمبحرة فيه ، وعندما ظهرت دول المرابطين والموحدين خضعت وهران للزاهدين المقاتلين الذين عبروا البحر لينقذوا الأندلس .

وبعد ذلك عندما انهار حكم العرب في الأندلس استقبلت آلاف العرب في رحلة العودة،مكسوري الرايات محملين بالإخفاق .

ومنذ ذلك التاريخ وعين أوربا عليها .

حتى كان عام ١٥٠٢م ، حين شن الأسبان أول هجمة على شواطىء وهران ، فهاجموا منطقة المرسى الكبير ، ولكن الحملة فشلت في



● خريطة الجزائر ، وتبدو وهران على بوابة الطريق الى الغرب .

اقتحام وهران . وفي عام ١٥٠٥م عاد الأسبان في حملة أخرى ، فاحتلوا المرسى الكبير ، وبعد أربع سنوات استطاع الأسبان كسر مقاومة الأهالي واحتلال مدينة وهران في ربيع عام ١٥٠٩م ليبدأ تاريخ الاحتلال الأسباني للمدينة .

وقد استمر الاحتلال الأسباني لها حتى عام ١٧٠٨م ، عندما حررها العثمانيون ، واستمر حكمهم فيها حتى عام ١٨٣٥م عندما وقعت تحت الاحتلال الفرنسي .

وتاريخ وهران يحفل بآثار كل ممالك العالم القديم ، من الرومانيين ، إلى الإسلاميين ، إلى الأسبان ، فالعثمانيين ، وأخيرا الفرنسيين .

والثابت تاريخيا ـ كما يقول د. مالك نور الدين ، أستاذ التاريخ ، ومدير متحف مدينة وهران ـ أن وهران كانت ميناء من موانىء تصدير الذهب ، في عصر مملكة الذهب الشهيرة في التاريخ العربي التي كانت تمتد من باماكو إلى السودان .

جمال خاص

جمال وهران جمال من نوع خاص ، تتعدد عناصره ومكوناته ، فالمنظر العام للمدينة فاتن ورائع ، جبل عال أشم ، متوج بالخضرة . عند شاطىء البحر وبين السفح والمنحدرات ترقد المدينة ، ولأن المدينة مشيدة في السفح وعلى المنحدرات فهي مبنية على مستويات أحدها يعلو الآخر . والجالس على شاطىء البحر أو على (الكورنيش) الطويل الممتد يرى المدينة فوقه متدرجة على منحدرات الجبل .

شوارعها قصص وحكايات وجمال متميز عن كل مدن ساحل البحر الأبيض العربية ، أشجار النخيل تملأ الشوارع والطرقات ، على الجانبين وفي المنتصف ، ولشكل النخيل المشذب وقع غريب ، البيوت طراز معماري متميز ، يمثل خليطا من نمط العمارة الأسبانية بالزخرفات الكثيرة ، ونمط العمارة الفرنسية القديمة بالشرفات والنوافذ العالية والأقواس ، ونمط



● هكذا تختصر وهران شخصيتها الصورتان العليا والسفلى الى اليمين طراز العمارة المتنوع .. وجمال الطرقات المميز ، والى اليسار الكروم التى تزرع أرضيا ، المحصول الرئيسي الذى تعتمد عليه صناعات كثيرة



العمارة العربية المألوف لدينا .

وتختلط أنماط العمارة هذه ، أو تتمرد ، فنرى بناية قديمة تجمع بين أكثر من نمط ، أو نرى بناية تمثل نمطا معينا .

في المناطق الأبعد عن منطقة وسط المدينة يتضح النمط العربي في العمارة وفي الحياة : بيوت صغيرة متلاصقة ، وشوارع ضيقة ، وتجمعات السكان على نواصي الطرق ، وحركة الأطفال في الطرقات وتجمعات الشباب ، والمقاهي الصغيرة .

في صبيحة يوم وصولنا انطلقنا إلى السوق ، يتجمع الباعة في منطقة واحدة على بسطات صغيرة ، بعضها مكشوف وبعضها حوّله أصحابه إلى دكاكين ، والسوق مقسّم إلى أماكن لبيع الخضراوات ، وأخرى للفواكه ، وثالثة للحوم ، ومنطقة للأسماك ، وأخرى للأدوات المنزلية ، خارج السوق تمتد المنطقة التجارية الشعبية : محلات بيع القماش والتوابل ، وحركة الناس لا تهدأ بالسوق . رجال ونساء ، أسر تتحرك معا ، أو مجموعة نساء يسرن معاً في السوق الواقع في قلب المنطقة العربية القديمة من المدينة ، حيث يكثر ارتداء الزي الوطني : ثوب أبيض ، يلتف حتى الوسط ، ويوضع طرفه الثاني فوق الرأس والكتفين .

الناس لا تحفل بالغريب ولا تهتم ، عدا تجمع بعض الصبية الصغار حولنا ونحن نلتقط بعض الصور

عاشق وهران

ولأن المدينة ذات جمال آسر ، ومن المدن التي لها إيقاع وشخصية ، فإن عشاقها كثيرون ، إلا أن عاشقها الأكبر والأشهر هو سيدي الهواري ، وهو ولي من أولياء الله الصالحين ، ولد عام ١٣٥٠م ، في بلدة الصدر ، بولاية مستغانم ، ثم انتقل إلى مدينة وهران التي كانت محدودة آنذاك بحي صغير ، وأقام هناك ، وأسس مسجدا هو عبارة عن مدرسة لتلقي العلوم الفقهية والدينية ، ومن خلال مدرسته وتلاميذه تغلغل الشيخ في نسيج حياة وهران ، حتى اختلط بتاريخها وعاداتها وأساطيرها ، وحياة أبنائها اليومية . ويبدو أنه على قدر عشق الشيخ الهواري للمدينة قد عشقته المدينة أيضا ، فالرجل هو أبو عبدالله محمد بن عمر الهواري (١٣٥٠م - ١٤٣٩م) ، قد طاف مدناً إسلامية كثيرة منذ خروجه وهو في العاشرة من عمره من قريته . وحتى اليوم تحتفل المدينة بمولد سيدي الهواري ، وتسميه (وعدة سيدي الهواري) ، فيقرأ القرآن بالمساجد ، ويكرم المساكين والفقراء ، وتنصب خيام محبي الشيخ القادمين من خارج وهران حول الضريح .

وقد امتد الشيخ الهواري في تاريخ المدينة ، وعلى الرغم من أنه ليس مدفونا في الضريح ، فإن زيارات الضريح لا تنقطع ، والتبرك به والدعاء عنده ، والقسم به ، مازال كل ذلك ساريا في تفاصيل الحياة اليومية .

وفي القصص الشعبي ينسج عديد من القصص حول الشيخ والمدينة ، تدور كلها حول أهمية عدم إغضاب الشيخ أو الاجتراء عليه ، وأن الشيخ مطّلع وقادر ومستجاب الدعوة . وأشهر القصص (الأسطورية) أن الشيخ دعا على وهران بأن يحتلها النصارى (الأسبان) لينتقموا من أهلها الذين غضب عليهم لقتلهم ابنه ، وتقول الحكاية : إن الدعوة تحققت بعد وفاة الرجل بـ ٧٢ سنة ، وبعد ذلك جاء الشيخ إلى أحد أتباعه فقال له : إن (النصارى) سيخرجون ، وقد خرجوا فعلا بعد قرنين من الزمان !!

هذا الاندماج الحي داخل الثقافة الاجتماعية ، ووجدان الناس ، وتاريخهم ، ألصق المدينة بالرجل . مما جعل الكثيرين يربطون بالخطأ بين اسمها واسمه . ولكن كل هذه الحكايات - كما يقول د. البخاري حمانه

أستاذ بجامعة وهران : هي وليدة عصور لانحطاط

وعندما افتقد الناس الحلم ، وعجزوا عن العمل ، تباروا في نسج أساطير ، وغلفوها بثياب رجل صالح ، ليمنحهم العزاء والتبرير لعجزهم .

هموم « الباهية »

تعد وهران ـ أو الباهية ـ كما يحلو لأهلها أن يطلقوا عليها ، عاصمة الغرب الجزائري ، يبلغ عدد سكانها قرابة ٦٥٠ ألف نسمة ، ويزيد عددهم أثناء النهار إلى ٩٠٠ ألف نسمة .

وعلى الرغم من أن المدن لا تنفصل عن أقطارها ، فإن وهران لا تعاني مشكلات الجزائر وهمومها فقط ، بل إن لها مشكلاتها الخاصة بها ، وهمومها التي تنفرد بها .

أول هذه المشكلات وأكثرها إلحاحا نقص مياه الشرب ، فوهران بدون مصدر للمياه العذبة إلا مياه المطر ، وبعض الآبار ، وقد تفاقمت المشكلة في السنوات الأخيرة للنقص في معدل سقوط الأمطار ومنسوبها ، وبدأت المدينة تعرف انقطاع المياه أياما عن مناطق بأكملها .

ثانية مشكلاتها السكن ، فالطلبات المسجلة للحصول على السكن تقترب من ٣٢ ألف طلب ، بينما قدرة ولاية وهران ، في أفضل الأحوال وأحسن الظروف ، لا تستطيع إنجاز أكثر من ألفي وحدة سكنية سنويا ، ويعني ذلك أن على بعضهم الانتظار ستة عشر عاما ، يكون الطلب فيها قد تزايد أيضا بشكل كبير ، مما يهدد بمشكلة حقيقية .

وأزمة وهران تكمن في موقعها ، فهي محاطة بالجبل ، وإلى الجنوب الغربي منها منطقة (السبخة) ، وهي منطقة غير صالحة للامتداد العمراني . وشمالها البحر .

طبوغرافيا موقع وهران القاسي هو الذي يولد مشاكلها . ولقد كان من جراء موقعها على البحر ، وكبوابة إلى طريق المغرب أن ازدهرت بها تجارة المهربات : سجائر ، عطور ، مستحضرات تجميل ، ملبوسات . والأثمان فوق طاقة البشر ، فرجاجة عطر صغيرة ثمنها ٨٠٠ دينار جزائري ، أي أكثر قليلا من مائة دولار ، وكان من نتيجة ذلك أن ازدهرت السوق السوداء للعملة ، فبينما يبلغ سعر المائة دولار في « البنك » قرابة الـ ٧٠٠ دينار تقريبا ، فإن المائة دولار نفسها يصل سعرها في السوق السوداء إلى أكثر من ٣٥٠٠ دينار ، أي ما يقارب خمسة أمثال سعر « البنك » .

على رمال الشاطىء

لأن وهران مدينة ساحلية ، وتتميز بشواطئها الممتدة على البحر ، فإنها منطقة جذب سياحي ، لكثير من المصطافين من أبناء الجزائر ، وعلى شاطئها تكثر مجمعات إقامة المصطافين ، حيث قامت ولاية وهران ببناء أكثر من تجمع سياحي عبارة عن مجموعة شاليهات ومقاصف ومقاهٍ . وتطرح هذه الوحدات للإيجار للعائلات . وعلى امتداد الشاطىء تتوزع هذه المجمعات في وهران ، وفي عين ترك ، ومداغ ، والبرج الأبيض .

ومجمعات الاصطياف نوعان ، إما مجمعات مشيدة ، أو خيام ، وكلا النوعين مجهز تجهيزا كاملا ، ويخضع لرقابة وإشراف من البلديات باستمرار .

وتنشّط حركة الاصطياف قطاع الخدمات ، ولكنها تؤثر على أسعار السلع والخدمات ، خاصة أن قطاع الخدمات يعمل به جزء كبير من السكان . على الشاطىء تستقر العائلات والمصطافون ، يبدأ يومهم في الصباح الباكر ، يقضون يومهم بين البحر وبين الرياضة ، وفي المساء يتوزع المصطافون في المقاصف والمقاهي ، أو يقيمون حفلات سمر بفرق فنية محلية .



● الصورة اليمنى العليا السوق خليط من البشر .. وأزياء مختلفة ، واليمنى السفلى اكتفى مواطن من الفاكهة بالنظر فارتفاع الأسعار يمس كل شيء ، والى اليسار فنون الحضارة .. الأقمشة والمنسوجات والنحاس المطروق والجلد المصنع .



ولا يعكر صفو الإجازة إلا طابور انتظار عربات المياه ، وتدافع النساء والرجال بالأواني والأوعية لأخذ حصتهم وحاجاتهم من المياه .

وبخلاف مشكلة المياه وطابورها اليومي ، فلا شيء يعكر على المصطافين لهوهم ، بل وينتظمون معاً في علاقات صيفية ، للدخول في مسابقة أنظف شاطىء ، وتدير هذه المسابقة الإذاعة الجزائرية كل أسبوع على شاطىء عبر شبكة مراسلين ، يطوفون الشواطىء ، ويلتقون المصطافين ، وذلك من قبيل تشجيع رواد الشواطىء على المحافظة على النظافة العامة لأماكن الاصطياف ، بل وتسهم الإذاعة في بث أخبار عن مناطق ارتفاع الموج والتحذير من السباحة في هذه المنطقة أو تلك ، وفق ما يصل إليها من مراسليها ، وذلك على الهواء مباشرة ، طوال فترة الظهيرة في شهور الصيف ، والمجمعات السياحية هي مكان النزهة المسائية لأهل وهران أيام العمل ، فبعد أن ينتهي يوم العمل يذهبون لقضاء أمسيات الصيف في مقاهي البحر ، هربا من حر المدينة واختناقها .

وبخلاف الشاطىء ، فإن الجبل متنزه لا يقل جمالا وفتنة عن البحر، ففوق قمة جبل المرجاجو تكثر أماكن المخيمات والمقاهي ، حيث تقل درجة الحرارة فوق الجبل ، ويتلاشى تأثير الرطوبة . ووسط الجو المنعش البارد ، والخضرة ، وبعيدا عن ضوضاء المدينة ، يحلو لكثير من الأسر أن تقضي أوقاتا للراحة ، سواء كانت أيام إجازة أو عطلات أو حتى أمسيات صيفية . ويربط قمة الجبل بالمدينة « تلفريك » ترام كهربائي ، يصعد من المدينة إلى قمة الجبل ، محققا لرواده متعة المنظر وسهولة الانتقال في آن واحد .

مجتمع من الشباب

واحدة من مشاكل وهران الحالية التي تمتد بآثارها الاجتماعية إلى نسيج المجتمع هي كما يقول والي وهران ، عبدالمالك السلال : مشكلة البطالة ، خاصة بين الشباب ، ونحن من جانبنا نحاول أن نوجد فرص عمل جديدة ، ولكن فرص العمل الجديدة لا تستوعب كل المتعطلين ، وخاصة أن الشباب في الجزائر يبلغ تعدادهم ما نسبته ٧٥٪ من عدد السكان ، وقطاعات الإنتاج محدودة ، فبجوار وهران هناك منطقتان صناعيتان ، لكن طاقتيهما لاستيعاب العمالة محدودتان .

القطاع الذي يستأثر بتوجهات السكان للعمل به هو قطاع الخدمات ، والتجارة ، أما قطاع الزراعة فعلى الرغم من أن المساحة الصالحة للزراعة في وهران ٨٠ ألف هكتار فإن انتاجها غير كاف لسد الاحتياجات من الخضراوات والفواكه ، ونحاول حاليا استزراع نوعيات جيدة ، ذات مردود عال ، خاصة أن القطاع الزراعي يرتبط به قطاع الصناعات الغذائية ، وبخاصة الصناعات القائمة على الأعناب والزيتون ، وهي إنتاجنا المميز الذي نصدره إلى البلدان المجاورة كالمغرب وأسبانيا وفرنسا عبر الميناء .

رئيس بلدية وهران السيد قدور عريف يقدم صورة أكثر اقترابا لوهران ، يقول : بداية منصب رئيس البلدية هو منصب انتخابي وليس تعيينا ، وقد تمت انتخابات بلدية وهران في ديسمبر ١٩٨٤ ، حيث تقدم ١٣٨ مرشحا ، انتخب منهم ٦٩ عضوا ، ثم تم انتخاب داخلي لانتخاب رئيس البلدية ومعاونيه ، وتبلغ ميزانية بلدية وهران حوالي ٤٥ مليون دينار سنويا ، وهي أكبر ميزانية لبلدية في الجزائر كلها ، والميزانية هي عبارة عن إيرادات البلدية المتمثلة في عائدات الضرائب ، و ٦٪ من إجمالي قيمة رواتب كل مؤسسة ، وإيرادات تأجير الأسواق والمرافق ووسائل النقل ، ونسبة من أرباح المقاولات العمومية مقابل التزام البلدية بمشكلات والتزامات كثيرة ، كالطرق والمدارس وصيانة

لمساجد والمنشآت والأسواق ومرافق الشواطىء ، وتنفيذ مشروعات الاستثمار . ولأن المجلس البلدي مجلس منتخب من الشعب ، فهو أكثر دراية بمشكلات الناس ، وأكثر قدرة على تفهمها ، واحتكاكه بالشعب أكثر عبر سياسة الباب المفتوح ولقاءاته المستمرة بالمواطنين .•وفي وهران ١٧٥ مدرسة ابتدائية ، وهي تتسع لكل الأطفال الذين في سن التعليم الإلزامي (٦ ـ ١٢ سنة) ، وهناك ٢٠ مدرسة متوسطة (إعدادية) ، و ١٤ مدرسة ثانوية ، كما أن هناك ٥ مراكز تكوين مهني للذين لم يوفقوا في التعليم العام ، خاصة أن نظام التعليم لا يسمح بالرسوب أكثر من مرة واحدة فقط في كل مرحلة دراسية ، والحكومة ملتزمة بتعيين خريجي مراكز التكوين المهني . أما قطاع الرعاية الصحية فهناك مستشفى جامعي ، سعته ٩٠٠ سرير تقريبا ، ومراكز صحية موزعة على مستوى الأحياء ، يبلغ عددها ١٢ مركزا . ويضيف السيد قدور عريف : مشكلة البطالة مشكلة نسبية ، فخريجو المدارس والجامعات لا يأتون للحكومة لضعف الراتب ، وبعضهم يبتلعه قطاع التجارة أو الأعمال الهامشية وقطاع الخدمات ، خاصة أن وهران واقتصادياتها تسمحان بكثير من الأعمال الهامشية ، فمثلا هناك تجارة السوق السوداء ، وتستطيع أن ترصدها في أي شارع من الشوارع الرئيسية : صبية وشباب واقفون ، يبيعون علب السجائر ، وعلى الرغم من أنها سجائر مصنعة محليا بترخيص من شركتين عالميتين فإن الصبية والشباب بالاتفاق مع الموزعين يأخذون حصصا من المحلات المخصصة لبيع السجائر ، ثم يبيعونها بفارق ١٥ دينارا عن سعرها الأساسي ، ولأن الطلب على السجائر أكثر من العرض ، فإن هذا السوق مزدهر نشط . وهكذا في سلع عديدة يقل المعروض منها عن الطلب الحقيقي في السوق .

ولعل ما يزيد في قطاع الخدمات الهامشية ونشاط السوق السوداء ، هو السياسات الاقتصادية المتبعة في تقييد الاستيراد ، الأمر الذي يجعل للسلع المستوردة قابلية كبيرة ، وساعد وضع وهران الخاص كميناء بحري ومنفذ على الطريق البري إلى المغرب على تنشيط حركة التهريب وتجارة السوق السوداء .

أصحاب البارود

مازالت الجزائر تحتفي بمجاهديها الذين ضحوا بالحياة من أجل الوطن ، وفي أثناء وجودنا هناك حلت ذكرى الاحتفال بيوم المجاهد ، وهو ذكرى أول اجتماع لجبهة التحرير الذي تم بالقرب من وهران في عام ١٩٥٤ . والاحتفاء بالمجاهدين يتجاوز الوقوف عند شخصيات ، ويتحول إلى احتفاء بالمعنى والقيمة . وفي صبيحة يوم الاحتفال وجه رئيس البلدية الدعوة إلى الأحياء من جيل المجاهدين القدامى ، حيث استقبلهم في دار البلدية ، ثم صحبهم إلى قبر الشهداء . وفي عصر اليوم نفسه أقيمت المباراة النهائية في دورة صداقة لكرة القدم ، تقام خصيصا احتفاء بهذه المناسبة كل عام في وهران ، بين أندية من المغرب وتونس والجزائر . وفي المساء ، وفي مسرح صيفي مفتوح ، أقيم احتفال غنائي ، قُدِّم فيه ما يعرف بأغنية الراي ، أو أصحاب البارود .

وأغنية الراي وأصحاب البارود ، هما نوع من الغناء الذي تشتهر به منطقة وهران ، وهو غناء يقرأ ويسمع بشكل اجتماعي تاريخي ، فهناك تراث كبير لأغنية الراي يوصف بأنه « نواسيات » وفي الوقت نفسه هناك جانب حماسي ، كان يغنيه أبناء الجبال في غزواتهم وكفاحهم ضد أعدائهم ، ويطلقون النار في وسط الأغنيات ويرقصون بالبنادق .

ومع الزمن والتطور الاجتماعي ، تطور جانب من أغنيات الراي لتتناول الموضوعات



● الصورة اليمنى العليا عازفة ومغنية لأغنيات (الراي) ، أسفلها خادم مقام سيدي الهواري ، وإلى اليسار مقام سيدي الهواري وقد جلس حول الضريح النساء والأطفال والفتيات ، واليسرى السفلى أصحاب (البارود) الذين يغنون ويرقصون بالبنادق . . بقايا تراث أيام الجهاد .


الله

السياسية ، وهذا التطور هو تطور في الموضوع الذي تتناوله الأغنية من النواسيات إلى الحماسة إلى الموضوع السياسي إلى الموضوع العاطفي . ومع دقات الموسيقا يتمايل الناس طربا ورقصا ، ويرددون مع المغنين بحناجرهم وأياديهم ودقات أقدامهم .

سائق سيارتنا كان واحدا من جيل المجاهدين ، شيخ يقترب من الستين ، نسأله : هل كنتم تغنون أغنيات الراي أيام الجهاد ؟ يضحك الشيخ ويقول : لم يكن لدينا وقت للغناء ، ولم نكن نجيده ، كنا نجيد القتال فقط ، أما الذين كانوا يجلسون في المدن ، ويأكلون الحريرة (طعام من الدقيق والسمن) ، فهم الذين كانوا يغنون .

في طريقنا إلى قرية عين الكرمة خارج وهران ، والسيارة تصعد بنا الجبل ، توقف سائقنا ، تركنا وذهب ، من نافذة السيارة لمحناه يقف أمام مقبرة لعدد من المجاهدين ، وقف الشيخ طويلا ، ذهب وقطف بعض الزهور البرية من الجبل ، عاد إلى المقبرة ، وضع الزهور ، أخذ زجاجة مياه من السيارة ، نثر بعض الماء ، جلس بجوار المقبرة ويده على خده .

عاد إلينا ، وفي عينيه لمعان دموع ، احترمنا صمت الرجل . وحزنه النبيل الذي لا يفتعله . بعد فترة قال : كانوا زملائي ، وعندما استشهدوا كنا معاً في معركة واحدة ، كان الحزن يقطر من أحرفه وعيناه تلمعان بالدمع .

البحر والجبل

في العلوم الاجتماعية ، هناك رأي معروف يقول : إن شخصيات البشر تتأثر بالبيئة الطبيعية التي يوجدون فيها ، وهكذا فإنهم يحددون صفات نفسية مسبقة ، يتسم بها في الغالب سكان المناطق الجغرافية المختلفة ، فسكان السواحل غير أهل الصحراء ، غير قاطني الجبل ، غير مجتمع الزراعة ، وفي وهران يلتقي نقيضين الجبل والبحر ، ولأن تكوين المدينة الديموجرافي قد تم من خلال هجرات كثيرة ، فإنه يصعب أن تحدد منهمعن هم أهل البحر ومن منهم من أهل الجبل ، والحادث أن الشخصية الوهرانية جمعت نتاجا بين الاثنين ، ففيها رقة للوهلة الأولى ولكنها رقة تخفي عنفا وقسوة وحدة طبع ، هو نتاج البيئة القاسية ، وسنين طويلة من الجهاد .

ولذلك فخدمة الفنادق والمطاعم ليست هي الخدمة التي تستوجبها هذه القطاعات ، وليس صحيحا أبدا أن الزبون على حق ، بل والي المدينة نفسه يقول رداً عن استفسار عن الاستثمارات الأجنبية :

لم تكن لدينا استثمارات أجنبية في الفترة الماضية ، لأننا نؤمن أن السيادة قبل كل شيء ، ولكننا مؤخرا بدأنا بعض المشروعات السياحية مع شركة أبو نواس لبناء منشآت سياحية .

رئيس البلدية السيد قدور عريف يقول : أهل وهران الحقيقيون يتمتعون برقة وحسن معشر ، ولكن الاختلاط بين طباع أهل الجبل وأهل البحر هو الذي أوجد الحالة التي أتفق معكم على وجودها ، وأتفق معكم أن هناك بعض الخدمات في قطاع السياحة ليست كما ينبغي ، ولكن خذ مثالا آخر : منذ عشرين عاما ، كانت المقاهي في وهران تغلق يوما محددا في الأسبوع ، وكان هذا الإغلاق يتم بالتناوب ، وكان صاحب المقهى المغلق يطوف على المقاهي المفتوحة ، ويطلب شرابا لرواده الجالسين في المقاهي الأخرى ، وفي يوم بدء العمل يقدم صاحب المقهى مشروبا للتحية لرواده الدائمين . هذا الفن من خدمة الزبون ليس موجودا ، وحاول أن تجلس في مطعم أو مقهى وتصفق لاستدعاء الساقي أو تستعجل ما طلبت . وقتها ستدرك خطأ تصرفك .

حدة الطبع شاهدناها رؤية العين ، في قرية عين الكرمة ، وعند زيارتنا لمزرعة دواجن

ـدجية . ويصحبنا بعض مسئولي بلدية عين ـكرمة ، ويثور نقاش بين اثنين من أصحاب ـلـمـزرعـة ، وبعـد ثـلاث دقـائق فقط انتهى ـنقاش . وبدأت الصفعات والركلات والضرب ـالعصي !!

توطين أهل الجبل

ذهبنا إلى زيارة بلدية عين الكرمة ، ويتبعها خمسة تجمعات سكنية ، متنوعة النشاط الاقتصادي والظروف البيئية ، فهناك تجمع البرج الأبيض ومداغ ، وهو تجمع يطل على الشاطىء . ونشاط السكان الغالب هو صيد السمك وخدمات السياحة . وتجمع عين الكرمة حيث مقر البلدية والمدرسة والمركز الصحي ، ونشاط السكان يدور حول تربية الدواجن والماشية والزراعة ، وسكن الموظفين الحكوميين ، والتجمعات الثلاثة الباقية هي تجمعات زراعية ، ويبلغ عدد سكان البلدية ستة الاف نسمة ، والزراعة هي النشاط الرئيس ، ويزرع السكان الخضر والفواكه والشعير والحبوب ، وأغلب سكانها قادمون من الصحراء ، وتحديدا من منطقة الجنوب الغربي ، واستقروا في البلدية حيث الحياة أكثر استقرارا ، والظروف أفضل كثيرا من حياة الصحراء . ولذلك فإن المجتمع الصغير هناك يعيش بتقاليد اجتماعية تتفق مع سكانه ، فطوال تجوالنا في القرية لم نلمح ظلا لفتاة ، لأن المرأة لا تخرج من البيت ، وإذا خرجت فهي مرتدية الزي الوطني ، ومنقبة وجهها ، تسير خلف رجل من أهل بيتها بخطوات ، وعلى الرغم من وجود خمس مدارس ابتدائية في المنطقة فإن الفتيات لايكملن تعليمهن ، وذلك لرفضهن الاختلاط والخروج من البيت .

سكان تجمع البرج الأبيض ومداغ يختلفون في العادات ، فسكان هاتين المنطقتين هم السكان الأصليون ، ونشاطهم الاقتصادي مرتبط بالصيد ، وخدمات السياحة ، ولذلك فإن دور المرأة وخروجها أكثر وضوحا نسبيا من التجمعات التي استوطنها أهل الصحراء والجبل .

وعلى غرار بلدية عين الكرمة يوجد أكثر من بلدية وتجمع سكاني لتوطين أهل الجبل والجنوب الصحراوي ، في مجتمعات مدنيّة ، وذلك لتقديم الخدمات الحضرية لهم ، وتنميتهم اجتماعيا واقتصاديا .

وسط القرية لمحنا خيمة كبيرة منتصبة ، اقتربنا منها ، سألنا أصحابها ، قالوا لنا : إنهم يستعدون لحفل عرس ابنهم . خرج إلينا العريس ، تجاذبنا أطراف الحديث ، قال لنا : إنه لم ير العروس إلا مرة واحدة مع أهله ، وأنه في صباح الغد سيصحبها مع أطراف العائلة إلى البلدية لتوثيق عقد الزواج ، وبعد العودة سيولم للغداء وليمة يدعو إليها أقاربه وأصدقاءه ، وفي السهرة سيمضي مع أصحابه ، ويبيت معهم حتى اليوم التالي ، وعند الظهر سيقوم أصدقاؤه بالإشراف على استحمامه وارتداء ملابسه ، ثم يصحبونه إلى الحفل الذي ينتهي عند المغيب ، حيث يصحب العريس عروسه ، بينما يستمر الأهل والأصدقاء في القصف والطرب والطعام احتفالا بالعريس الذي يؤكد رجولته في اللحظات نفسها .

الرايات المنكسرة

تعرضت وهران بحكم موقعها ، ومن خلال تاريخها ، لتأثيرات كثيرة ، منذ البدايات الأولى ، فحركة التجار في عصر ازدهار التجارة البحرية والبرية جعل وهران ملتقى ثقافات متغيرة ، إلى أن جاء زمن العودة العربية من الأندلس ، حيث عاد العرب مكسوري الرايات ، بعد أن أقاموا زمنا طويلا في أسبانيا ، ثم جاءت موجات الاحتلال المتتالية ، لتخلف آثارا متعددة متباينة ، من ثقافات مختلفة ، وقد



● المخيمات على الشاطىء .. مشهد يتكرر في أكثر من موقع على طول شاطىء وهران ، والى أقصى اليسار مقهى على الرصيف . أحد المقاهي المنتشرة في وهران التي تميز المدينة .



تداخلت هذه الآثار ، وجدلت في تفاصيل الحياة اليومية .

ومازال حتى اليوم هناك كثير من الكلمات والمفردات تعود بأصولها للأسبانية ، والطعام الشعبي الرئيس « كالنتيكا » وهو طعام مصنوع من الحمص ، أسباني اسما وطريقة ، وجميع أنواع الأسماك تسمى بأسمائها الأسبانية ، كما ظهرت حرف ومهن لم تكن وليدة مجتمع وهران ، كالنقش على الخشب وتطريز الملابس ، ومازالت معظم قطع الأثاث تسمى بأسماء أسبانية .

بالإضافة إلى هذا فقد اتضح تأثير الثقافات الأجنبية في العمارة بأنماطها المختلفة ، وعلى الرغم من هذا التأثير فإنه لم يتجاوز ذلك إلى تغيير في جوهر الحياة الاجتماعية ، لأن العلاقة بين المحتل وأهل الوطن لم تكن علاقة تداخل ، ولم تكن علاقة تمازج ، بل ظل هناك فارق كبير ، حتى في مناطق السكن ، فقد كانت هناك مناطق للأجانب المحتلين ، ومناطق للوطنيين .

والتمازج الحقيقي حدث بين العرب العائدين الذين امتزجوا مع المجتمع المحلي ، ورضخوا لعاداته ، لكي يحسن قبولهم ، وفي الوقت نفسه فقد انبرى أهل المجتمع المحلي في تقليدهم في طعامهم وطريقة تأثيث بيوتهم ، بوصفهم عائدين من مناطق أكثر تحضرا وأكثر إبهارا .

ولذا لم يتجاوز التأثير حدود السطح إلا بقليل ، فقد كان العائدون مكسوري الرايات حريصين على إرضاء المجتمع ، بعد أن ضاعت منهم أشياء كثيرة .

وعلى الرغم من ذلك فإن هناك تأثيرا اجتماعيا شديد الوضوح في وهران ، وهو أمر تتمايز به عن غيرها من كثير من المدن الجزائرية ، وهو الحرية النسبية التي تتمتع بها المرأة في الخروج سافرة ، وفي الحركة ، وفي الجلوس على المقاهي والمطاعم العامة ، وهي إن كانت كلها تصرفات تستطيع أن ترصد في غيرها من المدن إلا أنها في وهران تبدو أكثر استقرارا ووضوحا وترسيخا لما يقابلها من سماحة المجتمع الوهراني وتقبله .

لم تستـــرح

لم تسترح وهران عبر تاريخها كله من المشاكل والهموم ، وحتى بعد سنوات الاستقلال الذي صاغه الآباء بالدم ، فقد جاءت الأزمات الاقتصادية لتأخذ بخناقها ، ولم يجن موقع مدينة عليها كما حدث لوهران ، فأهمية موقعها جعلها محط أنظار الغزاة ، وجمال موقعها النابع من عناق البحر والجبل جعل إمكانيات التوسع فيها محدودة ، وحدد نوعية الموارد وتوافرها .

وعلى الرغم من ذلك فأهلها ـ مع حدة الطبع وسرعة الانفعال ـ يرددون دوما أن « وهران الباهية .. ليل ونهار زاهية » ، وأهلها يحملون داخلهم تراث أهل الجبل بباسهم ونضالهم ، ويناديهم البحر بالسفر والطواف ، وأحيانا تصبح الأحلام مجرد زبد ، ولكنهم يحلمون بأن يجعلوها حقيقة ، على الرغم من الهموم والمشكلات .

فإذا كانت وهران زاهية فإن الحياة لم تعد كذلك . وهذا هو التحدي الذي تواجهه وهران وتواجهه معها الجزائر كلها . □

لـــو

روي عن المستر لويد جورج الوزير البريطاني المعروف ، أنه كان يخطب ذات مرة في البرلمان البريطاني عن حرية المرأة ، وعن القوانين الخاصة بالنساء ، ويظهر أنه حمل على حقوق المرأة حملة شعواء ، فصاحت إحدى الحاضرات قائلة له : « لو كنت زوجي لسممتك » فالتفت إليها وقال على الفور : « ولو كنت زوجتي لشربت السم !! » .

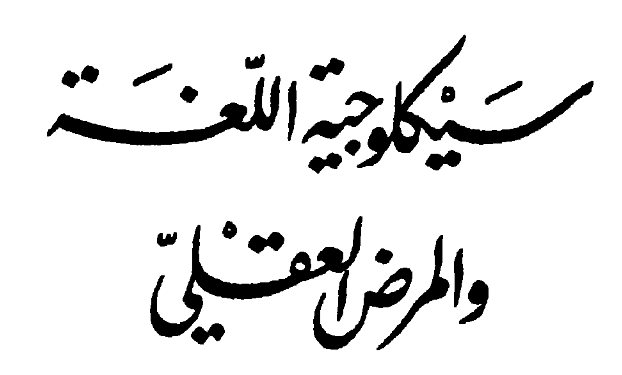


● لويد جورج



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

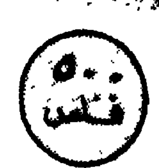
يناير ١٩٩٠ م



سيكلوجية اللغة والمرض العقلي

تأليف

الدكتور جمعة سيد يوسف



الكتاب ١٤٥

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت


شدو
النواعير
.. له حكاية
بقلم حسن محمد يوسف





في وجدان العشاق ، ومحبي الطبيعة ولغتها الدفاقة بالأنغام الرقيقة ، بإيقاعاتها الموحية ، تحظى النواعير بمكانة متميزة ، بما كانت تصدره من أصوات لها وقع مؤثر في النفوس .

والنواعير - بالإضافة إلى ذلك تعد عملا هندسيا متميزا ، يشهد للعقل العربي بالابتكار والخصوبة .

وهذه حكاية واحدة من النواعير في قلب مدينة دمشق .

على الحد بين عالم الاسمنت والحديد ، وعالم التراب والحجر في دمشق ، أقدم عاصمة مأهولة في التاريخ . ثمة زقاق في حي الشيخ محيي الدين ، ينسل من تحت إبط سوق الجمعة الشهير ، متغلغلا بين البساتين والبيوت ، يدعى زقاق النواعير . خلف أحد أبواب ذلك الزقاق توجد منشأة مائية فريدة ، عمرها نحو سبعة قرون ونصف قرن ، ولا مثيل لها في العالم ، يطلق عليها الأهالي اسم « ناعورة الشيخ محيي الدين » .

فاذا توغلت في ذلك الزقاق المتعرج أطل عليك ، بعد بضع عشرات من الأمتار برج تلك المنشأة مشرفا على دمشق كرسالة حية من الماضي تكثف هيبة مئات السنين في لحظة واحدة !

ولكي نضع هذه التحفة الهندسية الفريدة ضمن السياق الحضاري الذي أنتجها ، دعونا نبدأ القصة من أولها .

الناعورة اختراع شرقي

يجمع الباحثون على أن العرب كانوا من الشعوب السباقة لاستخدام طاقة الماء، سواء في رفعه أو في تشغيل معاصر الزيتون، والسيرج، وقصب السكر، وإدارة مناشر الخشب، ومنذ سنوات كشفت التنقيبات الأثرية في «أفاميا» السورية عن لوحة فسيفساء، ترجع إلى القرن الثاني الميلادي، تصور ناعورة على نهر العاصي.

لذا يرى أغلب الباحثين أن تكون الناعورة اخْتُرِعت واسْتُعمِلت في بلاد الشرق، بل إن العلاّمة «آدم ميتز» يعرب عن اعتقاده الصريح بأن «هذا النوع من المنشآت الذي يحتاج لتيار ماء سريع اخترع في سورية منذ عهد مبكر، ثم انتشر بسرعة بفضل العرب».

حتى وقت قريب كانت النواعير منتشرة بكثرة على معظم الأنهار العربية. وهي لا تزال تعمل حتى اليوم على نهر العاصي في مدينة «حماة» السورية، بعد أن توقفت مثيلاتها على الأنهار الأخرى، بسبب انتشار المضخات الحديثة. ولا يخفى على أحد ما لاختراع الدواليب المائية من أهمية، خاصة أن العنفات التوربينية الحديثة قد تطورت منها.

ومن المهندسين العرب الذين اشتهروا بتصميم النواعير والإشراف على تنفيذها، الرياضي الفلكي المهندس قيصر بن أبي القاسم، المتوفى سنة ٦٧١ هـ ١٢٥١ م. وحتى وقت قريب كان اسم هذا المهندس هو الأكثر تألقا في أذهان المعنيين بالتقنية العربية الإسلامية، إلى أن زاحمه اسم الجزري وطغى عليه!

في عام ١٩٧٤ أصدر المستشرق الانجليزي المهندس دونالد هيل الترجمة الانجليزية لمخطوط المهندس بديع الزمان أبي العز بن اسماعيل بن الرزاز الجزري، مع مقدمة عن التقنية الإسلامية، فأحدث الكتاب ضجة كبرى في الأوساط العلمية العالمية، توجت بمنح دونالد هيل جائزة «دكستر» التي تمنح عادة لمن يقوم بعمل بارز في تاريخ التقنية. وقد أخذ معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب بزمام المبادرة، وأصدر هذا الكتاب عام ١٩٧٩.

ولولا اكتشاف هذا المخطوط لما عرف كثيرون، وربما نحن منهم، من هو مخترع منشأة الشيخ محيي الدين المائية الفريدة التي ما تزال صامدة في وجه الزمن منذ قرون.

رد على انتقادات المؤرخين

كني المهندس بديع الزمان بن الرزاز «بالجزري»، لكونه من أبناء الجزيرة الواقعة بين نهري دجلة والفرات. عاش في مدينة «آمد»، من ديار بكر، في النصف الثاني من القرن السادس، وأوائل القرن السابع الهجري، أي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الميلادي. ألف الجزري كتابه القيم «الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل»، بناء على طلب خاص من ملك ديار بكر، الصالح ناصر الدين أبي الفتح محمود بن محمد بن قرا أرسلان. وانتهى من تأليفه في حصن «كيفا» عام ٦٢٦ هـ ١٢٠٦ م.

تكمن أهمية هذا الكتاب في أنه يرد عمليا على ما يعيبه بعض المؤرخين والباحثين على التقنية الآلية العربية من اهتمام بالوسائل المخصصة للعب والتسلية. فهو على الرغم من عدم تجاهله لعنصر التسلية، يبحث في الساعات وآلات رفع الماء والأبواب والأقفال وغيرها من الأشياء المفيدة. الأمر الذي حدا بسارتون لأن يعده - دون تحفظ - أكثر الأعمال تفصيلا من نوعه، ويمكن عده الذروة في هذا المجال بين الإنجازات الإسلامية.

أما المستشرق المهندس دونالد هيل فيعد كتاب الجزري وثيقة لم تقدم الحضارة البشرية مثيلا لها حتى وقت قريب، يقول:

لم يكن بين أيدينا حتى العصور الحديثة أي وثيقة ، من حضارة أخرى في العالم ، فيها ما يضاهي ما في كتاب الجزري من غنى في التصاميم ، وفي الشروحات الهندسية المتعلقة بطرق الصنع وتجميع الآلات .

صحيح أن منشأة الشيخ محيي الدين ليست اهم الاختراعات الموصوفة في كتاب ابن الجزري ، إلا أنها تتمتع بأهمية استثنائية بالنسبة لمؤرخي التقنية . يقول سنغر : « ولولا منشأة الشيخ محيي الدين التي لا تزال بحالة جيدة حتى الأن لبقي الظن لدى مؤرخي التقنية بأن الجزري لم يصف إلا نموذجا لم يخرج إلى حيز التطبيق العملي » ، فأهمية هذه المنشأة إذن تكمن في أنها تشكل دليلا حيا على إمكانية تنفيذ تصميمات هذا المهندس العربي الفذ .

ناعورة في بيت !

أعيانا البحث عن منفذ إلى الناعورة ، فحربنا السؤال . أرشدنا شيخ وقور إلى باب بيت ترابي ، لا يتميز عن سواه بشيء ، قائلا :

ـ « الناعورة في بيت أبي عبدالله » . قرعنا الجرس ، ففتح لنا شاب في حدود العشرين من العمر . ما أن رأى أدوات التصوير ، حتى هش لنا ، ودعانا للدخول ، كما لو أننا على موعد مسبق . لم يدم عجبنا طويلا ، إذ علمنا أنه لا يمر يوم إلا ويجيء شخص أو أكثر ، عربي أو أجنبي ، لزيارة ناعورة الشيخ التي بدأت شهرتها تذيع في طول العالم وعرضه .

اجتزنا ممرا ضيقا خلف الشاب الذي حرص على الترحيب بنا بصوت عال ، كي ينبه أهل البيت لوجودنا فيستتروا . عبرنا غرفة عادية ، وما أن خرجنا منها حتى وجدنا أنفسنا أمام نهر « يزيد » وناعورة الشيخ محيي الدين التي توقفت ـلـ بضع سنوات عن رفع الماء وعن مشاركة ـشاق أنين الأشواق .

نُفِّذت هذه المنشأة بعد وفاة مخترعها بخمسين عاما على وجه التقريب ، وكان الغرض منها رفع الماء للبيمارستان القيمري ـ المستشفى ـ من نهر « يزيد » الذي كان ولا يزال أنقى فروع بردى بسبب علوّه .

وتثبت الوثائق أن سيف الدين القيمري بنى البيمارستان ، وافتتحه في سنة ٦٦٤ هـ ـ ١٢٥٤ م . لذا يمكننا القول بأن عمر منشأة الشيخ محيي الدين نحو سبعة قرون ونصف قرن . لكن لماذا يطلق على هذه المنشأة اسم ناعورة الشيخ محيي الدين ، في حين أن مصممها هو الجزري ؟ ومن هو هذا الشيخ ؟

إنه القطب الصوفي الشهير محيي الدين بن عربي ، واسمه أبو بكر محمد بن علي ، الملقب بالشيخ الأكبر .

ولد بإقليم « مرسية » في الأندلس عام ٥٨٥ هـ ـ ١١٦٥ م . درس الفقه والحديث بأشبيلية ، ثم ارتحل إلى المشرق ، وبعد أن جاب المغرب ومصر والحجاز وما بين النهرين وآسيا الصغرى ، قرر الاستقرار في دمشق . وهناك حكاية طريفة يتناقلها السكان حتى الآن حول طريقته في اختبار تلوث البيئة . فعندما قرر الاستقرار في دمشق اشترى خروفا ذبحه لساعته وقسمه أربع قطع ، ثم أوعز لأربعة فرسان من أتباعه بالانطلاق إلى أطراف دمشق والمكوث هناك حتى فساد قطع اللحم التي يحملونها . بعد ثلاثة أيام عاد ثلاثة من الفرسان . أما الرابع الذي علق جزءه في أحد البساتين على سفح قاسيون فلم يعد إلا بعد أسبوع . فانطلق الشيخ إلى المكان ، ولما وصله قال : « هنا أنزه بقعة في دمشق » . وهكذا تأسس حي الشيخ محيي الدين .

ألّف ابن عربي نحوا من مائتين وتسعة وثمانين كتابا ورسالة ، على حد قوله في مذكرة كتبها عام ٦٣٢ هـ ـ ١٢٣٤ م ، أي قبل وفاته بست سنوات . وهو يعد أهم المتفلسفين في الإسلام من ناحية الكم والكيف على حد سواء . وصفه بروكلمان بأنه « من أخصب المؤلفين عقلا

وأوسعهم خيالا » ، وذكر له نحوا من مائة وخمسين مؤلفا لا تزال باقية بين مخطوط ومطبوع .

توفي القطب الصوفي ابن عربي عام ٦٣٨ هـ . ١٢٤٠ م ، أي قبل إقامة منشأة البيمارستان القيمري بحوالي خمسة عشر عاما . فأقيم على ضريحه مزار بسيط ، وبقي الحال كذلك إلى أن احتل الأتراك سورية . فلما أن دخل السلطان سليم دمشق حتى شخص إلى ضريح الشيخ محيي الدين وانكب عليه يبكي ويمسح وجهه بغبار مقامه ! وهو الرجل الفظ الذي يعد أقسى السلاطين العثمانيين وأكثرهم دموية وبطشا ، فقد قام بقتل أبيه ، وخنق كل إخوته ليستقر له الحكم . كما أعدم سبعة من رؤساء وزرائه « الصدر الأعظم » لمجرد أن الواحد منهم سمح لنفسه أن يناقشه بأمر من الأمور ، أو أن يسمعه كلمة تذمر ! على الرغم من ذلك بكى هذا الرجل المتحجر كالطفل في حضرة سلطان العارفين ، وأمر بإنشاء جامع قربه على أن يكون الضريح جزءا منه .

وعند وضع مخططات الجامع انتبه المهندسون للمنشأة المائية القيمرية ، فقرروا الاستفادة منها لتغذية الجامع والتكية التي بنيت مقابله . وهكذا ألقى الشيخ محيي الدين ظله العالي على المنشأة ، فنسي الناس اسم سيف الدين القيمري الذي بناها ، كما نسوا اسم قمر الزمان الجزري الذي اخترعها .

منشأة الجزري

تتألف منشأة الجزري من دولاب رأسي ، محيطه على شكل ملاعق أو مغارف ، يدور بواسطة الماء الساقط عليه ، وعلى محوره الأفقي مسنن رأسي ، يدير مسننا آخر أفقيا متعامدا عليه ، ثم تنتقل الحركة عبر محور رأسي طويل إلى مسنن أفقي علوي ، يدير بدوره مسننا رأسيا آخر في الأعلى ، وهذا المسنن الرأسي محمول على محور علوي أفقي ، وهو يدير زنجيرا طويلا متصلا ، عليه سلسلة من الدلاء ، يدور بواسطة دولاب رأسي مثبت على المحور الأفقي .

صحيح أن الجزري وضع تصميمه لمنشأة صغيرة ربما كان الهدف منها هو التسلية ، ويرجع ذلك قيامه بوضع تمثال لبقرة من الخشب تدور مع العمود ، ربما ليذكر المشاهد ، بأن هذه المنشأة التي تدور من تلقاء نفسها تدار عادة بالطاقة الحيوانية ! إلا أن منشأة الجزري تماثل منشأة الشيخ محيي الدين من حيث الفكرة تماما ، فكلتاهما تقومان على المبدأ الهندسي نفسه ، أي مبدأ تجزيء الطاقة لترفع إلى أمثال هندسية . وهذا المبدأ لم يكتشفه أحد قبل أن يطبقه الجزري في منشأته .

منشأة الشيخ محيي الدين

تتكون منشأة الشيخ محيي الدين من غرّاف وناعورة متراكبين . وكذلك منشأة الجزري . وإليكم فيما يلي وصفا لآلية عملها :

يصطدم تيار نهر « يزيد » بأجنحة الناعورة ، ويبلغ عددها عشرين جناحا ، فتدور الناعورة ، وتسكب الماء من دلاء مثبتة على جانبها الأيسر ، لتروي حديقة ومنزل أبي عبدالله محمد سلامة أبو سليم الذي ورث خدمة المنشأة عن والده قبل خمسين سنة . وفي الوقت نفسه تدير الناعورة مسننا رأسياً يسمونه « اللكام » ، يتعامد مع مسنن آخر أفقي ، يدير عمودا رأسيا طويلا ، يسمونه « الصاري » .

في أعلى الصاري ثمة مسنن أفقي ، يسمونه « الطبق » ، وهو يدير مسننا رأسيا متعامدا عليه من الأعلى ، يسمونه « اللقاطة » ، فيدير دولابا رأسيا ، يسمونه « الماويّة » ، عن طريق محور أفقي علوي . وحول الماوية زنجيران من الحديد طويلان ومتصلان ، عليهما سلسلة من الدلاء ، يفصل بين الدلو والأخرى منها مسافة ٦٠ سم .

وبانتقال الحركة من الناعورة إلى الماوية عبر
مجاري تنزل الدلاء إلى مستوى النهر ، لتأخذ
الماء الى ارتفاع اثني عشر مترا ، لتصبه في مجرى
محمول على قناطر ، يمتد إلى الجامع والبيمارستان
الذي لم يبق منه إلا واجهته الآن .
سألنا القيم على الناعورة (محمد سلامة أبو
سليم) عن سبب توقف المنشأة عن العمل قال :
« العطل ليس من الناعورة ، فأنا فككت
أجنحتها قصدا ، وعند اللزوم أقدر أن أركّبها
في يوم واحد ، فأنا نجار عربي أعجبك .
العطل من النهر ، فمياهه لم تعد صالحة
للاستعمال بعد أن كانت أصفى من عين
الديك » .
سألناه عن العمر الذي أمضاه في جيرة نهر
يزيد ، فهز رأسه بتسليم ، وقال :
ـ « كان نهرا صعبا حينها يفيض ، وقد خطف
اثنين من أطفالي ، بنتا وصبيا ، جرفتهما مياهه
إلى حرستا ! » . يستأذن أبو عبدالله منا ليمضي
إلى وزارة الأوقاف حيث يعمل مرمما للوحات
الأثرية ، فنصعد برفقة ابنه درجا لولبيا من ٤٦
درجة ، لنجد أنفسنا أمام اللقاطة والماوية ، وقد
جفف العطش ألواحها المصنوعة من خشب
التوت الذي يعشق الماء . ومن فوق البرج نلقي
نظرة على زقاق النواعير ، فنرى بقايا أرحية مائية
في بيت سولق الذي تهدم منذ خمسين عاما .
نلتفت يمينا فنرى قباب جامع الشيخ محيي
الدين الذي كانت هذه المنشأة تمده بالماء إلى
وقت قريب .
نصعد في سوق الجمعة وسط نداءات
الباعة ، وما أن ننعطف يسارا حتى نجد أنفسنا
أمام مئذنة جامع الشيخ محيي الدين بمقرنصاتها
الشرقية الرائعة . ندخل صحن الجامع ، نتملى
سواريه المحفورة وزخرفته الخشبية والحجرية وما
بها من فن معماري عربي أصيل ، ثم نهبط
درجا قصيرا على يسار صحن الجامع ، لنجد
أنفسنا في حضرة الشيخ ابن عربي . نقرأ على
الشاهد :



● مئذنة جامع ابن عربي ذات
المقرنصات الشرقية الرائعة

« هذا قبر سلطان العارفين ، الشيخ الأكبر
محمد بن علي الحاتمي ، ولد في الأندلس سنة
٥٦٠ هـ وتوفي ليلة الجمعة ٢٨ ربيع الآخر
٦٣٨ هـ » .
نلمح إلى جانب الضريح قبرين ، يرقد فيهما
ابنا الشيخ ، وبمحاذاته قبر الأمير عبدالقادر
الجزائري الذي اختار الإقامة في دمشق ، بعد
أن أطفأ الاحتلال الفرنسي الغاشم أوار ثورته ،
وقبل وفاته أوصى أن يدفن بجوار الشيخ .
وعندما استكمل شعبنا في الجزائر معركة
الاستقلال التي بدأها الأمير ورفاقه ، أعيد
رفات الثائر إلى أرض وطنه ، وبقي قبره رمز
إخاء بين دمشق والجزائر . وداخل الضريح ثمة
قبران آخران ، أحدهما لصهر « فؤاد الأول ملك
مصر » . !

قطبان لم ينصفا !

تكمن الأهمية الاستثنائية لهذه المنشأة المائية في أنها تصل بين قطبين لامعين من أقطاب الحضارة العربية ، كلاهما لحق به الحيف إلى هذا الحد أو ذاك .

فكثيرون منا لم يسمعوا برئيس المهندسين العرب « ابن الجزري » الذي أبدع في التأليف الهندسي ، وأظهر براعة لا تجارى في فن الرسم الصناعي ، وفي وصف أدق الآلات وأكثرها تعقيدا ، بلغة علمية دقيقة واضحة .

لقد كان هذا العالم الفذ أول من وصف ساقية ذات زنجير ودلاء تدور بمحرك مائي بالمسننات المتعامدة في عام ١٢٠٥ م . في حين أن أقدم منشأة مائية مشابهة في الغرب هي تلك التي وصفها اغريكولا عام ١٥٥٦ م ، أي بعد قرنين ونصف قرن من منشأة الجزري !

صحيح أن حظ ابن عربي من الشهرة أفضل من حظ ابن الجزري لكن الحيف لحق به أيضا ، ولم يأخذ حقه الكامل من الاهتمام كفيلسوف اسلامي .

وإذا أردنا أن نعرف مدى أهميته قارنا مذهبه بمذهب وحدة الوجود الذي ينسب عن غير حق للفيلسوف الهولندي باروخ اسبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧ م) .

يتركز مذهب اسبينوزا حول مقولة أساسية ، مفادها أن الله وحده هو الحقيقي ، وأن العالم ليس الا مجموعة من الصدورات أو التجليات التي ليست لها أي حقيقة ثابتة ولا جوهر متميز . ومن يقرأ كتابي ابن عربي « الفتوحات المكية » و « فصوص الحكم » سيجد أنه قد سبق اسبينوزا إلى هذه المقولة بأربعة قرون ونصف قرن ! فابن عربي يرى : « أن الحقيقة الوجودية - أي الله - واحدة في جوهرها وذاتها ، متكثرة بصفاتها وأسمائها ، لا تعدد فيها الا بالاعتبارات والنسب والإضافات ، وهي قديمة أزلية أبدية لا تتغير ، وإن تغيرت الصور الوجودية التي تظهر فيها ، فهي بحر الوجود الزاخر الذي لا ساحل له وليس الوجود المدرك المحسوس إلا أمواج ذلك البحر الظاهرة فوق سطحه » . على الرغم من ذلك فمذهب وحدة الوجود يعرف الآن باسم اسبينوزا لا باسم ابن عربي !

ضفتان لنهر واحد

صحيح أن من يلقي نظرة سريعة على منهجي المهندس الجزري والفيلسوف ابن عربي قد يرى أنهما يمثلان عالمين متوازيين لا يلتقيان ، فابن عربي فيلسوف متصوف ، « يهمل منهج العقل والتركيب » أحيانا ، « ويأخذ بمنهج التصوير العاطفي والرمز والإشارة ، والاعتماد على أساليب الخيال في التعبير » . في حين أن الجزري مهندس متخصص في الآلات الميكانيكية ، يؤكد على أهمية التجربة والمشاهدة ، ولا يؤمن بعلم لا تدعمه التجربة العملية .

لكن هذين العالمين أشبه بضفتين لا تلتقيان ، تتدفق بينهما الحضارة العربية منذ القدم . وبجد منشأة الشيخ محيي الدين التي لا تزال بحالة جيدة حتى الآن ، يكمن في أنها أحد الجسور المهمة التي تصل بين هاتين الضفتين . □

● قيل لأرسطو : كيف تعارض أستاذك أفلاطون ؟ فقال : أحب أستاذي أفلاطون ، ولكنني أحب الحق أكثر من أفلاطون !

● إن جميع الحقوق المستحقة ، الواجبة الصيانة ، تنبع من القيام بالواجب على خير وجه .

(غاندي)



نتيجة مسابقة العدد ٤٦



مجـلـة الأســـرة والمجـتــمـع

الشـيخوخة لمـاذا تـأتـي مُبـكـرَة..؟!

الصّفاقة مرض نفسي!

بقلم : الدكتور علي الوردي

في هذا المقال : الصفاقة هي الترجمة العربية لكلمة « سايكوباث » المعروفة في عالم الطب النفسي .
لذا فهي ليست صفة مذمومة فحسب ، بل هي مرض نفسي واجتماعي موجود في كل المجتمعات وكل العصور .
والمقال التالي تشريح لشخصية « الصفيق » من وجهة نظر الكاتب .

أقصد بالصفاقة مايسمى في اللغة الانكليزية « السايكوباثية » ، وهو مرض نفسي يصيب بعض الأفراد ، وله أثره الضار على حياتهم وحياة من يتصل بهم من الناس .

وهذا المرض لم يكن معروفاً لدى الناس قديما ، لأن المصاب به كان يعد سويا في جميع صفاته ، إلا في صفة واحدة ، وكان في مقدور المصاب به أن يتستر على تلك الصفة المعيبة فيه ويخفيها عن غيره .

لم يكتشف الباحثون كنه هذا المرض إلا في القرن الماضي ، وقد عدوه حينذاك نوعا خفيفا من الجنون ، سموه « الجنون الخلقي » ، ثم بدلوا اسمه بعدئذ الى « السايكوباثية » ، وهناك الآن من الباحثين من يفضل تسميته « السوسيوباثية » ، إذ عدوه أكثر ارتباطا بالمجتمع منه بالنفس .

السوي والصفيق

وأنا أفضل ترجمة المصطلح الى « الصفاقة » ، فإن لفظة « الصفيق » في اللغة العربية تعني الوقح الذي يقوم بالعمل المذموم دون أن يشعر بالخجل منه . والواقع أن هذه الصفة هي أهم مايميز الشخص السايكوباثي عن غيره . إن الصفاقة لها صلة وثيقة « بالأنوية » . ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن الشخص السوي ، حين يشعر بالأنا ، لايقتصر شعوره هذا على الحاضر فقط ، بل يشمل الماضي والمستقبل أيضا .

وبعبارة أخرى . إن الشخص السوي ، حين ينظر الى نفسه ، في لحظته الحاضرة ، ينظر أيضا الى ماكانت عليه في الماضي ، وماسوف تكون عليه في المستقبل . فهو يشعر بالفخار والاعتزاز تجاه العمل الممدوح الذي قام به في الماضي ، كما يشعر بالخزي والخجل من العمل المذموم . وهو كذلك يحرص على القيام بالعمل الممدوح ، وعلى تجنب العمل المذموم ، قاصدا أن ترتفع سمعته ومكانته في الأيام المقبلة .

إن هـذا هـو مـايفعله الشخص السـوي عادة . أمـا الصفيق فذهنه مشغول بما يأتي به الحاضر من منفعة عاجلة ، أمـا المنفعة الآجلة فـلا تخطر بباله . وتراه بارعا في المجاملة كثير الوعود ، لكنه لايحقق من وعوده إلا تلك التي يتوقع منها المنفعة العاجلة . إنـه لايعرف الوفاء أو الأمانة أو الصـدق أو تأنيب الضمير . فهو قد يعدك بشيء ثم لايفي بوعده ، فإذا عـاتبتـه عـلى ذلـك واجهـك بابتسامة باردة ، كأنه لم يفعـل أمرا مذموما . وهو قد يكـذب عليك أو يؤذيك بـلا مبـالاة وكـأن مـافعله أمــر اعتيـادي لاضرر منه . وقد يتظاهر أمام شخص لايعرفه بأنه ذو نفوذ أو غني كبير ، ومقصده من ذلـك أن يخدع ذلك الشخص أو يبتز منه شيئا من المـال ، غير أنـه لايكـاد يحصل عـلى المال حتى ينفقه في أمور تافهة ، أو يشتري به شيئا لانفع فيه .

إن الشخص السوي يحاول تجنب مثـل هذه الأفعـال جهد إمكـانه ، لأنـه يعلم أنها تشوه سمعتـه ، وتضر بمصلحتـه في الأمد البعيد . وهو إذا قام بها ، على سبيل الخطأ أو التقصير ، شعر بالخجل منها ، ويـادر الى الاعتـذار عنهـا ، وقـد يبـدي استعـداده لـلتعـويض عـن الخسارة التي نجمت عنه . أما الشخص الصفيق فإنه قد يعتذر أحيـانـا ، لكـن اعتـذاره ظاهري ، يقصد به الخداع أو المنفعـة الآنية ، وهـو لايبـالي بسوء السمعة التي سوف تنتج عن أفعاله المذمومة .

مشكلة الصفيـق أن الأنـا عنـده قـد فقـدت ارتبـاطهـا بالزمن ، فهو لايكترث بما قال النـاس عنه في المـاضي ، أو مـاسوف يقـولـون عنـه في المستقبل ، إنه يعيش في لحظته الحاضرة ، وهو يريد رفعة الأنا في تلك اللحـظة فقط . وتراه يتبـاهى بنفسه أمـام الـذين لايعـرفـونـه ، ويختلق لنفسه المناقب والإنجازات البـاهرة . وهو قد ينسى نفسـه أحيانـا ، فيتبـاهى أمام الـذين يعرفـونه ويعرفون صفاقته ، وإذا رآهم يذكرونه بماضيه فإنه قد يغضب عليهم ويشتمهم ، ويلصق بهم العيوب التي هو من أكثر الناس اتصافا بها .

إن النـاس قد يستغـربـون حين يرون شخصـا صفيقا من هـذا الـطراز ، فهم يجـدونـه يسيء الى سمعته ومستقبله من أجل أشياء تافهة ، ويتساءلون



عن السبب الذي يدفعه الى مثل هذا السلوك العجيب ، إذ أنه يخسر شيئا ثمينا من أجل شيء تافه .

الواقع أن الصفيق عندما يفعل ذلك فإنه لايخضع للتفكير الواعي ، مثلما يفعل الشخص السوي ، بل هو يفعله بدافع لاشعوري . إن نفسيته مركبة بشكل يجعله مكتفيا بما تأتي به اللحظة الحاضرة من لذة آنية ، ولايفكر بما يأتي به الغد من خسارة دائمة . وبعبارة أخرى : إن شعوره بالأنا محصور في نطاق اللحظة التي هو فيها ، وليس في ذهنه موضع لأنويته المقبلة أو لأنويته الماضية .

نجاح الصفقاء :

والصفقاء قد ينجحون في بعض الأحيان أكثر مما ينجح الأسوياء . فإن قلة الحياء في الصفيق تجعله أقدر من غيره على انتهاز الفرص . وتراه يتزعم في كل مظاهرة ، ويخدم في كل حفلة ، ويتزلف لكل حاكم . وهو إذا تزلف لحاكم ، ثم سقط ذلك الحاكم ، فإنه لايبالي أن يتزلف للحاكم الجديد مثلما فعل مع الحاكم الساقط .

إن الظروف الاجتماعية والسياسية قد تضطر بعض الحكام والوجهاء الى الاستعانة بالصفقاء للقيام بأعمال لايستطيع الأسوياء أن يقوموا بها . ولهذا فهم يقربون الصفقاء إليهم ، ويولونهم المناصب العالية على الرغم من علمهم بما اتصفوا به من تقلب وقلة حياء .

والانقلابات السياسية هي من أفضل الفرص التي يستطيع الصفقاء أن يلعبوا دورهم فيها ويستفيدوا منها . وكثيرا مايكون الصفقاء من عوامل الانشقاق الذى يقع عادة عقب كل انقلاب سياسي . فإن كل واحد من قادة الانقلاب تحفه زمرة من الصفقاء ، يبعثون فيه الزهو ، ويحرضونه على منافسيه من القادة الآخرين . وبذا يتصاعد التنازع والتنافس بين قادة الانقلاب ، ويكون للصفقاء حصة الأسد في ذلك طبعا .

ومهما يكن الحال فإن الصفاقة غير مجدية لصاحبها في الأمد البعيد ، ولابد أن يكون مصير صاحبها الفشل في نهاية المطاف . إن الصفيق قد يرتفع أحيانا مع الموجات الطارئة ، ولكن ارتفاعه مؤقت ، سرعان مايزول في أكثر الأحيان .

درجات الصفاقة :

إن الصفاقة هي كغيرها من الصفات البشرية ، الإيجابية والسلبية ، لاتخضع للتصنيف الثنائي ، وهو التصنيف الذي اعتاد عليه المفكرون العقلانيون قديما .

يمكن القول بأن البشر كلهم صفقاء ، ولكنهم يختلفون في درجة الصفاقة فيهم . فليس في البشر فرد خال من الصفاقة تماما ، كما ليس فيهم من هو صفيق كل الصفاقة . إنما هم في ذلك على درجات متفاوتة . أما من نطلق عليه وصف « الصفيق » فهو الذي تكون فيه درجة الصفاقة عالية ، بحيث لايستطيع أن يكبتها أو يسيطر عليها بعقله الواعي . وهذا يصدق على الجنون بمختلف أنواعه مثل ما يصدق على الصفاقة . فالبشر كلهم مجانين بدرجات متفاوتة ، وليس فيهم من هو عاقل كل العقل . أما الذى نسميه « مجنونا » فهو الذي تكون درجة جنونه أكبر مما يمكنه من السيطرة عليها .

وهنا نأتي الى نقطة جديرة بالذكر في هذا الصدد ، وهي أن الصفاقة ليست كلها سيئة ، ومن الممكن القول بأن درجة ضعيفة من الصفاقة لايستغني الإنسان عنها في الحياة الاجتماعية ، وقد تكون ضرورية في بعض الأحيان ، فالشخص الذي يولي اهتماما

مفرطا لماضيه أو لمستقبله.من حيث يهمل حاضره ، قد يضر نفسه أكثر مما ينفعها .

وكل إنسان لابد أن يكون قد اقترف في ماضيه بعض الأفعال المذمومة . والمفروض في الإنسان السوي أن ينسى تلك الأفعال ، أو أن يغض النظر عنها ، تبعا للمبدأ القائل : « جل من لاعيب فيه » . ولكن بعض الأشخاص يصابون بعقدة تجاه بعض أفعالهم الماضية ، فهي تقلقهم ، وتقض مضاجعهم ، وقد تحطم حياتهم . فهم يسيرون في ذلك على النقيض من الصفقاء ، إذ هم يذكرون ماضيهم أكثر مما ينبغي ، بينما الصفقاء ينسون ماضيهم أكثر مما ينبغي . وبذا ينطبق عليهم المثل الدارج « الزائد كالناقص » .

ويمكن أن نقول هذا عن الذين يهتمون بالمستقبل أكثر مما ينبغي ، فتراهم يغفلون عن الحاضر ومقتضياته ، بينما هم يركزون جل اهتمامهم على بناء المستقبل والاستعداد له . وتراهم يلهثون طوال حياتهم من أجل بناء مستقبل زاهر لهم حسب ما يتصورونه ، ولكنهم عندما يأتيهم المستقبل الذي تعبوا من أجله يجدون أنفسهم غير قادرين على الانتفاع به ، حيث ينطبق عليهم قول أبي فراس الحمداني :

أتتْ وحياضُ الموت بيني وبينها
وجادتْ بوصلٍ حيثُ لاينفعُ الوصلُ

إن هذا هو حال البخيل الشديد البخل ، فهو يكدح دائما في جمع المال ، ولايريد أن يتمتع به في حاضره ، أملا أن يكون تمتعه كبيرا في المستقبل .

ولكن هذا المستقبل الذي يطمح إليه لايأتي ، وسوف يتمتع بالمال أخيرا أناس آخرون .

وهذا هو أيضا حال الراكضين اللاهثين في طلب العلا وشعارهم في ذلك « اتعب تلعب » ، ويقصدون به أن الإنسان يجب أن يتعب اليوم لكي يجني ثمار تعبه غدا . وهم يظلون يكدحون حتى آخر يوم من حياتهم ، دون أن يجنوا من ثمار كدحهم شيئا .

إن الحاضر لايقل أهمية عن المستقبل ، ويجب على الإنسان السوي أن يتمتع بحاضره الى الحد الذي لايضر بمستقبله . وكثيرا مايكون التمتع بالحاضر مساعدا على بناء المستقبل . فإن الذي يخسر حاضره من أجل مستقبله قد يخسرهما معاً . □

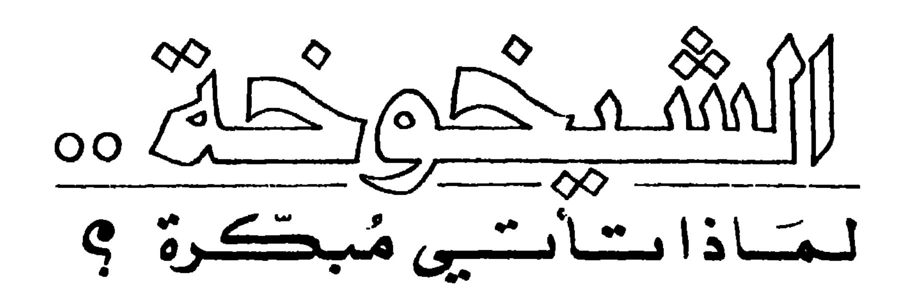
ذكر أم أنثى :



● طرح مؤخرا في أوروبا نوع جديد من الأقراص ، تبللها السيدة الحامل بلعابها ، فتعرف نوع جنينها ! وذلك من خلال التغيرات التي تطرأ على شكل القرص .

تستطيع السيدة الحامل إجراء هذا الاختبار اعتبارا من الشهر الرابع للحمل ، فإذا تغير شكل القرص كان الجنين ذكرا ، أما إذا ظل كما هو فالجنين أنثى . تظهر التغيرات خلال يومين .

وقد نجحت التجارب التي أجريت على الأقراص الجديدة بنسبة ٩٥٪ من بين ٣٠٠٠ حالة ، أما الحالات التي لم تسفر عن نتائج دقيقة ، فكانت بسبب حمل الأم لتوأم مختلف الجنسين .



الشيخوخة.. لماذا تأتي مبكرة ؟

بقلم : الدكتورة وسمية الحوطي

هل الشيخوخة مرحلة من مراحل عمر الانسان ؟ أم هي مرض يصيب الكائنات في عمر متقدم ؟ أم عجز في وظائف الجسم عن أداء عملها ؟ محاولة للاجابة عن هذه الأسئلة في المقال التالي .

علم الشيخوخة هو فرع من علوم البيولوجيا (أو علوم الحياة) ، وهو العلم الذي يهتم بدراسة ظاهرة الشيخوخة وتحليلها ، وهي الامتداد الطبيعي لحياة الإنسان . وظواهر الشيخوخة معروفة للعامة ، مثل اضطراب عمليات الأيض ، بازدياد معدل الهدم عن معدل البناء ، وليونة العظام ، وطول فترة التئام الجروح ، وجفاف الجلد ، وقلة مرونته ، وانقطاع الحيض عند النساء ، وعدم مقدرتهن على الإنجاب ، كما تضعف فيها كثير من الحواس ، مثل النظر والسمع ، وكذلك ظاهرة النسيان تطغى على الشيخ الكبير ، فنراه يتذكر ما حصل له في شبابه وينسى أحداث أمسه . كما أن للشيخوخة أمراضها المميزة ، مثل التهاب المفاصل ، وتعتيم عدسة العين ، وازدياد أزمات القلب ، وتصلب الشرايين . ومع معرفة كل مظاهر الشيخوخة ، سالفة الذكر، فإن مسبباتها ما زالت مجهولة للعلماء .

في الكائنات الحية :

تشكل الشيخوخة مرحلة من مراحل حياة الكائنات الحية ، وليس للإنسان فقط ، وتكثر حالات الوفاة في تلك المرحلة . ومع أن مسببات الوفاة من الأمراض والحوادث أمور واردة ، إلا أن التغيرات المرحلية تؤدي إلى الوفاة في نهاية الحياة ، حيث يعجز الكائن الحي عن الاستمرار في أداء وظيفته (رسم ١) . ومعدلات الوفاة تختلف من كائن إلى آخر ، كما يوضح الجدول رقم (١) لمجموعة من الكائنات الثديية ، بما فيها الإنسان . فالفأر له أقصر عمر ، في حين أن الإنسان له العمر الأطول .

الجدول (١) : السنوات القصوى لحياة بعض الحيوانات الثديية

الفأر المنزلي	٣,٥
الكلب	٢٠
الحصان	٤٦
الفيل الهندي	٧٠
الشمبانزي	٤٤,٥
الاورانج اوتان (نوع من القردة)	٥٠
الإنسان	١١٨

ولكن مع ازدياد الوسائل الحديثة للقضاء على الأمراض فإن معدل عمر الإنسان أخذ يظهر ازدياداً في السنوات الأخيرة ، فقد يصل إلى ١٨٠ سنة ، وهذا يسهم في تقليل معدل الوفاة وإطالة العمر .

أسباب الشيخوخة :

ولو ركزنا على الانسان فقط فإننا نجد كثيراً من الوظائف والتراكيب الحياتية تأخذ في التغير والتبدل مع مرور العمر، مما يؤدي إلى ضعف كثير من لبنات تكوين الإنسان، مثل وزن الدماغ وكفاءة العمل الذي تقوم به كثير من الأجهزة المختلفة، كما هو موضح في الجدول (٢) الذي يبين النسب المئوية للتغيرات الوظيفية التي تصاحب الشيخوخة .

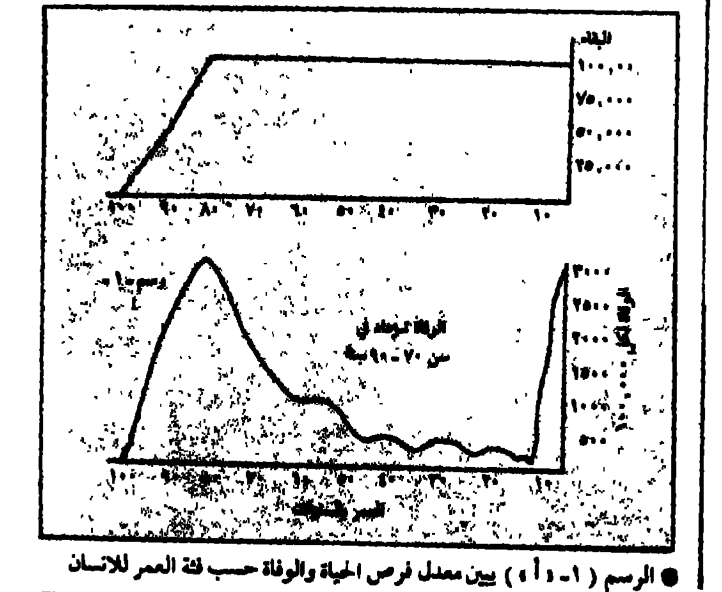
وزن الدماغ	٥٦٪
عدد الأعصاب	٦٣٪
كثافة النبضات العصبية	٩٠٪
مرور الدم في الدماغ	٨٠٪
سعات القلب عند الراحة	٧٠٪
عدد وحدات تكوين الكلية	٥٦٪
كفاءة عمل الكلية	٦٩٪
عدد براعم التذوق	٣٦٪
الحد الأقصى للأكسجين المستهلك أثناء التمارين الرياضية	٤٠٪
الحد الأقصى لمرات التنفس	٤٣٪
قابلية اليد للإمساك بالأشياء	٥٥٪
معدل عمليات الأيض	٨٤٪
كميات الماء في الجسم	٨٢٪
الحد الأقصى للتحمل قبل الإحساس بالتعب	٤٠٪

حتى المقدرة على المقاومة تقل مع تقدم العمر ، حيث يصبح الإنسان معرضاً للاصابة بالأمراض أكثر من أي مرحلة أخرى في عمره . ويرجع كثير من العلماء أن ظهور أعراض الشيخوخة يعود إلى عاملين ، أحدهما يحدث للخلايا نفسها ، والثاني يحدث للمادة الخلالية التي تكون عادة خارج الخلية .

شيخوخة الخلايا :

تفقد الأنسجة كثيرا من خلاياها مع تقدم العمر . فالجهاز العصبي مثلا تقل مكونات الدماغ فيه دون حصول أي تعويض للخلايا المفقودة أو التالفة ، والرسم (٢) يوضح أن عدد خلايا الدماغ يتناقص مع ازدياد سنين العمر .

لقد وضع العلماء عدة أسباب لشيخوخة الخلايا ، وبالتالي فقدها لوظيفتها ، مثل وجود مخلفات الأيض التي تسمى صبغيات الشيخوخة ، والتي تتراكم في الخلايا التي لا تستطيع التخلص منها . وبزيادة تراكم هذه المخلفات يزداد عمر الخلية ، وبالتالي يؤدي إلى وفاتها . وكذلك فإن مادة الوراثة أو الجينات الوراثية المسماه مركب DNA قد تتكسر وتتحلل ، نتيجة لحصول الطفرات في أثناء انقسام الخلية ، مما يسبب اضطراباً في عمل الخلية ، يؤدي إلى إنتاج مواد كيماوية ، أو أنزيمات في داخلها . كما أن مقدرة الخلية على الانقسام تقل كذلك . ولإثبات النظرية السابقة قام العالمان ليونارد هايفلك ولول



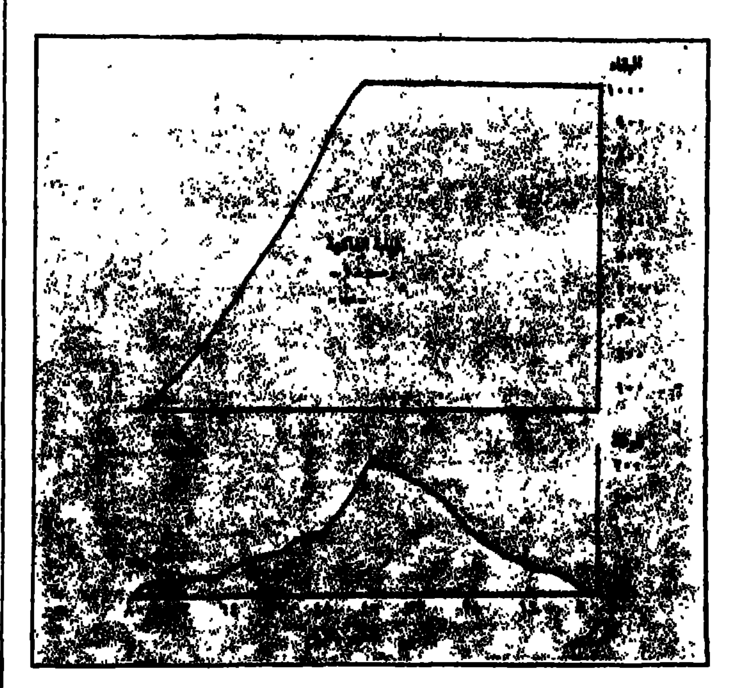
● الرسم (١ - د أ) يبين معدل فرص الحياة والوفاة حسب فئة العمر للانسان

مورهيد بزراعة أجنة آدمية ، وبعد ذلك قاما بإعادة زراعة تلك الأجنة عدة مرات ، ووجدا أنه بدلاً من أن تزداد أعداد الخلايا في كل مرة عن المرة السابقة ، أصبحت بعد إنتاج خمسين جيلا - تثبط همة الأجنة عن الانقسام ، وتقل تدريجيا ، ثم تموت ، ما عدا الخلايا السرطانية التي ازدادت في العدد ، وهذه طبعا حالات مرضية غير صحية .

وقام العالمان بوضع نظريتهما التي تقول : « إنه على الرغم من توافر الظروف المناسبة لانقسام الخلية العادية ، فإنه لا بد أن تصل إلى مرحلة تتوقف فيها عن الانقسام وتموت ، وهذا يحدد المعدل الزمني لعمر الخلية في كل منطقة من مناطق الجسم . وتوقف الخلية عن الانقسام يؤدي إلى نقص في العدد النهائي للخلايا ، وبذلك لا يبدل ما يهرم منها .

ولكن كثيرا من العلماء لا يأخذون ما توصل إليه العالمان هايفلك ومورهيد قاعدة أساسية لتباطؤ الخلايا في الانقسام ، لأن ذلك ربما ينطبق على الخلايا المزروعة تحت ظروف معروفة سلفا فقط وقد لا يكون ذلك صحيحا للخلايا المكونة للكائن الحي .

ومع ذلك فإن هذه النظرية لها علاقة بمقولة أخرى تسمى بديهية المناعة .



● الرسم (١ - « ب ») يبين معدل فرص الحياة والوفاة لذبابة الفاكهة.

بديهية المناعة والشيخوخة :

تقول البديهية : إن إنتاج خلايا الدماغ من نخاع العظام يصبح أكثر بطئا كلما قل معدل انقسام خلايا العظام . كما أن التغيرات في الغدة الثيموسية ، وهي غدة وحيدة في الانسان توجد خلف عظمة القص ، وتمتد إلى أعلى في منطقة العنق ، بينما يقع الجزء الأسفل منها بالقرب من قاعدة القلب والأوردة الكبيرة التي تصب فيه . والغدة الكبيرة الحجم نسبيا عند الأطفال تبدأ في الضمور تدريجيا عند البلوغ ، ولا يبقى منها في الإنسان البالغ سوى أثر بسيط . إن تلك الغدة الثيموسية التي لها علاقة بتلك البديهية قد تنقرض عند حلول الشيخوخة . وضمور الثايمس يؤثر على إنتاج كريات الدم المسؤولة عن المناعة ، المسماة T-cells ، وكذلك خلايا B-cells وهما من المراكز الرئيسة لتصنيع كرات الدم البيضاء التي تقوم بالدفاع عن الجسم . إن مؤيدي تلك البديهية يفسرون بها قلة المناعة التي تصيب الإنسان كلما تقدم به العمر .

الشيخوخة خارج الخلية

تتأثر مادة الكولاجين - وهي مادة بروتينية تكون الإطار الذي

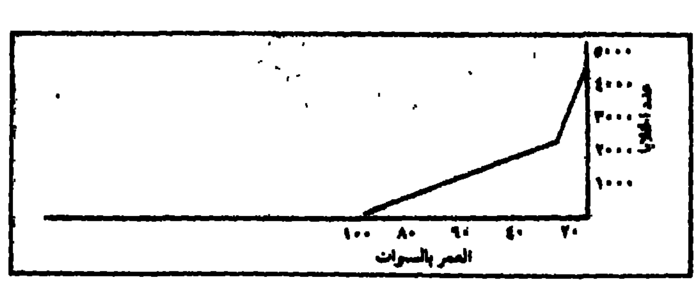
يربط الأنسجة بعضها ببعض - بتقدم العمر . إن مكونات مادة الكولاجين ترتبط مع بعضها بروابط قوية ، قد تضعف مع مرور السنين . وهذا الترابط الضعيف يؤدي إلى ظهور التجاعيد وفقدان البشرة لليونتها . كما أن الشيخوخة تعمل على تقليل أماكن تخزين الماء حول الخلايا ، مما يؤدي إلى جفاف الجلد الذي يعاني منه كبار السن .

الشيخوخة غير العادية :

تعتبر الشيخوخة عملية تدريجية وعادية ، تؤدي إلى انخفاض في الوظائف بالتدريج ، وتنتهي بالضعف العام ، وبالتالي قلة المقاومة للمتاعب الصحية . ولكن عند بعض الناس تكون هذه التغيرات سريعة ومفاجئة ، وهذه الشيخوخة غير العادية المفاجئة تسمى مرض الزيمر Alzheimer's ، وهي تصيب ٥ - ١٠ من الناس فوق سن ٦٥ سنة .

إن مرض الزيمر يحدث نتيجة لاضطرابات ، تحدث في الدماغ ، تؤدي إلى فقدان الذاكرة المبكر ، وبالتالي إلى فقدان وظائف الدماغ كلية .

فكثير من المرضى بهذا الداء يكونون غير قادرين على عمل شيء ، ويصابون باعاقة تامة قبل الموت . كما أن أمراض الهرم التي تسبق الشيخوخة قد تحدث في سن الشباب ، فيها تكون أمراض الشيخوخة أسرع عشر مرات عن المعدل العادي ، بحيث يكون أشبه بطفل في العاشرة ، له سمات شيخ كبير ، من حيث تجعد بشرته وظهور الشعر الأبيض على رأسه ، وغالبية هؤلاء يموتون في سن الثانية عشرة ، نتيجة لأمراض القلب التي عادة ما تصيب الكبار في السن . □



● الرسم (٢) يبين عدد خلايا الدماغ في الحيوانات الثديية .

هل تعلم أن الزيتون

يغنيك عن الدواء ؟



- فالزيتون فاتح للشهية ، مسمّن للجسم ، مقوٍّ للمعدة ،
- ويقول ابن سينا : « إذا طبخ الزيتون على النار حتى يهرأ لحمه ، يصبح دواء ناجعا لالتهاب المستقيم ، وعلى الأخص البواسير » .
- ويتركب الزيتون من الأدهان المعروفة « الزيت الطيب » ومن أملاح معدنية أهمها الكالسيوم والبوتاسيوم والحديد ، ويحتوي على فيتامين (أ) و (ب) و(ج) و (د) .
- وقد أثبت الطب الحديث أن لزيت الزيتون مفعولا في طرد الصفراء وحصى الكلى . والحمى المتقطعة تعالج بمنقوع أوراقه .

هو.. هي

لا تتعظ بغيرك

قليلا ما تحدث لي مفاجآت لا أتوقعها ، فقد نشأت في عائلة يغلب على العلاقات بين أفرادها الاتزان والتروي ، وعدم التسرع في المدح أو الإدانة ، أو الحكم على الأشياء والأحداث . وعندما اتفقت أنا وزوج المستقبل الذي مازال خطيبي على الزواج ، فإنني كنت متحمسة ومدركة بشكل تام كل خطوة أخطوها .

وقبل إعلان الخطبة بكثير كنت أعرف خطيبي ، وأعرف بعض أفراد عائلته ، بل كانت تربطني علاقة خاصة مع إحدى شقيقاته . كما لم يكن لي عليه وعلى شخصيته وسلوكه أي تحفظات ، وكان من تحصيل الحاصل أن تتم الخطبة بسهولة ويسر ودون عراقيل .



غير أنني بدأت ألاحظ أنني أصبحت أكثر حساسية لتعليقاته وتصرفاته مع الآخرين ، وعلاقاته التي كانت مصدر فخر لي قبل الخطبة . كما أصبحت أكثر تشككا وريبة تجاه صداقاته وزملائه في العمل ، وبخاصة زميلاته ، والغريب في الأمر أنني كنت أعرف كثيرات منهن منذ مدة .

وفي الأسابيع الأخيرة بدأت الأمور التي تثير حساسيتي تزداد ، وأصبحت أدقق في كثير من أمور علاقتنا العادية ، مثل المواعيد ، ونوعية الهدايا التي يحضرها لي ، وطبيعة الأماكن التي يدعوني إليها . وأمور أخرى أكثر أهمية من هذا كله تحولت لدي إلى هواجس ، حتى فكرت أكثر من مرة أن أطلب فسخ الخطبة ، ووضع حد للزواج قبل أن يكون ذلك متأخرا جدا .

بحثت الأمر مع والدتي التي أعدها صديقتي ومستودع أسراري ، إلا أنها أخذت الأمر ببساطة أكبر مما توقعت ، وقالت لي : إن هذه المشاعر أمر طبيعي مع اقتراب الزواج ، لأنه يعني الارتباط التام ، وشاورت شقيقة متزوجة لي فقالت : إنها لا تستطيع أن تنصحني بشيء ، لأن هذا شأن خاص جدا .

وطرحت الأمر على والدي ففوجىء بما قصصته عليه ، إلا أنه أخبرني بأن علي أن أقرر بأسرع وقت ممكن ما إذا كنت سأمضي في الزواج أم لا ، لأن كل يوم يمضي يجعل اتخاذ مثل هذا القرار أكثر صعوبة .

وذهبت أخيرا إلى إحدى صديقاتي التي بدا لي أنها سعيدة في زواجها فقالت : إن كل هذه المشاعر لاتعني شيئا . وحتى لو كان لك أي اعتراض ، فالأفضل لك أن تنحيه جانبا وتتزوجي ، فتجربة الزواج تجربة لا يجوز عليها مبدأ « الاتعاظ من غيرك » .

هي..

الزوَّاجُ شيءٌ آخَر



أعرف أن لكل علاقة مزاياها وسلبياتها ومشكلاتها ، إلا أنني لم أكن أتصور قط أن تحدث بين خطيبتي وبيني مشكلات من هذا النوع ، وخاصة أننا توصلنا إلى قرار الخطبة عن اقتناع كامل واتفاق تام . وأهم من ذلك كله أنه لم تحدث تطورات أو أحداث أو مواقف تدعو إلى مثل هذا التغير .

ولا أزعم أن تغيرا تاما قد طرأ على زوجة المستقبل ، إلا أن كثيرا من السلوكيات أصبحت تأخذ شكلا مبالغا فيه ، فدقة المواعيد التي كانت تطلبها تحولت إلى شيء أقرب إلى التزمت ، وحرصها في اختيار الأماكن التي نذهب إليها معا أصبح يأخذ شكل المحاكمة ، وملاحظاتها على ملابسي وتصرفاتي تحولت إلى نقد كثيرا ما يستفزني . وأخيرا وصلت الأمور حدا لا يطاق ، فقد بدأت تنتقد اسلوبي في الحديث ، وتبدي ملاحظات على طريقتي في الأكل ، والضحك الذي ترى أنه يجب أن يكون محسوبا .

أعرف أن هذه السلوكيات هي أسلوب في التعبير عن مشاعر متضاربة ، زادها اضطرابا اقتراب الزواج ، إلا أن طريقتها في التعبير عن هذه المشاعر جعلتها شيئا مختلفا عن الفتاة التي عرفتها وأحببتها واتفقت معها على الزواج .

وحتى أكون أكثر صراحة فإن لي ملاحظاتي التي بدأت تزداد هي أيضا على سلوكها وتصرفاتها ، وحذرها الشديد ، وشكوكها التي تحولت إلى ما يشبه العرض المرضي ، وعلى أسلوبها الذي تناقش به الأمور ، وتتخذ على أساسه القرارات . غير أنني أضع هذه الأمور في حجمها الطبيعي ، ولا أجعل منها سببا في انهيار مشروع الزواج الذي بنيت عليه آمالا كبيرة .

وأعترف أنني أخذت مخاوفي وملاحظاتي هذه إلى أحد أصدقائي المتزوجين ، وطرحت عليه المسألة . فأشار إلى نفسه وقال : لا أعتقد أن زواجي ناجح ، إلا أنني لا أنصحك بأن تتعظ بي ، فكل ما تراه لا يدل على شيء ، فالزواج شيء آخر تماما . □

هو ..



الناس والنحاس

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

لو كان لنا أن نسأل الناس جميعا عن المعادن ، وكيف ترتسم صورتها في ادراكهم ، لاجتمع أغلبهم على أنها كتل صلبة ثقيلة لماعة . ولو ضربوا مثلا لما اختلفوا على الحديد ، ولتجاوزوا الزئبق ، وربما ذكر بعضهم النحاس ، فيما قد ينساه آخرون منهم على الرغم من أن النحاس كان أول معدن عرفه الإنسان ، واستعمله منذ أربعة آلاف عام .

غير أن العلماء الذين خرجوا على إجماع القوم يؤكدون أن أصل النحاس من قبرص التي تقع في الفجوة مابين الدرع الافريقي والدرع الأوربي .

هذا المعدن يدخل في تركيب أجسام كل البشر الأسوياء ، ولا غنى عنه لسلامة أبدانهم واكتمال صحتهم . قد لا يرقى النحاس إلى مرتبة الحديد مثلا إذا وزناه بمقياس صحة البشر ، فالحديد يدخل في صلب تركيب دم الإنسان ، فيصبغه بلون أحمر ، أما النحاس ففي دم المحار ويصبغه بلون أزرق ، لكن لاغنى عن النحاس في تراكيب بعض الخمائر (الأنزيمات) المؤكسدة في الجسم ، مما تعتمد عليه وظائف الجسم المختلفة في اكتمال وظيفتها وتمام سلامتها ، بل ربما دخل في صلب تركيب صبغة الجلد المعروفة باسم القتامين (الميلانين) Melanin ، لهذا يعزو بعضهم لون الجلد الأسمر إلى معدن النحاس في تركيب الصبغة الجلدية . هكذا .

ولعل من فضل الله على خلقه أن وفر لهم من النحاس قدراً في كثير من طعامهم ، ولو كان قدرا يسيراً ، يكفي حاجتهم التي قدرها أهل الطب بما يتراوح بين مليجرامين وثلاثة ميلجرامات في كل يوم ، لهذا تندر أمراض عوز النحاس بين الناس ، إلا في ظروف معينة نادرة ، يغلب عليها طابع الوراثة من مجموعة الأمراض الوراثية التي يطلقون عليها اسم الأمراض المرتبطة بالجنس « Sex linked Diseases » ، وهي تلك الأمراض التي تنقلها الأمهات إلى الأطفال الذكور فقط ، كالمرض المشهور المعروف باسم مرض النزاف أو الهيموفيليا .

والنحاس إذا ما امتصته خلايا الجهاز الهضمي ،

وبخاصة المعدة والاثنى عشر يتسرب ٣٠٪ منه الى داخل الجسم حيث يرتبط بأحد أنواع زلال الدم ، ليصل إلى خلايا الكبد ، حيث تقوم بتخليق الخمائر المؤكسدة (الأنزيمات) التي يحتاجها جسم الإنسان في وظائفه وعملياته الحيوية ، لهذا فأي خلل يصيب الامتصاص ، أو ينتاب عملية التخليق ، أو ربما مقادير النحاس في الطعام يتحسد في مرض يتميز إما بزيادة النحاس في الجسم ، مما يؤدى إلى التسمم بالنحاس ، أو قد يؤدى إلى نقصه ، مما يعوق وظائف الجسم عن إتمام مهامها .

أمراض النحاس :

أمراض النحاس نادرة ، سواء منها ماكان بسبب النقصان أو ماكان بسبب الزيادة ، لهذا لم يتعرف عليها أهل الطب إلا مؤخراً . ومن هنا كانت في علم الطبابة حديثة عهد ، وبخاصة أنها على الأغلب ترتبط بقواعد الوراثة التي لم يبلغ العلم فيها المبلغ المرجو ، ولم تكتمل معرفة الطب بقواعدها إلا مؤخراً .

إن الأمراض الرئيسة عند الإنسان في معرض الحديث عن أمراض النحاس هي :

١ ـ مرض نقص النحاس : مرض نادر الحدوث ، وقد يحدث مكتسباً ، كما حدث بين مجموعة من الأطفال سيئي التغذية ، ممن اعتمدوا على رضاعة حليب البقر المتدني بمحتواه من النحاس ، وكما قد يحدث لأطفال مبتسرين (ناقصي النمو) ، حيث ان أكبادهم قد تعجز عن اختزان أملاح النحاس بما يكفي حاجتهم .

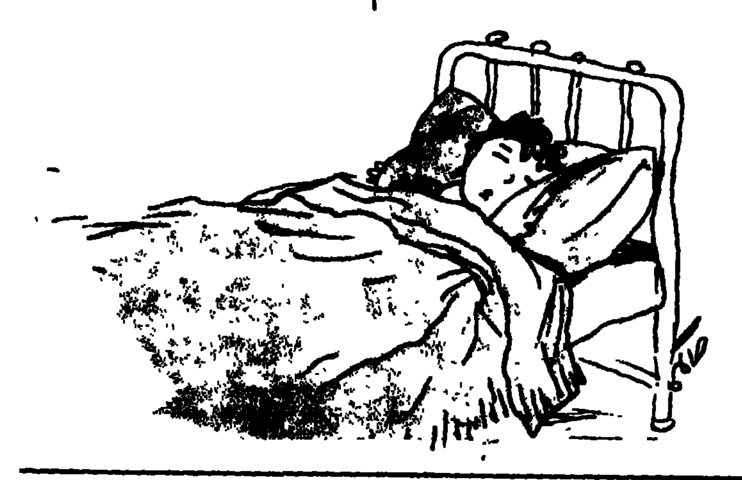
هذا إلى احتمال حدوث المرض عند الإصابة بإسهال مزمن ، أوسوء تغذية ، أوسوء امتصاص ، لهذا نجده احتمالاً قائماً عند تغذية الطفل عبر الوريد مدة تطول عن المعتاد ، أو بسبب علاجه بمواد معينة ، تعرف باسم المواد المستحلبة ، وهى مواد تمنع امتصاص النحاس أيضا .

وعند ذلك يصاب الطفل بفتور في الشهية ، ويضعف في النمو ، وتغيرات في لون الجلد والشعر ، مع اختلال في مركبات الدم سواء الخلايا البيضاء أو كرات الدم الحمراء .

غير أن طبيبا أمريكيا ، من مواليد مدينة فيينا النمساوية ، يدعونه الدكتور مينكيز وصف مرضاً وراثيا ينتمي إلى مجموعة الأمراض المرتبطة بالجنس عام ١٩٦٢ (Sex Linked Diseases) تنقله الأمهات إلى الأطفال الذكور وتتطابق أعراضه مع أعراض نقص النحاس ، لهذا أطلقوا عليه اسم مرض « مينكيز » ، نسبة إلى اسم أول من وصفه من الأطباء .

٢ ـ مرض التسمم بالنحاس :

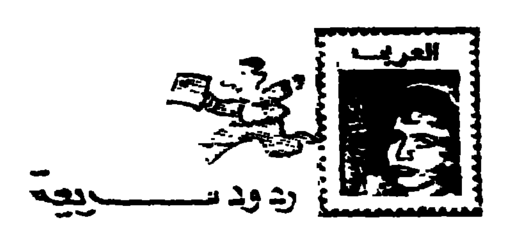
قد يزيد منسوب النحاس في الجسم ، ومن ثم فإنه يتراكم زائداً عن الحاجة ، وبهذا تدمر خلايا الكبد تدريجياً بعد أن



يتشبع ، مما يؤدي إلى التلف والتليف ، دون أن تظهر أعراض واضحة محددة في بداية الأمر ، ولكنها في النهاية تؤدي إلى أعراض خطيرة تتميز بفقر في الدم ، وبياض في عدسة العين ، بما يشبه زهرة عباد الشمس ، مما يسميه أهل الطب باسم « الساد » أو « الكاتاراكتا » .

ولكن النحاس إذا ماترسب في نسيج المخ فإنه يؤدى الى ظواهر عصبية ، تتميز بخلل في شخصية صاحبه ، وخرف ، وارتعاش يجتاح المفاصل والعضلات . ربما كان هذا المرض مكتسبا نتيجة طول استعمال القدور النحاسية في الطبخ ، كما يعلله بعضهم ، أو من تعاطى قدر كبير من مواد يدخل النحاس في تركيبها ، كما يحدث في وحدات غسيل الكلى مثلاً .

غير أنه قد يكون مرضاً وراثياً أيضاً ، كما وصفه عام ١٩١٢ طبيب أمريكي كان يقيم في بريطانيا يدعونه الدكتور ولسون ، ونسبه إلى عوامل وراثية متنحية ، وهى سبب ندرته ، وعدم شيوعه ، وعدم وضوح معالمه للأطباء القدامى ، لهذا فقد نسبوه إلى أول من وصفه ، وسموه باسم مرض « ولسون » . □



المظاهر الجنسية الثانوية

السيد/ صالح مسعود ـ تونس

سنوات المراهقة تتميز بطفرة في النمو تجتاح كل أعضاء الجسم ووظائفه ، وربما كان النشاط الجنسي من أبرز معالم هذه الطفرة .

وتعد الغدة النخامية في الدماغ محرضا للغدد الأخرى في هذا الميدان ، فتقوم الغدد الجنسية وبخاصة الخصيتان وغدة الكظر فوق الكلى بالاستجابة لتحريض الغدد النخامية ، وإفراز الهرمونات الجنسية ، وهذه هي المسؤولة عن ظهور المعالم الجنسية المتميزة لجنس الذكور .

كما تنشط أيضا غدد المبيض عند الإناث ، فتتجدد المعالم الأنثوية .

ومن هنا يعد أي تأخير ، أو أي فشل ، في ظهور معالم الذكورة عند الصبي ، أو معالم الأنوثة (مما يعرف بالمظاهر الجنسية الثانوية) في فترة سن ١٢ سنة الى ١٤ سنة دليلا على خمول الغدد الجنسية أو كسلها .

من هنا لابد من تقييم نشاط الغدد الصماء لتحديد موطن العلة وعلاجها ، على يد طبيب مختص في الغدد الصماء في أقرب فرصة قبل أن تتفاقم الأمور وتضيع .

القارئة هناء الحسن ـ الرقة ، سوريا

الثعلبة

الثعلبة : سقوط الشعر في مواضع متفرقة من الجسم ، وبخاصة في الوجه والرأس ، ولكن السبب مازال مجهولا للطب ، وإن كان كثير من الأطباء يميلون الى عده معاناة نفسية ، لهذا فمن المألوف أن يعود ظهور الشعر فجأة كما تساقط فجأة دون سبب ظاهر .

غير أن أطباء الجلد يضعون عقاقير تعمل على إثارة الجلد في موضع سقوط الشعر ، ويفيد الكثيرون أن حك الموضع بالثوم أو الصوف أو صبغة اليود يؤدي هذا الغرض ، ولهذا لا داعي للقلق فعلاج الحالة مرهون بمرور الزمن ، ولا بأس من استشارة طبيب الجلد المختص .



اعتراف على الذات!

تتراكم الرسائل التي يكتبها أصدقائي، وأفراد من عائلتي، وآخرون قلما أعرفهم، ويفرض علي الواجب والذوق أن أكتب لهم رداً على تلك الرسائل، ولكن التسويف والتأجيل إلى الغد يراكمان الرسائل، استناداً إلى أن الغد سوف يمنحني فسحة من الوقت، للتفرغ لكتابة الردود التي تحتاج إلى طول بال، وتفرغ ذهن، وتفجير عواطف على الورق، وكلها تحتاج إلى صفاء ذهني، ووقت فراغ، واستعادة ذكريات. ويتم تأجيل مشاريع الرد بحجج متعددة أخرى، تارة بسبب الانهماك في العمل، وطوراً آخر بسبب المسئوليات، وفي بعض الأحيان أقوم بتحويل موضوع الاستجابة لتلك الرسائل إلى الذاكرة التي غالباً ما تخون!

ومع ذلك فإن وجود هذا الكم من الرسائل، غير المجاب عنها، تبقى عالقة في مكان ما، من الذاكرة، تؤرق الإنسان ولا تختفي.

والرسائل التي تفرض الاستجابة لها هي الرسائل الصادقة التي تتجاوز ما هو «روتيني» ويومي في الحياة،والتي يريد أن يبوح الإنسان فيها ببعض مكنونات نفسه، فالنفس البشرية تحتاج إلى هذا البوح، بين فترة وأخرى، من أجل المشاركة والتنفيس، فيضع الإنسان همومه ومشكلاته ومشاغله على الورق لصديق يعرف أنه على البعد يفهم ويحفظ ويتعاطف.

إن الرسائل الصادقة هي نوع من الاعتراف على الذات، ونوع من الكتابة، فيه مأمن يتلمسه الإنسان منا، كحاجة طبيعية، كونه إنساناً يعيش مع بشر آخرين.

ولكن هل يمكن للإنسان أن يلجأ دائماً وأبداً للبوح بمكنونات نفسه إلى صديق أو قريب، وتتحول الرسالة إلى شيء خاص منزوع من الذات؟ والجواب: ان ذلك لا يتم في كل الأوقات طبعاً. لذلك فإن بعض الناس يتكاسل عن معرفة، أو عن هروب، من كتابة تلك الرسائل. لاأريد أن أبرر موقفي في عدم الرد على رسائل كثيرة، ولكنني أفكر فقط بصوت عال، وأعترف على نفسي، فثقة الإنسان بنفسه تبدأ من الاعتراف بنواقصها. □

سليمان الشيخ

جمال العربية

بقلم : الدكتور حسن عباس

□ صفحة لغة

من مظاهر العناية الحديثة بالعربية

منذ زمن غير بعيد ، كان العقاد يقول : إن اللغة العربية لغة مخدومة ، توافر أبناؤها على العناية بها منذ عصر الجاهلية ، وتجددت هذه العناية بعد ظهور الإسلام ، حين أصبح العلم باللغة علما بالدين ، مضافا إلى العلم بالأدب والمعارف اللسانية على تنوعها . ويبدو لنا أن نصيب هذه اللغة من الخدمة في العصر الحديث لايقل عن نصيبها من خدمة الأوائل . وقد تمثل هذا في العصر الحديث بظهور مجامع اللغة العربية .

كانت الحاجة ماسة الى العناية بشئون اللغة بعد خلاص عدد من الأقطار العربية من الحكم العثماني مع نهاية الحرب العالمية الأولى . وكانت اللغة العربية في بلاد الشام قد عانت كثيرا من الاضطهاد العثماني ، لذلك كان من أولى مهام الحكومة العسكرية التي شكلت في عام ١٩١٨ نشر اللغة العربية في دواوين الحكومة ، وتأليف كتب دراسية باللغة العربية . وقد أنيطت هذه المهمة بالشعبة الأولى للترجمة والتأليف . ثم مالبثت الحكومة أن جمعت فروع الثقافة كلها ، وضمتها الى شعبة الترجمة والتأليف ، ليتكون من كل ذلك ما سمي « ديوان المعارف » . وقد تولى رئاسة هذا الديوان محمد كرد علي ، وحددت مهامه في النظر في أمور المعارف والتأليف وتأسيس دار للآثار والعناية بالمكتبات ، لاسيما دار الكتب الظاهرية . ولم يلبث أن استقل المجمع العربي عن ديوان المعارف ، وإن ظل المرحوم محمد كرد علي رئيساً له ، وقد شارك في عضويته : سعيد الكرمي ، وعبد القادر المغربي ، وعيسى اسكندر المعلوف ، وآخرون ، وتمثلت إنجازاته في تلك الحقبة المبكرة في اعداد الموظفين القادرين على الكتابة بلغة عربية سليمة ، وكان من مهامه الأخرى التي اضطلع بها على خير وجه جمع المخطوطات القديمة ، والآثار من تماثيل وأدوات وأوان ونقود وكتابات ، وجمع المطبوعات العربية والأجنبية لتتكون منها مكتبة ، ثم قام بدور بارز في تعريب المركبات الكيماوية وأدوات الصناعة ومصطلحات علمية وتقنية كثيرة . وقام بنشر الكثير من المخطوطات بعد تحقيقها على أيدي أساتذة محققين . وفي عام ١٩٢١ أصدر مجلة مجمع اللغة العربية ، وكانت المجلة في كل مراحلها غنية بالأبحاث العلمية والنقدية واللغوية فضلا عن المراسلات الخارجية .

كان مجمع اللغة العربية في القاهرة هو الثاني من حيث النشأة ، وكانت دواعي إنشائه كثيرة ومهمة ، فقد احتدم الجدل في المُعَرَّب والدَّخِيل من الكلمات الأجنبية وموقف العربية منها . ويقول الدكتور شوقي ضيف : وكان خريجو دار العلوم قد أنشأوا نادياً لهم ، فعقد رئيسه حفني ناصف ندوة خاصة سنة ١٩٠٨ لمناقشة هذا الموضوع ، تحدث فيها أعلام من أبناء الدار وغيرهم ، في مقدمتهم فتحي زغلول الذي ذهب

ن اللغات يأخذ بعضها من بعض ، ولا بأس العربية من أن تدخلها كلمات للضرورة من ..ات الأجنبية كما يحدث في كل اللغات . ..دث حفني ناصف عن الأسماء العربية ..دثات الحضارة والمدنية ، وانتهت الندوة الى ..رار التالي : يبحث في اللغة العربية عن أسماء ..سميات الحديثة ، بأي طريق من الطرق ..ائرة لغة ، فإذا لم يتيسر ذلك ، بعد البحث ..شديد ، يستعار اللفظ الأعجمي بعد صقله ..وضعه على مناهج اللغة العربية ، ويستعمل في ..غة المصحى بعد أن يعتمده المجمع اللغوي ..دى سيؤلف لهذا الغرض .

لكن إنشاء المجمع تأخر بعض الوقت ، حيث صدر مرسوم بإنشائه في عام ١٩٣٢ ، وحُددت الأهداف التي ينبغي له السعي من أجل بلوغها . ..ذل الجهود للحفاظ على اللغة العربية ، وجعلها وافية بحاجات العلوم والفنون وشئون الحياة في العصر الحاضر ، وتهيئة الوسائل لذلك ..وضع المعاجم وغيرها ، والعمل على وضع معجم تاريخي لغوي ، والعناية بدراسة اللهجات ..حديثة في مصر وغيرها من أقطار العرب.

كما نصت المادة الثالثة على إنشاء مجلة ، تضم ..بحوث التي يكتبها أعضاؤه ، وعلى العناية بتحقيق نفائس التراث العربي ذات الصلة ..عمال المجمع وبالدراسات اللغوية . وكان مما ..ميز مجمع القاهرة أن عضويته لم تقتصر على ..واطنيه ، بل جاوزتهم الى النابهين من أبناء ..عروبة ، بل الى عدد من كبار المستشرقين ..ضا إن منجزات مجمع القاهرة مهمة ..عظيمة ، ولكن أهمها هو « البرهنة على حيوية ..عربية ومرونتها وقدرتها على مواجهة متطلبات ..عصر « والتكنولوجيا » ، فقد أجاز علماؤه ..شتقاق من الجامد ، وكان ممنوعاً ، وتوسعوا في ..صدر الصناعي لاستعماله في أسماء المذاهب ..مدارس الفكرية ، واستحدثوا أوزانا للدلالة على الآلة والمكان والزمان ، وسلموا بجواز النسب الى الجمع كما ينسب الى المفرد ، وأقروا ألفاظا وأساليب حديثة كنا نتردد بالأمس في قبولها » . كما يقول الدكتور ابراهيم مذكور .

أما المجمع العلمي العراقي فقد تأسس في عام ١٩٤٧ ، بعد أن كان في نشأته الأولى « لجنة التأليف والنشر » ، وكان من أبرز المؤسسين الشيخ محمد رضا الشبيبي ، ومحمد فاضل الجمالي ، وهاشم الوتري ، ومتى عقراوي ، وآخرون . وكانت أهداف المجمع تؤكد على العناية باللغة العربية والرقي بها ، حتى تفي بما تطلبه العلوم الحديثة والفنون ، وتشجيع الترجمة والتأليف ، وحفظ المخطوطات والوثائق العربيةٌ . وقد حرص المجمع على أن تكون له مجلة تنشر أبحاث أعضائه . وقد حذا حذو مجمع القاهرة حين جعل عضويته تتسع لتشمل علماء من خارج العراق ، فكان من أعضائه المراسلين : طه حسين ، وأحمد لطفي السيد ، وغيرهما .

وجاءت نشأة مجمع اللغة العربية الأردني مماثلة للمجامع العربية الأخرى ، حيث تطور من لجنة للتعريب والترجمة والنشر الى مجمع للغة . كان ذلك في عام ١٩٦١ ، وقد بذلت تلك اللجنة جهودا طيبة في مجالات نشاطها ، وسعت منذ عام ١٩٧٤ لكي تتحول الى مجمع لغوي . وقد تم لها ذلك في عام ١٩٧٦ . ولقد حرص المجمع منذ تأسيسه حتى يومنا هذا على تلبية حاجات الأردن للنهضة العلمية ، فشجع البحوث ، ورصد لها الجوائز ، وحثّ على تعريب التعليم الجامعي ، وأصدر معجما للرياضيات ، كما أصدر كتابين أحدهما يعرِّب وحدات النظام الدولي ومصطلحاته ، ويتناول الثاني مصطلحات التجارة والمصارف والاقتصاد .

كل هذه الجهود وغيرها كثير اضطلعت به مجامع اللغة العربية ، خدمة لهذه اللغة ، وتيسيرا لها وتطويرا ، لكي تواكب نهضة العلم والتقنية . □



□ صفحة شعر

□ هكذا غنى الآباء

في رثاء عَزَّة

لاتكاد تخلو قصيدة في ديوان كثيّر من ذكر عَزَّة ، فقد تعلقها وهي لينة الشباب ، وظل مقيما على حبها طوال حياتها ، إذ أنها ماتت قبله ، ففجع بوفاتها ، وبكاها بكاء صادقا مخلصا .
أما اسمه قبل النسبة الى عَزّة فهو كثيّر بن عبد الرحمن بن الأسود ، وكنيته أبو صخر أو الملحي .
ويوصف بأنه كان طائشا متسرعا في صغره وشبابه . لم يُعرف تاريخ ولادته ، ولكنه مات في عام ١٠٥ للهجرة ، في آخر خلافة يزيد بن عبد الملك ، أو خلافة هشام .
أحب الشاعر جميلا ، وصار راوية لشعره ، وقد عملت رواية شعر جميل على تدريبه وصقل موهبته.كان حبه لعَزّة خائبا لا أمل فيه ، فمن هي هذه المرأة التي أحبها كثيّر؟ إنها بنت حُمَيْل بن حفص ، من بني حاجب بن غفار . فهي كنانية النهب ، وكثيّر يكنيها في شعره أم عمرو ، ويسميها الضمرية وابنة الضمري نسبه الى بني ضمرة . جاء في وصف إحدى النساء لها أنها « امرأة حلوة حميراء نظيفة » ، وأنها حين تحدثت كانت « أبرع الناس وأحلاهم حديثا » ، وتضيف المرأة التي وصفتها « فما فارقناها إلا ولها علينا الفضل في أعيننا ، وما نرى في الدنيا امرأة تفوقها جمالا وحسنا وحلاوة » . أما وصف كثيّر لها فهو وصف المحب الذي يرى في كل خلة حُسنا ، وفي كل جارحة آية من جمال ! وعندما شبّب بها كثيّر ، وكثر فيها شعره آثر أبوها - على عادة العرب قديما - أن يزوجها لأول خاطب . واتقدت نار الوجد في صدر كثيّر ، ولم يُهَدِّيء من غلواء حبه زواجه من امرأة سواها وإنجابه البنين ، بل ظل على الحب مقيما ، حتى أن عيون قصائده تعزى الى تلك العواطف. إذا كان حاله في حياتها على مانرى في شعره ونسمع من أخباره ، فكيف يغدو ذلك الحال بعد أن طواها الثرى وغيبها الرمس ؟ تقول رواية هي أشبه بالأسطورة - وما أكثر الأساطير في قصص حياة العذريين ! - إن عزة قدمت الى عبد الملك بن مروان ، فلما دخلت سلمت ، فرد عليها السلام ، ورحب بها ، وقال : ما أقدمك ياعزة ؟ قالت : شدة الزمان وكثرة الألوان ، واحتباس القطر وقلة المطر ، قال : هل تروين لكثيّر :

وَقَـدْ زَعَـمَتْ أَنِّي تَغَيَّـرْتُ بَعْـدَهَـا ... وَمَـنْ ذَا الـذي يَـاعَـزُّ لاَ يَـتَـغَـيَّـرُ

قالت : لا أروي له هذا ، ولكنني أروي له قوله :

كَـأَنِّي أُنَـادِي صَخْـرَةً حِـيْنَ أَعْـرَضَـتْ ... مِنَ الصُّـمِّ لَـوْ تمشي بهـا العُصْمُ زَلَّـتِ

فقال : ما كنت لتصيري الىّ حاجة أو تهبين نفسك لي فأزوجك منه (يعني كثيّر) . قالت : الأمر إليك ياأمير المؤمنين ، ماكنت لأزهد في هذا الشرف الباقي لي مادامت الدنيا ، أن يكون أمير

المؤمنين وليي ، فعظم بذلك قدرها عنده ، وأمر لها بمال ، وكتب الى كثيّر وهو بالكوفة أن اركب البريد وعجل فإني مزوجك عَزَّة . فأتاه الكتاب وهو مُضنى من الشوق إليها ، فرحل ، فأقبل نحوها ، فلما كان في بعض الطريق إذا هو بغراب على شحرة بان ، وإذا هو ينتف ريشه ويطايره ، وكان (كثيّر) شديد الطيرة ، فلما رآه تطير وهم بالانصراف. ثم غلبه شوقه ، فمضى وهو مكروب لما رأى ، حتى أتى ماء لبني نهد ، فإذا هو برجل يسقي إبله ، فنزل عن راحلته واستظل بشحرة هناك ، فأبصرهُ النهدي ، فأتاه وسأله عن اسمه ونسبه ، فانتسب له ، فرحب به ، فأخبره عما رأى في طريقه ، فقال : أما الغراب فغربة ، وأما البانة فبين ، وأما نتف ريشه ففُرقة ، فاستطير لذلك ومضى حتى دنا من دمشق ، فإذا بجنازة ، فاستعبر وقال :

أسأل الله خير ماهو كائن . فسأل عن الميت فإذا هي عزة ، فخر مغشيا عليه ، فعرق وصب عليه الماء ، فكان مجهوده أن بلغ القبر ، فلما دفنت انكب على القبر وهو يقول* :

سِـراجُ الـدُّجى صِفـرُ الحَشـا مُنْتَهَى المُنى ... كشمْسِ الضُّحى نـوَّامَـةُ حـينَ تُضْبِحُ[1]

إذا مـا مشَتْ بـينَ البيـوتِ تخـزَّلَتْ ... ومـالَتْ كَـمَا مـالَ الـنـزّيفُ المُـرَنَّـحُ[2]

تـعـلَّقْـتُ عَـزّاً وهْـيَ رُؤْدٌ شـبـابُهـا ... عَـلاقـةَ حُبٍّ كـادَ بـالقلْبِ يَـرْجـحُ[3]

أقـولُ ونِـضْـوي واقفٌ عـنـد رمْسِهـا ... عـليـكِ سـلامُ الله والـعـينُ تـسـفَـحُ[4]

فـهـذا فِـراقُ الحـقِّ لا أن تُـزيـرَني ... بـلادَكِ فَـتْـلاءُ الـذِّراعـينِ صَـيْـدحُ[5]

وقـد كـنـت أبـكـي مـن فـراقـك حيّـةً ... وأنـتِ لـعَـمْـري الـيـوم أنْـأى وأنْـزَحُ

فـيـاعَـزُّ أنتِ الـبـدْرُ قـد حـال دونـهُ ... رجـيـعُ تُـرابٍ والصَّفيـحُ المضـرَّحُ[6]

فـهـلاّ فـداك الـمـوتَ مَن أنـتِ زيْـنُـهُ ... ومَـن هـو أسـوا مِـنـكِ دَلًّا وأقـبـحُ

عـلى أم بَـكْـرٍ رحْـمـةً وتحـيّـةً ... لهـا منـكَ والـنّـائي يَـودُّ ويَـنْـصَـحُ

مـنَـعَّـمـةٌ لـو يـدرُجُ الـذَّرُّ بَـيْـنَـهـا ... وبـين حـواشي بُـرْدِهـا كـاد يجـرَحُ[7]

ومـا نـظرَتْ عـيـني الى ذي بـشـاشَـةٍ ... مـن الـنـاسِ إلاّ أنتِ في الـعـينِ أمـلحُ

ألا لا أرى بـعـد ابـنَـةِ الـنُّـضْـرِ لـذَّةً ... لـشَـيْءٍ ولا مِـلْحـاً لمـنْ يـتـمـلَّحُ[8]

فـلا زالَ رَمْسٌ ضـمَّ عـزَّةَ سـائـلاً ... بـه نِـعْـمـةٌ مِـن رحمـةِ الله تَـسْـفَـحُ

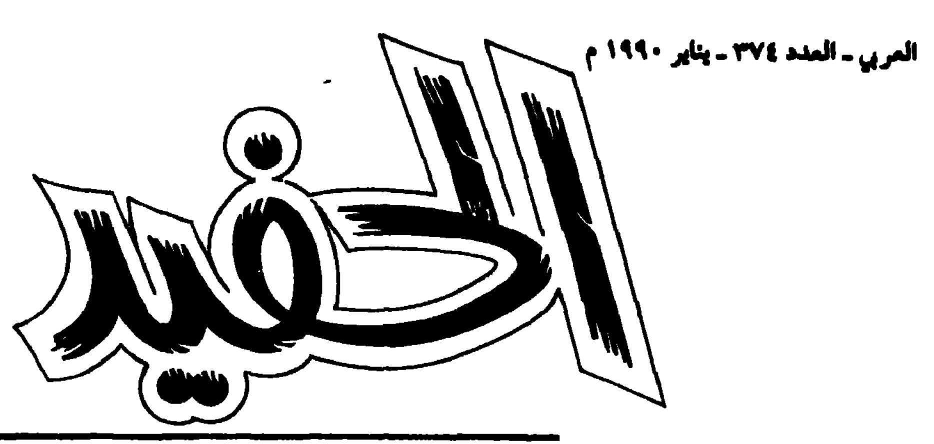
فـإن الـتي أحـبـبْـتُ قـد حـال دونَها ... طـوالُ اللّيـالي والضَّـريـحُ المُصفَّحُ[9]

أربَّ بـعـيـنيَّ الـبُـكـا كُـلَّ لـيـلَةٍ ... فقـد كـاد مجرى الدَّمـع عينيْ يقـرحُ[10]

إذا لم يكُن مـا تـسفـحُ الـعـينُ لي دمـاً ... وشـرُّ الـبُكـاءِ المُسـتـعـارُ المُسيَّـحُ[11]

---

(1) صفر الحشا : ضامرة البطن ، نوامة : يريد أنها مترفة (٢) تخزلت : تثاقلت في مشيها ، النزيف : السكران .
(٣) رؤد الشباب : لينة الشباب . (٤) النضو : الجمل المزيل . (٥) الصيدح : الصياحة الرفيع صوتها .
(٦) رجيع التراب : الذي أخرج من الحفرة ثم ردّ إليها ، الصفيح : الحجر العريض الرقيق ، المضرح : المشقوق عند للضريح . (٧) يدرج : يمشي ، الذر : صغار النمل . (٨) الملح : الملاحة ، يتملح : يتكلف الملاحة ويظهرها .
(٩) انظر البيت السابع . (١٠) أرب : لزم وأقام . (١١) المسيح : السائح الجاري .



الحفيد

للكاتب الجيورجي : ريغاز اينانيشفيلي
ترجمة : يوسف حلاق

كان عمره عامين حين صرخ :
- ماما ! ماما ! « العم » يطلق عليّ النار من بندقيته !

اندفعنا على صراخه ، رأينا أن الصغير يختبىء وراء الأريكة مرتعدا من الخوف ، كانت ترتسم على شاشة التلفاز صورة أحدث مقلد لايزنشتين* (تذكروا مدافع المدرعة « بوتيومكين » الموجهة إلينا !)

هكذا إذن ، كان هذا المقلد العديم الموهبة لايزنشتين يوجه بندقية البطل المتعب المسودّ الوجه إلى الصبي مباشرة مثيرا الذعر في نفسه .

ضممت الصغير إلى صدري :

لا تخف يا صغيري ! لا تخف يا حبيبي ! هذا « العم » لن يؤذيك ، انظر ! انظر !

استمر الصغير في بكائه ، لكنه ظل مع هذا يتابع المشهد ، انطلقت من البندقية رصاصة . لم يسقط أحد منا على الأرض ، على العكس كنا نبتسم ، بل أخذت أنا نفسي أطلق النار على الرجل الشرير .

بُم ، بُم ، بُم ، بُم

خفض البطل المسود الوجه البندقية ، ونزع قبعته ، ومسح جبينه . كان واضحا أنه أجهد نفسه في هذا العمل غير السهل : كان المسكين يتصبب عرقا ، لكنه أخذ - وقد انتهى من آخر عملية له - يمسح عرقه .

جعلت أصابعي على شكل مسدس ، وبسطت يدي نحو التلفاز ، وأخذت أطلق :
- أرأيت ؟ لم يسقط منا أحد ، ولم يمت أحد . لا هو ، ولا أنا ، ولا ماما ، ولا جدتك - لا أحد ، بُم ، بُم ، بُم .

بُم ، بُم ، بُم ! تابع الصغير وقد انتقلت عدوى ابتسامتنا إليه .

بعد هذه الحادثة بقينا أياما كاملة نسمع :-
- بُم ، بُم ، بُم ، ترا - تا - تا - ترا - تا - تا !!

تسلّح صغيرنا برشاش ومسدس وبندقية ، وظهرت لديه بعد حين بندقيات ومسدسات ورشاشات أخرى من الخشب والحديد والبلاستيك . وفي الثانية والنصف من عمره كان يسير كجندي حقيقي : يضم ماسورة بندقيته إلى جنبه ، وينفخ صدره ، ويدق برجله على الأرض بكل ما فيه من قوة ويردد :
- واحد ، اثنان ! واحد ، اثنان ! واحد ، اثنان ! .

ثم يرتمي على أرض الغرفة ويزحف هاتفا « أورا ، أورا * » ، ثم يندفع إلى الأمام ، ويطلق النار ، وهو متمدد على الأرض :

* هو المخرج السوفيتي المعروف ايزنشتين (١٨٩٨ - ١٩٤٨) صاحب فيلمي « المدرعة بوتيومكين » و« ايفان الرهيب » وغيرهما .
* هي صرخة المهاجمين في الحرب .



ترا ـ تا ـ تا ! بُمْ ، بُمْ ، بُمْ !

في الثالثة من عمره أوقفني إلى جانب الحائط :

ـ قف هنا ! ارفع يديك ! لا تتحرك ! سأعدمك الآن ! ترا ـ تا ـ تا !.

ترنحت ، انحنيت ، أمسكت بطني بيدي ، درتُ على نفسي في مكاني قليلا راسماً تكشيرة ألم على وجهي وسقطت . لم يقترب مني على الفور .

لكنه استجمع أطراف شجاعته بعد قليل ، فدنا مني ، وركلني ركلة خفيفة برجله في كتفي ، ومد إليّ يده بالرشاش :ـ

ـ والآن « أنت »!

ـ ما معنى « أنت » ؟

ـ أطلق النار !

ـ لماذا ؟

ـ الآن دورك في إطلاق النار علي .

ـ لماذا عليك ؟ أنا إنسان كبير ، عجوز . ضميري مثقل بالذنوب ، والأعمال السيئة . أما أنت ، فلماذا أطلق النار عليك ؟

كان يقف إلى جانب الحائط رافعا يديه ، ويحاول جاهدا أن يعرف لماذا لا يجوز اطلاق النار عليه ، لهذا لاحت على وجهه تعابير غريبة ، مقلقة مركزة .

ـ أطلق النار !

ـ لا أستطيع

ـ تخاف !

ـ نعم ، أخاف !

ـ أطلق ، أطلق ! ـ كان على وشك أن ينفجر في البكاء ، رفعت الرشاش ، كان يقف في خفه الصغير وسرواله القصير المنتفخ جيبه بقطع من المغناطيس ، ملصقا ظهره بالحائط ، ورافعا يديه الصغيرتين وقد أغمض عينيه . في هذه اللحظة كان يمكنك أن تحصي أهدابه الصغيرة كلها هدبا هدبا .

ـ لا ، لا أستطيع أن أطلق النار عليك .

فتح عينيه ، ورفع يديه إلى أعلى قليلا بحيث بانت سرته الصغيرة تماما تحت قميصه

ـ أطلق !

ـ لا أستطيع !

ـ أطلق !

أدرت ماسورةالبندقية إلى بطني ، وضغطت على الزناد ، بُمْ ، بُمْ وهويت على وجهي .

رأيت وأنا أنهض عن الأرض مبتسما أن الصغير منكب على وجهه ، وأصابعه الصغيرة مبسوطة ، وخده الأيسر ملتصق بالأرض ، ومن أنفه المعقوف يرشح الدم فوق شفتيه المفتوحتين قليلا ، وينساب خطا رفيعا على الأرض . أطلقت صرخة بحيث هرع الجيران .

ولعجزي عن النهوض بقيت قاعدا على الأرض . كان فتانا الصغير يعرف ـ الآن ـ أن عليه أن يتعلم كيف يصبر على الألم ، لكنه لما يكن يعرف شيئا بعد عن الانتحار . □

حاول أن تكون

سأل رجل الحسن البصري ـ رحمه الله ـ فقال :

ما سر زهدك في الدنيا يا إمام ؟

فقال : أربعة أشياء :

ـ علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي .

ـ وعلمت أن عملي لايقوم به غيري فاشتغلت به وحدي .

ـ وعلمت أن الله مطلع علي فاستحييت أن يراني على معصية .

ـ وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء ربي .



وزارة الإعــــلام

الإعلام الخارجي

دوريات وزارة الإعلام

اسم الدورية		قيمة الاشتراك السنوي			
		الوطن العربي		البلاد الأجنبية	
		فلس	دينار	فلس	دينار
مجلة « العربي »	(شهرية)	٠٠٠	٦	٠٠٠	٨
كتاب العربي	(فصلي)	٥٠٠	٢	٠٠٠	٣
مجلة « العربي الصغير »	(شهرية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
مجلة « الكويت »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
سلسلة « من المسرح العالمي »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
مجلة « عالم الفكر »	(فصلية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »	(أسبوعية)	٠٠٠	١٧	٠٠٠	٢٠

تحول قيمة الاشتراكات في دوريات الوزارة المبينة أعلاه بالدينار الكويتي ، أو بما يعادله من العملات الأجنبية ، بموجب شيك مصرفي أو حوالة مصرفية ، باسم وزارة الاعلام ، ويرسل الشيك أو الحوالة مع اسم وعنوان المشترك والدورية التي يرغب الاشتراك فيها إلى :

الإعلام الخارجي ـ قسم التوزيع والاشتراكات
وزارة الاعلام ـ ص. ب ١٩٣ ـ الصفاة
الرمز البريدي ١٣٠٠٢ ـ الكويت

قسيمة الاشتراك

الاسم والعنوان : ....
....
....

أرغب الاشتراك في الدورية أو الدوريات المشار إليها أدناه ، وأرفق لكم طيه □ شيكا
□ حوالة مصرفية بمبلغ ....

□ مجلة « العربي » □ مجلة « الكويت » □ سلسلة « من المسرح العالمي »
□ مجلة « العربي الصغير » □ مجلة « عالم الفكر » □ الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »
□ كتاب العربي .

STATE OF KUWAIT

MINISTRY OF INFORMATION

PERIODICALS

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE				
NAME OF PERIODICAL	ARAB COUNTRIES		FOREIGN COUNTRIES	
	K.D	FILS	K.D	FILS
Al-Arabi Magazine (Monthly)	6	000	8	000
Al-Arabi Book (Quarterly)	2	500	3	000
Al-Arabi Al-Sagheer Magazine (Monthly)	5	000	6	000
Al-Kuuwait Magazine (Monthly)	4	000	5	000
Mena Al-Masrah Al-A'alami Series (Monthly)	4	000	5	000
A'alam Al-Fikr Magazine (Quarterly)	5	000	6	000
The Official Gazette (Kuwait Al-Youm) (Weekly)	17	000	20	000

The subscription fee to the above periodicals is payable in Kuwaiti Dinar, or equivalent thereof in foreign currency, by bank cheque/draft made out to the Ministry of Information. Fill in the subscription form below enclosed with the cheque/draft and send to :
— International Media-Subscription Section.

MINISTRY OF INFORMATION
P. O. Box : 193 Safat
Postal Code No. 13002 - KUWAIT

- ✂ - - -

SUBSCRIPTION FORM

NAME : ....
ADDRESS : ....
COUNTRY :

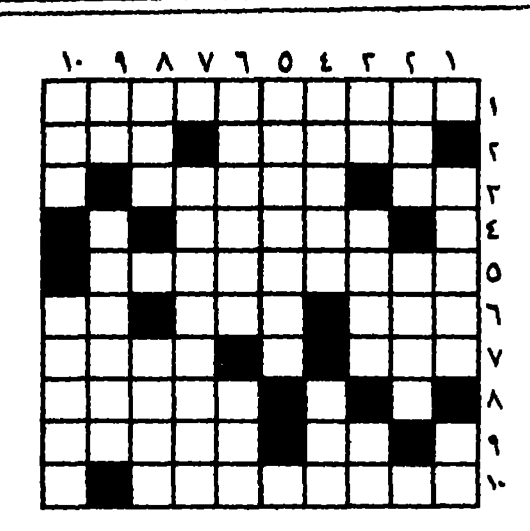
I wish to subscribe to the periodical (s) ticked below and enclose herewith □ cheque □ Draft for ....
□ Al-Arabi Magazine □ Al-Arabi Book □ Al-Arabi Al-Sagheer Magazine □ Al-Kuwait Magazine □ Mena Al-Masrah Al-A'alami Series □ A'alam Al-Fikr Magazine □ The Official Gazette (Kuwait Al-Youm).



الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر فى المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة .

والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذى سينشر فى العدد القادم .



كلمات أفقية

١ ـ صحابية جليلة حاربت الإسلام أولا ، ثم أسلمت وشهدت معركة اليرموك
٢ ـ ملكة فرعونية لامعة زوجة ايزوريس وأم حورس ، شرط فرعي في اتفاقية .
٣ ـ شَعَر ، الاسم الثاني لرئيسة وزارة دولة أوربية
٤ ـ شَعَر بالحنين ، ثارِ الغبار
٥ ـ امرأة لعبت دوراً كبيراً في سياسة الارجنتين
٦ ـ صحب(معكوسة)، حجر ثمين ، حرفان متشابهان
٧ ـ قطة ، مؤذن الرسول (ص) متفرقة
٨ ـ من القلب
٩ ـ فتح (الرسالة) ، بددنا متفرقة
١٠ ـ زوجة عالم فرنسي اشتركت معه في اكتشاف الراديوم

كلمات عمودية

١ ـ جارية خليفة أموي اشتهرت بجمال صوتها ، حرف نفي وجزم
٢ ـ آدميون ، يرتدي ملابس الإحرام
٣ ـ يد (معكوسة)، ابنة الخليفة عمر وزوجة رسول الله (ص) ، هرب
٤ ـ سبقتنا وتفوقت علينا ، قبل ووافق
٥ ـ تجدها في أنياب ، غيَّر
٦ ـ تقترض ، سرداب
٧ ـ امرأة حكمت إحدى ديار الإسلام فترة وجيزة وماتت ميتة محزنة
٨ ـ خام الذهب ، حسناء اقترن اسمها باسم شاعر مجنون
٩ ـ حب يصنع منه مشروب للضيافة ، [illegible]

القمح والأرز حبوب يعيش عليها ملايين البشر . ترى أيها يفوق الآخر من حيث كمية ما ينتج منه سنويا ؟ وأيها يتفوق من حيث كمية ما يتداول منه في الأسواق العالمية ؟

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ر	و	د	ل	ف	د	ي	ز	ل	■
٢	ز	أ	ي	س	■	ق	ن	و	ع	أ
٣	ر	ط	ل	أ	ن	■	س	ر	أ	ب
٤	ف	■	ي	ن	س	ا	ب	■	ب	ن
٥	و	ك	س	ة	■	ل	■	أ	■	أ
٦	ر	و	ب	■	ح	ف	ي	د	■	ل
٧	د	د	س	ي	■	ي	د	ي	ن	هـ
٨	■	أ	■	ن	د	ة	■	س	ت	ي
٩	م	ك	ي	د	هـ	■	م	و	ن	ث
١٠	س	■	ي	ك	م	ل	و	ن	هـ	م

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٧٤
يناير ١٩٩٠

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الإجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الصفاة . الرمز البريدي 13008 ـ الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٧٤ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات إلينا هو ١٥ فبراير ١٩٩٠م . والرجاء كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي واضحين ـ ورقم الهاتف

....
....

...cked below and enclose herewith □

....

... Al-Arabi Al-Sagheer Magazine □
...l-A'alami Series □ A'alam Al-Fikr
Al-Youm).

١ نجح الإنسان في صنع الخبز من القمح قبل حوالي ٨٠٠٠ سنة . ترى أين كان ذلك ؟
× بين النهرين .
× في الصين .
× في أواسط أوربا .

٢ اخترع الإنسان المحراث حوالي سنة ٣٠٠٠ ق.م. ترى متى بدأ في تسخير الثيران لجر ذلك المحراث ؟
× عقب اختراع المحراث مباشرة .
× قبل اختراع المحراث بزمن طويل ، أيام نجح الإنسان في استئناس الثيران .
× تأخر تسخير الثيران لجر المحاريث حتى سنة ١٥٠٠ ق.م. .

٣ الصين أو كندا: أي الدولتين تفوق الأخرى من حيث كمية القمح التي تنتج سنويا ؟

٤ الذرة ، تستعمل غذاء للإنسان ، وعلفا للحيوان أيضا . ترى أي الاستعمالين يفوق الآخر من حيث كمية الذرة التي تستهلك فيه ؟
× كميات الذرة التي تستعمل علفا للحيوان تبلغ أضعاف الكميات التي تستعمل غذاء للإنسان .
× كميات الذرة التي تستعمل غذاء للإنسان هي الأكثر ، إذا أخذنا بعين الاعتبار زيت الذرة الذي تضاعف الإقبال عليه في المدة الأخيرة .
× الكميات متساوية تقريبا .

٥ الولايات المتحدة الأمريكية والدانمارك : أي الدولتين تتفوق من حيث انتاجية القمح فيها ، علما بأن

الانتاجية هي مقدار ما يجود به الفدان الواحد من القمح ؟

٦ في أي الفصول يزرع القمح ؟

× في فصل الخريف .
× في فصل الربيع .
× في فصل الصيف .
× في فصل الشتاء .

٧ الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية ، أي الدولتين تتفوق من حيث زراعة القمح وكمية انتاجه ، وأيهما تتفوق من حيث كمية استيراده ؟

٨ أي الحبوب اتخذها الإنسان غذاء رئيسا له ، قبل نجاحه في زرع القمح ، قبل حوالي ١٠,٠٠٠ سنة ؟

× الشعير .
× الشوفان .
× القمح البري .

٩ حبة الأرز أو حبة الشعير: أي الحبتين أغنى بالبروتينات ؟



١٠ أي النباتات التالية يمكن زراعتها في المناطق القطبية الشمالية ، وفي المناطق الاستوائية في آن واحد :

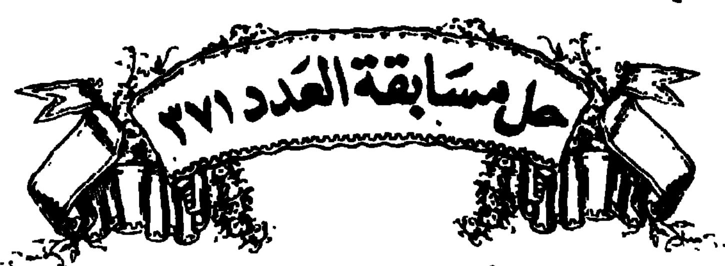
× القمح ؟
× الأرز ؟
× القطن ؟

١١ القمح أو الذرة : أي الحبتين أغنى من الأخرى من حيث مقدار ما تحتويه من الحريرات (مقدرة بالميلغرامات في المائة غرام) ؟

١٢ من المعروف أن الخبز الأسمر يحتوي على نخالة القمح المفيدة في عملية الهضم ، وأن الخبز الأبيض خال من هذه النخالة ، على أن النخالة شيء والقيمة الغذائية شيء آخر . ترى أي النوعين من الخبز يمتاز على الآخر من حيث قيمته الغذائية (ما يحتويه من حريريات وبروتينات وفيتامينات وأملاح) .

× الخبز الأبيض هو المتميز ، فهو أنظف ، وخال من الشوائب .
× النوعان متساويان من حيث القيمة الغذائية .
× الخبز الأسمر هو الذي يتميز من حيث قيمته الغذائية .

١٣ القمح والأرز حبوب يعيش عليهما ملايين البشر . ترى أيهما يفوق الآخر من حيث كمية ما ينتج منه سنويا ؟ وأيهما يتفوق من حيث كمية ما يتداول منه في الأسواق العالمية ؟



أكتوبر ١٩٨٩

١ سفينة التيتانيك هي التي غرقت سنة ١٩١٢م نتيجة اصطدامها بجبل جليدي ، وقد كانت ضخمة فخمة ، وبلغ من إتقانها أنها اشتهرت بأنها السفينة التي لا تغرق .

٢ قامت الحرب بين روسيا واليابان سنة ١٩٠٤م ، وذلك للتعارض بين مصالح الدولتين الاستعماريتين في الصين ، وقد حاولت كل منها بسط نفوذها على كل من كوريا ومنشوريا . وكان النصر حليف اليابان في كل المعارك البرية والبحرية . وهزمت روسيا ، وانتهت الحرب بمعاهدة سنة ١٩٠٦م .

٣ الزلزال الذي ضرب مدينة سان فرنسيسكو سنة ١٩٠٦م ، هو الذي تسبب بحريق سان فرنسيسكو الشهير . وقد بلغ الدمار الذى حل بالمدينة أن عدد المشردين الذين باتوا بلا مأوى قد وصل ٢٠٠,٠٠٠ نسمة .

٤ *كانت النرويج مستعمرة دنماركية ، حتى سنة ١٨١٤م ، حين ضمتها السويد إليها ، وظلت [illegible] المملكتين ، الى أن نالت [illegible] استقلالها سنة ١٩٠٥م [illegible] ملكية نظاماً* لحكمها ، واختارت أميراً دنماركياً ليكون ملكها الأول « الملك هاكون السابع » .

٥ إميلين بنكهرست (١٨٥٧ - ١٩٢٨) ، هي التي تزعمت الحركة النسائية التي حققت للمرأة الانكليزية حق الاقتراع ، وقد ساعدها في هذا النشاط الخطير ابنتاها كريستابل وسلفيا .

٦ « صَن - يات - صِنْ » (١٨٦٦ - ١٩٢٥) زعيم صيني مثقف قاد الثورة الوطنية في الصين ، وأطاح بحكم آل مانشو فيها سنة ١٩١١م ، وأعلنت الصين جمهورية عقب ذلك .

٧ ادعى كلا المكتشفيْن الوصول الى القطب الشمالي سنة ١٩٠٩م ، إلا أن ادعاءهما كان ومازال موضع طعن . ولا يعرف على وجه اليقين أيهما وصل الى القطب قبل الآخر ، ولا حتى إن كانا قد وصلا الى القطب الشمالي كما يزعمان .

٨ *وصل كلا المكتشفيْن الى القطب الجنوبي سنة ١٩١١م دون أدنى ريب ، ولكن المكتشف النرويجي روالد أموندسن كان السبّاق ، وقد وصل الى القطب الجنوبي قبل ٣٤ يوماً من وصول سكوت*

إليه . ذلك ماتؤكده مذكرات سكوت نفسه ، فضلاً عن مذكرات أموندسن .

٩

ظهرت الحركة الكشفية للأولاد سنة ١٩٠٨م ، وللبنات سنة ١٩١٠م ، ذلك في بريطانيا ، بفضل روبرت بادن باول (١٨٥٧ - ١٩٤١) ، الضابط في الجيش البريطاني آنذاك .

١٠

كان البث الإذاعي الصوتي الأول في شهر ديسمبر سنة ١٩٠٦م ، في مدينة ماساتشوستس في الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان فِسِنْدِنْ هو صاحب الفضل في ذلك الإنجاز ، على أن المسافة التي قطعها البرنامج الإذاعي الرائد الذى أعده ذلك العالم ، والذي اشتمل على بعض الأحاديث والموسيقا لم يتجاوز مسافة (٢٤) كيلومتراً . ولم يبلغ البث الإذاعي من القوة التي نعرفها اليوم ، والتي تمكنه من قطع آلاف الكيلومترات إلا في العشرينيات .

بلغ مجموع ماصنعه هنري فورد (١٨٦٣ - ١٩٤٧) من سيارته المعروفة (بطراز T) ١٥ مليون سيارة ، وكان ذلك رقماً مذهلاً في وقت لم يزد إنتاج مصانع السيارات فيه على بضعة آلاف أو مئات من السيارات .

ثورة الملاكمين وقعت في الصين سنة ١٩٠٠م ، وكانت حركة قومية معادية للأجانب والنفوذ الأجنبي في الصين ، وقد قتل الكثيرون أثناءها ، وحوصرت السفارات الأجنبية في بكين .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٧١ أكتوبر ١٩٨٩

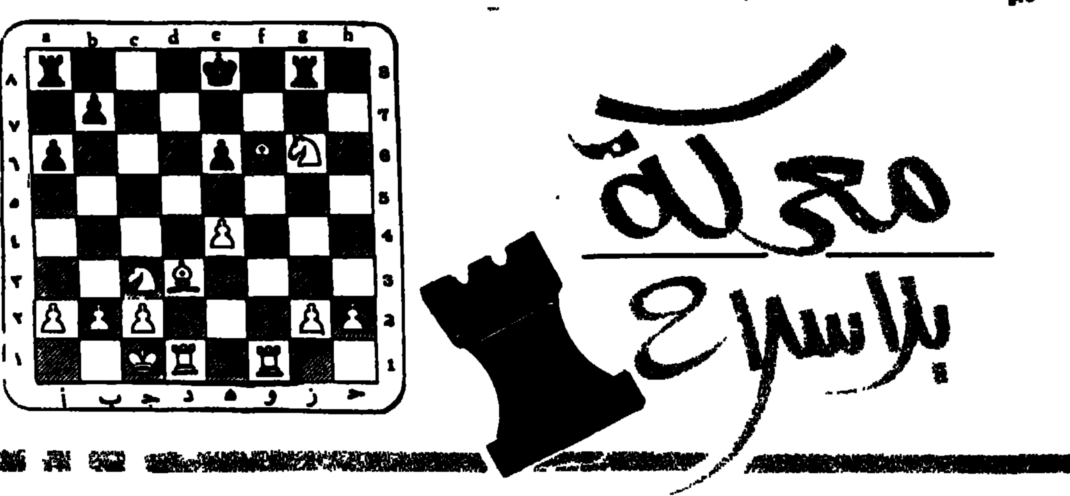
الجائزة الأولى : أحمد عبدالغني محمود / المملكة الأردنية الهاشمية

الجائزة الثانية : أحمد توفيق بصل / جمهورية مصر العربية

الجائزة الثالثة : روميو خوسن سليمون / الجمهورية العراقية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - حسن عبدالعزيز/ المملكة المغربية
٢ - خالد محمد صالح عبدالله الدعيس/ الجمهورية العربية اليمنية
٣ - سامر تيسير الكمشة/ دولة الكويت
٤ - حمود بن عبدالله بن هاشل الحبسي/ سلطنة عمان
٥ - يحيى محسن الملحم/ المملكة العربية السعودية
٦ - محمد ضعيف بن أحمد/ الجمهورية العربية السورية
٧ - هشام فوزي دسوقي درويش/ دولة قطر
٨ - الخليل محمد حبت/ موريتانيا



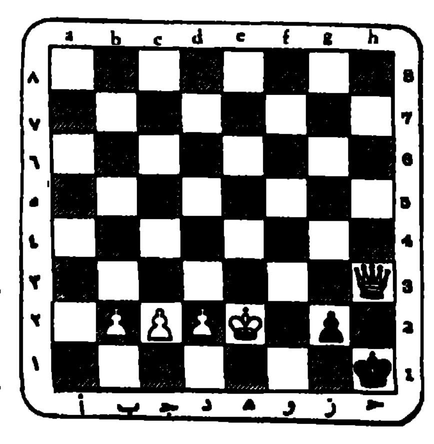
الشطرنج ناجح بالمراسلة في المباريات الدولية ، فلماذا لا ينجح بالهاتف ؟ سؤال يتردد على ألسنة الكثيرين من هواة الشطرنج بالمراسلة الذين يرون في الهاتف وسيلة أسرع بكثير من المراسلة ، إذ تستغرق المباراة الدولية بالمراسلة سنوات عديدة . غير أن العقبة الكبرى التي يواجهها الشطرنج بالهاتف هي عدم وجود سجل مكتوب متفق عليه ، يمكن الاحتكام إليه عند نشوء المنازعات الناجمة عن اللبس في الرسائل الهاتفية .

وجاء أحدث المقترحات لحل هذا الإشكال من ألمانيا ، ويتضمن الحل استحداث رقم وسيط ، يتصل اللاعبون به ، بدلاً من الاتصال بالمراسل مباشرة ، وبذلك يمكن إيجاد سجل مستقل ، يمكن الرجوع إليه لحسم النزاعات ، وتحديد مواقيت المباريات ، ومواعيد الاتصال الهاتفي بين لاعبي الفرق المشاركة . وبذلك يمكن إقامة المباريات بين المجموعات التي تتألف من عشرة لاعبين في آن واحد ، بمعدل نقلة واحدة يومياً ، وعدة نقلات في أيام العطل الأسبوعية ، وتنص قوانين اتحادات الشطرنج في العديد من دول العالم ، كبريطانيا على سبيل المثال ، على اللجوء إلى مباريات الشطرنج بالهاتف ، عندما تفصل مئات الأميال بين الأندية المتنافسة ، كما تنص أيضاً على ضرورة تعيين الحكام المحايدين لضبط المباريات .

أما الشطرنج بواسطة التلكس فقد ازدهر مؤخراً ، وبخاصة في سلسلة المباريات التي أقيمت بين المدن الأوربية ، وانتهت بفوز مدينة لندن على جميع المدن الأوربية المشتركة التي كان من ضمنها دبلن وتلبرغ وامستردام وبلغراد واندهوفن الهولندية التي جاء ترتيبها الثانية .

وقد عينت المدن المشاركة لجاناً من الخبراء لتحديد النقلات ، فلندن على سبيل المثال كانت تذيع النقلات عن طريق إذاعة مدينة لندن كل يوم صباحا ، بين الساعة السابعة والثلث والسابعة والنصف ، وكانت المواقف تعرض على رقعة خارج مكتبة المركز الثقافي المتبنيّ للمباراة ، وكان صاحب

● مسألة العدد ٣٧٤



مـات ١٢

من إهداء : خالد ناصر (بغداد)

نفضل اقتراح للنقلة القادمة يومياً يفوز بتذكرتين لأحد فعاليات المراكز الثقافية المهمة .

والدور التالي الذي اخترناه لكم من أشد الأدوار بين المدن الأوربية إثارة ، وهو من الدفاع الصقلي .

□ لندن (بريطانيا)	■ اندهوفن (هولندا)
١ ـ هـ ٤	جـ ٥
٢ ـ ح ـ و ٣	د ٦
٣ ـ د ٤	جـ × د ٤
٤ ـ ح × د ٤	ح ـ و ٦
٥ ـ ح ـ جـ ٣	أ ٦
٦ ـ ف ـ ز ٥	هـ ٦
٧ ـ و ٤	ف ـ هـ ٧
٨ ـ وزير ـ و ٣	وزير ـ جـ ٧
٩ ـ ت ت (طويل)	ح (ب) ـ د ٧
١٠ ـ ف ـ د ٣	حـ ٦
١١ ـ و ـ حـ ٣	ح ـ ب ٦
١٢ ـ ر (حـ) ـ و ١	هـ ٥
(ف ـ د ٧ أفضل)	
١٣ ـ ح ـ و ٥	ز ٦ ؟
١٤ ـ ح × هـ ٧ (مضحياً بالوزير)	ف × حـ ٣
١٥ ـ ف × و ٦	ف ـ هـ ٦
١٦ ـ و ٥	ر ـ و ٨
(ف ـ جـ ٤ أفضل بكثير)	
١٧ ـ و × هـ ٦	و × هـ ٦
١٨ ـ ح × ز ٦	ر ـ ز ٨ (الشكل)
١٩ ـ ف ـ ب ٥ + !	أ × ب ٥
٢٠ ـ ح × ب ٥	و ـ حـ ٧
٢١ ـ ح × د ٦ +	م ـ د ٧
٢٢ ـ ح ـ جـ ٤ +	م ـ جـ ٦
٢٣ ـ ر ـ د ٦ +	م ـ جـ ٥
٢٤ ـ ر × ب ٦	ر × ز ٦
٢٥ ـ ف × هـ ٥	ر ـ أ ٤
٢٦ ـ ب ٤ +	م × جـ ٤
(خوفاً من ف ـ د ٦ لو أخذ البيدق)	
٢٧ ـ ر ـ و ٣	ر ـ ز ٣ (مضطراً)
٢٨ ـ حـ × ز ٣	و × هـ ٤
٢٩ ـ ر ـ جـ ٣ +	يستسلم (لماذا ؟)

□□□

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ أحمد الخالد ـ دمشق / سوريا
٢ ـ حسن عاطي الناصري ـ الطائف / السعودية
٣ ـ يوسف ميخائيل ـ المنيا / ج م ع
٤ ـ اسماعيل صقر ـ السالمية / الكويت
٥ ـ خولة المسعودي ـ سبيبة / تونس

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ محمد صالح عبّاد ـ كريتر / اليمن الديمقراطي
٢ ـ عبد السلام الجميلي ـ الفلوحة / العراق
٣ ـ فاطمة أصغر علي ـ الرفاع الشرقي / البحرين
٤ ـ زكي سالم بكران ـ ألمانيا الديمقراطية
٥ ـ ناصر صندوقه ـ عمان / الأردن

حل مسألة العدد ٣٧٢ نوفمبر ١٩٨٩م

١ ـ ف ـ هـ ٧ ٢ ـ ح ـ و ٥ ٣ ـ ح ـ حـ ٦ + ٤ ـ ف ـ و ٦ (مات)

حوار القراء

العربي - ص. ب : ٧٤٨ الصفاة - الرمز البريدي : 13008 الكويت

عجائب ومعلومات



الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،
تحية طيبة وبعد ،

● أنا من قراء المجلة الدائمين ، ولا يفوتني أي عدد منها دون قراءة ، ثم محاولة حل المسابقة الثقافية الممتعة . وفي مسابقة العدد ٣٦٨ لشهر يوليو ٨٩ لاحظت أن السؤال الأول يسأل عن عجيبتين من عجائب الدنيا السبع ، ووضع عدة اختيارات للإجابة ، وكان الاختيار الأول كما يلي :

ضريح (موسولوس) ومعبد (أرتيميس) ، وقد أقيما في آسيا الصغرى (تركيا حاليا) ، وفي محاولة للإجابة بحثت عن هاتين العجيبتين فوجدت أنهما شيء واحد هو :

ضريح هاليكارناسس ، وهو بناء يشبه في الغرض بناء الأهرام ، أي لاستخدامه مقبرة لرفات الملك موسول (تستخدم كلمة موسول في اللغات الأوربية وهي تعني ضريحا)، وقد أقيم هذا البناء في هاليكارناسس في آسيا الصغرى عام ٣٥٢ ق . م . بناء على رغبة الملكة أرتيميس تخليدا لزوجها المتوفى .

أما العجيبة الثانية التي كان يجب أن تذكر فهي معبد ديانا في آسيا الصغرى الذي أقيم في سنة ٦٢٠ ق . م والذي اشتركت في بنائه شعوب آسيا الصغرى لتحتفظ فيه بكنوزها خوفا عليها من السرقة ، وليكون مزارا .

القاريء : صدقي محمد نصار
الاسكندرية : جمهورية مصر العربية

العربي

- بخصوص المعلومات التي أوردتها في رسالتك نود أن نقول :
إن ضريح (موسولوس) ومعبد أرتيميس ليسا شيئا واحدا ، إن معبد (أرتيميس) هذا هو نفسه معبد (ديانا) الذي تشير إليه في رسالتك ، وكأنه عجيبة غفلنا عن ذكرها . ذلك أن ديانا هو الاسم الروماني للإلهة التي سماها الاغريق أرتيميس . وقد بني هذا المعبد سنة ٣٥٠ ق م (تقريبا) في بلدة افيسوس في تركيا ، ثم دمرته قبائل القوط سنة ٢٦٢ م

لكن تدميره لم يكن كاملا بحيث بقيت منه اثار تدل عليه .

أما ضريح هاليكارناسس فهو قبر ملك بلدة كاريا في هاليكارناسس . في تركيا أيضا ، وكان اسم هذا الملك (موسولوس) ، وقد بنى قبره حوالي سنة ٣٢٥ ق . م وهو من العجائب السبع التي لم تندثر بالكامل ، ولم تبق كذلك بالكامل .

□□□

النباتات الطبية في الوطن العربي

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

● يسرني أن أتقدم إليكم وإلى جميع أسرة تحرير مجلة « العربي » بأطيب التحيات القلبية الحارة

بخصوص موضوع النباتات الطبية في جزيرة سوقطرة المنشور في العدد ٣٦٥ ابريل ١٩٨٩ م ،بقلم على سالم باذيب ، أحيي الكاتب على أسلوبه الشيق ، والمعلومات الوافية عن هذه النباتات المجهولة ، وأشكره على متابعاته الجادة عن سوقطرة ونباتاتها الطبيعية ، ولدينا نحن أهل المنطقة رغبة جامحة في نشر مزيد من المعلومات عن الحياة الطبيعية والبشرية للجزيرة ، وعن ماضيها وحاضرها بتفصيل أكثر ، إضافة إلى تقديم مزيد من المعلومات عن أماكن أخرى من الوطن العربي ، تكثر فيها مثل هذه النباتات الطبية الفنية الفريدة في نوعها .

القارىء : عبد الله غانم أحمد
جزيرة سوقطرة
جمهورية اليمن الديمقراطية

□□□



الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

● أتوجه بخالص الشكر لأسرة مجلة « العربي » على عدد شهر سبتمبر رقم (٣٧٠) الذي حفل بالكثير من الموضوعات الشيقة والاستطلاعات الناجحة ومقالات فيها من الفائدة والموضوعية ما تشكرون عليه .

بكل صراحة ألاحظ في حوار القراء أن كثيرا من الرسائل تهيب بالمجلة بأن تهتم بالموضوعات والمقالات المختصة بالحضارة والتراث العربي والإسلامي وتكثر

حوار القراء



منها ، وعلى الرغم من ذلك ألاحظ أنه مع مرور الوقت قلة هذه الموضوعات ، حتى كادت تختفي نهائيا من المجلة .

الاستاذ رئيس التحرير ، نتمنى عليك أن تعاود الكتابة عن كتب التراث ، مثلما حدث في العدد (٣٥١) فبراير ١٩٨٨ ، فقد كان أجمل ما قرأنا عن كتب التراث ، وللعلم فإن استعراضكم لجمال كتبنا ومخطوطاتنا العربية مع ذكر كتاب الذخائر والتحف جعلنا نقرأ الكتاب من أوله لآخره .

كما نود لو نشر القليل عن الهيئات المتخصصة بإصدار المطبوعات والأبحاث الأثرية التي تتناول العمارة والفنون الإسلامية لكي نستفيد بمعلومات حول أهمية وجود مثل هذه المدارس .

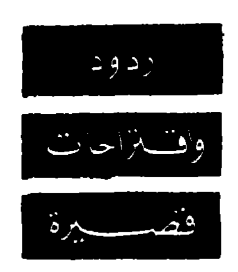
القاريء : هشام عبدالعظيم عبدالفتاح
القاهرة - جمهورية مصر العربية

العربي

- تحاول المجلة التنويع في المواد المنشورة ، ولا يكاد يخلو عدد من موضوع يتناول جانبا من التراث أو سيرة أحد العلماء ، أو دراسة في مخطوطة أو غير ذلك ، أما الجهات المسؤولة عن التراث والمخطوطات في الكويت فهي : ،

وزارة الإعلام - إدارة المتاحف والآثار - والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - وجامعة الكويت ، وهذه المؤسسات لديها نشرات خاصة ، وإصدارات حول قضايا التراث والمخطوطات .

□□□



● القاريء جمال محمود درويش من فلسطين المحتلة ،

- يطلب من المجلة أن تسلط مزيدا من الضوء على انتفاضة الشعب العربي في فلسطين المحتلة ، وتعريف العالم أكثر وأكثر بما يفعله « الإسرائيليون » لإخماد هذه الانتفاضة بشتى الطرق الوحشية من تعذيب ونفي وإبعاد ، وهدم للمنازل على رؤوس أصحابها الأبرياء ، وإغلاق المدارس .

إن مجلتنا « العربي » تصل إلى أوربا وأمريكا ودول بعيدة ، ربما لا تصلها وسائل الإعلام العربية التي تنقل صورة حقيقة لما يجري في فلسطين المحتلة . نتمنى عليكم جميعا لو تم إبراز الأعمال البطولية للشعب العربي الفلسطيني ، حتى يتبين العالم حقيقة ما يحدث .



ونقول للقاريء العزيز : إن المجلة ستنشر قريبا استطلاعا مصورا من داخل فلسطين المحتلة ، يبرز كل الأعمال البطولية التي نفتخر نحن العرب جميعا بها .

● القاريء عمار الخير عيسى القاضي ، من الخرطوم - بحري - السودان ، يشكو عدم انتظام وصول « العربي » إلى السودان ، وأنها تنفد بسرعة من المكتبات .

● القاريء خالد يوسف علي عيسى ، من جدة - المملكة العربية السعودية ، يشيد بالعدد ٣٦٩ - أغسطس ١٩٨٩ ، ويبدي إعجابه بالاستطلاع المنشور عن (العراق - الطبيعة والتاريخ) .

● القاريء مازن أحمد السويدي ، من الدقهلية - جمهورية مصر العربية ، يقترح لباب مختارات من المكتبة العربية نشر سعر بيع الكتاب بعملة البلد الذي صدر فيه الكتاب .

● القاريء الحبيب بيباه من منطقة العيون - بالمملكة المغربية ، يبدي حرصه الشديد على اللغة العربية ، ويحذر عن عدم الاهتمام بها ، وتغليب اللهجات المحلية ، ويقول : إننا كلنا مسؤولون عن المحافظة عليها ، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، ولو أهملنا حالها ، وعدم تنقيحها ، وإيجاد المصطلحات التي تليق بأجهزة العصر ، فقد أهملت الشعوب الأخرى ثقافتنا ، وانزوينا في ركن نبكي على حظنا العاثر .

● القاريء أشرف محمد كشك ، من محافظة دمياط - جمهورية مصر العربية ، يقترح تخصيص باب تعرض فيه أعمال الشباب الموهوبين من قصة أو مقال أو شعر ، وذلك لرعاية تلك المواهب الشابة ، وإتاحة الفرصة لهم للتعبير عن أنفسهم .

● القاريء نور الدين بن عزيز الجميعي ، من جربة - تونس ، يقترح أن تقوم المجلة بزيارة الأماكن الأثرية في الوطن العربي ، وبعض المناطق الأوربية التي تحوى أمهات التحف العربية .

● القاريء طلال عبود - حلب - سوريا يقول : إن المجلة تصل متأخرة جدا إلى منطقته ، ويطلب أن تصل المجلة مع بداية الشهر .

● القاريء أحمد عبد الواحد جمعة رشوان ، بعث رسالة طويلة ، تحمل وجهة نظر حول حديث الشهر الذي كتبه رئيس التحرير حول التجمعات العربية في العدد رقم ٣٦٥ شهر ابريل سنة ١٩٨٩ م .



● القاريء زياد بشير عكيلة من عمان - الأردن ، يطلب من المجلة أن تقوم بزيارة الأردن للقيام باستطلاع مصور عن الصناعة المتقدمة المتنوعة فيه .

● القاريء نوفل محمد المثني من تعز - الجمهورية العربية اليمنية ، يقترح أن ينشر حديث الشهر الذي يكتبه رئيس التحرير ضمن سلسلة كتاب « العربي » الدوري .

بريد القراء

● القاريء علي اسماعيل يافي من حماة - سوريا ، يقول : إنه طالب في قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة حمص في القطر العربي السوري ، ولديه ميول أدبية تدفعه إلى كتابة الشعر ، ولديه رغبة قوية للمساهمة بالنشر في المجلة . ونحن نقول له : إن مجال النشر مفتوح للجميع إذا ما توافرت شروط النشر ، وأجيزت المادة من قبل لجان القراءة في المجلة .

● القاريء مصطفى البقاعي ، من دمشق - سوريا ، يطلب التوسع في موضوع « تطويل الأطراف » الذي كتبه د . وليد السباعي في العدد رقم (٣٦٥) ابريل ١٩٨٩ .

● القاريء أمين عبدالله علي محشر ، محافظة شبوه - جمهورية اليمن الديمقراطية ، يشكو من عدم وصول المجلة إلى محافظته بشكل منتظم ، وهذا مما يعيقه عن متابعة المجلة بالشكل المطلوب . ونحن نحيل الطلب إلى مؤسسة ١٤ اكتوبر ، فهي الموزع الوحيد للمجلة داخل هذا القطر العربي الشقيق .□



من المكتبة العربية

قصة ديون مصر الخارجية من عصر محمد علي إلى اليوم

تأليف : الدكتور جلال أمين / عرض : عبدالغني داود

عندما رحل محمد علي عن العالم كانت مصر خالية تماما من أي دَيْن ، وبعد أقل من ١٥ عاما كانت مثقلة بالديون الخارجية ، ومع نهاية الحرب العالمية الثانية كانت مصر دائنة لبريطانيا ، واليوم تثقل الديون الخارجية كاهلها .

ديون مصر الخارجية من عصر محمد علي إلى اليوم وتشابكاتها السياسية تضمها دفّتا هذا الكتاب .

هذا الكتاب في مقدمة وعشرة فصول . يرى المؤلف في المقدمة أن الديون قد أصبحت في الواقع هي البديل الحديث للاحتلال العسكري . وفي الفصل الأول يستعرض تاريخ مصر ، من عصر محمد علي الذي استطاع أن يجعل التجارة الخارجية هي المحرك الأول لعجلة الاقتصاد ، بعد أن دمج مصر في الاقتصاد العالمي . ويرى أن تجربة محمد علي كانت تجربة رائدة في (الاعتماد على الذات) والتنمية المستقلة ، لأنها لم تكن تستورد الغذاء ، وكان محمد علي يتمتع بدرجة عالية من القدرة على المساومة مع المصدرين والمستوردين على السواء ، وأنه لم يسمح لنفسه قط بالتورط في الديون ، ويتجنب دائما التورط في مشروعات تفوق أعباؤها موارد البلاد المالية . وقد رحل عن العالم عام ١٨٤٩ دون أن تكون مصر مدينة لأحد بقرش واحد .

عهد سعيد باشا

ولكن للأسف جاءت شخصيات الولاة في أعقاب محمد علي منسجمة تمام الانسجام مع حاجة رأس المال الأوربي ، فإذا بالطلب يخلق العرض ، والعرض يخلق الطلب ، في دائرة جهنمية ، أودت بإستقلال مصر الاقتصادي والسياسي معا .

إذ لم يمض وقت طويل على اعتلاء سعيد باشا

ويزداد التجاء مصر منذ (١٩٦٥/٦٤) إلى الاقتراض القصير الأجل بأسعار فائدة باهظة ، كان من شأنها أن تصيب بالدهشة الخديو اسماعيل نفسه . ويرى المؤلف أن لجوء مصر إلى الاقتراض في ذلك الوقت كان مبرراً تماما ، حتى لو ثبت أن أخطاء معينة قد ارتكبت في توزيع الاستثمارات .

سعيد والسادات

وفي الفصل الثامن ـ وعنوانه (ديون السادات في سنوات الرخاء) ـ يقارن المؤلف مرة أخرى عصر السادات بعصر الخديو اسماعيل الذي لم يكن تورطه في الديون مصدره الميل الى البذخ والإنفاق ، وإنما كان السبب توافر أموال سائلة في المصارف الأوربية ، كانت تبحث عن فرص الاستثمار المجزي في الخارج ، والشيء نفسه حدث في أعقاب ١٩٧٣ ، حيث توافر للمصارف الأوربية والامريكية كميات هائلة من الأموال السائلة ، نتيجة لما سمي إعادة تدوير عائد النفط ، في أعقاب ارتفاع سعره ، وكانت هذه المصارف تبحث بدورها عن مجال لتوظيف هذه الأموال خارج بلادها . ويتوقف المؤلف عند عام ١٩٧٥ الذي سعت فيه الحكومة المصرية لدى بعض الأقطار العربية لزيادة حجم المعونات العربية المقدمة لمصر ، فرفضت هذه الأقطار بحجة أنه ليس لديها مايضمن أن مصر سوف تحسن استخدام ماتقدمه لها من معونات .

وفي صباح أحد أيام نوفمبر ١٩٧٧ ، كان المصريون يحتفلون بعيد (الأضحى) استيقظ الناس على خبر زيارة رئيس الجمهورية المصرية للقدس . ويرى المؤلف أنه ربما كان قبول رئيس الجمهورية لزيارة القدس واحدا من الشروط المفروضة عليه ، من أجل التدخل لإنقاذه ، لذا فعام ١٩٧٧ هو العام الذي أجبرت فيه مصر على تقديم أكبر تنازل في المجال السياسي منذ زمن طويل ، ويردف قائلا : إن عام ١٩٧٧ أيضا هو العام الذي أجبرت فيه مصر على تقديم أكبر تنازل في الميدان الاقتصادي ، حيث قبل السادات توصيات المجموعة الاستشارية المجتمعة في باريس ، فالسادات ـ فيما يبدو ـ كان على استعداد للذهاب إلى أبعد مما ذهب إليه الخديو اسماعيل ، إذ بينما حاول الخديو اسماعيل مقاومة اشتراك ممثل لبريطانيا وآخر لفرنسا ، كوزيرين في مجلس الوزراء المصري ، فكلفه ذلك عرشه في ١٨٧٩ ، قبل السادات القيام بزيارة القدس في ١٩٧٧ فاستحق بذلك رضا الأمريكيين والدول الغربية وهيئات المعونة الدولية والغربية ، وإذا بمصر تلجأ في فترة لم تشهد مثلها طوال سبعين عاما على الأقل ، إلى مزيد من الاستدانة ، وإذا بنا نجد الديون الطويلة الأجل والمتوسطة الأجل التي كانت قد بلغت ٨ر٤ بلايين دولار في ١٩٧٥ ، وزادت إلى ١ر٨ بلايين دولار في ١٩٧٧ ، وتزيد بنسبة ٧٦٪ في السنوات الأربع التالية فتصل إلى ٣ر١٤ بليون دولار في ١٩٨١ ، ولم يقترن توقيع اتفاقية كامب ديفد مع « اسرائيل » في ١٩٧٩ بتخفيض الإنفاق العسكري ، بل على العكس ، زاد هذا الإنفاق بشدة في أعقابها ، وزاد الاتجاه في تمويله إلى القروض الخارجية أيضا ، ويؤكد المؤلف ـ مرة أخرى ـ على التشابه بين تجربة الاقتصاد المصري في عهد السادات وبينها في عهد الخديو اسماعيل في أنه على الرغم من الازدهار الواضح في مصادر النقد الأجنبي فإن ذلك لم يمنع من التورط في المزيد من الديون في الوقت الذي كان يجب فيه أن تستخدم الموارد الذاتية الجديدة في تسديد الديون السابقة ، ففي الحالتين ـ وعلى الأخص في عصر السادات ـ استخدم جزء كبير من هذه القروض في تمويل مشروعات لاتضيف إضافة ملحوظة إلى

الإنتاج ، بما في ذلك شراء السلاح ، الأمر الذي لابد أن يثير التساؤ ل مرة أخرى عن نوع النصائح أو (الضغوط) التي كان يتعرض لها الحاكم

ظروف جديدة

عند وفاة السادات كان إجمالي ديون مصر نحو ٣٠ بليونا من الدولارات ، ولكن اقترنت نهاية عصر السادات بظروف جديدة ، بدا فيها أن فترة الرخاء القائم على تدفق ايرادات النفط ، وتزايد تحويلات العاملين بالخارج ، وإيرادات قناة السويس والسياحة قد انخفضت ، ففي





● الخديوي اسماعيل ● جمال عبد الناصر

السنوات الأربع التالية لمقتل السادات (٨١/٨٢ - ١٩٨٦/٨٥) انخفضت ايرادات النفط بنسبة ٣٦٪ ، وأصاب الركود مصادر الدخل الثلاثة الأخرى التي تحدثوا عنها ، بدرجات متفاوتة ، مع انهيار أسعار النفط ، بينما ظل معدل تدفق الاستثمارات الأجنبية الخاصة ثابتا تقريباً عند زهاء بليون دولار سنويا . وتبنت الإدارة الاقتصادية في عهد الرئيس حسني مبارك معدلاً مرتفعاً للاستثمارات ، خاصة في المرافق العامة ، ولم تحجم [illegible] الواردات أو الإنفاق العسكري بدرجة كافية من التخفيض ، مع الاستمرار في الاعتماد على القروض الخارجية في تمويل العجز [illegible] والمتطلبات ، بدلا من تخفيض [illegible]

والوسطية ، والتضحية بارتفاع معدل النمو ، وتخفيض دعم الإنفاق العسكري ، بما يخفف عبء ميزان المدفوعات ، واتخاذ إجراءات حادة لإعادة توزيع الدخل ، وترشيد توزيع الاستثمارات ، مما أدى إلى ارتفاع إجمالي ديون مصر الخارجية المدنية والعسكرية من ٣٠ بليون دولار في منتصف ١٩٨١ ، إلى نحو ٤٥ بليون دولار في منتصف ١٩٨٦ ، أي بزيادة ٥٠٪ في خمس سنوات . ويعترض المؤلف على هذه السياسة الاقتصادية لهذه الفترة ، لأن التورط في الاقتراض لتمويل مشروعات المرافق العامة ، في ظل إهمال واضح للقطاعات السلعية التي يمكنها وحدها أن تولد القدرة على خدمة هذه القروض في المستقبل ، كان يعكس باستمرار سياسة السبعينيات نفسها التي تقوم على تبني أسهل الحلول في المدى القصير ، مع تجاهل أثرها المدمر على الاقتصاد في المدى الطويل .

ويقارن المؤلف بين السياسة الاقتصادية في الفترة (٥٦ - ١٩٦٥) وسياسة الانفتاح (٧٤ - ١٩٨٦) ، فالأولى تتسم بدرجة عالية من الاتساق والانسجام بين مختلف أدوات السياسة الاقتصادية ، حيث تدخلت الحكومة في أدق تفاصيل النشاط الاقتصادي ، وطبقت نظام التخطيط بدرجة من الشمولية ، وكادت تحصر الاستثمار الوطني بأكمله على القطاع العام ، بينما اتسم الثاني بدرجة عالية من التردد وعدم الاتساق في تطبيق مبدأ الحرية الاقتصادية ، فلا هي طبقت سياسة الحرية الاقتصادية بمتطلباتها ، ولا هي تبنت سياسة التدخل الحكومي الشامل بمختلف متطلباتها [illegible] عجز الموازنة العامة [illegible] ويفسر المؤلف أزمة الدولة [illegible] في منتصف السبعينيات [illegible] الوسائل التي [illegible] إسرائيل . . . لعل [illegible] ظروف [illegible]



اسم الكتاب : الحوار الاستراتيجي الشامل . رموز الجيل الجديد.. في الأرض المحتلة يتحدثون .
اسم المؤلف : توفيق أبو بكر
الناشر : سلسلة حوارات استراتيجية
عدد الصفحات : ١٧٣ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٨ م

محاولة للتعرف على الجيل الجديد الذي ولد وعاش في ظلال الاحتلال « الاسرائيلي » . ويبذل الكاتب جهدا من خلال حواراته مع رموز لهذا الجيل ، لتقديم صورة له : كيف يفكر ، وكيف يرى المستقبل ، وكيف ينظر إلى قضايا الحرب والسلام ، وما رؤيته للعرب وللوطن العربي ولأقطار العروبة والقومية ورؤيته لمفاهيم النضال السياسي ، وأشكال الكفاح المختلفة .

□□□

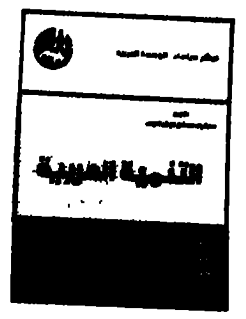


اسم الكتاب : الأتوبيس الجامح
اسم المؤلف : جون شتاينبك .
ترجمة : عبدالحميد فهمي الجمال
الناشر : دار الهلال - القاهرة
عدد الصفحات : ٢٧٩ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٩ م

ترجمة عربية لرواية « الأتوبيس الجامح » للكاتب الامريكي الشهير الذي يعد علامة مهمة في الرواية العالمية في القرن العشرين ، وهو صاحب الأعمال الذائعة : اللؤلؤة ، شرق عدن ، عن الرجال والفئران ، عناقيد الغضب التي حصل عنها على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٢ .

تتصاعد أحداث الرواية عبر رحلة حافلة « أوتوبيس » تنقل الركاب إلى الريف مارة عبر الطرق والجسور التي اكتسحتها المياه ، وحاصرتها ، وحوارات الركاب الصامتة الوجلى وهم محاصرون .

□□□



اسم الكتاب : التنمية العربية
اسم المؤلف : مجموعة من المؤلفين
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت
عدد الصفحات : ٤٤٠ من القطع الكبير .
سنة النشر : ١٩٨٩ م

تحتل قضية التنمية العربية أهمية مركزية في الوطن العربي ، ويقوم الكتاب بجهد واضح في استخلاص خبرة الماضي العربي القريب في التنمية خلال الأعوام العشرين الماضية ، وحقائق الواقع التنموي المعاش ، ويتألف الكتاب من اثني عشر

نصلا ، يضمها قسمان رئيسان ، يتناول القسم الأول الاختناقات والقيود الموروثة ، ويعرض القسم الثاني الفرص المستقبلية لمسارات التنمية العربية . والكتاب ثمرة جهد جماعي لعدد من خيرة العلماء العرب ، في مجالات مختلفة ، أسهم كل منهم بجهد علمي موضوعي في معالجة قضية التنمية العربية وآفاق المستقبل .

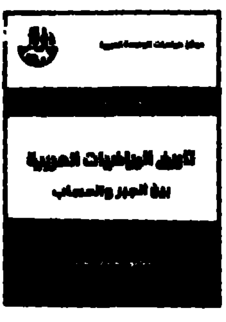
□□□

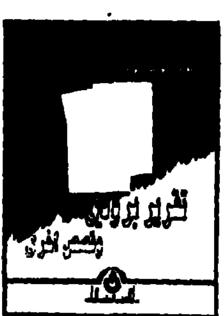
اسم الكتاب : تاريخ الرياضيات العربية
اسم المؤلف : د . رشدي راشد
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت
عدد الصفحات : ٤٠١ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٩ م

إضافة جديدة ، يقدمها مركز دراسات الوحدة العربية ، باستحداث سلسلة « تاريخ العلوم عند العرب » التي يمثل هذا الكتاب أول مطبوع منها ، والاهتمام بتاريخ العلوم قد ازدهر في البلدان المتقدمة في العقود الثلاثة الأخيرة ، وذلك لأهمية ما يقدمه تاريخ العلوم في التحديث العلمي والصناعي ، وتأتي أهمية المعرفة بالتراث العلمي العربي ، لكون هذه المعرفة تحفز على خلق فكر أصيل في فلسفة العلوم ، وتوطين العلم في الوطن العربي . يضم الكتاب أربعة فصول ، يناقش الفصل الأول منها بدايات علم الجبر ، والثاني للتحليل العددي ، والثالث يعرض للمعادلات العددية ، أما الرابع الأخير فيتناول نظرية الأعداد والتحليل التوافيقي .

□□□







اسم الكتاب : تقرير برودي
اسم المؤلف خورخي لويس بورخيس .
ترجمة : نهاد الحايك
الناشر : دار الشئون الثقافية العامة - بغداد
عدد الصفحات : ١١٣ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٨٨ م

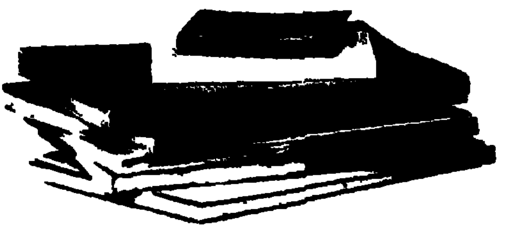
مجموعة قصصية للكاتب الأرجنتيني بورخيس (١٨٩٩ - ١٩٨٦) الذي يعد من أهم كتاب القصة في بلاده وفي العالم . تضم المجموعة عشر قصص ، يقول عنها مؤلفها : إنها واقعية ، يختلط فيها الحلم بالتاريخ ، لأن الأدب ليس إلا حلما موجها ، وعلى الرغم مما يقوله الكاتب عن واقعية قصصه فإنه قد جعل زمنها يعود إلى أعماق تاريخية ، وكذلك المكان ، لكي يستطيع خياله أن يمارس حريته في خلق عالم خاص بمفرداته وشخوصه وتراكيبه اللغوية .□

الدرويش والحجاج

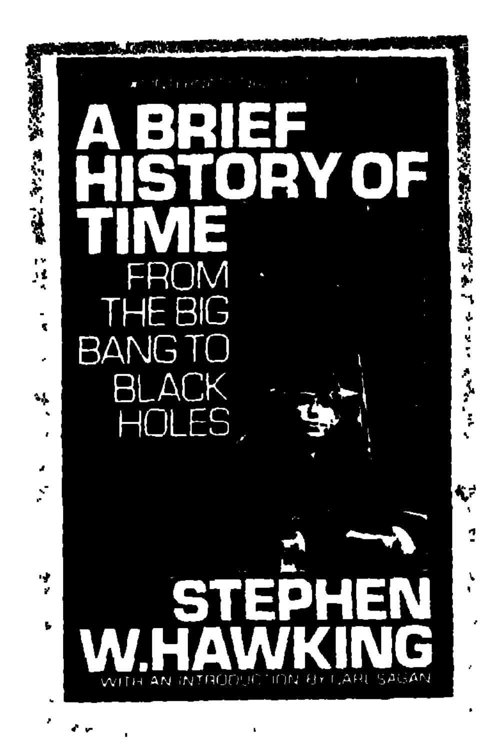


ظهر في بغداد درويش زعم أنه مستجاب الدعوة ، فاستدعاه الحجاج وقال : أدع لي بالخير .
فقال الدرويش بعد أن رفع وجهه الى السماء : اللهم اقبض روحه . فصرخ الحجاج في وجهه غاضبا : ماذا ؟!
فقال الدرويش : هذا الدعاء خير لك وللمسلمين كافة !





كتاب الشهر





تأليف : ستفن هوكنغ

عرض : الدكتور ممدوح كامل الموصلي*

عند صدور هذا الكتاب عام ١٩٨٨ عده بعض حدثا فريدا في تاريخ الكتب العلمية ، فأعيدت طباعته عشر مرات في العام نفسه ، وظل يحتل رأس قائمة أكثر الكتب مبيعا في العالم لأكثر من ستين أسبوعا ، فماذا عن هذا الكتاب الحدث ؟ ومن هو مؤلفه المعجزة ؟

---

* أستاذ الفيزياء بكلية العلوم - جامعة عين شمس في القطر المصري .

هذا أول كتاب علمي مبسط ، يؤلفه ستفن هوكنغ الذي يعد واحدا من أبرز علماء الفيزياء النظرية المعاصرين . ويشغل هوكنغ مقعد أستاذ الرياضيات بجامعة كمبردج ، وهو المقعد نفسه الذي كان يشغله قبل ذلك اسحق نيوتن وديراك . الأول هو أشهر عالم في مجال فيزياء النجوم والكواكب ، والثاني من أشهر من عمل في مجال فيزياء الجسيمات الدقيقة مثل الالكترونات . وستفن هوكنغ إنسان يعد أسطورة ، فهو عقل فقط دون جسد ، حيث لا يستطيع الحركة أو حتى الكلام ، فقد أصيب فور تخرجه في الجامعة بمرض ضمور الأعصاب ، وهو مرض يعرف باسم « الموتور العصبي » أو ALS . وكان من المتوقع الا يعيش حتى يحصل على درجة الدكتوراة . ومع أن الأطباء استطاعوا إيقاف المرض ، لكنه أصبح بالوصف الذي سبق ذكره . وقد يعجب القاريء كيف استطاع إنسان في مثل هذه الحال أن يقوم بالكتابة والبحث العلمي . ولكن العلم والعقل البشري ليس لكفاءتيهما حدود . فقد قامت مؤسسة أمريكية بكاليفورنيا بإعداده برنامجا خاصا ، يسمى المركز الحي ، يستطيع عن طريقه وباستخدام حاسوب مثبت في كرسيه التحرك والاتصال بالآخرين . ويقول هوكنغ إنه بفضل هذا النظام يستطيع التحدث مع الآخرين بطريقة أفضل .

أسئلة مثيرة

وموضوع كتاب « تاريخ موجز للزمن » غاية في الإثارة بالنسبة للعقل البشري ، فقد كان هذا الموضوع في الماضي حكرا على الفلاسفة الذين تقوم [illegible] على استخدام العقل البشري فقط ، [illegible] العلم [illegible] حيث [illegible] [illegible] العلم من [illegible] والزمن [illegible] ، [illegible] للإجابة عن أسئلة [illegible]

من أين أتى الكون ؟ كيف بدأ الكون ؟ ولماذا ؟ وهل هناك نهاية للكون ؟ ومتى ؟ وإن كان الأمر كذلك فكيف ؟ وهل يوجد معنى لكلمة الزمن ؟ وماذا حدث قبل بداية الزمن ؟ ثم ماذا سوف يحدث بعد نهايته ؟ هل يمكن أن يسير الزمن في الاتجاه العكسي ، أي تسبق النتيجة العقل ؟ وهل يمكن أن تتذكر المستقبل بدلا من الماضي ؟ ! .

أسئلة مثيرة ، يتناولها الآن العلم بدقته وقياساته ، ويحاول هوكنغ في كل مكان من الكتاب أن يوضح للقاريء غير المتخصص كيف استطاع العلم الوصول الى تلك الحقائق ، بعيدا عن استخدام المعادلات الرياضية والتفصيلات العلمية المعقدة .

يتناول الكتاب موضوعات غاية في الاتساع ، تؤكد المقدرة العقلية الفذة للمؤلف . فهو يستعرض في الجزء الأول من الكتاب التطور التاريخي لمقدرة البشر على فهم الكون وطبيعته وتركيبه ، سواء على المستوى الضخم ، مثل حركة النجوم والكواكب ، أو على مستوى الجسيمات الدقيقة جدا ، مثل الالكترونات . ثم يقوم بتصوره الحالية ومدى فهم العلم للكون . ويتبع ذلك بالإشارة الى النظريات الجديدة التي في طريقها للاستكمال والمتعلقة بهذا الموضوع .

يستعرض المؤلف تطور فهم البشرية لطبيعة الأرض وما حولها . فقد تصور الناس في البداية أن الأرض مسطحة محمولة على ظهر سلحفاة وأول تفسير علمي لهذا المفهوم توصل إليه الفيلسوف اليوناني أرسطو عام ٣٤٠ قبل الميلاد عن طريق ملاحظة كسوف القمر ، حيث يظهر ظل الأرض على القمر دائما في شكل كروي [illegible] الأرض [illegible] [illegible] الشكل [illegible] الأرض [illegible] مركز الكون [illegible] الشمس والشمس والكواكب والنجوم [illegible]

دائرية حولها . وقد قام بطليموس في القرن الثاني بعد الميلاد بتطوير هذه الفكرة الى نموذج كوني ، تشغل فيه الأرض نقطة ثابتة في المركز ، تحيط بها ثمانية مسارات دائرية ، يدور فيها القمر ، فالشمس ، فالنجوم ، ثم الكواكب الأربعة المعروفة في ذلك الوقت . أما ماذا يوجد خارج هذه المدارات فلم يكن واضحا ، لأن ذلك كان خارج مقدرة الملاحظة البشرية . ولقد اعتمدت الكنيسة هذه الصورة .

وفي عام ١٥١٤م اقترح القس البولندي كوبرنيكوس نموذجا آخر ، يضع الشمس في مكان ثابت في المركز ، بينما تدور الأرض والكواكب الأخرى في مسارات دائرية حولها . هذا النموذج لم يقبل علميا إلا بعد مرور قرن من الزمن ، عندما استطاع العالم الايطالي جاليليو استخدام المقراب « التلسكوب » وترجيح هذا النموذج عن طريق المشاهدة والحسابات الرياضية . وبذلك انتهت نظرية أرسطو ، وأصبحت تاريخا . ثم بدأت الأمور في الوضوح عندما اقترح العالم كبلر أن مسارات الكواكب حول الشمس تأخذ شكل قطع ناقص ، وليس دائرة ، (القطع الناقص هو كدائرة مشوهة أحد قطريها أكبر من القطر العمودي ويشبه جدا بيضة الدجاج) . ثم نشر العالم الانجليزي اسحق نيوتن أشهر كتاب في تاريخ العلم ، شرح فيه سبب دوران الكواكب في مثل تلك المسارات ، وقال بوجود قوى جذب بين أي كتلتين ، وأن هذه القوى هي المسئولة عن سقوط أي جسم على سطح الأرض .

المكان والزمان

ما حدث بعد ذلك كان أغرب . إذ أمكن التوصل عن طريق النظرية النسبية لأينشتين الى أن الزمن أيضا ليس له قيمة مطلقة ، بل قيمة نسبية ، تعتمد على سرعة من يسجله . المطلق الوحيد في نظرية أينشتين هو قيمة سرعة الضوء ، ولها قيمة ثابتة لاتعتمد على مكان الرصد أو حتى سرعة الراصد . وقد تم إجراء تجارب علمية أثبتت صحة هذا القول . والخلاصة أنه لتحديد أي حدث لابد من ربط كامل لمكانه في الفراغ الذي تحدده ثلاثة أبعاد مع البعد الرابع الذي هو الزمن ، والأبعاد لايمكن فصلها أو فصل أحدها عن الآخر ، أي أن فكرة المكان المطلق اختفت ، وكذلك فكرة الزمان المطلق . الفكرة الأولى قضت عليها نظرية نيوتن ، والثانية قضت عليها نظرية أينشتين . ارتبط الفراغ إذن بالزمان كما تقول النظريات الحديثة ، لتكون منحنى واحداً يعرف باسم منحنى « الزمكان » ، أي (الزمان والمكان معا) في شكل ديناميكي (متحرك) ، وأدت هذه الفكرة الى القضاء أيضا على فكرة الكون الاستاتيكي (الثابت) ، وحلت محلها فكرة الكون المتمدد ، وعليه يبدو أن هناك بداية للزمن ، وأنه لابد أن تكون هناك نهاية لهذا الزمن .

الكون المتمدد (المتسع)

يحاول المؤلف في هذا الفصل أن يقدم فكرة أوضح عن الأبعاد الحقيقية للكون ، فأقرب نجم يشبه الشمس هو نجم « بروكسيما سنتاوري » الذي يبعد عنها مسافة تقدر بأربع سنوات ضوئية (أي أن الضوء يحتاج الى أربع سنوات لكي يصل من هذا النجم إلينا) ، وهي مسافة تقدر بثلاثة وعشرين مليون مليون ميل . ومن أجل المقارنة فإن الضوء يصل من الشمس الى الأرض في ثماني دقائق فقط . ومجموعة النجوم التي يمكن رؤيتها بالعين المجردة تقع على مسافة لاتزيد عن عدة مئات من السنين الضوئية . وجميع هذه النجوم المرئية تقع في حزمة واحدة ، تعرف باسم الطريق اللبني ، وهو جزء من المجرة التي تنتمي إليها الشمس . هذه المجرة تشبه القرص ، وتحتوي

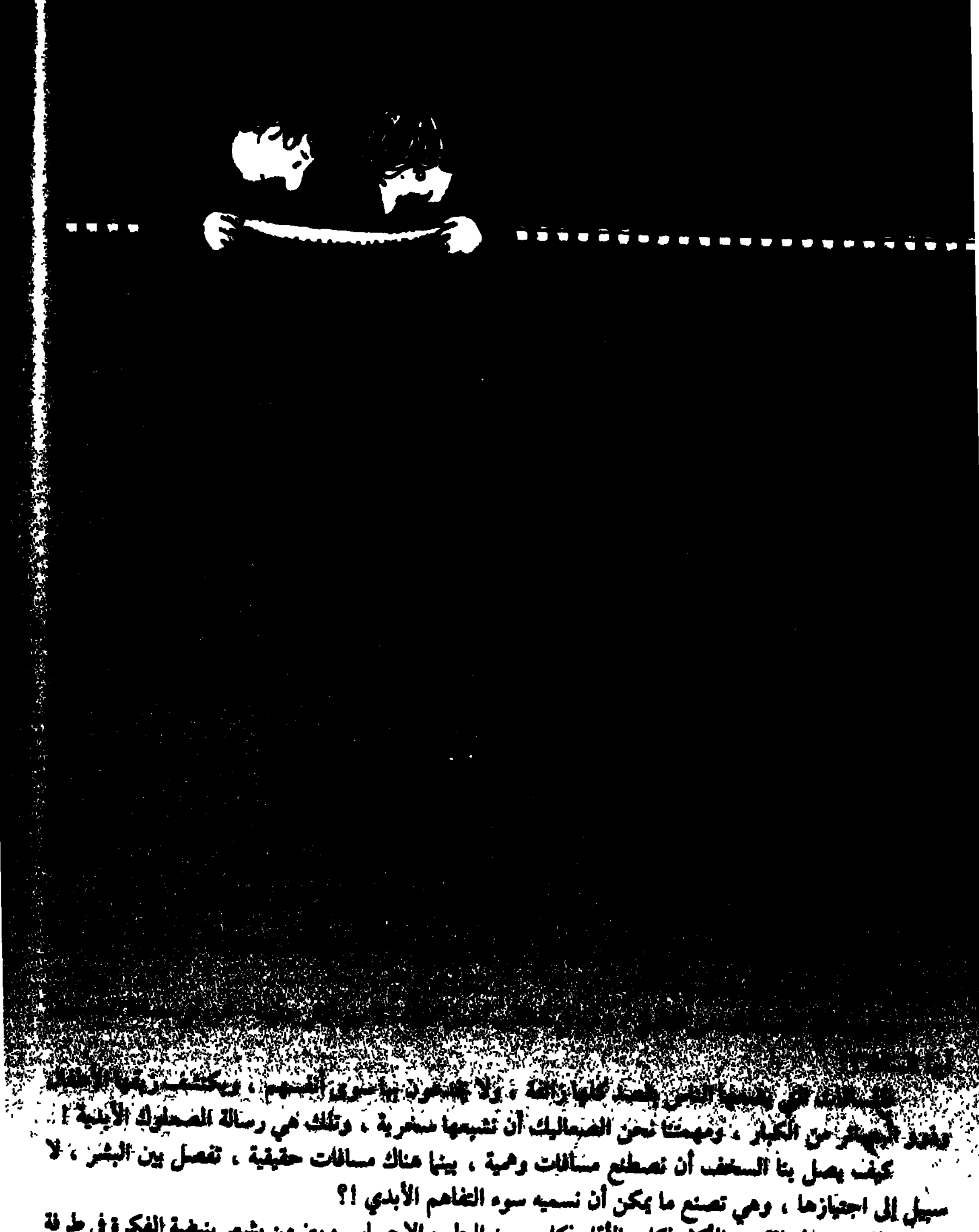
المادة في الكون ، وكثير من أنواع المادة لايمكن رصده بسهولة . وعلى هذا يبقى السؤال دون إجابة واضحة . ولكن الحقائق المتوافرة تقول : إنه لا داعي للقلق ، لأن الكون سوف يستمر في التمدد على الأقل عشرة آلاف مليون سنة أخرى .

نعود الآن الى السؤال الذي يقول : هل النظرية النسبية لأينشتين تؤكد وجود ما يعرف بالانفجار العظيم الذي بدأ عنده الزمن ؟ الإجابة ظهرت نتيجة لدراسة قام بها عالم انجليزي عام ١٩٦٥ ، هو روجر بنروز ، فعلى أساس أن قوى الجاذبية دائمة ، وعلى أساس ثبات سرعة الضوء ، يقول بنروز : إن أي نجم قد ينهار الى الداخل تحت تأثير قوى الجذب ، حتى يصل الى حجم قريب من الصفر . وتصبح كل الكتلة التي كانت موجودة في النجم محتواة في هذا الحجم المتناهي في الصغر ، وتصل قيمة كثافة المادة فيه وانحناءات (الزمكان) الى قيم لانهائية . هذه النقطة التي تحتوي على النجم ، وبهذا الوصف تسمى « نقطة مفردة » في « الزمكان » ، وتعرف باسم الثقب الأسود . مثل تلك النظرية يمكن تطبيقها على الكون كله لإثبات أن الكون كان له نقطة مفردة في الماضي بدأ عندها الانفجار العظيم .

مبدأ اللايقينية

تشير قوانين نيوتن وقوانين أينشتين الى مبدأ مهم ، وهو ما يعرف باسم اليقينية ، ومعنى ذلك أنه إذا عرفت الحركة الابتدائية لجسم ما ، والقوى المؤثرة عليه ، فيمكن بالتحديد حساب مساره المستقبلي . وعلى النقيض من ذلك أعلن العالم الألماني هيزنبرج ، في عام ١٩٢٦ ، مبدأه الشهير الذي يعرف باسم اللايقينية ، فمن أجل التنبؤ العلمي بالوضع والسرعة في المستقبل لجسم ما ، لابد من تحديد الموقع والسرعة في الظروف الأولية . ولكي يمكن تحديد الوضع

على عدة مئات من آلاف الملايين من النجوم . وقد استطاع علماء الفلك رصد مجرات أخرى ، خارج المجرة التي تقع فيها الشمس ، ويصل عددها الى مائة ألف مليون مجرة . والمجرة التي نعيش فيها يصل اتساع قرصها الى مائة ألف سنة ضوئية ، وتدور ببطء حول نفسها دورة كاملة كل عدة مئات من السنين . والشمس عبارة عن نجم ذي حجم متوسط ، أصفر اللون ، يقع على الحدود الداخلية لأحد الأذرع الحلزونية للمجرة . هذه فكرة عن حجم الكون ، وهي بدون شك تبعد كثيرا عن الفكرة التي تقدمها نظريات أرسطو وبطليموس . وهذا الكون يزداد اتساعا باستمرار . ولكن هل سوف يستمر هذا التمدد (والاتساع الى مالا نهاية) ، أو أن التمدد سوف يقف تحت تأثير الجاذبية ، ويعود الكون الى التقلص ، الى أن تلتقي المجرات مرة أخرى في نقطة واحدة . القياسات العلمية لاتقدم الإجابة ، حيث أن ذلك يعتمد على متوسط كثافة



[illegible] التي يصنعها الناس [illegible] ، ولا يشعرون [illegible] أنفسهم ، ويكتشف [illegible] الأطفال [illegible] عن الكبار ، ومهمتنا نحن الصعاليك أن نشبعها سخرية ، وتلك هي رسالة الصعلوك الأبدية !

كيف يصل بنا السخف أن نصطنع مسافات وهمية ، بينما هناك مسافات حقيقية ، تفصل بين البشر ، لا سبيل إلى اجتيازها ، وهي تصنع ما يمكن أن نسميه سوء التفاهم الأبدي !؟

تلك هي المسافة بين الأكثر ذكاء والأقل ذكاء ، بين البطيء الإحساس وبين من يشعر بنبضة الفكرة في طرفة عين حساسة ، بين من يعرف الكثير ومن لايملك حتى أدوات المعرفة ، بين أصحاب التواريخ المختلفة والثقافات المختلفة والمصالح المختلفة ، حيث يصبح الحديث عن الرؤية الموضوعية للأشخاص ، أو لما يتعلق بهم ، نوعا من الوهم أو الترف ، ويصبح الجهاد من أجل مثل هذه الرؤية هو الجهاد الأكبر في حياتنا .

هكذا يبدأ الحديث فقط عن المسافة ، ويمكن أن ينتهي بهذا السؤال : قل لي : ما المسافة التي تفكر بها أقل لك من أنت؟!

وإلى أن نلتقي . □

أبو المعاطي أبو النجا

شعبان ١٤١٠هـ - مارس (آذار) ١٩٩٠م

العربي

فلسطين المحتلة
الحياة والموت في ظل الانتفاضة



من مخاطر العبث بالوراثيات

العرب والتحدي العلمي ■ جديد القصة في المغرب العربي

الصقر و رولكس
الدقّة والأناقة

منذ حضارة بلاد ما بين النهرين، كانت رياضة الصقور، ولا تزال حتى يومنا هذا، رياضة النبلاء.

الصّقر طائر قويّ، أنيق وسريع الحركة، يُروّض ويُعلّم خصّيصًا فنّ الصّيد. هذا الترويض والتعليم يتمّ على يديّ أخصائيّين لمدّة طويلة تدوم أكثر من ثلاثين يومًا. العناية عينها هي الّتي بها تصنع كل ساعة رولكس.

حتّى اليوم لا تزال رولكس تصنع من قطعة معدن واحدة وتُنحت يدويًّا، سواء من الذهب الخالص أو الفولاذ أو الاثنين معًا.

كُل ساعة تمرّ إفراديًا بمجموعة تجارب قاسية قبل أن تعطى شهادة الكرونومتر السّويسريّة الرسميّة.

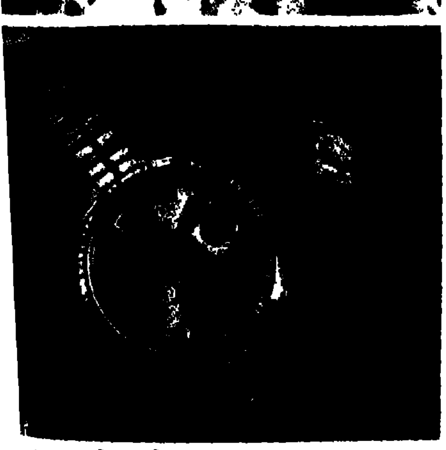
جمال رولكس غنيّ عن التعريف وقيمتها تدوم وتدوم لسنوات وسنوات طويلة جدًا.

مجموعة ساعات رولكس رائعة ومتكاملة لترضي أصحاب الذوق الرفيع.

رولكس والصّقر رمز الدقّة والأناقة.







ساعة تريدور داي - ديت من الذهب الأبيض والأحمر والأصفر مرصّعة -

العدد ٣٧٦ السنة الثالثة والثلاثون مارس ١٩٩٠



مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue no 376. Mars 1990, P. O. Box : 748.
Postal Code No. -13008 Kuwait.
A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information
State OF Kuwait.

عنوان المجلة
العربي
ص.ب: ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 الكويت
تلفون: ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيًا: "العربي" - الكويت
تلفون فاكسملي: ٢٤٢٤٣٧٥ - تلكس: MITR. 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الاعلانات

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - الإعلام الخارجي
وزارة الإعلام - ص.ب: ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة
مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٦ د.ك أو ٢٠ دولارًا باقي دول العالم ٨ د.ك أو ٣٠ دولارًا

الكويت ٣٠٠ فلس	تونس ٥٠٠ مليم	سوريا ١٥ ليرة
العراق ٤٠٠ فلس	الجزائر ٥ دنانير	الامارات ٧ دراهم
الأردن ٢٥٠ فلسًا	السعودية ٦ ريالات	المغرب ٥ دراهم
البحرين ٤٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٤ ريالات	ليبيا ٥٠٠ درهم
اليمن الجنوبي ٣٠٠ فلس	قطر ٧ ريالات	أوروبا جنيه استرليني ونصف
مصر ٣٥ قرشا	سلطنة عُمان ٤٠٠ بيسة	فرنسا ٢٥ فرنكا
السودان ٢٥ قرشًا	لبنان ٥٠ ليرة	أمريكا ٣ دولارات

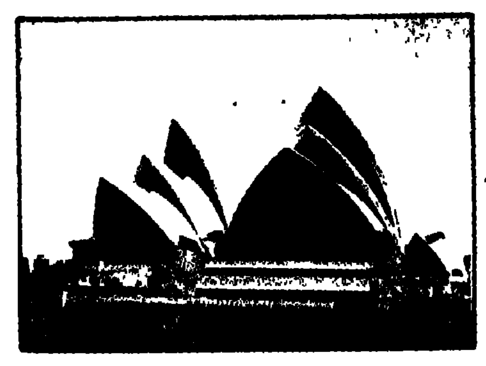
محطات العدد

قضايا عامة :

عروبة وإسلام :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :



● استراليا : القارة البكر والقوة الجديدة وسط المحيط . ص٦٨



وجهاً لوجه :
د. سهيل ادريس
وجهاد فاضل ص ٩٧

المجلة
[illegible]

[illegible] ٢٣٠

[illegible]

■ [illegible] د. [illegible] ٩٧

مكتبة العربي :

أبواب ثابتة :



صورة الغلاف

الانتفاضة الفلسطينية ، ليست قذف حجارة ومواجهات عنيفة مع قوات الاحتلال فقط بل أسلوب حياة .. استطلاع عن حياة الشعب الفلسطيني قامت به مجموعة من الكتاب الفلسطينيين تحت الاحتلال . [طالع ص ١٣٢]

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

رَبِيعُ العَرَبِ .. لماذا يَجيءُ قَانِطًا ؟

يبدو أن هذه الأمة لا تخرج من مشكلة ، إلّا وتواجهها مشكلة أخرى أصعب وأكثر شراسة ، فلقد كان الأمل في التسعينيات أن يتنفس العرب الصعداء ، ويبدأوا في تجميع قدراتهم لإصلاح ما أفسدته العقود السابقة على كافة الأصعدة ، اقتصادية كانت أم احتماعية أم سياسية . ولكن الشهور الأولى من التسعينيات واجهتنا بمشكلة تزايد الهجرة الكثيفة لليهود السوفييت إلى فلسطين ، بعدما أغلقت الولايات المتحدة أبوابها أمامهم ، ليتخذ الكيان الصهيوني منهم ذخيرة بشرية تمكنه من مواجهة ضغوط الإنتفاضة الفلسطينية الباسلة المستمرة للعام الثالث ، وتمكنه من ترسيخ اغتصابه للأرض العربية

وبالإضافة إلى هذا التحدي الذي يحتاج إلى سرعة في المواجهة والحسم ، يحاط العرب بجبهة ثانية سبق لنا في « العربي » التنبيه إلى خطورتها علينا وهي جبهة المياه ، حيث تتعرض الأراضي الزراعية في سوريا والعراق لحجب المياه عنها ، وتتعرض منابع نهر النيل لمشروعات مشبوهة تقف خلفها « اسرائيل »

وهكذا يواجهنا عقد التسعينيات بتحديات ثقيلة ، تستدعي منا اليقظة وابتكار وسائل وأساليب فعالة لمواجهتها ، بخاصة أننا نعيش في عالم سريع التغير والتبدل

« والعربي » إدراكاً منها لأهمية هذا الدور تحاول على الساحة الثقافية أن تقوم بدورها في إشاعة الوعي بهذه القضايا ، واستثارة وإنارة التفكير حولها ، ولذلك تنشر ـ للمرة الأولى ـ استطلاعاً مصوراً من الأرض المحتلة كتبه وصوره زملاء لنا هناك ، ننشره تصديقاً لما آمنت به الكويت قيادة وشعباً من أن كل الجهود يجب أن تبذل لنصرة اخواننا هناك ، ومن يقرأ هذا الاستطلاع الذي ننشره في هذا العدد سيتعرف على ما يقاسيه أهلنا ، الصامدون ، وما يبذلون من جهد بطولي لتحقيق النصر .

وفي هذا العدد تصحبنا « العربي » في استطلاعها الخارجي إلى استراليا القارة البكر لتتعرف عليها ، وعلى المهاجرين العرب هناك ، كيف يعيشون ؟ وبماذا يفكرون ؟

وفي ملف المستقبليات الذي نتابع نشره منذ عدد يناير الماضي يحظى العلم باهتمام يليق بأهميته ، حيث يستمد منه غيرنا سر تقدمهم ، وهنا نتساءل : أين نحن من التقدم العلمي الراهن ؟ وكيف نتعامل مع معطياته ؟ . ولذلك يزخر العدد بمجموعة من المقالات العلمية منها ؛ مخاطر العبث بالوراثيات ، ورحلة خلاية إلى الزمن صفر .

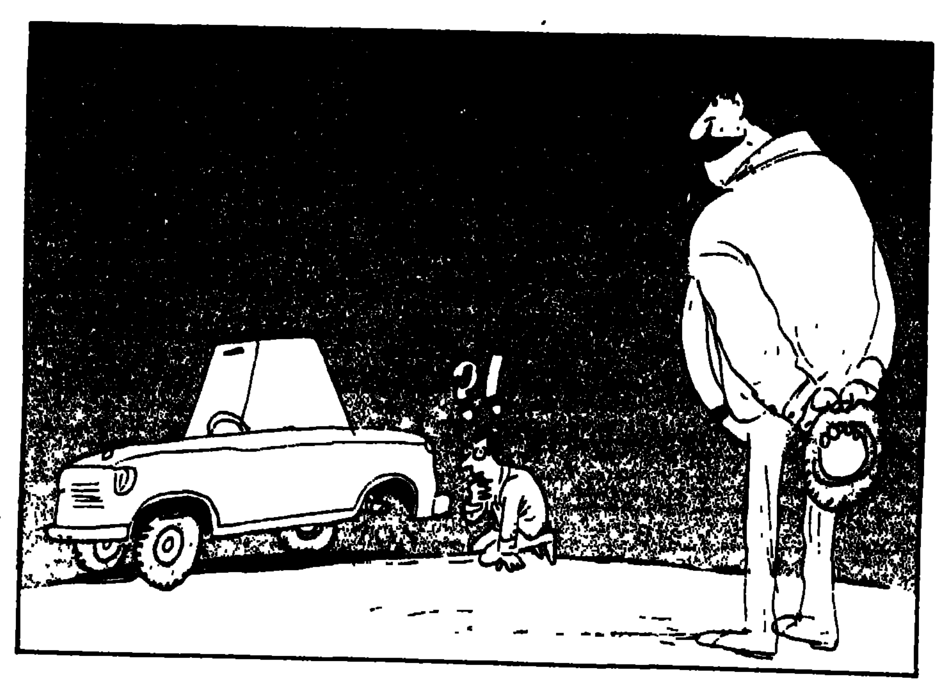
وفي ملف الإبداع الأدبي العربي تتابع العربي نشر اسهامات الكتاب العرب في هذا الموضوع المهم .

أما وجهاً لوجه فهو مع الكاتب والمفكر العربي سهيل ادريس صاحب الاسهامات المتميزة في الثقافة العربية المعاصرة ، من خلال مجلة الآداب التي رفدت الثقافة العربية منذ الخمسينيات من هذا القرن باسهامات وإبداعات ثرية ومهمة .

وبعد ذلك نجد في هذا العدد باقة من الموضوعات العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية نحرص دائماً على أن تكون جديدة ومفيدة لقارىء العربية ، وقارىء « العربي » .

ذاك هو أسهامنا في هذا الشهر الذي نرجوا أن لا يمر إلّا ويكون ضيقنا قد انفرج ، وشملنا المشتت قد التأم . □

المحـــرر



بعد مئة عام من بدء عصر الاستنارة ما زال المجتمع يناقش قضايا أكثر تخلفا مما ناقشه جيل الرواد

ثم هل هناك إجابة شاملة عن أن حركة التنوير في الوطن العربي كانت تنبع في مكان ، وأن صداها يصل إلى مكان آخر ؟ أم أن حركة الاستنارة لم تكن تسير في « صوت » يبدأ هنا و « صدى » يتردد هناك ؟ فأحيانا ماتتوازى وأحيانا ماتتقاطع « الأصوات » و « الأصداء » لتخلق كل هذا النسيج الثرّ من الثقافة العربية المتفاعلة ، مع تسليمنا جميعا من حيث المبدأ بأن مصر فعلاً ـ لأسباب لايمكن حصرها في هذه العجالة ـ هي في كثير من الأحيان في مركز « الصوت » ولكن حركة الاستنارة لم تكن دائما تسير في هيئة صوت وصدى .

لقد هاجرت أفكار الشيخ جمال الدين الافغانى معه إلى مناطق عديدة من الأقطار الإسلامية والعربية ، بل إلى أماكن بعيدة في أوربا ، وكذلك فعل الشيخ محمد عبده ورشيد رضا ، وهاجر المفكرون من أهل الشام إلى مصر ، وأثّر المصريون في مناطق عديدة وواسعة من الوطن العربي ، وفي بعض القضايا والمجالات يسبق المغرب العربي المشرق ، وفي بعض القضايا الاخرى يسبق المشرق العربي المغرب ، في حركة تبادل مراكز المنبع والتأثير .

ثم يبرز بعد ذلك السؤال الآخر ، هل رواد الفكر في أمتنا العربية من أمثال طه حسين والعقاد والمازني والرافعي ونعيمة وجيلهم هم أول دعاة الاستنارة ، أم سبقهم أشخاص مثل رفاعة الطهطاوى وخير الدين التونسي ، وجمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وعبدالله النديم وأديب اسحق والسنوسى والمهدى والشيخ محمد بن عبد الوهاب ؟ وعندما نزن

"ثروة الأمم الرئيسية ليست في مناجم الذهب ولا في منابع النفط إنما في شيء آخر أقدر وأسمى"

ماجاءوا به من فكر اليوم بميزان المنهج العلمي ، وأيّ من فكرهم ذاك كان أصيلاً وأيّ من فكرهم المستنير كان مترجماً من أدب وثقافة أوربا، بعضه عولج معالجة معقولة ليتناسب مع الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة ، وبعضه نقل كما هو طرياً غير معالج فلم يستطع أن يلج لنسيج المجتمع ، وظل خارجاً عنه ، وأصبح ككعب أخيل في إطار منهج هذا المفكر أو ذاك .

بل كيف يمكن أن نضع كل هؤلاء تحت مظلة التنوير والاستنارة ، وبعضهم قد خالف فكرالبعض الآخر بقسوة وإفراط ، كما فعل العقاد ومصطفى الرافعى عندما تبادلا أقسى أنواع الهجوم في مواقع مشهورة للجميع حول أفكار كل منهما في الأدب والنقد ؟

كل تلك أسئلة منهجية ومعرفية لابد من طرحها عندما نتذاكر بجدية قضية الاستنارة وروادها في الوطن العربي .

قـرن المعـرفـة :

لايجادل أحد بأن المائة سنة الماضية هى قرن المعلومات والمعرفة ، وإذا كان احتفالنا بمرور مائة سنة على الاستنارة يأتي مع مرور مائة سنة على مولد كوكبة من رواد الفكر الحديث ،فهو يأتي أيضاً متماساً مع استقبالنا لمشارف قرن جديد ، قرن يختلف عن كل القرون السابقة على جميع الأصعدة ، قرن تحد ليس للمواطن العربي فقط ، بل هو تحد للانسانية فكراً وعملاً ، قرن بشائر التغير العميق فيه حولنا لاتحتاج إلى كثير من قدح الفكر . وإذا كان الأخرون يستقبلون هذا القرن الجديد وتحدياته بإمكانيات تؤهلهم للتوافق النسبى مع معطياته ، وتطوير تلك الإمكانيات وتسخيرها لصالحهم ، فإن الوطن العربى والمواطن الذى يعيش واقعاً صعباً مأزوماً تقصر إمكانياته عن الوفاء بإبقاء رأسه فوق سطح الماء .

مواطن ووطن يهاجر إلى بلد محتل منه ، مليون من البشر لايستطيع أمامهم فعل شيء ، مواطن ووطن تضربه الفرقة والتقاعس ويتجاذب شبابه التعصب من جهة والتغريب من جهة أخرى ، مواطن ووطن يملك من الإمكانيات البشرية والمادية الكثير ولكنه في جله معطل .

وطن يعرف أهل الرأى فيه أن القوة الجديدة ليست في مناجم الذهب ، ولا في آبار النفط ، وإنما هي في الانسان ، وإن الثروة الأساسية ليست في الثروات الطبيعية ، وإنما في قدرات الانسان لتحويلها لشىء نافع ، وإن الثروة ليست فيما تعطيه الطبيعة ولكن في كيفية تسخير الإنسان لهذه

الطبيعة ، وإن هذا الأمر الذي يعرفه أهل الرأى لايحتاج إلى براهين وإثباتات ، يكفي أن نعرف أن دولاً تملك ـ بيننا اليوم ـ ثروات طبيعية غزيرة ظلت فقيرة ، في حين أن دولا ثرواتها الطبيعية محدودة استطاعت أن تبنى اقتصادا مزدهراً . فاليابان أغنى من الاتحاد السوفيتى في الوقت الذي لاتمتلك اليابان تقريباً أى ثروات طبيعية . بينما الاتحاد السوفيتى لايفتقر إلى شيء البتة ، ذاك على سبيل المثال .

إنها إمكانيات الإنسان العربي المعطلة ، تلك هي الاشكالية التى تواجهنا وتلقي بظلها الثقيل على الجميع .

إن المثقفين والمستنيرين العرب يفرض عليهم التحدى يومياً . وإن عليهم أن يواجهوه كما واجه المستنيرون الأوائل هذه الإشكاليات . مع تباين درجات الحدة باختلاف العصر والظروف

ـ قيمة الرواد طه حسين والمازني والعقاد وميخائيل نعيمة والرافعي وغيرهم تكمن في استيعابهم لضرورات عصرهم ، وتحديات المستقبل الذى كانوا يتوقعون ، على الرغم من اختلافهم في الرؤى والمناهج والاجتهادات .

إنهم جميعا نسجوا أحلاما وأفكارا ، وقاموا بممارسات عميقة نذروا حياتهم للدفاع عنها وترسيخها في واقع الأمة . لقد أدركوا أن عوامل الثروة الصحيحة هى الأفكار تماما كما هى عوامل الثروة الجديدة في عالمنا اليوم . وفي مستقبلنا . إنها الأفكار ، وهى عنصر غير قابل للتوزيع بين الأمم ، فكار تجد الحلول المناسبة لمشكلاتنا ـ لانستوردها ولا نزيفها ـ وهذه الثروة غير قابلة للتوزيع ولا للنقل . وهذا فلم تعد قاعدة القوة في العالم هى المساحة . ولا عدد البشر . إنما قاعدة القوة هى الفكر والعلم اللذان ينبعان من الإنسان .

لقد مارس الرواد الحوار فيما بينهم مستخدمين العقل أداة رئيسية فيه حتى أصبحت العقلانية سمة من سمات ذلك العصر ، لقد كانت الأفكار والأسئلة والقضايا التي شغلوا بها ودعوا إليها تصدم وتهز الأفكار السائدة . وكان عليها أن تفعل ذلك . إن السنوسية والوهابية والمهدية بدايات موجة التحدي للحضرة الغربية الغازية . وهى إن لم تستطع أن تقدم كل البدائل التى كانت تريد وذاك لشراسة الهجمة الاستعمارية ضدها ، وعمق أسباب التخلف وهيمنتها ، لكنها استطاعت أن تدافع عن أوطانها ضد الاستعمار ، وأن تنقي الدين الإسلامى الحنيف من الشوائب والخرافات ، وأن ترجع به إلى أصوله النقية الأولى ، لذلك كان تأثيرها محكوما بواقعها وظروفها .

السنوسية والوهابية والمهدية بدايات كموجات تحد للغرب الغازي ونقت الدين الحنيف من الشوائب والخرافات



وإذا كان رفاعة الطهطاوى قد صدمه ورفاقه وهم في بعثتهم في اوربا التناقص في السلوك الاوربى ، الذي ينادى بالديمقراطيه ويرفع شعارات الإخاء والمساواة في الداخل ، ولكنه يمارس القهر والاستعمار والظلم على الأقطار العربية في الخارج ، فإنهم بعد عودتهم إلى مصر حاولوا البحث عن صيغة توائم بين ماجاءوا بـه من أفكار علمية وسياسة واجتماعية حديثة ، وبين علوم الشرع ، حيث وجد الطهطاوى ان الاختلاف الظاهرى بينهما إنما هو يتعلق بالتفاصيل اكثر مما يتعلق بالمبادىء الأساسية التى يقوم عليها كل منهما ، فألفوا الكتب وأنشأوا المدارس واصدروا الصحف ، وترجموا الكتب العلمية والأدبية ، وتحيزوا لفكرة المواطنة ، وقد ظاهر الطهطاوى ورفاقه ـ ولو بدرجة أقل ـ مفكرون في تونس والمغرب والشام .

وعرفت القاهرة بعد ذلك مفكرين من أهل الشام مثل عبدالرحمن الكواكبي ، وأديب إسحق ، وسليم النقاش ، وبطرس البستاني الذي طبع اول دائرة معارف عربية ، والاخوين صروف صاحبى مجلة المقتطف ، وشبلى شميل وفرح أنطون ، وأحمد فارس الشدياق ، وسليم تكلا ، وتفاعل الجميع مع على مبارك ، وعبد الله فكرى ، ومحمد

عبده ، وعبدالله النديم ، والبارودى ، وأحمد عرابى ، ويعقوب صنوع ، ولطفى السيد ، وسعد زغلول وقاسم أمين وغيرهم ، حيث أينعت جهود هؤلاء الرواد الأوائل وأثمرت الدعوة إلى تكوين الأحزاب والحياة النيابية وانتشار الأفكار العلمية ، وظهرت الصحافة والمسرح ، وظهرت دعوات التجديد في الفكر الإسلامى على قاعدة أمتن .

وعندما ظهر الجيل الثالث من حركة الاستنارة العربية كالعقاد وطه حسين وأقرانهما لم يظهروا من فراغ ،بل غاصت جذورهم مع فكر المجددين ، الأوائل وساعدهم التطور الاقتصادى والاجتماعى ، واتساع الطبقة الوسطى الجديدة على لعب دور أوسع في انتشار حركه الاستنارة .

إلا أن هذا المشهد لايخلو من التناقض ، فقد كانت الدول الأوربية المختلفة تنقض على أجزاء الوطن العربي ، جزءا بعد الآخر ، لتلحقه بدائرة نفوذها ، وتستخدم إمكاناته في معركة المنافسة المحتدمة بينها ، ولذلك كانت تجهض بالعنف والدهاء ثوراته ، وانتفاضاته ، وتسعى من خلال تشجيعها لأساليب التعليم التى تريد ، ونمط الحياة الأوربية التي تحبذ ، لتثبيت نفوذها الثقافى ، ومن ثم الاقتصادى ، تدعيما لمصالحها .

وفي قلب المشهد تتجمع صفوة من أبناء الوطن العربي ، تحلم وتفكر وتناقش ، تؤرقها الفجوة بين تقدم الغرب وتخلف العرب والمسلمين الذين كانوا يملكون حضارة راقية في زمن مضى ، وتشغلهم الأسئلة عن كيفية النهوض ، وإعادة تشكيل المجتمع العربى والاسلامى ، ماذا يمكن الأخذ به ، وماذا يمكن التخلى عنه مما لدى الغرب ؟ فأقبلت على العلوم الحديثة ، وراحت تبحث عن أجوبة في التراث الذى كان الأرضية التى تشكلت منها وعليها الاتجاهات الفكرية التى ملأت مساحة الزمن العربى الحديث ، عله يسعفها بإجابات للمسائل الكبرى التى تواجهها .

المحيط المصري والتربة المصرية كانا دائمًا قادرين على استيعاب إبداعات الأقاليم العربية جميعًا

نظرة من قريب على المشهد بين مصر والشام :

لاأعتقد أن هناك خلافا على أن النهضة العربية الحديثة ـ وماتلاها من عصر اصطلحنا على تسميته « بعصر الاستنارة » ـ تبلورت في إقليمين عربيين أساسا : هما مصر وبلاد الشام . ومع أن عوامل التأثر والتأثير بين الحركتين النهضويتين لم تنقطع منذ منتصف القرن التاسع عشر ، إلا أن عملية النهوض والاستنارة في كل من الإقليمين اتخذت طريقا مغايرا للآخر . وقد أدى هذا بدوره الى تقاطعات حدثت في المسيرتين النهضويتين وصلت في بعض المراحل إلى حد التعارض . إلا أن مثل هذه

قاعدة القوة هي الفكر والعلم اللذان ينبعان من الإنسان

الحالات الأخيرة ، كانت هي الاستثناء وليست القاعدة ، وفي هذا المجال يجب أن نشير إلى أن الالتقاء بالغرب ـ بأوربا ـ كان النقطة التي انطلقت منها ـ وليس على أساسها ـ حركة النهضة والاستنارة . وهذا اللقاء بالغرب مازال صالحا لتفسير كثير من عوامل نجاح وإخفاق مشروعنا النهضوي ، الذي أرى أنه لم يستكمل بعد ، وإن تحققت خلاله انجازات كبيرة وكثيرة .

وان كانت حملة نابليون على مصر هي التي تؤرخ لبدء عملية النهوض بأشكاله المختلفة التي سنجملها بالقول : إنها عملية النهوض الحضاري ، فإن ما يؤرخ لعملية النهوض في بلاد الشام ، هو تلك الارساليات والبعثات التبشيرية التي أدخلتها دول الاستعمار الأوربي ـ فرنسا وبريطانيا ـ أساسا ، وروسيا بدرجة أقل ، فتحت ذريعة حماية الأقليات الدينية في سوريا ولبنان وفلسطين تدخلت فرنسا لحماية الكاثوليك في لبنان ، وحاولت روسيا التدخل تحت ذريعة حماية المسيحيين الأرثوذكس . أما بريطانيا فقد تدخلت لحماية ماأسمته بالأقلية اليهودية لأنه لم تكن هناك طائفة بروتستانتية تدعي بريطانيا حمايتها ، ولكن حدث أن اعتنق بعض المسيحيين العرب المذهب البروتستنتي لكن الوجود البريطاني كان سابقا على ذلك . وقد حاولت هده الارساليات أن تطوق جزيرة العرب في بداية هذا القرن فأسست لها مراكز في البصرة والكويت والبحرين وعمان . ومع هذه الارساليات في بلاد الشام دخلت أول مطبعة إلى جبل لبنان في خمسينيات القرن الماضي ، ونسجت عبر المدارس التبشيرية علاقة بين عرب المشرق وخاصة لبنان ، وبين دول الغرب الاوربي وخاصة فرنسا . ولعبت الارساليات الروسية دورا لايقارن بالدور الفرنسي بالطبع ، إلا أنه كان كافيا لبروز ظاهرة تتمثل في ظهور بعض الاسماء المهمة في عالم الثقافة نهلت من معين الثقافة الروسية حيث تلقت العلم هناك . ومن أبرز هذه الأسماء المؤرخ الفلسطيني بندلي جوزي ، وكلثوم عودة وهما من فلسطين ، وكذلك ميخائيل نعيمة الذى انتقل من روسيا الى الغرب ليسهم في حركة المهجر الأدبية قبل أن يعود إلى وطنه لبنان ويبقى هناك حتى وفاته ، وغني عن القول أن هذا الرافد الأوربي كان تأثيره بدرجة أقل في حركة النهضة في مصر .



أما بريطانيا فإن دورها الأكبر لم يكن في حجم الدور الفرنسي في البداية ، إلا أنه تعاظم بعد دخول الإنكليز إلى العراق وفلسطين وشرق الأردن ، وهنا نسجل اختلافا جزئياً عن حركة النهضة بمصر حيث التأثير البريطاني بدأ التغلغل في النصف الثاني من القرن الماضي عبر سيطرة اقتصادية ثم احتلال عسكرى مباشر .

إن الدور « الملتبس » الذى قامت به دول الغرب الاستعمارية في بلاد الشام طبع خريطة النهضة هناك بطابع مختلف عما سارت عليه الأمور في مصر . فقد كان خطر الاحتلال البريطاني والفرنسي غير منظور مقارنة بالهيمنة التركية القابضة على أرض سوريا الطبيعية . ومع الجهل النسبي في ذلك الوقت المبكر بدأت فرنسا وبريطانيا نشاطهما المختفي تحت عباءة التبشير والتعليم ، وكأنهما بلدان صديقان قد يكونان حليفين محتملين إذا مافكر العرب بالتحرر من الهيمنة التركية ، وهذا ماتم فعلا ابتداء من عام ١٩١٦ ، حين اندلعت الثورة العربية بقيادة الحسين شريف مكة ضد الأتراك ، وبدعم مباشر من جانب البريطانيين ، وبالمقابل كان العدو الواضح والمحدد هو تركيا بحكمها العثماني الذى تميز بالجهل ، وتحول بعد ذلك إلى غطرسة قومية بعد بروز الحركات القومية المتطرفة فيها .

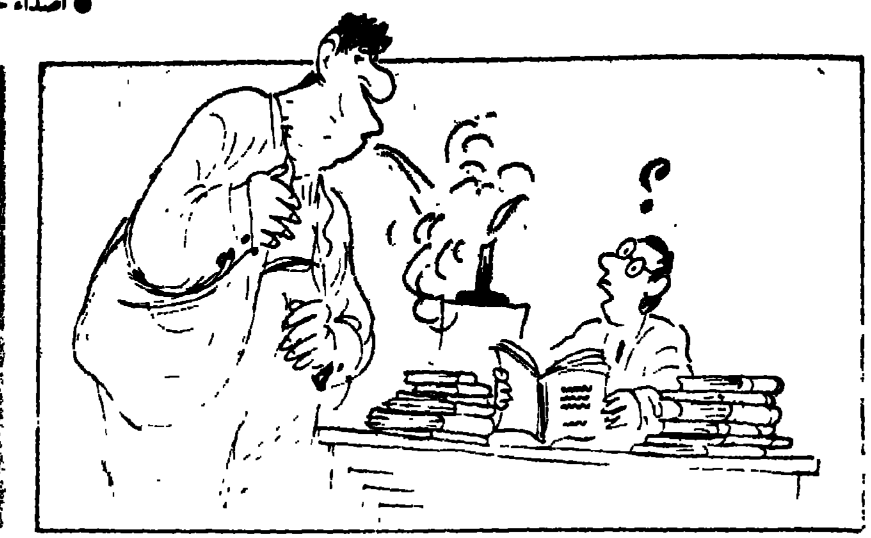
ولقد كان الأمر معكوسا تماما في مصر التى كانت ترزح تحت النير البريطاني فيما بدت تركيا مركز الخلافة الإسلامية حليفا محتملا لموازنة النفوذ البريطاني ، عند أى محاولة للخلاص ، لكن هذا لم يحدث فبقيت تركيا بعيدة عن أذهان المصريين باعتبارها ليست صديقا كاملا .

ولم يكن هذا بلا تأثير على حركة النهضة في كل من الإقليمين ، فبينما اتحدت حركة النهضة في بلاد الشام طابع التحرر القومى الذى تطور من تحرر له محتوى دينى كما كان عند عبدالرحمن الكواكبى إلى تحرر قومى المحتوى ، فقد اتخذ التحرر في مصر طابعا دينى المحتوى برغم أهمية الدور التنويرى الذى لعبه الليبراليون المصريون ، وكان العامل الدينى إلى جانب الوطنية المصرية هما المحركان للمشاعر ، بينما كان العامل القومى العربى هو الذى يحرك الجماهير في بلاد الشام ، وذلك قبل فترة المد القومى التى تمثلت في الحركة الناصرية في مصر في الخمسينيات

وعلى هذه اللوحة الإجمالية لمسيرة النهضة والتنوير في كل من مصر وبلاد الشام ، يمكننا إيراد بعض الملاحظات التى تبدو مفارقة أحيانا إلا أنها في الوقت نفسه دلائل على علاقة التفاعل التى لم تنقطع بين الإقليمين العربيين .

فقد ذكرنا أسماء رموز عصر النهضة في بلاد الشام ممن زاروا مصر وبعضهم استقر فيها ، بل إن أثره الباقى وإنجازه الأساسي تم فيها ، وتكاد هذه الأسماء تشمل جميع رموز النهضة والتنوير في بلاد الشام ، إلا أن العكس ليس صحيحا ، أي أن انجازات رموز التنوير المصري في معظمها لاسيما في مرحلة الصفوف الأولى من الرواد ـ ولا أتحدث عن





استثناءات ـ نفيت في المحيط المصري والتربة المصرية التي يجب أن نذكر عن أنها كانت دائما قادرة على استيعاب ابداعات الأقاليم العربية جميعا .

ومن المفارقات الأخرى التي نوردها أن التيار القومي لدى قطاع سوري طويلا من العمل المتطور والمتضمن في بلاد الشام ، بجد تعبيره القومي والمؤثر إلا عندما التقى مع تيار القومية العربية في مصر في خمسينيات . وأن التيار الديني في مصر الذي أسهم فيه الشيخ رشيد رضا السوري انتقل إلى سوريا بعد انتشار حركة الاخوان المسلمين في مصر سابقا ، ثم عادت إلى سوريا عن طريق الشيخ أمين السباعي في نهاية الأربعينيات

وفي حقل الثقافة تبدو ظاهرة التفاعل أكثر وضوحا . فاولاد تكلا وأبو خليل القباني وشبلي شميل وجورجي زيدان بدعوا في مصر أساسا . وما كان لهم أن يبدعوا على الأرض السورية لأسباب تتراوح بين التعسف التركي ، وعدم صلاحية التربة لتقبل إبداعاتهم . ويبرز هذا في سيرة المبدع أحد أبرز رواد المسرح العربي : أبو خليل القباني الذي نجح فنا نجاحا في مصر إلا أنه أحبط حتى مات كسير القلب في سوريا .

على أن فترة العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن شهدت حركة متنامية بين مصر وبلاد الشام . فقد أصبحت العروض المسرحية المصرية في بلاد الشام أمرا مألوفاً وطبيعياً . وما أن ضوت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتى أصبح نسيج الثقافة العربية متداخلا ومتزايدا بصورة يصعب رصد التأثير والتأثر ، فذهب المدرسون الكويتيون إلى السنغال ، والمدرسون المصريون إلى خورفكان في الخليج العربي ، وانتشر أبناء العرب على مجمل الساحة يتفاعلون ثقافياً كما لم يحدث في القرنين السابقين على الأقل .

أصداء التنوير انتقلت إلى الخليج عبر الصحف والمسافرين والحجاج والتجار

نظـــرة من كــتب على الجزيــرة والخليــج العــربي :

في الجزيرة والخليج العربي وصلت أصداء الاستنارة متأخرة نسبياً وأثرت في الأماكن المختلفة تأثيرات مختلفة .

فقد وصلت أصداء الاستنارة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من خلال الحجاج والمسافرين إلى أرض الحجاز ، بل استوطن بعض المثقفين من مصر والشام منطقة الحجاز وبدءوا بالتعاون مع بعض المستنيرين في إصدار نشرات منها على سبيل المثال (أمّ القرى) الجريدة التي أصدرها الشيخ يوسف ياسين لصالح الملك عبدالعزيز . وكذلك طورت بعض مدارس الفقه هناك كي تحتوي على العلوم الحديثة ، وفي الخليج نجد أن الصدى وصل الى هذه المنطقة مع بداية القرن العشرين ، فأسست النوادي الثقافية ، وكانت هذه النوادي تتلقف المنشورات العربية ، خاصة الجرايد والمجلات التي كانت تصدر في القاهرة أو دمشق ، وتسافر خصوصا من مصر عن طريق البحر الأحمر إلى الهند (بومباي) ، ومن الهند إلى الخليج . في هذه الفترة عرف المستنيرون من أبناء الخليج الكتابات العربية والكتاب العرب ، وعرفوا دعواتهم بأشكالها المختلفة ومنها الدينية المستنيرة ثم القومية بعد ذلك .

هذا النوادي الثقافية أخرجت بعض المستنيرين المحليين ، وربما على رأسهم في عشرينيات هذا القرن : عبدالعزيز رشيد من الكويت الذي أصدر مجلة الكويت في نهاية العقد الثاني من هذا القرن ، وكانت هي الرائدة في مجال الصحافة ، نشر فيها بعض الأفكار المستنيرة في التعليم والثقافة وأشكال الحكم . وكذلك رجل مثل عبدالله الزايد ، في البحرين الذي أصدر جريدة البحرين في نهاية العقد الثالث من القرن الحالي .

وقد حمل أمثال هؤلاء مشعل الريادة في خطوات التنوير الحديث . لقد كان صدى الأفغاني ومحمد عبده وغيرهما يتردد في الخليج مع المسافرين والقادمين من تلك البلاد ، وكان بعضهم قد حمل ريادة التعليم على ضفاف الخليج من أمثال الشيخ حافظ وهبه ـ المصري ـ الذي عمل في كل من البحرين والكويت ، ثم انتهى مستشارا لفترة طويلة تناهز النصف قرن للملك عبدالعزيز بن سعود ، ثم أول سفير له في بريطانيا .

وكان حماس النخبة في الخليج والجزيرة كحماس إخوانهم على ضفاف النيل وبردى ، وفي بيروت وتونس والمغرب ، حماس وطني يتشوق الى الانعتاق والتحرر .

العقاد وطه حسين والمازني لم يظهروا من فراغ فجذورهم تمتد حتى المجددين الأوائل واتساع الطبقة الوسطى ساعد في انتشار أفكارهم



أما الجيل الثالث من أجيال الاستنارة في مصر والشام فقد وجد في الخليج أرضا أخصب مما وجد الجيل الأول والثاني ، حيث انتشرت في خمسينيات والستينيات المدارس ، بل ذهبت مجموعات كبيرة من أبناء الخليج والجزيرة لطلب العلم في بيروت ودمشق وبغداد والقاهرة ، وظهرت بداية التعليم العالي المحلي ، فأصبح هناك طه حسينيون وعقاديون ومازنيون من أبناء المنطقة ، متحمسون أشد الحماس لأفكار هؤلاء المستنيرين ، وظهرت أفكار تدعو إلى محاربة الفقر والجهل والمرض ، وتتخطى الأفكار الطائفية والاقليمية بين أفراد هذا الجيل .

لقد كان صدى التنويريين في الفكر والثقافة في الخليج كصداه في السياسة ، بل في كثير من الأوقات كان الاثنان يسيران جنباً إلى جنب . لقد نظر أبناء الخليج إلى الاستعمار البريطاني الجاثم على أرضهم وقتئذ كنظرة إخوانهم في مصر ، وكانت الأفكار القومية لها الصدى الأكبر حيث إن طبيعة صغر المساحة والسكان ، ووجودهم على الطرف الشرقي للوطن العربي أحد الأسباب الموضوعية لتمسكهم واحتضانهم الدعوة القومية ، بما تشمل من تحرّر سياسي واقتصادي واجتماعي .

وكان طريقهم إلى كل ذلك هو التعليم الذي ساعدت الظروف المادية الجديدة (النفط) على انتشاره وشموله ، وكان يعني تعليم الفتيان والفتيات على حد سواء ، وفتح المجال لتطوير الإدارة الحكومية ، وكذلك المطالبة بالتحديث السياسي ، وإصدار الدساتير المكتوبة لتنظيم الحياة السياسية .

□□□

تلك مسيرة الاستنارة ، وهذه أصداؤها ، وكما قلت في صدر هذا الحديث ؛ تفاعل الصوت مع الصدى كالنسيج الذي تختلف خيوطه في الاتجاه ولكنها في النهاية تشكل نسيجاً واحداً يضفي الدفء على الانسان .

غير أن الأسئلة الكبيرة تبقى معلقة ، فبعد كل هذه المسيرة وما تحتويه من نجاحات وعثرات ، ما زال جهد الاستنارة يحتاج إلى فعل ، وما زالت الثقافة العربية الشاملة تحتاج إلى جهود وعناء . يكفي أن نقول إننا حتى هذا اليوم لا يوجد في متناول أيدينا موسوعة عربية كاملة على غرار الموسوعات العالمية المعروفة ، أوَلا تستحق هذه الفكرة كغيرها من الأفكار المنيرة أن تخرج الى الوجود ولو بعد مائة عام من الاستنارة ؟!

محمد الرميحي

أقوال



● الشيخ جابر الأحمد

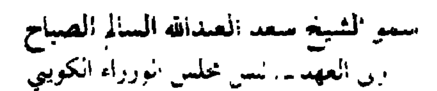
■ « إننا نؤمن إيماناً لا شك فيه ، بأن المشاركة الشعبية خير يجب أن نتمسك به ، ونحرص عليه ، وندافع عنه باعتباره مبدأ أقره الدين الحنيف ، وجُبل عليه مجتمعنا الكويتي ، ومارسه منذ نشأته » .

سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح
أمير دولة الكويت

■ « إن كل شيء ممكن عبر الحوار ، وعبر اللقاءات الأخوية ، وعبر صدق النوايا ، أما عبر ذلك من الأساليب ، فإنه لا يؤدي إلى شيء ، والناس في النهاية ستعرف من كان حريصاً على مصلحتها » .



● الشيخ سعد العبدالله



سمو الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح
ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الكويتي

■ « ليس من الضروري أن نحصر الأدب ليصبح شعبياً ، وليس من الضروري أن يبقى الشعب حيث هو ، جاهلاً غافلاً ، يشقى بالخمول والجمود »

طه حسين



● طه حسين

■ « لقد كانت الممارسات العملية لهيئات الحزب والدولة متخلفة عن متطلبات العصر وعن الحياة نفسها ، وكانت معدلات تفاقم المشاكل أسرع من معدلات القدرة على معالجتها »

ميخائيل جورباتشوف

■ « أنا لم أخدع امرأة في حياتي .. وكيف يمكن لرجل أن يخدع الصدق والمحبة والإخلاص والتضحية » !

عمر أبو ريشة

■ « اللاعب الجديد يريد التحدي أثناء ممارسة اللعب ، وإذا لم يوجد هذا التحدي فمن النادر أن يستطيع اللاعب مواجهة الضغوط النفسية والجسدية في مباريات كأس العالم »

كارلوس بيلاردو
مدرب المنتخب الأرجنتيني لكرة القدم



● عمر أبوريشة

ويسألونك عن المستقبل!

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

عند الكتابة عن المستقبل ، فإن قدرا من التفاؤل أو التشاؤم يدخلان في تضاعيف الرؤية والاستنتاجات . وكاتبنا لم يخرج عن هذا السياق .

فلقد كانت خبرة الكاتب العملية مجدولة بثروته اللغوية ، وسيلته للتعبير عن مرحلة عاشها بروحه وجسمه وكيانه كله ، تلك المرحلة التي خلفت ندوبا عميقة في نفسه ، لينظر من خلالها إلى المستقبل .

ترى ما عساه يقول ؟



هل تستطيع أن تواجه المستقبل وعيناك في عينيه ؟

أما أنا فليست لي هذه الجرأة « النيتشوية » على النظر في العدم ، أو على الأقل لا أستطيع حتى النظر إلى المستقبل في غير استحياء وأمل قتيل ، فورائي في الماضي القريب سلسلة من الهزائم تعوي فيها « . . والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع . . » سورة المائدة الآية (٣) .

والمستقبليات بعامة رجم بالغيب . لعلها بديل والتعزية عن المستنقع الذي نعيش . إنها هرب إلى صنعة منجمات الفجر منها إلى الحديث حدي ، وإنما يلجأ الإنسان إليها في الأزمات ، لعله يتبين لمسه مهربا ، أو يجد الطريق إلى غد ، فهي أفيون المعذبين ! ودعونا هنا من التخطيط العلمي للمستقبل ، فذلك من دنيا أخرى كم نتمناها ونركض وراءها . ولكننا نعم دوما في التنجيم ، وفي إسقاط بعض العناصر الأساسية من الصورة ، لعلها تبدو أكثر قبولا !

بين التنجيم والتفاؤل المستقبلي جعلت أقرأ الكثير عن المستقبل العربي . كنت أستعيد دون أن أدري أجواء الخمسينيات والستينيات ، وأبني لنفسي بدوري - ولو من المقوى - تصورا مستقبليا للتسعينيات المطلة من هذا القرن ، لا أريد أن أنتهي في آخر العمر ومرارة اليأس في فمي .

ومضيت بإرادتي مع المتفائلين .

على مشارف التسعينيات

إنهم يتحدثون عن مؤشرات التغيير ونحن على مشارف التسعينيات ، يعدونها طيور كولومبوس التي أرقصت قلوب ملاحيه !

يتحدثون عن الانتفاضة المباركة في تلك الأرض المنكوبة المباركة . يعلقون عليها من الآمال ما تنوء به . يصرخون بها أن تتقد وتستمر وهم على مقاعدهم جلوس يدخنون ، يودون أن يعتقدوا أن حركة آلاف من الأطفال قادرة على أن تحرك ١٩٠ مليونا من النيام ، نوم الخدر ! وأن حجرا يلقى في القدس أو غزة سوف يزلزل الطغيان الجاثم ما بين المحيطين .

ـ ولعلهم يرددون ذلك باقتناع يشبه القناعة بالبديهيات . ولقد كان ذلك في الستينيات ، في عصر الرومانسيات والمثاليات المطلقة صحيحا وممكنا ، أما اليوم ، ألم يختلف « العصر » ؟ فالناس غير الناس ، والحجارة غير الحجارة .

ويتحدثون ، في تفاؤل ، عن توقف النزيف في حرب الخليج ، وعن النصر ، وما كسب الجيش العراقي من الخبرة المرة في القتال الطويل ، وما عانت الجماهير من أهوال الحرب ومن التكاليف ، وما اقتطع من خبزها ودمائها فيه .

ـ إن ركام الشهداء وسهد الليالي البيض من الغم ، وصراخ اليتامى المجروح لم يذهب سدى . لقد اختزنت تجاربها بين الشغاف والقلب ليوم موعود .

وإذا كثرت الملاءات السود في الأسواق وهي أكياس مملوءة حزنا فهي عائدة إلى بيوتها ملأى بالفرح !

ويتحدثون برضا لا يخفونه عن عودة مصر إلى أقطار الجامعة العربية أو عودة هذه الأقطار إليها . الابن البار عاد أخيرا إلى ظل البيت الأبوي ، أو عاد البيت إليه ، لا فرق ! والشمل التام بعد جرح دام ١٢ سنة ، والشقاق الأخوي انهار بين الزغاريد .وتركنا« لكامب دافيد» أن تموت على مهل في الزاوية كالكلاب . لم نقتلها عمليا ولكن قتلناها صفحاً وغفراناً لتقود الشقيقة الكبرى بعد طول توقف معركة السلام .

ويتحدثون عن تزحزح بعض النظم عن « دوغماتية » الحزب الواحد ، وعن استعدادها المتزايد لسماع الرأي الآخر ، ويستشهدون بانقلابات السودان واليمن الجنوبي وتونس ، للبرهنة على أن ثمة انعطافا واضحا في مسيرة الوطن العربي . « البيرسترويكا » العربية بدأت إذن ، والرأي الآخر لن يكون من بعد حبيس الصدور أو السجون أو القبور !

ويتحدثون عن التكتلات الإقليمية التي بدأت تتجمع ، ولو من وراء الجامعة العربية وبعيدا عن جدرانها المتهدمة ووظائفها التي أكلها العث بعد خمس وأربعين سنة ! دول مجلس التعاون الخليجي الست جاءت في الطليعة ، ثم جاء مجلس التعاون العربي في المشرق ، والوحدة المغاربية في المغرب في يوم واحد ، كأنما كانا على موعد . والتقى النار والحطب والثوري بالرجعي على مائدة واحدة . وتنزل التفاهم الأخوي عليهم من السماء ، فهم على الإجماع والتنسيق ، وانتهى عهد النزاع والفرقة إلى غير رجعة . الزمن العربي الرديء انقشع . ومن حق العصافير أن تنطلق منتظرة الفجر الجديد . إن شيئا في الأفق يشع لا يتجاهله إلا الأعمى أو المكابر .

إذن فماذا سيكون في المستقبل ؟

لقد تحول الجو العربي اليوم إلى إشارة استفهام كبيرة . ولا يكثر السؤال إلا في أيام الأزمات والتحول . .

وكثيرٌ من السؤالِ اشتياقٌ
وكثيرٌ من ردِّهِ تعليلُ !

كل جديات القطب التي كانت تشل العمل العربي بدأت تذوب ويلتقي بعضها ببعض ، حتى طيور النورس ! ويتدفق التفاؤل مخدرا ناعما كنور القمر في الدروب « إن كل شيء على ما يرام يا سيدتي المركيزة » ! فماذا في الغد ؟

تيارات الأعماق

ولست أنكر كل هذا الذي عنه يتحدثون . كله حسن وجميل ويملأ الصدر تفاؤلا . ولعلي أقدّس الأيدي التي تعمل على بعضه وتصنعه . إنها دون شك تصنع الغد الأفضل !

لكن ! وكم أكره لكن هذه التي تفرض نفسها بعد كل عمل طيب ! لكن ألا تلاحظون أن كل هذه الإرهاصات « سياسية » ؟ وهذا الدفق من التفاؤل والنور يدخل من باب واحد هو باب السياسة والأبواب الأخرى مغلقة أو تكاد ؟

والسياسة نبت الشيطان ، وجانب التفاؤل فيها رواغ زئبقي . وقد يصور ما نريد أن يكون أكثر بكثير مما يصور ما هو كائن ؟ وكل هذه التطورات التي سلفت نابعة من أرض المفاجآت وليست نتيجة تطور الواقع الذي نعيشه !

ولست أدري فيم يتراكض الناس إلى السياسة الطافية على السطح ، ويتركون ، أو ينسون ، تيارات الأعماق ، وهي صانعة السياسة . فهل ثم ديمقراطية مع الأمية والفقر ، أو ثم وحدة مع التمزق الطائفي والتصادم الإقليمي المتزايدين ، أو ثم تعاون جماعي مع وجود النظم الاستبدادية ؟ وهل ثم تنمية دون قواعد لها في المجتمع ؟ أضف إلى هذا أن سياستنا ـ ككل دول العالم الثالث ـ مستعارة !! متقلبة على الرغم منا .

ولست في هذا أميل إلى التفاؤل أو التشاؤم لا التكذيب أو التصديق أو الجدل ولكنني أعرف أن خيوط السياسة في المنطقة ليست كلها في أيدينا ، ولأنني أعرف فإنني أخشى رقصات



الشيطان . إنها قوى ليست أبدا بالمحايدة ولا مجنونة ، ولكنها محسوبة بالحاسوب « الكمبيوتر » ، تلعب بمستنقعات الدم والنار في أرضنا الشاسعة ، وترسم لها مصائر غير المصائر ، وأقدارا غير الأقدار ، وقد تصل ـ ولعلها واصلة غدا ـ حد تغيير الخرائط وإعادة الترتيب !! وكل شيء جاهز لذلك ما دامت اللوحة السياسية لدينا معلقة في ليل الأهواء « الشخصية » ، غير مرتبطة الجذور بالأعماق الحقيقية والثابتة للتطور السياسي ، ولا صلة لها بها ، فبعد أكثر من ستين سنة من آخر تخطيط للمنطقة الخطرة بيد قوتين لم يعد لهما اليوم شيء من القوة ، وبعد أن نضجت العصا الأمريكية الغليظة (اسرائيل) ، واستعدت ككل عميل رخيص ، حتى لإطلاق الصواريخ البعيدة المدى والنووية ، في حين تكبح الصواريخ في باقي العالم ، وبعد أن وصلت المنطقة بالإرهاق السياسي والاقتصادي والقتل والقتال حد السيولة والعجينة القابلة لأي تشكل ، لم يعد لتسويات الحرب العالمية الأولى أن تصلح لأطماع الإمبراطوريات الكبرى الناشئة وهي على عتبة القرن الحادي والعشرين ! إن شيئا ينضج على المطابخ الأمريكية الهادئة ، ولنا أن نشوى نحن على نار هادئة أو حامية . ماذا في ذلك ؟

وكنت أتمنى لـو أقنعتني المؤشـرات التي يتحدثون عنها ، ولكنني أرددها ويدي على قلبي : أليس ثمّ قبلَ الفجرِ فجرٌ كـاذب ؟ وأخشى ما أخشاه أن يكـون تلمسها نـوعا من التعامل مع المخدرات ، أو بعضـا من محاولات غريق يستنجد بقشة طافية ! .

كنت أقتنع أكثر وأطمئن لو بنوا تفاؤلهم على أرض أخرى : من الحلم أو من الواقع . لو بنوا المستقبل العربي القادم في التسعينيات من خلال حلم قبلت الحلم ، فليس الحلم ممنوعا ، ثم إنه صناعة مجانية على حساب الـواقع ، ولعب في الهواء المحايد ، ولا تثريب عليك فيه إن وضعت بينك وبينه مسافة كافية من الثلج والأفيون ، ولكنه يظل حلما ، سكة ضلال تقودك من باب إلى باب ، حتى تجد نفسك أخيرا على رصيف الشارع نفسه !

أسئلة معلقة في الهواء

ولكنهم يتحدثون في الـواقع ، وهنـا الخطر وموقع القلق ، وهنا تتمنى لو بنوا تفاؤلهم على مواقع أخرى أكثر صلادة وصلابة ! وحين أتأمل الواقع أجدني كارهـا للتفاؤل ولـلأحلام معا ، وأجد ما يشبه الخيول الشاردة في جبيني تسير خببا ، لتضع بدل الصور المتفائلة صورا أخرى هي منابع التفاؤل الصحيح . .

كان ممكنا أن يكونوا أكثر واقعية وإقناعا لـو تحدثوا بأشياء أخرى معها تكون سندا لها وقاعدة صلدة ومنبعا للتفاؤل الحقيقي بثبات التطورات السياسية .

- لو تحدثوا وحدثونا مثلا عن التنمية ومؤشرات نجاحها في هذه السنوات العشر المقبلة . هل ثمة ما ينبيء أن الخطط لم تعد تقتصر على العنصر الاقتصادي ، وأنها بدأت اعتماد فلسفة شاملة لتخطيط شامل متكامل ؟ هـل انقضى وهم التنمية بالاعتماد على الخارج وعلى النماذج المستوردة ؟ هل وضعت للتنمية استراتيجية واضحة ؟ هل اقتنعنا أن استيراد التقنية لا يغني عنها فتيلا إن لم يغرقنا أكثر في الاستهلاك والتخلف ؟ أسئلة معلقة في الهواء ، تنتظر جوابا ، ولا جواب !

- ولو تحدثوا وحدثونا عن الأمية المتوطنة في قاع المجتمع العربي ، وبخاصة الأمية الحضارية ، هل ثمّ ما يشير إلى أنها متقرضة خلال العقد القادم ، أو أن منابعها على الأقل سوف تسد وتتخلص جماهير المواطنين من حياة الديدان والبهائم التي تعيشها ؟ إن ٦٠٪ من المواطنين (والنسبة بازدياد) يدبون كالعميان في ليل الجهل ، فهل ثمّ مشروع مضيء في هذا الليل المتسع ؟

- ولو تحدثوا وحدثونا عن التقسم الطائفي الذي زرع ، والذي تفجر في المجتمع العربي بعد خمود ، ونما كنباتات الشوك المرة ، وقسمه عموديا إلى تجمعات يزداد التناحر بينها ، وأحيا إحنا مضى على بعضها ألف وثلاثمائة سنة ونيف أو ألفان ! ومع ذلك فنحن ندفع ثمنها المتزايد إلى اليوم . هل ثمّ ما يشير إلى انقشاعها أو أن نبتتها الأخيرة في نمو مذهل ، كبعض النباتات الشيطانية ، لا تقطع رأسا من رؤوسها إلا ونبتت بدلا عنه سبعة رؤوس .

- ولو تحدثوا وحدثونا عن النظم الاستبدادية الفردانية التي تستلهم عمامة السلطان القديم وسوطه . هل فهمت معنى الدولة ؟ هل بدأت فهم الفرد على أنه « مواطن » فعلا وليس « رعية » ، أو أدخلت أبجدية حقوق الإنسان بين حروفها ؟ وهل تركت ولو هوامش يعيش فيها الإنسان بكرامته مبرءا من الخوف ، ومن زائري

الليل ، ومن أن تسمع جدرانه دقات قلبه ، وتنقل سرائر نفسه ؟ أليس غريبا أنني وأنا أمشي في الستينيات من عمري لا أذكر أنني دعيت إلى الاقتراع أو ذهبت إلى صندوق الانتخاب سوى مرة واحدة في حياتي ؟ وفي هذه المرة نفسها كان الانتخاب مزوّراً ، بدليل أن عدد المقترعين فيه كان أربعة آلاف ، وجمعت الأصوات فإذا هي ستة آلاف !!

هل ثمة أمل ؟

ـ ولو تحدثوا وحدثونا عن ذئاب الرعب التي تتحول بيننا هل خفت أعدادها ، أو قصرت أظافرها والأنياب ؟ إن هذا الخوف أضحى يسكن تحت جلودنا ، يأكل معنا ويشرب وينام . فهل بدأ ينزاح عن قلوبنا وأقلامنا وشفاهنا المتقلصة ، أو أن ثمّ أملا في أن ينزاح ليشعر الفرد ما أنه إنسان ؟ وهل ثمة أمل ، مجرد أمل ، من أن يسمع الذئب المتسلطن صوت الأغنام التي تئن في ظلمة الأقبية ؟

ـ ولو تحدثوا وحدثونا عن الفقر الذي يأكل جذورنا أكلا كفئران الحقل ، هل بدأ الوعي بمكافحته بالإنتاج ؟ نحن نستورد الآن (٧٥٪ ـ ٨٠٪) من لقمتنا التي نأكلها ، وكنا قبل أربعين سنة نصدر منها للآخرين . فهل تنبهنا إلى أننا سوف نذبح بخنجر من الخبز عن قريب ، وأن التبعية الاقتصادية سوف تضطرنا أن نكون كالكلب : « إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث » ولن نستجدي السلاح ولا التقنية ، ولكن سوف نستجدي الخبز ، ونضع خدودنا على الأرض من أجل حفنة قمح ؟

ـ والنفط لو تحدثوا وحدثونا عنه ، هل سيعود سلاحا أو يظل كما حوله المتفعون نكبة ؟ هل ثمة ما يدل على أنه سيعود قاعدة اقتصادية متينة لأهله ؟ وهل الذين دمروه جعلوه كماء البحر بين أيدينا فأسعاره بانخفاض ، وأسواقه بتقلص ؟ هل ثابوا وأنابوا ومشى الذئب مع الحمل ؟

ـ والديون الخارجية التي تسحقنا وتثقب جيوبنا وتزداد كل يوم تضخما ، وتحملنا من أمرنا رهقاً ، وتتركنا راكعين على سلم صندوق النقد الدولي تارة والبنك الدولي أخرى ، والتي تضع أنوفنا في الرغام لاتباع سياسة « التقشف » ، ولنأكل النخالة والشعير بدل الخبز ، هل بدأت شرتها تنحسر وأشواكها الذابحة توحي بالاطمئنان للغد ؟ وهل جاءنا عنها خبر يوحي بأن فوائدها سوف تلغى أو تنخفض فلا تهدد بالإفلاس الاقتصادي ولا بالدمار السياسي مجتمعاتنا الهشة ؟!

ـ « واسرائيل » ، ذابحة الأطفال ، وما أدراك ما « اسرائيل » ، فاشية ما بعد الفاشية ، ما الموقف العسكري منها ؟ وما الموقف السلمي ؟ هل عسانا أمنا سكينها ، فنحن نمد إليها اليد المسالمة ، وهي تتأبى ، ونحن نبذل لها الأرض وهي ليست على استعداد لقبول السلام ؟ هذه الدويلة التي تكلفنا ـ وما زالت ـ المليارات من الديون في السلاح دون طائل ، وتأكل عيوننا فلا نستطيع التنمية ، ولا نكاد نقوم بمشروع منتج وهي في خاصرتنا شوكة ممتلة . « اسرائيل » ، هذه الأجيرة الامريكية بامتياز التي ترتع في أرضنا دون رادع ، هل ثمة ما يشير إلى أن التوازن الاستراتيجي معها مضمون ، أو أنه يقترب ؟ وهل ثمة توازن بين من يصنع المسدس والرشاش حتى الآن ومن يصنع طائرة (لافي) المقاتلة ، ويجرب الصاروخ البعيد المدى (اريحا ـ ٢) ،



ويطلق القمر الصناعي ، ويدخر في ترسانات‍ه عشرات القنابل النووية ؟

لقد أطلقت هذه الأخبار تباعا خلال الستين الأخيرتين ، فلم يهتز جفن عربي لخطورتها . أهل الكهف سبقونا إلى النوم الطويل ، لكننا ننام كأننا محميون من كل خطر ، فهل هزت هذه الأخبار المتفجرة سرائرنا ؟ الحيوانات تستشعر الخطر وتهرب منه ، ولها ردود أفعالها واستجاباتها له ، فهل دفع هذا كله العقل العربي إلى الحركة ، أو أنه « واحدي التفكير » ، لا يستوعب الأمر ونقيضه ، ولا يستوعب البدائل ؟ وما دمنا على خط السلام فمن « العيب » أن نفكر بخط الحرب ، مع أنهما وجهان لعملة واحدة ، وأحدهما يخرج من صلب الآخر !

معنى الغد !

- والإقليمية ؟ حدثونا عنها ، وقد بلغت حدها من التجذر والتبجح، وبعد أن ازدادت الحواجز بين الأقطار العربية فمن يريد العبور حتى ولو كان كتابا فهو في حاجة إلى سلالم عالية تعبر به من فوق الأسوار العالية ، وتتجاوز أنانية الحكام وقلم الرقيب وسكين الجمارك وسياج المخابرات وسطوة الارهاب الفكري .. هل بدأت هذه الإقليمية تتصدع ؟ لقد قامت الاتحادات الإقليمية الثلاثة ، وصفقنا لها ، فهل أقنعتنا أن بناء المستقبل القومي لا يقوم على أساس قطري خالص ، وأن التوحد القومي لا يصطدم أبدا مع التوجه الإسلامي ؟ وهل استوعبنا - على الأقل - تجارب أوروبا التي تتساند لتقابل التسعينيات كتلة واحدة ؟ وهل آمنا أن هذا التوجه ضرورة قومية مصيرية ؟ لن أجادل في هذه التكتلات أهي أضعفت الجامعة العربية أم زادتها مرونة وقوة ، فالأمر في النتيجة سواء ، ولكنني أتساءل : هل أعددنا - أو نحن في السبيل - إلى إعداد العدة لاستقبال القرن المقبل وفيه خمس كتل كبرى متزاحمة بإضافة اليابان والصين وأوروبا إلى العملاقين الموجودين اليوم ؟ وهل ثمة من يُعنى بفهم معنى الغد وفيه هذه القوى الضخمة ، ويعد نفسه للتعامل معها ؟

دعونا بعد كل هذا من التساؤل عن بؤر الخطر والتوتر في الوطن العربي والعالم الإسلامي ، بين أقصى جنوب السودان وأقصى الصحراء الموريتانية وأقصى الجبال في المشرق العراقي الإيراني ، هل ثمة موقف موحد يتبلور لمواجهة هذه البؤر ؟

ولننس مؤسسة القمة العربية التي بدأت منذ خمس وعشرين سنة (أو أكثر من ذلك) ، وهل في الأفق ما يؤكد أنها ستصبح أكثر فاعلية وأصلب قرارا .. فيما يجاوز العناق والقبلات عند اللقاء والفراق .

ودعونا من الحديث عن العصافير المهاجرة والأدمغة الهاربة أيان مرساها ؟ وعن التردي الصحي متى يكافح ، وعن جبروت التقنية والهوة القائمة بيننا وبينها ومتى تردم ، وعن ... وعن ...

إن الحديث ذو شجون . ولقد كنا نتذاكر بعضه أو مثله ، فقام أحد الحضور وقد مل التشاؤم ليقول :

- لا تفكر ! الله يدبر ، بكرة يدبره رب بكرة ! « ومن تفكر في الدنيا ومهجته
أقامه الفكر بين العجز والتعب ! »



« أستعيد الماضي ، لا لكي أفتح جراحاً ، بل لكي لا تذهب التجربة هباء ولا وتعود الذاكرة عذراء »

أميل حبيبي

العرب والتحدي العلمي

بقلم : الدكتور سعود عياش

. شهد العالم في نصف القرن الماضي ثورات علمية كبرى ، ويتوقع كثيرون أن تشهد السنوات الباقية من هذا القرن نتائج وتراكمات علمية ، تفوق ما شهده العالم طوال القرن كله . أين نقف نحن العرب وسط هذا التطور ؟ وكيف نواجه هذا التحدي الذي سيحكم على من لايلحقه بالبقاء أسيرا للتخلف؟ هذا مايعرض له هذا المقال .

من نافل القول أن يقال بأن العرب يواجهون تحديا علميا كبيرا في التسعينيات ، فهذه حقيقة واضحة ملموسة ، شأنها شأن التحديات الحضارية الأخرى التي تواجهنا ، غير أن التحدي العلمي المطروح ليس ذا طابع كمي ، يتمثل في تخلف المؤسسة العلمية العربية في بعض المجالات ، أو في وجود فجوة علمية ضيقة ، تفصلنا عن العالم المتقدم ، يمكن تجاوزها بتكثيف الجهود العلمية كميا ، إن التحدي المطروح نوعي الطابع . إنه التأسيس لموروث علمي معاصر .

فالمؤسسة العلمية العربية تعاني من ضعف شديد وشبه غياب ، سواء على الصعيد العربي أو الصعيد العالمي . وليس لهذه المؤسسة أي آثار ملموسة في إطار المعرفة الكونية . ولا يشفع هذا الغياب جهود فردية معزولة هنا وهناك ، نسمع عنها بين الحين والآخر .

وحين نتحدث عن التحدي العلمي نقصد بذلك تخلف الواقع العلمي العربي ، مقارنة بالواقع العلمي العالمي ، من حيث الإسهام الفعال في تطوير المعارف والعلوم الأساسية ، والعجز عن تمثل الإنجازات العلمية والتقنية واستيعابها، وتطويعها لمقتضيات تطوير الواقع العربي ، وتدني مستوى إسهام المؤسسة العلمية العربية في رفد البنى الإنتاجية في أقطارها بالمدخلات اللازمة لتطويرها والارتقاء بمستوى أدائها .

والواقع أن العرب لا يواجهون في العقد القادم تحديا علميا فقط ، بل إن التحديات مطروحة على كل الجوانب الحياتية الأخرى . وهي تحديات لا تقل حدتها عن مستوى حدة التحدي العلمي . فإذا استعرضنا واقع الأقطار العربية نجد أقطاراً منها مثقلة بالديون ، تعاني موازين مدفوعاتها من خلل بنيوي ، في ظل

سيادة النمط الاستهلاكي ، وتراجع القاعدة الإنتاجية ، وعجزها عن توفير الأساسيات الحياتية .

وتعاني الأقطار العربية أزمة بطالة حادة ، حيث تعجز البنى الاقتصادية والاجتماعية عن استيعاب ملايين الشباب ، وتوظيف طاقاتهم وإمكانياتهم بصورة مثمرة . ويعاني الواقع العربي أزمة فكرية ثقافية ، تتمثل ، في بعض جوانبها ، بانحسار منظومة القيم المعنوية ، وغياب المثل الباعثة على العطاء والإبداع ، وتشوه الثقافات السائدة ، وتقوقعها ضمن أطر إقليمية ضيقة ، أو نكوصها نحو الماضي . إن الواقع العربي يبدو كأنه يعيش في عالم غير العالم ، وعلى أرض غير الأرض . وفي إطار واقع كهذا تعيش المؤسسة العلمية العربية أزمة خانقة ، وتواجه تحديات كبيرة ، يفرضها تخلف واقعنا ، والتطور السريع للمعرفة الكونية .

العلم والتقنية في العالم المعاصر

يجدر بنا التأكيد على أن العلم والتقنية أصبحا معطيين أساسيين لبناء أي واقع اقتصادي اجتماعي ، قادر على حماية نفسه ، وتوفير حياة كريمة لأفراده . ولا يمكن في الزمن الحاضر ، لأي تشكيل حضاري ، أن يملك مقومات الاستمرار والإسهام في التطور الحضاري العالمي ، بدون الاعتماد بصورة مكثفة على العلم والتقنية . إن المقومات التقليدية للبنية الاقتصادية ، وأهمها رأس المال والعمالة والمواد الخام ، لا جدوى منها في غياب العلم والتقنية وبالعكس ، فإن توافر العلم والتقنية يمكن أن يغني عن النقص في أي من المقومات التقليدية .

يحتل العلم والتقنية مكان الصدارة بين مقومات الإنتاج ، وبدونهما لا يرجى إنجاز الكثير ، ولا توفير الأساسيات الحياتية للأفراد . والأدلة في العالم كثيرة ، وأكثرها وضوحا تجارب دول شرق آسيا التي تمكنت في عقود قليلة ، من الوقوف على قدم المساواة مع القوى العملاقة . ومهما تعددت التفسيرات والنظريات ، لأسباب التقدم الكبير الذي تحقق في تلك الدول ، فلا يمكن إنكار الدور الريادي للعلم والتقنية في ما حدث . لقد شاع رأي فترة طويلة ، وربما ما زال شائعا في بعض الأوساط ، يقول : إن اليابانيين كثيرا ما اقتنصوا أفكار الآخرين وإنجازاتهم العلمية ، وأنهم سرعان ما طبقوها وترجموها إلى نتاجات مادية . وبغض النظر عن صحة هذا الرأي فإنه يظل دليلا على الأهمية الفائقة للعلم والتقنية في العالم المعاصر .

الواقع العربي

لا أحد ينكر أن عدوى الثورات العلمية والصناعية التي شهدتها أوربا قد انتقلت إلى الواقع العربي بوسائل مختلفة . ولا ينكر أن هذا الواقع استجاب بصورة إيجابية لإفرازات تلك الثورات . وتقف تجربة محمد علي في مصر ، في أعقاب الحملة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر ، شاهدا على الاستجابة للتغيرات العلمية والتقنية والاستعداد لتمثلها وتطويعها في إحداث نهضة حضارية . وشهدت فترة ما بين الحربين العالميتين محاولات جادة ، لتطوير الواقع الإنتاجي العربي ، باستخدام معطيات العلم والتقنية ، غير أن تلك التجارب أجهضت لأسباب خارجية وداخلية . ومع أننا لسنا في معرض مناقشة ما حدث فإننا نود التأكيد على أن العلم والتقنية لم يحتلا موقعا ذا أهمية في الفكر العربي السائد ، بل غالبا ما عُدّا تحصيل حاصل ، وأمورا تتكفل بها الأيام وعوادي الزمان !

إن احتلال العلم والتقنية مكانة دونية في إطار البنية الثقافية العربية يشكل إدانة لهذه البنية ، ويعكس عجزها عن التواصل مع ما يحدث على الصعيد العالمي . والأخطر من ذلك هو أن تكون المكانة الدونية للعلم والتقنية نتيجة تعارض بين الثقافة السائدة ومقتضيات تحقيق تقدم علمي تقني . وقد لا نجانب الحقيقة في القول بأن البيئة الثقافية العربية تتسم ، عموما ، بنظرتها الدونية للعلم والتقنية ، وربما تعارض منهجيتها مع منهجية العلم .

إن المنهجية العلمية أبرز سمات العلم وضوحا ، وهي تتعامل مع الأمور من منطلق عقلاني ، يخضع كل جانب معرفي للتجربة والتمحيص والنقد . والمعرفة العلمية نفسها تستند إلى التطور الدائم ، وطرح مفاهيم وأفكار جديدة ، تستند إلى موروث من الحقائق التي سبق أن خضعت للتجربة والبرهان . وحدود المعرفة العلمية تفرضها أحدث الإنجازات . فهي ليست محدودة بقرارات ولا تصورات مسبقة . وتعنى المعرفة العلمية بتفاصيل الأشياء ودقائق الأمور ، وتسعى لتقديم إجابات واضحة محددة .



إن المعرفة العلمية ومنهجيتها تتعارضان مع الفكر السكوني والتصورات المسبقة الجاهزة والأحكام القطعية وأحكام القيمة . كما أنهما تتعارضان أيضا مع الخرافة والأسطورة ، ولا مكان في إطارهما للأهواء الشخصية « والشطحات » القائمة على الخيال والتصور وافتراض ما يجب أن تكون عليه الأمور . إن المعرفة العلمية ومنهجيتها تؤسسان لفهم العالم المادي ، واستنباط القوانين الفاعلة فيه ، واستخدامها للارتقاء بقدرات الإنسان ، وتعزيز دوره ، ورفع مستوى حياته .

تعيش الثقافة العربية السائدة حالة استلاب إزاء العلم والتقنية ، فهي من جانب تنبهر بإنجازاتها الضخمة ، ودورهما الريادي في تشكيل صورة العالم المعاصر ، وتوفير الحلول العملية لجملة من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ، وتوسيع آفاق المعرفة الإنسانية وحدودها . ومن جانب آخر ، وإزاء العجز عن امتلاك ناصية العلم والتقنية ، تسود المواقف العدمية إزاءهما ، ويتمثل ذلك بالتركيز على سلبيات التطور والاستخدام المنفلتين لمنجزات العلم والتقنية . وربما كتب في الأدبيات الشائعة عن الجوانب السلبية لاستخدامات العلم والتقنية وأخطارهما المحتملة على « إنسانية » الفرد ، ومستقبل الحياة على الأرض ، أكثر مما كتب في صالحهما . ويقينا ، فإنه من الأسهل سرد قائمة من الاتهامات والسلبيات المحتملة ، بدل الغوص في تفاصيل الأشياء ودقائقها . إن الحديث عن سلبيات الطاقة النووية والهندسة الوراثية ومخاطرهما أسهل ، بما لا يقارن ، من محاولة فهم أي من تفاصيلها وتشعباتها . وهذا الخيار السهل هو ما اختارته الثقافة السائدة .

إن إحدى السمات المعاصرة للمعرفة العلمية هي أنها أخذت تعزز شروط السيطرة على توجهات العلم والتقنية والسلبيات الناشئة عن استخدامها . ويزداد هذا الأمر تبلورا مع ازدياد

انتشار المعرفة العلمية في أوساط الجمهور . إن الحركات الجماهيرية المستندة على المعرفة العلمية أخذت تؤثر في القرار السياسي ، وتفرض توجهات محددة لمسيرة المعرفة العلمية والتقنية . وإذا كانت « الايديولوجيات » عموما قد فشلت في تشكيل قوى اجتماعية ، تحد من سطوة « الايديولوجيات » نفسها وانفلاتها ، وبخاصة حين يجري تطبيقها على صعيد الواقع العملي ، فإن المعرفة العلمية بدأت خطوات ملموسة في هذا المجال . فالحركات الجماهيرية المعارضة للتوسع في استخدام الطاقة النووية ، والمطالبة بالحفاظ على البيئة ، تشكل قوى ضاغطة ، لتوجيه مسيرة المعرفة العلمية ، بما يتلاءم وحاجات الإنسان ، دونما اعتبار للصنمية التي تسبغ أحيانا على المنجزات العلمية . ففي إطار المعرفة العلمية لا مكان للأصنام ولا الصنمية . وإذا لم يكن في الأمر غرابة فإدراكنا أن المعرفة العلمية لا تحتفظ بأصنامها ، ولا تسبغ عليها هالة من القدسية ، فهل نستغرب ، والأمر هكذا ، وجود عدد كبير من متاحف العلم الواسعة ؟

إن التحدي العلمي المطروح في التسعينيات هو تحدي التأسيس للمنهجية العلمية ، واحترام قدرات العقل البشري ، والتخلي عن العموميات والأفكار الضبابية والخرافات والأساطير . إنه تحدي الاقتراب من العالم المادي ، وتلمسه ، والدخول في عوالمه الدقيقة المتشعبة، وهو تحدي الجهود المضنية والمثابرة في البحث عن الحقائق . كما أنه تحدي تشكيل منظومة جديدة من القيم الأخلاقية والمعنوية ، توجه جهود الأفراد وطاقاتهم للإجابة عن الأسئلة ، وكشف الغموض ، وتبيان الحقائق .

المجالات العلمية في التسعينيات

إذا حاولنا استقراء التطورات العلمية في التسعينيات ، على الصعيد العالمي ، وجدنا عددا من المجالات التي ستشهد إنجازات كبيرة إن على صعيد المعرفة العلمية الأساسية أو على صعيد التطبيق العملي . وهذه المجالات هي التقنية الحيوية ، وعلوم الفضاء ، والالكترونيات وتقنية المعلومات ، والمواد الجديدة والبيئة . وستحتل هذه الموضوعات حيزاً أوسع في منظومة المعارف الكونية ، وتسهم بنصيب أكبر في اقتصاديات الدول المتقدمة .

ففي مجال التقنية الحيوية والهندسة الوراثية ينتظر أن يتسع نطاق تطبيقاتها العملية في الزراعة والصناعة والطب . فالمعارف العلمية التي تراكمت في هذا المجال تجاوزت مستوى الكتلة الحرجة ، وأصبح بالإمكان نقلها من المختبرات إلى المصانع . وسنشهد في مجال الزراعة تطوير سلالات من المحاصيل ، ذات



إنتاجية عالية ، وقادرة على مقاومة الأمراض والآفات الزراعية ، وذات قدرة أكبر على العيش في الأراضي الفقيرة ، وتحمل ملوحة المياه ، ومقاومة التغيرات المناخية . والواقع أن بعض التجارب الحقلية في هذا المجال قد بدأت ، وينتظر أن يتسع نطاقها ، وتدخل عالم الاستخدام التجاري . وفي مجال التطبيقات الصناعية ستستخدم التقنية الحيوية في إنتاج البروتينات والأعلاف واللقاحات والأسمدة والمبيدات على نطاق واسع ، كما ستستخدم في إنتاج « الايثانول » كوقود أولي ، وتطوير الكتلة الحيوية لتوليد الطاقة . وعلى صعيد الطب يمكن الإشارة إلى توسع استخدامات التقنية الحيوية في صناعة الانسولين والبروتينات والمضادات الحيوية والهرمونات والأنزيمات .

وفي مجال علوم الفضاء تتضافر الجهود العالمية ، لتوسيع نطاق استخداماته السلمية في المجالات القائمة حاليا ، مثل تيسير سبل الاتصالات ، وجمع المعلومات عن موارد المياه ، ومصادر الثروات الطبيعية ، والتعرف على أحوال البيئة والمناخ ، ومراقبة الأراضي المزروعة ،والتوسع في العمليات الصناعية . وسيشهد العقد القادم إقامة محطات فضائية دائمة مأهولة ، توفر الأساس للقيام بالمزيد من التجارب العلمية ، والتحضير لإقامة صناعات فضائية ، واستكشاف الكون المجهول .

يعاني الواقع العربي تخلفاً شديداً في هذا المجال ، ذلك أنه لا يمكن الركون إلى قمر الاتصالات (عربسات) ، أو مشاركة ملاحين عرب في رحلات فضائية ، على أنها إنجازات أساسية . ولا يشكل التقدم العلمي في هذا المجال تحديا في الاستخدامات السلمية للفضاء فقط ، بل الأخطر أنه يشكل تحديا أمنيا وعسكريا . فقد تمكنت « اسرائيل » من وضع قمر صناعي في الفضاء ، وتخطط لإطلاق قمر آخر ، مما يمنحها ميزات كبيرة لصالحها في الصراع معها . ويقتضي الدخول إلى عالم الفضاء توافر موروث علمي ضخم في صناعة الصواريخ وقاذفات المركبات الفضائية . وحتى الآن عد هذا المجال من المحرمات على العرب ، إذ ما أن يبادر قطر عربي إلى تطوير قدراته فيه حتى يتعالى الصراخ في الغرب ، توطئة لإجهاضه لاحقا .

وفي حقل الالكترونيات وتقنية المعلومات ستبذل جهود كبيرة ، لزيادة قدرات الحواسيب الآلية على معالجة المعلومات ، مثل تطوير نظم المعالجة الموازية ، وتطوير تقنيات جديدة تخزن مقادير أكبر من المعلومات . كما سيزداد استخدام الالكترونيات والنظم الخبيرة في الصناعة ، من خلال التوسع في استخدام «الروبوتات» وانتشار استخدام عمليات التحكم الآلي في الصناعة ، لزيادة الإنتاجية ، وتحسين نوعية المنتجات . وسيشهد القطاع الزراعي استخداما أوسع للالكترونيات والنظم الخبيرة في مراقبة المحاصيل ، واتخاذ الإجراءات اللازمة لحمايتها وتوفير شروط نجاحها .

وفي مجال المواد الجديدة سيجري التوسع في إنتاج المواد المخلقة صناعيا ، لإحلالها مكان المواد التقليدية ، فالكثير من هذه المواد ، مثل المواد البلاستيكية والسيراميكية ،تتمتع بخصائص فيزيائية تجعلها أكثر ملاءمة للاستخدام من المواد التقليدية ، وأكثر قدرة على تحمل ظروف التشغيل التي تفرضها التقنيات الحديثة . فخصائص مقاومة التآكل ، وتحمل درجات الحرارة العالية ، والتوصيل الفائق للكهرباء ، لا تتوافر في المواد التقليدية ، مما يحد من إمكانيات استخداماتها . غير أن المواد الجديدة تتمتع بهذه الخصائص ، كما يمكن تشكيلها حسب الطلب ، لامتلاك الخاصية المطلوبة .

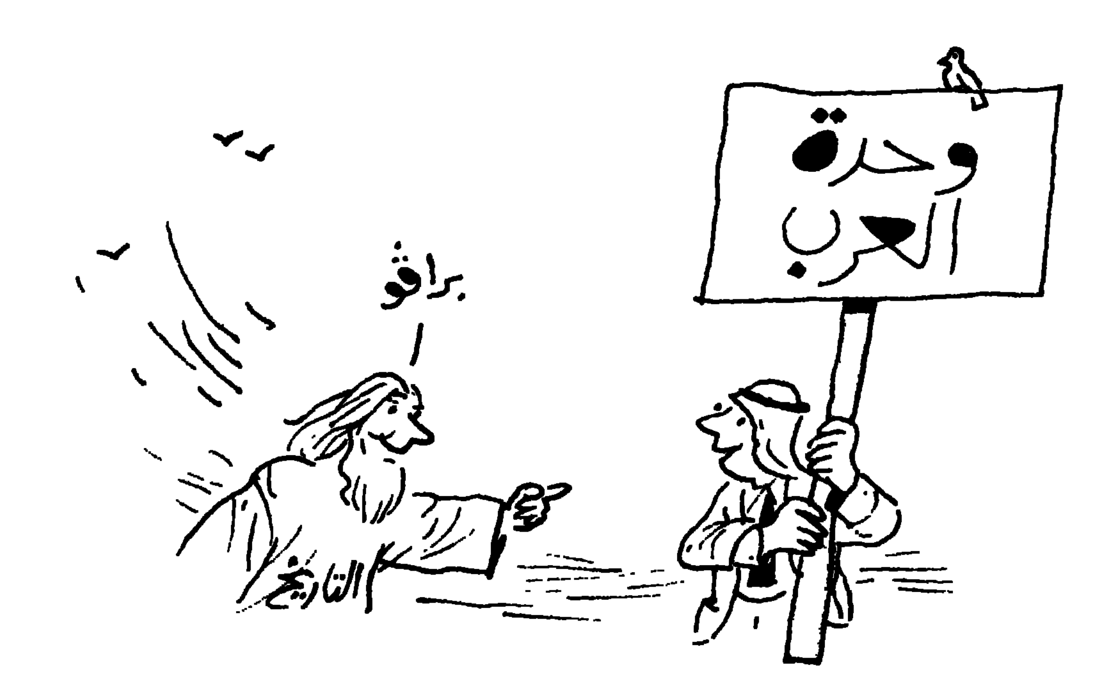
وسيفتح الاهتمام المتزايد بالبيئة والتوازن « الايكولوجي » آفاقا واسعة ، لتطوير المعارف

العلمية ، وطرح الحلول العملية لجملة الأخطار البيئية التي فرضها التقدم العلمي والتقني . فالاهتمام بثغرة الأوزون يدفع إلى تطوير منتجات كيمائية بديلة للمركبات الهالوجينية التي تعد سبب اضمحلال طبقة الأوزون . والاهتمام بظاهرة ارتفاع درجة حرارة الأرض ، بسبب زيادة تركيز نسبة ثاني أوكسيد الكربون في الجو ، يشكل حافزا للبحث عن بدائل مأمونة للطاقة ، وريادة كفاءة استخداماتها . كما أن الاهتمام بالملوثات والمواد الخطرة يدفع نحو تطوير عمليات صناعية ، أكثر أمنا وأقل خطرا على الإنسان والبيئة .

تحديات خطيرة

تلك هي المجالات التي ينتظر أن تشكل الميادين الرئيسة للنشاط العلمي في العقد القادم . غير أنه يجدر التنويه بأن سرعة التحولات العلمية ، وكثافة الجهود العلمية العالمية ، قد يحملان مفاجآت ليست في الحسبان . فقبل أشهر قليلة فاجأ باحثان العالم بإعلانهما عن اكتشاف طريقة لتحقيق الاندماج النووي البارد . ومع أن البحوث اللاحقة أثبتت عدم صحة الادعاء ، فإن المفاجأة أذهلت الجميع ، وبينت أن حدود المعرفة العلمية لاتحدها تصورات مسبقة ولا أحكام جاهزة .

وفي الخلاصة نقول : إن الواقع العربي يواجه تحديات خطيرة على الصعيد العلمي ، وأن تطوير هذا الواقع لا يمكن تحقيقه إلا بانفتاحه على المعارف العلمية والتقنية ، وانتهاج منهجها وسبلها وفلسفتها . إن ذلك يقتضي - يقينا - إحداث تحولات جذرية في النظر إلى العلم والتقنية ، وإحداث تغيرات بنيوية في الثقافة السائدة . وتلك تحديات تسهل معها تحديات كثيرة نواجهها . □



العَـرَبُ وَالعَـالَم

بقلم : الدكتور سامي منصور*

«في نهاية هذا القرن تكرس انقسام العالم إلى قوى ومناطق نفوذ وصراع ، ويظل الوطن العربي منطقة بالغة الحساسية ، وفي بؤرة الصراع العالمي ، نظراً لأهميتها الجغرافية وثرواتها الكامنة».

ما علاقة العرب بالعالم في هذا العقد الذي أطل علينا ؟ وما تأثيرات التغيرات الحادثة في الشرق والغرب على علاقة العالم بنا ؟ هذه محاولة للإيضاح .

إن عملية قراءة المستقبل لسياسات الدول المتقدمة عملية بسيطة ، أو على الأقل ممكنة ، بأقل قدر من الخطأ المحسوب ، وذلك نتيجة توافر كل العناصر ، من معلومات إلى نظم وتقاليد ، تجعل تطبيق قواعد علم المستقبليات عملية رياضية ، وذلك عكس الوضع في دول العالم الثالث ، ومن بينها الأقطار العربية ، حيث تغيب المعلومة ، وإن وجدت فهي متعددة ، بتضارب يفقد الرقم احترامه ، ثم دلالته . ومع ذلك فمحاولة قراءة المستقبل

* كاتب سياسي من القطر العربي المصري .

ضرورة على الأقل للترشيد أو التحذير ، وإن كانت احتمالات الخطأ فيها أكبر . !

وأظن قبل محاولة قراءة مسيرة الأحداث في التسعينيات أنه لابد من تسجيل عدد من الملاحظات :

١ - إن الأمل في الغد ضرورة للشعوب ، لاستمرار الحياة . لكن هناك فارقا بين الأمل والحلم ، فالأول يقوم على معطيات من الواقع ، بينما الثاني يعتمد على الخيال والأوهام . وتغيير الواقع إلى الأفضل حق ، بينما مصاحبة الخيال خطر بالنسبة للشعوب .

٢ - إنه ليس هناك مفر من المحاولة ، في ظل تناقض غريب ، فالعالم يتعامل مع المنطقة على أنها نظام إقليمي واحد ، قائم على قومية عربية واحدة ، بينما المنطقة تتعامل مع العالم على أساس أنها مجموعة من الدول والأنظمة المختلفة . وأحيانا يتبادل الطرفان - العالم والمنطقة - الأدوار !

٣ - تقوم هذه المقالة على أساس أن المعلومات الأساسية عن المتغيرات في العالم بوجه عام والمنطقة العربية بوجه خاص موجودة لدى القارىء ، أو على الأقل لديه إلمام بعمومياتها . ولذلك فليس هناك ضرورة لسرد التفاصيل ، وبخاصة أن المساحة المتاحة تفرض ذلك .

٤ - إن تفاعل المتغيرات مع الواقع ، لصنع حقائق جديدة ، تتحول مع الأيام إلى ثوابت ، وهي عملية تحتاج بطبيعتها إلى وقت يقصر عادة في الدول المتقدمة ويطول في العالم الثالث . ولذلك فإن بوادر ومؤشرات التغيير في الوطن العربي قد لا تمس الثوابت في مرحلة التسعينيات وهي أقرب إلى مرحلة التفاعل ، أي مرحلة انتقال حسب التعبير الشائع .

توقعات محتملة

ويبقى بعد ذلك أن ننتقل إلى «السيناريوهات» المحتملة لعلاقة العرب بالعالم في مرحلة التسعينيات . والمعروف أن أي سيناريو يقوم أساسا على مجموعة من الفرضيات ، يستخرجها الباحث من الواقع المعاش ، ويبني عليها الاحتمالات للمتغيرات الأخرى ، أي أن هناك ثوابت لابد أن تبقى في الذاكرة طوال عملية قراءة سير الأحداث المحتمل . وأعتقد أن هذه الثوابت في موضوعنا هي :

أولا : أن المتغيرات المحتملة في الولايات المتحدة ، خلال مرحلة التسعينيات ، لا علاقة لها بشكل جوهري على السياسة الأمريكية تجاه العرب ، حيث يبقى التأييد الأمريكي المطلق «لإسرائيل» ، ومحاولة دفع العرب لتقديم التنازلات إليها . وإذا كان الاحتمال الأغلب هو بقاء «بوش» في السلطة ، معظم مرحلة التسعينيات ، بإدارة عاجزة ، لغياب الأغلبية البرلمانية عنها ، فإن احتمالات تغييره لمرشح الحزب الآخر بأغلبية برلمانية لا تحقق للعرب شيئا ، لأنه لا فرق بين السيء والأسوأ .

ثانيا : إن أدوات العرب للضغط على المجتمع الدولي ، لعمل متغيرات ، سوف تبقى معطلة عن ممارسة دورها في ظل معطيات الوضع العربي الحالي . وهذه الأدوات هي حسب ترتيب اهميتها : مشتريات السلاح ، والسوق العربية التجارية ، والطاقة ، والأرصدة العربية .

ثالثا : تصاعد دور كل من العملاقين الاقتصاديين السياسي في مرحلة التسعينيات ، وهما المانيا الغربية واليابان ، ولهما مع الوطن

عربي علاقات اقتصادية مميزة عن بقية دول العالم ، مما يعطي للمنطقة العربية أهمية بالنسبة لكل منهما .

وهكذا تتفاعل هذه الثوابت ، خلال مرحلة التسعينيات ، لتشكل مع متغيرات الواقع الاحتمالات أو السيناريوهات الأربعة التي يمكن أن تسير فيها أحداث العلاقات العربية الدولية .

الاحتمال الأول هو أن يستمر الحال على ما هو عليه ، بدون تغيير جوهري ، إذ يستحيل افتراض عدم وجود أي متغيرات ، ولكنها في هذا الإطار لا تمس الجوهر أو السياق العام للأحداث .

وإذا كان احتمال البناء على الحال نفسها مطروحا فإنه في حقيقته قد يكون وفق منطق النسبية تأخرا ، وليس حفظا للموقع نفسه ، وذلك على أساس أن العالم المحيط بنا يتطور ويتغير .

فالتجزئة العربية ، وبخاصة في الإدارة الجماعية للمنطقة على الرغم من التجمعات الإقليمية الثلاثة ، وعلى الرغم من التخفيف من أثر الصراعات الإقليمية العربية ، ما زالت تمثل أكثر إغراء للآخرين في المجتمع الدولي ، لعدم وضع حساب المخاطر بالنسبة لسياساتهم في أي قضية يكون العرب طرفا فيها .

ونجد أن العناصر الحاكمة في هذا الاحتمال هي أن يبقى للولايات المتحدة الدور المميز ، مع استمرار الإلحاح العربي بالرجاء لتغير الموقف الامريكي .

وأن يستمر التوجه العربي نحو الاتحاد السوفيتي ليس إلى السوفييت أنفسهم ، وإنما ليكونوا أداة ضغط لتغيير الموقف الأمريكي .

حتى العلاقات مع أوربا يكون توظيفها للقيام بدور الوسيط ، لترشيد الموقف الامريكي ، وليس للقيام بدور مستقل .

"واسرائيل" من خلال واشنطن تجذب اليابان والمانيا للابتعاد عن سياسة المنطقة ، والاكتفاء بالتجارة معها ، وبذلك تبطل فاعلية التغير في القوى السياسية الجديدة على الموقف .

ويبقى عدم الانحياز مساحة للخطابة بحسبانها إحدى الهوايات العربية دون فاعلية ، وبخاصة أن أغلب الأقطار العربية مقيدة بعبء مشكلة الديون .

ويجد هذا السيناريو دعائم قيامه من خلال الأحداث المعاصرة ، وفي مقدمتها التعاقدات



[illegible] والسوفيت [illegible] وتدعيمها [illegible] مرحلة التسعينات [illegible] ظاهرة استمرار التداول العربي [illegible] إمكانية تغيير الموقف الأمريكي بالرجاء [illegible] سلوك خلاف مستحيل، مع الإسرائيلي، وذلك على الرغم من الإدراك الشعبي العام لعدم تغيير الموقف الأمريكي، على الأقل من خلال هذه الأساليب المتاحة.

أدوات بديلة للضغط

ولما كانت الانتفاضة هي عامل الأمل الأكبر، إذا استمرت، وأظن أن لا بديل عن استمرارها، فإنها وحدها، دون عمل عربي ديناميكي، سوف تبقى في إطار الضغط على دائرة العمل الإنساني في المجتمع الدولي، دون الانتقال إلى دائرة المصالح، أي صنع القرار، وبالتالي تغييره.

والسيناريو الثاني لمجرى الأحداث هو أن تكون مرحلة التسعينات حقبة للتفاعل بالتغيير، من خلال وصول الأزمة إلى ذروتها.

فإن استمر نظام الحكم الجديد في الاتحاد السوفيتي فإن ترجمة ذلك على السياسات تعني تراجعا كبيرا في الدور السوفيتي، فالتركيز سيكون على القضايا الداخلية، وتصبح القضايا الدولية، وبخاصة للعالم الثالث، رهينة بدرجة تأثيرها على حل هذه القضايا الداخلية.

وهذا يعني بالنسبة للمنطقة العربية انفجار أزمة، أو على الأقل بداية مرحلة جفاء جديدة بين العرب والسوفيت، وذلك لسببين: الأول منهما أن الانفراج بين العملاقين يقوم على أساس تسوية الصراعات الإقليمية، إلى جانب تخفيف التوتر بينهما في التسلح طبعا. ووفق توزيع نسب المصالح في كل منطقة في لحظة التسوية في بداية التسعينات تكون المنطقة العربية في الأغلب من نصيب الولايات المتحدة، أي يكون لها الغلبة، وهو ما يجعلها تنفرد بالمنطقة دون منافسة حقيقية، وهو ما يجعل العلاقات مع السوفييت محدودة، بل وباردة. والعامل الثاني الذي سوف يزيدها جفاء وبرودة هو أن سياسة الإصلاح السوفيتية سوف يترتب عليها تصاعد تيار هجرة اليهود السوفييت. وبالجهد الأمريكي سوف يتوجه هؤلاء إلى «اسرائيل»، بعد أن كانت الولايات المتحدة هي الهدف الأول لهم، أي يتحول السوفييت، دون اعلان، إلى دعم سياسة الاستيطان «الاسرائيلية». [illegible]ب أن الانفراد الامريكي بالمنطقة سوف يدفع واشنطن إلى المزيد من طاقات الدعم «لإسرائيل» في مغامراتها وإرهابها، مما يجعل المنطقة غير قادرة على تبرير السلوك الأمريكي في ظل انفراده، ويضع الأنظمة في موقف بالغ الصعوبة.

وقد لا تجد المنطقة مخرجا، في ظل هذا الوضع، غير تشجيع الدور الأوربي، ليس للوساطة لدى واشنطن ولكن للقيام بدور مستقل، وذلك إلى جانب العمل على تنشيط العمل من خلال دول عدم الانحياز.

ونؤكد أن استمرار الانتفاضة الفلسطينية، مع تطوير أساليبها، سوف يجعل الانتفاضة وحدها أداة التشجيع لبناء الدور الأوربي المستقل، القائم حاليا في الموقف الفرنسي والألماني، وذلك بدعم من حركة عدم الانحياز.

ولذلك تكون السمة العامة لهذا الاحتمال في التسعينات هي أن تكون العلاقة العربية الدولية في مرحلة إعادة التشكيل والبناء، وليست مرحلة القرارات والسياسات الاستراتيجية.

الاتحاد السوفييتي [illegible]
[illegible] إلا أن [illegible]
لن تكون [illegible] خطرا جراء [illegible]
[illegible] الحرب الباردة بين العملاقين ،
ويلاحظ أن الولايات المتحدة ليست [illegible]
لمفاوضات السلاح مع السوفييت بالقدر [illegible]
[illegible] والسبب [illegible] ، حيث إن السلاح
أكثر خطرا على الاقتصاد الأمريكي الذي
يعتمد إلى حد بعيد على الإنتاج الحربي في
النشاط الاقتصادي ، وزيادة [illegible]
واحتواء مشكلة العجز في الميزانية ، بينما العكس
تماما بالنسبة للاقتصاد السوفييتي.

ويتضح ذلك من خلال إسراع الولايات المتحدة ، دون دراسة جادة لرفض اقتراح موسكو بتصفية حلفي وارسو والأطلسي.

وعودة الحرب الباردة في إطار جديد تعني المنافسة بين العملاقين في مناطق النفوذ الخاصة



[illegible] يمكن [illegible]
[illegible] حيث [illegible]
وصل إلى حد [illegible]
[illegible]
[illegible]
واليابان ، حرب [illegible] السلاح [illegible]
بسبب استمرار القرار [illegible]
السلاح [illegible]
الرصيد الأمريكي على الساحة [illegible]
ويجد الثورة الفلسطينية [illegible]
السوفييت ، [illegible] من [illegible]
الوطن العربي على تقديم العون [illegible]
جانب السياسي للانتفاضة في الأراضي المحتلة ،
فذلك وحده الذي يمكن أن يغير إرادة الاستعمار «الإسرائيلي» ، ويجعلها أكثر مرونة.

ويبقى لحركة عدم الانحياز في ظل هذا السيناريو دور هامشي للعمل العربي.

حلقات تدفع إلى التغيير

أما السيناريو الرابع - الأخير - لشكل العلاقات العربية الدولية في التسعينات فالعامل الحاكم فيه هو أن يصل التطرف والغباء العنصري «بإسرائيل» إلى درجة يتغير معها دورها ، فبعد أن كانت «إسرائيل» أداة منع التغيير الثوري أو على الأقل ، منع أي تحول استراتيجي في المنطقة العربية ، فإنها تصبح على العكس [illegible] الثوري بضرب الاحتلال [illegible] الصالح الاستعماري الصهيوني.

وهنا لابد من إعادة التذكير بإحدى فرضيات هذه الورقة ، وهي استمرار الدعم الأمريكي المطلق «لإسرائيل» في مرحلة التسعينات

وهو ما قد يشجع «إسرائيل» على القيام بعمل عسكري ضد قطر عربي [illegible]
[illegible] على دعوات السلام [illegible]
الواقع ، [illegible]

للولايات المتحدة في المنطقة أيضا .

وأعتقد أن مثل هذا المناخ قد يكون هو الأنسب لانتقال الانتفاضة الفلسطينية إلى مرحلة حرب التحرير الشعبية .

وهو ما يفرض على السوفييت ، حتى في ظل سياسة الإصلاح ، إعادة النظر في مواقفهم ، وبخاصة في مسألة هجرة اليهود ، حرصا على مصالحهم في المنطقة ، فإن كانت سياسة الإصلاح قد توقفت عند الخطوط الحمراء الجديدة ، فإن ذلك سيكون فرصة لدعم العلاقات العربية السوفيتية .

ويصبح للعرب صوت واحد تعبيرا عن إرادة واحدة ، على الرغم من تعدد الأنظمة واختلاف السياسات الداخلية ، وهو الشرط الوحيد الذي يمكن أن يحقق معجزة تغيير السياسة الامريكية تجاه العرب . وقاعدة العلاقات العربية الامريكية خلال نصف قرن هي التي تعطي هذا المؤشر . والقاعدة تقول : إنه حين كان في المنطقة تحد للوجود الامريكي ـ قوميا ـ كان التأييد الامريكي «لاسرائيل» مختفيا خلف دول أوربية ، ولما أصبح الوجود الامريكي في ظل قبول عربي شبه كامل أصبح الدعم الامريكي «لاسرائيل» مطلقا .

هذه هي ملامح الخيارات المتاحة للعرب مع المجتمع الدولي في التسعينيات .

وإذا كانت التفاصيل لكل احتمال قد أغفلت فإن ذلك لا يغير من الخطوط الرئيسة للاحتمالات المنتظرة . □



(الحياة مجموعة من الخبرات المتنوعة ، وليس بالضرورة أن تتشابه وتتكرر ، إنما كثير من الخبرات منفردة تضيف معنى جديدا للحياة ، وتعطيها لذة التراكم ، وقد اختارت العربي مجموعة من المتميزين العرب ليروي كل بطريقته الخاصة بعضا من ذكرياته التي أصبحت دروسا في الحياة) .

بين الدّراسة والسّياسة

بقلم : الدكتور حسين عبدالله العَمْري

من غريب المفارقات أن الإمام يحيى حميد الدين الذي أحكم عزلة اليمن طوال النصف الأول من القرن العشرين (١٩٠٥ - ١٩٤٨م) كان قد أقنع آخر الأمر بضرورة إرسال بعثة دراسية إلى لبنان عام ١٩٤٧ - سيأتي الحديث عنها - وثانية إلى العراق ، قبل مقتله في ثورة الدستور في مطلع عام ١٩٤٨ ، وإذا بتلك الثورة تنتكس ليقرر ابنه أحمد (الإمام الجديد) إعادة تلك البعثة التي كانت قد وصلت إلى عدن ، وتنتظر السفر إلى بغداد ، وكان عددها ٣٢ طالبا منهم خمسة من العسكريين

وحرص قادة حركة الدستور ، وفي مقدمتهم مدرب الجيش - بل وقائده الفعلي في الثورة - الشهيد الرئيس (العراقي) جمال جميل في مواصلة سفر تلك البعثة - سيئة الطالع - إلى غايتها العلمية في العراق . كانت الأحداث متسارعة ، وإذا بأوامر أحمد الذي نجح في إجهاض ثورة الدستور ، تقضي بسرعة إعادة تلك البعثة من عدن فوراً ، واللحاق به إلى معسكره في (حجة) ، حيث كان يشرف بنفسه على الإعدامات الأولى لقادة تلك الثورة . وكأنه أراد بذلك ليس حرمان أولئك الشباب واليمن

من تحصيل علمي سينفع مستقبلاً ، بل ولتلقي درس رهيب لازال بعضهم ممن عرفنا يتذكره حتى اليوم .

أما تلك البعثة السابقة المكونة من أربعين طالباً الذين جرى اختيارهم من ما ارس المدن الرئيسية الثلاث ، فقد غادرت اليمن إلى لبنان في أغسطس عام ١٩٤٧ ، حيث التحق نصفهم (بكلية المقاصد الخيرية الإسلامية في صيدا)، والنصف الآخر في (كلية التربية والتعليم بطرابلس) . وبعد عام التأم شمل البعثة كلها في طرابلس ، بيد أن ذلك لم يدم أكثر من نصف عام ، تقرر بعده نقل البعثة إلى مصر ، حيث استقرت في (حلوان) ، والتحق أعضاؤها بمختلف مراحل الدراسة الثانوية ، بما كان يتفق مع أعمارهم ومستوى تحصيلهم ، وكان مقدراً لبعض أعضاء تلك البعثة أن يقوم بدور طليعي مبكر في الحركة الطلابية والوطنية بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر التي رحبت بالزعيم الوطني الكبير الشاعر الأستاذ القاضي محمد محمود الزبيري - استشهد في عام ١٩٦٥ - بعد أن كان لاجئا في باكستان . لقد التف حول الزبيري عدد كبير من بعثة (حلوان) التي قد انضم إليها عدد آخر من الطلاب اليمنيين بأوامر خاصة وحالات فردية ، فبلغ عدد أعضائها مايقرب من سبعين ، سرعان ما التحق بالجامعة من أكمل منهم الثانوية العامة ، كما التحق آخرون بالكليات العسكرية .

وفي هذه الفترة - ٥٣ - ١٩٥٤م - تصاعد نشاط الاتحاد اليمني في القاهرة بزعامة الزبيري . وهذا ما أزعج الإمام أحمد ، فقام شقيقه الحسن بزيارة مصر ، وزار البعثة في حلوان ، وكانت خلاصة رأيه لأخيه هو توزيع من حصل على الثانوية العامة ، أو من قد [illegible] بالجامعة على العواصم الأوربية [illegible] المتحدة . وهكذا تم إرسال بعضهم إلى فرنسا (الأساتذة محسن العيني ، يحيى جغمان ، محمد الرعدي) ، ومثلهم إلى ايطاليا ، وبريطانيا ، وأمريكا وربّ ضارة نافعة ، فقد تثقف معظم أولئك مع غيرهم ليكون منهم عماد الدولة والحكومة الحديثة بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م ، ومازال بعضهم يؤدي واجبه في أعلى مناصب الدولة ، وسلكها الدبلوماسي حتى اليوم .

بعثة إلى مصر وآمال شخصية.

لم يكن بوسع الإمام أحمد ونظام حكمه الذي يتلقى هجمات نقد شديد علنية من الخارج ، وسرية في الداخل (بعضها مخلصة من بعض مقربيه لإصلاح الوضع) أن يستمر في التعامي عما يدور في عالم القرن العشرين من حوله، فلا تعليم عال ، ولا متخصص يوجد في اليمن يسد أبسط الاحتياجات التي فرضها العصر ، ومنها احتياج الدولة أو الحكومة نفسها . ولابد أنه قد ثار جدل ولغط كبير بين الإمام وأشقائه ، وعلى الأخص مع الحسن (ممثل الرجعية الأكثر تطرفاً) وعبدالله ممثلها الأكثر تنوراً ، وآخرين من المسئولين المؤيد منهم أو المعارض لسياسة البعوث إلى خارج اليمن . ويبدو أنه قد تبلور رأي جديد من كل ذلك وعلى ضوء زيارة الحسن لمصر ، وبدلاً من تطوير نظام التعليم والاستعانة على ذلك بمصر أو العراق أو سوريا ، فقد جرى الاتجاه إلى حل وسط ، هو العودة إلى سياسة البعوث إلى مصر ، ولكن ليس إلى القاهرة ، حيث يتمركز بها نشاط الزعيم الزبيري والاتحاد اليمني

وكيفما كان الأمر ، فقد تم تجهيز بعثة من أربعين طالبا من تلاميذ المدرسة المتوسطة والثانوية ، عين على رأسها مرب فاضل ، هو القاضي أحمد الهيصمي ، وتقرر بالتشاور مع الجهات المصرية المختصة [illegible]

القاهرة والنشاط السياسي المعارض للإمام ، فأرسلت على دفعتين ، بين أغسطس واكتوبر ١٩٥٤ ، إلى قرية (ساحل سليم) في محافظة أسيوط ، حيث كان يوجد بها مركز تعليمي كبير ومدرسة داخلية . غير أنه رُئي بعد ستة أشهر نقل البعثة إلى (بني سويف) ، واستؤجرت لها دار استقرت بها ، والتحق طلابها بالمدرستين الإعدادية (والنيل الثانوية) التي تخرجت فيها أول مجموعة صغيرة التحقت بجامعة القاهرة عام ١٩٥٩ . وكان أحدهم واحداً من العشرة الأوائل في (الجمهورية العربية المتحدة) .

كان سفر تلك البعثة إلى مصر حديث الناس ، كما كان غاية الأمل والطموح لطلاب المدرستين الوحيدتين في صنعاء (المتوسطة) و(الثانوية) وإخوانهم في تعز والحديدة ، فمن تلك المدارس كان احتيار بعثتي ١٩٤٧ و ١٩٥٤م .

إنني لاأزال متذكراً ـ وبعد مرور أربعة وثلاثين عاماً ـ مدى الفرحة والزهو اللذين عمّا من كنت أعرف من زملاء تلك البعثة عشية سفرهم ، ومدى الحسرة والأسى في أنني لم أكن معهم . وواقع الأمر أنني كنت أصغر عمراً ، بما لايقل عن ثلاث أو أربع سنوات عن أصغرهم سناً . وفي العام التالي أكملت المرحلة الابتدائية في مدرسة (الإصلاح) ، والتحقت بالمدرسة (المتوسطة) ، فكانت عالما جديدا عليّ . فالأساتذة من خيرة المربين والرواد التربويين ، ومعهم مدرسون من مصر وفلسطين ، كما أنها المرة الأولى التي كنا نقرأ فيها في بعض المواد كتباً مطبوعة وفق المنهج المصري ، فكانت تشعل حماسنا للتنافس والتفوق (ربما على أمل اللحاق بمن سبقنا إلى مصر ، فذكراهم لم تبرح مخيلة زملائهم ممن بقي ، فكانوا يحدثوننا بما يصل منهم من رسائل عن مستقبلهم الدراسي والعلمي ، حيث لامستقبل يرتجى بعد المدرسة الثانوية إلّا الأعمال الكتابية (الوظيفية) العادية ، أو الالتحاق بدار العلوم (المدرسة العليا) ، وهي مخصصة لسلك الحكومة ورجال الفقه والقضاء ، ولم يكن كل ذلك شاغل بال أحد منا ـ في المتوسطة ـ باستثناء مالاح في العام الثالث للدراسة (١٩٥٧) ، وهو الحديث عن إنشاء كليات عسكرية (الشرطة والطيران والحربية) التي كانت متنفساً في العام التالي لكثير من زملائي ومن سبقنا في المدرسة الثانوية ، ومنهم كانت الطليعة ـ مع ضباط وطنيين قدماء ـ التي صنعت حدث التغيير الكبير في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م .

غير أنه حدث طارىء مهم خلال عام ١٩٥٧ ، أحسب اليوم أنّ له علاقة بما كان يدور ويجري في المشرق العربي آنداك من مشاعر وطنية وقومية ألهبت حماسها حركة التحرر العربية بزعامة الرئيس الراحل جمال عبدالناصر .

ففي ربيع ذلك العام قامت القوات البريطانية المحتلة للشطر الجنوبي من اليمن بعدوان جديد على منطقة (حريب) ، بعد سلسلة من الاعتداءات والمناوشات في العام السابق [1] . وكانت مصر وسورية من بين

---

(١) شهد عام ١٩٥٦م سلسلة من الحوادث الحدودية والاعتداءات البريطانية ، لعلها من بين أسباب توجه الحكم للمعسكر الاشتراكي وشراء السلاح منه ـ كما فعلت مصر ـ وذلك في زيارة البدر المشهورة على رأس وفد رسمي في يوليو ٥٦ لكل من موسكو وبراغ وبكين ، وهي الزيارة التي تهكم منها ساخراً الزعيم الزبيري في صورة شعرية بليغة ، أظهر فيها تناقض واقع الحكم الإمامي مع تلك الزيارة حين قال من قصيدة وطنية

(يبْهـرُون الـدّنيـا بـزيـارة مُـوسكـو   وعـليْـهـم غُـبَـار دُنـيـا ثـمُـود!)

الدول الأعضاء ـ القليلة ـ للجامعة العربية التي تحمست لشكوى اليمن واستغاثتها بالجامعة التليدة ، فقامت بعثة منها برئاسة الأمين العام المساعد المرحوم أحمد الشقيري بزيارة لليمن في ٣ ابريل (نيسان) ١٩٥٧ لمعرفة الأوضاع ، ومؤازرة اليمن ضد الاعتداءات البريطانية المتكررة ، وبعد أن عادت البعثة إلى القاهرة قدمت تقريرها إلى الأمانة العامة ، وكان مماجاء فيه بأنه تبين لها أن في الجنوب اليمني ، حركة قوية عامة « تهدف إلى التحرر من النفوذ الأجنبي ، والانضمام إلى اليمن الأم ، إيماناً بوحدة اليمن : شماله وجنوبه ، وبالروابط القومية العربية . . » وبعد أن عرضت نتائج العدوان ونزوح عدد كبير من سكان الجنوب إلى الشمال ، وعدم تكافؤ القوة والتسليح في اليمن (الشمالي) مع القوة البريطانية المحتلة ، وضعت اللجنة جملة من المقترحات العملية والسياسية في إطار التعاون العربي والمجال الدولي .

وفد وبعثة

وفي الشهر التالي قام وفد سوري مدني وعسكري رفيع المستوى ، برئاسة وزير الخارجية ، المرحوم الأستاذ صلاح البيطار ، بزيارة لليمن ، استمرت أسبوعين (من ٢٣ مايو (أيار) إلى ٨ يونيو (حزيران) ١٩٥٧م) ، لعلها أول زيارة لوفد سوري على ذلك المستوى .

لقد تيسر للوفد السوري دون عناء كبير أن يطلع على الأوضاع السيئة المتخلفة التي كان اليمن يحياها ، ووضع أعضاؤه تقارير علمية موضوعية عن مختلف جوانب الحياة العامة فيه [٢] وجاء في مستهلها تمهيد مركز وحَصيف للأستاذ البيطار ، أكد فيه أواصر العروبة والقربي ، وعراقة اليمن وحضارته القديمة ، وضرورة تعاون العرب لإخراجه من عزلته وتخلفه ، حيث باتت اليوم تلك العزلة الطويلة « . . ضارة وغير عملية ، . . إنها [اليمن] بحاجة لإخوانها في العروبة أن تأخذ بيدها ، وأن تفيد بتجاربها » . وأضاف مشخصاً ومُحقاً « ولكن علينا أن نعلم بأن نهضة اليمن لايمكن أن تقوم إلّا على اليمنيين أنفسهم ، وأن تكون مساعدتنا لهم في حدود التوجيه والتعليم والتدريب . إن في عنق الدول العربية أمانة مساعدة هذا البلد الشقيق في شق طريقه إلى الأمام ، ولكن السياسة التي يتحتم اتباعها ينبغي أن تكون بعيدة عن التدخل والاستغلال ، مصبوغة بصبغة الأخوة الصادقة ، قائمة على أساس أن اليمن المتقدمة المتطورة ستكون حجراً كريماً ، ودرعاً واقياً في بناء الأمة العربية .

إن علينا واجب انفتاح اليمن إلى البلاد العربية ، القريبة والبعيدة ، ووصلها براً وبحراً وجواً بهذه البلاد ، وإن علينا واجب تقديم المساعدات المالية والاقتصادية والبعثات ، في مجال الطب والتعليم والخبرة والاختصاص . . » .

كان متفقاً على ضوء مباحثات البيطار ، فتح سفارتين في العاصمتين ، وربطهما بخط جوي منتظم ، تقوم به الخطوط السورية ، وكذلك إرسال بعثة دراسية إلى دمشق ، وهو الأمر

(٢) قام بنشرها الاستاذ بشير كعدان ـ عضو الوفد ـ في عدد خاص من صحيفة (الجمهورية) السورية التي كان رئيساً لتحريرها ، وقد قام (الاتحاد اليمني) في القاهرة بُعيْد ذلك بإعادة نشرها ـ كما هي ـ في كتيب ذكر في مقدمته القصيرة بأنه « يقدم هذه التقارير من جديد لأبناء الشعب العربي في كل مكان ، ليجدوا الصور الحقيقية لأوضاع اليمن . . فهي تدين المدافعين عن الطغيان في اليمن والسائرين في ركابه من العملاء والأذناب »

الوحيد الذي تحقق في نهاية صيف ذلك العام .

لقد كان من حسن حظي - بعد معاناة - أن أكون آخر من التحق بتلك البعثة التي لم يزد عددها عن خمسة عشر طالبا حول خمسة منهم إلى (مدرسة الشويفات) في لبنان .

لقد كانت الحياة في اليمن ، حين فارقتها ، بائسةً في كل مَناحِيها ، راكدةً رتيبةً ، تذكرني كلما قرأت أو رجعت إلى مقدمة العلامة ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) بقوله قبل ذلك بستة قرون عن حال عصره :

« وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض ، فبادر بالإجابة . . » .

ولهذا لم أصدق نفسي بعد مغادرة صنعاء إلا حين هبطت الطائرة المقلة لنا من القاهرة [٣] في مطار (المزةّ) القريب - في ذلك الوقت من دمشق - وذلك في يوم بارد من أيام ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٥٧م .

لم تكن ملابسي المتواضعة صوفية ، ولم يكن لدي معطف ، وكان شتاء الشام ذلك العام قارصاً شديداً - أو هكذا وجدته - وفيه شاهدت أول مرة في حياتي هطول الثلوج التي لم أكن قد تصورتها من قبل ! .

كنت في أول الأمر بعيداً عن المجموعة التي كانت تسكن في (داخلية) المدرسة الصناعية الفنية ، وتذهب للدراسة في مدرسة التجهيز (الإعدادية - الثانوية) القريبة ، ولم ألبث أن التحقت بهم ، وكانت أوضاعهم المادية والسكنية غاية في الصعوبة ، كما أن الدراسة كانت في واقع الأمر - وفي المواد العلمية على الأخص - فوق مستوانا جميعاً .

ووجدت نفسي مع زميلين آخرين من العشرة أصغر عمراً بكثير من زملائنا ، فكان لكل ذلك - مع الإحساس بفراق الأهل والوطن ، لمن كان في عمر لم يتجاوز الرابعة عشرة - شعور بأمور لم أكن أحسب لها أي حساب من قبل . وسرعان ما تأقلمت مع الأوضاع الجديدة ، وشغلت في تحد للسباق في الدراسة ، ثم انغمست مع زملائي في مظاهرات فرحة الجماهير بالوحدة العربية بين سورية ومصر التي عايشت أوجها . ولن أنسى يوم الرابع والعشرين وليلته من شهر فبراير (تشرين الأول) ١٩٥٨ ، ذلك اليوم الذي وصل فيه المرحوم الزعيم جمال عبدالناصر ، وانتظرناه بين عشرات الألوف في ساحة قصر الضيافة ، حتى أطل مخاطباً الجماهير ، بل والأمة العربية كلها ، ومكثنا في الساحة إلى ساعة متأخرة من الليل ، وحين رجعت مع زميلين لي إلى مدرستنا القريبة الواقعة في (١٠ زقاق الصخر) وجدنا أبوابها مقفلة ، وكان مديرها الأستاذ الأحدب شديد الصرامة ، فنمنا ليلتنا على بوابتها حتى الصباح !

نجحت في ذلك العام الدراسي ، ومع بداية الصيف عاد الأمل والحنين للالتحاق بإخواني وزملائي القدماء أعضاء بعثة (بني سويف) . وجري توحيد مناهج الإقليمين (الشمالي) و (الجنوبي) في « الجمهورية العربية المتحدة » ، ففارقت مع آخرين دمشق ، لألتحق في صيف قائظ بصعيد مصر ، حيث سعدت بالانضمام إلى البعثة التي سبقتني قبل ذلك بأربعة أعوام ، ومعها عشت سنوات لها ذكريات عزيزة . ◻

---

(٣) كنت في صحبة وفد اليمن إلى اجتماع المنظمة العربية للعلوم الإدارية المنعقد في دمشق ، ومعنا زميلان أرسلا من القاهرة للالتحاق بجامعة دمشق (كلية الطب) .



من مخاطر العبث بالوراثيات

بقلم : مجدي نصيف

تطورت «الهندسة الوراثية» ، إلى درجة أننا دخلنا عصرا نخشى فيه من العبث بالوراثيات ، مما يثير معضلات أخلاقية على الأخص ، فالإمكانيات المستقبلية تكتم الأنفاس . فإذا أمكن رسم «خريطة» الجينات واللعب بعدد ضئيل منها ، فقد يتمكن الإنسان من علاج عدد كبير من الأمراض .

لكنها في الوقت نفسه تفتح إمكانية أن يعبث الإنسان بالهندسة الوراثية ، فيستخدمها للشر وليس للخير ، كما استخدم من قبل الكشف عن أسرار الذرة .

فخلف كل حلم طيب يكمن كابوس ممكن الحدوث . لذا تحاول الهيئات التشريعية في الدول الصناعية المتقدمة الإسراع ، منذ الآن ، لوضع قوانين تحول دون اللعب بالجينات من أجل هدف شرير .

تبدأ الفرص التي تقدمها المعرفة الجينية الجديدة ، قبل الولادة ، وتصاحب ـعضلات المشاكل بروز هذه الفرص ، فقد ـسح من الممكن الآن ، من خلال عدد من ـحتبارات المعملية على الوالدين ، تحديد ما إذا كان الطفل المرتقب ذكرا أو أنثى ، متخلفا أو معاقاً أو ضحية لبعض الاضطرابات الوراثية المميتة . فماذا يمكن أن يفعل الوالدان بمثل هذه المعلومات ؟ من المؤكد أن الأم ستحاول اللجوء إلى الإجهاض ، وهي مسألة

يثور حولها جدل شديد ، فقد يتعاطف كثيرون مع سيدة تختار التخلص من جنينها ، بدلاً من أن تضع طفلا محكوما عليه بدخول صراع مؤلم مع مرض عضال طوال حياته ، أو محكوما عليه بالتخلف العقلي ، أو معاقا طوال حياته .

لكن ماذا عن أم لثلاث بنات ، يريد زوجها لها صبيا دكرا ؟ وماذا يحدث لو علمت الأم أن حملها المستكن به عيب خلقي ضئيل ، يمكن أن يحيا به ابنها طوال حياته . هناك الان جماعات ضغط من الغرب ، تنادي بمنح الأم «حق الإجهاض عندما ترغب» ، ومنح الاباء حق اتخاد قرار بالإجهاض ، حتى يمكنهم الحصول على ما يسمونه «الطفل المكتمل» .

ومما يعقد مثل هذه القرارات أن «التنبؤ الجيني» لن يصبح علما قاطعا ، فقد يتمكن العلماء يوما ما ، أن يحددوا ما إذا كان لدى جنين بعينه ، استعداد مسبق للإصابة بمرض القلب أو بنوع من السرطان ، أو بمرض من الأمراض العقلية ، لكنهم لا يمكن أن يتنبأوا بالضبط متى سيضرب المرض ضربته القاضية ، أو إذا كان سيضرب ضربته ، أو مدى ذلك المرض ، وعمر الطفل حتى مماته ويحاول العلماء الان عموما التوصل إلى اكتشاف عيوب ضئيلة في أحد خيوط (د . ن . أ . DNA) ،ومع ذلك سيصبح من الأصعب التمييز بين أنواع الشذوذ «الجيني» ، والتمايزات الطبيعية بين بني البشر .

وقد تأسست في الغرب مراكز بحوث لدراسة هذه القضايا الأحلاقية وغيرها ، النابعة من الدراسات في الهندسة الوراثية . أحدها «مركز الأخلاقيات البيوصحية بجامعة مينيسوتا» .

ويعترف مديره ارثر كابلان قائلا : «إننا لم نفكر كثيرا في وضع خط واضح في هذه القضايا ، وسيكون ذلك أحد التحديات الأخلاقية التي علينا مواجهتها في التسعينيات » .

قصة كروموزوم

وتعتمد تصرفات الناس على مدى معلوماتهم ، والأحداث تثبت لنا أن عدم المعرفة «الجينية» يمكن أن يكون غاية في التدمير ، ولنأخذ كمثال قصة حدثت عام ١٩٦٥ : ففي ذلك العام ، وجد مجموعة من العلماء قاموا بدراسة حول عدد من المجرمين والعتاة بمؤسسة عقلية اسكتلندية ذات نظام أمني مشدد ، أن نسبة مدهشة الارتفاع ، من بين هؤلاء المجرمين ، تتميز بشذود كروموزومي خاص ، فبالإضافة إلى الكروموزوم (X) ، والكروموزوم (Y) الموجودين بشكل طبيعي في كل بني البشر ، كان كل منهم يحمل كروموزوم (Y) إضافي ، وهو الكروموزوم الذكري . وتعلقت وسائل الإعلام آنذاك بفكرة أن أولئك الذين أطلق عليهم إسم «السوبر ذكور» مكتوب عليهم حياة الجريمة . لكن سرعان ما ثبت أن هذا التعميم زائف ، فلقد أظهرت بحوث تالية أن ٩٦٪ من الرجال الذين يحملون الكروموزومات (XYY) يعيشون حياة طبيعية ، لكن قبل أن تخمد الضجة قدمت عدة مقترحات لاتخاذ إجراءات لحماية المجتمع من تهديد متوقع من هؤلاء الرجال . من ضمنها تشجيع الآباء على إجراء فحوص على الأطفال قبل الولادة ، ويفترض أن يكون معنى ذلك تشجيعهم على

ترتيب عملية إجهاض إذا كان الطفل يحمل كروموزومات (XYY) ، وبادر علماء بإجراء دراسات بعيدة المدى لتحديد الأطفال الذين يحملون هذه الكروموزومات ، وتتبع تقدمهم في الحياة عبر السنين من خلال زيارات منزلية ، يقومون فيها باختبارات «سيكيولوجية» ، إلى جانب تقارير يقدمها المدرسون ، لكن في نهاية الأمر انتهت المسألة ، ولكن ليس قبل أن يلطخ عدد من الصغار الأبرياء .

ويمكن أن يدفع البالغون خطأ أيضا : فلاشك أن شركات التأمين على الحياة ، والتأمين الصحي ، ستطلب من زبائنها يوما ما ، القيام بفحص «جيني» ، لمعرفة الأشخاص المحتمل أن يتطور لديهم مرض من الأمراض المميتة أو المعيقة . وفي هذه الحالة قد لا توافق الشركات على التأمين على حياتهم ، أو توافق إذا ما دفعوا أقساطا أكبر .

ولقد استخدمت شركات تأمين في الغرب سياسة مشابهة ، عند التأمين على أشخاص افترضت أن عليهم خطرا عاليا في الإصابة بالايدز ، وقد منعت هذه السياسة قانونيا في عدد من الولايات الامريكية . ومن المتصور أن يحاول أصحاب الأعمال تشغيل قوة عمل لديهم تتميز بالصحة ، والمؤكد أنهم سيطلبون في المستقبل إجراء «تحليل جيني» ، ومن الواضح «أن هناك إمكانية كامنة للتمييز الواسع النطاق ضد أولئك الذين لا تتسم جيناتهم بالمواصفات المقبولة . ومتى تمت دراسة جينات شخص ما ، فلاشك أنها ستجد طريقها إلى المصارف (السوك) الالكترونية . ولابد في هذه الحالة من وجود قيود قانونية ، وإلا تم التشارك في هذه البيانات الجينية الشخصية من قبل الشركات والوكالات والهيئات الحكومية ، ومثلها مثل بطاقات الشخصية أو السجل «البوليسي» ، فقد يصبح تحليل (د . ن . أ) جزءا من الملف الالكتروني الدائم لشخص ما .

● الطفل المنغولي هل يمكن أن نخلصه من الصفات الوراثية غير المرغوب فيها ؟

وحتى لو تم الحفاظ على سرية المعلومات الجينية ، فإن المعلومات قد تقلق الأشخاص المعنيين ، فالكشف عن نقص وراثي لأنزيم يمكن أن يعالج علاجا مؤثرا من خلال «ريجيم» ، أي نظام غذائي . ولكن ماذا عن هؤلاء الذين يخشون وراثة مرض ليس له شفاء حتى الآن ؟ قد يريد بعض الناس تنظيم ما تبقى من حياتهم . وقد يفضل آخرون ألا يعرفوا شيئا على الإطلاق . قالت الدكتورة دورين مايكل ، أستاذة «الوراثيات» بعيادة الأعصاب ، التابعة لجامعة ميتشيجان : «قد نستطيع أن نرى المستقبل ، ولكن هل هناك من يريد أن يعرف سبب وفاته» ؟

الجينات المعيبة !

ان وصم جين بأنه معيب يمكن أن يؤدي إلى نتائج خطيرة ، فبعد أن ظهرت الاكتشافات الجديدة في القرن التاسع عشر في الوراثة والتطور ، برزت «الحركة البيوجينية» ، وهو علم زائف ، آمن أتباعه بأنه يمكن التخلص من الصفات الوراثية غير المرغوب فيها ، بطريقة منظمة ، خارج مجموعة الجينات البشرية . وكان ضمن المتحمسين لذلك العلم الزائف مجموعة من البيوجينيين الأمريكيين الذين اعتقدوا أنه يمكن تربية بني البشر كما تربى خيول السباق ، وكان من ضمنهم أيضا البيوجينيون الألمان الذين قدموا نصائح علمية لقادة «الرايخ الثالث» النازيين ، وتمثلت في تعليمات محددة لتطهير «الجنس البشري» عن طريق إبادة أجناس بأكملها ، والتزاوج الاختياري .

لكن الحقيقة أنه ليس هناك أي عالم جينات يتحدث اليوم عن خلق جنس ممتاز متفوق ، فالعلماء اليوم حريصون على الإشارة إلى هدف تجارب «العلاج الجيني» وهو شفاء الأمراض الوراثية ، وتخفيض الآلام البشرية وليس خلق بشر من نوع «السوبرمان» . لكن ماذا لو أراد الناس استخدام التقنية المكتسبة لتحسين جينات ليست معيبة ؟

وهل تستخدم «الهندسة الوراثية» كجراحة تجميل في القرن الواحد والعشرين ؟

وهل يتم بذلك التمييز ضد الأطفال الذين لم يتم «تعديل» جيناتهم ؟

أسئلة تعتمد إجاباتها على كيفية استخدام بني البشر لمكتشفات «الهندسة الوراثية» ، وبالتالي ـ إلى حد كبير ـ على القوانين الصادرة التي تنظم «الهندسة الوراثية» واستخداماتها .

وعلينا أن نقول هنا : إنه بنظرتنا الحالية إلى التقدم العلمي ـ فستكون إمكانية العلاج الجيني محددة في المستقبل القريب ، ذلك أنه إذا ما تم



● من سيحمي الجنين المشوه ؟

نقل جينات إلى خلايا نسيجية ـ خلايا نخاع العظام على سبيل المثال ـ فستموت هذه الجينات المعدلة مع موت حاملها المريض ، ومعنى ذلك أنها لن تورث لأطفال المريض بعد إجراء العملية . على أنه في المستقبل البعيد قد يصبح في الإمكان تغيير الجينات فى الخلايا الجينية التى تنتج البويضات أو الحيوانات المنوية . وإذا ما نجح هذا ، أمكن أن تنتقل الجينات الجديدة ، وتورث .

لكن هذا هو بالضبط ما يخيف أعداء الهندسة الجينية ، ذلك أنه إذا تمكن علماء البيولوجيا من تغيير المسار الوراثي ، فإنهم بذلك يمسكون بين أيديهم مصير بني البشر ، وهذا ما لا يوافق عليه رجال الدين والقانون ، ويقف ضده كثيرون من المشتغلين بالقضايا العامة .

لكن علينا أن نذكر للحقيقة أنه ليس هناك علماء وراثيات يخططون في الوقت الحاضر لنقل جينات إلى خلايا جينية بشرية . وعلى الرغم من أن العلماء قد لعبوا دورا منذ القديم في تحسين المحاصيل وحيوانات المزرعة ، بالبحوث في مجال الوراثة ، لمواجهة الاحتياجات الإنسانية ، فإن العلماء لم ينادوا بأن تمتد بحوث الجينات إلى

بني البشر . ويقول العلماء : إن عليهم التزاما بحماية الإنسانية من الأمراض والآفات ، متى أصبح في إمكانهم القضاء على أحد الجينات التي تسبب خللا مميتا ، حتى يتم أيضا منع انتقاله إلى الأجيال التالية

كان مشروع «الجينوم البشري» بالولايات المتحدة ، واحدا من أوائل مشروعات الجينات . يقول مديره ، الدكتور جيمس واطسون : إن بحوث المشروع لها مهمة إنسانية أساس ، هدفها ليس الحصول على معلومات جينية في حد ذاتها ، وإنما هدفهم منها تحسين الحياة من خلال المعلومات الجينية .

ويرى معظم العاملين في مثل تلك المشروعات ضرورة وجود قواعد تنظم تلك المشروعات والبحوث الجينية . ويتفق كثير من علماء الجينات والوراثيات وعلماء الأخلاق ، على مباديء أساس :

* يجب ألا يطلب أي إنسان الخضوع لاختبارات جينية ضد مشيئته .

* تستخدم معلومات «التكوين الجيني» لأي شخص لمعلوماته الخاصة فقط ، وليس لإلحاق الأذى به أو لإذاعتها أو لتقديمها لجهات أخرى دون علمه .

* يجب أن تستخدم «الهدسة الوراثية» البشرية لعلاج الأمراض ، وذلك من خلال عملية «التوحيد الجيني» .

المعرفة قوة وخطر !

إن المعرفة قوة ، لكنها في حالتنا هذه «قوة خطرة» . يقول الدكتور موري عالم الوراثيات بجامعة كيس ويسترن :

أؤمن إيمانا عميقا بأن أحكام الناس ليست دائما صائبة ، لكننا - في نهاية الأمر - سنحافظ على قدر معقول من المعاملة الطبية والعدالة . وإذا كانت البشرية قد هضمت حقوق كوبرنيكوس ، وجاليليو ، وداروين ، وفرويد ، واستوعبت اكتشافاتهم ، فلا شك أنها ستهضم حتى «خريطة الجينوم البشري» .

لقد انطلق مارد «الهندسة البشرية» من القمقم ، كما انطلق قبله مارد «الطاقة الذرية» . وإذا كانت البشرية قد أخذت درسا من استخدامها الشرير للطاقة الذرية ، فالذي نرجوه أن تضع الآن على عاتقها مهمة تسيير القوة الجديدة في قنوات تؤدي إلى إنقاذ الأرواح ، والحفاظ على الميراث الجيني الغني للبشرية . □

الدين أولا

● أراد ملك بروسيا فردريك الكبير أن يكافيء أحد قواده البواسل ، فاستدعاه ، ووضع أمامه على منضدة وساما وكيسا مملوءا ذهبا وقال له :

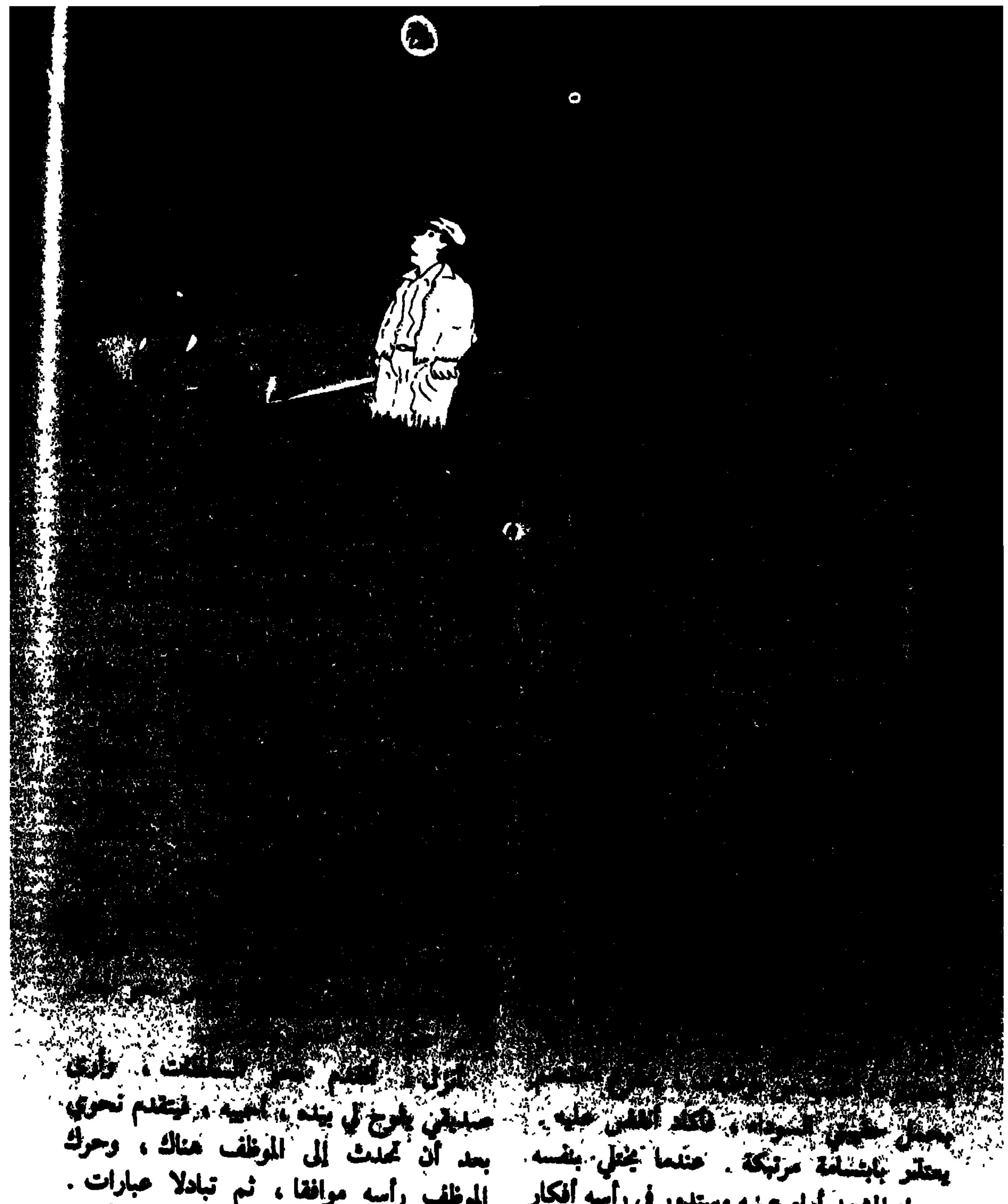
خذ واحدة من هاتين الجائزتين .

فأخذ القائد كيس المال دون أدنى تردد .

فقال الملك : يظهر أنك لا تكترث للشرف لأنك فضلت المال على الوسام . فأجاب القائد الأبيّ : عليّ دين يقتضي شرفي أن أفيه قبل كل شيء ، أما الوسام فإنني أسعى إلى اكتسابه في المعركة القادمة .



● فردريك الكبير
ملك بروسيا



يحمل حقيبتي السوداء ، [illegible] القلق عليه . يعتذر بابتسامة مرتبكة . عندما يختلي بنفسه سيعاد المشهد أمام عينيه وستدور في رأسه أفكار ما . فلتدر ، أنا مجنون الحقيبة السوداء . يعود السائق بعد أن هيأ كل الترتيبات ، يودعني ، يتمنى لي السلامة والتوفيق .

تنطلق الطائرة مخترقة الفضاء ، وأقلب جريدة تقول صفحتها الأولى : إن أحد رؤساء العالم قرر أن يقوم بحرب شعواء على مهربي المخدرات . هو يعرف أن ما يقوله ادعاء . أنا اعرف ذلك أيضا . كيس واحد أبيض في حجم

[illegible] القسم [illegible] سلفت ، وأرى صديقي يلوح لي بيده ، أحييه ، فيتقدم نحوي بعد أن تحدث إلى الموظف هناك ، وحرك الموظف رأسه موافقا ، ثم تبادلا عبارات . وهاهو يقبل نحوي ضاحكا ، أصافحه ، أعطيه أوراقي لتنفيذ الإجراءات ، ويذهب إلى قاعة الشرف ، يطلب لي مشروبا . تمر لحظات نتبادل خلالها الحديث عن الطقس وعن الحالة العائلية . يدخل شخص يتقدم نحو صديقي في أدب جم ، ويطلب مني الحقيبة السوداء الجميلة ، أكاد أرفض ، يضحك صديقي معاتبا الإجراءات التي لم تعد تفصل بين ذوي المقام .

يحتاج للدروس من هذا النوع . ثم يفضي إليه بقرار رؤسائه الذين ما إن علموا بالخبر حتى رفضوا استقبالي ، وأمروا بابلاغ رؤسائي عن طريق البرق . رفضوا أيضا دخولي إلى بلدهم . وقالوا : إن احترامهم لعلاقات معينة سيجعلهم

وأقلامهم . يهمس في أذني . ... يقول رئيسي : كافأناك لأنك تستحق المكافأة . أبتسم ، وأضحك ، يعانقني . تلتقط الصحافة لنا صورا . وأفكر في اقتناء حقيبة جلدية سوداء جديدة □

ممن تعلمت الحلم ؟

● قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟

فقال : من قيس بن قيس بن عاصم ؛ كنا نختلف إليه في الحلم ، كما يختلف إلى الفقهاء في الفقه ، ولقد حضرت عنده يوما وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه ، فجاءوا به مكتوفا ، فقال : ذعرتم أخي ، أطلقوه ، واحملوا إلى أم ولدي ديته ، فإنها ليست من قومنا ، ثم أنشأ يقول :

أقول للنفس تصبيرا وتعزية
إحدى يديّ أصابتني ولم ترد
كلاهما خُلْفٌ عن فَقْدِ صاحبه
هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي





بقلم : محمود المراغي

الفلسطينيّون

الفلسطينيون هم الخبر اليومي في الصحف والإذاعات ووكالات الأنباء ، ومع ذلك فإن صورتهم لاتكتمل ولا تتضح دون قراءة الأرقام التي تزداد أهميتها ونحن نتحدث عن الدولة .

الفلسطينيون يزيدون على خمسة ملايين نسمة ؛ أي أنهم يفوقون « إسرائيل » عددا ، لكن السؤال : أين توجد هذه الملايين ؟ كيف يعيشون ؟ ماهو نشاطهم الاقتصادي ؟ إلى آخر علامات الاستفهام التي ترسم الملامح الأساس لشعب من الشعوب .

في محاولة للإجابة ، واستنادا لأرقام الجامعة العربية ، يصدمنا الواقع .

الشتات : ذلك هو مايعرفه الفلسطينيون جيداً ، وتبرزه الأرقام بوضوح ؛ فإن ٣٩٪ يعيشون على الأرض الفلسطينية المحتلة ، بينما تعيش الأغلبية خارج الحدود ، ابتداء من نقاط التماس في الأردن ولبنان ، وامتدادا إلى بلاد الغربة في الولايات المتحدة أو أمريكا اللاتينية أو أوربا واستراليا .

هم شعب الشتات ، في الداخل والخارج ، ولأنهم كذلك فإن توزيع تجمعاتهم يأتي على غير المألوف - إن ربع الفلسطينيين - أو أكثر قليلا - يعيشون في الأردن الذي يضم أكبر تجمع فلسطيني ، ويليه التجمعات الثلاثة :

سكان الصفة الغربية (١٧,٤٪) ، وسكان الأرض المحتلة عام ١٩٤٨م من الفلسطينيين (١١,٨٪) ، وسكان غزة (٩,٨٪) والرقم الأخير يقترب من عدد الفلسطينيين في جنوب لبنان .

وتشير الأرقام إلى أن أكبر الأقطار العربية استيعابا للفلسطينيين - بعد الأردن ولبنان - هو الكويت ، كما تشير إلى أن مجموع ما تستوعبه الأقطار العربية يقترب من ٥٥٪ من الشعب الفلسطيني .

والأرقام على هذا النحو تثير الأسى عند القاريء العربي ، لكنها عند « الاسرائيليين » تثير الفزع ، فعلى الرغم من كل محاولات التهجير للفلسطينيين التي نجحت جزئيا فإن ما بقي على الأرض يثير المخاوف لديهم .

في هذا العام - ١٩٩٠ - تذهب التوقعات إلى أن عرب الضفة والقطاع سوف يمثلون ٣٩٪ من السكان فوق الأرض الفلسطينية . ولكن . وبعد عشرين عاما ، فإن النسبة تقفز إلى (٥٠٪) ، وربما يعني - بإضافة الفلسطينيين في الأرض التي احتلت ١٩٤٨ - أن العنصر الفلسطيني سوف يكون أغلبية السكان في القرن القادم ، وربما يهدد كيان « اسرائيل » .

هذه الحياة

لا تستطيع « اسرائيل » أن تمنع الإنجاب - ونسبته عالية بين الفلسطينيين - لكنها تستطيع أن تمارس كل أنواع القهر ، والضغط الاقتصادي ، لتدفع أعداداً متزايدة إلى الخارج ، أو لتجعل لهذا التفوق السكاني أهمية اقتصادية وسياسية أقل .

داخل الأرض المحتلة (١٩٤٨) ، وطوال سنين الاحتلال أصبح التراجع سمة للاقتصاد الفلسطيني : فالأرض الزراعية التي يملكها فلسطينيون أصبحت أقل ، والأرض التي تتمته

بالري المنتظم صارت تنكمش ، والتقنية الحديثة لليهود أولا . لذا ، وفي عام ١٩٥٥ كان نصف العمالة الفلسطينية ـ تقريبا ـ يعمل في الزراعة ، فأصبحت النسبة عام ١٩٨٦ (٨,٣٪) فقط لاغير ! وفي العام نفسه فاقت نسبة البطالة بين الفلسطينيين (١٢٪) ، بينما كانت النسبة بين اليهود نصف ذلك .

ومن الرزق ولقمة العيش يمتد الحصار إلى مجال الخدمات التي يتمتع بها الفلسطيني ، فعلى الرغم من حسابه عند الكيان الصهيوني مواطنا « اسرائيليا » ، فإنه عند توزيع الخدمات يختلف الأمر .

مثال ذلك ، المزايا التي يجري منحها في قطاع الإسكان وتساعد في الحصول على وحدة سكنية . هذه المزايا لاتشمل الفلسطينيين ، والسبب أن القانون قد نص على أن المزايا تمنح لمن أنهى الخدمة العسكرية الإلزامية ، وبالطبع فإن الفلسطيني خارج هذه الدائرة .

مثال آخر : التعليم ، ففي عام ١٩٨٦ لم يكن هناك أكثر من ٥٨٢ طالبا في التعليم الجامعي ونصف الجامعي . وبين عام ١٩٤٨ و ١٩٦٤ لم يتخرج في كليات الطب أكثر من عشرة فلسطينيين حتى بداية السلم ـ وهي روضة الأطفال ـ لا تستوعب أكثر من (١٠٪) من أطفال الفلسطينيين ، بينما ترتفع النسبة إلى أكثر من (٩٠٪) عند اليهود !

الحصار على جميع الجهات ، والفلسطينيون يردون من خلال تمسكهم بالمدارس العربية التي تستوعب ٩٢٪ من تلاميذهم .

الدولة

زاد عمر الاحتلال في معظم الأرض الفلسطينية على أربعين عاما ، واقترب في الضفة والقطاع من ربع قرن . فما هي أحوال السكان في غزة والضفة الغربية ؟

تقول الأرقام : إن الاحتلال الصهيوني قد استولى ، حتى عام ١٩٨٥ ، على نصف أراضي الضفة الغربية ، و (٤٠٪) من أراضي غزة ، و (٩٥,٥٪) من مخزون المياه ، حتى بات معدل استهلاك الفرد من المياه في الضفة الغربية ، طبقا للتقرير الاقتصادي العربي الموحد ، أربعة أمتار مكعبة في العام ، في مقابل تسعين مترا في المستوطنات « الاسرائيلية » .

الفارق شاسع ، لذلك فإن نسبة نمو الناتج المحلي في الضفة الغربية وقطاع غزة تأتي ـ إذا راعينا التضخم ـ بالسالب ، أي أن الدخل يتناقص تقريبا عاما بعد عام ، والمشتغلون في الزراعة والقطاعات السلعية يملون عددا ، وطابع النشاط الصناعي حرفي في الأساس ، والخدمات تسير على الوتيرة نفسها فعدد الأسرة في المستشفيات يقل ، والأمراض تزيد ، وفرص التعليم تتراجع ، وثلث السكان يعيشون في مساكن الغرفة الواحدة ، بينما يعيش نصف السكان في مسكن من غرفتين فقط !

في هذه الظروف يصبح طبيعيا أن تلعب « اسرائيل » لعبتها

فالاقتصاد الفلسطيني ينبغي أن لا يكون إنتاجيا ، لكن التجارة والخدمات تحتلان المكان الأول ، وقد أصبحت التجارة الخارجية هي أهم مكونات الدخل ، وأصبح العميل الأول : « اسرائيل » وتسجل أرقام ١٩٨٦ ـ قبل الانتفاضة ـ أن ٨٩٪ من واردات الضفة والقطاع قادمة من تل أبيب ، بينما تتجه ٧٣٪ من الصادرات إلى « اسرائيل » أيضا !

على الجانب الاخر جاء ضرب الاقتصاد الفلسطيني لحساب « اسرائيل » التي حصلت دائما على يد عاملة رخيصة ، ليس لها حقوق عمالية في معظم الأحوال . وبين (٢٦١) ألف مشتغل فلسطيني في الضفة والقطاع عام ١٩٨٦ اتجه (٩٥) ألفا للعمل داخل الكيان الصهيوني .

الآن ننتظر ميلاد الدولة ، والآن ننتظر الأرقام الجديدة التي خلقتها الانتفاضة ، والتي تشير إلى أن عملية فض الاشتباك بين الاقتصاد الفلسطيني والاقتصاد الصهيوني مقدمة أساس للاستقلال ، وعلى الدرجة نفسها من الأهمية : مساندة الاقتصاد الفلسطيني ، وهي مهمة عربية ، ومهمة الفلسطينيين خارج الحدود . □

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

مارس ١٩٩٠م

الرأسمالية تجدد نفسها

تأليف

الدكتور فؤاد مرسي

الكتاب ١٤٧

٥٠٠ فلس

المراسلات توجه باسم الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت





الشعر والبراءة والمسرح الكبير

بقلم : الدكتور نديم معلا محمد*

لا يمكن للمرء إلا أن يدهش وهو يرى قامة هذا الشاعر اللبناني ، وهي تنتصب ، وسط حشد كبير من الكتاب المسرحيين الكبار الذين أسسوا التيار المسرحي الطليعي الذي ما زال تأثيره قائما حتى اليوم . فمن هو هذا الشاعر ؟ وما أهم أعماله ؟

وقف جورج شحادة جنبا إلى جنب ، مع يونيسكو ، وبيكيت ، وجان جينيه ، وآداموف ، وجان فوتيه ، أولئك الذين صنعوا ما سمي المسرح الطليعي . عزف شحادة لحنا عذبا شفافا ، جميلا ، نثر الشرق في كل زاوية ، وأطلق صوتا نادرا ، لا يشبهه صوت ، تتوحد فيه البراءة الناعمة بالطفولة المفجعة حينا والأسرة الفاتنة حينا آخر .

بين العبث والأمل في الإنسان

تشرّب شحادة الثقافة الفرنسية وأدرك سر لغتها ، لكنه بالمقابل - وكما قال المخرج المسرحي الشهير جان لوي بارو - سيد من أسياد اللغة الفرنسية . خلع على الكلمات وشاحا سحريا ، فجر فيها الصورة والإطار ، ترك الحلم يمتزج بالهواء ، وأخرج الضحكة من قلب

* كاتب من القطر العربي السوري .

العزلة ، وفتح أعيننا على قسوة الحياة ، ولم يتوقف عن البحث ، عن الحقيقة والبراءة والشباب ، كما قال الناقد الامريكي ليونارد برونكو ، في كتابه « مسرح الطليعة ». وعلى الرغم من أن شحادة أقرب إلى العشين ، باتساع مساحة الحلم وتقوض المنطق ، فإنه لا يغلق النوافذ والأبواب أمام الإنسان ، بل ثمة قبس ، ثمة ضوء يكسر أمواج العتمة . ويذهب برونكو إلى القول : « إن شحادة يقودنا إلى جنة عدن ، ويتيح لنا أن نلقي نظرة على ما في داخلها ».

ولعله يريد أن يقول : إن مسرح شحادة ليس نفقا مظلما .

إن شخصياته لا تتحلل من واقعها ، ولا تبدو على قطيعة معه ، أو متنافرة معه

أولى مسرحياته

في مسرحية « السيد بوبل » وهي أولى مسرحياته (١٩٥١) يرسم الكاتب شخصية غريبة ، شخصية لغزا ، يملك بوبل لمسة ساحرة ، تبعث الحياة في الطبيعة ، والإنسان على حد سواء . كأنه يلقي الضوء في كل الاتجاهات ، كأنه يتسلل إلى القاع ، إلى الداخل ، فيزيح الملوث ويبسط الصفاء دخل قرية باولا سكالا ، وهو المسافر الغريب ، فحرك كل شيء فيها . « اثرت أن أقيم إذعانا للواجب ، وطلبا للمرح والدعابه ، ورغبة في الصلاة ». قد لا يستطيع أبناء القرية تفسير سلوك بوبل ، وقد تبدو كلماته سلسلة متصلة من الألغاز التي تستعصي على عقولهم ، بل قد يبدو هو وكأنه حط رحاله تواً وجاء من قارة أخرى ، أو عالم آخر . ثمة حقيقة ساطعة بالنسبة لسكان باولا سكالا ، وهي أنه طيب ، نقي ، طفل في إهاب رجل .

السفر ، تلك النغمة الشجية العذبة القلقة في آن واحد ، تخترق مسرحيات شحادة ، تبدد السكون ، تؤجج نار الرغبة باكتشاف الأماكن الفصية المجهولة التي تتحطم على صخورها السفن .

لقد تعلقت قلوب القرويين ببوبل المسافر ، وراحوا يتطلعون عودته مع كل فجر . لكن نهاية السفر موت ! كأن بوبل يفرغ ما في كيسه من مرح وشعر ودعابة ، ثم يرحل إلى مكان اخر ، ليضع رأسه على وسادة الموت ، بعد أن يكون قد خفف قسوة الحياة ، وجعل الإيمان بوجود الربيع ممكنا

الرحيل ومهاجر بريسبان

وفي مسرحية « الرحيل » يستبد الحنين إلى السفر بالشاب كريستوفر ، فيدفعه هذا الحنين إلى التنكر بملابس البحار ، وتنكر وتقمص شخصيته ، ثم تحمل - ودون أن يدري - مسؤولية جريمته . وفي المحكمة يعلن أنه سوف يتحمل ما اقترفته يدا البحار .

لم يغادر كريستوفر بلدته إلا في الحلم ، إلا أن الحلم أقوى من الواقع . أليس السفر محركا للشخصية ، ودافعا لها باتجاه الفعل ؟

في « مهاجر بريسبان » (١٩٦٥) يستيقظ سكان القرية على مشهد غريب :

- رجل ملقى في الساحة ، وثروة طائلة تستقر في جيب ولد ، تثبت علاقة أمه بهذا الرجل الغريب .

وهكذا يلقي شحادة القنبلة في قلب القرية الهادئة ، وهكذا أيضا ، وبالقدر نفسه تشتعل النار ، نار الشرف ، ونار الثروة . يخلخل الغريب بنية القرية ، وتخرج إلى العلانية ، كل الأشياء ، تقف كلها على السطح : الفقر والحب والشرف والصبر .

الثروة إذن في مواجهة القيم كلها . الثروة تهزم البراءة ، إلا أن البراءة تحلق في الغابة (عبر شخصية آنّا) . ويشير الكاتب إلى مرورها العابر في سماء القرية ، خارج نسيج البنية الدرامية .

شيء يشبه الخرافة الرائعة ، واقع عجيب
س أكثر من حلم ، إلا أنه يزلزل كل شيء
للحوذي الذي حمل المهاجر والمال ورماه في
ة مقمرة في ساحة قرية مجهولة . فإذا كل ما
. متماسكا قويا يتداعى ، كاشفا عن هشاشته
داخلية .

الغريب إذن لغز ، ووجوده العابر يتغلغل في
نفس . يلقي ظله على الطبيعة ، كما يلقيه على
الإنسان ، ونهاية الرحلة موت لا يشبه الموت .

وإذا كان الكاتب لا يرغب في تحديد فضاء
مسرحياته ، أو بعبارة أدق تأطيره ، فإنه في
« البنفسج » (١٩٦٠) يحيل الفندق إلى مكان
مسرحي مغلق ، تلتقي فيه شخصيات ، ليست
غريبة فحسب ، وإنما مخيفة ، سيدة تزعم أنها
أحدثت ثورة في الحساب إذ تقول : إن ٦ + ٦
يساوي ٦٦ !

في الفندق فتاة جميلة ، ابنة أخي صاحبة
الفندق ، تملأ حياتها بالحب والهدوء . يأتي من
يخرق التوازن السائد ، يأتي العالم كوفمان الذي
يعتزل في عالمه الخاص ، ويتفرغ لإجراء
التجارب على البنفسج . يتحول البنفسج الذي
يتضوع عطرا ، على يديه ، إلى قنبلة

الحب مهدد بالفناء والدمار : قد يأتي على
كل ما هو رقيق وعذب

البنفسج رمز البراءة الإنسانية ، والحب هو
الذي يحمي هذه البراءة ، ولا يريد شحادة أن
يكون البنفسج موتا وخرابا ، لذلك تتسلل الفتاة
الجميلة ذاتها إلى قلب العالم كوفمان ، ويهرب
العاشقان إلى فضاء يزهر فيه البنفسج

يدخل كوفمان الغريب المكان ، فيحدث فيه
انقساما ، ولا يرحل الغريب هذه المرة حاملا
سره ولغزه ، ولا يموت على مشارف القرية أو في
ساحتها ، أو في مكان آخر بعيد ، بل يمضي
تخطيا المكان السحري إلى مكان تنمو فيه البراءة
بالبنفسج

البراءة هنا بنفسج ، وفي « مهاجر بريسبان »
تتجسد في الطفلة أنا ، وفي كلتا المسرحيتين
تحلق في أجواء المكان ، ويدخل البنفسج هنا في
تركيب البنية الدرامية ، بل إنه مركز ثقلها ، أما
في « مهاجر بريسبان » فيحلق طيف الفتاة
كعصفور ، في جناحيه يحمل الضوء

البراءة ضوء والطفولة ضوء ، والحلم أقوى
حضورا من الواقع .

وجورج شحادة ، لا ينفك يعيد صوغ الحوار
العادي ، بلغة لا يفارقها الشعر

في كل مرة يمسك خيطا دراميا لا ينقطع ، ألا
وهو إيقاظ تلك الرغبة الدفينة في الإنسان ،

جورج شحادة

بطاقة :

*** ١٩١٠ ـ ولد في الاسكندرية من أسرة لبنانية**

*** ١٩٣٠ ـ سافر إلى باريس حيث التقى الشاعر سان جون بيرس الذي نشر له بعض قصائده .**

*** ١٩٥١ ـ استقر في باريس وقدم له مسرح هوشيت مسرحية « السيد بوبل » .**

*** ١٩٥٤ ـ قدم له المخرج جان لوي بارو مسرحيته الثانية « أمسية الأمثال » .**

*** ١٩٥٦ ـ تم اللقاء الثاني بين بارو وشحادة في مسرحية « حكاية فاسكو » .**

*** ١٩٦١ ـ حدث اللقاء الثالث بين الكاتب والمخرج في مسرحية « سهرة الأنس » .**

*** ١٩٦٥ ـ مسرحية « مهاجر بريسبان » تعرض في ميونخ من اخراج كويت ميزل .**

*** ١٩٧٢ ـ نشرت سلسلة المسرح العالمي الكويتية ترجمة لأعماله المختارة وهي « السيد بوبل » « وحكاية فاسكو » ثم « مهاجر بريسبان » « البنفسج » ، قدم وترجم لهذه الأعمال الشاعر أدونيس .**

*** ١٩٨٩ ـ توفي في باريس .**

استعادة طفولة مضت « أحب صخب الأطفال وعنادهم حتى يخف اضطرابهم » هكذا يردد السيد بوبل .

وعندما يموت فاسكو ، ولا يغدو بطلا كما أراد له القائد ، يصفه الضابط العدو قائلا : « له نظرة طفل وديع ، يرتعب من الذئب ، وهو مع سلته ومظلته قد اتخذ مكانه في حيز البراءة » .

الباحث المسافر دائما

الإنسان ، في مسرح جورج شحادة ، يكافح ضد الحياة نفسها ، يتقصى دائما مثلا أعلى أفلت منه . الماضي يشده إليه ، بيد أنه ليس سجينا فيه ، لذلك فهو الباحث دائما ، المسافر دائما .

صحيح أن عالم شحادة مغلف بالأساطير والخرافات ، لكن الصحيح أيضا أنك تشعر بالخرافة والأسطورة وقد تحولت شعرا محسوسا ، يشي بالعادي واليومي . ليست الكائنات عنده متصارعة ، وإنما متآلفة ، ثمة رابط ، أو ناظم خفي ، يربط بينها (البراءة - الطفولة - المثل الأعلى) ، في كل مرة يقتحم غريب قرية أو مكانا ما ، ويمزق سكونه (مهاجر بريسبان ، السيد بوبل ، كوفيان) ، لكنه لا يدخل في صراع معه ، إذ ليس في مسرح شحادة صراع درامي تقليدي ، وقد تختلف الآراء والأهواء وتتنافر الرغبات ، إلا أنها لا تتصادم ، والصراع الدرامي في أبسط تعريف له : صدام بين قوتين .

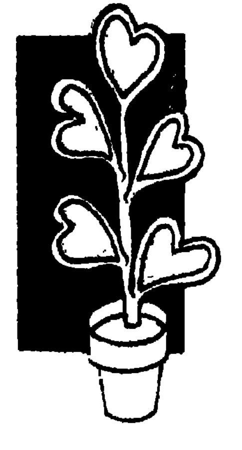
تبحث في مسرح شحادة ، عن الأفكار والموضوعات وتجلياتها ، فلا تعثر إلا على صور ، وأحلام ، ورؤى تقترب من الخرافة . إنه لا يبشر بايديولوجيا ، ولا يروج لثقافة محددة أو لتيار محدد . ابحث في تضاعيف أعماله عن الثابت الراسخ ، غير القابل للنقض ، فلن تجد شيئا من هذا القبيل .

في الشهادات التي يوردها أدونيس ، في مقدمة ترجمته السلسلة التي عرفت كيف تجمع بين الشعري والمسرحي ، ثمة إجماع على أن قلة الفعل في مسرحه ، والاسترسال في الحوار ، لا يدفعانك نحو الملل ،وإنما يدخلانك أجواء كل ما فيها يأسرك . حقيقة : إن مسرحه مسرح جو ، وليس مسرح فعل أو حدث صاخب ، مسرح لا يؤخذ صاحبه بالمظاهر ، بل في البحث عن الجوهر ، عن ذلك الذي لا تقع العين عليه مباشرة .

مسرح جورج شحادة ، مسرح فضاؤه الكون ، وشخصياته تتقاذفها أمواج البراءة والطفولة والحلم الذي لا يشبه الأحلام . □

تعريفات لاذعة

* الإنسان : هو المخلوق الوحيد الذي يولد باكيا ويعيش شاكيا .
* الاعتذار : تقهقر نظامي في معركة كلامية خاسرة .
* الأرباح : النتيجة الختامية لخسائر الآخرين .
* الأمـل : وجبة خفيفة ولكنها مقوية .
* الأنـاني : امرؤ يحرق منزلك ليسلق بيضة .
* البخيـل : رجل ينتحر جوعا لقتل ورثته بالتخمة .
* الجبـان : يفكر في حالة الخطر بقدميه
* الحب : نبتة بيتية تحتاج إلى الري كل يوم





كوابيس لعرس الحبيبة

شعر : شوقي بزيع *

تُزَفِّين للحرب هذا الصَّباح
يَقتضي المَشهَدُ العاطِفي بأن تنهَضي مِنْ رُقادِك
مُجَلّلةً بِسَوادِك
وأنْ تتْبَعي دقّة الصمت
وَهْوَ يَزُفّ الفجيعةَ للحاضرين
يَقتضي المَشهَدُ العاطِفي بأن تَخْلَعي ثوْبَ عُرْسِك
وتَرْميه طُعْماً لذئبِ الغريزة
أوْ تَعْصُبي فيه جُرحَ السرير
تُزَفّين
لَيْسَت يَداكِ اللتانِ تَغُوصان تحت البياض المرير

* شاعر من القطر العربي اللبناني

ولا كتفاك اللذان يشقّان حتى الزَّبد
ولا الموكب العاطفيُّ أحد
هي الحرب
تُلقِي بقُفّازها المترهّل في كُلّ يد
وتجعلُ منكِ عروسا على الانهيار
ليفضح عُرْسك عجز الجسد

تزَفّين للحرب
للإنكسار الغريزي

وهو يعضّ ابتسامتك اليانعة
وفاء انهضي ،
لا أريدُك شاحبةً ووحيدة
لا أريدُك ذكرى على صفحات الجريدة
أريدُ يديْك تحي خملاي إلى البر
عينيْك كي تفضحا قسوة المرْحلة
هي ذي تتهادى ببطءٍ ثقيل
تحرّك أعضاءها بقليل من الريح
ثُم تسيرُ إلى عُرْسها
كالملائكة المُتعبين

الجنوبية القسمات
اليتيمةُ بيْن النّساء
التي ينحني صدرها لأقلّ البراعِم
تمشي إلى عُرْسِها الآن طافحةً بالسّواد
وتبني من الذّكريات البعيدة فرْدوسها المستعاد
لا ،
ليس عُرْسُك هذا ،
هو عُرْسُ البلاد ،
هو عُرسُ الذين أحبوا
وأثكلهُمْ (أربعاء الرماد)

أيْن العروس ؟
ـ سيدي .

ذهبتْ تجمعُ الأقحوان عنْ القاسمية .
ـ أيْن العروس ؟
ـ إنْها تستحمّ على ضفة النهر
كي تتوحد قبْل الزفاف
بموجته الأزلية

ـ أيْن العروس ؟
ـ إنها تقطفُ التبغ في ديرقانون
سيدتي ، امرأتي ، طفْلتي
لحني القروي الخجول
اسْتفيقي من الحزن
شُدّي يديْك على نخْلة القلب
ها هُمْ يُنادونك الآن ،
إنْ كُنْت راضيةً بالزواج فقُولي : نعم
لا تخافي من القُبلة الأبوية
يطْبعُها فوق خدك
وخشْن السأم

ولا تُطْبقي راحتيْكَ على محْبس الأسئلة
فها نحْنُ ،
لمْ نتغيّرْ كثيرا ،
ولمْ يخترقْ لحمنا خنْجرُ الحرب
لكنّه موتُ بيْروت فينا
حملْناهُ مُنْذُ سنين ليقْتلنا الآن ،
هُو عُرْس الحبيبةِ ،
بيْروتُ طبل ينامُ عَلَى جُثّةِ الْوَقت
بيْروتُ سَاحَة عُرْسٍ وَدبكةِ مَوْتِ
وفي لَيْلها رَجلٌ وامرأةٌ
يتْبعَان معاً سهم رُوحَيْهما الْمُتشرّد
أوْ يركُضان وحيديْن ضد انهيارات عاصمة
يحْفُران الخنادق كي يحْميا وردةَ الشعر ،
يحْتجزان الجمال الكسيح لأغنية البحر ،
يفْترقان
لكي تتزوج كابوسَها العائلي

وَيرقُبَها ذابلا ووحيدا
وَبَيْروتُ مِنْ حَوْله شارِعٌ مُقْفِر
وَزَواجٌ بَعيد
هُو عُرسُ الْحَبيبِة
هَلْ تَشْهدونَ حُضوراً لَهُ هذه الأبهة ؟
كُلُّهُمْ يَدْخُلون تِبَاعا إلى باحَةِ الاحتفال ،
الْجنُوب وأوجاعُهُ ،
الشُّجراتُ الحزانى
السدود على النهر ،
مَوْجةُ صور المريضة ،
صفُّ قبور يصفق بين الأكاليل،
أضغاثُ خوف،
مظاهر يتقدمها «حسن الحايك» المستريح
على شتلة التبغ
وأنا واقِفٌ في العراء الإلهي وحدي
أراقِب حفل الزفاف الذي يتحلق من حوله
راقصون بطيئون
وامرأة تستجير
وَفَاةٌ تُزفُّ إلى الحرب
وَفَاةٌ تُكَفُّ عَنِ الحب هَذا الصباح
وَقَدْ ضَفُرتْ شَعْرَهَا بِحطامٍ بِنفسجةٍ
وارْتَدت طَرحةَ الخوفِ ،
ثُمَ دعتَنِي لِأَنْ أتزوجَ بِنْتاً سِواهَا
وَخانَتْ ذِراعِي عِنْدَ اللقاء الأخير
هُوَ عُرُس الْمَدينَةَ لا عرسها
افتحوا كُلَّ نافذَةٍ مُغْلَقةٍ
اضربوا الآن كفًّا بِكَف
وانهضوا كي تروها تُزَفّ ،
انهضوا كيفما اتفق ،
الحكماءُ مِنَ الْخندق الحكمي ،
النِّساءُ مِنَ الوحشةِ الأنثوية ،
وانتظموا في صُفُوف
دعوا كل شيء كَمَا هُوَ ،
خلّوا البنايات مقلوبة
والمتاريس مَنْصُوبة
واستعدوا ،
لِنَقْرعَ بَيْنَ يَدَيْها الدفوف

تزَفِّين بيْنَ الكوابيس
بَيْروتُ سَاحةَ عُرْس مُدمًّى
وَفي وسطها ترْقُص امرأة بالقبور
تُصفِّق أَنْصَافُ أبنيةٍ وَمَتارِيس
يَمْشُون خلْفَ الْعَرُوس
التي لا تبين مَلامِحُها
ثُمَّ يتَّضِحُ الْمَشهد ،
امرأة هي أنت ،
تُرافِقُها أذرعٌ وأكاليلُ ،
يَحْمِلُها رَجُل باتجاه السرير الذي يشبه القبرَ ،
ثُمَ يَهيلُ التّراب عَلَى صدرِها الْمُتقهقر
نَحْو الوراء
امرأة تَسْتغِيث
وَلَا مَنْ يُجِيبُ النداء
يَقولون : هذي وفاء
وَتِلْكَ ابتسامَتُها
تَتَأبطُ في الصفرةِ الأنثوية شخصاً سِواك
وَتَنْسَاكَ
لِتَتْبعَ شخصا هُوَ الحرب ،
حَيْثُ تَزُفُّكِ بَيْروتُ دونَ ذراعي ،
كَان معاقون يحتفلون بِعَيْنَيك
تَحْتَ الأنين الْمُزَغْرِد ،
كان مُصَابون يحيون عُرْسَك
في غرفةٍ مِنْ نُحاس وقهقهة .

العربي - العدد ٣٧٦ - مارس ١٩٩٠م

على هامش "قول على قول":

هل للكبرياء وعزة النفس مجال في الحب ؟ أيهما أوقع وأكثر تأثيرا في السامع ، التماس العذر أو أخذ المحبوب بالمبدأ القائل العين بالعين ؟

أبو السائب المخزومي وظرفه

بقلم : حسن سعيد الكرمي

وكان أبو السائب يطرب للشعر الجيد ويردده ، ومن ذلك بيت عروة بن أذينة :

فدنــا وقــال لعـلهـا معــذورة ... فـي بعـض رِقْبَتِهـا فقلــت لعلهــا

ومن ذلك قول العرجي :

فَتـلاَزَمَـا عنــدَ الـفــراقِ صبابــةً ... أَخْــذَ الـغـريـمِ بفـضـلِ ثـوبِ المُـغْـيرِ

ومن ذلك قول قيس بن ذريح :

أَلا ياغـــرابَ البَيْــن قَــدْ طِـرْتَ بالذي ... أُحَـاذِرُ مِـنْ لَيْلَـى فَهَـلْ أَنْتَ وَاقِـعُ ؟

أما بيت عروة بن أذينة فقد تقدم ذكره وهو شبيه بما قاله جميل لما علم بأن صاحبته بثينة علقت رجلا اسمه حجنة الهلالي :-

وبـيـنـا حبالٌ ذات عَقْـد لبَـثْـنَـةَ ... أُتِـيـحَ لهـا بعـضُ الـغـواة فـ. ـلَّهَـا

فَعُـدْنَـا كَأَنَّـا لَمْ يَكُــنْ بَيْـنَـنَـا هَوىً ... وَصَـارَ الـذي حَـلَّ الحِبَـالَ هَـوى لَهَـا

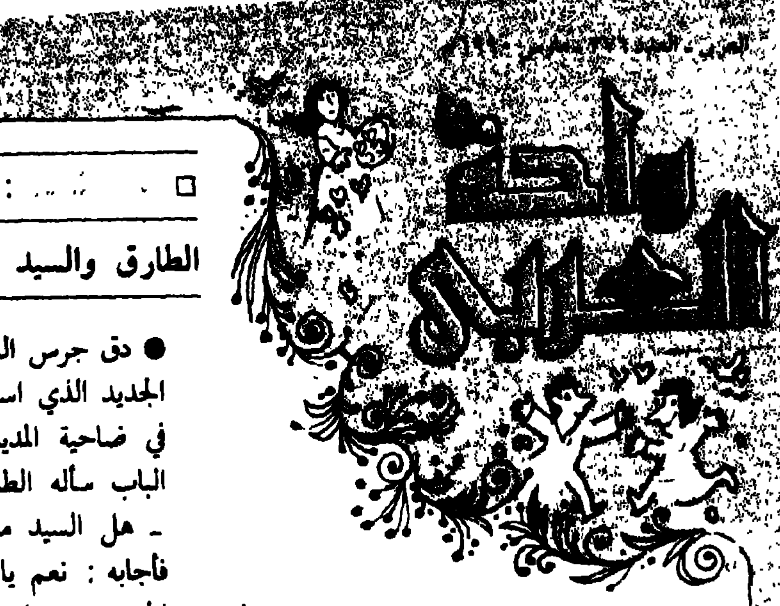
وقـالـوا نراهـــا يـاجميـل تبدلـــت ... وغـيرَهـا الـواشـون قلـت لعـلهـا

لعـلَّ حِبَـالاً كنـتُ أحْـكَـمْـتُ عَقْـدَهَـا ... أُتِيـحَ لهـا واشٍ فَجَـاءَ فَحَلَّهَـا

وحدّث الزبير بن بكار أن أبا السائب أتاه ليلة بعدما رقد الناس ، وفي ساعة متأخرة ، وقال له : إنه سهر تلك الليلة ، وأراد صديقا يتحدث إليه ، ثم قال : قم بنا إلى العقيق ، فقاما ، وأخذا هناك يتناشدان الأشعار ، فأنشد الزبير أبياتا للعرجي ، منها هذان البيتان :

[illegible]

[illegible]



□ [illegible]

الطارق والسيد موللر

● دق جرس الباب الخارجي للمسكن الجديد الذي استأجره شابان انجليزيان في ضاحية المدينة ، فلما فتح أحدهما الباب سأله الطارق :

ـ هل السيد موللر موجود ؟

فأجابه : نعم ياسيدي ، لكنك دققت الجرس مرة واحدة ، وكان يجب عليك أن تدقه مرتين مادمت تريد السيد موللر كما هو موضح بالبطاقة التي فوق الجرس .

فاعتذر الطارق آسفا ، في حين أغلق الشاب الباب في وجهه غاضبا ، وبعد قليل دق الزائر الجرس مرتين ، وقد أثار دهشته وارتباكه حين فتح الشاب الأول نفسه الباب وسأله عما يريد .

فقال له معتذرا : آسف لإزعاجك ياسيدي ، هل يمكن أن أقابل السيد موللر ؟

فأجاب الشاب في هدوء :

نعم ، أنا موللر .

□ محرم جبار

● الزوج للشرطي : من فضلك ، اسجني ، لقد ضربت زوجتي بعصا غليظة على رأسها .

الشرطي : وهل قتلتها ؟

الزوج : لو أنني قتلتها ، ماحضرت لأسلم نفسي .

□ [illegible]

● بإمكاننا أن نعيش طويلا ضعفي عمرنا لو أننا خلال النصف الأول من حياتنا لم نتخذ عادات تقصر من النصف الثاني .

مارسيل آشار

● العجيب هو أن الصيادين الذين يروون أجمل حكايات الصيد ومبلغ تفوقهم بالصيد ، هم أولئك الذين يصطادون بمفردهم .

بيير لالو

● إذا قلنا شيئا للرجل دخل إحدى أذنيه وخرج من الأخرى ، ولكن إذا قلنا شيئا للمرأة فإنه يدخل الأذنين ويخرج من الفم .

جان أنوي

□ بسرعة

● الطبيب للمريض : في المرة القادمة حين تصفق ، ابعد رأسك من بين يديك .

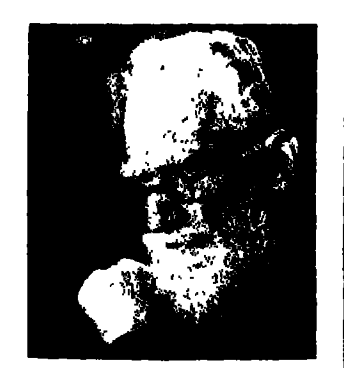


الفرج بعد الشدة

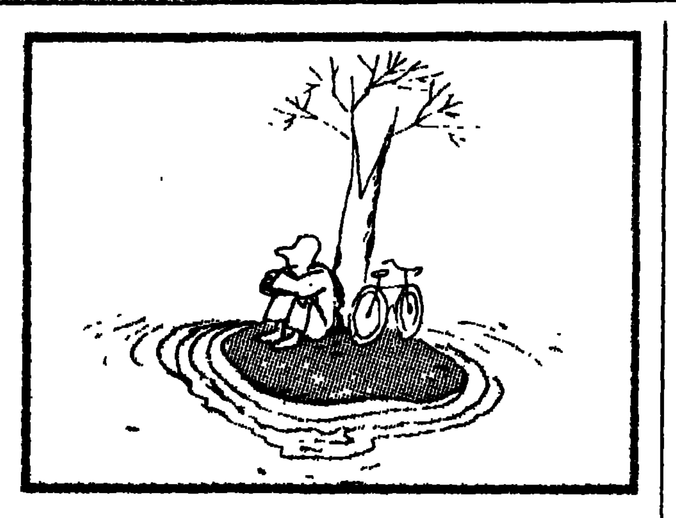
● سئل عبد الله بن الزبير يوما : ما الفرج بعد الشدة ؟
فقال : أن تحلف على الضيف ، فيعتذر بالصوم .

لمن صافحت شو ، ولكن

● استقبل برنارد شو قبيل وفاته اثنين من المعجبين به ، وقد اصطحبا ولدهما البالغ اثنتي عشرة سنة . فمد إليه يده مصافحا ومرددا :
ـ بعد خمسين سنة يابني سوف تقول باعتزاز : لقد صافحت برنارد شو ، فيسألك سامعوك ، ولكن من كان برنارد شو هذا ؟



برنارد شو



المدينة الأكثر ضبابا

● شكا أحد الأصدقاءالأجانب للممثل الانجليزي الك جينيس من ضباب لندن الكثيف فثار جينيس وقال :
ـ هذا مبالغ فيه ، فلندن ليست أكثر المدن ضبابا ، فأنا شخصيا عرفت مدينة أكثر ضبابا منها .
ـ ما هذه المدينة ؟ وأين تقع ؟
ـ لم استطع معرفة مكانها لكثافة الضباب فيها .

سر الاعرابى

● قيل لأعرابي استودع سرا فكتمه : أفهمت ؟
قال : لا ، بل نسيت .
وقيل لآخر : كيف كتمانك السر ؟
قال : أجحد المخبر ، وأحلف للمستخبر .
وعندما سئل أعرابي : كيف حفظك السر ؟
قال : أنا لحده !

لحظة حرجة

● قالت السيدة لجندي المظلات : لابد أنك تعرضت للحظات حرجة في حياتك.
أجاب الجندي : بالتأكيد ، هبطت في إحدى المرات في حديقة عامة ، ونزلت بجوار لافتة مكتوب عليها « ممنوع السير على الحشائش » .

استراليا:





استطلاع : أشـور الياسين
تصـوير : طالب الحسيني

«تقع في طرف العالم الجنوبي ، وسط مياه المحيط ، وعلى الرغم من ذلك فإن لها حضوراً في الذهن العربي ، فآلاف من الشباب العرب يحلمون بالهجرة إليها ، وعلى موائد ملايين البيوت لحومها الشهيرة ، وفي الأحاديث اليومية مئات الترددات لوصف «البغل الاسترالي» وحكايات عن «الكنغر» .

وبحثا عن الصورة القريبة كانت رحلة «العربي» للبلد «القارة» .

كثيرة هي الأقطار التي نتداول أفكاراً عنها ، وبعد حين تصدقها وتصبح كالحقائق تشيع بيننا ونؤمن بها .

واستراليا واحدة من هذه البلدان : قبل أن تسافر بعثة «العربي» كنا نسمع من الناس أنها أنظف بلدان العالم ، وأنهم - الاستراليين - من شدة حرصهم على النظافة يقومون بعملية «تبخير» للقادمين إليها بالمبيدات والمواد الكيميائية وهم في الطائرات قبل أن تفتح الأبواب ويدعونهم للنزول ، وكنا نسمع أنها أرض ممتدة وشواطيء ووديان وسهول وصحارى وجبال ، ثروة هائلة ، وعدد قليل من السكان ، وأن حاجتها للسكان لاتنتهي ، وأن ثرواتها لم تستغل الاستغلال الكافي لندرة العنصر البشري ، وكنا نسمع عن العرب هناك ، وقصص النجاح الكثيرة التي حققوها . وكنا نسمع ، ومثلنا سمع كثيرون عن استراليا . وبعد وصولنا حاولنا أن نبحث عن الصورة الحقيقية ، ونختبر صحة ماسمعناه ، ونضبط الخيال على الواقع ، فماذا رأينا ؟

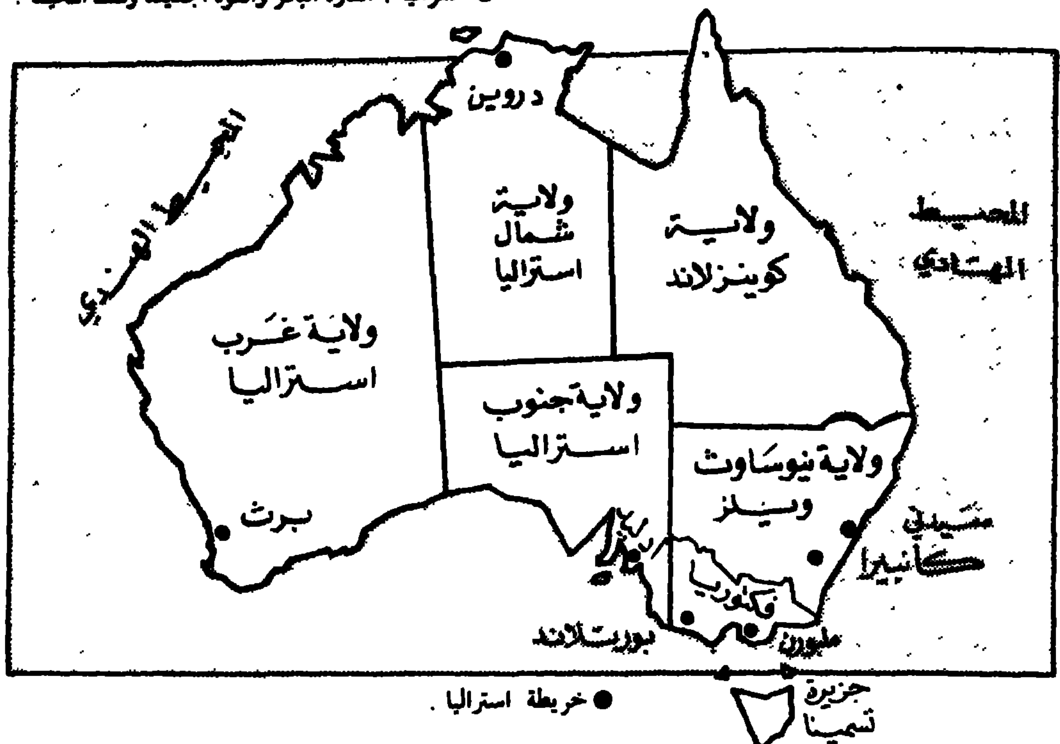
● الكنغر شعار استراليا الذي لا يخطئه أحد .

تاريخ قديم

قبل مائتين وعشرين عاما فقط ، لم يكن أحد يعرف أن هناك أرضا في هذا الجزء من العالم ، حتى اكتشف الرحالة البريطاني ، كابتن جيمس كوك ، الساحل الشرقي من استراليا في عام ١٧٧٠ وقد تم احتلال القارة على ثلاث مراحل : المرحلة الأولى بدأت بوصول اسطول انجليزي إلى القارة ، يحمل ١٠٣٠ شخصا ، منهم ٧٣٦ من السجناء ، وقد استمرت مرحلة إرسال السجناء إلى استراليا فترة ، تلتها مرحلة إرسال المزارعين ، ثم آخر مرحلة استيطانية ، وهي وصول المنقبين عن الذهب .

وقد استمرت حركة السفر إلى استراليا نشطة طوال القرن الماضي الذي تم خلاله تطوير المستعمرات التي احتلها البيض ، لتتحول إلى مدن وعواصم . «فسيدني» التي تعد كبرى مدن استراليا حاليا هي أول مستعمرة سجناء تكونت في استراليا ، وهكذا فالمستعمرات المختلفة التي كانت مقامة للسجناء أو للمزارعين أو للمنقبين عن الذهب تحولت إلى مدن وعواصم للمقاطعات الرئيسة في استراليا حاليا ، ولأن الازدهار الذي حدث في استراليا قد تم خلال القرن الماضي فإن معظم المدن تأخذ طابع

● استراليا : القارة البكر والقوة الجديدة وسط المحيط .



● خريطة استراليا .

العصر «الفيكتوري» في التصميم والبناء والتخطيط .

الموقع والسكان

تقع استراليا في قلب مايعرف بمنطقة «الباسيفيك» ، وهي تشغل مساحة شاسعة ، تطل بسواحلها الشرقية على المحيط الهادي الجنوبي ، بينما يقع ساحلها الغربي على المحيط الهندي ، وتبلغ مساحة استراليا (٣,٦٨٢,٠٠٠ كم٢) ثلاثة ملايين وستمائة واثنين وثمانين ألف كيلو متر مربع ، وهي بذلك تعد سادس دولة في العالم من حيث المساحة بعد الاتحاد السوفيتي وكندا والصين والولايات المتحدة والبرازيل ، وهي القارة الوحيدة التي يشغلها «شعب» واحد بدولة واحدة . ويقدر عدد سكان استراليا اليوم بما يقارب ١٦ مليون نسمة ، وفق احصاءات الحكومة الفيدرالية وإن، متوسط الدخل السنوي يبلغ حوالي ١١ ألفا و ٩٢٠ دولارا أمريكيا ، وتملك استراليا قدرا هائلا من الثروات ، ففي الجزء الشمالي منها يتركز ٢٠٪ من جملة الاحتياطي العالمي من اليورانيوم ، بالإضافة إلى ثروات معدنية مهمة كثيرة ، كالذهب والفضة والنحاس والزنك والرصاص .

وسكان استراليا خليط من السكان الأصليين الذين يعيشون في الجزء الجنوبي من القارة وهي الأقلية التي تكاد أن تنقرض ، وأجيال المستوطنين القدماء الذين جاءوا سجناء مبعدين ومنفيين أو مغامرين باحثين عن الذهب أو مهاجرين حديثا .

وقد قدر عددهم وقت الاستيطان الأوربي بحوالي ٣٠٠ ألف شخص ، أما في الوقت الحاضر فهم حوالي ١٥٠ ألف شخص .

بصمات أوربا

وعلى الرغم من أن الهجرات الاسيوية أسبق تاريخا من الهجرات الأوربية ، فإن هذه الهجرات لم تصمد طويلا أمام الهجرة الأوربية ، فالأوربيون قد جاءوا من مناطق كانت في ذلك الوقت ـ القرن الثامن عشر ـ مناطق ازدهار نسبيا ، وكان العالم قد عرف آلة البخار والمدفع والبندقية . وكانت الثورة الصناعية قد تبلورت آثارها الاجتماعية والعمرانية ، وبدأت هذه الهجرات في صياغة الحياة التي تعثرت في البداية

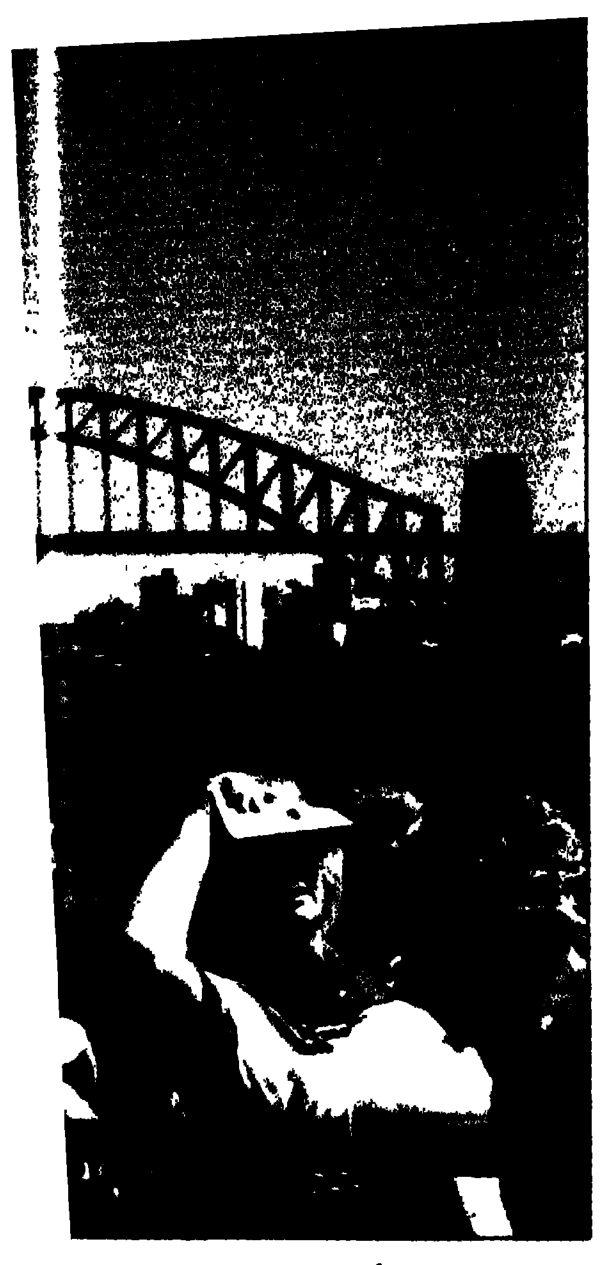
لأسباب البعد المكاني والموقع الجغرافي ، ولكنها عندما انطلقت أخذت أشكال الحياة الأوربية وأنماطها ، فالعمارة القديمة ـ كما قلنا ـ هي نمط العصر الفيكتوري ، والحياة السياسية والاقتصادية ، وفقا للنظام الليبرالي المتبع في أوروبا الغربية . بل مازالت استراليا حتى اليوم تعد الملكة اليزابيث الثانية (ملكة بريطانيا) ملكة على استراليا ، ويمثلها الحاكم العام الذي هو بمثابة رئيس الدولة ورئيس السلطة التنفيذية (ولو اسميا) .

لا أعرف

هناك واقعة طريفة شهيرة تقول : إن أحد المستوطنين الأوربيين قد رأى الكنغر أول مرة ، فسأل أحد السكان الأصليين عن اسم هذا الحيوان ، فرد عليه الساكن : إنه لايعرف لغته ولا يفهم مايقول مختصرا ذلك في كلمة واحدة (كنغرن) ، وهي تعني : لاأفهم بلغة السكان الأصليين ، فأطلق الأوربي الكلمة اسما على هذا الحيوان ، وشاعت الواقعة ، واستقر هذا الاسم لذلك الحيوان ،.وانتقلت الكلمة كتعبير مجازي في الأدبيات السياسية ، فصار يقال : مفاوضات وحوار الكنغر دلالة على أن الطرفين يتحدث كل منهما عن شيء يختلف عن الشيء الذي يتحدث عنه الأخر ، كالمقصود بقول العرب «حوار الطرشان» .

وصلنا سيدني صباح يوم أحد ، وكان الجو في نصف العالم الذي نحن منه في بداية الخريف ، أما هناك فكانت بدايات الربيع الذي يستمر حتى أول ديسمبر ليبدأ بعد ذلك الصيف حتى نهاية فبراير (شباط) .

فور عبورنا حاجز الجوازات بمطار سيدني بدأ موظف الجمارك في تقليب وتفتيش حقائبنا ونبشها بعناية شديدة ، حسبنا أنه يبحث عن ممنوعات ، ولكن عرفنا بعد لحظات أنه يبحث عن أطعمة أو مواد غذائية ، ثم بدأ يقلب صفحات جواز السفر ، ويستفسر عن البلاد التي زرناها ، وتاريخ آخر زيارة ، ثم سألنا سؤالا بدا غريبا : هل عندك مزرعة خاصة ؟



وهل تقتني حيوانات أيا كان نوعها ؟

عندما قدمنا له هويتنا الصحفية قال لنا : إن هناك إجراءات مشددة ، وذلك لضمان عدم انتقال عدوى الفيروسات والجراثيم التي تصيب المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية ، فنحن في جزيرة معزولة عن العالم ، ولا نريد أي نوع من أمراض العالم تأتي إلينا خاصة إلى مصادر ثروتنا الزراعية والحيوانية ، ونظرا للخوف الشديد من هذه العدوى فإنهم يمنعون دخول أي نوع من المأكولات ، ويدققون كثيرا خوفا من العدوى التي من الممكن أن تصيب الحيوانات ، حيث ان ثروتهم الأساسية تتمثل في الأغنام التي



يملكون حوالي ١٧٠ مليون رأس منها ، ويعتمدون عليها في صناعة الأصواف واللحوم المجملة وتصديرها .

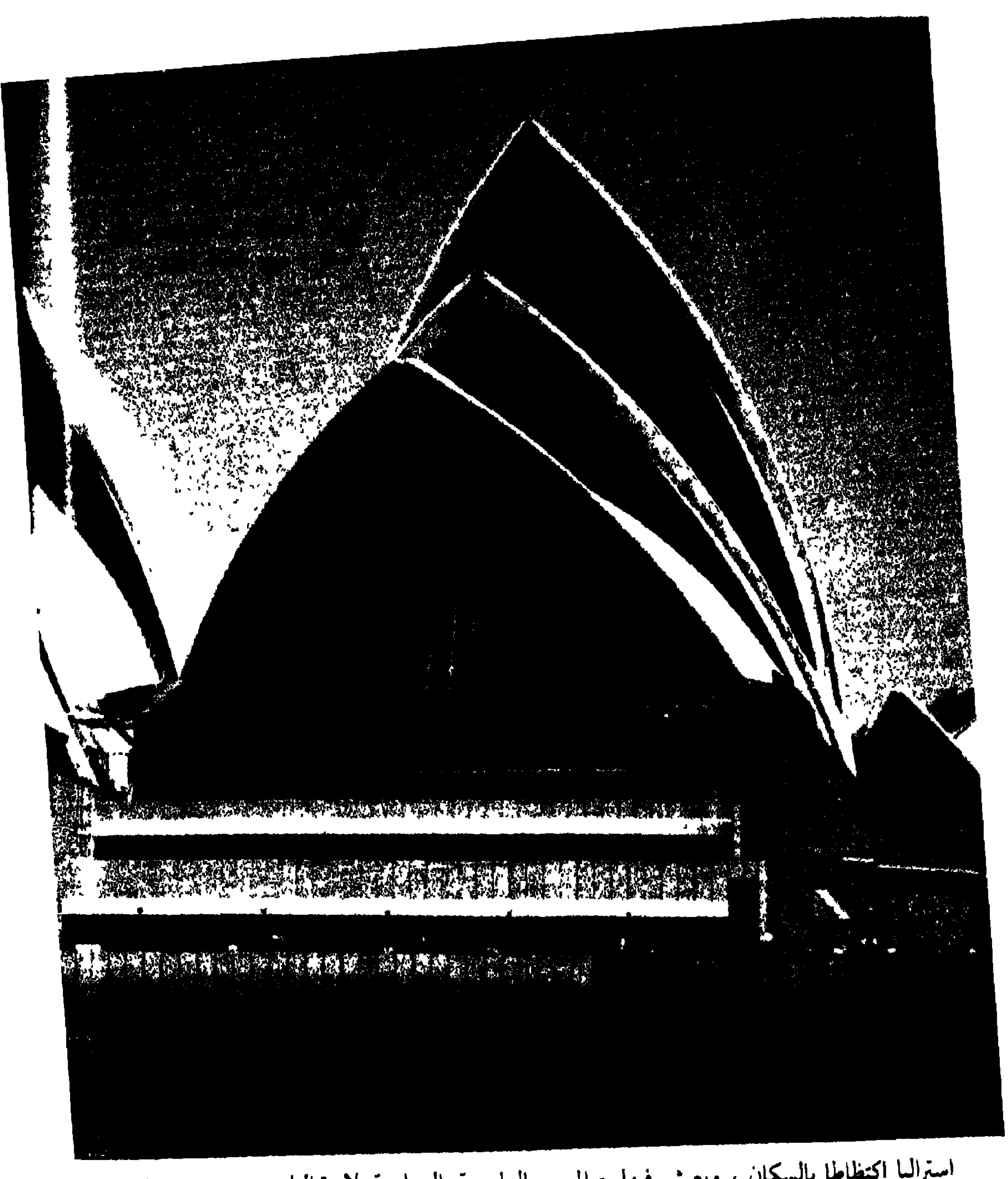
خرجنا من مبنى المطار ، ووقفنا في طابور سيارات الأجرة ، وجاء دورنا فإذا بسائق السيارة يتمعن بملامحنا العربية ، ثم يفاجئنا بالحديث باللغة العربية ، وبلهجة لبنانية محببة : مرحبا بكم في سيدني .

وسألنا إن كنا مهاجرين جدداً ؟ ولماذا لم ينتظرنا أحد من معارفنا ؟ وطوال الطريق من المطار إلى الفندق أخذ يحكي لنا كيف أن المهاجر العربي الجديد عندما يصل ، كثيرا مايذهب أقاربه وأهل بلدته ومعارفه وأصدقاء أقاربه إلى المطار حتى يكاد يصبح طابور استقبالهم ، ممتدا من المطار حتى منزل القريب ، أو محل إقامته المؤقتة .

ويقول لنا سائق سيارة الأجرة : إن هذا ليس تعبيراً عن الروابط والصداقة فقط ، ولكن أي مهاجر جديد يأتي وهو يحمل لنا أخبار الوطن ومعلومات جديدة عنه نتشوق لسماعها ، خاصة أن معظمنا قد انقطع فترة طويلة عن بلده .

العاصمة غير المتوجة

سيدني هي عاصمة ولاية نيوساوث ويلز ، وهي أكثر الولايات الست التي تتكون منها



استراليا اكتظاظا بالسكان ، ويعيش فيها حوالي ستة ملايين نسمة ، يمثلون ٣٤٪ من مجموع سكان استراليا ، وتبلغ مساحة الولاية ٨٠٠ الف كيلومتر مربع ، وسيدني هي أكبر مناطق الولاية ازدحاما بالسكان ، إذ يبلغ مجموع سكانها ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة أي مايعادل ٥٨٪ من سكان ولاية نيوساوث ويلز .

وتعد سيدني أقدم المدن وأكبرها ، وهي العاصمة غير المتوجة لاستراليا ، على الرغم من أن مدينة كانبيرا التي يبلغ تعداد السكان فيها ٢٥,٠٠٠ خمسة وعشرين ألف نسمة هي العاصمة السياسية لاستراليا ، وهي تقع على بعد ثلاثمائة كيلومتر (٣٠٠ كيلومتر) جنوب غرب سيدني ، وفيها أيضا مقر الحكومة الفيدرالية ، ومقر البعثات الدبلوماسية .

اقتربت السيارة من قلب مدينة سيدني ، الشوارع واسعة رحبة ، والبنايات الحديثة شاهقة الارتفاع كأي مدينة عالمية كبرى كأنك في لندن أو باريس أو فرانكفورت ، الخضرة والأشجار والزهور في كل مكان ، وكل مافي الشوارع نظيف ، وتلفت انتباهك ظاهرة سير المشاة بخطوات جادة سريعة . قلت لزميلي المصور :

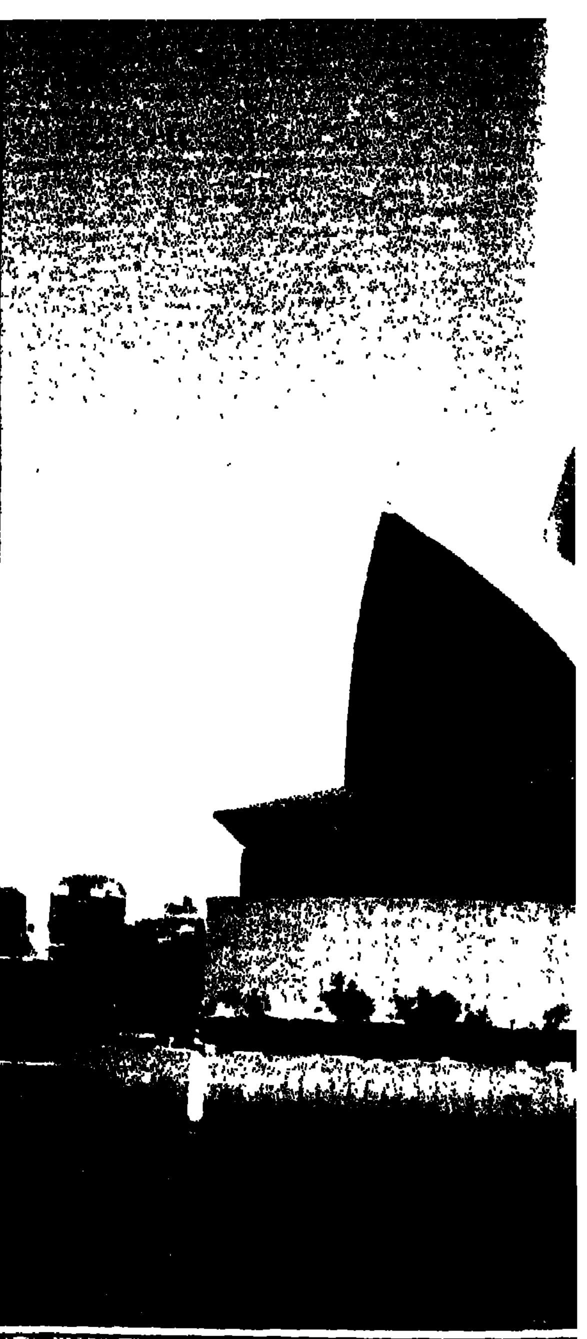
● استراليا : القارة البكر والقوة الجديدة وسط المحيط .

من المؤكد أنك سوف تجد في هذه المدينة مجموعة من العرب ، ولكنهم هنا لايتسكعون في الطرقات ، ولا يسيرون على مهل مثل مانفعل في بلادنا . التقط سائقنا ابراهيم السؤال وقال مجيبا وبسرعة : هنا ، إذا لم تعمل مثل الأوربيين فستدوسك الأقدام ، وهنا لاأحد يرحم ، قلنا له : لكننا نسمع أن هنا بطالة وناسا لاتشتغل ؟ فأجاب : نعم كنظام اقتصادي يعتمد على أسلوب التجارة الحرة وحرية رأس المال ، الناس تدفع ضرائب باهظة وعالية للدولة ، وبالتالي هنا نظام للتأمينات الاجتماعية ، وتعويض العامل إذا كان عاطلا عن العمل ، بأن تدفع له مبلغا محترما من المال ومساعدات أخرى مثل إيجار المنزل والتأمين الصحي وغيرها ، أي أنه لا أحد يموت من الجوع نظريا ، ولكن كما قلت فالعملية ليست سهلة في تدبير العمل ، والرزق يأتي بالحركة .

كنا نسمع كثيراً أن استراليا هي بلد المهاجرين ، وأن هناك جالية عربية وإسلامية تعيش في استراليا ، وقد لاحظنا ذلك في لوحات الإعلانات في بعض المناطق التي كتبت بالعربية : مطعم لبنان ، ملحمة الزهور ، مكتبة المعارف ، صيدلية الأمل .

الجالية العربية

تعيش في استراليا جالية عربية يبلغ عددها تقريبا حوالي ٤٠٠ ألف نسمه ، من لبنان ، ومصر ، والعراق ، وسوريا ، والأردن ، ومن أقطار عربية أخرى مختلفة ، لكن الجالية العربية في استراليا تتميز بطابع واحد ، وهو أنهم نقلوا معهم عاداتهم وتقاليدهم ومأكولاتهم وصحفهم ، ونقلوا إليها خلافاتهم وأحزابهم أيضا ، إنهم سعداء في حياتهم ، أو هكذا يعتقدون ، وإن كان ذلك شعوراً بالراحة المصطنعة التي ماتكاد تزيح عنها بعض الرمال حتى تراها على حقيقتها ، كل شيء يملكه الواحد منهم جميل ، منزل تحيطه حديقة ، وسيارة ، وهاتف ، وغسالة كهربائية ، وجهاز «فاكس ميلي» وتلفاز ، ولكنه لما يملكها بعد ،





لأنه يشتريها بالتقسيط الطويل الذي يمتد إلى ٢٥ سنة في بعض الأحيان ، مع فوائد فاحشة مركبة ، ولكنك تجده على الرغم من هذا كله سعيدا بشوشا ، لأنه يقتنيها اليوم في منزله ، ويتمتع بها مع أسرته ، وهذا هو المهم عنده . لقد اعتاد العيش على هذا الأسلوب الاسترالي ، يفكر بيومه ليومه ولعائلته وبكيفية دفع الأقساط ، وتعبئة استمارات ضرائب الدخل ، وجمع إقرارات الكسب ، وإرسالها بالبريد إلى مكتب الضرائب ! .

حياة جديدة غريبة ، يعيشها المغترب العربي ، في بلاد لايعرف أهلها أي شيء عن العرب إلا ماندر ، وقلة منهم تتعامل مع الأقطار العربية اقتصاديا . ويتركز العرب في استراليا في مدينتين : سيدني وملبورن ، ولهم أكثر من مائة جمعية وناد ، عدد ضخم ولكنه في بعض الأحيان لايعني شيئا فكل فريق له جمعية ، وهي تعمل على مستويات طائفية ، وعائلية ، وعشائرية ، وحزبية ، واقليمية .

الغالبية من المغتربين العرب في استراليا من اللبنانيين والمصريين ، ويمثلون حوالي ٨٥٪ من



● تدريس الطلاب العرب في فصول خاصة الدين الاسلامي واللغة العربية .

مجموع المغتربين العرب ، ولكل من أفراد الجاليتين أسلوبه في الحياة ، فالمصري يسعى جاهدا إلى اتباع طريق السلامة والأمان في حياته ، يعمل موظفا في المصارف أو الدوائر الحكومية ، أو طبيبا أو صيدليا أو أستاذاً في الجامعة .

أما اللبناني فهو على عكس ذلك ، فينطلق بمبادرات فردية ، مثل مشروع تجاري أو جريدة يومية ، أو مكتب سفريات ، أو مكتبة أو دار توزيع أو بقالة أو مطعم مع أفراد أسرته .

الصحافة العربية

من المغامرات العربية في استراليا إصدار الصحف العربية اليومية التي بدأت في الصدور عام ١٩٥٧ م ، حيث تنوعت وتعددت الإصدارات ، حتى وصلت إلى مايقارب مائة إصدار ، مابين جريدة ومجلة ، توقف بعضها أو مازال . ومن أشهر الصحف التي ماتزال تصدر : التلغراف الوطني ، والبيرق ، والأنباء ، وصوت المغترب ، والمحرر ، وهي توزع إما مرة في الأسبوع أو مرتين أو ثلاث مرات . وترسل من سيدني إلى كل أنحاء استراليا ، وبخاصة إلى المدن الكبيرة ، مثل بيرث ، وملبورن ، وادليد .

ولهذا السيل من الصحف جمهور ، هم القراء من الجالية العربية المتشوقة لأخبار الوطن العربي ومتابعة أحداثه ، كما أنها تشكل ـ حسب رأي صاحب جريدة البيرق ورئيس تحريرها الأستاذ جوزيف الخوري التي تصدر في سيدني وتوزع مرة في الاسبوع ـ رافداً آخر لفهم بعض المسائل القانونية وترجمتها ، والتي يجهلها بعض المغتربين الذين ليست لديهم قدرة على قراءة القوانين الاسترالية ومعرفتها ، كما أنها تنقل للحكومة الاسترالية طلبات الجالية العربية ومشاكلها ، وتتولى نشر النشاطات الاجتماعية التي تقوم بها الجالية العربية ، كما تمثل لهم نوعا من الخدمة الإعلانية ، سواء للمغترب العربي أو الحكومة الاسترالية ، وتقوم المكتبات العربية المنتشرة بتوزيع المجلات العربية التي تصدر في



● من معالم سيدني الشهيرة برجها الذي يحتل موقعا ممتازا في وسط المنطقة التجارية ، وكذلك القطار الكهربائي الذي يخترق المدينة .

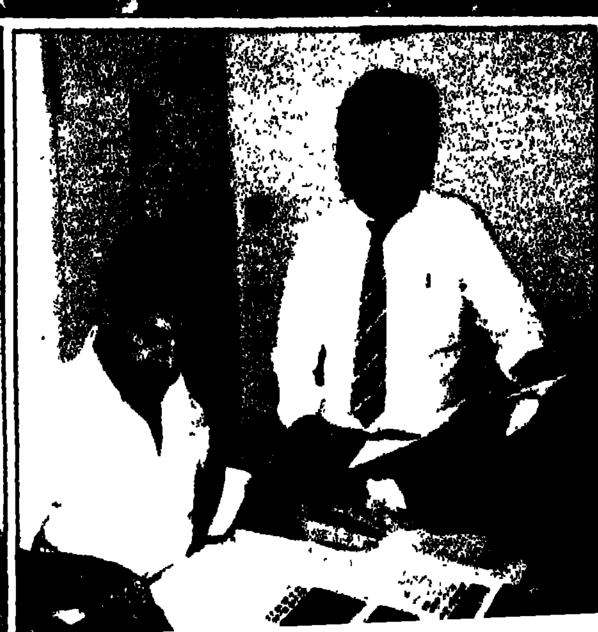
الوطن العربي .

وهناك إذاعة خاصة موجهة للجالية العربية ، تشرف عليها الحكومة الاسترالية ، وتبث برامجها يوميا مدة ساعتين صباحا ، ومثلها في المساء ، ويقوم المنسق العام للإذاعة الاستاذ نبيل طنوس ، بدور كبير في ربط المغترب العربي بالوطن العربي ، من خلال البرامج ونشرات الأخبار واللقاءات ، كما تقدم قنوات التلفاز الأربع الرسمية في استراليا في بعض الأوقات برامج موجهة بالعربية لأبناء هذه الجالية ، كما أن لأبناء الجالية العربية مراكزهم الثقافية ، ودور السينما الخاصة بهم . وأماكن الترفيه التي يتم فيها إحياء الليالي العربية حيث تعزف الموسيقا العربية ، ويصدح الغناء العربي . وتقدم الأطباق المصرية واللبنانية ، بأنواعها ، فأنت هنا لاتشعر أنك تعيش في الغربة ، سوى بتعاملك بعملة نقدية هي ليست عملة بلدك .

من المشاكل التي تصادف العربي في استراليا

● مزرعة لتربية الأغنام تشمل الخراف والخراف الخاصة بالصوف و[illegible]





● صاحب جريدة البيرق جوزيف الخوري مع المخرج في المرحلة النهائية للطبع. (وأقصى اليسار) ناقلة المواشي الكويتية «اليسرة» في ميناء بورتلاند تستعد للتحميل في طريقها إلى الخليج العربي.




● استراليا : القارة البكر والقوة الجديدة وسط المحيط .

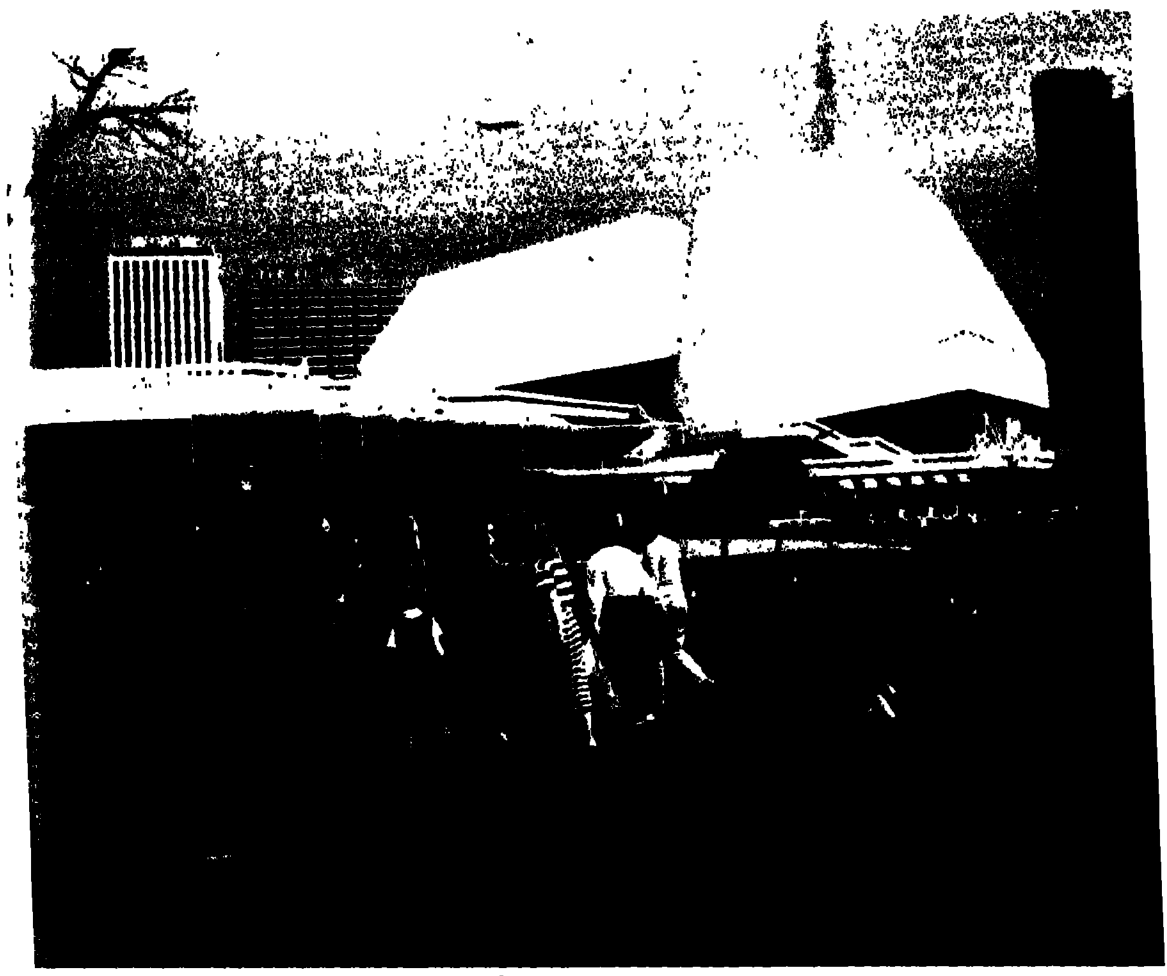
هي اصطدامه بتقاليد وعادات تختلف تماما عن العادات المتبعة في بلاده ، فحرية المرأة حرية مطلقة ، وهذا شيء لم يعوده في بلاده ، ولهذا تظهر بشدة المشاكل الأسرية وخاصة خروج البنات عن طاعة أولياء أمورهن ، ومن هنا يحرص كثيرون من العرب على الزواج من عربيات للمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم ، وهذا يسبب للجيل الجديد المولود في استراليا ، نوعا من عدم الاستقرار بسبب تناقض ما يتعلمه في البيت بذلك الذي يراه في المجتمع ناهيك عن مشاكل الجهل بالقوانين ، واللغة .

حال الإسلام والمسلمين

تعيش في استراليا جالية إسلامية كبيرة ، تقدر بمائتي ألف نسمة من مختلف الجنسيات ، معظمهم عرب وآخرون من بلدان أخرى كالأتراك والبنغلاديشيين واليوغسلاف ، ويتولى أحوال الجالية الإسلامية ويشرف على أنشطتها الاتحاد الاسترالي للمجالس الإسلامية الذي أسس عام ١٩٥٦ ، وكذلك المركز الاسلامي العام في استراليا ، وجمعيات إسلامية أخرى ، ولديها مراكزها الثقافية الإسلامية المنتشرة في جميع أنحاء استراليا ، كما توجد هناك الجمعيات الإسلامية المحلية في كل ولاية ، وتشرف عليها مجالس محلية ينظمها الاتحاد الإسلامي للمجالس المحلية . والمسلمون لهم ظروفهم الخاصة ومشاكلهم التي تبدأ بأوضاعهم الاقتصادية ، حيث إن معظمهم قدموا من مناطق فقيرة ، مثل بنغلاديش وباكستان والهند ، وتنتهي بخلافاتهم المذهبية ، وطرق دفنهم موتاهم . وللمسلمين مساجدهم التي يترددون عليها لأداء الصلاة ، والدولة هنا تؤمن بأن لكل فرد كامل الحرية في ممارسة معتقداته الدينية .

كما يشرف الاتحاد على عملية ذبح المواشي بالطريقة الإسلامية بترخيص من الحكومة الاسترالية التي ترسل جزءاً منها إلى منطقتنا العربية .

وفي مدينة سيدني العديد من المساجد ،



● المركز الثقافي في مدينة أدليد .

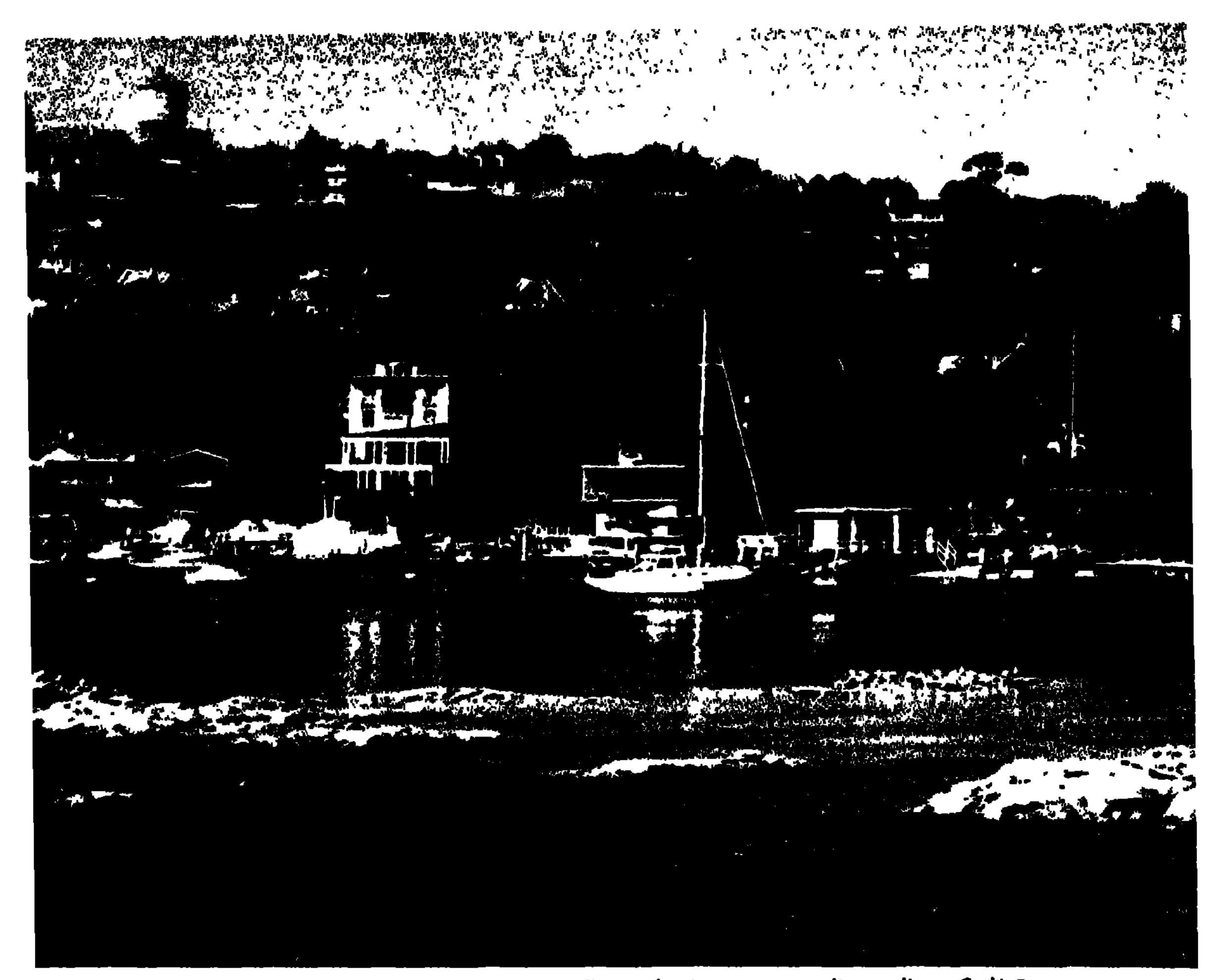
أكبرها مسجد (لاكنبه) ، نسبة إلى المنطقة التي بني فيها ، ويحدثنا عنه مفتي استراليا الشيخ تاج الدين هلال . فيقول : إن مسجد (لاكنبه) يعد من أكبر المشاريع الإسلامية في استراليا ، وهو عبارة عن مركز إسلامي يحتوي على جامع يتسع لحوالي ألفي مصل ، كما يوجد به قسم خاص للنساء يستوعب ٥٠٠ مصلية ، ويضم مكتبة عربية ضخمة . إضافة إلى مدرسة لتعليم الأطفال ، وجمعية للمرأة المسلمة ، تسمى رابطة المرأة المسلمة ، وقد أنشئت عام ١٩٨٣ . ومن دورها المشاركة في البرامج الثقافية وتعليم اللغة العربية التي هي في الواقع هاجس كل أسرة تخاف أن ينسى أطفالها اللغة العربية ، وقراءة القرآن الكريم ، إضافة إلى أنشطة اجتماعية وثقافية أخرى .

ويضيف الشيخ هلال : إن موضوع الأحوال الشخصية والمنازعات التي تدور حوله واحدة من المشاكل التي تؤرق المغترب العربي المسلم في استراليا ، وأننا نعمل جاهدين على تسهيل مهام كثيرة ، منها عمليات الزواج والإرث وغيرها ، كما تواجه العرب المسلمين مشكلة وضع أموالهم في المصارف الربوية ويقول الشيخ هلال : (إن الإسلام دين تسامح يجيز في بعض الأحوال وضع الأموال في المصارف ، وأخذ الفوائد مادامت هذه المصارف غير إسلامية ، وقد تغلبنا مؤخرا على غسل الموتى ودفنهم بفضل جهود الجالية العربية المسلمة ، فقد كانت هذه المشكلة تسبب لنا متاعب في الماضي .

إننا في (لاكنبه) نعيش أجواء إسلامية في رمضان ، حيث تقام الاحتفالات ، ويتزاور الناس ، وتقام دورات تحفيظ القرآن .)

أمسية فنية .

في سيدني تقع أجمل دار أوبرا في استراليا كلها ، وإذا لم نبالغ فهي ربما أجمل مبنى



● المساكن والشقق التي تقدر قيمتها بالملايين لكونها فقط تطل على ميناء سيدني .

للاوبرا في العالم ، وهي تطل على البحيرة والمرفأ في سيدني ، وقد بلغت تكاليف بنائها مائة مليون ومليونين من الدولارات الاسترالية ، أي مايعادل خمسة وسبعين مليون دولار أمريكي ، بعد أن كان المبلغ المقرر لها حوالي سبعة ملايين دولار استرالي ، في بداية المشروع . وقد استغرق البناء ١٩ سنة ، وتم افتتاحها عام ١٩٧٣ . المبنى من تصميم الفنان الدانماركي العالمي : جورن أوتزن . وهو يتكون من قاعة عرض رئيسة ، ومسرح صغير ، وقاعة ثالثة لعروض الباليه ، وقاعتين للموسيقا . وبجوار هذه القاعات مطعم فاخر ، وهو من أغلى مطاعم استراليا ، به شرفة رائعة ، تطل على البحيرة والميناء . تقول السيدة مارلن المديرة العامة لدار الأوبرا : إن (الكافتيريات) الملحقة بالأوبرا التي تقدم الوجبات السريعة لزوار الأوبرا فقط تمثل دخلا لابأس به إضافة إلى مساعدات الحكومة المحلية ، لمواجهة الأعباء المالية لإدارة الأوبرا .

وتضيف قائلة : إن سعة الأوبرا تبلغ سبعة آلاف متفرج . وكذلك هناك مبنى للإدارة ، يتولى تنظيم العمل فيها ، وهي جهة مستقلة لا تخضع لأي إدارة حكومية .

والمشاهد للدار يلاحظ أن الشكل الهندسي للمبنى فريد من نوعه ، فهو من الخارج يبدو كالشراع لونه (بيج) وزجاجه من نوعية خاصة ، تم استيراده خصيصا من فرنسا ، وبني من حجارة تم احضارها من الجبل الأزرق ، المحيط بسيدني من جهة الشرق . أما القاعات الداخلية فكلها من الخشب الفخم ، ومقاعد الجلوس من الجلد ، حتى تمتص ترددات الصوت والموسيقا .

الخضرة والأغنام حولنا

غادرنا سيدني في الصباح الباكر ، مستقلين سيارة هذه المرة ، المطر الربيعي يتساقط من حولنا ، وعندما استوينا على الطريق الخارجي



● منظر للبحيرة التي حفرها نيزك سقط على مدينة مونت جاميا على الحدود بين ولاية فكتوريا وجنوب استراليا

(الاتوستراد)، أحاطتنا خضرة المزارع الشاسعة، ووسطها تبدو قطعان الأغنام كنقاط بيضاء، وسط الخضرة وقفنا في بلدة «كورا» في نيوساوث ويلز، على بعد مائتي كيلو متر من سيدني، البلدة عبارة عن مزرعة هائلة للأغنام.

أمام إحدى المزارع الخاصة توقفنا، استقبلنا صاحب المزرعة ديفيد هنبلي وزوجته. تبلغ مساحة مزرعته قرابة عشرة آلاف هكتار، وكان عائداً تواً من مزاد لبيع الأغنام، ويعلق على ذلك قائلاً: إن الأسعار منخفضة، وأنه إذا استمرت الحالة على ذلك، فإن هذا الموسم سيكون كارثة على أصحاب المزارع، ويقول: إن السبب هو قلة الأمطار التي هطلت خلال الأسابيع الماضية، وأن الناس تتوقع فصل صيف جافاً، وبالتالي ستكون هناك مشكلة في توفير المياه والأعلاف للأغنام، مما يعني أن الجميع سيبيعون أغنامهم بسرعة وهذا يخلق سوقاً غير مستقرة، فيها فائض في العرض والطلب قليل، وهذا هو الذي سيحدد الأسعار، والمسألة مناسبة لكم في المناطق العربية لأنكم ستحصلون على أغنام بسعر منخفض !!

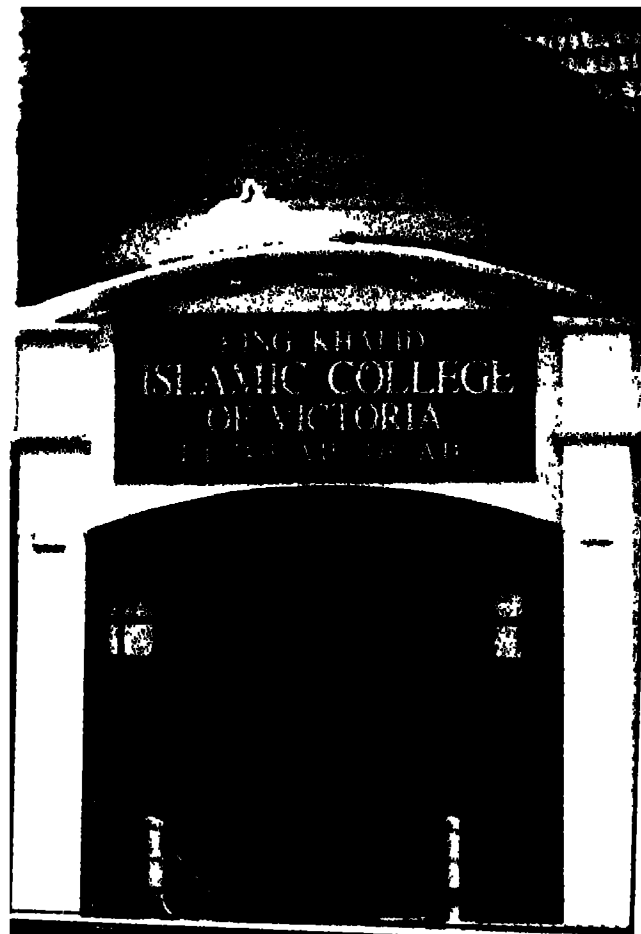
القادم إلينا

حول تجارة الأغنام مع منطقة الشرق الأوسط يحدثنا السيد لويدبيبي، المدير الإقليمي لمنطقة الشرق الأوسط بالهيئة الاسترالية للحوم والمواشي، في سيدني، حيث يقول: لقد بدأت استراليا في تصدير الثروة الحيوانية، وعلى الأخص الأغنام، مع بداية الخمسينيات من هذا القرن، إلى دول مثل سنغافورة وماليزيا، وقد كانت الكويت أول دولة في منطقة الشرق الأوسط تستورد الأغنام من استراليا عام ١٩٦٠ م، حيث شملت الشحنة ٢٥٠٠ رأس من الأغنام، وارتفع هذا العدد إلى حوالي ٩٢ ألف رأس عام (٦٢ - ١٩٦٣) وإلى حوالي ١٩٠ ألف رأس عام (٦٧/١٩٦٨).

ثم بدأ معدل الاستيراد يرتفع في السنوات الأخيرة ، حيث بلغ جملة ما استوردته الكويت عام ١٩٧٨ حوالي مليون رأس من الأغنام . وحوالي مليونين عام (١٩٨٣/٨٢) ولكن الرقم حافظ على مستوى يصل إلى مليون ونصف مليون عام (١٩٨٩/٨٨) ، مما جعل الكويت تصبح ثاني أكبر دولة مستوردة في العالم للأغنام الاسترالية بعد المملكة العربية السعودية ، وهي علاقة متطورة وقوية مع شركة المواشي الكويتية التي لديها نظامها الخاص في شراء الأغنام من استراليا ، كما أن لديها أسطولها البحري الخاص لنقل الأغنام وإطعامها ، وكذلك عملية الذبح وتوزيع اللحوم ، إضافة إلى شركة كويتية خاصة أخرى ، تقوم أيضا باستيراد الأغنام من استراليا ، ولكن بكميات محدودة . وإذا نظرنا إلى بقية الأقطار العربية الأخرى نجد أن المملكة العربية السعودية تأتي في مقدمة مستوردي الأغنام من استراليا في العالم ، حيث تستورد مامتوسطه - حسب احصائيات ١٩٨٨ - حوالي (٣,٥) ثلاثة ملايين ونصف مليون رأس ، أي حوالي ٥٢٪ من مجموع صادرات استراليا من الأغنام ، علماً بأن ثروة استراليا من الأغنام يبلغ مجموعها حوالي ١٧٠ مليون رأس تستورد الكويت منها ٢٠٪ ، ودولة الإمارات المتحدة حوالي ٧٠٠ ألف رأس في العام ، أي بنسبة ١١٪ وتظل تجارة تصدير الصوف هي الأساس في هذا القطاع الاقتصادي المهم من حياة استراليا ، والذي يصدر إلى أوربا واليابان والولايات المتحدة الأمريكية .

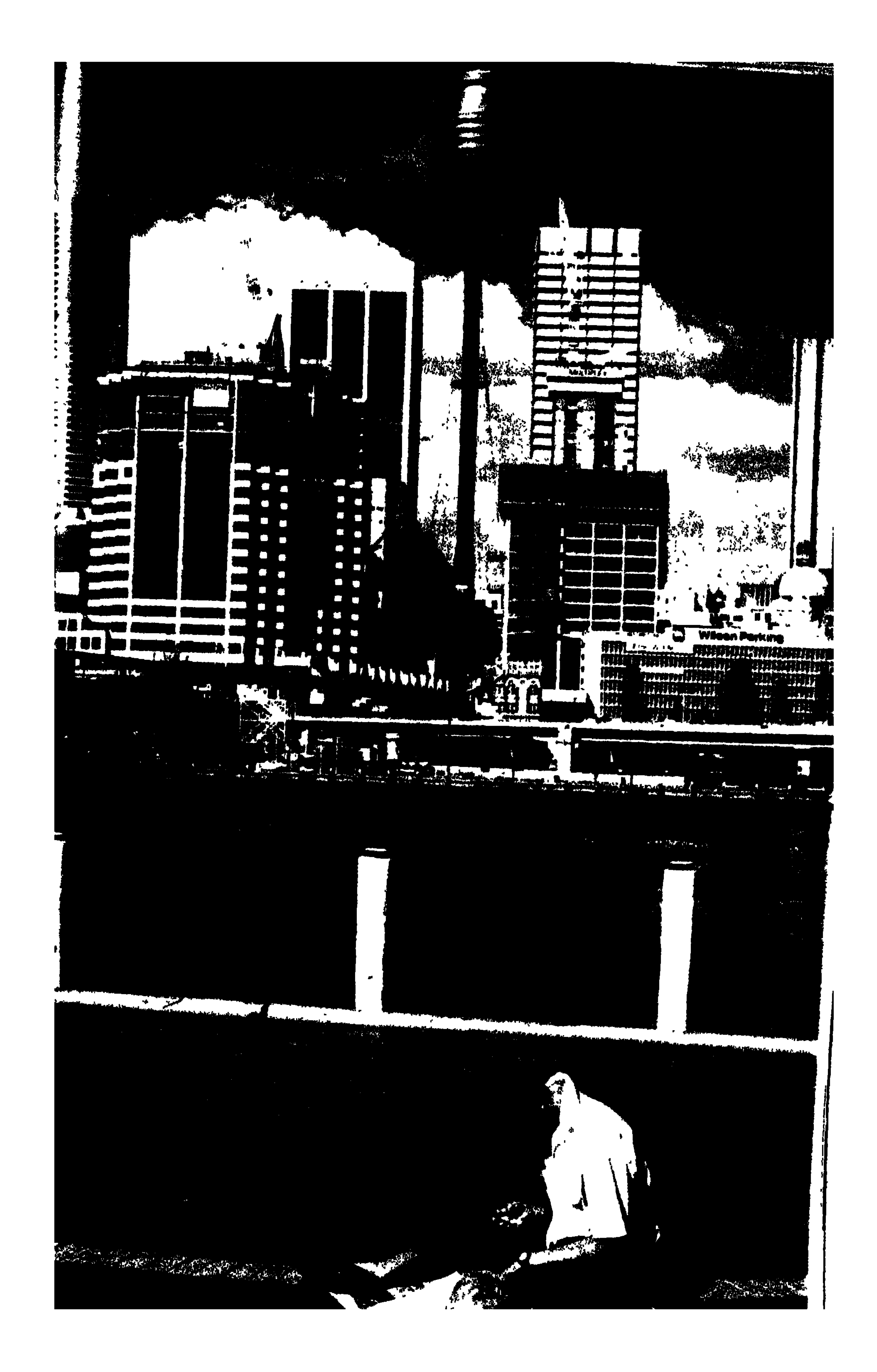
مدينة الذهب والمال

ولاية (فكتوريا) هي صغرى الولايات مساحة ، حيث تعادل حوالي ٣٪ من مساحة استراليا ، وهي الثانية في جولتنا ، وملبورن عاصمتها انشأت عام ١٨٣٥ ، وتطورت بشكل سريع في عصر اكتشافات الذهب - من ١٨٥٠ إلى ١٨٧٠ - وهي الآن ثاني أكبر مدينة في استراليا ، ومعقل رجال المال والأعمال والصناعة ، ويقطنها حوالي مليونين ونصف





● إلى (أعلى) كلية الملك خالد في ملبورن وإلى (أسفل) الجالية العربية تتشوّق إلى قراءة الصحف والمجلات العربية .


Wilson Parking

مليون نسمة أغلبهم جاؤوا مهاجرين من أوربا خاصة انجلترا ، كما أنها تتمتع بطبيعة خضراء وأشجار عالية ومبان لها طابع القرن التاسع عشر ، كما أنها تملك طرق مواصلات سهلة ويسيرة ، تحيط بها شبكة من الطرق البرية ، تربطها بمختلف الولايات الشمالية والجنوبية ، وعندما تسير في الأسواق تشدك الروعة والجمال في المحلات التجارية الضخمة ، كما يخترقها مجرى نهر «دلبري» الذي يمتد من ولاية نيوساوث ويلز ويخترق ولاية فكتوريا ليصب في ولاية جنوب استراليا في بحيرة الاسكندرية .

والعرب الموجودون في ملبورن هم عرب الصفوة ، الموظفون منهم قلة ، لكن الغالبية أصبحوا أصحاب مطاعم وملاه ، وهو فن يمتاز به اللبنانيون . وإعلانات السهرات اللبنانية تملأ الصحافة والشوارع ، وهي إعلانات أنيقة ضخمة .

إلى الكويت في خمسة وعشرين يوما

بالقرب من ملبورن يقع ميناء بورتلاند ، وهو من أهم موانيء تصدير الماشية على الساحل الجنوبي ، حيث تتركز كل تجارة تصدير الأغنام الاسترالية إلى العالم . والميناء مخصص ـ إضافة لتصدير الأغنام والأبقار إلى الشرق الأوسط ـ لتصدير بعض أنواع الحبوب والألومينا (أكسيد الألومنيوم) إلى اليابان ودول شرق آسيا كما أنه مجهز بشكل فني حديث .

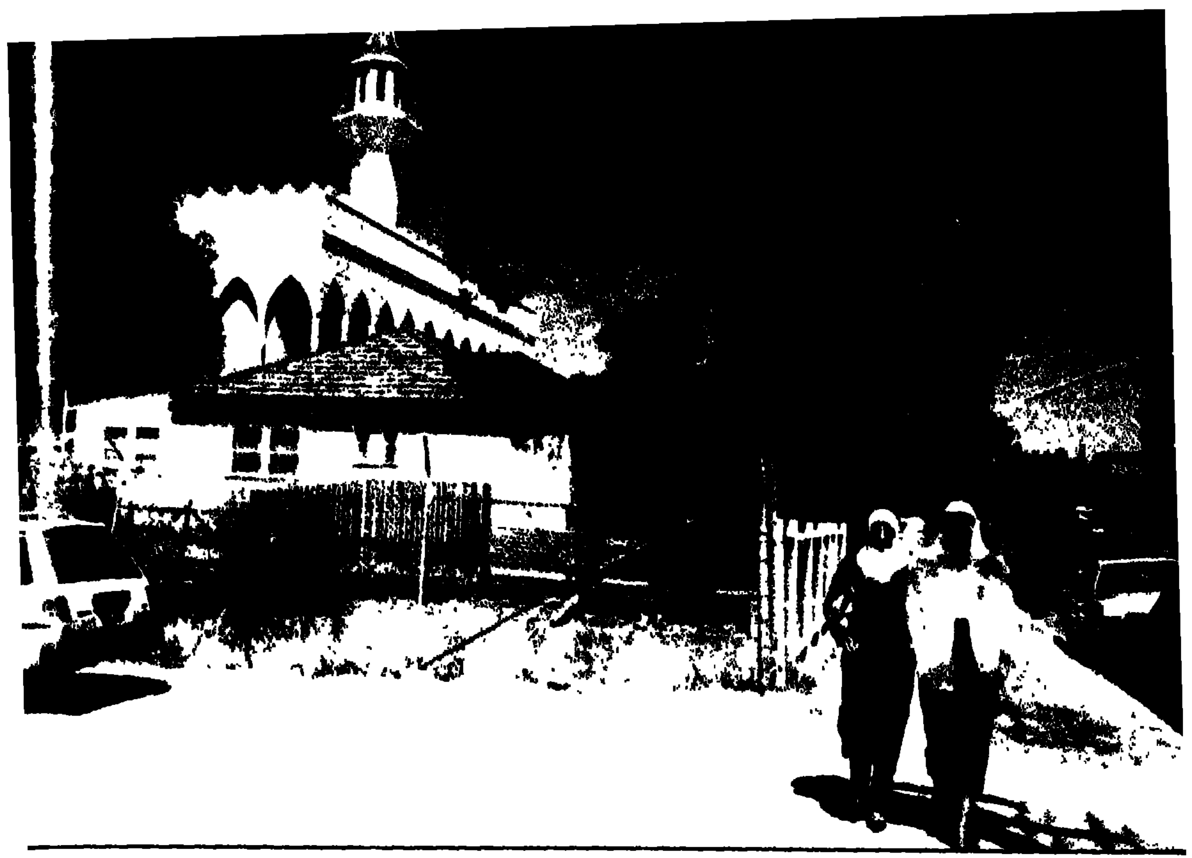
ناقلة ضخمة رابضة على رصيف ميناء بورتلاند ، يوحي شكلها بأنها سفينة ركاب من النوع الفاخر ، ومشعلة أنوارها أثناء الليل ، ويمكن للسكان القاطنين في هذه القرية الصغيرة ، في ولاية فكتوريا ، أن يروا ناقلة المواشي الكويتية (اليسرة) ، ذات الحمولة التي تبلغ مائة وعشرة آلاف رأس من الأغنام بشكل دوري ، وهي قابعة تحت السماء الصافية ، تحمل الأغنام الاسترالية ، في رحلة تستغرق خمسة وعشرين يوما إلى ميناء التفريغ في



● مدينة أدليد أهم مركز لتجارة الصوف

الكويت . وقد عملت هذه الناقلة وشقيقتها بشكل خاص لنقل الماشية في رحلة تقطع حلالها حوالي ١٠,٠٠٠ عشرة آلاف كيلو متر ، محترقة المحيط الهندي ، ثم بحر العرب ، مرورا بخليج عمان ، ثم البحرين فالكويت ، وهي الوسيلة الوحيدة للنقل ، لذا فليس هناك بد لتجنيد جميع الإمكانيات لنجاح هذه العملية في هذا الميناء المهم على الساحل الجنوبي لاستراليا .

وشركة المواشي الكويتية تملك تسهيلات كثيرة في الميناء ، فالعملية تحتاج إلى إعداد مسبق . قبل النقل ، فمجرد العلم بقرب وصول الباخرة التي ستنقل الأغنام يتم قبلها بأسبوعين تحضير الحظائر بالقرب من الميناء لتجميع الأغنام ، فهي تأتي من مصادر مختلفة ، ثم تتم عملية الفحص الطبي لها ، كما يتم ترتيبها في مجاميع ، وتنقل إلى الباخرة في الوقت الذي يتم فيه تزويد الباخرة بالمياه لشرب الأغنام وتحميلها بالعلف للرحلة . يتم تصدير حوالي مليون رأس من الأغنام من هذا الميناء فقط إلى منطقة الخليج العربي كل سنة ، بمعدل ٢٢ سفينة في العام ، ويمكن شحن ٦٠ ألف رأس من الأغنام في اليوم الواحد .



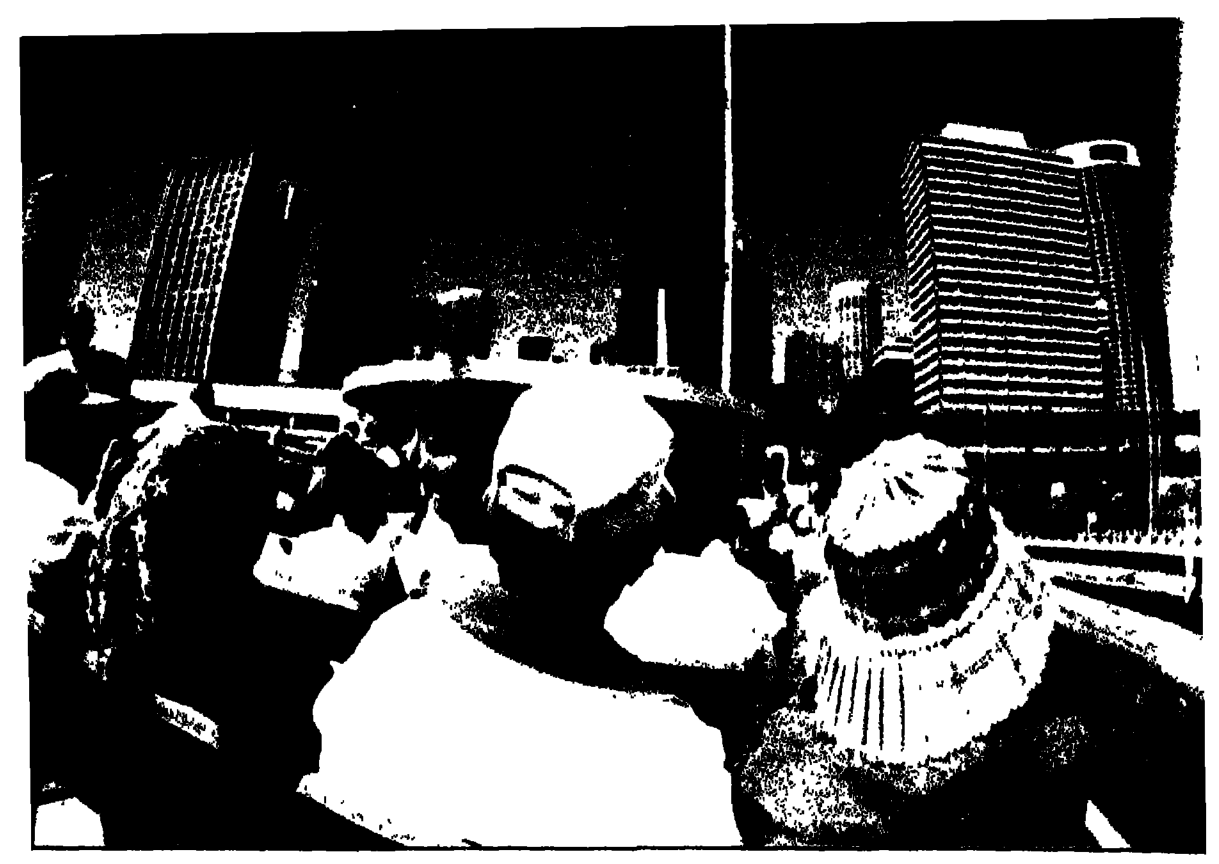
● المركز الإسلامي في « لاكنبه » في سيدني والذي يخدم الجالية العربية والإسلامية .

رفاهية ورعاية

في طريق عودتنا من بورتلاند إلى «مونت جامبيا» في جنوب استراليا ، قمنا بزيارة مركز أبحاث علمي ، متخصص بدراسة كل ما يتعلق بالأغنام ، والأغنام في استراليا مدللة ، وكما يقولون في المركز : فإن المزارع عندما يتم تخصيصها لاتحصل على الموافقة بتربية أي كمية وأي عدد من الأغنام ، ولكن هناك حداً أقصى لعدد الأغنام في المساحة المعينة ، وفي المتوسط فإن الهكتار الواحد يخصص له ٦٠ رأساً من الغنم . وآخر أبحاث المركز هي دراسة التغيرات التي تطرأ على حالة الأغنام أثناء السفر البحري ، فقد لوحظ مؤخرا أن هناك نسبة بين ٣ ـ ٤٪ من كل شحنات الأغنام على السفينة لاتأكل مكعبات الغذاء الذي يقدم لها ، سواء في مركز التجميع قبل نقلها إلى الباخرة، أو في أثناء الرحلة ، وتموت نتيجة لذلك ، وهي في المركز ، حسب مايقول الخبير الدكتور ادريان كيلي ، يبحثون أكثر من افتراض لهذه الظاهرة : فهل هو الأسر بعد الحرية ، أو هو تغير نوعية الطعام ، حيث إن الأغنام على السفينة لاتأكل الغذاء الأخضر ؟ ولهذا بدءوا سلسلة تجارب طويلة ، تهدف في النهاية للوصول إلى حل ، لتخفيض كمية الأغنام التي تمتنع عن الأكل في أثناء الرحلة على السفينة .

ادليد المدينة الهادئة

ختام جولتنا كان في الولاية الثالثة ، وهي «ساوث استراليا» ، وبالتحديد مدينة ادليد ، عاصمة الولاية ، وهي مدينة يبلغ عدد سكانها ٩٦٠ ألف نسمة ، وهي عاصمة الأغنام في استراليا ، فالولايات الجنوبية في استراليا هي مناطق تربية المواشي ، وفي ادليد تتجمع كبرى شركات البيع والتصدير للأغنام التي تشترى عن طريق مزادات الأغنام من أصحاب المزارع ، ثم تعدها للتصدير ، كما أنها مركز تجمع شركات الأصواف الكبرى التي تبيع منتجاتها خاما



● سيدني بعدسة عين السمكة .

لبريطانيا وايطاليا واليابان وفرنسا . ثم تستوردها استراليا ملابس جاهزة تباع بأغلى الأسعار . وهم في استراليا يتندرون على هذه القضية .

فاستراليا أكبر دولة في العالم تنتج الأصواف الناعمة المستخدمة في صناعة الملابس . وهناك حوالي (٨٠,٠٠٠) من منتجي الصوف في استراليا يملكون حوالي ١٥٠ مليون رأس من الأغنام ، حوالي (١٦٪) من عدد أغنام العالم ، وتؤلف أغنام المارينوس حوالي ثلاثة أرباع الأغنام الموجودة في استراليا ، وهي أغنام ذات أصواف غاية في النعومة ، ويمتاز الصوف الاسترالي باتساق خيوطه . ويتم تصدير أكثر من ٩٠٪ من الصوف الاسترالي . وتقدم استراليا حوالي ٧٠٪ من صوف الملابس المتداول في التجارة الدولية .

وفي ادليد مكاتب شركات بيع منتجات الكروم ، فهي مدينة فيها إدارات الأغنام والزراعة ، وتتمتع بساحل طبيعي جميل جدا ، ولذلك فإن أغلب سكانها إما موظفون في هذه الشركات ، أو «سماسرة» للشراء وللبيع ، أو أصحاب المزارع المحيطة بالمدينة . وحيث يسيل المال توجد أشهر طرق صرف المال وإنفاقه ، فيقام فيها في شهر نوفمبر من كل عام واحد من أكبر سباقات السيارات السريعة في العالم . وحول السباق تدور المراهنات وتحصد الأرباح أو الخسائر الفلكية .

وفي المدينة مكاتب تمثيل للمستوردين الرئيسيين من استراليا . والشوارع على جمالها وهدوئها تمتلىء بإعلانات أنواع الأغنام ، وبإعلانات أنواع الكروم والعصائر ، فالمدينة تعلن عن كل منتجاتها ، أمام زوارها الكثيرين .

قاربت الرحلة على الانتهاء ، ولم يعد في الإمكان البقاء أكثر من ذلك ، ولكننا لم نقدم صورة كاملة لهذا البلد القارة ، ومحاولة تقديم استراليا كاملة لايمكن أن تتم إلا بإقامة طويلة وانتقالات واسعة بين أجزائها الشاسعة ، ولكننا حاولنا أن نقرب صورة هذا البلد التي كانت حلم المكتشفين ، وأصبحت الآن حلم الكثيرين بالهجرة إليها وبدء حياة جديدة . □

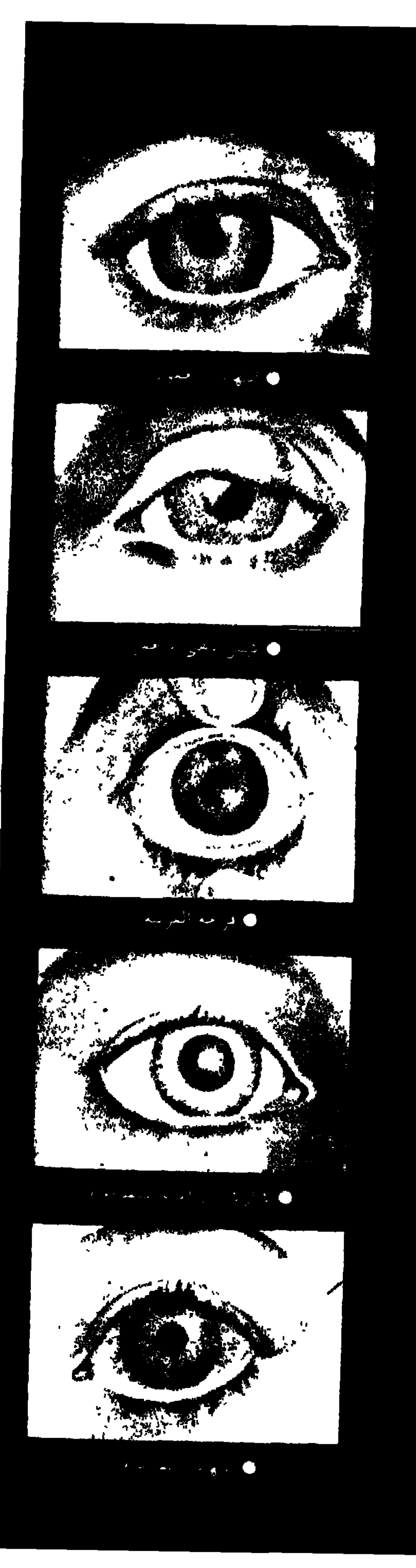


بومة تكشف سرّ قزحية العين !

بقلم : محمد فيض الله الحامدي *

عندما لم يجد الإنسان ما يفسر به بعض الأمراض ، أعادها إلى عين أحد الآخرين التي أصابته . لكن العلم يقول : إنه عن طريق عين الشخص المريض يمكن معرفة إصابته !

* كاتب ومدرس علوم بالقطر العربي السوري



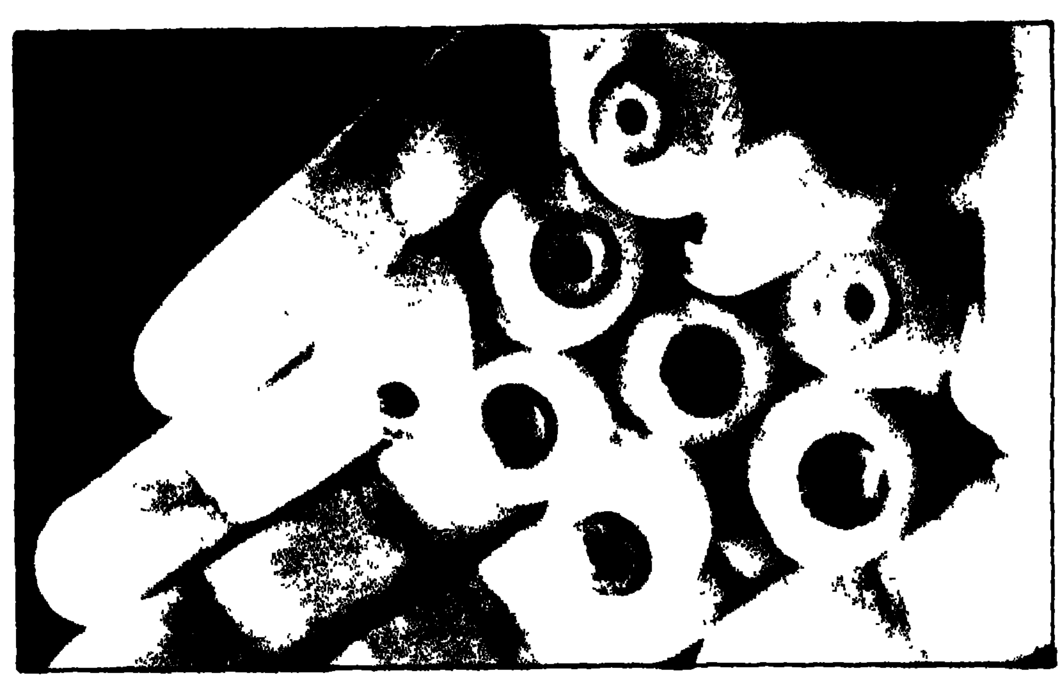
عندما كان الطبيب المجري « ايفناش بيكسيلي » في الحادية عشرة من عمره ، في نزهة ، في إحدى الغابات ، شاهد عش طائر ، فيه بيضة ، فاقترب منه مادا يده لتناول البيضة ، فهجمت عليه بومة بشكل مفاجيء ، وبشكل لاشعوري أبعدها « بيكسيلي » بعنف فكسر إحدى رجليها ، وقد لاحظ على الفور ظهور خط عمودي أسود على قزحية عين البومة .

تركت هذه الحادثة أثرا في ذاكرته ، مما جعله يركز اهتمامه ـ فيما بعد ـ على دراسة تأثيرات الأمراض الداخلية على قزحية العين عند الإنسان ، وتمكن من وضع مخطط تفصيلي لقطاعات القزحية ، مبينا علاقة كل قطاع بعضو معين من جسم الإنسان ،نشره في كتابه : « اكتشاف في مجال الطبيعة وفن العلاج » عام ١٨٦٦م .

القزحية : كيف تعمل ؟

القزحية جزء متسطح من الطبقة المشيمية لكرة العين الغنية بالأوعية الدموية التي تكسب جوف العين ظلاما ، وتظهر على شكل قرص دائري في وسطه ثقب ، يدعى الحدقة (إنسان العين) يضيق ويتسع حسب شدة الإضاءة ، وقطره في الإضاءة الشديدة مليمتر واحد ، أما في الظلام فيبلغ ٨ مليمترات .

وتعمل عضلتان على تغيير اتساع الحدقة ، أولا العضلة الدائرية المضيقة ، وهي عضلة ملساء ، تحيط بالحدقة ، على شكل حلقة ، وتنقبض بتأثير العصب المحرك للعين ، الوارد من الدماغ ، أما العضلة الثانية فهي العضلة الشعاعية الموسعٌة ، وهي عضلة ملساء ، تمتد من حافة الحلقة باتجاه حافة القزحية ، وتتلقى أوامرها بالانقباض من الأعصاب الودية (السمبثاوية) وهى أعصاب مرتبطة بالجملة العصبية الودية التي لها تفرعات في الصدر



● نماذج من القزحيات الملونة ، تفرز لتجميل العين عند فاقدي البصر .

والرقبة ، وتتصل بالغدة الصنوبرية أيضا . ولهذا لايستبعد أن تكون للحالات العصبية والعاطفية انعكاساتها على القزحية .

وتتأثر القزحية بالضوء المباشر ، ففي النور الشديد الساطع يتأثر العصب الحسي ـ غير البصري ـ في الشبكية ، فينتقل الإحساس إلى المخ ، فيقوم بدوره بإرسال أوامره عبر العصب المحرك إلى العضلة الدائرية في القزحية ، فتتقلص ، وتضيق الحدقة بسرعة ، لحماية الشبكية من أذى الأشعة ، وتمكين العين من الرؤية الصحيحة .

أما في النور الخافت ، فإن العضلة الدائرية ترتخي ، بينما تتقلص العضلة الشعاعية بتنبيه الأعصاب الودية، بآلية مازال بعض أسرارها خافيا ، فتتسع الحدقة نتيجة لدخول حزمة أوسع من الأشعة الخافتة ، فتتمكن العين من الرؤية بوضوح أيضا .

كما أن النظر إلى جسم بعيد يوسع الحدقة ، وإلى جسم قريب مماثل يضيقها ، فالعضلتان فعلهما متعاكس ، ولكن كلا منهما تتلقى الأوامر من مراكز مختلفة متباعدة،وهذا الأمر مدعاة للتأمل !

ألوان العيون

وتعود درجة تأثر القزحية بالضوء إلى كمية القتامين ، وهي مادة صبغية محمولة على تكوينات مجهرية ، تدعى (حملة اللون) ، وهي التي تعطي القزحية لونها المميز ، فكثافة هذه المادة الكبيرة تعطي القزحية لونا أسود ، وكلما قلت كثافتها تدرج لونها البني حتى اللون الأزرق . وقد وجد أن الحدقة في القزحية الزرقاء أوسع منها في القزحية السوداء ، في الظروف نفسها . كما ثبت أن قشرة المخ تتأثر بانفعالات القزحية بالضوء ، فالتخطيط الكهربائي للدماغ أثبت أن ذوي العيون الفاتحة أكثر تأثرا من ذوي العيون الغامقة ، وهذا ينعكس على دوام الرؤيا الليلية (الأحلام) أيضا ، وعلى الرغم من أن لون القزحية صفة

وراثية ، يسود فيها اللون الأسود على اللون الأزرق فإن هناك عوامل أخرى تؤثر على هذا اللون ، فلكل مجتمع في منطقة جغرافية ومناخية معينة ظروف خاصة ، تنعكس تأثيراتها على الوان القزحية بشكل عام ، فالذين يعيشون في المناطق الشمالية الباردة قزحيات أعينهم زرقاء ، بينما قزحيات عيون سكان المناطق الاستوائية سوداء ، وفي المناطق المعتدلة تسود القزحيات البنية ، ويعود هذا ، بالإضافة إلى العامل الوراثي ، إلى شدة الإضاءة في كل منطقة ، ودرجة الحرارة السائدة .

وقد لوحظ أن صاحب العين الزرقاء ، إذا انتقل إلى المنطقة الاستوائية ، يصاب بصدمة عصبية ، ويتشنج في الأوعية الدموية ، ويميل ضغطه الشرياني إلى الارتفاع ، كما يصاب صاحب العين السوداء بالاحباط عندما ينتقل إلى المناطق الشمالية الباردة ، ويعاني ضعفا وتعبا عاماً وركوداً في الدم ، حتى يتأقلم . وتكشف الإحصائيات أن ذوى العيون البنية في السويد وانجلترا ـ مثلا ـ يصابون بالسل الرئوي بمعدلات أكبر من ذوي العيون الزرقاء .

القزحية ملف طبي

تصاب القزحية كنسيج حيوي بأمراض معينة ، وما نقصده هنا هو العوارض التي تبديها القزحية نتيجة اعتلال أعضاء داخلية في الجسم ، كـالقلب والـرئتـين والكليـة ، واضطرابات الدم ، وغير ذلك .

ولقد ظهر إلى الوجود علم خاص ، يدعى علم القزحية inidolgoe ، له فرعان : الأول علم القزحية الترببي ، ويدرس تغيرات القزحية الناتجة عن اختلال تركيب الدم ، والتبديلات الطارئة التي تنشأ عن وصول الدم إلى القزحية .

والثاني علم القزحية القطاعي ، ويدرس تغيرات قطاعات معينة من القزحية ، تتأثر باعتلال الأعضاء الداخلية ، وتنتقل إليها بطريق عصبية .

ويمكن أن تظهر تغيرات (تربية) أو (قطاعية) على قزحية العين ،قبل ظهور الأعراض الجسمية للمرض ، لهذا فعلم القزحية بطاقة هوية لما ورثناه ، لماضينا المرضي ولما ينتظرنا من أمراض في السنين المقبلة ، كما يقول روبير مـاسون Robertmasson الفرنسي المختص بالمعالجة الطبيعية للأمراض عن طريق التغذية . فالفراعنة في عهد توت عنخ آمون كانوا يشخصون الأمراض بواسطة



● « روبير ماسون » فرنسي مختص بالمعالجة الطبيعية للأمراض عن طريق التغذية .

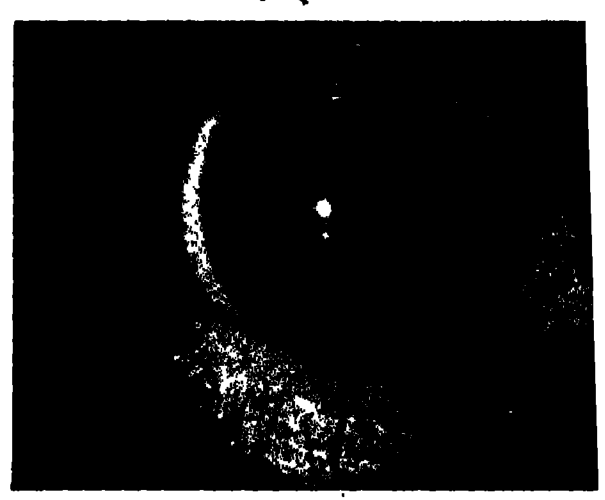
القزحية ، وكثير من رعاة القبائل الجبلية يكتشفون أمراض الأغنام من ألوان عيونها . لكن الدراسة العلمية لتشخيص الأمراض عن طريق الكشف على القزحية لم تظهر إلا مؤخراً .

أمراض بالساعة !

ولتسهيل عملية التشخيص هذه تم ترقيم حافة القزحية إلى (١٢) رقما كالساعة تماما ، وبذلك قسمت القزحية إلى (١٢) قطاعا رئيساً ، وكل قطاع مرتبط بنهايات عصبية ، تتأثر باعتلال أعضاء معينة ، فاضطرابات القلب مثلا تظهر على قزحية العين اليسرى ، في



● الحدقة في النور الضعيف .



● الحدقة في النور الشديد .

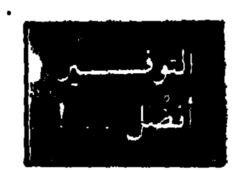
القطاع المناظر للساعة الثالثة والربع ، والاختلال المهبلي في قطاع الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والثلاثين ، وهكذا .

ولكن كيف تتأثر القزحية بالأمراض الداخلية ؟ عند اعتلال القلب - مثلا - يتأثر المخ ، فيرسل تنبيهات الألم إلى القزحية (القطاع المختص فيحدث تشنج بسيط للأوعية الدموية المغذية لهذا القطاع ، ويقل إمداد الاكسيجين (لحملة اللون) ، فتصاب بالخمول ، وتعجز عن أداء وظيفتها بالشكل المطلوب ، فتظهر رقع على القزحية ، ومنها يستدل المختص على العضو المريض ، ومازالت أسباب هذا الارتباط بين القزحية وأعضاء الجسم الداخلية غير معروفة تماما .

لكن العين جملة نافذة الدماغ على الوسط الخارجي ، والطبقة المبصرة هي امتداد للنسيج العصبي ، والدماغ هو المهيمن الأساس على ضبط نظام عمل الأعضاء في الجسم . وقد لوحظ أن أكثر من ٦٨٪ من المصابين بالروماتيزم تظهر على قزحيات عيونهم نقاط مبعثرة ، بألوان بيضاء وصفراء وبنية وسوداء ، ولدى المصابين بأمراض المرارة الحادة ، والتهاب البنكرياس ، وقرحة المعدة ، والذبحة الصدرية ، واحتشاء عضلة القلب ، تظهر بقع صبغية لدى ٩٥٪ منهم ، ويزداد ظهورها إذا ترافقت تلك الأمراض مع الألم .

واليوم تشخص الأمراض عن طريق الكشف على القزحية بنجاح كبير ، كما يؤكد على ذلك الطبيب السوفيتي الشهير المختص بالأمراض العصبية (يفغيني فيلخوفر) .

إن قزحية العين التي تعطي جمالا وسحرا للوجه لها أكثر من معنى ، وأكثر من وظيفة ، وقد تكون بحق مرآة النفس البشرية « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » . □



● كان للشاعر حافظ ابراهيم صديق شديد البخل على الرغم من ثروته الكبيرة ، فلما زاره حافظ ذات يوم ، وجده واجما حزينا ، فسأله عما به ، فأجابه الصديق البخيل : أشار الطبيب عليّ بضرورة إجراء عملية جراحية لي تكلفني خمسين جنيها ، وإلا فإن مصيري الموت ، فما رأيك ؟ فأجاب حافظ : أرى أن توفر الخمسين جنيها !



حسن غنيم
وفن الطمأنينة

بقلم : محمود بقشيش

من سمات الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي ، استلهامه عناصر التراث العربي ، خاصة تراث الفن الإسلامي ، ومزجه بتقنيات الفن ومدارسه الحديثة .

الفنان حسن غنيم الذي يعرض هذا المقال أبرز أعماله ، واحد من الفنانين العرب المحدثين الذين يسعون بإبداعاتهم للبحث عن هوية فنية مميزة .

منذ رفع المثال المصري « محمود مختار » - في العقد الثاني من هذا القرن - شعار « نحو فن قومي » ، لم تخمد جذوة دعوته ، بل ازدادت اشتعالاً على الرغم من تحديات سلطان النموذج الأوربي في الفن . وأسهمت إبداعات بعض الفنانين العرب في توكيد هذا الشعار الذي صار تياراً . ومثلما تعددت أسباب الدعوة إلى اكتشاف خصوصية لفن عربي قومي ، تعددت تجليات تلك الخصوصية ، فمن الفنانين من اكتفى باستلهام إرث بيئته ، ومنهم من رأى عدم الاكتفاء بإرث المنطقة الاقليمية التي ينتمي إليها ، بل تجاوزها إلى استلهام إرث يجمع الشتات . وكان من الطبيعي أن يكون الجامع الموحد لهذا الشتات هو الفن الإسلامي بتنويعاته الغنية . واتجه بعضهم إلى محاولات اكتشاف إمكانات « الحرف والكلمة العربية » الجمالية والتعبيرية . ولمعت أسماء من كل الأقطار العربية ، واستطاع بعضهم أن يحصل على اعتراف دولي . وعلى الرغم من تنوع إبداعات الفنانين العرب في هذا المجال ، واستقلال كل قطر بملامح خاصة ، فإن المشاهد الأجنبي لا يلحظ تلك الاختلافات البينية ، ولا تلتقط حواسه إلا ما يدل على انتمائها إلى « كتلة ثقافية » واحدة ، لهذا كان - وما يزال - الطريق أمام استلهام الحرف العربي والزخرفة الاسلامية مفتوحا إلى الذيوع العالمي ، والتميز ، وربما التأثير ، على شرط أن تتبنى ذلك مؤسسات عربية كبرى ، تثق بدور الفن ، والفنان الحضاري .

والفنان الذي نقدمه إلى القارىء العربي ، هو الفنان المصري « حسن غنيم » الذي ينتمي إلى تيار مستلهمي الفن الإسلامي ، بتجلياته المختلفة ، وتكشف إبداعاته في فن الرسم الملون عن جوانب مختلفة ، لاجتهادات متميزة ، تضعه ، بغير تردد ، بين المبدعين المرموقين في وطننا العربي .

سيرته الذاتية :

لو حاولنا أن نبدأ الرحلة مع إبداع الفنان المصري « حسن غنيم » وشخصه ، بالنظر إلى كليهما نظرة إجمالية ، خاطفة ، أو بلغة الهندسة « منظور عين الطائر » فإننا نلاحظ خطين أساسين . أولهما : التزام الفنان بمنبع رئيس واحد ، ظل منحازاً له حتى الآن ، وهذا المنبع المختار هو الفن الإسلامي . ثانيهما : حرصه على أن يصل فنه إلى جمهور عريض ، فلم يكتف بقاعات العرض التقليدية ، بل أقام معارضه في محطات السكك الحديدية ، ومراكز التجمع الشبابي ، ووصل بها إلى القرى والنجوع . والطريف أنه لم يدرس الفن - وربما لحسن الحظ - دراسة معهدية ، ولو استثنينا تشجيع أستاذه في الرسم في المدرسة الابتدائية ، فإنه لم ينل أي قسط من الدراسة المنهجية . وعلى الرغم من حصوله على عديد من الجوائز في المرحلة الإعدادية والثانوية فإنه كان يلقى مقاومة شديدة من أسرته ، مما اضطره إرضاءً للأسرة ، أن

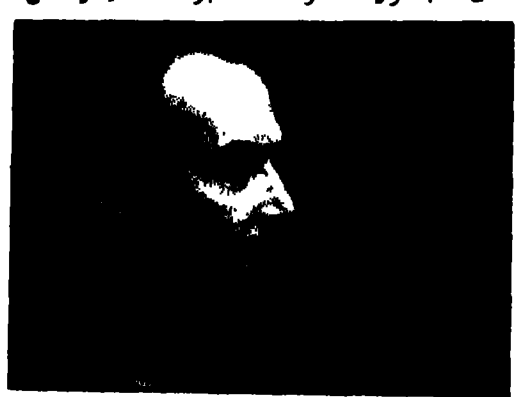
● لوحة من أعمال الفنان حسن غنيم « زيت على توال »

يلتحق بكلية التجارة ، لكي يحصل على « شهادة » ، وبعد تخرجه من الكلية عمل في وزارة الثقافة مسئولا في قاعات العرض الرئيسة ، في أواخر الستينيات ، وما يزال يعمل في مجال العروض الفنية ، وبذلك يكون قد حقق لأسرته ما أرادته ، ولنفسه ما أرادت . أتاح له هذا العمل الاحتكاك الدائم بالإبداع والمبدعين ، وأتاح لموهبته ، بالتالي ، أن تصقل . يعترف « حسن غنيم » بأن أستاذه الأول كان جامع العارف بالله ابراهيم الدسوقي ، بمدينة « دسوق » ، شمال الدلتا ، وتولاه هذا الجامع ، منذ صباه حتى شبابه المبكر بتهذيب حواسه أو تثقيفها ، بما يملكه من إبداع معماري وزخرفي . كان يداوم على المجيء إلى الجامع للصلاة واستذكار الدروس ، مثل معظم أبناء الفقراء الذين لا يملكون من وسائل الإضاءة غير « لمبات » الغاز . وتركت تلك العلاقة آثارا عميقة في نفسه ، لهذا فإن انحيازه لم يأت استجابة لتيار قومي سياسي ، أو ركوب موجة كما يقال ، بل انحياز المحب إلى الحبيب ! .

البرتقالات المثمرة !

إذا تأملت كل لوحاته ، فإنك لن تجد أثرا واضحا للملامح الخارجية الوصفية لتلك العلاقة الحميمة بينه وبين أستاذه الأول : جامع ابراهيم الدسوقي ، على غير الحال مع علاقته بالمناظر الطبيعية لمدينته ، فقد كانت علاقته بها علاقة الدارس ، الواصف الناقل لما تراه حاسة العين ، وتطرب له النفس ، بينما اختفت وقائع الجامع ، وظهرت إيحاءاته في صور شتى ، تحركها ، حيانا ، بعض المصادفات السعيدة ، مثل مصادفة « البرتقالات » ! . وقد يتساءل قاريء : وما علاقة البرتقال بالفن الإسلامي ، علاقته أصلا بسياق الحديث ؟ وأجيب : لقد شكل البرتقال بداية لبحث طويل ، وطريقاً قاً إلى النضوج . إنه من المؤكد أنه رأى

أهرامات البرتقال على عربات الباعة ، غير أن لحظة « ارشميدسية » قد تألقت في حواسه وعقله ، فاكتشف في لمحة خاطفة أنه لم يشاهد من قبل برتقالاً . كانت كتل البرتقال الاسطوانية البراقة ، وفراغاتها البينية ، تشكل في مجملها نسقا هندسيا ، ورياضيا ، يشبه - في جوهره - نظام المشربية . وكان حينئذ ما يزال غارقا في رسم مناظر من مدينته بأسلوب وصفي ، غير أن الوصف الأكاديمي البارد ، كان قيداً ، فقاومه برسم غطاء هندسي مجرد شفاف ، واحتفظ لتلك المربعات الفسيفسائية بألوان اللوحة الوصفية ودرجاتها نفسها فكأنها لوحتان جمعتا في مشهد واحد ، يجمع بين نقيضين ، لا يشكلان وحدة عضوية . وأذكر أنني اقترحت عليه حينذاك أن يفض الاشتباك المتعسف بين اللوحتين ، وفعل ، ثم جاءت البرتقالات ، فحسمت علاقته بالمنهج التشخيصي ، ورجحت كفة التجريد الهندسي غير المقطوع الصلة بمثيرات الواقع ، أو بمعنى أدق : بمخزون ذاكرة تعلقت بوحدات وفنون من



● صورة للفنان حسن غنيم

التراث الإسلامي ، مثل : الفسيفساء ، والخرط الخشبي العربي ، والخط العربي ، والمشكاة ، وربما كان طبيعيا أن « يقترب » في تلك الفترة من أسلوب « الأوب آرت » كما فعل ، دون أن يلتزم به ، فبينهما - أعني : نظام المشربية والفن البصري - بعض الشبه ، وإن اختلفا فلسفة وتوجها .

استدعاء مفردات جديدة !

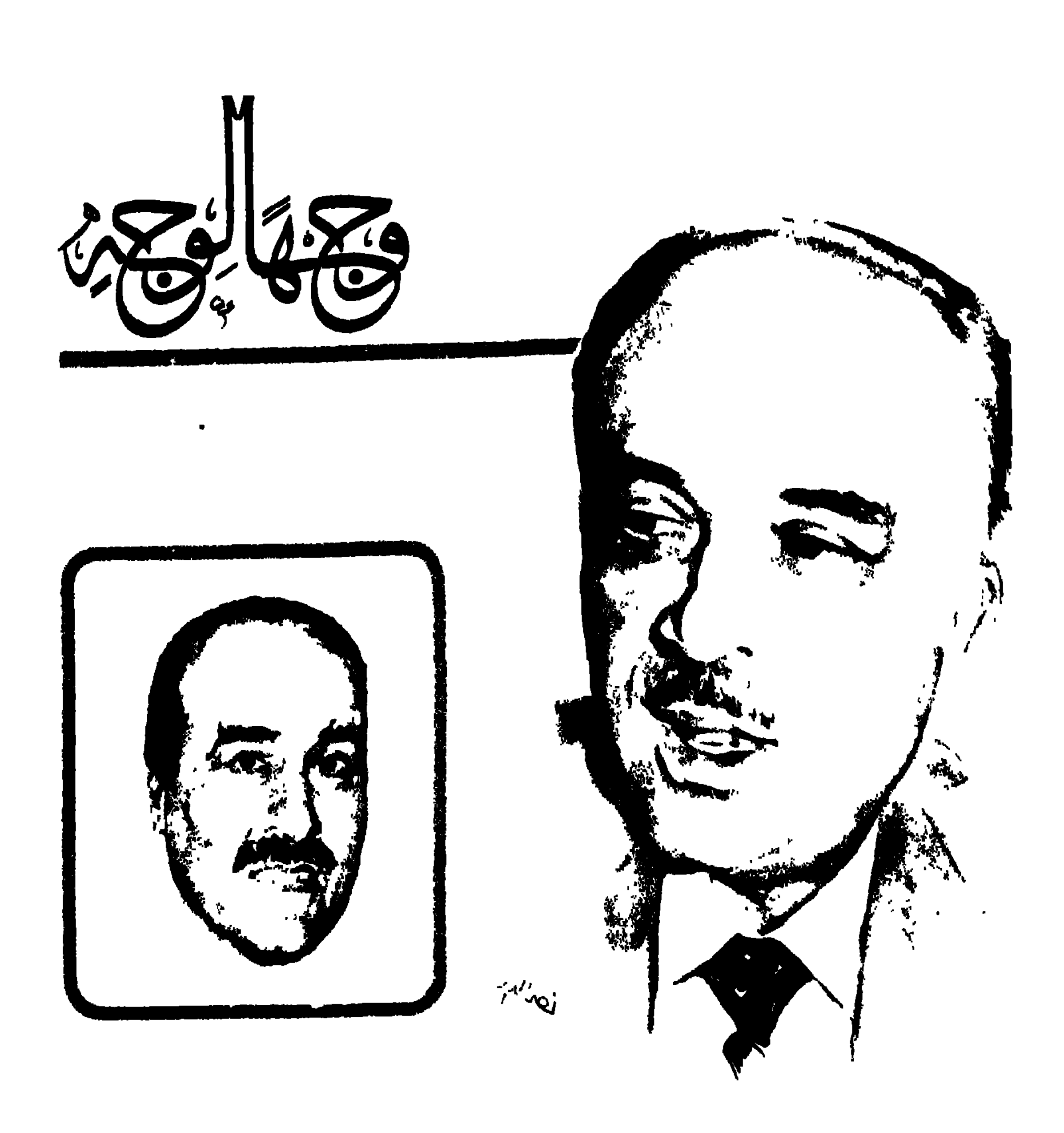
مع لوحات كرات البرتقال ، حدث التوفيق بين نظام المشربية والمدرسة البصرية ، أو بين القديم والمعاصر ، وقد حال نظام « الفسيفساء » دون الانحياز إلى الطابع الإعلاني الذي تدعو إليه المدرسة البصرية . وكشفت لوحاته الأولى عن روح الدارس ، الباحث ، الدؤوب . في جوانب مادة اكتشفها ، أو علاقة التقطها : علاقة كتل البرتقال بفراغاته البينية من ناحية ، وما يمكن أن توحي به تلك العلاقة من مشابهات مع نظام المشربية من ناحية أخرى ، وعندما وظف كتل البرتقال في سياق لوحاته الأولى ، التزم بمصدر ثابت للضوء ، ولم يترك للظلال أن تنزلق على اسطوانية الكتل ، بل قسم حدودها الداخلية إلى وحدات مربعة صغيرة ، التزمت بدرجات الظل ، وأوحت بمستويات « كريستالية » ، تناقضت مع منهج بناء منطقة النور ، وربما لهذا السبب أو غيره ترك هذه الطريقة ، وبسط كتلة البرتقالة ، وجعلها دائرة ، مسطحة ، وما تزال تلك الدوائر تحتل مركزا مرموقا في لوحاته ، وقد ولد منها وحدات أخرى : وحدات المشربية ، ووحدات الخرط الخشبي العربي . وفي البداية لم يلتزم بنظام المشربية حيث الانتشار إلى ما لا نهاية ، والانضباط الرياضي المحكم ، بل اصطنع حدودا خارجية ، ترسم نهايات شبكة الوحدات الهندسية ، وتوحي لنا بأننا أمام منظر طبيعي ، كما في لوحة « تكوين من الخرط العربي » ، على سبيل المثال ، ففي اللوحة نشاهد عند حدود التماس بين نهايات التكوين العلوية ، وفضاء اللوحة ، ما يوحي بأننا أمام كثبان صحراوية ، تتوجها دائرة قمرية أو شمسية ، تتردد في إطارها الداخلي كلمة : (لا إله إلا الله) ، ويظهر الإيحاء بالمنظر المستلهم ، أو المتولد من صورة ذهنية ، عن جماليات البيئة المصرية المنبسطة أكثر وضوحا ، ونضوجا في مجموعة لوحات تسمى « سحر الشرق » . في تلك اللوحات تنتشر الأعمدة في صفوف ، وفي مستويات مختلفة ، وتتسم تلك الأعمدة بملامح جامعة ، تفصح عن أصولها ، دون أن تتطابق معها ، ففيها ملامح من المشربية ، والخرط العربي ، والشمعدان .

تألق في تلك المجموعة ، دور الفضاء التصويري ، كما تألق دور اللون الأبيض ، وبمعنى أدق : رذاذ اللون الأبيض الذي كان يمطر به اللوحة ، فتكسوها غلالة شفافة ترقق كتل الأعمدة والأقواس ، وتُذَوِّب بعضها في فضاء اللوحة الأبيض ، ويسبغ هذا التدرج في درجات الغامق والفاتح ، مع غطائه الأبيض ، في إرضائنا ودعوتنا إلى نوع من السكينة والطمأنينة . □

من حفظ السر .. كان الخيار له

قال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان : أسرَّ اليَّ معاوية حديثا ، فأتيت أبي فقلت له : إن أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثا ، ولا أظنه كان يطوى عنك فأخبرك به . فقال : لايابني ، من كتم سرا كان الخيار له ، ومن أفشاه كان الخيار عليه ، فلا تكن مملوكا بعد أن كنت مالكا ، فقلت : إن هذا لايدخل بين الرجل وابنه . فقال : لا يابني ، لكن أكره أن يتذلل لسانك بأحاديث السر ، فدخلت على معاوية فحدثته بما جرى بيني وبين أبي ، فقال : يا وليد اعتقك أبوك من الخطأ .

السر



الدكتور سهيل إدريس ○ جهاد فاضل

● حملت مجلة «الآداب» هموم الجيل الجديد، ولواء الحداثة الأصيلة، ولم تبتعد عن التراث.
صلتي بالرواية لم تنقطع، وآمل أن أعود.
لم ننقل من الوجودية إلا ما يحض على التحرر وتحمل المسؤولية.

الدكتور سهيل إدريس ، صاحب مجلة « الآداب » ، ورئيس تحريرها ، شخصية ثقافية متعددة الجوانب ، فهو قاص وروائي ومترجم وواضع قواميس . وفي كل باب من هذه الأبواب له أعمال كثيرة معروفة ، ولكن عمله الخالد بنظر كثيرين هو مجلة الآداب ذات الأثر التنويري البارز ، فقد حملت « الآداب » ، منذ نشأتها ، روحاً عربية تجديدية ، وعلى صفحاتها كتبت أجيال من الكتاب والأدباء والشعراء والمفكرين العرب ، ولعل سر « الآداب » كامن في روح التجديد التي حملتها ، فهي لم تدر ظهرها للتراث العربي الإسلامي ، بل انطلقت منه ، دون أن تعتقل نفسها فيه . أدار الحوار جهاد فاضل ، وهو صحفي من لبـــنـــان .



*** متى كانت بدايتك مع الأدب ؟ وكيف استطعت بلورة أحاسيسك الأولى في أعمال أدبية ؟ هل لك أن تحدثنا عن تلك البداية ؟**

ـ ميولي الأدبية أحسست بها منذ نعومة أظفاري كما يقولون . ولابد أن الأحداث التي عشتها ، ضمن عائلتي وفي حياتي الاجتماعية ، قد حددت هذا المسار الأدبي . أذكر الآن أن أول انتاج كتبته عنونته بعنوان يدل على المرحلة الرومانطيقية التي بدأت بها الكتابة . كان عنوان ذلك الأثر : أشعة فؤاد ، وقد كتبته بوحي من حب وقعت فيه ، في أحد المصايف ، لفتاة كنت أسكن في الطابق السفلي في بنايتها . وكنت في تلك الفترة شيخا صغيرا ، معمما ، لا يتجاوز الحادية عشرة من عمره . وقد أحسست ذات لحظة أن هذا الزي كان عائقا لانطلاق عاطفتي المشبوبة نحو هذه الفتاة . فخرجت من هذا الزي ، أو صممت على الخروج منه ، لشعوري بأنني لم أخلق له ، وتقدمت إلى شهادة البكالوريا بعد دراسة دينية مكثفة، وكانت تلك وسيلة أو ذريعة للتوجه نحو الدراسة المدنية . لكن وضعي العائلي لم يكن يسمح لي بالاستمرار في الدراسة الثانوية مدة طويلة ، فانتسبت إلى الصحافة ، وعملت في مجلة « الصياد » ، وجريدة « بيروت » ، و « بيروت المساء » ، فترة سبع سنوات ، كتبت في أثنائها مجموعتي القصصية الأولى التي صدرت عام ١٩٤٧م بعنوان « أشواق » وفيها طغيان تلك النزعة الرومانطيقية التي تتناسب تماما مع سن ذلك الفتى المشغوف بالحب والأدب الفرنسي الذي جذبني إليه أستاذ اللغة الفرنسية في كلية المقاصد الإسلامية آنذاك ، السفير السابق خليل عيتاني .

وأذكر أن أول رواية فرنسية ترجمتها كانت لكاتب ، ترك طابعه في أدب ما بعد الحرب العالمية الأولى ، وهو آلان فورنيه ، صاحب رواية « مولن الكبير » ، ومازلت أعتقد أن هذه الرواية من أروع الروايات التي تصور مأساة الحب لدى شاب حاربته الأقدار ، فحاول أن ينتصر عليها بالهرب إلى آفاق الأوهام والأحلام .

ثم أصدرت مجموعتين أخريين ، هما : « نيران وثلوج » ، و « كلهن نساء » ، عامي ١٩٤٨ و ١٩٤٩م .

كان الهم القومي قد بدأ يشغل فكري ووجداني ، وكانت أول قصة كتبتها ، بوحي من هذا الهم ، بعنوان : « قصة شهيد » ، نشرت في مجموعتي الأولى ، ثم تنبهت فجأة إلى أن الصحافة كانت تلتهم مني القصاص والأديب ، وتحاول أن تسطحه ، فقمت بالتمرد الثاني على نفسي ، وهجرت الصحافة الأسبوعية واليومية ، بعد قضاء سبعة أعوام فيها ، لأجد نفسي بعد ذلك مرة أخرى طالبا في باريس ، يحاول أن

يعد رسالة دكتوراة في الأدب ، فيصطدم بكثير من المصاعب والمتاعب ، إلى أن تغلبت عليها ، وأعددت رسالة الدكتوراة مع المستشرق بلاشير ، وكانت بعنوان : « الرواية العربية الحديثة والتأثير الأجنبي عليها من ١٩٠٠م إلى ١٩٥٠ » .

إن قضاء ثلاثة أعوام في العاصمة الفرنسية هو الذي أدى إلى تكويني الأدبي الجديد ، بتأثير الحياة الثقافيه بشكل عام ، والحياة الثقافية الفرنسية وهموم المثقف العربي الذي يواجه في عاصمة أجنبية صدمة الغرب بحضارته وثقافته وعلومه ، ويحاول أن يستخلص هويته بعد هذه الصدمة ، ليجد أنه لا مفر له من العودة إلى الجذور ، وهو الذي قاد مسيرة الفكر الأدبي الذي تبنيته مرتبطا ارتباطا جذريا بالتراث العربي ، ساعيا إلى خلق حديد يأخذ بالمعاصرة ، فيما هو يستشعر أثر الحضارة العربية والماضي البعيد الذي يناقضه مناقضة عميقة واقع العرب بعد هزيمة ١٩٤٨م .

وحين عدت إلى بيروت عام ١٩٥٢ صممت على أن أحمل هموم الجيل العربي الجديد ، في مجلة تعبر عن آلامه وآماله وطموحاته ، أنشأتها عام ١٩٥٣ ، تحمل جروح الهزيمة ، وتطمح إلى الإسهام في الخروج منها ، عن طريق تأسيس ثقافة عربية جديدة واعية ، لا تستطيع أن تنفصل عن الماضي ، ولا تستطيع أن تنفصل بعيدا عن هم التجديد والتحديث ومسايرة التطور في مختلف ميادينه .

وبعد ذلك ـ باختصار ـ بدأت الإنتاج : قصة قصيرة ، ورواية ، ودراسة : « الخندق العميق » ١٩٥٢ ، « الحي اللاتيني » ١٩٥٣ ، « الدمع المر » قصص ١٩٥٦ ، « رحماك دمشق » ١٩٦١ ، « أصابعنا التي تحترق » ١٩٦٢ ، « العراء » ١٩٧٣ . وكتبت مسرحية ، مثلت في بعض الأقطار العربية ، عنوانها : « زهرة من دم » ، وهي من وحي من نضال الشعب الفلسطيني والفدائيين .

وفي هذه الأثناء ترجمت زهاء عشرين كتابا ، رواية ودراسة وأقاصيص ، وكانت ترجمتها تنوء بهذا الهم : تحديث الإنتاج العربي ، وربطه باستمرار بالهم القومي الذي ينفتح على النزعة الإنسانية ، ويبتعد بعيدا عن الشوفينية .

هذا ما يمكن أن نعده مسيرة أدبية ، متروك أمر تقييمها لمؤرخي الأدب ونقاده .

مجلة الآداب ودورها الطليعي

*** إسهامكم الأدبي ، من قصة ورواية ودراسة ، إسهام متميز ، ولكن هناك من يقول : إن أعظم ما أنتجه سهيل إدريس هو مجلة « الآداب » ، ذات الأثر الأدبي والفكري والقومي في مسيرة النهضة العربية المعاصرة، وهو دور تاريخي إذا ما قيس بأدوار مجلات أخرى، لم تحفر عميقا كما حفرت « الآداب » .**

ـ قد تكون مصادفة أن « الاداب » ظهرت عام ١٩٥٣، عند احتجاب مجلتين مهمتين في مصر ، هما : « الثقافة » و« الرسالة » . ومع أهمية هاتين المجلتين في المسيرة الثقافية العربية إلا أن احتجابهما ذو مغزى، وهو أنه تزامن مع سقوط العهد الملكي في مصر ولذلك تزامن صدور « الاداب » مع قيام الثورة المصرية في عام ١٩٥٢ . فهل هي مصادفة أو أن ذلك منطق التاريخ، يفرض نفسه بين مراحل الانتقال من عهد إلى عهد ؟

على أي حال ، حملت مجلة « الاداب » ، كما ذكرت، جراح حرب فلسطين عام ١٩٤٨، وبدأت تؤسس للنهوض من هذه الهزيمة، وقد استوعبت مقولة أن هذا النهوض لا يمكن أن ينقطع من التاريخ العربي والحضارة العربية . من هنا كان التخطيط بأخذ بالحسبان، عندما أنشئت مجلة « الآداب » أن كل تجديد لابد أن يكون مرتبطا بالجذر التراثي ، بخلاف التفكير الذي قاده بعض المثقفين العرب في لبنان ، وغير لبنان ، عندما أخذوا بفكرة تبني التيارات الأجنبية على اختلافها ، يسارية كانت أو يمينية ، في وجه الارتباط بالتاريخ والتراث العربي. وقد كان هذا التخطيط لا يخلو من

صعوبة في التنفيذ، لكن استجابة المثقفين العرب لهذا التوجه هي التي مكنت المجلة من أن تفتح الطريق أمام هذه الحداثة الأصيلة. فكان الشعر العربي الحديث هو الذي يخرج عن تقليدية الأوزان الخليلية، ولكنه لا يدمر أصل الشعر الذي هو التفعيلة . وهذا ما تجسد في القصائد الأولى التي نشرتها « الآداب » منذ صدورها، وظهرت على صفحاتها قصائد السياب، ونازك الملائكة، وصلاح عبدالصبور، وأحمد عبدالمعطي حجازي، والبياتي، وسواهم، ممن أخذوا بناصية القصيدة العربية الحديثة، كاسرين البحور والقوافي، لكنهم متشبثون بالجذر الشعري الذي هو التفعيلة كما ذكرت.

وبعد صدور « الآداب » بسنوات ظهرت مجلة « شعر » التي اختطت لنفسها طريقا آخر، اجتهدت بأن يكون في رأيها قائما فحسب على تقليد الشعر الأجنبي، وعلى اقتباس قصيدة النثر منه، تلك القصيدة التي لا علاقة لها بالشعر العربي، والتي لم تستطع مجلة « الآداب » ، في توجهها أن تهضمها إلا في ما ندر، إذ نشرت بعض إنتاج محمد الماغوط، وجبرا ابراهيم جبرا، مما كان يتميز بنفس شعري خاص. غير أن المجلة لم تقتنع بمشروعية هذه التي يسمونها قصيدة النثر، والتي لا نعتقد حتى الآن أنها تركت أي أثر في تطور القصيدة الشعرية العربية على الرغم من ادعاءات مجلة « شعر » وسواها، بأنها هي التي قادت مسيرة التجديد في الإنتاج الشعري.

إلى جانب ذلك، كان « للآداب » دور ريادي، على ما أظن في مستوى النقد، فالهم النقدي الذي كانت تؤكد عليه، سواء بنشر الدراسات المعمقة التي تتناول الآثار الأدبية الحديثة، أو بذلك الباب الذي فتحته المجلة، وكان يشهد إقبالا واهتماما كبيرين من القراء، باب « قرأت العدد الماضي » . وهو الذي يعترف معظم الشعراء والقصاصين والدارسين الذين نشأوا في « الآداب » أنه قد كان له أثر كبير في تأصيل مواهبهم الأدبية، وبلورة توجهاتهم الفنية .

واهتمام « الآداب » بالقصة القصيرة ، وإنشاء المسابقات لإبرازها أسهم كذلك في تقديم نتاج قصصي ناضج، دعمته دار « الآداب » بنشر نماذج مختلفة من هذه القصص، في مجموعات صدرت في وقت مبكر، وأتاحت لكتابها أن يبرزوا كطليعيين في كتابة القصة.

ونحسب أن اهتمام « الآداب » بالأدب الأجنبي ، وبفتح نوافذ واسعة له ، ارتبط بها القارىء العربي مع تيارات التجديد الفكري في الغرب ، واستكمل البعد التحديثي لأدبنا العربي.

وفي هذه الأثناء أصدرت دار « الآداب » ، تكملة رسالة « الآداب » كثيرا من الروايات المترجمة التي أقبل عليها القراء العرب ، بما يتوافق مع أشواقهم إلى مضامين الحرية والمسؤولية .

عائد إلى كتابة الرواية

*** ما آخر رواية كتبتها ؟ وهل تعتقد أنك لم تزل على صلة بفن الرواية ؟**

ـ كانت آخر رواية كتبتها هي : « أصابعنا التي تحترق » ، عام ١٩٦٣ ، وبدأت بعدها بكتابة رواية جديدة ، بعنوان : « زمن الهزيمة والنصر » ، وكانت مصممة لترصد المسيرة الصاعدة للقومية العربية ، الهادفة لتحرير فلسطين . وكان تخطيطي الروائي يستشرف النصر في المعركة التي كان العرب يعدون لها ، والتي جاءت نكسة ١٩٦٧ لتحمل لهم منها الإحباط، إن لم نقل اليأس. وأعترف أن تلك الهزيمة قد رجت أعماق الوجدان العربي، ووعي المثقف العربي، وهزتهما، وهي التي جعلتني اتساءل : أين هو زمن النصر ؟ وأوقفت عملي الروائي على الرغم من أن الأديب المسؤول هو الذي يتجاوز الحدث، ليكون حدثا آخر، يحمله أشواق المستقبل لا مرارة الواقع. على أنني لم أقطع الصلة نهائيا بتلك الرواية، وإنما وضعت لها تخطيطا جديدا، يأخذ بعين الاعتبار مأساة لبنان المرتبطة بمأساة فلسطين. وآمل أن أعود إلى استكمال هذه الرواية، وأنصرف مجددا

إلى العمل الروائي، بعد أن أنجز العمل المعجمي الذي انصرفت إليه منذ سنين طويلة.

*** اقترن اسم «الآداب» بالفكر الوجودي الذي اهتمت به المجلة اهتماما خاصا، وعن دار «الآداب» صدرت كتب عديدة لسارتر، وسيمون دوبوفوار، والبيركامي، وسواهم. هل جاء ذلك بالصدفة أنكم رأيتم في هذا التوجه انسجاما مع الخط القومي الذي كان متصاعدا آنذاك؟**

ـ أود أن أوضح بادىء ذي بدء أن اهتمامي بالأدب الوجودي لم يكن منفصلا على الإطلاق عن اهتمامي بالوازع القومي، بل إنني لم أقصد أن أنقل من هذا الأدب إلا ما وجدته منسجما ومترامنا مع تطور الحدث القومي في وطننا العربي، وما جذبني إلى إنتاج الوجوديين ـ وعلى رأسهم سارتر ـ هو اهتمامهم الكبير بنضال الشعوب للتحرر، واهتمامهم الخاص بنضال الجزائر. كانت الثورة الجزائرية في تلك الفترة هي التي تستقطب اهتمام العرب، ولأن أصواتا كصوت سارتر أتت لتدعيم هذه الثورة، ولتقوم في وجه الاستعمار الفرنسي، كان لابد من أن يعني بها المثقف العربي المهتم بالحدث السياسي الذي يقرر مصير الشعب العربي. وبينما كنت أنقل الكتابات التي كتبها سارتر ودو بوفوار وسواهما، في تأييد القضية الجزائرية، وإدانة الوحشية الفرنسية، مما نشرناه فيما بعد في كتاب عنوانه: (عارنا في الجزائر)، جمعنا فيه عددا من دراسات سارتر ومقالاته. اهتممت اهتماما خاصا بكتابات هذا الكاتب، واكتشفت فيها محورين أساسيين، كنا نحن العرب بأشد حاجة إلى استيعابهما، وهما محور الحرية ومحور المسؤولية. ولم تهمني الفلسفة الوجودية بمجموعها، بل همني منها هذان القطبان اللذان كانا يمسان أوتار الإنسان العربي، لأنه كان يفتقدهما بعد تلك الهزيمة التي منينا بها، حتى شعر فيها هذا الإنسان أن من أول أسبابها فقدان الحرية، بل القمع السياسي والاجتماعي، وعدم تحمل المسؤولية في القيادة.

إذن لم ننقل من الوجودية إلا ما كان متجاوبا مع هذا الهم، ودليلنا على ذلك أننا استبعدنا الاتجاه الإلحادي في الوجودية، وهو ما لا ينسجم مع الغاية من تأسيس مجتمع عربي جديد، شديد الحرص على الاتجاه الإنساني في تاريخه وحضارته ودينه.

وإذا كنا نؤمن بالتطور والتجديد، فإنه كان لابد لنا، وقد بدأت الوجودية بالانحسار أمام تيارات كثيرة أخرى أن ننصرف إلى تيارات أخرى، تساعدنا في هذه المسيرة القومية. ونحن نؤمن بأن بإمكاننا أن نستفيد في مسيرتنا هذه من جوانب عديدة في التيار التقدمي، دون أن نكون ملزمين على الإطلاق بتبني تيار معين.

ماذا عن المستقبل؟

*** هل لكم رأي في حاضر الأدب في لبنان؟ وماذا عن مستقبل هذا الأدب وتأثيره في الأدب العربي المعاصر؟**

ـ المأساة التي يعيشها لبنان منذ اثني عشر عاما تحفر عميقا في الوجدان العربي، هذا الوجدان الذي لم يكن يجد في بيروت عاصمة للانفتاح والتطور الفكري فحسب، بل يجد فيها وترا مرهفا للحدث العربي القومي، يهتز كلما تعرض العرب لامتحان جديد. كانت بيروت أول عاصمة وأكبر عاصمة عربية تحتضن الحدث، وتعبر عنه، وتتأثر به، من أجل هذا كانت محط أنظار الإنسان العربي، لأنها ترمز إلى الوعي والحب والإنسانية، إلى جانب كونها ملجأ للحريات. وكانت كذلك، وبالدرجة الأولى، ملجأ لحرية الفكر، بها تمارس تأثيرها العميق في كل مكان من أرجاء الوطن العربي الكبير، وبها تتميز عن سائر العواصم.

كان كل أديب عربي، يستشعر الاختناق في بلده، يتجه إلى بيروت، وقد كان يعرف أن هناك منابر يستطيع أن يتنفس عليها، ويعتز بأن «الآداب» أحد هذه المنابر.

أما الآن، وإذا أردنا أن نتحدث عن مستقبل بيروت، ومستقبل حرية الفكر، فنحن نشعر

بأسى شديد لهذا البلد الذي مزقته الطائفية ، بل المذهبية والإقليمية ، حتى كدنا نيأس من أن تستعيد بيروت ، في خضم التنازع على السلطة فيها ، مكانتها كعاصمة فكر ونشر .

أنا لا أستطيع الآن في بيروت أن أتكلم كما كنت أتكلم منذ خمسة عشر عاما ، وأصبحت في ذلك لا أختلف كثيرا عن أي مواطن عربي . متى نستطيع أن نسترد وجهنا المشرق ؟ وهل يستطيع جيل أولادنا أن يستشرف مرة أخرى هذا الضوء الذي كان يغمر بيروت ؟

حاضر النقد

● شغلت « الآداب » بالنقد ، مثلما شغلت بالشعر، فقد كانت تخصص بابا شهريا بعنوان : « قرأت العدد الماضي من الآداب » يتعاقب عليه نخبة من الأدباء والنقاد ، فما رأيك بالنقد الآن ؟

ـ لا أعتقد أنني أظلم تاريخ الأدب ، ولا الواقع الإبداعي ، إذا ذهبت إلى القول بأن الشعر الحديث قد استطاع في الخمسينيات والستينيات أن يؤكد هويته ، ويثبت أقدامه في عالم الشعر ، ويؤكد على تغير الشعر العربي الحديث . وعلى الرغم من أن بعض الأصوات أو الأقلام تتجاهل دور « الآداب » ، وتعزو أمر الإطلاق أو التشجيع لتيار الشعر الحديث إلى مجلات أخرى ، فإن التاريخ حاضر، يثبت أن « الآداب » التي صدرت عام ١٩٥٣ هي التي احتضنت ، قبل أي مجلة عربية أخرى صدرت عام ١٩٥٦ أو١٩٥٧ ، هذه الحركة الشعرية . وليس ذلك فقط ، بل إن النوع الجديد الذي احتضنته « الآداب » ، ويسرت له سبل الانتشار ، كان هو النوع الذي لا يتنكر للشعر التراثي ، وإنما ينبثق منه ، ويتطور عنه ، لأنه يقوم أصلا على هم أساس ، هو المحافظة على الإيقاع الشعري بالتفعيلة . صحيح أن التفعيلة لم تعد موحدة ، وأن القافية الواحدة قد أسقطت من هذا الشعر الوحيد ، وأن بحور الشعر تطورت على يديه ، ولكن هذا كله يظل مرتبطا ارتباطا وثيقا بتطور الشعر الحديث عن شعر التفعيلة التي عرفها قبل ذلك الشعر الأندلسي .

ويذكر القراء أنه في الخمسينيات صدرت أول دواوين الشعر الحديث من دار « الآداب » ، ونشر عدد من قصائد هذا الشعر في مجلة « الآداب » . أما ديوان « الناس في بلادي » ، لصلاح عبدالصبور ، فكان الإطلالة الأولى للشعر الحديث ، وتبعه بعد ذلك دواوين : لأحمد عبدالمعطي حجازي ، وأمل دنقل ، ومحمد ابراهيم أبو سنة ، ومحمد عفيفي مطر ، وكثيرين سواهم .

وليس هناك ناقد يشكك في ثبات قدم الشعر العربي الحديث ، وفي أن الأمر أصبح مفروغا منه في أن القصيدة الحديثة تقف جنبا إلى جنب بشكلها الجيد ، مع أي قصيدة عمودية جيدة الشكل هي أيضا ، إلا إذا كان هذا الناقد رجعيا أو مغرضا .

وبالطبع يهمنا أن نربط دائما تطور قصيدتنا الحديثة بمعطيات التراث ، فإننا أبعد ما نكون عن التنكر للقصيدة العمودية . إن هذا الشعر العربي متكامل بين كلاسيكيته وحداثته ، وليست القصيدة الحديثة إلا لتنويع الشعر العربي كله وإغنائه . □

فاصنع ما أحب الله



● تغيظ عبدالملك بن مروان من « رجاء من حيان » فقال : « والله لئن أمكنني الله منه لأفعلن كذا وكذا » .

فلما صار بين يديه ، قال له رجاء : « ياأمير المؤمنين قد صنع الله ما أحببت ، فاصنع ما أحب الله » ، فعفا عنه ، وأمر له بصلة » .



تطور الشعر الحديث في الخليج والجزيرة العربية

بقلم : الدكتورة نورية الرومي *

يمكن القول بأن الثقافة العربية تشبه الشجرة الكبيرة التي تتكون من فروع وأغصان وأوراق هي حصيلة تفاعل هذه الثقافة في كل قطر من أقطار العرب .

فما حال الشعر في الجزيرة والخليج العربي ، خصوصاً في خمس وعشرين سنة ماضية من هذا القرن ؟

شهدت منطقة الخليج والجزيرة العربية في خمس وعشرين سنة ماضية تغيرا مفاجئا وسريعا نتج عنه تطور له خطورته وأهميته في حياتها ، لأنه قد شمل أشكالها المختلفة : السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والاقتصادية ، فقد استقلت دول المنطقة ، وبدأت عهدا سياسيا جديدا ، واكبه تغير في بنية المجتمع ، وفتح الباب أمام أبناء المنطقة ، فانطلقوا إلى بلدان العالم ، ورأوا مابها من حضارة ومظاهر تقدم ، أثارت إعجابهم ، كما أعجبوا أيضا بثقافة هذه البلدان ، وسلوكها الاجتماعي ، ورغبوا أن يحملوا معهم في قطار العودة شيئا من ذلك الذي أعجبوا به إلى بلادهم ، لكن هذا الشيء الجديد ووجه بمعارضة شديدة ، أوجدت صراعا حادا بينه وبين القديم المتوارث . نتج عنه وجود حالة من القلق ، والإحساس بالغربة ، والتمزق ، والظلم السياسي ، والاجتماعي . إحساس بدأ يغزو نفوس الشباب ، ويحملهم على الشكوى والتبرم بماضيهم وواقعهم ، ويدفعهم أحيانا إلى البحث عن عوالم مثالية ، والتمرد على الواقع بغية تغييره .

بدايات التجديد

واستمرت حدة الصراع في كل ميدان من ميادين الحياة ، وهذا أمر طبيعي ، فالحياة لا تعرف الجمود أو التوقف ، إنها في حركة دائبة ،

* مستشار سلسلة عالم الفكر وأستاذ مساعد في قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب ـ جامعة الكويت



وتطور مستمر .

والأدب بألوانه المختلفة مظهر من مظاهر الحياة ، يعكس ما فيها من حركة وصراع وتجدد ، والشعر فن من فنون الأدب ، يدخل في ساحة الصراع الدائر أبدا بين القديم الذي ألفناه ، والجديد الذي يشق طريقه إلى النور ، ويعنى برصد هذا التحول ، والتعبير عنه .

وقبل تناول هذه المرحلة ـ مرحلة التجديد والتحديث بشيء من التفصيل ـ لا بد من الإقرار بالفضل لبعض شعراء الجزيرة العربية الذين ارتقوا بالقصيدة التقليدية ، وجعلوها تستجيب بسهولة لطبيعة التحولات التي عرفها الشعر العربي المعاصر في الأقطار العربية المتقدمة ، والذين نجحوا في إدراك مفهوم حركة التجديد ، وتمثل خصوصيتها الشعرية . كما يتحتم بيان أن الجديد لم يستطع القضاء على القديم ، بل سارا معا ، وأصبح لكل منهما جمهور من المؤيدين والمعارضين ، لأن العلاقة بينهما تقوم على التعدد والتباين ، على نحو يعكس تعدد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتغيرة في المنطقة . كما تقوم على التداخل والتصارع ، والتأثير والتأثر ، بما يحدث في المنطقة من تصارع أدبي ، وفكري ، واجتماعي .

لقد شهدت بداية هذه الفترة « طبقة من الشعراء » ، ونمطا من الشعر يشكل محطة الانتقال خطوة خطوة من التقليد إلى التجديد ، ويسمى هؤلاء الشعراء « المعتدلين » وهم المزاوجون بين الاتباع والابداع ، وبين الشعر المحافظ ، والشعر الجديد ، فلهم من الشعر المحافظ قدر من شعر المناسبات والمديح ، والديباجة الصافية والأسلوب القديم ، ولهم من الجديد تنوع الموضوعات ، والالتحام بقضايا الأمة ، وطرق لموضوعات الشعر الاجتماعي والوصف ، وهم لذلك يقفون على شاطيء النقلة ، مشدودين إلى الماضي ، يسيرون إلى الأمام ببطء وتثاقل . كما جاء في كتاب « في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية لعبدالله الحامد العلي » .

وقد أسهم هؤلاء الشعراء بالانتقال بالشعر من طور إلى طور تبرز فيه قوة الصياغة وإشراقتها ، والمحافظة على الوزن ، وايثار القافية الواحدة ، أو المقاطع المنوعة القوافي ، والمزاوجة بين القديم والجديد ، لكن هذه الظاهرة ليست طابعا شائعا في شعرهم .

وقد تأثر الشعراء المخضرمون بالشعراء القدامى ، كما تأثروا بالمدارس الجديدة ، وبخاصة المدرسة الرومانسية ، وبالشعراء الرومانسيين من أمثال الشابي وناجي .

وقد تطورت هذه المحاولات إلى ما يقرب من الاتجاه الرومانسي في شكله الحقيقي لغة وصورا شعرية ، وموقفا من الطبيعة ومن الحياة « وامتزاج ذات الشاعر بذوات الكائنات ، وظواهر الطبيعة من حوله ، أو ما نسميه الامتزاج الشعري بالطبيعة » خاصة في شعر ابراهيم العريض الذي استطاع أن ينقل لغة الشعر من التقليدية إلى لغة الوجدانيين والرومانسيين .

الرومانسية تلاحق المجددين

وإذا كانت مدرسة الإحياء ثمرة العودة إلى التراث العربي ، ومحاكاة لعصور ازدهاره فإن طبقة الشعراء الرومانسيين في الغالب ثمرة لصلتنا بالحضارة الغربية ، ظهرت لتكون تعبيرا صادقا عن الذاتية ، والوجدان ، والشخصية الفنية المستقلة ، ورفضا للنهج التقليدي .

وظهرت الذاتية وهي من أبرز سمات الشعراء الرومانسيين ، حيث عمق المعاناة في التجربة الشعرية ، وصدق التعبير عنها ، وهم يجنحون إلى الخيال إلى حد بعيد ، فالشعر عندهم تعبير عن العاطفة والوجدان ، وقد ظهر في شعرهم

الخيال الجزئي ، والصور الشعرية الممتدة ، والتعبير عندهم يمتاز بالظلال والإيحاء ، والألفاظ حية نابضة فيها رقة وعذوبة .

وليست الرومانسية خاصة بالمجددين ، فهي موجودة عند شعراء من المحافظين والمخضرمين ، لكنها كانت روافد تتلوى ، وتلوح وتختفي ، ولا تشكل مذهبا عاما لشعر المحافظين والمخضرمين .

ومن أبرز الشعراء الرومانسيين الذين نمت وتطورت واكتملت خصائص الشعر الرومانسي على أيديهم ، فهد العسكر الذي شخص شعره ولع الوجدانيين ، باتخاذ ظواهر الطبيعة وسيلة للتعبير الرومانسي ، وأحمد العدواني الذي لم يعد شعره مجرد ضيق بالحياة ، وشكا في نوايا الناس ، وإنما أصبح نظرة عميقة تفلسف الحياة وتنقدها .

ويمثل شعر غازي القصيبي ولع الرومانسيين العرب بنقل الدلالات اللغوية ، والايغال في الصور المجنحة .

كما يشخص شعر خليفة الوقيان أحاسيس الغربة والقلق اللذين يتخذهما طريقا إلى البحث عن عالم مثالي ، يختفي منه الظلم ، وترحل عنه الأحزان ، ويعيش الناس سعداء لا تثقل كواهلهم هموم الحياة .

من نماذج الرومانسيين

لقد عاش فهد العسكر فترة التحول الاجتماعي والثقافي والاقتصادي ، وأحس بهذا التغير الذي يؤثر في الحياة من حوله ، واستجاب له ، لما وجد فيه من نزوع نحو التحرر ، ولكنه اصطدم بالتقاليد الموروثة اصطداما أسلمه إلى شيء من السخط والحزن ، والإحساس بالغربة ، فجاءت قصيدته : « بلبل » تعبر عن حالة نفسية بعينها ، تعكس موقفه من الحياة وما فيها من آلام ، أو تصور ثقته بالمستقبل وتبشر به ، يقول :

ولهانُ ذو خافقٍ رقّتْ حَوَاشِيه
يَصْبُو فَتَنْشُرُهُ الذكرى وَتَطْويه

كأنه وهو فوقَ الغصن مضطربٌ
قلبُ المَشُوقِ وَقَدْ جَدَّ الهوى فِيهِ

رأى الربيعَ وقد أودَى الخريفُ به
بينَ الطيورِ كَمَيْتٍ بَيْنَ أَهْلِيه

لا الورد زاهٍ ، ولا الأكمامُ باسمة
ولا عرائسه سَكْرَى فَتُلْهِيه

ثم يعاوده الأمل ، والتطلع إلى مستقبل أفضل ، يخلصه مما هو فيه من ألم وحزن فيقول :




● أحمد مشاري العدواني ● د . خليفة الوقيان

وَلَّى الشتاءُ فَوَافَى الدوحَ بُلْبُلُهُ
وجاء آذارُ بالبُشْرَى يُهَنِّيه

وأَقْبَلَتْ سحراً نَشْوى نسائمُهُ
تهفو ، وتلثمُهُ شوقاً فتشفيه

واستقبل الروضَ بالأطيافِ شاعرُهُ
وهَبَّتِ الطيرُ أسراباً تُحَيِّيه

إننا نلمس في هذه الأبيات مدى اهتمام الشاعر بالطبيعة ، واتخاذ وصفه لمظاهرها في الفصول المختلفة رمزا على حالته النفسية ، وعلى مواقفه من الحياة والناس ، كما نلمس فيها استخدامه لمفردات اللغة استخداما جديدا يظهر في نقل صفات الأشياء بعضها إلى بعض وامتزاجها بالنفس والمشاعر .

بدايات التطور

وقد أدى إغراق الرومانسيين في النزعة الذاتية ، والغلو في عرض الأنا وخلجات النفس



إلى النفور منها ، والتمهيد للظهور والانتشار للشعر الواقعي الموضوعي اللاشخصي الذي تتوارى فيه ذات الشاعر لتحتل مكانها ذوات الآخرين ، ومشكلات الناس والمجتمع .

لقد أخذ الشعر في هذه المرحلة يواكب المسار الشعري ، ويجاري سنن التطور ، فاتجه نحو الواقع اتجاها فنيا وموضوعيا ، فلم يعد - كما قلنا - نغما ذاتيا ، يتغنى بالأحاسيس الإنسانية ويعبر عنها ، متطلعا إلى عالم مثالي ، يخلقه خيال الشعراء ، بل أصبح الشعر في منطقة الخليج بخاصة ، والوطن العربي بعامة ، يتخذ من الواقع الوطني موضوعا تدور حوله قصائد الشعر .

لقد دخل المجتمع العربي في تلك الفترة التي يعرض لها البحث ، مرحلة جديدة من حياته الاجتماعية والمدنية ، خلقت جوا من الحيرة والإحساس بالتناقض لدى جيل الآباء الذين ظل ولاؤهم باقيا للماضي ، بكل ما فيه وما يمثله من قيم وتقاليد ، وجيل الأبناء الذين لم يكن لهم بالماضي صلة بالقوة نفسها التي تقوم في نفوس الآباء .

وقد عبر جيل الآباء عن حيرته بطريقة حملتهم على إنكار كثير من مظاهر الحياة الجديدة، ومعارضة كثير من أنماط السلوك التي يندفع إليها الأبناء .

أما جيل الأبناء فإن همومهم تعود إلى سبب آخر هو هذه المفارقة السياسية ، والاجتماعية ، التي يحسون بها ، بين أوطانهم وبين العوالم الجديدة التي انفتحوا عليها ، مما عمق في نفوسهم الشعور بالظلم الاجتماعي والسياسي ، فبالغوا في ذلك مبالغة لا تسوغها حقيقة الأحداث في هذه البيئات الخليجية المختلفة ، وإن كانت صدى لهذا التناقض الحاد بين الحياة في منطقة الخليج ، والحياة في غيرها من أقطار الوطن العربي .

ما بعد الرومانسية

على أن هذا يجب ألا يحملنا على الظن بأن ظهور هذا اللون من الشعر كان محض صدى لحركة الواقع ، ذلك أن الأدب الحق الذي يعي وظيفته ، ما هو إلا انعكاس لواقع الحياة وتطورها ، ولكنه ليس مجرد انعكاس آلي ، فهو يرتد ثانية إلى الحياة ، ليحث خطاها ، ويدفعها نحو مزيد من التطور والتقدم ، أي أنه يتعامل مع حركة الواقع انفعالا وفعلا . ولكنه انفعال وفعل يدوران - في منطقة الخليج العربي - حول تجربة واحدة ، يسعى الشعراء ، إلى التعبير عنها من خلال موضوعات وأشكال فنية مختلفة ، يمكن تلخيصها في عبارة واحدة « هي مواجهة السلطة القائمة مواجهة ذاتية وفردية » .

على أن المنطلق العام للشعر الواقعي الجديد هو الالتزام والإيمان بقوة الكلمة ودورها الفاعل في المواجهة .

في هذا الشعر تذوب « الأنا » ، لتصبح ذرة من ذرات تلك الذات الجماعية الكبرى .

وقد كان من الممكن أن يكتب لهذا اللون من الشعر الاستمرار في الذيوع والانتشار والقدرة على إزاحة كل ما عداه من الأشكال الفنية ، لولا أن الشعراء قد وقفوا عند وجه واحد من وجوه مأساة هذه البيئة ، هو الوجه السياسي ، الأمر الذي جعل من هذا الشعر ، في أكثر نماذجه ، شعرا سياسيا خالصا .

وظاهرة الرمزية شديدة الالتصاق بالشعر الحر ، وهو شعر موزون ، يتخذ الشاعر « التفعيلة » وحدة الموسيقا في البيت ، دون التقيد بعددها . ويستعمل فيه الرمز بكثرة ، ولا يقيم شعراء الشعر الحر علاقات لغوية واضحة بين صورهم ، وإنما يعولون على ما يطلق عليه العلاقات النفسية ، وقد نتج عن استخدام الرمز بكثرة ، والاعتماد على العلاقات النفسية ،

غموض شديد في صورهم ، مما يجعل الوقوف على مقاصدهم ليس ميسورا لكثير من المثقفين .

وأغرى فريقا آخر ، ممن يجيدون كتابة النثر ، ولهم تجارب رمزية عميقة ، فيها الفكرة النفاذة ، والخيال المجنح ، وسموا هذا الشعر شعرا منثورا ، وهم يعلمون تماما أن الفارق الواضح بين الشعر والنثر هو الوزن ، وأن هذه التسمية قد جانبها الصواب .

فالشعر الحر ليس شعرا منثورا ، وإنما هو شعر كتب بأسلوب جديد .

ومن الشعراء الذين عالجوا هذا اللون من





● د . أسامه عبدالرحمن ● د . غازي القصيبي

الشعر الحر : سيف الرحبي - عُمان ، قاسم حداد ، علوي الهاشمي ، حمدة خميس - البحرين ، عارف الخاجة - الإمارات ، أسامة عبدالرحمن - السعودية ، علي السبتي ، محمد الفايز ، سعاد الصباح ، خليفة الوقيان في ديوانه الثاني « تحولات الأزمنة » - الكويت ، عبدالعزيز المقالح - اليمن ، وشعراء غيرهم ، تضافرت جهودهم ، وأسهمت في إحداث تغير في شعر هذه المنطقة ، أدى إلى ظهور نزعة جديدة في هذا الشعر ، هي نزعة الحداثة التي جاءت ثمرة طبيعية لبذرة التمرد الكامنة فيما سبق من المراحل التي مر بها الشعر ، كما جاءت نتيجة لتأثر المنطقة بالتحولات الأخيرة التي حدثت في الشعر العربي المعاصر . بمعنى أن هؤلاء الشعراء لم يبدؤوا من فراغ ، بل كانت لهم تجارب ناجحة في مجال الشعر التقليدي ، وما تبعه من تحولات واتجاهات ، مكنتهم من استيعاب فنون العصر ، والتعامل مع المتغيرات باقتدار ، والاستفادة من المستجدات في مجالات الفن والحضارة ، مع المحافظة على استمرار التواصل ، وتقوية الصلة بالماضي . وكانت وسيلتهم في إيجاد هذا التلاحم اللغة ، مع مراعاة توظيف مفرداتها توظيفا جديدا ، يناسب حركة الحياة ، وينسجم مع روح العصر ، ويعبر عن إرادة التغيير .

من شعراء الحداثة

والحداثة إبداع وتجريب ، فالتجريب مشروع إبداعي ملحوظ في شعر شعراء الحداثة ، لأنهم لا يكادون يصلون إلى مرحلة حتى يتجاوزوها إلى غيرها ، من أمثال

أسامة عبدالرحمن ، فقد عرف بتجاوز عدد تفعيلات البيت الواحد ، كما في قصيدة « بيروت » التي يقول فيها :

بيروت بين يديك يقتل كل شيء حتى مساحيق الحضارة
في الشفاه وفي الأظافر والحواجب

فالقصيدة من بحر الكامل ، وتفعيلاته ست ، زاد عليها تفعيلتين ، كما أنه يمزج في القصيدة الواحدة بين تفعيلات بحرين مختلفين ، ولا يساوي بين التفعيلات ، كما حدث في قصيدته (الليل والبحر) :

غابت وولى خلفها
كل النهار
غير ظل من شفق
يتمطى من بعيد يتراءى
من خلال السحب

فالقصيدة من بحر الرجز « مستفعلن مستفعلن مستفعلان »

ومن بحر الرمل « فعلاتن ، فعلاتن ، فاعلاتن ، فعلاتن »

وكما حدث في قصيدته « عطر العتاب » التي يقول فيها :

هل أعجبتك قصيدتان
الشعر بين دفاترى
كم تنتشى فيه المطالع والمقاطع



كلها ان أعجبتك ولو قصيدة
ومشاعري تزهو وتنمو
في اللظى المؤار منها وردتان
وبليلي المحلولك الوجنات ترقص نجمتان

فقد نجح هذا الشاعر في استلهام روح التراث ورضي من ملهمته هذه في القصيدة حكمها على ديوانه . فرأيها عنده هو الرأي ، وهو حين يسأل ويرضى إنما يستحضر موقف الشاعر الغزلي جميل من بثينة حين يقول :

« وإني لأرضـى من بثيـنـة بالـذي
لو ابصره الواشي لقرت بلابله »

فالحداثة موصولة بالتراث ، وإن اختلف الشاعر هنا عن الشاعر القديم في استخدام مفردات اللغة ، ونقلها من المحس إلى المجرد ، وتجسيم المعنويات وتشخيص الجمادات فالعتاب عطر ، والمطالع تنتشي ، والمشاعر تزهو ، كما جعل لليل وجنات .

والحداثة إذ تبقى على الجسور الممتدة بينها وبين التراث ، تعترف بقوة التأثير والتأثر بين الشعراء ، ولا تعد ذلك نقلا . وقد تأثر الشاعر : سيف الرحبي في قصيدته « مرايا القفار » بالشعراء السابقين الذين استخدموا « المرايا » بوصفها رمزا شعريا ، وهو رمز موجود عند كثير من شعراء « الشعر الحر » ، وقد انفرد ـ أدونيس ـ بالتركيز على هذا الرمز بوجه خاص ، حيث تغدو « المرايا » صورا شعرية ممتدة ، تنعكس فيها مختلف جوانب الواقع والتاريخ . يقول الشاعر : سيف الرحبي :

في القطارات التي تحملني دائما
إلى البعيد
وعبر مرايا أفقية ، نزقة
لا أكاد أتعرف
على وجهي الذي
خشته طيور الهجرة
لكنني حين أنزع قفازات الرؤية
عن صدفة الظلام
وفي الأنفاق السحيقة
للألم الإنساني
أتجشم المسير ثانية
لعلي أرى ما لا تراه عين الصوفي
أو السندباد

فقد انتقل من الوصف المادي للقطارات إلى المعنى الإيحائي الأوسع ، ورمز بها إلى اليد التي تحمله دائما ، وترحل به بعيداً إلى سفر غير قاصد ، ومحطة وصول مجهولة المكان ، ولم يكتف بتوظيف وسائل العصر ومستحدثاته التي أغنته عن استعمال « الناقة » . هذه المفردة التي كانت قاسما مشتركا في قصائد الشعر التقليدي ، بل وظف أيضا الأسطورة ، فالسندباد المسافر دائما ، أسطورة وعتها عيون التراث ، وتناولتها بالتفصيل في مواضيع شتى .

كما استعار الشاعر عين الصوفي التي ترى القفر روضا ، والجوع والظمأ شبعا وريا وغذاء للكادحين .

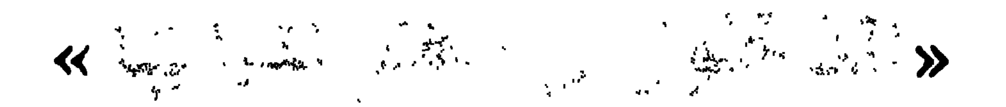
كما جعل اللغة وسيلته إلى إدراك الأشياء من حوله ، والقدرة على التعامل معها ، إن مرايا الشاعر نزقة ، لا تريه إلا الجانب القبيح من الحياة .

المراحل نفسها

وبعد ، فلقد مرّ الشعر العربي في منطقة الخليج والجزيرة بجميع المراحل التي مرّ بها الشعر في الوطن العربي ، ابتدأ بالتقليد ، ثم تابع مسيرته بشكل طبيعي ، فلم يقدر له أن يقفز على الواقع ويتخطاه ، أو يتخلف عن الركب .

كما واكب النقد حركة الشعر العربي في منطقة الخليج والجزيرة العربية ، ولازمه في جميع مراحل تطوره ، وإن كانت مواكبة تحتاج إلى المزيد ، فلن ترتقي حركة الشعر بصورة خاصة والأدب بصورة عامة ، ما لم تكن حركة النقد حركـة واضـحـة ، ومـسيطرة على السـاحـة الأدبية . □

حول جديد القصة القصيرة في المغرب العربي



بقلم : الدكتور أحمد ابراهيم الفقيه*

لأسباب متعددة ظل الإبداع الأدبي في أقطار المغرب العربي مجهولا في غير هذه الأقطار ، ما عدا بعض الأسماء التي اجتازت حواجز الصمت .

وهذا المقال يتناول بالتعريف مبدعي القصة القصيرة ونتاجاتهم في أقطار المغرب العربي الذين ينشطون في إثراء المكتبة العربية بإبداعاتهم ، خاصة الأجيال الجديدة التي تقتحم مناطق خصبة من تجربة الإنسان وهمومه .

إذا كانت بلاد المشرق العربي ، قد عرفت منذ بداية القرن ، جهودا تأسيسية في مجال القصة القصيرة ، فإن مرحلة التأسيس والتجذير ، وترسيخ هذا اللون الأدبي ، تأخرت كثيرا في بلاد المغرب العربي ، ويمكن عد الجهود الرائدة التي عرفتها مرحلة الثلاثينيات إرهاصا وتمهيدا للمراحل التالية ، فقد كانت أقطار المغرب العربي تعيش تحت سيطرة مخططات الاستيعاب الثقافي التي مارستها السلطتان الايطالية والفرنسية ، بحسبانها استعمارا ستيطانيا ، حاول في بعض الحالات اقتلاع أهل البلاد اقتلاعا ماديا ، بالتهجير والإبادة ، وسعى أيضا إلى طمس شخصيتهم الحضارية ، ليكونوا توابع لثقافته ، وهو استعمار لم تعرف الأقطار العربية الأخرى شبيها له سوى في فلسطين .

وفي مواجهة مخططات الاستيعاب والتغريب وإنهاء الوجود الثقافي العربي ، انكفأ أبناء المغرب على مصادر الثقافة الإسلامية التقليدية ، يستمدون منها عونا على الصمود والمقاومة ، وباستثناء عدد قليل من المراكز العلمية الدينية ، مثل جامعة القرويين بفاس ، وكلية بن يوسف بمراكش ، وجامع الزيتونة بتونس ، فقد كانت المدارس القرآنية التي تكتفي بتعليم الأبجدية وتحفيظ القرآن ، مصدرا وحيدا للثقافة والتعليم في هذه البيئة التي عرفت على مدى التاريخ العربي والإسلامي ، ببنيتها الثقافية الفقهية .

* كاتب من القطر العربي الليبي .



ومنح هذا النوع من المقاومة ملامح مشتركة ، تميزت بها الشخصية الثقافية لأقطار المغرب العربي ، وزاد تعزيز هذه الملامح أن المنطقة تملك ميراثا ثقافيا مشتركا في العادات والتقاليد والفنون الشعبية والطعام واللباس ، فالغناء الذي يعتمد على الموشحات الأندلسية ، وما يضاف إليه من تنويعات محلية ، تسمى « المألوف » ، هو ما يمزجون به في الأعراس والاحتفالات الشعبية والمواسم الدينية . وظل اللباس الشعبي متشابها ، فيما يسمى « البرنوص » أو « البُرْنس » وهو لباس أهل الريف في مناطق المغرب، وظلت أطعمة شعبية كثيرة متشابهة ، أشهرها وجبة « الكسكسي » . أما الأثر الناجم عن اختلاف المستعمر بين ليبيا وبقية أقطار المغرب العربي ، فهو أثر محدود وطارىء ، ولا يشكل عائقا دون التواصل بين هذه الأقطار ، خاصة بعد نجاح برامج التعريب ، وانتهاء « الفرنسة » في التعليم . وكان لابد لهذه الخصائص المشتركة أن تعبر عن نفسها في إبداع المبدعين ، فكيف كان المشهد الذي جاءت القصة القصيرة لتحتل مكان الصدارة فيه عشية استقلال هذه الأقطار .

كانت السيادة لفني الشعر والمقالة ، وكانت منابر التعبير المتاحة هي الصحافة ، فلم تكن هذه المنطقة من الوطن العربي قد عرفت حركة نشطة في مجال نشر الكتاب .

صوت عربي

وإذا أردت أن أقحم نفسي هنا ، فإنه يمكنني القول بأنني بدأت كتابة المقالات عام ١٩٥٩ ، ونشرت أول قصة عام ١٩٦٠ ، وكان عدد من الكتاب في أقطار المغرب العربي يعاصرونني وهم الذين حققت القصة العربية في المغرب تطورها على أيديهم ، وقد امتدت أسباب التواصل والمودة بيني وبين هؤلاء الكتاب ، وجمعتنا هموم واهتمامات مشتركة ، فقد كنا جميعا ، في ذلك الوقت ، مشدودين بانجازات الثورة الجزائرية التي تشتعل قريبا منا ، وكانت طرابلس ملتقى للمناضلين والمثقفين الجزائريين ، وكان أحد كتاب القصة القصيرة الجزائريين يعمل في ذلك الوقت مندوبا للثورة الجزائرية في طرابلس ، وهو محمد صالح الصديق الذي أسهم مع أحد زملائنا الليبيين في إصدار مجموعة قصصية من وحي الثورة الجزائرية ، وكان يرافقه ويعاصره عبدالله الركيبي الذي ترك كتابة القصة فيما بعد ، وانصرف للتأريخ لها ، والتعريف بإنجازاتها ، والمساهمة في معركة تعريب التعليم في الجزائر . وهذا ما فعله أيضا زميل ثالث لهما ، هو الجنيدي خليفة الذي كتب القصة في ذلك الوقت ، ثم انصرف إلى الجهد الأكاديمي ، وكان هؤلاء الكتاب هم الصوت العربي في مجال القصة



القصيرة التي نمت في أحضان الثورة ، وكانت تعبيرا عنها ، وتأكيدا للشخصية الحضارية العربية الإسلامية ، قصة موظفة توظيفا مباشرا لخدمة أهداف الثورة . وكان رائد القصة القصيرة في الجزائر الذي سبقهم في هذا المجال هو أحمد رضا حوحو الذي كان إنتاجه مواكبا للجهود السياسية ، والانتفاضات الشعبية التي سبقت قيام الثورة المسلحة .

وفي تونس كان الطريق الذي أسهم في تمهيده علي الدوعاجي ، ومحمود المسعدي ، ومحمد المرزوقي صاحب الجهود النبيلة الأمينة في استخراج كنوز التراث الشعبي ، بما في ذلك الاهتمام بالجانب القصصي ، قد بدأ يفضي إلى قصة أكثر استجابة لشروط المعالجة الفنية ، يكتبها الجيل الذي توافد على ساحة الكتابة بعد هؤلاء الرواد ؛ من أمثال محمد العروسي المطوي ، والطاهر قيقة ، والطاهر لبيب ، ومصطفى الفارسي ، وعز الدين المدني ، وسمير العيادي ، ومحمد صالح الجابري ، ورضوان الكوني ، ممن أنشأوا ناديا للقصة ، وأصدروا مجلة فصلية بعنوان : « قصص » ، وقادوا حركة أدبية ، تميزت بالحيوية والتفاعل مع القضايا العامة .

وفي المغرب ، ومع الاستقرار الذي جاءت به مرحلة ما بعد الاستقلال عام ١٩٥٦ ، بدأت القصة القصيرة تشهد نضجا وتطورا على يد طلائع الكتاب الذين جاءوا مسلحين بثقافة عربية ، مع اتصال مباشر بالثقافة الأوروبية ، حيث التقينا بنتاجات مبارك ربيع ، وعبدالجبار السحيمي ، ومحمد برادة ، ومحمد زنيبر ، ورفيقة الطبيعة وخناتة بنونة ، وادريس الخوري ، وكانوا جميعهم يستندون إلى تراث قصصي ، أسهم في إنجازه عبدالمجيد بن جلون ، وعبدالكريم غلاب ، وعبدالله براهيم ، وأحمد بناني ، وعبدالرحمن الفاسي ، محمد عزيز الحبابي الذي اتجه متأخرا إلى كتابة القصة ، بعد أن أسهم في تأسيس الأرضية الفكرية والفلسفية للحركة الأدبية الحديثة في المغرب . وفي ليبيا التي كانت أكثر قربا إلى المشرق العربي ، وأكثر تأثرا بتطور الحركة الأدبية في مصر ، بدأت القصة التي كتب أول نصوصها الناضجة وهبي البوري ، في منتصف الثلاثينيات ، ولاقت رواجا لدى كتاب جاءوا في أواخر الأربعينيات وبداية الخمسينيات ؛ من أمثال السيدة زعيمة الباروني ، وطالب الرويعي ، وخليفة التليسي ويوسف الدلنسي ، وعبدالقادر أبو هروس ، ومصطفى بادي ، وعلي العنيزي ، ومحمد فريد سيالة . ثم عرفت هذه القصة أفضل إنجازاتها ، وشهدت أهم مراحل تطورها على أيدي كتاب صاروا يكرسون جهدهم كاملا لها ، بعد أن كانت جزءا من رسالة إيقاظ الوعي التي يقوم بها كتاب يكتبون المقالة السياسية ، ويحررون الصحف ، ويتولون المهمات التعليمية ، وتوافر على كتابة القصة كتاب من أمثال خليفة التكبالي ، وعبدالله القويري ، وبشير الهاشمي ، وعلي مصطفى المصراتي ، وكامل المقهور ، ويوسف الشريف ، وصادق النيهوم ، ومحمد علي الشويهدي الذين واكبوا بإنتاجهم القصصي التحولات الاجتماعية الكبيرة ، وأسهموا في بلورة ملامح متميزة للقصة العربية القصيرة . وبدأت موريتانيا التي اخلص أهلها للشعر ، حتى صارت تنعت بأنها بلاد المليون شاعر ، تعرف هي أيضا كتابا يؤسسون أرضية جديدة لهذا الفن ، وصرنا نلتقي بنتاجات قصصية ناضجة ، مثل التي يكتبها اليوم محمد فال عبدالرحمن ، ومحمد كابر هاشم ، وأحمد عبدالقادر ، وغيرهم ممن يكتبون قصة تحتفظ بولائها لتقاليد المدرسة الواقعية .

علاقة جديدة مع القاريء

هكذا عرفت القصة في المغرب كتابها الذين صنعوا لحظتها المجيدة ، هؤلاء الكتاب الذين



استفادوا من إنجازات القصة في بلاد المشرق العربي ، كما استفادوا من تواصلهم مع الثقافة الغربية ، وجاءوا يكتبون قصة تختلف عن القصة التي يكتبها جيل ما قبل الاستقلال ، عندما كانت القصة مجرد وسيلة لنقل رسالة ، قصة هدف ومضمون ، ووعاء للقضية الاجتماعية والقضية الوطنية . كان الاتجاه الغالب هو الواقعية الفوتوغرافية والتوثيقية ، يوازيه اتجاه عاطفي انفعالي ، ولكن المضمون الوطني أنقذ قصص هذا الاتجاه من عيوب العاطفية الفجة التي تجعل العمل الأدبي هروبا من الحياة ، أو تمحورا حول الذات . وكان هناك اتجاه ضعيف ، يحاول أن يستفيد من طرائق القصص الشعبي ، أو الحكايات العربية والصيغة التراثية للسرد القصصي ، وهي المدرسة التي طورها فيها بعد الأستاذ محمود المسعدي ، وكتب بها « حدث أبو هريرة قال » ، وكانت المعالجة السردية ، والأسلوب التقريري المباشر ، والوصف الخارجي ، والتناول العاطفي للقضايا ، أهم مواصفات تلك القصة . كانت القضايا محددة محسومة ، وكان للقصة هدف دعائي تبشيري ، لابد أن تلبيه ، حتى لو أدى ذلك إلى ضياع المقاييس الفنية . وكان العامل الثاني في اختفاء المعالجة الفنية الراقية هو البيئة القارئة ، أو ذلك « المتلقي » الذي يستطيع أن يرتفع إلى مستوى المعالجة الفنية الراقية ، والذي لم يكن موجودا في تلك المرحلة ، نتيجة تخلف التعليم ، وارتفاع نسبة الأمية ، وسيطرة اللغة الفرنسية في الأجزاء الخاضعة للنفوذ الفرنسي . ومع انتهاء ذلك النفوذ ، واتساع رقعة المتعلمين ، وارتفاع وتيرة التنمية ، ومجيء هذه الأفواج الجديدة من المبدعين ، بدأت القصة القصيرة في المغرب العربي تبني علاقة جديدة مع القاريء ، مستفيدة من هذا التراث الذي جعلها قريبة الصلة إلى هموم المواطن وقضاياه ومعاناته ، دون أن تجعل نفسها ارتهانا كاملا لهذه الهموم والقضايا . قصة لا تتكيء على أيديولوجية ، أو قضية اجتماعية ، أو سياسية ، من أجل تسويغ وجودها ، فهي تكتفي بذاتها ، ولا تحتاج إلى تبرير لكتابتها ، حيث تتحول القضية إلى رحيق يسيل في عروق النص ، وإلى جزء من نسيج العمل القصصي وبنيته .

طرق جديدة

وانفتح الكاتب القصصي على ثراء العوالم الداخلية ، فصار يستفيد من إنجازات القصة النفسية ، ويستخدم تيار الوعي ، وأسلوب التداعيات ، وتداخل الأزمنة ، والاستعانة بالرمز والأسطورة والمواريث الثقافية الشعبية ، في تعزيز نصه القصصي ، دون أن يتنازل ، وهو يعني بتطوير أدواته ، عن رغبته في التغيير ، أو يعلن تصالحه مع الواقع . وكما يقول ادريس الخوري ، وهو واحد من كتاب جيل الستينيات في المغرب ، ومن المهتمين بقضايا الحداثة ، في مقدمة مجموعته القصصية « ظلال » : « إن القصة المغربية رغم خصوصيتها وتميزها ، وانطلاقا من الواقع السياسي الذي توجد فيه ، وكفرع أساسي في القصة العربية الحديثة ، لا تزال ساذجة ، إنها تتعامل مع الواقع تعاملا مباشرا ، تعاملا صادقا وإنسانيا ، حيث تطغى الرؤية الإنسانية على الرؤية النقدية ، ومن ثم لا تسهم في اكتشاف الواقع ، بل في تجميده وتحييده » .

وهو كاتب يأتي مسلحا برؤية جديدة ، ووعي جديد ، ورغبة في التصادم مع الواقع وتغييره .

ولعل أهم تطور أصاب القصة القصيرة التي يكتبها كتاب المغرب العربي في السنوات الأخيرة هو ذلك التطور الذي يتصل بطريقة الأداء والمتابع لهذا الفن في هذا الجزء من الوطن العربي سوف يدهش لهذا الاستغراق في قضايا الشكل والتقنية الذي صار يشغل المهتمين بالقصة نقاداً ومبدعين . وكأن الساحة الثقافية تحولت إلى محترف كبير ، وورشة أدبية ، مهمتها الارتفاع بدرجة الأداء ، وتجريب كل الأساليب التي تصل بهذا الأداء إلى آفاق جديدة ، انخفضت وتيرة الحديث عن الموضوع ، الأفكار والمضامين ، وصار الحديث ينصرف انصرافا كاملا إلى قضية أساليب السرد ، وصيغة الحكاية ، وآفاق المتخيل ، وحيوية النص ، ولغة القصة ونسيجها ، وآليات العمل القصصي وبنائه الفني ، وإذا كانت المدارس البنيوية في النقد قد جاءت تعيد الاعتبار لمثل هذه القضايا التي أهملها النقد الشيمي (الفني) ، فإن ذلك ليس هو السبب الوحيد لهذا الانشغال بالشكل ، وإنما الوعي بأن طريقة الأداء صارت هي عصب الفن القصصي ، بمعنى أنه لا أهمية لما نقوله إلا إذا عرفنا كيف نقوله ، لقد طور كتاب الستينيات ، على مدى هذه العقود الثلاثة ، أدواتهم وإمكانياتهم ، وجاء جيل جديد ، تحرر من سلبيات المراحل القديمة ، واستفاد من تجارب من سبقوه وإنجازاتهم ، وهو جيل السبعينيات والثمانينيات ، ليُسهم في تحقيق هذه القصة الجديدة التي صرنا نقرؤها هذه الأيام .



بهو للمرايا

ولعلنا نستطيع أن نهتدي إلى دلالة هذا التحول الذي عرفته القصة ، عندما نكتشف أن أكثر الأصوات تمثيلا لهذه المرحلة الجديدة هي أصوات نسائية ؛ مثل السيدة فاطمة محمود التي يمكن عد كتاباتها القصصية نموذجا لهذا التطور الذي شهدته القصة ، فهي كاتبة ليبية ، جاءت من هذه البيئة ذات الجذور الصحراوية ، ومن محيط اجتماعي ، ظل عصوراً طويلة محكوما بأكثر التقاليد تزمتا وانغلاقا ، لتكتب القصة الثائرة على هذا الميراث ، وتختار أسلوبا يتفق مع هذه الثورة على مستوى المضمون ، فهي تكتب القصة التي تتمرد على القوالب القديمة ، والتقاليد الموروثة ، في كتابة القصة ، القصة التي تكون تحريرا للذات ، وتفجيرا للطاقة الشعرية الكامنة في أكثر المشاهد التي نمر بها تعاسة وبؤسا ، والتي لا نستطيع أن نراها إلا بعين الفن ، القصة التي تكون اقتحاما ومغامرة ، وولوجا إلى الغرفة السرية التي تحتوي على الأشياء المهملة في بيت الذاكرة ، والتي لا تعنى بالحديث عن القضايا التي يثيرها الرأي العام ، كما كان شأن القصة سابقا ، وإنما القضايا المسكوت عنها ، القضايا التي لا نجرؤ عادة على النظر إليها ، والتي ندير عنها وجوهنا ، لكي تأتي القصة التي تكتبها فاطمة محمود ، وترغمنا على النظر إليها . القصة التي تشبه بهو المرايا ، لأنها لا تنقل صورة واحدة لما يحدث ، وإنما تنقل صورا كثيرة لتعدد الأبعاد والاتجاهات وزوايا النظر . وفاطمة محمود ليست إلا صوتا من هذه الأصوات التي جاءت بعد جيل الستينيات ، من أمثال خليفة حسين مصطفى ، وابراهيم الكوني ، ورضوان أبو شويشة ، وسيد قذاف الدم ، وسالم الهنداوي ، وسالم العبار ، ومحمد المسلاتي ، ومهدي العدل ، وعمر أبو القاسم الككلي في ليبيا . ولماذا لا نقول أيضا : إن القصتين اللتين كتبهما أخيرا قائد الثورة معمر



القذافي نفسه ، وهما « الموت » و « الهروب إلى جهنم » ، تحملان الكثير من خصائص هذه المدرسة . وليس غريبا أن الحساسية نفسها والتقنية نفسها والاستفادة نفسها من روح العصر وأسلوب التداعيات وإثارة ، ما هو مهمل ومهمش ، ومسكوت عنه ، هي ما يستخدمه في تونس كتاب وكاتبات من أمثال : عروسية النالوتي ، ونافلة ذهب ، وحسونة المصباحي ، ومحمد رضا الكافي ، والحبيب السالمي ، ومحمود التونسي ، وغيرهم .

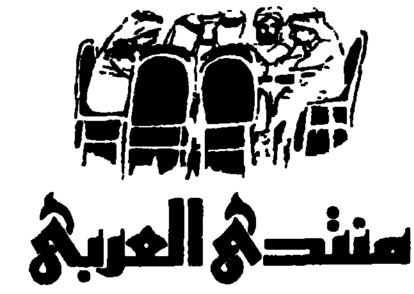
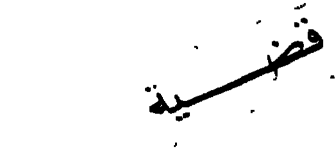
والانتقال بالقصة القصيرة إلى مثل هذه الآفاق هو ما يسعى إلى تحقيقه في الجزائر كتاب من أمثال : عمار بالحسن ، ومرزاق بقطاش ، وحرز الله محمد صالح ، والزاوي محمد الأمين ، وفي المغرب فإن معالجات محمد زفزاف ، ومحمد عز الدين التازي ، وأحمد المديني ، والأمين الخمليشي ، ومحمد الهرادي ، ومصطفى المسناوي ، والميلادي شغموم ، ومحمد الدغمومي ، والقمري بشير ، يمكن عدها إنجازا على طريق تأسيس النص المفتوح الذي يفجر طاقة الشعر ويطوعها لخدمة الحدث القصصي ، ويستعير لغة الحلم ، ويعتمد الزمن النفسي ، ويعني بالبحث عن الرموز والدلالات . فهي معالجات قصصية ، « لا تكتفي باستنساخ الواقع وتكرار نماذجه ، بل تطمح إلى جعل القصة مميزة في خطابها وشكلها وصيغتها وثيمتها (خصوصيتها) ، لتكون حاملة لمنظور مغاير لما يمكن أن نجده في بقية الخطابات » . هذا ما يقوله الدكتور محمد برادة في دراسته التي قدم بها نماذج من القصة المغربية القصيرة ، في كتابه : « لغة الحلم والطفولة » .

ويمكن القول بأن كثيرا من الاتجاهات والمدارس الفنية التي عرفتها القصة المغربية القصيرة ، في بداياتها ، مازالت حاضرة وفاعلة حتى الآن ، فالعطاء الإبداعي في هذا المجال يتنوع بتنوع الرؤى والأفكار والمفاهيم ، وهي أيضا تتطور بتطور هذه الأفكار والمفاهيم ، والواقعية الاجتماعية التي تطورت إلى واقعية نقدية صارت الآن تتجاوز شكلها القديم إلى واقعية لا تكتفي بالواقع ، وإنما تغنيه بالرمز والبحث عن الدلالة خلف الواقع . والاتجاه العاطفي الانفعالي هو الذي أوصل الكاتب إلى قصة الكشف والبوح وسبر أغوار النفس البشرية ، وهكذا مع بقية الاتجاهات والمدارس . وكان التحدي الذي واجه القصة المغربية هو أن تحقق ، في ثلاثة عقود ، ما حققته القصة القصيرة في العالم ، عبر مسيرة تواصلت مدة مائة وخمسين عاما ، فهو نوع من حرق المراحل ، وتعويض الفرص التاريخية الضائعة . □

هاتان الحالتان



● دخل سليمان بن عبدالملك مسجد دمشق فرأى شيخا ، قال : ياشيخ أيسرك أن تموت ؟ فقال : لا والله ، وقال : ولم وقد بلغت من السن ما أرى ؟ قال : مضى الشباب وشره ! وبقي الشيب وخيره ، فأنا إذا قعدت ذكرت الله وإذا قمت حمدت الله ، فأحب أن تدوم لي هاتان الحالتان .

مشكلاتنا الثقافية
وصورة العالم وعلاقات السيطرة

بقلم : الدكتور صبري حافظ

« هل ثقافتنا قادرة على تخليق ما يمكن تسميته بالمشروع التحديثي ؟ وهل نحن قادرون ، من خلال ثقافتنا ، على تأكيد ذاتنا القومية ومواجهة العالم ؟ وما آثار الاختراق المستمر لوسائط الإعلام العربية ؟ هذه القضية واحدة من القضايا التي تشغل بال مفكري هذا الوطن ومثقفيه ، وهذه محاولة للإسهام فيها » .

لا شك أن العقدين الأخيرين قد طرحا على متابع الحركة الثقافية العربية مجموعة من المشكلات التي تنبثق عن تردي الواقع الثقافي ، وتفاقم إشكالياته . والواقع أن البحث عن الأسباب الكامنة خلف الأزمة الثقافية التي يعاني منها الواقع العربي المعاصر ، سيقودنا إلى التنقيب في طبقات الوعي الثقافي الدفينة ، للتعرف على المنابع التي ترتوي منها أكثر مشكلات واقعنا الثقافي إلحاحا ، وأشدها استعصاء على العلاج ، بدءا من إشكاليات التناقض التاريخي الحاد ، بين المثقف والمؤسسة السائدة ، سواء أكانت مؤسسة السلطة ، أم غيرها من المؤسسات الاجتماعية الراسخة ، حتى مشاكل حرية التعبير ، وعزلة الكتابة عن جماهير الشعب العريضة ، وإخفاق الحركة العقلية في تحويل إنجازاتها إلى مؤسسة ، تبني الأجيال اللاحقة فيها على إنجازات الأجيال السابقة ، ولا تحتاج إلى إعادة خوض معاركها من جديد ، وفي ظروف أسوأ عادة .

صورة العالم

ولا بد أن يؤدي بنا هذا التنقيب إلى التعامل مباشرة مع الجذر الأساسي الذي ينبثق عنه كثير من مشكلات واقعنا الثقافي ، وهو غياب « تصور عربي للعالم » ، ولمكان الذات العربية فيه لدى معظم مثقفينا ، وتقبل العقل العربي للصورة التي

رسمتها أوربا للعالم ، ثم تبناها الغرب عامة فيما بعد ، بشرقه وغربه ، بعدّها « صورة العالم » ، لا مجرد « تصور » بين « تصورات » عديدة له . ذلك لأن تقبل هذه الصورة بعَدها « الصورة » التي يتجلى عليها العالم ينطوي على مجموعة من المسلمات الإشكالية ، أولها إعفاء العقل العربي من رسم صورة خاصة به للعالم ، يحدد فيها مكانه به ، ومكانته فيه ، والاستنامة إلى دعة تقبل تلك الصورة الأوربية ، دون الوعي بضرورة التعامل مع المشاكل التي تطرحها ، أو حل الإشكاليات التي تنطوي عليها . وثانيها أن مكانة الوطن العربي ، بل والعالم الذي يدعى (ثالثا) برمته في هذه الصورة مكانة متدنية إلى أقصى حد ، لا تسمح له حتى بالوقوف على قدميه ، ناهيك عن التميز والتحقق الفعلي . وثالثها أن قبول هذه الصورة هو في حقيقته عقد إذعاني ، بإضفاء الشرعية على السيطرة الغربية على العالم ، بل إن السيطرة الأوربية الحقيقية على العالم لا تتحقق بالفعل ، لا في مرحلة السيطرة الاستعمارية المباشرة ، ولا حتى في المرحلة الحديثة التي اتسمت فيها تلك السيطرة بشيء من اللامباشرة ، إلا بتقبل هذه الصورة .

فتقبل الصورة التي يقدمها الغرب للعالم



ـ ولا بد لنا هنا من توسيع مفهوم الغرب نفسه ليشمل الشمال المتقدم كله باستثناء اليابان لأنها لم تحقق نهضتها وتفوقها على الغرب نفسه ، إلا بحفاظها على تصورها الياباني الخاص للعالم ـ هي الأساس الأول لتبرير مشروعية سيطرته على المجتمعات التي تعرف باسم العالم الثالث ، أو بالأحرى لمجتمعات الجنوب كلها ، باختلاف القارات التي تنتمي إليها ، أو الحضارات التي انحدرت منها . وليس استثناء اليابان هنا شيء عرضي ، وإنما لأن اليابان هي الاستثناء الوحيد في دول العالم المتقدم التي تمسكت بتصورها القومي الخاص للعالم ، وحافظت على ذاتيتها الثقافية ، مخضعة كل شيء لها ، من مؤسسة السلطة حتى نظام الإنتاج في المصانع . ولذلك فلا غرابة في أنها استطاعت فضلا عن منافسة الغرب الانتصار عليه في عقر داره ، بصورة يؤكد تأملها أنها تستحق الاستثناء الذي يدعم القاعدة العامة التي تقول : إن التخلي عن صياغة صورة قومية للعالم هو في الواقع تخل عن طموحات الذات القومية في التطور والتقدم . وعلى الرغم من عمومية هذه الظاهرة ، بل ومعاناة بعض البلدان الغربية نفسها منها في ما يتعلق بالتناقضات ، داخل بلدان الشمال نفسه ، فإن ما يهمنا هنا هو مدى تأثيرها على مشكلات الواقع الثقافي العربي . ولذلك سيتسم تناولنا لتبدياتها بشيء من التركيز على خصوصيتها العربية بشكل أساس ، حتى لو كانت هناك عموميات مشتركة بيننا وبين غيرنا من بلدان العالم .

فبدون التقبل الطوعي ، أو الإذعاني ، لتلك الصورة تتأزم مجموعة كبيرة من علاقات القوى الاجتماعية والسياسية في العالم وتبدأ صورته في التغير . ذلك لأن وجود الغرب الفكري في وطننا العربي واحتلاله لمكانة اجتماعية راقية فيه ، هي إحدى ثمار إخضاعه للعقل العربي نفسه ، وتحكمه في آليات تفكيره . وهي نتيجة مباشرة

لتجذر هذه الصورة في الوعي الجمعي العربي ، وتنفيذه لما يترتب على تبنيها من إجراءات . وقوة هذا الوجود هي التي تعفي العقل العربي من إشكاليات العمل على رسم صورة للعالم خاصة به ، والدخول بهذه الصورة في عملية جدل خلاقة مع الصورة الغربية له . لأن الثقافات تزدهر بالحوار المستمر ، لا بالانغلاق ولا بالتبعية . ويزداد الأمر تفاقما إذا ما لاحظنا أن صورة العالم التي يقدمها الغرب ، والتي يحتل فيها بطبيعة الحال أرقى المكانات ، تجعل نمط الحياة الغربي الذي يعرض على شاشات التلفاز في كل بلدان العالم ، عبر مسلسلات (دلاس) و (ديناستي) و (أهل القمة وأهل القاع) وغيرها ، هو المرادف العصري للفردوس الأرضي . بينما لا تظهر بلاد العالم الثالث ، حتى على شاشات محطات تلفازاتها الخاصة ، إلا بعدّها موطنا طبيعيا للكوارث ، والمجاعات ، والفظاعات ، والحروب ، حيث تدور في ساحتها أشد الأعمال الإنسانية فظاعة ووحشية ، وتفيض علاقاتها فيما بينها باللامنطق والغباء . ومن هنا تقوم الذات القومية بتكريس آليات القضاء عليها ، أو إبقائها في مرحلة الدونية ، دون أن تعي ذلك .

الهوية القومية

وعلى الرغم من كل تناقضات هذه الصورة ، بل وبسببها ، يضعنا إعفاء العقل العربي لنفسه من مشاق تخليق هذه الصورة في قلب حركة النهضة ، أو بالأحرى في مواجهة مع ما اصطلح على تسميته المشروع التحديثي برمته . فلا يمكن أن تكون ثمة نهضة حقيقية ، إلا إذا قامت عبرها الذات القومية برسم صورة للعالم ، تحتل فيها تلك الذات مكانة كفيلة بإشباع مطامحها ، وتحقيق هويتها . ولا تنفصل صورة العالم عن مسألة الهوية القومية بأي حال من الأحوال ، لأنها تشتبك بمختلف العناصر المشاركة في صياغة هذه الهوية ، من دين ولغة وتاريخ وأنساق للعلاقات الاجتماعية . وإذا كان النيل من الدين من أكثر هذه العناصر حساسية بالنسبة لأي شعب من الشعوب ، ناهيك عن الشعب العربي الذي كان مهد الأديان السماوية الثلاثة ، فإن المؤسسات التعليمية التي صيغت على النمط الغربي ، استطاعت أن تتعامل مع عنصري اللغة والتاريخ ، وأن تكسر شوكتهما إلى حد ما . صحيح أن الرباط الوثيق بين الدين الإسلامي واللغة العربية لم يمكن الغرب طوال سنوات الاستعمار في المنطقة ، من القضاء على اللغة القومية ، كما فعل بنجاح في أماكن كثيرة من العالم ، لكن تركيز النظام التعليمي نفسه على أهمية اللغات الأوروبية ما لبث أن تحول مع الزمن ، لمرارة المفارقة ، إلى أحد المطالب « الشعبية » ، وأصبح تعليم الأبناء في مدارس اللغات الأجنبية من مظاهر الوجاهة الاجتماعية في كثير من أرجاء الوطن العربي . وبعد موجة الاعتزاز بالشخصية القومية واللغة القومية ، في الخمسينيات والستينيات ، شهدت السبعينيات تراجعا كثيبا ، أسفر عن نفسه في تسييد اللغة الأجنبية والزراية باللغة القومية في كثير من مناحي الحياة ، لا سيما تلك التي تتصل مباشرة بالعلاقة مع العالم الخارجي ، أو ببعض نشاطاته التي تحاول التجذر في المنطقة . اما من حيث الذاكرة التاريخية للشعوب العربية فحدث عن طمسها بلا حرج ، فليس ثمة اهتمام بالتاريخ القومي أو بتكريس بعض ملامحه ، بصورة تصبح معها من المكونات الأساسية للشخصية الفردية .

وإذا كان من المكرور تعديد شتى أشكال استهداف اللغة والتاريخ العربي عبر المراحل الأخيرة ، فإن من الضروري التعرف على بعض أشكال إيهان القاعدة التي ينهض عليها النسيج القومي ، أو أنساق العلاقات الاجتماعية ، وأهمها تغيير البنية الاقتصادية ، وتفكيك الروابط الاجتماعية القديمة ، فعلى الرغم من أن عددا من

مفكري الغرب أنفسهم قد اعترفوا بوجود نمطين اقتصاديين مختلفين : نمط غربي وآخر آسيوي ، فإن عملية فرض النمط الغربي على الوطن العربي قائمة على قدم وساق ، منذ بدايات الحركة الاستعمارية قبل عدة قرون حتى الآن . وحينما أتحدث عن الحركة الاستعمارية فإنني أتحدث عن الأساس الفكري لحركة التاريخ ، أكثر مما أتحدث عن وقائع ، أو مراحل تاريخية معينة . وفرض هذا النمط الاقتصادي قد أدى بالتالي إلى فرض نمط حضاري برمته ، بكل ما به من مؤسسات للدولة ، ونوعية لأسلوب الحكم ، وتنظيم للعلاقات بين المؤسسات المختلفة ، وتسييد لسلم معين للقيم الاجتماعية والثقافية . ومن هنا ازداد الصراع بين المثقف والسلطة ، وانعزلت الجماهير الواسعة عن هذا الصراع ، وكأن عزلتها شكل من أشكال المقاومة السلبية للاكتساح الذي جرف المثقف في طريقه . وانتظار عن بعد لما تسفر عنه المسيرة الثقافية من حصاد ، قد يخرج بالذات القومية من الدوران في فلك الآخر ، ويحل بالتالي بعض إشكالاتها ، وتناقضاتها . وكأن الجماهير الشعبية تعي أن لا جدوى من الانخراط في فلك الآخر ، لأن هذا الانخراط لا يؤدي إلى تغيير الصورة ، ولا يشي بتوليد صورة جديدة ، أو حتى بتحول الذات بحق إلى آخر ، وإنما كل ما يمكن أن يؤدي إليه هو خلق مسخ مشوش الهوية والملامح ، تفقد فيه الشخصية القومية أصالتها وذاتيتها الثقافية ، ولا تفلح في أن تصبح جزءا من الثقافة الجديدة .

إشارات مهمة

ولا تكمن استحالة الدوران في فلك الآخر في عناد الشخصية القومية أو عجزها عن « استيعاب » أسس الحضارة الجديدة ، وإنما تعود أساسا إلى أن مكانة الوطن العربي ، في تلك الصورة الغربية التي تبناها للعالم ، مكانة متدنية إلى أقصى حد ، ولا تسمح له حتى بالوقوف على قدميه . ولأذكر هنا بعض الأرقام الإحصائية الدالة التي تسمح بتجسيد ما أعنيه من ناحية ، وتؤكد التناظر بين القوة الاقتصادية والقدرة على رسم صورة العالم وفرضها على الآخرين . إذ تقول إحصاءات منظمة الأمم المتحدة : إن العالم المتقدم - أو العالم الأول الذي يضم الولايات المتحدة وكندا وأوربا الغربية واليابان واستراليا ونيوزيلندة وجنوب أفريقيا - يعيش فيه خمس سكان العالم ، ولكنه يتمتع بنسبة ٦٠٪ من إنتاجه الإجمالي . بينما يعيش في العالم الثاني أو الاشتراكي الذي يضم الاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية والصين وفيتنام وكوبا ثلث سكان العالم ، ويستهلك أقل من ٣٠٪ من إجمالي إنتاجه . أما العالم الثالث ، أو بالأحرى بقية العالم من الدول النامية الذي يملك نصف مساحة الكرة الأرضية ، ويعيش فيه نصف سكانها ، فإن عليه الاكتفاء بما تبقى من فتات الإنتاج العالمي الذي لا يصل إلى ١٢٪ من إجمالي الانتاج العالمي . وإذا ما وضعنا هذه الإحصاءات المهمة بجوار مجموعة أخرى من الإحصاءات الثقافية التي لا تقل عنها دلالة ، نستطيع أن نتعرف على طبيعة العلاقة الجدلية بين الواقع والإنتاج الثقافي . إذ تقول تلك الاحصاءات الأخرى ، الصادرة عن منظمة اليونسكو : إن هذا النصف الفقير من سكان العالم ، ومعه الجزء الآسيوي الاشتراكي ، يشكل ثلثي سكان العالم ، ولكنه لا يصدر إلا أقل نصف صحفه ، وأقل من سدس مجموع النسخ المطبوعة منها . ولا يصدر إلا ١٦,٩٪ من الكتب الصادرة في العالم . أما الثلث الآخر ، وهو الثلث الغربي ، فإنه يحتكر إنتاج ٨٣,١٪ من كتب العالم ، ويصدر أكثر من نصف صحفه ، ويقرأ خمسة أسداس النسخ الصادرة من كل الصحف في العالم . ولا يقتصر الأمر على ذلك ، فإنه من بين ٤٠٠ مليون جهاز هاتف في العالم عام ١٩٧٧ كان ٨٠٪ من هذه الأجهزة في عشر دول متقدمة .

قوة المعرفة

والغريب أن هذه الدول العشر نفسها هي الدول التي تمتلك مصادر تزويد العالم بالأنباء ، أي مصادر صناعة صورة العالم ، لأنها هي الدول التي تمتلك وكالات الأنباء الخمس الكبرى في العالم (أسوشيتد برس ، ويونايتد برس ، ورويتر ، وفرانس برس ، وتاس) . وحينما فكرت دول العالم النامي في أن يكون لها وكالة أنبائها العالمية ، ودعت إلى نظام إعلامي جديد ، قامت الدنيا ولم تقعد ، حتى أطاحت بكل من سولت له نفسه من أبناء العالم الثالث التفكير في هذا الأمر ، وعلى رأسهم رئيس منظمة اليونسكو السابق ، ورئيس إدارة حرية تدفق المعلومات فيها ، لأن امتلاك بلدان العالم الثالث لوكالة عالمية للأنباء هو الخطوة الأولى نحو مشاركتها في رسم صورة العالم الذي احتكر الغرب رسمها بالنيابة عن بقية سكان الكرة الأرضية . ولأن امتلاك أدوات المعرفة لا يقل خطرا عن امتلاك أدوات الحرب ، فالمعرفة قوة . ولأن طرح أكثر من صورة للعالم في ساحة الإعلام الدولي ليس أقل خطرا من قيام حرب عالمية ، لا يعرف أحد نوعية نتائجها . وإذا كان من العسير علينا أن نأخذ على عاتقنا طرح صورة جديدة للعالم من منظور العالم الثالث كله ، فلا أقل من أن نستوعب بعض دروس المجتمع الأوربي وسوقه المشتركة ، حتى نبادر بالعمل على خلق صورة عربية للعالم ، تتخلل مكوناتها كل مناحي حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . عندئذ ستتغير طبيعة طروحاتنا لكثير من القضايا ، وسنستطيع أن نحل كثيراً من مشكلاتنا الثقافية التي تبدو مستعصية على العلاج ، لأننا ما نزال نفكر فيها بمنطق ليس نابعا من ذاتيتنا الثقافية ، وبطريقة لا تنبثق عن آليات تكون تلك المشكلات . □

أغنية الساقية

شعــــر :
الدكتور أحمد محمد المعتوق*

بُعَيْدما تَنْضجُ تُفاحةُ غَابَاتنا
وَيَنْضجُ النَّبْقُ ، وتُبرزُ الكنوزُ مَا حَوتْه مِنْ دُرَر
وَيَهْتِفُ الربُّ : أيا ذا الجناح
كُنْ ، فَيكون الصَّباح
وَيسكر الضوء عَلى دالية الفجر وَيَنْدى الوتر
بُعَيدما تَنضجُ تُفَاحَةُ غَابَاتنا
وَتَقْرَعُ البَاب بُعيد الصباح
تَرتِيلَةُ الساقيةْ
وَتَسْحَبُ الذَّيلَ عَلَى الرابيةْ
تَزلَق الضوء عَلَى الآنية
يَهْتِفُ : يافاتِنةُ النهار يامَعين شمسهِ

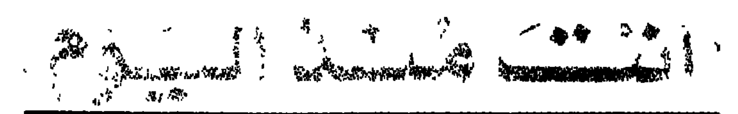
حَواءُ يا أغنية الساقية
قَدْ مَلأَ الدورَقَ هَمْسُ المطر
وانْسَرَحِ الظِلّ كَنَهر مباح
يَرْكُضُ في ضَاحية العُمر فَتَخْضرّ رُفاة البَشر
وَيَطْعَمُ الخلقُ نَضيجَ الثمر
وَيغمسُ الطائر منقاره
في شَفَقِ الشّمس فَلا يَسْتَعِر
قَدْ تَعِبَ الشّوق فَيامن ظفر !
سَمِعْتُها أغنية الساقية
في لَيْلةٍ أنجمها راقِدة ، في لَيْلة شاتية
سَمِعْتُها وَحَيْرة الغَريب في حُروفِها
وَلَحنُها كأنه الجريح كالرنين في الضلوع
بِلَيْلة ساهرة غَافيةْ
كِلابُها السود غَدتْ جائعَة لاهثة عَاوية
تَحومُ حَوْل الرابيةْ
سَمِعْتُها حَواء في ليلتها العارية
تَنْشجِ والرياح خَلْفَ بابها تَأزُّ والدوار
يَضجُّ في ستائر الأصيل
في الغرفةِ الحمراء والرفُوفِ والمرايا
في الشال في طنافِس الحرير في حَقائِب الرحيل
وَهَمْسُها ، وزفرة توقدها عند جبال الضجر :
يالرغيف بارد يأكله السهر !
وَقُبلة أرخصُ من قَهْقَهة الريح بمهوى الحجر !
وَعِنْدَما ينقر مرآتها
تَفْرَح أم تَفْزَع أم تَمْنَعه أنْ يطير !!
تَهمِسُ : يافرخ رماك المساء
وَبَعْدَما شَبَّ جناحاك رماك المساء
في وَحَل الدرب كسير الجناح
يمضغُ منقارك شوك الطريق
يَشْرَبُ نَهر العقيق

* شاعر وأستاذ جامعي وكاتب من المملكة العربية السعودية .



ويضرم النار بجفنيك فياللحريق !!
وصفت من أجنحة الزنبق للصدر وشاح
وقلتَ لي : قد ملأ الدوّرق همْس المطر
وانسرحَ الظل كما الخيمة في حُضْنِها يُقمر لون السمرْ
بنيتَ لي العرشَ وقلتَ احملي
فَوق ذراعَيْك جنون الهوىٰ
ورقّصي تحت ندى الفجر قلوب البشر
أسقط كالنيزك ذاك الملاك
في سدم الوحشة كالصرخة أو كالهباء
وَرَاحَ غول الليل ما أوحشه
يسلخُ وجه القمرْ
يَسْرِقُ ظِلّ الشجرْ
وَجنةٌ قَدْ عَرِشَت للنجمِ حلو كرمها
ولألأت للطير ضوء حلمها
في الليّلة الماضية
يتقد الصيف على جُفونِها
وَيَسهرُ الغراب فوق دوحها
صوحت الواحة ، والساقية
تركتها يابسة القلب على المنحدر !





رواية من تأليف: تيسير سبول

بقلم : غالب هلسا

كنا نعد هذه المقالة للمطبعة حين حملت إلينا الأنباء خبر الوفاة المفاجئة للكاتب الروائي الناقد « غالب هلسا » وهو بدمشق ، بعد ٥٣ عاما قضاها متنقلا بين موطنه في الأردن ومصر والعراق ولبنان وسوريا ، مشاركا أبناء أمته في كل هذه الأقطار همومهم الفكرية والإنسانية ، مساهما بإبداعه الروائي والنقدي في إثراء المكتبة العربية بإنجاز متميز رفيع .

وإننا إذ نقدم لقارىء « العربي » آخر مقال كتبه غالب هلسا لنتقدم إلى أسرته في الأردن وإلى الأدباء العرب جميعا بخالص العزاء .

قدمت رواية تيسير سبول (أنت منذ اليوم) ، المكتوبة بعد هزيمة سنة ١٩٦٧م إضافة مهمة للرواية المشرقية ببنائها التقني . وسوف نحاول ، هنا ، أن ندرس تلك التقنيات التي نرى أنها تشكل إضافة .

تبدأ رواية « كامو » (الغريب) هكذا :

« اليوم ماتت أمي ، أو ربما ماتت الأمس ، لا أعرف ، تلقيت برقية من مأوى العجزة تقول : توفيت والدتك . الدفن غدا . لك أصدق مشاعر الأسى . ومثل هذا القول لايفيد بشيء . ربما ماتت يوم أمس » . وعندما طلب إجازة من رب العمل تصور « ميرسو » أنه غضب ، فقال : إن موت أمه ليس غلطته ، وعندما سئل عن السبب الذي جعله يطلق الرصاص على البدوي ، قال : إن ذلك بسبب ضوء الشمس . فكيف نصف رؤية « ميرسو » للعالم ؟

إنها رؤية تلغي المنظور ، أو البعد الثالث ، من الصورة ، من العالم من حوله ، فيصبح ذا بعدين ، أي أنها تفتقد بعدها الاجتماعي ، بعْدَ التقاليد والقيم والمفاهيم التي صاغت البشر ومؤسساتهم الاجتماعية التي تشكل بمجموعها

الرؤ ية الكلية للذات وللآخرين .

يطلق الوجوديون على هذه الحالة اسم : (حالة ميرسو في « الغريب ») ، صفة العبثية المضحكة . لقد شاعت ترجمة « Absurd » بالعبث في الأدبيات العربية . ولكن الكلمة الأصلية تحتمل المعنيين ، إنها الحالة التي يفقد فيها الإنسان ثقته بكل المسلمات الاجتماعية ، ويكون عاجزا ، في الوقت نفسه ، عن إيجاد قيمه الخاصة ، أوالتزامه النابع من ذاته .

يرى « كامو » أن هنالك خيارين أمام إنسان كهذا : الانتحار ، أو بناء التزام نابع من ذاته ، وقد اختار تيسير ، مع كل أسف ، طريق الانتحار .

رؤية تبسيطية لواقع معقد

ومأساة « تيسير » هي مأساة الشباب العربي الذين تم إدخالهم في دائرة شريرة ومفرغة ، ولكنها صادفت في « تيسير » حالما كبيرا ، ذا حساسية مرهفة ، فكانت الفاجعة .

إن الشباب العربي ، وتيسير بشكل خاص ، قد تخلوا عن مسلمات مجتمع متخلف ، مستبدلين إياها بمسلمات الديماغوجية السياسية ، باليقين نفسه والامتثال نفسه .

قال له الديماغوجيون : إن الأهداف الكبرى للعرب : الوحدة والديموقراطية ، في أعلى أشكالها ، والعدالة الاجتماعية والرخاء ، وسحق الأعداء سوف يتم بسرعة ، ودون جهد كبير .

من خلال هذه الديماغوجية بنى صورة جيلة عالمه المقبل الذي سوف يتحقق بسرعة ، دون جهد . والسمة الأساسية للديماغوجيا أنها [illegible]يطية ، تغفل أو تجهل ، تعقيدات الواقع ، [illegible] ثم تقفز فوقها . رأى تيسير وشباب جيله [illegible]لواقع لايطيع أحلامهم ، فانساقوا إلى الرؤ ية [illegible]ثية المضحكة ، حيث فقد كل شيء معناه ، [illegible]مح مضحكا .

كانت روايتي « الضحك » التي كتبتها قبل رواية « أنت منذ اليوم » بفترة طويلة ، تعبر عن الأزمة نفسها ، ففيها تفتت رؤ ية كاملة إلى شظايا عبثية .

إذن هذه هي المشكلة الفاجعة : أمام عالم شديد التعقيد ، لاتحدد مساراته الأحلام الوردية والنوايا الطيبة ، لشبان لم يرغبوا في رؤ ية تعقيده ، بل رغبوا أن يتحدد سيره بمصالح الداخل والخارج المتقاطعة والمتعارضة ونواياهما واستراتيجياتهما . أمام عالم كهذا وقف تيسير - ونحن كلنا - يعلن خيبة أمله ، لأن أمته لم تحقق أحلامها ، ولأن الزعماء الديماغوجيين ، أنصاف الأميين ، لم يفوا بوعودهم . وهكذا أصبح كل شيء مضحكا ، بلا معنى ، عالم بلا منظور ، كل ما يدور فيه عشوائي ، لايندرج في سياق رؤ ية ، أو نظرية موحدة . فكيف عبر تيسير في روايته : « أنت منذ اليوم » عن هذه الرؤ ية الفاجعة ؟

السخرية من الذات كتقنية

رواية « أنت منذ اليوم » تعكس ، في بنيتها ، تهشم الرؤ ية المتكاملة : لوحات قصيرة منالية ، لايربطها زمان أو مكان أو حدث واحد . تتاليها يأخذ بشكل القصيدة الجاهلية ، حيث يتم الترابط بين الأجزاء من خلال التداعي ، فتثير الصورة أو مشاعر اللحظة ، صورا ومشاعر تخضع لعملية التداعي هذه . وهذه الرؤ ية بذلك تشكل خروجا عن نمط الكتابة الروائية العربية السائد . وللتداعي بين المشاهد دينامية خاصة ، فما يعاش في اللحظة الحاضرة ؛ أي ماهو عياني ومباشر ، يستدعي ذكرى قديمة ، تستدعي بدورها مشاعر وأحاسيس قديمة وجديدة ؛ أي أن مجرى الوعي لايتم على مستوى واحد ، بل على مستويات متعددة ، فهو الحاضر المباشر ، وهو تاريخنا الشخصي ، وهو ما احتفظت به الذاكرة أيضا من حكايات وأحداث .

إن الرابط بين مستويات التداعي ، عند تيسير ، ينبثق من عناصر المفارقة والتناقض ، والانفعال . فالعياني يستدعي نقيضه ، أو يشكل مفارقة معه ، أو يستثير إحساسا مماثلا ، ولكنه قديم .

يعني هذا أن الرواية تعتمد اللحظة الحية ، المعاشة حاضرا ، عبر تداعيات تفتح على أكثر من مستوى .

ولاتقصر هذه الدينامية على العلاقة بين مشهد وآخر ، بل تقوم أيضا على العلاقات بين العناصر المكونة للمشهد . وعلينا أن نتأمل جيدا هذه العلاقات التي سوف نسميها تقنيات ، لأنها أهم ماقدم تيسير في تاريخ إبداعه الموجز والواعد .

سوف نبدأ بتقنية ، سوف نطلق عليها اسم : السخرية من الذات . ولتسهيل الحديث سوف نورد اقتباسا من الرواية .

دعونا نقرأ هذه الفقرة :

« قال - الراوي - للرفاق بأنهم عانوا من نقص الكراسات العقائدية هناك،وأنه يعترف بنقص ثقافته ويريد المزيد فطمأنوه وامتدحوا رغبته » .

نلاحظ أن الجملة خالية من النقاط والفواصل التي تم استبدالها بواو العطف . إنها بهذا تخرج عن إيقاع الكتابة الأدبية ، لتندرج في إيقاع الكلام اليومي . فالسخرية من الذات تنبثق أولا من هذا الإيقاع الملهوف للعبارة ، وتأتي كذلك من رغبته الواضحة في استجداء المديح ، وقد تحققت هذه الرغبة « فطمأنوه وامتدحوا رغبته » .

والمصدر الثاني للسخرية من الذات هو أن الراوي يكشف نفاقه هو على الأخص ، ففي الوقت الذي يطالب منه بزيادة الكراسات العقائدية يقول لنفسه : « غير أن الكراسات الحزبية تضجره . لقد عرف بأنها متشابهة ، ولا معنى لتوزيعها كل أسبوع » .

ويستعمل المؤلف تقنية أخرى للسخرية من الآخرين ، تعتمد التقنية السابقة نفسها في وجه من وجوهها ، وهي تحويل الحديث المباشر إلى حديث غير مباشر ، مثال ذلك : وصفه لردود فعل الناس بعد فكّ الوحدة بين مصر وسوريا .

« ففرح بعض الشعب ، وابتأس بعض الشعب ، وصمت كثيرون ، غير أن المذيع طالب الناس ألا يحزنوا ، ووعد بوحدة صحيحة تقوم بين كل العرب .

إلا أن هناك من لم يصدق ، فبكى ما استطاع البكاء ، وَوُجِدَ أفرادٌ لزموا الفراش مرضا ، ثم أَبَلُّوا بعد يوم أو اثنين . . . » .

إن السخرية هنا تتولد من وضع سياق في القول بدلا من سياق آخر .

إن عبارة « وَوُجِدَ أفرادٌ لزموا الفراش ثم أَبَلُّوا بعد يوم أو اثنين » ذات نكهة جسدية خالصة ، يكون استعمالها في العادة للحديث عن إنسان أرهقه العمل ، أو أصيب بالزكام ، فلزم الفراش يوما أو يومين .

وهكذا فإن إحالة مشاعر وطنية إلى حالة جسدية خالصة يجعلها مضحكة . يشبه ذلك قولنا في وصف إنسان : إنه كان شجاعا



وسمينا . فإن اقتران الصفتين المادية والمعنوية يجعل قولنا مضحكا .

نجد الشيء نفسه في فقرة أخرى :

وأما تحويل الحديث المباشر إلى حديث غير مباشر فهو واضح في الاقتباسات السابقة منها .

« غير أن المذيع طالب الناس ألا يحزنوا ، ووعد بوحدة صحيحة ، إلا أن هناك من لم يصدق ، فبكى ما استطاع البكاء » .

المذيع يصدر أوامر لايمكن أن تطاع ، إذ طالب الناس ألا يحزنوا ، وكأن الحزن يأتي بأمر ، وينتهي بأمر مضاد . كما أنه يقدم وعودا محددة ، بقيام وحدة صحيحة ، لم يكن قادرا على تحقيقها . إنه مضحك في أوامره ووعوده ، وكذلك كانت استجابة المستمعين ، فبدلا من اكتشاف حماقة المذيع انخرطوا في البكاء . عندما نتأمل هذه العبارات جيدا نكتشف أن حماقة المذيع اتضحت لنا بسبب استعمال تقنية القول غير المباشر . يكفي أن نعيد هذه العبارات إلى أسلوب الخطاب المباشر ؛ أي نقل كلام المذيع كما قاله ، حتى يتضح لنا أنه فقد طابعه المضحك ، وأصبح مجرد مادة إعلامية عادية ، لاتثير السخرية .

إن استعمال المؤلف لهذه التقنية يتميز بالأصالة ، ويكشف عن حرية داخلية ، يمتاز بها الفنان الموهوب .

علاقات جديدة بين المفردات

ربما كان أهم هذه التقنيات وأكثرها كشفا لموهبة المؤلف هي تلك التي يستعملها في إقامة العلاقات بين المفردات التي تشكل المشهد . إن تلك المفردات غير محالة إلى بناء ذهني ـ إلا كإطار عام ـ أو إلى الحبكة الروائية ، بل إلى ردود الفعل التلقائية . إن هذا يمنح الرواية جدة مطردة .

يقول الراوي في وصفه امرأة عجوز ، كانت تحاول أن تعبر الجسر الذي دمرته الطائرات الاسرائيلية » ، إلى الضفة الأخرى من النهر :

« ورغم أنني سمعت دائما من يتحدث عن صفرة الوجوه الخائفة ، فلم يحدث أن رأيت وجها صغيرا كهذا مصمرا تماما كقشرة ليمونة دون رواء القشرة » .

إن المؤلف يقيم علاقة بين الذاكرة والواقعة العيانية : صفرة الوجه الخائف كصورة رسخت في الذاكرة ، وهذا الوجه الأصفر الصغير . إن هذه العلاقة بين المعطيين وظيفة استمولوجية (معرفية) محددة ، فالمسلمات القائمة في وعينا (ولا وعينا) تحال إلى مضمونها الواقعي ، ليتم نفيها أو تأكيدها .

إن قاصا مثل يوسف ادريس ، مثلا ، يسعى إلى تحطيم قبلياتنا ، أي أفكارنا الثابتة عن العالم . فصورة السفاح الرهيب في خيال الطفل تنهار عند رؤيته . كان ضئيل الحجم كما تعني صورته مزيدا من الانهيار عندما يراه ينتحب ، لأن زوجته تخونه (هذا في رواية الغريب)

وهذه وظيفة استمولوجية ، (معرفية) لأنها تقودنا إلى جوهر المعرفة ، إذ هي ليست مجرد معلومات يحشى بها الدماغ ، بل اقتراب تدريجي مستمر نحو الحقيقة . يتم ذلك من خلال تحطيم أطر معرفية قديمة ، سلحت عن معطياتها الواقعية ، وأصبحت مجرد أشكال فارغة ، واستبدالها بأطر جديدة ، انبثقت من الواقع توا .

وبكلمة أخرى : إن المعرفة عملية متصلة مستمرة إلى مالانهاية ، تقوم على تحطيم القديم وبناء الجديد .

هكذا يصبح السؤال المطروح : هل الأدب يعبر عن التجربة كما عشناها ؟ أو هل تتم مصادرتها خضوعا للطقوس الاجتماعية ؟

إن تهمة قتل البدوي تجد رافدا لها في ملاحظات مدير مأوى العجزة حول سلوك « ميرسو » خلال جنازة أمه :

« وردا على سؤال آخر ، قال : إنه فوجيء بهدوئي ، يوم دفن والدتي ، ولقد سئل عما يعنيه بقوله (هدوء) ، فنظر المدير إلى حذائه ،

وقال : إنني لم أبد الرغبة في مشاهدة أمي ، ولم أبك مرة واحدة عليها ، وأنني ذهبت فورا ، إثر دفنها دون أن أنحني بكل حواسي فوق قبرها .

وقال : إن شيئا آخر فاجأه أيضا : فقد ذكر له أحد مستخدمي الجنّاز بأنني كنت أجهل كم تبلغ أمي من العمر » .

وتبلغ هذه الاتهامات حدا جعل المحامي يتساءل : « أخيرا ، نريد أن نعرف ما إذا كانت التهمة الموجهة إلى موكلي هي دفن أمه ، أم لأنه قتل رجلا ؟ » ، فيصر المدعي العام : « نعم ، إنني أتهم هذا الرجل بأنه دفن أمًّا ، بقلب مجرم » .

فما خطيئة « ميرسو » الحقيقية ؟

إنه وقد فقد القدرة على فهم المنظور ، أو بعد المسلمات الاجتماعية قد خضع تماما لتداعياته التلقائية ، وأصبح سلوكه نتاج رؤية ، يظهر فيها العالم وقد اتسم ببعدين . وهكذا نستطيع القول بأن خطيئة « ميرسو » الكبرى التي تم تضخيمها إلى الحد الأقصى هي أنه لم يخضع تداعياته للمواضعة الاجتماعية .

عند تيسير ، في هذه الرواية ، لاتقيم تداعيات الراوي اعتبارا للمواضعة الاجتماعية ، ولا للمنطق الاجتماعي الذي نطلق عليه صفة الحس السليم .

دعونا نقرأ هذه المقاطع من الرواية :

« ولاحظ عربي أن الخادمة التي يحشرونها تنام معه في الغرفة . . كانت غائبة عن حسه لفترة . ثم عراها ، واكتشف أن جسدها الداخلي نظيف جدا ، فجاس خلاله بلذة ، وينتش حين يرى أن وجهها ، بعد أن تضع ملابسها ، وسخ جدا . . .

« ولأن الخادمة ظلت وسخة الوجه ، أحب من بعيد صبية سمراء ، تغدو لمدرستها كل صباح في الميعاد نفسه » .

هنا نجد الانطباعات الأولى للراوي قد حددها منطق تداعياته الخاص . إنها تحيلنا إلى تداعياتنا نحن ، لايحكمها منطق المسلمات والطقوس ؛ أي عندما نكون أحرارا . وبهذا المعنى نستطيع أن نقول : إن الأدب الجيد يحررنا . كيف ؟ سنشرح ذلك بعد قليل .

والآن : هل نستطيع أن نضع هذه الملاحظات المتفرقة في سياق مفهوم منسجم ؟ سنحاول ذلك .

علاقة الوظيفة بالجمال

نتبين أهمية هذه التقنيات التي تحدثنا عنها عندما نقيم رباطا بينها وبين مسألتين : وظيفة الأدب وجماليته .

إحدى وظائف الأدب ، وأخطرها ، أنه يجعلنا نعيش تجارب حياتنا اليومية مرة أخرى ، ولكن برؤية وفهم مختلفين . إن تجاربنا اليومية مستلبة ، لأنها محالة دوما إلى إطار مرجعي متكلس ، قد فقد مضمونه الواقعي ، وأصبح شكلا فارغا ، أعني بالإطار المسلمات الاجتماعية . يكفي أن نطرح على المواضعة الاجتماعية سؤالا منطقيا واحدا ، حتى يتكشف لنا فراغ هذا الشكل الميت . إن لهذا الشكل ، بالطبع ، مضمونه ، ولكنه أولا ليس ما يدعيه ، وثانيا أن مضمونه الأساس مضمون قمعي .

مثال ذلك أننا نوافق أن تعمل الفتاة موظفة ، وقد يكون عمليا أن تجلس في حجرة واحدة مغلقة مع زميل ، لايدخلها أحد إلا بإذن ، ذلك مقبول تماما . ولكن حين يدعوها هذا الزميل إلى شرب فنجان قهوة في مكان عام ، فإن موافقتها تصبح فضيحة . هذا هو منطق المواضعة الاجتماعية : الخلوة مع رجل ست ساعات يوميا أمر مقبول ، والجلوس في مكان عام أمام مئات الأعين شيء مستنكر .

المضمون الحقيقي

وراء ذلك استعباد المرأة ، وعدها وسيلة إنتاج بلا حقوق ، فخلوتها مع الرجل تأتي بالمال ،

وجلوسها في مقهى يحقق العكس ، ويعطيها حق الـراحة والمتعـة . وهذا أمـر غـير مقبـول . إن المسلمة الاجتماعيـة بتصلبها وعنجهيتهـا تخفي مضمـونها الـوحشي بغـلاف من شـرف المـرأة وسمعتها .

وهكذا تصبح ردود أفعالنا وأفكارنا وانفعالاتنا مقننة . إننا نلغي أبعادها ، ونقتصـر على ردود الفعل التي حددتها القيم السائدة . أما الكيفية التي يتم بها ذلك فتنقلنا إلى البحث في آلية الجهاز العصبي لـلإنسـان . وهـذا البحث يحتـاج إلى متخصص . يكفي أن نقول : إن التداعي الحر للأحداث والأفكار يتوقف ، أو ينحرف ، نتيجة لكوابح في الجهـاز العصبي ، مصدرهـا القمع الاجتماعي ، بكل أشكاله .

من هنا تبرز الوظيفة الخطيرة للأدب الجيد . إنه يقدم لنا تجاربنا الخاليـة من الحياة والمعنى ، ليشحنها بطاقة معرفية هائلة . فعنـدما نقـرأ في رواية : (أنت منذ اليوم) أن الراوي زهـد في جسـد الخـادمـة ، لأن وجههـا يكشف عن وساخته ، عندما ترتدي ملابسها ، فإن الرواية تجردنا من مسلمة طبقية ، وتكشف لنا رغباتنـا الحقيقية . كذلك فإن العقل الطقسي يقبل خطبة المذيع الحمقاء : لاتحزنوا ، ،ماحقق لكم وحدة صحيحـة . ولكن بمجـرد أن نصيغهـا بصيغـة خطاب غير مّباشر يكتشف العقـل الخامـل أنه خدع . لأن المؤلف قد غـير الصياغة النمطيـة للخطاب . فلم نعد ـ في خطبة المذيع ـ مضمرين كمستمعين ، بل أصبحنا نقادا .

هذا عن علاقة هذه التقنيات بوظيفة الأدب التي حددناها بقولنا : إنها وظيفة معرفية ، فماذا عن علاقتها بالمعطى الجمالي ؟

الفصـل بين وظيفـة الأدب وجماليتـه فصـل تعسفي ، فالوظيفـة جزء من جمـاليته ، ولكننـا نستعمل هذا الفصل للإيضاح . الجمالي يعني : الكفاءة التي ينقل بها الأديب تجربته إلى المتلقي ، إضافة إلى الوظيفة .

واستعمال التقنيات التي ذكرناهـا كان بهـذا المعنى جميلا . إنها تجدد التجربة اليومية ، فتثـير خيـال المتلقي ووعيه لتجـربتـه الخـاصـة . إنها تعرض الوجوه الجديدة للحدث ، فتوقظ جهازا عصبيا تعود التكرار ، وبالتـالي تعود عـلى تلقي وقائع الحياة وهو نصف نائم . ولكنه يستيقظ أمام الجدة . وبكلمة أخرى ، فإن جمالية هذه الرواية تكمن في جـدتها ، في كشفهـا واقعـا نعيشـه ، ولكننا لا نعرفـه . إن هذه الجـدة على الأخص تجعل القاريء مبدعا . □

الحقيقــة



الحقيقة هي أن نكون مع الذين يتألمون .
وهي أن نبكي مع الذين يتحبون .
وأن نجد فرحنا في تخفيف الألم .
وفي الامتناع عن الغناء والضحك حين يبكي الآخرون .
وأن نفتح أعيننا على بؤس البائسين ، فنعمل لتخفيفه بإخلاص ، بدلا من أن نغسل منه أيدينا .

الحقيقة ليست الفن ولا الموسيقا ولا الأبهة ولا روح النكتـة ولا القهقهات ولا الفرح الذي يدفع الآخرون ثمنـه عرقـا ، إنها عناء غيرنا ، حين نشترك فيه ، إنها دمعة نمسحها وبسمة نبعثها ، وطفل نساعده على الحياة ، وشيخ نواسيه .



الجديد في العلم والطب

إعداد : يوسف زعبلاوي



● سرطان البروستاتة هو السرطان الأكثر انتشارا بين الأمريكيين ، الرجال منهم دون النساء ، فهو يصيب عشرهم بالتقريب ، وبالتحديد ،واحداً من كل (١١) رجلا أمريكيا إن عاجلا أو آجلا ، ويموت من هؤلاء المصابين مالايقل عن ٢٨٫٠٠٠ رجل سنويا ، ولايعرف السبب ، وهو غير آفة التهاب البروستاتة أو تضخمها . لكن المعروف أن احتمالات الإصابة تزداد مع تقدم العمر ، وقد درج الأطباء على معالجة سرطان البروستاتة بإحدى طرق ثلاث :

١ ـ عالجوه بالجراحة ، لكن عملية سرطان البروستاتة خطيرة ، وقد تسبب مضاعفات عديدة ، كالعقم وفقدان الكفاءة الجنسية فقدانا تاما ، وقد تشمل مضاعفات في التبول والتبرز .

٢ ـ وعالجوه أيضا بالأشعة التي تسلط من الخارج تباعا مدة ٣٥ يوماً ، والتي قد تكون لها آثار جانبية ، وهي آثار بالغة الخطورة .

٣ ـ وعالجوه كذلك بزراعة في الورم السرطاني على الأخص بإحدى المواد المشعة ، وغالبا ما كانوا يفضلون اليود لهذا الغرض ، ولكن الاعتراض على هذه الطريقة هو البطء الشديد النسبي الذي تتم به المعالجة .

ولما كان هذا الاعتراض لايمس الفاعلية العلاجية للمواد المشعة ، وإنما البطء الذي تؤثر فيه إحدى تلك المواد ـ مادة اليود بالتحديد ـ ومعنى هذا أنه لو أمكن العثور على مادة مشعة أخرى ، غير اليود ، تستطيع معالجة سرطان البروستاتة بأسرع مما تفعل هذه المادة ، لكان في ذلك حل للمشكلة ، وجاء يوم ـ قبل نحو سنتين ـ بدأ فيه الأطباء استعمال مادة مشعة أخرى ، هي البلاديوم ، وهو معدن يشبه البلاتين ، وراحوا يزرعون بذور البلاديوم في سرطان البروستاتة مباشرة ، وقد أثبتت التجارب أن باستطاعة بذور البلاديوم هذه تحطيم خلايا السرطان بأسرع مما يستطيع اليود ، بربع المدة تقريبا ، إذ يبلغ البلاديوم نصف حياته في ١٧ يوما ، ولايبلغها اليود إلا في ستين يوما .



أضف إلى ذلك أن البلاديوم لايحتاج إلى تخدير موضعي ، ولايوجب بقاء المريض في المستشفى ، ولايتسبب بمثل المضاعفات (التبول والتبرز)

التي قد تسببها الطريقتان الأخريان السالفتا الذكر ، ويؤكد الأطباء الذين مضوا مؤخرا في زرع بذور البلاديوم الجديدة (رقم ١٠٣ كما اصطلحوا على تسميتها) ، أن المرضى يستطيعون الوقوف والمشي على أرجلهم في غضون أيام قليلة من عملية الزرع ،وفي ذلك يقول الدكتور هارولد ماكدونلد ، أخصائي المسالك البولية ، وأحد مؤسسي مركز جورجيا للبروستاتة في مدينة أتلانتا :

« لاريب أن البلاديوم هو أفضل الخيارات وألطفها بالنسبة للمريض ، ولكن حسنات البلاديوم لاتقف عند اللطف ، فهو ذو أثر علاجي فعال ، يضاهي أثر الجراحة ، ويضمن التخلص من سرطان البروستاتة بسرعة ، ودون آثار جانبية تذكر . ويضيف الدكتور ماكدونلد إلى ذلك قوله بأنه يزرع في المريض الواحد حوالي (٦٠) بذرة بلاديوم بالمتوسط ، يغرسها في البروستاتة بواسطة إبر رفيعة ومثبتة على قالب خاص بها ، ومتصلة بمدس أو مسبار (فوق سمعي) ، وتبث البذور إشعاعها في البروستاتة من الداخل ، دون أن تعرض للخطر أيا من الأعضاء أو الأنسجة القريبة من الورم أو المحيطة به ، ويأتي يوم بعد ذلك تخمد فيه البذور وتتوقف عن الإشعاع ، ولكنها تبقى حيث هي ولاحاجة لاستئصالها فهي ليست ضارة ».

ويوجد في الولايات المتحدة حاليا ١٥ مركزا تعالج سرطان البروستاتة بالبلاديوم ١٠٣ .

□□□

طريقة أجدى للتلقيح خارج الرحم



● يقول العلماء والباحثون في هولندة : إنهم عثروا على طريقة تضمن مضاعفة فرص النجاة في التلقيح خارج الرحم ، بإعطاء المرأة الهرمونات المعروفة ، لكن وفق « تقنية » جديدة ، وتقتضي إعطاء المرأة الهرمونات الضرورية للمبايض في أوقات متقاربة على مدى ١٤ يوما ، قبل انتزاع البويضات من جسمها لكي يجري تلقيحها خارجه ، وقد درج الأطباء في الماضي على حقن المرأة بتلك الهرمونات (بقصد تنشيط المبايض أو إثارتها) مرة في اليوم مدة أسبوعين .

يقول الدكتور فردريك براك في ذلك : « لكننا نعطي المرأة تلك الهرمونات ، ولا نعطيها حقنا في العضل ، كما جرت العادة سابقا ، نعطيها دفعا بواسطة مضخة متصلة بأنبوب يزرع في الذراع ، وتثبت المضخة على الخاصرة ، ويجري الضغط عليها مرة كل تسعين دقيقة ، وحسبك أن (٢٠) امرأة من أربعين إمرأة شملتهن التجربة الأولى قد حملن بالتقنية الهولندية الحديثة . □



سلامة البشرية في سلامة البيئة

قارة القطب الجنوبي بيئتها معرضة للخطر

لعل القارة القطبية الجنوبية والحاجة الملّحة إلى حمايتها من المخاطر التي تتهددها ، هي القضية البيئية الرئسية التي مازالت منذ شهور الصيف الماضي (١٩٨٩) تشد كل الدول إلى عقد المؤتمرات،ومناقشة الإجراءات والاتفاقيات الكفيلة بالحفاظ على سلامة البيئة في تلك القارة .

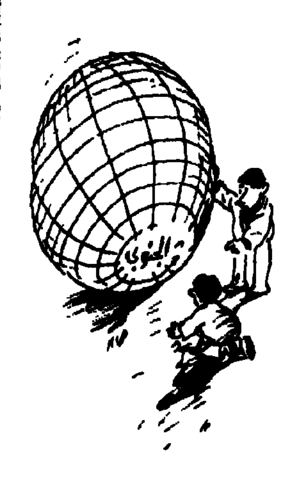
فقد شهدت العاصمة الفرنسية آخر تلك المؤتمرات ، وهو المؤتمر الذي عقد في أواسط شهر اكتوبر (١٩٨٩) ، والذي حضرته الدول التسع والثلاثون التي وقعت على معاهدة القطب الجنوبي الشهيرة سنة ١٩٥٩ ، وقد حضر المؤتمر رجال دولة بارزون مثل المسيو دوشار ، رئيس الحكومة الفرنسية ، وحضره علماء متميزون كعالم البحار الفرنسي جاك ايفز كوستو . ودارت أبحاث المؤتمر ومناقشاته حول : هل يسمح بالتنقيب عن المعادن في القارة القطبية الجنوبية ؟ وهل يسمح باستخراجها أو يحظر هذا وذاك حظراً تاما ، أو يسمح بهما شريطة الخضوع لنظم وقواعد صارمة يتفق عليها وفقا لمقتضيات سلامة البيئة ؟

وسبق مؤتمر باريس هذا اجتماع آخر ، شهدته ولنجتون ، عاصمة نيوزيلندة ، في شهر يونيو (١٩٨٩) ، وحضره أكثر الدول الموقعة على معاهدة سنة ١٩٥٩ ، وبالتحديد حضرته ٣٣ دولة من مجموع ٣٩ ، وقد انتهى اجتماع ولنجتون هذا إلى الاتفاق مبدئيا على السماح بالتعدين في القارة القطبية الجنوبية ، على أن تتعاون الدول المعنية على وضع الأنظمة والقواعد المناسبة السالفة الذكر ، بما يضمن التحكم بشتى أعمال التعدين من جهة ، ويكفل حماية البيئة من جهة أخرى .

ولم يكد يمضي على اتفاق ولنجتون المبدئي شهران حتى تراجعت عنه دولتان من الدول الموقعة عليه هما فرنسا واستراليا ، فأدى تراجعهما الى التهديد بانهيار الاتفاق المذكور ، أما الباعث على تراجعهما فلم يكن سوى رقّة أو شفافيّة البيئة في القارة القطبية الجنوبية .

ولعل موقف فرنسا واستراليا هذا متأثر بوجهة نظر عالم البحار المعروف كوستو ، فالقارة القطبية الجنوبية ، كما يقول العالم الفرنسي ، ذات بيئة هشة ، ولابد من الإبقاء عليها برية طهورة .

ذلك أن الصقيع والجليد المتراكم في هذه القارة يلعب دورا حيويا جدا في تكييف المناخ العالمي ككل ، فهي أشبه بالمختبر الكبير الفريد الذي يسمح



بإجراء الأبحاث الميدانية لظواهر بيئية خطيرة كظاهرة التآكل التي بدأت تحل بطبقة الأوزون وظاهرة البيت الزجاجي .



أما هشاشة البيئة في القارة القطبية ، فقد تجلت بوضوح في شهر يناير (١٩٨٩) ، حين غرقت سفينة التموين (باهيا برايزو) التابعة للبحرية الارجنتينية ، فأدى غرقها إلى ظهور بقعة زيت الديزل على سطح المياه الجليدية القريبة من شبه جزيرة انتارتيكا ، فكان التلوث المزمن المستعصي ، وقد التصقت البقعة بحواف الغطاء الجليدي الذي يغطي المنطقة ، وكان التلف البالغ الذي حل بالمنظومات البيئية في القارة القطبية .

لاغرابة إذن ان دعت فرنسا واستراليا ودول أخرى غيرهما إلى إعادة النظر في اتفاقية ولنجتون ، على الرغم من العقبات الكبيرة التي تعترض ذلك السبيل . وحسبك أن تلك الاتفاقية قد استغرقت مالا يقل عن ست سنوات حافلة بالاجتماعات والمناقشات ، قبل التوصل إلى الاتفاق على أحكامها ونصوصها ، على الرغم من أنه اتفاق مبدئي .

ولاندري ماالذي ستتمخض عنه الشهور القليلة القادمة ، وهل سيسمح بالتعدين في القارة القطبية الجنوبية ، أو تجمع الدول على حظره ، ومن طريف مايذكر أن الثروات المعدنية التي كثر الحديث عن وجودها في تلك القارة مازالت في عالم الغيب ، فالعلماء ليسوا على يقين من وجودها بكميات تجارية في أرض نائية وخافية تحت غطاء جليدي يبلغ سمكه ٣ أميال في بعض الأحيان .

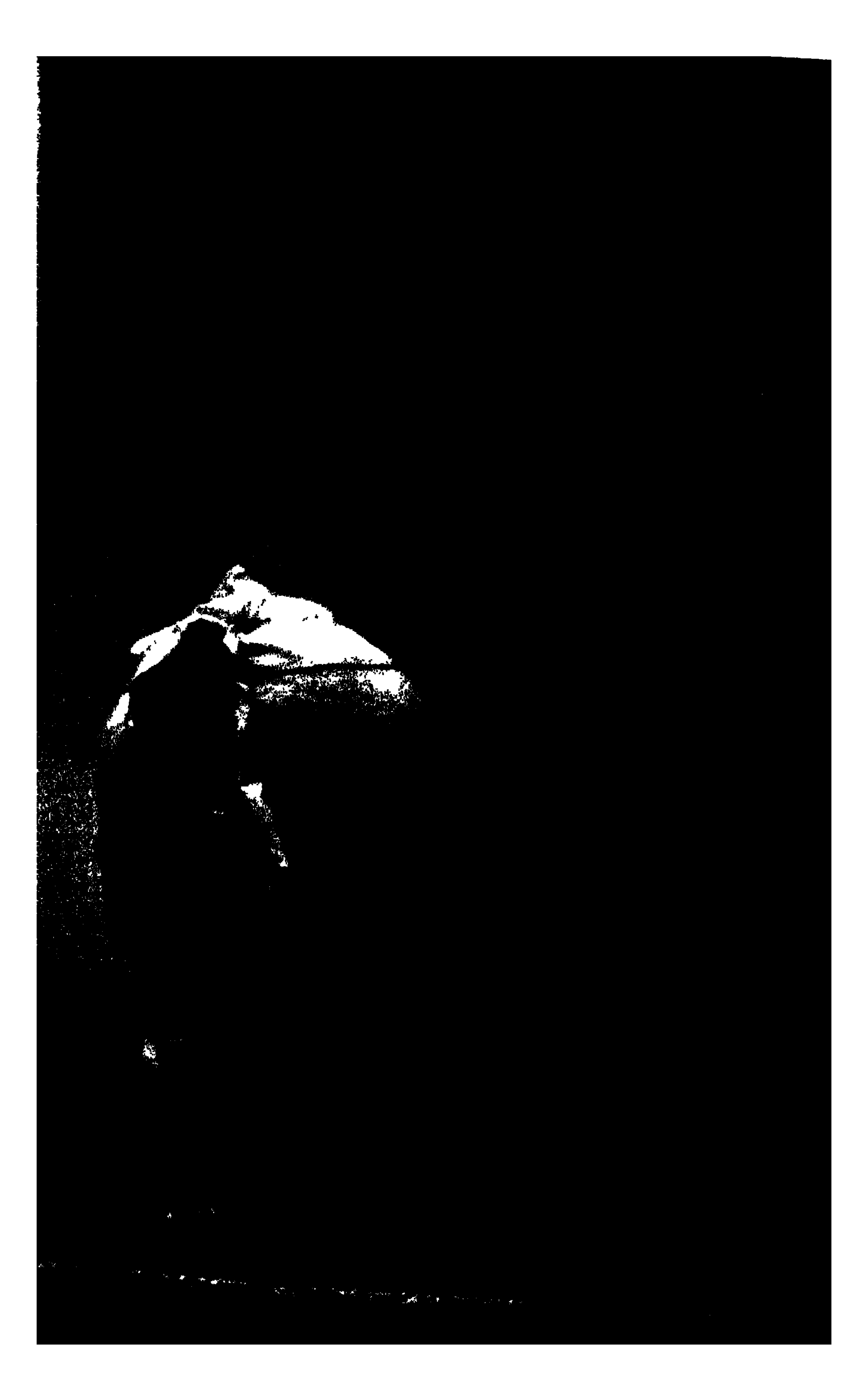
□□□

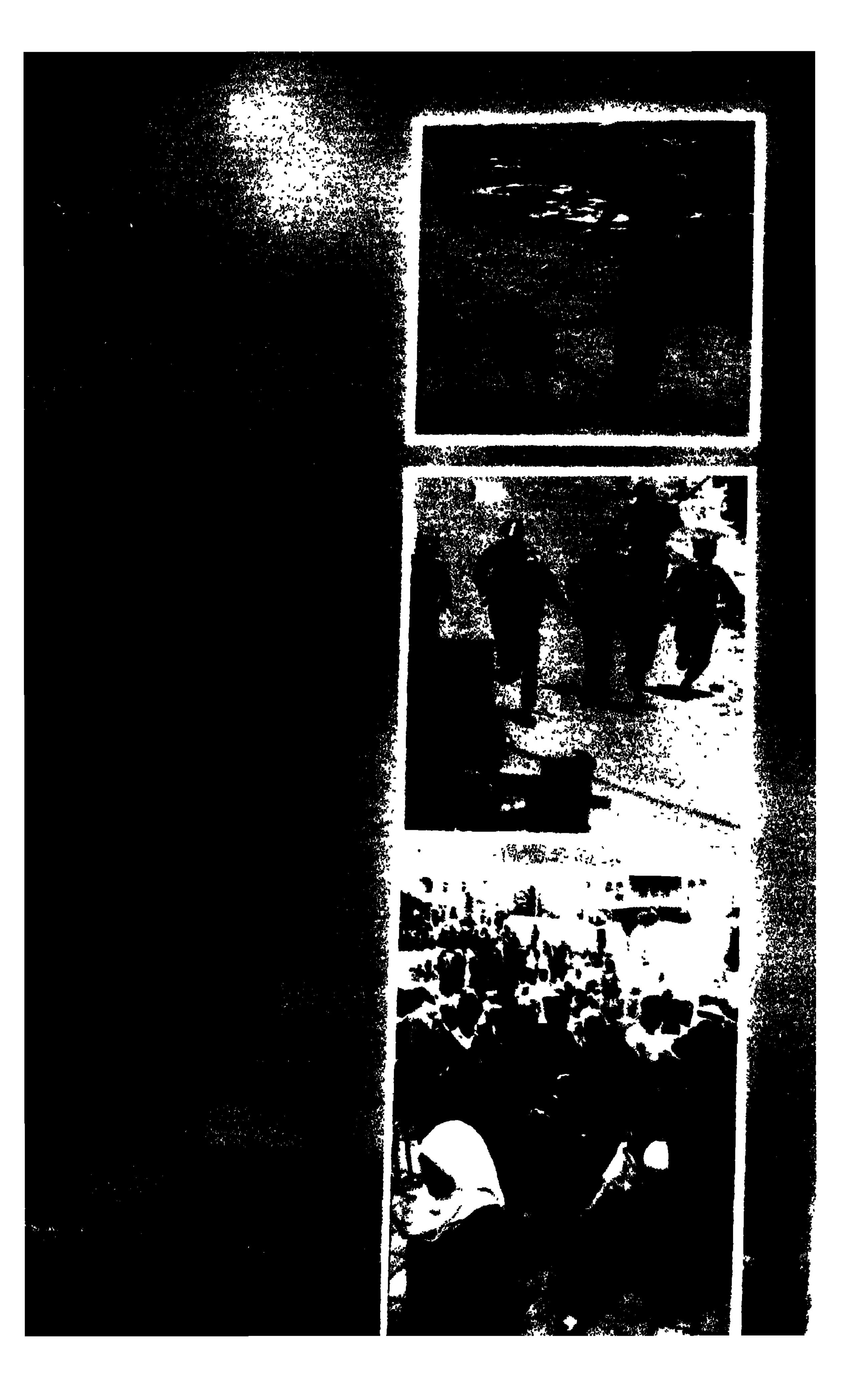
مرض الايدز وعلاقته بنقص طبقة الأوزون

● تآكل طبقة الاوزون ، الحزام الواقي ، كما هو معروف ، يعرض الإنسان لأكثر من علة ، فقد اكتشف الباحثون مؤخرا أن بعض مايسببه ضعف المناعة ضد الأمراض المعدية ، وقد يتسبب بالإصابة بمرض الجذام ، وببعض الأفات التي يعاني منها مرضى الايدز .

جاء ذلك في دراسة نشرتها مجلة المناعة في شهر نوفمبر ١٩٨٩ ، وقد أجرى تلك الدراسة علماء من جامعة تكساس ، بإشراف مارجريت كرايب ، رئيسة قسم المناعة في الجامعة المذكورة .

ويعلل العلماء ذلك بالتأكيد على أن الأشعة فوق البنفسجية تتلف إلى حد كبير ، قدرة خلايا المناعة على محاربة البكتريا المرضية ، وقد أثبتت الدراسة السالفة الذكر ذلك بالتجارب العديدة التي أجريت على الفئران ، وبينت أن جرعة من الأشعة المذكورة،جرعة قليلة ولا تكاد تفي بأغراض الحمام الشمسي كفيلة بكبح جهاز المناعة بالفئران،والنيل من قدراتها على محاربة المايكوبكتريا بنسبة لاتقل عن ٥٠٪ . □





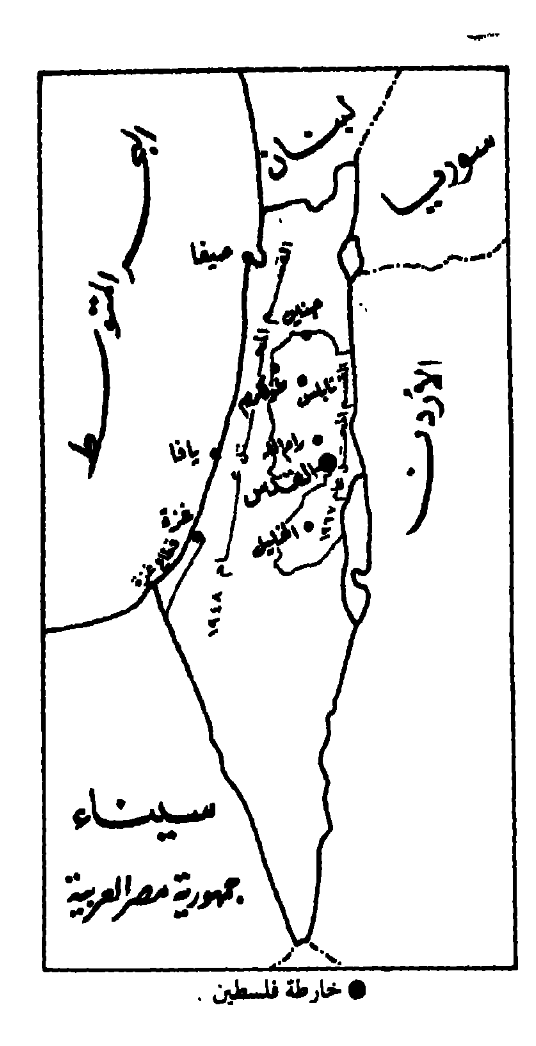
قبل أن يمر عامان على بدء انتفاضة الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة اعترف وزير الحرب « الاسرائيلي » اسحق رابين ، أنه تعرض للاعتقال ٤٠ ألف فلسطيني ، وأصيب ١٥ ألفا بجراح ، واستشهد ٥٠٠ مواطن ، منهم ١٢٠ طفلا دون الخامسة عشر من أعمارهم ، واعترف في مؤتمر صحفي ، عقده في منتصف شهر / اكتوبر / تشرين أول الماضي أن الانتفاضة ثورة شعبية مشكلة بنواة صلبة ، مكونة من ٨ آلاف مواطن ، بتأييد من جمهور واسع .

وأكد هذه التصريحات امنون ستراشنوف ، المدعي العام العسكري الذي أضاف بأن آلاف الملفات الأمنية لم تغلق أمام المحاكم العسكرية ، وبرر إطلاق النار على الملثمين بأن « اسرائيل » تعيش حالة حرب مع مواطني الأراضي المحتلة .

هذه الاعترافات العلنية من أعلى السلطات العسكرية في « اسرائيل » تعكس مدى العنف الذي يمارسه الجيش « الاسرائيلي » ضد المواطنين العزل ، ومدى المقاومة الصلبة التي يتحلى بها الشارع الوطني الفلسطيني . فكيف بدأت المصادمات الأولى ؟ وكيف تطور أسلوب العنف العسكري في مواجهة المقاومة ؟ وكيف أمكن تحقيق كل هذا الثبات الشعبي والوطني ؟

جباليا الشرارة الأولى

سجلت الأحداث التاريخية اندلاع شرارة الانتفاضة الأولى في مخيم جباليا ، بقطاع غزة ، في التاسع من ديسمبر ـ كانون أول عام ١٩٨٧ ، عندما صدمت شاحنة « اسرائيلية » سيارتين لعمال عرب ، وأوقعت أربعة قتلى وعددا من الجرحى ، وفي أثناء تشييع الجنازات وقعت الصدامات الأولى في المخيم ، وامتد لهيب الانتفاضة مباشرة الى نابلس ، حيث استشهد المواطن ابراهيم العكليك في اليوم الثاني لأحداث غزة . وفي الحادي عشر من ديسمبر ـ كانون أول من العام نفسه (يوم الجمعة) اندلعت مظاهرة



● خارطة فلسطين .

عنيفة ، بعد الظهر ، في مخيم بلاطة ، وأطلق جنود الاحتلال النار بغزارة على المواطنين ، مما أدى إلى استشهاد المواطنة سهيلة صالح الكعبي (٥٧ سنة) ، والفتى علي مساعد (١٤ سنة) ، والشابة سحر الجرمي (٢١ سنة) ، وانتشر الشرر في أرجاء الوطن المحتل ، فاندلعت الانتفاضة ، وتعاظمت ، واستمرت لتدخل عامها الثالث .

وسجلت الأشهر الأولى فيها عددا لا يستهان به من القتلى وآلاف الإصابات ، وكانت سياسة الاحتلال تقوم على الضرب بعنف قوي لإخماد الانتفاضة ، لكن الرد الشعبي أخذ يتصاعد ضد إجراءات القمع ، وانتظمت المسيرة في الشهر الأول عندما تشكلت القيادة الوطنية الموحدة



● أطفال فلسطين خلف الأسلاك

وفي الأراضي المحتلة الآن أربع لجان طوعية ، تقدم خدماتها الصحية للمواطنين . وقد لعبت دورا متميزا في الانتفاضة ، فتمكنت من علاج كثير من حالات الإصابة ، وأوصلت المصابين في وضع لا بأس به إلى المستشفيات لاستكمال العلاج ، واللجان الأربع هي : لجان الاغاثة الطبية ، ولجان الخدمات الصحية ، ولجان الرعاية الصحية ، واللجان الشعبية للخدمات . وهذه اللجان امتداد للقوى السياسية الفاعلة في الأراضي المحتلة .

التقينا عددا من الأطباء المشرفين على اللجان الشعبية للخدمات الصحية في المقر المركزي لمدينة القدس ، وتحدثوا عن فكرة تشكيل اللجان ، وخدماتها الصحية ، ومدى انتشار مراكزها الصحية ، في ظل ظروف الانتفاضة الشعبية .

الدكتور يوسف ، طبيب عام ، ومتخرج حديثا ، يقول : تشكلت اللجان الشعبية للخدمات الصحية في منتصف عام ١٩٨٥ ، على أسس طوعية ، ووضعت لنفسها برامج صحية سنوية ، ضمن ظروف وإمكانيات ذاتية محدودة جدا ، آملة في تطويرها وإنضاجها ، إلى درجة تصبح فيها قادرة على تغطية جزء من المناطق المحرومة صحيا ، أو تنقصها الخدمات الصحية بشكل ملحوظ . ومن الأسباب المباشرة التي دفعت لتشكيل اللجان الشعبية قلة عدد المؤسسات الصحية في بلادنا ، وانعدام الخدمات في الأرياف والمناطق النائية ، وانخفاض مستوى الوعي الصحي لدى جماهير



● أم تعتني بابنها المصاب

الاكتظاظ الهائل في غرف المستشفى ، على الرغم من أنه يعمل بكل طاقته . والتقينا عددا من الجرحى ، كان من بينهم شاب في العشرين من عمره ، أصيب بجراح في يده ، وتعرض لضرب مبرح من قبل الجنود . يقول الشاب جهاد : أصبت في مخيم مجاور لمدينة نابلس ، وحاولت الفرار ، إلا أن الجنود ألقوا القبض علي ، وتعرضت لضرب مبرح ، ونقلني الجنود إلى إطار مشتعل ، وقاموا بوضع رأسي في وسط النار ، فترة زمنية ، شعرت فيها بسكرات الموت ، ونقلت إلى مستشفى الاتحاد مهشم الأنف ، محروق الوجه ، حيث أجريت عدة عمليات جراحية لأنفي من أجل وقف النزيف .

هذه حالة من بين آلاف الحالات التي تصل إلى المستشفيات والمراكز الصحية في الأراضي المحتلة ، وهي تشرف على الموت وتصارع الحياة ، فمرة تنتصر الحياة ويعيش المصاب ، ومرة تنتصر الإصابة ويسقط المصاب .

وفي أواخر اكتوبر تشرين أول لعام ١٩٨٩ اقتحمت قوة من جيش الاحتلال « الاسرائيلي » ستة مراكز صحية ، تابعة لوكالة الغوث الدولية ، في قطاع غزة والضفة الغربية ، وقامت بالتحقيق مع العاملين فيها ، بحجة تقديمهم خدمات صحية للقوى الضاربة ، وهددت سلطات الاحتلال بإغلاقها ، وقد احتجت رئاسة وكالة الغوث الدولية في مقرها الدولي بفيينا على هذه الممارسات ، وعدتها تدخلا في شؤونها ، ولا تملك سلطات الاحتلال صلاحية التحقيق مع الموظفين في العيادات والمراكز الصحية التابعة لوكالة الغوث في أمور ليست أمنية .

اللجان الصحية

في ظل هذه الأوضاع الصحية المتردية نشطت لجان الإغاثة الطوعية من أجل توفير العلاج الطبي الممكن للمواطنين ، وتقديم الإسعافات الأولية اللازمة ، من أجل الحفاظ على حياة المصاب .



● عائلة فلسطينية نسف العدو الصهيوني منزلها

وأبدى الطبيب ارتياحه لمراكز العلاج الطبيعي التي بدأت بالانتشار في رام الله وبيت لحم ، وقال : إن إعادة تأهيل المصابين في الانتفاضة عن طريق العلاج الطبيعي يساعد كثيرا على خلق جو نفسي للمصاب ولذويه ، ويساعد المصاب كذلك على العودة إلى وضعه الطبيعي قدر الإمكان ، ليشارك في بناء وطنه وتحريره .

وفي مستشفى رام الله التقينا الشاب رامي بركات ، ١٦ سنة ، من بلدة عنبتا ، وحدثنا عن إصابته في ساقه اليسرى ، ببلدته المجاورة لمدينة طولكرم ، قال : نقلت فورا إلى مستشفى رفيديا بنابلس ، ومكثت فيه خمسة أيام ، ولم يستطع الطاقم الطبي إنقاذ ساقي ، فتم تحويلي إلى مستشفى رام الله ، وأجرى الأطباء عددا من العمليات ، إلا أنهم فشلوا في إنقاذ ساقي ، حيث أصيبت بالغرغرينة ، وتم بترها . ويقول والده : إن سبب ذلك يعود إلى الإهمال الطبي من جانب ، وعدم توافر الأجهزة الحديثة من جانب آخر .

ونتيجة لتزايد إصابات الرأس بالرصاص اضطر الجهاز العلمي الطبي في مستشفى المقاصد الخيرية الإسلامية في القدس إلى تصنيع جهاز متخصص لالتقاط الرصاص من الرأس . ويذكر أحد الأطباء المشرفين أنه تم تسجيل الجهاز دوليا لصالح المستشفى ، وتم تطويره بناء على تزايد عدد الإصابات في الرأس ، وقدم جدولا إحصائيا لهذا النوع من الإصابات .

وبلغ عدد الإصابات التي سجلت رسميا ، حسب كلام وزير الدفاع « الاسرائيلي » ، حوالي ١٥ ألف إصابة ، منذ اندلاع الانتفاضة ، ويؤكد أحد الأطباء في منطقة الوسط في الأراضي العربية المحتلة ، أن ثلث مجموع الإصابات يعالج بمبادرات طوعية في العيادات الخارجية ، أو على أيدي أطباء في الأرياف ، ولا يتم تسجيلها . ومن المعتقد أن الرقم الحقيقي للإصابات يصل إلى ضعف الرقم الذي أشار إليه وزير حرب « اسرائيل » اسحق رابين .

وفي مستشفى الاتحاد بمدينة نابلس يلاحظ



● مسيرة القدس العالمية (١٩٩٠ عام السلام) .

ونجحت عملية تعويض الطلبة بصورة غير متوقعة ، على الرغم من ملاحقات السلطة للطلبة والمعلمين ، ومحاولات تقييد حركتهم ، وأحيانا مداهمة مراكز التعليم ، واعتقال الأساتذة والطلبة ، وكل هذه الإجراءات لم تستطع أن توقف استمرار العملية « الأكاديمية » في جامعات : النجاح بنابلس ، وبيرزيت ، وبيت لحم ، والخليل ، وكليات جامعة القدس ، والجامعة الإسلامية في غزة .

الانتفاضة أم الاختراع

يقول أحد الأطباء من مدينة رام الله : إن الانتفاضة خلقت حالة أو شكلا من أشكال الحرب ، وعلى المؤسسات الصحية أن تعمل على تغيير الوحدات الصحية ، حسب حالة الحرب القائمة ، بمعنى أنه إذا كان هناك تخطيط لإقامة مستشفى ولادة أو مستشفى متخصص في القلب فلابد من تغيير هذا التخطيط والعمل على إنشاء وحدات (بولي ـ اكلينيكية) ، وتوسيع دائرة انتشارها في الأرياف ، شرط أن تكون مجهزة بغرفة طوارىء وأشعة ومختبر وجهاز تخطيط ، ولديها سيارة إسعاف لنقل الحالات الطارئة ، من أجل القدرة على إنقاذ حياة المصابين بالرصاص ووقف النزيف . ويقول الطبيب : إنه يذكر حالة مصابة بالرصاص من قرية مجاورة ، نزفت حتى الاستشهاد ، قبل أن تتمكن من وصول مستشفى رام الله . وأضاف : هناك حالات كثيرة جدا فقدت دما بغزارة ، ولم تتمكن الطواقم الصحية من إنقاذها ، لغياب وحدات طبية متكاملة في الريف ، وعدم توافر سيارات الإسعاف المجهزة .

وطالب الطبيب الذي اعتذر عن ذكر اسمه بضرورة أن يكون هناك تنسيق بين جميع الوحدات الصحية المشرفة على الصحة في البلاد ، وطالب أيضا بتنويع الخدمات الطبية ، وتحضير المستشفيات لاستقبال الإصابات ، وتوفير غرفة طوارىء متكاملة،وسيارات إسعاف مجهزة لنقل المصابين في أصعب الظروف ، وأشار إلى ضرورة قيام الجمعيات بمهمة نقل المرضى والمصابين إلى المراكز الصحية .

وأشار الطبيب إلى غلاء تكاليف العلاج في الأراضي المحتلة ، وقال : إن تكلفة ليلة المبيت الواحدة تساوي ١٢٠ دولارا في مستشفى رام الله ، وقال : إن بالإمكان توفير تأمين صحي جماعي للسكان ، من خلال مؤسسة تأمين عربية ، على أن يغطي جزء من تكاليف العلاج من الأموال العربية في الخارج ، ويسهم المواطن في الأرض المحتلة بدفع اشتراك شهري حسب قدرته وإمكانياته ومستوى دخله ، وبهذا الشكل يمكن ضمان علاج جيد للجميع ، واستغلال الأموال التي تصرف بصورة عشوائية لرفع مستوى الخدمات الصحية .

اللجان المتخصصة ، اتضح بصورة لا مثيل لها عداء الاحتلال لهـذا النوع من التعليم ، وبـدأ بملاحقة الطلبة والمدرسين ، وأصـدرت الأوامر العسكرية بهـذا الخصوص ، وأصبح التعليم الشعبي « جريمة » يعاقب عليها القانون ، وتعرض عدد لا بأس به من الطلبة والمدرسين إلى الاعتقال ، وصدرت بحقهم عقوبات بالسجن الفعلي ، وبغرامات مالية . هذا الوضع دفع اللجان المشرفة على التعليم لنقله تحت الأرض ، ليصبح سريا ، فانتشر بسرعة ، لأنه أصبح شكلا من أشكال التحدي للاحتلال . »

وحول إعادة افتتاح المدارس يقول هـذا المدرس : بتقديري أن إعادة افتتاح صفوف المرحلتين الابتدائية والإعدادية يعود لسببين : الأول استمرار الضغط العالمي ، وبخاصة من منظمة اليونسكو الدولية على سلطات الاحتلال ، من أجل افتتاح المدارس ، لأن إغلاقها فترات طويلة يتناقض مع القوانين الدولية ، وثانيا خوف السلطات من ازدياد نفوذ التعليم الشعبي وتعاظم دوره بين الجماهير ، وبالتالي نقل المدارس من قبضة المحتل إلى سلطة الشعب ، وهذا يضع السلطات في مأزق يفقدها السيطرة على أمور التعليم والعملية التربوية . هذا إضافة إلى أن فتح المدارس (شكليا) ، كما هو الحال الآن يعطي الاحتلال فرصا لإغلاق معظمها بشكل فردي كلما ضرب حجر واحد من حائط مدرسة ، وبهذا يتجنب النقد بأنه أغلق كل المدارس . مع أن الحقيقة أن الأكثرية مغلقة .

ويقول (زكي) وهو مدرس من غزة : « على ..غم من الادعاء بأن مدارسنا كانت مفتوحة في ..عام الماضي ، فقد داومنا ٦٢ يوما فقط » .

..ر للأكاديميين

..حول دور الأكاديميين الوطنيين قال الأستاذ ..مر : يقع على كاهل الأكاديميين المتخصصين ..ربية والتعليم دور كبير ومسؤولية عظيمة في



هذا المجال ، فهؤلاء مدعوون إلى المباشرة في وضع مناهج تعليمية فلسطينية وطنية ، بدلا من مهزلة المناهج الرسمية ، لتكون جاهزة عند الحاجة . ومع اندلاع الانتفاضة أعلن عن إغلاق جميع الجامعات والمعاهد العليا إلى إشعار آخر .

وفي بداية الإغلاق واجهت الجامعات مشكلة كبيرة ، تمحورت حول كيفية استمرار التعليم الجامعي ، وتخريج طلبة السنة الأخيرة ، لتوفير إمكانيات استقبال طلبة جدد ، أخذت الهيئات التدريسية على عاتقها مواجهة المشكلة ، وطرحت قضية التعليم المستمر في البيوت ومراكز الشباب ، وبدأت اللجان المتخصصة بالتحضير لاستكمال شروط التعليم ، أو ما يعرف باسم « التعويض » في أوساط محاضري الجامعات ،

والمخيمات الفلسطينية ، استجابة للنداءات الوطنية التي تضمنتها بيانات اللجان الشعبية والقيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة وحركة حماس .

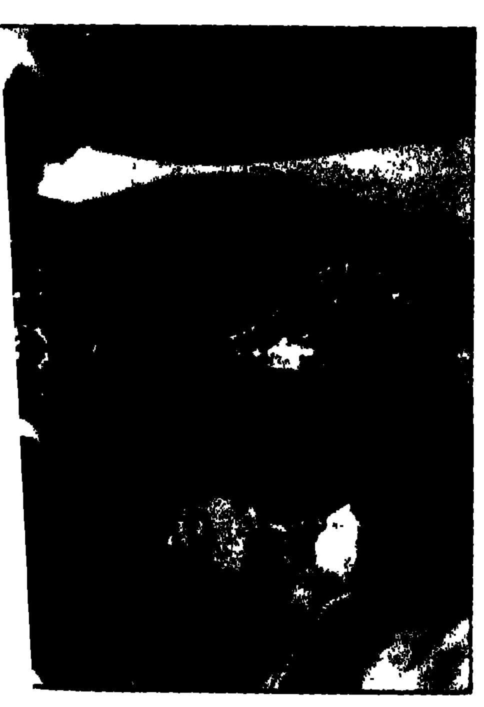
في صيف عام ١٩٨٨ تمكنت لجان التعليم الشعبي من افتتاح عشرات المواقع وغرف الدراسة في البيوت ومراكز الشباب والأندية والمخازن ، في مختلف مدن الضفة الغربية وقطاع غزة ، وقد تمكنت اللجان من اختصار عام دراسي كامل في أربعة شهور متواصلة من التعليم المكثف ، تركز على طلاب المرحلة الابتدائية بشكل واضح جلي ، وعلى مادتي اللغة العربية والرياضيات .

وجرى حديث مع عدد من المدرسين النشطين في مجال التعليم الشعبي بمنطقة رام الله حول نجاحه وبعض ثغراته .

الأستاذ أبو أحمد ، مدرس معروف في رام الله ، كان قد تخرج في السبعينيات في إحدى الجامعات العربية ، لخص تجربته في التعليم الشعبي قائلا : « لابد في البداية من التأكيد على أن التعليم الشعبي لم يكن عشوائيا ، بل كان منظما بدرجة كبيرة ، وكانت هناك خطوات تنسيق متواصلة بين المواقع المختلفة في أحياء المدينة والقرى والمخيمات المحيطة ، وفي كل موقع هناك لجنة محلية ، تخضع للجنة الإشراف على مواقع الأحياء التي تقوم بتنسيق خطوات عملها مع اللجنة التنفيذية في مركز المدينة . هذا الأسلوب المنظم حافظ على تعليم شعبي دائم فترة ليست قصيرة ، وضمن مادة تعليمية متشابهة بمستوى واحد في جميع المواقع ، وتجاوزت اللجان الشعبية المنهاج الرسمي الذي قررته سلطات الاحتلال في المدارس ، وأدخلت عليه تعديلات كبيرة ، تنسجم مع المطالب الوطنية لشعبنا العربي الفلسطيني ، فقد تم تدريس كتاب بعنوان : « تاريخ وجغرافية فلسطين » ، وهو كتاب يدرس في المدارس الفلسطينية التابعة لوكالة الغوث في لبنان ، واستبدلت قصص الخيال في المنهاج الرسمي بالحكايات الوطنية والأشعار الشعبية التي تحمل هوية شعبنا . »

وحول استجابة الأهالي للنداءات الوطنية بالتبرع بغرف في بيوتهم أو محلاتهم ، من أجل تسهيل التعليم الشعبي ، قال الأستاذ رمضان أيوب ، معلم الرياضيات ، وخريج إحدى الجامعات في فلسطين : أبدى المواطنون استجابة عالية لتسهيل كل الظروف ، من أجل ضمان استمرار التعليم الشعبي البديل ، ولم يبخلوا في تقديم غرف بيوتهم كمواقع للتعليم ، أو التبرع بالبيوت الفارغة . وهناك من عرض الجوامع والكنائس لتكون مواقع أخرى ، يتلقى الطلاب فيها علومهم الأساس ، وقد تطوع المئات من الشبان والشابات للقيام بدورهم التعليمي ، وأبدوا قدرا عاليا من المسؤولية ، وحافظوا على تعليم متواصل فترة زمنية معقولة .

قال مدرس ، اعتذر عن ذكر اسمه : « منذ بداية نجاح فكرة التعليم الشعبي ، وتشكيل



● عرس تحت الراية الفلسطينية .



● متظاهرات من جميع أنحاء العالم أتين للتضامن مع الشعب الفلسطيني

تكييف المناهج المدرسية حسب مصلحتها ، فقد أقدمت مباشرة ، وبعد احتلال ما تبقى من أرض فلسطين سنة ١٩٦٧ ، على تغيير الكثير من مواد التربية التي كانت تدرس في العهد الأردني ، وحذفت عددا من موضوعات الجغرافية والتاريخ وقصائد الشعر الوطني ، وكل ما يتعلق بجوانب القضية الفلسطينية ، وحظرت على معلمي المدارس حق الانضمام إلى نقابات تمثلهم ، بل طاردت الناشطين منهم ، وفصلتهم من ظائفهم ، وتعرض الطالب والمدرس معا لعملية ـع منذ بداية الاحتلال ، فالمعلم النشيط وطنيا ـيره الاعتقال والفصل من الوظيفة ، وأحيانا ـاد إلى خارج الوطن ، والطالب الملتزم ـايا شعبه مصيره السجن والطرد من ـسة .

وأقدمت السلطة على إغلاق المدارس والجامعات والمعاهد العليا فترات زمنية طويلة ، واحتجزت عددا كبيرا من الطلاب والمعلمين في مراكز الاعتقال ، وعملت على تخفيض رواتب العاملين في المدارس إلى نصف القيمة ، ووضعتهم في مأزق معيشي بالغ الخطورة ، لدفعهم بالتالي إلى الهجرة خارج فلسطين .

التعليم الشعبي بديل وتحدّ

منذ إغلاق المدارس بدأ تفكير جاد بين مدرسي ومثقفي الحركة الوطنية ، لوضع حلول سريعة ، بشأن قضية التعليم ، وتجاوز عقبة الإغلاق الطويل للمدارس ، وضمان حد معقول من التدريس للطلبة ، فأخذت تتشكل لجان التعليم الشعبي في المدن والأرياف



● توديع شهيد مناسبة لإذكاء الشعور الوطني .

المستشفى عن أخذ حاجتها ، وسد النقص ، بينها المئات من المتبرعين مازالوا ينتظرون دورهم خارج المستشفى .

وسجلت حالات التكافل الاجتماعي في تعزيز مفهوم « العونة » والتعاون الجماعي ، خصوصا في حالات الشدة . فعندما تقوم سلطات الاحتلال بهدم أحد المنازل أو إغلاقه يتسارع الأهالي بالمساعدة في إخراج الأثاث وتوفير السكن الملائم للعائلات المتضررة . وعندما تحرق قطعان المستوطنين أشجارا أو محاصيل زراعية فإن كل الجماهير في ذلك الموقع تهب للمساعدة . وهذا ما حدث عندما منعت السلطات أهالي عدة قرى من قطف المحاصيل الزراعية وبخاصة الزيتون ، كعقاب جماعي ، إذ كان الأهالي من القرى المجاورة يتوجهون إلى الحقول القريبة من أراضيهم ، ويقطفون هذه المحاصيل حتى رفع الحصار . وتتوجه الجماهير لمساعدة أهالي الجرحى والشهداء والمعتقلين في قطف محاصيلهم الزراعية ، أو قضاء بعض الحاجات اليومية لهم ، ومجالات العمل الأخرى . ففي قرية كفر الديك ، في منطقة نابلس ، توجه أكثر من عشرين شابا ، من منطقتي رام الله ونابلس ، لمشاركة أهل أحد المعتقلين في قطف محصول الزيتون ، وهذه بعض من الصور الكثيرة التي سجلتها جماهير الانتفاضة الشعبية الفلسطينية في التكافل والتضامن الاجتماعي .

ملحمة التعليم

تخضع المدارس في مراحلها الابتدائية والإعدادية والثانوية في الأراضي المحتلة مباشرة لسلطة الاحتلال ، من خلال ما يعرف باسم « ضابط التربية في الإدارة المدنية » ، ويشرف هذا المسؤول على « لجنة تربوية » ، تدير عملية التعليم في المدارس .

وطبيعي أن تمارس سلطة الاحتلال دورها ،



● الشرطة « الاسرائيلية » تقمع بوحشية المسيرة العالمية للتضامن مع الشعب الفلسطيني

(قاوم) ، وأصدرت منشورها الأول في الرابع من يناير ـ كانون ثاني عام ١٩٨٨ ، ولعبت دورا في تحديد أيام الإضراب والاحتجاج والتضامن والتظاهر والتصعيد .

وشكلت السلطات العسكرية غرفة عمليات خاصة ، للإشراف على قمع الانتفاضة ، بإدارة عدد من كبار الضباط العسكريين ، وبدأت لجنة العمليات الخاصة بالبحث عن أنجع السبل لوقف الانتفاضة ، واقترح رابين تكسير عظام المواطنين بالهراوات ، وكان نتيجة هذه السياسة استشهاد العديد من المواطنين ، كان من بينهم الشهيد هاني الشامي في غزة ، وإصابة ثلاثة سبان بجراح خطيرة إثر ضربهم بالحجارة على طرافهم في جبال نابلس ، وإصابة آخرين إثر محاولة آثمة لدفنهم أحياء في قريتي سالم قرب نابلس ، وعارورة قرب رام الله ، وتصدى المواطنون لهذه السياسة ، وصمدوا في مواجهتها . وعندما فشلت تراجعت للخلف ، لكنها لم تتوقف .

وطرح « الجنرالات » فكرة توسيع العقوبات الجماعية ، والتهديد بترحيل قرى فلسطينية بأكملها ، أو نسف جميع منازلها في حالة إثبات علاقة بعض شبانها بالانتفاضة ، ولقيت الفكرة استحسانا عند بعض العسكريين الذين قاموا بنسف ١٤ منزلا في قرية بيتا ، المجاورة لمدينة نابلس ، وأبعدوا على الفور ستة من شبانها ، واعتقلوا عددا كبيرا من أهلها مازال أغلبهم في السجون ، بحجة اشتباكهم مع مستوطنين كانوا



« يتنزهون » قرب القرية ، وتسببهم في موت إحدى الفتيات تبين فيها بعد أنها قتلت برصاص المستوطنين أنفسهم . وخضعت بلدة بيتا لفترة طويلة من الحصار ، في حين لاقت بلدة نحالين ، القريبة من بيت لحم ، مصيرا مشابها ، عندما كمن الجنود عند الفجر ، وأطلقوا النار على المصلين ، مما أدى إلى استشهاد خمسة من المواطنين وإصابة الكثير . ومع ذلك كان الرد على القمع بمزيد من الصمود في مواجهته .

وأعيد طرح فكرة « الترانسفير » ، أو الترحيل الجماعي ، للمواطنين العرب ، وتبناها العديد من الأطراف داخل « اسرائيل » . مثل حركة « موليديت » الصهيونية الممثلة بعدد من الأعضاء في الكنيست « الاسرائيلي » ، لكن الفكرة لم تنجح ، لكونها غير واقعية برأي بعضهم ، واستعيض عنها بترحيل قائمة من النشيطين والوطنيين ، وقدم مجلس المستوطنات قائمة بأسماء ثلاثة آلاف شاب عربي طالبا إبعادهم إلى خارج فلسطين ، وعدت هذه القائمة امتدادا لفكرة « الترانسفير » ، لكن عملية الإبعاد لم تتوقف وسارت إلى الأمام على الرغم من « الاعتراضات » الدولية ، وتم إبعاد أكثر من ٧٠ مواطنا إلى خارج فلسطين منذ بدء الانتفاضة ، بحجة تزعمهم اللجان الشعبية ، ومع ذلك تواصلت الانتفاضة .

ولجأت سلطات الاحتلال إلى مضاعفة فترة الاعتقال الإداري إلى سنة كاملة قابلة للتجديد ، بدلا من ستة أشهر ، وهذه العقوبة يمكن أن تنال أي مواطن في الأرض المحتلة ترى السلطات أنه يشكل « تهديدا للأمن » .

ولم تتوقف الإجراءات الصهيونية عند هذا الحد ، واتخذت السلطات العسكرية قرارات بإطلاق النار على الملثمين في الشوارع ، وأعطت السلطات القضائية في « اسرائيل » « شرعية » لهذا القرار ، وأصبح أمرا مشروعا ساري المفعول ، وتمت تصفية العديد من الشبان تحت حجة أنهم ملثمون .





● أطفال الحجارة : شوكة في حلق الاحتلال « الاسرائيلي » .

موت وحياة

لم تقصر أشكال المقاومة التي استخدمتها الانتفاضة على الصدامات والمواجهات والاعتصامات والأشكال النضالية الأخرى فحسب ، بل امتدت لتشمل شتى جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، إذ بدأت الجماهير بصياغة حياتها الاجتماعية والاقتصادية بتوجهات وطنية جديدة ، بعيدة كل البعد عن سلطة الاحتلال العسكري . وكان الاحتلال الصهيوني وعلى مدى عشرين سنة ماضية قد وجه ضربات قوية للاقتصاد الفلسطيني ، وعمل على تغيير العديد من المفاهيم الاجتماعية لدى الجماهير الفلسطينية ، مما أدى إلى تحول جذري في كثير من العادات والتقاليد الاجتماعية المتوازنة ، فالزواج في المجتمع الفلسطيني رافقته ـ تقليدياً ـ مظاهر البذخ والترف والمظاهر الغربية المستوردة ، وارتفاع المهور ، والتكاليف الباهظة ، وأحيانا



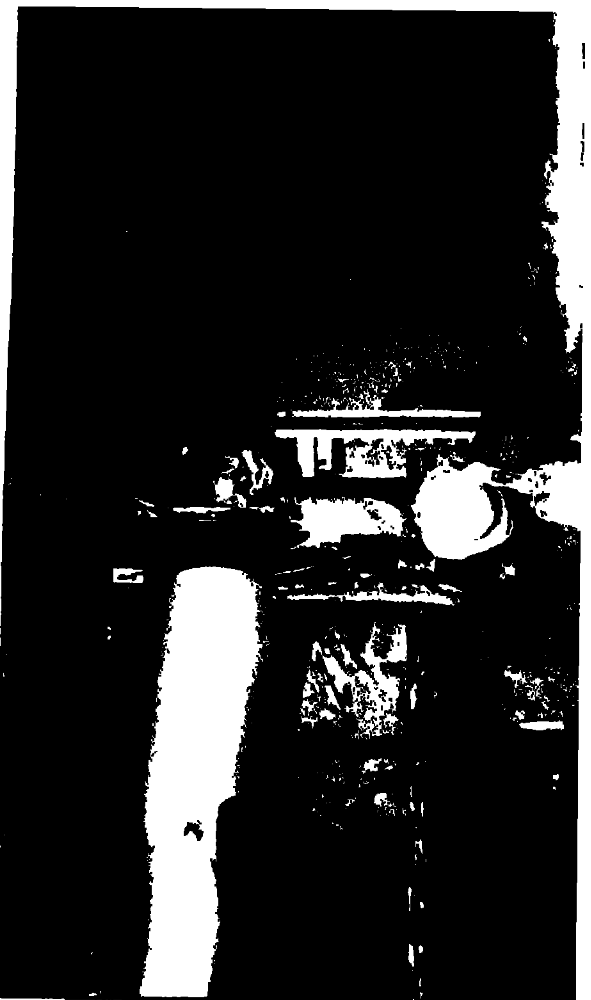
● أطفال فلسطين وقود الانتفاضة .

الخيالية ، كحفلات الخطوبة والزواج ، لدرجة أن العائلات الميسورة تنافست فيما بينها لإظهار ثرائها من خلال حفلات الزواج .

ثم جاءت الانتفاضة الشعبية الفلسطينية في أوائل شهر ديسمبر كانون أول ١٩٨٧ لتفرض نمطا جديدا قديما من العادات والتقاليد ، فلقد أسهمت الانتفاضة في إحداث تطورات مهمة ونوعية في المفاهيم والسلوك للأفراد والمجتمع في المناحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية . فعلى مستوى التغير الجذري في العادات والتقاليد لوحظ أن العادات والتقاليد لدورة الحياة التي تشمل الميلاد ، والزواج والوفاة ، وعادات الأعياد والمناسبات المرتبطة بالدورة العامة ، من أعياد دينية وقومية ومواسم زراعية ، وأخيرا عادات الفرد في المجتمع ، من مراسيم اجتماعية ، وعلاقات أسرية ، وإطلاق سجناء ، وشفاء من امراض ، وفض للمنازعات كل هذه قد تفاعلت مع مفاهيم الانتفاضة وتطورت معها .

الزواج في ظل الانتفاضة :

أصبح الزواج ينعقد في أقصر وقت ، وبأقل عدد من الحضور ، ويعود ذلك لعدم المساس بمشاعر المواطنين المتضررين من القمع الوحشي الصهيوني ، وحالات الاستشهاد والحصار وحظر التجول ، وتوفير الوقت . إذ أصبحت مراسيم الزواج تتم بأبسط الأشكال وأكثرها عملية واختصارا . وسجلت عشرات الحالات من الزواج التي تمت بحضور العروسين وولي أمر كل منهما فقط . وأدى هذا التغير إلى اختصار تكاليف الزواج ، إذ انخفضت المهور بشكل كبير جدا ، بعد أن وصلت إلى أكثر من خمسة آلاف دينار قبل الانتفاضة . أما خلال الانتفاضة فلم تتعد المهور أكثر من ٣٠٠ دينار في العديد من القرى ، وبخاصة في منطقة شمال الضفة الغربية ، حيث اتفق على توحيد المهور وتخفيضها في العديد من





● معمل للأطراف الصناعية لمواجهة ارتفاع الإصابات وإلى (أسفل) سعيد الطويل فقد عينه وعظم الجمجمة في مواجهة مع المحتلين بمخيم النصيرات

قرى نابلس ، مثل بيتا وبيت فوريك إلى ٣٠٠ دينار أردني فقط ، وكانت هذه الخطوات آثار إيجابية في نفوس الشباب ، خاصة الذين لم يستطيعوا الزواج قبل الانتفاضة لأسباب مالية .

يقول أحد الشبان حديثي الزواج من مدينة الخليل : « إن الانتفاضة رحمة لنا على مستوى المهور وتكاليف حفلات الزواج ومشاكلها ، فلقد وفرت علينا الانتفاضة آلاف الدنانير التي كنا سنضطر لاقتراضها وتسديدها خلال عدة سنوات » . وأكد شاب آخر من القدس أنه « لولا الانتفاضة لما استطعت الزواج في هذه المرحلة ، لأنني لا أملك ، ولا أستطيع الاقتراض ، وقبل الانتفاضة كنت مقتنعا بأنني لن أتزوج قبل عشر سنوات ، والآن لدي طفلة عمرها ٤ أشهر » .

وقد حظيت هذه التغييرات التي كانت نابعة من الموقف الشعبي باستجابة واسعة حيث ارتفع عدد حالات الزواج من ٧٤١٠ عام ١٩٨٧ إلى ٨٣٠٨ عام ١٩٨٨ ، بينما انخفضت حالات الطلاق من ٧٣٢ عام ١٩٨٧ إلى ٥١٣ عام ١٩٨٨ ، وارتفعت معدلات الزواج بحوالي ٢٠٪ في قطاع غزة في العام الأول من الانتفاضة وبالتدريج انحسرت مفاهيم المكانة الاجتماعية كعنصر رئيس في الزواج ، كما سجلت عدة حالات من الزواج المختلط بعيدا عن الطائفية ، بالإضافة إلى أن إلغاء حفلات الزواج قد عبرت عن مفاهيم التضامن الاجتماعي مع الأسر المتضررة .

وأعد الأستاذ عبدالعزيز أبو هدبا عضو لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني ، التابعة « لجمعية إنعاش الأسرة - البيرة » دراسة ميدانية حول العادات والتقاليد في ظل الانتفاضة ، شملت ١٩ موقعا في الضفة الغربية وقطاع غزة من مدن وقرى ومخيمات ، ركز فيها على التغيرات في العادات والتقاليد للزواج ، وجاءت نتائجها كما يلي :-

١ ـ انخفاض تكاليف الزواج من حيث التلبيسة ، أو (الشبكة) والخطبة ، والمهور ، والسهرات والمآدب .

٢ ـ عدم الغناء ، إذ أن الانتفاضة وجوها النضالي البطولي وقوافل الشهداء الأبرار قد فرضت عدم الغناء على الناس حرصا وتضامنا مع مشاعر الأسر المتضررة ، حتى الأغاني الوطنية والزجل الشعبي لم يعد لها مكان في الأعراس .

٣ ـ ولم تعد الزفة تشاهد كزفة العريس ، وحشود الناس التي تملأ الشوارع تغني للعريس ، وتحولت الزفة إلى عرس من نوع آخر ، إنها زفة الشهيد .

وصل عدد شهداء الانتفاضة حتى شهر اكتوبر تشرين أول ١٩٨٩ إلى حوالي ٧٥٠ شهيدا ، شكلوا نسبة ليست قليلة من عدد الوفيات خلال فترة الانتفاضة ، فقد تحولت مآتم الشهداء إلى أعراس تزغرد فيها الأمهات والنساء ، وينشد الشباب والأطفال ، وحولت الجنازات إلى مظاهرات حاشدة . لذلك فقدت مظاهر الحزن على الموتى العاديين أهميتها ، وأصبح الهدف الرئيس للحركة لوطنية والجماهير الفلسطينية استغلال الجنازات لمواجهة جيش الاحتلال ، ولذلك عمدت سلطات الاحتلال إلى فرض حظر التجول على مناطق عديدة عند وفاة أحد الشخصيات . فمثلا تحولت جنازة رئيس بلدية غزة السابق ، رشاد الشوا ، إلى مظاهرة كبيرة شاركت فيها جماهير حاشدة من فلسطينيي القطاع ، وكذلك الحال بالنسبة لجنازة رئيس بلدية جنين المنتخب ، أحمد موسى التي شارك فيها أكثر من ٥٠٠ شخص ، كسروا أمر حظر التجول المفروض على المدينة .

التكافل

منذ بداية الانتفاضة تداعت الجماهير الفلسطينية وقواها الوطنية من أطر سياسية ونقابية وجماهيرية إلى تشكيل اللجان المتخصصة في جميع المواقع والمجتمعات لمساعدة الناس على حل مشاكلهم اليومية ، وازدادت هذه المظاهر بعد الأشهر الأولى من الانتفاضة ، وعلى إثر الدعوات الوطنية لمقاطعة العمل في الداخل ، ومقاطعة المنتجات (الاسرائيلية) ، ومقاطعة مؤسسات الحكم العسكري ودوائره المتفرعة المعروفة بالإدارة المدنية ، والعمل على تشكيل سلطة وطنية محلية بديلة . وكان الإطار الأوسع لهذه الأطر هو اللجان الشعبية التي كان من أهم فروعها على مستوى الخدمة الاجتماعية والاقتصادية اليومية للجماهير: لجان الإغاثة .





● جانب من احتفال بذكرى الاستقلال الفلسطيني .

فلقد شكلت لجان إغاثة على مستوى القرية والمخيم وأحياء المدن . ووصل الأمر إلى تشكيل أكثر من لجنة أحيانا داخل الموقع الواحد ، من منطلق المنافسة بين الأطر السياسية . والهدف الأساس لهذه اللجان هو جمع التبرعات وتوزيعها على المناطق المحاصرة الخاضعة لحظر التجول ، وعلى العائلات المتضررة من القمع الصهيوني الوحشي ، والعائلات التي لا معيل لها . وشارك الرجل المرأة في هذه اللجان ، وكان للمرأة دور مميز في توزيع الإغاثات ، وخصوصا على المناطق المحاصرة الخاضعة لحظر التجول ، لسهولة تحركهن بعكس الشبان الملاحقين من قبل السلطات . وتعد هذه اللجان التي هي امتداد لتجارب سابقة على مستوى المخيمات خصوصا (في أثناء فترات حظر التجول في السنين السابقة) ، علامات مضيئة في الحياة اليومية للانتفاضة ، وأحد ألمع أشكال التكافل والتضامن بين الجماهير الفلسطينية الرازحة تحت نير الاحتلال .

وفي مجال التكافل والتضامن بين أبناء الشعب

الواحد سجلت حالات مثالية جدا . ويروي أحد أعضاء لجنة الإغاثة في أحد مخيمات منطقة وسط الضفة الغربية ، أنه « في الأشهر الأولى للانتفاضة فرضت سلطات الاحتلال حظر التجول والحصار الغذائي على أربعة مخيمات ، في منطقتي القدس ورام الله ، وسارعت الأطر الجماهيرية والوطنية في هذه المخيمات بتشكيل لجان للإغاثة لدعم أهالي المخيمات المحاصرين ، ووصل عدد أعضاء إحدى هذه اللجان إلى حوالي ٣٠ عضوا ، معظمهم من النساء . وفي أحد أيام الحصار حضرت شاحنة محملة بالمواد الغذائية من منطقة بيت لحم ، لدعم أهالي مخيم شعفاط في القدس الذي كان أهالي القدس قد تبرعوا بمواد تموينية ، سدت حاجة سكانه في ذلك اليوم ، فحولت لجنة مخيم شعفاط هذه المواد إلى مخيم قلنديا ، وبدورها قامت لجنة



● طفل وعلم وكتابات على الجدران .

قلنديا بتحويلها إلى مخيم الأمعري ، ومن هناك حولت إلى مخيم الجلزون . وكان مرافقو الشاحنة مواطنين من بيت لحم يواجهون بالإجابة نفسها من لجان الإغاثة في هذه المخيمات : « لدينا ما يكفي لسكان المخيم لعدة أيام ، حولوا هذه الكمية إلى المخيم الآخر » . وفي النهاية تم تخزين هذه المواد بجانب مخيم الأمعري ، وأرسلت في صباح اليوم التالي إلى أهلنا في قطاع غزة عن طريق وكالة الغوث . هذه إحدى أروع صور التكافل والتضامن الاجتماعي التي سجلت خلال الانتفاضة ، ومن جماهيرنا في المخيمات الصامدة ، عرين الانتفاضة . ويؤكد العديد من أهالي المخيمات أنهم كانوا يجدون أكياسا مليئة بالمواد التموينية في ساحات بيوتهم ، خلال فترات الحصار وحظر التجول ، ومع استمرار الانتفاضة تداعت الجماهير الفلسطينية في الضفة والقطاع والمنطقة المحتلة عام ١٩٤٨ إلى تشكيل لجان التضامن والإغاثة في كل قرية ومدينة ومخيم .

يقول مدرس في إحدى مؤسسات التعليم العالي ، في منطقة رام الله : إن نقابة العاملين في المؤسسة طلبت من العاملين الذين يزيد عددهم على ٥٠٠ موظف تخصيص أجرة يوم عمل من رواتبهم الشهرية لدعم متضرري الانتفاضة ، وشكلت لجنة إغاثة داخلية لهذا الغرض ، قامت بجمع وتوزيع أكثر من ١٥ ألف دينار أردني ، وزعت على أكثر من ٤٠ قرية ومدينة ومخيما ، على شكل مواد تموينية ، وعلاجات ، وأدوية . كما أن حالات التبرع بالدم للمستشفيات ، لمعالجة الجرحى ، سجلت أرقاما قياسية . يقول أحد الأطباء المقيمين في مستشفى المقاصد : إنه « بعد ساعات قليلة من إعلان المستشفى في الصحف المحلية عن الحاجة لمتبرعين بالدم ، لمعالجة الجرحى ، توافد المئات من مختلف المناطق ، لدرجة أن وسائط النقل استمرت لأكثر من كيلومتر بالقرب من المستشفى . وأعلنت إدارة



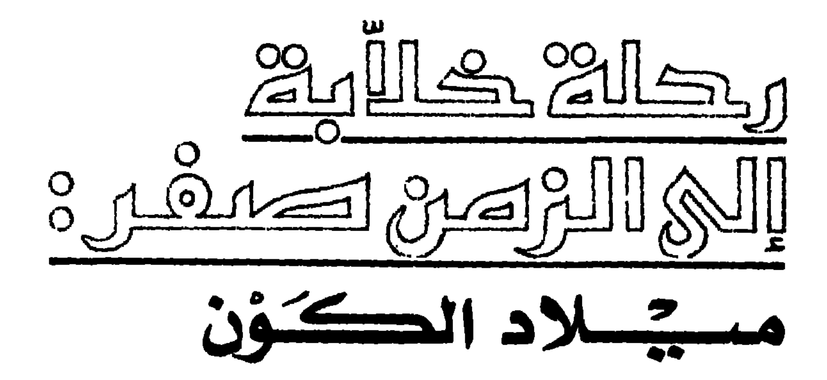
● طفلة تزور ضريح شهيد

شعبنا العربي ، في معظم المناطق ، نتيجة لعدم توافر البرنامج الصحي التثقيفي المتكامل ، وصعوبة التنقل بين المناطق الريفية والنائية وبين المدن ، وكذلك تردي الوضع الاقتصادي ، وعدم توافر التأمين الصحي الشامل الذي يكفل العلاج المجاني للسكان ، وارتفاع تكاليف العلاج ، أدى إلى عدم إقبال الأهالي عليه ، ولجوئهم إلى الوسائل التقليدية والبدائية ، ولهذه الأسباب ، وضمن ظروف الانتفاضة ، وعلى الرغم من الإمكانيات المحدودة ، دأبت اللجان على تنفيذ برامجها ، ووضعت نصب عينيها عدة هداف منها رفع المستوى الصحي في المناطق النائية القرى والمخيمات والأحياء الفقيرة في المدن ، ن خلال إقامة المراكز الصحية الثابتة ، والقيام بإغاثات دورية للمناطق المحتاجة ، ونشر الوعي الصحي ، عن طريق النشرات ، وتقديم المحاضرات والنصائح الطبية ، وإجراء الدراسات والأبحاث على الأمراض المنتشرة ، والتنسيق مع المؤسسات والأطر الصحية المحلية والأجنبية ، لتحقيق هذه الأهداف .

وحول نشاطات اللجان الشعبية ، وانتشار فروعها ، مع استمرار الانتفاضة الشعبية ، قال أحد الأطباء المشرفين : يتمركز عمل اللجان حول تقديم الخدمات الصحية ، وإصدار النشرات الثقافية الصحية ، وتنظيم المحاضرات والندوات . ولدى اللجان الشعبية للخدمات الصحية٣١ عيادة منتشرة في الأراضي المحتلة ، موزعة على الشكل التالي : فرع القدس : عيادتان ، قطاع غزة : ست عيادات ، فرع رام الله : أربع ، نابلس : اثنتا عشر عيادة ، جنين : ثلاث عيادات ، بيت لحم : عيادتان ، طولكرم وقلقيلية : عيادتان . وعاينت هذه العيادات حوالي (٣٤) ألف حالة مرضية في الفترة الممتدة بين يناير كانون ثاني ٨٨ ، ويونيو حزيران ٨٩ .

وتهدف اللجان الصحية للوصول مستقبلا لصيغة تنسيق مع كل اللجان والمؤسسات الصحية الوطنية ، لدعم الوضع الصحي وتطويره في الأراضي المحتلة ، والعمل على تغطية المناطق التي تنقصها الخدمات الصحية ، عن طريق إقامة المراكز الثابتة ، ليضم كل مركز عيادة وصيدلية ومختبرا في الحد الأدنى ، والرغبة في زيادة عيادات الطفولة والأمومة والأسنان ووحدات الأشعة .

وأصدرت اللجان الشعبية للخدمات الصحية عددا لا بأس به من النشرات حول مرض جدري الماء ، وطريق الوقاية منه ، والالتهاب الرئوي (النزلة الصدرية) ، وطريق الوقاية والعلاج ، ونشرة حول السعال الديكي ، وأخرى عن الحمى المالطية ، ونشرة عن الإسعاف الأولي ، ومعالجة الإصابات والكسور . □



بقلم : سمير صلاح الدين شعبان

المؤكد أن نظرية النسبية التي خرج بها آينشتاين في بواكير القرن العشرين هي أعظم النظريات العلمية التي عرفتها البشرية حتى الآن ، ويزداد الإعجاب بهذا الانجاز إذا أخذنا بعين الاعتبار أنها توصلت إلى نتائج تقع خارج حدود مقدرة البشر على التصور تقريبا : « فالكون الذي توصل إليه آينشتاين هو كون « أحدب » ذوسطح مغلق ، ولذلك فهو دون حدود ، لكنه نهائي ، أي أن له حجما محددا ، لا يمتد بلا نهاية كما كان يعتقد قبل ذلك » .

عندما نشر آينشتاين نتائج أبحاثه حول نظرية النسبية العامة في عام ١٩١٧م انطلق من الأفكار التي كانت سائدة وقتها ، فعند النظر إلى الكون بمجمله (وعدم الاكتفاء بدراسة بقع صغيرة محددة منه) يبدو الكون متجانسا في سائر أرجائه ، ساكنا لا يتعرض لأي تغيير أو تبدل .

إلا أن هذه القناعات التي كان يسلم بها مع معاصريه أوصلته إلى نتائج محيرة ، فقد قام بحل معادلاته الجديدة التي استخدمها لوصف الكون الأحدب مرارا وتكرارا ، وفي كل مرة كان يحصل على النتيجة المدهشة نفسها : الكون لا يتمتع بالديمومة والاستقرار ، ولابد له إما أن ينكمش وينهار، أو أن ينفجر متناثرا، وهذا يعارض الاعتقاد السائد بثبات الكون وعدم تحوله .

عند هذا الحد بدأ الشك والريبة في نفس البرت اينشتاين ، فقد بدت له هذه النتيجة غير واقعية ، وكأنها خيالية جداً ، لذلك فضل أن يضيف إلى معادلاته ـ بشكل متعمد ـ حدا مختلفا ، اختاره بشكل يعيد للكون استقراره .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الإضافة بدت حتى لزملائه الاختصاصيين مقنعة ومسموحا بها ، لأن أيا منهم ما كان ليشك في توازن الكون واستقراره ، وقد قام اينشتاين بإضافة حد مختلف إلى معادلاته لسبب بسيط جدا ، هو عجزه عن « تصور » كون عدم الاستقرار ، لكن عدم وفائه لمعادلاته جعله ينال عقابه بسرعة ـ بعد حوالي ١٠ سنوات فقط ـ من خلال الاكتشاف التالي .

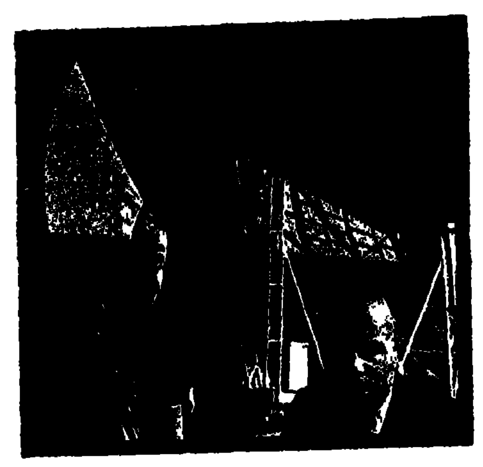
تمدد الكون :

قبيل الحرب العالمية الأولى تم افتتاح مرصد جبل ويلسون في ولاية كاليفورنيا الذي استغرق بناؤه قرابة ١٠ سنوات ، ويبلغ قطر العدسة المركبة في هذا المرقاب الفلكي (التلسكوب) ٢,٥ مترين (١٠٠ بوصة) ، وظل متربعا على عرش أكبر المراصد في العالم قرابة ٣٠ سنة .

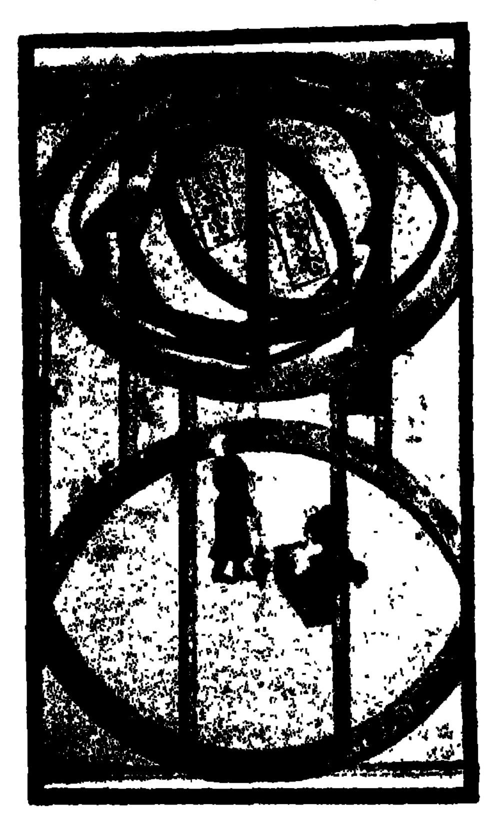
ولم يكن من المستغرب أن يقوم رئيس المرصد (أودين هَبل) بتسخير أكبر مرقاب في العالم لحل لغز « السدم الحلزونية الضبابية» التي كانت اشبه بلطخات براقة في السماء ، وعندما سلط هَبل المرقاب على سديم المرأة المسلسلة (أندروميدا) وجد أن هذه « السحابة » مكونة من عدد هائل من النجوم ، وأنها تشبه مجرتنا درب التبانة،وبذلك قدم هَبل ـ للمرة الأولى في تاريخ البشرية ـ الدليل على وجود مجرات أخرى غير مجرتنا ، درب التبانة ، لكنها كانت تظهر في السماء بشكل لطخات مضيئة لعجز المراقب الصغيرة عن رؤية تفاصيل أجزائها، وقد أشار هَبل إلى أن المسافات الشاسعة التي تفصلنا عن هذه المجرات هي التي تمنع رؤيتها بالعين المجردة .

فقد دلت المشاهدات المتراكمة منذ ١٩١٢م أن الخطوط الطيفية الملتقطة « للسدم الحلزونية» تقع بشكل عام في زمرة الموجات الطويلة ، أي في منطقة الموجات الحمراء من طيف « قوس قزح»، لذا قام هبل ومساعدوه بدراسة مكثفة «للانحراف الطيفي الأحمر» وحللوه بدقة ، وتأكدوا من تعرض الضوء الواصل إلينا من جميع السدم الحلزونية المدروسة للانحراف الطيفي الأحمر، إلا أن العامل الحاسم هنا هو إقامة الدليل على أن مقدار انحراف خطوط الطيف باتجاه القسم الأحمر يزداد كلما كبرت مسافة السديم المدروس، وبعد دراسات مضنية استغرقت سنين طويلة، أعلن هَبل في ١٩٢٩م تفسيره لظاهرة الانحراف الطيفي الأحمر :

لابد أن يعبر الانحراف الطيفي الأحمر هذا ـ استنادا إلى فعل دوبلر ـ عن حركة تباعدية



● بواسطة هذه (الاذن العملاقة) سمع ويلسون وبنزياس صدى الانفجار الأزلي، الذي يمثل واحدة من أقوى دعائم وجود بداية للكون .



● منقوشة أوربية من القرون الوسطى لعالم بالنجوم، وصل إلى نقطة تقاطع الأرض مع الشمس. نجد في أعلى اليسار بعض العجلات التي تحرك النجوم.

(تنـاثـرية)، تتعـرض لها السـدم الحلزونية قاطبة ، وينتج عن ذلك تباعد جميع السدم عن بعضها، في جميع الاتجاهات بسرعة عظيمة، وكلما كبر البعد الفاصل بين السدم (أو المجرات) كبرت سرعة التباعد تبعا لذلك .

فإذا نظرنا إلى الكون نظرة شمولية في ضوء اكتشاف هبل فإننا نشاهد صورة «انفجار ضخم جدا يفوق حدود التصور البشري» .

جاء رد الفعل الأول على هذا الاكتشاف المفاجيء المحير من قبل أينشتاين صاحب النظرية النسبية الذي كان قد أضاف إلى معادلاته التي تصف كونا متمددا أو منكمشا حدا محتلقا، يجعل الكون يتسم بالاستقرار، وكان اكتشاف هبل لتمدد الكون صفعة عقاب لاينشتاين الذي لم يخلص لمعادلاته، إلا أنه لم يواجه هذه المحنة بالتعنت والتشدد، بل قابلها بروح رياضية علمية، بعد أن تأكد أن المعادلات لم تعد بحاجة إلى تصحيح، لأنها كانت تقول الحقيقة الصرفة. وقد قام بحذف الحد المختلق الذي أضافه إلى معادلاته، معلقا على ذلك بسخرية : «إنها أكبر حماقة ارتكبتها في حياتي» .

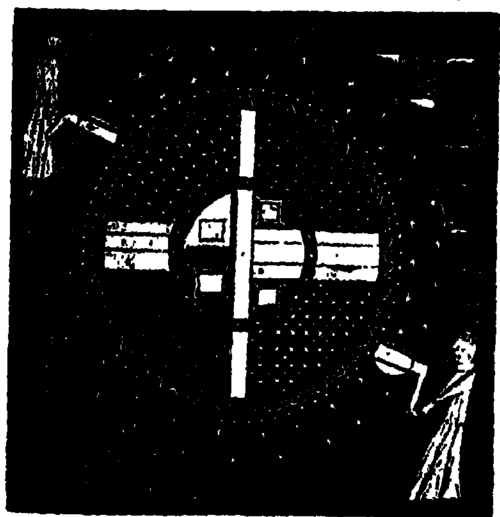
وهكذا تبين أن الكون ليس محدود الحجم كما عرف في الماضي، بل غير مستقر أيضاً، وكذلك لا يستمر في المستقبل «إلى الأبد» (أو فلنقل إلى زمن دون نهاية). وغني عن الاثبات أن الكون المنفجر هو عكس الكون المستقر، ومن البديهي أن خصائص الكون غير المستقر «تتغير» في كل لحظة نتيجة «تمدد» المادة الموجودة فيه، فإذا عدنا بالزمن إلى الوراء في الكون المتمدد فإننا سنجد أن الأجرام السماوية تقترب من بعضها شيئا فشيئا، حتى تتجمع في «نقطة» وحيدة، في زمن يرجع إلى ١٣ مليار سنة، استنادا إلى حسابات هبل : لقد واجهت العلماء أدلة تشير إلى حتمية وجود «بداية الكون» .

تعارض النظريات

بدت فكرة «نشوء الكون وبدايته» للعديد من علماء الطبيعة الغربيين «ثورية» و«غير علمية» . يقول (هوبمار فون ديتفورت) في كتابه «في البدء كان الهيدروجين» إن فكرة نشوء الكون وخلقه حدت بهؤلاء العلماء «للخروج على العالم بالعديد من النظريات الجديدة، وذلك تجنبا للرضوخ لنتائج هذه الحقائق التي تذكرهم بالأساطير القديمة» .

لم يختلف المتصارعون على سلامة قياس الانحراف الطيفي الأحمر، الذي اعتمد عليه هبل في استنتاج تمدد الكون وبدايته، بل اختلفوا في «تأويله»، وقد ولد هذا الصراع أزمة علمية حادة بين أنصار تمدد الكون وأعدائه، تمخضت عن العديد من النظريات العلمية المتصادمة .

وتعتبر نظرية «الضوء المتهالك» من أشهر الأسلحة التي أشهرت في وجه نظرية «الكون المتسع»، يقول أنصار «الضوء المتهالك» : إن الضوء الواصل إلينا من الأجرام والسدم السماوية البعيدة يقطع مسافات شاسعة، يمر أثناءها عبر العـديد من حقـول الجـاذبية والمغنـاطيسية ومجالات تأثير الإشعاعات الأخرى، التي يصادفها في طريقه، وهذا يؤدي إلى «إضعاف الضوء وتعبه وتهالكه»، وبذلك يكبر طول موجته، فنكتشفه على الأرض على هيئة انحراف خطوطه الطيفية باتجاه النهاية الحمراء من «قوس قزح» (انحراف أحمر)، فما هي طبيعة الأدلة التي يسوقها أصحاب هذه النظرية ؟.



● فلكيون مسلمون يقيسون حركة الأجرام السماوية، بينما كان علم الفلك متخلفا في أوربا.

في عام ١٩٥٣م هاجم الفلكي الأمريكي (زويكي) في كتابه «المجرات المضاعفة» نظرية الكون المتمدد، دون تقديم أي دليل، فهو يقول إن عناقيد المجرات تتوزع في كون منبسط غير متمدد، وأن مفهوم الكون المتمدد قد واجه صعوبات جدية خلال ١٥ سنة الماضية.

و«يفترض» زويكي أنه إذا تبين أن الكون ـ بمجمله ـ لا يتمدد، عند ذلك يتوجب تفسير الانحراف الطيفي الأحمر ـ بشكل عام ـ كنتيجة لتأثر الضوء الواصل إلينا من مسافات شاسعة مليئة بالمادة وبالأضواء الأخرى، وعند ذلك يمكن النظر إلى الانحراف الأحمر كتابع لتوزع المادة التي يصادفها الضوء أثناء رحلته الكونية. وفي الختام يكشف زويكي إفلاس أدلته بالقول إنه مهما كان شأن عمليات التمدد «ضمن» الكون فإن تمدد الكون «ككل» لا يعدو كونه أحد مفاهيم «ما وراء الطبيعة».

حميَ وطيس المعركة عندما اعتمد بعض المفكرين على نظرية الكون المتسع، في إثبات ميلاد الكون وخلقه، وعلى سبيل المثال فقد كتب الفلكي الانكليزي الشهير (السير آرثر إدينغتون) في كتابه «الكون المتمدد»، بأننا نعتلي خشبة مسرح الحياة لنعرض مسرحية للخالق (المنفرج الكوني)، وكذلك صرح البابا (بيوس الثاني عشر) في كتابه «إثباتات وجود الله في ضوء علوم الطبيعة الحديثة» بأن تمدد الكون مشتق من عقيدة الكنيسة، وبأن جميع الدلائل توحي بأن الكون المادي كانت له بداية عنيفة قبل زمن محدود نهائي.

عارض الانكليزي (سكريفن) فكرة بداية الكون وتحديد عمره، في مقال نشرته مجلة «فلسفة العلم» الانكليزية، قائلاً: «لم يتمكن العلم ولن يتمكن من تحديد عمر الكون على الإطلاق».

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المعارضة (العلمية) كانت تلبس أحياناً ثوب «المعاجزة والمهاترات»، فطلبت من أنصار فكرة بداية الكون الإجابة على تساؤلات لا تمت إلى العلوم الطبيعية بصلة، مثل: «ماذا وجد قبل خلق الكون؟»، و«متى خلق الكون؟»، و«لماذا خلق الكون؟». وعلى الرغم من ذلك فقد أجاب دوبوار ريموند على هذه التساؤلات في مجلة «فلسفة العلم» الانكليزية بقوله: «يعجز الفكر البشري عن التغلغل إلى الأسرار الأبدية للطبيعة، ولن يفهم وسائل مهندس الكون العظيم وأهدافه».

لكن مرور الزمن شهد تزايد عدد العلماء الذين يقبلون بأن الانحراف الأحمر ليس له مسبب آخر غير تمدد الكون، وبعد إجراء الحساب على أعداد كبيرة من السدم والمجرات، اعتماداً على مسافاتها وسرعاتها، توصلوا إلى صورة غريبة جداً للكون، تمثل «انفجاراً» بكل ما في الكلمة من معنى».

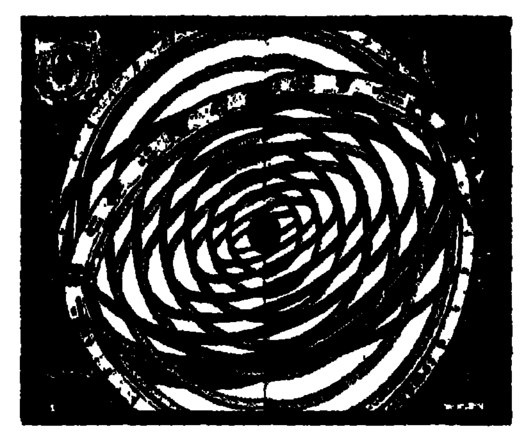
الانفجار الأزلي:

وعليه فقد تصور العلماء حينذاك «ميلاد الكون» كما يلي

قبل حوالي ١٣ مليار سنة كانت جميع أجزاء المادة المحتواة في الكون مركزة في حجم صغير جداً، وقد ابتدأت حياة كوننا الذي نعيش فيه قبل حوالي ١٣ مليار سنة «بانفجار» هائل، أدى إلى تناثر المادة الموجودة في هذه البقعة المركزة وقوة الانفجار هذه كانت عظيمة جداً، إلى حد يسمح لنا بمشاهدة آثارها الطاغية بعد مضي ١٣ مليار سنة على وقوع الانفجار، وما تمدد الكون الذي نلاحظه الآن إلا استمرار «لأعظم انفجار في التاريخ». وقد أطلق عليه اسم «الانفجار الأزلي»

في البدء لم يتعد الأمر حدود النظرية، وقد كانت تفاصيل هذه النظرية متكاملة بعضها ببعض، وقد قدمت صورة متناسقة للكون، إضافة إلى ذلك فقد شكلت نبوءة اينشتاين بحتمية انكماش الكون على نفسه أو تمدده دعامة قوية لصحة نظرية الانفجار الأزلي

وعلى الرغم من كل ذلك فقد كانت النظرية بحاجة إلى «دليل مباشر» يثبت أقدامها، ويسكت معارضيها إلى الأبد، وتساءل العلماء كيف يمكن قطع الشك باليقين؟ وكيف السبيل إلى تقديم إثبات مباشر على حادثة مضى على



● لوحة من القرن السابع عشر الميلادي تجعل الشمس مركزا للكون، تدور حوله - ظاهريا الأرض ونجوم الزودياك: الشريط الذي تتحرك فيه الشمس والقمر وسائر الكواكب.

وقوعها ١٣ مليار سنة؟

كان العديد من العلماء غير مقتنعين بأن كوننا نشأ من العدم بشرارة هائلة، على الرغم من الانحراف الطيفي الأحمر، ونظرية النسبية، وجميع المؤشرات الأخرى المؤيدة للانفجار الأزلي. وقد تساءل هؤلاء: من يجزم بأن الانحراف الأحمر ناتج عن تمدد الكون، وليس عن سبب غير معروف حتى الآن؟ أليس من حقنا أن نطالب بإثبات مباشر دامغ، يزيل الشبهات إلى الأبد؟

مخلفات البداية العنيفة:

تصدى الفيزيائي الأمريكي (روبرت ديك) للإجابة عن هذه التساؤلات، وحاول تقديم الدليل اليقيني الذي ينهي الجدل حول موضوع بداية الكون، والذي شغل عقول المفكرين منذ أقدم العصور.

كان من المعروف بالنسبة(لديك)أن النظرية العلمية المرشحة للقبول من جمهور العلماء، يجب أن تعتمد على «حقيقة ثابتة» أو واقعة أكيدة في العالم المحيط بنا، ويمكن أن تنال الرضا أيضا إذا «تنبأت» النظرية بإحدى الظواهر المحددة، وأمكن التحقق من صحة هذه «النبوءة» بالقياس أو التجربة.

حاول ديك جهده لتصور الظروف التي كانت سائدة في الثواني الأولى من حياة الكون، وبدون عناء كبير تبين له أن الإتيان «بحقيقة ثابتة» عن تلك الحقبة المغرقة في القدم ضرب من المستحيل، لذا رجح الاعتماد على النوع الثاني من «طرق الاستدلال» لإثبات نظرية الانفجار الأزلي، وأخيرا استقر رأيه على اشتقاق بعض النبوءات، التي يعتقد بإمكانية التحقق من صحتها، في أيامنا هذه، بالاعتماد على القياس والتجربة.

تصور ديك كوننا «الوليد» على هيئة كرة صغيرة ملتهبة، تقدر حرارتها بمليارات الدرجات المئوية، ويحيط بها فراغ مظلم بارد، درجة حرارته تساوي الصفر المطلق (حوالي ٢٧٣ تحت الصفر المئوي المألوف). وفجأة - قبل حوالي ١٣ مليار سنة - انطلقت شرارة الانفجار الأزلي، وبدأت كرة الكون الوليد الملتهبة تتناثر شظايا، وتتسع على حساب الفراغ البارد «الميت»، وكلما تقدم العمر بالكون، اتسع حجمه، وانخفضت درجة حرارته تبعا لذلك.

فما الذي يتخلف عن هذا الميلاد العنيف لكوننا حتى يومنا هذا؟ لا بد أن يتبقى «اشعاع» يصدر عن أجسام يقارب متوسط درجة حرارتها ٣ درجات فوق الصفر المطلق، أو فلنقل (٣ كلفين)، إضافة إلى درجة الحرارة هذه، فلا بد أن يحقق هذا الاشعاع المزايا المشتقة من طبيعة من «كرة وحيدة» متناثرة: عليه أن يصل إلى المراقب الأرضي من الاتجاهات كلها في اللحظة نفسها، وبالشدة عينها وبالتردد (أو طول الموجة) عينه.

كان كل هذا صحيحا «وسهلا»- من الناحية النظرية الصرفة، لكن الأمر بدا - من الناحية العملية - مفرطا في الخيال، لأن نتائجه تبدو مستحيلة الاختبار والتدقيق على الاطلاق. كانت مواصفات هذا الاشعاع غريبة جدا، وكانت الصعوبات التقنية في غاية التعقيد، لكن ديك صمم على السير قدما في أبحاثه الهادفة إلى تقديم الدليل الصامد على صحة نظرية الانفجار الأزلي وبداية الكون، وعلى الفور بدأ ديك

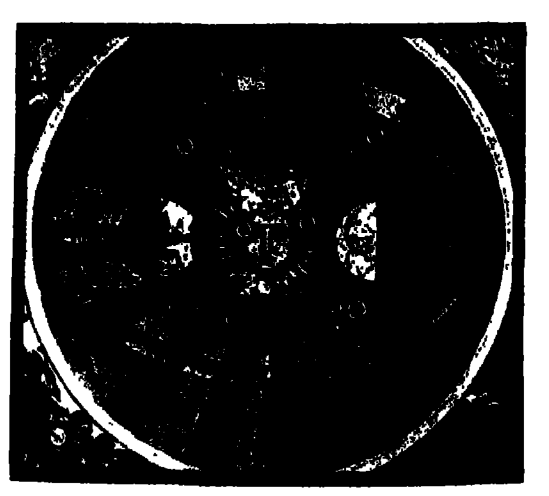
بتصميم هوائيات استقبال خاصة في جامعة برنستون الأمريكية، وهنا لعبت الصدفة دورها.

صدى الانفجار الأزلي:

في ربيع ١٩٦٥م كان (أرنو بنزياس) و(روبرت ويلسون) يعملان في قسم الأبحاث التابع لشركة (بل تليفون) على تطوير هوائي استـقبــال خاص، لاستخـدامـه في عمليات الاتصال البعيدة عبر القارات. حاولت الشركة اختبار إمكانية إجراء الاتصالات هذه بواسطة ما يسمى «بأقمار الصدى الصناعية»: وهي عبارة عن كرات ضخمة من رقائق الألمنيوم الرقيقة جدا، يقارب سمكها صحائف الورق العادي، وقد أمكن وقتها مشاهدة هذه الأقمار ومتابعتها بالعين المجردة ليلا، أثناء دورانها حول الأرض، لأنها كانت تعكس أشعة الشمس كالمرايا تماما.

لم تقم هذه الكرات الضخمة المتنقلة فوق الغلاف الجوي الأرضي بعكس ضوء الشمس فحسب، بل كانت مهمتها الأساسية تكمن في عكس الإشـارات الـلاسـلكية القـادمـة من الأرض، وإعادتها إلى سطح الأرض مرة أخرى.

وبغية التقاط الإشارات اللاسلكية المنعكسة عن أقمار البالونات هذه، فقد قام علماء شركة (بل) ببناء هوائيات خاصة، قادرة على التقاط حتى أضعف الإشارات، وقد حرص العلماء



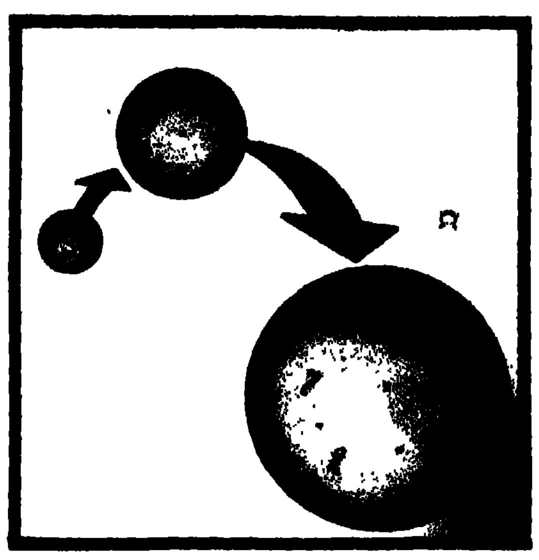
● لوحة من كتاب هولندي، تجعل الأرض مركزا للكون، تدور حوله الكواكب ونجوم الزودياك.

كذلك على تحليص الإشارات الأساسيه من جميع الإشارات الطفيلية (الضجيج) غير المرغوب فيها.

وظهر الهوائي الذي قام ويلسون وبزياس بتصميمه لهذه الغاية فريداً من نوعه، فهو يشبه «قرنا» يزيد طوله عن ١٠ أمتار، وينتهي عند أحد طرفيه بفتحة جانبية واسعة، (طولها ٨ أمتار وعرضها ٦ أمتار)، بينما أخذت النهاية الأخرى شكل «قمع»، ينتهي عند جهاز القياس. يذكرنا الشكل العام للهوائي بأنابيب صعاف السمع القديمة، التي كانت تستخدم من قبل ابتكار التجهيزات الألكترونية الحديثة، ولا يفوتنا أن نتذكر هنا أن المهمة الأساسية لهذا الهوائي كانت شبيهة - من حيث المبدأ - بوظيفة الأنابيب السمعية القديمة هذه.

ما كاد العالمان يباشران تجاربهما سنة ١٩٦٥م، حتى بدأ الشك يعتريهما، فقد كان جهاز الاستقبال يصدر «ضجيجا لاسلكيا ثابتا»، على الرغم من تجهيزات «التصفيه»، لذلك فقد غير الباحثان توجيه الهوائي المتحرك «في جميع الاتجاهات»، لكن النتيجة لم تتغير، واستمر الضجيج الثابت نفسه.

أطبقت الحيرة الكاملة على الباحثين، فقد حاولا إصلاح الجهاز مرارا وتكرارا دون أن يتمكنا من اكتشاف أي خلل في جهاز الاستقبال المستخدم، ومن ناحية أخرى لم يقبلا - بأي شكل من الأشكال - باحتمال وجود مصدر خارجي للضجيج، كان بمقدورهما أن يتقبلا حدوث تشويش (ضجيج) «مؤقت» نتيجة التقاط بعض الإشارات اللاسلكية التي تتبادلها القطع العسكرية، لكنهما وجدا أن «الضجيج اللاسلكي الثابت» يستمر دون انقطاع، وعندما حاولا تفسير الضجيج بأنه صادر عن بعض أجهزة الاتصالات اللاسلكية التي يمتلكها بعض الهواة «العابثين»، الذين «يعاكسون» طاقم شركة (بل)، وجدا أن هؤلاء «العابثين» لن يقدروا - مهما أوتوا من مهارة التنظيم - على تأمين وصول الضجيج «والإزعاج» إلى هوائيات الشركة من «الاتجاهات كلها».



● تمدد الكون

ومرة أخرى لعبت الصدفة دورها، فما كاد ديك يسمع بالتفاصيل الأولى حول طبيعة «الضجيج» الذي أقلق ويلسون وبنزياس شهورا طويلة، حتى حشد مساعديه، وانطلق معهم على الفور إلى قسم البحوث التابع لشركة (بل) في هولمديل.

بددت المعلومات التي رواها العالمان لديك، والأصوات الكونية التي سمعها بأذنيه آخر شكوكه: كان هذا الضجيج الغامض هو البرهان القاطع على صحة نظرية الانفجار الأزلي.

وهكذا نجح ويلسون وبنزياس في اكتشاف هذه الظاهرة عظيمة الأهمية بطريق الصدفة المحضة، ودون أن يعرفا عنها أي شيء، حتى قيام طاقم جامعة برنستون بزيارتهما، إن تلك الإشعاعات التي استقبلتها أجهزتهم، وهذا الضجيج المحير الذي كان آتيا من جميع الاتجاهات في الوقت نفسه، وبالشدة نفسها، وعلى الرغم من تغيير اتجاه الهوائي مرارا وتكرارا، لم يكن «عطلا» كما توهما للوهلة الأولى، وإنما هو «صدى» الشرارة الهائلة التي سببت الانفجار الأزلي، الذي وقع قبل حوالي ١٣ مليار سنة، وأدى إلى نشوء الكون وتمدده، هذا «العطل» الذي كشفه هذان العالمان بالصدفة، وكانت الدلالة التجريبية المباشرة الأولى على أن الكون ليس دون نهاية لا في المكان (الفراغ) ولا في الزمان، وقد أطلق عليه اسم «صدى الانفجار الأزلي».

عود على بدء:

وهكذا فنحن نعلم اليوم، اعتمادا على علوم الطبيعة وحدها، أن كوننا الذي نعيش فيه كانت له بداية، وأنه نشأ ـ حسب معارفنا العلمية الحالية ـ بشرارة عنيفة، كانت من الضخامة بشكل يسمح لنا بسماع صداها حتى يومنا هذا.

ربما تعترينا الدهشة إذا سمعنا بأن كشف صدى الانفجار الأزلي لا يتطلب ـ بالضرورة ـ تجهيزات وهوائيات معقدة باهظة التكاليف!! فنحن نعلم اليوم أن هذا الإشعاع يسبب جزءا مما يسمى «بالضجيج الضوئي لسقوط الثلج»، الذي نشاهده على شاشات التلفزة بشكل بقع بيض كبيرة نسبيا تتحرك بصورة عشوائية على الخلفية الداكنة، وذلك عندما نترك الجهاز شغالا بعد انتهاء بث البرامج!

وعلى هذه الشاكلة فإن صدى نشوء الكون يصل في أيامنا هذه حتى إلى داخل بيوتنا، وهذا يسمح لكل إنسان بالتأكد بنفسه من «البداية الانفجارية» لكوننا الذي نعيش فيه. □

بين الحازم والعاجز



● **دخلت امرأة على بزرجهر حكيم فارس فقالت له: أيها الحكيم، ما بال الأمر يلتئم للعاجز ويلتاث على الحازم؟ فقال لها: ليعلم العاجز أن عجزه لن يضره، وليعلم الحازم أن حزمه لن ينفعه، وأن الأمر إلى غيرهما.**

لمْ يَعْلمُوا سِرَّها

شعر : محمود العتريس *

لا تســألــوني إلام أنــتــظر	وكــلّهــم من جوارهــا نفــروا
لم يعلموا سرها ، وليس لهم	مثلي ، بما في خبائها خبر
لعلني قد علمتُ ما جهلوا	من أمرها . أو لعله القدر
سيان عندي ، فليس ينقصني	إلا الليــالي وخــطوي الحــذر

. . . .

إني - كما شئت - عاشق أرق	من معشر في مدى الهوى سهروا
وعاقروا الحب ملء طاقتهم	وفـوق أيـامهم ، ومـا سكـروا
بقيــة من خريـف صبــوتهم	لما تزل بالــربــيــع تأتــزر
لن أسأم السعي بالهجير ففيَّ	رياض قلبي العيون والشجر
ولن أمــل الــدجى ، أبــدده	بأنــجــم في الـضـلع تستــتر
ولست أخشى الزمان يخدعنا	فالشمس عندي ، وعندها القمر

. . . .

لا تسألوني ، بل اسألوا فلقد	نذرت أن لا تخيفني النذر
كم احتويت اللظى ، فألهبني	كم هزّأتني الــريــاح والمــطر
ولم أتب عن هواي أو أرقي	مادمت في ذا وذاك لا أزر
لم يعلمــوا سرّهـــا ، وأعلمــه	فيــه المنى والأمــان والخــطر
وهكذا الحسن فتنة سبقت	وفـتـنــة في الــزمــان تنتــظر
أجــل سأبقى ويــوم أدركهــا	سيعلم النــافــرون ما خسروا

* شاعر من القطر العربي المصري




صدر العدد الجديد من:
العربي الصغير
مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي
مارس
١٩٩٠
رئيس التحرير: د. محمد الرميحي
يشترك في تحريرها مع الفتيان والفتيات العرب
نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين.
في هذا العدد:
■ استطلاع عن الحدائق العائمة في المكسيك.
■ مسلسل بالألوان: عبد الكريم الخطابي.
■ دعوة لزيارة مدينة نواكشوط.
■ عفريت الكمبيوتر "قصة من الخيال العلمي".
■ الزير سالم "الحلقة الثالثة".
إضافة إلى الأبواب الثابتة:
● إسلاميات.
● كمبيوتر.
● ٨ صفحات لأخيك الصغير وأختك الصغيرة.
نتيجة مسابقة العدد ٤٨

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع



تلك المعركة بين الحماة والكنة

تلك المعركة
بين الحماة والكنة

بقلم : ريم الكيلاني

أيام قليلة بعد الزواج وتبدأ المشكلة في الظهور ، يرتفع صوت النفير معلنا بدء معركة قديمة قدم المجتمعات البشرية ، طرفاها الحماة والكنة ، تبدأ كل منهما بالإعداد للمواجهة وتحقيق النصر ، والفوز بالغنيمة الكبرى ، (الابن - الزوج) ، لكن المعركة لاتنتهي أبداً ، ولواء النصر لاينعقد لأي منهما،وتستمر الحرب قائمة طالما بقيت هناك حماة وكنة ، وزوج لاتدرك واحدة منهما ما له وما عليه .

إنها قضية قديمة ، وعلى الرغم من ذلك فإن رياح الزمن لم تنجح في تبديدها كما فعلت بكثير من القضايا القديمة . إنها قضية تتحكم فيها طبيعة المرأة ورغبتها الشديدة بالتملك ، فهي تندفع بحكم غيرتها ، لكسب الرجل ، وإن كانت كثيرا ماتعاني في ما تقوم به لتحقيق هدفها .

ربما تكون الحياة العصرية قد حدت بشكل ضئيل من الاحتكاك المباشر بين الكنة والحماة ، بحكم مشاغل الحياة ومشاكلها ، وبحكم البعد الزماني والمكاني ، وعلى الرغم من شيوع نظام الأسرة الصغيرة .

لكن يبقى هناك من تجبرهم الظروف الصعبة على العيش مع الأسرة في بيت واحد ، أو الاستعانة بالحماة في رعاية الطفل في أثناء وجود الزوجة في العمل ، مما يسبب الاحتكاك بين الخصمين الأزليين ، فتنشب المعارك ولا تهدأ .

المدعى عليه

تقول سيدة حديثة العهد بالزواج : اتفقت منذ البداية ، على أسلوب الحياة مع زوجي ، وعلى تحديد العلاقات الأسرية بالشكل الذي يضمن لنا ولأسرتنا الهدوء والانسجام ، لكن حماتي كانت تصر على التدخل في شؤوننا بمناسبة وبدون مناسبة ، وكأنها تريد أن تشعر زوجي باستمرار وجودها في حياته حتى بعد الزواج ، وكنت أتحمل ذلك احتراما لكبر سنها ، وحرصا على مشاعر زوجي الذي كان قادرا دائما على حسم الأمور بطريقة ترضي كل الأطراف ، إلا أن هذا كان يقلقني ويكلف زوجي كثيراً من الجهد والأعصاب .

وتقول سيدة أخرى : أجبرتني ظروف زوجي المادية على العيش في بيت أهله الكبير . لم أعترض في البداية ، لأنني أعتقد أنني سأنتقل من بيت أهلي إلى بيت أهلي الثاني . فكانت البداية معهم من هذا المنطلق ، لكن حماتي لم تكن تترك مناسبة إلا وتذكرني فيها بطريقة مباشر

حينا ، وبطريقة غير مباشرة أحيانا ، بأنهم أصحاب الفضل في إعالتي أنا وزوجي ، وأنني يجب أن أرجع إليها إذا أردت شراء شيء ، أو الخروج إلى أي مكان ، مما كان يشعرني بالضيق والحرج ، فأحس بأنني وزوجي وأولادنا شخصيات هامشية ، لا وزن لها ، ولا رأي في البيت الكبير .

لكن هذا ليس حال كل النساء بالطبع ، فالمشكلة لاتخص المرأة وحدها ، بل تمس الرجل بشكل أو بآخر ، وتؤثر على سلوكه وشخصيته ومستقبله ، كما تؤثر على الأطفال بشكل خاص ، وإن كان يميل بعض الناس إلى الاعتقاد بأن معاناة الرجل أقل دائما ، لأن الحماة تسعى لإرضاء زوج ابنتها ، مراعاة لمشاعر الأبنة ، وحفاظا على سعادتها الزوجية .

ويتحدث زوج حول تلك القضية قائلا : لاحظت أن والدة زوجتي تحاول اصطناع الود معي دائما ، فهي تبدي لي كل حب واهتمام ، ولا تتوانى عن إرضائي أبدا ، ولكن حقيقة ماتكنه لي حماتي بدأت تظهر ، بعد عدة زيارات كانت تقوم بها زوجتي إلى بيت أهلها وحدها ، وحينئذ أدركت الحقيقة ، ففي كل مرة كانت تعود زوجتي إلى البيت محملة بأفكار وآراء وطلبات غريبة ، ولاينتهي هذا اليوم إلا بمشكلة كبيرة . وأعلم فيما بعد ، وعندما تهدأ الأمور ، أن أمها هي التي دفعتها إلى ذلك ، بما تقوله لها من كلام حول الرجال ، وضرورة عدم الثقة بهم ، ومراقبتهم الدائمة ، حتى لايبدءوا بالتفكير بغير زوجاتهم . وزوجتي تسمع وتطبق دون أن تفكر ، مدفوعة بقوة أمها وثقتها بها .

وهذا زوج لاندري إن كانت الحياة هي التي أنصفته أو زوجته أو حماته ، فهو يفتح فمه مشدوها من مجموعة الحكايات التي يسمعها عن الحموات فيقول : ومع ذلك لم تتدخل حماتي يوما في حياتنا ، ولم تبد رأيها في تأثيث المنزل ، أو في تنظيم حياتنا ، حتى لو طلبنا منها ذلك . ويضيف : اختلفت يوما مع زوجتي ، فخرجت إلى بيت أهلها غاضبة ، لكن حماتي قالت لها : أهلا بك ضيفة عندنا . حتى تصفى النفوس ، وتعودين بعد ذلك إلى بيتك وزوجك .

لعلك تلاحظ - عزيزي القارىء - خلال هذه الأمثلة أن لكل إنسان تفكيره الخاص الذي يتناسب مع حياته ، ويتوافق مع الظروف الاجتماعية المحيطة به ، إلا أن ماهو ثابت ، وما تؤكده كتب علم النفس أننا جميعا نحب أن نشعر بحاجتنا لأن نكون محبوبين مرغوبين . وإن فقدان مثل هذا الشعور ينتج عنه سلوك غريزي ، يذهب بصاحبه نحو البحث عما هو مفقود : الحب والود والإيثار . وحول هذه المشاعر تدور المعركة بين الحماة والكنة .



ومن الواضح أن هؤلاء الذين يكرسون حياتهم لأهلهم يعانون كثيراً من المصاعب والمشاكل في حياتهم الزوجية ، فالفتاة يجب عليها عند ذلك أن تكون قادرة على أن تفصل نفسها عن أسرتها ، وأن تقبل بمستقبلها في المحيط الذي يختاره لها زوجها . كما أن هناك رجالا لايستطيعون أن يتخلصوا من هذه المسألة ، فيقعون ضحية الحيرة بين الزواج والانفصال عن أهلهم أو البقاء دون زواج ، مفضلين صحبة أمهاتهم وأفراد أسرتهم الآخرين .

إن أي علامة للإفراط الاتصال بالأسرة ينبغي أن تكون علاقة تحذير ، لأن ذلك معناه الزواج بشخص يحاول أن يكون نصف زوج ونصف ابن أو نصف زوجة و نصف بنت ، وهذا لا يفي للزوج أو الزوجة بحقه في حياة زوجية هادئة . يقول الدكتور فرانك كابريو ، المؤلف والطبيب النفساني الأمريكي ، في كتابه تفسير السلوك : « إن البالغين الذين لا يستطيعون أن يقطعوا العلاقات البيئية غير السليمة ليسوا بأهل للزواج ، فإذا تزوجوا فالمشاكل قريبة منهم ، وعلى وشك أن تعصف بهم » .

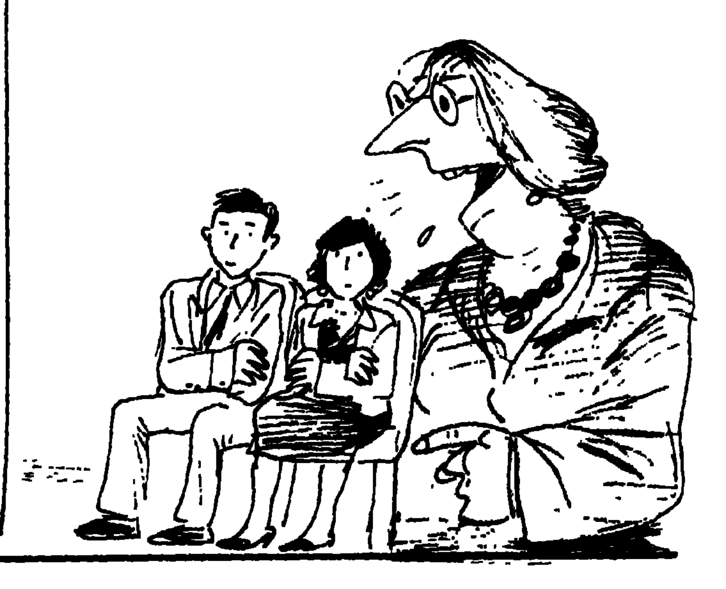
الطبيعي والشاذ

ويبقى لدينا سؤال : هل هذا هو الوضع الطبيعي لكل أسرة ؟ وهل يعني ذلك أن يعيش كل زوجين وشبح الحياة يهددهما ، أو تعيش الأم متربصة لكنتها في كل كبيرة وصغيرة ؟

يتفق كثيرون من علماء النفس والاجتماع على أن هذا الوضع حالة غير طبيعية ، تخص فئة قليلة من المجتمع ، تأثرت بشكل واضح بالموروثات الثقافية والاجتماعية التي نشأت مؤمنة بها ، والتي أثرت في كثير من سلوكياتها وتصرفاتها بعد ذلك .

يقول الدكتور محمد عودة ، أستاذ علم النفس التربوي ، بجامعة الكويت : لعله من المناسب هنا أن نسأل أولا : ماذا تريد الأم من ابنها الذي تزوج وكوّن أسرة ؟ وماذا تريد الزوجة من حماتها ، بعد أن انتقلت إلى بيت الزوجية ؟

إذا قصرت حاجة الأم على السؤال عنها ، والاهتمام بها ، ومعاونتها ، فهذه مطالب عادلة ، بعيدة تماما عن المغالاة ، أما إذا زادت المطالب عن هذا الحد ، كأن تطلب الأم من ابنها أن يبقى ملتصقا بها ، كما كان قبل الزواج ، أو أن تصطنع الغضب إذا لم يحقق لها أمرا غير معقول ، فإن هذا بالطبع يربك مسيرة الحياة الزوجية ، ويسير بها إلى حافة الهاوية . فمحاولة التوفيق بين الطرفين ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، ينتج عنه وفاق ووئام ، أما عدم الإدراك الحقيقي لدور كل من الأم والزوجة ، وعدم العمل على إشباع حاجات كل منهما على الوجه الأكمل ، فينجم عنه الخلل ، ومن ثم الخلاف .



ويجب ألا يفوتنا هنا أن الأم قد أمضت عمرا في رعاية هذا الابن وتربيته ، وهي تبحث دائما عن سعادته وراحته ، وقد تشعر بالأسى إذا تجاهلها ابنها ، أو أنكر حقوقها عليه .

ولعل الطبيعة الإنسانية هنا هي التي توجه الإنسان لمثل هذا السلوك ، فسنة الحياة وطبيعة البشر جعلتا لكل دوراً يؤديه في الأسرة ، لكن الإحساس بأن شخصا ما ، قد يحل محل أحد أفراد الأسرة يثير الغيرة ، ومن ثم تبدأ محاولة التخلص من «الخصم» الجديد ، للاحتفاظ بالدور له وحده .

والمشكلة هنا لها جذورها الاجتماعية في الدرجة الأولى ، فكل فتاة تتشرب هذه المعرفة الخاطئة عن طريق ماتسمعه ، أو ماترويه لها أمها ، أو أختها ، أو صديقاتها اللاتي سبقنها في هذه التجربة .

لكن السؤال الذي يطرح هنا هو : هل للعوامل الاجتماعية دور في هذا الصراع ؟

إن التوافق التام بين الوظائف النفسية مع القدرة على مواجهة الأزمات العادية التي تطرأ على الإنسان يضفي نوعا من السعادة على النفس البشرية . والحقيقة أن سلوك الفرد خاضع لعوامل المجتمع التربوية التي أثرت فينا ، وأحيانا ما ورثناه عن آبائنا .

وقد انقسم علماء النفس إلى قسمين في تفسير السلوك الإنساني ، فبعضهم قال : إن السبب الأول المؤثر في السلوك هو الوراثة . بينما أكد بعضهم الآخر أن البيئة هي المؤثر الأول الوحيد في سلوك الإنسان ، وأن هناك ملكة في الشخص ، تساعده على التمييز الفطري بين الخير والشر . وقد سميت هذه «الحاسة الخلقية» . ومن المعروف أن الغيرة وحب الملكية تشكلان جزءا من سلوك الإنسان ، وأن لهما دورا فعالا في إخراج هذا الصراع إلى حيز الوجود . لكن العقل في النهاية هو الذي يوجه الإنسان الوجهة السليمة للتعامل مع الظروف الجديدة المحيطة به ، خاصة أننا نعيش في مجتمع شرقي ، ونواجه ضغوطا نفسية كبيرة ، بسبب العوامل الاجتماعية المحيطة بنا التي تشكل عبئا هائلا على الأفراد ، مما يجعل الانفكاك عن العادات والتقاليد غاية في الصعوبة ، لتصبح بعد ذلك هذه العادات عبئا على صاحبها ، تنتج عنه مشاكل وخلافات تتباين حدتها حسب طبيعة الإنسان ، وحسب المنهج الذي ينتهجه لنفسه للتعامل مع ماحوله من عوامل [illegible] بعض الناس هنا تط[illegible] الحياة ، وما قد يطرأ عليه[illegible] متغيرات ، خوفا من تغيير دوره أو اضمحلال قيمته كفرد يؤدي عملا خاصا إلى فرد ذي شخصية هامشية في المجتمع .

وعلى الرغم من ذلك فالوضع اليومي للأسرة الحالية أفضل بكثير مما كان عليه سابقا ، عندما كانت الأسرة كبيرة ، حيث تجتمع زوجات الأبناء معا في بيت العائلة ، فيحدث الاحتكاك ، ومن ثم الخلافات التي تنشأ عنه التي تصبح مع الوقت أمرا مألوفا تماما .

المدعي

علينا ونحن نطرق هذا الموضوع مقابلة بعض الحموات للتعرف على وجهات نظرهن في هذه القضية .

تقول أم ستة أولاد متزوجين ، يعيش كل واحد منهم في بيت مستقل : «لم أكن راضية عن تفرق الإخوة ، وعيش كل واحد منهم في بيت ، بعيدا عن جو الأسرة الكبيرة الذي اعتدنا عليه وعشناه نحن من قبلهم ، لكن كل زوجة أصرت أن تستقل بحياتها بعيدا عن سلطة الأسرة ، كذلك رفضن تدخلي في اختيار المنزل أو الأثاث ،

وأنا أجلس في بيت لاأعرف عن أحدهم شيئا سوى ما أراه منهم عندما يأتون لزيارتي ، وغالبا فإن هذا لايحدث إلا مرة واحدة كل أسبوع ، وغالبا ما تتشاجر إحداهن معي ، أو يتشاجر بعضهن مع بعض ، وينتهي اليوم بتوتر بين الإخوة » .

وتقول أم ولد وحيد بكثير من المرارة : لقد قضيت عمري في تربية هذا الولد ورعايته ، قدمت له أقصى مايمكن أن تقدمه أم لابنها ، لكنه اليوم ملك لزوجته ، ويبدو أنه وجد لنفسه شخصا آخر يشاركه حياته ، ويطمئن إليه ، ويفضي بهمومه ، وكأنه يعلن انتهاء رسالتي في الحياة . لم ينقطع ابني عن زيارتي ، خاصة عندما أنجبت له زوجته طفلا ، عهدا العناية به لي ، لأن زوجته امرأة عاملة ، لكنها تعترض دائما على طريقة تعاملي مع الولد ، سواء كان ذلك في تغذيته أو لباسه أو تربيته ، وغالبا مايحتد النقاش بيننا ، فهي تصر دائما على اتباع ماتتعلمه في الكتب لتربية ابنها ، بينما أرى أنا طريقتنا القديمة في التربية أفضل . والمشكلة أن ابني يؤيد زوجته ويقف إلى جانبها ، مشككا بقدرتي وخبرتي اللتين لاأملك غيرهما .

الدفاع

إن الاختلاف قائم بين جيلين مختلفين ، بحكم البعد الزمني وفي العادات والسلوك ، لكن التكيف والقدرة على المواءمة والتحمل لهما أكبر الأثر في الحد من هذه الخلافات ، وللزوج كما للزوجة دور مهم جدا ، فهما الأكثر قدرة على التكيف بحكم السن ، كما أن الأبوين أكثر قدرة على التسامح بحكم التجربة . ويتحدث الدكتور فهد الناصر ، مدرس بقسم الاجتماع بجامعة الكويت ، مدافعا عن الأم الكبرى أو الحماة قائلا : هذه قضية تختلف عواملها وأسباب وقوعها من مجتمع لآخر ، من ثقافة لأخرى ، تبعا للتباين الاجتماعي الذي من شأنه تحديد الكثير من العلاقات ، وفي مختلف المجالات . ولكنني أرى أن الأسرة الممتدة هي أحد عوامل اكتساب الخبرة لكل زوجين حديثين ، كما أن لها دورها الفعال في تحديد مسار الحياة الزوجية والسير بها إلى بر الأمان .

خاصة أنه مهما اختلفت تربية ونشأة الأم (الحماة) والزوجة فإن الدين والجنس والخلفية الثقافية والاجتماعية غالبا واحدة ، ويجدر بنا ونحن نتحدث حول تلك القضية أن نضع كلا من الزوجين في بؤرة المسئولية ، فهما وبسبب صغر سنيهما قادران على التكيف مع الظروف المحيطة بهما ، مراعاة لحقوق الأهل ونفسياتهم .

هذا هو ملف القضية ، وقد تحدث فيه كل من المدعي والمدعى عليه ، وألقى الدفاع كلمته . لكن هل يتوقع أحد منا أن يصدر حكم في هذا الشأن ؟ الحكم سيبقى في النهاية للواقع الاجتماعي الذي يعاني كثيرا من الأمراض ، وإن كان هذا النوع من الاحتكاك ليس أخطرها . وللنفسية الإنسانية التي ملكت عبر السنين عادات تحولت إلى موجهات للسلوك الإنساني . □

● الحب الحقيقي لا يطفئه حرمان ، ولا يقتله فراق ، ولا تقضي عليه أي محاولة للهرب منه ، لأن الطرف الآخر يظل شاخصا في الوجدان .

(مصطفى محمود)



أطفالنا
والخوف من الطبيب

بقلم : الدكتور محمد مروان النحاس*

كثيرا ما نسمع أمهات يخوِّفن أبناءهن بأخذهم إلى الطبيب . ومع أن مهمة الطبيب الأولى هي المساعدة على تخليصنا من الألم إلا أنه مبعث خوف لكثير من الأطفال على الأخص . فهل هذه حالة خاصة بنا ، أو أنها ظاهرة منتشرة في كل أنحاء العالم ؟

يعد الخوف من الأطباء أحد أشكال الخوف الذي يوجد في أعماق كل منا . وقد كان مرده في السابق إلى أنهم كانوا يقبعون في برجهم العاجي، نظرا لقلة عددهم، وحاجة الناس إليهم، يمارس الواحد منهم كل الاختصاصات، بغض النظر عن مدى خبرته فيها، وقلة الإمكانات الطبية المتوافرة بين يديه.

أما في عصرنا الحاضر، فقد اختلف الأمر جذريا، فمع ظهور الاختصاصات الطبية المختلفة، وازدياد عدد الأطباء، ساد الوعي الطبي بين شعوب العالم بعامة، وأصبح الطبيب أكثر صلة واحتكاكا بمجتمعه، وصار للمريض الخيار في انتقاء طبيبه الذي يرتاح إليه ويثق فيه، فتراجعت نسبيا عقدة الخوف هذه من النفوس . إلا أن جذورها ما تزال متأصلة في كثيرين من أطفال العالم الثالث بعامة والوطن العربي بخاصة، وتعزى لأسباب عديدة، مردها الأهل والطبيب

الصغار والأطباء

فبعض الأهل يخافون أصلا من الطبيب، وكم سمعنا عن مرضى انسحبوا خلسة من المشفى، خشية إجراء عملية جراحية مقررة، أو تخلصوا من يدي طبيب الأسنان بوسيلة ما، مخافة قلع ضرس ، أو الاحساس بآلة الحفر داخل الفم، ناهيك عن تهديد أطفالهم المتواصل بأخذهم إلى الطبيب، كي يزرقهم بحقن عضلية مؤلمة . فحين تقع الواقعة لا يكاد الطفل يرى وجه الطبيب، حتى يملأ العيادة صراخا وعويلا من شدة الخوف المزروع في نفسه وكيانه، ولاحظت أن غالبية المرضى الذين يكونون في عيادات مشافي الأطفال بالدول الغربية هم من شعوب العالم الثالث لهذا تقع على الأهل مسؤولية بذر محبة الطبيب في قلوب الصغار منذ نعومة

---

* طبيب وكاتب من القطر العربي السوري .

أظفارهم، ومحاولة شرح ما سيقوم به قبل أخذهم إليه، كي لا يفاجأوا بما هو واقع. كما يفضل إخبار الطبيب مسبقا عن نفسية الطفل والأشياء التي يرغبها، ولهذه الناحية أهمية إذا مادعت الضرورة إدخاله المشفى. عليهم أيضا مساعدة الطبيب في مرحلة المعالجة، واتباع التعليمات الموصى بها، ولا يغيب عن ذهني طفل أجريت له عملية مفاغرة (توصيل) في الأمعاء الغليظة، وأعطيت الإرشادات بتغذيته وريديا مدة عدة أيام، يقرر الجراح بعدها متى تبدأ تغذيته عن طريق الفم تدريجيا، وبعد يومين من الجراحة استجابت الأم لرغبة ولدها، فأطعمته خيارا خفية عن أعين الممرضات، مما أدى إلى تمزق مكان العملية، وإصابة الطفل بالتهاب حاد في البطن، وبالتالي تعرضه لعمليتين جراحيتين كان في غنى عنهما. ومن الحب والجهل ما قتل.

أما الطبيب فهو الطرف الاخر في هذه المشكلة، ويشير الطفل إليه بأصابع الاتهام. لقبه العرب قديما (بالحكيم)، لاستعماله الحكمة في علمه ومعاملته للمرضى، فممارسة الطب عند الأطفال تتطلب حنكة وخبرة في معاملة كل من الطفل والأهل، لكسب ثقتهم ومحبتهم، بصورة لا تقل أهمية عن المعالجة نفسها، كما تختلف عنها لدى الكبار، فعلى قدر مايكون الطبيب جديا في فحصه أو معالجته، تزداد مخاوف الطفل وسلبيته، فوجب أن يحسن الطبيب التصرف بحكمة وروية في موقف كهذا بالتعامل معه حسب عمره وتفكيره بالإضافة إلى بث الطمأنينة في نفسه، والتودد إليه، قبل الشروع في فحصه سريريا، وتزخر العيادات الحديثة بألعاب منوعة، تستهوي الكبير قبل الصغير، كي يستمتع بها في أثناء الكشف، ويمكن أحيانا فحص بعض النواحي من الجسم (كالصدر مثلا) والطفل في حضن أحد والديه، وقد يكافئه الطبيب بهدية متواضعة، كقطعة من الحلوى أو ما شابهها. أما إذا تطلبت الحالة عملا جراحيا، فيمكن شرحه للطفل والأهل بما يتفق ومداركهم. كما يفضل اللجوء إلى التخدير الموضعي أو العام قبل أي إجراء طبي قد يؤلم الطفل (كخياطة جرح أو شق خراج)، وبعض الأطباء يستعين أحيانا لدى فك غرز بعض جروح العمليات (خاصة التجميلية) بالتخدير العام، مما يريح الطفل من الألم والذعر النفسي، وتتضح أهمية ذلك بالممارسة الطويلة.

وقد يلجأ الطبيب في بعض البلدان المتقدمة إلى مشورة الطبيب النفسي لكل من الطفل والأهل في حالات مرضية خاصة، كالتي تتطلب إجراءات جراحية كبيرة، سواء قبل المعالجة أو بعدها.



ممارسة نفتقر إليها

أما بالنسبة لمشافي الأطفال على وجه الخصوص، فجميع العاملين فيها مجندون لمعالجة المرضى وخدمتهم بمحبة وإخلاص، وملائكة الرحمة يحفونهم بأجنحة العطف والعناية تعويضا عن حنان الأبوين، بالإضافة إلى صالة للألعاب ومكتبة صغيرة، بإشراف مربيات متخصصات. وبث برامج إذاعية وتلفازية محببة لديهم. كما يحتفل كل قسم في المشفى بأعياد ميلاد مرضاه، إضافة إلى مناسبات أخرى سعيدة على القلوب وتعد هذه الوسائل المذكورة من فنون الممارسة الطبية المتقدمة التي تفتقر إليها مشافينا. ولن أنسى ما حييت تلك الطرفة التي جرت وقائعها كالحلم العابر في مشفى جامعي للأطفال في بريطانيا ليلة رأس السنة الميلادية، حيث كنت الجراح المناوب، وكان كل شيء هادئا، وقبل منتصف الليل بساعة جاء إلي الجراح المقيم، بقامته الطويلة وتقاطيعه الاسكتلندية المميزة، وعلى وجهه ابتسامة عريضة قائلا: يا دكتور لقد وقع الخيار، بأن تقوم أنت بدور الحورية الشقراء، وأنا بدور «بابا نويل» لزيارة أطفال المشفى هذه الليلة، وتقديم الهدايا إليهم، وفي هذا شرف عظيم لنا. فسألته بارتباك: ومن



اتخذ هذا القرار؟ قال: لجنة من المشرفين على هذا الاحتفال، تضم أساتذة وممرضات أحبته محرجا وقد طفح الدم في وجهي لماذا أنا على الأخص، ولدينا طبيبات وممرضات يقمن بالمهمة أفضل مني؟ قال بلطف وعفوية: لا أدري، وعلى كل حال أنت من وقع عليه الاختيار لهذه المناسبة السعيدة، حيث لم يسبق لأحد أن رفض قبول هذا الشرف الرفيع، ولا حتى وزير المالية البريطاني المعروف بعبوسه وصرامته لم يتردد في قبول دعوة برنامج الأطفال والظهور على الشاشة الصغيرة منذ أيام متقمصا دور ساحر مخيف بعباءته السوداء وعصاه السحرية.

الأستاذ «بابا نويل»

ذهبنا إلى غرفة مكدسة بالهدايا، حيث انطلقنا بها إلى أقسام المشفى، نوقظ الأطفال النيام على أصوات أجراس العيد، لنعطيهم الهدايا، فتمتلأ وجوههم البريئة المسرة والبهجة، بحلول عام جديد، والأمل بشفاء عاجل يسمر بـ المطاف حتى الثانية صباحا، عدت بعد ذلك إلى منزلي، معتقدا بأني اقترفت ذنبا شائنا بحق نفسي، ستلوكه غدا ألسن جميع العاملين في المشفى، من أطباء وممرضات إلى أدنى مرتبة من العاملين. قضيت ليلة ليلاء من تأنيب الضمير، وتمنيت ألا يبزغ الفجر. ذهبت في الصباح إلى قسم الجراحة، وما أن لاحت لي ردهته حتى شاهدت جمعا غفيرا من الناس يغنون ويصفقون بهجة وسعادة، يتوسطهم ثنائي آخر من «بابا نويل» والحورية. بحثت بين الوجوه عن أستاذي القدير، وإذا هو المتنكر بزي «بابا نويل»، وحوريته أستاذ آخر جليل القدر، ولما قطعت شك ما رأيت باليقين، أثلج صدري وهدأت سريرتي. وبعد انتهاء هذا الاحتفال الصباحي، دنا المحتفلون مني يهنئونني بإطلالة العام الجديد، ويشكرونني على الدور الناجح الذي أديته بعبارات رقيقة، مايزال صداها يهز مشاعري، وقدم لي الأستاذ «بابا نويل» هدية أعتز بها على الرغم من تواضعها، وكأنني الفائز الأول في سباق فريد، غايته الوصول إلى هذه القلوب البريئة بالعطف والتواضع، كي يتحول خوفها من الطبيب أمنا وطمأنينة، وتغرس في حناياها محبة ومودة. □

هو.. هي

فوضى

لا أدري كيف اكتشفت ذلك ، لكنني اكتشفته ؛ اكتشفت أن زوجي فوضوي كبير ، على الرغم مما يبدو عليه من اتزان ووسامة وأناقة . أما اكتشافي الأكبر فكان تلك المفارقة التي مفادها أن الشخص قد يكون الشيء ونقيضه في الوقت نفسه . وفي حالة زوجي فإن اتزانه ووسامته وأناقته لا تنفي حقيقة كونه فوضوياً ، لا مبالياً ، قليل الإحساس بالجمال .

فهو ما أن يأتي من عمله حتى يتحول إلى شخص آخر ، يقذف ملابسه في كل اتجاه ، ويهرع إلى المطبخ ، ليتناول قبل الغداء بعض المأكولات السريعة . وربما بعض الفواكه أو الحلوى ، فيفسد موعد الوجبة التي أرى أننا يجب أن نتناولها معاً برفقة أبنائنا . وكثيراً ما نكون ـ الأولاد وأنا ـ قد انتظرناه طويلاً ، حتى يأتي ، لنلتم جميعاً حول المائدة في جو عائلي .

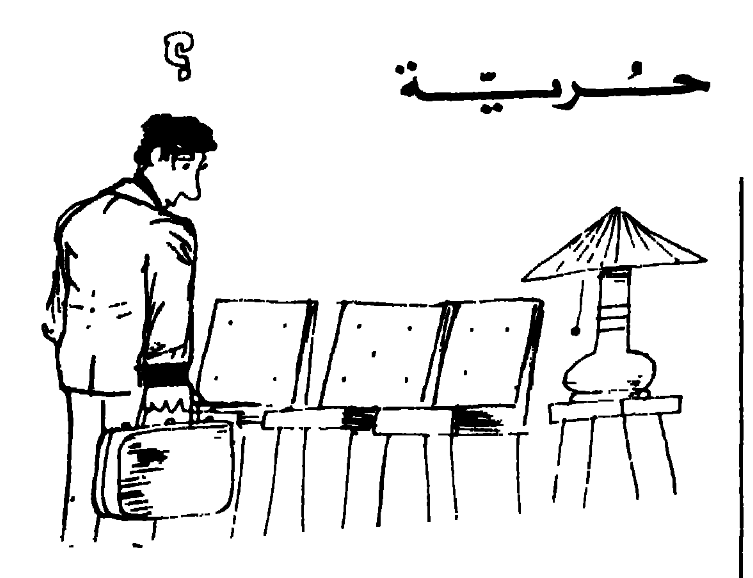
المشكلة الكبرى هي أنني نبهته مراراً إلى أن هذه السلوكيات الصغيرة تسيء إليه أولا ، كما أنها لاتساعده على إعطاء صورة جيدة عن أب مثالي بالنسبة للأولاد . ولكنني أقلعت عن ذلك عندما لاحظت أنني كلما قلت له مثل هذه الأمور البديهية ، استشاط غضباً ، وبدأ يتحدث عن الحرية والتلقائية والراحة التي لا يتسنى له ممارستها خارج المنزل . ولاينسى في غمرة انفعاله أن يتهمني بأنني أحول المنزل من مكان للراحة والتحرر من كل الرسميات إلى ما يشبه المعابد التي يجب أن تكون فيها كل خطوة محسوبة ، وكل كلمة لها درجة صوت مناسبة ، وكل حركة لها تبريرها .

وأمام سيل كلماته الجارف لا أجد أمامي سوى الصمت الذي لا يرضيه ، لأنه لا ينهي المشكلة التي تفجرت ، ولا يرضيني لأنه لاينهي مشكلتي التي تبدأ مع عودته من العمل كل يوم .

هي..



حرية؟



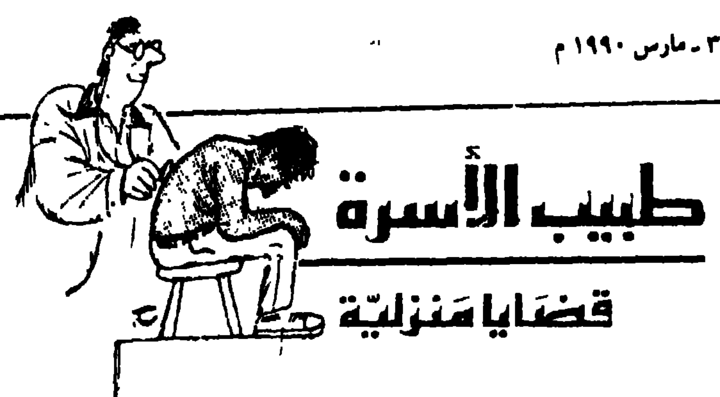
■ سامح الله زوجتي، فهي تضايقني دون أن تدري، وتوبخني دون أن تقصد، وتخلق المشاكل في بيتنا الهادىء وهي تنوي تنظيم الحياة فيه وترتيبها، لكي يصبح بيتاً مثالياً، تفاخر به صديقاتها الحميمات واللدودات على حد سواء.

والمشكلة تكمن في أنني أؤمن بأن المنزل لم يخلق للراحة والسكينة فحسب، بل وجد ليكون المكان الذي تمارس داخله ما لا يمكنك ممارسته خارج المنزل. وإن كان خارج المنزل هو العمل بالرتابة والانتظام والمعاملات الرسمية والسلوكيات والجدية، فإن المنزل يجب أن يكون المكان الذي نتخلص فيه من السلوكيات الجدية، ونكسر فيه الرتابة والانتظام. وإن كان الخارج هو الأماكن العامة، مثل المطاعم والمقاصف والمقاهي أو شاطىء البحر، حيث الرسميات والآداب العامة والحركات المحسوبة جيداً، فإن المنزل يجب أن يكون المكان الذي نتحرر فيه من الرسميات والحركات والأصوات المحسوبة، ونطلق فيه على سجيتنا؛ نأكل متى ما أردنا، وننام حين نرغب، ونلعب مع أطفالنا ألعاباً قد تزرع الفوضى في المنزل، لكنها تزرع في نفوس أبنائنا الفرح، وتكسر الحواجز بيننا وبينهم، وتجعلنا أكثر قرباً إلى عوالمهم الصغيرة.

لكنني ما أن أعود من العمل المضني حتى أحد المنزل في صورة تذكرني بصور الدعاية للأثاث، فكل شيء مرتب، وكل قطعة تقف بأناقة في مكانها المخصص، فأشعر أنني إذا شئت احترام كل هذه الأناقة، وهذا الترتيب، على أن أخرج من المنزل، إلى أي مكان آخر، أمارس فيه صخبي المكبوت، وحريتي المقيدة خلف المكاتب والمعاملات والأناقة المفتعلة والابتسامة المصطنعة

إلا أنني أعترف أن شيطان الفوضى يسيطر عليّ في تلك اللحظة، فلا أستطيع المقاومة، وعند ذلك تبدأ مشكلة كل يوم التي أعتقد أنها إن انتهت فإن تغيراً جوهرياً قد طرأ عليّ. وهذا أمر بعيد الاحتمال. □





عندما يكونُ الوَلَدُ سِرَّ أُمِّهِ لا أبيهِ

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

« الدجاجة أو البيضة أيهما الأصل ؟ » قضية قديمة عقيمة ، لم يصل حولها الجدل إلى قرار ، لهذا يضرب بها المثل في كل نقاش يطول ، أو جدل يدور لاطائل منه ، ولن ينتهي إلى حسم .

غير أن قضية الدجاجة والبيضة هذه قد أصبحت نمطا من أنماط التفكير عند بعض الأقوام ، ربما كان أبرزها ذلك الجدل الذي ثار في قديم الزمان حول الرجل والمرأة ، أيهما هو الأصل في الوجود ؟

الغريب في أمر هذه القضية أن الغلبة كانت من نصيب الرجل ، ولعل هذا هو الذي أعطاه حق التفوق والتسلط ردحا من الزمان ، حين تصوروا أن الرجل هو الذي يضع بذور الحياة ، يزرعها في تربة المرأة التي تقوم بدور الأرض ، وهكذا تنمو شجرة الحياة وتثمر أجيالا متعاقبة ، لابل قد ذهب الخيال بهؤلاء الأقدمين إلى أن صوّر لهم خيالهم أن بذور الحياة الأولى تتخلق في النخاع الشوكي داخل العمود الفقري للرجل ، حيث كل بذرة منها ما هي إلا إنسان صغير متناه في الصغر ، دقيق الهيئة ، يزرعه الرجل في رحم المرأة التي تقوم على تغذيته وترويته لينمو ويكبر مع الأيام ، حتى يحين يوم ولادته .

هكذا وجد الإنسان حلا لقضيته على الرغم من فشله في حل قضية الدجاجة والبيضة الأزلية .

نعم ، لقد وجد حلا ، ربما يرضيه ، ولكنه لم يرض الحقيقة العلمية التي قدمتها لنا المجاهر والاختبارات العلمية الحديثة .

أما القضية الأخرى التي احتار في أمرها الإنسان في ما مضى من الزمان ، وقد ذهبت الأقوام في أمرها مذاهب شتى ، وأفتى في حلها من شاء له الهوى أن يفتي ، فهي قضية الذكر والأنثى ، ولعل الإغريق القدامى كانوا أول من ذهب بهم تصورهم إلى أن للمرأة رحمين ، الأيمن منهما يختص بحمل الذكور ، والأيسر يختص بحمل الإناث ، وحيث يكون نصيب بذرة الرجل من الرحمين يكون جنس المولود .

ولم يخرج عن إجماع آراء هؤلاء الإغريق سوى عميدهم الطبيب أبقراط الذي أعلن أن خصية الرجل هي سر الجنس ، وليس رحم المرأة ، لأن خصية الرجل اليمنى هي التي تنتج الذكور ، وأما الخصية اليسرى فتنتج إناثا

هكذا ثار الجدل ، واحتد النقاش ، حول سر الذكو[رة] والأنوثة في سالف الزمان ... أن حسمه اكتشاف سر ال... الذي تبلور فيما اكتشف ...

١٩٥٦ من وجود الكروموزومات أو الصبغيات في الخلية الحية .

الكروموزومات

مع مطلع القرن العشرين بدأت براعم علم الوراثة التي زرع بذرتها العالم الراهب مندل ، وصحبه ، تتفتح ، وما أن حل عام ١٩٥٦ حتى تمكن العلماء من انتزاع قناع الخلية الحية ، فإذا بهم أمام سر الوراثة الذي يتمثل في تراكيب خيطية الشكل ، داخل نواة الخلية ، ذات أعداد محددة لكل نوع وجنس ، أطلقوا عليها اسم الكروموزومات ، وعربوها فسموها بالصبغيات ، وهي تحمل على متنها خصائص الوراثة وهي ما عرف باسم الجينات أو المورثات .

وعددها في مطلع تجاربهم وأبحاثهم (٤٨) صبغية ، في كل خلية من خلايا جسم الإنسان ، ثم تبين لهم خطأهم فيما بعد ، حين اكتشفوا أنها (٤٦) فقط ، وليست (٤٨) ، كما توهموا في بادىء أمرهم .

وهذه الكروموزمات أو الصبغيات الست والأربعون وجدوا منها (٤٤) صبغية تنتظم في أزواج متشابهة شكل والطول والصفة . قالوا منها إنها تحمل الصفات الوراثية المشتركة من الأم ومن الأب معا ، أما الصبغيتان الباقيتان فهما مختلفتان طولا ووضعا وصفة ، كما تختلفان في ما تحملان من مورثات ، لهذا سموا الصبغة الأولى (X) (اكس) كما سمو الصبغة الثانية لها Y (واى) ،نسبة إلى شبههما بالحرفين X و Y (واي) من حروف الأبجدية الانجليزية .



لقد وجدوا أيضا أن الصبغية (X) (اكس) أكبر حجما ووزنا ، كما أنها تحمل من المورثات عددا أكبر مما تحمل Y (واي) .

وهنا تكمن بداية السر في قضية الجنس من ذكر ومن أنثى ، وقد وجدوا أن خلية الذكر - كل خلية فيه - تحمل من هذه الصبغيات واحدة من نوع X (اكس) ، وأخرى من نوع Y (واي) . بينما تحمل كل خلية في جسم الأنثى صبغتين متشابهتين من نوع X (اكس) .

ولما كانت المورثات التي تحملها الصبغيات على متنها هي سر صفات المخلوق ، فإن اعتلال إحداها أو شذوذه سوف يؤدي إلى ولادة طفل معتل أو شاذ ، وهذه هي الأمراض الوراثية ، وهذا هو سرها .

غير أنهم وجدوا أيضا أن عامل الوراثة يكون على إحدى درجتين ، فهو إما أن يكون صفة قوية ، أطلقوا عليها اسم الغالبة ، أو يكون صفة ضعيفة ، سموها الصفة المتنحية .

ولو التقت صفة غالبة من أحد الوالدين صدفة مع صفه متنحية من الآخر ، فإن التفوق يكون للصفة الغالبة في جسم الابن المشترك ، لكن الصفة المتنحية إذا لم تجد ما يغلبها أو يعادلها فإنها تحكم المولود ، وتظهر عليه ، ويتميز بها .

وهنا يكمن سر من الأسرار التي حار العلماء في تعليلها ، لأنه قد تكون مورثة ذات صفة متنحية ، تعتلي متن صبغية (كروموزوم X اكس) ، ووجود مورثة سليمة على متن الصبغية الأخرى X (اكس) عند الأنثى سوف يخفيها ويكبتها لكنها لو كانت في خلية الذكر فإن صبغة كروموزوم Y (واي) المقابلة لصغية X (اكس) لاتستغلب على قرينتها ، لأن كروموزوم (صبغية) Y (واي) خال من مورثة مقابلة للمورثة

المعتلة ، وبهذا تجد المورثة المريضة المتنحية فرصتها في الظهور .

وهذا ما أطلق عليه الأطباء اسم الأمراض المرتبطة بالجنس .

وهي مجموعة من الأمراض يعاني منها الذكور فقط ، ولاتعاني منها الاناث إلا فيما ندر ، كما أنها أمراض تنقلها الإناث إلى مواليدهن الذكور ، بينما لاينقلها الذكر إلى أولاده .

لقد حيرت هذه الأمراض كل المشتغلين في أمر الطبابة ردحا طويلا من الزمن ، ولم يعرفوا لها سرا ، لهذا قامت الشعوذات لحلها وغلفت قصصها بالأساطير ، ولعل أشهرها ماكان من أمر ظهور الدجال المشعوذ المعروف في روسيا القيصرية باسم الراهب « راسبوتين » الذي ادعى قدرته على شفاء ولي عهد القيصرية « الكسي » من مرضه الذي كان يعاني منه ، ، وهو أحد هذه الأمراض ، ويعرف بأم النزاف أو الهيموفيليا .

في مبدأ الأمر عرف الطب سر عدد محدود من هذه الأمراض ، قد لايتعدى عدد أصابع اليد الواحدة ، ثم توالت الاكتشافات الطبية ، فإذا بالعدد يتجاوز العشرات ، مما لايتسع المجال لحصره وتعداده في هذه العجالة ، لهذا نأتي على ذكر نماذج من هذه الأمراض ، ربما كانت الأشهر والأكثر شيوعا .

مرض الهيموفيليا :

يعرف هذا المرض بالعربية باسم النزاف أو الناعورة ، وربما أطلقوا عليه اسم المرض الملكي ، لأنه شاع بين أفراد الأسر الحاكمة في أوربا، خلال القرن التاسع عشر، فأصاب كثيرا من أمرائها وملوكها ، ممن ارتبطت سلالاتهم بأواصر القربى بملكة بريطانيا فكتوريا التي كانت حاملة لهذا المرض فنقلته الى أولادها وإلى أحفادها ، عبر بناتها . ولعل أشهر ضحاياه كان ابن الملكة نفسها ، الأمير ليوبولد وكان من ضحاياه أيضا ولي عهد العرش الأسباني .

ومرض الهيموفيليا يشكل قصة حزينة عند ضحاياه الذين ينزفون دون توقف ، ودون قدرة على تجلط دمائهم ، وسببه نقص مورث لأحد عوامل تخثر الدم ، وقد حددوه باسم العامل الثامن . تمكن توفيره في وقتنا هذا ليحقن به المصاب المريض فلا يموت من النزيف .

عمى الألوان :

ربما كان اسم مرض عمى الألوان شائعا ومعروفا ومألوفا ، غير أن كثيرين قد يدهشون لو علموا أنه مقصور على الذكور دون الإناث ، لأنه من مجموعة الأمراض المرتبطة بالجنس ، إذ يرث المولود نقصا في الأقماع المتخصصة برؤية الألوان ، وبخاصة اللون الأحمر منها ، إذ تتميز شبكة العين السليمة بوجود ثلاثة أشكال من الخلايا المتخصصة بالألوان ، تعرف باسم الأقماع ، قد يغيب منها نوع أو أكثر في شبكية الانسان المصاب ، وهذه علة قد تنقلها له أمه ، دون أن تعاني هي منها .

مرض الفولية :

هكذا سموه ، لعجز في الطفل ينصب على التمثيل الغذائي لأحد العناصر الموجودة في الفول ، أو ربما أيضا في مواد أخرى مثل الأسبرين وأقراص الكينا ، بسبب غياب الخميرة المختصة المعروفة باسم (ج٦ ف د) ، فيصاب المريض بتكسر في كرات دمه الحمراء ، ويعاني من فقر الدم الشديد .□

---

* الزوج الأصم ، والزوجة العمياء ، هما أسعد الأزواج !
(مثل دانمركي)





بعد المعركة

لم أكن قد التقيت صديقي القديم منذ سنين طويلة . وبطبيعتي الحذرة ، ذهبت لزيارته ، دون أن أهجس بفرحة لقاء صديق عزيز فارقته سنين عديدة ، فقد كانت فرحتي مشوبة ببعض الخوف مما قد أجده من تغير في ذلك الصديق القديم ، فالحياة التي عشتها لم تعلمني التفاؤل بغير حساب ، ولم تمنحني فرصة الاستسلام للأوهام الجميلة .

ولأن الفراق غير القطيعة فإنني بقيت أتابع عن بعد أخبار صديقي الذي عرفته أيام بؤس وقسوة وتشرد ، جعلته يدخل معركة مفتوحة مع الحياة ، لم يكن يملك شيئا يخسره ، لذا فقد كان مجرد عدم الخسارة بالنسبة له مكسبا ، يقيه من الانهيار ، ويعينه على مواصلة المعركة مع هذا الخصم غير المرئي ، فتمكن من الصمود والبقاء ، ثم أفلح بالفوز بحياة مريحة .

واحدة من قصص العصامية التي نشاهدها تنسج من حولنا ، لا جديد فيها سوى أن هذا العصامي هو صديقي القديم .

استقبلني على باب منزله الكبير دون فخامة ، ثم بداخله الفسيح دون ترف ، بدأنا حديثا كان لا بد أن يمر بالماضي الذي يمثل الموضوع المشترك بيننا . تحدث بلا حماس عن تلك الأيام التي ولت بغير رجعة . وبالوتيرة نفسها انتقل يتحدث عن حاضره ، بصيغة تدل على قناعة تامة وسلام مطلق . ولم يكن في ذلك ما يضير .

لكنني وأنا أتأمل تلك الدعة وذلك الرضا في عيني صديقي شعرت أن هناك شيئا مفقودا . فأنا لم أجد تلك الحيوية التي كانت سمته المميزة،وذلك النشاط الدائب الذي لا يتوقف . وخفتت نبرة صوته التي عرفتها سريعة متحفزة ، ومكان التعليقات السريعة النافذة حلت الأفكار التقليدية عن الحياة والناس .

حين افترقنا شعرت أنني فقدت صديقي القديم . لقد أدى واجب الصداقة من كرم ومجاملة وحسن ضيافة على أكمل وجه ، ولم تنقطع من حديثه طوال اللقاء كلمات الود والاحترام ، لكنني مع ذلك لم أجد صديقي القديم .

لقد انتهت معركته مع الحياة ، وفاز بالراحة والسلام وتحول إلى انسان جديد ، لكنني خسرت صديقي القديم . □

صلاح حزين

جمال العربية

بقلم : الدكتور حسن عباس

صفحة لغة

العربية ووسائل الإعلام

هل هناك لغة مميزة أو أسلوب مميز للصحافة وأجهزة الإعلام ؟ اللغة واحدة في حقيقة الأمر ، ولكن لكل قطاع من قطاعات الحياة مفردات يكثر تداولها دون غيرها ، تكاد تكون الرموز الاصطلاحية لهذا القطاع دون غيره . من هنا نجيز لأنفسنا القول بأن هناك لغة أو مفردات لغوية تخص الصحافة وأجهزة الإعلام ، ونعني بها تلك المفردات التي يكثر تداولها في نقل الأخبار ، ووصف الأحداث السياسية والعسكرية ، وصياغة البنود والاتفاقيات ، بل إن الصحافة وأجهزة الإعلام لم تعد تترك مجالاً لا تخوض فيه . وقد يكون ما يظهر في الصحافة وغيرها من وسائل الإعلام مكتوبا بأقلام محلية أو مترجما عن لغات أجنبية ، وفي كلا الحالين تشيع أخطاء ما كان ينبغي لها أن توجد . وقد تنبه الزميل الدكتور كامل ولويل - بحكم اشتغاله في واحدة من وسائل الإعلام - إلى مثل هذه الأخطاء ، ورصدها في كتابه الذي صدر حديثا بعنوان «اللغة العربية في وسائل الإعلام» .

يضع المؤلف الترجمة في مقدمة الأسباب التي تعمل على إشاعة الخطأ إذا قام بها من يترجم ترجمة حرفية . فمن الكلمات التي تتداولها أجهزة الإعلام كلمة Cover الانجليزية ، فيضع لها المترجم الكلمة التي يحددها القاموس ، وهي : «يغطي» ، فهل يفيد هذا الفعل في العربية معنى نقل الخبر ، كأن تقول : «قام مراسل جريدة الشعب «بتغطية» أنباء القتال الدائر في بيروت بين فئات متنازعة»؟ ،الغطاء والتغطية ليس لهما علاقة بالأخبار ، ومعاجم اللغة تضع أفعالاً غير هذه الأفعال لدلالة نقل الخبر فتقول : نَقَلَ الخبر ، أو أبلغه ، أو أوصله ، أو سرده .

ومن الكلمات التي يساء استخدام ترجمتها كلمة : reach بمعنى : يصل ، فإن أجهزة الإعلام ، على اختلافها ، تقول في نقل خبر إحدى الشخصيات الرسمية : «وصل الكويت مساء أمس وزير الاقتصاد في دولة (. . . . .)»، وهذا الاستعمال خاطىء ، لأن الفعل «وصل» بالانجليزية متعدٍ ، أي يحتاج إلى مفعول به ، ولكنه في العربية لازم لايتعدى ، فهو لذلك ليس بحاجة إلى مفعول ، بل إلى حرف الجر (إلى) ، فتقول ؛ وصل إلى الكويت مساء أمس . .

ومن تلك الكلمات كلمة : Via بمعنى : عَبر ، يقولون : «عبر أجهزة الاتصال» ، والأكثر صوابا من ذلك أن نقول : «بأجهزة الاتصال أو بواسطة الاتصال» . ومنها أيضا كلمة : «طبقا» المترجمة عن كلمة : according ، فهي ترد في أمثلة كثيرة في الصحافة والإذاعتين المسموعة والمرئية ، من ذلك مثلا قولهم : سيتم نقل

الأسرى يوم الأحد طبقا لوكالات الأنباء ، سيعقد الاجتماع طبقا لمسئولين بريطانيين غدا

عقب الدكتور ولويل على هذين المثالين بقوله اللغة العربية لا ترضى باستعمال (طبقا) في مثل هذين الموضعين ، وإنما تتطلب استعمال الكلمة الصحيحة لهذا الوضع ، وهي . (وفقا) ، أو كلمة (وفاقاً) ، أو (على وفق) ، هذا إذا أردنا التمسك بحرفية الترجمة ، ولكنك تستطيع أن تذكر عدة جمل تؤدّي المعنى بصورة سهلة واضحة ، فتقول : ذكرت وكالات الأنباء أن الأسرى سينقلون يوم الأحد القادم ، أو سيتم نقل الأسرى يوم الأحد القادم وفقا لما ذكرته وكالات الأنباء . . . وكذلك تقول : ذكر مسئولون بريطانيون أن الاجتماع سيعقد غدا

ثم تأتي أخطاء النحو بعد أخطاء الترجمة ، ولا يتسع المجال إلا لذكر بعض منها فبعضهم يقول . لا زالت الاجتماعات منعقدة في مجلس العموم ، ويقول : لا زالت الجهود تبذل لإصلاح الوضع . . وهذا استعمال خاطئ لكلمة (لازال) ، فهي تفيد الدعاء لا الاستمرار . يصح أن يقال . لازالت الديار قوية عزيزة بأهلها ، فهو دعاء للديار بدوام القوة والعز ، أما ما يفيد الاستمرار فهو (مازال) ، كأن تقول : مازال الجو معبرا ، ومازال المجلس منعقداً . وكثيراً ما يختلط الأمر على العاملين في وسائل الإعلام ، فيأخذون بالاستعمال الأول للدلالة على الثاني .

أما كلمة : (حيث) التي يقع لبس في فهم معناها ووظيفتها ، فهي ظرف يضاف إلى جملة مكانية . تقول : أجلس حيث أجد الراحة

لابد أن نقاتل عدونا حيث نجده ولكن بعضهم يتخذ من (حيث) أداة ربط بين الجمل ، فيقول : اجتمع الوفدان لمناقشة القضية حيث عرضا وجهتي نظرهما ، والخطأ في هذا الاستعمال هو أن الجملة التي تلي حيث لا تدل على المكان ، والأفضل أن تضع بدلا منها أحد حروف العطف مثل . ثم ، قد ، و .

وهناك تركيب (مِنْ قبلْ) الذي يدخل الجمل دون استئذان ، على الرغم من خطئه فيقولون : دونت الملاحظات من قبل اللجنة . هل في استعمال (مِنْ قِبل) أي ضرورة في هذا السياق ؟ ألا يكفي القول . دونت اللجنة الملاحظات

أما عن الخلط بين حرفي الجر (إلى) و (ل) فهو كثير ، فلكل منهما معنى واستعمال ، أما المعنى فهو أن (إلى) تعني انتهاء الغاية ، في حين تستعمل اللام للدلالة على الملكية والتخصيص ، ويتحدد استعمال كل منهما تبعا للمعنى الذي تدل عليه تقول مثلا : سلمت الملف كاملا إلى العضو المنتدب ، وهذا خطأ وصوابه : سلمت الملف كاملا للعضو المنتدب ، ونسبب أن الملف سيوضع تحت تصرفه ، كأنه ملك من أملاكه ، ولم يكن الغرض سفر الملف من مكان كذا ابتداء إلى مكان كذا انتهاء

وتقول : سافرت صباح الخميس الماضي للقاهرة ، وهذا خطأ أيضا والصواب قولك . سافرت صباح الخميس الماضي إلى القاهرة ، لأن حرف الجر (إلى) في هذه الجملة يحدد انتهاء غايتك من السفر . ◻

خمس
النفس

● قال أبو سعيد الخراز : رأيت في الحرم رجلا فقيرا ، ليس عليه إلا ما يستر عورته ، فأنفت نفسي منه ، فتفرّس فيّ ، وقال . « واعلموا أن الله يعلم مافي أنفسكم فاحذروه » ، فندمت على ذلك ، واستغفرت في نفسي فقال : ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾ .



□ صفحة شعر

□ هكذا غنى الأدباء

المقصورة

للشاعر محمد مهدي الجواهري

ولد الجواهري في عام ١٩٠٠ على الأرجح ، وإن لم تتفق مصادر كثيرة على تاريخ محدد لولادته ، بل ويساعد الشاعر نفسه على التعمية عن ذلك التاريخ ، فيذكر أرقاما مختلفة ، فهو الآن في التسعين من عمره . وكانت ولادته في النجف ، وهي مدينة نبغ فيها كثير من الشعراء والأدباء ، ولا غرابة في ذلك ، فهي بيئة دينية أدبية معا .

صدر له في عام ١٩٢٨ أول ديوان شعر ، وهو يحمل عنوان : «ديوان بين الشعور والعاطفة»

أصدر ديوانه الثاني «ديوان الجواهري» في عام ١٩٣٥م ، وفي أواخر عام ١٩٣٦م أصدر جريدة «الانقلاب» بعد الانقلاب العسكري الذي قاده بكر صدقي ، لكن حكومة الانقلاب أوقفت الجريدة ، وزجته في السجن . بعد سقوط الانقلاب عادت جريدته لتحمل اسم : «الرأي العام» ، وأصدر جرائد أخرى كالثبات ، والدستور ، والأوقات البغدادية ، وغيرها ، وكثر اصطدامه بالسلطة ، وقد دأب على مغادرة العراق والعودة إليه كلما سمحت له الظروف بذلك . حضر عدداً غير قليل من مؤتمرات الشعر والأدب ، وكانت تربطه بالدكتور طه حسين علاقة ودية ، فقد دعاه لزيارة مصر أكثر من مرة .

أما قصيدته التي اخترنا عدداً من أبياتها فهي «المقصورة» ، وهي من عيون شعره ، نظمت عام ١٩٤٧ ، ونشرت أجزاء منها في معظم الصحف العراقية ، ونشرت كاملة في جريدة «الرأي العام» سنة ١٩٤٨م . يقال : إنها في الأصل تتألف من حوالي ٤٠٠ بيت ، لكن عدداً غير قليل من أبياتها فُقد . وفي الأبيات التالية - كما في غيرها - تتجلى شاعرية الجواهري الفذة ، تبدو اللغة طوع بنانه ، يختار من فصيحها وجزلها وعذبها ما شاء له الاختيار والأبيات مثقلة بالعاطفة الصادقة وحب الوطن ، يتبدّى ذلك من السلام الذي يلقي على كل مظهر من مظاهر الطبيعة ، وقد بدت لعينيه عرائس من فتون وتغنٍ .

سَلَامٌ عَلَى هَضَبَاتِ العِرَاق ... وَشَطَّيْهِ والجُرْفِ والمُنْحَنَى

عَلَى النَّخْلِ ذِي السَّعَفَاتِ الطِّوَالِ ... عَلَى سَيِّدِ الشَّجَرِ المُقْتَنَى

عَلَى الرُّطَبِ الغَضِّ إذ يُجْتَلَى ... كَوَشْيِ العَرُوسِ وَإذْ يُجْتَنَى

بِإِيسَارِهِ يَوْمَ أَعْذَاقُهُ ... تَرِفُّ ، وبالعُسْرِ عِنْدَ القِنَى

وبالسّعف والكَرب المُستجـ ـد ثوبا «نهراً» وثوبا نصا

ودجلة إذ فار آذيُّها كما حَمِ ذو حرد فاغتلى (٣)

ودجلةَ تمشي على هونها وتمشي رُخاء عليها الصَّبا (٤)

ودجلةَ زهو الصبايا الملاح تخوّض منها بماء صرى (٥)

تُريك العِراقيَّ في الحالتيـ ـن يُسرف في شُحّه والندى

سلامٌ على قمرٍ فوقها عليها هفا وإليها رنا (٦)

تُدغدغ أضواؤه صدرها وتمسح طيّاتها والثنى (٧)

كأن يداً طرّزت فوقها من الحُسن موشية تُجتلى (٨)

رُواءُ النمير لها لُحمةً وذوب الشُّعاع عليها سدى

ونجمٌ تغوّر من حُبّها ونجمٌ عليها أدنى فأدلى

على الجسر ماانفكّ من جانبيه يُتيح الهوى من عُيون المها (٩)

فيا ليتهنّ الذي يعتدي ويا ليتك الرجل المُعتدى

ويا ليتَ بسلواك قُبُّ الصُّدور ولُعس الشفاه وبيض الطُّلى (١٠)

ويا ليتَ أنّك لا تشتكي ظماءك إلا لهذا اللمى

وليتَ بهن ولا غيرهن تنقّل في غضب أو رضا

بهنّ ولا بغلاظ الرّقاب قباح الوُجوه خباث الكُشى

سجا الليلُ إلا حماماً أجدّ هديلا وترجيع كلب عوى (١١)

وجُندبةً طارحتْ جُندبا وبوما زقا وسحيلا ثغا (١٢)

وديكاً يُؤذّن في جمعهم بأنْ قد مضى الليلُ إلا إنى (١٣)

ودوّى قِطارٌ فردُ الحيا ة عفوا إلى عالمٍ يُبتنى

وما برح القمرُ المُستديـ ـرُ يسبح في فلكٍ من سنا

تلوذ النُّجومُ بأذياله هفتْ إذ هفا ودنتْ إذ دنا

إلى أنْ تضوّرَ غُولُ الصَّباح ودبَّ الهُزالُ به فانضوى

---

(١) جلا الفضة : صقلها ولمعها ، وجلوة العروس تحسينها وتجميلها (٢) أي سلام عليه في حالة ايساره باعدافه الرافة وفي حالة اعساره إذ قنواته متمثلكة يابسة (٣) آذى البحر أو النهر : ماؤه الكثير «المواضع العميقة» ذو حرد : صاحب ثأر . يشبه دجلة في تدفق مياهها الفوارة بصاحب ثار يغلي غضباً (٤) الصبا ريح الصبا (٥) ماء صرى : وشل بقية الماء . (٦) يسلم على القمر وهو يرنو إلى دجلة (٧) الثنى بالكسر جمع ثنية وهي الطية (٨) ريح الصبا تحدث أمواجاً صغيرة ، والقمر يرسل بضوئه الجميل فيحدث منظراً رائعا ، كأن يدا طرزته (٩) يشير بهذا إلى بيت علي بن الجهم .

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

(١٠) قب الصدور : مرتفعات الصدور والواحدة قباء ، وأقب للمذكر لعس الشفاه حمرة الشفاة المائلة إلى السمرة . والطلى : الرقاب ، والواحدة طلية . (١١) سجا الليل : خيم وهدأ (١٢) الجندب الصرصر وسحيل : الثعلب . (١٣) اني : بقية قليلة .

إجازة

قصة من تأليف : بولسواف بروس[1]
ترجمها عن البولندية :
الدكتور محمد هناء متولي[2]

مساء كالعادة حضر إليّ زفيق الدراسة ، كنا نسكن معا في القرية ، يبعد بيت كل منا عن الآخر بضعة كيلومترات . كنا نتقابل يوميا على وجه التقريب . كان شابا أشقر أنيقا ، لعينيه الساحرتين المريحتين جاذبية ، يمكن أن تسحر قلب [illegible] امرأة ، أما ما كان يجذبني إليه فهو [illegible] ، وتفكيره الواعي المتريث .

[illegible] لاحظت أن شيئا ما يثير نفسه ، [illegible]

احترقت دار من دور القرية .

قاطعته قاصداً لأوقف ذلك الطابع الساخر الحزين الذي انطبع به صوته : ربما تكون قد قفزت الى النار .

حرك كتفيه ، وأظن أنه قد احمر وجهه قليلاً ، ربما يكون السبب في هذا أشعة الشمس المتساقطة على وجهه وقال :

احترقت أكوام القش التي تغطي سقف [illegible]



« إذن لن يذهب أحد لإنقاذه ؟ سأذهب أنا لإنقاذ الطفل ، تكفي دقائق ثلاث ، وربما أقل [illegible]

تمسك في قبضتي يديها بقوة لوحة القديس فلوريان* تواجه بها النيران المشتعلة ، لكي يساعدهم ببركته على إطفائها على الفور ، بينما شاهدت فلاحاً آخر كان ينظر طويلاً إلى الذي يحدث أمامه ، وفي يده دلو فارغ من الماء . سمعت من الفلاحين أن أبواب الدار موصدة بإحكام ، فصاحبها وزوجته قد ذهبا إلى الحقل .

بعد بضعة دقائق أصبح السقف أنقاضا ، أما الدخان فقد ملأ عيون الحاضرين ، والنيران بدأت بسرعة في تقلية الطقس من حولنا ، ولخوفي من أن يحترق « الجاكيت » انسحبت عدة خطوات إلى الوراء . هرول أناس أكثر فأكثر وبأيديهم هراواتهم ومعاولهم : بعضهم يقلب سور الدار الخشبي الذي لم يزعج أحداً رأسا على عقب ، ولم يتسبب في تزايد الاشتعال ، أما بعضهم الآخر فيسكب المياه من الدلاء بطريقة لا تلمس النيران ولا تقترب منها ، بل تغرق [illegible]

سمعت خلفي أصوات مشادة والصراخ نفسه : « اتركوني ! . . إنه طفلي ! » أجاب أحد الحاضرين : امسكها من وسطها حتى لا تفلت منك !

لم أستطع احتمال ما يحدث ، وتحركت إلى الأمام ، أحاطت بي النيران ، طوقني الدخان ، تكسر السقف ، ومن مدخنة الدار هرولت الأحجار النيرانية ، شعرت بأن شعر رأسي يحترق ، وانسحبت إلى مكاني ثانية غاضبا :

فكرت : يا لها من « رومانتيكية » متميعة ، من أجل حفنة من الرماد البشري ، أجعل نفسي خيال مآته ؟ ! يقينا سيقول الناس : إنني بثمن بخس أردت أن أصبح بطلاً !

دفعتني إلى الخلف فتاة شابة ، هرولت إلى داخل الدار التي تحترق . سمعت رنين زجاج يتكسر ، وحين جعت ريح شتات سحب الدخان شاهدت الفتاة تنحني مائلة من خلال [illegible]

المحترقة مع الطفل الذي تحمله بين يديها ، حيث كان يصرخ عندما استيقظ من نومه صراخا أقرب إلى العويل منه إلى البكاء .

سألت صديقي الراوي : إذن كان الطفل حيا ؟ !

ـ في أتم صحة وعافية .

ـ والفتاة ، أهي أمه ، أخته ؟

أجاب : ليست لها أي صلة قرابة به ، إنها غريبة عنه ، ولا علاقة لها بالطفل على الإطلاق ، بل إنها تخدم في دار أخرى ، ولا يتعدى عمرها خمسة عشر عاما .

ـ ولم يحدث لها شيء ؟

ـ أضاف صديقي : احترق منديلها ، وقليل من شعر رأسها ، حينما أتيت إليك شاهدتها ثانية ، كانت تقشر البطاطا ، وتغني بصوت فيه « نشاز » . أردت أن أعبر لها عن تقديري لشجاعتها ، ولكن تبادر إلى ذهني فجأة حبها [illegible]



وزارة الإعــــلام

الإعلام الخارجي

دوريات وزارة الإعلام

اسم الدورية		قيمة الاشتراك السنوي			
		الوطن العربي		البلاد الأجنبية	
		فلس	دينار	فلس	دينار
مجلة « العربي »	(شهرية)	٠٠٠	٦	٠٠٠	٨
كتاب العربي	(فصلي)	٥٠٠	٢	٠٠٠	٣
مجلة « العربي الصغير »	(شهرية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
مجلة « الكويت »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
سلسلة « من المسرح العالمي »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
مجلة « عالم الفكر »	(فصلية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »	(أسبوعية)	٠٠٠	١٧	٠٠٠	٢٠

تحول قيمة الاشتراكات في دوريات الوزارة المبينة أعلاه بالدينار الكويتي ، أو بما يعادله من العملات الأجنبية ، بموجب شيك مصرفي أو حوالة مصرفية ، باسم وزارة الاعلام ، ويرسل الشيك أو الحوالة مع اسم وعنوان المشترك والدورية التي يرغب الاشتراك فيها إلى :

الإعلام الخارجي ـ قسم التوزيع والاشتراكات
وزارة الاعلام ـ ص. ب ١٩٣ ـ الصفاة
الرمز البريدي ١٣٠٠٢ ـ الكويت

قسيمة الاشتراك

الاسم والعنوان : ....
....
....

أرغب الاشتراك في الدورية أو الدوريات المشار إليها أدناه ، وأرفق لكم طيه ☐ شيكا
☐ حوالة مصرفية بمبلغ ....

☐ مجلة « العربي »　　☐ مجلة « الكويت »　　☐ سلسلة « من المسرح العالمي »
☐ مجلة « العربي الصغير »　　☐ مجلة « عالم الفكر »　　☐ الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »
☐ كتاب العربي .

STATE OF KUWAIT

MINISTRY OF INFORMATION

PERIODICALS

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE				
NAME OF PERIODICAL	ARAB COUNTRIES		FOREIGN COUNTRIES	
	K.D	FILS	K.D.	FILS
Al-Arabi Magazine (Monthly)	6	000	8	000
Al-Arabi Book (Quarterly)	2	500	3	000
Al-Arabi Al-Sagheer Magazine (Monthly)	5	000	6	000
Al-Kuuwait Magazine (Monthly)	4	000	5	000
Mena Al-Masrah Al-A'alami Series (Monthly)	4	000	5	000
A'alam Al-Fikr Magazine (Quarterly)	5	000	6	000
The Official Gazette (Kuwait Al-Youm) (Weekly)	17	000	20	000

The subscription fee to the above periodicals is payable in Kuwaiti Dinar, or equivalent thereof in foreign currency, by bank cheque/draft made out to the Ministry of Information. Fill in the subscription form below enclosed with the cheque/draft and send to :
— International Media-Subscription Section.

MINISTRY OF INFORMATION
P. O. Box : 193 Safat
Postal Code No. 13002 - KUWAIT

SUBSCRIPTION FORM

NAME : ....
ADDRESS : ....
COUNTRY :

I wish to subscribe to the periodical (s) ticked below and enclose herewith □ cheque □ Draft for ....
□ Al-Arabi Magazine □ Al-Arabi Book □ Al-Arabi Al-Sagheer Magazine □ Al-Kuwait Magazine □ Mena Al-Masrah Al-A'alami Series □ A'alam Al-Fikr Magazine □ The Official Gazette (Kuwait Al-Youm).

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر فى المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة .

والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذى سينشر فى العدد القادم .

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
■										١
			■				■			٢
					■					٣
				■				■		٤
	■						■			٥
			■	■						٦
					■					٧
		■				■			■	٨
	■									٩
										١٠

كلمات أفقية

(١) شاعر وفيلسوف عربي عرف برهين المحبسين .
(٢) حب يصنع منه مشروب شعبي ، من المُكَسّرات ، حرف مكرّر .
(٣) خفقان القلب ، « شاوره » معكوسة .
(٤) احتباس المطر ، قدِما .
(٥) تجدها في « ويل » ، الاسم الأول لأشعر شاعرات العرب .
(٦) أهل ، ثقافة وذوق .
(٧) تَعيس متفرّقة ، يتملكه ميل إلى النوم .
(٨) تجدها في « راض » . دَفَن ، بئر .
(٩) شاعر أندلسي فحل .
(١٠) فارس جاهلي من شعراء المعلّقات ينقص اسمه الأول حرف .

كلمات عمودية

(١) شاعر من شعراء المجون ، تجدها في راع .
(٢) مخدّر يستحدم للأعراض الطبيّة ، يُقلِّل
(٣) تجدها في ربق ، ساعدت .
(٤) شاعر من بني طيِّئ اشتهر بوصف الطبيعة والعمران ، زر
(٥) حرف امتناع لامتناع . مطتّ متفرّقة ، عطر
(٦) امرأة اقترن اسمها باسم شاعر عدري ، نُحضِّر .
(٧) أرض مُخصرّة بأنواع النبات ، جمع عرش .
(٨) أمير شاعر عاصر المتنبي وسيف الدولة ، مثيل .
(٩) فني + حرف ، غير هازل معكوسة .
(١٠) شاعر أعمى اشتهر بالهجاء الذي أُورده حتفه .

● حل مسابقة العدد الماضي فبراير ١٩٩٠م

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
■	ن	ف	و	ه	ت	ي	ب	■	ز	١
ط	خ	■	ل	ا	ش	■	ر	ك	ر	٢
ب	■	ش	ا	ل	ا	ب	ا	■	ي	٣
و	ف	و	■	ه	ي	ل	ع	ش	ا	٤
ل	ا	ب	ح	■	ك	■	م	و	ب	٥
■	ت	ر	ا	ز	و	م	■	ب	■	٦
ي	ر	ت	و	■	ف	■	ح	ا	ب	٧
م	ه	■	ن	و	س	ل	د	ن	م	٨
ي	■	س	ر	و	ك	ل	ا	■	ر	٩

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٧٦

مارس ١٩٩٠م

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

. الإجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الصفاة . الرمز البريدي 13008 - الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٧٦ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات إلينا هو ١٥ ابريل ١٩٩٠م . والرجاء كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي واضحين - ورقم الهاتف إن وجد .

ارفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٧٦

١

تعرضت سان فرانسيسكو لزلزال مدمر في ١٧/ ١٠/ ١٩٨٩ . . ترى كم استغرق هذا الزلزال ؟
× ١٥ ثانية .
× ٣٠ ثانية .
× ٤٥ ثانية .

٢

الزلزال الذي تعرضت له سان فرانسيسكو في شهر اكتوبر سنة ١٩٨٩ ، لم يكن الزلزال الأول الذي تعرضت له تلك المدينة ، فقد تعرضت عروس المحيط الهادي إلى زلزال آخر في مطلع القرن العشرين سنة ١٩٠٦ بالتحديد . . ترى أي الزلزالين الأقوى بمقياس ريختر ؟ وأيهما الأكثر ضحايا والأكثر دماراً ؟

× زلزال ١٩٠٦ هو الأقوى والأكثر ضحايا والأكثر دماراً .
× زلزال ١٩٠٦ هو الأكثر ضحايا والاكثر دماراً ، ولكن زلزال ١٩٨٩ هو الأقوى بمقياس ريختر .
× زلزال ١٩٨٩ هو الأقوى والأكثر ضحايا والأكثر دماراً .

٣

يذكر التاريخ ثلاثة زلازل كبرى هي زلزال لشبونة سنة ١٧٥٥ ، وزلزال طوكيو سنة ١٩٢٣ ، وزلزال الصين سنة ١٩٧٦ .

ويتميز أحد هذه الزلازل بأنه الأقوى بمقياس ريختر ، ويتميز الثاني بأنه الأكثر دماراً ، أما الثالث فيتميز بأنه الأكثر ضحايا . . المطلوب تحديد ماتميز به كل من الزلازل الثلاثة ؟

٤

اشتهرت سان فرانسيسكو بناطحات السحاب التي قد لاتقل ضخامة ولا ارتفاعا عن نظيراتها في نيويورك

ترى كم عدد ناطحات السحاب التي دمرها زلزال سان فرانسيسكو الأخير اكتوبر ١٩٨٩ ؟

× دمر خمس ناطحات تدميراً كليا و ١٥ ناطحة تدميراً جزئياً .
× دمر عشر ناطحات تدميراً كلياًو ٣٠ ناطحة تدميراً جزئياً
× لم يدمر أيا من ناطحات السحاب لاجزئياً ولا كلياً

٥

يتردد ذكر مقياس ريختر في الحديث عن الزلازل ، ولا غرابة في ذلك ، فهو المقياس الذي يحدد قوة الزلزال وقد سمي بهذا الاسم نسبة إلى مبتكره « شارلز فرنسيس ريختر » عالم الجيولوجيا ترى ما جنسية هذا العالم ؟

× أمريكي
× ألماني
× سويدي

٦

لِمَ تكثر الزلازل في كاليفورنيا وفي غيرها من شواطيء أمريكا الغربية ، وتكثر أيضا في اليابان وعلى شواطيء اسيا الشرقية ، ولا تكثر في انكلترا وفرنسا ولا حتى في نيويورك وشواطيء أمريكا الشرقية ؟

× نظراً للمناطق الزلزالية التي تقع فيها كاليفورنيا .
× انكلترا قريبة من القطب الشمالي وبعيدة عن خط الاستواء .

٧

هل الزلازل وقف على المناطق الزلزالية . . أم أنها قد تحدث في مناطق أخرى غير مناطق الزلازل ؟

× طبعا لا وجود للزلازل إلا في المناطق الزلزالية .
× الزلازل ليست وقفا على المناطق الزلزالية ، وقد تحدث في مناطق أخرى غيرها

٨

تسجل الأجهزة الدقيقة كل الهزات والزلازل التي تضرب العالم ، وأكثر هذه الهزات ضعيفة ولا نحس بها ، ترى كم عدد الهزات الضعيفة (٢ ـ ٢ر٩ بمقياس ريختر) التي تضرب العالم سنويا وفق تسجيل تلك الأجهزة ؟

× ٣٠٠٠ هزة
× ٣٠ر٠٠٠ هزة
× ٣٠٠ر٠٠٠ هزة

٩

مقياس مر كالي مقياس آخر غير مقياس ريختر خاص بالزلازل ، فما الذي يحدده مقياس مر كالي هذا ؟

× يحدد مقياس مر كالي مقدار ما أحدثه الزلزال من دمار
× يحدد مقياس مر كالي قوة الزلزال ، تماما كمقياس ريختر فهو إذن بحكم البدمل
× يحدد المقياس مكان الزلزال وزمانه

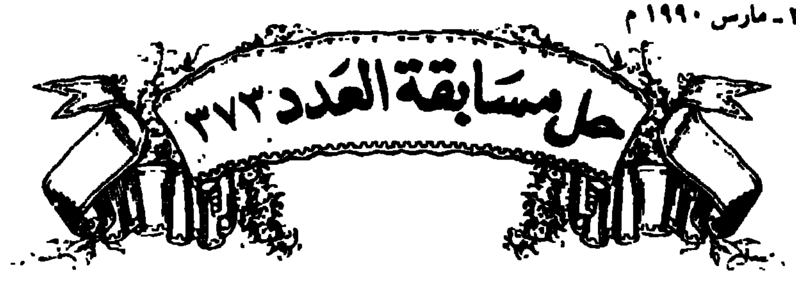
١٠

الزلازل ليست وقفا على اليابسة ، فهي تضرب قيعان البحار والمحيطات ، كما تضرب اليابسة ترى أي الظواهر التالية تسببها الزلازل البحرية

× العواصف البرقية والرعدية .
× فيضان الأنهر التي تصب بالقرب من مواقع الزلازل البحرية .
× أمواج البحر العاتية العملاقة (التسونامي)

١١

يسعى العلماء إلى التنبؤ بالزلازل ، وتحديد مكان وقوعها وزمانها على نحو من الدقة يضمن الوقاية من كوارثها . . ترى هل نجحوا في مسعاهم هذا ؟



ديسمبر ١٩٨٩

١

تعد مخطوطة « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » للإدريسي من أثمن المخطوطات العربية وأشهرها التي تحتفظ بها المكتبة الوطنية في صوفيا . ونذكر من تلك المخطوطات أيضاً « فضائل الشام » للفزاري ، و « الخلفاء » للسيوطي ، ومخطوطة « المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار » للمقريزي .

٢

الصورتان لبلد واحد هو « غدامس » في الجماهيرية العربية الليبية ، وتمثل إحدى الصورتين غدامس الحديثة ، بينما تمثل الأخرى غدامس القديمة ، ولا يخفى أن اسم غدامس تحريف لعبارة : (تغدوا فيه أمس) .

٣

هذه هي حارة « درب قرمز » ، حارة الروائي العربي الكبير نجيب محفوظ . وقد ولد في بيت يقع على رأسها .

٤

يزيد عدد المسلمين في بريطانيا على مليوني نسمة ، ومدينة برمنجهام هي التي يبلغ عدد المسلمين فيها (١٠٠ ـ ١٥٠ ألف نسمة) نصف هذا العدد تقريباً في مدينة برادفورد (٦٠ ـ ٨٠ ألف نسمة) .

٥

تنمو هذه الشجرة في جزيرة سوقطرة ، حيث تعرف باسم (دم الأخوين) أو (Dragon's blood)، أو إن شئت الاسم العلمي (Dracaena cinnabari) . وهي تنمو في المرتفعات في الغالب ، وتبلغ من الارتفاع نحو (٣) أمتار أو أكثر . وتفرز الشجرة من جذعها وفروعها المادة التي تسمى « دم الأخوين » بالتحديد ، وهي عبارة عن راتنج أحمر ، يستعمل في معالجة المغص .

٦

هذه هي مياه حمامات (ماعين) في المملكة الأردنية الهاشمية ، وهي مياه كبريتية معدنية حارة (٥٥ ـ ٦٠ درجة مئوية) ، وتنحدر من قمة جبل بازلتي ، يقع على مسافة ٣٧ كيلومتراً من مأدبا . وقد اشتهرت حمامات (ماعين) بمنافعها الصحية ، وأصبحت من أشهر المنتجعات المعدنية في الشرق الأوسط .

٧

العقاب هو أقوى الطيور وأشجعها ، وهو يتغذى على الحيوانات التي ينقض عليها من أعالي الجو . أما النسر فهو طائر مسالم ، لا يهاجم الحيوانات أو الطيور الأخرى ، بل يقنع بالجثث الميتة ، فهو من آكلات الجيف .



٨ تمثل الصورتان مدينة « أغادير » أغادير القديمة (في الصورة العليا) ، وأغادير الحديثة (في الصورة السفلى) . وقد أنشئت أغادير الحديثة في مكان غير بعيد عن أغادير القديمة . وذلك بعد أن ضرب المدينة القديمة زلزال مدمر في فبراير ١٩٦٠م ، فأصبحت أثرا بعد عين

٩ شركة البترول الكويتية العالمية (K.P.I.) هي التي اختارت الرمز (Q 8) اسما تجارياً لها ، وقد أنشئت الشركة سنة ١٩٨٣م ، واتخذت مقراً لها في لندن ، ومضت في شراء ممتلكات شركة (جالف أويل) ، ومحطات شركة (B. P)، حتى أصبحت تملك ٥٠٠٠ محطة بنزين منتشرة في شتى بلدان غرب أوربا وشمالها ، كالمحطة التي ترى في الصورة .

١٠ يبلغ عدد الأبقار والأغنام في جمهورية مالي أربعة ملايين ونصف مليون ، وحوالي عشرة ملايين على التوالي ، أما الجمال فلا يقل عددها عن (٣٠٠,٠٠٠) جمل . □

الفائزون في مسابقة العدد ٣٧٣ ديسمبر ١٩٨٩

الجائزة الأولى بلقاسم برهومي/الجمهورية التونسية

الجائزة الثانية شريفة حسين معرفي/دولة الكويت

الجائزة الثالثة علي فضل أحمد ناصر/جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية



بالجوائز التشجيعية

١ ـ محمد اعماروش/المملكة المغربية

٢ ـ سيف بن عامر بن سيف الجهضمي/سلطنة عمان

٣ ـ غسان حلواني/الجمهورية العربية السورية

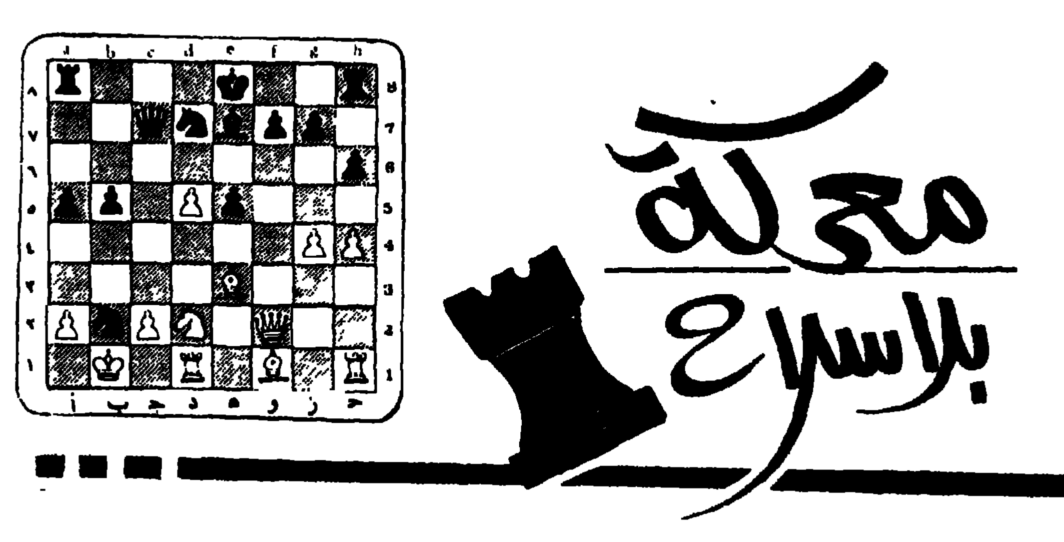
٤ ـ مي يحيى شريف/الجمهورية اللبنانية

٥ ـ يعقوب علي النعيمي/رسكوف/ الدانمارك

٦ ـ محمد أحمد علي/جمهورية مصر العربية

٧ ـ رفيعة عبد الشهيد حسن/الجمهورية العراقية

٨ ـ أحمد عثمان علي/جمهورية السودان الديمقراطية الشعبية

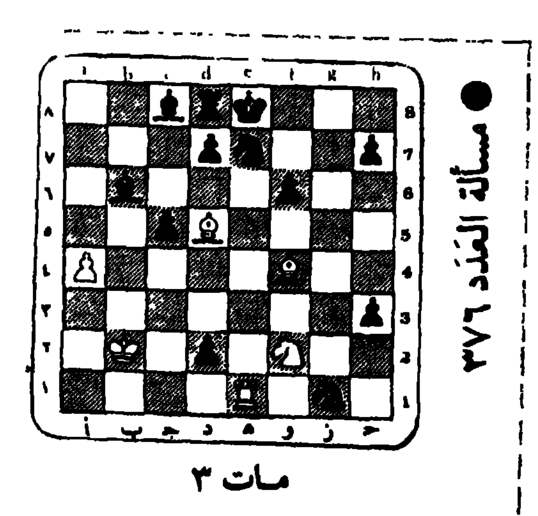


يحتل الاتحاد السوفيتي المرتبة الأولى في العالم ، في لعبة الشطرنج ، ويليه في ذلك بريطانيا ثم أمريكا ، غير أن المُتتبِّع للأحداث الشطرنجية الدولية يلاحظ أن مكانة بريطانيا حاليا ، في مباريات الشباب الأوربية والدولية ، لمن هم دون سن العشرين ، آخذة بالتراجع بشكل ملحوظ ، بعد أن كان اللاعبون البريطانيون الشباب يتربعون على عرش هذه المباريات ، طوال عقد السبعينيات تقريبا .

وقد أدى اهتمام السوفييت المتزايد بإعداد الناشئة إلى تغيير الصورة تغييرا تاما ، فمنذ ذلك الحين أصبح اللاعبون السوفييت الشباب هم الذين يحتلون المراكز الأولى ، في مباريات الشباب الأوربية والدولية ، في حين أصبح اللاعبون البريطانيون الشباب يحتلون المراكز المتأخرة . وقد تجلّت مقدرة اللاعبين السوفييت بشكل واضح في بطولة العالم للشباب ، قبل الأخيرة ، المقامة في اديلايد ، في جنوب استراليا ، حيث احتل أربعة من اللاعبين الشباب الصدارة ، بينهم ثلاثة من السوفييت ، وواحد فرنسي يدعى « لوتير » .

وفي بطولة العالم للشباب لعام ١٩٨٨ ، المنعقدة في آرنهم الهولندية ، احتل البريطاني مايكل آدامز المرتبة الثالثة ، وحصل السوفيتيان دريف وجلفاند على الميداليتين الذهبية والفضية ، برصيد قدره ١٠,٥ من ١٣ نقطة ، في حين لم يسجل اللاعب البريطاني سوى ٥٠٪ من النقاط . وقد خسر آدامز أمام دريف في ١٧ نقلة ، وأمام جلفاند ، كما سنرى في الدور المثير التالي من الدفاع الصقلي في ٢٩ نقلة .

□ مايكل آدامز	■ بوريس جلفاند
١ ـ هـ ٤	جـ ٥
٢ ـ ح ـ و ٣	د ٦
٣ ـ د ٤	جـ × د ٤
٤ ـ ح × د ٤	ح ـ و ٦
٥ ـ ح ـ جـ ٣	أ ٦



مـات ٣

إهداء من القارىء أحمد الابراهيم (الرقة)

٦ ـ ف - هـ٣	هـ ٥
٧ ـ ح - ب٣	ف - هـ٦
٨ ـ و - د٢	ح(١) - د٧
٩ ـ و ٣	ف - هـ٧

لو بيّت الأسود لهاجمه الأبيض ببيادق جناح الملك وفاز

١٠ ـ ز ٤	حـ ٦
١١ ـ حـ ٤	ب ٥
١٢ ـ ت ت(طويل)	ح ب ٦
١٣ ـ و - و٢	ح(٦و) - د٧
١٤ ـ م - ب١	و - جـ٧
١٥ ـ ح - د٥	ف×د٥
١٦ ـ هـ×د٥	ح - جـ٤
١٧ ـ و ٤ ؟	أ ٥
(ح - د٢ أفضل)	
١٨ ـ و×هـ٥	د×هـ٥
١٩ ـ ح د٢	ح×ب٢ !
	(الشكل)

حاسمة ! لو أخذ لكشّه بالفيل ثم الوزير

٢٠ ـ ف - د٣ مصحيا بالفرق	ح×د٣
٢١ ـ حـ×د٣	ح و٦
٢٢ ـ ح - هـ٤	ح×د٥
٢٣ ـ ر (حـ) - ر١	ب ٤
٢٤ ـ ر (ج) - و١	ف×حـ٤
٢٥ ـ و و٣	ح×هـ٣
٢٦ ـ و×هـ٣	ب ٣
٢٧ ـ أ×ب٣	ر - ب١
٢٨ ـ د ٤	ت(قصير)
٢٩ ـ ر ٥	حـ×ز٥

يستسلم متوقعا و جـ٤ أو أ٤

□□□

الفائزون في مسابقة الشطرنج العدد رقم ٣٧٣ ديسمبر ١٩٨٩

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١ ـ عصام أحمد الغزّاوي ـ دمياط / ج م ع
٢ ـ محمد مبروك عبد الله ـ مسقط / عمان
٣ ـ سهير عبد الرزاق عبد الغفّار ـ المنامة / البحرين
٤ ـ عبد الوهاب هنداوي ـ أدلب / سوريا
٥ ـ جيهان عبدال سفيان ـ نيوى / العراق

الفائزون باشتراك ستة أشهر

١ ـ سعدي أسعد جبر ـ عمان / الأردن
٢ ـ الفقيه بن صالح ـ لكرام سعيد / المغرب
٣ ـ رواء محمد حسني ـ العروايه / الكويت
٤ ـ عبد الله محمد بخيت ـ رفحاء / السعودية
٥ ـ خالد حسن علي ـ عدن / اليمن الديمقراطي

حل مسألة العدد رقم ٣٧٤ ـ يناير ١٩٩٠م

١ ـ و - و٣	م - ز١
٢ ـ و - هـ٣ +	م - حـ١

ويظل الوزير يتنقل بين الأبيض والأسود إلى أن يصل إلى أ٨ فيكش مات في أ١

حوار القراء

العربي - ص.ب : ٧٤٨ الصفاة - الرمز البريدي : 13008 الكويت

صور حية



الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،
تحية طيبة وبعد ،

● أنا أحد قراء مجلة « العربي » الغالية على قلبي ، وعلى قلوب العرب جميعاً ، مجلة كل القراء العرب والمثقفين ، نبع الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة التي تشهد صفحاتها أجمل ما يسطره المفكرون العرب في جميع المجالات ، وعلى الأخص حديث الشهر ، واستطلاعات « العربي » لدول العالم

في العدد رقم ٣٧١ أكتوبر ١٩٨٩ نال إعجابي حديثكم الشهري « إزالة الحواجز أو خفض ارتفاعها » ، حيث إن العرض موضوعي مختصر لما يحدث من تغيرات وتجديد وإعادة بناء في الدول الاشتراكية ، وقد تفضل الدكتور رئيس التحرير مشكوراً ، فأعطى صورة حية للقراء العرب عما يدور داخل الدول الاشتراكية ، وهذا العرض الموضوعي يختلف عما تنشره الصحافة العربية والعربية ، ففيه بعد في التحليل ، وعرض شامل للظروف التي ساعدت على حدوث هذه التغيرات

نحن سعداء بهذا التوجه الصريح الصادق في تناول القضايا التي يواجهها هذا العالم ، عبر صفحات مجلتنا الغراء « العربي » ، متمنياً لها مزيدا من التقدم والنجاح في مسيرتها الطويلة .

القاريء : عبد الرزاق غدرون
قرية الدار الكبيرة - حمص - سوريا

□□□

حول السلوك الاجتماعي

● تعقيباً على مقال الدكتور علي الوردي ، وعنوانه « الأنوية » ، المنشور في عدد رقم ٣٧٠ سبتمبر ١٩٨٩ الذي تفضل فيه الدكتور شارحاً ما يسمى النزعة الاجتماعية ، وكيف أنها مكتسبة متعلمة وليست نظرية ، ولقد تحدث بعد ذلك عن الأطفال الذين ينشأون بين الحيوانات ، والذين لديهم أدنى درجة من النزعة الاجتماعية للحياة بين البشر . وليسمح لي د. الوردي بأن أضيف مثالين إلى ما أشار إليه ، لم يأت على ذكرهما ، الأول طفل أفيرون ، والثاني الطفلتان الذئبتان .

طفل أفيرون يبلغ من العمر الحادية عشرة ، عثر عليه في غابات فرنسا متسلقاً الأشجار ، عاري الجسد ، طويل الشعر ، يمشي على أربع ، والطريف أنه كان



متسيّداً مجتمع القرود ، وذلك لأنه كان أقواها . انتزع الطفل من الغابات ، وخضع لبرنامج تدريب تحت إشراف الدكتور (ايتادر) مدة خمس سنوات ، وذلك لتدريبه حسياً على الكلام والمشي على الرجلين ، واستعمال الملعقة لتناول الطعام ، والتعبير عن نفسه . وبعد انتهاء فترة البرنامج أعلن الدكتور فشله الذريع . فلم يتعلم الطفل شيئا أكثر من بضع كلمات .

أما الطفلتان الذئبتان ، فقد وجدتا في غابات الهند الشرقية ، وكانتا عاريتين ، تمشيان على أربع ، وقد اكتسبتا سلوك المجتمع الذئبي ، فكانتا زائغتي النظر ، والشعر يغطي بعض جسميهما ، وتأكلان اللحوم افتراسا . وعندما خضعتا لبرنامج علاجي وتدريبي لتحسين أدائهما السلوكي ، ماتتا على الفور .

وعليه فإنني أقول : إن السلوك الاجتماعي البشري سلوك تعلم مكتسب .

القارىء : حسني مصطفى شعبان

مبابة - الجيزة - جمهورية مصر العربية

□□□

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

تحية طيبة وبعد ،

● أود أن أعرب في أول الرسالة عن إعجابي الشديد بمجلتنا العربية الأولى ، فأهنىء نفسي وأهنئكم على النجاح الذي وصلت إليه .

لقد اطلعت على العدد ٣٧١ أكتوبر ١٩٨٩ . وقد قرأت فيه معلومة بعنوان (هل اخترع العرب قلم الحبر ؟) . وفكرت في التساؤلات التي ستحدث لدى القارىء العربي أو الأجنبي . حول هذا الاختراع ، ومن الذي اخترعه ، العرب أو العجم . والدليل كما ذكر في العدد الكتاب المخطوط (المجالس والمسامرات) وقد اقتبس العلماء الأجانب عن العرب كثيرا من المخترعات والمكتشفات والمعلومات . وبدلا من أن يشكروا للعرب فضلهم ، ويقدروا جهدهم فعلوا العكس تماماً . إذ سلبوا هذه المعلومات والمخترعات لأنفسهم ، كما في اكتشاف الدورة الدموية التي اكتشفها ابن النفيس ، وغيرها من المكتشفات . فماذا كانت النتيجة؟ كانت النتيجة أن زادت مهابة الغرب وعلا مجدهم في السماء في كل ذلك ، على حساب العلماء العرب ، وبالمقابل طوى النسيان العلماء العرب .

لذلك ، وبما أن مجلة « العربي » واسعة الانتشار ، ويقرؤها كثيرون من قوميات مختلفة متعددة فإنني أهيب بكم في امحلة العناية بنشر هذه المعلومات التي قد تصحح كثيراً من المعلومات الخاطئة وترد الحق إلى أصحابه .

القارىء : محمد العبده

دمشق - سوريه

العرب ودورهم في نشر العلوم

حوار القراء

إن من أهداف « العربي » وسياستها بيان مجالات الإبداع لدى الإنسان العربي ، ونشر كل ما يحقق ذلك في المجلة ، بحيث يصبح حافزاً ورافداً للعلماء العرب في توسيع آفاقهم العلمية ، وموضحاً للحقائق والمنجزات العلمية .

□□□

العربي

دفاعاً عن العقل العربي

● قرأت مقال الدكتور محمود عبد الفضيل في عدد ٣٧٠ سبتمبر ١٩٨٩ الذي يتحدث فيه عن كتاب (اغتيال العقل العربي) للمؤلف د. برهان غليون . ولي ملاحظات على ما أورده د عبد الفضيل الذي يعد الصحوة الإسلامية سبباً رئيساً لاغتيال العقل العربي ، وعدّ أن الجماعات الإسلامية في بعض الأقطار العربية التي اشتهرت بالتشدد واللجوء إلى العنف تمثل هذه الصحوة الإسلامية ، علماً بأن هذه الجماعات لا تشكل إلا نسبة ضئيلة من المفكرين الإسلاميين ، وأن الكثرة الغالبة من الإسلاميين تقف موقف المعارضة منها .

كما أننا لا نتفق معه في تفسير القول بأن الحاكمية لله ، وأنها تشمل الأصول والفروع ، فمن البديهي أن الأصول هي أركان الإسلام ، وأركان الإيمان ، والمحرمات المذكورة في القرآن الكريم ثابتة إلى آخر الزمان ، من صدقها وعمل بها فهو مسلم ، ومن أنكرها كان مرتداً أو كافراً ، وما عدا ذلك ففيه مخالفة . وربط ضياع العقل العربي بالصحوة الإسلامية خطأ جسيم .

لكنني أرى أن هناك سبباً جوهرياً لضياع العقل العربي ، لم يأتِ الكاتب على ذكره إلا سريعاً وبشكل عام ، وهو أشكال أنظمة الحكم في بعض أقطار الوطن العربي ، وتركيز وسائل الإعلام على إبراز الحاكم بأنه الملهم والمرجع الوحيد لكل القرارات السياسية وغيرها ، وعدّ مخالفته جريمة يعاقب عليها بالسجن أو بالنفي أو بالتصفية الجسدية ، وقد ألمح الكاتب د. عبد الفضيل إلى بعض ضحايا حرية الفكر في لبنان ، وتغاضى عن ذكر غيرهم من الضحايا في أقطار عربية عديدة .

د. عبد الله الأمين

الصالحية ـ دمشق ـ سورية

□□□

ربط الجامعة بالمجتمع

● إن ربط الجامعة بالمجتمع عملية تفرضها عوامل بيئية واجتماعية ، وعلى القائمين بمسئوليات وضع خطط التنمية والمثقفين في الوطن العربي أن يدركوا هذا ، وأن يعملوا بقدر المستطاع على تحقيقه ، لأن ذلك من المسلمات الموضوعية . على سبيل المثال ما قرأته في مجلة « العربي » العدد ٣٦٧ لشهر يونيو ١٩٨٩ ، بعنوان « العمارة للفقراء » ، أتساءل هنا : لماذا لم نجد أفكار المهندس المعماري المبدع



(حسن فتحي) طريقها إلى المناهج التعليمية الجامعية في الوطن العربي ، في الوقت الذي وجدت فيه الذيوع والانتشار في أمريكا اللاتينية وغيرها ؟ ولماذا وجد هنا من يحاربها ؟

إن النتاج البحثي للعلماء والباحثين العرب في مختلف المجالات العلمية حدير بالتقدير والتشجيع ، وأن تأخذ جامعاتنا العربية بالمفيد والجديد من هده الأبحاث

إن بيئتنا تختلف عن البيئة في الشمال الأوربي البارد ، وبالتالي ستكون الانعكاسات الطبيعية والاجتماعية والسلوكية مغايرة كذلك ، فليس كل الأمراض الموجودة في المناطق الباردة موجودة عندنا ، وقد لاتوجد عندنا مطلقاً وعندنا أمراض عديدة ، تخص بيئتنا فقط ولهذا هل يجوز أن نأخذ نتائج الأبحاث من الشمال الأوربي كما هي ؟

تبعاً للمناخ والتربة تنمو أنواع من المحاصيل الزراعية ، وإنتاجها يختلف عن بقية مناطق العالم ، فليس بالضرورة أن نقرر أن ما يصلح من أبحاث ونتائج في الغرب يصلح تطبيقه في الوطن العربي .

أعتقد أن التنمية في أي بلد لا يمكن بلوغها وتطويرها إلى الحد المطلوب إلا بوجود « كادر » وطني ، وهذا « الكادر » سيكون أكثر عطاء عندما يكون مستوعباً المتغيرات الطبيعية وخصائص بيئته ، وهذا يتأتى من جعل الجامعة أكثر قرباً من المجتمع وطبيعته

القارىء المهندس : محمد عبده الحيلي
حمص - سوريا

□□□

ردود واقتراحات

● القارىء هادي علي ناجي دباش ، من محافظة الضالع - قرية الحود - جمهورية اليمن الديمقراطية ، يقترح زيادة كمية المنشور من الشعر

● القارىء حسام عبد الرزاق عبد الفتاح ، من جامعة المنوفية ، كلية التربية - جمهورية مصر العربية - يقترح تخصيص باب بالمجلة لأخبار الرياضة في الوطن العربي .

● القارىء صالح الصابري ، من البروج ، إقليم سطات ، المملكة المغربية ، يسأل عن كيفية الاشتراك في المجلة . ونقول له . إن هناك قسيمة اشتراك في العدد ، يمكن أن تملأها وترسلها إلى العنوان المكتوب ، مع المبلغ النقدي المطلوب ، ستصلك المجلة بانتظام .

● القارىء : علي حمود دعيبل ، كلية الهندسة الكيميائية والبترولية - حمص ، من أدلب - سوريا - يقول في رسالته: إنه قام باستفتاء بين طلبة الكلية وباقي الكليات الأخرى في جامعة حمص ، وكذلك بين زملائه خارج الجامعة ، فوجد أن قراء « العربي » نسبتهم ٨٤٪ من المجموع العام ، وأن هذه النسبة بازدياد مستمر ، ويقترح في رسالته أن تنشر المجلة مقالات متنوعة عن نشأة الموسيقا العربية وتطورها ، وأن تخصص بابا ثابتا للرياضة في الوطن العربي .

حوار القراء

● القارىء سامح محمود محمد ، من القاهرة ـ جمهورية مصر العربية ـ يقترح إعادة باب « قاموس العربي » ، أو إعادة نشر القديم . ونقول له : إننا إذا رأينا أن هناك حاجة لإعادة أي باب توقف فإننا لن نتردد في ذلك .

● القارىء . عمار عدرا ، من اللاذقية ـ سوريا ـ يقترح أن تنظم المجلة مسابقة لأفضل قصيدة شعر ، وأفضل قصة قصيرة ، وأن يكون الاشتراك فيها مقصوراً على الهواة فقط .

● القارىء : شيخ محمد الشيخ ـ دير الزور ـ سوريا ـ يقترح إيجاد باب بعنوان « من دفتر القراء » ، تطرح فيه مواضيع يقوم القراء بإعدادها .

● القارىء علي محمد عباس ، من عمان ـ الأردن ـ يقترح نشر موضوع مفصل عن آخر ما توصل إليه العلماء حول « مثلث برمودا » .

● القارىء : شهاب عبدالحميد ، من معهد إعداد المدرسين ـ قسم اللغة العربية ، دير الزور ـ سوريا ـ أرسل مقالا عن العلاقة التي تربط اللغة العربية بالفلسفة ، وأهمية إعادة الاعتبار إلى اللغة العربية .



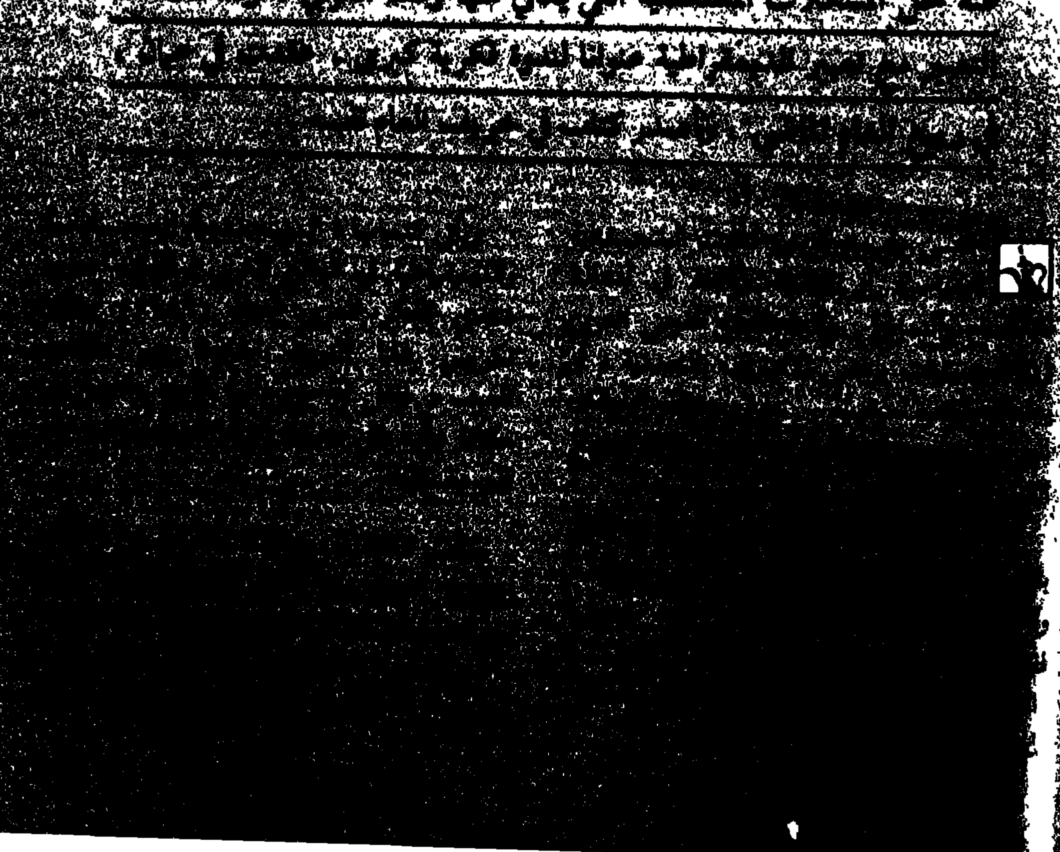


التعددية السياسية والديمقراطية في الوطن العربي

تحرير : الدكتور سعد الدين ابراهيم

عرض : الدكتور فهد الفانك

في الآونة الأخيرة كثر الحديث عن التعددية بحسبانها الأمر الذي لا غنى عنه لحل المشكلات المستعصية التي يعاني منها وطننا العربي



عربية ـ سياسية ، من المفكرين والممارسين على السواء .

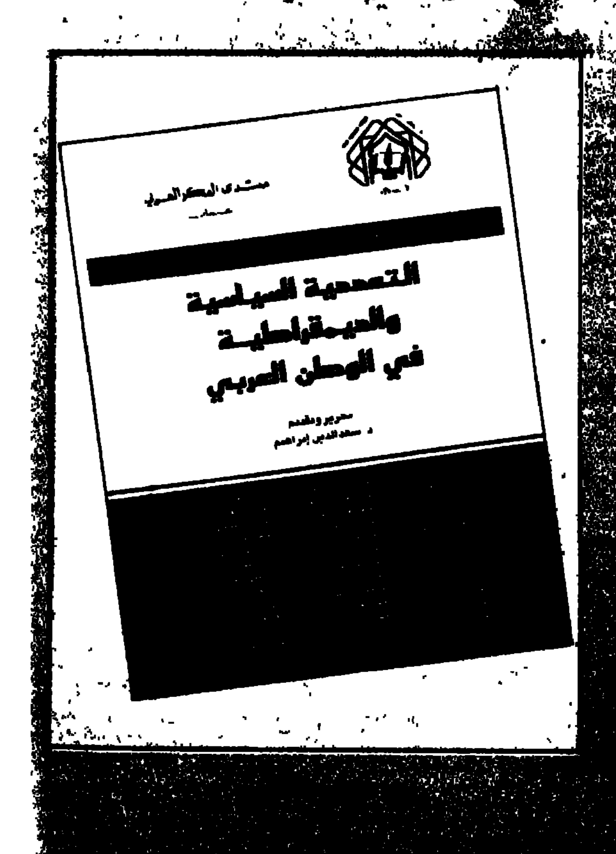
ويضم الكتاب أكثر من ٤٠ ورقة عمل ، أو شهادة شخصية ، أو مساهمة في مائدة مستديرة ، أو تعقيبا مُعدًا ، فضلا عن خلاصة وافية لمناقشات كل جلسة من جلسات العمل ، مما جعله مجلدا عالي القيمة للمهتمين بحاضر الوطن العربي ومستقبله واتجاهات الفكر السياسي العربي المعاصر .

مفهوم التعددية

يشير مفهوم التعددية السياسية إلى مشروعية تعدد القوى والآراء السياسية ، وحقها في التعايش والتعبير عن نفسها ، والمشاركة في صنع القرار العام . والتعددية بهذا المعنى هي إقرار واعتراف بوجود التنوع الاجتماعي ، وبأن هذا [illegible]

وبعد هذه الخلفية العامة يعرض محمد الرميحي الصيغ التقليدية المعاصرة للتعبير عن التعددية السياسية في الواقع العربي الراهن ، وعلى الأخص في مجتمعات الجزيرة العربية . ويركز على آليات ضبط التعددية ، وتحقيق الاستقرار التي لجأ اليها الحاكم ، ابتداء من السيف « والمنسف » ، وانتهاء بالهجرة (الجلاء) كتعبير عن عدم الرضى ، ومرورا بالمصاهرة ، والمؤسسة الدينية ، والتعبير عن الرأي المضاد ، وإنشاء التجمعات الشعبية التقليدية .

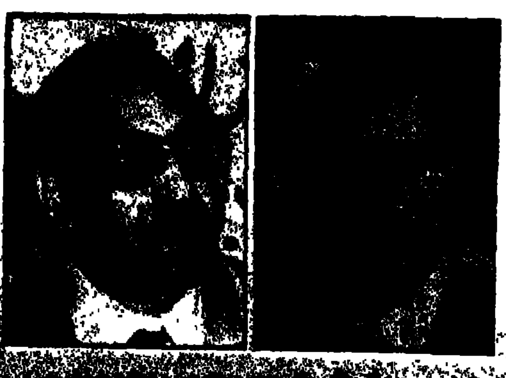
وفي هذا المجال نبّه محمد عابد الجابري ، في إحدى مداخلاته ، إلى أهمية التمييز بين ثلاثة مستويات في التراث ، وهي : الشريعة ، والفكر السياسي في الإسلام ، والتاريخ الإسلامي ، بحسبان أن التعددية يمكن أن تعالج ضمن المستوى الثاني .



كما اعترض علي الدين هلال على إصرار بعض المفكرين على إيجاد أصل أو جذر في تاريخنا القديم لكل فكرة جديدة . فليس هناك ما يحول دون خلق أفكار جديدة في هذا العالم المتحضر ليس لها سوابق في تراثنا . وفي هذه الحالة يكفينا أن لا تتناقض الفكرة مع ديننا وتراثنا ، ولاحاجة لأن نجد لها أو نفتعل لها جذرا في الدين والتراث .

ويتناول الكتاب بعد ذلك عملية الصيغ التقليدية إلى الصيغ الحديثة للتعددية السياسية ، وذلك من خلال دراسة حالات قطرية ، حيث قدم طارق البشري حالة مصر ، وقدم محمد عابد الجابري حالة المغرب ، أما حالة الخليج والجزيرة العربية فقد جرت تغطيتها بمائدة مستديرة ، شارك فيها كل من محمدالرميحي الذي تناول التطبيق الخليجي للديمقراطية ، وأحمد الربعي الذي تكلم عن سلبيات غياب التعددية والديمقراطية في مجتمعات الجزيرة العربية ، وعبد العزيز السقاف الذي طرح الصيغة اليمنية الحديثة للديمقراطية .

الباحث في تصويره للوضع السائد في الحزام العربي الشمالي ، حيث حصر الموقف في أن اللحظة الليبرالية التي شهدتها الأقطار المشرقية العربية في أعقاب الجلاء والاستقلال كانت لحظة كاذبة ، وأن النزعات السلفية والأصولية جاءت كنتيجة للهزيمة العسكرية لمدرسة التعبوية العسكرية ، وأن الأقطار العربية المشرقية كلها تسلطية ، وأن الصيغ التقليدية للتعددية في المجتمع العربي قد تم تدميرها تماما ، وأن الناصريين والبعثيين صاروا ديمقراطيين في وقت متأخر ، أي بعد أن فقدوا السلطة ، وأن الدولة التسلطية قامت بتفكيك المجتمع كتنظيم وتجمعات ، وأن شعار الوحدة



الحزب الواحد ، مع التركيز على تجارب العمل الحزبي في الأردن ومصر والسودان وتونس والجزائر . ومن ضمن هؤلاء جمال الشاعر ، ومحمد حلمي مراد ، وعادل حسين ، ويحيى الجمل ، ومنى مكرم عبيد ، وفاروق أبو عيسى ، ومحمد المنجي حبيب ، ومحمد برغام .

وقد خصص الكتاب قسما للتعامل السياسي مع التعددية الاجتماعية الكثيفة في كل من لبنان والسودان ، بحسبانهما نموذجين صارخين للنتائج المأساوية التي يمكن أن يؤدي إليها الفشل في إدارة التنوع الاجتماعي والطائفي والاثني . فقد قدم حالة لبنان انطوان مسرة





أما السودان فقد تم تناوله على مائدة مستديرة ، ضمت عدداً من قادة المعارضة الفكرية والسياسية في السودان ، من ضمنهم منصور خالد ، والواثق كمير ، ومحمد عمر بشير . حيث تم تحليل الواقع السوداني وسلبياته ، بشكل أثار الاكتئاب والتشاؤم ، وكان الطرح الغالب هو طرح المعارضة . وقد اتضح خلال أسابيع أن الديمقراطية السودانية كانت بالفعل تقوم على رمال متحركة ، وتفشل في التعامل مع قضايا السودان الحقيقية ، وفي طليعتها مشكلة الجنوب والأزمة الاقتصادية .

من الماضي إلى المستقبل

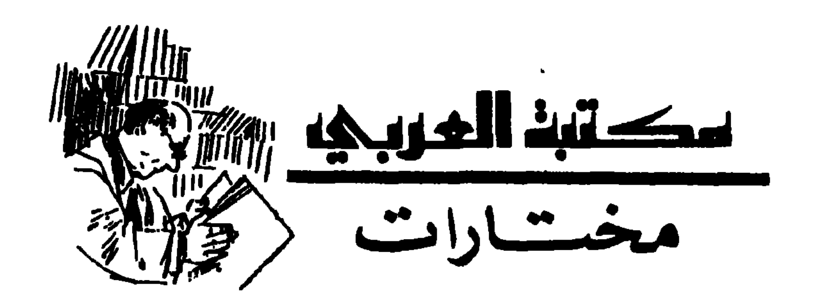
أما القسم الأخير من الكتاب فقد نقل بؤرة الاهتمام من الماضي والحاضر إلى المستقبل ، حيث [illegible] ملامح المجتمع المدني العربي المنشود [illegible] تحول ديمقراطي ، في محاولة [illegible]

الأساس : لماذا التعددية ؟ وكيف ؟

ولا شك أن تعددية مضامين الكتاب والآراء المطروحة فيه كانت هي نفسها نموذجا حيا للتعددية الفكرية البناءة . إلا أن التعدد والخلاف في الآراء ، لم يمنع بروز شبه إجماع على التعددية الديمقراطية ، ورفض مقايضتها بأي هدف قومي آخر ، كالتنمية الاقتصادية والاجتماعية أو محاربة الفساد أو التصدي للأخطار الداخلية والخارجية أو الحرب نفسها . ومع أن عنوان الندوة والكتاب يدور حول التعددية السياسية ، فإن كلا من الندوة والكتاب تناولا التعددية بمعناها الأوسع ، لتشمل ، إلى جانب الأحزاب والتنظيمات السياسية صنوفاً أخرى من التنوع الاجتماعي والقبلي والقومي والديني والمذهبي والعرقي التي يحفل بها الوطن العربي الكبير .

ويبدو من خلاصة اتجاهات المناقشة أن التعددية مثل الحرية والديمقراطية ، هي غاية ووسيلة في الوقت نفسه ، لأنها تجسيم للحريات الأساس وحقوق الأفراد والجماعات من جهة ، كما أنها عامل إيجابي في تحقيق الوحدة العربية والتنمية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية من جهة أخرى .

وبشكل عام فإن قارىء هذا الكتاب يخرج بقناعة عامة بأن الوطن العربي ، بجميع أقطاره ، زاخر بالتنوع والتعدد ، وأن هذا التنوع وذلك التعدد يشكلان طاقة هائلة ، إذا لم نحسن التعامل معها وتوظيفها لتقوية المجتمع العربي وإغنائه ، فإن العدو سوف يتعامل معها ، ويوظفها لتفتيت الأقطار العربية ، وإطلاق شرارة صراعات دموية تنتهي بالدمار ، كما هو حاصل في أكثر من قطر عربي . فالتعددية إما أن تكون قوة دفع للأمام أو طاقة تفجير تدميرية . □





اسم الكتاب : في السياسة والإعلام وقضايا أخرى .

اسم المؤلف : د . فؤاد عبد السلام الفارسي

الناشر : الكتاب العربي السعودي ـ تهامة للنشر ـ جدة .

عدد الصفحات : ٤٠٩ من القطع المتوسط

سنة النشر : ١٩٩٠ م

يضم الكتاب مجموعة من المقالات ، تتناول قضايا في السياسة والإعلام ، وتناقش من القضايا السياسية موضوعات كدبلوماسية السلاح ، والصراع الدولي ، والظاهرة الخمينية ، والسلام الدولي ، والعلاقات السعودية الأمريكية ، والعلاقات السعودية البريطانية ، والصراع العربي « الاسرائيلي » ، ومن قضايا الإعلام تناقش موضوعات كالرأي العام ، والسيطرة الإعلامية الدولية ، والحرب النفسية وآثارها ، والإعلام والعلاقات السياسية . يقول الكاتب : إنه اختار ربط قضايا السياسة بالإعلام ، لأن قضايا هذين الميدانين شديدة الارتباط بعضها ببعض ، وأنه لا يمكن فصل أداء الإعلام ودوره عن ميدان السياسة وعملياته .

اسم الكتاب : الانكفاء على الذات

اسم المؤلف : د . سعيد بن علي بن مانع .

الناشر : مطابع الصفاة ـ مكة المكرمة

عدد الصفحات : ١١٢ من القطع المتوسط

سنة النشر : ١٩٨٩

دراسة جديدة لأحد موضوعات علم النفس ، وهو موضوع الانكفاء على الذات الذي يعنى به « التمركز العقلي حول الذات » ، وهو حالة شائعة في السلوك العام للأفراد في المجتمعات وفي المستويات الاجتماعية المختلفة . وهو حالة تعكس عدم تمتع الإنسان بقدرة عقلية معرفية عليا . يعرض الكتاب في البداية لمراحل النمو المعرفي ومحدداته ، ثم يتناول التفكير المتمركز حول الذات ، وبعد هذا الإطار يتناول بالعرض والشرح الاتجاهات الجديدة في دراسة الظاهرة والاتجاهات الجديدة في دراسة التفكير المتمركز حول الذات .

□□□

اسم الكتاب : أمريكا والوحدة العربية (١٩٤٥ ـ ١٩٨٢)

اسم المؤلف : د . علي الدين هلال

الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت

عدد الصفحات : ٢٦٩ من القطع الكبير

سنة النشر : ١٩٨٩

يتناول الكتاب موقف الولايات المتحدة الأمريكية من قضية الوحدة العربية ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٨٢ ، وهو بالتالي لا يعرض لتطور موقف الولايات المتحدة من قضايا المنطقة ، ولا العلاقات العربية الأمريكية على إطلاقها ، ولكنه يخصص موضوعه للموقف الأمريكي من قضية الوحدة العربية . وقد انقسم الكتاب إلى ستة فصول وخاتمة ، تناول الفصل الأول الإطار النظري والتاريخي ، والفصل الثاني مشروعات الاتحاد العربي (٤٣ ـ ١٩٥٠) . والفصل الثالث الصدام مع عبد الناصر ، وحركة القومية العربية ، والفصل الرابع (من محاولات الاحتواء إلى استخدام العنف) . وفي الفصل الخامس تسوية الصراع العربي « الاسرائيلي » ، وأخيراً الفصل السادس الذي تناول أمريكا والوحدة العربية (الاقتراب غير المباشر) .

- وفي الخاتمة ناقش الكاتب الولايات المتحدة والوحدة العربية بين الموقف الفكري والاستراتيجية السياسية ، فعرض لأربعة أنواع من الاستراتيجية هي :

استراتيجية المواجهة ، واستراتيجية التحالف والالحاق ، واستراتيجية الضغط والتحييد ، وأخيرا استراتيجية توزيع الأدوار .

□□□

اسم الكتاب : ديوان خالد الفرج

اسم المؤلف : خالد الفرج

الناشر : مطابع القبس ـ الكويت

عدد الصفحات : ٢٩٢ من القطع الكبير

سنة النشر : ١٩٨٩

يضم الكتاب سيرة حياة الشاعر الكويتي المرحوم خالد الفرج وأعماله . وقد قام بتقديم الكتاب وتحقيقه الأديب الشاعر خالد سعود الزيد ، حيث جمع أشعار خالد الفرج ، وسيرة حياته التي خطها الفرج بنفسه ، وقام بتحقيقها ، وترتيبها وإعدادها للنشر ، وفق تصنيف زمني ومكاني وموضوعي .

□□□

اسم الكتاب : تأملات في بنيان مرمري

اسم المؤلف : جبرا ابراهيم جبرا

الناشر : رياض الريس للكتب والنشر ـ لندن

عدد الصفحات : ١٧٠ من القطع المتوسط

سنة النشر : ١٩٨٩

مجموعة من المقالات للكاتب الكبير جبرا ابراهيم جبرا ، في الفن والموسيقا والأدب ، ترصد الموضوع الفني في شتى ألوان الإبداع والأفق الإنساني والصلات العميقة بين موضوعات الفنون ، كتب فيها المؤلف عن صلة الشعر بالفن الروائي ، وعن الظاهر والكامن في الخطاب الأدبي ، وعن الثنائيات والأضداد ، وموضوعاً في الفن التشكيلي والموسيقا والأدب ، بحس جمالي راق ، ونفس ذواقة ، وثقافة ناقد مطلع على الثقافات العالمية ، وحساسية كاتب متميز . □



● لا مروءة لمن لا أدب له ، ولا أدب لمن لا عقل له ، والعقل أمير والأدب وزير ، فإن لم يكن وزير ضعف الأمير ، وإن لم يكن أمير بطل الوزير .



كتاب الشهر

مَوْلِدُ الألعابُ الرّياضِيّة

J. LE FLOCHMOAN

LA GENÈSE DES SPORTS

كتاب الشهر

لماذا الرياضة ؟ في كل الأزمنة يحب الناس معرفة حجم قوتهم ، وليونتهم وسرعتهم ولياقتهم . كثيرون عبر العصور أرادوا أن يبينوا أنهم الأفضل ، إما للحصول على ميدالية ، أو رتبة شرف ، أو من أجل المال ، أو المجد ، أو - ببساطة - لحب الذات .

ويرجع المؤلف إلى ليل الأزمنة السحيقة ، ليقول : « نستطيع أن نتخيل مباراة فيها المتبارون يبرهنون قوتهم برفع أو برمي حجر ضخم ، ففي مصر القديمة في حوالي ٢٥٠٠ قبل الميلاد ، كان العسكر يمارسون تمارين المعركة بالعصي ، وفي جزيرة « كريت » ١٥٠٠ ق.م ، كان يسرهم الرقص والركض ومصارعة الثيران . وفي اليونان يحدثنا هوميروس في الالياذة بأن اليونانيين أحضروا الحصان من الشمال الأوربي ، وأسسوا الحركة الرياضية اليونانية التي هي أساس الحركة الرياضية في العالم .

فقد تلقى مكافأة هي عبارة عن تاج من أوراق الزيتون . أما المصارعة فقد بدأت عام ٧٠٨ ق.م . وفيها يقف المتصارعان وجهاً لوجه ، ويحاول أحدهما أن يفقد الآخر توازنه بلوي الذراع ، أما المنتصر فهو من ينجح في رمي الآخر على ظهره ، أو يحني خصره ، أو كتفه ، حتى تمس الأرض مرتين . ولقد كان المتصارعون يدهنون أجسامهم بالزيت خوف الإصابة بالبرد ، ولجعل عملية الإمساك أمراً صعباً .

أما بالنسبة لرياضة رمي القرص ، فقد كان القرص من حجر ، قبل أن يصبح من برونز ، وكان يزن بين كيلوغرام واحد و ٥ كيلوغرامات ، ويبلغ قطره بين ٢٠ و ٣٦ سنتيمتراً .

كذلك شجعت مدينة « اسبارطة » الفتيات على ممارسة الرياضة ، فقد جاء في أحد القوانين : « أن الدور الأساس للنساء الأحرار إنجاب أولاد أقوياء » ، ولقد كانت الألعاب [illegible] الألعاب الرجالية ، [illegible] ولقد بدايتها [illegible]

أثينا ، تشريعات ، ووضع الخطوط الكبرى للتربية الأثينية ، وهذا هو مبدؤها : « يجب أن يتعلم الصبيان ، قبل كل شيء ، السباحة والقراءة ، والفقراء عليهم ممارسة الزراعة وصناعة ما ، أما الأغنياء فيجب أن ينصرفوا إلى الموسيقا ، والسباحة ، وتمارين الرياضة ، والصيد ، والفلسفة » .

إن تأثير اليونان على الرومان كان كبيراً ، فجميع الألعاب اليونانية أصبح لها مثيل في روما ، خاصة عندما أعلن « اوكتاف » نفسه بعد معركة « اكتيوم » امبراطورا باسم « اوغسط » ، وانشأ الألعاب الأغسطية ، وأصبح من ثم لروما ألعابها . و « دوميتيوس » الذي أصبح فيما بعد الامبراطور « نيرون » كان من المتبارين البارزين في سباق عربات الخيل (كاروسيل) . ونيرون هذا قد أنشأ ألعاب السيرك التي تستمر خمسة أيام ، وذلك في القرن الأول الميلادي . ومما لا شك فيه أنه كان في السيرك الروماني بعض ألعاب [illegible] المركبات

مطاط الشجر . ويبدو أن سكان أمريكا الجنوبية هم أول من صنع الكرة من أشجار « اللاتكس » ، ولم يكن هناك بد من الانتظار حتى القرن الثامن عشر ، حتى تعرف أوربا المطاط « الكاوتشوك » ، ويتم اعتماده في الألعاب الرياضية .

وقبلهم بكثير عرف العرب « الكرة » ، فقد كان اللاعبون ينقسمون إلى فريقين ، يتنافسون على كرة مصنوعة من ألياف أشجار النخيل ، أو من غصن العناب البري . ولقد انتقلت هذه اللعبة إلى أسبانيا ومنها إلى أوربا .

في مطلع القرن السابع عشر بدأ الانكليز بإنشاء المعاهد الرياضية ، وتقدر عددها بخمسة ، وجميعها تعلم « الرجبي » ، وكرة القدم . وفي القرن الثامن عشر ولدت نوادي « الغولف » أيضاً في انكلترا .

أما انكلترا في ذلك القرن فقد انتشر فيها سباق الخيل والملاكمة والركض [illegible]



كتاب الشهر

أحد كتاب القرن التاسع عشر ، ويدعى « بياردو كوربيتان » ، يشرح في كتابه : « التربية الرياضية » كيفية مولد الرياضة الحديثة ، ويبين ظهور رياضة التجديف أول مرة فوق نهر التايمز ، في سباق بين طلاب جامعتي كامبريدج وأوكسفورد عام ١٨٣٦ . ويقول : إنه لم تكن هناك حتى منتصف القرن التاسع عشر كرة للعبة كرة القدم من « المطاط » فقد ظهرت عام ١٨٧٠ على يد رجل يدعى « ريتشارد ليندن » ، وتم اعتماد هذه الكرة « المطاطية » في النوادي منذ ذلك الحين . ويقول أيضاً : إنه في القرن التاسع عشر انتشرت لعبة « التنس » في انكلترا .

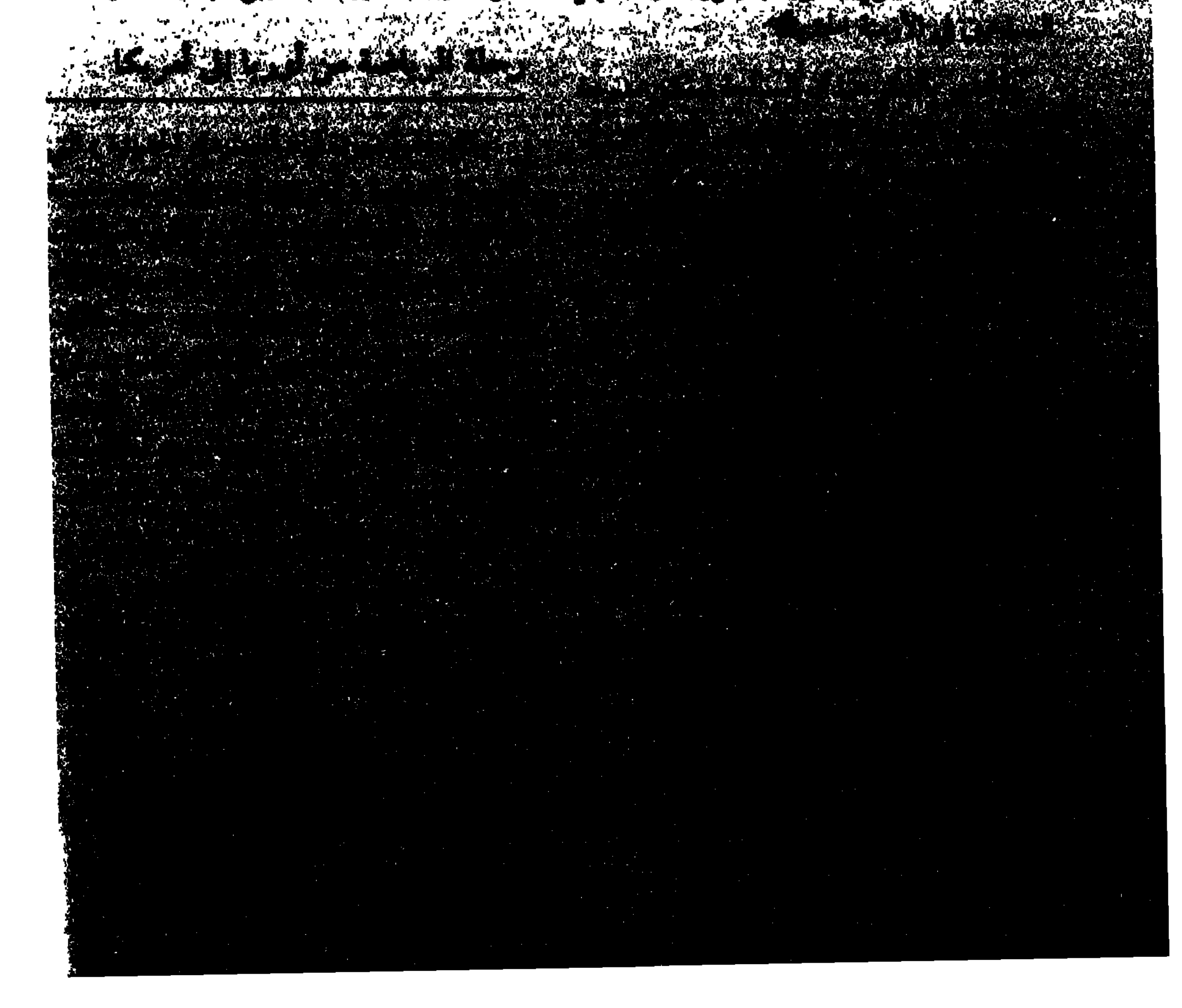
ويبدو أن نهاية القرن التاسع عشر كانت تمهيداً لميلاد رياضة السباحة وانتشارها ، ويمكن عد الشاعر الانكليزي اللورد بايرون أول أكبر

الشتاء لذة التزلج على الثلج الذي يغطي الشوارع والساحات ، والألمان كانوا يمارسون هواية التزلج . والشاعر الألماني الكبير « غوته » كان من الهواة المتحمسين لهذه الرياضة .

وظل « غوته » طوال حياته يمارس الرياضة ، وأولها التزلج ، والتمارين البدنية ، والحمامات المرطبة ، « وكان ينتعش ويرطب عبقريته » كما يقول المؤرخ « جورج بوردان » .

وإذا انتقلنا من التزلج إلى الرياضة البدنية وجدنا أنه في عام ١٨٠٥ بادر معلم سويسري ، يدعى « هنري بيستالوزي » ، لإنشاء معهد لتطبيق تعاليم الرياضة البدنية المستوحاة من كتاب « أميل » لروسو ، بيد أنه يمكن عد « جاهن » من النمسا ، و « لانغ » من السويد المؤسسين الفعليين للتمارين البدنية الحديثة .

رحلة الرياضة من أوربا إلى أمريكا



المعاهد . وبعد ذلك بعامين طور « نيسميث » مع أحد المربين ، ويدعى « وليام ج. مورغان » هذه اللعبة ، ففصل اللاعبين بشبكة ، وهكذا أيضاً ولدت لعبة جديدة ثانية تسمى الكرة الطائرة « الفولي بول » .

أما بالنسبة للألعاب الآتية إلى أمريكا من العالم القديم فلقد تم إدخال لعبة التنس مثلاً عام ١٨٩٠ ، وقد استقرت تلك اللعبة في كاليفورنيا ، وفي الوقت نفسه أدخلت « الغولف » التي أصبحت رياضة أصحاب المليارات .

عام ١٨٩٠ أيضاً أدخلت لعبة « الهوكي » من كندا ، واستقرت في بوسطن ، وشيكاغو ، وديترويت ، ونيويورك ، وتم إنشاء فريق متخصص بهذه اللعبة .

سكرتير « فيكتور هيجو » والدراجات

تعود إلى أوروبا لنشهد ولادة رياضة سباق [illegible]

[illegible]

ذلك الزمان : الانكليزي « جيمس مور » ، لكن الدراجة ذات العجلة الواحدة كانت خطرة لصعوبة التوازن ، لذا تم استحداث الدراجة التي نعرفها اليوم عام ١٨٨٥ ، وقد صممها الفرنسي « جورج جوزان » ، لكن الانكليز هم الذين صنعوها وأطلقوها في الأسواق ، أما الدراجة النارية فقد انتشرت عام ١٩٠٢ ، وتفوقت على الدراجة العادية ، لتأتي بعد ذلك السيارة وتتفوق فترة من الزمن على الدراجة النارية ، ففي ١ تموز ١٩٠٣ جرى أول سباق للسيارات من فرنسا .

وماذا عن القرن العشرين ؟

لقد عرف القرن العشرون رياضة « الجيدو » ومشتقاتها القادمة من اليابان ، ومعها انطفأت هالة الملاكمة فترة من الزمن ، وبخاصة في فرنسا ، ومع مطلع القرن العشرين كثرت سباقات السيارات ، وبدأت تنهض صناعة السيارات الخفيفة الخاصة للسباق الرياضي [illegible]



[illegible] يحدث في داخلك أو في الخارج ، فيتوازن العالمان الداخلي والخارجي في موسيقا صامتة أو ناطقة ؟ وتطرد عن رأسك هذا السؤال وغيره ، فرغبتك في أن تعيش اللحظة أقوى ألف مرة من رغبتك في أن تدرك أسبابها ، أو تفهم منطقها !

ربما تخشى أن تعصف محاولتك للفهم بهذه اللحظة نفسها !

وتبدأ في التعامل معها كأنها منحة سماوية ، فما تنجزه في هذه اللحظة يكاد يصل إلى كماله الخاص ، ويحقق جماله الفريد ، فنا أو علما أو فكرا ، أو عملا من أي نوع . إنها لحظة تشعر خلالها أنك تبدع كما تتنفس !

وتؤرقك الأسئلة الخفية : إلى متى تبقي هذه اللحظة ؟ هل أنت الذي يملكها أو هي التي تملكك ؟

ما الذى ينبغى أن تفعله للإمساك بمثل هذه اللحظة ؟

يقول لك من يعنيهم الأمر : لكل شيخ طريقته في الإمساك بهذه اللحظة !

ويقول لك يحيى حقي : « لايكفي أن تنتظرها ، قابلها في منتصف الطريق » .

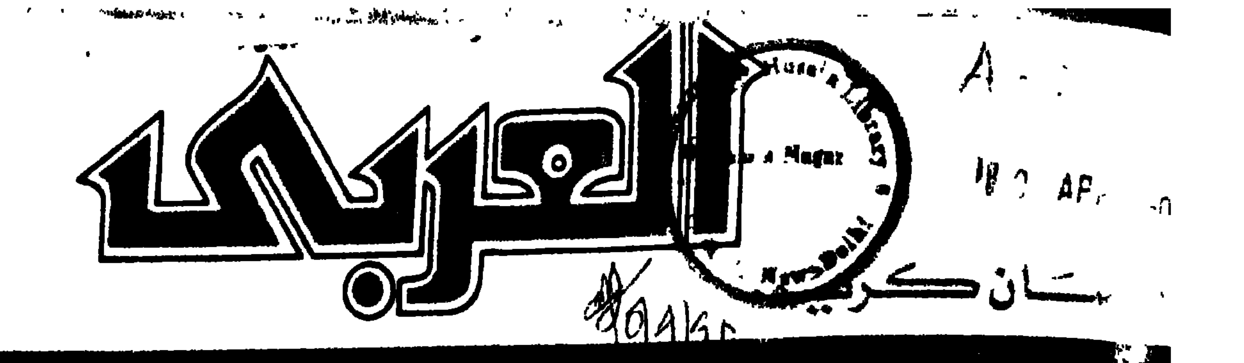
ويقول لك نجيب محفوظ : « انتظرها كل يوم في موعد ثابت ، حتى ولو لم تجيء إليك » !

ويقول لك بعض علماء النفس : « سوف يأتي يوم نتنبأ فيه بقدومها كما يتنبأ علماء الإرصاد بمقدم العواصف والأمطار ! »

وإلى أن تختار الإجابة التي تروق لك دعني أهمس في أذنك : ليست هناك طريقة للإمساك بهذه اللحظة سوى أن تفتح لها الأبواب حين تجيء ، سوى أن تنجز في ظلها كل ما حلمت بإنجازه ! لاتقل لها أبداً : "انتظري ريثما أنتهي من حديثي مع « الملك سليمان » ، أو ريثما تفرغ « بلقيس » من ارتداء ملابسها !

ويا أيها الذين تملكهم هذه اللحظة أو يملكونها ، لاتتركوها ترحل ، دون أن تفعلوا فيها شيئا ، فقد لاتعود إليكم أبداً ، وحينذاك سوف تشعرون بأنكم موتى ولو عشتم ألف عام !

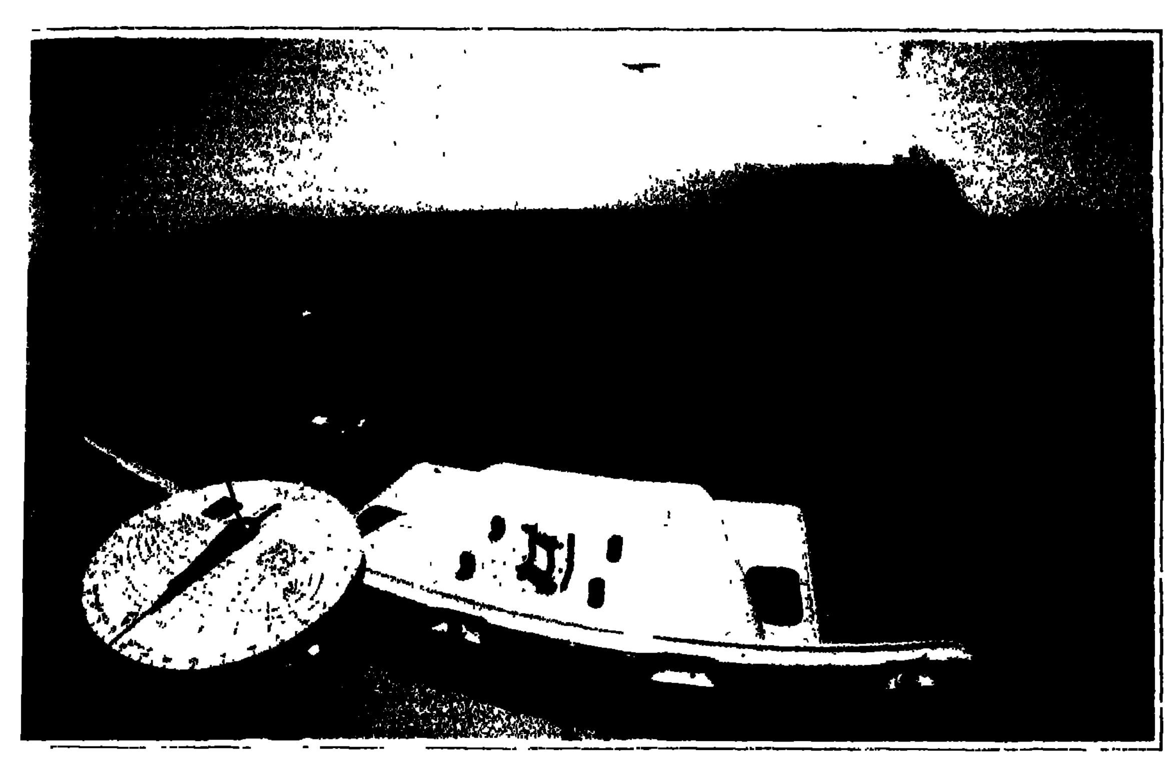
أبو المعاطي أبو النجا





الأرجنتين

حافة الكون الفضية



في الصحراء يبقى توم شبارد واثقاً من اثنين : الشمس و رولكس

حين يتوقف توم شبارد عن ارتياد الصحاري مستكشفاً ، يبحث عن أسباب وجيهة تعيده إليها . فهو يقول : "الصحاري تستهويني . ففيها أشعر كأني أول إنسان على الأرض ."

لقد وجد منذ سنة ١٩٦٧ سبعة أسباب دعته إلى استكشاف الصحراء ، وأصبح كل منها مشروعاً كبيراً ولكل منها أخطاره الخاصة به .



توم يسترشد بالبوصلة الشمسية

غير أن توم يكره الاندفاع الطائش وما ينطوي عليه من تهور . فهو يقول : "صحيح أن الصحراء لا ترحم ، لكن يمكن التغلب عليها بالتخطيط والانتباه ، لا بالرعونة" .

ومع ذلك جاءت مغامرته الأخيرة كأنها تطور تلقائي . قال توم : " الاهتمام الذي أثارته رحلتي الاستكشافية سنة ١٩٧٩ واتصالاتي داخل الجمعية الجغرافية الملكية دعتني إلى استكشاف مد فقررت الذهاب إليها لأرى ما فيها ." وكانت نتيجة ذلك رح إلى أرض مجهولة امتدت نحو ٥٠٠ ميل في صحراء ل خريطة وافية .

كانت الرياح المثقلة بالغبار تحجب الرؤية ، وكثيرا ا عليه تحديد موقعه من المعالم الظاهرة في الصور المص المنطقة .

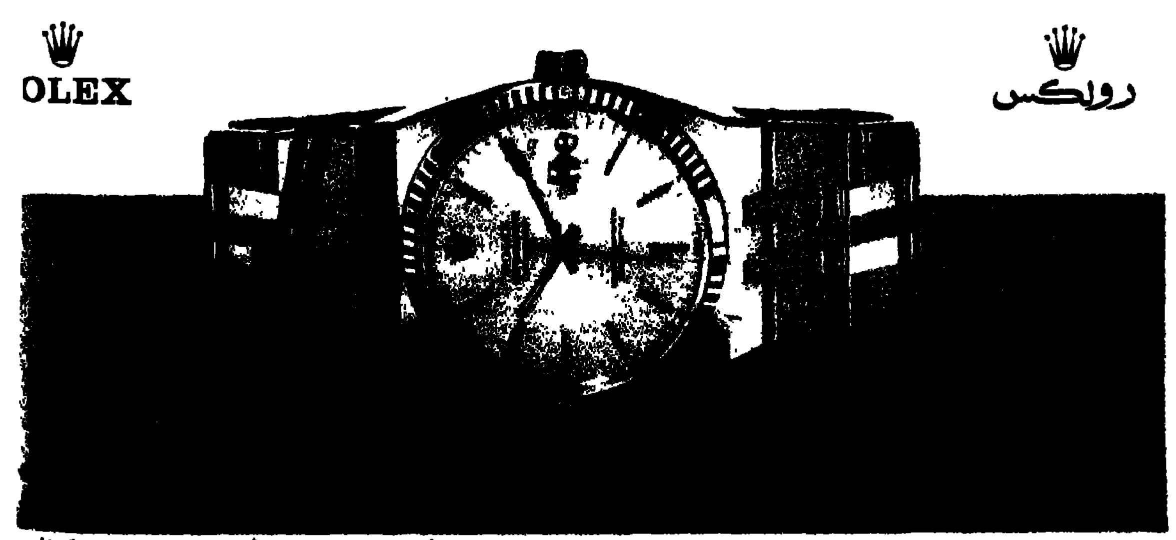
وبسبب الخلل الحاصل في معدات الملاحة اضطر توم إلى الا الدرجة الأولى على البوصلة الشمسية للاسترشاد بها . وكان ، د كل مرة ، أخذ معه ساعة رولكس أويستر كوارتز التي يقول : " عملت دون خلل في الماضي ، وهي مع البوصلة آخر و ملجأ إليهما " غلافها المنيع المعروف بأويستر أثبت جدارته واحدة من أسوأ العواصف الرملية التي عرفها توم .

إنه يقول : " يسهل علي التآلف مع الخصائص الهندسية ال بها رولكس ."

من صفات توم أنه لا يهمل أصغر التفاصيل في تخطيطه . الصحراء ، فإن ساعته أبعد ما يكون عن أصغر هذه التفاصي

رولكس

OLEX



ساعة رولكس أويستر كوارتز ديت جست كرونو متر ، من الفولاذ مع حافة من الذهب الأبيض عيار ١٨ قيراطاً ، أو من الفولاذ والذهب عيار ١٨ قيراطاً

العـدد ٣٧٧ السنة الثالثة والثلاثون - أبريل ١٩٩٠



مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

العربي
ص.ب: ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 الكويت
تلفون: ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٣١٢٤٢ - ٢٤٤٠١١٢
برقياً: "العربي" الكويت
تلفون فاكسيمي: ٢٤٢٤٣٧٥ - تلكس MITR 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL - ARABI
Issue No.377-Apr. 1990. P.O.Box: 748
Postal Code No. -13008 Kuwait
A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information
State OF Kuwait.

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - الإعلام الخارجي
وزارة الإعلام - ص.ب: ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة
مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٦ د.ك أو ٢٠ دولاراً دفي دول العالم ٨ د.ك أو ٣٠ دولاراً

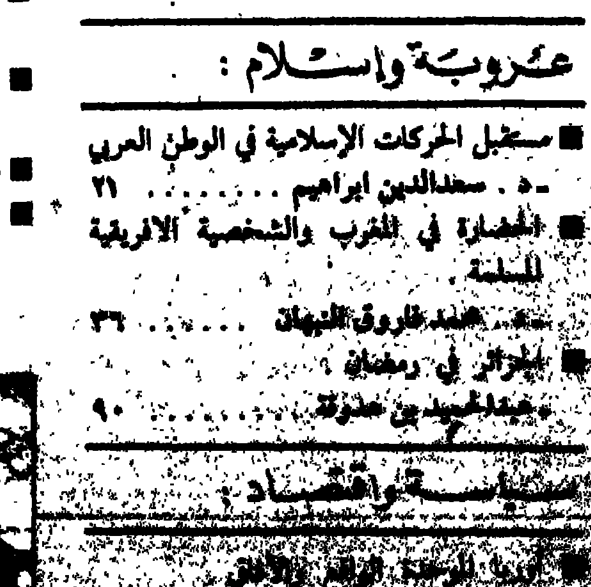
ثمن النسخة

الكويت ٣٠٠ فلس	تونس ٥٠٠ مليم	سوريا ١٥ ليرة
العراق ٤٠٠ فلس	الجزائر ٥ دنانير	الإمارات ١٠ دراهم
الأردن ٥٠٠ فلس	السعودية ٦ ريالات	المغرب ٥ دراهم
البحرين ٤٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٤ ريالات	ليبيا ٥٠٠ درهم
اليمن الجنوبي ٣٠٠ فلس	قطر ١٠ ريالات	أوروبا جنيه استرليني ونصف
مصر ٣٥ قرشاً	سلطنة عمان ٤٠٠ بيسة	فرنسا ٢٥ فرنكا
السودان ٢٥ قرشاً	لبنان ٥ ليرة	أمريكا ٣ دولارات

محتويات العدد

قضايا عامة :

عروبة وإسلام :



سياسة واقتصاد :

طب وعلوم :



أدب وفنون :



وجها لوجه :
د. علي فهمي خشيم
وحسن حميد ص ٩٧

منتدى العربي :

تاريخ وتراث وأشخاص :

مكتبة العربي :

أبواب ثابتة :

العربي
الارجنتين

صورة الغلاف

الأرجنتين ، أرض الفضة التي تحتل تلك المساحة بين مدار الجدي والقطب الجنوبي ، كانت موضوع استطلاع العربي هذه المرة . لقد ذهبت بعثة العربي بعيداً إلى حافة العالم الجنوبية لتنقل للقراء صورة عن الحياة والناس في تلك الأرض الجديدة . [ص ٦٨]

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

عزيزي القارئ

هذا التواصلُ الحَميم

بريد « العربي » يكتظ كل يوم تقريباً برسائل القراء . وهي مختلفة في الدافع والقصد . بعضها فيه من المطالب الشخصية ما لا نستطيع أن نحققه ، أو نتابعه . وبعضها فيه من القضايا العامة ما لا نستطيع أن نعطيه المساحة المناسبة . وذلك لأن « العربي » مطبوعة شهرية ، تستوعب عدداً محدوداً من الموضوعات والصفحات .

ونحن نتفهم هذا في « العربي » ، فعلاقة القارىء بمطبوعته فيها قدر من الخصوصية . وقدر من التواصل الشخصي ، وقد ألف الناس مع الوقت أن يعدوا كُتاب مطبوعاتهم أصدقاء لهم ومعارف ، وأنهم ـ القراء ـ أصحاب حق على المطبوعة وعلى كُتابها وليس هناك مطبوعة في العالم تحظى بثقة قرائها ، وتحرص عليهم . ويسعدها هذا النوع من العلاقة مع القارىء . الا اننا لا نستطيع من جهة أخرى تلبية ما لا يتوافق مع قدراتنا

ومن أبرز ما احتوته بعض الرسائل في الفترة الأخيرة الكتابة عن ظاهرة بيع المجلة ومطبوعاتها بأكثر من سعرها الرسمي ، بل وقد شكا إلينا بعض القراء أن بعض الموزعين باعوا عدد يناير الممتاز خلواً من الهدية . وهي خريطة لطرق المواصلات البرية في الوطن العربي ، وعلى الرغم من أننا نتفهم دوافع هذه التصرفات لدى بعض الباعة ، فإننا لا نتفق معهم ولا نوافقهم عليها . فالمجلة كأي سلعة تخضع لقانون العرض والطلب . ونحن نعترف أن الطلب على المجلة يتزايد يوماً بعد يوم ، ولكن طاقة الطباعة لا تستطيع أن تلبي كل طلبات الزيادة هذه ، ولأن « العربي » مطبوعة تصدر لخدمة الثقافة العربية وليس بغرض الربح . فإننا نهمس في أذن القراء قائلين : في كل قطر عربي هناك شركة تتولى حق التوزيع ، وما عليك ـ عزيزي القارىء ـ إلا أن تتصل هاتفيا بهذه الشركة ، لتشكو ما يفعله الباعة

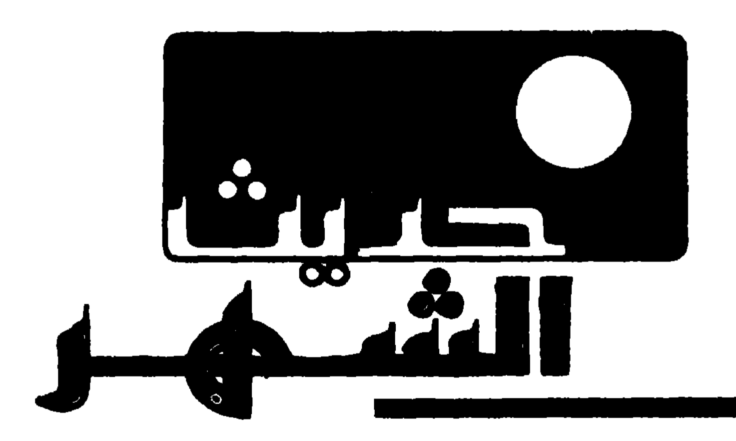
عندما يصل إليك هذا العدد ـ عزيزي القارىء ـ نكون قد استقبلنا شهر رمضان الفضيل منذ أيام قلائل ولشهر رمضان وقع خاص وجمال خاص ، ولأمسياته دفء حنون ، ولأيامه ذكريات نضرة ، ففيه نجوع ونعطش ونجتمع ونتسامر ونتزاور . ولذا فقد حاولنا أن يكون عددنا هذا أنيساً ، ورفيقاً و‍ـ ميراً ، ليتناسب مع الشهر الكريم . من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب . نطوف بك ـ عزيزي القارىء ـ في مساجد الجزائر وبيوتها وشوارعها ليقدم لك الكاتب العربي الكبير عبد الحميد بن هدوقة صورة مكتوبة عن رمضان في الجزائر ، وكيف يحتفي به الناس ، وذكرياته هو في صباه وطفولته ومن الجزائر إلى درة الشام ، دمشق ، ومنها إلى حلب الشهباء ، ننقل لك صوراً ووقائع عن رمضان واستعدادات الناس له ، وكيف تصنع المشهيات التي ألفناها في رمضان ، كقمر الدين والمشمشية والقراصية

في هذا العدد يكتب الدكتور سعد الدين ابراهيم في إطار ملف العرب في التسعينيات ، فيتناول مستقبل التيارات الدينية في الوطن العربي ، كما تقدم لك « العربي » في ملف الإبداع العربي مقالين عن القصة في وادي النيل ، والقصة في بلاد الشام .

والعدد حافل بالموضوعات المتنوعة . فقد حرصنا على أن نقدم لك مادة تحظى برضاك ، وتلبي رغبتك في المعرفة والقراءة حرصاً منا على ثقتك التي نعتز بها ونسعد

وإلى العدد ، وكل عام وأمتنا وقراؤنا بخير وصحة وعافية □

المحــرر



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

تأثير الأفكار والمعلومات في المجتمع العصري



« الأذكياء من الناس فقط هم الذين يدركون أن هناك أشياء كثيرة مازالوا يجهلونها »

تبدو هذه العبارة وكأنها متناقضة بعض الشيء، فنصفها ضد نصفها الآخر، أو قل : فيها إدراك لقصور في الادراك ـ إن صح التعبير ـ وهو عملية انسانية صعبة لا يتقبلها إلا القليلون، القليلون الذين هم هدف هذا الكتاب الذي قرأته في اجازة قصيرة، وعنوانه «أفكار ومعلومات : الحياة في مجتمع تقني متقدم». واذا كان ذلك هو هدف الكاتب من كتابه ـ فهو ليس غرضي من عرضه والتعليق عليه، بل غرضي مناقض للخصوصية، وهو أن يفهم قصد هذا الكتاب كثيرون.

لقد جذبني أول وهلة الى الكتاب مؤلفه وموضوعه، فالمؤلف هو أرنو بنزياس ARNO PENZIAS الحائز على جائزة نوبل في العلوم الطبيعية لعام ١٩٧٩ الذي عمل ومايزال يعمل في مختبرات شركة « بل » المهتمة بتطوير

بعد عصر الثورة الصناعية نعيش الآن عصر الحاسوب وصناعة المعلومات



● غلاف الكتاب

البحوث في الاتصالات المتقدمة . وموضوعه هو محاولة شرح - بكلمات بسيطة واضحة - علاقة انسان اليوم بالتقدم التقني، خاصة في أجهزة الحاسوب التي تتطور كل يوم. ويؤكد الكاتب من جديد على أن الانسان هو الأصل، وذلك التأكيد مصدر راحة لنا نحن في العالم الثالث. فالانسان هو الذي صنع الحاسوب الذي أخذ يحول بدوره حياة الانسان الى واقع جديد لم يعرفه تاريخ البشرية من قبل. ومصدر راحتنا أننا أيضاً يمكن ان نبدأ بالانسان.

كل من كتب في موضوع تطور الاتصالات الجديدة يتفقون على أن مانشهده اليوم أمامنا هو ثورة بكل معاني الثورة. انقلاب جذري يعتمد على المعلومات، إنه عصر المعلومات. فحلال جيل واحد فقط تحول العمل الذي تنجزه (عضلات) الانسان إلى عمل يعتمد انتاجه على (معلومات) الانسان. المعلومات التي عرفها الانسان فصنع الآلة التي تنجز العمل. إننا نعيش عصراً يعتمد الانتاج فيه على الحاسوب ذي القدرة الخارقة، والذكاء المشكوك فيه.

السرعة التي غيرت وجه العالم :

الفرق بين انجاز الانسان وانجاز الحاسوب، في العمليات التي نطلب منه أن يقوم بها، هو فرق في السرعة، هذه السرعة هي التي غيرت وجه العالم.

المؤلف بنزياس كتب هذا الكتاب، بعد خبرة طويلة بالموضوع، كتبه من أجل الكشف عن أسرار لا نعرفها، تحيط بعمليات هذه الآلة وخدماتها في المستقبل، ومشروع العلاقة بينها وبين عقل الانسان، وبما أنه عالم الكترونات متمكن فقد عرف تلك الأسرار وبدأ يكشف تلك العلاقة.

إنسان هذا العصر ـ عصر المعلومات ـ تُفرض عليه تساؤلات : بدايتها ما المعلومات ؟ هل هي مجرد مجموعة من الرموز والأعداد والكلمات والصور؟ وعندما يتعامل الانسان معها كيف يستخلص منها مايريد؟ وما مقدار كفاءة هذه الآلات التي نعتمد عليها للحصول على المعلومات؟ والى أي مدى قد تصل دقتها وكفاءتها؟ والأهم من ذلك : ما أثر كل ذلك على الدور الذي يقوم به الانسان في الحياة الحديثة؟ هل ستصبح الحياة بكل تفرعاتها أسهل أو أكثر تعقيداً عندما نستعمل هذا الجهاز؟

وسؤال عام يلح على المؤلف يبحث له عن جواب في ثنايا هذا الكتاب هو : كيف يمكن أن تصبح العلاقة بين «العقل البشري» و الحاسوب ؟ هل هي علاقة مشاركة أو علاقة منافسة؟

ان هذا الجهاز الجديد الذي نسمع عنه، ونكتب عنه يقوم بالتنبؤ لنا عن حالة الطقس، ويحدد مسار الطائرات والصواريخ. ويكشف دقائق جسم الانسان، ويكتشف لنا الخلل في محطات الكهرباء الضخمة، ويلتقط اشارات الاذاعة بجهاز استقبال صغير، ويقوم بعشرات الأعمال. وبدأ ـ باختصار شديد ـ يغزو جميع أعمال الإنسان في العالم. فكيف يعمل ؟ وما المدى الذي يمكن أن تصل اليه امكانياته؟ ثم ما وقع هذا التقدم التقني الذي يكتسح العالم على حياة الناس؟ وأخيراً ما آفاق هذا التقدم؟



يقول المؤلف إن أفضل الاجابات، عن مثل هذه التساؤلات تكون حينما يتفهم الناس كيف يوفقون بين العقل البشري والآلة، ويشركونهما معا ليؤدي كل منهما الدور المنوط به لما فيه خير البشرية وسعادتها . فالحاسوب الحديث له دور وعمل يقوم بهما، لكن دوره لا يلغي دور العقل البشري



ومنجزاته على مر العصور، كما أنه لا يستطيع أن يلغي التقنية القديمة التي كان يستخدمها الانسان قبل اختراع الحاسوب

فالعقل البشري هو الذي اخترع الكتابة والرسم، والحساب، واستخدمها وسائل لنقل الأفكار وحفظ المعلومات قبل أن يخترع هذا الجهاز، وهو الذي اخترع الورق والطباعة وكثيرا من الوسائل اللازمة للاتصال والتذكير والتفكير، والانتقال من الوسائل القديمة الى الوسائل الجديدة، فهي اذن عملية تقدم وتطور طبيعية لا يمكن أن تلغي دور العقل البشري.

إن ما يطلقون عليه اسم - «ثورة الكومبيوتر» - يجب أن لا ينسينا أن ما يستطيع هذا الجهاز انجازه باستخدام الرموز والأرقام والكلمات والرسوم، إنما يخضع لقواعد علمي المنطق والحساب التي يستخدمها الانسان. هذه القواعد التي تمكن هذا الجهاز من ايجاد الحلول للمشاكل التي نعرضها له. وهي التي تمكن العقل البشري في الوقت نفسه من الوصول الى حلول لها عن طريق استخدام الذكاء الطبيعي، فالحاسوب مثلا يستطيع التعرف على الخطوط، وكسب مباريات في الشطرنج، وتحديد مكان الخلل في الآلة، وكلها أمور يستطيع أن يقوم بها الانسان، ولكن الفرق في ذلك أن الانسان يحتاج الى وقت أطول مما يحتاج الجهاز الذي يقوم باختصار الزمن، ومن جهة أخرى فالانسان قد وهبه الله نعمة الذكاء الذي يمكنه من الربط بين الامور ونتائجها، والانتقال من السبب الى النتيجة بقوة الفكر وألمعية الذكاء، وذاك ما لا يستطيعه الحاسوب.

الحاسوب يحوّل حياة الإنسانية الى واقع جديد لم يعرفه الإنسان من قبل

صناعة المعلومات:

يشرح لنا مؤلف الكتاب الصعوبات التي لقيها في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات عندما كان يعمل لانجاز بحثه في رسالة الدكتوراة، وكانت عن الاتصالات اللاسلكية في الفضاء، وماكان يعنيه في تتبع المجالات بين المجرات، ليعرف ما إذا كان بينها هيدروجين او لا، وعلى الرغم من أجهزة الرصد المتقدمة التي كان يستخدمها حينذاك فقد كان عليه أن يُثبت عدة شاشات رادار في وقت واحد، وأن يقوم بتوجيه هوائياتها الى بقع جديدة في الفضاء كل بضع ثوان، وهي أمور غاية في الصعوبة بالنسبة للانسان، بل تكاد تكون متعذرة، ويقارن المؤلف بين تلك المصاعب في ذلك الوقت وبين التسهيلات التي يمكن أن يقدمها الحاسوب لو أنه أجرى الأبحاث نفسها اليوم، فأجهزة الحاسوب الآن تستطيع أن تقوم بعدة مئات من عمليات المراقبة في اللحظة نفسها، وتسجل كل منها على حدة وتقدمها لطالبها فوراً عبر شاشة العرض، كما تستطيع هذه الأجهزة القيام بعمليات المراجعة والتدقيق واستخراج المعدلات، وإجراء المقارنات بين المعلومات السابقة واللاحقة.

هذا الجهاز إذن يساعد العقل البشري بفيض من المعلومات، وبسهولة كبيرة تعينه على الوصول الى الافكار الخلاقة، ليس في المجالات العلمية فقط بل في معظم النواحي التي تمس الانسان، ولكن ما أهمية تزويد الانسان بفيض من المعلومات؟

مجالات الاختصاص في عالمنا الحديث كثيرة متشعبة، ولكل من هذه المجالات معلومات خاصة به، قد تضطر الباحث في الظروف العادية الى قراءة عشرات بل مئات الكتب والمراجع لاختيار ما يحتاج اليه من معلومات، كي يتخذ قراراً في أمر معين، وهنا نصل الى الاجابة عن السؤال السابق. فاتخاذ القرار هو الدافع الأول للبحث عن المعلومات ، وهو الرابط الذي يصل بين جميع مجالات الاختصاص، واتخاذ القرار في بعضه قد يكون أمراً سهلاً كاختيار اسم لأحد المتغيرات في برنامج الحاسوب، أو اختيار نوع من الاقلام للكتابة به، وقد يكون أمراً معقداً كالتنبؤ مثلاً بمقدار النمو في مجمل الدخل القومي لبلد ما ، أو تأثير المدخلات الاقتصادية في بلد على النسيج الاجتماعي والعلاقات السياسية، أو تأثير إقامة مجموعة من المصانع الجديدة على البيئة المحيطة.

هل تؤثر التقنية على قيم الناس ومعتقداتهم؟

صناعة القرار السليم لا يمكن أن تتم إلا في ضوء معلومات دقيقة

صلب الموضوع أن القيام بأي عمل، صغيراً كان أو كبيرا في أي مجال من مجالات الحياة والعيش، يتطلب أولا وقبل كل شيء اتخاذ قرار، فإذا اتخذنا قرارا وباشرنا العمل توصلنا إلى معلومات جديدة، هذه المعلومات قد تتطلب القيام بعمل جديد وقرار جديد ، واتخاذ القرار يتطلب معلومات، والمعلومات تقود الى قرارات . البحث والتطوير حلقة متصلة لا تخلو منها مؤسسة حديثة أو دولة لها قواعد الدول المعاصرة. إن البحث والتطوير هو استمرار في البحث عن المعلومات (في المؤسسة أو مجموعة المؤسسات) حتى نصل الى اتخاذ قرار يوصلنا الى الهدف الذي نريد.

الحصول على المعلومات واختيار ما نريده منها عملية صعبة طويلة معقدة، تتطلب تضافر الجهود وتعاون الكثيرين للحصول عليها وتصنيفها بشكل يُسهل على الباحث المقارنة بينها، واختيار ما يحتاجه منها في وقت قصير ، وهذا هو المهم، فعملية معقدة كعملية اطلاق صاروخ الى الفضاء مثلاً، تتطلب الحصول على معلومات دقيقة ومفصلة دفعة واحدة، وبسرعة فائقة، تفوق قدرة الانسان منفرداً أو حتى متضافراً مع غيره. وحتى العمليات الأقل تعقيداً من اطلاق صاروخ، كعمليات انزال منتج جديد إلى السوق كنوع جديد من السيارات، أو افتتاح مخزن جديد ، هذه الأعمال تستغرق كثيراً من الجهد والوقت والمال، وتستلزم اتصالاً بالمختصين ، كل في مجال اختصاصه، أي الحصول على معلومات قبل الوصول الى قرار نهائي.

تيسير سبل الحياة :

لقد أصبح الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات أمراً أساساً لا غنى عنه في كل ناحية من نواحي النشاط البشري، بل إن نجاح مؤسسة وتفوقها على قريناتها في ميدان اختصاص معين، يعتمد على مقدار ماتملكه من معلومات.

من هنا ندرك أهمية الحاسوب الذي استطاع ان يتخطى كل هذه المصاعب ويحلها كلها دفعة واحدة، ويوفر الكثير من جهد الانسان ووقته وماله بتقديم فيض من المعلومات فور طلبها وفي وقت قياسي.

لقد أثبتت الدراسات، كما يقول الكاتب، بما لا يدع مجالاً للشك، أن النجاح يكون دائماً حليف الانسان الذي يستخدم التقنية الحديثة، للحصول على أحسن النتائج ، فمستخدمو الوسائل التقنية يتفوقون دائماً على غيرهم من التقليديين الذين يفضلون الإبقاء على الطرق والوسائل القديمة. ويضرب

طلب المعرفة لا ينقص من قدر صاحبه لكن الجهل هو الذي يزري به.

مثلاً على ذلك بشخصين في شمال اسبانيا كانا مشهورين قبل الحرب العالمية الثانية بالصناعة الدقيقة لبنادق الصيد، وكانا ينتجان ـ يدوياً ـ بنادق جميلة دقيقة الى حد كبير، وانتاجهما لا يتعدى بندقيتين كل اسبوع. وعندما تقدمت وسائل التقنية، وأدخلا الآلات الحديثة، استطاعا أن ينتجا عدداً أكبر من بنادق الصيد، وبمواصفات ودقة أفضل. فالتطور والتحول نحو الأفضل سنتان من سنن الحياة لا يستطيع أحد إنكارهما، فالبريد مثلاً تطور من استخدام الدواب الى القطارات الى السيارات ثم بواسطة الأجهزة الحديثة التي تنقل الرسائل آلاف الأميال بعيداً فور الانتهاء من كتابتها.

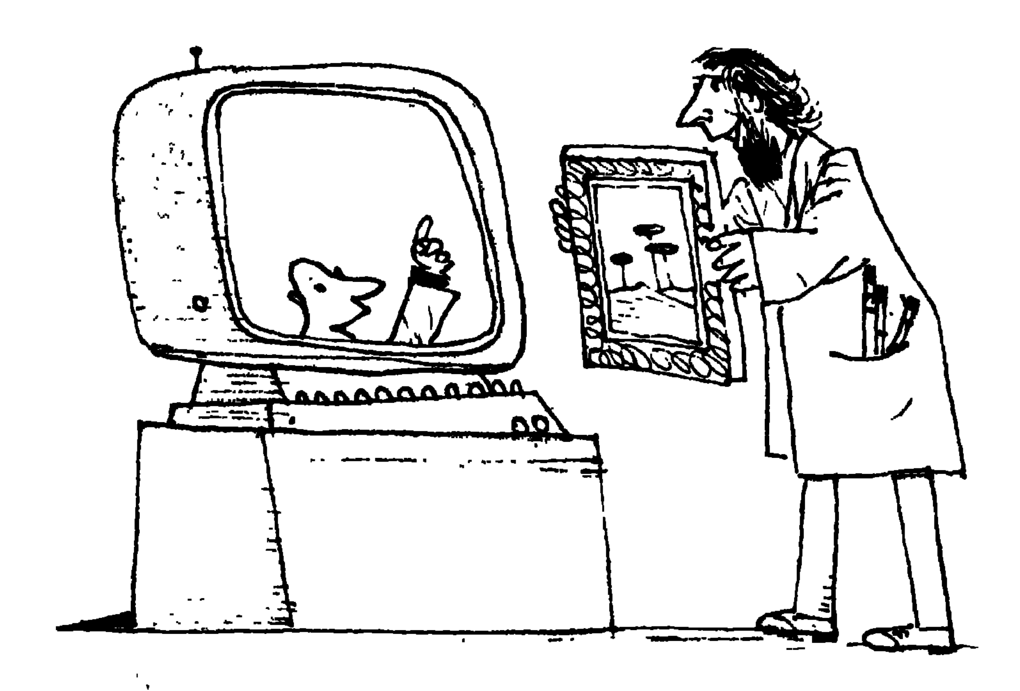
إلا أن الأمر الآخر الذي يلاحظه الكاتب، أن استخدام التقنية الحديثة لا يعني بالضرورة إحداث تغيير كبير في قيم الأفراد ومعتقداتهم، فكثيرون من الناس يستخدمون المبتكرات التقنية الحديثة، دون أن يؤثر ذلك في نظرتهم للحياة وللآخرين التي درجوا عليها. فالتقنية تيسر سبل الحياة، وتسهل مهمة الباحث للحصول على المعلومات، وتختصر الوقت اللازم للوصول الى النتيجة المطلوبة. لقد أصبح بالامكان ـ بالاستعانة بالتقنية الحديثة ـ اختصار الزمن من بضعة أشهر إلى بضعة أيام، بل إلى بضع ثوان. المعضلة: كيف يغير الانسان فكره عن نفسه، وعن الآخرين؟ وكيف ينظر إلى الحياة؟

الثورة الصناعية والثورة التقنية:

كثير ما يخطىء بعض الناس بتشبيه الثورة التقنية وثورة الاتصالات التي يعيشها العالم اليوم، بالثورة الصناعية الثانية التي شهدها العالم الغربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فبينهما أكثر من اختلاف، فالثورة الصناعية كانت تهدف الى زيادة الانتاج في السلع والمواد المصنعة، أما الثورة التقنية والاتصالية فإنها تهدف الى تحسين نوعية الحياة وتسهيلها، والى التغلب على المصاعب الناتجة عن عدم كفاية الموارد المادية بتيسير الحصول على المعلومات اللازمة عن أماكن توافرها، وطرق الاستفادة القصوى منها. الثورة الصناعية اعتمدت على (ماديات) والثورة التقنية والاتصالية تعتمد على (معلومات) وعناصر بشرية مدربة تستطيع مواجهة حاجات الانسان المتزايدة.

الثورة الصناعية استلزمت تدريب البشر، والثورة التقنية والاتصالية يخلقها ويطورها بشر مدربون، فالحاسوب الذي يعتمد أساساً في عمله على





علمين رئيسين هما: علم الحساب وعلم المنطق، يستطيع أن يحل لنا مشكلات تعتمد على ما لقناه له في حدود هذين العلمين من مشاكل، ولكنه لا يستطيع أن يقدم لنا أي خدمة في مجال الالهام أو الابداع الفني، فالالهام والابداع الفني مازالا مقصورين على العقل والذكاء البشريين، وهما لا يوجدان عند البشر بالتساوي. ولا يستطيع الحاسوب أن يحكم لنا، أي لوحة من اللوحات الفنية أفضل من غيرها، ولكن مازالت مجموعة كبيرة من البشر الأذكياء تعمل لايجاد حل لهذا العجز في الحاسوب وأمثاله.

هذا يعني أن طريقة تجميع المعلومات، وخزنها، والاستفادة منها في الحاسوب اليوم لم تعد ثانوية في حياتنا، بل أساسا، وانها تؤثر في طريقة تعامل بعضنا مع بعض، وفي القرارات التي نتخذها أيضاً.

الأرقـــام والكـلمـات والصُـــوَر:

دون إثقال على القارىء وتكليفه مشقة التجوال داخل أجهزة الحاسوب المعقدة، وهي أمور فنية لاتهم إلا المهندسين والمختصين، يقول الكاتب: إن هناك مدخلاً آخر لفهم عمل هذا الجهاز، إنه ببساطة العلم بأن الطرق التي تتم بواسطتها الاستفادة من المعلومات المخزونة في هذاالجهاز تعتمد على استخدام الرموز، فبالرموز تستطيع التعبير عن الأفكار وتحديد

هل عـلا
الحـاسـ
بالعقـ
البشـ
عـلاقـ
مشـار
أو منافسـ



الشروط والنوعيات وغيرها من الأمور التجريدية، بالاضافة الى الأمور المحسوسة كالكلمات والرموز والصور، وعلامات التنقيط، والاشارات الخاصة بالعلوم التخصصية، كالرموز الحسابية والمعادلات الكيميائية والنوتات الموسيقية.

فالرموز إذن هي المادة الخام التي يستخدمها الناس ويستخدمها الحاسوب أيضاً في الحصول على المعلومات، وكل عقل بشري يبتدع لنفسه رموزاً خاصة يتعامل بها عندما يريد أن يكتسب معلومات جديدة محسوسة، أو يقوم بتحويل المعلومات أو بتخزينها. وقد ظل الانسان الى عهد قريب نسبياً، لا يعرف إلا القليل عن الكيفية التي يقوم بها العقل البشري بخلق تلك الرموز، وبالتالي كانت معرفته غير كافية لتحويل عملية الخلق التي يقوم بها العقل البشري الى علم له أصول وقواعد وأسس يمكن كتابتها واستخدامها كنموذج يهتدي به الناس عندما يريدون القيام بعملية خلق للرموز جديدة.

الرموز بحد ذاتها ليست شيئاً جديداً في حياة الانسان، فقد ابتدعت منذ عهد بعيد جداً، وقبل أن يدرك الانسان - كما يعتقد بعض الناس - وجود عقل في رأسه، يسيره ويعطيه القدرة على الخلق والابداع. فقد كانوا يعدونها جزءاً من طبيعة الانسان التي فطر عليها، وبالتالي لم يكونوا قادرين على وضع قواعد وأسس ثابتة لهذه القدرة، حتى وإن كانوا يريدون ذلك.

بدلاً من ذلك عمد الانسان الأول الى استخدام رموز بسيطة للأمور المحسوسة كالاشارات بالاصابع لتبيان العدد، واستخدم نغمات خاصة في قرع الطبول وسيلة للاتصال بين الناس، لنقل رسالة معينة، صحيح ان هذه الرموز صادرة عن العقل، ولكن استخدامها يختلف في غاياته عن الرموز الحديثة التي ابتدعها العقل البشري لاستخدامها لأغراض أخرى أكثر تطوراً وتعقيداً من الحاجات البدائية، ولقد لقنها للحاسوب للاستفادة منها على نطاق واسع، فالرموز إذن هي وسيلة للوصول الى غاية هي نقل المعلومات.

لقد استخدم الانسان الصور للتعبير عن الاشياء قبل عشرات الآلاف من السنين، ثم استخدم مسميات لتلك الصور، أما استخدام الحروف الابجدية والأرقام العشرية في الكتابة فقد بدأ في الشرق الاوسط، ومنها امتد إلى بقية أنحاء العالم ولم يصل الى فرنسا مثلاً الا في أواسط القرن الثاني عشر.

ومما يجدر ذكره هنا ان البنائين اليوم لا يستطيعون ان يبنوا حجرة

كلّ الحضارة بُنيت على نظام الترقيم العشري الذي ابتدعه العرب

صغيرة إلا بعد اجراء بعض الحسابات، ووضع بعض الرسوم، ولكن من قاموا ببناء كنيسة روتردام في باريس لم يكونوا يستطيعون ضرب عدد صغير في عدد صغير آخر والوصول إلى جواب صحيح، ولم يكونوا يعرفون عملية القسمة بتاتاً. والنظام العشري لم تعرفه اوربا إلا بعد الألف الأول من الميلاد عندما قام النورمانديون (١٠٩١م) بالاستيلاء على صقلية التي كان يسكنها المسلمون، ولحسن الحظ - كما يقول المؤلف - عرف الفاتحون الجدد قيمة الغنائم التي حصلوا عليها من المهزومين. وكان من ضمنها مخطوطات حوت النظام العشري للارقام الذي سرعان ما أدرك الغرب قيمته، واعتمده أساساً لعلم الرياضيات.

وما لبث النظام الرقمي الجديد ان فتح الباب واسعاً امام تفهم أفضل للرياضيات، حتى فتح للغرب آفاقاً جديدة في مجالات فكرية أخرى كعلم الفلك وعلم الديناميكا الهوائية الذي يبحث في القوى المتحركة عبر الهواء. وهكذا انتقل الغرب من حالة الجهل المطلق الى حالة الاعتماد الكلي على الأرقام، حتى أصبحت الحياة بدون أرقام في حياة معظم البشر غير ممكنة ولا يتصور أحد منهم قيامها.

ولولا الأرقام التي قدمتها الحضارة العربية الاسلامية للعالم ما اخترعت الآلة الحاسبة وما اخترع الحاسوب بكل ما يقدمه لنا من مساعدة في انجاز الأعمال بسرعة فائقة.

مساهمة العرب المسلمين في خلق الارقام والاضافة إليها تعني شيئاً واحداً هو أن الانسان إذ ذاك كان قادراً على الاستيعاب والبحث والتطوير بما فرضه عليه زمانه وعصره، وليس أمام الانسان العربي اليوم عذر مهما تعددت المسميات والعوائق ان لا يتابع البحث والتطوير من المكان الذي انتهى إليه الآخرون في العلم والتقنية.

الآلــة والإنســان :

بعض الآلات يقوم بتحريك أشياء مادية (كالزوارق والقطارات والرافعات) وبعضها يقوم بتحريك أشياء رمزية (كالساعات وأجهزة الحاسوب). الأولى تقوم بعمل هو أشبه ما يكون بالعمل (العضلي) للانسان، والثانية تقوم بعمل هو أشبه مايكون بالعمل (العقلي) للانسان. بمعنى أنها تقدم للانسان المعلومات التي يحتاجها في مجالات الزمان والمكان والشكل.

جيل جديد من أجهزة الحاسوب يتلقى الأوامر من مستخدمه مباشرة

الآلات التي تقدم المعلومات للانسان، مطلوب منها تخزين الرموز ونقلها والتعامل معها، وتحويل الرموز الى رموز اخرى حسب قواعد علمي المنطق والرياضيات، أي أن هذه الآلات مطلوب منها القيام بمهمات لم تكن تسند الى آلات تحريك الاشياء. الآلات التي تقوم بتقديم المعلومات مبتكرات حديثة، من مبتكرات عصر الاتصال. فقد كان الانسان يصنع الآلات في عصر الثورة الصناعية لتقدم له معونة مادية ملموسة، ففي منتصف القرن الثامن عشر كانت ساعة ميدان واحدة في وسط المدينة كافية لخدمة سكان تلك المدينة، ولكن في كل مدينة العديد من دواليب الغزل، والعربات، وأحجار الرحى، والرافعات. وفي النصف الثاني من القرن العشرين فقط بدأت ثورة الاتصال تأخذ تدريجياً مكانها المرموق، وجاء اختراع «الترانزستور» والحاسوب و«الفاكس ميلي» لتغير صورة الآلة ونوع عملها، وقد أدت الاختراعات التي تعتمد على الدورة التقنية المدمجة، الى سلسلة من الاختراعات الاخرى في مجال الطب، والطيران والبناء والاتصال، وهكذا تغيرت صورة المجتمع في فترة زمنية قصيرة نسبياً، وأصبح وجود مجتمع دون حاسوب أمراً نادراً.

التحدي هو التطور المستقبلي لهذا الجهاز العجيب، ويعتقد المؤلف انه لن تقف أمام الحاسوب عقبات كبيرة، حيث ستصبح أجهزته قادرة في وقت قريب على استخلاص المعلومات من اللغة الطبيعية للانسان. أي أنك تستطيع أن تأمره في المستقبل بلغتك المباشرة طالباً منه ماتريد بدلاً من الصيغ الرمزية المستخدمة الآن.

الأفكار والذكاء:

كيف تتولد الأفكار؟

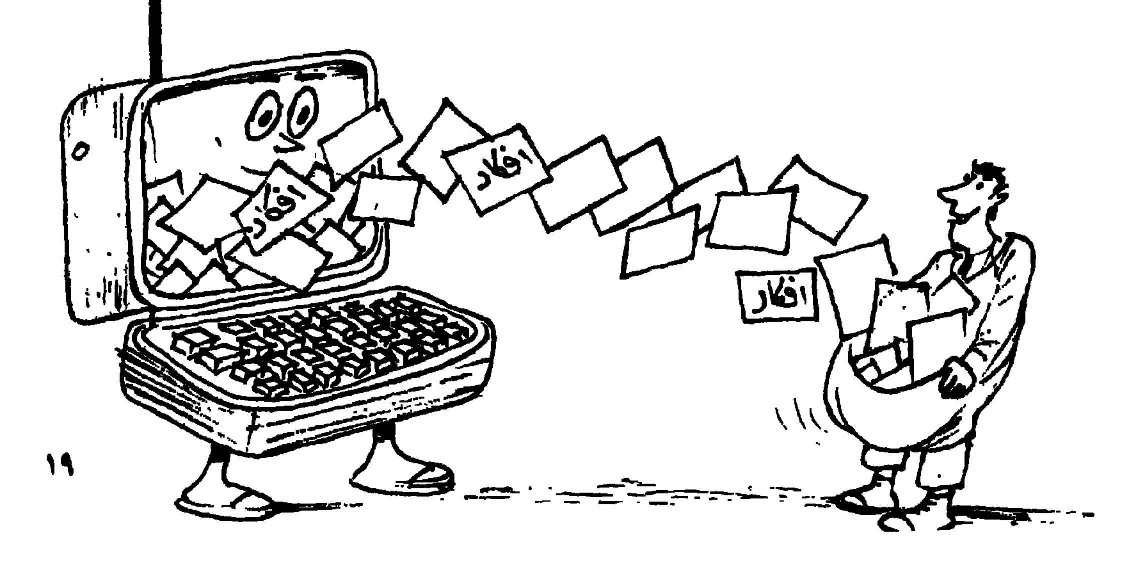
لا توجد اجابة قاطعة عن هذا السؤال، ولكن المعروف في الغالب ان المصدرين الرئيسين للأفكار الجديدة هما عمق المعرفة، وسعة الاطلاع. وهذان لا يتوافران للانسان إلا إذا كان محباً للاستطلاع بطبيعته، لا يأنف من الاستفسار عن كل أمر يجهله، حتى لو بدا سؤاله لبعض الناس بسيطاً ساذجاً. المهم أن يكون السؤال في صميم الموضوع، ويتعلق بناحية من نواحي المعرفة، وإلا كيف يستطيع أي انسان أن يأتي بأفكار جيدة إن كان يخجل من السؤال عن أمور لا يعرفها بينما هي معروفة لدى الآخرين؟

فحب الاستطلاع يولد مع الطفل، مع بداية إلمامه بالحديث حيث تكون معرفته ضحلة، ولا يتردد في السؤال عن كل أمر. وتقل الأسئلة مع التقدم في السن وتراكم المعرفة، ولكنها لا تتلاشى، لأن العالم زاخر بكل أنواع المعارف القديم منها والجديد، والمعضلة أن تبنى ثقافة ما على قمع هذا التوجه، وأعني به حب الاستطلاع المعرفي، فيرسخ في الأذهان أن السؤال عما لا نعرف : فيه حط من شأننا الاجتماعي والثقافي !

أهل الفكر والأذكياء يدركون أن السؤال عما لا يعرفون ليس فيه مثلبة، وانهم مهما حصلوا من ثقافة وعلم ، ومهما قدر لهم المجتمع ذلك، فهم يدركون أن هذا التقدير مبالغ فيه، لأنهم مهما حصلوا من علم يبقون قد علموا شيئا وغابت عنهم أشياء كثيرة، فلا صغار في توجيه الأسئلة الى أصحاب الاختصاص.

لا يخجل الانسان العاقل من أن يتعلم ممن هم أدنى، كما يتعلم ممن هم أعلى مرتبة علمية وثقافية، فنحن لا نعرف أننا لا نعرف إلا بعد أن نسأل.

وزيادة المعرفة وتطوير الافكار لا يقصران على الأمور النظرية، فالامور التقنية تتطور وتتقدم كل يوم أيضاً. والحاسوب إحدى أدوات العصر للفهم والتطور، وفي تقدير الكثيرين أن تدريسه في المدارس والجامعات لم يعد قضية ثانوية أو اختيارية، بل يجب أن تكون أساسا وإجبارية. وليس الجلوس أمام هذه الآلة والعبث بمفاتيحها هو الهدف، فذلك لا يخلق تفكيراً خلاقاً، وإنما الهدف فهم الفلسفة من وراء هذا الجهاز، ألا وهي البحث والتطوير، وتخزين المعلومات واسترجاع المراد منها وخلق الأفكار الجديدة من كل ذلك، أي استخدامه للبحث والاطلاع فمنها تنطلق الافكار الجديدة، أما الابتكار فهو حتى الآن خاص بالانسان وهو مجدول بصفة الذكاء التي خص الله بها الانسان وحده .



ثــــورة الاتصـالات قـام بها بشرٌ ذوو دُرْبَــة متعــلمون

البشــــــر .. البشـــــر :

لقد قلنا وقال الآخرون إن الانسان هو الذي اخترع الآلة، كما أن الآلة لا تستطيع أن تحل محل الانسان، إنها تستطيع أن تقوم ببعض الأعمال التي يقوم بها الانسان، كما أنها تغير من طبيعة المؤهلات المطلوب توافرها في المنتجين، فالعامل أو الموظف الذي يشرف على الآلة، لابد له من حد أدنى من الخبرة والمعرفة والثقافة، وإلا سيطرت عليه الآلة ـ أي أنها أصبحت تعطيه انتاجاً متدنياً ـ بدل أن يسيطر عليها .

الآلة المتقدمة تساعد الانسان وتفرض عليه التقدم في المعرفة، فهي تغير من طبيعة البشر والمجتمعات، والانسان الجاهل والمجتمعات التي لا تهتم بالعلم والثقافة لا تستطيع أن تستخدم الآلة المعلوماتية. والآلة المعلوماتية بدورها تحتاج الى تخصص ، لأن أي خطأ في عمل أي جزء منها يفسد العمل الكلي ويعطله.

● ● ●

وعالمنا يتجه في كل يوم الى المزيد من الترابط، ومزيد من الاعتما المتبادل بين أجزائه، فوسائل المعلومات الحديثة صار بمقدورها أن تأتي بالمعلومات التي نريدها وتنقل كلماتنا وأفكارنا الى حيث نريد، وبسرعة مذهلة، ولا يجوز في المعادلة الدقيقة أن يخضع الناس للآلة مهما بلغت دقة إذ ستعطل الروح الخلاقة للافراد، ولا يجوز من جانب آخر اهمال ه الآلة أو عدم الاستفادة من حسناتها.

إن البشر هم الذين يتولون تنظيم النشاط التقني، وهم الذ يستفيدون منه ، فالانتاج الفكري والإنتاج التقني يجب أن يسيرا جنبا جنب في المجتمع الواحد. وأن نتذكر دائما أن هذه الأجهزة المتطورة وجا كي تعين الانسان ليتخذ القرار الصحيح ، من ضمن معطيات المعلو المتراكمة الكثيرة ، ولم توجد الآلة لفرض قرار ما على الانسان ، فال البشري كان وما يزال هو الأقوى وسوف يظل كذلك ، وهو سيد الم وصاحب المكانة الأولى. إن اهتمامنا الأقصى يجب أن يتوجه إلى القادرين على التحكم في الآلة المعلوماتية الجديدة □

محمد الرميحي

مستقبل الحركات الإسلامية في الوطن العربي

بقلم : الدكتور سعد الدين ابراهيم

« كان من أبرز سمات عقد الثمانينيات المنصرم تصاعد حركة التيارات الإسلامية على امتداد الوطن العربي ، وهي حركة دار حولها الحديث والاجتهاد والاختلاف والاتفاق .

وهذه المقالة تحاول أن تربط الظواهر وتفسرها ، وترصد المستقبل وتتنبأ به ، لكي تقدم محاولة لتفسير حركة التيارات الإسلامية ، خلال عقد التسعينيات » .

شهد عقد الثمانينيات استمرار نشاط الحركات الإسلامية قوة سياسية نامية على الساحة العربية . وكان هذا النشاط قد بدأ في مصر بشكل ملحوظ ، في أعقاب هزيمة ١٩٦٧ ، وإن كان بلا إفصاح عن رسالته السياسية المباشرة ، إلا بعد رحيل الزعيم جمال عبدالناصر عن دنيانا في سبتمبر ١٩٧٠ . ففي أوائل السبعينيات أفرج الرئيس أنور السادات عن بقية المسجونين والمعتقلين من الإخوان المسلمين ، وأعطاهم الضوء الأخضر لكي ينشطوا سياسيا ، وبخاصة في الجامعات المصرية التي كان يسيطر على العمل السياسي فيها حينئذ اليساريون والناصريون المناوئون لنظام الرئيس السادات . ونمت التيارات الإسلامية في مصر باطراد منذ ذلك الحين ، وبدأت تشكل ظاهرة اجتماعية سياسية اقتصادية ثقافية متصاعدة . ومن مصر بدأت الظاهرة نفسها تنتقل إلى أقطار عربية وإسلامية أخرى طوال السبعينيات والثمانينيات . وعلى الرغم من أن هناك خصوصيات قطرية تصبغ الحركات الإسلامية في كل قطر عربي إسلامي بصبغتها ، فإن هناك قواسم مشتركة في عوامل ظهور هذه الحركات ونموها . كما أن هناك قواسم مشتركة في الاستراتيجية والتكتيك والمسيرة لهذه الحركات ، فهي تبدأ عادة حركات احتجاجية عنيفة ، ثم تتحول تدريجيا إلى قوى سياسية ، تهدف إلى المشاركة في الحياة العامة ، والتأثير في صناعة القرارات بطرق سلمية .

وهذا ما نتوقعه لمعظم الحركات الإسلامية في عقد التسعينيات .

الإسلام السياسي بديل قديم جديد

حينما نقول : إن الحركات الإسلامية المعاصرة قد بدأت في أعقاب هزيمة ١٩٦٧ ، فإننا نقصد بذلك الجولة الحالية من « الإسلام السياسي ». وهذه نقطة جديرة بالتأكيد في بداية المقال ، فالإسلام دين الأغلبية العظمى من السكان في الوطن العربي ، وهذا شأن لا جديد فيه ، حيث ذلك هو واقع حال هذه الأمة منذ أربعة عشر قرنا ، أي منذ ظهور الإسلام في الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي . كما أنه ليس أمرا جديدا أن يكون العرب المسلمون من اكثر شعوب العالم تمسكا بدينهم المتميز ، لأن الاسلام دين ودنيا وأسلوب حياة وتفكير ومعاملات .

والإسلام السياسي تسمية اصطلاحية حديثة ، فالاسلام منذ بدايته كان سياسيا ، بمعنى أنه دين ودنيا ودولة . وقد ظل كذلك طوال ثلاثة عشر قرنا من تاريخه . ولم تكن هناك حاجة خلال هذه القرون لإضافة صفة « السياسي » للإسلام ، فقد كانت « السياسة » ركنا هيكليا في مكونات الإسلام ، فباسم الاسلام حكم النبي ﷺ دولة المدينة . وباسم الإسلام حكم خلفاؤه الراشدون ، ثم بنو أمية ، ثم العباسيون ، انتهاء بسلاطين آل عثمان، إلى أوائل القرن العشرين .



● عبد الرحمن الكواكبي ● جمال الدين الأفغاني

ولكن استحداث مصطلح « الاس[...] السياسي » في أواخر القرن الماضي ، وطوال [...] القرن ، جاء ردا أو استجابة لأنظمة الـ[...] ومصادر الشرعية الجديدة التي بدأت تفد[...] المنطقة من أوربا ، والتي تعتمد على الد[...] والقوانين والتنظيمات الوضعية . وقد تزامن [...] هذه البدائل الوضعية ؛ أي ذات المـ[...] الإنساني وليس المصدر الإلهي أو السماوي ، [...] الاختراق الغربي لديار العروبة والإسلا[...] عسكريا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا . وكان [...] ما يشبه الإجماع على ضرورة مقاومة الاختراق الاستعماري الغربي ، لكنّ الـ[...] المسلمين اختلفوا على أنجع الوسائل لمقاومة الاختراق ، وانقسم فكرهم في هذا الصدد ثلاث مدارس رئيسة :

- المدرسة الرافضة لكل ما هو غر[...]
- المدرسة القابلة لكل ما هو غربي
- المدرسة الموفقة بين بعض ما هو [...] وبعض ما هو تراثي .

وعلى الرغم من أن أصحاب المد[...] الثلاث كانوا ، ومايزالون ، يريدون أن يـ[...] أندادا للغرب ، وأن ينهضوا بأقطار الـ[...] والإسلام ، فإن منطقهم في كيفية الوصو[...] هذه « النِّدية» وهذا « النهوض » ، هو تباين واختلف .

فالمدرسة الرافضة لكل ما هو « غربي » ، منطقها وما يزال هو أن « الغرب الاستعـ[...] وحدة لاتتجزأ ، فَرَفْضُ هيمنته العـ[...] والاقتصادية ينبغي أن يرافقها رفض أنظمته وقوانينه وأسلوب حياته . وا[...] إسلامنا وتراثنا ما يكفي ويزيد ، لـ[...] والتقدم وإحراز الندية المطلوبة ، [...] الاستعمار ، والمحافظة على الاستقلال . و[...] هو مطلوب من العرب والمسلمين المعاصر[...] التمسك بدينهم الصحيح الحنيف ، [...] شريعته .

أما المدرسة القابلة لكل ما هو غربي ، فقد كانت تميز بين « الغرب الاستعماري » الذي ترفضه ، كما ترفضه المدرستان الأخريان ، « والغرب الحضاري » ، فالأخير هو حضارة التنوير والعلم والحرية والديموقراطية والتقدم الاقتصادي والصناعة الحديثة . وهذه هي التي أعطت الغرب قوته ، وجعلته يسود العالم ، ويتمكن منا ، ويقهرنا في أقطارنا . لذلك علينا نحن العرب المسلمين أن نتعلم طرق الغرب وأسلحته ، حتى نستطيع أن نقاومه ، ونكون أندادا له . وفي رأي هذه المدرسة أن يكون الاسلام ديناً ودنيا ، ولكن ليس بالضرورة « دولة » . فآخر دولة للخلافة الإسلامية « سلاطين آل عثمان » لم تستطع أن تواكب التقدم الغربي ، وبالتالي لم تتوافر لها أساليب القوة والمنعة التي تذود بها عن « دار الاسلام » .

اسلوب انتقائي

وحاولت المدرسة الثالثة أن توفق بين المدرستين السابقتين بأسلوب انتقائي ، فرأت أن التراث العربي الاسلامي زاخر بالجيد و « السيء » من الأفكار والقيم والممارسات ، ففيه من الأفكار والممارسات ما عفا عليه الزمن ، وتجاوزته الظروف والتطورات . ولكن به في الوقت نفسه قدرا كبيرا مما لايزال صالحا لكل زمان ومكان . وفي الوقت نفسه فإن الغرب الحضاري الصناعي يمثل امتدادا للحضارة الانسانية في أكثر صورها تقدما في العصر الراهن . وكما تعلمت كل المجتمعات من حضارات سابقة ، ومنها الحضارة العربية الإسلامية في أبهى عصورها الماضية ، فإنه لاغضاضة في أن يتعلم العرب المعاصرون من الحضارة الغربية ، وأن يفعلوا ذلك دون أن يفقدوا أهم وأعظم ما في تراثهم العربي الاسلامي وحضارتهم .

وهكذا قام سجال بين المدارس الثلاث منذ نهاية القرن التاسع عشر . وأصحاب المدرسة الأولى (الرافضة لكل ما هو غربي) هم الآباء الشرعيون للتيارات الإسلامية السياسية المعاصرة في وطننا العربي . ومعظم هذه التيارات لاتكتفي بالدعوة إلى مدرستها فكريا ، ولكنها تذهب إلى أكثر من ذلك ، وهو التنظيم والعمل السياسيان . وقد رأينا خلال مائة سنة الأخيرة أقطاب هذه المدرسة الإسلامية السياسية يصولون ويجولون على ساحة العمل العام ، فالرعيل الأول من هذه المدرسة تمثل في الشيخين : جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، في أواخر القرن الماضي . والرعيل الثاني من المدرسة نفسها تمثل في الشيخين : عبدالرحمن الكواكبي ورشيد رضا ، في أوائل هذا القرن .

والرعيل الثالث تمثل في الشيخين : حسن البنا وأبو الأعلى المودودي ، في فترة ما بين الحربين وإلى أواخر الأربعينيات . والرعيل الرابع تمثل في أشخاص : سيد قطب وحسن الهضيبي وعمر التلمساني ، منذ الخمسينيات وإلى السبعينيات . أما الرعيل الخامس المعاصر فيتمثل في عديدين ، مثل : حسن الترابي (السودان) ، وراشد الغنوشي (تونس) ، والشيخين : محمد الغزالي ويوسف القرضاوي (مصر) ، وليث شبيلات (الأردن) . هذا فضلا عن كثير من الاسماء الشابة التي تصدت لقيادة أكثر فصائل التيارات الاسلامية نزوعا إلى العنف في أقطار عربية مختلفة .

دائرية الصعود والهبوط

كان لابد من الخلفية السابقة ، لكي ندرك أن الحركات الاسلامية السياسية العربية في الثمانينيات تعبير معاصر لتيار يمتد قرناً كاملا من الزمن ، وأن هذا التيار أخذ الصبغة « السياسية » في مواجهة تيارات فكرية سياسية مستحدثة على الساحة العربية ، منذ أواخر القرن الماضي .

ولكن الملاحظ هو أن تيار « الإسلام السياسي » هذا قد شهد لحظات مد واتساع ، كما شهد لحظات انحسار وتقلص ، خلال القرن الأخير (١٨٨٠ ـ ١٩٨٠) . وكانت لحظات المد والاتساع مرتبطة دائما بفشل أو تعثر لأصحاب المدرستين الأخريين ، في مواجهة أزمات خانقة متزامنة . وكان مؤشر الفشل والتعثر يتمثل في هزيمة أو انكسار في مواجهة مشاريع الهيمنة الأجنبية . ويمكن الحديث عن ثلاث لحظات تاريخية ، شهد فيها التيار الإسلامي مداً هائلا : الأولى في أواخر القرن الماضي ، حينما فشلت الأنظمة الحاكمة حينئذ في مواجهة مشكلات داخلية ، وتحديات خارجية . من أمثلة ذلك الحركات : الوهابية (الجزيرة العربية) والمهدية (السودان) ، والسنوسية (شمال افريقيا العربية) ، وحركات الإحياء والتجديد الديني في مصر .

أما اللحظة الثانية للمد الاسلامي السياسي فقد كانت في أربعينيات هذا القرن العشرين ، ممثلة في الإخوان المسلمين (مصر والأقطار العربية) ، « وفدائيان » اسلام (ايران) ، والجامعة الإسلامية (شبه القارة الهندية ثم باكستان) .. وكانت اللحظة الثانية هذه في أعقاب فشل أو تعثر للقوى والتيارات السياسية الأخرى ، في مهام التحرير أو تكريس الاستقلال . فعلى الرغم من أن حركة مثل الإخوان المسلمين في مصر ، كانت موجودة على الساحة ، منذ عام ١٩٢٨ ، فإنها ظلت محدودة الحجم والتأثير إلى الأربعينيات التي شهدت تفاقم المسألة الوطنية (استكمال الاستقلال) ، والمسألة الاجتماعية (اختلال العدالة والتوزيع) والمسألة السياسية (تعثر الديموقراطية الليبرالية) .

وجاءت اللحظة الثالثة للمد الاسلامي السياسي في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات بعد هزيمة العرب الفادحة في حرب ١٩٦٧ في مواجهة « اسرائيل » ، ثم بسبب الاختلالات الاقتصادية الاجتماعية التي أعقبت حرب ١٩٧٣ ، والطفرة النفطية ، واستمرار أنظمة الحكم الشمولية والاستبدادية ، في الوطن العربي والعالم الاسلامي . ولحظة المد الثالثة هذه هي التي استمرت طوال العقد المنصرم (الثمانينيات) والتي نتوقع لها أن تستمر ، ولو بدرجة أقل عنفا في عقد التسعينيات . وهذه اللحظة الثالثة التي يصل عمرها الآن إلى أكثر من عشرين عاما ، هي التي شهدت أحداث المواجهات الدموية العنيفة بين فصائل مختلفة من التيار الإسلامي وأنظمة الحكم القائمة في مصر (الفنية العسكرية ١٩٧٤ ، التكفير والهجرة ١٩٧٥ ، واغتيال الرئيس السادات ١٩٨١) وفي ايران (١٩٧٨ ـ ١٩٧٩) ، وفي سوريا (١٩٧٧ ـ ١٩٨١) ، وفي السعودية (احداث الحرم المكي ١٩٧٩) ، وفي تونس (١٩٨٥ ـ ١٩٨٧) ، وفي الجزائر (١٩٨٨) . هذا ناهيك عن الأحداث الدينية الطائفية التي شاركت فيها فصائل إسلامية في لبنان (١٩٧٥ ـ ١٩٨٩) ، وكذلك الاضرابات الواسعة التي قادتها الجبهة الإسلامية في السودان في السنوات الأربع التالية لاقتلاع نظام الرئيس النميري

فكر وضعي

بين لحظات المد هذه للتيار الاسلامي السياسي كان يغلب وجود أنظمة حكم واعدة ، تتبنى ايديولوجيات وضعية ، بشكل ضمني أو صريح . وتنوعت هذه الايديولوجيات الوضعية نفسها من قطر عربي إسلامي الى آخر . فمنها ما كان ليبرالياً رأسماليا ، ومنها ماكان قومياً اشتراكياً ، ومنها ما كان استبدادياً عسكرياً أو قبليا . ولكنها جميعها اشتركت في صفة أن فكرها وممارساتها كانت وضعية ، غير ملتزمة بتطبيق الشريعة الإسلامية في كل مناحي الحياة (اقتصر معظمها على تطبيق الشريعة فقط في





● الشيخ محمد الغزالي ● الشيخ محمد عبده

قوانين الأحوال الشخصية والميراث).

وعادة ما كانت أنظمة الحكم الوضعية هذه ترتبط بوجود زعامات أو قيادات « كارزمية * » وطنية ملهمة ، على الأقل في البداية ، تحوز على رضا أو تأييد جماهيري واسع (سعد زغلول ومصطفى النحاس وجمال عبد الناصر في مصر ، الملك محمد الخامس وعلال الفاسي في المغرب ، الحبيب بورقيبة في تونس ، أحمد بن بلا وهواري بومدين في الجزائر) . ولذلك كانت هذه الأنظمة الوضعية (بما في ذلك الأنظمة المسماة الثورية) تبدو واعدة في البداية . وكانت تحقق بالفعل إنجازات ملموسة في سنواتها الأولى ، سواء في مجال التحرر الوطني أو التنمية الاقتصادية ، أو النهضة الاجتماعية العامة . وفي تلك الظروف كان تيار « الإسلام السياسي » يتوارى خلف هامش الحياة العامة ، ويتقلص أتباعه ، ولكن دون أن يختفي تماما عن الساحة . فإذا ما فقدت أنظمة الحكم الوضعية هذه قوة اندفاعها ،وتكالبت عليها المشكلات بعد عدة سنوات ، وبخاصة ما اقترن بممارسات القمع وانتهاك الحريات الأساس وحقوق الإنسان . وأدهى من ذلك إذا أصابتها هزيمة خارجية ، فإن تيار الاسلام السياسي سرعان ما يتحرك من هوامش الساحة العامة إلى قلبها ، ويصبح احدى قوى الاحتجاج الرئيسة إن لم يكن القوة الوحيدة ، ضد الأوضاع القائمة المتردية .

ذلكم هو تفسير لحظات الصعود والهبوط للتيار الإسلامي السياسي على الساحة العربية ، كما استنتجناه من رصدنا مسيرة ومسار هذا التيار خلال مائة سنة الأخيرة ، بما في ذلك عقد الثمانينيات المنصرم . فماذا عن العقد القادم ، أي تسعينيات هذا القرن ؟

من العنف إلى المشاركة السلمية

على الرغم من أن استخدام العنف في العمل السياسى العربي ليس وقفا على تيار الإسلام السياسي الاحتجاجي ، وعلى الرغم من أن فصائل عديدة في هذا التيار لاتلجأ عادة إلى العنف ، فإن الملاحظ أيضا ان بعض هذه الفصائل كانت أكثر شراسة ونزوعا لاستخدام العنف وسيلة لتطبيق برنامجها السياسي ، أي اقامة دولة اسلامية ذات نظام حكم يستند الى الشريعة الاسلامية .

ومن دراستنا ودراسات آخرين لفصائل التيار الإسلامي التي لجأت إلى العنف ، وبخاصة في السبعينيات والثمانينيات ، يمكن استخلاص مجموعة من القواسم المشتركة العامة في أقطار عربية مثل : مصر وتونس وسوريا والجزائر والسودان والسعودية :

أولا : إن اللجوء إلى العنف لدى بعض هذه الفصائل كان يستمد أبعاده ومبرراته الفكرية الايديولوجية من تفسير خاص لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والنماذج التاريخية الفعلية ، فالحاكمية ، أي الحكم بما أنزل الله ، في نظر العديد منهم ، فريضة على كل مسلم حقيقي . وعليه أن يعمل من أجلها بيده ولسانه وقلبه . وبعضهم يقرأ السيرة النبوية من هذا

* كارزمية: أي لها حضورها وتأثيرها على الجماهير .

المنطلق ، ويستشهد بغزوات الرسول ﷺ ضد قريش والكافرين عموما . فالجهاد في نظر بعضهم هو « الفريضة الغائبة » (محمد عبدالسلام فرج زعيم تنظيم الجهاد الذي اغتال الرئيس أنور السادات في ١٩٨١/١٠/٦) وخلاص المسلمين هو في العودة إلى هذا الجهاد .

ثانيا : إن الفصائل التى لجأت إلى العنف يغلب على زعمائها وأعضائها الصفة الشبابية (العشرينيات والثلاثينيات من العمر) ، والتعليم العالي الجامعي أو شبه الجامعي ، ومن الشرائح الدنيا في الطبقة المتوسطة ، ومن ذوي الخلفيات الريفية . وهذا ما كشفت عنه عدة دراسات لهذه الفصائل في السبعينيات في أقطار عربية وإسلامية أخرى .

ثالثا : إن معظم الفصائل التي لجأت أو تلجأ إلى العنف ضمن التيار الاسلامي ، هي فصائل منشقة عن الجسم الرئيس لهذا التيار ، بعد أن قررت فصائله الأساس أن تلجأ إلى الطرق السلمية في نضالها ، من أجل إقامة نظام حكم إسلامي . ويتضح ذلك جليا بوجه خاص في قطر عربي مثل مصر ، فتنظيم « الفنية العسكرية » الذي قاده صالح سرية ، وتنظيم التكفير والهجرة الذي قاده شكري مصطفى ، وتنظيم الجهاد الذي قاده محمد عبدالسلام فرج ، وغيرها ،هي جميعها فصائل منشقة عن التنظيم الأم ، وهو الإخوان المسلمين ،فبعد أن اتخذ الأخير قراره الاستراتيجي بنبذ العنف في أواسط الستينيات ، انشقت بعض العناصر الشبابية ، واستلهمت فكر المرحوم سيد قطب (معالم في الطريق) . وكفر بعضها الدولة فقط (الفنية العسكرية والجهاد) ، بينما كفر بعضها الأخر الدولة والمجتمع معا (التكفير والهجرة) .وفي كلا الحالين أصبح العنف منهجا لإسقاط « الدولة الكافرة »، أو « الدولة والمجتمع الكافرين » معا .

ومسألة الانشقاق هذه هي مدخلنا إلى رصد واقع الجسم الرئيس للتيار الاسلامي في الثمانينيات ، واستشراف مستقبله في التسعينيات . فمن الواضح أن الجسم الرئيس للاسلام السياسي في مصر وتونس والسودان والأردن والكويت ، قد خلص إلى عبثية استخدام العنف في الظروف الراهنة على الأقل . وبدلا من ذلك بدأ هذا الجسم الرئيس للتيار الاسلامي ينشط سلميا في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية ، كلما وجد إلى ذلك سبيلا .

التوقعات المستقبلية

ففى خلال الثمانينيات ، مثلا ، شارك أصحاب التيار الاسلامي السياسي الرئيس في الانتخابات النيابية في كل من مصر والسودان والكويت والاردن . وفي مصر مثلا زاد تمثيلهم النيابي من سبعة مقاعد (١٩٨٤) إلى خمسة وثلاثين مقعدا (١٩٨٧) ، أي بزيادة خمسة أمثال في غضون ثلاث سنوات فقط . وكذلك حظي هذا التيار في السودان بحوالي ربع مقاعد « البرلمان » السوداني في انتخابات ١٩٨٦ (الجمعية التأسيسية) وبأكثر من ربع المقاعد في مجلس الأمة الأردني في انتخابات ١٩٨٩ .

كذلك نلاحظ أن العديد من المؤسسات الاقتصادية والمصارف والمؤسسات الخدمية قد أنشأت بواسطة أصحاب هذا التيار ، أو المتعاطفين معه ، خلال العقدين الأخيرين (السبعينيات والثمانينيات) ، وكذلك نمت دور النشر والصحافة الاسلامية نموا هائلا خلال الفترة نفسها ، بل وكان نجاحها مدعاة لركوب العديد من العناصر الانتهازية (الدخيلة على التيار) لهذه الموجة الواسعة ، وأصبحت مصدر إزعاج وإحراج لأصحاب هذا التيار ، كما حدث في مصر في السنوات الاخيرة مع شركات توظيف الأموال الإسلامية (فضيحة الريان) .

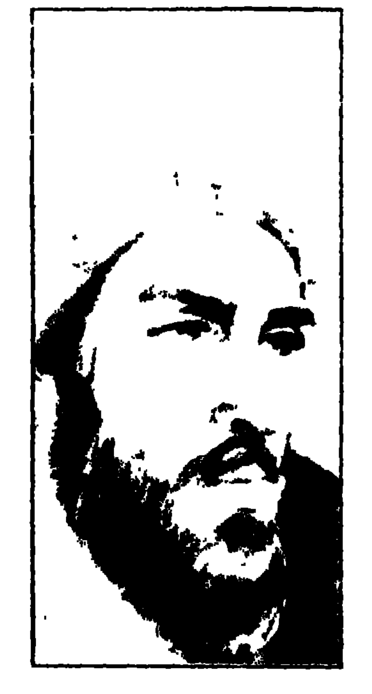
ولا يعني كل ذلك ان الحسم الرئيس السلمي للتيار الاسلامي ينمو بلا مشكلات ، بل إن هناك من الشواهد ما يشير إلى أن مسيرة نموه تتباطأ بعض الشيء في الوقت الحاضر ، وذلك لأسباب أهمها تعثر « الثورة الإسلامية » في ايران ، وانتهاكاتها الواسعة لحقوق الإنسان ، ثم هزيمتها العسكرية في حرب الخليج ، مما أدى إلى خفوت بريق البديل الإسلامي نوعا ما . كذلك فإن ارتباط اسم التيار الاسلامي في السودان بعهد النميري الاستبدادي ، والتعسف في تطبيق « الحدود » قد جلب انطباعات سلبية عديدة للتيار الاسلامى ككل في أنحاء الوطن العربي . وأخيرا ما أشرنا إليه أعلاه من فضائح شركات توظيف الأموال الاسلامية في مصر .

ومع ذلك فإنه من الواضح أن الحسم الرئيس للتيار الاسلامي السياسي سيبقى حيا نشطا مؤثرا على الساحة العربية ، في عقد التسعينيات ، وسيتكرس منهجه السلمي في العمل السياسى العام ، وبخاصة في الاقطار العربية التي بدأت تحولها الديموقراطى . فقد اتضح للعقلاء والحكماء في هذا التيار أن سجل إنجازاتهم في اللحظة الثالثة لانتعاش هذا التيار (السبعينيات والثمانينيات)، باستخدامهم للوسائل السلمية ، هو قطعاً أعظم وأعمق مما أنجزوه في لحظتي الانتعاش السابقتين (أواخر القرن التاسع عشر ، وأربعينيات هذا القرن ، على التوالى) . كما أنه من الواضح أن قبولهم للتعددية السياسية ، وإقلاعهم عن الثنائية الزائفة ، يكسبهم مزيدا من القبول والاحترام بين القوى السياسية الأخرى . وإذا استمر هذا النهج السلمي فإننا نتوقع للتيار الإسلامى السياسي الرئيس أن يصبح معلما من معالم التضاريس السياسية العربية في التسعينيات .□

ابن سينا أول من استخدم التخدير في العمليات الجراحية :

● إن ابن سينا هو أول من اكتشف مرض « الانكلوستوما » ، وسبق بذلك المكتشف العالم الايطالي « دوبيني » بما يزيد على مائة سنة . كما أشار إلى عدوى السل وهو أول من قال بوجود أورام المخ . وكان من أعمق الباحثين علماً في أمراض قرحة المعدة . وهو أول من قال بالأسباب النفسية للاضطرابات المعوية ، كما كانت له تشخيصاته السليمة المحكمة في أعراض الأورام السرطانية وسرها. وكان تشريحه للعين (القزحية وإنسان العين والقناة الدمعية) على درجة كبيرة من الدقة . وكان أول من كشف انقباض عضلات العين . بالإضافة إلى طرقه المشوقة في وصف الأمراض العقلية وعلاجها .

ولابن سينا يرجع الفضل العظيم في كشفين مهمين في عالم الطب ، فهو أول طبيب قام بحقن المريض بحقنة تحت الجلد ، وكذلك أول من استخدم التخدير لإجراء العمليات الجراحية ، مستخدما في ذلك بعض النباتات كالزوان والشيلم . كل هذا التفوق في الوقت الذي كان الطب في الغرب قد غلبت عليه الخرافات والجهل . فقد كان المريض يصلب على شجرة ، ثم ينهال عليه الطبيب ومساعدوه بالضرب حتى يخرج الشيطان من جسده ، فقد كان المرض في تصورهم شيطانا يسكن جسد المريض .



● ابن سينا



(الحياة مجموعة من الخبرات المتنوعة ، وليس بالضرورة أن تتشابه وتتكرر ، إنما كثير من الخبرات منفردة تضيف معنى جديدا للحياة ، وتعطيها لذة التراكم ، وقد اختارت العربي مجموعة من المتميزين العرب ليروي كل بطريقته الخاصة بعضا من ذكرياته التي أصبحت دروسا في الحياة) .

قصتي مع القطط

بقلم : بدر خالد البدر

هذه القصة الواقعية تنقسم إلى قسمين : الأول كان مع قط في أيام ما قبل النفط في الكويت ، أما الثاني فكان بعد ذلك .

كنا في أواخر العشرينيات من هذا القرن ، وكان عمري آنذاك في حدود خمس عشرة سنة ، وكان الوقت صيفا ، وكنا ننام كعادة تلك الأيام فوق سطح الدار . وكانت العادة أن تفرش الفرش قبل الغروب بقليل ، تجنبا لحرارة الشمس ، واستقبالا لنسائم الليل الباردة نسبيا .

وقد بلينا في أحد الأيام بقط منحوس ، ينتهز فرصة مد الفرش فيفرز فضلاته على أحدها . وتكررت هذه العادة إلى حد الإزعاج ، مما اضطرنا إلى ترك الفُرُش مطوية إلى وقت النوم .

وفي إحدى الليالي المقمرة من ذلك الصيف ، وبينما كنت أغط في سبات عميق ، وكان الليل قد انتصف ، وإذا بالوالدة رحمها الله تناديني بصوت خافت مضطرب ، وتهزني بيدها محاولة إيقاظي ، فانتبهت فزعا وهي تقول : اسمع ! اسمع ! وإذا بصوت غير مألوف وقرقعة في الطابق السفلي . وخيل إلي أن شخصا يدحرج علبة أو برميلا من التنك الفارغ . وظل ذلك الصوت المزعج يهدأ قليلا ، ثم يعود ، وبقينا الوالدة وأنا في حيرة ونحن نعرف أن لا أحد في البيت غيرنا وخادمة هي نائمة بالقرب منا .

وبعد فترة من التردد قررت النزول إلى حوش البيت على الرغم من ممانعة الوالدة . نزلت والوالدة تتبعني وهي تحوقل وتبسمل ، وتردد بعض الآيات القرآنية والأدعية . وكنت أحمل

بيدي سراجا نفطيا ، وإذا بالصوت يتكرر في إحدى زوايا الحوش ، قرب الحائط ، فاتجهت نحو مكان الصوت وإذا بي أرى منظرا لم يخطر لي على بال !

قط أسود أدخل رأسه في إناء من معدن الألمنيوم ، كنا نسميه (دلّة) نستعمله لغلي الحليب وما زال اسمه سائراً إلى يومنا هذا . وهذا الإناء يكون عادة واسعا عند القاعدة ، وضيقاً عند الفتحة . والظاهر أن القط أدخل رأسه عنوة في ذلك الإناء بحثا عن الماء ، ولما رفع رأسه ارتفع الإناء معه ، فأخذ يقفز هنا وهناك ضاربا الحائط تارة وبعض الأبواب تارة أخرى ، وهكذا . وكان الصوت يتضاعف بسبب سكون الليل . وبعد رؤيتنا لهذا المنظر الغريب هدأ روعنا ، وبدأنا نضحك ، ثم سألتني الوالدة : ماذا ستفعل به الآن؟ قلت لها : سأشنقه ، قالت : تشنقه ؟ قلت لها : نعم ، حتى نتخلص من أذاه . فأبدت الوالدة معارضتها الشديدة لهذا القرار القاسي . وعلى الرغم من ذلك شكلت في ذلك الوقت محكمة عرفية ، كنت أنا فيها الخصم والحكم والجلاد ، كما يفعل الطغاة بخصومهم . وانتهى الأمر .

أما القصة الثانية فتختلف عن الأولى ببعض أوجه الشبه المحدودة في بعض فصولها ، فقد حدثت في عصر ما بعد اكتشاف النفط ، فقد انتقلت العائلة إلى منزل مريح في أحد الأحياء السكنية في منتصف الخمسينيات ، ولم تكن هناك حاجة للنوم فوق السطوح ، بسبب وجود المكيفات الهوائية . وكانت للبيت حديقة صغيرة تابعة له . ومنذ نزولنا بدأت القطط الضالة تتوافد على البيت ، بعضها عابر سبيل يقيم فترة قصيرة ثم يرحل ، وبعضها يطيب له المقام ، فيطيل الإقامة ، مستمتعا بفضلات الطعام بعد كل وجبة . ولم يكن ذلك يزعجنا كثيرا ، لأن إقامتها كانت في الحديقة ، وأحيانا تجتذبها رائحة الطعام إلى المطبخ ، لا سيما رائحة السمك ، وفي هذه الحالة تتولى الطباخة أو الخادمة مهمة طردها .

وتمر الأيام ، ويزور البيت قط غريب منفوش الشعر ، ضخم الجثة ، من النوع الذي نسميه (سليماني) ، ذو لون أغبر . وفي إحدى الليالي الباردة تسلل ذلك القط إلى داخل البيت ، ربما طلبا للدفء ، وأخذ طريقه نحو غرفة الضيوف ، وقام بعملية تشبه عملية القط الأول . وبعد هذه الحادثة المزعجة أوصينا الخدم وأهل البيت بإغلاق الأبواب بعد تفتيش الغرف كل ليلة . وبدأنا نفكر في كيفية الخلاص من هذه المشكلة الجديدة . وتذكرنا موضوع (الدلّة) ، وقد كان للصدفة دورها ، لا سيما أن المياه أصبحت متوافرة في كل مكان ولله الحمد ، وكذلك فإن الوقت شتاء . كما استبعدنا فكرة قتله ، وتركنا الحل لعامل الزمن ، إذ ربما يقرر الانتقال إلى مكان آخر بعد أن حرمنا عليه الطعام من فضلات البيت .

وتمر الأيام ويظل القط الشرير ملازما البيت ، على الرغم من كل وسائل المضايقات التي وضعناها في طريقه . وذات مساء صعدت إلى سيارتي قاصدا زيارة بعض الأصدقاء ، وعند خروجي باتجاه الطريق العام سمعت حركة غريبة داخل السيارة ، وإذا بالقط نفسه يبدأ بالقفز فوق أكتافي وطورا يقفز نحو النوافذ الزجاجية المغلقة ، فقلت لنفسي : لقد جاءت ساعة الخلاص . وبعد أن ابتعدت إلى مسافة معقولة ، من المستبعد أن يعود بعدها إلى البيت ثانية ، أوقفت السيارة على جانب الطريق العام ، وفتحت أحد الأبواب الخلفية ، وإذا بالقط ينطلق منها كالسهم نحو عرض الشارع ، وصادف قدوم سيارة مسرعة فارتطم بها بقوة ، وتمزق جسمه تحت عجلاتها !

وتسمرت يدي فوق مقبض باب السيارة وأنا أشاهد هذه المأساة المحزنة . وتذكرت آلاف البشر الذين يموتون في مثل هذه الميتة وأشباهها في كل لحظة في كل أنحاء الدنيا ، كما تذكرت شاعرنا العربي زهير بن أبي سلمى ، أحد أصحاب المعلقات السبع ، وهو يقول :

رأيتُ المنايا خَبْطَ عَشْواءَ مَنْ تُصِبْ
تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ □



يظل حدث الاتفاق على وحدة أوربا
هو من أهم أحداث العقد الذي مضى ،
لكنه لم يحدث فجأة ،
ولم تكونه النوايا الطيبة ،
بل كان مرحلة في مسار طويل ،
شهد الصراع والاختلاف والاتفاق .
عن جذور هذه الوحدة وآفاقها يلقي هذا المقال الضوء .

أوربا الموحدة

الواقع والآفاق

بقلم : الدكتور رياض معسعس

لم يعرف التاريخ أمما أكثر تناحراً واختلافا من الأمم الأوربية ، ولا عرفت منطقة جغرافية شعوباً أكثر تنوعا من منطقة أوربا ، إذ يكفي أن نذكر بأن الحربين العالميتين كانتا من صنع دول أوربية ، وأنهما أدتا إلى تدمير اكثر من دولة ، وسفك دماء عشرات الملايين ، وأن المجتمعات والشعوب الأوربية تتكلم لغات متعددة ، وتدين بأكثر من ديانة ، ويتميز كل منها بعادات وتقاليد خاصة ، لا تمت بصلة إلى عادات وتقاليد الآخرين ، لنعرف إلى أي مدى تصل هوة الشقاق والاختلاف فيما بينها .

بيد أنه غداة الحرب العالمية الأخيرة ، وجدت هذه الدول نفسها أمام تحديات كبرى ، لا يمكن التغلب عليها إلا ضمن تضافر الجهود ، وتوحيد الصفوف ، مما حدا ببعضها إلى طرح مشاريع توحيدية ، على المستوى السياسي ، والاقتصادي ، والثقافي ، فشل بعضها ، ويسير بعضها الآخر في طريق النجاح . لا سيما المجموعة الأوربية التي تتأهب لإعلان الوحدة فيما بينها في عام ١٩٩٢ .

ويتساءل المرء : ما الأسباب الظاهرة والخفية التي حدت بهذه الدول للتكتل والاتحاد ، على الرغم من جميع هذه الاختلافات والتناقضات فيما بينها ؟

وما مستقبل هذا الكيان الجديد ، وتأثيراته على المستوى المحلي والدولي بشكل عام ؟

وللجواب عن هذين السؤالين لا بد لنا من العودة إلى التاريخ ، لدراسة بداية الفكرة ، وتطورها ، والمراحل التي مرت بها .

ولادة الفكرة.

لم تكن فكرة أوربا الموحدة وليدة هذا القرن ، إذ لاحت في فكر أكثر من مفكر ، وكانت محط طموح أكثر من حاكم منذ أقدم العصور ، فمنهم من كان يريد ضمها ، بقوة السيف أو المدفع ، تحت لوائه ، لتشكل امبراطورية واحدة ، كالملك « شارلمان » ، أو الامبراطور « نابليون » فيما بعد ، أو الفوهرر « أدولف هتلر » مؤخرا . ومنهم من كان يرغب في لمّ شملها عن طريق الإقناع بالمفاوضات السياسية ، كوزير الملك هنري الرابع « سولي » الذي مات وفي قلبه شيء من أوربا الموحدة ، إذ أنه كان قد تصور قيام دولة أوربية موحدة ، قوامها خمس عشرة دولة ، يحكمها مجلس مسيحي أعلى .

كما أن الفلاسفة وبعض رجالات الفكر قد عالجوا هذه الفكرة ، وتقدموا بتصورات متعددة لبناء مثل هذه الدولة الموحدة . نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ، الفيلسوف « كانت » ، وبرودون ، وسان سيمون ، والأديب الشهير فيكتور هوجو . غير أن هذه المحاولات جميعها لم تتمخض عن أي نتائج فعلية ، بل كانت في جلّها ، محاولات فكرية بائسة ، أو مغامرات عسكرية أودت بأصحابها . وهكذا ظلت فكرة



●نابليون بونابرت ●ادولف هتلر

أوربا الموحدة ما بين مد وجزر ، إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية . فعلى إثرها دخلت عدة عوامل أخرى ، لتعيد إلى الأذهان الفكرة القديمة ، ولتدفع الحكومات الأوربية لتنفيذها وترجمتها على أرض الواقع بمعاهدات أو اتفاقيات متعددة الأطراف ، فجاء ونستون تشرشل ، رجل الحرب المنتصر ، ليقترح إقامة « الولايات الأوربية المتحدة » ، وذلك على غرار الولايات المتحدة الأمريكية ، وبمباركة منها ، في خطابه الشهير في زيوريخ في عام ١٩٤٦ الذي دعا فيه أعداء الأمس ، لا سيما فرنسا وألمانيا ، للصلح ونبذ الفرقة فيما بينهم ، وتشكيل ما سماه « المجلس الأوربي » .

وفي عام ١٩٤٨ ترأس تشرشل نفسه ، في مدينة لاهاي ، أول اجتماع « لمؤتمر أوربا » الذي ضم ممثلين عن تسع عشرة دولة أوربية ، جاءت لتضع أول حجر في صرح أوربا المستقبل .

على صعيد آخر فإن الولايات المتحدة التي كانت تسعى إلى إقامة دولة أوربية موحدة قوية ، لتقف في وجه الاتحاد السوفيتي ، اشترطت على الدول الأوربية بأن مساعداتها لإعادة بناء أوربا (المعروفة بخطة مارشال) ، لن تصرف إلا ضمن إطار أوربي موحد ، وهذا ما دفع الدول الأوربية إلى إنشاء أول منظمة اقتصادية موحدة (OECE) ، أو المنظمة الأوربية للتعاون الاقتصادي لهذا الغرض ، وقد تحولت هذه المنظمة فيما بعد إلى (OCDE) ، أو منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية التي تضم الدول الصناعية الكبرى ، بما فيها الولايات المتحدة .

على المستوى العسكري ، خرجت الدول الأوربية من الحرب العالمية منهكة البدن ، مكسورة الأجنحة ، تتخبط في كابوس الرعب النازي ، فجاءها الاتحاد السوفيتي ليدخلها مرحلة جديدة من الرعب في حربه الباردة مع الغرب ، الأمر الذي دفعها إلى توقيع بمعاهدة

وهذا البرلمان يمثل ٣٢٢ مليون أوربي ، ويعمل على معالجة الشؤون الأوربية المطروحة عليه ، ويناقش القضايا المتعلقة بالسياسة الدولية ، وله صلاحية اتخاذ القرار ، إذ أنه يتمتع بشخصية مستقلة . (على سبيل المثال ، في الوقت الذي كانت فيه الدول الأوربية ترفض استقبال ياسر عرفات ، وجه البرلمان الأوربي دعوة له ، وعمل على استقباله في مدينة ستراسبورغ) .

زواج الحب ، وزواج المصلحة

مما لاشك فيه ، أن عصر القوميات الذي ولد في القرن التاسع عشر وترعرع في القرن العشرين ، قد لاحت عليه علائم الشيخوخة ، وربما لاقى حتفه في القرن القادم تحت ضربات العصر الجديد : عصر التكتلات ، أو بمفهوم آخر ، وبلغة علم السياسة هذه المرة ، فإن مفهوم الأمة ـ الدولة قد ولى وسيحل محله مفهوم آخر ـ هو الكتلة الدولة ، فما كان يشترط به في الأمس من عوامل ومقومات لبناء الدولة (لغة ، عرق ، دين مشترك ، . . .) لم يعد ضروريا لبناء دولة الغد التي ستعتمد بالدرجة الأولى على عنصرين أساسيين هما السياسة والاقتصاد ؛ أي أن المصلحة السياسية والاقتصادية المشتركة فوق جميع المصالح والاعتبارات . فما تقوم به المجموعة الأوربية منذ نيف وربع قرن ، في التقارب فيما بينها ، عن طريق المؤسسات والمشاريع المشتركة ، وتدعيم العلاقات السياسية والاقتصادية بشكل خاص ، والاجتماعية والثقافية بشكل عام ، لا ينبع من عواطف صادقة تكنها هذه الدول بعضها لبعض ، بل من عدة عوامل داخلية وخارجية ، حتمت عليها التكتل ، وسلوك طريق الوحدة ، والعمل على تحقيقها بشتى السبل ، وإلا فإن مستقبلها كدول وأمم متقدمة سيكون محط شك .

فإن هذه الدول ـ على الصعيد الأمني ـ ما انفكت تشعر بأن الخطر المحدق بها سيأتي من الشرق ، وبالتحديد من الاتحاد السوفيتي ، كما أنها تيقنت بأن الولايات المتحدة ، إذا ماوقعت الواقعة ، ونشبت الحرب القارعة ، سوف تتخلى عنها ، وتتركها حطبا جافا يذكي نار الشيوعية ، ومسرحا لدبابات حلف وارسو ورؤوسها النووية التي ستحيل الأرض الأوربية في أقل من قليل قاعا صفصفا ، وأرضا يبابا . وما تصريحات رونالد ريغان ، رئيس الولايات المتحدة السابق ، إلا تأكيد على ذلك . إذ قال : « بأنه فيما لو اندلعت حرب نووية ، فإنها ستكون مقتصرة على أوربا » .

فهذا التفكير ، وهذا الواقع دفعا الدول الأوربية إلى التوقيع على مشروع أوريكا للدفاع ، وهذا المشروع يوازي مشروع حرب النجوم الأمريكي ، على الرغم من أن عددا من الدول الأوربية يوجد ضمن حلف « ناتو » الذي ينص على معاهدة دفاع مشترك بينها وبين الولايات المتحدة .

ومهما يكن من أمر فإن دول المجموعة ، لاسيما فرنسا ، ترفض التخلي ـ ضمن السياسة الجديدة للعملاقين بنزع الأسلحة النووية ـ عن قوتها النووية الضاربة ، إذ تعدها الضمانة الوحيدة في الردع والدفاع ، لم تجد نفسها معنية بخيارات الصفر أو الصفرين ، أو الأصفار الثلاثة ، ولا أي صفر آخر يضاف إلى مجموعة الأصفار السابقة . ومن هنا يتضح أن الهاجس الأمني الذي يقض مضاجع أوربا ، يرغمها على الاعتماد على نفسها قبل كل شيء أو بمعنى آخر : أن تضافر جهودها في خلق قوة أوربية مستقلة ، تستطيع مجابهة أي خطر خارجي .

أما على الصعيد الاقتصادي ، فإن المعطيات الاقتصادية الحديثة ، المحلية والدولية التي فرضت نفسها ، خلال النصف الأخير من هذا القرن ، لاسيما منذ عشرين سنة خلت ، جاءت

لتوقظ أوربا الغافية على أمجاد الماضي ، وهي تمضغ حلمها اللذيذ بالسيطرة على أسواق التجارة الدولية ، فمن الشرق البعيد جاء أول تنين آسيوي ليمد ألسنته إلى الأسواق ، ويغرقها بمنتجاته المصنعة ، فاليابان أضحت وبفترة وجيزة عملاقا تجاريا ضخما ، داهم أوربا حتى في عقر دارها ، فباتت تخاف على أسواقها الداخلية ، وتدافع عنها باتباع قانون الحماية الذي يحد من كمية البضائع اليابانية المستوردة ، غير أن الامر لم يقتصر على ذلك فقط ، إذ استيقظ في شرق آسيا أكثر من تنين التي تطاولت ألسنتها بدورها على ماتبقى من أسواق ، بل راحت تزاحم كلا من أوربا واليابان على حد سواء ، فها هي كوريا الجنوبية ، وهونغ كونغ ، وتايوان ، وسنغافورة ، والصين تنذر بصعود كتلة اقتصادية جبارة يحسب لها ألف حساب ، لايمكن مواجهتها إلا بقوة أكبر وكتلة أضخم ، ضف إلى ذلك أن المشاريع الاقتصادية الكبرى التي تملي نفسها على القوى العظمى تتطلب إمكانيات هائلة فنية ، وتقنية ، ومادية ، لاتقوى عليها دولة بمفردها ، لذا كان من الحكمة بمكان أن تجتمع أكثر من دولة في مشروع واحد لإنجازه ، وعلى هذا الأساس تم دخول دول أوربية مختلفة في مشاريع مشتركة ، مثل الصاروخ القاذف « أريان » ، والاقمار الصناعية ، وطائرات ايرباص ، والمركبة

إذا كانت دول المجموعة الأوربية قد وجدت فيما بينها قاسما مشتركا . فيما يخص الميدانين : الفضائية هرمس ، والنفق الكبير تحت المانش ، ولو اقتصر إنجاز هذه المشاريع على دولة واحدة لما استطاعت إلى ذلك سبيلا .
الاقتصاد ، والدفاع ، فإنها لم تتمكن حتى الآن من أن تجد القاسم نفسه في ميدان السياسة الدولية . فمواقفها في ما يخص قضايا عدة مازالت غير موحدة ، بل مختلفة حينا ، ومتضاربة أحيانا أخرى ، ويمكننا في هذا المجال ذكر بعض هذه المواقف على سبيل المثال لا الحصر ، حتى يتضح لنا جليا ، بأن صرح الوحدة الأوربي ، وعلى الرغم من أن بناءه الاقتصادي يكتمل شيئا فشيئا ، فإن شقه السياسي مازال قيد البناء ، فإذا ما أخذنا المشكلة الفلسطينية ، نرى أن الدول الأوربية لاتتخذ جميعها الموقف نفسه من قيام الدولة الفلسطينية ، حتى أن مواقفها كانت مختلفة تماما في ما يخص الحرب العراقية ـ الايرانية ، فمنها من كان يؤيد العراق ، ومنها من كان يؤيد ايران ، كما أننا نراها حاليا لاتتخذ مواقف موحدة إزاء الحكم العنصري في جنوب افريقيا وغيره .

وهذا ما يدعونا للقول بأن جميع العوامل التى لعبت دورا حاسما في لم شمل البيت الاوربي ، وإعادة أفراده إلى كنف العائلة الواحدة ، إنما جاءت ضمن عقد زواج مصلحة مفروض ، وأبعد ما يكون عن زواج محبة . □

من مكارم الأخلاق



● قال خالد بن صفوان : شهدت عمرو بن عبيد ورجل يشتمه ، فما ترك منه شيئا ، فلما فرغ قال له عمرو : آجرك الله على ما ذكرت من صواب ، وغفرلك ماذكرت من خطأ ، قال : فما حسدت أحدا حسدي لعمرو على هاتين الكلمتين !

● شتم رجل أبا ذر فقال له : ياهذا لاتستغرق في شتمنا ودع للصلح موضعا ، فإنا لا نكافيء من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه .



الحضارة في المغرب والشخصية الافريقية المسلمة

بقلم : الدكتور محمد فاروق النبهان

كان للمغرب دور مهم في نشر الإسلام ، والثقافة الإسلامية في غرب افريقيا ، وهذا الدور بعناصره المختلفة ، تفاعل مع واقع الشعوب الافريقية وتكويناتها النفسية ، فأفرز شخصية متميزة ، استطاعت مقاومة المحاولات الاستعمارية في إذابة الشخصية الافريقية الإسلامية .

فكيف تكونت هذه الشخصية ؟ وما عناصر الدور المغربي ؟

لا نستطيع أن ننكر خلال دراستنا لتاريخ الشعوب ، المؤثرات الداخلية والخارجية التي تطبع خصائصها التي تتكون من خلال تفاعلات تلك الشعوب مع الحضارات والثقافات المجاورة والمؤثرة التي تملك خصائص القوة التوجيهية ، ومؤهلات الإقناع العقلي والعاطفي .

ولقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى أثر الجغرافيا في تكوين خصائص الشعوب ، لأن الطبائع الإنسانية محكومة بالمؤثرات الطبيعية ، والظروف المناخية ، والأحوال الاجتماعية والاقتصادية ، انطلاقا من استعداد الإنسان للتفاعل العقلي والعاطفي مع المحيط الذي يعيش فيه .

إن المؤثرات التاريخية والفكرية والعقيدية والسياسيّة ، إلى جانب العوامل الجغرافية تسهم بطريقة واضحة ومؤكدة في تكوين خصائص الشعوب وسلوك الأفراد .

والمؤثرات التاريخية والثقافية والسياسية هي الأقوى في تكوين الخصائص الذاتية للشعوب ، فالجغرافيا تولد الاستعدادات للحركة ، إلا أن تأثير الجغرافيا يظل محدود الأثر ، بخلاف المؤثرات الحضارية والثقافية ، فهي العامل الأهم في تكوين القابليات النفسية للشعوب ،



وتلك القابليات هي العامل المباشر في اختيارات الشعوب لخصائصها الذاتية والسلوكية .

والشخصية الأفريقية متميزة بخصائص متقاربة من حيث الاستعدادات الذاتية المرتبطة بالطبيعة ، والمتأثرة بالعاطفة ، إلا أن تلك الخصائص متباعدة من حيث الاستعدادات النفسية لتقبل قيم الحضارة ، والمفاهيم الأخلاقية ، فالشخصية الأفريقية المسلمة تملك خصائص متميزة ، في عمق رؤيتها الحضارية ، واستيعابها الواعي للمفاهيم الإنسانية المتعلقة بحرية الإنسان ، وكرامته ، وسمو سلوكه .

ومن اليسير علينا أن ندرك أثر ذلك من خلال دراستنا لطبيعة الحركة والأداء في الفنون الإفريقية ، وفي أبعاد التصورات التي تحكم تلك الفنون ، ففي الوقت الذي نلاحظ فيه سيطرة الأسطورة والخرافة في الخيال الأفريقي ، في المناطق الجنوبية التي لم ينتشر فيها الإسلام ، فإن الفنون الإفريقية في البلاد التي انتشر فيها الإسلام أرقى في نظرتها لمعنى الفن ، وأسمى في طبيعة الحركة والأداء ، وهي تعبر عن رؤية إنسانية ، ذات طبيعة أخلاقية .

وتعد الحضارة المغربية هي المؤثر الحاسم في تكوين معالم الشخصية الإفريقية المسلمة ، لأن الحضارة المغربية حضارة إسلامية ، ودور الإسلام بارز في تكوين الشخصية المغربية وصياغتها ، والمغرب عندما اعتنق الإسلام تخلى عن قيمه المناقضة للإسلام ، وأخذ بالقيم الإسلامية نقية صافية ، ولهذا فإن الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب أصيلة الانتماء إلى المصادر الأصلية للفكر الإسلامي ، شديدة الارتباط بالسنة النبوية ، وبما كان سائدا في المدينة المنورة ، وهذه الظاهرة أعطت للشخصية الإسلامية في البلاد المغربية طابعها المميز .

خصائص المدرسة المغربية :

تمتاز المدرسة المغربية بخصائص ، كفلت للشخصية الإسلامية المغربية الاستمرار والصمود ، ومن اليسير علينا أن نلاحظ تكامل الرؤية المغربية المتعلقة بالعقيدة والمذهب والفكر ، وقلما نجد ذلك التناقض والتباعد اللذين نجدهما في المذاهب الإسلامية السائدة في المشرق ، ولعل من أسباب وحدة الرؤية المغربية ، وتقارب آرائها : أن المغرب العربي عاش مرحلة تاريخية ، في إطار دولة مغربية واحدة ، وكانت تلك المرحلة هي أهم المراحل عطاء وتأثيرا في تاريخه ، والدولة الموحدة هي العامل الأهم في تكوين خصائص التقارب بين الشعوب .

وأهم مايمكن أن نلاحظه من خصائص المدرسة المغاربية مايلي :

أولا : الوحدة المذهبية : ويعد هذا العامل من أهم العوامل التي أسهمت في تكوين شخصية إسلامية متكاملة متقاربة متعاونة ، فالمذهب المالكي هو المذهب الفقهي السائد في افريقيا ، ولاشك أن المدرسة المغربية التي خدمت الفقه المالكي ، وعمقت أصوله وفروعه ، وأضافت إليه الكثير ، مما جرى عليه العمل في المغرب والأندلس ، هي السبب المباشر في انتشار هذا المذهب في افريقيا .

ولا شك أن الدولة المرابطية أسهمت في أن يكون المذهب المالكي هو المذهب الأقوى في عهدهم ، لأنه كان السائد في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان الحجاج المغاربة في أثناء حجهم يأخذون هذا المذهب عن تلاميذ مالك في المدينة أو في مصر .

ولم تستطع الأحداث السياسية التي أدت إلى إنشاء دول مغربية متعددة في المغرب الأوسط والأدنى ، في نهاية عصر الموحدين ، أن توقف ظاهرة التكامل الثقافي . وكان العلماء يتنقلون بين المغرب الأقصى والأوسط والأدنى دون أن يشعروا بأي حاجز أو عقبة .

وتعد الوحدة المذهبية في البلاد المغربية اليوم من أهم عوامل الوحدة في الشمال الإفريقي ، وبفضلها فإن المغرب العربي يملك من خصائص الاستقرار السياسي والاجتماعي ما لا يملكه المشرق العربي الذي تهدد وحدته المذهبيات المتناقضة والمتنافرة .

ثانيا : وضوح العقيدة : والعقائد التي تملك خصائص الوضوح تظل آمنة من الانحرافات والتأويلات الخاطئة ، لأن التأويل لايكون إلا في حالات الخفاء ، والخفاء أداة الإنحراف ، والعقيدة المرتبطة بالسنة بطريقة واضحة تملك القدرة على تصحيح اتجاهها ، لأن السنة كفيلة بردها إلى الصواب .

ومن اليسير على المتتبع لمنهج الفكر الإسلامي في البلاد المغربية أن يلاحظ الاهتمام البالغ بدراسات السنة النبوية رواية ودراسة ، وكان أهل الحديث يتبوأون مكانا متميزا في المجتمعات المغربية ، خلال التاريخ المغربي .

ثالثا : عمق المشاعر الروحية : وهذه الظاهرة تفسر لنا انتشار الطرق الصوفية في افريقيا المسلمة ، وأثر تلك الطرق في تكوين الشخصية الافريقية المسلمة ، فالافريقي المسلم شديد الارتباط بالاسلام ، وبقيمه الروحية ، قوي الاستجابة لندائه ، وبسبب هذا الاستعداد كانت الزوايا الصوفية من أهم مراكز التعبئة لمواجهة الوجود الأجنبي ، وكانت المعاقل الحقيقية لتكوين الجيوش المؤهلة للدفاع عن الأرض الافريقية وعن الإسلام في افريقيا .

فالطريقة هي الرابطة الروحية التي تملك إمكانات تفوق إمكانات العصبية القبلية في المجتمعات القبلية ، فعنصر التلاحم الذي تكونه العصبية يقل في أثره عن حجم التلاحم وعمقه الذي تكونه الطريقة .

ولو تأملنا قليلا في طبيعة الشخصية الافريقية المسلمة لوجدنا أن خصائص الحضارة المغربية كامنة فيها ، وهذه ظاهرة طبيعية ، فالحضارة المغربية كانت حضارة متكاملة ، في خصائصها الفكرية ، ومدرستها الاجتهادية ، وشخصيتها الاعتبارية ، وكان المغرب في بداية أمره ، بعد دخول المولى ادريس الأول إلى المغرب ، وإنشاء أول دولة إسلامية فيه ، عرضة لتيارات فكرية ومذهبية وسياسية متناقضة متباينة ، لأن هذه التيارات كانت تجد في البلاد المغربية أمنا وأمانا ، ولأن المغرب بعيد عن المشرق ، وعن قبضة السلطة السياسية والمذهبية التي كانت سائدة هناك .

ففي القرن الثالث الهجري انتشرت في المغرب مذاهب إسلامية ، كالمذهب الخارجي في إمارة بني مدرار في سجلماسة ، والبرغواطي ، والاعتزالي ، والشيعي ، ثم انتشر المذهب المالكي في المغرب ، بفضل جهود العلماء والفقهاء من الأندلسيين الذين تلقوا الفقه عن تلاميذ الإمام مالك في المدينة ومصر ، ولما جاءت الدولة المرابطية انتصرت لهذا المذهب ، ودعمت مكانته ، ونشرته في كل مكان .

المذهب المالكي ينتشر في افريقيا

وأعتقد أن أسباب انتشار المذهب المالكي في افريقيا الغربية يعود إلى الأسباب التالية :

أولا : طبيعة المذهب المالكي : الذي يتميز بمنهج اجتهادي أصيل ، وهو شديد الصلة بالسنة النبوية ، بعيد عن التعقيد ، وهذه الخصائص كفلت له الاستمرار والانتشار ، فأصبح من أقوى المذاهب نفوذا في افريقيا .

والشعوب الافريقية لم تواجه تحديات سياسية ، مثل تلك التحديات التي واجهت مناطق الاحتكاك بين الحضارات والشعوب في بلاد العراق وفارس ، ولذلك كان المنهج المالكي هو الأقرب للفطرة ، والأبعد عن الانحراف والتأويل .

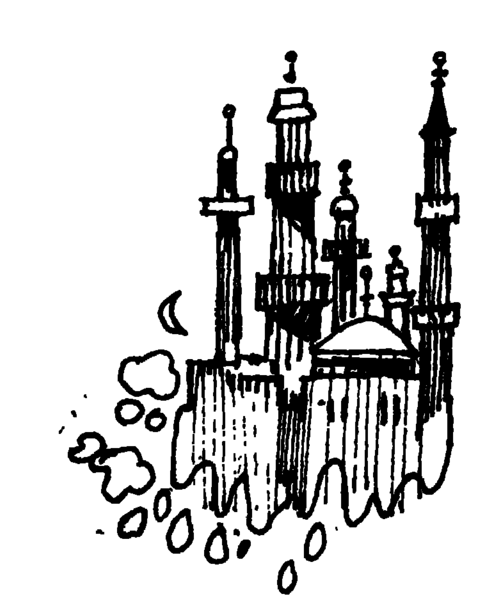
ثانيا : قوة الدولة المغربية : في عهد المرابطين

كانت الدولة قوية مهيمنة ، ذات نفوذ في الشمال والجنوب ، والدول القوية مؤثرة في توجيه الاتجاهات العامة ، والناس بطبيعتهم يميلون إلى تقليد الأقوياء ، ولذلك فإن الدول القوية لابد أن تترك بصماتها الفكرية وثقافتها واختياراتها المذهبية .

ودولة المرابطين قد بسطت نفوذها السياسي في الجنوب الافريقي المتاخم للمغرب ، وبسطت نفوذها المعنوي في المناطق الغربية من افريقيا ، ولهذا لم تستطع دولة الموحدين أن تقاوم ذلك الانتشار الواسع لمذهب مالك .

ثالثا : ارتباط المذهب المالكي بالتاريخ المغربي : يعد ارتباط المذهب المالكي بالمغرب ارتباطاً تكاملياً ، فالمغرب معتز بمذهبه ، ولهذا انصرف العلماء المغاربة لخدمة هذا المذهب ، تدوينا لأحكامه ، وتعريفا بأصوله ، وتأليفا لكتبه ، وتعميقا لمناهجه ، وتلقينا لأحكامه ، ولهذا نجد انعكاس هذه العلاقة على الحياة العامة والتقاليد الاجتماعية والقيم الأخلاقية .

وبسبب هذه الخصائص اتجهت اهتمامات الحضارة المغربية إلى نشر القيم المغربية الإسلامية في افريقيا ، وكانت افريقيا بسبب الفراغ الحضاري والثقافي مؤهلة من الناحية النفسية للاستجابة لجهود المغاربة في الدعوة إلى الإسلام ، ونشر مفاهيمه العقيدية ، وقيمه الأخلاقية والاجتماعية .



دور التجار والعلماء

وانطلقت مواكب الدعوة إلى الإسلام في افريقيا ، مقتحمة المجاهل الافريقية ، داعية ومبشرة ، وتمثلت تلك المواكب في الوسائل التالية :

أولا : جهود التجار : تشير الوثائق التاريخية إلى أن التجارة كانت مزدهرة بين شمال افريقيا وجنوبها ، وغربها ، ويعود تاريخ تلك العلاقات التجارية إلى ماقبل الإسلام بقرون . ويؤكد المؤرخون أن الفينيقيين والقرطاجنيين والرومان شجعوا التجارة مع غرب افريقيا وجنوبها ، وحملوا إليها صناعة الزجاج والحديد والنحاس والأواني الفخارية والحياكة ، وكان الذهب الافريقي يشجع هؤلاء على التجارة .

ويبدو أن الطرق التجارية التي اختطها الفينيقيون هي التي مهدت الطريق أمام الفتوحات الإسلامية ، وكانت المحطات في الطرق الصحراوية منظمة بطريقة دقيقة ، لتيسير مهمة القوافل التجارية ، وتعد «سجلماسة» التاريخية من أهم المدن التجارية في جنوب المغرب .

وتذكر بعض المراجع التاريخية الأجنبية أن أهل السودان الذين يملكون الذهب كانوا يخشون من تجار الشمال الافريقي ، وكانت المبادلات تتم بطريقة دقيقة حماية للتوازن ، وأبرز ماكان يتمتع به التجار المسلمون أنهم كانوا أهل ذمة وأمانة وصدق ، وهذا مامنحهم قدرا كبيرا من محبة أهل السودان والاطمئنان إليهم ، وأصبح للتجار المغاربة أحياء خاصة في المدن التجارية التي كانت تمر بها القوافل التجارية .

ولم يكتف التجار المسلمون بمهمتهم التجارية ، وإنما أنشأوا في تلك الأحياء التجارية مساجد ومدارس ، كانوا يعلمون فيها القرآن والسنة ، وأصبحت تلك المدارس والمساجد من أهم معاقل الدعوة إلى الإسلام ، وهذا مايفسر ظاهرة التسابق إلى بناء المساجد في البلاد الإسلامية .

ومن الطبيعي أن يطرح الافريقي البسيط على نفسه ذلك التساؤل الضروري ، عن ذلك الدين الذي يؤمن به أولئك التجار الذين آمنوا به ، وبفضله أصبحوا أكثر قوة ووعيا وحضارة .

ثانيا : دعوة العلماء : يأتي دور العلماء والفقهاء في المرحلة التالية بعد مرحلة التجار ، فهم المؤهلون للتعليم والتكوين والتوجيه ، ومن الطبيعي أن هؤلاء ينقلون إلى المجتمعات الافريقية مذهبهم الفقهي ، وعقيدتهم السنية ، ومفاهيمهم الاجتماعية ، وقيمهم الأخلاقية ، وبفضل هذه الجهود أنشئت المساجد والمدارس العلمية وخزانات الكتب ، ونشطت بفضل ذلك حلقات التدريس في المساجد ، وحركة التأليف .

وكان العلماء يتنقلون بين أطراف الدولة في المغرب الأقصى والأوسط والأدنى ، دون أن تمنعهم السيادة السياسية من التنقل ، وكانت هذه الحركة من أهم عوامل النشاط الفكري والثقافي في تلك العصور .

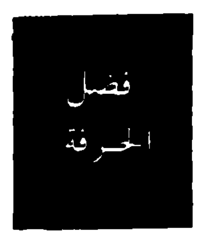
وللطرق الصوفية دورها

لا أحد يستطيع أن ينكر ظاهرة الطرق الصوفية في افريقيا ، ودورها في نشر الإسلام ، وحماية مقدسات المسلمين ، وفي مقاومة كل مظاهر السيطرة الأجنبية ، فالزوايا الصوفية هي المعاقل الحقيقية للدفاع عن السيادة والكرامة والعقيدة ، لاتستسلم ولا تساوم ، ولهذا انصرف اهتمام أعداء الإسلام للسيطرة على تلك الطرق أو تشويه دورها في نشر الإسلام .

والبلاد المغربية بشكل عام في الشمال الافريقي ، وأعني بها المغرب الأقصى ، والمغرب الأوسط ، والمغرب الأدنى ، هي الينابيع الحية للشخصية الإسلامية في افريقيا ، وهي الضامن لاستقامة خصائص تلك الشخصية ، بما ينسجم مع القيم الإسلامية ، لأن هذه البلاد هي مواطن الحضارة ، ومواطن العلم والثقافة في المغرب الافريقي ، ومن الطبيعي أن ينتقل الإشعاع من هذه المواطن إلى أفريقيا كلها عن طريق العلماء والتجار .

ومن الطبيعي أن تتعرض الشخصية الإسلامية في افريقيا لمحاولات التشويه والتفكيك ، وأن تطوقها مؤامرات الإضعاف والتمزيق ، لكي تكون مؤهلة لقبول قيم الحضارة الغربية وثقافتها المؤكدة لتميز الشمال على الجنوب ، في الخصائص العرقية والمؤهلات العقلية ، والقيم الأخلاقية ، إلا أن الشخصية الافريقية المسلمة تظل أقوى صمودا ، وأكثر قدرة على المقاومة .

والمغرب العربي الموحد هو القوة الفعلية المؤهلة لاحتضان الشخصية الافريقية المسلمة ، نظرا لما تمثله عواصمه ومدنه من رموز حضارية ، وثقافية وروحية ، فمعظم الشخصيات الافريقية مدينة للحضارة الإسلامية في المغارب الإسلامية التي صنعت تاريخ افريقيا المسلمة ، وصاغت معالم الشخصية الأفريقية في العقيدة والثقافة والحضارة . □

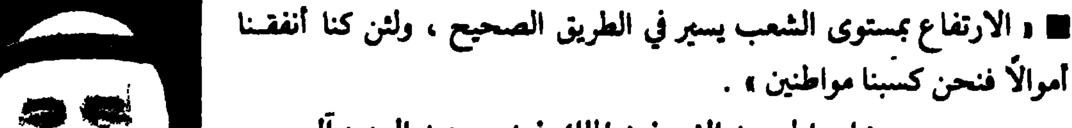


● قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب العبد المحترف » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله يبغض العبد الصحيح الفارغ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله تعالى يوم القيامة . لو تعلمون ما أعلم عن المسألة لما سأل رجل رجلا شيئا وهو يجد قوت يومه ، وليس عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده ، إن الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة » .

اقوال



● فهد بن عبد العزيز



■ « الارتفاع بمستوى الشعب يسير في الطريق الصحيح ، ولئن كنا أنفقنا أموالاً فنحن كسبنا مواطنين » .

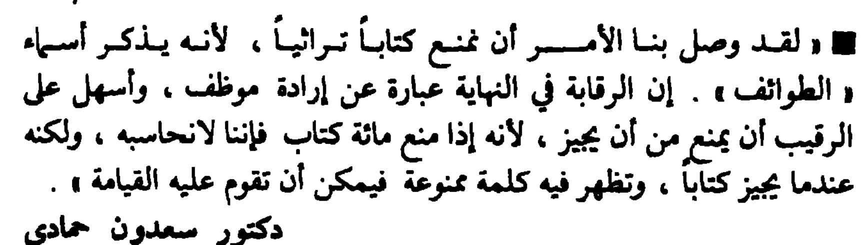
خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود

■ « ادعاء شامير أن الأردن أرض فلسطين ، يعني العودة إلى بداية الصراع التاريخي » .

الرئيس المصري حسني مبارك



● حسني مبارك



■ « لقد وصل بنا الأمـــر أن نمنع كتاباً تراثياً ، لأنه يذكر أسماء « الطوائف » . إن الرقابة في النهاية عبارة عن إرادة موظف ، وأسهل على الرقيب أن يمنع من أن يجيز ، لأنه إذا منع مائة كتاب فإننا لانحاسبه ، ولكنه عندما يجيز كتاباً ، وتظهر فيه كلمة ممنوعة فيمكن أن تقوم عليه القيامة » .

دكتور سعدون حمادي

نائب رئيس مجلس الوزراء العراقي

■ « الحرية لا يمكن أن تُعطى على جرعات ، فالمرء إما أن يكون حراً أو لا يكون حراً » .

الزعيم الأفريقي

نلسون مانديلا



● د . سعدون حمادي

■ « خطايا أحد المعُسكرين العالميين لا تعني أن المعســـكر الآخر هو الفضيلة المجسمة ، أو هو الملجأ والملاذ الأخير » .

د . فؤاد زكريا

■ « نحن لا نزال نقوّم الظل .. بدلاً من قيامنا بتقويم العصا » .

الشاعر السوفيتي رسول حمزاتوف



● نلسون مانديلا

■ « منذ أن عاش البشر في جماعات . كان هناك دائماً تساؤل حول كيفية التعامل مع زوجة الرئيس » .

نانسي ريغان

زوجة الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريغان في كتابها « جاء دوري » My Turn

المقولات العلميّة
بين التغير والثبات

بقلم : الدكتور راشد المبارك

وصف بعض المشتغلين بنقد الشعر،المتنبي بأنه الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس ، وإذا كان في هذا الوصف شيء من المبالغة حمل عليها الإعجاب بعطاء المتنبي ، فإن المبالغة تسقط عن هذا الوصف إذا أطلق على العلم التجريبي ومنجزاته في هذا العصر التي تملأ الدنيا وتشغل الناس حقيقة لا مجازا .

لقد نفذ العلم إلى أدق الأشياء وأخفاها ، فكشف عن الذرة ، وعرف مكنوناتها ، وأطلق ما كمن فيها من طاقات . ومد بصره إلى الكواكب والمجرات ، ووصل بالإنسان إلى خارج كوكبه ، وامتدت بعثاته الآلية إلى القريب والبعيد مما يجاوره من أجرام ، وأبان كثيرا من قوى الطبيعة وخواصها ، ووظف ذلك لبلوغ أهداف الإنسان البار منها والفاجر . ولم يبق شعب من شعوب الأرض ارتفع في السلم الحضاري أو انخفض إلا وتعامل مع كل منجزات ذلك العلم أو بعضها ، منتجا لها أو مستفيدا منها أو مستهلكا لها . وصار في قفزاته لا يستجيب لحاجات الناس وأمانيهم فحسب ، بل أصبح يحدث احتياجات غير معروفة ، ويكشف عن آفاق لم يصل إليها الخيال . فلا غرابة إذن إذا بُهِرَ الناس بذلك الشيء ، وأحلوه من عقولهم ووجدانهم محلا لا يرقى إليه سواه . وينبغي أن نقف موقف الفهم المتأني . إذ نتج عما تقدم أن نظر كثير من الناس إلى العلم ـ أي ما يسمى كذلك ـ نظرة تقرب من النظرة إلى مقدس ، وعُد كل ما ينسب إليه من مقولات حقائق مسلمة ، ووقفوا ممن يناقش في صحة بعض مقولاته أو دقتها موقفا لا يخلو من الاستصغار لمدارك ذلك المناقش أو المستريب ؛ أي أنهم وقفوا من العلم موقفا يرفضه العلم . وإذا كان ينبغي أن نتلقى هذا الموقف بالعذر

المبني على فهم بواعثه ، فإن ذلك لا يمنع من محاولة تصحيحه ، للخروج مما أدى إليه من إشكال .

« العلم » خطأ من البداية !

هل كلمة « العلم » في أذهان ناس كثيرين صحيحة الدلالة ؟

لقد نشأ عن الموقف السابق سلسلة من الأخطاء ؛ خطأ في التسمية ، وخطأ في الاستنتاج ، بني عليهما خطأ في الحكم والموقف .

ابتداء نجد خطأ في التسمية والتعريف ، حين تطلق كلمة (العلم)على جانب واحد من جوانب المعرفة ، وهو الجانب الذي مجاله المادة القابلة للتجربة والاختبار ، أو التحليل المنطقي القائم على البرهان الرياضي ، ذلك أن أداة التعريف هنا تعني الاستغراق ، أو العهد الذهني ، أو الذكرى .

وإطلاقه بهذه الصورة ، أي باستخدام أداة التعريف ، يحصر العلم في هذا الجانب من جوانب المعرفة ، ويخرج من التعريف ما عداه ، مما يتعلق بالإنسان في تاريخه واجتماعه وسياساته ودياناته ولغاته وفلسفته ، وجوانب أخرى كثيرة ، ثم بني على الخطأ في التسمية خطأ في الاستنتاج ، مؤداه أن العلم بمفهومه الاستغراقي المطلق هو ما يكون مجاله المادة ، وصار التقسيم إلى تخصص « علمي » وتخصص « إنساني » ، ولازم هذا التقسيم شعور خفي أو ظاهر ، بأن المعرفة البشرية نوعان : علمية ؛ كل مقولاتها حقائق ، وإنسانية ؛ تقوم على الظن والتخمين . وأدى ذلك الاستنتاج الخاطيء المبني على تعريف غير صائب إلى نظرة تجعل كل مقولات العلم التجريبي من المسلمات . ولا ينبغي أن يفهم هذا على أنه تقليل من شأن العلم التجريبي ، لكنها دعوة إلى نظرة وموقف من هذا العلم ، وفقا لمقاييس هذا العلم نفسه ووفقا لضوابطه .

الفرض والنظرية والقانون

يمكن تصنيف المعارف في العلم التجريبي إلى مجموعات ثلاث : إحداها قوانين كونية لها ـ في ما عرف البشر ـ طبيعة الصحة والثبات ، وهي من سنن الله في الكون . ومن هذه القوانين قانون التجاذب بين الكتل ؛ ومنه جاذبية الأرض ، وقانون التنافر والجذب بين الشحنات الكهربائية ، وقانون بقاء الكتلة والطاقة ـ في نظام معزول ـ وعدم انعكاس الانتقال الحراري ، وما ماثل هذه القوانين ، وهي قليلة بالنسبة إلى سواها . وعمل الإنسان في هذه القوانين لا يزيد عن اكتشافها وصياغتها في علامات رياضية ، تمكنه من التعبير عنها والتنبؤ بما تحدثه من أثر .

المجموعة الثانية هي مقولات قامت على حدس ، أملاه ذهن ثاقب ، واستمد صحته من أحد أمرين : الثبوت عن طريق الاشتقاق الرياضي ، وانطباق ما تنبأ به من نتائج على التجربة . وفي هذا الحال يرتفع الحدس إلى نظرية ، وهي افتراض ثبتت صحته بواحد من هذين الطرفين أو بكليهما . ومن هذه النظريات



ما يبقى صحيحا حتى يظهر ما يعارضه ، أو يحدد مجال صحته . وذلك يعني أن بعض هذه النظريات يبقى صحيحا حتى إشعار آخر .

من الأمثلة على النظريات التي استمدت صحتها من الاشتقاق الرياضي الكثير من النظريات في الهندسة ، وعلم الحركة ، وحساب المثلثات ، وانتشار الموجات وغير ذلك . كما أن قوانين نيوتن في الحركة ، والمقدمات التي وضعها كل من بلانك ويور واينشتاين ، وهي المقدمات التي بنيت عليها « ميكانيكا الكم » ، والمفروض الأساس لهذا العلم من الأمثلة على الفروض التي استمدت صحتها من اتفاقها مع نتائج التجربة .

أما المجموعة الثالثة فتمثلها مقولات ، سميت تجاوزاً نظريات ، وهي فروض لم يثبت صحتها الاشتقاق الرياضي ، ولم تختبر صحتها بالتجربة ، فهي لا تعدو أن تكون فرضا ، قدم التفسير الأقرب لبعض ظواهر هذا الكون . ومن أبرز الأمثلة على ذلك الفروض المتتالية لمعرفة عمر الأرض .

حركة المادة أو التاريخ ؟

لقد تأثر المجتمع في الغرب تأثرا بالغا بما قدمه العلم التجريبي من قوانين وكشوف ، وانعكس ذلك انعكاسا مباشرا على قادة الفكر في فروع العلم الأخرى ، وجاءت نظرياتهم في السياسة والاقتصاد والاجتماع ترجمة مباشرة لتلك القوانين والكشوف .

وإذا كان من المؤكد أن الإلمام بالطريقة التي تعاملت بها مجتمعات الغرب مع هذه القوانين والكشوف ، وما صاغته ، مبني عليها أو متأثر بها من مبادىء سياسية واجتماعية واقتصادية ، يمد بزاد من الخبرة والعبرة ، يقي من الوقوع في كثير من المحاذير ، فإن الإلمام بنموذج من طريقة التفكير في الوصول إلى مقولات المجموعة الثالثة ، وهي المقولات التي لم تصل إلى مستوى القانون أو النظرية من الصحة والثبوت ، يكشف طريقة التعامل والمعالجة لمشكلات العلم التجريبي ومسائله ، كما يبين ما أشرنا إليه في صدر هذه الكلمة ، من أن كثيرا مما يصل إليه العلم التجريبي ، في بعض مجالاته ، لا يزيد عن كونه فرضاً من الفروض ، ولو في فترة زمنية محدودة في أقل التقديرات .

من أهم القوانين التي كان لها تأثير لا يحد على فلاسفة الغرب في القرون الثلاثة الأخيرة هي قوانين نيوتن في الحركة . وقد صار لهذه القوانين من الانتشار والذيوع ما لم تعرفه قوانين أخرى في تاريخ العلم ، وأصبحت من أهم القواعد الأساس في العلوم التطبيقية والبحتة ، وجاء كثير من الكشوف نتيجة لتطبيق هذه القوانين . وإذا كان كل من له إلمام بعلم الفيزياء ، والرياضيات ، يعرف قوانين نيوتن وأثرها في معظم فروع العلم التجريبي ، فإن قليلين فقط يعرفون تأثير دلالات هذه القوانين في علوم الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

أما قانون نيوتن الأول الذي ينص على أن أي جسم يبقى على حالته من الحركة في خط مستقيم أو السكون ، ما لم تؤثر عليه قوة تغير حركته واتجاهه . وقانونه الثاني الذي ينص على أن معدل التغير في حركة جسم واتجاهه يتناسب تناسبا طرديا مع القوة المؤثرة . قد ترجما ترجمة مباشرة في ما كتبه عام ١٧٥٠ جاك تورجو ، أستاذ التاريخ في جامعة السوربون ، عن سير التاريخ ، وما كتبه آدم سميث عن فلسفة الاقتصاد في « ثروة الأمم » ، وما كتبه جون لوك في « مقالات إلى الحكومات » ، كما يبدو أثر القانون الأول واضحا في ما ذهب إليه هيجل في فلسفة التاريخ . لقد رفض تورجو الفكرة الموروثة عن الإغريق في تفسير مسار التاريخ ، القائلة بأنه دورات متصلة ، تعلو ثم تهبط ، ثم تعود للصعود ، في حركة دولاب مستمرة ، كما رفض التفسير الديني من أن العالم يسير إلى نهاية

محتومة ، وقال بدلا مما تقدم : إن التاريخ سلسلة من التطور ، وإنه يتحرك في تطوره في خط مستقيم . وكانت فلسفة هيجل في التاريخ تقوم على أن العقل يحكم العالم ، وأن التاريخ يتخذ مساراً عقليا .

وكما تأثر كل من تورجو وهيجل في تفسيرهما للتاريخ بقوانين نيوتن ، فقد جاءت محصلة فلسفة كل من آدم سميث وجون لوك في الاقتصاد والاجتماع متأثرة بتلك القوانين ، إذ كان محور هذه الفلسفة أن المسار الطبيعي لحركة المجتمع والاقتصاد بخط مستقيم ، لو سلما من تدخل قوى خارجية تعيق الخط أو تغير اتجاهه ، واستنتج الاثنان أن أفضل المجتمعات هي المجتمعات المتحررة من العوائق ، وأن أفضل الحكومات هي أقلها وضعا للقيود على حرية الفرد في التصرف والاكتساب . وهذه النظرة هي الأساس الفلسفي والأخلاقي لما يحكم أغلب مجتمعات الغرب من النظم حتى تاريخنا هذا .

قوانين غير معمرة

عند هذا الحد يكون من المفيد والطريف معاً أن نعلم أن هذه القوانين التي بدت للناس حتمية في صحة دلالتها ، مطلقة في حدودها ، لم تعمر بهذا المفهوم أكثر من قرنين ، فقد ظهر من قوانين الطبيعة ما أبان خطأ الدلالة المستنتجة منها ، ثم تلا ذلك ما كشف أن لصحتها حدودا . ففي سنة ١٨٦٨ أعلن رودلف كلوزيس القانون الثاني من قوانين الحركة الحرارية الذي يمكن أن يعبر عن مدلوله بصيغ عديدة ، منها أن « الانتقال الحراري يحدث باتجاه غير قابل *للعكس تلقائيا* » ، ومنها أن « *درجة الاضطراب في منظومة معزولة ، درجة حرارتها فوق الصفر المطلق ، أكبر من الصفر* » ، ومنها « *أن تحولات الطاقة تتم من صورة الطاقة المفيدة إلى غير المفيدة* » .

هذا القانون الذي لا ينافسه قانون آخر في بساطته ، قد يكون أثبت القوانين الطبيعية التي عرفها الإنسان وأكثرها شمولا ، ولا ينافس أثره في طبيعة المادة إلا عمق أثر دلالته على تصور الإنسان للكون ومجرى التاريخ ، فبينما استنتج من قوانين نيوتن استمرار حركة التاريخ ولا نهائيته ، فإن القانون الثاني للحركة الحرارية يدل على عكس ذلك ، تماما ، أي أن الكون على درجة من الاختلال متزايدة ، ستبلغ به إلى نهايته ، وكما أن له حركة امتداد في المستقبل فإن له حركة ارتداد في الماضي ، وهذا يعني أن لهذا الكون بداية ونهاية لابد أن يصير إليها . وينطبق هذا القانون على الكون الواسع ، كما ينطبق على مجموعتنا الشمسية ، ومنها الأرض . كما أن من نتائجه « أن ما في هذا الكوكب من طاقة ، في صورتها القابلة للاستعمال ، يسير بخطا متسارعة إلى التلاقي والنفاد »

إذا كان هذا القانون أبطل ما استنتج من قوانين نيوتن ، وبالتالي ما بني على هذا الاستنتاج من فلسفات ، فإن نظريات ميكانيكا الكم ، وفروضها الأساس ، وهي النظريات



والفروض التي شارك في وضعها أساطين الطبيعة الحديثة ، أمثال : ماكس بلانك ، ونيلز بور ، والبرت اينشتاين ، وشرودنجر ، وغيرهم ، وهي التي تحكم حركة الدقائق الصغرى كالذرات والكهارب والجزئيات ، قد كشفت أن صحة قوانين نيوتن مقيدة بحدود معينة من حجم الجسم المتحرك وكتلته ، ومدى البعد الذي يتحرك فيه ، وأن قوانين نيوتن حالة خاصة في ميكانيكا الكم ، لا تنطبق على عالم الدقائق كالكهارب والذرات .

ومحصلة ذلك ودلالته على درجة من الوضوح لا نحتاج معها إلى كثير من القول بأن هذه النظريات التي أملاها حس ثاقب وأيدتها التجربة فارتفعت إلى صحة القوانين وثبوتها تحتمل الخطأ في فهم دلالتها ، أي في الجانب المتعلق بالإنسان عن هذه الدلالات ، وقد يتبين أن لصحتها حدودا .

كم عمر الأرض ؟

إذا كان هذا هو شأن المجموعة الثانية فإن النظر إلى المجموعة الثالثة ، وهي الأدنى درجة في ثبوتها ، يجب أن لا يختلف عن النظر إلى فرض نسبة احتمال صحتها تساوي نسبة ما يحتمل فيها من خطأ .

من أظهر الأمثلة على ما دعوتها في هذه الكلمة « المجموعة الثالثة » هي الفروض التي وضعت لتقدير عمر الكوكب الذي نعيش عليه .

ففي عام ١٦٥٠ حسب قسيس يدعى جيمس أشر عمر الأرض ، بانيا حساباته على ما استنتجه من المصادر الدينية لديه ، فتوصل إلى تقدير مضحك ، وهو أن الأرض تكونت في الساعة الثامنة من صباح الثاني والعشرين من أكتوبر عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد !!

وفي عام ١٧٤٥ قام عالم الطبيعيات الفرنسي ، جورج دوبيفون ، بأول محاولة لتقدير عمر الأرض ، تقوم على الملاحظة والاستنتاج ، فذهب إلى أن الأرض تكونت نتيجة اصطدام مذنب بالشمس ، فانفصلت عنها الأرض ، وقدر أن ذلك حدث منذ ٧٥٠٠٠ سنة .

ثم نشر عالم الجيولوجيا الاسكتلندي ، جيمس هلتون ، كتابا له بعنوان : « نظرية تكون الأرض » عام ١٧٩٥ ، بناء على دراسته للصخور المكونة لسطح الأرض ، وهي الصخور الرسوبية والنارية ، وذكر أن القوى المؤثرة في تكون تلك الصخور قوى غير متغيرة ، وأنها تعمل في الحاضر كما كانت تعمل في الماضي ، وسميت نظريته : « مبدأ وحدة التكوين » ، وقد أخذ كثيرون من المشتغلين بعلم الجيولوجيا بهذه النظرية ، وتوصلوا من دراسة الصخور الرسوبية وتكون أحواض الأنهار ونسبة الأملاح في المحيطات إلى أن ذلك يستدعي ما لا يقل عن مئات الملايين من السنين .

ووجه عالم الفيزياء الالماني ، هلمهولتز ، نظره للبحث عن المصدر الذي يمد الشمس بطاقتها ، وافترض أن المصدر الوحيد المقبول هو انكماش حجم الشمس بعامل التجاذب الكتلي ، وتحول طاقة حركة الجسيمات أو الجزيئات المكونة لها إلى طاقة حرارية .

ثم قام بعد ذلك لورد كلفن ، وهو عالم في الطبيعة أيضا ، بمناقشة الفكرة السابقة ، وبين أنه بافتراض صحتها فإن قطر الشمس قبل ٢٥ مليون سنة يبلغ ١٥٠ مليونا من الكيلو مترات . وهذا يعني أنها تملأ مدار الأرض حول الشمس ، وعلى ذلك فإن عمر الأرض لا يزيد عن ٢٥ مليون سنة . ولتوكيد ذلك قام بحساب المدة التي تصل فيها القشرة الأرضية إلى درجة حرارتها الحاضرة ، فكانت لا تختلف كثيرا عما قدره عمراً للأرض .

وباكتشاف العناصر المشعة في أواخر القرن المنصرم ، ومعرفة أنها تعطي بتحللها قدرا من

الطاقة ، يكفي لإمداد الأرض بحرارتها الحاضرة إلى آماد طويلة تقوضت نظرية هلمهولتز ، وما بناه كلفن عليها من تقديرات .

وعندما عرف أن الرصاص هو النتاج الأخير لعناصر اليورانيوم والثوريوم المشع ، وعرف نصف عمر النظائر المشعة الممثلة للموجود منها على الأرض ، وبعض النيازك الواصلة من أجرام خارج الأرض ، تبين منها أن الاحتمال الأكبر لعمر الأرض هو ٤,٦ بلايين سنة .

العلم يخطيء ويصيب

ما تقدم لم يقصد منه العرض التاريخي ، وإنما قصد منه دلالته على كيفية محاولة علماء العلم التجريبي الاجتهاد في تفسير ظاهرة من ظواهر هذا الكون ، أو خصائص جزء من أجزائه ، وكيف أن هذا الاجتهاد قد يخطيء وقد يصيب ، وهذا يؤدي بنا إلى التالي :

أولا : أن هناك خطأ شائعا في التسمية ، جاء من إطلاق لفظ العلم على جانب منه ، وأنه يجب أن يصحح هذا الخطأ الشائع بتقييد العموم عن طريق الوصف ، فيقال : العلم التجريبي ، أو العلم الطبيعي ، أو ما هو قريب من ذلك .

ثانيا : أن المقولات في العلم التجريبي ليست على درجة واحدة من الصحة والثبات ، فمنها ما هو ثابت الصحة ، في حدود ما عرف الناس ، وألفوا من مدركات ، ومنها ما هو صحيح حتى إشعار آخر ، ومنها ما لا يعدو كونه حدسا يحتمل من الصحة بقدر ما يحتمل من الخطأ .

ثالثا : خطأ الاندفاع نحو ما يترتب على بعض دلالات قوانين العلم التجريبي ونتائجه ، مما يتعلق بالأفراد والمجتمعات . □



الساعة البيولوجية
ساعة لكل زمان

بقلم : الدكتور حسن حلمي خاروف*

هل سألت نفسك يوما : لماذا أستيقظ من نومي في ساعة محددة من كل صباح ؟ ولماذا أشعر بالنعاس في الوقت نفسه من كل مساء ؟ ولماذا أشعر بالجوع كلما حان وقت تناولي الطعام ؟ إنها الساعة البيولوجية .

لاحظ العلماء تكرار هذه الظواهر من تنبه ونعاس وجوع ـ وكثير غيرها ـ في حياة الإنسان ، وعزوا ذلك إلى ما سموه الساعة البيولوجية . والساعة البيولوجية هي تلك الآلية التي توقت الحوادث الحيوية ومعظم نشاطات الكائن الحي ، فهي توقظ فلانا من الناس في الرابعة ، وفلانا آخر في السادسة ، وثالثا في الساعة الثامنة ، إذا « اعتاد » هؤلاء على الاستيقاظ في الساعات المذكورة . ويندر أن تخطيء « ساعتهم » في إيقاظ الواحد منهم في وقت مختلف عما اعتاد عليه .

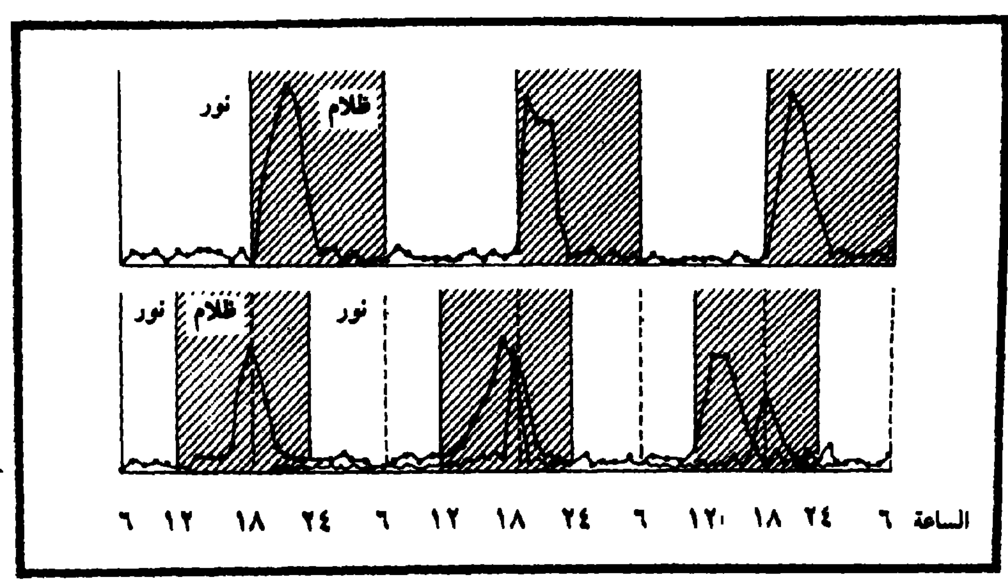
ولا يقتصر تأثير هذه الساعة البيولوجية على ممارسات الإنسان اليومية ، بل إنها تؤثر أيضا على أجهزة الجسم المختلفة . فمن المعروف مثلا أن نشاط الكلية عند الإنسان يكون في أدنى درجاته بين الساعة ٢ ـ ٥ بعد منتصف الليل ، ثم تعود الكلية إلى نشاطها الطبيعي باقي ساعات اليوم ، أو حرارة الجسم تكون في أقل قيمها بين الساعة ٤ ـ ٥ صباحا ، ثم ترتفع إلى قيمتها الطبيعية درجة مئوية واحدة زيادة بعد ذلك . وكذلك دقات القلب وضغط الدم التي تكون منخفضة في الصباح ، وكمية السكر في الدم تكون في أدنى قيمة لها في الساعة السادسة مساء ، وعلى أكثر ما تكون في الساعة التاسعة صباحا .

لكل ساعته

ولكن هل ينفرد الإنسان بوجود مثل هذه الساعة ؟ في أول ملاحظة حول هذا الموضوع

* أستاذ علم الحيوان في كلية العلوم ـ جامعة دمشق .





● في هذا الشكل ينشط الصرصور عند حلول الظلام في الساعة ١٨ مساء ويسكن باقي الأوقات ، وحين تُقدَّم ساعة الظلام لتصبح الساعة ١٢ ظهراً يبقى الصرصور على نشاطه بضعة أيام إلا أنه لا يلبث أن يبدي مظاهر التأقلم بدليل ظهور موجة نشاط له بعد الساعة ١٢ وبقاء نشاطه بصورة أخف في الساعة ١٨ .

ذكرها عالم سويسري هو « أوغست فورل » ، عندما لاحظ قدوم النحل إلى شرفة منزله كل يوم في أثناء تناوله طعام الإفطار ، فاستنتج وجود « ذاكرة زمانية » لدى النحل ، تدفعها للحضور في وقت محدد لتلك الشرفة ، لمشاركته إفطاره الغني بالمواد السكرية . ثم توالت الملاحظات حول عالم الحيوان . ويعرف الآن أن الصراصير والبوم والخفاش والجرذان تنشط ليلا ، وتهجع في النهار ، بينما الحيوانات الأخرى يكون نشاطها الأعظم في أثناء النهار . فالنحل يطير مفتشا عن الأزهار من أجل رحيقها في النهار ، وقد تبين أنه يفعل ذلك في ساعة معينة من النهار . « فالساعة » تُنبِّه النحلة إلى أن « الوقت قد حان لجمع الرحيق » ، فتنطلق لتجمع ما تصنع منه العسل ، مخزونها الغذائي في وقت الشدة . والحيوانات التي تعيش على الشاطيء ، كالسراطين وغيرها ، تتناول غذاءها فقط في أثناء المد ، وتتوقف عن ذلك في أثناء الجزر . فارتفاع مستوى الماء في البحر يحرك « جرس ساعة التغذي » لدى السرطان ، فيباشر بالتفتيش عن غذائه ويتناوله .

حتى التكاثر والنشاط الجنسي لوحظ أنه يتغير باختلاف ساعات اليوم . والعامل المسبب للملارية ، وهو وحيد الخلية « البلاسموديوم » يوجد منه ثلاثة أنواع الأول يتكاثر كل ٢٤ ساعة ، والثاني يتكاثر كل ٤٨ ساعة ، والثالث يتكاثر كل ٧٢ ساعة . وبما أن أعراض مرض الملارية مرتبطة بدورة تكاثر الملارية (تظهر أعراض الملارية لدى تفجر الكريات الحمراء للمصاب وانطلاق العناصر البذيرية للبلاسموديوم) لذلك فإن هذه الأعراض تظهر ، حسب النوع المسبب للمرض ، كل ٢٤ ساعة أو ٤٨ ساعة أو ٧٢ ساعة . أي أن أعراض مرض الملارية تظهر أيضا بصورة دورية .

في يوم في شهر

كل ماذكرناه من حوادث يثيره منبه كل ٢٤ ساعة ، لذلك تسمى بالدورية اليومية ، إلا أن

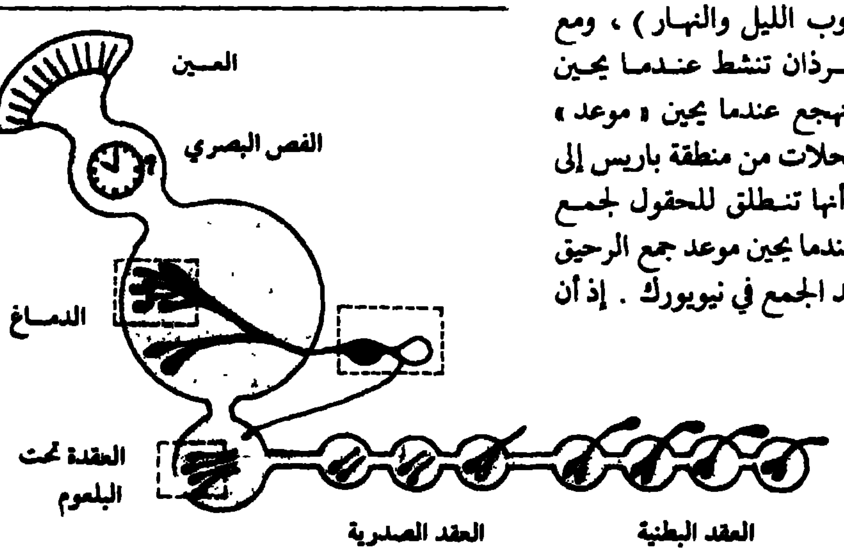
هناك فعاليات يثيرها منبه مرة كل شهر . من هذه الحوادث انطلاق البويضة لدى المرأة الذي يتم كل ٢٨ يوما . لذلك تعد الدورة الطمثية لدى المرأة خاضعة لدورية شهرية قمرية ، ومن الحوادث ما يخضع لدورية سنوية ، فمعظم الحيوانات لا تتكاثر إلا في الربيع ، والهرة مثال نموذجي في هذا المجال . فهي لا تتكاثر إلا مرة واحدة في السنة : تحمل في شهر شباط (فبراير) ، وتضع حملها في آذار (مارس) من كل عام . ومثال تغذي السرطان في أثناء المد يمثل دورية مد جزرية ، وبعض الحيوانات تشرك في نشاطها الجنسي الدورية السنوية والقمرية ، فديدان البالولو وهي ديدان بحرية تكثر حول جزر ساموا في المحيط الهادي ، تتكاثر في منتصف ليلة مقمرة من شهر تشرين أول (أكتوبر) - تشرين ثاني (نوفمبر) عندما يكون البحر في حالة جزر . كما أن ديدان النار التي توجد في مياه جزر برمودا تطلق بيوضها خلال ٥٥ دقيقة فقط بعد مغيب شمس الأيام التي تطابق بدء أشهر الصيف .

وفي إحدى التجارب العلمية تمت تربية جرذان على مدى ٢٥ جيلا في الظلام الكامل (أي ألغي تأثير تناوب الليل والنهار) ، ومع ذلك بقيت هذه الجرذان تنشط عندما يحين « موعد » الليل ، وتهجع عندما يحين « موعد » النهار . كما تم نقل نحلات من منطقة باريس إلى نيويورك ، فلوحظ أنها تنطلق للحقول لجمع الرحيق في نيويورك عندما يحين موعد جمع الرحيق في باريس وليس موعد الجمع في نيويورك . إذ أن « ساعتها البيولوجية » مازالت مبرمجة على « توقيت » باريس .

والمثال الذي نعيشه يعد مثالا واضحا لثبات الدورية ، فعندما ينتقل أحدنا غربا إلى الطرف الآخر من الكرة الأرضية ، حيث الوقت يتأخر نحو ١٢ ساعة ، نلاحظ أنه ينشط عندما يحين منتصف الليل . فجسمنا « مبرمج » لأن نكون نشيطين في الساعة ١٢ ظهرا حسب توقيت بلادنا ، أي عندما ينتصف الليل في نصف الكرة الآخر ، والعكس صحيح . من أجل ذلك تضطرب كثيرا حياة من يضطر بحكم عمله ، الانتقال باستمرار شرقا وغربا ، كما في طواقم الطائرات ، وكذلك حياة من يضطرون أن يقوموا بمناوبات ليلية ونهارية كالممرضات .

إعادة ضبط الساعة

وقد أجريت تجارب على الصراصير لتسجيل نشاطها على مدى ٢٤ ساعة ، فوجد أنها تنشط كثيرا في الساعات الأولى من الليل . وعندما تم تغيير نظام الإضاءة ، وأضيئت غرفة التجربة قبل ٦ ساعات من موعد الإضاءة الطبيعية ، بقيت



● شكل تمثيلي للجملة العصبية لدى الحشرات في منظر جانبي يُظهر الموقع المحتمل للساعة البيولوجية فيها .

الصراصير تنشط في وقتها الأصلي بضعة أيام ، إلا أنها بدأت بإظهار ملامح التأقلم مع التوقيت الجديد ، فكانت تنشط خلال فترتين : الأولى في بداية « الليل الجديد » والثانية في بداية « الليل القديم » . إلا أن النشاط في بداية « الليل القديم » سرعان ما يتلاشى ، لتعود الصراصير نشيطة في بداية الليل حسب التوقيت الجديد .

ومعروف أن النحل يزور الحقول لجمع الرحيق مرة واحدة في اليوم ، إلا أنه أمكن تدريب بعض النحلات على زيارة الحقول مرتين في اليوم . ولكن يجب الانتباه إلى أن الدورة كانت تستغرق ٢٤ ساعة وليس ١٩ ساعة مثلا .

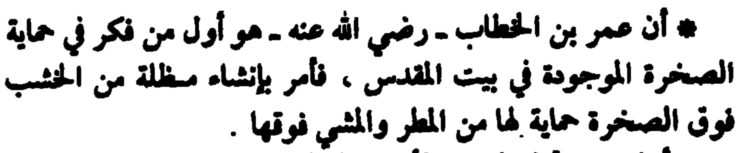
إنها تعمل بالضوء !

لم يستطع العلم أن يحدد بالضبط الدافع لهذه الدورية ، فقد تكهن العلماء بوجود أسباب جيوفيزيائية ، كالضغط الجوي والجاذبية الأرضية والإشعاعات وتغيرات الحرارة . أما السبب الحقيقي فمايزال مجهولا . إلا أنه لوحظ وجود عامل مشترك ، يجمع بين هذه الحوادث كافة ، ألا وهو الضوء . والواقع أن أول من قام بالدراسة العلمية حول هذا الموضوع باحثة اسمها « هاركر » ، عام ١٩٦٠ ، إذ وجدت أن العين البسيطة عند الصرصور تلعب دورا مهما في دورية الحوادث . ثم تبين فيما بعد أن العين المركبة لدى الحشرة ، وليست العين البسيطة ، هي مفتاح الدورية . وهذا ما أوحى بأن الضوء هو العامل الأساس في قضية الساعة البيولوجية . وتجدر الإشارة إلى أن الدراسات التالية بينت أن دور العين ثانوي جدا ، إذ أن تغطية العين المركبة لا يلغي الدورية ، ويؤكد ذلك أن تغطية عيون الطيور أيضا لا يلغي دورية هجرة الطيور (تخضع هجرة الطيور أيضا لدورية معينة وساعة بيولوجية محددة) ، فالضوء عندها يخترق جدران عظام الجمجمة التي تتصف بكونها اسفنجية ، مما يسهل اختراق الضوء لها ووصوله إلى الدماغ . وقد تبين فيما بعد أن العامل المنبه ليس الضوء بحد ذاته ، وإنما ما يسمى « الفترة الضوئية » ، أي فترة التعرض للضوء بالنسبة لفترة التعرض للظلام من كل ٢٤ ساعة يومية ، فالنهار في الشتاء قصير بالنسبة لليل ، إذ يتمثل بنحو ٩ ساعات نور ، مقابل نحو ١٥ ساعة ظلام ، بينما النهار الصيفي طويل ، يتمثل بنحو ١٥ ساعة . يقابله ليل بتسع ساعات ظلام فقط .

إن ماذكرناه سابقا يوحي بأن الساعة البيولوجية في مكان ما من الدماغ . ويعتقد أن هذا المكان ، في الصرصور ، هو العصب البَصري ، حيث توجد عقدة عصبية تنبه « بدورية معينة » ، خلايا عصبية موجودة الدماغ ، لتعطي أوامر أو تفرز هرمونات تث « دورية معينة » .

أما عند الإنسان فيعتقد أن الغدة الصنوبر هي التي تمثل الساعة البيولوجية عنده ، وهي ا تتأثر بالفترة الضوئية المشار إليها سابقا . □

هل تعلم ؟



* أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ هو أول من فكر في حماية الصخرة الموجودة في بيت المقدس ، فأمر بإنشاء مظلة من الخشب فوق الصخرة حماية لها من المطر والمشي فوقها .

* أول من اتخذ الدفاتر لأمور المملكة هو يوسف الصديق عليه السلام ، حين ولّاه فرعون خزائن مصر .





قصة بقلم : عبد الرزاق المطلبي*

منذ أن سكنت المرأة خياله ، تغيّر خليل الوحيد ، ويوماً بعد يوم ، كان خليل الوحيد ينفصل عن جماعته في مقهى المحلة ، ولأن أصدقاءه تنبهوا لحالته من أيام ، فقد تركوه يجالس نفسه على بعد شبرين منهم ، كانوا يطلقون النكات ويضحكون ، ويستمعون إلى أخبار بعضهم ، أما هو فينظر إلى الأشياء أمامه من دون أن يبصر أي شيء منها ، تأتيه الأصوات من كل جوانب المقهى ، ولا يميز أي صوت ، بدا وكأنه في جزيرة وحده . في الأيام الأولى احتجوا ، وحاولوا سحبه إليهم ، وما لبثوا أن تركوه ، خاصة حين رأوه يختصر بقاءه معهم عما اعتادوه جميعاً .

وهذا اليوم ، شرب شايه ، ودخن سيجارته ، وهز ساقه وهي فوق ساقه الأخرى كعادته ، ثم تلفت ونهض عائداً ، وقد احتلت المرأة خياله ، وعزلته عما حوله ، لكنه لم يدع أحدا من أصدقائه يقف على سره ، فما أن يستقر على حصير المقعد الخشبي الطويل ، حتى يتذكر وجهها ، وحفيف ثوبها ، وكفها الناعمة التي تمررها على وجهه وهي تسوي الغطاء عليه .

في الليلة الأولى أيقظته حرارة كفها الغريبة ، وفتح عينيه ، غير أن ظلام غرفته أغلق عليه المكان ، وحين اعتاد عتمته ، رأى أشياءها التي يعرفها في أماكنها ، ولم ير امرأة أو ظلاً لإمرأة ، فعرف أنه رآها في حلم ، شعر أنه يود لو بقي فيه ، ولم تقطعه يقظته السريعة ، وبقي لحظات يفكر بها ، يستعيد وجهها ، ولمسة كفها ، والوهج الخفي المنبعث منها ، ورغبته التي استراحت على ظلها ، لكنه ما لبث أن دار بوجهه إلى جهته اليسرى ونام .

في الليلة الثانية كان قد نسي كل شيء عن الفتاة ، كشأنه في كل مرة يحلم فيها بامرأة ، ولم يكن يتذكر غير وجوه أصدقائه في المقهى حين استلقى على فراشه ونام .

وهذه الليلة رآها تنحني عليه ، حتى شعر بحرارة أنفاسها تلفح وجهه ، ورأى نفسه مأخوذاً إلى بياض صدرها ، وفتنته ابتسامتها الخفية ، وبكثير من الرغبة والسرور مد يديه ليمسك يديها ، لكنه فزّ ، ومثل الليلة السابقة وجد نفسه في فراشه يحدق وحده في عتمة غرفته .

ترك فراشه وراح يطوف حافياً في غرف البيت وممراته ، ووقف عدة مرات،وأطرق أذنيه ، لكنه لم يسمع غير حفيف كائنات الليل الخفية ،

* كاتب قاص من القطر العربي العراقي .

والأصوات التي اعتاد سماعها ، بل لم يكن ثمة غير ليل صامت ، يتنفس بحذر وحرص ، لئلا يوقظ الحياة النائمة في مثل هذا الوقت .

في النهار تذكرها مرات ، شرد بفكره الذي قادته أخيلته إلى ظلالها الباقية في رأسه ، كان يستعيد مرآها شاعراً بكثير من الراحة ومن الرغبة الدفينة في أن تكون حقيقة .

في الليلة الثالثة لم يصبر إلى نهاية سهرته مع رفاقه في مقهى المحلة ، بل أسرع إلى بيته قبل موعدهم بنصف ساعة ، وراح يتخيلها وهو يخرج مفتاح البيت ، ثم وهو يدخل ، وحين خلع ملابسه ولبس منامته ، وحين غسل وجهه ، وأكل بعض ما لديه مما في « الثلاجة » من طعام جاهز ، وعندما استلقى على فراشه ، بدا كأنه ذاهب إلى موعد قد لا يتحقق ، إذ كانت ثمة ارتعاشة قلق في عينيه ، وابتسامة هائمة تطوف على شفتيه ، كانت تجربته من المتعة والسرية حتى شعر كأنه وحده يعيش هذه التجربة المسرة ، كان يعلق صورتها في خياله ، وهو ينظر في السقف ولا يراه ، راغباً بكل ما في روحه من ميل إلى المرأة .

لما زارته هذه الليلة ، كانت بثوب شفاف قصير ، وبوجهها الحلو المغسول بنور روحها المائجة ، مد يديه إليها لحظة ، أقبلت من تحت ستار ظلام الغرفة ، وأمسك بيديها وجذبها إلى السرير ، حيث جلست على حافته ، وعيناها تغرقان في عينيه المتسعتين فرحاً ودهشة ، وبدا أن شيئاً فيه كان يرقص طرباً لوجودها قربه ، وأن شيئاً دافئاً بات يتدفق في روحه المتلهفة على مساكنة امرأة ، وأي امرأة ؟ إنها زائرته الغريبة المجهولة التي يأخذه سروره الآن إليها ، حتى ليكاد يمسك بها بين ذراعيه ، ويحتضنها ، فلا تستطيع فكاكاً يتيح لها أن تذهب ، ويبدو أن ظلالاً من هذه الفكرة قد تحركت في رأسه ، وأنها أدركت هذه ، فقد تملصت كفاها بعجلة من يديه ، وهي تبتسم له ابتسامتها التي تسيل عذوبة وحبا ، وبسرعة غاصت في الظلام ، فما كان منه إلا أن قفز من فراشه ليمسك بها على الرغم منها ، لكنها كانت كظل محض ، انسحبت وغابت .

بقي وقتاً طويلاً يجمد في جلسته على سريره ، وقد أزعجه غيابها ، تائها تيهانا لم يعرف غيره مثله .

ترك سريره ، وانطلق يبحث مضيئا كل مصابيح البيت ، متفقداً الأبواب والنوافذ ، والمنافذ ، وما لبث أن توقف يضحك من نفسه ، وهو يردد : « إنها طيف ، حلم ، وهل تمسك الجدران ظلاً أو طيفاً ؟ » .

كانت ما تزال بقية من نشوة تداعب رغبته المستيقظة الآن ، وتستدرجه إلى معايشة مشاعره ، وهو يستعيد صورتها إلى الإحساس بالمتعة الخاصة والسعادة التي يؤلمه أنها بدت مقطوعة ، لم تستمر ولا مرة واحدة ، غير أنه الليلة يعجب ، وهو يستغرب أن مثل هذا يمكن أن يحدث ، هو نفسه لم يحدث أن حلم بامرأة واحدة أو بوجه واحد في ليال متتالية ، بل لم يحلم بوجه لم يكن مألوفاً لديه ، ممن يلتقي بهن في دائرة أو مكان أو مجال ، إنها وجه جديد في حياته ، يخيل إليه أنها حقيقة ، وهي موجودة في البيت في وضع لا يفهمه ، وأنها تختار أن تأتيه في حلم ، بقدرة لا يعرف أنها وجدت عند غيرها من الناس العاديين .

وحين يشطح به خياله إلى أنها يمكن ألا تكون امرأة حقيقية ، حية ، ومن لحم ودم ، يداخله شيء من الأسف والألم والخوف ، فقد تكون ميتة ، وجد شبحها طريقه إليه ، أو أنها روح سكنت هذا البيت ، وأحبت ساكنه ، وصارت تزوره طيفاً غامضاً ، يمنحه المتعة والسرور لحظات ، ثم ما يلبث أن يستيقظ ، فيزول كل شيء .

لم يعد يطيل جلوسه في مقهى المحلة ، بل صار يتعجل شربه لكأس شايه المعتاد ، ويكمل تدخين سيجارته في طريقه إلى بيته ، وعند وصوله



يتعجل خلع ملابسه وارتداء منامته ، ليسرع في استلقائه على فراشه ، متعجلاً خدر عينيه وجسده ووعيه ، ليندس في نومته ، حيث سيلتقي بفتاته ، وقد صار الليل موعده الثابت معها ، فيعد نفسه ويتحرك ويتصرف وكأنه ذاهب إلى موعد معها نهاراً ، وذهب أبعد في هذا ، فغدا يحرص على أن يغسل جسده ، ويتعطر كل ليلة قبل أن يأوي إلى فراشه . وأكثر من هذا ، صار يحرص على ارتداء منامة جميلة أنيقة ، يعتني بكيّها أكثر من اعتنائه بكي بدلته التي يخرج بها إلى عمله ، لهذا صار النهار وكل ما يتصل به ثقيلاً عليه ، يتعجل ذهابه ، وصار الليل واحته التي يتعجل دخولها ، وهكذا أخذ يسير طويلاً في النهار ، ولا ينام الظهيرة كما تعود ، ويرهق جسده وعقله ، حتى إذا حل المساء ، أخذه نعاسه سريعاً إلى هذه المرأة التي لم يعد قادراً على البعد عنها ، أو غيابها عنه ليلة واحدة ، وكم كان يغضب ويثور حين تقطع يقظة مفاجئة لقاءه بها ، وشرع يتضرع إلى الله ، وأحياناً إليها ، وكأنها موجودة معه على نحو ما ، تستمع إليه ، وقد تستجيب لرجائه في أن تزوره أكثر من مرة ، بل مرات في الليلة الواحدة .

غدا أكثر هياماً واندفاعاً من عاشق حقيقي ، بل هو أكثر من أي عاشق ، إنه وإن كان يلتقي بها هذه الليالي كلها ، لكنه لم يستطع أن يبادلها حديثاً ، حتى التحية لم يسبق أن تبادلاها ، ولا مرة واحدة ، ولأنها عاشت في روحه وعقله ليلاً ونهاراً ، بات يهمل كل شيء نهاراً ، حتى نفسه ، ولم يعد ينتبه له أو يكترث به أي صديق من أصدقائه ، أو زميل عمل من زملاء مهنته ، فلم يعد يتبادل مع أي أحد كلمة واحدة ، لقد أغلقت عليه مشاعره كل المنافذ ، وعاش في عزلة داخل أهوائه الهائمة بلا وصول .

في نهار ، كان يقف في ركن شارع ، ينتظر الحافلة ، حين شده فجأة ، واخترق شيء روحه ، فقد كانت عيناه تسرعان إلى وجه ليس في خياله وعقله غيره ، كانت هي نفسها ، فتاته ، تقترب مقبلة بصحبة رجل وامرأة ، نسي الناس والحافلة ، وتقدم إليها يبتسم ابتسامته التي خبأها لها من زمان ، ومد كلتا ذراعيه صوبها ، من دون أن يفكر بأي اعتبار ، وقد ألفها تماماً ، أكثر مما ألف أصدقاءه أو نفسه ، وبقي يتقدم وابتسامته تتقدم ، ذراعيه الممدودتين ، وبدا عليه أنه لم ير أحداً ، لا الرجل ولا المرأة بصحبتها ، ولم ينتبه حتى للحالة التي اعترت المرأة التي أخذت بحركته تجاهها ، وتوقفت أولاً تنظر إليه ، مستغربة متسائلة ، ثم تراجعت مستنكرة غاضبة ، ودهش الرجل والمرأة قربها ، وراحا ينظران تارة إليه وتارة إليها ، وعندما رأيا ما اعترى المرأة ، تنبّها إلى تجاوز الرجل عليها الذي قد يكون واحداً من مشاكسي الشوارع ، فتقدما ليصيرا بين المرأة وبينه ، وصاح به الرجل :

- ماذا تريد ؟

ولم يبد عليه أنه سمع ، أو شعر بحركتيهما ، فقد كانت فرحته بلقائها نهاراً ، تهيج مكامن لوعته المؤجلة ، وأطلقت أهواءه الحبيسة ، فاندفع صوبها ، منتظراً أن يسمع صيحة فرحتها ، مثلما أطلق هو صيحة فرحته ، وأن تحتضنه ، ويحتضنها ، بيد أنه لحظة اصطدمت كفاه بجسم الرجل ، تنبّه لما حوله ، ورأى ظلال الخوف والانزعاج تغيران وجه المرأة الذاهلة تماماً ، وعجب عجباً أخذه عن نفسه وعن المكان وعن وجوده كله اللحظة ، وطاف به في لحظات الليل وملامح وجه فتاته المتوهجة بفرحتها وسرورها عنده ، فظلت يداه ممدودتين ، وظل في وقفته حبيس طيوف زياراتها الليلية ، وبدا كأنه تائه أو غريب تغيرت عليه الحال ، كأنه يجهل حقيقة ما جرى ، ولماذا جرى ، وكيف جرى ، مع أنها كانت تتلهف مثله لياليها الفائتة كلها ؟ ! .

كان الرجل والمرأة قد أمسكا الفتاة ، وقاداها بعيداً عنه ، في حين لا يزال هو في مكانه واقفاً ،

وقد خيل إليهما أنه مجنون أو به مس على نحو ما ، فأسرعا بها إلى الاتجاه البعيد ، وهي بين أيديهما تكاد تتكوم جسداً متهالكاً من فرط ما عانته من خوف ودهشة .

تنبه هو ، وأسرع نحوهم ، صائحاً بهم ليتوقفوا ، فأخذت المرأة الفتاة ، وتوقف الرجل ليواجهه بعينين تشتعلان غضباً ، لما رآه خليل هكــذا ، عاد إليــه شيء من عقله ، وخشي اللحظة أن يداهمه موقف لا يريده ، أو أن يوصم بمس في عقله، توقف ،ثم استدار منسحباً ، عائداً إلى مكانه ، في موقف انتظار الحافلة ، غير فاهم ما رآه حد التشكك بعينيه وعقله ، فربما كانت أخرى تشبهها فقط ، ولم تكن هي عينها ، ولام نفسه على تهوره وتسرعه ، قبل أن يتثبت من شخصيتها ، ثم كيف يكون هـذا ، وتلك فتاة حلم ، وهذه حقيقة ؟ ! .

مع هذا فإن هاجساً غريباً ركبه ، وصار يطوف به في الشوارع والأماكن والأسواق ، متوقعاً أن يرى الفتاة في مصادفة غير منتظرة ، ورآها فعلاً مرات كثيرة ، الفتاة نفسها التي كانت مع الرجل والمرأة ، ولم يصدق هذه اللحظة ، إنها يمكن أن تكون غير فتاة أحلامه ، إنها من فرط شبهها بها ، يكاد ينسي نفسه ويكلمها ، بل ترك نفسه مرات كثيرة واقفاً أمامها ، متوقعاً أن تقترب منه وتكلمه ، أو أن تفهمه على نحو ما سبب إنكارها معرفته ، وتجاهلها لوجوده ، لكن شيئاً من هذا لم يحدث ، وبقي حبيس حيرته وعجبه .

وفي ليلة،كان غضبه كبيراً على نفسه وأخيلته ، فصمم على رفض النوم في سريره ، وقرر أن يظل مستيقظاً الليل كله ، فلم يعد يكتفي بزيارة في حلم ، بل لم يرد فتاة توافيه في حلم ، إن عقله يئز ويكاد ينفجر من فرط احتدام تفكيره ، وفجأة وهو يطفو على أمواج بحره الهائج ، إذا بمفتاح يدور في قفل باب البيت الذي سمعه يفتح ويغلق ، ثم رأى مقبض غرفة الجلوس يدور ، ويفتح الباب ، وتدخل .

ذهل ذهولاً طاغيا ، نسي نفسه معه ، ووقف بطول قامته يستقبلها ، يحتويها بابتسامته ، كما احتوته هي ، بكيانه كله ، بابتسامتها العذبة التي ألفها إلفته لدمه .

كان بكامل يقظته ، وكانت بكامل يقظتها ، صارت ابتسامتها ضحكة بلا صوت ، وهو يضطرب في حضرتها ، فمدت يديها إليه ، وأخذت كفيه ، ثم جذبته ، إليها ، وقبلا بعضهما قبلة واحدة طويلة ، أزاحت كل ما حولهما من أشياء وجدران ، ووحدتهما معاً ، حتى صارا كياناً واحداً ملتفا على نفسه .

في الصباح تعجبت المرأة التي اعتادت أن تغسل له ملابسه وتنظف البيت ، إذ وجدت باب البيت وباب غرفة الجلوس مفتوحين وعلى بلاط الغرفة ،كان الرجل ينطرح بهيئة أظهرته وكأنه حي يتنفس، ، كانت ذراعاه تحتويان فراغاً ، وكأنهما تضغطان شيئاً إلى صدره ، وكانت ابتسامته الخفية تلون شفتيه ، وتضيء وجهه الذي اكتسى بجلال الموت ورهبته ، وبطيوف سعادة لا توصف ، كانت تلوح في ملامحه المستريحة عند حدود الحياة . □

ماذا تعرف عن « حذاء الست » ؟!

* « حذاء الست » زهرة برية ، من الفصيلة السحلبية « الاوركيد » ، موطنها الأصلي المنطقة المعتدلة الشمالية . وتوجد في أمريكا الشمالية .

وهي أنواع ، وذات أزهار بيضاء أو صفراء أو وردية ، تشبه « حذاء الست » .

على هامش "قول على قول" :

عُمَرُ بنُ عبدِ العَزيزِ وَالغِنَاءُ

بقلم : حسن سعيد الكرمي

مثالان للتواضع تمثل الأول في موقف إنساني سمت فيه النفس عندما استجابت إلى ما هو عفوي فطري فيها ، وتمثل الثاني في الرقي الذي اتخذ من التواضع سلما ! .

يروى أن رجلا من أهل العراق أتى المدينة في طلب جاريته ، فسأل عنها ، فقيل له : إنها عند قاضي المدينة . فأتى الرجل القاضي وسأله أن يعرض الجارية عليه ، فقال له القاضي : وما حاجتك بها ؟ فقال الرجل : إنها تغني فتجيد . فعرضها القاضي . ولم يكن يعرف أنها تحسن الغناء . وقال لها أن تغني فغنت :

إلى خالدٍ حتى أُنخْنَ بخالدٍ ... فنعم الفتى يُرجى ونعم المؤمَّلُ

ففرح القاضي بجاريته حتى أقعدها على فخذه ، واستزادها من الغناء فغنت :

أروحُ إلى القصّاص كُلَّ عشيّةٍ ... أرَجّي ثوابَ الله في عَدَدِ الخُطَا

فاشتد الطرب بالقاضي ، وأخذ نعليه وعلقهما في أذنيه ، وجثا على ركبتيه ، ثم قال للرجل : ياحبيبي . انصرف،قد كنا نرغب فيها قبل أن نسمعها تغني ، ونحن الآن أرغب فيها بعد سماعنا غناءها . وانصرف الرجل .

وبلغت القصة عمر بن عبد العزيز ، فساءه من القاضي أن تكون هذه حاله ، فعزله .

فقال الرجل : نساؤه طوالق ، لو سمعها عمر لقال : اركبوني فإني مطية . فبلغ هذا القول عمر بن عبد العزيز فأمر بإشخاص القاضي وبإشخاص الجارية معه .

فلما دخلا على عمر ، قال عمر للقاضي : أعد ما قلت ، فقال القاضي : نعم لو سمعتها يا أمير المؤمنين لقلت : اركبوني فإني مطية ، ثم قال للجارية : غني فغنت :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم يسمر بمكة سامرُ

بَلَى نحن كنا أهلها فأبادنا ... صروف الليالي والجدود العواثِرُ

وأبدلنا ربي بها دارَ غربةٍ ... بها الذئب يعوي والعدو المُخَامِرُ

وأخرجنا منها المليك بقدرةٍ ... كذلك بالناس تجري المَقَادِر

فصرنـا أحـاديـثـا وكـنـا بغـبـطةٍ كذلـك عَضَّتْنـا السـنـون الغـوَابِـرُ
وَسَـحَّـتْ دمـوعُ الـعـينِ تبكـي لبلدةٍ بهـا حَرَمٌ أمْـنٌ وفـيـهـا المشـاعِـرُ

حتى فرغت من الشعر ، فطرب عمر طربا شديدا ، وأقبل يستعيد المغنية الغناء . واستعادها ثلاثا ، فبكى حتى بلت الدموع لحيته ، ثم أقبل على القاضي وقال له :

لا بأس عليك ، لقد بر قسمك ، ارجع إلى عملك راشدا

وكان عمر بن عبد العزيز لا يثيب الشعراء على شعرهم كعادة الخلفاء . وكان جرير الشاعر أكثر الشعراء تأذيا بذلك ، وكان لا يبخل على الفقراء والمساكين ، ولا على الأرامل والمساجين ، وهو الذي منع سبّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه من على المنابر ، وهو أشج بني مروان ، وكان يقال : أعدلا بني أمية الأشج والناقص ، والناقص يزيد بن الوليد ، وللاسمين حكايتان .

من أخبار أبي بكر الصديق

بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه البيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة ، فقام يخطب في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إني وُلّيتُ عليكم ولستُ بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأتُ فقوّموني ، الصدقُ أمانة ، والكذبُ خيانة . لايدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشةُ في قوم إلا عمهم الله بالبلاء . أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله ، فإذا عصيتُ الله فلا طاعة لي عليكم .

ومن أخباره رضي الله عنه أنه وصل إليه مال من البحرين ، فساوىَ فيه بين الناس ، فغضب الأنصار ، وقالوا له : فضلنا على الناس . فقال أبو بكر : صدقتم ، إن أردتم أن أفضلكم صار ما عملتموه للدنيا ، وإن صبرتم كان ذلك لله عز وجل . فقالوا : والله ما عملنا إلا لله تعالى . وانصرفوا ، فرقى أبو بكر المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا معشر الأنصار ، إن شئتم أن تقولوا : إنا أويناكم في ظلالنا ، وشاطرناكم في أموالنا ، ونصرناكم بأنفسنا لقلتم ، وإن لكم من الفضل مالا يحصيه العَدد وإن طال به الأمد ، فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوي :

جزى الله عنا جعـفـرا حين أزلـقـت بنـ ـعـلـنـا في الـواطئـين فزلـتِ
أبـوا أن يملـونـا ولـو أن أمّـنـا تلاقـي الـذي يلقـون منـا لملّتِ
هم أسـكـنـونـا في ظلالِ بيـوتهـم ظلال ـبيوت أدفـأت وأظـلـتِ

وكان النبي ﷺ أوصى بالأنصار فقال : انهم كرمتي وعيبتي التي أويت إليها ، فأكرموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم . قد أصبحتم يا معشر المهاجرين تزيدون والأنصار لا يزيدون .

ومن أخباره رضي الله عنه ماجرى له مع بلال بن رباح ، فقد كان بلال من أول المسلمين إسلاما ، وكان أمية بن خلف يخرج بلالا إذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بصخرة عظيمة ، فتوضع على صدره ، ثم يقول له : لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فكان بلال يقول وهو في هذا البلاء : أحد أحد . حتى مرّ أبو بكر يوما وهم يصنعون ذلك به فقال لأمية بن خلف : ألا تتقي الله في هذا المسكين ، حتى متى ؟ فقال أمية : أنت أفسدته فأنقذه مما ترى ، فقال أبو بكر : أفعل ذلك ، عندي غلام أسود أجلد أعطيكه به ، فقبل أمية ، فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلالا وأعتقه . □



بقلم : الدكتور محيي الدين لبنية

في العقدين الأخيرين من هذا القرن ، شهد العالم تطورات مثيرة في عمليات نقل الأنسجة الحية من مكان إلى آخر في الجسم البشري ، استعملت فيها أجزاء من نسيج واحد ، أو أكثر ، بما تحتويه من أوعية دموية وأعصاب ، كعملية زرع أصابع قدم في يد ، فكيف تتم هذه العملية ؟

وهل يمكن لأصابع القدم أن تقوم مقام أصابع اليد ؟

في مطلع الستينيات من هذا القرن ، أدى نجاح الجراحين في استعمال المجهر الجراحي ، في عملية توصيل الأوعية الدموية للأنسجة المنقولة ، الى تطور علم الجراحة الترميمية الذي استخدم فيه ما عرف باسم « الشرائح الحرة » ، بما تحتويه من أوعية دموية وأعصاب ، تمكنها من التأقلم في مكانها الجديد ، وبقائها حية ، وقسمت إلى نوعين هما :

الأول : شرائح بسيطة : تتكون من نوع واحد من الأنسجة الحية ، وهي إما جزء من نسيج عضلي ، أو عضلة صغيرة ، أو جزء من عظم ، أو غضروف .

الثاني : شرائح مركبة : تتكون من أكثر من نوع واحد من الأنسجة ، سواء كانت جزءاً من

عضلة مغطاة بالجلد ، أو جزءاً عضليا مع عظم صغير عار ، أو مكسو بالجلد ، أو ما شابه ذلك .

وفي البداية تركزت جهود أطباء جراحي التجميل والترميم ، على إعادة تشكيل أصابع اليدين أو الرجلين ، وإزالة التشوهات الظاهرية فيها ، دون الاهتمام باستعادة أي منها لوظائفه الطبيعية . ثم تحولت رغبتهم أخيرا نحو عملية الترميم الوظيفي ؛ أي استعادة تلك الأعضاء المنقولة في لوظائفها الطبيعية مكانها الجديد . كالقدرة على الحركة ، والإحساس العصبي بالمؤثرات الخارجية ، بالإضافة إلى استعاضة الأجزاء المبتورة ، وإخفاء معالم التشوهات الظاهرية . وعموما هناك ضرورة لقيام الأطباء الاختصاصيين ، في هذه الجراحة الدقيقة ، بوضع خطط متكاملة موضحة بالرسوم لما يمكنهم تنفيذه ، للحصول على أفضل النتائج التجميلية والترميمية .

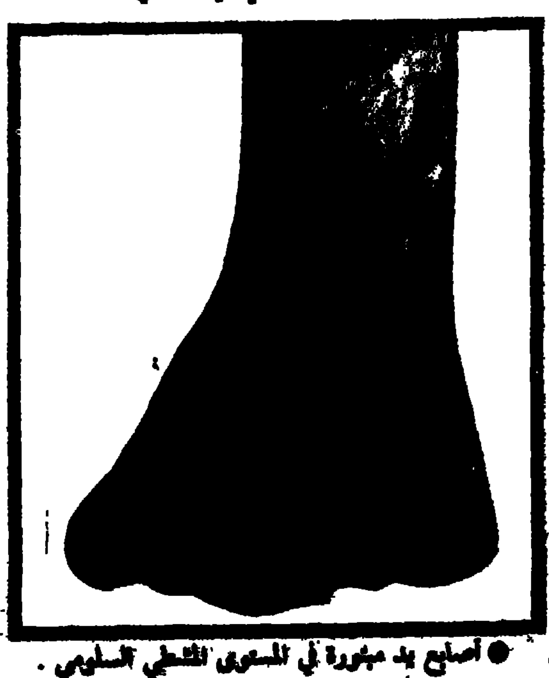
إعادة تشكيل أصابع يد

حققت عمليات ترميم كف يد إنسان فُقِدَ منها أصبع واحد أو أكثر ، نتائج جيدة ، فلقد تمكن فريق من الجراحين من نقل أصبع قدم واحدة ، أو أكثر لمصاب ، إلى إحدى كفي يديه ، استعمل فيها الأصبع الثاني ، أو الأصبع الثالث ، أو عدة أصابع ، أخذت من إحدى القدمين أو من كلتيهما . كما نجح فريق طبي ثان في نقل أجزاء من أصابع قدم المصاب - ليس بكاملها - مع الظفر إلى كف إحدى يديه ، عوضا عن الأصابع المفقودة منها . ولم تؤد هذه العملية إلى حدوث إعاقة في أصابع قدمه بعد التبرع ، ووفرت للمريض أصبعا واحدا جديدا ، أو أكثر ، في كف يده ، وقد أصبح لها شكل مقبول ، وقدرة على الحركة والإحساس بالمؤثرات الخارجية .

لم تتوقف جهود جراحي الترميم عند إعادة زرع الأعضاء المبتورة ، ونقل أصابع من قدم



● قدما المصاب بعد سنة راحة من نقل الأصبع الثالثة من القدم اليمنى والأصبع الثانية من القدم اليسرى دون ظهور قصور وظيفي في مشطي القدمين .



● أصابع يد مبتورة في المستوى المشطي السلامي .

المصاب ، أو أجزاء منها ، للتعويض عن أصابع اليد المبتورة ، وإنما ذهبت إلى أبعد من ذلك .
فلقد نجح فريق من الجراحين في نقل بعض الأصابع المفصولة من قدمي مصاب إلى كف يده اليمنى المبتورة ، عند مستوى مفاصل مشط السلاميات ، لتوفير وسيلة طبيعية للمصاب ، لمسك الأشياء الصغيرة ، عن طريق نقل الأصبع الثانية من القدم ، لتصبح بديلا لإبهام اليد المبتورة ، وزرع الأصبع الثالثة من القدم الأخرى له ، عوضا عن الأصبع الوسطى في مشط اليد ، واستبعد استعمال الأصبع الأولى من مشط القدم في عملية الاستعاضة ، لأن غيابه يعيق بدرجة كبيرة قيام قدم المصاب بوظائفها الطبيعية . ولقد قام أولئك الأطباء بتثبيت أحد الأصابع المنقولة من القدم إلى امتداد عظم الزند في اليد ، كما ثبت أصبع القدم الثانية بامتداد عظم الكبرة ، ثم خيطت الأربطة العضلية في تلك الأصابع المزروعة بالجزء المتبقي منها في اليد ، ثم أجريت عملية توصيل الأوعية الدموية للأصابع المزروعة في مكانها الجديد ، واستعملت عند الضرورة طعوم جلدية ، ذات ثخانة جزئية ، مأخوذة من جسم المصاب نفسه ، في تغطية المناطق المكشوفة التي أجريت فيها هذه الجراحة الدقيقة ، ولقد ثبتت أصابع القدم المزروعة في وضع متقابل على اليد اليمنى للمصاب ، لتوفير أداة مسك قوية له ، واختيرت عملية زرع عظام مشط القدم في وضع متواز لسببين .

الأول : أن مدى التحرك الطبيعي لأصابع القدم ضيق

الثاني : ضرورة وجود منطقة من الأنسجة الطرية بين المفاصل المشطية السلامية في أصبع القدم المحتوية على رباط .

ونجحت مثل هذه العملية الترميمية في زرع أصبعين في اليد اليمنى لمصاب ، وساعدته على القيام بأعماله اليومية البسيطة ، مثل مسك الأشياء الصغيرة ، كالنقود وغيرها .

نقل مفاصل بين عظمين

كما نجح الجراحون حديثا في نقل مفصل صغير ، بما يحتويه من أوعية دموية وأعصاب ، إلى كف يد مصاب ، سواء كان ذلك المفصل سلاميا ، أو واقعا بين سلاميتين طرفيتين في القدم ، وتمكن المرضى الذين عانوا من تشوهات خلقية في المفاصل ، أو عيوب حدثت فيها نتيجة للإصابات العارضة ، بعد إجراء تلك الجراحة ، من استعادة الوظائف الطبيعية للمفصل المنقول . ولقد أثار النجاح المتكرر لهذه العملية طموح الأطباء ، للتوسع في استخدام جراحة الترميم في نقل الأنسجة الحية من مكان إلى آخر في جسم الإنسان . □

● ماذا تعرف عن البكتيريا ؟



ليست كل أنواع البكتيريا ضارة ، بل إننا لا نستطيع الحياة بغير معونة بعضها ، فهناك البكتيريا التي تساعد النبات على النمو والنضج ، وهناك البكتيريا التي تحيا في التربة ، وتعمل على استصلاحها ، والبكتيريا في الجهاز الهضمي للبقرة ، مثلا ، هي التي تعاونها على هضم الحشائش التي تأكلها في غذائها .
أيضا هناك البكتيريا التي تقوم بتحويل الحليب إلى روب ولبن وجبن .

الشارع القديم



شعر : علي عبد الفتاح عيسى*

هنالك خلف الغيم وشته بهجة | وغطت حواشيه الملاحة والعُجبُ
ومدّت عليه الأغنياتُ ظلالها | وحفّت به الأشواقُ والزهرُ والحبُّ
وقبّلت الأشجارُ وجنةَ دُوره | وفي قدميه صفّق الماءُ والعُشْبُ
وضمته أشواق كثار ولهفة | وماجت به الأحلام والأمل الرحبُ

★ ★ ★

عبرت به يوما ، فأجهش منزل | وأومأت الشرفات ، واستعبر الدربُ
ونادتني الذكرى ، وشدت على يدي | وفاض على أهدابها الشوق والعتبُ
وهزت بقلبي طيف ماضٍ وأيقظت | بقية آمال على خاطري تحبُو
تطوّفُ حولي ضارعاتٍ ، وتنثني | تعانق شوقا من مآقيّ ينصبُّ

★ ★ ★

هنا بعض عمري ، بعض أيامي التي | تعيش بأعماقي وتحضنها الهُدْبُ
هنا ذكرياتي حينما كنت يافعا | أُخطّطُ للأقدار ما يرسم القلبُ
أفاقت على شدوي الغريب ببابها | وأصغتْ لي الأقمار والبدر والشهبُ
وأرختْ على فجري غمائم وُدّها | ولوّن أحلامي بأفراحه القُربُ

★ ★ ★

هنا حيث كنا نصنع الفجر وارفاً | فينجاب عن آفاقنا الغيم والسحبُ
ونرسم وجه الصبح في شرفاتنا | فيكسو المرائي حولنا ضوؤه العذبُ
ونمشي فتنساب المروج أمامَنا | ويمتد حقل من أغاني الهوى خصبُ
يحيط بنا من نشوة الزهر موكبٌ | ويخضرُّ أُفقٌ بين أحداقِنا رَحْبُ

★ ★ ★

لقد عُدْتُ لكنْ لم يعُدْ في مواكبي | حنينُ المرايا ، والأناشيدُ والصَّحْبُ
وسرت غريب الذكريات يلوكُني | هتافٌ من الماضي ، ويُنْكِرُني الدُّرْبُ
أنا ياليالي الشدو طير مفزَّعٌ | أحاطَتْ به الأنواءُ والليلُ والغيهبُ
ففنّى ، وهل يجدي الغناء مُضيَّعاً | إذا ضل حاديه ، وقد فَصَلَ الرَّكْبُ ؟

* شاعر من القطر العربي المصري .



بقلم : محمود المراغي

السنوات العجاف

إنها سبع سنوات عجاف !

هكذا تقول أرقام الجامعة العربية عن الأحوال المالية للوطن العربي في سنواته الممتدة من عام ١٩٨١ وحتى عام ١٩٨٧ . وقد استمر الحال على ما هو عليه مع قليل من التحسن في بقية سنوات حقبة الثمانينيات .

بين عامي (١٩٨١) و (١٩٨٧) انخفضت ايرادات النفط إلى أقل من الثلث ، كانت (١٨١) مليار دولار فأصبحت (٤٧) ملياراً ، ومعها انخفضت موارد الحكومات إلى أقل من النصف ، وتراجعت النفقات العامة.

جيوب الحكومات

في عام (١٩٨١) خرج من جيوب الحكومات العربية (١٩٣,٢) مليار دولار ، وفي عام (١٩٨٧) انكمش الرقم إلى (١٥٥,٥) ملياراً .

المعادلة ليست سهلة ، فكيف ينكمش إنفاق حكومي بعد أن يزدادهويعد أن يصبح التزاما في مجال الأجور والخدمات والاستثمار على السواء ؟ كيف تنفق « حكومة ما » نصف ما كانت تنفقه بعد أن استخدمت موظفين وفتحت مشروعات ، ومدت شبكة الخدمات ، وزادت التزاماتها ؟

ويبدو أن هذه المعضلة قد واجهت مختلف الحكومات العربية نفطية وغير نفطية . ويبدو أن أنماط الانفاق التي تم رسمها في السبعينيات كان من الصعب التراجع عنها ، فتراجعت النفقات بنسبة أقل من تراجع الايرادات .

بالطبع كان معنى ذلك : تزايد العجز .

وكان معناه : اللجوء إلى القروض الداخلية والخارجية في معظم الأحوال ، أو السحب من الأرصدة القديمة في القليل من الأحوال لدى الدول التي توافرت لها مثل هذه الأرصدة .

ومع ذلك فلم يكن ذلك أهم ما تحمله الأرقام من معنى ، بل كان الأهم سقوط الكثير من المسلمات والبديهيات والقواعد المتعارف عليها .

كانت القاعدة التي يدرسها طلاب علم المالية العامة أنه بقدر الموارد تكون النفقات ، وأن كلمة « الميزانية » و « الموازنة » قد جرى اشتقاقهما من هذه العملية الحسابية التي يجري فيها موازنة الايراد بالمنصرف ، كأي « ست بيت » لا تستطيع أن يتجاوز انفاقها ما يدخل جيبها .

لكن في الثمانينيات ضربت الحكومات العربية بهذه القاعده عرض الحائط . فأصبح العجز في معظم الأقطار عجزاً مزمناً ، وأصبح الاقتراض ونقل العبء لأجيال وسنوات مقبلة قاعدة معمولاً بها ، وكلما أتى موعد سداد الديون جرى ترحيلها إلى ميسرة .

كان ذلك جانبا ماليا واختيارا سياسيا واجتماعياً في الوقت نفسه ، لكنه لم يكن الاختيار الوحيد ، بل لم تكن « قاعدة الموازنة » هي القاعدة الوحيدة التي تمت الاطاحة بها .

كنا نقول إن الحكومة التي تأخذ بالنظام الاشتراكي أو الاقتصاد الموجه أكثر تدخلا في الاقتصاد ، وأكثر تأثيرا على مسارات الدخل والانفاق من تلك الحكومة التي تؤمن بالحرية الاقتصادية .

كان ذلك هو الشائع ، لكن ما جرى في الوطن العربي خلال الثمانينيات ـ وقبله في السبعينيات ـ يقلب هذه المفاهيم .

طبقا لأرقام التقرير الاقتصادي العربي الموحد سنة (١٩٨٨) فقد تزايد دور الحكومات العربية في الحياة الاقتصادية . كانت النفقات العامة تمثل ٤٥٪ على وجه التقريب من الناتج المحلي الاجمالي للوطن العربي فأصبحت النسبة عام (١٩٨٧) ٥٢٪ ، أي أن معظم الدخل قد أصبح يمر بأيدي الحكومات ، وأصبح معظم التصرف موكولا لهذه الحكومات التي بات دورها يفوق ـ وبالأرقام ـ دور الأفراد . تستوي في ذلك حكومات الاقتصاد الحر والاقتصاد الموجه .

بالأرقام ـ في عام ١٩٨٧ ـ كانت نسبة النفقات العامة للناتج المحلي الاجمالي : ٦٤٪ في كل من قطر والكويت ، و ٥٧٪ تقريبا في السعودية و ٥٤٪ في سلطنة عمان ، و ٨٢٪ في اليمن الجنوبي و ٥٣٪ في الاردن ، وكانت الحكومة اللبنانية حالة استثنائية فأنفقت ٢٥١٪ من دخلها خلال هذا العام .

وباختصار : لقد اقترب انفاق الحكومات النفطية من نصف الناتج المحلي ، وفاق انفاق الحكومات غير النفطية النصف بمقدار (٧ ٪) .

استثناء من ذلك ، تأتي الصومال حيث لا تنفق حكومتها أكثر من (١١ ٪) من الناتج ، وموريتانيا (٢٣ ٪) تقريبا ، والمغرب التي تقل مساهمة حكومتها في انفاق الناتج عن ٣٠٪ .

وبصرف النظر عن الاستثناءات فالحالة العامة : دور أكبر للحكومات . . نفطية وغير نفطية ، اشتراكية ورأسمالية .

إنه التكريس لظاهرة الدولة في حياة المجتمع ، وبصرف النظر عن النظم السياسية .

أين تذهب الأموال ؟

وحين نطرح السؤال حول مسارات الانفاق تتضح الحقيقة الثانية ، وهي أن كل الدول ـ اشتراكية ورأسمالية ـ تضع على عاتقها التزاما قويا بتقديم الخدمات للمواطنين ، حتى بلغ الانفاق على الخدمات العامة والاجتماعية عام ١٩٨٧ نصف الناتج المحلي ، بينما احتلت نفقات الأمن والدفاع ٢٧٪ ، واحتلت الشؤون الاقتصادية وغيرها أقل من ربع الانفاق . وكان الاستثناء في دول ارتفعت فيها نفقات الأمن والدفاع مثل سوريا التي احتلت فيها هذه النفقات حوالي (٥٥ ٪) من مجموع الانفاق . وسلطنة عمان التي تقترب فيها النسبة من نصف الانفاق ، والامارات والاردن ٤٢٪ و ٤٣٪ على التوالي .

وهكذا تسقط قاعدة أخرى تقول : إن الدول الاشتراكية أو ذات الاقتصاد الموجه أكثر التزاما بالخدمات العامة والاجتماعية . لقد سقطت القاعدة لأسباب مالية وليست ايديولوجية ، فدولة الرفاهية كانت أكثر قدرة ، والأرقام تقول : إن نصيب الفرد من النفقات العامة في الدول النفطية كان ٣٠ ٣٩ دولاراً في العام سنة ١٩٨٠ ، فتراجع الى (٢٣٧٢) دولاراً عام ١٩٨٧ ، لكن المتوسط في ذلك العام الأخير لم يتجاوز (٣٥٣) دولاراً في احد عشر قطرا عربيا لا تنتج النفط .

وبعيداً عن المتوسط العام يرتفع متوسط نصيب الفرد من نفقات الحكومة إلى (٩٤٨١) دولاراً في قطر ، ويهبط إلى (٣٥) دولاراً في الصومال و (٧٠) دولاراً في لبنان و (٨٦) دولاراً في السودان .

لقد كانت الثمانينيات هي السنوات العجاف التي تراجع فيها مجموع الايراد والانفاق على المستوى العربي . وسجلت دول النفط تراجعا شديداً بينما تزايد إنفاق الآخرين ، ولكن بقي البون شاسعاً بين المجموعتين . □

واحة العربي

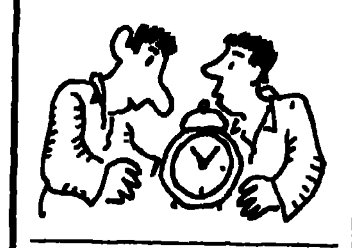
في الصميم

● إذا أردت أن يُحفظ سرك فلماذا لا تحفظه أنت ؟

« مثل ايطالي »

● تقول المصفاة للابرة : إن فيك ثقباً .

« مثل هندي »



ساعة

● تعطلت ساعة خياط يوماً ، فحملها إلى «الساعاتي» لإصلاحها فأخذ «الساعاتي» يتفحصها بمنظاره ، ثم قال للخياط :

- إن إصلاحها يكلفك ريالاً ونصف ريال .

ولما كان الخياط قد اشتراها بريال واحد فقط قال « للساعاتي » :

- حسناً ، أصلحها وخذها ، ويبقى لك بذمتي نصف ريال .



قاموس الظرفاء

● الضمير : هو ما يجعل المرء يعترف بسوء أفعاله قبل أن يسبقه الآخرون إلى ذلك .

● القلق : كرسي هزاز ، يتيح لك أن تفعل شيئاً ، لكنه لا يوصلك إلى أي مكان .

● المشاعر المتناقضة : حماتك على حافة منحدر صخري داخل سيارتك الجديدة .

□□□

سيدة في المحكمة

● تقدمت سيدة إلى المحكمة لأداء الشهادة ، فسألها الرئيس عن عمرها ، فظهر الارتباك على وجهها ، ولزمت الصمت طويلا ، فقال لها :

- من الأفضل ألّا تتمهلي كثيراً ، لأن الوقت الذي تضيعينه قد يزيد خطورة الجواب .

□□□

رقيق

الأول : ياله من جدار رقيق ، يمكنك أن تنظر من خلاله .

الثاني : ولكنه نافذة .

بسرعة

الطبيب للمريض : مفعول هذا الدواء قوي جداً ، ولكي تستطيع أن تتناوله يجب أن تكون بصحة جيدة .

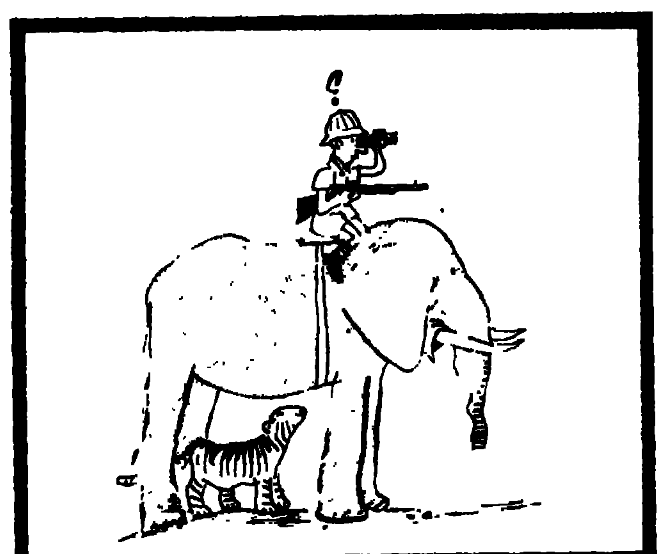
غريب جداً

كان المطر يتساقط بكثرة خارج القصر الانجليزي القديم النائي ، والرياح تصفر ، ونباح كلب يتصاعد من بعيد منذراً بالشؤم . ووقف الخادم المخلص الأمين مصعوقاً من الخوف ، وبيده الشمعدان ليدل الضيف على حجرته لقضاء ليلته . وسرت عدوى الخوف إلى الضيف المسكين ، فسأل الخادم بقلق ظاهر : هل حدث شيء غريب في هذه الغرفة ؟

فأجابه الخادم : لم يحدث شيء غريب منذ أربعين سنة ياسيدي . فتنهد الضيف المذكور ، وتنفس الصعداء ، لكنه ما لبث أن طرح سؤالاً جديداً على الخادم :

ـ ولكن ماذا حدث منذ أربعين سنة ؟

ـ شيء غريب جداً ياسيدي ، فالرجل الذي قضى ليلته في هذه الغرفة وجد في صبيحة اليوم التالي حياً يرزق .



هل هو مشغول ؟

● كان الشاعر الانجليزي السير أوسبرت سيتويل في مكتبه منهمكاً في وضع كتاب جديد له ، عندما طرق سمعه هذا الحوار بين خادمين خارج غرفته :

ـ هل هو مشغول ؟

ـ لا ، إنه يكتب .

□□□

سريع جداً

● عرف عن الروائي « البوليسي » الإنجليزي إدغار والاس أنه كان سريعاً في الكتابة ، حتى أنه كان يعتقد أن بضع ساعات تكفي لكتابة رواية « بوليسية » كاملة . وذات يوم رن جرس الهاتف ، وكان المتحدث صديقاً له ، فقالت له الخادمة :

ـ لا يمكنني إزعاج سيدي ، فقد بدأ قبل لحظات بكتابة رواية جديدة .

فقال المتحدث :

لا بأس ، سأنتظره حتى يفرغ منها .

□□□

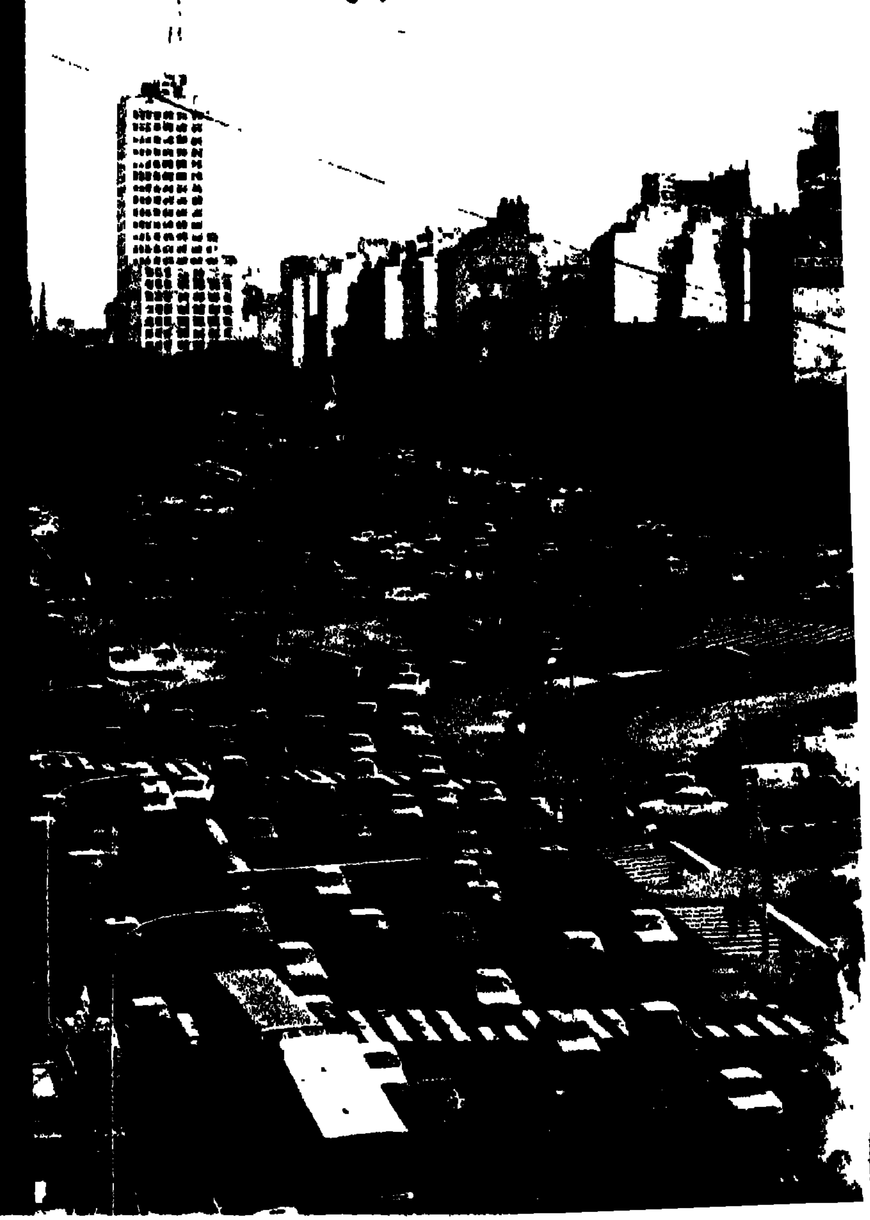
الكذب

● عوتب أحد الأعراب على الكذب ، فقال للذي عاتبه : والله لو غرغرت به لهاتك ما صبرت عليه .


العربي
عيونك
على العالم

الأرجنتين

حافة الكون الفضية !





عند وصولك إلى الأرجنتين تكون قد عبرت الحدود الأخيرة إلى حافة العالم الجنوبية ؛ فالأرجنتين هي الأرض الأخيرة التي تفصل عالمنا عن القارة المتجمدة الجنوبية . ولكن قبل أن تمضي إلى حافة الأرض تلك عليك أن تعبر المدار ، فالأرجنتين هي تلك المساحة بين المدار والقطب الجنوبي ، وهي مساحة هائلة على أي حال ، إذ أنها تعادل مجموع مساحة ١٢ بلدا أوروبيا هي : اسبانيا والبرتغال وفرنسا وايطاليا وبريطانيا والمانيا الاتحادية والنمسا وبلجيكا وهولندا والنرويج وفنلندا وسويسرا .

ومع أننا كعرب ننتمي إلى ما يعرف بدول الجنوب فإننا أتينا إلى الأرجنتين من الشمال ، فكل بلاد العالم بالنسبة للأرجنتين شمال ، حتى نحن الجنوبيين جغرافيا وسياسيا .

وابتسمنا - زميلي المصور وأنا - لهذه الأفكار الطريفة التي كنا نتسلى بها طوال طريق السفر الطويلة ، ولم ننته منها إلا في مطار « بوينوس آيريس » الدولي الذي غص بالقادمين لاستقبال الأهل والأقارب والأصدقاء .

في طريق الخروج من المطار إلى العاصمة مررنا بسيدتين ، تجاوزتا مرحلة الشباب ، لكنهما لم تدخلا مرحلة الشيخوخة ، وقد ارتديتا ملابس متشابهة في اللون والتصميم . وصففتا شعرهما بطريقتين متماثلتين ، ووضعت كل منهما نظارة سوداء ، ثبتت فوق تقاطيع وجهها الصارمة . كانت السيدتان تبذلان محاولات جاهدة لإيقاف سيارة أجرة تقلهما إلى « بوينوس آيريس » . واسترعى انتباهنا منظرهما الذي جعلهما أشبه بثنائي فني ، يؤدي دورا أمام جمهور لم ينقطع عن التحديق فيهما ، ولم يشذ عن ذلك سائقنا الذي هز رأسه بسخرية وقال : لن تقف لهما أي سيارة .

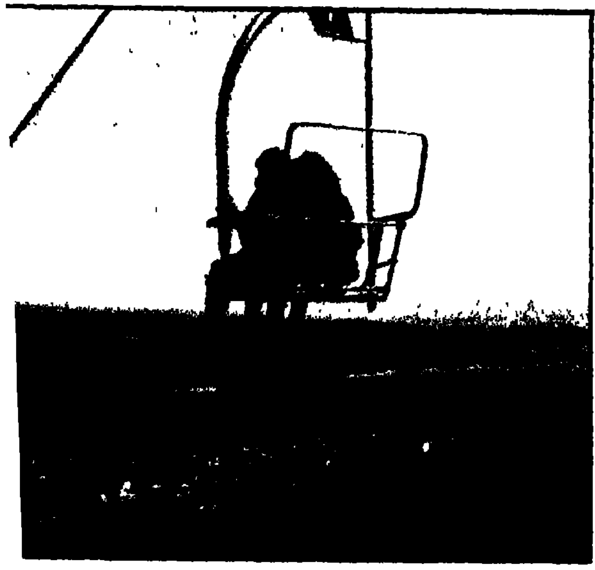
استفسرنا عن السبب فأجاب :

أولا : لأنهما تقفان على الجانب الخطأ من الطريق ، وثانيا لأنهما تحاولان إيقاف سيارة في مكان يحمل إشارة « ممنوع الوقوف » .

وضحكنا والسيارة تعبر البساتين والغابات التي اختفى تحت أشجارها كثير من العشاق ، وقليل من العائلات ، حتى وصلنا إلى الهواء العليل ، أو « بوينوس آيريس » ، فهذا ما يعنيه اسم العاصمة الأرجنتينية بالأسبانية ، لغة البلاد الرسمية ، وهذا هو لفظها الدقيق .

أرض الفضة

خورخي لوي بورخيس ، كاتب الأرجنتين وشاعرها العظيم الذي توفي منذ سنوات قليلة ، قال عن مدينته : « لا أكاد أصدق أن « بوينوس آيريس » قد ولدت في زمن ما ، فهي بالنسبة لي أزلية ، مثل الهواء والماء » . وعلى الرغم من جمال الفكرة وشاعريتها فإن « بوينوس آيريس » قد ولدت ، وتاريخ ميلادها يعود إلى عام ١٥٨٠ ، حين تحطمت سفينة بعض المستوطنين الأسبان ، قرب نهر ، ظنوه بحرا لاتساعه الهائل الذي يزيد عن ٢٥٠ كم ، إلا أنهم عرفوا حقيقة النهر العظيم حين اكتشفوا عذوبة مياهه الفضية ، فأطلقوا عليه اسم (ريو ديل بلاتا) ؛ أي النهر



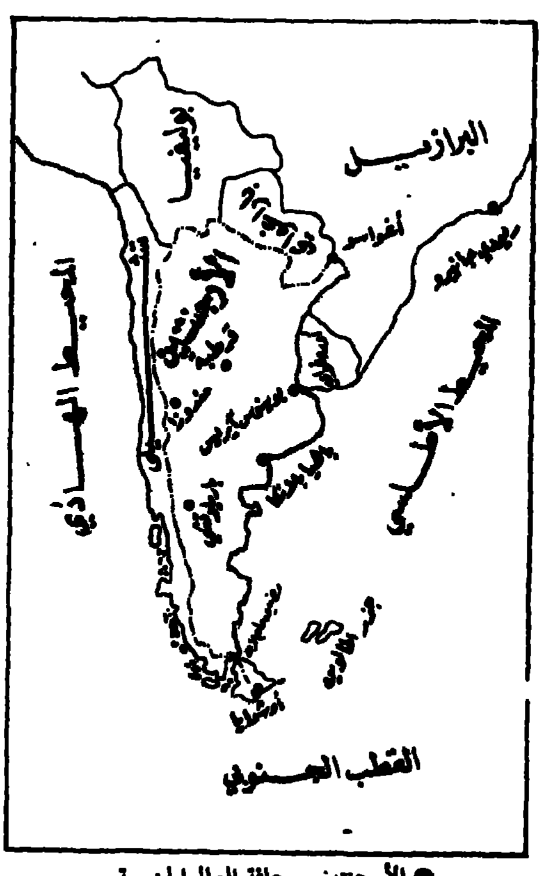
● لقطة من أعلى الجبل لمدينة كارلوس باس

الفضي الذي يعد أعرض نهر في العالم . وأطلقوا على تلك البلاد اسم « بلا تنزي » ، نسبة إلى النهر الفضي ، فكلمة بلاتا تعني بالأسبانية المحكية : الفضة .

وقد أعطى سكان البلاد الأصليون هؤلاء التعساء الذين فقدوا سفينتهم بعض الأواني الفضية ، فعادوا إلى أسبانيا يتحدثون عن جبال من الفضة في تلك البلاد . أما كلمة الأرجنتين فإنها تعني : الفضة باللغة اللاتينية . وهكذا فإن الأرجنتين هي أرض الفضة بالعامية الأسبانية ، والفصحى اللاتينية .

ومضينا نحو « الهواء العليل » . « بوينوس آيريس » مثل كل المدن التي بناها المستوطنون الأسبان أخذت شكل رقعة الشطرنج ، حيث الشوارع المتعامدة تترك رقعا مربعة . قامت عليها البنايات السكنية والتجارية ، أو أنها خلت من البنايات ، فبقيت ساحات ، ارتفعت عليها التماثيل وسط الأشجار والزهور ، والمساحات الخضراء تتنفس منها المدينة الواسعة . وقد صممت المدينة القديمة ـ وهي الجزء الذي أصبح الآن وسط المدينة ـ بحيث تتوازى فوق جسدها الكبير أربعة شوارع صغيرة يتلوها شارع عريض ، فأربعة شوارع صغيرة أخرى ، وآخر عريض . . وهكذا . لذا فعندما تسأل أحداً عن مكان ما ، يجيبك : « إنه يبعد عنا ثلاثة شوارع ، أو خمسة ، أو عشرين شارعاً » . وهكذا . وفي وسط المدينة تعامدت الشوارع الصغيرة والعريضة مع شارع عملاق ، هو شارع ٩ يوليو ، ولعله أعرض شارع في العالم . إذ يبلغ عرضه ١٤٤ مترا ، وتتوسطه مسلة ضخمة ، بنيت من الحجر الأبيض ، فأصبحت مع الشارع الهائل رمز بوينوس آيريس .

وفي فندق يطل على الشارع والمسلة كانت إقامتنا في المدينة التي اكتشفنا أنها لا تنام ، وإن نامت فإن عيونها تظل مفتوحة ، تراقب الساهرين على أرصفة شوارعها التي ازدحمت



● الأرجنتين ، حافة العالم الجنوبية

بالمقاهي والمطاعم والمحلات التجارية والمسارح ، وأماكن اللهو ودور السينما ، وانتشرت فيها الفرق الموسيقية الصغيرة ، وأصبحت مسرحا للمهرجين والمغنين وممارسي ألعاب خفة اليد ، وبعض السحرة والمشعوذين ، ممن يملأون شوارع وسط المدينة . وقد ساعد على ذلك قانون يمنع دخول السيارات إلى هذه المنطقة ، ويستثنى من ذلك سيارات الأجرة التي يسمح لها بالدخول إلى بعضها ، فتبقى الشوارع المتعامدة مكانا لكل هؤلاء ولغيرهم ، ليقدموا بالمجان فنونهم التي رأينا أن مستواها لا يقل عما يشاهده الزائر في بعض المسارح الشهيرة ، ويرجح كفتها بالطبع قدرة المشاهد الجوال على مغادرة العرض في أي وقت يريد ، والانتقال إلى عرض آخر من العروض العديدة المنتشرة في شوارع المشاة تلك .



● ريكوليتا ، حي الأثرياء في العاصمة

وصل وفصل

بدأنا جولتنا وبنا فضول النظرة الأولى التي ترى وتراقب وتتفحص ، الناس والشوارع والأبنية والمحلات التجارية . ونستمع للأغنيات والأصوات الموسيقية وغير الموسيقية التي انبعثت من شوارع المدينة .

جماعات لا تنتهي من الناس ، شبان وفتيات وعجائز وكهول ورجال في مقتبل أعمارهم . لا شيء يميزهم كشعب من حيث المظهر الخارجي ، فهناك الملامح الأوربية ، وهي الغالبة ، وهناك الملامح الافريقية والآسيوية والشرق أوسطية ، وأشكال قريبة الشبة بالجنس المغولي ، وهو جنس سكان البلاد الأصليين الذين حملوا اسم الهنود الحمر . ونستمر في التحديق ، ويستمر نهر الرجال والنساء الجارف في التدفق ، رجال ونساء شقر وسمر وصفر وبعض السود ، رجال ونساء قصار وطوال ومتوسطون ومربوعو القامات ، لا يغلب على أشكالهم طابع معين ، طابعهم الاختلاف ، وميزتهم التنوع ، تماما مثل الأبنية التي امتزج فيها المعمار الفرنسي بالأسباني والايطالي والكولونيالي . نموذج فريد للمدينة (الكوسموبوليتية) التي لا تنتمي إلى ثقافة أو عرق أو أمة بعينها ، بل هي مدينة صنعها العالم أجمع ، ثم تركها تنسج ثقافتها وفنها ومعمارها وأدبها وتاريخها .

ومع ذلك فإن الشكل الأوربي هو الغالب على شعب الأرجنتين ، إذ أن أكبر جاليتين هناك هما الأسبانية والايطالية اللتان تتساويان في العدد تقريبا ، تليهما الجالية العربية الآتية من سوريا ولبنان أساسا ، ثم الجالية اليهودية التي تعد الأكبر والأقوى نفوذا في بلدان أمريكا الجنوبية



كلها ، ويأتي بعد ذلك خليط من كل شعوب الأرض .

من بين الشوارع العريضة التي تخترق جسد المدينة شارع مايو الذي يقوم بمهمتي الوصل والفصل في آن واحد ، فهو يصل بين أهم ساحتين في العاصمة ، هما ساحة مايو ، وساحة الكونغرس ، وفي الوقت نفسه يفصل أحياء الأغنياء عن أحياء الفقراء ، مما سهل علينا مهمة التعرف على المدينة التي يسكنها نحو ١٣ مليونا ؛ أي ما يقرب من نصف سكان الأرجنتين الذين يزيدون قليلا عن ثلاثين مليونا . وتأتي أهمية الساحتين من ارتباطهما الوثيق بتاريخ الأرجنتين ، فساحة الكونغرس تمثل تحول الأرجنتين إلى دولة مؤسسات ، أما ساحة مايو فقد سميت كذلك نسبة إلى ٢٥ مايو ١٨١٠ حين التقت في ثكنة (كابيلدو) - القائمة حتى الآن بطرف الساحة - مجموعة من القادة الأرجنتينيين وأعلنت الثورة على الحكم الأسباني ممثلا بنائب الملك هناك . ومنذ ذلك التاريخ بدأت حرب الاستقلال الأرجنتينية التي استمرت حتى ٩ يوليو ١٨١٦ الذي يحتفل به يوما للاستقلال .

أما مهمة الفصل التي يقوم بها شارع مايو فهي بين أحياء الأغنياء وأحياء الفقراء ،وهذا الفصل ليس اجتماعيا فقط ، بل يشمل المعمار والثقافة والفن أيضاً .

في أحياء الفقراء

ودون انتظار طويل حزمنا أمرنا وبدأنا جولتنا في سان تلمو هو أشهر أحياء الفقراء ، وهو حي يغلب على أبنيته الطراز الكولونيالي ، بغرفه الواسعة ، وأعمدته وبواباته الكبيرة نسبيا ، وبالعدد القليل لطوابقه . وهو من أقدم أحياء بوينوس آيريس . ومنه كانت بداية جولتنا . كان ذلك يوم أحد مشمسا ، ينذر بقدوم صيف حار ، فمن المعروف أن صيف الجزء الجنوبي من العالم يأتي في أشهر الشتاء عندنا ، لذا فالحرارة تصل ذروتها في أشهر ديسمبر ويناير وفبراير .

بدت لنا حركة المرور في سان تلمو هادئة ، لكن أعداد المارة أخذت في الازدياد كلما اقتربنا من منعطف يقود إلى شارع يفضي إلى ساحة صغيرة غصت بكل شيء : بالناس والعربات والبضائع والمظلات التي تقي الباعة والشارين حر الشمس التي توسطت السماء . وبجولة لم تخل من صعوبة بسبب الازدحام الكبير اكتشفنا أن كل شيء يمكن أن يعرض للبيع في هذا السوق العجيب ، المصنوعات النحاسية والجلدية والتحف الأثرية والمصنوعات النسيجية والقلائد والخناجر والسيوف والأواني،

اسطوانات وكتب قديمة وآلات خياطة وسروج ومهاميز ولوحات قديمة . ولفت نظري بائع يحتفظ بآثار هيبة قديمة بشاربه المفتول ووجهه



● شوارع بوينوس آيريس تتحول مساء إلى مسرح مفتوح للفرق الموسيقية

الصارم النظرات ، وقد جلس يبيع أوسمة ارتاحت بجلال فوق قطعة قماش سوداء . لقد انتهى زمن المجد ، فما نفع الأوسمة ؟ .

وفي أحد أركان السوق المكتظ تحلق رجال ونساء عجائز حول ثلاثة رجال ، لا يقلون عنهم عمراً ، حمل كل منهم آلة موسيقية ، وأخذوا يعزفون عليها . وفي الحلقة الضيقة رقص عجوزان على صوت مغن هرم ، أمام متفرجين عجائز ، شاركوهم لحظة استعادة جزء من الماضي القديم الجميل ، أومتفرجين صغار وقفوا ينظرون بفضول للمشهد القديم يبعث من جديد ، فاستدعى بعض ضحكاتهم الساخرة .

وعلى بعد عدة شوارع من سان تلمو ، وبجانب البحر الذي هو نهر (ريوديل بلاتا) ، يقوم حي شهير آخر ، اسمه لابوكا ، وهي كلمة تعني باللغة الايطالية الفم ، ويقصد به فم البحر أو النهر ، حيث يقع الحي . لابوكا حي يعلن اختلافه من النظرة الأولى ، فواجهات منازله التي بنيت دون تخطيط صنعت من أسمنت وخشب وصفيح وحديد ، وصبغت بألوان فاقعة غريبة ؛ زرقاء وحمراء وخضراء وبنفسجية وبرتقالية توهجت في شمس صيفهم الشاذ ، لتعطي الزائر شعورا بخصوصية شديدة في المسألة . ببساطة كان هذا هو المكان الذي اختاره المهاجرون الايطاليون لسكنهم عندما قدموا إلى الأرجنتين عبر الأطلسي قبل نحو ثلاثة قرون . ولأن المهاجرين الايطاليين كانوا فقراء معدمين فقد بادروا إلى انتزاع القطع الخشبية والحديدية من سفنهم ، ليصنعوا منها منازل لهم ، يأوون إليها عند فم النهر الكبير . ولم يبال المهاجرون



● ساحة مايو أهم ساحات العاصمة

الفقراء بتلك الأشكال الغريبة والألوان المتنافرة التي بدت عليها منازلهم . ومع الزمن تحولت هذه الأشكال غير المتظمة والألوان الفاقعة المتنافرة إلى طابع مميز لهذا الحي الذي لم يمنع الفقر سكانه من الرقص والغناء والتمتع بالحياة الفانية ، فتحول إلى مكان يقصده الناس لمشاهدة الراقصين والراقصات ، وقد ملأوا الشوارع الفقيرة ، مما جعله موطنا للفنون ؛ فمنه خرجت أجمل أغاني التانغو ورقصاته ، ومنه خرج أشهر المغنين والراقصين والموسيقيين . وحتى بعد أن تحسنت أحوال الكثيرين من سكان الحي ، ظل هؤلاء محافظين على ذكريات أيام فقرهم البعيدة ، فحافظوا على الألوان الفاقعة والمواد الغريبة التي صنعوا منها منازلهم ، وأصبح هذا الحي محجا للسياح ، وأقفل أحد الشوارع فيه أمام السيارات ، وخصص للمشاة ، وحمل اسم « كامينيتو » وهو اسم واحد من أشهر راقصي التانغو في الأرجنتين . وتحول هذا الشارع الذي امتد بين الأبنية ذات الألوان المتنافرة إلى شارع للفنانين التشكيليين والنحاتين ورسامي الكاريكاتير ، يعرضون فيه أعمالهم ومواهبهم أمام المتفرجين . ولا بأس أن اشترى هؤلاء شيئا !

وعلى مقربة من هذا الشارع قام « استاد » ضخم تقام فيه مباريات كرة القدم التي تشتهر بها الأرجنتين . وفي فسحة صغيرة ، بجانب هذا الملعب ، كان بعض الأطفال يلعبون كرة القدم بهمة ونشاط مستعجلين الزمن لكي يكبروا ، فلعل أحدهم يصبح نجما شهيرا من نجوم الكرة ، فمن هنا تخرج بعض أشهر لاعبي كرة القدم في التاريخ ، ومن بينهم لاعب تحول الى ما يشبه الأسطورة الرياضية اسمه دييغو مارادونا

وقفنا في شارع كامينيتو نشاهد اللوحات المعروضة على الجانبين ، ونسترق النظر بين آن وآخر إلى بعض الأطفال الذين انهمكوا في مباراة حامية بكرة القدم ، في فسحة على الطرف الآخر من الشارع ، وفجأة صدرت صرخة مكتومة عن امرأة وقفت إلى جوارنا فاجأتها الكرة التي ركلها أحد اللاعبين الصغار فعبرت الشارع وأصابت المرأة التي كانت تتأمل بإعجاب مصطنع من خلف نظاراتها السوداء وبتقاطيعها المتجهمة ، إحدى اللوحات المعروضة في شارع الفن . كانت تلك إحدى السيدتين اللتين شاهدناهما بطريق المطار ، أما الثانية فوقفت بنظارتها السوداء وملامحها التي لا تقل جدية وتجهماً تهدىء من روع صديقتها وسط ضحك مكتوم لرواد الشارع .

المرقص والمقبرة

حي الأثرياء في بوينوس آيريس هو حي ريكوليتا . شوارع عريضة تحيط بها بنايات راقية منتظمة الهندسة ، محلات تجارية تعرض الأزياء الحديثة . وعلى ركن أحد الشوارع انتشرت مقاهي الرصيف الراقية ، بزبائنها الذين ارتدوا الملابس الأنيقة ، والسيدات اللواتي تبارين في ارتداء أحدث الأزياء وأغلاها ثمنا .

وفي الداخل التفت حول المناضد العامرة بالطعام والشراب مجموعات من الرجال ذوي الياقات المنشاة ، والنساء الجميلات الأنيقات المعطرات ، يتبادلون الأحاديث والابتسامات والأنخاب ، بحركات وإيماءات محسوبة تماما . وبالقرب من هذه المقاهي والمطاعم الأنيقة الراقية انتشرت مجموعة من المراقص ، ارتفع من داخلها صوت الموسيقا الصاخبة ، وأبرقت نوافذها السميكة الزجاج بالألوان المتحولة مع تحول الأنغام الموسيقية السريعة الصاخبة في الداخل .

ومثل وسط المدينة وأحيائها الفقيرة الأخرى فإن هذا الحي لا ينام ، بل يبقى ساهرا حتى ساعات الصباح الأولى ، ولكن بطريقته الخاصة المترفة .

الطريف في الأمر أن هذا الحي الصاخب الذي يضج بالحركة ويعد مثالا لانطلاق شهوة

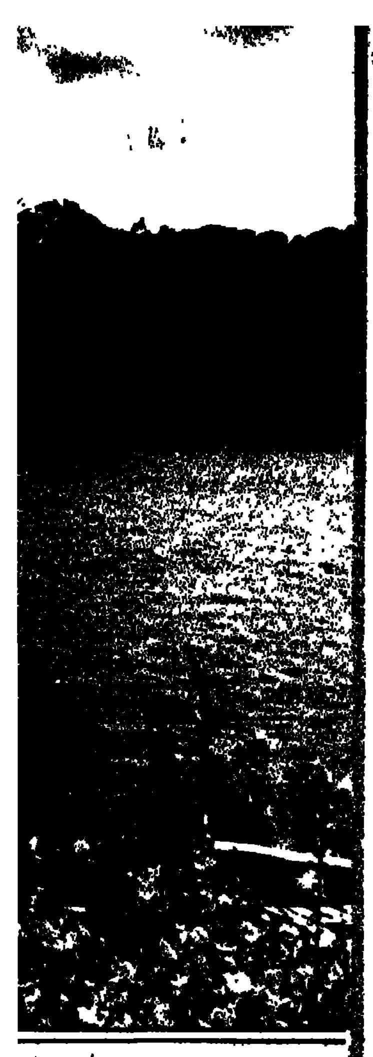
الحياة وجموحها ، لا يفصله سوى شارع فقط عن المقبرة ! نعم،ففي الشارع المقابل تقوم مقبرة ريكوليتا الشهيرة التي تضم رفات رجال الأرجنتين العظام ، ومن بينهم (إيفابيرون) ، الزوجة الشهيرة لرئيس الأرجنتين السابق ، وبطلها القومي « خوان دومنغوبيرون » ، .

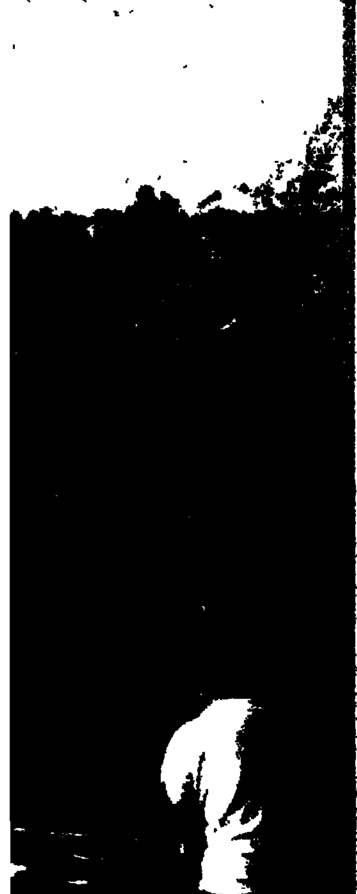
عبرنا رصيف الحياة إلى رصيف الموت ، فواجهتنا الجدران الصفراء الصارمة للمقبرة التي كتب فوق بوابتها جملة « ارقدوا بسلام » .

وفي الداخل انتصبت قبور ليست كالقبور ، قبور فوق الأرض لا تحتها ، قبور صنع بعضها من الرخام ، وبعضها من الحجر الأبيض أو البركاني ، وقليل منها من الأسمنت ، وقد اتخذت شكل منازل صغيرة من طابق أو أكثر ، تفنن في هندستها المعماريون الأرجنتينيون لتكون مثاوي للعظماء وللأثرياء. ومن الغريب أن أثرياء الأرجنتين يدفعون في بعض الأحيان مبالغ خيالية من المال لقاء مكان في هذه المقبرة الشهيرة ، وكأنهم يحاولون أن يتميزوا عن الفقراء حتى في موتهم ، فيجعلون موتهم شيئا مختلفا عن موت الفقراء الذين يدفنون في مقابر بعيدة تفتقد هذه الفخامة . لكن الموت هو الموت ، وإن اختلفت المقابر وتميزت الأضرحة .

وتعد المقبرة بطابعها الغريب أحد الأماكن السياحية الكثيرة في الأرجنتين ، فالأرجنتين بلد سياحي كما هو معروف .

لكن الأرجنتين ليست بلدا سياحيا فحسب ، بل هي بلد نصف صناعي كما توصف عادة ، فباطن الأرض الأرجنتينية مليء بخيرات لما تستخرج بعد ، من النفط الذي يكفي احتياجات البلاد ، حتى المياه المعدنية ، ومن الفضة حتى اليورانيوم الذي تملك منه واحدا من أضخم الاحتياطيات في العالم ، مرورا بعدد هائل من المعادن التي تسكن جوف الأرض البكر ، وقد وصلت الصناعة في الأرجنتين حدا متقدما بفضل هذه الثروات ، فقائمة صناعاتها





● (إلى أعلى) مشهد رائع للطبيعة الساحرة التي تميز المنطقة الجنوبية من الأرجنتين والصورة لبحيرة (ناهويل هوابي) في منطقة باريلوتشي ، وتبدو خلفها سفوح جبال الانديز .
(وإلى الأسفل) أقصى شمال الأرجنتين والصورة لنهر اغواسيو الذي يفصل حدود الأرجنتين - حيث التقطت الصورة - عن كل من البرازيل (الضفة اليسرى) وباراغواي (الضفة اليمنى)



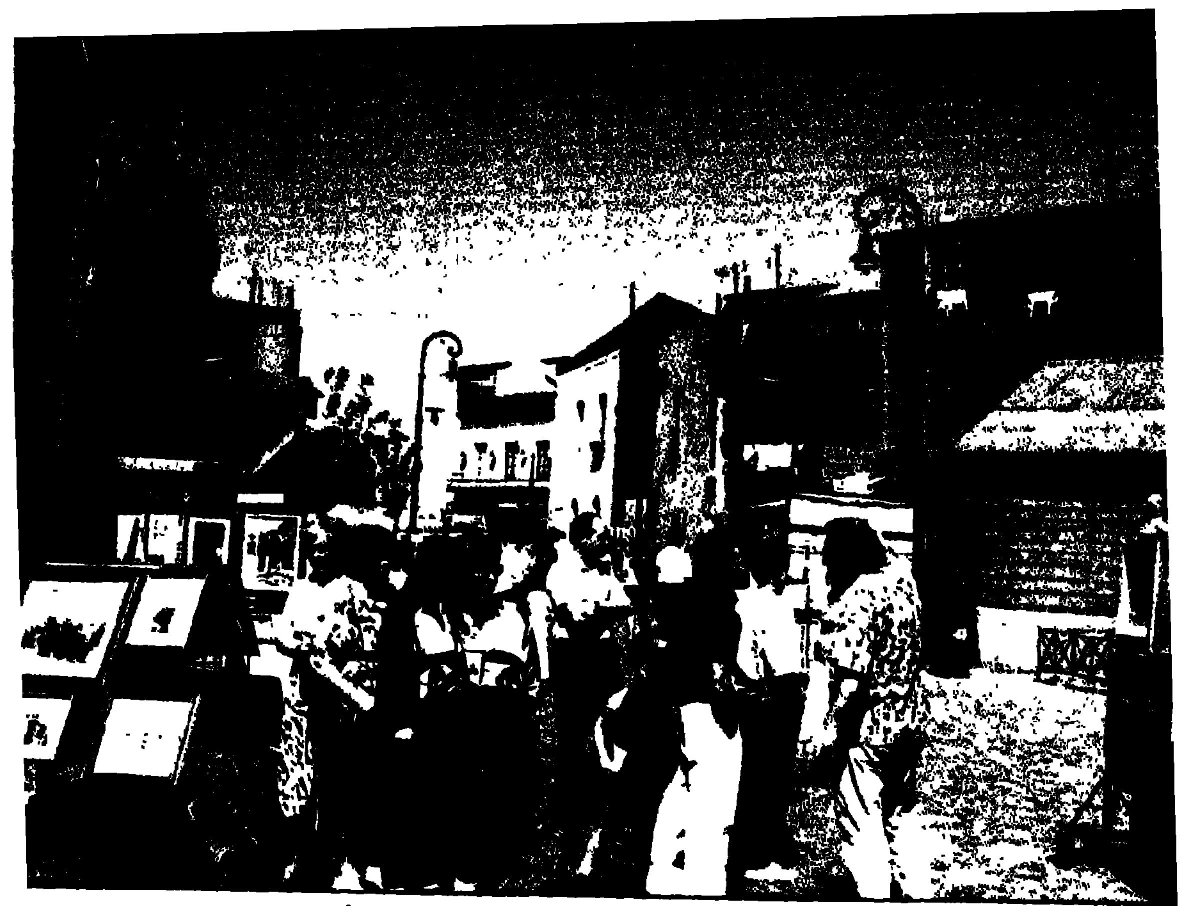
تبدأ بالصناعات الخفيفة ؛ مثل : التعليب والألبان والأسماك ، حتى الصناعات الذرية ، ومن المتوقع أن يكون في الأرجنتين ستة مفاعلات ذرية مع نهاية القرن الحالي . وتشمل القائمة أيضا صناعة المحركات والسيارات والسفن والآلات الزراعية وأجهزة الحاسوب « الكمبيوتر » وغيرها . ومع ذلك فإن التضخم المستشري في الاقتصاد الأرجنتيني ، وسياسة القروض التي اتبعتها الأرجنتين في السنوات الأخيرة ، انعكستا سلباً على الأوضاع الاقتصادية هناك ، مما جعلها واحدة من أكثر الدول المدينة في العالم ، تعبيرا عن الأزمة الاقتصادية التي تظهر على شكل اضرابات ، تنظمها نقابات العمال القوية هناك ، فالقطاع الصناعي يستوعب ٢٥٪ من السكان القادرين على العمل .

● مطرب يستعيد زمنه القديم بسوق سان تلمو

لأن الأرجنتين بلد شاسع ، مترامي الأطراف ، فقد كان علينا أن نخطط جيدا لزيارة أكثر من منطقة ، والتمتع بأكثر من لون من ألوان الجمال ، ومشاهدة أكثر من نوع من أنواع الحياة في تلك البلاد .

بدأنا بالشمال ، بمدينة بويرتواغواسيو ، تلك المدينة الصغيرة العجيبة ، الواقعة على حدود كل من البرازيل وباراغواي . ويرتبط اسم هذه المدينة الحدودية أساسا بالشلالات التي يشق هديرها سكون الغابات الكثيفة ، المحيطة بنهر اغواسيو بمياهه العظيمة . وكلمة اغواسيو تعني : الماء العظيم ، بلغة هنود الواراني الذين كانوا يسكنون المنطقة قديما ، ويتوزعون الآن بين الارجنتين وباراغواي والبرازيل .

التشكيلة اللونية في أغواسيو غاية في البساطة والثراء ، في الوقت نفسه ، فهي بسيطة لأنها تتكون من اللون الأخضر الداكن ، وهو لون الأدغال التي تمتد مئات آلاف الأميال عبر الحدود البرازيلية ، ولون التربة الأحمر بسبب درجة التأكسد العالية ، وبينهما لون الماء الذي يتردد بين الأزرق المخضر ، وبين البني حين يجرف ماء نهر اغواسيو التربة ، ويأخذها معه وهو ينحدر باندفاع وحشي من علو يزيد أحيانا عن ٩٠ مترا . ماء وشجر ، شجر كثيف أخضر ممتد ، وماء عظيم ، يشكل مجرى نهر اغواسيو الذي يفصل في تلك المنطقة بين حدود الأرجنتين والبرازيل . وتعيش فيه مئات الأنواع من الطيور والفراشات والزواحف والحيوانات المفترسة أيضا . فهناك نحو ١٢ من النمور التي تجوس أرجاء الغابة في الجانب الارجنتيني فقط . وقد روى لنا مرافقنا ذو الأصل الهندي الأحمر الذي لا يرضى عن البقاء في منطقة الغابات بديلا ، أن السابحين والمتشمسين حول حمام السباحة بفندق اغواسيو انترناشيونال الفخم ، فوجئوا مرة بنمر يشرب باطمئنان من حمام السباحة القريب من طرف الغابة ، وأنه لم يزأر إلا بعد أن جفل الرواد



● شارع كامينيتو وتشاهد على الجانبين البنايات الملونة للايطاليين الأوائل

وبدءوا بالصراخ ، عند ذلك فر النمر مذعورا لا يلوي على شيء .

حنجرة الشيطان

أما ما يعرف بالشلالات فهي مساقط مياه النهر العظيم ، وعددها ٣٧٥ مسقطا ، منها ٣٧٠ داخل الأراضي الأرجنتينية ، و ٥ فقط في البرازيل . وهذه المساقط ليست متجاورة ، بل تمتد على عرض مئات الأمتار ، لتلتقي في ما يشبه زاوية ، ما تلبث أن تنفرج مكونة مساقط أخرى ، وفي بعض المناطق تبدو الشلالات كأنها مكونة من طبقتين ، إذ ما تلبث المياه المتساقطة أن تسير على سطح مستو ، لتهوي من جديد في لجة رهيبة . ويصل المشهد ذروته في طرف الزاوية الحادة ، حيث تتجمع مياه النهر العظيم في ما يشبه البحيرة الكبيرة التي تكونت بين الغابات ، لتسير بوتائر تتسارع لتصل أقصى سرعتها قرب جرف غير منتظم الاستدارة ، يشكل زاوية المثلث المذكور . وهناك تلتقي كل هذه المياه الغاضبة ، لتهوي من ارتفاع يزيد عن ٩٠ مترا ، محدثة دويا هائلا ، أشبه بزئير أسد جريح . وبين آن وآخر ، عندما تتكاثر المياه ، ويزداد سقوطها سرعة ، تتصاعد من جوف المكان الذي التقت فيه المياه الغاضبة ، غيوم من الرذاذ ، تصعد عاليا لتسقط على السائحين والمتفرجين والمترجين والمصورين والمرافقين الذين اصطحبوا أفواجهم السياحية نحو هذا المكان الرهيب الذي يطلق عليه اسم « حنجرة الشيطان » . فقد كان الهنود الحمر من سكان البلاد الأصليين حين يسمعون صوت المياه النازلة من ذلك الارتفاع الكبير ، يعتقدون أن هذه الاصوات ليست سوى أصوات الشيطان ، يخرجها من حنجرته الرهيبة ، وأن الرذاذ الصاعد من جوف المسقط هو أنفاسه الشريرة .

وعبر ممرات أسمنتية ثبتت فوق ماء النهر وعبر الغابات المحيطة يمكن للزائر مشاهدة الشلالات

الكثيرة من زوايا متعددة ؛ من الأسفل حيث تهوي المياه المزبدة ، حاملة معها الطمي وبعض الحجارة نحو الأرض الصخرية ، أو من الأعلى حيث تزبد الشلالات في الأسفل مكونة أقواس قزح صغيرة فوق جسم البحيرة التي غطاها الرذاذ . أو عبر النهر لتصل إلى نقطة لا تبعد سوى أمتار قليلة جداً عن حنجرة الشيطان . لكن ذلك سيعرضك للبلل بفعل الرذاذ الشيطاني الذي يخرج بين حين وآخر وكأنه عقاب لمن تجرأ على الوصول إلى هذه النقطة المحرمة .

وحين وصلنا هناك كان الرذاذ يلاحق عدداً من السياح غامروا بالاقتراب من حنجرة الشيطان ، فأطاح بقبعات بعضهم ، وأفسد تسريحات بعضهن ، وعندما دققنا في وجوه الهاربين من غضب الشيطان لفت نظرنا ـ زميلي المصور وأنا ـ وجهان مألوفان وقد زادنا معرفة بهما النظارتان السوداوان اللتان لم تكونا متناسبتين أبداً مع هذا المكان على الأقل ، لكنهما كانتا هناك تكملان تقاطيع الوجهين اللذين بقيا متجهمين حتى في هذا الموقف الذي ضحك له الجميع سواء من ابتلوا أو من لم يكونوا قد ابتلوا مثلنا . ولم يكن هذان الوجهان سوى وجهي سيدتي المطار العجيبتين .

في قرطبة

ومن هناك إلى (كوردوبا) أو قرطبة ، وهي ثاني أكبر مدن الأرجنتين ، إلا أنها تبدو مختلفة ، فليس لديها نضارة بوينوس آيريس ، ولا حيويتها ، ولا تألق أحيائها ، لكنها تشبه العاصمة بازدحامها وبشوارعها المتعامدة .

المنطقة السياحية لقرطبة هي بلدة كارلوس باس القريبة التي سكنت بين عدد من التلال والجبال المخضرة . وخارج حدود البلدة الصغيرة نسبيا ، تتعدد وتتنوع مظاهر الجمال : غابات ، بحيرات ، جبال . وتتعدد لذلك وسائل الوصول إلى هذه الأماكن السياحية الجميلة : الحافلات السياحية المتعددة الأحجام ، والسيارات الصغيرة التي تأخذك إلى نقاط صعود الجبال بالكراسي الطائرة أو « التلفريك » أو تمضي بك إلى شاطىء البحيرة التي أحيطت بجزء من مباني البلدة الآخذة في التمدد . وبإمكانك أيضا استخدام القدمين ، وهذا ما فعلناه .

توجهنا نحو واحد من أعلى الجبال التي تشرف على المدينة والبحيرة والتلال والغابات المحيطة ، من أعلى الجبل بدا منظر البلدة الخلاب ، بلدة تغفو على ضفة بحيرة رائعة ، تتحرك فوق سطحها الهادىء نقاط بيضاء أو ملونة ، صنعت خلال سيرها فوق سطح البحيرة خطوطا متحركة ، إنها القوارب التي تستخدم هناك للتزلج على الماء الوفير في تلك البلاد .

عندما نزلنا من أعلى الجبل ، لننتقل إلى مكان آخر من مواطن الجمال ، شاهدنا جمعا من الناس ، وقد التفوا حول سيدتين عجزتا عن إفهام الآخرين ماذا تريدان . ولم يكن صعبا على زميلي المصور وأنا أن نميز سيدتي المطار الغريبتين بنظارتيهما السوداوين ، وملامحهما المتجهمة .

وقفنا مع الواقفين بدافع الفضول ، وتوجهت إحداهما إلينا سائلة إن كنا نتحدث الانكليزية . أجبنا بنعم . فاندفعت تشرح لنا بلكنة مبهمة كيف أنها فقدت آلة التصوير . وفي نهاية الحديث سألتني إن كنت فهمت كل ما قالته لي ، فلما طمأنتها على ذلك قالت : أرجو إفهام قصتي لهؤلاء ، فأنا لا أجيد الاسبانية ! !

واستغرقنا ـ زميلي المصور وأنا ـ في نوبة من الضحك قبل أن أقول لها:« ولا نحن » .

إلى حافة الأرض

خلال رحلة الطائرة التي أقلتنا إلى مدينة باريلوتشي بالجنوب رحنا ـ زميلي المصور وأنا ـ نتحدث عن المصادفات العجيبة التي جعلتنا نجد هاتين السيدتين في مأزق عند كل موقع سياحي نذهب إليه . وكنا واثقين من أننا سنراهما في أشهر



● لقطة لجز...
...لالات اغوا...



● النوارس تلتقط ما يلوح به الركاب بمهارة فائقة

مدن الجنوب السياحية .

تمثل باريلوتشي لونا آخر مختلفا من ألوان الجمال الارجنتيني الساحر ، فهذه المدينة الجنوبية الرائعة تمتد على طول سلسلة من جبال الانديز التي تفصل بين الارجنتين وتشيلي ، وتحاذيها بحيرة هي واحدة من عدة بحيرات سكنت بين الجبال والتلال المحيطة ، وأشهرها بحيرة « ناهويل هوابي » ، وهي كلمة هندية تعني : جزيرة النمر ، وتمتد هذه الجزيرة مثل أصابع ضخمة انتشرت في كل اتجاه ، وعلى الخارطة تبدو البحيرة مثل تخطيطات عشوائية لطفل عابث .

إحدى الأشياء التي يجب أن تفعلها إذا وصلت إلى باريلوتشي القيام بجولة في بحيرة (ناهويل هوابي) ، ابتداء من الميناء الذي يقع قرب فندق « جاوجاو » . هكذا قال لنا المرافق الذي عاد تواً من الولايات المتحدة ، لأنه افتقد مدينته كثيرا .

اعتلينا المركب التي ستأخذنا في جولة بالبحيرة ، وعلى الرغم من الهواء المشبع بالرطوبة والبرودة فقد آثرنا البقاء على سطح المركب مع عدد كبير من الركاب ، ظل يتناقص بالتدريج ، حتى بقينا مع عدد قليل من الشبان والشابات الذين التفوا حولنا عندما سمعونا نتحدث هذه

اللغة الغريبة التي تكتب من اليمين إلى اليسار ، مما أثار فضولهم . وقد عرفنا من خلال استعمال عدة لغات ، أهمها لغة الإشارة ، أن هؤلاء تلاميذ مدارس ، أنهوا تعليمهم المدرسي ، وأن من التقاليد أن يأتي هؤلاء لزيارة باريلوتشي قبل أن ينتقلوا إلى مرحلة دراسية أعلى .

وانفض عنا الطلاب الذين لم تهدأ حركتهم أبداً بعد أن زالت الدهشة عنهم ، وبدأت أتأمل المنظر الساحر أمامي ، بعد أن أصبحت جزءا من البحيرة ، فبدت الجبال والسهول والأشجار والغابات ذات الألوان المتدرجة على درجة من الجمال ، يصعب وصفها ، فأصابني شعور ، امتزج فيه العجز بالحزن ، أيقظتني منه أصوات طيور النورس التي دوت في السماء ، وكأنها ضحك مزعج لساحرات أوقعن ضحاياهن في الشراك ، فطوال الرحلة تحلق على علو منخفض جداً ، تلك الطيور البحرية تنتظر بشكل غريزي أن يرمي لها ركاب السفينة قطعة من الخبز ، ليلتقطها أحد الطيور بمهارة فائقة قبل أن تسقط في الماء .

ويحدث أن يتصارع اثنان منها على قطعة واحدة ، فيفقدانها ، وفكرت كيف أن هذه الطيور الجميلة ذات الريش الأبيض والرمادي هي أيضاً لها عادات سيئة كالطمع .



● غابة الأراجانيس الوحيدة الباقية في العالم

غابة الأراجانيس

لا جديد في هذه الجزيرة التي تغطيها الغابات سوى إتاحة الفرصة للزائرين ، لالتقاط صور لمشاهد مذهلة الجمال ، هكذا اعتقدنا في البداية ، لكننا أدركنا خطأنا حين دخلنا غابة « الأراجانيس » الوحيدة في العالم.

والأراجانيس شجرة عارية الجذوع والفروع والأغصان بلونها القريب من لون قشور الدارسين أو القرفة ، وهي قد توجد في أماكن قليلة من أوربا أو الارجنتين ، ولكن عددها لا يتجاوز الشجرة أو الاثنتين .

وكان علينا أخيرا أن نعود من حافة العالم الفضية ، مغادرين تلك البلاد الساحرة الجمال ، وفي أنفسنا شيء من الحزن الممتزج بفرح العودة .

ركبنا الطائرة ، وانتظرنا طويلا ، لنستمع إلى الطيار وهو يعلن اعتذاره عن تأخر الطائرة لأسباب خارجة عن إرادته . وعلمنا فيما بعد أن اثنين من ركاب الطائرة يعانيان من بعض المشاكل ، وأننا بانتظار وصولهما.

وطال الانتظار ، وتأفف الركاب ، حتى جاء الراكبان أخيرا . ولم يكن هذان سوى السيدتين المتجهمتين بنظارتيهما السوداوين .

التانغو الأول في بُوينوس آيريس



كثيرا ما فكرت بتلك الوجوه العابسة لراقصي وراقصات التانغو ، تتلاقى ثم تستدير بنظراتها الصارمة وسماتها الجدية ، لتخطو خطوات طويلة إلى الأمام ثم تبتعد الأجساد وتعود لتقترب بقوة وعنف محسوبين ، وتتداخل الأرجل بحركات سريعة منتظمة ، ما تلبث أن تتحول إلى حركات شد وجذب بين الراقص والراقصة ، وقد عرفت أن هذه الرقصة التي ابتكرتها مدينة بوينوس آيريس ، في أواخر القرن الماضي ، كانت رقصة يؤديها رجلان ، يحمل كل منهما سكينا يلوح بها في وجه الآخر ، ويقترب أحدهما من الآخر ، ويشتبك الاثنان معا في عراك وهمي خطر ، تتداخل فيه الأرجل والأيدي ، وتحتدم النظرات ، وتعبس الوجوه

لكن نهاية القرن الماضي شهدت امتزاج عدة فنون راقصة ، منها الهابانيرا والبولكا في رقصة جديدة ، أصبح يؤديها راقص وراقصة على أنغام موسيقا الزنوج الذين قد تحرروا تواً حينذاك وانضموا إلى المهاجرين الايطاليين الفقراء.

وقد استقبل التانغو الأول في بوينوس آيريس ببرود من جانب الطبقات العليا في المجتمع ، إلا أنها قبلت أخيرا كفن لا يعبر عن هموم الطبقات الشعبية وإبداعها فقط ، بل كفن راق من فنون الارجنتين ، خاصة بعد أن دخلت آلة موسيقية جديدة هي الباندونيون القريبة الشبه بآلة الاكورديون المعروفة . وقد أحضر هذه الآلة المهاجرون الألمان ، وحولوها من آلة تستخدم لإقامة القداسات الكنسية إلى آلة موسيقية راقصة ، هي الأساس في موسيقا التانغو . وما لبث هذا الفن الجميل الذي شارك في إبداعه أكثر من شعب وجنس ولون أن أصبح فنا معروفا على المستوى العالمي ، وتعددت أنواعه .

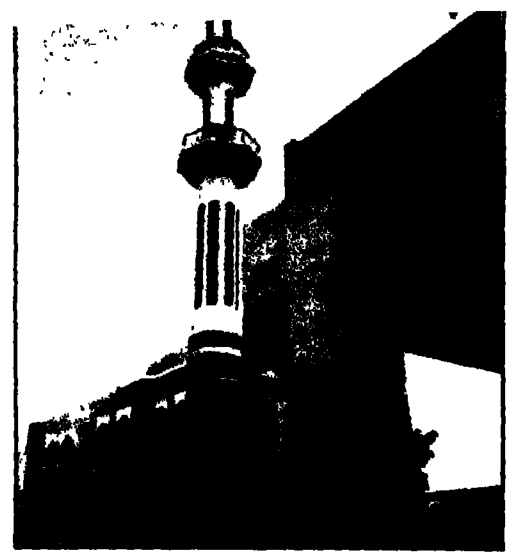
وكلما شاهدت رقصة تانغو في العاصمة الارجنتينية كنت أتوقع أن يؤدي خطأ في حركة أحد الراقصين إلى سقوط الاثنين معا ، لكن هذا لم يحدث أبدا . ولا أدري كيف !

أرجنتينيّون وعَرَب

يعود زمن الهجرة العربية إلى تلك البلاد إلى الستينيات من القرن الماضي ، حين هاجرت أفواج من السوريين واللبنانيين وبعض الفلسطينيين إلى تلك الأرض البعيدة ، واستقروا هناك ، ودخلوا في نسيج الحياة الاجتماعية لتلك البلاد . واليوم فإن الجالية العربية هي الثالثة من حيث العدد ، إذ تأتي بعد الجاليتين الاسبانية والايطالية . ويقدر عدد أفرادها بين مليونين وثلاثة ملايين ، ويرجح السيد سطام القدور ، مسؤول العلاقات الخارجية في الجمعية العربية الارجنتينية أن يكون العدد مليونين .

وقد تعرفنا على أكثر من سائق سيارة أجرة عربي الأصل ، وموظف الفندق الذي نزلنا فيه كان عربي الأصل ، وقد ذهبنا لمشـ ـة عرض للتانغو فكان الجالس إلى جانبنا على المنضدة عربي الأصل ، قدم لنا نفسه باعتباره (ابن عرب) ، وهو اللفظ الذي يستخدمونه في وصف أنفسهم . وليست تلك سوى أمثلة قليلة على المصادفات العديدة التي تعرفنا خلالها على أرجنتينيين من أصل عربي . وفي مصادفة مثيرة أخرى قرأنا لافتة في مدينة قرطبة تحمل اسم شارع فلسطين .

وقد حاولنا مقابلة الرئيس كارلوس منعم من خلال موعد حاولنا الحصول عليه من مسؤول الإعلام القومي الارجنتيني ، والسكرتير الصحفي له ، وهو أيضا من أصل عربي ، واسمه خورخي راول رشيد ، ولم نوفق في الحصول على موعد للقاء الرئيس ، لكننا في أثناء دعوة كريمة على العشاء من جانب اثنين من « أبناء العرب » ، هما المهندس حسين هاجر ، صاحب المكتب الهندسي الناجح ، وفاطمة سليمان المسؤولة بمكتب السياحة الخارجية ، وكنا على وشك مغادرة المطعم فوجئنا بالرئيس أيضا يتأهب للخروج ، وقد وقف يودع الطهاة والنادلين .



● مسجد المركز الاسلامي في بوينوس آيريس

تقدمنا منه وأخبره مرافقنا بأننا صحفيان عربيان ، نود لقاءه ، فعانقنا والتقطنا معه صورة للذكرى ، ووعد بلقاء إن سمح له برنامجه ، إلا أن برنامجه لم يسمح ، فلم نلح .

وفي أثناء وجودنا هناك ، وخلال عملية صرف النقود التي كانت معنا وتبديلها بالاوسترال ، وهي العملة الارجنتينية الجديدة لاحظنا ارتفاع سعر الدولار ، ولما سألنا عن السبب عرفنا أنه بسبب اعتقال محمد علي زين الدين ، وهو من أكبر الضباط العسكريين في الأرجنتين ، وهو شخصية عسكرية مهمة داخل القوات المسلحة ، اكتسب شعبية واسعة في أثناء حرب فوكلاند أو المالوين عام ١٩٨٢ ضد البريطانيين الذين كانوا وما زالوا يحتلون هذه الجزر الأرجنتينية .

وبينما نحن نغادر بوينوس آيريس كنت أفكر بأبناء العرب الذين استوطنوا في تلك البلاد البعيدة ، وأصبحوا رجال فكر وأدب وسياسة وحرب ، واصبحت لهم قضاياهم التي يستبسلون في الدفاع عنها . وقبل أن نصل المطار شاهدت قطعة معدنية كبيرة ، رسمت عليها خارطة جزر فوكلاند او المالوين ، وقد كتب تحتها « المالوين أرجنتينية » . وشعرت بالأسى لأن إخوتنا العرب الارجنتينيين هم أيضا لهم أرض سليبة . وطافت في ذهني آلاف اللافتات التي شهدتها وقد كتب عليها « فلسطين عربية ». □



شعر :
علي عبد القيوم

في آخر الليل الذي أسرى
دَلَفَ الجنودُ بجثتين إلى الجبانةِ الكبرى
الجثةُ الأولى :
جسدٌ نحيلٌ خِلته جسدي
فوجدته بلدي
لافرق يا مولاي بين النهرِ والمجرى !
والجثةُ الأخرى :
جسدٌ نحيلٌ خِلته ولدي
فوجدته جسدي
لافرق يامولاي بين الموتِ والميلاد والمَسرى !

★ ★

مولاي . . . يامولاي . . . يابلدي ويا ولدي
يا أنت يازادي ويا عضدي وياسندي
أسرى بنا عشقٌ لجراحنا . . أسرى
فاحمل صليبك صاعدا
متحدرا
كالنهر في المجرى
وأحمل معي بلدي
متحملا كمدي
يا أنت يانبت الجراح الغرِّ يا ولدي
وأملأ عيونك بالأصيل



وقد كسا بدمائه أفق الفجيعة
مدهشا ظلماتها . . .
سيفا أضاء ببرقه ديمومةَ الذكرى
وأشعل ضميرك بالأحزان يا أملي
وحدثني
عن لحظة حُبلى
حظيتْ بأحلامِ القرونِ
توهجت آفاقُها
بالمجدِ والبُشرى

★ ★

يا أنت ياطفلَ الجراح البكر
يالهفَ المواعيدِ
توج فؤادَك
- غِبَّ اليأسِ -
بالإنشادِ
يزحمُ ساحةَ العيدِ
لافرق يامولاي
بينَ العاشقينَ الكاظمينَ الوجدَ والأسرى
فأنهض فديتك مثل النهر في المجرى
وأشبع بلادك من أشعارها شعرا
لافرق يامولاي بين العاشقينِ الكاظمينَ الوجدَ والأسرى



في رمضان

بقلم: عبدالحميد بن هدوقة



صعب أن يلم المرء بكل تقاليد الجزائر
وعوائدها في شهر رمضان.
فمن العاصمة إلى تمنراست جنوبا
مسافة تزيد عن ألفي كيلومتر.
وما بعد تمنراست إلى أقصى الجنوب
ما يزيد عن ربع تلك المسافة.
كما أن المسافة بين الحدود الغربية
والشرقية تتجاوز ألفاً ومائتي كيلومتر.
والعوائد من مدينة إلى أخرى،
ومن قرية إلى قرية،
تختلف وتتباين!

يقصر هذا الحديث على المشتركات المميزة لعامة الشعب الجزائري، خلال شهر رمضان المعظم، معتمدا في ذلك على ما عشته شخصيا في هذا الشهر على الأخص، سواء في الريف أو في المدينة. وأركز كلامي على عناصر ثلاثة: رؤية الهلال، والحياة الدينية والثقافية، والحياة الاجتماعية.

رؤية الهلال

في الماضي كان الصيام والفطر يعتمدان أساسا على رؤية هلال رمضان أو هلال شوال، أو بإكمال عدة الشهر ثلاثين يوما. وفي الأرياف كان أعيان القوم يجتمعون في الأماكن العالية، حيث تتسنى لهم مراقبة الهلال. فإذا تمت الرؤية أشيع الخبر بإعلاء النداء في الناس بذلك، من طرف شخص يقوم عادة بإعلام الناس بما يهمهم من أخبار طارئة، يسمى «البرّاح». يبدأ غالبا نداءاته هكذا: «يا اللي يسمعكم بالخير والهنا والعافية...». كما يؤذن المؤذن في غير وقت الصلاة المكتوبة. أما إعلام السكان الذين

يسكنون بعيدا عن تجمع دور القرية، من مربي المواشي، وأصحاب المزارع، فتوقد مشاعل النيران على الربا والتلال العالية، بحيث تمكن مشاهدتها من كل أرجاء القرية.

والشيء الذي يمكن أن تؤاخذ عليه هذه الطريقة هو أن الرؤية إذا لم يصدقها كبار القوم، وهم غالبا من المسنين، فإنها تبقى بلا أثر. لاسيما إذا لم تكتمل عدة الشهر ثلاثين يوماً.

أتذكر حادثة عشتها شخصيا في الأربعينيات. لم يكن حينئذ عند الناس أجهزة مذياع، ولم يكونوا يعرفونها. وما كان منها متوافرا كان لدى قلة من سكان المدن المحظوظين الذين يستنيرون بالكهرباء.

● ازدحام المساجد في رمضان لسماع قراءة صحيح البخاري.

كان الناس بصدد ترصد الهلال. الشمس غابت وراء الأفق الغربي، منذ دقائق قليلة. الزمن كان صيفا. الشفق لم يكن بدرجة من الحمرة تحول دون رؤية الهلال. وإذا بشاب يصيح: «الهلال! الهلال!». ويشير بسبابته إلى مكان الهلال. يصرخ شاب آخر: «رأيته هو ذاك! إنه هناك على نحو ذراعين إلى الغرب من قمة الجبل!» يتقدم شيخ مسن، هو الحاجّ الوحيد الباقي على قيد الحياة في القرية. له حظوة ومكانة بين السكان. يعتم عمامة صفراء ضخمة، من نمط القرن التاسع عشر، تسمى «القنور»، بالقاف المعقودة. يسأل الشابين:

- أين هو؟ - هناك، إلى جانب القمة.

يتمعن قليلا في الأفق، ثم يلتفت إلى الشابين:

- هل مسحتما جيدا أعينكما؟ إنه عمش أو شعرة تشكلت لكما في صورة هلال! أين هو هذا الهلال؟ لماذا لم أره أنا، إذا كان حقا هناك؟

يحاول الشابان عبثا تأكيد رؤيتهما. ثم يتفرق الناس. الحاج لم ير الهلال. شعبان لم تكتمل عدته. إذن فلا هلال ولا صيام! الحاج لا يراجع. من ذا غيره من السكان اكتحلت عيناه بأنوار الحرمين الشريفين؟ من ذا منهم صلى مثله في الروضة، على مقربة من منبر الرسول صلى الله عليه وسلم؟ ثم أليس هو أكبر الناس سنا؟ أي تجربة ومعرفة. رمضان إذن مازال في أحشاء الأفق الغائب! الكبار فرحوا! لن يصوموا غدا، يوم بلا عطش في هذه الأيام الطويلة المحرقة لا يرفض.

الأطفال خابوا، سينامون في هذه الليلة كما في الليالي السابقة. ليس هناك ما يتذرعون به للخروج.

تغير الحال

الآن تغير الأمر. أصبحت الكهرباء تتسلق الجبال إلى القرى الجاثية فوقها، وتشق كثبان

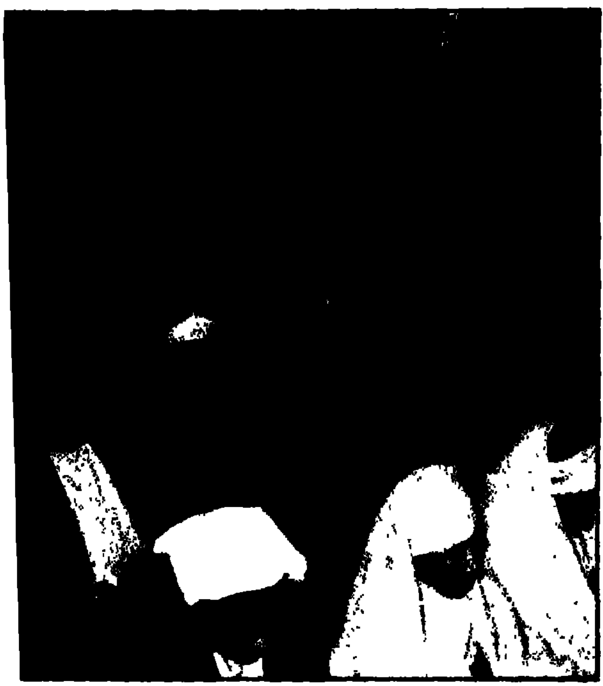
الرمال لتنير لسكان الصحاري. المذياع «الترانزيستور» صار في جيب كل راع وفلاح. أجهزة التلفاز تمد أذرعها إلى بلدان ما وراء البحر، فضلا عن الجزائر! المسافات ألغيت، أصبحت الأرض مكورة فعلا! تدور بما يجري في أصقاعها على مرأى ومسمع من جميع سكانها! كما أن المدينة أصبحت هي المنتجع للحصول على المعرفة. منها تستمد رؤية الهلال، ومسائل العلم والدين، وأشياء الحياة الأخرى. الأماكن العالية مهما علت لا تصل إلى الهلال. بينما في المدينة يقدم الهلال بالألوان على الشاشة!

حتى الحج نفسه لم يعد حكرا على قلة من الناس، مكة والمدينة أصبحتا قريبتين كأي مدينة أخرى. من لم يتجول فيهما بروحه وجسده، في حج أو عمرة، تجول ببصره، من خلال ما تقدمه الشاشة! رؤية الهلال الآن في الجزائر تقوم على قاعدتين: الحساب الفلكي، والرؤية البصرية. في ما يتعلق بالحساب الفلكي لا يشترط ميلاد الهلال ووجوده حسابيا في الأفق فقط، بل لابد مع وجوده أن تكون رؤيته ممكنة، لاتحول بينه وبينها الأشعة. أما إذا كان موجودا حسابيا لكن رؤيته تستحيل بالعين المجردة، لحيلولة أشعة الشمس دون ذلك، فلا يعتد به.

أما الرؤية البصرية فتشكل من أجلها لجان في مختلف ولايات الوطن، لاسيما الجنوبية منها، حيث تكون الرؤية حسنة عادة، وترسل بمعلوماتها إلى اللجنة العليا بالعاصمة التي تشكل خصيصا لذلك بمقر وزارة الشؤون الدينية. وبعد تجمعّ كل المعلومات لديها تصدر بلاغا بثبوت رؤية الهلال أو عدم ثبوتها، تبثه قنوات الإذاعة والتلفاز.

والغاية من هذه الطريقة هي الجمع بين العلم والسنة.

إثر البلاغ الرسمي بثبوت الهلال تقدم الاذاعة والتلفاز معزوفات موسيقية أندلسية على «الزرنة» (مزمار عتيق) والطبول. وهي



● أماكن خاصة للنساء في المساجد.

معزوفات تقدم عادة في الأفراح والمناسبات السارة.

الحياة الدينية والثقافية

في شهر رمضان تقام في الجزائر ـ كما في المجتمعات الاسلامية الأخرى ـ صلاة التراويح، مباشرة بعد صلاة العشاء. وهي في الجزائر، حيث يسود المذهب المالكي، إحدى عشرة ركعة، ثماني ركعات تراويح، يتلى في كل ركعة مع الفاتحة ربع جزء من القرآن، وركعتان شفع، وواحدة وتر. وهذه الطريقة عامة في مختلف أنحاء الجزائر. وهناك من يفضل أن يصلي التراويح في بيته مع أهله. كما تكثر تلاوة القرآن خلال هذا الشهر، سواء في المساجد أو في البيوت.

وتتميز عاصمة الجزائر بقراءة صحيح البخاري، ابتداء من فاتح رجب إلى غاية السابع والعشرين من رمضان. وذلك يحدث كل يوم بعد الظهر. وهناك من يرتب قراءة البخاري في بيته خلال شهر رمضان، ويوم

ختمه يدعو معارفه وأصدقاءه لحضور حفل يقيمه بالمناسبة.

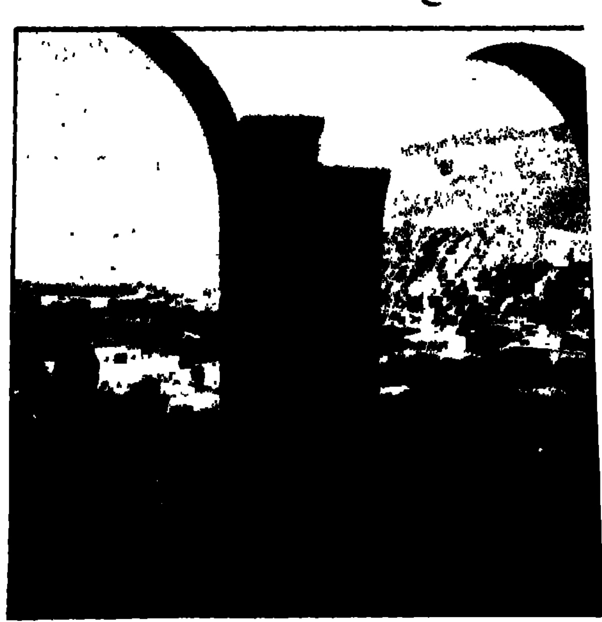
في الغرب الجزائري قيل لي: إنهم يقرؤون في بعض الجهات صحيح مسلم أيضا.

وتقدم خلال هذا الشهر العظيم محاضرات دينية وثقافية عامة في المساجد والنوادي والقاعات العمومية، وقنوات الاذاعة والتلفاز.

كما تقام حفلات موسيقية في القاعات والساحات العمومية خلال هذا الشهر، مما يضفي على المدينة جوا متميزا.

وتنتهي هذه الاحتفالات في مجموعها ليلة السابع والعشرين من رمضان، وتبقى الأيام الباقية بتمة، كأنها ليست منه، باستثناء ليلة العيد!

لكن مشاغل الناس، ابتداء من نصف رمضان تأخذ طريقها إلى الدكاكين والمحلات التجارية لبيع الملابس. فالأطفال في العيد يلبسون الجديد، ولو كانوا يملكون من الثياب القناطير! ولذلك كلما قرب العيد اشتد الاكتظاظ على المحلات التجارية، لاسيما بعد السابع والعشرين من رمضان. كما أن النساء



● الأماكن العالية مهما علت لا تصل إلى الهلال.

بعد السابع والعشرين يخصصن جل وقتهن لإعداد حلوى العيد.

في ليلة السابع والعشرين إذن تختتم الاحتفالات، كما يتم ختم القرآن والبخاري، وتقام حفلات رسمية وشعبية. يشرف على الحفل الرسمي رئيس الجمهورية، حيث توزع الجوائز على الأطفال والشبان من حفظة القرآن. إذ تجري في هذا الشهر مسابقة خاصة بذلك كل سنة.

وليلة السابع والعشرين لها اعتبار كبير في الأوساط الشعبية فهي ليلة القدر المجيدة، فيها يختن الأطفال الأيتام والفقراء، من طرف جمعيات خيرية. كما أن الكثير من الأسر يختنون أطفالهم في هذه الليلة، إذا كان الفصل فصل ختان. (فصل الصيف غالبا). فيها أيضا تقع الخطوبات والزفاف، تيمناً بخيرها وبركاتها.

الحياة الاجتماعية

يكثر التزاور بين العائلات في ليالي رمضان. كثير من النساء يقمن حفلات نسوية موسيقية، يغنين فيها ويرقصن، ويتحاكين القصص والفكاهات والشائعات «والموضات» الجديدة، ويعلقن على المسلسلات والممثلين والممثلات، وآخر أفلام الفيديو المعروضة للكراء، وآخر الزيجات والطلاق، والمواد التي وصلت إلى السوق أخيرا، بعد أن افتقدها الناس، حتى كادوا ينسون وجودها.

أما الرجال فهم بعد صلاة التراويح يقضون سهراتهم في المقاهي والملاهي والنوادي، حتى وقت السحور. ومنهم من يسهر مع أهله أمام شاشة التلفاز.

الأطفال يسهمون أيضا في إحياء ليالي رمضان بالصخب والضجيج والطرق على الأبواب، والتطبيل على الأواني القصديرية، وإشعال النار، أو إطلاق الشماريخ.

من الناحية الاقتصادية ينسى الناس مستوياتهم وإمكانياتهم المادية. الكل ينفق بلا



● كلما قرب العيد كلما اشتد التزاحم على المحلات التجارية .

حساب، يزول التقتير والشح من الرؤوس ومن الأيدي. تتسع ثقوب الجيوب حتى لا تمسك شيئا! الأسعار تعرج إلى السماء حتى لا تكاد ترى الأرض، أرض الفقراء وذوي الدخل البسيط! ولِمَ تنظر إلى الأرض مادام الناس لا يفكرون إلا فيما يملؤون به قفافهم؟ كل شيء يشتهى في رمضان ، وكل شيء يباع. تجارة الأرصفة والطرقات تنشط إلى درجة الجنون! هذا يبيع «الزلابية»، ذاك «الكزبرة»، الآخر «الذيول» (لفائف نيئة من العجين تستعمل في الحلويات وفي بعض الأطعمة)، الحمص النيء الذي يستعمل في بعض الأطباق وبخاصة «الشربة»، علب التبغ الأمريكي والأوربي والجزائري، «المحارق» (مفرقعات يستعملها الأطفال)، قصص رأس الغول، وعنترة، والسيد علي، و«تودد الجارية»، كل شيء يباع، وكل شيء موجود!

أما أوقات العمل في رمضان فهي غالبا ما تكون من التاسعة صباحا إلى الرابعة بعد الظهر. لكنك بعد الساعة الثانية قلما تجد أحدا في مكان عمله. الكل له مبرر للخروج. هذا يذهب منذ الساعة الواحدة إلى الصلاة، ثم يبقى لسماع البخاري في المسجد الذي غالبا ما يكون في أقصى نقطة من مكان العمل! وذاك يذهب مبكرا لانتظار خروج أطفاله من المدرسة، لأن ذريعة حركة المرور تبرر كل شيء. والمدرسة طبعا لا تبعد عن السكن أكثر من مائتين أو ثلاثمائة متر على الأكثر.

الآخر قرر مع مجموعة من زملائه الذهاب إلى قرية مشهورة ببيع لحم الخروف الجيد، أو الزلابية المصنوعة بالعسل المصفى، لا بعسل السكر، كما هو الشأن في المدينة!...

هكذا لا يبقى أحد بعمله حتى نهاية الوقت، إلا من اضطر اضطرارا، ولا يبقى هناك من يؤمن برفع الإنتاج وبذل الجهد في رمضان إلا أصحاب الأحاديث الدينية الرمضانية التي تبثها الإذاعة والتلفاز.

أعباء المرأة في رمضان

لعل أكبر عبء في رمضان يقع على كاهل المرأة، فهي التي منذ الصباح الباكر يبدأ يومها ومشاغلها. عليها أن تساعد أطفالها في غسلهم وملابسهم، وتناولهم فطورهم قبل الذهاب إلى المدرسة. عليها أن تقوم بتنظيف البيت وترتيبه، وغسل الأواني التي تكثر بشكل مريع في رمضان. عليها أن تغسل الثياب لأفراد الأسرة، وخياطة أو كيّ ما هو في حاجة إلى خياطة أو كيّ. بعد ذلك عليها أن تعد الغداء لأطفالها الذين لم يبلغوا سن الصوم. وليست هناك أسرة بلا أطفال في الجزائر، فالنمو الديموغرافي لا يماثله إلا نمو البطالة! ثم من بعد عليها أن تقوم لتحضير طعام الافطار الذي يكلفها يوميا وقتا وجهدا وعناية، خاصة بالأطباق المعروفة لديها، أو تلك التي نقلت وصفاتها خلال هذا الشهر عن التلفاز. وكل أطباق رمضان معقدة ومنوعة، وتحتاج إلى مزيد من الانتباه. إن حرمان النهار لا يزيله إلا تنوع الأطباق على مائدة الإفطار! لا لأن الناس يتناولون من



● المساجد في الشهر العظيم - قاعات للمحاضرات الدينية والثقافة العامة .

الطعام قدرا أكبر مما يتناولونه في غير رمضان، ولكن لأنه رمضان، تهوى النفس فيه ما لا تهواه في غيره، ولأنه أيضا شهر التزاور والضيافات. ماذا لو أتي طارق مع المغرب، هل تقدم له «الشربة» مع طبق عادي؟ ماذا يقول الناس عن ذلك؟ لا، رمضان هو رمضان، جُعِل للموائد الفاخرة، والحياة الكريمة التي لا تعرف التقتير، فالمرأة إذن هي المسؤولة الأولى عن سمعة العائلة، وعن طعامها. عليها أن تفكر كل يوم تفكيرا جديدا ولو في الأطباق القديمة المعروفة لديها. عليها أن تجد لها بعض الإضافات التي تخرجها من «قدمها وعاديتها»، وتبرزها في شكل مغر جديد!

والشربة تقدم مع قطع ليمون أو فلفل حار، وتتناول بـ«البوراك» (لفائف عجينية محشوة بلحم مفرمل وبيض)، أو مع الخبز. ثم تقدم بعدها الأطباق الأخرى المالحة، كالمثوم والمبطن والمغلف وشباح الصفرة، و«السفيرية» والتمر المحشو، والمحمرات أو المفوّرات أو المقليات، ثم الأطباق الحلوة السكرية كاللحم بالبرقوق، أو باللوز، أو بالتفاح، أو بالاجاص.

ويكون الختم بالفواكه، ثم القهوة في النهاية، أو الشاي بالنسبة لسكان الجنوب.

بعد ذلك كل واحد من أفراد الأسرة يذهب لشأنه، ولقضاء ليلته. غير أن السهرة الحقيقية تبدأ بعد الانتهاء من صلاة التراويح. حينئذ ترى الأنهج (الطرق) تتحول إلى خيوط متواصلة من نور. فحركة المرور الحقيقية تبدأ بعد الصلاة، حيث يحار العقل أين كانت هذه السيارات؟

إن «ديموغرافية» السيارات لا تقل عن ديموغرافية السكان!

ثم تلتقي الأسرة من جديد على مائدة السحور، حيث يقدم غالبا «المسفوف»، وهو كسكسي يقدم بلا مرق ولا لحم، وإنما بالسكر الأحمر والزبيب المفوّر، مع الرائب.

وفي الصباح تصبح المدينة نائمة، حتى إذا أخذ وقت الظهر يقترب دبت الحياة في الأنهج (الطرق) والشوارع، والازدحام بعد الساعة الثالثة لتعود الحياة إلى شيء من هدوئها بعد الخامسة، أو قبيل المغرب بساعة أو بنصفها، حسب الفصول. حينئذ يسود جو استثنائي، تسبح فيه الأنفس في ملكوت من الذهول والغبطة الروحية التي لا يعرفها إلا المسلمون، في هذا الشهر العظيم!□







د. علي فهمي خشيم ⊙ حسن حميد

■ مَعَارك الشعب العربي في التاريخ الحديث تمتزجُ فيها العُروبة بالإسلام.

■ كثيرون يخلطون بين الدين والتراث. الدين شيءٌ، والتراث شيءٌ آخر.

■ مفهومُ العودةِ إلى الماضي ليس مفهوماً عربياً خالصاً، فقد اتكأت الحضارة الأوربية على عودةٍ مماثلةٍ.

لا شك أن التراث العربي بمؤلفاته الأدبية ، وفلسفته العقلانية ، والدينية وسيره الشعبية ، وعلومه المختلفة ، هو حافظة وجدان الأمة العربية ، وما قدمته للبشرية والحضارة الإنسانية من منجزات فكرية وإبداعية وعلمية .

حول موضوعات التراث ، والهوية الثقافية ، والمخطوطات العربية ، وأماكن تواجدها ، ومدى الفائدة المرجوة من نشرها ، يتحدث المفكر العربي الليبي الدكتور علي فهمي خشيم الذي أصدر كتباً عديدة في الفلسفة والفكر والأدب ، نذكر منها : « النزعة العقلية في تفكير المعتزلة » ، و « نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى » ، و « بحثاً عن فرعون العربي » ، وغيرها .

أدار الحوار الكاتب العربي الفلسطيني حسن حميد الذي يكتب القصة القصيرة ، ويعمل في الصحافة الأدبية بسوريا .



*** التراث العربي غني ، متشعب الجوانب ، متعدد الينابيع ، والحضارة المعاصرة باتت غنية أيضاً ، ووسائل التوصيل الثقافية وأنماطها باتت متعددة كذلك .**

الآن ، إذا ما أردنا تقديم هذا التراث العربي ، بروح عصرية ، مواكبة ومساعدة ، ودافعة إلى التقدم ، فماذا نقدم من هذا التراث ؟ وكيف يتم التقديم ؟

ـ هناك تراث انساني شامل ، وهذا يشترك فيه البشر جميعهم ، ونحن جزء منهم ، وبالتالي فنحن نشارك في هذا التراث ، وهناك تراث قومي ، يخص كل أمة من الأمم ، وقد يكون مؤثراً في غيره أو متأثراً بغيره أيضاً . بالنسبة للتراث العربي الإسلامي ، أحب أن أقول : إن كثيرين يخلطون بين التراث والدين ، وهذا غير صحيح على الإطلاق ، فالدين أو الجانب الإسلامي شيء ، والتراث شيء آخر ، الدين محدد وواضح بالنسبة للإسلام ، وذلك بالقرآن الكريم ، وليس هناك أوضح منه اعتقاداً أو معاملات أو عقيدة وشريعة .

أما التراث فإنه يشمل النتاج الثقافي والحضاري للأمة العربية ، في المعرفة والفلسفة والفن والعلم والعادات والتقاليد ومظاهر الحياة المختلفة ، وفي هذا التراث على الأخص أشياء كثيرة ليس لها صلة بالدين .

أضرب لك مثلاً : (الشعر) مسألة لا تتعلق بالدين ، فالشعر هو أحد جوانب التراث العربي الإسلامي . من يقول ، مثلاً ، أن شعر الخمريات ـ وهو من أجمل الشعر ـ له صلة بالدين ، أو أن الفنون في العصر العباسي ـ الغناء والرقص ـ لها صلة بالدين ، أو أن العمارة الأندلسية لها صلة بالدين ، أو أن الأفكار الفلسفية عند العرب المسلمين ، وكثيراً من أفكار المتكلمين لها صلة بالدين .

أما كيف أعد . هذا التراث ، فذلك يرجع إلى موقفي منه ، فقد أكون محترماً لهذا التراث ، فأقدمه للناس بصورة زاهية ، وقد أكون كارهاً له ، غير قابل به ، فأتلمس جوانب السوء في جنبات هذا التراث ، فأسلط عليها الضوء ، وبالتالي أبغضه عند الناشئة ، وهذا ما اتخذه بعض المستشرقين ، وبعض المستغربين من العرب .

أنا أنظر ببساطة إلى التراث ككياني الماضي ، وأقرؤه ، وأنتقي منه ما يواكب العصر ، وما يجدد شخصيتي القومية ، بشرط ألا يبتلعني هذا التراث ، ألا يأكلني . فأعيش في الماضي متغنيا به .

نحن يمكننا أن نستلهم الجوانب المضيئة من تاريخنا ، ونعمقها ، ونضيئها ، ونغرسها في نفوس الشباب ، ليكونوا أكثر اعتزازاً بأمتهم ، نقدم الأمثلة من الشخصيات والمواقف والنماذج ، لكي يصبح الإنسان العربي أكثر احتراماً لماضيه ، وتقديراً لتراثه ، ويتبع هذا أن يصبح أشد اعتزازاً وثقة بنفسه في مواجهة الآخر .

ماذا ننشر من المخطوطات ؟

*** نبقى في الجانب التراثي د. علي ، ففي المدة الأخيرة كثر الحديث عن المخطوطات العربية ، وضرورة إخراجها إلى الناس ، وقد أنشئت لهذا الغرض المعاهد والمراكز ، في عدد من الأقطار العربية لجمع المخطوطات العربية وتحقيقها . كيف تنظر إلى هذه المسألة ؟ وهل كل ما هو مكتوب وقديم ، عبر العصور الغابرة ، صالح للأحياء ؟**

- العودة إلى المخطوطات ، والنظر إليها ، وبيان أهميتها ، وإعادتها إلى حيزها الواقعي (تاريخياً وجغرافياً) ، وإنصاف أصحابها ، هذا عمل طيب من حيث المبدأ ، لكن لا أرى أن كل ما هو مخطوط يصلح أن يهتم به . في المخطوطات التي عثر عليها كثير من الهذر والكلام الفارغ والعبث والتكرار والركاكة ، لأسباب كثيرة ، في مطلعها أنها جاءت نتيجة عصور التخلف ، أي لأنها كتبت في تلك الأونة .

أما الأعمال العظيمة ، مثل آثار المعتزلة ، وبعض مؤلفات الجاحظ وأمثالها ، فينبغي أن تقرأ ، لأنها في الواقع تراث إنساني عظيم القيمة ، ومؤثر أيضاً ، وذو صلة بالواقع ومعطياته ، وذو صلة قوية بالإبداع العقلي العربي . وقولي هذا ينطبق على كثير من التراثيات .

نحن نعيش في عصر مختلف ، لكنه مرتبط أيضاً بما سبقه ، أخشى إذا ما صرفنا النظر عن تراثنا كله أن نصبح أمة دون هوية ، أن نصبح شعباً تابعاً ومقلداً ، لا أصالة له .

المسألة إذن هي مسألة موقف ، دون الإيغال في الرفض ، والإمعان في تلبس هذا التراث .

وبالمناسبة أود الإشارة إلى أنه ينبغي أن تتضافر الجهود ، جهود الأفراد والمؤسسات والأقطار العربية ، لإعادة ما نهب من مخطوطات عربية مهمة جداً ، ذات صلة شديدة الأهمية بالتراث العربي الإسلامي ، وشديدة الصلة بالتاريخ العربي ، والإبداع أيضاً . فمن المعلوم أن المستعمرين نهبوا أشياء كثيرة من بلادنا ، وحاولوا طمس إشراقات الفكر والإبداع ، ومن بين الذي فعلوه سرقاتهم للمخطوطات العربية .

مفهوم العودة إلى الماضي

*** د. علي،يبدو أن مفهوم العودة إلى الماضي ، يكاد يكون على نحو ما ، مفهوماً عربياً خالصاً ، فما من أمة تريد أن تستعيد أمجاداً بتتها قبل مئات السنين بإلحاح شديد ، كما هو حال الأمة العربية . أرجو أن تجلو لنا هذه المسألة .**

ـ أود أن أقـول : إن هـذا الـطرح ليس صحيحاً ، فمفهوم العودة إلى الماضي ليس عربياً خالصاً ، إذ أن الحضارة الأوربية الحديثة نفسها قامت على أساس مفهوم العودة إلى الماضي .

بدايات هذه الحضارة الحديثة ، أو ما يسمى النهضة الأوربية (عصر التنوير) كان يعتمد على جانبين :

الجانب الأول : الأخذ من الحضارة العربية المتفوقة آنذاك ، في ميادين الطب والكيمياء والفلك والبناء ، والموسيقا ، والشعر ، والأسلحة ، وغيرها . واستعمالها للمنهج التجريبي ومبدأ الشك .

والجانب الثاني : العودة إلى المنابع الأولى لمكونات الحضارة الأوربية . أعني التراث اليوناني اللاتيني ، وهذا التراث نجده في حياتنا الحاضرة في الحضارة الأوربية واضحاً كوضوح الشمس ، فليس هناك طالب في المدارس الأوربية إلّا ويقرأ تراث الإغريق في الفلسفة والاسطورة (الميثولوجيا) والشعر ، والتراث اللاتيني المتنوع ، والاهتمام بأسماء شعراء ومفكرين من اليونان واللاتين واضح جداً في الجامعات والنتاجات الثقافية الأوربية .

واليابان أيضاً لم تقم حضارتها إلا على الاستفادة من تقنية الغرب ، والتشبث بالتراث الياباني حتى الآن ، في يومنا هذا لا يمكن للياباني أن يتخلى عن ماضيه ، من عادات وتقاليد وعبادة . وأضرب لك مثلاً . منذ أكثر من (٦٥٠) عاماً تحاول البعثات التبشيرية تنصير اليابانيين ، فماذا كانت النتيجة ؟ إلى يومنا هذا لا يوجد بين (١٢٠) مليون ياباني أكثر من نصف مليون نصراني ، أما الباقون فكلهم بوذيون .

والصين كذلك على الرغم من الثورة الماركسية أو الشيوعية ، فهناك حتى الآن عودة إلى مبادىء كونفوشيوس التي طحنتها الثورة الثقافية أيام ماوتسي تونغ .

هناك عودة إلى أفكار كونفوشيوس ، وأفكار لوكس (مؤسس الديانة البوذية) ، ولكن أحب أن أقول : إن شعار العودة إلى الماضي لا يعني العودة إلى خمسة عشر قرناً من الزمن .

أنت تريد أن تقول : العودة إلى الإسلام ، أنا أؤيد العودة إلى خمسة عشر قرناً ، أعني العودة إلى مبادىء الإسلام الصافية ، إلى سيرة الرسول محمد ﷺ ، وسيرة الرجل العظيم جداً عمر بن الخطاب ، لكن الخطر أن نعود إلى خمسة قرون فقط ، أي إلى عصر الركود والانحدار ، عصر تحكم الكهنوت المبتدع ، إذ ليس في الاسلام كهنوت ، ولا مشيخة ، ولا سلطة دينية . هذه هي العودة الخطيرة ، العودة إلى النظام الاكليري ، العودة إلى القيادات الدينية المتخلفة ثقافيا وعقلياً ودينياً أيضاً . إذن ليس صحيحاً أن مسألة (العودة إلى الماضي) قد قصرت على العرب ، فالعودة إلى الماضي سمة عند جميع الشعوب . لدينا مثل من العدو الصهيوني : فقد عاد إلى تراثه وخرافات توراته . ليؤكد « وحوده الحضاري » ، ليبتدع « وجوده الحضاري » ، وقد أحيا العبرانيون لغة ميتة منذ ألفي سنة ، وجعلوا التوراة تاريخهم وشريعتهم في الوقت نفسه ، على الرغم من أن المرتكز الديني عند العدو الصهيوني يدعو إلى كثير من النقاش ، فادعاؤهم بالأرض الموعودة يقوم على أساس خرافي توراتي (أسطوري) ، وجميع تصرفاتهم تنبيء عن هذا ، فالدبابة الأولى التي دخلت سيناء في عام (١٩٦٧) كانت تحمل نسخة مزخرفة من التوراة .

وفي حفلات تخرج ضباط الهيئة العسكرية يقسم الضباط يمين الولاء على التوراة ، وهناك في



كل عام مسابقات لعيد يُسمى « عيد الاستقلال » ، تجري فيه مسابقات لحفظ أجزاء من التوراة .

لهذا ينبغي ألّا نخدع كثيراً ، وينبغي أن نفرق ما بين العودة الواعية ، والردة الجاهلية بالنسبة لتراثنا ثقافة وديناً .

انحدار وليس انقطـــاع

*** د. علي،يستغرب المرء بأننا نحن العرب نحاول استعادة تراثنا من الغرب ، وذلك عن طريق أمور عدة ، من بينها دراسات وكتب كثيرة ومخطوطات مهمة تتحدث عن تاريخنا وأبطالنا ، والمناطق الأثرية ، والإبداعات والرسائل التي كانت متوافرة في عصر من العصور ، يضاف إلى ذلك لهاث نفر منا إلى أخذ الشهادات العليا من جامعات الغرب (في التاريخ العربي أو الأدب العربي) ، وبالتالي تنفيذ توجيهات المستشرقين ومناهجهم ـ كيف ترى هذه القضية ؟**

ـ ربما أقول : إنه حدث انحدار في تاريخنا ، وليس انقطاع ، وربما في فهمنا للتراث !

صحيح أن هذا الامتداد الحقيقي أثر في الغرب ، إذ أن الغربيين استفادوا من تراثنا حضارياً ومادياً ومعرفياً وتجريبياً ، ومن الثقافة الشاملة ، لكن هذا الانحدار ليس جديداً ، أي يعود إلى السنوات القليلة الماضية ، الانحدار بدأ منذ أواخر الدولة العباسية ، نتيجة لغزو عناصر أخرى للحضارة العربية ، وعلى الأخص العنصر التركي الذي استعانت به الدولة العباسية منذ عهد المعتصم . وهناك عوامل أخرى متعددة ، مثل : الغزو الصليبي ، والحملات العسكرية (وغير العسكرية) على المشرق والمغرب معاً ، واكتشاف طرق أخرى للتجارة مع الشرق الأقصى ، ومجموعة من المؤثرات الداخلية والصراعات بين الطوائف والأحزاب الداخلية ، والتمزق الذي حدث بعد الدولة العربية الواحدة . كل هذا أدى إلى خلخلة البنية الحضارية للمجتمع العربي ، وتفككها ، ومن ثم هبوطها ، لكن الصلة مع التراث ظلت خيوطاً هنا وهناك في التيار الشامل .

وقد ذكرت أننا نستعيد تراثنا من خلال الغرب . أنا لا أفهم بالضبط ما المقصود بهذا التعبير !

فإذا كنت تقصد المستشرقين ، فأنا أقول بوضوح : إنني شخصياً أعظم جهود عدد كبير منهم في تجلية التراث العربي ، وإعادة النظر إليه ، بل



والحفاظ عليه أيضاً ، لكن هذه الجهود لم تكن تخلو من الهوى ، إما من باب الاستفادة من هذا التراث الضخم لرفد التطور الأوربي منذ عصر النهضة ، وإما من باب محاولة فهم مكونات هذا التراث والاستناد إلى هذا الفهم في تمزيق وحدة الأمة أيديولوجياً وسياسياً .

ونظرة واحدة إلى جهود المستشرقين تثبت أن جهودهم لم تكن غير ذات غاية ، المصيبة أننا عدنا إلى تراثنا كما ذكرت ، بالنظر إليه من خلال المستشرقين أنفسهم ، وبالتالي تبنينا تفسيراتهم ومواقفهم هم من هذا التراث ، وصرنا مدافعين عن نظرة الغرب إلى تراثنا نحن ، هذا يوضحه الاتجاه منذ الستينيات إلى ما يسمى إعادة تفسير التاريخ ، أو إعادة قراءة التاريخ من جديد على أسس أيديولوجيا معينة ، فصار عندنا تفسير للتاريخ : ماركسي ، ورأسمالي ، ومثالي ، وواقعي ، إلى جانب التفسيرات الدينية .

ببساطة ، ومن وجهة نظري ، أدعو إلى أن يقرأ العرب أنفسهم تراثهم ، مستعينين في ذلك بالمنهج ، وليس بالموقف الاستشراقي ، فالمنهج الاستشراقي منهج محكم دقيق ، له ضوابط . أما الموقف الاستشراقي فله دوافع سياسية ودينية وحضارية تحكمه (إلا من عصم) ، ولا يخلو أي مستشرق من النظرة الذاتية المتأثرة بتركيبه



وتكوينه الثقافي ، أما ما يسمى الموضوعية فذاك أمر لا وجود له على الإطلاق ، وهو مجرد أكذوبة علمية صارت مسلمة ولا حقيقة لها !

الطائفية في المشرق دون المغرب

*** يلحظ المرء في المشرق العربي بروز الطائفية على أرضية سياسية ، وعلى نحو ملفت للانتباه ، دون أن نرى مثل هذا البروز والتنامي في المغرب العربي فما مرجع ذلك حسب رأيك ؟**

ـ أدى إلى بروز الطائفية في المشرق العربي أمران يعودان لأسباب واضحة جداً : هناك أسباب خارجية تتدخل لتمزيق هذا المشرق ، حتى لا يَتَوَحّد ! فتفتعل تمزقات مختلفة ، لتجعل أهل هذا المشرق يحارب بعضهم بعضاً ، فيحاربون أنفسهم بأنفسهم ، والأصابع الأجنبية غير خافية . هناك أيضاً أسباب داخلية ، وهي ذلك الإرث الذي وضعه المستعمرون قبل أن يرحلوا ، وضعوه في نباتات عربية الشكل ، لكنها غربية المضمون ، فمن تراهم من قادة هذه الطوائف كلهم نتاج لزرع أوربي استعماري ، عن طريق مدارس الإرساليات والبعثات ، وعن طريق مسوح العلماء الكاذبة ، يؤججون نوازع إقليمية ، أو محلية ، ويوقدون النار تحت المذاهب الطائفية ليعلو لهيبها ، فتحرق الجميع ، ويظلون هم يتفرجون من بعيد على هذا المشرق وهو يحترق .

هناك الكيان الصهيوني الذي زُرِعَ في أرضنا أداة لاستمرار المصالح الغربية ، ولضمان استمرار السيطرة على مقدراتنا ، هو أيضاً يعمل من خلال أطره لتفريق الصف الواحد ، وإنهاء فكرة قيام دولة عصرية ، حتى وإن كانت متعددة الاتجاهات . هم يسمحون بقيام هذه الدولة المتعددة الاتجاهات والمذاهب والأديان واللغات كالهند مثلاً التي تضم (٢٧٠) لغة وأكثر من (٥٠) ديناً مختلفاً ، لكنهم لا يسمحون حتى بهذا

● وجها لوجه . . د . علي فهمي خشيم وحسن حميد .

في الوطن العربي ، إذ يدركون خطورة توحد العرب في أمة واحدة في مواجهة حضارية شاملة .

والحق أن المواجهة الحضارية لم تكن قد بدأت اليوم ، أو لنقل بنت اليوم ، ولا هي جاءت مع الإسلام . هذا الصراع الحضاري قائم منذ القديم بين الأمة العربية والغرب : أعني بين الشاطيء الشرقي والجنوبي للبحر المتوسط والشاطيء الشمالي ، منذ أن غزا الكنعانيون بلاد الإغريق في الألف الثاني قبل الميلاد ، وحتى حرب هانيبال (حسن بعل) ضد روما في قرطاجنة (الشمال الأفريقي) هذه مواجهة حضارية .

العرب ، يا أخي ، خصوصاً في تاريخهم القديم ، كانوا باستمرار بناة للحضارة الإنسانية ، وهم واضعو أسسها الأولى ، هم الذين أرسوا قواعد المعرفة الإنسانية ، هم مخترعو الكتابة ، مبتدعو العلم ، ففي أرضهم ظهرت الأديان ، وفي بلادهم عرف الإنسان قيمته .

أوربا ، على مدى التاريخ ، كانت ناقلة ، وناقلة حاقدة أيضاً . أوربا نقلت الحرف الكنعاني عن طريق اليونان ، وأوربا أخذت المسيحية من بلاد العرب ، وأوربا استعارت العلم العربي بعد الإسلام ، وهي الآن ، ومنذ القرن التاسع عشر ، بعد أن قويت ، تحاول تكسير وحدة الأمة العربية لتنفرد هي بالهيمنة العالمية (فاتق شر من أحسنت إليه) .

وعندما أقول أوربا لا أعني أوربا الغربية فقط ، بل أعني كل ما كان له اتصال بأوربا ، سواء أكان في أوربا نفسها أم في أمريكا أم حتى في استراليا .

مواقفهم السياسية في هذه القارات الثلاث واحدة ضد هذه الأمة العظيمة ، أمة العرب التي لم يعرف أبناؤها قدرها حتى الآن . □



البنية اللغوية في نصوص «الخروج من الدائرة»

للشاعر خليفة الوقيان

بقلم : فاضل خلف

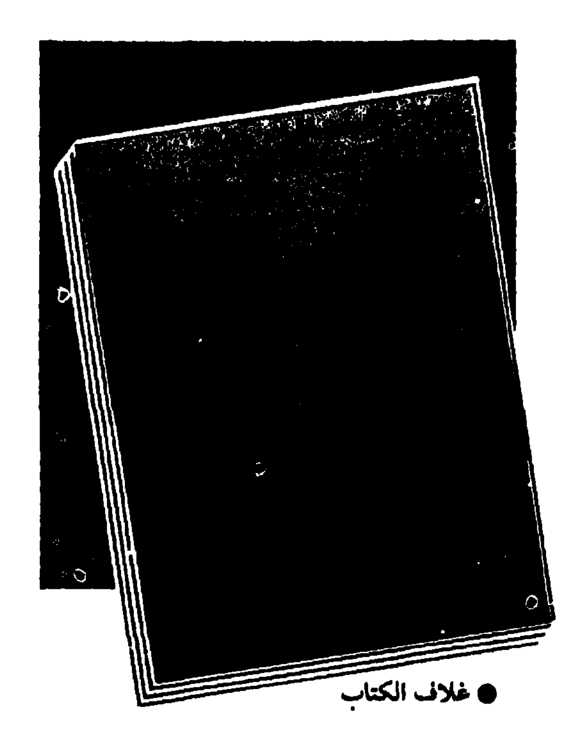
خليفة الوقيان شاعر يستروح من التراث أنسامه النقية ، ومن القرآن نفحاته العاطرة ، أضف إلى ذلك ملكته الفنية التي أمدته بالوعي اليقيني بأصول التجربة وطبائعها الشعرية الحديثة ، وأساليب التعبير عنها بفنية زاخرة مواكبة للحساسية المستحدثة والمعاصرة . شاعر يحرك صور عرائس المأثورات الشعبية العربية بوعي ملحوظ ودقة أداء ، شاعر ورث من ميراث العرب العظيم أضخم إرث ، ولم يبخل به على متلقيه ، بل أخذ على عاتقه أن يمده بين الحين والحين بمقتنيات الإرث العظيم بتشكيل لغوي قائم على « الحوار الفني » .

تجربة شاعرنا الوقيان الكبرى التي تفتات منها عرائس شعره حتى الآن ، هي تجربة تعلقه الوحداني بالانسان في كل مكان ، الانسان المغترب عن وطنه ، والإنسان المعاني للاغتراب المرير في وطنه . وهذه التجربة يمدها شريانان حيويان : شريان تنثال فيه تيارات من أمل يترقرق، وشريان يموج فيه الكثير من الآلام عذاب التردي الأعمى في مهمة التيه ، في كون ليس بالمأمول ، ووجود فقد معاني الوجود . واغتراب الوقيان يرجع إلى احساسه الحاد بأن الانسان ، كل انسان ، مرصود من قوى الشر ، وهذا من شأنه أن يزود طبعه الشاعري بانعكاسات غير مقصودة ، تأثر بها اسلوب وسائله التعبيرية ، إذ اقترنت هذه التجربة

بالإفضاء إلى الإنسانية المحبوبة ، بلغة هي مزيج من ابتهالات الصوفيين ، وتسابيح الزهاد ، وحديث الانسان العربي المناضل من أجل فتح كل مستغلق في شتى المجالات .

وجوه مختلفة لتجربة واحدة :

أصدر شاعرنا الوقيان ديوانه الأخير « الخروج من الدائرة » عام ١٩٨٨ ، وأصدر قبلا « المبحرون مع الرياح » عام ١٩٧٤ ، ثم « تحولات الأزمنة » عام ١٩٨٣ ، وله أعمال شعرية متفرقة هنا وهناك ، أصدرها على صفحات الجرائد والمجلات قبل السبعينيات ، بيد أن التصنيف التاريخي يحتم علينا أن نعدّه من جيل السبعينيات ، من شعراء الحداثة العربية ، على الرغم من تفوقه الملحوظ في قصائد النمط القديم من العمودي ، وعلى الرغم من تباينه الشديد عن شعراء هذه الفترة بقدرته الفنية والفكرية واستخداماته اللغويه . وبالنظر إلى عناوين أعماله نلحظ عمق تجربته وأصالتها ، من بداية ابحاره مع الرياح ، ثم


● غلاف الكتاب

رصده للتحولات الزمنية ، وإتمام ذلك بالخروج من الدائرة ، الدائرة التي اتسعت لتجربته ، واحتدمت فيها حيرته وشوقه إلى إماتة هذا الاحساس المرير بالاغتراب بين شجاعة اقتحامه لمراصد قوى الشر والعدوان ، وبين تجمله بالصبر وتظاهره بعدم اللامبالاة إلى أن يتمكن من رصد أبعاد عالمه المنشود . من هنا يكون انتظار عودة المبحرين مع الرياح لإنقاذ ضحايا التحولات الزمنية ، ومساعدتهم على الخروج من الدائرة مشوبا بألوان متباينة من القلق النفسي . إذن لاريب في أن التجربه قد ازدادت اتساعا وعمقا في عمله الأخير « الخروج من الدائرة » الذي استوعب الوجود الشعري للشاعر ، ملقيا الضوء على أن الانسان موجود طبيعي ، أوجدته السماء بصورة كلية غير قابلة للتجزئة ، وهو مقيد بوطنه وانسانيته ، ولكل منهما حرمة يجب أن لاتنتهك ، وهذا أوجد لدى الوقيان حالات الوجد والعشق والهيام ، فالشاعر يعشق وطنه في انسانيته ، ويهيم بعروبته في شخصيته ، وقد تساوت بذلك لديه حالات الرضا والغضب ، فهو يغضب ليرضى في آونة وفي أخرى يرضى ليغضب ، وفي الحالتين يستمتع بإنسانيته أيما استمتاع ، ذلك أنه يثبت أنه موجود انساني ، كونه هو وطنه ، وعروبته هي دمه ، وهو بهذا يرمز إلى أسمى معاني العشق .

لغة خاصة :

هذه العجالة كان الغرض منها إلقاء الضوء على عناصر تجربة الوقيان . والآن آن لنا أن نتساءل : ما الأسلوبية التي انتهجها الوقيان في أشكاله اللغوية التي تمخضت عن هذه التجربة ؟

وقبل الإجابة عن هذا التساؤل لأبد أن أعلن أن هناك شاعرين : شاعر له مختبره الخاص ، وشاعر يعيش على مختبرات الآخرين ، فالشعر

وجود لغوي لابد له من مبدع ، وهذا المبدع لابد أن يكون مستلهما ، ولا يأتي إلهام بغير معاناة ، والمعاناة هي عنصر اشتعال لإتمام التجربة . ولقد سبق أن قلنا : إن شاعرنا يستروح نسائم التراث بملكة فنية ، ومن هنا يمكننا التأكيد على خصوصيته في انتاج لغته الخاصة وانتقائها .

وقبل أن نعرض للسمات الأساس لشعر الوقيان لابد أن نتأمل هذه الأسطر من قصيدة : (مذبحة الفواكه)

يجيء سليمان
بعد وضوء صلاة العشاء
تعشعش في ركبتيه
مواجع عصر من الغوص والقهر
والسفر المستديم
إليّ بشاي بلا سكر
وشربة ماء
لقد هدني الضغط و « التنك »
والسكر الأزلي اللعين
ويأتي خليل
بأكياس فاكهة للصغار
ويبقى يراقب في صمته المئذنة
وحول المراجيح
يلتف جمع من الصبية المتعبين
يؤرقهم هاجس المدرسة
وتسعدهم لحظة مؤنسة
وتبقى النساء
تروح تجيء
تراقب أطفالها في حذر
تجمع أشياءها
الماء ، البسط ، والأطعمة
لقد هبط الليل
هيا إلى البيت
لا ، سوف نبقى قليلا

بنية روائية :

هنا يتضح للمتأمل أن البنية الروائية هي الفاعلة فيما يمكن تسميته « المرويات الشعرية » التي هي - غالبا - من صنع الشاعر ووضعه ، معتمدا فيها على اسلوبية الروائي ، كما يمكن أن نطلق عليها أيضا « البنية الاخبارية » . وقد يتوهم بعض أنها اخبارية كإخبارية وسائل الاعلام ، ولكنها من الخطورة بمكان لاعتمادها على الفاعلية الدرامية ذات الحس الشعري ،



خليفة الوقيان

فالشاعر هنا يسرد كالراوي تماما ، فلا بد له إذن من أن يتباين مع الرواية ، وفي الوقت نفسه يحرص عليها ، ولن يذعن له ما يريد إلا بعد أن ينتج له شكلا من الأشكال الشاعرية المواثمة ينفي عن شاعريته الاخبارية النثرية ، وتكثر في قصائده من هذا النوع عبارات أخرى زمانية استهلالا وحشوا ، أخذت نمط السرد التاريخي ، مثل : جئنا معا حين اشتعال الماء والصلصال في الزمن الوليد ، ومثل : هذا زمان تستفيق به البشارة ، وهذا زمان تسقط الأوثان فيه ، وهذا زمان تستفيق به الحجارة ومثل :

من عهد بابل لم يزل قبس
بيديك حين سراجهم يخبو

ومثل :

كان لابد ـ في البدء ـ من قصيدة « من وحي صنعاء » .

وأهمية هذا البناء اللغوي تتضح فيما يلي :

١ ـ إثارة التشويق بالسرد القصصي ، وهذا من شأنه الحد من سآمة روح الغناء المهيمنة على القصيدة .

٢ ـ توظيف اللغة الشعرية في خدمة الدراما ، لاسيما في العبارات الختامية كقوله :

يجيء ـ يطل
محمولا على اسم الله
ـ جل الله ـ
يرقي سدة المنبر

ولعل من أروع هذه المرويات الشعرية التي تولدها الأنا الشعرية ، بقصد الاشتعال والرمزية الفنية المبتكرة لما يكابده من رؤى السقوط الانساني في قصيدته « تعويذة في زمن الاحتضار » التي يخاطب فيها الانسان المقهور ، مناديا إياه بمعنيين معنويين وهما الغضب المهجر ، والألق المغيب . يقول :

تفجر
أيها الغضب المهجر
أيها الألق المغيب
في المدى المخنوق
في الأفق المعفر

* * *

تفجر
إن دود الأرض يزحف
والدبا المسعور يحصد حقلك
الأخضر

* * *

تفجر
قد ذبحت الآن
مرات ومرات
تراودك الذئاب السود
تسرق منك نبض الروح

* * *

تفجر
إن أفعى الدار تخرج
من شقوق ، صخور جدرانك
ثقوب عريشك القشي
نسيج لحافك الهش

لاشك في التفاف العديد من المتلقين حولي إذا ارتأيت أن هذه القصيدة من أبرز التجارب للشاعر ، بل ومن أخطرها ، لاسيما إذا نظرنا إليها من خلال منظور مستوى البناء الفني واللغوي

نبع قرآني :

ولعل أهم ظاهرة من الظواهر اللغوية عند الشاعر هي منبعه القرآني الذي يمد النص بالكثير من التضمينات القرآنية ، في شكل تحويلي إلى جمل قرآنية ، تعد لبنة ذات دلالة عميقة بمنأى بعيد عن السطحية ، وليس ذلك إلا لارتباطها بقواعدها الأصلية القديمة التي قويت جذورها وتعمقت في أرض ذاكرة المتلقي ، فانظر إليه كيف يقول :

إنها قرية فاسقة
كان يأتي لها رزقها رغدا
حينما أمرت مترفيها
ثم شاع بها الفسق ،
حل العذاب
نعى ربّها بغتة مفسديها

إن هذه الصور ستوقظ لدى المتلقي صوتا يردد : (وَإذا أرَدْنا أنْ نُهلِكَ قَريةً أمَرْنا مُترفِيها فَفسقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْها القَولُ فَدَمَّرناها تَدْمِيراً) (الآية ١٦ من سورة الإسراء) .

ومن الأسطر الشاعرية ذات التضمينات القرآنية أيضا قوله :

جاء الطوفان
وتفجرت الأرض عيونا
كالبركان
وجبالا من موج
يغمر كل الوديان
كنعان الجانح يلقي السيل وحيدا
يطفو حينا
يرسب حينا
وتمر الفلك
فتحمل من كل زوجين اثنين
القوم ، الخيل ، الغزلان ،
الجرذان ، ال . . .
وتشق إلى الجودي سبيلا
ويغيب في الموج الطامي
كنعان
رب إن ابني من أهلي
لاجبل يعصم من أمر الرحمن

وكذلك نرى أن التضمينات القرآنية كثيرة ، ولكنها بأوجه مستحدثة للتضمين ومتباينة مع مفهوم التضمين المتعارف عليه في البلاغة التقليدية القديمة ، فانظر إليه كيف ضمن معنى قوله تعالى : (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) ومعنى قوله تعالى : (ما يَلْفِظُ مِنْ قول إلاّ لَديه رَقِيب عَتيد) هذه الأسطر الشعرية ، ومن القصيدة نفسها : -

في فمي جرعة الماء تنمو
تزيد
وعلى جانبي لظى النار يصرخ
هل من مزيد
نحن والصخر كنا الوقود
نحن والصخر نبقى الوقود
جلّ محصي الوجود
ما تلفظ من كلمة أو تزيد
فعليها رقيب عتيد . .

وعلى هذا تضمنت « قصيدة تسابيح » آيات قرآنية من أكثر من سورة بأسلوب تمثيلي تصويري عام ديدنه الحساسية الجديدة ، كبعد مهم من أبعاد المعاصرة .□

من كلمات العقاد



في الدنيا العادة وهي معطلة لحكم العقل
وفي الدنيا الجهل وهو معطل لحكم العقل
وفي الدنيا الفرض وهو معطل لحكم العقل
وفي الدنيا عقول لا تتفق وهي معطلة لحكم العقل ، وتسمع أن كل شيء في هذه الدنيا بالعقل !!



القصة في وادي النيل

تيارات وأجيال

بقلم : الدكتور الطاهر أحمد مكي

عادت القصة القصيرة في منطقة وادي النيل تحتل مكانا متميزا في ساحة الإبداع الأدبي العربي في الفترة القريبة الماضية. فما أسباب هذه العودة ؟ وما تياراتها، وأجيالها، واحتمالات تطوراتها المستقبلية ؟

بدأ ربع القرن الذي نؤرخ له بحدث سياسي رهيب هز وجدان الأمة العربية، وهو انهيار أول وحدة عربية كاملة في عصرنا الحديث بين مصر وسوريا عام ١٩٦١، فشاع اليأس والقلق في نفوس المفكرين والمثقفين من دعاة الوحدة والحالمين بها، وأدّى سياسيا إلى نتائج بالغة السوء في مصر داخليا. فاشتدت القبضة الخانقة، وازداد الناس خوفا، ولاذ بعض المثقفين بالصمت حيطة، وآثر آخرون الهجرة نجاة، واحتمى فريق بالأفكار الذهنية المجردة، ونجا المسرح وحده حين وظف التاريخ، وقال الكتاب من خلاله بعض ماكانوا يريدون، وجاء ازدهار المسرح على حساب القصة، فهاجر إليه خيرة كتابها.

وخلال انحسار القصة جاءت هزيمة ١٩٦٧، فأحدثت شرخا عميقا في جدار الخوف، عند الجماهير والكتاب على السواء، وردت المثقفين إلى ذواتهم، وأحدثت في داخلهم جروحا وندوبا، وأنستهم الإنجازات الكبرى التي تحققت داخليا وعربيا وعالميا، وفي هذا المناخ عاد إليها من كان يكتبها، واتجه إليها من كان معرضا أو صامتا، وجاء نتاج هؤلاء يختلف عن سابقه في الشكل والمحتوى، فيه كثير من الحزن والمرارة والتمرد، وأصداء واضحة من التيارات الجديدة في عالم القصة العالمية.

ثم كانت حرب الاستنزاف، ولمّا يتنبه لدورها غير قلة، وتلتها ملحمة العبور الرائعة، فمسحت عن قلوبنا الحزن والعار واليأس، على الرغم من أن الأحداث السياسية التي تلتها ذهبت بالجانب الأكبر من بهجتها. ومعها تراجعت الانطوائية وأدب الهروب والانكسار، ليحل مكانه أدب التحدي والصمود والتضحيات.



جيل ما بعد الروّاد

في هذه المرحلة من تاريخ القصة كان جيل الرواد قد أدى دوره ومضى، لم يبق منه أحد مبدعا، وفيها بلغ الجيل الأول بعدهم قمة نضجه، وأخذ يواجه الحياة المتغيرة بأسلوب جديد، فبدأ نجيب محفوظ، منذ عام ١٩٦١، مرحلة عني فيها بالجانب الفكري والفلسفي، كما في قصته «جوار الله»، وسوف يستخدم تيار الوعي على مهل، للتعرف على المعالم الداخلية والنفسية لشخوصه، وتجاوز مرحلة التعبير بالسرد الوصفي، لأنه لم يعد كافيا للتعبير عن أفكاره التجريدية بصورة محددة، فاتخذ من الحوار قالبا، يوضح من خلاله القضايا والمشكلات الفكرية التي قد تحجبها عناصر القص السردية، كفكرة الصراع بين العلم والدين في «حكاية بلا بداية ولا نهاية»، وفي «حارة العشاق»، على حين عالج في «عنبر لولو» التناقض بين مثاليات الثورة وواقعها، وبين طموحاتها وإمكاناتها، والصراع بين الحرية والعدالة، وبين الماضي والحاضر، والجديد والموروث.

وفي هذه المرحلة تجاوز يوسف إدريس الإحساس العميق بقضايا المطحونين في الأرض، ليعالج هموما إنسانية عامة، في مجموعته «لغة الآي آي»، وفيها بلغ القمة نضجا، وتطغى هموم شخوصها النفسية على أزماتهم الاقتصادية، وأصبحت تشغله المشكلات الفلسفية المتصلة بالإنسان، مصيره وعلاقته بالعالم، وتراجعت الأفكار التقدمية عنده، لأن التبشير بها لم يعد مهما، بعد أن حققت ثورة ١٩٥٢ الجانب الأكبر من أهدافها. وسوف يتوسع في استخدام الرمز، ويصعد من الواحد إلى الكل، ومن الفرد إلى الجماعة، ومن الواقع المحسوس الى الفكر المجرد، وتجيء مجموعته «الندّاهة» - صدرت ١٩٦٩ - امتدادا للمجموعة التي سبقت، ويبدو فيها الجنس صارخا أحيانا، وموظفا فنيا توظيفا جيدا على الدوام، على حين أنه في «بيت لحم» - صدرت ١٩٧١ - يجمع بين الواقعية والرمزية الفلسفية، مستفيدا من التجارب الجديدة في الآداب العالمية، وفيها ينقد صمت الشعب إزاء الأوضاع الفاسدة، ويضغط بشدة على لا مبالاة الناس، وتقبلهم أي شيء مهما كان غريبا وشاذا.

وبقية هذا الجيل واصلوا سيرهم، دون أن يبتعدوا فنيا إلى مسافات بعيدة عن النقطة التي بدءوا منها.

الهزيمة تُعمِّدُ جيلاً جديداً

أما الجيل الثاني، الأكثر شبابا، فقد بدأ خطاه حين كانت الواقعية تلفظ أنفاسها فعلا، لأن كتابها أغفلوا اللحظات النفسية الخفية التي ترتبط بالفرد إنسانا وذاتا متميزة، ولا تتصل مباشرة بمشكلات المجتمع الظاهرة، ولكنها أقدر على كشف خبايا النفس، وكان تأثير هزيمة ١٩٦٧ في نفوسهم أقوى منه عند غيرهم، فأصابهم بالإحباط، ولكنهم تماسكوا أمام هول الكارثة، ومحاولة الخروج من نفق اليأس



● نجيب محفوظ ● د. يوسف ادريس

والاستسلام، وتولد عندهم رفض لكل ما أدى إليها، وتمثل ذلك فنيا في البحث عن أشكال جديدة لمواجهة مواقف جديدة، وبعض هذه التقنيات كان معروفا على استحياء، والآخر متواريا، أو مجهولا تماما، ولكنها سوف تصبح منذ الآن تيارات بينة، يردها الجميع كلّها أو بعضها.

كان توظيف الحلم إحدى الظواهر التي أخذت طريقها إلى القصة في شكلها الجديد، ووراء شيوعه تقنية، نظريتان في علم النفس، تتصلان بالأحلام، وتركا أثرهما في الإبداع الأدبي : نظرية فرويد في الأحلام وتفسيرها، ونظرية كارل يونج عن «اللاوعي الجمعي» «الذي يختزن الماضي الجنسي، وولّد الأبطال الأسطوريين عند البدائيين، ولايزال يولّد أخيلة فردية مشابهة عند الرجل المتمدين، ويجد تعبيره الأكبر في رمزية تتجاوز حدود الزمان، ولكنها مألوفة نسبيا، وهي رمزية لا تزال تتكرر أبدا».

والنظريتان على الرغم من تأثيرهما في الإبداع الأدبي، والقصة بخاصة، يختلفان منحى، لأن فرويد جعل نظريته تسيطر على تفسير أحلامه وتداعياته، فهو يجعل الحلم الظاهر تمويها وإخفاء، والكامن رغبة وإلحاحا، على حين يعده يونج كشفا لا إخفاء، ولكنهما يتفقان على أن الحلم لغة.

على أن نظرية الأحلام هذه لم تسقط على أرض مجدبة، وإنما وجدت في العربية تربة غنية بالموروثات الشعبية، المتصلة بالأحلام وتفسيرها، من ابن سيرين في القرن الثامن الميلادي إلى عبدالغني النابلسي في القرن الثامن عشر الميلادي، ومن هنا شاع توظيف الحلم في القصة منذ البداية، في صورته البسيطة المباشرة، فتصرح به الشخصية : «حلمت . . . رأيت في نومي»، ويجيء الحديث عنه سردا مباشرا، لا يعتمد على التداعي الحر، ويقل فيه التناثر والإسراع، والتكثيف، وتجيء الأحداث متسلسلة، والحوار منسقا، ويقرب من التفكير العادي، واستخدامه في هذه الصورة كثير، ونلتقي به عند كثيرين، وفي كل المراحل.

أما غير المباشر فجاء تطورا على مهل للصورة الأولى، وأصبح ظاهرة فنية متميزة، يستغرق كاتبها في لحظات الشعور والتداعي، ويهتم بتصوير الذات داخليا وخارجيا، وسوف يكون مقدمة لاستخدام تيار الوعي، لأن هذا يعتمد بالضرورة على تداعي الصور، وتعاقب الأحداث، على نحو لا يحكمه نظام، في الظاهر على الأقل، وإنما يقع الحدث وينمو ويتطور داخل عقل الشخصية، ويعكس تيار وعيها، أو التداعي لخواطرها، إذا شئت، كل



● ادوار الخراط ● يحيى الطاهر عبدالله

القوى التي تعيها، وليس الحلم هنا إلّا ذكريات تتداعى، ونجد توظيف الحلم عند يحيى الطاهر عبدالله، ومجيد طوبيا، وبهاء الطاهر، وغيرهم.

غير أن تيار الوعي، والحلم غير المباشر على نحو ما، على النقيض من المباشر، يبتعد عن السرد المباشر، والتتابع الزمني، ويعتمد على التكثيف، وفيضان الفكر وجريانه وسيولته، دون مراعاة الربط المنطقي، وفيه يتلاشى الزمان أو يتداخل، ويتجلى استخدامه واضحا عند إدوار الخراط ومحمود عوض عبدالعال، وآخرين.

بصمات السينما

وفي هذه المرحلة سوف تترك السينما بصماتها واضحة في فن القصة، وبفضلها أصبح من



الممكن أن يعود الإنسان إلى الماضي، لا عن طريق القراءة أو التذكر أو الصور واللوحات، وإنما عن طريق العيش في الماضي نفسه، وسط مشاهد متعددة، تعرضه بأشكاله وألوانه وأصواته وحركاته، فأثر هذا في تقنية القصة، وعرف بناؤها فن «المونتاج»، والاختفاء التدريجي، والارتداد، والتصوير البطيء، واللقطة الخاطفة، وغيرها.

يستخدم «المونتاج» في القصة على طريقتين: المونتاج لزمني، وفيه تظل الشخصية ثابتة في مكانها، ويتحرك وعيها في الزمان، بأن يضع الكاتب صور زمن معين وأفكاره على مثيلاتها في زمن آخر، والمونتاج المكاني، وفيه يبقى الزمن ثابتا، ويتغير المكان، ويتجلى ذلك واضحا في قصص تيار الوعي، ويستخدمه أغلب كتاب الجيل الثاني والثالث، مع تفاوت في الإجادة والتمكن، ويتجلى استخدامه أروع ما يكون في قصة «ذراعان» لمحمد أبوالمعاطي أبو النجا.

أعتقد أن «أبو النجا» أعظم قصاصي هذا الجيل، وإن لم يأخذ حقه من الدرس والتحليل، فهو كثير التأمل والتفكير والمناقشة، يقف طويلا أمام جزئيات الحدث وتفصيلاته، ويلم بها دون



أن تفلت من بين أصابعه أي جزئية، ولديه قدرة واعية على تفتيت اللحظة النفسية الواحدة الى جزئيات غنية بالدلالات، وعلى توليد فيض من الأفكار الجزئية من معنى كلي، «لتصبح القصة على قلمه أشبه بالقصيدة التي تدور حول إحساس واحد، ولكنها في دورانها تستقطب عالما ثريا من الأحاسيس التي تزيد التجربة عمقا، ولكنها لا تنفصل عنها».

استلهام الموروثات

ولأن هناك علاقة جدلية بين الفنان ومجتمعه، يعبر فيها الإبداع عن ذات الفنان من جانب، وعن واقع المجتمع من جانب آخر، وكان المجتمع المصري في هذه الحقبة يعاني من أزمات اجتماعية وسياسية عميقة، فقد كان على الإنسان الذي واكب حركة التغيير هذه، ولفته أعاصير الضياع والحيرة، أن يرتد إلى تراثه، تأكيدا لذاته في مواجهة الحضارة الغربية التي بدأت تحاصره من كل جانب، متمثلا فضائل أمته المتوارثة، وهكذا بدأ كتاب القصة يستلهمون الموروثات، دينية وشعبية وتاريخية، أحداثا وشخصيات، ويوظفونها كليا أو جزئيا، يستوحون منها شخوصهم، أو يقتبسون الألفاظ ذات المدلول الديني، آيات من القرآن الكريم، أو فقرات من التوراة والإنجيل.

في الموروث الإسلامي شاع استلهام شخصية الصوفي، يبشر بالقادم الذي لما يأت، أو بالخضر كما في «الجد حسن» ليحيى الطاهر عبدالله، أو «الحوت ويونس» لأحمد الشيخ. ويحاول مخمود عوض في قصته «علامة الرضا» أن يجسد المعاني التي يريدها، مستخدما كثيرا من الآيات القرآنية.

ونجد بعض الصدى للمأثورات المسيحية، وتجيء في جملتها من كتاب مسيحيين، لأن داخلهم يمور بهذا اللون من الثقافة، وربما ـ

ولو بغير وعي منهم ـ لإثبات ذواتهم، وهكذا يؤكد جميل عطية إبراهيم في قصته «الأيقونة» على صورة مريم العذراء، والشيء نفسه نجده عند نبيل نعوم في قصته «النيل عند المنبع وعند المصب».

ولأن كتاب هذه المرحلة عرفوا الاغتراب ماديا وذهنيا فقد دخل الموال والأغنية عالم القصة، وأكثر ما يكون استخداما عند «طه وادي» في مجموعتيه «الدموع لا تمسح الأحزان» و«حكاية الليل والطريق».

وبتأثير من كتاب المسرح الذين أسرفوا في هذه الحقبة في استخدام الأحداث والشخصيات التاريخية، بجعلها تتعاصر مع الواقع، بما تحمل من هموم وإسقاطات، من خلال حقبة تاريخية بعينها، حاول بعض كتاب القصة أن يسيروا في الطريق نفسه، ومنهم من اتخذ من أسلوب التاريخ الوسيط قالبا، يصب فيه حدثه وأفكاره، وهو اتجاه لم يوفق كثيرا، وقراءة ماكتب فيه مملة، لأن العصر غير العصر، والذوق غير الذوق، ولأن التقليد غلب على كاتبيه، والتقليد يقيد الخيال ويقتل الابتكار.

وهناك نوعان من القصة ازدهرا عالميا، بعد الحرب العالمية الثانية، وهما: القصة «البوليسية» وقصة التجسس، والأولى عرفت على نحو شاحب في نهاية المرحلة التي تسبق الفترة التي نعرض لها ثم ماتت، ولم يكتب أحد في الثانية، على الرغم من أن صالح مرسي برز وأبدع في هذا المجال روائيا، وقدم لنا: رأفت الهجان والحفّار، وهما من خير ماكتب في هذا النوع، في الأدب العربي، دون أن يكون مسبوقا بأحد في لغتنا.



● الطيب صالح



● صالح مرسي

القصة في جنوب الوادي

لم يتخلف ظهور القصة في السودان طويلا عن مصر، إلا بمقدار المسافة التي تبلغ فيها تيارات شمال الوادي جنوبه، أو التي يستغرقها مجيء السوداني للدراسة في القاهرة، ويمكن القول إن المسافة الفاصلة لا تتجاوز إجمالا ثلاثة عقود من الزمان.

وكان الاتجاه الغالب في البدء احتذاء الأدب في مصر، ومتابعة ما تنتجه المطابع المصرية، دون التفرقة بين اتجاه وآخر، أو نوع ونوع، وفشل الاستعمار البريطاني في وقف أي تفاعل ثقافي بين شطري الوادي، وشاعت الدعوة لأدب وادي النيل دون تفرقة بين مصري وسوداني. وإذا كان جيل الرواد في جنوب الوادي قد تأثر بمثيله في الشمال، فإن الجيل الأول بعده ـ ونشأ بعد الحرب العالمية الثانية ـ تأثر بنجيب محفوظ ويوسف إدريس، وبالآداب الأجنبية مترجمة إلى العربية أو في اللغة الانجليزية.

ومع ذلك لا يمكن تجاهل الواقع في جنوب الوادي، من بيئات متنوعة، ومستويات متفاوتة، وتقاليد مختلفة، وموروثات متباينة الجذور، فنشأت «رابطة أصدقاء نهر عطبرة»، في مدينة عطبرة، مدينة الطبقة العاملة في السودان، حيث مصانع السكك الحديدية وورشها، وقامت بدور رئيس في الحركة الوطنية، وكان المبدعون من أبنائها، وبرز منهم أحمد الأمين البشير، وعبدالله علي ابراهيم، واهتما بتصوير الحياة في المدينة، ورصد حياة العمال على المستوى الإنساني.

وكانت هناك رابطة أدباء جامعة الخرطوم، واهتم كتابها بتصوير الطبقات الشعبية، وهي تعاني من المستعمر، ووطأة الاحتلال، والعنصرية والتعصب، وتعطي كل ما عندها،



لكنها لا تأخذ غير القليل، ومن أشهر كتابها عثمان الحوري ومحمد عبدالله عجيمي.

وفي هذه المرحلة بلغ الاتجاه الواقعي في السودان قمته، مخلفا وراءه الرومانسية بصورها الزاعقة، وتجلى واضحا في قصص محمد سعيد، والزبير علي، وخوجلي، واتخذوا من الخرطوم مسرحا لأحداثهم، والتزموا بالطبقات الفقيرة، وشخوص قصصهم مسحوقة، تعاني وطأة الاستغلال والاضطهاد، ولكنها إيجابية متفائلة، تتجمع وتحتج وتتكاتف لمواجهة مصيرها وتغيير واقعها، ونلحظ أن قصصهم خلت من المرأة محورا يدور حوله الحدث، لأنها فيما يرون جزءا من مجتمعها ومن طبقتها

ودفع أبو بكر خالد والطيب زروق بالقصة خطوة واسعة إلى الأمام، وكلاهما تعلم في مصر، الأول في دار العلوم والثاني في كلية الطب، وهما يتوجهان إلى القارىء العربي عموما، ويحمل إبداعهما طابعا تعريفيا بالسودان، أو بيئة معينة فيه.

وهذا الإنتاج الذي ألمحنا إليه بعضه جيد، لكن جانبا كبيرا منه يغلب عليه السرد والتقرير والرتابة والميل الى الوعظ، ومخاطبة القارىء مباشرة، والفقر في التعبير لفظا وصورة، والإسراف في استخدام العامية السودانية في الحوار.

نقلة نوعية

غير أن الطيب صالح يجيء (أمة) وحده في هذه الفترة، فقد نقل القصة السودانية الى عمق التوهج الذي تشهده في بقية الأقطار العربية، بناء واتجاها ومادة، وهو يجمع الى ثقافته العربية الأصيلة قراءة واسعة واعية بالأدب الإنجليزي، وقد تأثر على نحو واضح بعلم النفس، وبخاصة بنظرية يونج في «العقل الجمعي»، وقاده هذا إلى استخدام تيار الوعي بمهارة فائقة، ويتجلى ذلك واضحا في قصته «الرجل القبرصي».

وتتلون قصص الطيب صالح بصوفية واضحة، ومعظم شخوصه أولياء صالحون، يتنبأون وتتحقق نبوءاتهم، وفي كتاباته حنين جارف الى القرية، وقد قدم واقعها في الشمال وما يعتمل في أعماقها من مفاهيم وقيم وأخلاق، ومنها يستمد مادة تشبيهاته، ولأنه كان يقدم أعماله إجمالا من خلال الإذاعة البريطانية حيث يعمل، وينشره في المجلات التي تصدر عنها، جاء تقديمه للقرية السودانية مثاليا لا تعيشه القرية واقعا.

وكرد فعل لإقامته في لندن، ونظرة الناس إليه من خلال لونه الأسود، عالج في قصصه حياة المغتربين العاطفية في لندن من ذوي البشرة السوداء، وألمح إلى التصادم بين الحضارتين الشرقية والغربية، ويرى الإفادة من تقنياتها دون أن نفقد الجانب الروحي في حياتنا.

لقد استطاع الطيب صالح أن يطور أسلوبه في زمن قصير، من عادي متعثر في «نخلة على الجدول» الى ناضج سلس في «دومة ود حامد»، وهو يستخدم الموال، وحتى الشعر الفصيح، كما هو الحال في مصر، ويستخدم العامية السودانية كثيرا، واحيانا عامية القرية التي تدور الأحداث فيها، ولكنها عامية راقية، ذات مستوى، يفهمها كل من يجيد الفصحى.

وماذا عن الجيل الصاعد الآن في مصر والسودان؟

يحسب له إحساسه الشديد بواقع الحياة حوله، وعزوفه عن الموضوعات المطروقة والمكرورة، ولكن يؤخذ عليه تحرره من القواعد الفنية بزعم التجديد، وفقره اللغوي الشديد، وميله إلى التقرير والمباشرة، ومن ثم فهو يخبرنا

بالحدث بدل أن يصوره لنا، وحين يتحرر الكاتب من قواعد الفن، ويتجوز في استخدام اللغة، تصبح القصة مجرد غموض وثرثرة، والثرثرة وحدها لا تصنع فنا.

القصة حكايات شعبية

ونبلغ آخر أقطار العروبة في وادي النيل، وأعني به الصومال. وهو قديم العروبة وعلاقته بالجزيرة العربية بدأت قبل الإسلام هجرة وتجارة، وبمصر من عهد الفراعنة، وكان يؤلف جزءا من الدولة المصرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مع أجزاء أخرى في شرق افريقيا ووسطها، وعروبته لغويا تعتمد على المشافهة، وعمادها حفظ القرآن الكريم، وتضطلع به «الدكسيات» (أي الكتاتيب) في القرى، وتقوم الصومالية لغة حياة إلى جانب العربية.

وقد حال الاستعمار الأوربي دون أن تتطور هذه الأقاليم ثقافيا، وأن تتطور العربية بالتالي لتصبح لغة الإدارة والتعليم، فوقف تعليمها عند حد الكتّاب، ومع ذلك أصبحت لغة الشعر، لأنه فن يعتمد على الانشاد والرواية، ولا يحتاج الى الكتابة، وفيه يراعي الشعراء القافية دائما والوزن الخليلي غالبا.

وفيما يتصل بالقصة ما يزال الصومال في مرحلة الحكاية التي تلقى شفاها. وهي حكايات عربية في جملتها، ألقت عليها بيئة البلاد، وهي صحراوية رعوية، بعض ظلالها، فبدت مستقلة إلى حد ما، وذات ملامح خاصة، وتنسب الحكايات الساخرة في معظمها إلى أبي نواس، وينطقونه «بينواس»، ويقوم عندهم مقام جحا عندنا، وإلى جواره «عفال شيداد»، والكلمة الأخيرة محرفة من «شديد» العربية، وتوصف بها هذه الشخصية سخرية، لأنها تتصف بالخوف والجبن الشديد، إلى جانب السذاجة والغفلة التي تبعث على الضحك والسخرية.

ونجد الملامح نفسها في جمهورية جيبوتي، وهي قطر عربي آخر، تلتقي مع الصومال في خصائصه الطبيعية واللغوية والعرقية، وإن يكن التأثير الفرنسي فيها أوضح لقرب عهدها بالاستقلال. والشيء نفسه يمكن أن يقال عن أريتريا، وهي تكافح من أجل الاستقلال، والتحرر من نير الاستعمار الحبشي، والتمسك فيها بالعروبة والعربية أشد، رفضا للاحتلال ومقاومة لمحو شخصيتها.

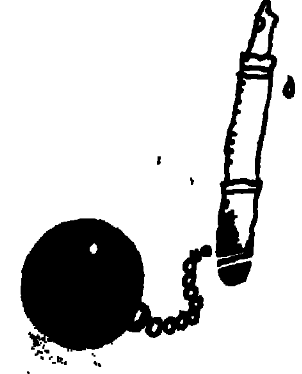
ويلفت النظر أن جانبا كبيرا من هذا القصص الشعبي شائع في صعيد مصر الأعلى دون تغيير يذكر.

حين تصبح العربية لغة التعليم وحدها في المدرسة والجامعة والإدارة والإذاعة والصحافة، فمن المؤكد أن مستقبلا طيبا سوف ينتظر العربية هناك، من قوم يتسمون بالذكاء الفطري، ورهافة الحس البالغة، ويحرصون على أن يكونوا في مصاف إخوانهم في بقية أقطار العروبة . □

التساؤل طريق الابداع :

« إن المعنى الأساسي الذي تتجلى فيه حرية الفكر هو حرية التساؤل والشك ، والبدء دوماً من نقطة اللاقبول . والابداع هو انطلاق من التساؤل والشك نحو الوصول إلى نتيجة معينة ، من خلالها تبدو عملية الإبداع مستمرة ، وأي كبت أو قمع لهذا المسار في الفكر هو خنق لحريته » .


« د. كمال أبو ديب »





القصة القصيرة في بلاد الشام

تحوّلات نوعيّة

بقلم : فخري صالح*

في نتاج القصة القصيرة في بلاد الشام ، خلال السنوات الماضية ، نلمس تعقداً وتشابكاً في أساليبها ، ورؤاها ، وهي تعكس مع الأجناس الأدبية التعبيرية الأخرى ، تعقد الواقع الاجتماعي والسياسي ، وغموضه وتناقضه . وفي هذا المقال يستعرض الكاتب ، بإيجاز ، بعض نماذج القصة القصيرة ، عبر مسيرة تطورها ، محدداً قسماتها الرئيسة ، وملامحها الفنية .

يصعب الحديث عن الكتابة القصصية في بلاد الشام بعد ١٩٦٧ ، دون الإشارة إلى تاريخ هذا النوع الأدبي الذي بدأ في التغير الجذري ، بعد هزيمة حزيران ، ليبدأ تاريخاً من التحولات النوعية في الشكل ، وعلاقات عناصره ، وكيفية النظر إلى العالم ، وكيفية إعادة تشكيله عبر سرده وحكاية أخباره . وعلى الرغم من أن الإرهاصات الأولى لتغير كيفية النظر إلى العالم كانت كامنة في الحقبة الزمنية السابقة على هذا التاريخ الذي حددته بدءاً لعملية التغير ، تلك الهزيمة ، وما أنتجته من التباس في فهم ما حدث وتغير في نظرة العربي إلى نفسه ، قد عملت على تفجير علاقة السرد والمتخيل بما يحكيه السرد ويجعله موضوعاً للتخيل . ولو ألقينا نظرة سريعة على القصة القصيرة في (سوريا ، ولبنان ، وفلسطين ، والأردن) ، قبل ١٩٦٧ ، لوجدنا أن التوجه نحو ترسيخ هذا النوع ، عبر سرد واقعي ، يحكي التفاصيل ، من منظور يشي بامتلاك فهم تفصيلي للواقع ، هو الهاجس الذي يحكم هذه الكتابة القصصية . إن قصص سميرة عزام ، وسعيد حورانية ، مثلاً ، تلتقي في بؤرة مركزية ، هي سرد تفاصيل الحياة اليومية ،

* [illegible] من القطر العربي الأردني .

والبحث عن الأسباب الفعلية التي تقيم في أساس التناقضات الاجتماعية والسياسية . إن العالم بالنسبة لهذين القاصين (وكثيرين من جيلهما) يبدو مفهوماً على الرغم من تناقضاته وفواجعه . وعلى الرغم من أن هذين القاصين يعاصران ، في الحقبة الزمنية نفسها ، قصاصين تختلف في أعمالهم اللغة القصصية وطرق اختبار الأشياء ، ودرجة اليقين التي يواجهون بها العالم ، فإن نموذج الكتابة الواقعية ، المتمثل في عملي حورانية وسميرة عزام ، كان هو المهيمن ، وستبدأ عملية التغير والتطور في النوع تجاوزاً لهذا النموذج .

اللغة أداة لفهم الواقع :

في الحقبة نفسها كان قصاصون ، مثل غسان كنفاني ، وزكريا تامر ، وجبرا ابراهيم جبرا ، واميل حبيبي ، يجترحون لغة جديدة في الكتابة القصصية . كان السرد القصصي في عمل غسان كنفاني سؤالاً ملوعاً حول المصير ، وقد انعكس هذا السؤال على اللغة القصصية التي تتخذ من استعارة مركزية محوراً لها ، لقد دخلت القصة القصيرة حقل الشعر ، عن طريق تنمية الاستعارات والمجازات ، في سياق ما تحكيه من قصص . إن صوراً استعارية ، مثل البندقية التي تتحول إلى عصاً لا نفع فيها ، أو لحم الاسكافي الذي يلتصق بأحذية الرجل الغني ، تتحول لتصبح البؤرة التي يتمركز حولها معنى العمل القصصي كله . في السياق نفسه يعمل زكريا تامر على إعادة قارئه إلى مدينة الحلم ، إلى مدينة الطفولة والبراءة الأولى ، ليصدمه ، ويؤرق وجدانه ، حين يصور بشاعة اقتحام عناصر الدمار لهذا العالم الحلمي . وإذا كان كنفاني يحكي دائماً قصة واقعية ، نستطيع تلمس حوافها ، والقبض على تسلسل أحداثها ، فإن تامر يستعيض عن المادة الواقعية بإعادة تشكيل الأساطير والحكايات الشعبية « وأنسنة » الحيوان والنبات للتعبير بصورة موازية عن الواقع الضاغط الذي ينوء بثقله الإنسان العربي في حقبة الدخول في مرحلة الاستقلال ومرحلة النكبة الأولى عام ١٩٤٨م .

إن القصص المكتوبة بعد ١٩٦٧ لا تشكل انقطاعاً تاماً ونهائياً عن المرحلة السابقة ، فهناك دائماً حلقات اتصال ، ومراحل وسيطة ، وقصاصون تشكل أعمالهم إرهاصاً بالتحول . لكن القصص المكتوبة في الربع الأخير من هذا القرن تشكل انقطاعاً عن التيار العام للكتابات القصصية ، عن تلك الكتابة القصصية التي كانت تظن أنها تقبض على العالم والأشياء ، بينما كان العالم والأشياء يفلتان من بين أصابعها



● جبرا ابراهيم جبرا



● غسان كنفاني





● أميل حبيبي



المتشبثة بالفراغ . لقد كان قصاصون ، مثل جبرا ، وكنفاني ، وتامر ، واعين تماماً بأنّ حلم اليقظة الذي عاشه الناس ، في حقبة الحلم القومي ، كان مهدداً بالانكشاف عن كابوس ، وهذا ما حدث فعلاً بوقوع هزيمة ١٩٦٧ . ومن هذه الكتابات القصصية المليئة بالتساؤلات والشكوك تولدت تجارب قصصية ، قُدّر لها أن تؤثر تأثيراً عميقاً في مجرى تاريخ الكتابة القصصية في هذه الرقعة من الأرض العربية . في « دمشق الحرائق » ١٩٧٣ ، و « النمور في اليوم العاشر » ، يسجل زكريا تامر تتويجاً لتجربته القصصية التي تلتصق في هاتين المجموعتين بالشعر و « الفانتازيا » .

إن اللغة الشعرية « وأنسنة » كل شيء ـ النبات ، والحيوان ، والنهر ، والبحر ، والغيمة ـ ثم ترميز أدوات القمع وفاعلياته ، وتبيان بشاعة آثار القمع على الروح الإنسانية ، هي المعالم الأساس في تجربة زكريا تامر .

إن لغة الشعر المستعارة ، في قصص زكريا تامر ، تكشف عن تناقض تام بين اللغة ومخلوقاتها ، وبين الحلم والواقع الذي يحجبه هذا الحلم . ولقد أثر هذا الأسلوب عميقاً في التجارب القصصية الطالعة في بداية هذه الحقبة ، حتى أصبح لدينا تيار عريض من القصاصين ، نلمس في كتاباتهم ملامح القصة التامرية وأسلوب سردها . في قصص جمال أبو حمدان ـ وفخري قعوار ـ وهما من الأردن ـ ومحمود شقير ـ فلسطين ـ نشهد تأثيرات هذا الأسلوب ، باللجوء إلى لغة الشعر أو « الفانتازيا » ، وترميز أدوات القمع وفاعلياته ، لكتابة قصة تغادر بيت الواقعية المحتشد بالتفاصيل ، ونثر الحياة اليومية ، وتتجه إلى الفُسْحة التي يوفرها الشعر للتعبير عما هو أساس ويُمثّل ، ما هو أسطوري ، في الحياة الانسانية .

المقاومة تلتهم القصاصين :

لكن إذا كان زكريا تامر قد طور تجربته في الاتجاه الذي تحدثنا عنه سابقاً فإن غسان كنفاني ، مع اكتمال بدر المقاومة الفلسطينية ، وبلوغ الكفاح المسلح الفلسطيني أوجّه ، بعد الهزيمة مباشرة ، قد بدأ يكتب قصصاً شديدة الواقعية ، محتشدة بتفاصيل حياة المخيم وحياة المقاوم الفلسطيني . لقد انتهى غسان إلى كتابة نشيد الثورة الفلسطينية ، متأثراً بعمله السياسي اليومي ، ومشاركته الجسدية في هذه الثورة ، وصولاً إلى الاستشهاد عام ١٩٧٢ . وكان لهذا التحول أثره الكبير خاصة على الكتابة الفلسطينية ، حتى أن جيلاً من كتاب القصة الفلسطينيين يجد في عناية غسان كنفاني بأثر فعل المقاومة على الحياة اليومية للإنسان الفلسطيني في المنافي ملهماً أساسا للكتابة القصصية في هذه الحقبة . إنّ قصص يحيى يخلف ، ورشاد أبو شاور ، (وحتى توفيق فياض الذي كتب قصصه أو استوحاها من عيشه ومن حياته اليومية في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨) ، تصدر عن الاصطدام اليومي بعلاقة المقاومة بالشارع ، وتتشكل هذه القصص من محاولة شرح أثر فعل المقاومة على الإنسان الفلسطيني ، بإعطائه شحنة متجددة من الأمل الذي يمكنه من مواصلة العيش والالتصاق بالمقاومة . ولقد امتد هذا الأثر بالتأكيد إلى قصاصين آخرين (من الأردن وسوريا ولبنان) ، ليشكل عامل توليد لكتابة واقعية جديدة ، تجمع إلى لغة الشعر بعداً طوباوياً يرفده الفعل المقاوم .

إن قصص حيدر حيدر (سوريا) ، ومؤنس الرزاز (الأردن) ، مثلاً ، تكتب عن المقاومة الفلسطينية ، ونماذجها الإنسانية ، بوصفها الإشعاع الأخير في الظلام الزاحف الذي رآه القاص العربي قبل الهزيمة .

هكذا يتجاور أسلوبان في الكتابة القصصية في هذه المرحلة ، فيمتزج الشعر بالفانتازيا ، وتعود الكتابة الواقعية لتتصدر المشهد . ولقد ولّد اجتماع عوامل اليأس والرغبة في المقاومة هذا الانقسام في الحساسية القصصية ، مماجعلنا نشهد التجاء كاتب قصصي مثل غسان كنفاني إلى كتابة واقعية تبسيطية تشرح وتفسر ، وتعقد المقارنات بين الماضي والراهن ، بين التقاعس والانخراط في المقاومة ، وعلى الرغم من أن قصص كنفاني في « أم سعد » ، و « عن الرجال والبنادق » ، تحمل في أحشائها عناصر الرؤية الاستعارية للمعاش الفلسطيني فإن خط الواقعية الإيجابية قد نما في عمل كنفاني القصصي ، مؤثراً على حقبة بكاملها من الكتابة القصصية . في الوقت نفسه كانت القصة القصيرة تشهد تحولاً باتجاه كتابة ، يأخذ فيها البعد الشعري ، في العمل القصصي ، دوراً طاغياً ، حتى اختفت من بعض هذا الإنتاج القصصي ملامح السرد ، لتحل محل السرد تقنيات الكتابة الشعرية والصور والخيالات المجنحة ، لا لتصبح هذه العناصر المحسوبة على الإبداع الشعري ذات بعد وظيفي في العمل الشعري ، بل لتمحو كل ماله علاقة بالسرد وأدواته ووظائفه . وإذا نظرنا إلى هذه المرحلة من الكتابة القصصية استرجاعياً فسوف نفاجأ بأن القليل من هذه الكتابات قد صمد ، وأن العديد من الأسماء التي حولت القصة إلى نوع ملحق ببيت الشعر قد انطفأت وامحى أثرها . لقد كان عمل زكريا تامر عملاً محسوباً بدقة بهذا الخصوص ، فالشعر لم يكن ليتعدى وظيفته في سياق السرد ، وكان حضوره ذا وظيفة محددة ، تتمثل في قابليته لإثارة التضاد في اللوحة التفصيلية للعمل القصصي . إن الشعر قد اجْتُلِبَ إلى حقل الكتابة القصصية ليُنْفَى ، وتُمْحَى فاعليته الحُلُميَّة ، بفعل الحضور الطاغي لتفاصيل الحياة اليومية الشرسة القامعة المعادية لفعل الحياة نفسه . لم تكن استعارة وسائل الشعر وعناصره مقصودة لذاتها ، بل لوظيفتها ، وهذا ما لم ينتبه له كثيرون من كتاب القصة القصيرة في السبعينيات .

رؤى غائمة :

إن ما يسجل لهذه الحقبة التي تمتد إلى منتصف السبعينيات هو أن تحولات نوعية بارزة قد لحقت



● فخري قعوار



● رشاد أبو شاور



● يحيى خلف



بشكل الكتابة القصصية وتقنياتها وأسلوب معالجتها للواقع . لقد اتسمت مقاربة الواقع ، في هذه الفترة ، بتشكك وارتياب ظاهرين ، مما انعكس على أسلوب السرد ، وعلاقة السارد بما يسرده . في هذه المرحلة يتقلص الراوي الكلي العلم ، الراوي الذي يعلم كل شاردة وواردة في حياة شخصياته ودواخلهم ، ليحل محله راو ، لا يعرف إلا ما تشهده عيناه . لكن هذا الراوي الشاهد سرعان ما ينكفيء إلى داخله ، لعدم قدرته على تأويل ما يشهده . لقد أضحى العالم غير مفهوم ، مستغلقاً شديد الغرابة ، كيف إذن يمكن للقاص أن يواجه عالماً غريباً عنه ، عالماً معادياً إشكالياً معقداً ، بالكتابة القصصية ؟

هناك حلان تقدمهما الحقبة التالية لمنتصف السبعينيات : إعادة إنتاج غموض العالم ، عبر محاكاة تناثره وانحلاله ، أو محاكاة هذا الواقع محاكاة ساخرة ، تشوهه أو تبالغ في رسم أبعاده بصورة كاريكاتورية ، مثيرة للضحك والإشفاق في الوقت نفسه . إن حيرة القاص وتشككه في الأشياء من حوله يدفعانه إما إلى ذهول وارتباك ، يعيد إنتاجه في أدواته القصصية ، في لغته وأسلوبه في الرواية عن الأشياء ، أو أنهما يدفعانه إلى ضحك أسود مرير . وهكذا تلتقي إعادة تصوير تشوش مظاهر الحياة اليومية لغوياً مع السخرية المرة ، في كون الأولى والثانية محاولتين لاحتمال العيش في عالم من العمى والخراب العميم .

في سياق إعادة إنتاج غموض الأشياء والعالم يكتب حيدر حيدر ، في بعض قصصه الأخيرة ، رؤية سديمية للأشياء والعلاقات . إنه يصور الأشياء من خلال عدسة ، يلفها الضباب والغبار والغبش ، حتى تنقل لنا الكتابة القصصية صورة مشوشة غير شفافة للأحداث . إن الوضوح الذي نصادفه في الأعمال القصصية التقليدية يغيب هنا ، لصالح تقديم منظور ، تنقصه الشفافية ، بسبب عدم وضوح الرؤية ، من خلال وسط يلفه الضباب والغموض . بهذه الطريقة ينفذ القاص في العقد الأخير إلى تصوير حيرته ، أمام ما يحدث ، وعدم فهمه لما يجري . إن الوسط الذي ينظر القاص من خلاله شديد الأهمية هنا ، وما كان هذا الوسط ليلفت انتباه القاص العربي قبل هذه الفترة ، فلم يكن القاص من قبل بهذه الحصافة الفنية ، لكي ينقل رسالته من خلال استخدام عناصر السرد ، بوصفها جزءاً أساساً من عملية إنتاج المعنى . يلتقي إلياس خوري مع حيدر حيدر في استخدام عناصر السرد للإيحاء بمعنى أساس .

إن استخدام أكثر من راوٍ في « المبتدأ والخبر » ، وكذلك في أعماله الروائية والقصصية الأخرى ، يتيح للكاتب تقليب الحدث ، وعرضه من زوايا نظر متعددة . لكن هذه التقنية الأسلوبية تقوم بوظيفة أكثر أهمية في القصص ، لأن استخدام رواة متعددين يتسلحون بموضوعية زائفة يتيح تقديم صورة عبثية للحرب الأهلية اللبنانية ، كما تقدم هذه التقنية الأسلوبية عملاً ذا رؤية مشفقة غائمة ، حيث فيها ملامح الأشخاص بصورة قصدية ، لتجلو لنا عبثية الحرب ، وطاقتها التدميرية ، وقدرتها على تخريب العلاقات الإنسانية ، وتحويل المجتمع إلى مستشفى للأمراض العقلية .

صورة معكوسة للواقع

إن الوسيلة السابقة ، من وسائل تقديم تصور للعالم وأشيائه ، بتشويش عناصر العمل الفني ،

لكي يشبه في بنيته بنية الواقع ، توضح لنا كيف أن العناصر الشكلية التي كان القاص التقليدي يظن أنها زخرفية الطابع ، ذات وظيفة تزيينية جوهرية ، من أجل إنتاج معنى العمل القصصي ، بدونها يستحيل أن نصل إلى دلالة العمل القصصي . بالمقابل فإن المحاكاة الساخرة للواقع تنتج أيضاً صورة كاريكاتورية له ، وتؤشر إلى عدم التناسب بين أجزائه . ليست هذه الوسيلة الأخيرة جديدة طبعاً ، فهي تعود إلى عصور نضوج فن (الشعر والنثر) ، ولكن إعادة استخدامها ، بتطعيمها ببعد شعري ، تخلق تضاداً ، ليس بين عناصر المشهد غير المتناسبة فقط ، بل بين هذه العناصر من جهة ، والمعنى الذي يراد التشديد عليه من جهة أخرى . إن عمل محمود الريماوي القصصي ، على سبيل المثال ، يتلاعب بعلاقات الأشياء ونسبها ، ويقلب سلم القيم رأساً على عقب ، حتى تحتل صغائر الأشياء سلم الهرم القيمي ، وتحط القيم « الكبيرة » في أسفل هرم القيم . بهذا المعنى يصبح تحطيم العالم القائم ، وإعادة صياغته عبر النظر إلى عناصره من خلال عدسة تشوه أجزاءه ، وسيلة للكشف عن عدم اتساقه على صعيد الواقع ، وعدم تناسب عناصره . إن التشويه الذي يبديه لنا الفن ما هو إلا الصورة الفعلية المعكوسة للواقع نفسه . ومن هنا يصبح القاص العربي المعاصر الذي أنتج قصصه في حقبة خمس عشرة سنة الأخيرة أكثر واقعية من القصاصين الذين درجنا على اضفاء الواقعية على قصصهم .

لا شك أن هذه التحولات النوعية في حقل الكتابة القصصية ، بدءاً من طريقة الرواة في تقديم الأحداث ، مروراً باللغة المستخدمة في القص ، وانتهاء بالوسط المستخدم لتقديم السرد من خلاله ، هي نتاج للظروف الواقعية الشديدة القتامة التي بدأت تطبق على المشهد العربي منذ منتصف السبعينيات .

فلقد ولّد التقهقر السياسي ، والهزائم المتلاحقة ، وازدياد العزلة الإقليمية ، وتكريس هذه الإقليمية على مستوى المؤسسة والمشاعر الشعبية ، نوعاً من الوعي الشقي الذي استطاع أن يتحسس الظرف الراهن بكل معطياته الكئيبة . وأدى ذلك إلى ازدياد الخيبة لدى المبدع العربي ، وهو يشهد انهيار الأحلام القومية الكبيرة ، وهي تتحطم على صخرة الممارسات اليومية الصغيرة . وقد ولّدت جهامة الواقع وبؤسه أدباً قصصياً قاتماً ، ينضح بالتأزم والمرارة . وليست القصة في أقطار بلاد الشام فريدة في ذلك ، كما أن النوع القصصي ليس وحيداً في هذا المضمار ، فلو قرأنا الرواية ، أو الشعر ، أو حتى النقد ، لوجدنا أن الأزمة نفسها تعيد إنتاج ذاتها في الأنواع الأدبية جميعها . □

بيكاسو والكرم :

●حصل أحد التجار من الذين كانوا يتشوقون إلى الحصول على لوحة بتوقيع بيكاسو على فرصة لزيارته ، وراح التاجر يشيد بكل ما تقع عليه عيناه ، ظنا منه أن يحمل بيكاسو بذلك على الكرم ، ، وأخيرا وقعت عيناه على رسم ملقى في سلة المهملات ، فتناوله وقال : سيدي بيكاسو ، ماثمن هذه اللوحة ؟ فأجابه : إنها لك كعربون للصداقة ب ١٢,٥٠٠ جنيه استرليني !





المسائل الأساسية في قضية الوحدة العربية

بقلم : الدكتور عبد المالك التميمي

التاريخ علم المتغيرات ، فهل المتغيرات والتجارب التي مرت بها قضية الوحدة العربية أدخلت الجديد عليها ، وجعلتها أقرب إلى التحقيق ؟ وما المسائل الأساس في هذه القضية المهمة في حياة العرب ؟

تزايدت في الفترة الأخيرة الكتابات حول قضية الوحدة العربية . وتفسير العودة للاهتمام بالوحدة يرجع إلى أن الأمة العربية قد اكتشفت ، أو لنقل : إن المثقفين العرب قد اكتشفوا بأن سبب ضعف الأمة وتخلفها وتشتيت جهودها وهدر طاقاتها يعود إلى حالة التجزئة التي تعيشها ، وأن التفكير بهذه القضية والكتابة المكثفة عنها في الصحافة والدوريات يدل على أن محاولات تشويه فكرة الوحدة والتعتيم عليها ، أو حتى تغييبها ، من قوى عديدة معادية لها قد فشلت .

الملاحظ عند تأمل الكتابات هذه الأيام عن الوحدة العربية بأن هذه الكتابات تختلف عن تلك التي كانت تكتب في الماضي ، لأن كتابات اليوم عن هذه القضية تغلب عليها المعالجة العقلانية ، على عكس الطرح العاطفي الذي كان يغلب على الخطاب القومي العربي الوحدوي ، في الخمسينيات والستينيات .

إن الدوافع الحقيقية للتفكير في الوحدة تنبع من خصائص الأمة ، وعوامل وضرورات يفرضها الأمن القومي العربي ، والمصلحة المشتركة ، والتنمية الاجتماعية والاقتصادية لبناء المجتمع العربي المتحضر المتقدم .

فما المسائل الأساس في قضية الوحدة العربية التي يجب أن تشغل فكر المثقفين الوحدويين العرب في هذه المرحلة التاريخية ؟

المسألة الأولى : الأساس في هذه القضية هي أن الفكر العربي لم يتكون على أساس وحدوي

حتى الآن ، على الرغم من الجهود التي بذلت في هذا الاتجاه ، فلن يستطيع السياسيون إقامة وحدة عربية ، أو نموذج لها ، ما لم يخض المثقفون العرب الوحدويون معركة تأسيس الفكر العربي ، على أساس وحدوي . لكن ذلك يشترط الربط العضوي بين الفكر والممارسة على أرض الواقع ، لبناء الوقائع التي تؤدي ـ مهما طال الزمن ـ إلى تحقيق ذلك الهدف القومي .

ولا نبالغ أو نتجنى إذا قلنا : إن المثقفين العرب بعامة ، على الرغم من الأحداث الجسام التي مرت وتمر بالأمة العربية ، ما يزالون يلهثون وراء الأحداث ، فبعد وقوع الحدث يبدؤون في نقده وتقييمه ، وهذه الحالة تعطل تقدمنا خطوات باتجاه الوحدة ، على الرغم من إقرارنا بأهمية ذلك النقد والتقييم في حياتنا السياسية والثقافية ، فالدعوة الملحة اليوم هي إعادة تأسيس الفكر العربي ، على أساس وحدوي ، ليس في إطاره النظري فحسب ، ولكن أيضاً في الممارسة العملية التي تعطي لذلك الفكر معنى جديداً ، يحفر الطريق الثابت القومي نحو الوحدة العربية . أما كيف يكون ذلك فهذه مسألة بحاجة إلى تفكير ومناقشة في المستقبل .

بين الوحدة والتضامن :

المسألة الثانية : في قضية الوحدة العربية هي : « القطرية » .

لقد عمل الاستعمار على تجزئة الوطن العربي جغرافياً ، وبذل جهوداً كبيرة ، لإحداث تجزئة اجتماعية وثقافية في هذه الأمة ، ونجح في ذلك .

وكان التحدي الكبير لذلك المشروع الاستعماري هو النضال الوطني والقومي في مرحلة ما بين الحربين العالميتين ، من أجل تحقيق الاستقلال الوطني ، وتحقيق الوحدة العربية ، وقد تحقق استقلال الأقطار العربية ، ولم تتحقق الوحدة العربية . فلماذا لم يتم ذلك ؟

لقد أقيمت أنظمة وطنية في هذه الأقطار ، بعد رحيل الاستعمار ، ولكن الاستعمار القديم والجديد استطاعا فرض التبعية ، واستنزاف الجهود والطاقات والثروات ، في تلك الأقطار المستقلة . ثم بدأت الدولة القطرية تترسخ تدريجياً من خلال شعارات الاستقلال والوحدة وتحرير فلسطين ، وساعد على ذلك اختلاف التوجهات للأنظمة العربية وصراع بعضها مع بعض . ثم جاء النفط ليكون عاملاً إضافياً ، يجعل أقطاره تتقدم مادياً ، وتبقى متخلفة ثقافياً واجتماعياً ، كما جعل النفط هذه الأقطار تتشبث أكثر بقطريتها ، وأصبحت الأقطار الأخرى غير النفطية لها مبرراتها الخاصة بها في التشبث في قطريتها وترسيخها ، كما أصبح لكل قطر عربي (ثقافته) ، وتوجهاته التي قد تتعارض مع توجهات قطر أو أقطار عربية أخرى . وتغيرت الشعارات بين الحين والآخر من الوحدة إلى الاتحاد ، إلى التضامن ، إلى التعاون . واعتقد بعضهم أن بناء النموذج الوطني القوي هو الأساس ، لتحقيق الأهداف القومية ، وعلى رأسها الوحدة العربية ، وتحرير فلسطين . لكن واقع الحال أكد بأن الزمن كان يمر ، وطالت فترة بناء النموذج ، ولم يتحقق البناء المنشود ، فتأرجح وتعطل بفعل عوامل عديدة ، داخلية وخارجية ، وشيئاً فشيئاً استمرت الدولة القطرية ، وترسخت بأجهزتها وحدودها واقتصادها وجيشها وثقافتها ، وفي المقابل ابتعدت الوحدة العربية شيئاً فشيئاً فكرة وتطبيقاً . ولم تعد المسألة اليوم عندما نتكلم عن التجزئة بأنها من فعل الاستعمار فقط ، وإنما أسهم العرب أنفسهم أيضاً في ترسيخها واستمرارها .

المسألة الثالثة : في قضية الوحدة العربية هي فشل تجارب الوحدة العربية . ولا بد من معرفة الأسباب الحقيقية لذلك الفشل ، فقد فشلت على مستوى التضامن من خلال الجامعة

العربية ، وفشلت اندماجاً من خلال الوحدة المصرية السورية ، وفشلت اتحاداً فيدرالياً من خلال الاتحاد الثلاثي لمصر وسوريا والعراق . أما التنسيق بين قطرين عربيين أو أكثر فإنه كان يغلب عليه « التكتيك » ، وينتهي أحياناً قبل أن يبدأ .

أسهم فشل هذه التجارب الوحدوية العربية في خلق روح الإحباط وضعف الشعور بالوحدة ، والأسباب تاريخية وسياسية وثقافية . إن المأساة قد وصلت حداً حارب فيه العربي أخاه العربي ، في أكثر من ساحة عربية ، كما أن التطبيق الخاطيء للتجارب الوحدوية لم يقنع المواطن العربي بأنها حالة أفضل من القطرية ، أو أنها يمكن أن تحقق أهداف العرب الأساس في الديمقراطية والبناء الاجتماعي . إن أقطاراً عربية محددة ، لها وزنها الاستراتيجي ، يجب أن تكون محور الوحدة وعمودها الفقري ، مثل : مصر وسوريا والعراق ، وذلك بطبيعة الحال لا يقلل من أهمية الأقطار الأخرى عند معالجة هذه القضية .

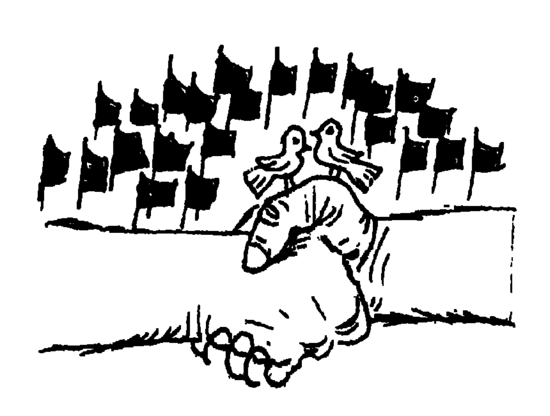
لقد بذلت القوى المعادية للوحدة العربية في الداخل والخارج جهوداً كبيرة ، لخلق حالة معادية للوحدة العربية ، ولتأكيد الإقليمية تحت ستار الوطنية وترسيخها ، وكانت النتيجة تأكيد التجزئة وترسيخها على أساس جغرافي وعرقي وطائفي وعشائري ، وأن زوال أسباب التجزئة هو الطريق السليم لتحقيق الوحدة .

قراءة التاريخ من جديد :

وبإلقاء نظرة على تجارب التاريخ الإنساني ، في قضية الوحدة عبر العصور المختلفة ، نرى أن الوحدة قامت على أساسين : الأول : إقامة الوحدة بالقوة العسكرية . والثاني : إقامة الوحدة على أساس أيديولوجيات حركات التوحيد . فالوحدة الألمانية ، والوحدة الإيطالية ، وغيرهما قد قامت على القوة . أما وحدة ليبيا والسودان والمملكة السعودية فقد قامت على أساس أيديولوجية الحركة السنوسية ، والحركة المهدية والحركة الوهابية ، وقبل ذلك كله فالوحدة التي أقامها العرب والمسلمون بعد الفتوحات العربية الإسلامية قامت على الأساسين المذكورين معاً : الايديولوجية والقوة . وإذا قلنا : إن الطريق أمام الوحدة العربية لا بد أن يبنى على الأيديولوجية والقوة ، فعلينا أن ندرك أن الظروف القائمة اليوم مختلفة ، وأن هناك صعوبة حقيقية لتطبيق ذلك نظراً لتعدد الأيديولوجيات ، وتقدم التقنية المعاصرة ، وهيمنة القوى العظمى في العالم ، وإقامة الدولة القطرية الراسخة ، وعدم وضوح الفكر العربي وتأسيسه وحدوياً .

إن هناك صعوبات حقيقية تعترض تحقيق الوحدة العربية ، لكنها ليست مستحيلة ، لذا فإن الحاجة ماسة إلى إعادة قراءة التاريخ العربي ، لاكتشاف عناصر القوة والتوحيد في الأمة العربية ، حتى يبدأ المشروع الوحدوي من جديد . وإذا كانت تجارب الوحدة قد فشلت فإن تلك التجارب قد علمتنا الكثير ، ودراستها ستخدم بدون شك أي تجربة وحدوية عربية في المستقبل .

المسألة الرابعة : في قضية الوحدة ، هي الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المناسبة لبنائها ، والأدوات التي توصل إليها ، وتحافظ عليها ، فأي أيديولوجية تقوم على أساسها الوحدة لا تحتوي مضموناً اجتماعياً



واقتصادياً وسياسياً ، يعبر عن مصالح قطاعات المجتمع وطبقاته الأساس في الأقطار العربية ، ستكون فاشلة ، ولن تعمر طويلاً ، كما أن الأيديولوجية الناجحة هي التي تهدف الى هدم البنى السياسية والاجتماعية المعيقة للوحدة ، ولكنها في الوقت نفسه ينبغي أن تتمتع بالوعي والنضوج الذي يحافظ على كل ما هو إيجابي وحضاري في حياة شعبنا العربي .

المسألة الخامسة : هي التنظيم المؤسسي . كان التنظيم السياسي وما يزال مسألة مهمة في رحلة الوحدويين العرب ، منذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، ولا تفتقر الساحة العربية ، في الماضي والحاضر ، إلى التجارب التنظيمية ، بيد أن نقد تلك التجارب ، والانطلاق إلى واقع تنظيمي أفضل ، هو السبيل إلى إيجاد الوسائل والأدوات التي توصل الى الوحدة بوعي تاريخي مستفيد من الماضي ، ومدرك لطبيعة مشكلات الحاضر ، يملك تصوراً مستقبلياً واضحاً ، مبنياً على أساس فهم علمي كامل للماضي والحاضر

المسألة السادسة : هي « العقلانية » . لقد حفل النضال العربي الوحدوي ، خلال نصف قرن ، بالغموض الفكري ، وسيطرة العاطفة . فمرحلة ما بين الحربين العالميتين ساد فيها الفكر السياسي الوطني المطالب بالاستقلال وتوحيد العرب ، في الوقت الذي كانت تنتشر فيه السلفية والعلمانية ، ثم جاءت فترة ما بعد الاستقلال ، ليسود الحماس باتجاه الوحدة ، فتظهر (اسرائيل) عقبة أساس في طريقها ، وندخل عصر الاستعمار الجديد الذي فرض التبعية السياسية والاقتصادية ، وترسخت القطرية ، ونمت أيديولوجيات غير محددة وغير مبلورة ، من البحث عن نظرية قومية عربية ، إلى الماركسية ، إلى الفكر الديني . وحدث غياب وتغييب كامل ، كما أحدثت النكسات فعلها السلبي في واقع الأمة ، وبخاصة هزيمة العرب عام ١٩٦٧ .

إلى أن وجدنا أنفسنا اليوم في واقع ضعيف ومتناحر ومشتت ، يبحث عن طريق للخلاص ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بعقلنة الفكر العربي ، كي يتمكن العرب من الاقتراب أكثر من الوحدة العربية ، تطبيقاً يملك ضمانات الاستمرار ، ويتجنب الانتكاسات ، ويحشد الطاقات الإيجابية في هذه الأمة ، للبناء الحضاري . وقبل الشروع في ذلك تشكل قضية فلسطين وتحريرها التحدي الحقيقي للوجود العربي ولوحدة العرب مستقبلاً .

ضعف وقـــوة :

المسألة السابعة : قضية فلسطين . لقد كانت قضية فلسطين ، منذ بدايتها حتى اليوم ، عاملاً أساساً مهماً في ضعف العرب وقوتهم في آن واحد ، فالمؤامرة على فلسطين التي بدأت قبيل الحرب العالمية الأولى وفي أثنائها ، واستمرت حتى قيام الكيان الصهيوني ، كانت عاملاً مهماً موجهاً ضد وحدة العرب . فقرار اللجنة البريطانية في الشرق الأوسط عام ١٩٠٥ قال : « لا بد من إقامة حاجز بشري غريب ، يفصل الجزء الاسيوي عن الإفريقي في هذه المنطقة » ، وقد كان وما يزال موضوع تحرير فلسطين ، قضية العرب الأولى منذ اغتصاب هذا الجزء العزيز من الوطن العربي ، القضية التي توحد نضالهم . وقد كانت وما تزال أيضاً مسألة تحرير فلسطين حتى تتحقق الوحدة العربية ، أو تحقيق الوحدة العربية لتحرير فلسطين مسألة جدلية ، والتجارب التاريخية قد علمتنا بأن الوحدة هي الطريق إلى التحرير ، فهكذا فعل صلاح الدين الأيوبي قبل عدة قرون . ولكن ، بقدر ما يجب أن نستفيد من التجارب التاريخية ، علينا أن نستوعب المستجدات والمتغيرات المهمة الخطيرة في تاريخنا المعاصر ، ونفهم جيداً بأن التاريخ علم المتغيرات ، فقد تكون مسألة تحرير فلسطين هي الطريق إلى تحرير الإنسان العربي ووحدة الوطن العربي . □

منتدى العربي

تعقيب

تغيير ملكية القطاع العام ظاهرة تنتشر

أثار الدكتور سلطان أبو علي في مقالته الجديرة بالتأمل ،في مجلة « العربي » العدد ٣٧٣ ديسمبر ١٩٨٩ ، طائفة من الآراء التي قد تبدو في الوهلة الأولى كأنها دقات نواقيس عالية الرنين ، وهي آراء بحاجة للمناقشة والتمحيص .

ركيزة للتنمية

وبغض النظر عن الإبقاء على القطاع العام كإحدى أدوات التنمية في الاقتصاد الذي يعتنق فلسفة التخطيط المركزي ، أو إعادة هيكلته ، على نحو يرفع عنه وزره الذي أنقض ظهره ، فإن القضية برمتها ينبغي ألا تطرح على هذا النحو الذي يختزل كل مكونات التحديات القائمة في صيغة (إما . . أو) ، لأن آليات القطاع العام في أي قطر هي في حقيقة الأمر انعكاس دقيق لمجمل آليات الاقتصاد الذي اعتمد على القطاع العام ، لتكون أدوات لتحقيق خطط التنمية ، ووضع على كاهلها العبء الأكبر في عمليات التراكم الرأسمالي بشقيه العيني والمالي .

ولا بد في هذا الصدد من الحيلولة دون حدوث تضاربات ما بين تقويم عمليات القطاع العام ونتائجه ، وإصدار الأحكام عليها ، وأن لا ندع مرج البحرين يلتقيان بخلط السياسات والنظم الإدارية كإطار تعمل من خلاله هذه القطاعات والكفاءات والكفايات الإدارية والتنظيمية التي تتوافر على ملء هذا الإطار بمستويات أداء ، تظل مهما عظمت آفاق مطامحها رهينة هذه الأطر التي فرضت عليها ، دون مراعاة للتغيرات . ومن مصاعب مثل هذه الحالة توزع فلسفة القطاع العام ما بين الاشتراطات الاقتصادية الواجبة لإدارة وحدات هذا القطاع ، واعتبارات العدالة والاستقرار الاجتماعيين التي تقاطعت وتداخلت في نسيج الأهداف التي أنيط بالقطاعات العامة تحقيقها .

لقد كان يبدو مبدئيا أن هناك إمكانات تنطوي على قوى دفع هائلة ، سوف تتولد بصورة تلقائية من تحقيق الاستقرار الاجتماعي ، والتشغيل الكامل للقوى العاملة القادرة على العمل والراغبة فيه ، تفضي بدورها إلى تحسين شروط تطور القطاع العام ، بحسبان أن وضع استراتيجية شاملة لتنمية الاقتصادات الجزئية ، يعد مرادفا لتنمية الاقتصاد الكلي ، بيد أن الإطار الاجتماعي الذي نتج عن هذه القطاعات وأحاط بها قد خلق أنساقا من المشكلات العنقودية ، باعدت ما بين حقيقة المفهوم الاقتصادي لتنمية المجتمع ، والمفهوم الاجتماعي لتنمية الاقتصاد ، وتأسيسا على ذلك اتسعت الفجوة ما بين قدرة المجتمع على استغلال قواه العاملة في تركيم الفوائض ، من خلال الدخول والمدخرات ، لتكوين قواعد من الطاقات الانتاجية ، وإمكانات كفالة الاقتصاد ، لديمومة رفع مستوى المعيشة ، وتحسين ظروف الحياة ، وصولا إلى الرفاه الاجتماعي .

وفي غيبة التنمية الادارية للقوى العاملة ، والهياكل التنظيمية والتقنية ، تكشفت الأمور عن إيجاد تشوهات في أجهزة إدارة التنمية وأساليبها ، مما أحدث بدوره اختلالات واعتلالات في العمليات التنموية ، لا يمكن التهوين من شأنها ، يتوازى مع ذلك في الأهمية أن نعرف أن الإخفاقات التي اكتنفت عددا لا بأس به من وحدات القطاع العام ، يمكن رصد مثقالها من الإخفاقات التي أحاقت بوحدات عديدة من القطاع الخاص ، ذلك أن التشابكات القطاعية والتكاملات الأفقية والرأسية في كلا القطاعين لم تحظ بوجود الأسس المحفزة لذلك ، فضلا عن أن غياب التنسيق والتضافر حال دون إدراك أن التنمية في حد ذاتها وسيلة للوصول إلى النمو الاقتصادي ، وأن النمو الاقتصادي بدوره بمثابة أداة لتحقيق مستوى أفضل من المعيشة ، ودرجات أرقى للحياة ، وأن ترقية مستويات المعيشة والحياة ، بمنزلة زخم للحفاظ على دفع دواليب التنمية والنمو إلى أعلى التل ، لكي لا تنحدر عربة التقدم والتطور إلى السفح ، ثم إلى الحضيض .

ليست مفاضلة

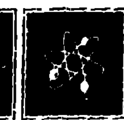
بيت القصيد إذن ليس في المفاضلة ما بين (خصخصة الاقتصاد) أو (عمعمته) ، وإنما في توفير اشتراطات التوازن ما أمكن في ربط غايات مجمل عمليات التنمية ، بمرتكزات تخطيطية وتنفيذية ، توائم مواءمة فعالة ما بين متطلبات الجهود الانمائية ، وامكانات المجتمع وموارده ، سواء أكان ذلك من خلال قطاع عام ، يقوم بمهام الريادة ، أم قطاع خاص يحمل مسئوليات القيادة ، أم من خلال سبيكة تجمع ما بينهما في بنية اقتصادية ، تسمح لهما بالتجاور ، والتحاور ، والعمل معا ، دون إخلال بمعادلات التطور المأمون وصيغه تحت مظلة اقتصاد كلي واحد .

ومع ذلك يبقى التساؤل الجوهري الذي يشكل لب القضية المنظورة في الآونة الراهنة ، وهو : هل للقطاعات العامة بمالها وما عليها ، مستقبل في الأقطار العربية ؟ وهذا السؤال بدوره عسى أن يفتح الأبواب لسؤال آخر ، فحواه : إلى أي مدى سوف تبقى القطاعات العامة في الأقطار العربية بمعزل عن التحورات والتحولات التي تجتاح العالم من كل أركانه ؟ إن طرح التساؤلات في أحيان كثيرة تبدو أسهل بكثير من الإجابة عنها .

ولعلي أتفق مع خاتمة الدكتور سلطان ، في المبدأ ، وإن كنت أخالفه في التطبيق ، فهو يذهب إلى أن (تمليك القطاع العام لأفراد الشعب ، أصبح ظاهرة متزايدة ، ونتوقع أن يتعاظم تطبيقها في المستقبل في كثير من البلدان)، هذا التوقع هو مثار الخلاف . صحيح أن على القطاعات العامة ، في الجزائر ومصر والعراق أن تخلص نفسها من ورطة الكم أو عقدته ، بالإصرار على تملك وحدات اقتصادية ، تتوافر لها مستويات نوعية ، وتتمتع باقتصاد الأحجام الكبيرة ذات الوفورات ، وإذا كان القطاع الخاص - كما يقال - يملك الكفاءة ، والقطاع العام يحوز القدرة ، فلماذا لا نصنع مزيجا جيدا من هاتين الميزتين ؟ وأن نجعل من هاتين (المنظومتين) ركيزتين في(نظام) الاقتصاد الكلي الذي بوسعه قيادة عمليات التنمية الشاملة ، ويحمل عبء النمو الاقتصادي بجدارة القدرة والكفاءة ؟ سؤال لا نضعه في ختام مقالنا كمحطة وصول أخيرة ، وإنما نفتح به آفاقا للتأمل والحوار . □

سمير معوض

● **سأتوقف عن الموت إذا طرأت لي كذبة أو قول لاذع .**
« فولتير »




الجديد في العلم والطب

إعداد : يوسف زعبلاوي

ثورة في جراحة زراعة الأعضاء

● تجرى عمليات زرع الأعضاء لحوالي (١٢٠٠٠) مريض سنويا في الولايات المتحدة وحدها ، ولا مفر للمرضى إذا هم أرادوا النجاح لعملياتهم من تناول عقار سايكلوسبورين يوميا دون كلل أو ملل ، فمن شأن هذا المستحضر أن يحول بين أجهزة المناعة عند المرضى وبين الأعضاء المزروعة ، فيمنعها عن مهاجمتها ، ولكن العقار المذكور أبعد ما يكون عن الكمال ، فهو لايجدي نفعا في أكثر من ٣٠٪ من حالات زرع الكبد ، فأجهزة المناعة في أجسام المرضى لا تتقبل الكبد الجديد على الرغم من أنهم يتناولون الجرعة اليومية من سايكلوسبورين بكل أمانة وانتظام ، أضف إلى ذلك أن للمستحضر المذكور آثارا جانبية ، لعلها أخطر من العلة الأصلية التي يستهدف المستحضر معالجتها ، فالذين يتناولونه معرضون لاحتمال الإصابة بمرض القلب وبالسرطان . وشاءت الأقدار أن يكتشف العلم عقارا آخر ، أقوى فاعلية من سايكلوسبورين ، وأقل خطرا . اكتشفه الدكتور توماس ستارزل ، أحد الباحثين الذين كان لهم فضل الريادة في استعمال المستحضر القديم ، ويعمل في مركز زراعة الأعضاء ، في جامعة بتسبورغ .

وليس للعقار الجديد اسم يعرف به حتى الآن ، فهم يسمونه (FK-506) ، وهو رقم الأرشيف الذي يحمله العقار .

لقد تناول هذا المستحضر أكثر من ١٠٠ مريض طوال ٨ شهور ، وتناول المستحضر القديم (سيكلوسبورين) بالمقابل عدد مماثل من المرضى مدة مماثلة (٨ شهور) ، وكانت النتيجة أن عدد الذين عانوا من ظاهرة رفض الأعضاء من الفئة الثانية بلغ ٦ أضعاف نظرائهم من الفئة الأولى ، أما الآثار الجانبية التي تعرض لها أفراد الفئة الأولى فكانت معدومة تقريبا .

لاعجب إذن أن علقت وكالة الغذاء والدواء على المستحضر الجديد ، بأنه مثير حقا ، ويبعث على العجب ، وقد صرحت بهذا التعليق لدى مباشرتها الأبحاث والتجارب التي تجريها بقصد تقييم العقار ، وإقراره في مستقبل قريب .

ولكن كيف يعمل العقار الجديد ؟ وماتأثيره على جهاز المناعة عند المريض ؟ لاشيء أكثر من الحيلولة دون تكاثر بعض خلايا الدم البيضاء أو تفاقمها ، *ويرى كثير من العلماء الباحثين أن اكتشافات FK-506 إنما هو بمثابة مؤشر لثورة ستجتاح جراحة زراعة الأعضاء في مستقبل قريب .*



بقي أن نذكر أن المستحضر الجديد ياباني ، مستخلص من فطريات ، عثر عليها العلماء اليابانيون في تربة بلادهم ، ولم يعلم العالم الأمريكي الدكتور ستارزل عن هذا المستحضر شيئا قبل اجتماع هلسنكي الذي عقد سنة ١٩٨٦ ، وقد عرفه علماء آخرون غير ستارزل ، ولربما قبله أيضا ، ولكنهم أسقطوه من حسابهم نظرا للنزف الذي أحدثه المستحضر في الكلاب التي جرب المستحضر عليها ، ولم يجارهم في ذلك ستارزل ، لاعتقاده بأن النزف كان وقفا على الكلاب ، وقد ثبت له ذلك بالتجارب العديدة التي أجراها على حيوانات أخرى عديدة ، شملت الفئران وقرود البابون .

ثم جاءت مرحلة تجربة المستحضر على الإنسان ، وأصاب المستحضر نجاحا كبيرا في هذه التجارب ، حتى بلغ الذروة في شهر فبراير (١٩٨٩) حين جرب مستحضر FK-506 على السكرتيرة روبين فورد البالغة من العمر ٢٦ عاما ، فقد فشلت عمليتا زرع الكبد اللتان أجريتا للفتاة ، وكان سبب الفشل رفض جسمها للكبد المزروع في كلتا العمليتين ، وأجريت لها عملية ثالثة أخرى ، وساد الاعتقاد بأن جسمها سيرفض ، لكنه تقبل الكبد الجديد لأنها تناولت المستحضر الجديد ، وشفيت تماما كما يؤكد الجراحون والأطباء المعنيون بعد أسبوعين من تناول عقار FK-506

□□□

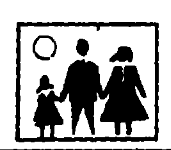
مرض الايدز وآخر الإحصاءات

● مازال مرض الايدز ماضيا في الانتشار والتفاقم . وقد بلغ مجموع حالات الايدز في العالم ، حسب إحصاءات منظمة الصحة العالمية الصادرة في شهر ديسمبر ١٩٨٩ ، مايقارب ٢٠٠,٠٠٠ حالة ، والمقصود هنا المجموع الاجمالي منذ اكتشاف المرض . وقد بلغ مجموع الضحايا الذين فتك بهم هذا المرض ، حتى نهاية شهر نوفمبر ١٩٨٩ ، مايزيد عن (١١٠٠٠) مصاب .

وقد بلغ نصيب الولايات المتحدة من الإصابات بالايدز مانسبته ٥٦٪ من المجموع الإجمالي (١١٠,٣٣٣ إصابة) . وجاءت فرنسا في الدرجة الثانية ، وتلتها البرازيل ، وقد بلغت حصة كل منهما (٨٠٢٥) إصابة ، و (٧٧٨٧) إصابة على التوالي .

واستأثرت برمودا بالمرتبة الأولى من حيث الإصابات بمرض الايدز بالنسبة إلى عدد السكان ، وقد بلغت نسبتها هذه (٤٩,١) إصابة لكل ١٠٠,٠٠٠ من السكان . وقل مثل ذلك في الباهاما ، المصيف المحبب الثاني ، وقد بلغت نسبة الإصابات فيها ٣٨ إصابة لكل ١٠٠,٠٠٠ من مجموع السكان ، ومعنى هذا أن الولايات المتحدة في نعيم نسبي ، فعلى كثرة الإصابات بمرض الايدز فيها ، فإن نسبة تلك الإصابات لاتزيد عن (١٢) إصابة فقط لكل ١٠٠,٠٠٠ من عدد السكان .

بقي أن نذكر أن الإصابات التي تتحدث عنها إحصاءات المنظمة العالمية ، إنما هي إصابات بمرض الايدز الفعلي لا الكامن . □



سلامة البشرية في سلامة البيئة

التلوث يحطم الأرقام القياسية في هولندا

اشتهرت هولندة على مدى السنين بكثافة سكانية ، تفوق كثافة أمريكا بنحو ١٤ مرة (مجموع سكانها = ١٤,٧ مليون نسمة) ، واشتهرت أيضا بوجود أكبر عدد من السيارات فيها ، نسبة إلى مساحتها . وتميز المزارعون الهولنديون كذلك بإقبالهم على استعمال الأسمدة الكيماوية ، وتفوقوا في زراعة زهور التيوليب التي يصدرونها إلى كل أنحاء العالم . أضف إلى ذلك استهلاك الطاقة ، فحصة الفرد الواحد ، من سكان هولندة تفوق حصة أي فرد أوربي آخر في استهلاك الطاقة الأحفورية ، ولاننس أن هولندة كانت ومازالت كذلك البلد الوحيد الذي قهر أمواج البحر ، وحملها على الانحسار ، وكادت تلك الأمواج أن تغرق البلاد الواطئة وتغمرها ، وإذا بها تتراجع وتترك للهولنديين أرضا يابسة إضافية جديدة ، تضاعف مساحة البلاد بنسبة لايستهان بها ، وتضاعف أراضيها الزراعية ، وحدائقها الغناء .

لكن لهولندة وجها آخر ، لم نكد نعرف عنه شيئا قبل شهور معدودة ، فعدد الأبقار والخنازير فيها يفوق عدد البشر ، ومعنى هذا أن الزبل فيها كثير ، يفيض عن الحاجة ، وقد لاتتحمله التربة الهشة ، وقل مثل ذلك في صناعاتها المكثفة ، والنفايات السامة المتراكمة التي تلفظها تلك الصناعات يوما بعد يوم ، وسنة بعد سنة . والأسوأ من هذا وذاك هو أن موقع هولندة الجغرافي يحتم عليها أن تكون بحكم المزبلة لجاراتها ، إذ يصب فيها ثلاثة أنهار في وقت واحد : نهر الراين ، ونهر المويز ، ونهر شلد . ولو ذكرنا أن هذه الأنهار كلها - وبخاصة الراين - مثقلة بالنفايات الصناعية الضارة السامة التي تلقيها في مياهها المصانع الكثيرة المتناثرة على ضفافها ، لأدركنا المقصود بقولهم : إن هولندة أصبحت بحكم خزان زيت المحرك لجاراتها : ألمانيا وبلجيكا ولوكسمبورغ ، وغيرها ، فهذا التلوث البحري هو المصدر المسؤول عن ٨٠٪ من التلوث العام الذي تعاني منه هولندة ، لكنه ليس المصدر الوحيد ، فهناك السخام والأمطار الحمضية .



وهذه الأمطار أكثرها يأتي من جاراتها : ألمانيا الغربية بنسبة ٢٢٪ ، بريطانيا ١١٪ ، فرنسا ٩٪ ، اسكندنافية ٤٪ ، شرق أوربا ٤٪ ، ولاتزيد نسبة الأمطار الحمضية الهولندية المنشأ عن ٣٨٪ .

لاعجب إذن أن احتلت حماية البيئة مركز الصدارة في نظر الساسة ورجال الدولة كلهم دون استثناء ، وبلغ من حرص الملكة بياتريس على الحفاظ على البيئة ، أن أصبح لها لقب جديد « الملكة الخضراء » ، ويصدق ذلك على

أفراد الشعب الهولندي ، فقد دلت الاستبيانات الأخيرة على أن الكثرة الساحقة من الهولنديين يفضلون الهبوط في مستوى معيشتهم ، وذلك على سبيل التضحية من أجل حماية البيئة .

بيد أن الشعب الهولندي شعب نشط ، ذو عزيمة جبارة ، فقد قرر استعمال أخدود في قاع البحر - بحر الشمال - كمقبرة للنفايات الصناعية السامة التي تحملها إليها الأنهار الثلاثة ، والأخدود قريب من ميناء روتردام . عريض لايقل عرضه عن نصف ميل ، ويكاد هذا الأخدود أن يكون في منأى عن الأمواج ، وقد قامت بينه وبينها سدود ، كأنها الفواصل العازلة ، لكن هذه المقبرة المغمورة لن تبقى إلى الأبد ، فقد لايمضي عشرون عاما حتى تمتليء ، وتفيض بمحتوياتها ، كما أن هناك مشروعا مطروحا على المواطنين لمناقشته وإقراره من قبل السلطات المختصة ، يتلخص في القضاء على ٧٠٪ من كل صنوف التلوث في هولندة ، في غضون ٢٠ عاما ، وبتكاليف تبلغ (٦٥٠٠) مليون دولار حتى سنة ١٩٩٤ ، مما يعني حماية البيئة على نحو متواصل ، والإنفاق على حماية البيئة ، ومكافحة التلوث ، بنسبة من الدخل القومي تفوق نسبة شؤون الدفاع .

ولعلنا على يقين من أن بلوغ النجاح في المشاريع البيئية سيسهل على الهولنديين ، فقد سهل عليهم طمر مياه البحر ، واستصلاح الأرض ، بل واكتساب اليابسة منها .

□□□

طبقة الأوزون تسترد سلامتها ، لكن إلى متى؟

أعلنت الإدارة الوطنية للشؤون الجوية والبحرية في واشنطن أن الثقب الخطير الذي عانت منه طبقة الأوزون الواقعة فوق القارة القطبية الجنوبية ، والذي بلغ ذروة تفاقمه في شهر اكتوبر سنة ١٩٨٩ ، قد اختفى ، بل إنه قد التأم . وأكدت الإدارة المذكورة في إعلانها الصادر في شهر ديسمبر ١٩٨٩ أن الالتئام السالف الذكر سيطول أمده سنة كاملة في الغالب .

وأوضح الإعلان أن ثقب طبقة الأوزون إنما هو نتيجة التفاعل بين غاز الأوزون (الأكسجين الثلاثي) وبين المواد الكيماوية المعروفة باسم كلورو - فلوروكربونات ومن شأن هذا التفاعل ، أن يعرض طبقة الأوزون للتآكل ، أو فقدان الكثافة السوية الكافية لصد الأشعة فوق البنفسجية وامتصاصها ، ويحدث هذا التفاعل في فصل الربيع ، حين تلف القارة القطبية الجنوبية رياح فاصلة عازلة ، تحول دون اختلاط هواء تلك القارة بهواء القارات الأخرى ، فتهبط حرارته إلى (١٢٥) درجة فهرنهيتية تحت الصفر ، أو دون ذلك ، فهذه البرودة الفائقة هي التي تهيء الفرصة للتفاعل الذي ذكرناه ، والذي لايلبث أن يتوقف حين تبدأ الحرارة بالارتفاع ، وتبدأ الرياح الفاصلة بالاختفاء . □



صور رمضانية من بلاد الشام

استطلاع :
سليمان الشيخ
تصوير :
فهد الكوح



لا يختلف اثنان على معنى الصوم ، وكيفية القيام بتكاليفه عند المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، لكن كيفية استقبال هذه الفريضة ، والطقوس والعادات المرافقة لأيام هـذا الشهر الفضيل تختلف من قطر إلى آخر .

فكيف يستقبل مسلمو بلاد الشام هـذا الشهر ؟ ومـا الطقـوس التي يتبعونها ؟

لا تتعب نفسـك ، إن المشمش الـذي تبحث عنه غير موجودالآن .

× إذن متى يمكن أن أجده ؟

اضـطر محـدثي ، الـدكتـور مـوفق شفيق الشلاح ، استاذ الاقتصاد السابق ومدير أعمال شـركـة بـدر الـدين وشفيق الشـلاح ، إلى الابتسـام ، ثم علق متسـائـلاً : ألم تسمـع « بالجمعة المشمشية » ؟

× علقت مبتسماً : نعم سمعت ، لكن ليس عندي فكرة كاملة عن ثمر المشمش ، وما يحيط به من أمثال وحكايات .

ـ قال : إذن اسمع : إن المثل الشعبي ـ جمعة مشمشية ـ كناية عن أن عمر ثمر المشمش حين نضوجه قصير ، فهو ما إن يبدأ بالنضوج حتى يبدأ جنيه ، وإلا تساقط عن الشجر وتعفن ، وإن لم يؤكل في أيام قطافه الأولى ، فـإنه سـرعان مـا يتعرض إلى التلف .

× سألت : ألا توجد طريقة تحفظ ما لم يتم استهلاكه بالأكل ؟

ـ أجاب الدكتور موفق : طبعا توجـد ـ هل نسيت قمـر الـدين* ، والمشمش المجـفف ، وغيرها من مصنوعات المشمش ؟

× عـلقت : طـبعـا سـمعت .. طـبعـا سمعت ..

في دمشق ، عـاصمة الجمهـوريـة العـربيـة السـوريـة ، عـلى سبيـل المثـال : كيف كـان الـدمشقيون يستقبلون قـدوم الشهر الكـريم ؟ وكيف أصبحوا الآن يستقبلونه ؟

إن العادات والتقاليد ما هي في النهاية إلا نتاج لما يجري في المجتمع من تفاعلات وتغيرات .

وقـد ظلت المدينـة الإسلاميـة تحمل طـابعاً مميزاً ، على الرغم من تتابع قيام الدول الإسلامية وسقوطها .

طابع خاص

من صـور التميز للمـدينـة الإسـلاميـة أن مسجدها الجامع يقوم في وسطها ، ثم تبنى حوله الأحياء والطرق والأسواق . ودمشق لم تشذ عن هـذا الطابـع ، إذ احتل المسجـد الأموي قلب المدينة ، وقـامت حولـه أحياء وأسـواق وسكك متعددة .

وصلنا المسجد الأمـوي ، وطفنا بـأركانـه ، وقرأنا الفاتحة على أرواح بُناته ومرمميه . الحفريات التي جرت حوله ، أظهرت بوابة أثرية قديمة في الجهة الشمالية منه ، تحمل طابعاً رومانياً ، مما يؤكد أهمية المكان في كل العصور التي تعاقبت من رومانية وبيزنطية وعربية إسلامية .

سوق الحميدية المسقوف المرمم يحاذي البوابة القديمة ، ويمتد طولياً حوالي كيلومترين ، ويغص بمتاجر الأقمشة ، والملابس الجاهزة ، ومحـلات الصاغة والعاديات ، وبعض محلات الحلويات . بـاعـة الحلوى من سمسميـة ، وفستقيـة ،

* قمر الدين : هو عصارة ثمر المشمش الذي يصنّع ، ويحول إلى شرائح تؤكل بكثرة عند الفطور أو السحور في شهر رمضان الكريم . ولأن لونه يشبه شفافية ضوء القمر ، فقد سمي بقمر الدين ، نظراً لاستعماله في شهر الصوم .



● مكسرات من جميع الأصناف ، وحركة البيع والشراء مستمرة .

وجوزية ، ولوزية ، وغيرها ، ينقلونها على عربات صغيرة ، ويرخمون أصواتهم عند النداء على بضاعتهم .

ندلف إلى أسواق أخرى : « البزورية » * ، وسوق المال ، والسوق الطويل ، ثم نوالي جولتنا : هذا حي القيمرية ، والحريقة ، والشاغور ، والخيمرية ، وباب مصلى ، والعمارة ، وباب بريد ، وغيرها من أحياء وأسواق وطرق وسكك صغيرة ضيقة متداخل بعضها ببعض ، في هذه المدينة القديمة الجميلة التاريخية .

شاهدنا الترميمات التي تمت لبعض المباني ، ومحاولة إعادة الرونق والبهاء إليها ، كبعض الخانات ـ كان الخان بمثابة فندق للسائحين والمسافرين في هذه الأيام ـ كخان سعد باشا ، وخان التتن ـ الدخان ـ وخان النشا ، وقصر العظم ، والحمامات التي تغري الفسيفساء اللماعة والرقش والتخريمات والألوان الجميلة في بلاطها وأشكال نوافذها وأبوابها ، وطرز بنائها بالدخول والمشاركة مع المشاركين . كما أن الترميمات ما زالت جارية لإظهار معالم قلعة دمشق وسورها .

---

* البزورية : نسبة إلى « البزور » أو « البذور » . وسوق « البزورية » سوق مسقوف ، طوله يزيد عن نصف كيلومتر ، وعرضه لا يتجاوز خمسة أمتار ، وقد تم ترميم بعض الخانات والحمامات القديمة الكائنة فيه .

في سوق « البزورية » الذي تباع فيه المكسرات . . من فستق وبندق وجوز ولوز وما يصنع منها من حلويات كالفستقية واللوزية ، أو أنواع المن والسلوى بالهيل ، أو النوغا بالهيل ، والزهورات ، والفواكه المجففة ، والحلويات ، والمشروبات ، والنقولات ـ غمس اللوز في معقود يحمل ألوانا عدة ـ وغيرها من السكاكر ، ومعلبات الفواكه المحفوظة ، والمصنوعات المتنوعة من قمر الدين ، والبهارات ، وغير ذلك .

وقفنا أمام دكان بدر الدين العوف في السوق . كان مغلقاً بقطعة من المشمع اللماع . سأل الأديبان شوقي بغدادي ، وخيري الذهبي اللذان رافقانا عن الرجل ، فقيل لهما إنه ذهب إلى بعض أعماله وسرعان ما يعود .

تذكرت ما كانت عليه أسواق الكويت وبعض الأقطار العربية الأخرى في فترة سابقة ، إذ كان التاجر يغطي باب دكانه بقطعة قماش عندما يضطر إلى المغادرة لبعض أشغاله . إنها الظاهرة نفسها ما زالت حية هنا في دمشق .

× سألت الأديب الشاعر شوقي بغدادي عن تعليقه على هذه الظاهرة .

ـ أجاب : كما أن أهل مكة أدرى بشعابها ، فإن أصحاب الدكاكين المسقوفة الملاصق بعضها بعضاً كما ترى ، بعضهم أدرى ببعض منذ سنين طويلة ، لذا فإن الثقة بينهم راسخة ، ولا غضاضة في أن يتولى الجار بيع بضاعة جاره المشغول خارج الدكان أحيانا ، أو يحافظ عليها ويحميها من أيدي العابثين .



● خارطة الجمهورية العربية السورية .

ذكريات رمضانية

وصلنا إلى دكان محمد غالب السمان في السوق نفسه ، ووجدنا فيه الشيخ عبد الكريم الهندي ، الملقب بأبي النور ، وهو إمام مسجد بيت سحم في غوطة دمشق .

تولى السيد محمد غالب السمان (أبو شاهر) ذو الشخصية المرحة الترحيب بنا وملاطفتنا ، بينما أخذ الشيخ الهندي ذو الشعر الأحمر مراقبة ذلك .

عن ذكرياتهما الرمضانية حدثانا ، فقالا :

ـ كان الناس يستعدون لاستقبال الشهر الفضيل قبل مجيئه بأسابيع ، فيجمعون المأكولات المتنوعة للفطور والسحور ، وكأن ذلك دين على جميع الناس ، أغنياء وفقراء ، طبعاً كل حسب قدراته ، وكانت بعض الحارات تزين طرقاتها ، وتتفنن في ذلك ، وبعضها يستقبل رمضان بألعاب الفروسية من سيف وترس ، وتطلق المدافع الطلقات ، ويسهر بعض الناس ليلة رمضان عند بعضهم ، أو يذهبون إلى المساجد ، أو يشاركون الطرق الصوفية في إحياء طقوس الشهر الكريم . ويبقى الجميع ساهرين حتى السحور ، حيث ينطلق المسحراتي ـ كان لكل حي مسحره الخاص ـ فيطرق الأبواب ، أو



● بائع حلويات في حي « القيمرية » تحلق حوله صبية بغية الشراء .

يضرب على طبلته ، وينادي على الناس بأسمائهم ، ويترنم بأهازيجه ، ويتبعه الأطفال أحياناً .

يتكون السحور من الأكلات الخفيفة كالجبن والزيتون واللبنة وقمر الدين ، وشراب التمر هندي ومربى المشمش ، أو التفاح ، لأن هذه الأكلات ترطب الجوف .

وبعد السحور يذهب بعض الأفراد إلى المسجد لصلاة الصبح ، ويقرأون الأوراد والأذكار ، ويستمعون إلى احاديث بعض العلماء الأفاضل .

× والفطور . . مم كان يتكون الفطور ؟

- أطلق أبو شاهر « قفشته » : إنكم تفتحون شهيتنا بأسئلتكم هذه . ضحكنا « للقفشة » ثم علق قائلا : على كل لا نملك - في الدكان - إلا الشاي ، كي نسد به شهيتنا وشهيتكم المفتوحة، ضحكنا ثانية ، وتابع أبو شاهر حديث الذكريات مع زميله الشيخ أبي النور .

- أتسألون عن الفطور الرمضاني ؟ لقد كان حسب إمكانيات الأفراد .

وكان وما زال عبء تحضير أكلات رمضان يقع على سيدة البيت ، حيث كان يومها يمضي وهي تحضر المشروبات والأكلات والحلويات التي تتفنن في صنعها ، وكانت تصف مشروبات العرق سوس والتمر هندي وشراب الورد ، ومنقوع قمر الدين ، وغير ذلك ، على حواف سور نافورة البيت ، وتضع على الطاولات بجانب ذلك أنواع الشوربة المختلفة والسلطات و« الفتوش »* ، ثم الأطعمة المختلفة من محاشي الكوسة والباذنجان ، والفول والفتة والمقبلات ، ثم الرز المطبوخ مع الفاصوليا أو البامية ، وغير ذلك .

كان الأطفال يتجمعون في ساحات الأحياء ، وينتظرون انطلاق دوي المدفع ، لينقلوا بشارة



● عشبة العرق سوس قبل تحويلها إلى مادة مصنعة .

* الفتوش : نوع من السلطة الفاتحة للشهية ،ويؤكل قبل الصحن الرئيس ، ويتكون من كسرات من الخبز المحمص المضاف إليها الخيار والطماطم « البندورة » والخل والزيت والبقدونس والخس والنعنع ، تماما كسلطة الخضار .

الإفطار للأهل . وكان الأهل يتجمعون حول النافورة ، بعضهم يستغفر ويستذكر ، وبعض آخر منهم يساعد أهل بيته .

والناس يفطرون على لقيمات ، ثم يصلون صلاة المغرب ، في المسجد أو في البيت ، وبعضهم كان يتناول كل فطوره ثم يقوم للصلاة .

ثم إن الناس يتبعون وجبة الفطور الأساسية بالحلويات والفواكه ، ثم يضعون ابريق الشاي على السماور الذي كان منتشراً بكثرة حتى خمسينيات هذا القرن . ومن أنواع الحلويات المطلوبة في رمضان القطايف بأنواعها المحشوة بالجوز أو اللوز أو المحشوة بالقشطة أو بالجبن ، والنمورة والكنافة والمدلوقة والبلورية وغيرها ، ومن أنواع الفواكه كالمشمش والاجاص والكرز والتفاح وغيرها .

ويخرج الناس بعد ذلك إلى المساجد لصلاة العشاء والتراويح ، أو لحضور بعض دروس القرآن ، أو لزيارة الأهل والأقارب والمعارف ، أو لقضاء متطلبات البيت وحاجاته ، أو للسهر في المقاهي والاستماع « للحكواتي » ، أو لحضور خيال الظل ، قبل دخول التلفاز وسيطرته على حياة الناس .

شكرنا أبا شاهر والشيخ ، وعدنا من حيث أتينا .

قابلنا في سوق « البزورية » ثانية السيد صالح صادق ، فذكر أنه يملك مصنعاً صغيراً لقمر الدين ، ويصدر جزءاً كبيراً من إنتاجه إلى منطقة الخليج العربي ، وأن موسم التصنيع يبدأ ببداية شهر حزيران - يونيو - ويستمر شهراً واحداً فقط .

ثم التقينا بالسيد زهير سرور ، عضو لجنة سوق « البزورية » ، وهي اللجنة التي تشرف على السوق ، وعرّفنا على الأصناف الموجودة فيه .

عادات رمضانية

شكرنا الرجل وتوجهنا إلى دكان بدر الدين العوف ، فوجدنا غطاء المشمع قد أزيل ، والرجل في دكانه يبيع لزبائنه . طلبنا منه أن يطلعنا على حي الحمراوي الذي يرأس لجنة الحي فيه ، ويطلعنا على بعض التفصيلات المتعلقة بالعادات الاجتماعية في شهر رمضان .

يقع حي الحمراوي جنوب غرب المسجد الأموي ، ويحاذي قصر العظم من جهة ، وسوق الصاغة القديم الذي احترق في الستينيات من جهة أخرى . يبلغ عدد بيوت الحي ٨٠ بيتا ، ويوجد فيه ٦٠ محلا تجارياً . تتلاصق البيوت فيه ، وتضيق الطرق ، إلى درجة أن بعضها قد لا يتسع لسير أكثر من فرد واحد . بعض البيوت تم ترميمها فظهر الجمال العريق فيها ، وبعضها متشقق الجدران ، تخال أنه سينهار في التو واللحظة .

بعد أن تجولنا في الأزقة الضيقة دلفنا إلى بيت السيد بدر الدين العوف (أبي أسامة) .

يتكون البيت من طابقين ، تحتل وسط الطابق الأول نافورة مسيجة بالرخام ، تنمو حولها بعض شجيرات البرتقال وزهور تجميلية ، وعروق من نبات الكرمة (العنب) . (هكذا كانت معظم البيوت الدمشقية القديمة) .

صعدنا مع أبي أسامة إلى سطح بيته ، خاصة أن زميلي المصور كان يتحرق شوقا لتصوير المنطقة التي تحاذي المسجد الأموي . مبنى المسجد ومنارته ظهرا واضحين من الجهة الجنوبية .

رؤوس أشجار البرتقال و « الاسكى دنيا »* بانت وحاذت سطوح المباني . تخال سطوح البيوت كأنها سطح واحد من شدة تلاصقها ، حذرنا أبو أسامة بعدم الاقتراب من زاوية معينة لأنها آيلة للسقوط ثم ذكر :

- هذه هي السطوح التي كان الثوار يتنقلون

---

* الاسكي دنيا : من فواكه الصيف

عليها بسهولة ، كي يواجهوا القوات الفرنسية أيام الاحتلال الفرنسي ابتداء من عشرينيات هذا القرن ، حتى أربعينياته .

حمام يحط ويطير ، مآذن شامخة ، قمم البنايات العالية في الأحياء الجديدة تبرز من بعيد ، وجبل قاسيون* ما زال على شموخه على الرغم من أن المدينة قد احتلت سفوحه وتسلقت إليه ، وأخذت تزحف إلى ما فوق وسطه . بدأ الشفق الأحمر يحتل مساحة الأفق وبعد أن أخذت الشمس تتلاشى تدريجيا ملأ صوت الآذان الآفاق ، وبدأت العتمة تلقي رداءها رويداً رويداً على المدينة . نزلنا إلى الطابق الأرضي ، وفي قاعة الجلوس ارتدى أبو أسامة العباءة العربية وعلق :

ـ ها أنا بين أيديكم .

تمعنت في المكان في الحائط المقابل للباب . هناك واجهة زجاجية « فاترينة » ، احتوت على الزجاجيات والصيني من صحون وأباريق وفناجين وآنيات زهور وغيرها .

وفي زاوية الداخل على يمين المكان ، وجدنا صندوقا ، جوانبه محلاة بالنقوش والرقش . قال أبو أسامة : إنه « البيرو » . كان صندوق ملابس ما قبل الخمسينيات ، وهو بديل خزائن هذا الزمان .

الدلة العربية والفناجين والصينية المليئة بالنقوش تحتل ركنا مميزا ، والسجاد العجمي يحتل أرضية المكان ، والمقاعد من الخشب المحفور والمنقوش .

في زاوية المكان اليسرى ، رأينا تشكيلا خشبيا من عدة طبقات مختلفة في الأحجام والأشكال ، وتم تلوينه بعدة ألوان .

علق أبو أسامة : إنه يدعى « السَّبت » ، تعبأ طبقاته بالحلوى المتنوعة الأصناف والأشكال ، ويقدم هدية للعروسين ليلة عرسهما . وكانت الإضاءة ، قبل دخول الكهرباء حياتنا ، بالقناديل أو الشموع ، أما الآن فإن الكهرباء كفيلة بذلك .



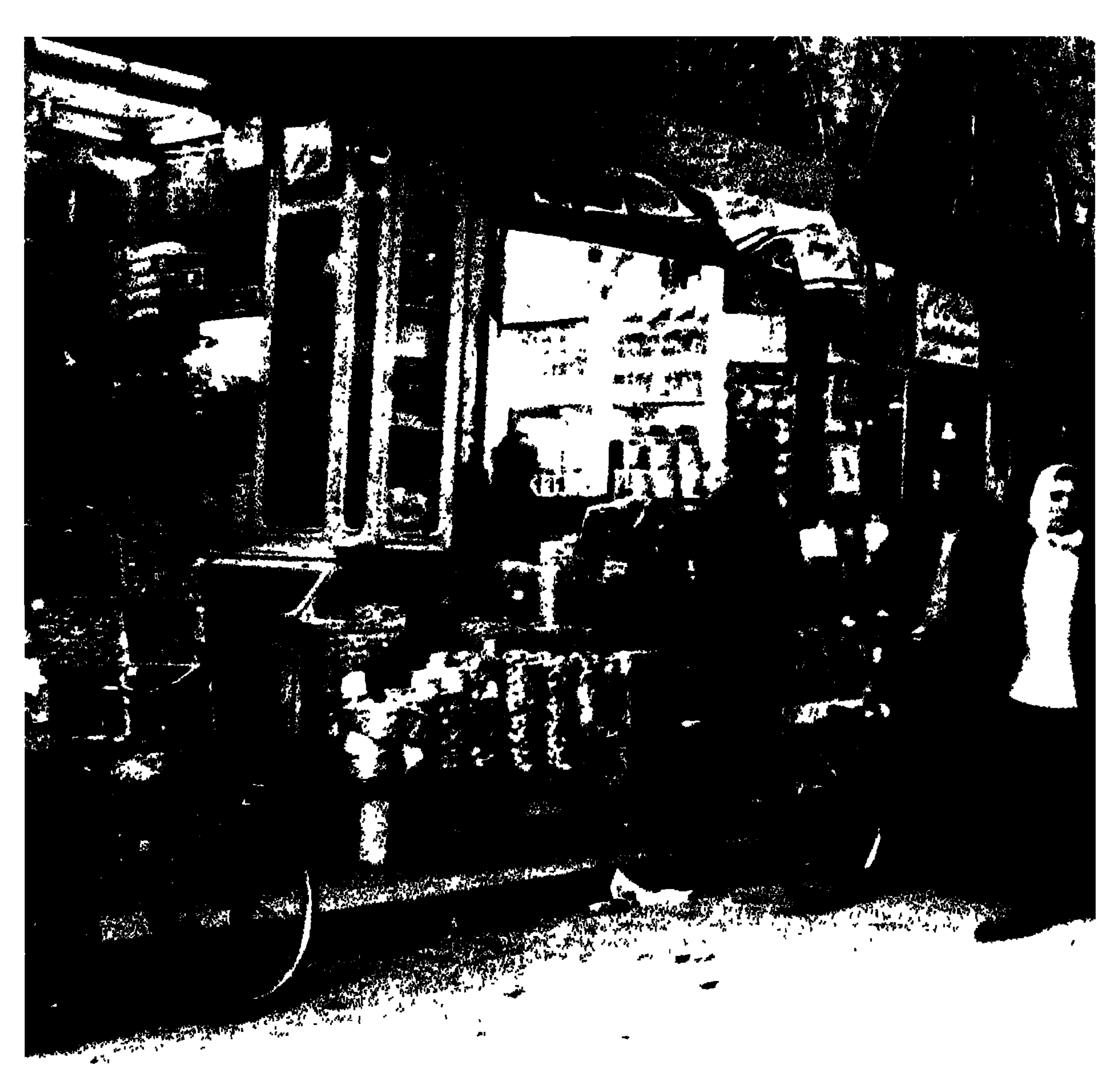
● المسجد الأموي بنقوشه الجميلة .

عندما أنار أبو أسامة ـ السَّبتَ ـ ظهر بحلة جميلة تغري بالنظر ، فكيف لو كان مليئا بالحلوى ، فإنه كان سيغري بالأكل طبعاً .

حلال المشاكل

عن العادات المترافقة مع شهر رمضان ذكر أبو أسامة : من العادات التي أذكرها عادة

* قاسيون : جبل يطل على مدينة دمشق من الناحية الشمالية .



● سوق « البزورية » . . يمتلىء بعشرات الأنواع من البذور والحلويات .

« السكبة » ، حيث يتولى الأقارب والجيران تبادل بعض الوجبات الرئيسة قبل الإفطار طبعا . وكان بعض أغنياء الأحياء يقيمون سرادق لاستضافة الفقراء أو عابري السبيل .

كما أن إخراج الزكاة عن الأموال المنقولة وغير المنقولة ، وفطرة رمضان كانت ومازالت توسع على الفقراء الرزق ، ومن أهم الظواهر الاجتماعية أن القلوب كانت تصفو في هذا الشهر الفضيل ، وتتم مصالحات عديدة فيه كان حلها عويصا من قبل . إن الحالة الاجتماعية في هذا الشهر كانت تحمل كل معاني التكافل والتضامن وصفاء القلوب وحل المنازعات وتوطيد الوشائج .

ومن أهم الليالي في رمضان ليلة ٢٧ منه ، أي ليلة القدر ، ففيها يتجمع الناس في المساجد ، يتلون القرآن والأوراد والأذكار ، وتتولى بعض الطرق الصوفية إقامة الاحتفالات على حسب طريقتها ، وتعرض شعرة النبي ، ويتبارك بها الناس ، وتقوم الزوايا والتكايا بإقامة الاحتفالات التى تقوم على الابتهالات وتلاوة الأذكار . ويبقى الناس ساهرين حتى السحور .

بعد ذلك فإن النساء يقمن بعمل المعمول والكعك والحلويات استعدادا ليوم العيد ، ويأخذ الناس بشراء الملابس الجديدة ، وحلويات العيد .

قال الروائي خيري الذهبي : كان الفرح سهلا وتلقائيا وبسيطا .

×علقت : لاحظت أن معظم صيغة كلامكم تحمل معنى الماضي ، فهل فقد الحاضر رونق الأشياء ، وفقدت الأيام والمناسبات البهاء ؟

- جاءني الجواب مشتركا : مازال للأيام والمناسبات رونقها ، لكن بعض التقاليد والعادات تغيرت وتبدلت ، لم يعد السيف والترس حاضرين حضورهما الكثيف في استقبال الشهر الكريم وتوديعه ، وانزوت عادة المآدب الكبيرة في بعض زوايا المساجد ، وفقدت بعض الحارات مسحريها بالموت ، وهجم التلفاز ، واحتل مكان الحكواتي وخيال الظل . وتلقت بعض القلوب كدمات الفقر والفاقة ، وهموم الحياة الخاصة والعامة ، بل واختفت أحيانا الأكاليل والزينات ، وشغل الأفراد بعائلاتهم الصغيرة بدلا من عادة الاهتمام بالعائلة الكبيرة ، لأن العائلات توزعت ، ولم تعد في البيت الكبير ، أو في بيوت العائلة الواحدة ، المتلاصقة أو القريبة بيوتها بعضها من بعض ، والتي كان كبيرها الموقر من الجميع يدير مصالحها وشؤونها إلى حد كبير .

وذكر أبو أسامة أن فرحة العيد كانت ومازالت لاتنسي الناس أمواتهم ، فكانوا ومازالوا يتوجهون إلى المقابر بعد صلاة العيد ، ويضعون نباتات الزينة والأزهار على قبور موتاهم ، ويقرؤون الفاتحة على أرواحهم ، ويرشونها بماء الورد ، ويوزعون عن أرواحهم الحلويات والفواكه والمأكولات .

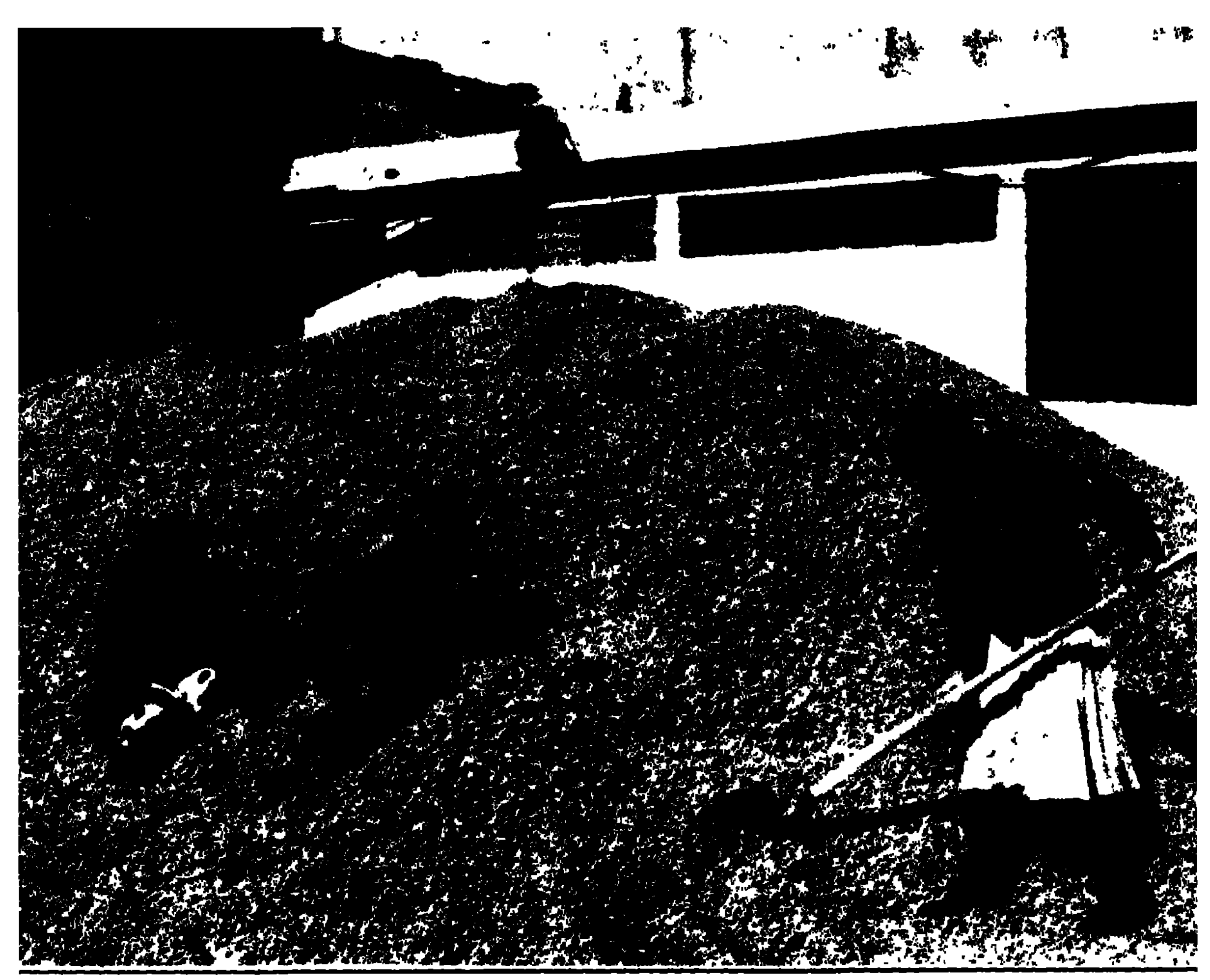
ثم يبدؤون بزيارة الكبير فيهم ، وتتوالى الزيارات ومظاهر الفرح من دبكات وأغان في بعض الساحات العامة ، ويبدأ الصغار بالتوافد على الساحات المليئة بالألعاب والمسليات والملهيات .

صناعات قديمة

وآثرنا في تلك الليلة أن لانغادر السوق إلا بعد أن نقف على بعض نشاطاته وصناعاته ، فزرنا بعض المحلات التي تصنع القطايف والكنافة ، وهما الصناعتان القديمتان في دمشق . وقد ذكر لنا السيد محمود رمضان أنهم يعملون بهذه المهنة منذ حوالي مائة سنة ، وأنهم يتوارثونها أبا عن جد ، وذكر لنا تفصيلات صنع هذه الحلويات ، ومايتم حشوها به من جوز ولوز وقشطة وغير ذلك .

ثم انتقلنا إلى المحلات التي تصنع وتبيع الحلويات العربية من بقلاوة وبرما وبللورية المحشوة بالفستق - الحلبي - وغيرها من أصناف الحلويات ، « كل واشكر »وغريبة ومعمول

● السيد بدر الدين العوف .



● قشور ثمر المشمش يمكن تحويلها إلى صناعة مطلوبة .

وبرازق ومدلوقة وكنافة ومفروكة وغيرها من حلويات .

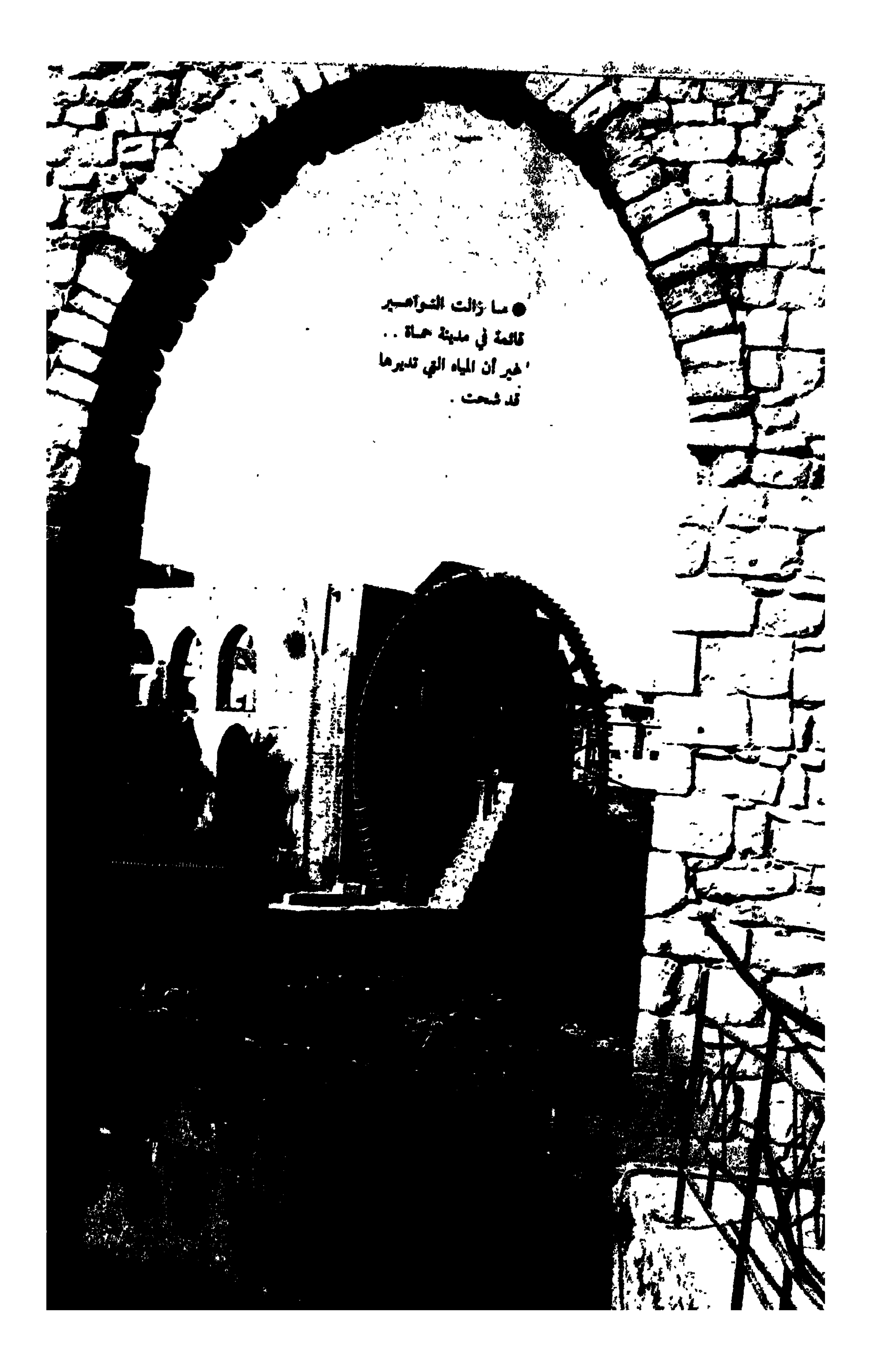
ذكر لنا السيد شفيق السمان ، صاحب أحد المحلات المشهورة في ساحة المرجة* ، أن المحل تم افتتاحه سنة ١٩٥١ ، وأن جل الإنتاج يشتريه زوار دمشق من السياح ، في حين أن محلات كثيرة تم افتتاحها في أحياء دمشق القديمة والحديثة ، وأنه توجد بعض الحلويات التى تروج في رمضان فقط ، مثل القطايف ، والكولاج ، والنهش المحشو بالقشطة ، والبقلاوة ، عدا الميطلية والرز والبوظة وغيرها .

وذكر أن إنتاج دمشق من الحلويات يصل إلى حوالي أربعة آلاف طن يوميا ، وأن معظم مواد صناعة الحلويات تنتج محليا ، وذكر أن الخلطة الأساسية للمصنوعات يتابعها ويشرف على صناعتها معلمون خبروا هذه الصناعة وواكبوها منذ زمن طويل .

الغوطة

إذا ذكرت دمشق ، فإن الغوطة يجب أن تذكر معها ، هي بستانها ومتنفسها وسلة فواكهها وسهل غذائها ومكان الترويح لأهلها ، لكن مدينة دمشق كبرت وتوسعت ، ويقال : إن عددها وصل إلى حوالي أربعة ملايين نسمة الآن . وأن البناء على الأراضي المزروعة جار ، وقد تقلصت مساحاتها ، ولم يبق إلا القليل القليل من المساحات المزروعة في الغوطة الغربية ، وتقلصت ـ كما تذكر بعض المصادر ـ

* ساحة المرجة : هي الساحة الرئيسة في مدينة دمشق ، وفيها نصب الشهداء الذين أعدمهم جمال باشا التركي أثناء الحرب العالمية الأولى .



● ما زالت النواعير
قائمة في مدينة حماة ..
غير أن المياه التي تديرها
قد شحت .

مساحة الغوطة الشرقية الى النصف (تذكر بعض المصادر أن مساحتها كانت ٣٠ ألف هكتار) ، وشحت مياه الأنهار التي تسقيها ، فنهر بردى قلما يصل الى مصبه في بحيرة العتيبة ، وبعدما كان يشق دمشق ويهدر بين جنباتها ، فإنه قلما يصل إلى حدودها إلا في بعض السنوات ، وعين الفيجة وهو النهر الآخر الذى كان يروى دمشق أيضا ، ويلتقي بنهر بردى ، ويشتركان بإرواء بساتين الغوطة وسكان دمشق أخذت المياه تقل فيه ، وقد غاض في بعض مناطق جريانه ، ولم يبق له أثر ، لذلك فإن سقاية الغوطة الآن تعتمد على الآبار الارتوازية .

ذكر لنا الدكتور موفق الشلاح الذي رافقنا لزيارة مزرعة الفواكه الخاصة بهم في الغوطة الشرقية ، والذى أشرنا إلى حديثه معنا في بداية هذا الاستطلاع ، أن الغوطة القديمة كانت تصل إلى منطقة يقال لها : « خرابو » ، وفيها كلية زراعة متوسطة الآن . وقامت في الغوطة قرى متعددة ، مثل : النشابية وبالا وجسرين وزبدين . والأراضي في الغوطة موزعة على ملكيات خاصة بالأفراد ، وملكيات عامة تابعة للدولة . ويصل أقصى بعد للغوطة الشرقية حوالي ٥٠ كيلومترا شرقي دمشق .

تبعد مزرعة الشلاح القائمة في الغوطة حوالي ٢٥ كيلومترا من قلب دمشق .

عن ثمر المشمش ذكر لنا الدكتور موفق شفيق الشلاح أن المشمش ثمر متوطن في غوطة دمشق منذ قديم الزمان ، وأنه توجد عشرات الأنواع من هذه الثمرة ، مثل البلدي ، والعجمي ، والحموي والامريكاني والفرنسي والتدمري ، والكلابي ، وذكر أنه يوجد حوالي ٢٠ نوعا من هذه الثمرة .

وأن أفضل الثمار التي يمكن تحويلها إلى قمر الدين هو الكلابي ، وأحيانا الامريكاني والفرنسي ، ومنها يمكن صنع المربى ، أما البلدي فهو للأكل والنقوع .

وذكر أنهم يصنعون حوالي ٥ آلاف طن في السنة من قمر الدين ، ويصدرون بعضه إلى أقطار الخليج العربي ومصر والسودان ، وبعضه يصدر إلى انكلترا والولايات المتحدة الأمريكية ، وذكر أيضا أن كل ٦ كيلوغرامات من ثمر المشمش تتحول إلى كيلوغرام واحد من قمر الدين .

قمر الدين

عندما وصلنا المزرعة أطلعنا الدكتور الشلاح على كيفية صناعة قمر الدين ، ثم أطلعنا على كيفية الاستفادة من نوى المشمش ، حيث شاهدنا تلالا عالية من قشوره ، فيما يصدر النوى الذى يشبه حبة اللوز إلى بعض البلدان كالسويد ، إذ يصنع منه السكاكر والمعجنات بعد معالجته من المرارة التي تعلق بالنواة .

وأطلعنا على المعصرة التي تعصر النوى . وأن ما ينتج عنها من زيوت تستعمل للطبخ والاستعمال الآدمي بعد معالجة المرارة الموجودة في نوى المشمش .

أما تلال قشور نوى المشمش فذكر الدكتور الشلاح أنهم كانوا يصدرونه من قبل إلى بعض البلدان لكي يطحن ويستعمل طحينه للحفظ والتبطين في بعض الآبار النفطية كالاسمنت ، وهو يستعمل كالفحم أيضا ، لأنه يحفظ الحرارة بشكل جيد .

وذكر أنهم يفكرون بتحويل القشور إلى خشب مضغوط .

× علقت : يبدو أنكم لم تتركوا شيئا في ثمرة المشمش إلا استفدتم منها ؟

- قال باسما : إنها ثمرة مباركة ، أليست هي الغذاء المرغوب في الفطور والسحور في الشهر الفضيل ، شهر رمضان ؟

وذكر : من المعروف أن ثمر المشمش غني بالحديد والفيتامينات وغيرها ، وهو يقي الجسم من الإنهاك والتعب بسبب الصيام .

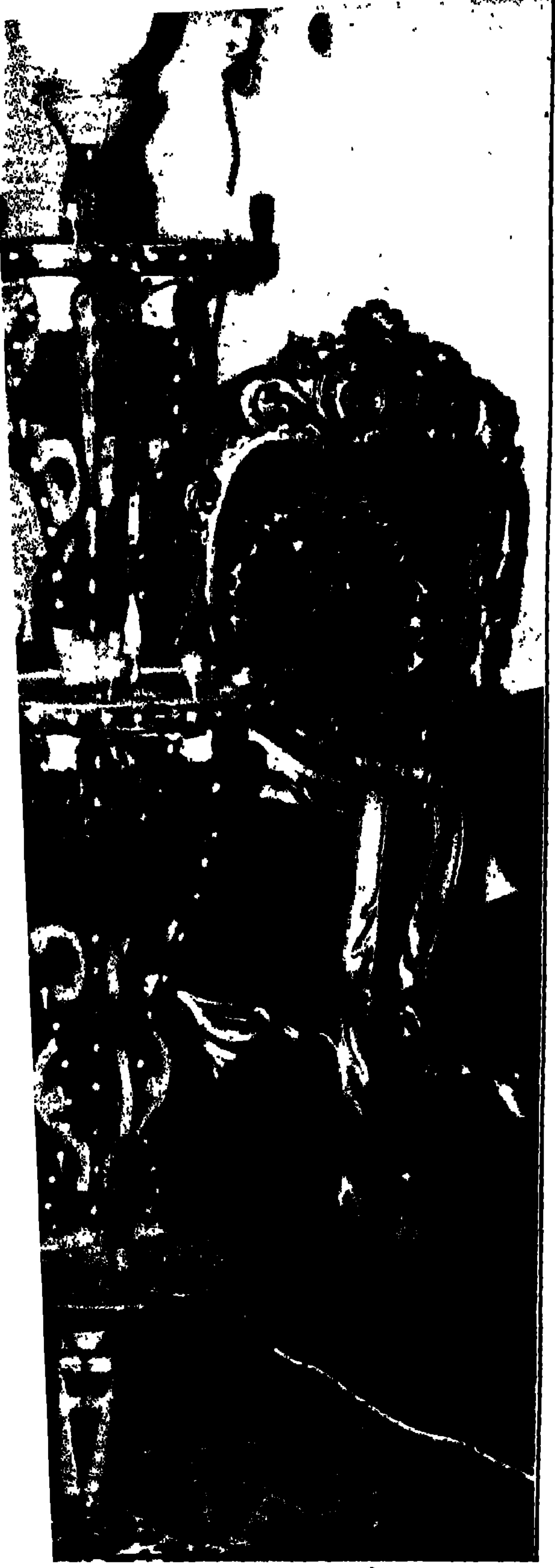
تعال اشرب

من ضمن المشروبات التي تترافق مع الفطور والسحور في رمضان في الجمهورية العربية السورية ، يحتل العرق سوس مكانة مفضلة ، بل إن عرق السوس هو أحد المشروبات المفضلة في فصل الصيف ، وتجد باعته يجوبون الطرق بطاساتهم النحاسية ، يوقعون بها أنغاما مميزة ، وتضفي أزياؤهم الغريبة طابعا خاصا عليهم ، فتشد الجمهور إليهم .

والعرق سوس مشروب صيفي ، وهو متوافر بالأسواق بعلب وأكياس تشبه أكياس الشاي في السوق ، وكانت العبوات تحمل اسم المصنع ، إنه في الكسوة ، البلدة التي تبعد عن دمشق حوالي ٢٠ كيلومترا من ناحية الجنوب .

انطلقنا إلى المصنع مع مرافقنا السيد بسام العبيسي ، فوجدنا أكواما من الحشائش ، موزعة في المكان ، وحزما من الحطب بأحجام وأشكال مختلفة . قال لنا السيد رمزي البيرقدار ، صاحب المصنع : إنه العرق سوس . وأضاف : إن العرق سوس ماهو إلا نبات ينبت على ضفاف الأنهار في المناطق المعتدلة الحرارة ، كسوريا والعراق وإيران والهند والصين وتركيا والاتحاد السوفيتي وغيرها من بلدان .

وذكر السيد رمزي : لقد بدأ والدي العمل في هذه المهنة منذ سنة ١٩١٤ . وأضاف : أفضل الطرق للحصول على العرق سوس هي طريقتا النقع والغلي . والطريقة الأفضل حسب رأي السيد رمزي ـ طالب الصيدلة السابق ، ومن مواليد سنة ١٩١٦ ـ هي طريقة النقع . وهناك أشكال وأصناف يصنعها المصنع الآن ، مثل القوالب والعيدان المقشورة والمطحونة ، والمبروشة ، كالشاي ، ويتم وضعها في عبوات توزع في الأسواق ، والأفضل استعمالها مع الماء البارد .



● « السَّبْتْ » رفيق العرسان والأفراح .

● صور رمضانية من بلاد الشام .

× سألت : لكن ثبت علميا أن مادة عرق السوس ترفع ضغط دم الإنسان ؟

ـ كأن السيد رمزي كان متوقعا هذا السؤال فأجاب :

كل شيء يزيد عن حده ينقلب إلى ضده كما تعرف ، اشرب العرق سوس باعتدال ، فإنه لن يؤذيك . وأضاف : إن مادة العرق سوس هي مادة قلوية ، يمكنها أن تخفف من حرقة المعدة ، وتسهم بمعالجة الربو ، ويستفاد من مادة العرق سوس في صناعة الأدوية والحلويات ، والدخان ، فهو يعطي نكهة جيدة لهذه المصنوعات . وأضاف : أن إنتاج المصنع يتراوح بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف طن سنويا ، تستورده بعض البلدان مادة خاما ، تقوم هي بتصنيعه وإدخاله في مصنوعات أخرى . ومن هذه البلدان : فرنسا ، وايطاليا ، واسبانيا ، وانكلترا . وتستورد منه مصر وبلدان الخليج العربي كميات أخرى .

× علقت : يبدو أن صيت العرق سوس منتشر في مصر ، لكن صناعته قائمة في سوريا ؟

ـ أجاب : إن ذلك صحيح تماما .

جلنا في المصنع ، وشاهدنا المراحل التي تمر بها الصناعة ، لكن نداء بائع العرق سوس : « تعال اشرب وخذ مني كباية » بقي هو المهيمن على أذهاننا .

الفستق الحلبي

الفستق المسمى الحلبي يدخل مادة أساس في كثيرمن الصناعات ، خصوصا المستعملة في شهر رمضان الكريم ، كالحلويات والبوظة وغيرها .

وكي تصل من دمشق إلى حلب عليك أن تقطع حوالي ٣٦٠ كيلومترا ، تمر فيها على أهم المدن السورية ، مثل : حمص وحماة .

تتذكر أن حماة هي بلد النواعير ، وتتذكر أيضا أن أحد أشهر أصناف المشمش هو المسمى الحموي ، فنعرج على حماة ، كانت نواعيرها متوقفة نظرا لشح المياه ، خصوصا أن سد الرستن الذي أقيم في مدينة الرستن التي تقع بين حمص وحماة قد حجز كثيراً من مياه نهر العاصي الذي ينبع من لبنان ويمر في المدن الثلاث السابقة .

الحديقة المحاذية للناعورتين في وسط مدينة حماة كانت تغص بالمستروحين ، والرائحين والغادين . خرير المياه في جنباتها كان يتردد . والبط يسبح مطمئنا في البركة التي تقع في وسطها .

أوراق المشمش كانت متساقطة ، ولم نر إلا عيدانا وفروعا بدون أوراق في السهول القريبة من مدينة حماة . (كانت زيارتنا في الاسبوع الأول



● الحكواتي أبو محمود ، يقرأ سيرة الظاهر بيبرس .



● الدكتور موفق الشلاح



● السيد رمزي البيرقدار .



● السيد محمد غالب السمان .

من شهر (ديسمبر) كانون الأول من سنة ١٩٨٩ م) .

تابعنا طريقنا إلى حلب ، المدينة الثانية بعد دمشق في الجمهورية العربية السورية ، وسكانها حسب تقدير بعض المصادر يصلون إلى حوالي ثلاثة ملايين نسمة .

المعلم البارز في المدينة هو قلعتها الضخمة التي تحتل مكانا مهما في وسطها ، وقد تم ترميم بعض معالمها ، فبانت شاهداً بارزا على الأهمية التي كانت تحتلها القلعة في مراحل سابقة .

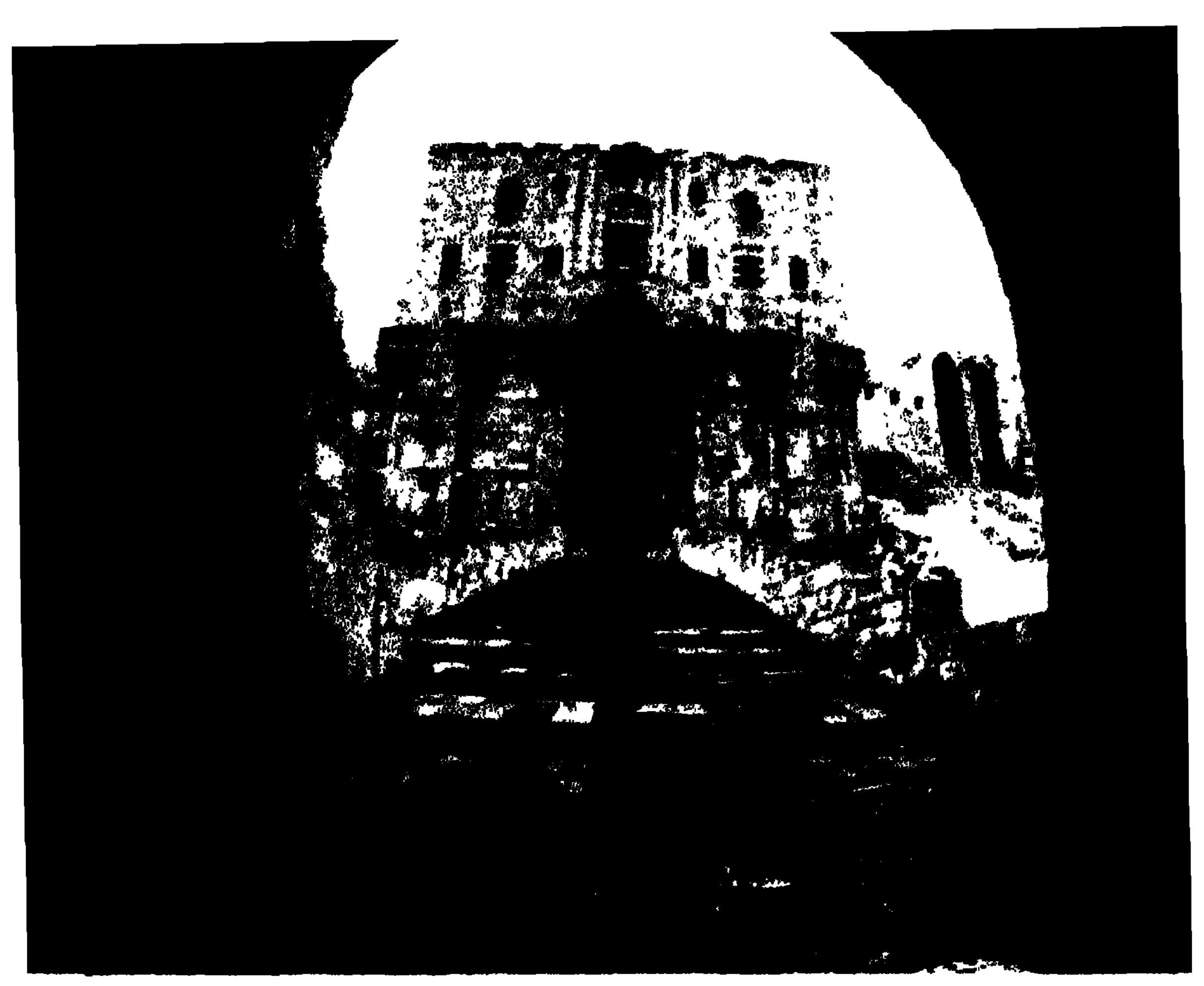
الأسواق المسقوفة ـ يطلق عليها اسم التللية ـ تحاذي القلعة ، سقوفها منخفضة ، بقيت على حالها ولما يتم ترميمها بعد ، المحلات على امتداد جوانب الأسواق متلاصقة بعضها ببعض ، وتحتوي على أصناف عديدة من العباءات والملابس ، والحلويات ، والمكسرات والفواكه والخضراوات وغيرها .

دخلنا أحد محلات المكسرات ، فذكر صاحبه عبد القادر صابر أن مهنة المتاجرة بالمكسرات يتوارثونها أبا عن جد ، وربما يعود ذلك إلى حوالي مائتي سنة .

وذكر أن الفستق المسمى الحلبي ما هو إلا اسم الشهرة له ، لكن مصادره متنوعة ، وأسماءه عديدة ، مثل : الماوردي ، والعاشوري والباتوري والعليمي وناب الجمل (تشبه حبته ناب الجمل) وفستق بوظة ، وهذا الصنف حبته صغيرة ولون قلبه أخضر .

وذكر أن موسم قطافه في فصل الصيف ، وأن الشجرة تكون عارية من الأوراق في فصل الشتاء .

اصطحبنا السيد عبد القادر إلى مصنع التحميص التابع لهم في السوق نفسه ، فوجدنا العمال يحمصون عدة أنواع من المكسرات ، مثل الفستق المسمى السوداني ، وهو يزرع في الساحل السوري قرب اللاذقية ، و « وبزر » البطيخ ، والبزر الأبيض ، والفستق الحلبي ، والحمص « قضامة » ، وغير ذلك .



● أشهر مكان في حلب ، إنها القلعة التي تتوسط المدينة ، وتشرف على أحيائها .

الحكواتي يحرق كتابه !

كـان الحكواتي وخيـال الـظل وغيـرهـا من مسليـات هي أجهزة تسليـة الناس قبـل انتشار الإذاعة والتلفاز والمسارح الحديثة ، وكانت ليالي رمضان وبعض ساحات الأحياء ومقاهيها تشهد كثيراً من صولات وجـولات الحكواتي ، إلا أن ذلك كان في زمن مضى . هكذا ذكر لنا السيد عدنان منصور (أبو عمر) الذي يعمل في مقهى تشـرين ، في بـاب بـريـد القـريب من سـوق الحميدية .

× علقت : لكن الحكواتي ما زال مادة أساساً في مقهاكم .

ـ قال : مـا زال مقهانـا ومقهى آخر يتـردد عليهما الحكواتي فقط في هذه المدينة الكبيرة ، بعد أن كان مسليا وحكيا في زمان مضى .

بعد أذان العشاء جاء الرجل متأبطا كتابه ، همس أبو عمر : إنه الحكواتي ، يـأتينا في هـذا الوقت من كل مساء .

كان رجلاً كبيراً في السن ، يضع على رأسه طـاقية من الصـوف ، وتلفح بشمـاغ (غترة) منقـطة بـالأبيض والأسـود ، يلبس سـروالا ـ شروالا ـ أسود كعادة الرجال الكبار السن في بلاد الشـام ، ويـرتـدي معـطفـا أزرق . جلست بجانبه ، وبدأت أسأل وهو يجيب ، قال :

ـ أنـا عبد المهيمن حمصي ، المعـروف بـأبي محمـود الحكـواتي ، ومن مـواليـد دمشق سنـة ١٩١٨ ، عملت في الحيـاكة مـدة من الزمن ، واستمعت لعـدة حكـواتيـة ، كنت أستمتـع بـالـروايـات والقصص ، وأقـرؤهـا في البيت وحدي ، وعندما خف نظري قليـلا ـ يستعمل نظارة طبية ـ قررت أن أتحول إلى حكواتي ، وتم



● عدة أصناف من الفواكه تتحول إلى عصائر .

ذلك منذ سنة ١٩٤٠ ، وها أنا ما زلت أعمل .

ـ أتسألني عن السير التي أقرؤها ؟ إنني أقرأ سيرة عنترة وأبي زيد الهلالي والأميرة ذات الهمة والظاهر بيبرس وغيرهم .

× هل تستعمل الربابة والغناء مع القراءة ؟

– لا ، إنني أقرأ فقط ، والعادة في دمشق درجت على هذه الصورة .

× هل تغار من التلفاز ؟

– طبعا أغار ، إنه منافسنا الخطير ، إنه يعمل حوالي ٨ ساعات ، وأنا أعمل وأقرأ ساعة واحدة .

شاشة التلفاز كانت تشد انتباه رواد المقهى ، وصوت قرقرة « الأراكيل » كانت تملأ المكان ، ونداءات : شاي ، قهوة ، نارة يا أبا عمر ، كانت تتردد في المقهى .

تنحنح الرجل ومسح نظارته ثم أغلق أبو عمر التلفاز ، ووضع كرسيا على طاولة قصيرة انتبهت لحظتها أن سجادتين كانتا معلقتين خلف الرجل ، مرسوم عليهما صورة متخيلة لعنترة وأخرى للأميرة ذات الهمة .



● صور رمضانية من بلاد الشام .

وضع أبو عمر مكتة سجائر أمام الرجل وكوب ماء . تنحنح ثانية ، فتوجهت إليه أنظار الرواد الذين كان معظمهم من الشبان .

قلب الرجل كتابه ثم بدأ باسم الله . وانطلق يروي سيرة الظاهر بيبرس ، همس لي أبو عمر : إن سيرة الظاهر بيبرس قد تستمر سنة ، وهي تؤكد في النهاية على ضرورة الوحدة وتحرير البلاد من الغاصب الأجنبي .

استمر الرجل يروي ويتكلم تارة بالفصحى وأخرى بالعامية السورية أو المصرية ، تتداخل معها الكلمات التركية .

قرقرة « الأراكيل » مع صوت الحكواتي كانتا تترددان في المكان مع همس خفيف بين هذا الزبون والذي يليه .

أخذ الحماس الرجل وهو يروى معارك الظاهر بيبرس ، وأشعل سيجارة ، وتوالت القرقرات والهمسات وتأشيرات الأيدي من قبل الحكواتي .

تكلم شاب بصوت مسموع مع زميله ، فوجه الحكواتي أنظاره إليه ، شبت نار السيجارة ببعض أطراف الكتاب في تلك اللحظة ، فأطفأها مساعد الحكواتي بسرعة .

× همست للحكواتي بعد أن انتهى من ساعة القراءة المحددة به : من هو مؤلف الكتاب الذي تروي عنه ؟

ـ علق : لقد ورثته ، ولا يوجد اسم المؤلف عليه .

مبالغات وانقراض

علق أحد الرواد هامسا لي : إن رواية كتب الحكواتي فيها كثير من المبالغات والخرافات ، صحيح أن الظاهر بيبرس شخصية حقيقية ، لكن ما يرويه الحكواتي فيه كثير من المبالغات ، وأنا آتي إلى المقهى كي أسلي نفسي ، وليس للاستماع إلى الحكواتي ، وإدارة المقهى جلبت الحكواتي كي تكسب الزبائن ، لكن كما ترون فإن الحكواتي قلما يجذب الزبائن ، خصوصاً جيلنا الذي قرأ وخبر الكثير .

أغلق الرجل كتابه ، وهيأ نفسه للخروج .

تذكرت تعليق الشاب الهامس ، واستعرضت ما سمعت من الحكواتي ، فأدركت بعض أسباب انقراض مهنة كان لها حضورها الأخاذ في زمن مضى ، خصوصا في شهر رمضان ، وأدركت أيضا أسباب انقراض بعض المهن والعادات والتقاليد التي ربما لم تعد تتوافق مع زمان أخذ يركض نحو المستقبل بسرعة الصاروخ ! □



نجم
غامض
اسمه
الشمس!
بقلم رؤوف وصفي

تشهد الشمس منذ شهر مارس ١٩٨٩ انفجارات هائلة فوق سطحها ، ألسنة من النيران تندفع إلى آلاف الكيلومترات في الفضاء ، وتنشط مجالات مغناطيسية وكهربية مروعة ، وتهب عواصف شمسية عنيفة تتكون من جسيمات مشحونة ، وصل مداها إلى كل كواكب المجموعة الشمسية ، كما انتشرت على الشمس مناطق باردة نسبياً ، يطلق عليها اسم البقع الشمسية ، وقد تستوعب سبعين كوكبا مثل كوكب الأرض . إنها ثورة تحدث كل حوالي أحد عشر عاما ، وتمثل ذروة النشاط الشمسي الذي يتأثر به مناخ الكرة الأرضية ، فيحدث الجفاف في بعض المناطق ، ويكثر الفيضان في مناطق أخرى ، وتتأثر طبقة الأوزون وتحدث فيها الثقوب ، كما تتعطل الاتصالات اللاسلكية ، وتفسد أجهزة الأقمار الصناعية ، وتنشأ ظاهرة الشفق القطبي .

كرة من الغازات

من بين مائة بليون نجم تحتشد في مجرتنا (درب التبانة) تعد الشمس أقرب النجوم لكوكب الأرض ، فهي تبعد ١٥٠ مليون كيلومتر فقط عنا ، وهذه مسافة ضئيلة جدا بالمقاييس الفلكية . وقد عاش الناس قرونا طويلة قبل أن يكتشفوا أن الشمس هي إحدى النجوم ، وكانوا يعتقدون بأنها مجرد كوكب فضائي متميز .

ومنذ قديم الزمن أدرك الصينيون والبابليون أهمية الشمس منبعاً حيوياً للضوء والحرارة ، كما عبدها المصريون القدماء والإغريق والرومان . وكانت ظاهرة كسوف الشمس من أكثر الظواهر الطبيعية إثارة لخوف الإنسان ورعبه .

والشمس كرة هائلة من الغازات ، يبلغ قطرها نحو مليون وثلاثمائة وأربعة وثمانين كيلومتراً ، وهي متماسكة بتأثير جاذبيتها الذاتية . ويمنعها من الانهيار إلى الداخل ذلك الضغط الهائل المستمر الذي ينتج عن درجة الحرارة العالية في مركزها التي تصل إلى عشرين

● البقع الشمسية وهي تبدو واضحة فوق سطح الشمس

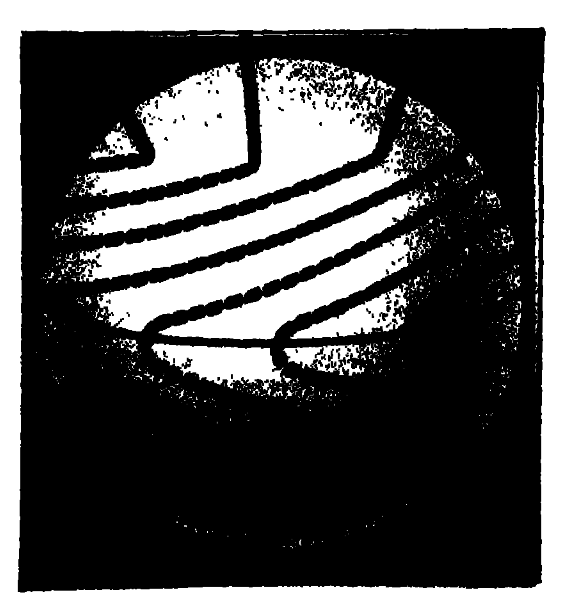
يعتقد علماء الفلك بأن ما يحدث للشمس منذ فترة قصيرة يعد من أعنف الثورات التي رصدها الإنسان عبر التاريخ البشري . فما حكاية الشمس ، هذا النجم الغامض الذي يهبنا الدفء والطاقة والحياة ؟

مليون درجة مئوية ، بينما سطح الشمس بارد نسبياً ، تصل درجة حرارته إلى نحو ستة آلاف درجة فقط . وتنظم الشمس حركة دوران كواكب المجموعة الشمسية وتوابعها ، فتجذبها بقوة شديدة ، ومن ثم تحافظ على حركة كل منها في مداره،وهي تسير بسرعة هائلة ومعها الكواكب التسعة، في حركتها الدورانية حول مركز مجرتنا .

ولو نظرنا إلى قرص الشمس الضخم وقت الشروق أو الغروب لخيل إلينا أن سطحها هادىء ساكن، وما هذا إلا خداع نظر لبعد الشمس عنا ، فحقيقة الأمر أن سطح الشمس أقرب ما يكون إلى محيط هائل من النيران المتأججة ، دوامات وانفجارات وعواصف مروعة مثلها مثل باقي النجوم في مجرتنا ، وكذلك في بلايين المجرات الأخرى في الكون .

طبقات الضوء واللون

يطلق على الجزء الخارجي من الشمس « الفوتوسفير » ، أو الطبقة الضوئية ، ويبلغ عمقها نحو أربعمائة كيلو متر ، ومنها يشع الجزء الأكبر من الحرارة والضوء اللذين يصلان إلينا



●المجالات المغناطيسية في الشمس

فوق كوكب الأرض ، وتخفي هذه الطبقة الجزء الداخلي من الشمس . واتضح من الدراسات الفلكية المستمرة أن عنصري الأيدروجين والهليوم هما أكثر العناصر شيوعاً في منطقة الفوتوسفير ، إذ تبلغ نسبة الأيدروجين ٩٠٪ والهليوم ٩,٩٪ بينما تمثل العناصر الأكثر ثقلا ٠,١٪ .

وتمتد فوق « الفوتوسفير » منطقة ، يصل ارتفاعها إلى نحو عشرة آلاف كيلو متر ، تسمى « الكروموسفير » ، أو الطبقة الملونة ، وقد اكتسبت هذه التسمية بسبب ذلك اللون الوردي المميز الذي يحدثه غاز الأيدروجين ، ويبدو واضحاً عند حدوث الكسوف الكلي للشمس عندما يكون القمر بين الشمس وكوكب الأرض ، فيحجب قرص الشمس ، فيبدو « الكروموسفير » كهالة مضيئة ، ذات لون يميل إلى الاحمرار ، تحيط بظل القمر . وترتفع درجة حرارة هذه المنطقة إلى نحو مليون درجة مئوية .

ومن « الكروموسفير » تمتد الهالة الشمسية إلى ملايين الكيلو مترات في الفضاء ، وتتكون من غازات خفيفة جدا . ويعتقد علماء الفلك أن كثيراً من كواكب المجموعة الشمسية تدور داخل حدود هذه الهالة العظيمة .

عندما تموت الشمس

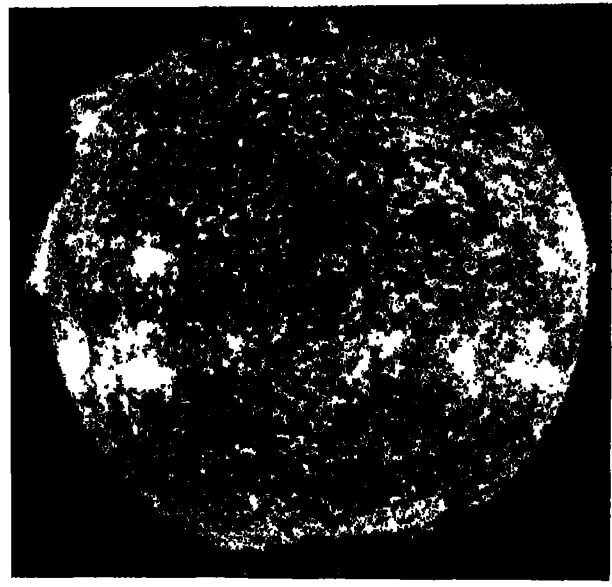
كان المصدر الذي تستمد منه الشمس طاقتها من المسائل المهمة التي ظلت زمناً طويلا أحد ألغاز الكون المبهمة . تحصل الشمس على طاقتها من عملية تسمى (الاندماج النووي) ، تحدث في مركزها الذي تسود فيه درجة حرارة تبلغ ملايين الدرجات المئوية ، وضغط يصل إلى ملايين الملايين من الأطنان فوق السنتيمتر المربع الواحد . وهذه الظروف تفوق كل خيال بشري ، إذ يضغط الغاز إلى حد تصبح فيه كثافته أكبر من كثافة السوائل العادية أو الأجسام الصلبة ، ولا يبقى أي تركيب ذري ، بل توجد

فقط الجسيمات دون الذرية ـ كالألكترونات والبروتونات ـ حرة طليقة . وأول خطوة في التفاعل النووي هي اصطدام بروتونين ، إذ يكونان معاً نواة النظير الثقيل للأيدروجين (الديوتيريوم) ، وتصدر طاقة ، كما يتم إنتاج جسيمين آخرين هما « النيوترينو » و « البوزيترون » . و « النيوترينو » جسيم ليس له ـ على الأرجح ـ كتلة أو شحنة ، وهو لا يتفاعل مع معظم مواد الكون ، وبمجرد نشأته في مركز الشمس فإنه ينطلق مخترقاً كتلتها حتى السطح ، ثم إلى الفضاء ، وعندما تصل أعداد هائلة من هذه الجسيمات إلى الأرض فإنها تخترقها ، وكأن طريق مرورها خال من أي كوكب .

أما « البوزيترون » فهو مادة مضادة للألكترون . فمن المعروف أن « الألكترون » جسيم دقيق عليه شحنة سالبة ، أما « البوزيترون » فهو ألكترون يحمل شحنة موجبة ، وبمجرد تحرر البوزيترون ـ في جزء من الثانية ـ يصطدم بالألكترون فيتلاشيان معاً ، ويصدر عنهما وميض من الطاقة .

وتخطف نواة « الديوتيريوم » « بروتوناً » آخر ، فتتحول إلى نواة للهليوم ، وينتج عن هذا التفاعل انطلاق أشعة جاما ، وهي أشعة قصيرة الموجة ، ذات طاقة عالية ، فيتحرر مزيد من الطاقة الشمسية . ويتم بواسطة هذا التفاعل النووي الحراري ـ في كل ثانية ـ فقد ما يعادل ٤ ملايين طن من كتلة الشمس ، تتحول إلى طاقة شمسية .

ويقدر علماء الفلك أن العمر الباقي للشمس نحو خمسة بلايين سنة ، فهي في الوقت الحاضر في مرحلة الشباب ، ولن تظل نجماً مستقراً فترة طويلة من الزمن ، بل ستنتابها تغييرات أساسية ، فبعد أن يتم استهلاك حوالي ١٠٪ من الأيدروجين الموجود في داخل الشمس ، سيتراكم رماد الهليوم الناتج عن الاندماج النووي في المركز ، ويؤدي هذا إلى انكماش الشمس



●ثورة فوق الشمس

تحت ضغطها الذاتي المتزايد ، وتنطلق طاقة تؤدي إلى تمدد المناطق الخارجية للشمس ، ومن ثم تصبح أكبر حجماً وأقل حرارة في مناطقها الخارجية ، ويأخذ لونها في الاحمرار وهنا تسمى الشمس (العملاق الأحمر) . وبمجرد انتهاء الوقود فإن مركز الشمس يبرد تدريجياً ، وتصبح السيطرة للجاذبية ، فتتقلص الشمس حتى تكاد تصبح جسيماتها متلاصقة ، وهكذا لن يكون هناك مجال لأي تفاعل نووي ، بعد أن يصبح مركز الشمس نعشاً أبيض للعناصر الثقيلة التي تراكمت فيه ، ويطلق عليها في هذه الحالة اسم (القزم الأبيض) ، وسرعان ما يتوقف القزم الأبيض عن الإشعاع ويبرد تماماً ، ويصبح مجرد جسم أسود ميت معلق في الفضاء .

ثورة الشمس وثورات الأرض

تتولد على سطح الشمس المستعر بقع داكنة وسط المناطق المضيئة البيضاء اللامعة ، إنها البقع الشمسية التي تعد أكثر ظواهر الشمس وضوحاً ، كما أنها الإشارة الوحيدة الدالة على نشاط الشمس .



●التأججات الشمسية

وتظهر البقع الشمسية أقل لمعاناً من بقية السطح ، إذ أن درجة حرارتها تقل عنه بنحو ٢٠٠٠ درجة مئوية . وتظهر البقع الشمسية في شكل مجموعات ، يحتوي كل منها على عدة مئات من مختلف الأحجام ، ويتضح من رصدها أنها مراكز لدوامات هائلة ، يعزلها عما حولها مجالات مغناطيسية وكهربائية مروعة .

وهناك عدة نظريات تحاول تفسير ظهور البقع الشمسية . تقول إحدى النظريات أن الشمس عبارة عن جسم غازي ، غيرمتماسك ، ومن ثم تدور أجزاؤها بسرعات مختلفة ، ويكون الدوران أسرع نسبياً في المناطق الاستوائية عنه في المناطق القطبية ، وينتج عن هذا الاختلاف في السرعات تكوين دوامات على سطح الشمس ، وهي البقع الشمسية . بينما ترى نظرية أخرى أن البقع الشمسية تتكون بسبب المجالات المغناطيسية والكهربائية القادمة من مركز الشمس ، ولهذا يشبه علماء الفلك الشمس بمولّد للطاقة هائل في الفضاء .

ولا يبقى عدد البقع الشمسية ثابتاً ، بل يتدرج من حد أدنى إلى حد أقصى ، ثم يهبط مرة أخرى إلى الحد الأدنى خلال دورة تبلغ نحو إحدى عشرة سنة ، وعندما تزداد البقع تكون الشمس في حالة نشاط ، أما عندما ينخفض عددها فإن الشمس تصبح « هادئة » .

وتحدث عدة ظواهر أرضية في أثناء ظهور البقع الشمسية ، منها الاضطرابات اللاسلكية ، والتغير في درجات الحرارة ، ونشوء ظاهرة الشفق القطبي ، وتلف أجهزة الأقمار الصناعية . كما يحاول بعض الربط بين التكرار الدوري للبقع الشمسية والتغيرات التي تحدث في أوقات هجرة الطيور والزيادة أو النقص في المحاصيل الزراعية ، وكذلك حدوث الثورات الاجتماعية ، إذ سجلت نهايات عظمى للبقع الشمسية عند اندلاع الثورة الفرنسية (١٧٨٩) ، والثورة الروسية (١٩١٧) ، لكن لا يمكن الجزم بوجود مثل هذا الارتباط . كما اتضح أن الأشجار تنمو أسرع في سنوات تكاثر البقع الشمسية ، وتم التحقق من هذا الأمر عند قطع الأشجار ، وفحص الحلقات التي تتكون سنوياً وتظهر عند جذوعها .

نصيبنا من الانفجارات

تصاحب البقع الشمسية انفجارات هائلة ، تسمى (التأججات الشمسية) ، وهي تنشأ أيضاً ـ على الأرجح ـ بسبب المجالات المغناطيسية

على الشمس ، وتظهر بشكل فجائي ، وباندفاع صاخب .

وفي وقت ذروة النشاط الشمسي تظهر العشرات من التأججات الصغيرة التي تنتشر في منطقة البقع الشمسية . وعندما حدثت الانفجارات فوق سطح الشمس في شهر مارس من العام الماضي انطلقت منها تيارات هائلة من أشعة اكس والأشعة فوق البنفسجية التي تسير بسرعة الضوء ، حتى وصلت إلى الطبقة العليا من الغلاف الجوي المحيط بكوكب الأرض ، فتخللته البروتونات ذات الشحنات الكهربائية الموجبة ، والألكترونات ذات الشحنات الكهربائية السالبة ، مما أدى إلى ارتفاع حرارة حافة هذه الطبقة ، ومن ثم تمددت في الفضاء . وقد أثر هذا على الأقمار الصناعية ، فقلّت سرعتها ، وهبطت إلى مدارات أكثر انخفاضاً ، ومن بينها القمر الصناعي (سولارماكس) الذي أطلق عام ١٩٨٠ لرصد نشاط الشمس .

ويندفع طوفان من الجسيمات المشحونة من التأججات الشمسية ، لتصطدم هذه الجسيمات بالغازات التي توجد في طبقة الغلاف الجوي (الايونوسفير) التي تعكس الموجات اللاسلكية ، فتتوهج ، وينشأ عن ذلك مشهد بالغ الروعة في الفضاء ، يتمثل في وهج ملون ، يتراوح بين الأخضر والوردي ، وتسمى هذه الظاهرة الشفق القطبي .

أما خطر الانفجارات الشمسية على الجنس البشري فمحدود ، إذ يحميه الغلاف الجوي للأرض ، ولكن الخطر الحقيقي على رواد الفضاء الذين يقومون برحلاتهم بعيداً عن كوكب الأرض ، وبشكل أقل على المسافرين في الطائرات الأسرع من الصوت كالكونكورد .

وفي شهر يونيو عام ١٩٨٩ ، قام العلماء في معظم دول العالم بدراسة مكثفة لنشاط الشمس غير العادي ، وقد اشترك مائة مركز شمسي في شتى مناطق العالم في هذه الدراسة ، وتم ربطها بشبكة من البريد الألكتروني .

وتعد الشمس نموذجاً لدراسة النجوم الأخرى ، فإذا تمكنا من فهم التفاعلات والظواهر الطبيعية في الشمس أمكننا بالتالي أن نتعرف على طبيعة النجوم البعيدة . لهذا يعكف علماء الفلك على دراسة ثورة الشمس في الوقت الحاضر ، في محاولة تكشف بعض ألغاز هذا الكون الغامض . □

من الشرق والغرب

* بشاشة الوجه عطية ثانية . (علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) .
* من تغدى وتعشى ولم يأكل بينهما ، سلم من الأوجاع . (عبدالله بن جعفر) .
* قال الإمام الأوزاعي : « إذا أراد الله بقوم سوءاً أعطاهم الجدل ومنعهم العمل » .
* يتعلم المرء حين يعلِّم . (سنيكا) .
* نكران الجميل أشد وقعا من سيف القادر . (شكسبير) .
* الذوق سمة الرجل المهذب ، والخيال سمة الرجل المنتج ، واتزان العاطفة سمة الرجل الناضج . (فيليب بوتز) .



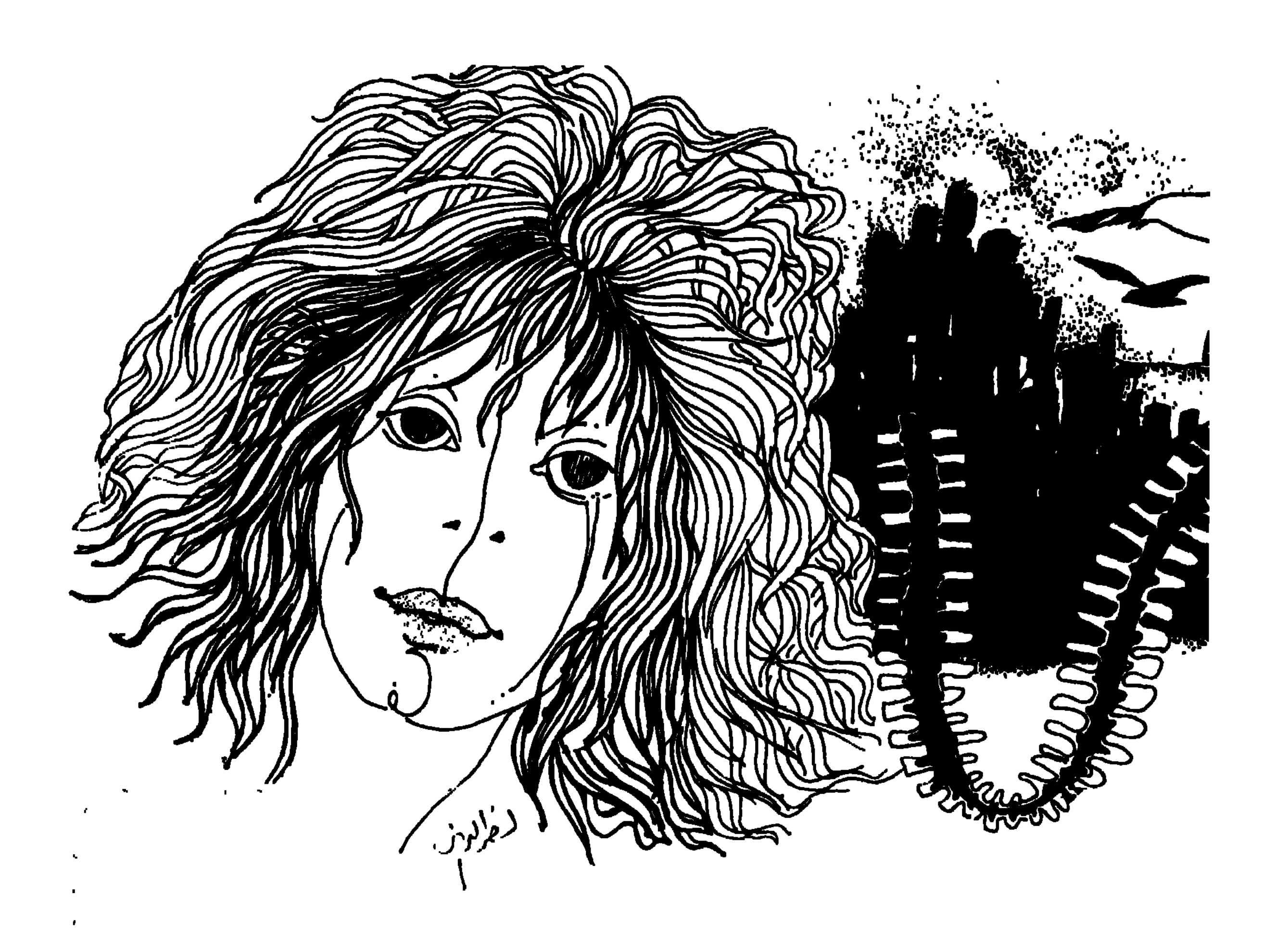
● شكسبير



لبنان وطيور البحر

شعر : محمد الفايز

ويا لبنان يا حزنا جديدا ... نعانيه ويا جبلا يثور
لماذا يرجمون الورد؟ ماذا ... جنت تلك الخمائل والطيور؟
وظل مثلما نعست رياش ... وأشجار كما وقف الحرير
وبيت كنت ألقى فيه سلمى ... وتلقاني إذا التهب الهجير
تطاردنا الرياح بكل أرض ... وتحذفنا على الصخر الصخور
وإنسان يهاجر عن هواه ... وآخر فيه من دمه نفور
تناهبنا حماس لايؤدي ... إلى شيء ونزّقنا الحبور
وأرض مثلما انفتحت سماء ... وبحر فيه تنصبّ البحور
كأن طيوره رسل عليها ... إشارات تُشير بما تُشير
ولو لم يأت هذا الغزو ممّن ... لهم من قبله غزو مرير
لجاء الآخرون، لذاك قالوا ... بأن الآخرين هم السعير
وما اختلفت حروب عن حروب ... وإن بعدت وما زالت تدور
تراكمت التناقض فاستحالت ... حروبا واستوى فيها المصير



ومن يدري؟ لعل الكون فيه ... كما في الناس حس أو شعور

هي الأيام تخلع ما عليها ... وتنفض من كواهلها الدهور

وتفقد من توازنها جبال ... فتسقط أو تقوسها الفطور

وما لبنان أول من أطاحوا ... ولكن عبثت فيه الشرور

وما دخل الغزاة به ولكن ... توارى خلفهم غزو كبير

وصارت حجة للغزو أرض ... بها شتى الحروب بدت تدور

تناقضت الظواهر والخفايا ... وخُبِّئت الحوافز والأمور

وقد كانت حروباً ساكناتٍ ... مخبأةً كما دُفِنَت بذور

وجاء أوانها . ولكل حرب ... أوانٌ والقويّ هو القدير

يبرِّر ظالمٌ ظلماً جناه ... بصولته فيفسق أو يجور

كأنَّ لكل مرحلةٍ ثياباً ... تجددها كما سقطت قشور

تجدد من منازلها الليالي ... وتخلع من حراشفها العصور



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

أبريل ١٩٩٠م

علم الأحياء

والأيديولوجيا والطبيعة البشرية

«ليس في جيناتنا»

تأليف: ستيفن روز

ترجمة: د. مصطفى إبراهيم فهمي

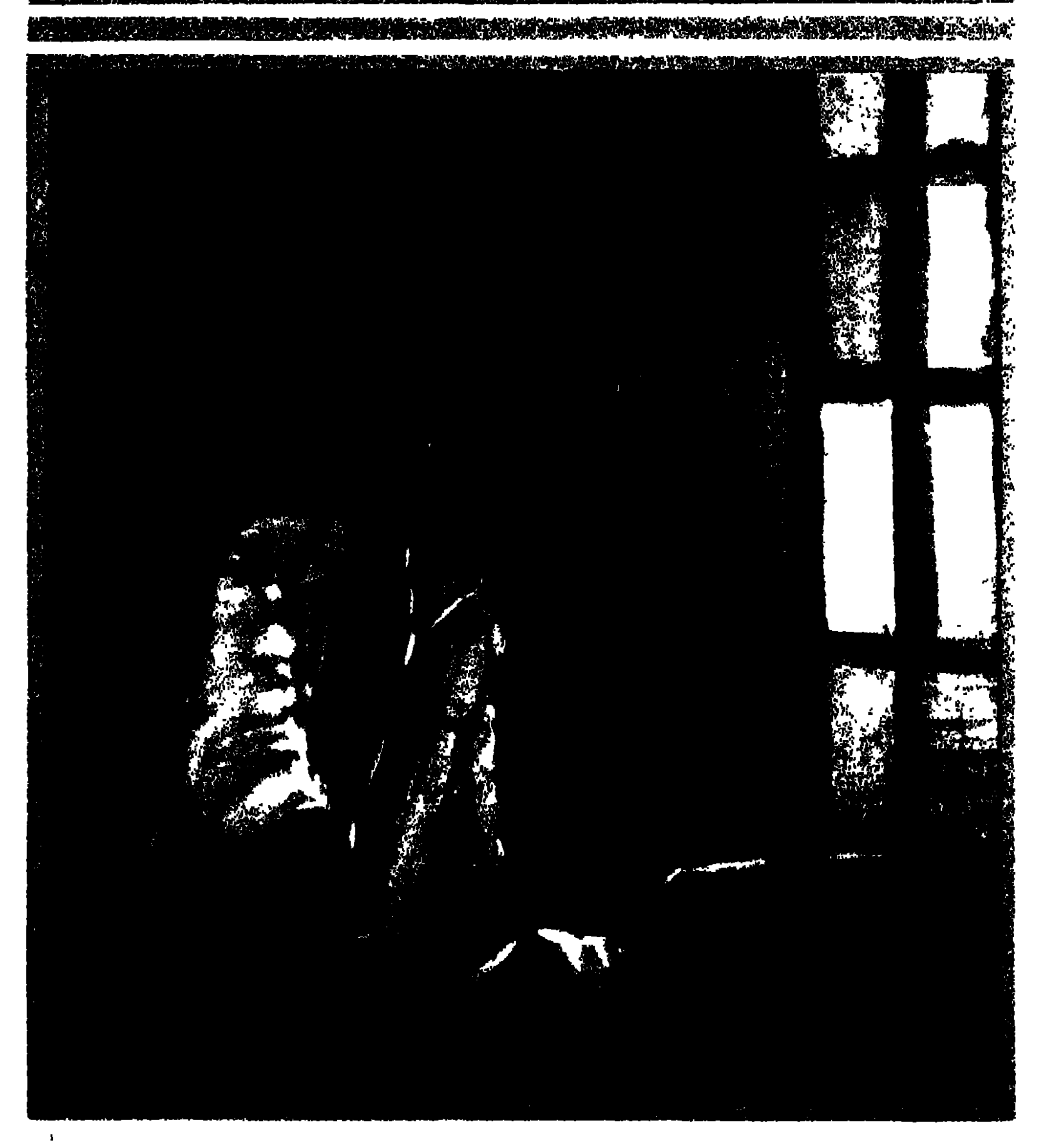
مراجعة: د. محمد عصفور

٥٠٠ فلس

الكتاب ١٤٨

المراسلات باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص. ب ٢٣٩٩٦ الكويت

مجلة الأسرة والمجتمع



الوقاية من آلام الظهر تبدأ من الصغر

بقلم : الدكتور علاء محمود

هل يوجد من لا يعاني من آلام الظهر ؟ إن الجواب عن هذا السؤال ليس بالسهولة التي يتصورها بعض الناس ، فعملية البحث عن محظوظين ، لا يعانون من متاعب في عمودهم الفقري تعد عملية صعبة نسبيا !

تقول الإحصائيات : إن كل شخص تخطى الثلاثين سنة من عمره ، يعاني من مشاكل صحية في العمود الفقري بدرجة أو بأخرى . فمن لم يحصل في صغره على الاهتمام بصحة جهازه الحركي ، وتفادي التأثيرات المؤذية للجهاز الحركي ، يعاني طوال عمره من مشاكل في العمود الفقري . فعلينا على الأقل أن نحاول مساعدة أطفالنا ، لتجنب مشاكل العمود الفقري في الوقت المناسب . ولتكن البداية بتوجيه السؤال التالي : هل الاجراءات المتخذة في المدارس تعد مناسبة لسلامة الجهاز الحركي عند الأطفال ؟ وللجواب عن هذا السؤال نورد نتائج دراسة أجريت في شهر مارس ١٩٨٧ ، على عدد من التلاميذ في النمسا كمثل توضيحي .

فلقد أظهرت دلالة الإحصائيات ، أن ٣٨٪ فقط من مجموع ٣٢٥٦ تلميذاً ، أجريت عليهم فحوصات للمفاصل والعظام ، عدوا من هذه الناحية سليمين صحيا .



● بروفيسور نويغباور .

فقد ظهرت على ٢٦٪ من التلاميذ تغييرات مرضية في العمود الفقري ، كما ظهرت على ١٣٫٤٪ من المجموع أعراض تقوس الظهر ، كما كان عدد التلاميذ الذين يعانون من ظاهرة الظهر المسطح يمثل ٦٪ من المجموع العام ، وكان ٧٪ من التلاميذ أيضا يعانون من اعوجاج في العمود الفقري . هذه النتائج سجلها البروفيسور هيرمان نويغباور ، رئيس مستشفى العظام والمفاصل ، في كيرستهوف في فيينا . وهو رائد في مجال العمود الفقري عند الأطفال . والبروفيسور نويغباور ضد مصطلح (الأعراض المؤقتة) ، ويعتقد أن اعوجاج العمود الفقري



● صورة تخطيطية لطفل يجلس بشكل غير صحي أمام جهاز التلفاز .

وتقوس الظهر الجزئي ، ليسا من الأعراض المؤقتة ، وإنما أمراض حقيقية .

إن معوقات النمو ومعاناة الاستقلاب (تحول الغذاء إلى طاقة) التي تسببها التغذية في الوقت الحاضر ، تلعب أيضا دوراً مهماً في هذا المجال . ومن أجل تقديم العلاج السريع الصحيح يفترض أن يتم تشخيص أمراض العمود الفقري بشكل مبكر . فالتصرفات غير المدروسة في الصغر هي السبب المباشر في معاناة الناس البالغين خلال حياتهم . لذلك فإن مراقبة الأطفال وفحصهم في وقت مبكر سيؤدي إلى تفادي ٢٠٪ من المشاكل من هذا النوع على الأقل .

منذ أيام المدرسة

في هذا المجال يمكن التطرق في البداية الى ثقل الحقيبة المدرسية ، فليس من واجب التلميذ أن يحمل كتبه ودفاتره ولوازمه الأخرى معه إلى المدرسة ، وفي آن واحد .

ومن الصحي المناسب للعمود الفقري حمل الحقيبة المدرسية على الظهر ، لكي يتحقق توازن وتوزيع للثقل مناسبان . هناك مسألة أخرى جديرة بالمناقشة ، وهي تخص الجدول اليومي للدروس ، وتوزيع الحصص وتنوعها . من الواجب هنا أن نأخذ بالحسبان مدة بقاء التلاميذ في المدرسة ، وتأثيرها على صحة التلاميذ ، وبخاصة الساعات التي يجبر التلاميذ فيها على البقاء داخل الغرف ، وبوضع غير مريح للجسم ، إضافة إلى ما تسببه الساعات الأخيرة من الدوام من حالة ملل مستمرة ، وتأثيرها النفسي على الطلاب . إن اختصار الساعات الدراسية له فوائد عديدة ، من زاوية الصحة النفسية والجسمية للطلاب .

ففي معظم المدارس لم يتم أي تحسن ، في ما يخص صحة الجهاز الحركي ، كراسي الجلوس تضطر التلاميذ إلى جلوس غير مريح وغير صحي .

إن الوضع المناسب والصحي للجسم في أثناء العمل لا يمكن تحقيقه من خلال الجلوس على كراسيّ مسطحة . هذا ما توصل إليه الدكتور سيفر قبل مئة سنة . واليوم ، ينبغي ألا تكون هناك أي مدرسة غير مجهزة بمصطبات أو كراسيّ مائلة للجلوس .

التلفاز متهم أيضاً :

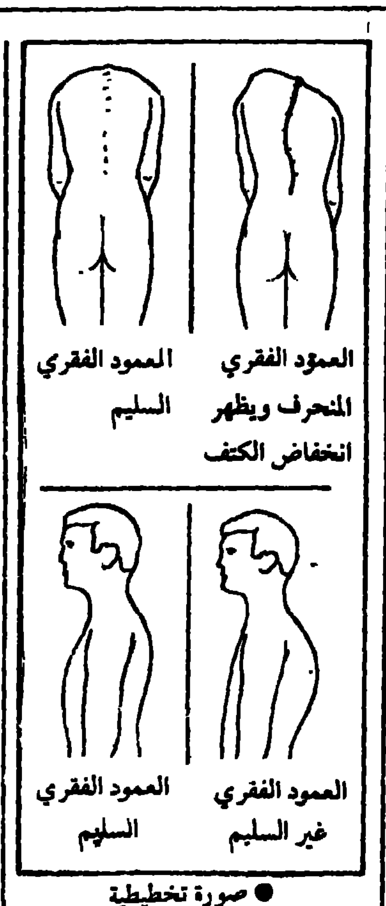
وهنا من المفيد أن نلاحظ أن ظروف التلاميذ في البيت - في معظم الحالات - ليست أحسن كثيرا من المدرسة ، لأن

٧٠٪ من الطلاب يقومون بواجباتهم المدرسية في المطبخ أو في غرفة الجلوس أمام التلفاز . وهذا الوضع لا يحقق ما نتمناه لأطفالنا من أجسام سليمة . ويوجه البروفيسور نويغباور سهامه باتجاه التلفاز ، فيقول بهذا الخصوص : « إن برنامجاً للأطفال يستمر ساعتين أو أكثر يعد كارثة حقيقية » .

ويضيف : « أنا لا أريد البحث عن التأثير النفسي والتربوي الذي ينتج عن مشاهدة التلفاز مدة طويلة يوميا والتي تسبب أضراراً كثيرة للأطفال » . وحل هذا الموضوع سهل جدا ، كما يرى ، ويتلخص في توفير مقعد خشبي مع مسندين جانبيّين ومسند للقدم . وفي الوقت نفسه سيتم بهذا الشكل البسيط توفير ظروف صحية للطفل

من المهد

تعود الشكاوى من المشاكل الصحية بالعمود الفقري



● صورة تخطيطية

والمفاصل إلى زمن الرضاعة والطفولة ، فنقص فيتامين (د) ، والاستعمال الخاطيء للفة الطفل الرضيع (القماط) ، إضافة إلى وضع الطفل في الفراش بشكل خاطيء ، يعد كل ذلك بداية الأخطاء التي تستمر في المدرسة كما أوضحنا سابقا . ومما يزيد الطين بلة طريقة الأكل الخاطئة في الكبر ، والتي عمادها الحلويات والمأكولات الدهنية التي تؤدي الى زيادة غير صحية في الوزن ، تزيد بدورها مشاكل الجهاز الحركي سوءا .

وعندما نتكلم عن الكبار يجب أن لا ننسى هنا الجلوس المستمر في مواجهة جهاز التلفاز الذي قد يؤدي أيضا إما بسبب طريقة الجلوس الخاطئة ، أو بسبب قلة الحركة أو بهما معا ، إلى زيادة المشكلة . كما يجب أن لا ننسى أن لبس الأحذية الضيقة ، وغير المناسبة ، قد يؤدي بمرور الوقت إلى عوارض غير سليمة .

لذا فإن المطلوب من أولياء أمور التلاميذ ومسؤولي التربية المدرسية اتخاذ الإجراءات المناسبة لحماية صحة المواطنين على المدى البعيد ، وقد قيل قديما : « درهم وقاية خير من قنطار علاج » . □

أمثال مختلفة



* الربيع : عذراء ، والصيف : أم ، والخريف : أرملة ، والشتاء : زوجة .

(مثل بولوني)

* أحبي زوجك كصديق ، واخشيه كعدو .

(مثل اسباني)



ليته يرضى

بقلم : الدكتورة هند حتاحت*

هل يمكن لطبيب ناشيء ، لما تنضج بعد خبرته وتجربته الإنسانية أن يوفق بين مشاعره تجاه مريضه ، وبين أصول العمل الطبي وآدابه وقواعده ، أو أنه يدور مع مريضه في فلك شخصية المريض الاجتماعية والنفسية ، إضافة إلى حالته الصحية وشكواه ؟

هذه بعض الأوراق من مذكرة طبيبة ناشئة .

كنت أمارس العمل في قرية نائية ، وكنت فيها حديثة عهد ، راجعتني سيدة تصطحب كنتها وحفيدها الصغير ، قصت علي طوال ربع ساعة ظروف والد الطفل الذي أصيب بآفة ، مما حال دون نيله حظاً كبيراً من العلم والمهنة والتدريب ، مما جعل وضعه يختلف عن إخوته المتفوقين . ثم اضطرت إلى تزويجه فتاة محدودة الوعي ، قاصرة الإدراك ، هي هذه المسكينة . لذا أرجوك أيتها الطبيبة أن ترأفي بهذا الطفل ، أسير هذه الحال .

أما الطفل فكان عمره سبعة أشهر ، يشكو من حمى منذ ساعات . قمت بفحصه فلم أجد أي علامة سريرية ، أو ما يشير إلى تشخيص بعينه . قلت لها : إن الأمر يحتاج لمراقبته ، فلا شيء حالياً ، وقد يكون بزوغ أسنانه سبباً لما ألم به ،

* طبيبة وكاتبة من القطر العربي السوري



ووصفت لـه دواء خـافضـاً للحرارة . بعد ساعة جاءت الجـدة متلهفـة وقـالت : لمّا يتحسن الطفل بعـد ، هـل نأخذه إلى طبيب آخر ؟

قلت : افعـلي إن شئت ، لكن ليسـت هنـاك ضـرورة لـذلـك . وتصـورت هـاتـين المسكينتـين وهمـا تحمـلان الطفل ، وتقطعان الطريق إلى أقـرب طـبيـب ، وهـو ليس بقريب ، وقدرت ما ستكلفهما هـذه المعاينـة الجـديـدة دون مبرر .

ولأنـني لا أتـكـلف في تصـرفاتي ، استـدعيتهما وقلت لهـما : دعوني أراقب مـا وصل إليـه طفـلكـم ، عـلني أطمئنكم . حضـرت الجـدة وقـدمت لي ابنتهـا الـواعيـة المثقفة قائلة : إنها تريد التعرف عليّ .

ولكن التعارف أخذ شكـلاً لا يوصف ولا يقبل . بادرتني :

هـل المـريض مسلسـل ليفحص عـلى دفعـات ؟ أين شهـاداتـك ؟ لِمَ لا تعلقينهـا ؟ وتابعت ، وتابعت . ولم أعِ كل ما تقول ، لأنني لم أكن أتـوقع هـذا ، كنت أمـل أن تتفهم موقفي ، وأن تدرك ما معنى أن يطلب الطبيب متابعة مـريضه حباً له .

قيـل لي : سـوف يسـقط اسمك في هذا المكان ، ولكن الله سلّم ، فالحكم لا يكون من مـرة واحـدة ، لأن الآتيـات يشفعن للسـابقـات إن أسيء الفهم .

ويتعلم الطبيب يوماً بعد يوم أن لا يضطر في غمرة الإشفاق والرحمة بمريضه أن يفعـل أكثر مما يمليه واجبه وعمله ، وليته يرضيه .

الشفقـــة والخطـأ :

أي شـروط تـداخـلـت فجعلت هـذا المسكين الـذي أرهقه مرض وليده ، وثقل عليه جهله ، يجرني إلى خطأ ما كنت أريد أن يصادفني وأنا أضع أولى خطواتي المهنية راجية أن تسير في طريق العلم ، وإتقان العمل ، والتفـاني في الخدمـة ؟ ولكنني كنت صغيرة .

في الأيام الأولى بعد تخرجي في الجـامعـة،عملت في مشفى كبير ، وكان العمل لذيذاً ومحبباً ومتعباً ودقيقاً في آن واحد ، فقد أشـرفت عـلى قسم الخـواضن الـذي أحببتـه .

أحضر الطفل لؤي ، وكان عمره يوماً واحداً ، وكان مصاباً بانسداد أمعـاء خلقي ، وكان والـداه عـلى درجـة كبيـرة من الجهل ، وقلة تقديـر الأمور . حـارا وحيـراني وهمـا يطلبـان إخراج الطفـل في الصباح من المشفى عـلى مسؤ وليتهـما الشخصيـة ، فتـألمت . مـاذا ستقدمان له في البيت ؟ دونكما ومـا تفعـلان . وهيهـات أن يذعنا . وفي المساء ذهبا به إلى عيادة الأستاذ الكبيـر ، فأشـار عليهما بإدخاله المستشفى فعادا به واستبشرا . وفي اليوم التالي طلبا بمزيد من الإلحاح إخراجه على مسؤ وليتهما ، وفعلت ذلك مـرغمـة ، وفي المسـاء عـادا

يرجوان إعادته الى المستشفى ، ولم أملك أن أرفض . وقلت لنفسي : إن الجاهل لا يعرف كيف يتخذ قراره في ظرف قاهر ، ولا يدري أي طريق يسلك ، فكيف ألومهما ؟

وفي عصر اليوم التالي كنت في عيادة الحواضن برفقة طبيب يفوقني خبرة ، وإذا بوالد الطفل يأتي ويخرجني من غمرة انشغالي ورغبتي في إتمام ما نحن بصدده من عمل . جاء والدموع تملأ عينيه ، قال لي وقد حمل بيده أوراق المريض : لقد توفي طفلنا ، نريد أن نأخذه إلى البيت ، هلا تكرمت وسجلت ذلك على أوراق المريض ليتسنى لنا إخراجه من المشفى ؟ ووقع في روعي أن ممرضة الجناح هي التي أرسلته ، وهي التي دلته على مكاني في هذه اللحظة ، كما كانت بساطته وضعفه كافيين لجعلي أيسر له ما طلب دون استشارة من هو أعلم مني . بعد ذلك صحوت ولكنني اكتشفت أنني وقعت على شهادة وفاة الطفل دون أن أراه .

ونسيت كم جريت :

وفي إحدى الليالي كنت في العيادة ، حضر طفل بحالة عامة سيئة ، يحمل تشخيصاً مؤكداً من أستاذنا الكبير ، مرفقاً بإشارة إلى الطبيب المناوب ـ وكنت أنا الطبيب المناوب حينذاك وبمفردي ـ أن يضع هذا المريض على علاج محدد . قمت بواجبي على أتم وجه ، وحين طلبت المصل المذكور قيل لي في الصيدلية المناوبة : أأنت سيئة الحظ إلى هذا الحد . لقد نفدت آخر عبوة منه منذ ساعة فقط ، وعليك الانتظار حتى الصباح ، لتؤمنه لك الصيدلية الرئيسة في المستشفى . ذهبت إلى مشفى التوليد القريب ، فقيل لي : نحن لا نستعمل هذا المصل في المشفى ، سارعت إلى مقسم الهاتف واتصلت بمشفى آخر وآخر ، وكان الرد بالنفي .

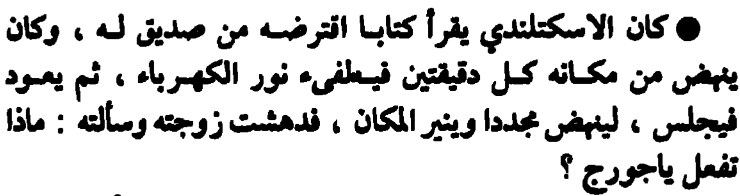
وحرت ، وما أشد الحيرة حين تتملك النفس : كيف أهمل مريضاً ما ؟ هل عدم وجود المصل في الصيدلية كاف لجعلي أنام ما بقي من ليلتي والطفل ينقصه العلاج ؟

لم يطل ترددي ، هرعت إلى خزانتي ، وارتديت معطفاً فوق ردائي الطبي ، وسارعت إلى أقرب صيدلية ، أنشد فيها جدول الصيدليات المناوبة .

دخلت الصيدلية والأمل يحدوني أن أجد المصل ، وتناولته وحملته كمن يحمل الجوهرة الثمينة التي قطع رحلة جزيرة الكنز ليحرزها .

كان شعوري هذا أقوى مشاعر الفخر التي ذقتها في هذا الموقف ، لقد كانت الفرحة تغمرني على أشدها حين راقبت الطفل وهو يتماثل للشفاء شيئاً فشيئاً وكأنه يشكرني ، ونسيت كم جريت . □

البخل على أصوله



● كان الاسكتلندي يقرأ كتابا اقترضه من صديق له ، وكان ينهض من مكانه كل دقيقتين فيطفىء نور الكهرباء ، ثم يعود فيجلس ، لينهض مجددا وينير المكان ، فدهشت زوجته وسألته : ماذا تفعل ياجورج ؟

ـ إنني اقتصد قليلا من الطاقة الكهربائية ، هل تحسبين أنني بحاجة إلى نور لأقلب الصفحات ؟



هو.. هي

انهيار الأحلام

● تقبلت الأمر في البداية بكل اقتناع ، حبي له وإيماني بضرورة الوقوف إلى جانبه كانا دافعين قويين للموافقة على رغبته في السكن مع والدته في بيت واحد ، فهو الابن الأكبر بين أربعة أولاد وبنات ، وهو المسئول الوحيد عن إعالتهم بعد وفاة والده . كثيرا ما أكد لي أنه سيحقق لي كل أحلامي ، وأن قضية السكن مع أهله لن تغير شيئا من حبنا وعلاقتنا . لكن ما وجدته أمامي كان مختلفا تماما ، فعلاقته بأهله حميمة جدا ، تدخلات أمه في ما يعنيها وما لا يعنيها تزداد يوما بعد يوم ، لدرجة أفقد معها قدرتي على إقناعه بأي مطلب من مطالبي . وهو يسمع ويعرف ، ولا يملك سوى الصمت القاتل . كان علي أن أساعدهم في أعمال المنزل ، وأن أخدم إخوته ، بينما هو يرفض أن أنجب أكثر من طفل إلى أن تستقر أحوالنا المادية .

كنت كلما شكوت له أمري تهرب مني لمشاهدة التلفاز إلى جانبهم ، أو النوم . ويجد في دعوتي له لتناول العشاء أو متابعة برنامج يحبه داخل غرفتنا نوعا من المبالغة التي يجب أن لا أظهرها أمام أمه أو إخوته . كان علي أنا أيضا أن أصمت ، أن أكبح كل انفعالاتي ، حتى لا أغضب أحدا من أهله الذين يحظون دائما بوقته القصير الذي يقضيه في البيت ، بينما لا أحظى أنا إلا بلحظات قليلة قبل النوم غالبا ما نتشاجر فيها ، إذ كثيرا ما كانت أخته الصغرى تصر في كل ليلة على النوم في سرير أخيها لتسمع منه قصة المساء .

بدأت حياتنا تتوتر ، وبدأ البرود والغربة يجتاحان ركننا الصغير . افتقدت في هذا البيت الحب والحلم والخصوصية ، وأصبحنا نعيش غرباء .

توسلت إليه لكي نخرج إلى شقة أخرى ، وفي كل مرة كان يتذرع بالوضع المادي له ولأسرته من بعده .

ولما طفح بي الكيل أنجبت طفلي الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، حتى بدأ البيت والحياة يضيقان بنا . فعد ذلك خروجا على طاعته وتحريضا واضحا على أهله ، فحكم علي بالبقاء في ذلك الركن المظلم إلى أن تسنح الظروف .

إن الحياة تتصدع ، ولم يعد هناك الكثير لنحتفظ به من الحب القديم . ولا أدري إن كنا سنتمكن من اللحاق بها قبل الانهيار .

هي..



امتلاك

● كنت متردداً قبل أن أعرض عليها الأمر ، لكن حبها لأهلي واهتمامها بمستقبلي ، شجعاني على عرض موضوع السكن المشترك مع أهلي عليها ، بشيء من الحذر . وقد تقبلت ذلك دون قيد أو شرط ، بل رأت أن هذا طبيعي ، لأنني الابن الأكبر ، ولأن حالتي المادية ضعيفة ، ولأن المصروف سيتضاعف لو سكن كل منا على حدة . أنا لم أقطع لها وعودا كاذبة . وضعت لها ركنا في هذا البيت الصغير ليكون ملكا لنا ، ولكنني كنت ساذجا عندما صدقت وعودها بضرورة الصبر وتحمل الحياة لتحقيق مستقبل مشرق .

فمنذ الأشهر الأولى لزواجنا بدأت تتأفف من عمل المنزل الذي تعاونها فيه أمي وأختي ، تنتظر أي كلمة يقولها أحد في المنزل ، لتجعلها حكاية تلوكها في - لسانها مع الجيران .

نسيت زوجتي كل ماقالته في أثناء فترة الخطبة ، وتحولت من الحبيبة العطوف إلى نمرة



شرسة ، لم أكن قادرا على ترويضها ، وتحول همها في الحياة من الصبر لتكوين مستقبل زوجها إلى النجاح في معركة مع أمي أو إخوتي .

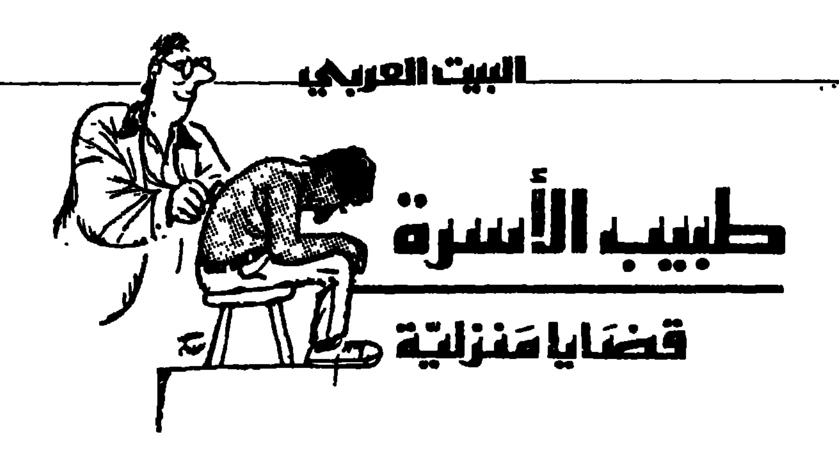
لم تكن تحب الجلوس مع العائلة لمشاهدة برنامج تلفازي ، أو تناول العشاء معهم على مائدة واحدة . وهي تطالبني أنا ابن هذه العائلة الأكبر أن أشاهد التلفاز أو أتناول العشاء داخل غرفتنا المغلقة

كانت تريد أن تبعدني عنهم بأي وسيلة . مضت تنجب طفلا وراء آخر ، حتى أصبحوا ثلاثة ، معتقدة أنها بذلك ستضغط علي للخروج إلى منزل منفصل ، لكن الأمر ازداد سوءا بوجود الأطفال ، وأصبحت الحياة أصعب .

حقا لقد بدأت حياتنا تتصدع ، وأحلامنا تتلاشى ، لكن ، من السبب في ذلك ؟ ولم وصلنا إلى هذا الحد معا ؟ هل أنا ضعيف حقا أمام أمي ، أو أنني أحترمها ولا أود إيذاء مشاعرها ، وأريد للحياة أن تستمر بهدوء ، دون مشاكل ؟ أخي سيتخرج هذا العام ، وسوف يتسلم عمله الجديد ، وستبدأ المسئوليات تقل ، عند ذلك قد أتمكن من أن أحقق لزوجتي رغبتها بالسكن وحدنا ، ولكن هل مازالت الأحلام القديمة باقية في النفوس ؟ إن الشرخ بيني وبين زوجتي يكبر ، فهل ستتمكن يوما من إصلاحه ؟□

..هو


صدر العدد الجديد من:
أبريل ١٩٩٠
العربي الصغير
مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي
رئيس التحرير: د. محمد الرميحي
يشترك في تحريرها مع الفتيان والفتيات العرب نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين.
في هذا العدد:
■ الزير سالم - الحلقة الرابعة.
■ ذكريات رمضانية - بقلم عبدالرحمن النجار.
■ دعوة مفتوحة لزيارة روما.
■ الجريدة تصدر في العصر الحجري.
■ توتة وكيكو وزيكو.
■ عثمان البهلوان - قصة بالرسوم.
اضافة الى الأبواب الثابتة:
● إسلاميات.
● كمبيوتر.
● ٨ صفحات لأخيك الصغير وأختك الصغيرة.
● دائرة معارف العربي الصغير.
نتيجة مسابقة العدد ٤٩



المريضُ الذي يَعدِي نفسَهُ !

بقلم : الدكتور حسن فريد ابو غزالة

في معرض الحديث عن تصنيف الأمراض ، يلجأ المختصون في أحد تصانيفهم إلى توزيعها بين فريقين :

أحدهما فريق الأمراض المعدية ، والآخر فريق الأمراض غير المعدية .

والفرق بين هذا وذاك قائم على التمييز ، إذا ما كان المرض قابلا للانتشار ، ومن طبيعته التنقل بين مصاب وآخر ، وهذا ما يسمونه المرض المعدي ، وقد اصطلحوا على تعبير يطلقونه بينهم هو « مجموعة الأمراض السارية » .

أما إذا التزم بصاحبه ، فلم يبارحه ، لأنه ينشأ من خلل ذاتي في الوظيفة أو التركيب ، ولا يصيب غير هذا المصاب ، فهذا مرض غير معد .

والأمثلة على هذا وذاك عديدة لاتحصى ، فإذا ذكرنا الكوليرا ، على سبيل المثال ، أو ذكرنا البلهارسيا ، أو حمى التيفوئيد ، أو السل أو الحمى المتموجة (حمى مالطة أو البروسيلا) ، فهذه كلها أمراض معدية ، تصيب ضحيتها إذا ما انتقلت من مريض أو مصاب آخر حيوانا كان أو إنسانا .

ولكننا لو جئنا على حديث مرض السكر ، أو علة ضغط الدم المرتفع ، أو فشل الكلى ، أو تضخم البروستاتا ، فهي جميعا علل لا تبرح صاحبها لتصيب غيره ، لهذا فهي غير معدية .

ومن المألوف أن يكون مصدر العدوى من الحيوان أو الانسان إلى الضحية التالية ولايتم ذلك حتى تكتمل حلقة العدوى ، وتتوافر أسباب الحياة والبقاء لمسبب العدوى .

وحلقة العدوى تتطلب لاكتمالها توافر شروط أربعة ، لا يكون المرض معديا دونها ، وهذه هي :

أولا : وجود مصدر للعدوى ، وهذا المصدر إما أن يكون إنسانا مريضا ، أو هو إنسان مصاب ، يعرف في اصطلاح الطب باسم « الحامل للمرض » ، أو لعله حيوان أيضا يكون مريضا ، أو يكون حاملا . والحامل في التعريف الطبى هو من دخلت أسباب المرض جسمه ، واستقرت دون أن تبدو على هذا المصاب أعراض المرض .

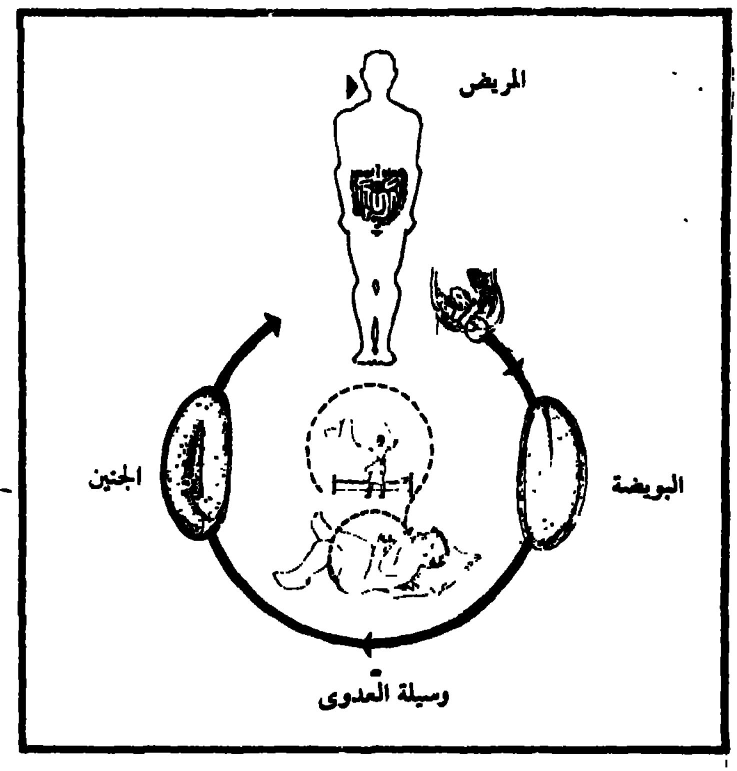
ثانيا : وجود المسبب ، والمسببات أنواع شتى ،

وأشكال متباينة ، منها ما يعرف باسم الفيروس ، ومنها ما يعرف باسم الجراثيم « البكتيريا » ، ومنها مايسمونه الديدان ، أو الحشرات . وهذه أغلبها من طبيعتها التطفل ، تنشد المأوى والمأكل على حساب غيرها .

ثالثا : وجود وسيلة للانتقال ، بين ضحية وأخرى ، فهناك أمراض ينقلها الهواء ، ومعبرها جهاز التنفس ، وأمراض ينقلها الطعام ، ودربها الجهاز الهضمي ، وأحيانا يكون الاحتكاك ما بين مصاب وسليم هو أسلوب العدوى ، أو ربما كان نقل الدم كما هو الحال في التهاب الكبد المعدي أو الأيدز أو الملاريا ، وهكذا .

رابعاً : أما الشرط الرابع للعدوى فهو توافر وجود الضحية التالية ، حيث تكون بلا مناعة ، أو قدرة على مقاومة الغزو الجديد .

وفي أحوال خاصة ، وأمراض معينة ، نجد الشروط الأربعة قد توافرت في الشخص نفسه ، فإذا به يكون المصدر ، كما يكون هو الضحية أيضا ، وبهذا تكتمل حلقة العدوى دون حاجة إلى انتقال ، فتكون العدوى بلا عدوى ، أو هي الأصلح أن يُسَمُّوها عدوى الذات .



● دورة العدوى الذاتية

قد يبدو الأمر غير مألوف لغير المتخصص ، غير أن الأمثلة قد تعين القاريء على استيعاب القضية ، لتبدو سهلة ، بعد أن كانت صعبة ، وتتضح معالمها بعد اللبس .

الطفيليات المفصلية :

مجموعة من المخلوقات تميزت أبدانها بأطراف متعددة المفاصل ، تعد منها الحشرات والعناكب والحيوانات القشرية .

إن بعض هذه المخلوقات قد اختار لنفسه حياة التطفل على غيره ، بل أصبح قادرا على التكاثر والتنامي على جسم الضحية دونما حاجة إلى تنقل ، بل تميز بالاستقرار والتواصل في موضعه كما صار في حال :

١ ـ القمل : يتميز القمل بقدرته على استمرارية البقاء في موضع واحد ، دون حاجة إلى حياة التنقل ، حيث عرفت القملة كيف تبيض في موقعها ، وتتغذى وتتكاثر على جسم عائلها ، دون حاجة إلى البحث عن عائل آخر ، مادام هذا العائل حيا يزودها بالدفء والمسكن والطعام .

وما إن وجدت القملة مخلوقا يوفر لها الجهد في البحث عن طعام ومأوى ،

حتى تشعبت أنواعا وأشكالا ، فهذه قملة تعيش في شعر الرأس ، وتلك قملة لاتبارح شعر البدن ، فيما نجد ثالثة تقبع في شعر العانة .

والقملة جاحدة لهذه النعمة التي يوفرها لها الإنسان المضيف ، فهي لاتتورع عن أن تنقل له مرض التيفوس الوبائي ، أو مرض الحمى الراجعة ، وهذا من أخطر ما عرفت البشرية من أمراض وأوبئة ، لهذا كان لها من الضحايا ملايين متعددة عبر عصور حياة البشر .

غير أن أمانة الحديث تقتضي منا تبرئة قمل العانة من هذه التهمة ، حيث لم يثبت لأهل الطب دور قمل العانة في نقل المرض ، على خلاف شقيقاتها من قمل الرأس والبدن .

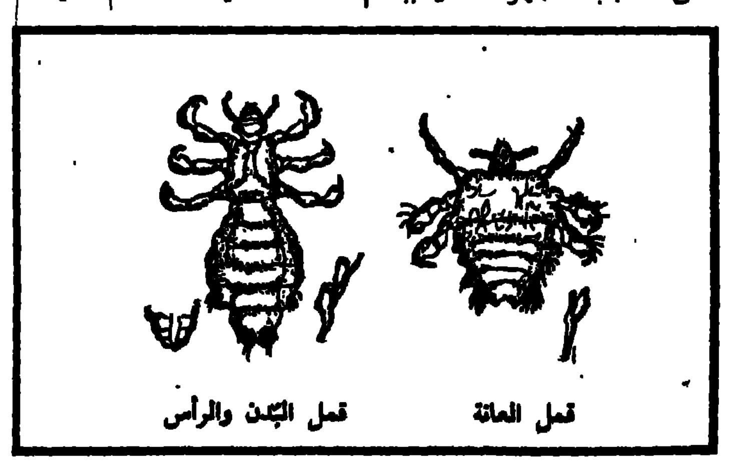
٢ ـ مرض الجرب : ربما كان الاسم مألوفا للناس ، لكن السبب مجهول ، وسببه حلمة خاصة تنتمي إلى ما يعرف باسم العنكبوتيات ، وهي تتخير قطاع الجلد الخارجي ، مما يعرف باسم البشرة ، لتحفر لنفسها دروبا وقنوات صغيرة وقصيرة تصل إلى طول مقدار سنتيمتر واحد أو بعضه ، حيث تأوي وتأكل وتبيض ، وتتبرز ، ومن هنا تميز الجرب بحكة شديدة لاترحم صاحبها .

وبيض القمل إذا مافقس ، خرجت صغاره إلى سطح الجلد ، لتتزاوج الإناث مع الذكور ، ثم تعود الإناث لتبحث لها عن مسكن جديد ، فتحفر نفقا جديدا . لهذا فإناث القمل هي السبب في المعاناة .

وهكذا تتكرر المأساة عند الشخص نفسه وتتوالى ، غير أن هذا لايمنع انتقال العدوى إلى الآخرين عند الاحتكاك والمعاشرة .

٣ ـ الديدان : عالم الديدان واسع ، وأشكالها متعددة متنوعة ، ولكل منها حياة تخيرتها ، تتناسب وحاجاتها وقدرتها ، وهذه التي اختارت أسلوب التطفل في حياتها لها دورات ونظم وأساليب في البحث عن عائل جديد لها ، تتطفل عليه ، غير أن بعضها قد تحايلت على الأمر ، وعرفت كيف تتوالى وتتواصل عند العائل نفسه ، دونما حاجة إلى ترحال ، وتنقل ، ولهذه الديدان نضرب مثلا :

أ ـ الديدان الدبوسية : وقد يسمونها بالاسم الشائع « ديدان الاكزوريوس » ، أو ربما عرفها بعضهم باسم « ديدان المقعدة » . وجسم هذه الديدان اسطواني مستدير ، لهذا فهي تنتمي إلى عائلة تعرف باسم الديدان المستديرة . أما اسم الدبوسية فهو لأنها أقرب شبها بالدبوس ، حيث يتراوح طول أنثى الدودة بين سنتيمتر واحد وسنتيمتر ونصف ، وهي تعيش داخل تجويف الأمعاء الغليظة ، ثم إنها إذا ما حملت ، فإنها ترحل عبر قناة الهضم ، حتى تصل إلى فتحة الشرج ، لتضع بيضها حول المقعدة ، في أثناء الليل ، مما يثير عند المصابين الذين هم في غالبيتهم من الأطفال حكة وهرشا ، يقوم به الطفل دونما ضرر ولا شعور ، فتتعلق


قمل العانة — قمل البدن والرأس

البويضات بأظافره ، وهو إذا ما أكل دون غسل يده أو مص أصابعه ، فإنه يبتلع البويضات فتفقس في جوفه ، وتعيد سيرتها الأولى .

ب - الديدان الشريطية القزم : ديدان ذات جسم على شكل شريط ذي عقد ، وذات قرابة بالديدان الشريطية التي ينقلها الخنزير أو البقر ، غير أن هذه الدودة القزم ، قصيرة الطول ، يتراوح طولها بين سنتيمترين ، وأربعة سنتيمترات ، ولاتعيش وحيدة كأقاربها ، بل هي مئات وآلاف تتوطن الأمعاء ، حيث تتغذى وتبيض وتفقس أيضا ، محققة معادلة الأمراض المعدية ، وهي قابعة في مكانها لاتبرحه .

ج - الديدان الاسطوانية الغائلطية : شكل غريب فريد في عالم الطفيليات ، مما ينتمي إلى الديدان الاسطوانية ، وهي قادرة على التناسل العذري ، بمعنى أن الأنثى قد تستغني عن تلقيح الذكر ، فتتوالد دون حاجة إليه ، كما أن بويضاتها قادرة على إنتاج أكثر من شكل من أشكال اليرقات ، فمنها يرقة على صورة خيطية ، لاتبرح مكانها في الأمعاء ، وإنما تكبر وتتوالد دونما حاجة إلى الخروج من جسم العائل ، وهي بهذا تواصل العدوى وتكرر نفسها أجيالا بعد أجيال .

الفيروسات :

الفيروسات هي أصغر ما عرف الإنسان من كائنات حتى الآن ، حتى قيل عنها : إنها الوسط بين الأحياء والجمادات ، فهي لهذا ميتة خارج جسم العائل ، وحية نشطة داخل جسم العائل ، ثم إنها تنتقل بين هذا وذاك من الضحايا ، غير أن لبعضها القدرة على الانتقال من العائل وإليه ، في ما يعرف بعدوى الذات . نذكر منها فيروسات الثآليل الجلدية التي تتوالد في مواضع متباينة من الجلد ، وأشكال مختلفة ، فمنها ما هو ناعم ، ومنها ما هو خشن الملمس ، بعضها جاف ، وبعضها الآخر رطب ، وعدواها تأتي من اللعب بها أو من الاحتكاك ، أو من محاولة قطعها باليد .

ونوع آخر من فيروسات الجلد التي لاتصيب سوى البشر ، وتتميز بالعدوى الذاتية ، ما يعرف باسم « الدرنات الملساء الناعمة » التي لو تركت وشأنها لضمرت وذبلت . □

- **العفة في الحب كلمة ، نطقها سهل ، وفهمها صعب .**

(فولتير)

- **الحب إحدى كلمتين هما : ميراث الإنسانية ، وهدية التاريخ ، والطرفان اللذان تلتقي عندهما السماء بالأرض .**

(مصطفى صادق الرافعي)

- **في الحب كما في الصناعة الرقة فضيلة الضعفاء .**

(فرانكلين)

- **إن حبا أمكن يوما أن ينتهي لم يكن في يوم من الأيام حبا حقيقيا .**

(أرسطو)

مصطفى صادق الرافعي



وتنجب المأساة أطفالها

وحده كان يجلس . يخفي وجهه براحة يده ، ويداري هزيمة لم يتحملها . وجهه الحزين ينبيء عما في داخله من ألم ، وهو الذي لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره كنت أتوقع النتيجة ، لذلك ذهبت إليه ، هناك حيث كان يجلس .

عندما رآني أتقدم نحوه جرى إليّ بكل ما يملك من قوة ، لم يكن يجد سواي يرتاح إلى صدره ، ضممته ، وبكل ما أملك من عزيمة تماسكت ، حتى لا أنهار أمامه ، لعله يلتمس شيئا من قوتي .

أمسكت يده ، مشينا معا ، حاولت أن أتكلم ، وأن أجعل من وضع والديه المنفصلين حديثا أمرا طبيعيا . حدثته عن فقدان التفاهم بين الزوجين ، وعن الخلافات التي قد تقع ، فتجعل الحياة مستحيلة . كنت أريد انتشاله من حالة القلق التي تعصف به ، أبحث عن الكلمات المناسبة لأخفف عنه وطأة الألم . وكان في كل التفاتة ينظر إليّ صامتا وفي عينيه ألف كلمة وكلمة .

أعرف أمه جيدا ، وأعرف قصتها مع أمها ، تلك الأم التي تفوقت أنانيتها على كل مشاعر الحب ، واختارت لنفسها طريقا . حلمت به منذ الصغر ، فرحلت بعيدا عن قيود المجتمع لتعيش في حرية مطلقة متخلية عن زوجها وطفلتها التي كانت في عمر الزهور

ومع رحيل الأم فقدت الطفلة كل حنان ، ولعلها ظلت طوال حياتها تبحث عبثاً عن هذا الحنان المفقود ، وجاء اليوم الذي أصبحت فيه في سن الزواج ، تتقدم خطوة وتتراجع خطوات ، فهي لا تريد أن تنجب أطفالا يعانون ما عانت منه ، لكن لم يكن هناك مفر .

الزواج كان تجربتها الأكثر قسوة ، ولكنها لم تقدر على الاستمرار،فقد كان البحث عن الحب المفقود ، يشعرها دائما بالعجز عن تقديم شيء افتقدته وهي طفلة . وخلال سنوات الزواج القليلة لم تستطع ممارسة أمومتها . واتخذت القرار ، وراحت تبحث عن طريق جديد ، تسير فيه وهي تحمل في داخلها مأساتها وتمضي في طريقها ، لتلد من جديد مأساة أخرى مماثلة .

ومن جديد تتكرر المأساة بصورة طفل يجلس هناك في قلب الظلام يخفي رأسه براحة يده ، ولا يعلم أي زمان ينتظره ! .

ريم الكيلاني

جمال العربية

بقلم : الدكتور حسن عباس

□ صفحة لغة

اللغة ووسائل الإعلام

كنا في العدد الماضي قد وقفنا على عدد من الأخطاء اللغوية التي يكثر انتشارها في وسائل الإعلام العربية على النحو الذي أشار إليه كتاب الدكتور كامل ولويل ، والذي صدر حديثا بعنوان : « اللغة العربية في وسائل الإعلام » ونود الآن أن نرصد عدداً آخر من تلك الأخطاء اللغوية ، لما للتنويه بها ، وترديد ذكرها ، من فائدة مرجوة ، تتجلى في تقويم أساليب العاملين في الحقل الإعلامي لنبذها والتخلي عنها . من ذلك مثلا استعمالهم عبارة : « كل على حدة » ، فهي ترد مرفوعة ومنصوبة ومجرورة ، يقول المحرر : التقى وزير الخارجية فلانا وفلانا كل على حدة ، ويقولها مرة أخرى : كلا على حدة ، ويقولها ثالثة : كل على حدة ، وقد ترد هذه الاستعمالات للعبارة نفسها في صفحة واحدة ، مما يوحي بأنه يضع العبارة في السياق كيفما اتفق ، وكأن ليس لها ضابط ، ولو كان يعلم قاعدة استعمالها لاجتنب الوقوع في الخطأ . الأصل في كلمة « كل » الداخلة في هذه العبارة أنها مبتدأ في كل الأحوال ، وقد وردت في القرآن الكريم مرفوعة دائما على اختلاف الجمل التي ذكرت فيها : جاء في سورة الإسراء الآية ٨٤ :

« قل كلٌ يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا » ، وفي سورة طه : « قل كل متربص فتربصوا » الآية ١٣٥ ، وفي سورة الأنبياء : « وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون » الآية ٣٣ ، وفي السورة نفسها : « وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين » الآية ٨٥ .

وقد يلجأ الصحفي إلى اللهجات العامية ، فيأخذ منها ظنا منه أن ما اقتبسه فصيح ، من ذلك مثلا قولهم : يوما عن يوم ، وأولا بأول . وهو يقصد بالأولى : تتالي الزمن ، وبالثانية : تعاقب الأفعال ، وذلك غير صحيح ، فإن الحرف (عن) في العبارة الأولى يفيد التجاوز لا التتالي ، مثل قولهم : ابتعدت عن المكان ، أي ابتعدت متجاوزاً ذلك المكان ، إنما الصحيح هو قول القائل : تزداد ثروة هذه الشركة يوما بعد يوم (لا يوما عن يوم). ورب قائل يقول : ينجز الموظف عمله أولاً بأول ، وهذا خطأ ، لأن حرف الجر (ب) لا يفيد التتالي والتعاقب ، وإنما الذي يفيد هذا المعنى هو حرف العطف ، فنقول : ينجز الموظف عمله الأول فالأول .

ومن الأخطاء التي يقع فيها العاملون في الصحافة قول بعضهم : يعتبر الاتفاق لاغيا منذ مساء اليوم . فالاعتراض ينصب على كلمة (لاغيا) ، فهي اسم فاعل من الفعل لغا

يلغو ؛ أي كثر كلامه ، ومن ذلك ما جاء في الآية الكريمة : « لا يؤاخِذُكم الله باللغو في أيمانكم » ؛ أي في أيمانكم التي تأتي عن غير قصد أو نية . ولكن السياق الذي تدخل فيه الصحافة كلمة (لاغيا) لا شأن له بكثرة (الكلام) أو قلته ، بل بإبطال اتفاق مسبق . وكان يجدر بالكاتب أن يقول : « ملغي » ، وهو اسم المفعول من الفعل ألغى يلغي . فالصحيح إذن أن يقال : يعد الاتفاق السابق « ملغي » منذ مساء اليوم .

ومن العبارات التي ترد في بعض الأساليب عبارة : (هكذا عمل) ، وهي عبارة تأتي فيها الصفة قبل الموصوف ، على غير ما هو متعارف عليه في العربية ، فإن كلمة هكذا صفة لكلمة عمل ، فكيف يقدمون الصفة على الموصوف على الرغم مما يبدو عليها من ثقل وعُجمة ؟! يقولون مثلا : لا يمكن أن نقبل هكذا عملًا (أو عمل) ، وهذا غير صحيح ، والصحيح هو قولنا : لا يمكن ان نقبل عملا كهذا .

ومما يتصل بالصفة والموصوف أيضا قولهم في الخبر : اكتشفوا مبيداً للحشرات ولا يترك آثاراً سلبية . والخطأ في كتابة الخبر على هذا النحو يتمثل في فصل الصفة عن الموصوف ، فإن جملة : « يترك آثاراً سلبية » صفة للمبيد ، ولا يجوز الفصل بين الموصوف والصفة بحرف العطف (و) ، والصواب في كتابتها هو : اكتشفوا مبيداً للحشرات لا يترك آثاراً سلبية .

وهناك كلمة شاع استعمالها شيوعا خاطئاً ، فلا تكاد تخلو منها جملة ، فهي ترد في لغة الكتابة ، وترد في اللهجات المحلية سواء بسواء ، وهي كلمة (بالنسبة) التي يستطيع الكاتب أو المتحدث التخلي عنها دون حدوث إخلال في الجملة ، فضلا عن أن استعمالها يجافي اللسان العربي السليم .

يقولون : انخفضت أسعار العملات ، وبالنسبة للين الياباني فقد انخفض مقابل الدولار ، وهذا تركيب خاطيء للجملة ، والصواب أن يقال : أما الين الياباني فقد انخفض مقابل الدولار .

ويقولون : وقد بحثوا الوضع في المنطقة بالنسبة لجهود السلام ، وجواب هذه الجملة هو : وقد بحثوا الوضع في المنطقة في ضوء جهود السلام . ويقولون : تعطي الشركة تخفيضا في الشراء الموحد ٢٥٪ بالنسبة للشراء الفردي . يعقب الدكتور كامل ولويل على صياغة هذه الجملة بقوله : « أسلوب العبارة مبهم جداً والمقصود بها هو :

أن الشركة تفضل الشراء الجماعي على الشراء المفرد ، فتعطي الأول مزية في البيع ، هي ٢٥٪ ، من تخفيض الثمن . فالصواب : تميز الشركة الشراء الجماعي بتخفيض مقدار ٢٥٪ عن الشراء الفردي ».

ويقولون : هناك نقص بالنسبة للأطباء ، وهو قول خاطيء ، والصواب أن يقال : هناك نقص في الأطباء . وأي نظرة للقاموس تدل على أن النسبة هي القرابة أو ما تعلق بها . كانوا يقولون للغريب انتسب ، فيذكر نسبه ، واستعمل منها كلمات مجازية للشعر والتشبيب إذا كان الحديث عن المرأة فقط . أما أن تدخل كلمة (بالنسبة) خبط عشواء في كل الكلام فلا يجوز .□

المحافظة بالسخرية

حينما تسخر الجماعة الواحدة من غيرها من الجماعات ، فإنما تحافظ بهذه السخرية على صميم كيانها الاجتماعي .

الفيلسوف الانجليزي « سلي »

جمال العربية

□ صفحة شعر

□ هكذا غنى الأدباء

الجنة الضائعة

لأبي القاسم الشابي

اشتهر أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم الشابي بقصيدته الذائعة الصيت « إرادة الحياة » ، وبلغ من إعجاب الأجيال العربية بها وحماستهم لها حداً جعل كثيراً من أبياتها أمثلة حية على طموح الشباب ، وسعيهم لبلوغ القوة ، واقتحام الخطر ، وطلب الحرية ، فقد حفلت نفسه الكبيرة بحب الحياة .

ولد الشابي في ربيع ١٩٠٩ على الأرجح ، فالاختلاف حول تاريخ ولادته قائم ، شأنه في ذلك شأن كثير من الشعراء العرب . وكانت ولادته ببلدة الشابية ، وهي من ضواحي مدينة توزر في جنوب تونس . وقد كان لنشأته في تلك الربوع الخضراء أثر في شعره ، ظهر جلياً في عدد من أجمل قصائده .

انتقل إلى العاصمة تونس ، والتحق بالكلية الزيتونية ، ونال فيها شهادة « التطويع » . وقد أتاح له انتقاله إلى العاصمة الاطلاع على أجواء جديدة ، فيها كثير من الحرية والنشاط الأدبي ، مما لم يكن يحظى بمثله في مسقط رأسه . وكان أبرز أثر في تكوينه الأدبي اطلاعه على ما كان يبدعه شعراء المهجر (جبران وأبو ماضي ونعيمة ، وغيرهم) ، وكانت الموجة الرومنطيقية التي دقت أبواب الأدب العربي الحديث في عنفوانها فنهل من أخيلتها وموضوعاتها الشيء الكثير . على أن زهو الشباب والاستمتاع بجمال الطبيعة لم يطل بهما العهد ، فقد مات أبوه (١٩٢٩) وهو في العشرين من عمره ، فألقيت على كاهله تبعات لم يكن له بمثلها عهد من قبل .

عبس الزمان بوجهه ، وتجهمت الحياة ، وزاد من وطأة ذلك مرض عضال ألم به ، ولم يفارقه قبل أن يقضي عليه . وقد اختلفوا في طبيعة المرض الذي مات فيه ، هل هو السل ، كما يذكر عدد ممن كتبوا عن حياة الشابي ، أو هو تضخم في القلب ، كما يؤكد أبو القاسم محمد كرو ؟ ومهما يكن من أمر ذلك المرض فقد توفي الشابي في أكتوبر عام ١٩٣٤ ، ولم يكن قد جاوز الخامسة والعشرين من العمر إلا قليلا .

أما القصيدة التي اخترنا عدداً من أبياتها فهي من عيون شعره ، وقد تمثل فيها عهدان من حياة الشابي : عهد الشباب الباكر اللاهي ، وعهد المرض وسوء الحال ، وقد ارتقى التعبير الشعري في الحالين رقيا لا يخطئه الذوق السليم .

كَمْ مِنْ عُهُودٍ عَذْبَةٍ في عدوةِ الوادي النَّضِيرْ
فضيَّةِ الاسحارِ مذهبةِ الأصائلِ والبُكورْ
قضَّيتُها ومعي الحبيبةُ لا رقيبَ ولا نذيرْ
إلَّا الطفولة حولنا تلهو مع الحبِ الصغيرْ
أيَّامَ كانتْ للحياةِ حلاوةُ الروضِ المطيرْ
وطهارةُ الموجِ الجميلِ ، وسحرُ شاطئِهِ المنيرْ
ووداعةُ العصفورِ بينَ جداولِ الماءِ النَّميرْ
أيامَ لم نعرفْ من الدنيا سوى مَرَحِ السرورْ
وتتبُّعِ النحلِ الأنيقِ وقطفِ تيجانِ الزهورْ
وتسلُّقِ الجبلِ المكلَّلِ بالصنوبرِ والصخورْ
وبناءِ أكواخِ الطفولةِ تحتَ أعشاشِ الطيورْ
نبني فتهدمُها الرياحُ فلا نضجُّ ولا نثورْ
لا نسأمُ اللهوَ الجميلَ ، وليسَ يدركُنا الفتورْ
فكأنَّنا نحيا بأعصابٍ من المرحِ المثيرْ
وكأنَّنا نمشي بأقدامٍ مجنَّحةٍ تطيرْ
آه توارى فجري القدسيُّ في ليلِ الدهورْ
وفنى ، كما يفنى النشيدُ الحلوُ ، في صمتِ الأثيرْ
أواه ! قد ضاعتْ عليَّ سعادةُ القلبِ الغريرْ
وبقيتُ في وادي الزمانِ الجهمِ أدأبُ في المسيرْ
وأدوسُ أشواكَ الحياةِ بقلبيَ الدامي الكسيرْ
وأرى الأباطيلَ الكثيرةَ والمآثمَ والشرورْ
وتصادمِ الأهواءِ بالأهواءِ في كلِ الأمورْ
ومذلَّةَ الحقِ الضعيفِ وعزَّةِ الظلمِ القديرْ !
ماذا جنيتُ من الحياةِ ومن تجاريبِ الدهورْ
غيرَ الندامةِ والأسى واليأسِ والدمعِ الغزيرْ !
هذا حصادي من حقولِ العالمِ الرحبِ الخطيرْ !
هذا حصادي كلُّه في يقظةِ العهدِ الأخيرْ !
قد كنتُ في زمنِ الطفولةِ والسذاجةِ والطهورْ
أحيا كما تحيا البلابلُ والجداولُ والزهورْ
لا أحفلُ الدنيا تدورُ بأهلِها أو لا تدورْ
واليومَ أحيا مرهقَ الأعصابِ مشبوبَ الشعورْ
هذا مصيري .. يا بني الدنيا . فما أشقى المصيرْ !!





قصة : للكاتب الألماني فولفانج بورشرت *
ترجمة : سمير مينا *

استيقظت فجأة ، الساعة الثانية والنصف. أخذت تفكر في الذي أيقظها ، آه . لقد اصطدم شخص ما في المطبخ بأحد المقاعد . أصاخت بسمعها ناحية المطبخ . كان البيت يلفه الصمت . صمت أكثر من المعتاد . وعندما مرت بيدها على الفراش وجدته خاليا . إذن فهذا هو سبب الصمت غير العادي . لقد خلت الحجرة من صوت تنفسه . نهضت وتحسست طريقها إلى المطبخ عبر الشقة الغارقة في الظلام . وتقابلا في المطبخ الساعة الثانية والنصف . رأت شيئا أبيض في خزانة المطبخ . أنارت المطبخ . وقفا وجها لوجه في ثياب النوم . ليلا في الثانية والنصف .

كان طبق الخبز على مائدة المطبخ . لاحظت أنه قطع لنفسه خبزا . ما زالت السكين بجانب الطبق . وعلى المفرش تناثر فتات الخبز . إنها تقوم بتنظيف مفرش المائدة دائما عندما يذهبان للنوم مساء . كل مساء . ولكن ها هو ذا الفتات على المفرش الآن . والسكين أيضا هناك . أحست ببرودة البلاط يتسلل إليها ببطء . حولت نظرها عن الطبق .

قال وهو يتلفت حوله في المطبخ :

- تصورت أن شيئا ما هنا .

ردت قائلة :

- لقد سمعت أنا شيئا أيضا

لاحظت في تلك الأثناء أنه يبدو ليلا - في ثياب النوم كهلا بالفعل - كهلا كعمره الحقيقي الذي يبلغ ثلاثة وستين عاما ، على الرغم من انه يبدو في أثناء النهار أصغر سنا . « كم تبدو عجوزا » قال لنفسه : إنها تبدو عجوزا بالفعل في ثياب النوم . لعل ذلك يرجع الى الشعر . يرجع ذلك

---

* فولفانج بورشرت (١٩٢١ - ١٩٤٧) ولد بمدينة هامبورج وعمل بائعا للكتب وممثلا إلى أن جُنّد . اشترك في الحرب العالمية الثانية ، وأصيب إصابة خطيرة . خلال عامين أبدع بورشرت كل أعماله ، وتتركز كلها حول مأساة الحرب ، وقصة « الخبز » مثال على ذلك : فقد عبر فيها عن مأساة عجوزين ليس لهما في الحرب ناقة ولاجمل ، رصيده في الابداع : مسرحية « في الخارج أمام الباب » ومجموعة قصص قصيرة ، منها : الخبز ، حتى الجرذان تنام ليلا ، ساعة المطبخ ، على طول الطريق الطويل الطويل . وافته المنية قبيل يوم واحد من افتتاح مسرحيته الخالدة : « في الخارج أمام الباب » لتكون حياته تعبيرا عن مأساة الحرب ؛ تلك المأساة التي حاول أن يعبر عنها في إبداعه القصصي والمسرحي ، ونجح في ذلك أيما نجاح .

* كاتب ومترجم من القطر العربي المصري



دائما عند النساء في الليل إلى الشعر ، إنه يجعلهن فجأة كبيرات السن .
قال لها :
- كان يجب أن تلبسي حذاء . هكذا حافية على البلاط البارد ، ستصابين ببرد .
لم تنظر إليه ، لأنها لم تستطع تحمل كذبه . أن يكذب بعد زواج دام تسعة وثلاثين عاما .
قال مكررا وهو يتنقل ببصره من زاوية إلى أخرى بنظرات لامعنى لها :
- اعتقدت أنه يوجد شيء هنا . سمعت صوتا فاعتقدت أنه يوجد شيء .
أجابته قائلة :
- أنا سمعت صوتا أيضا ، لكن بالتأكيد لم يكن هناك شيء .
رفعت الطبق من فوق المائدة ، وأزالت الفتات من على المفرش .
ردد بارتباك :
- لا ، بالتأكيد لم يكن هناك شيء .
وساعدته قائلة :
- تعال ، من المؤكد أن هذا الصوت كان في الخارج . تعال إلى الفراش ، ستصاب بالبرد هكذا . على البلاط البارد .
التفت ناحية النافذة وقال :
- نعم ، لابد أن هذا كان في الخارج . اعتقدت أنه هاهنا .
رفعت يدها إلى مفتاح النور . قالت في نفسها : لابد أن أطفيء النور الآن ، وإلا سأنظر نحو الطبق ، لاينبغي أن أنظر ناحيته .

قالت له وهي تطفيء النور :

- تعال ، كان هذا بالتأكيد في الخارج . إن المزراب يصطدم دائما بالجدار عند هبوب الريح ، كان هذا بالتأكيد صوت المزراب . يصدر دائما هذا الصوت عند هبوب الريح .
وتحسسا طريقهما عبر الممر المظلم إلى غرفة النوم . صدر عن أقدامهما العارية صوت خافت في أثناء سيرهما على الأرض .
وقال لها :
- نعم هي الريح ، فهي تهب طوال الليل .
عندما رقدا على الفراش قالت :
- نعم ، إن الريح تهب طوال الليل . كان بلا شك المزراب .
- اعتقدت أنه في المطبخ ، لكنه كان المزراب .
نطق بتلك الجملة وكأنه على وشك النوم . لاحظت كيف يبدو صوته مهتزا حينما يكذب .
قالت له وهي تتثاءب بصوت خفيض :
- الجو بارد ، سأندس تحت الغطاء . تصبح على خير .
أجابها :
- وأنت من أهله
ثم أضاف :
- نعم، الجو بارد فعلا .
وساد الصمت . مرت دقائق كثيرة قبل أن تسمع صوته الخافت الحذر وهو يمضغ . وتعمدت أن تتنفس بعمق وانتظام ، لكي لايلاحظ أنها لما تنم بعد . ولكن مضغه كان رتيبا لدرجة أنها شيئا فشيئا نامت عليه .
عندما عاد إلى المنزل في مساء اليوم التالي قدمت له أربع شرائح من الخبز . كان لايستطيع في ما مضى أن يأكل سوى ثلاث .
قالت له وهي تبتعد عن المصباح :
- يمكنك أن تأكل أربع شرائح . لم أعد أستطيع تحمل هذا الخبز ، فلتأكل أنت شريحة أكثر ، أنا لاأهضمه بسهولة .
رأته وهو ينحني على الطبق حتى كاد يلامسه . لم يرفع نظره . آلمها منظره في تلك اللحظة .
قال لها وهو منكب على طبقه :
- لكنك لن تستطيعي أكل شريحتين فقط .
- بلى ، لاأتحمل هذا الخبز مساء . كل أنت ، كل .
لم تجلس إلى المائدة ، تحت المصباح ، إلا بعد مرور برهة من الوقت .□

وزارة الإعــــلام

الإعلام الخارجي

دوريات وزارة الإعلام

اسم الدورية		قيمة الاشتراك السنوي			
		الوطن العربي		البلاد الأجنبية	
		فلس	دينار	فلس	دينار
مجلة « العربي »	(شهرية)	٠٠٠	٦	٠٠٠	٨
كتاب العربي	(فصلي)	٥٠٠	٢	٠٠٠	٣
مجلة « العربي الصغير »	(شهرية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
مجلة « الكويت »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
سلسلة « من المسرح العالمي »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
مجلة « عالم الفكر »	(فصلية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »	(أسبوعية)	٠٠٠	١٧	٠٠٠	٢٠

تحول قيمة الاشتراكات في دوريات الوزارة المبينة أعلاه بالدينار الكويتي ، أو بما يعادله من العملات الأجنبية ، بموجب شيك مصرفي أو حوالة مصرفية ، باسم وزارة الاعلام ، ويرسل الشيك أو الحوالة مع اسم وعنوان المشترك والدورية التي يرغب الاشتراك فيها إلى :

الإعلام الخارجي ـ قسم التوزيع والاشتراكات
وزارة الاعلام ـ ص. ب ١٩٣ ـ الصفاة
الرمز البريدي ١٣٠٠٢ ـ الكويت

قسيمة الاشتراك

الاسم والعنوان : ....
....
....

أرغب الاشتراك في الدورية أو الدوريات المشار إليها أدناه ، وارفق لكم طيه ☐ شيكا
☐ حوالة مصرفية بمبلغ ....
☐ مجلة « العربي » ☐ مجلة « الكويت » ☐ سلسلة « من المسرح العالمي »
☐ مجلة « العربي الصغير » ☐ مجلة « عالم الفكر » ☐ الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »
☐ كتاب العربي .

STATE OF KUWAIT

MINISTRY OF INFORMATION

PERIODICALS

ANNUAL SUBSCRIPTION RATE				
NAME OF PERIODICAL	ARAB COUNTRIES		FOREIGN COUNTRIES	
	K.D	FILS	K.D	FILS
Al-Arabi Magazine (Monthly)	6	000	8	000
Al-Arabi Book (Quarterly)	2	500	3	000
Al-Arabi Al-Sagheer Magazine (Monthly)	5	000	6	000
Al-Kuuwait Magazine (Monthly)	4	000	5	000
Mena Al-Masrah Al-A'alami Series (Monthly)	4	000	5	000
A'alam Al-Fikr Magazine (Quarterly)	5	000	6	000
The Official Gazette (Kuwait Al-Youm) (Weekly)	17	000	20	000

The subscription fee to the above periodicals is payable in Kuwaiti Dinar, or equivalent thereof in foreign currency, by bank cheque/draft made out to the Ministry of Information. Fill in the subscription form below enclosed with the cheque/draft and send to :

— International Media-Subscription Section.

MINISTRY OF INFORMATION
P. O. Box : 193 Safat
Postal Code No. 13002 - KUWAIT

SUBSCRIPTION FORM

NAME : ....
ADDRESS : ....
COUNTRY :

I wish to subscribe to the periodical (s) ticked below and enclose herewith ☐ cheque ☐ Draft for ....
☐ Al-Arabi Magazine ☐ Al-Arabi Book ☐ Al-Arabi Al-Sagheer Magazine ☐ Al-Kuwait Magazine ☐ Mena Al-Masrah Al-A'alami Series ☐ A'alam Al-Fikr Magazine ☐ The Official Gazette (Kuwait Al-Youm).

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر فى المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة .

والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذى سينشر فى العدد القادم .

١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
										١
			■		■					٢
■										٣
		■			■			■		٤
						■				٥
				■						٦
	■						■			٧
		■	■						■	٨
										٩
■			■							١٠

كلمات أفقية

١ . معجزة معاصرة في فن العمارة تناطح السّحاب .

٢ . من أشهر متاحف باريس دون (ال) التعريف ، قبر .

٣ . إحدى المعجزات السبع في العالم القديم .

٤ . إله ، فعل أمر بمعنى ابتعد ، سيدة .

٥ . وجهة نظر ، سؤال بمعنى « هل أكلها ؟ »

٦ . أمر لولاه لكانت الحياة كئيبة ، تقال عندما تكون السلعة رائجة .

٧ . وقف في الناس إماماً ، لمس مضافة إلى كاف الخطاب ونون النسوة .

٨ . أمانة مستردّة ، بخل بالغ .

٩ . قصر يعد من أهم الآثار الإسلاميه في مدينة سامراء في العراق .

١٠ . معبد فرعوني مشهور في صعيد مصر ، دُرَر .

كلمات عمودية

١ . قصر يعد من روائع فن العمارة الإسلامية في الأندلس ، تجدها في قام .

٢ . تجدها في آخر كلمة عمود ، مدينة عراقية تقع بقربها أنقاض مدينة نينوى .

٣ . مملكة وجمهورية سابقة تقع جنوب ألمانيا ، أقصى قعر الشيء .

٤ . بئر معكوسة ومنصوبة ، ألف مليون .

٥ . الشيء الظاهر غير الخفي .

٦ . شاءوا ، حِصَّتك .

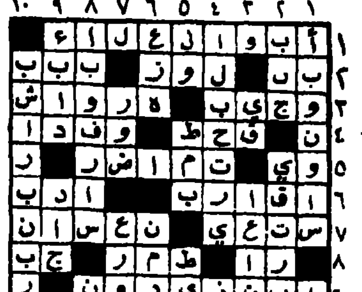
٧ . مدينة أردنية أثرية تشتهر بقلعتها .

٨ . المفرد من أتربة ، احد الألوان ، محبّة .

٩ . يجعلها ملساء ، ثناء .

١٠ . ست مقلوبة ، معجزة معمارية تعبّر عن الغزاز الهندي وتعد رمزاً للوفاء .

● حل مسابقة العدد الماضي العدد ٣٧٦ - مارس ١٩٩٠ م



مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٧٧

أبـــريـــل ١٩٩٠

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الإجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الصفاة ، الرمز البريدي 13008 - الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٧٧ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات إلينا هو ١٥ مايو ١٩٩٠م . والرجاء كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي واضحين - ورقم الهاتف إن وجد .

أرفق هذا الكوبون بالحل
كوبون مسابقة العربي
العـــدد ٣٧٧

١

ما الدافع لابتكار المسماع الطبي (السماعة) الذي لا غنى لطبيب عنه ؟

* المكافأة التي أعلنت عنها الجمعية الطبية الفرنسية
* جائزة نوبل . وقد طمع بها طبيب شاب طموح .
* حياء الطبيب الشاب وخجله من الجنس الآخر

٢

متى أقرت الكنيسة الكاثوليكية تخدير المرأة في حالات الوضع والولادة ؟ وكيف تم ذلك ؟

* سنة ١٨٥٣ . ووفقا لقرار اتخذه مجلس الكردينالات
* سنة ١٨٥٣ . وتبعا لمرسوم ملكي أصدرته الملكة فكتوريا آنذاك .
* سنة ١٨٥٣ . فقد انتشر التخدير ، وعم استعماله في حالات الولادة جميعها ، ولم يقم الناس وزنا لحظر الكنيسة .

٣

الموت الأسود أو الطاعون البوبوني اجتاح أوربا وآسيا في العصور الحديثة ، وحصد الملايين من سكانها حصدا . ترى ما أسباب انتشار هذا المرض الفتاك في نظر العلماء والأطباء ؟

* أسباب فلكية تتصل بالتنجيم كالتقاء الكواكب .
* البخار السام المنبعث من الشهب والنيازك . أو السم الفتاك المنبثق من باطن الأرض عبر الشقوق التي تحدثها الزلازل .
* العدوى وانتقال المرض وانتشاره بسببها .

٤

الحجر الصحي إجراء وقائي سليم معروف ، تأخذ به دول العالم جميعها ترى لم يسمى هذا الإجراء - (كورنتينا) ؟ولم حددوا المدة بأربعين يوما ؟

* *استنادا إلى قول الإنجيل بأن المدة التي استغرقها الطوفان كانت ٤٠ يوما .*

فالمدة التي كانت كافية لانحسار الطوفان ، لابد أن تكون كافية أيضا لانحسار الأمراض
* اعتقادا منهم بأن المدة التي يحتاجها المرء للوصول إلى بيت المقدس سيرا على الأقدام كانت أربعين يوما
* ظنا منهم أن حياة الطفل الرضيع تظل في خطر ، وتعرضه للموت ، حتى يبلغ ذلك الطفل أربعين يوما .

٥ متى عرف الأطباء المسلمون العدوى ، وأدركوا أن انتقال الأمراض وانتشارها غالبا ما يتم بالعدوى ؟

٦ الكسندر فلمنج ، مكتشف البنسلين الشهير ترى لماذا أطلق اسم بنسلين على المادة العلاجية التي عثر عليها في العفن ؟
* نسبة إلى ابنته ، واسمها (بنسلين) ،
* نسبة إلى المادة الفعالة في العفن
* نسبة إلى طبيب إغريقي قديم ، كان يحظى بتقدير فلمنج الشهير .

٧ متى عرف العرب المضادات الحيوية أو الأدوية السحرية كما سموها ؟
* لم يعرف العرب المضادات الحيوية من قريب ولا من بعيد
* لجأ العرب إلى عشبة ست الحسن في معالجة الأمراض البكتيرية ، لكن العشبة المذكورة سامة ، ولا يمكن أن تقوم مقام المضادات .
* عرف العرب المضادات الحيوية ، واستعملوها في معالجة كثير من الأمراض منذ أيام الجاهلية .

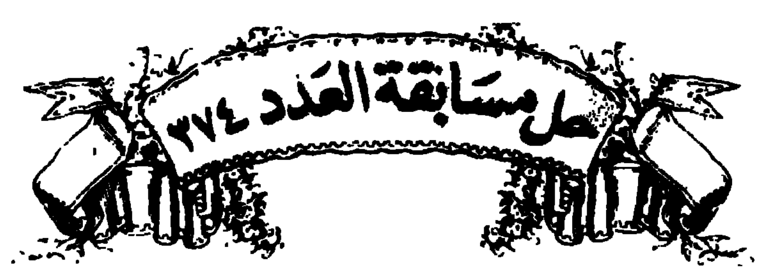
٨ التخدير الذي لاغنى عنه للجراحين والأطباء في هذه الأيام ظهر أول مرة في مطلع الأربعينيات من القرن الماضي ، واستعمل في البداية لعمليات جراحة الأسنان ، ثم شاع استعماله في شتى مجالات الجراحة والطب . يستثنى من ذلك حالات الوضع والولادة . فلماذا امتنعوا عن تخدير المرأة الحامل في أثناء الوضع ؟
* خوفا من تعرض الوليد لأي أذى بسبب مادة التخدير .
* نزولا عند تعليمات الكنيسة الكاثوليكية ، فقد حظرت التخدير في أثناء الولادة لأسباب دينية .
* للاعتقاد الشائع بأن التخدير يمسخ الجنين ، فيولد قردا لا بشرا .

٩ قصة التخدير الطبي بدأت في أوربا في القرن التاسع عشر فمتى عرف الأطباء العرب التخدير ؟

١٠ جراحة التجميل فن من فنون الطب الحديث ، لكن التاريخ يذكر أن قدماء الهندوس عرفوا جراحة التجميل ، وأتقنوها منذ القدم . فما سبب وجود كثرة من الذين قطعت أنوفهم ؟
* طريقتهم في التوليد ، فقد كانوا يمسكون أنف الوليد بملقط حديدي ويشدونه بعنف إلى الخارج فيؤدي ذلك إلى قطع رأس الأنف في كثير من الأحيان .
* كانوا يعمدون إلى قطع أنف الوليد لدى ولادته ، لاعتقادهم بأن الأنف المفتوح يسهل عملية تناسخ الأرواح .
* كان قطع الأنف هو العقوبة التي أنزلها الهندوس ببعض الجناة

١١ وليم كونراد رونتجن (١٨٤٥ - ١٩٢٣) عالم فيزياء ألماني ، ظفر بجائزة نوبل سنة ١٩٠١ ، فما الإنجاز الذي استحق عليه هذه الجائزة ؟
* اكتشاف ألوان الطيف في أشعة الشمس .
* اكتشاف الذرة
* اكتشاف أشعة (أكس) .

١٢ عرفت أوربا الإسعافات الأولية في العصور الحديثة . ترى هل عرف أطباء العرب شيئا ولو بدائيا عن الإسعافات الأولية ؟ ومتى ؟



يناير ١٩٩٠

١ — يذكر التاريخ أن خبز القمح صنع أول مرة في ما بين النهرين وذلك قبل نحو ١٠,٠٠٠ سنة .

٢ — أول ما سخرت الثيران لجر المحاريث في مصر القديمة ، وذلك في حوالي سنة ١٥٠٠ ق.م .

٣ — بلغ انتاج القمح في الصين وكندا في سنة ١٩٨٨ ـ ١٩٨٩ كما يلي :
الصين ٨٩,٠٠٢,٠٠٠ طن .
كندا ١٥,٧٠٠,٠٠٠ طن .

٤ — استعمال الذرة علفاً للحيوان يفوق استعمالها لأي غرض آخر ، وذلك من حيث الكمية التي يستهلكها .

٥ — تعد الدانمرك في طليعة الدول الزراعية ، من حيث انتاجيتها في زراعة القمح ، وقد بلغ انتاج الفدان الواحد فيها ـ بالمتوسط ـ ٢٢ بوشل من القمح (والبوشل مكيال شائع للحبوب ويساوي ٨ جالونات) .

٦ — في البلاد المعتدلة الباردة يزرع القمح في الخريف ، وفي الأقاليم القارية يزرع القمح في الربيع ، وفي البلدان الاستوائية الحارة يزرع القمح في الشتاء .

٧ — الاتحاد السوفيتي يتفوق على الولايات المتحدة على كلا الصعيدين: انتاج القمح واستيراده .

فقد بلغ انتاجه من القمح سنة ١٩٨٨ ما يزيد عن ٨٣ مليون طن ، ولم يجاوز انتاج الولايات المتحدة ٥٧,٣٠٠,٠٠٠ طن . أما من حيث استيراد القمح ، فالولايات المتحدة لا تستورد القمح ، بينما الاتحاد السوفيتي يستورده ولا يصدره .

٨ — اعتمد الإنسان على القمح البري الذي ينمو في الطبيعة قبل اعتماده على القمح المزروع ، وقد تحول عن الأول إلى الثاني حين اكتشف زراعة القمح بطريق الصدفة ، وكان ذلك سنة ٨٠٠٠ ق.م على وجه التقريب وفي بلدة جارمو في العراق وأريحا في فلسطين .

٩ — تحتوي حبة الشعير على ١١,١٥٪ بروتينات ، وتحتوي حبة الأرز على ٦,٤٤٪ بروتينات ، وتجدر الاشارة إلى أن نخالة الأرز غنية بالبروتينات ، إذ تبلغ محتوياتها ١٣,٥٪ .

١٠ — القمح هو النبات الذي يتمتع بقابلية للنمو في أقاليم مناخية مختلفة .

١١ — يحتوي القمح على نحو ٣٣٣ ملغم من الحريرات (في المائة جرام) ، وتحتوي الذرة (الطرية) على ١٢٥ ملغم من الحريرات (في المائة جرام) ، علما بأن الذرة القاسية تحتوي على ٣٤٢ ملغم من الحريرات .

وتجدر الإشارة إلى الفارق الكبير بين القمح والذرة ، من حيث محتويات البروتينات ، فهذه تبلغ ١٣٪ في القمح ولا تزيد عن ٧,٤٪ في الذرة الطرية ، و ١١٪ في الذرة القاسية .

١٢

ينبغي التمييز بين ثلاثة صنوف من الخبز لا صنفين فحسب . الخبز الأبيض والخبز الأسمر والخبز الشامل (راسه بعبه) . فهذان الأخيران مختلفان من حيث نسبة الاستخلاص ، وهي تبلغ ٨٥٪ في الخبز الأسمر ، ولكنها تصل إلى ١٠٠٪ في الخبز الشامل ، وهي لا تزيد عن ٧٢٪ في الخبز الأبيض .

والفرق قليل بين الصنوف الثلاثة من الناحية الغذائية ، ولعله لا يزيد عن ١٪ بروتين لصالح الخبز الأبيض ، على أن الفارق المهم بينها هو بالألياف . والخبز الشامل هو المتفوق من حيث مقدار ما يحتويه من ألياف هضمية ، يليه الخبز الأسمر فالأبيض ، ولا يخفى أن هذه الألياف أو إن شئت ـ النخالة ـ أصبحت ذات قيمة كبيرة هضمية وعلاجية ، فهي تسهم في جعل رحلة الطعام في القناة الهضمية أكثر سرعة ، وفي جعل البراز أكبر حجماً وأكثر خشونة ، ثم إنها تسهم في معالجة بعض الأمراض ، وأهمها السكري والأمراض المترتبة على ازدياد الكولسترول في الدم .

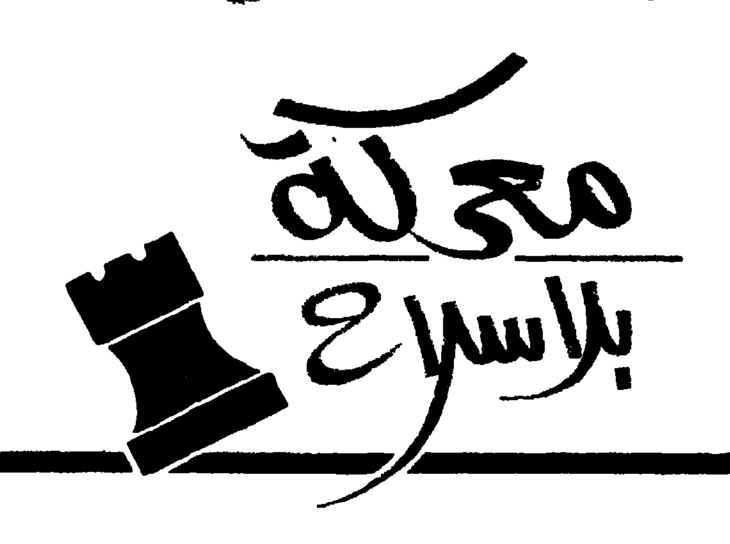
١٣

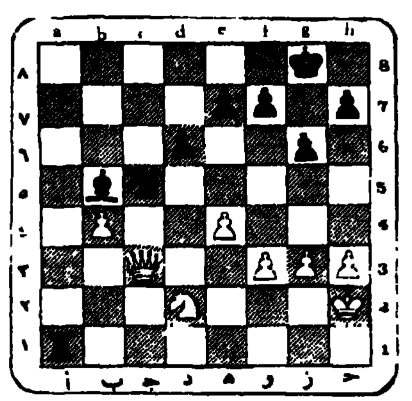
القمح هو الأكثر انتاجاً من الأرز والأكثر تداولاً في الأسواق العالمية . فالدول المنتجة للأرز تستهلك ٩٥٪ مما تنتج ، وقد بلغ مجموع انتاج القمح والأرز حوالي ٢٦٥ مليون طن و ٢٥٥ مليون طن على التوالي ، وذلك وسطياً وسنوياً وفي المدة الأخيرة .

الجائزة الأولى : محمد أحمد علي/ المحلة الكبرى ـ جمهورية مصر العربية .
الجائزة الثانية : أروى عبد الغني محمود/ المملكة الأردنية الهاشمية .
الجائزة الثالثة : بنسلام أحمد مرزوق/ المملكة المغربية .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ـ الهادي بنبراهيم /آزمور/ نابل ـ الجمهورية التونسية .
٢ـ وضاح عبدالحق القاضي/حلب ـ الجمهورية العربية السورية .
٣ـ عناية كمال فرحات / مستشفى الأميري ـ دولة الكويت
٤ـ وهيب قائد مكرو العبس/ تعز ـ الجمهورية العربية اليمنية .
٥ـ عبدالسميع عمر محمد/ بورسودان ـ جمهورية السودان
٦ـ نور الدين ياسين خضير/بغداد ـ الجمهورية العراقية .
٧ـ محمد صالح أنيس علوية/ بيروت ـ الجمهورية اللبنانية .
٨ ـ حسن عبدالرحمن ابراهيم مرواني/ سلطنة عمان .





من الأحداث الشطرنجية المهمة على الساحة العربية بطولة الفرق العربية الأولى التي أقيمت في العاصمة السورية دمشق ، من ٧ ـ ١٧ اكتوبر ١٩٨٩ . وقد اشترك في هذه البطولة اثنا عشر فريقاً للرجال ، وخمس فرق للسيدات ، يمثلون أحد عشر قطراً عربياً . وإلى جانب بطولة الفرق المذكورة أقيم ملتقى للحكام ، حضره لفيف من مشاهير الحكام العرب .

بلغ عدد الأبطال العرب المشاركين في البطولة ٣٦ لاعباً ، يحمل أربعة منهم لقب أستاذ دولي ، ثلاثة منهم تونسيون ، هم : سليم أبو عزيز ، وصلاح الدين حمادي ، ومجدي الكمبي ، أما الرابع فهو البطل السوري المعروف عماد حقي . وثلاثة يحملون لقب أستاذ المحادي ، و ١٢ يحملون تصنيفا دولياً .

وفي ما يلي نتائج فرق الرجال المشاركة بالنقاط :
سوريا (١٩) ، تونس (١٨,٥) ، مصر (١٥) ، الإمارات (١٢) ، الجزائر (١١) ، اليمن (١٠) ، ليبيا (٨,٥) ، لبنان (٧,٥) ، الأردن (٧) ، البحرين (٧) ، فلسطين (٦) .

أما فرق السيدات فكانت نتائجها كما يلي :
سوريا (١٤) ، مصر (٩) ، الجزائر (٨,٥) ، فلسطين (٣,٥) .

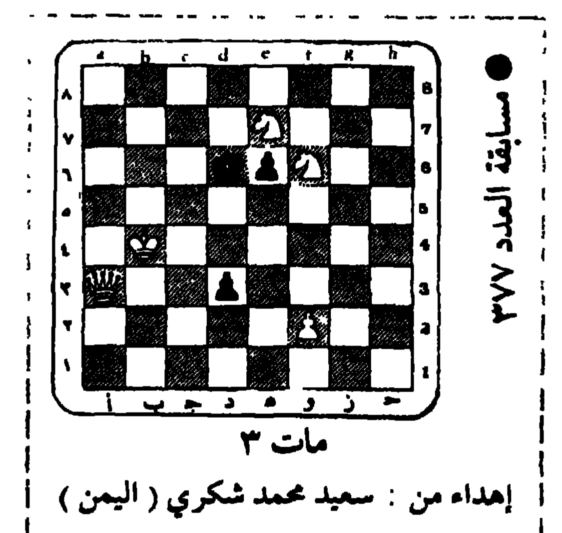
وفي ما يلي دور مثير ، بين البطلة المصرية سهير بسطا والبطلة الإماراتية فريدة عبد الكريم

والدور من البطولة العربية الفردية الأخيرة المقامة في الكويت .

■ سهير بسطا (مصر)
■ فريدة عبد الكريم (الإمارات)

١ . ح - و ٣	ح - و ٦
٢ . ز ٣	ز ٦
٣ . ف ـ ز ٢	ف ـ ز ٧
٤ . ت	ت

● مسابقة العدد ٣٧٧



مات ٣

إهداء من : سعيد محمد شكري (اليمن)

٥ . جـ ٤ — جـ ٥
٦ . ح جـ ٣ — ح - جـ ٦

إلى هنا والتناظر تام

٧ . د ٤ — جـ × د ٤
٨ . ح × د ٤ — أ ٦
٩ . هـ ٤ — ح × د ٤
١٠ و × د ٤ — د ٦
١١ . و - د ٣ — ر ـ ب ٨
١٢ حـ ٣ — ف ـ د ٧
١٣ ف ـ هـ ٣ — ب ٥
١٤ . جـ × ب ٥ — أ × ب ٥
١٥ . ر (و) - د ١ — ب ٤
١٦ ح - هـ ٢ — ف - ب ٥
١٧ . و - د ٢ — و - د ٧
١٨ . ح - د ٤ — ر (و) - جـ ٨
١٩ . ر (أ) - جـ ١ — ف - أ ٦
٢٠ . ر × جـ ٨ — و × جـ ٨
٢١ . ر - جـ ١ — و - د ٧
٢٢ . ف حـ ٦ — ف × حـ ٦
٢٣ و × حـ ٦ — ف - ب ٧
٢٤ . و ـ هـ ٣ — م ز ٧
٢٥ . م - حـ ٢ — ر - أ ٨
٢٦ ر - أ ١ — ح - هـ ٨
٢٧ . ف - و ١ — ح - جـ ٧
٢٨ . ح - و ٣ — و - هـ ٦
٢٩ و - د ٤ — م - ز ٨
٣٠ ـ ح - د ٢ — ر - أ ٢

الأسود يقع في الشرك الأول

٣١ . ف - جـ ٤ — ر× أ ١
٣٢ . ف × هـ ٦ — ح - هـ ٦
٣٣ . و × ب ٤ — ف - جـ ٦ ؟
٣٤ . و ٣ — ح - جـ ٥

الأسود يسير إلى الفخ مغمض العينين

٣٥ . و - جـ ٣ — ف - ب ٥
٣٦ ب ٤ — يستسلم (الشكل)

□□□

الفائزون بمسابقة الشطرنج ـ العدد (٣٧٤) يناير ١٩٩٠

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ عبدالرحمن درويش مصطفى ـ اربد / الأردن .
٢ ـ مصطفى كامل أحمد ـ الاسكندرية / ج.م.ع .
٣ ـ الصغيّر حبنون ـ تونس / الجمهورية التونسية
٤ ـ معتز أحمد العلبي ـ دمشق / سوريا .
٥ ـ سحر نديم ملاّح ـ رأس الخيمة / الامارات .

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ هدى سعيد عبدالله ـ العمرية / الكويت .
٢ ـ محمد عبدالسلام عواد ـ بني سويف / ج.م.ع .
٣ ـ ياسر عمر أبوزيد ـ الإقليم الأوسط / السودان .
٤ ـ الهادي بن عبيد ـ قبلّي / تونس .
٥ ـ أحمد حمودة عبدالباري ـ أسيوط / ح.م.ع .

حل مسألة العدد (٣٧٥) فبراير ١٩٩٠

١ . ر - و ٧ يلعب ما شاء ٢ . ر - أ ٦ + م - ب ٧ ٣ . ر× هـ ٧ مات



حوار القراء

العربي - ص. ب: ٧٤٨ الصفاة - الرمز البريدي: 13008 الكويت

العمل المشترك في مواجهة التبعية



الأستاذ الدكتور/ محمد الرميحي المحترم،

تحية طيبة وبعد،

قرأت مقال الدكتور «عبدالرحمن زكي ابراهيم» في العدد ٣٧٢ الصادر في نوفمبر ١٩٨٩ بعنوان: «الغرباء»، وقد تناول فيه بنظرة علمية فاحصة وبمتابعة دقيقة مؤامرات الرأسمالية العالمية التي تهدف لاستنزاف الموارد الاقتصادية للدول المتخلفة، وجعلها تدور في فلك التبعية الاقتصادية، حتى تجد الفرصة الواسعة للاستثمار وتصدير البطالة، والحصول على عوائد ضخمة على حساب تلك الدول، تحت غطاء التوازن في ميزان المدفوعات، ودفع التنمية، ودعم البنى التحتية - والتي تخدم أهدافها - لاقتصاديات تلك الدول، وبالتالي إغراقها في الديون، مستخدمة في ذلك ما يسمى الشركات العابرة للقومية.

أرى أن الدكتور عبدالرحمن زكي قد وضع النقط على الحروف في تحليل الواقع تحليلا غطى كل جوانب المشكلة، وأبان خطورة مثل هذه الأنشطة الاقتصادية الغربية داخل خلايا الاقتصاديات المحلية، أبان خطورتها على التخطيط الاقتصادي وقت الحاجة، وهيمنتها على حركة رؤوس الأموال بتأثيرها على مؤسسات النقد الدولية وبيوت الأموال.

لقد نجح في تحليل الواقع، وبقي أمامنا مسئولية تغيير هذا الواقع، مستفيدين من مفكرينا الاقتصاديين في فضح الاستعمار الجديد، وتعريته، والدعوة للعمل المشترك، حتى نستطيع أن نخرج عن دائرة التبعية إلى الاستقلال الاقتصادي.

القارىء: عابدين محمد زين الصديق

جامعة الزقازيق - جمهورية مصر العربية

□□□

غريب عالم الطيور

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

تحية طيبة وبعد،

تعقيبا على مقال الدكتور محمد رشاد الطوبي، المنشور في العدد (٣٧٢) نوفمبر ١٩٨٩ الذي جانبه الصواب في أكثر من موضع، على الرغم مما وفر للموضوع من إثارة وتشويق، وما أكثر ما تحفل به مملكة الحيوان من غرائب وعجائب، تشكل عبرة بالغة للإنسان.

لقد حصر الكاتب هذه العائلة من الطيور التي عرفها العلماء بالطيور

المعرشة، أو(الخطافة)، جغرافيا في آسيا وجزيرة غينيا الجديدة، بينما تتوزع هذه الطيور المعروفة عندنا هنا بالمشرق العربي، وهي (العقعق)، في أطراف شبه الجزيرة العربية، حيث تفرخ في سورية وفلسطين، وهي قليلة في لبنان، وتقضي الشتاء في بلد الكاتب (مصر) وتعرف هناك باسم (غراب الحديقة)، كما تفرخ في الأجزاء الجنوبية من شبه جزيرة العرب.

كما أن هذه الطيور (العقعق) تمتاز إلى جانب الخطف بالثرثرة، وبيئتها الأراضي الزراعية المكشوفة والمنتزهات والبساتين.

بقيت ملاحظة مهمة في هذا المجال، وهي أن العرب قد عرفوا طيور (العقعق) منذ الجاهلية، فأقسم مسيلمة الكذاب بها عندما وضع قرآنا خاصاً به!!

وبعد، لا يفوتني التنويه بأهمية هذه الموضوعات، لما تحققه من تفاعل وتكيف للإنسان مع بيئته، فقد أصاب عرى العلاقة بينهما الفتور والإهمال، في وقت نحن أحوج فيه لتفهم هذه العلاقة المفروضة علينا منذ الأزل وهندستها.

مع تقديري الخالص لهذا التوجه الذي تضطلع به (العربي) سعيا وراء كل ما هو أفضل.

عبدالغني عبدالهادي
عمان ـ الأردن

□□□

تراكم الغبار يعطل «فوبوس»



الاستاذ الدكتور رئيس التحرير المحترم،

تحية طيبة،

نشرت العربي في عددها (٣٧٣) الصادر في ديسمبر ١٩٨٩ مقالا لطاهر سكر القيسي (رحلات إلى أعماق الفضاء)، أود هنا أن أعقب عليه: لقد أطلق السوفييت، كما ورد في المقال، في ٧و١٢/٧/١٩٨٨ «فوبوس(١)»، «فوبوس(٢)»، المسيرة آليا إلى المريخ. ومما يذكر أن فوبوس اسم أحد أقمار المريخ، الذي سميت الرحلة فوبوس باسمه. وللمريخ قمر آخر يسمى «كوبوس(١)». ومما أعلنه العلماء السوفييت المشرفون على البرنامج أن «فوبوس ١» فُقِدَ نتيجة إشارة خطأ من مركز التحكم الأرضي في أعماق الفضاء. ومن المفروض أن يكون «فوبوس(٢)» قد التقى بالقمر كوبوس، وليس بفوبوس كما ورد في المقال. وقد وصل كما خطط له، وأرسل إلى الأرض إشارات. ولسوء الحظ كانت هذه الإشارات ضعيفة جداً، لم يتمكن القمر من التقاطها وتنفيذ المطلوب، والاستفادة منها. وهذا مما حدا بالمسؤولين عن الرحلة إلى الإعلان عن فشلها النهائي فيما بعد. والسبب الذي ذكر

حوار القراء

هو ضعف الاشارات لتراكم الغبار على الأجزاء المولدة للطاقة، مما جعلها تعمل بطاقة ضعيفة.

وقد قال العلماء في حينه. إنهم يأملون تلافي مثل هذا الخلل في المستقبل.

القاريء: د. مهيب عواد
عمان ـ الأردن

□□□

ردود سريعة

● القاريء فاخر بيطار ـ ادلب ، سوريا ـ يقترح أن تقوم المجلة باستطلاع عن مدينة ادلب الخضراء ، كي يتعرف عليها القاريء العربي . ويتعرف على ما فيها من أماكن أثرية ، وموقعها الجغرافي الاستراتيجي ، فهي نافذة الوطن العربي برا على أوروبا .

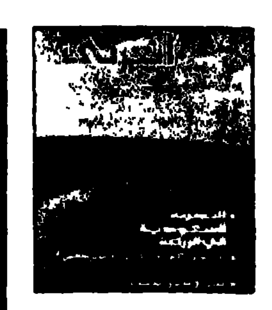
● القاريء : الهادي السعيدي ، من سوسة ـ تونس ـ يشيد بالاستطلاعات والمقالات العلمية والتاريخية والاجتماعية وغيرها من مواد « العربي » ، ويطلب زيادة الكمية المنشورة من القصائد التي تعتمد في نظمها أصول الشعر العمودي وقواعده

● القاريء خالد عتيق مزروع ، من صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية ـ يطلب تخصيص باب بعنوان « الأدب القديم » ، لنشر قصائد من الشعر في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام ، فهذا يسهل على الباحثين في المستقبل متابعة هذا اللون من الشعر الذي يكاد ينقرض هذه الأيام .

● القاريء : جمال يوسف ، من الاسكندرية ـ جمهورية مصر العربية ـ بعث يشكو من تأخر وصول المجلة إلى المكتبات في الاسكندرية ، ويطلب العمل على سرعة وصول المجلة كما كانت في بداية كل شهر . ونحن نقول له : إن هذه المسألة سوف تحل إن شاء الله في القريب العاجل .

● القاريء : حسام رمضان عبدالسلام ، من اسيوط ـ جمهورية مصر العربية ـ يقترح أن تقوم مجلة « العربي » باستطلاع حول المراحل التي تمر بها هذه المجلة حتى صدور العدد .

● القارئان : سميح أحمد الخطيب ـ محافظة الجيزة بمصر ـ و طلال عبود ـ حلب ، سوريا ـ يقترحان تخصيص صفحة للتعارف والمراسلة . ونقول لهما : إن طبيعة المجلة لا تسمح بتخصيص مثل هذه الصفحة ، وصفحات المجلة كلها مفتوحة للقاريء العربي للمشاركة في كتابة المفيد .



● القاريء : جابر عبدالعظيم بكر ، من الاسماعيلية ـ القنطرة شرق ، جمهورية مصر العربية ـ يشيد بالمجلة ، ويثني على موضوعاتها العلمية الشيقة ، ويود لو زادت كمية المنشور فيها . ونقول له : إن المجلة تحاول نشر الجديد ، المفيد المتنوع ، كما نحاول جميعا أن نوازن بين مواد العدد ، حتى يكون هناك تنويع وتنسيق في المجلة

● القاريء : سامي سالم طالب ، من كلية الأسنان بجامعة حماة ـ سوريا ـ يقول : إنه قرأ في العدد (٣٦٨) يوليو ١٩٨٩ عن « بالونة تنقذ مرضى القلب » فهل هناك بالونة توضع في المعدة لإنقاذ مرضى البدانة ؟ وإذا وجدت مثل هذه البالونة فأين يمكن الحصول على مزيد من المعلومات حولها ؟

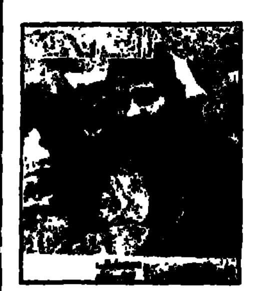
● القاريء : عبدالمجيد عبدالكريم علي ، من جزيرة سعود ـ جمهورية مصر العربية ـ يقترح تخصيص مساحة من المجلة شهريا للتعريف بمدن الكويت وأهم معالمها الأثرية . ونود أن نفيد القاريء أن المجلة تنشر بين فترة وأخرى استطلاعات مصورة عن الكويت ، وسوف يجد فيها ما يود معرفته .

● القاريء : بركات محمد ، من ولاية بسكرة ـ الجزائر ـ يطلب تزويده ببعض أعداد مجلة « العربي » القديمة والجديدة ، لأنه يجد صعوبة في الحصول عليها من مكتبات الجزائر . ونقول له : إن بإمكانه أن يشترك مباشرة في المجلة ، لضمان حصوله باستمرار على الأعداد الجديدة منها ، أما الأعداد السابقة فبإمكانه مراسلة وزارة الإعلام ـ الإعلام الخارجي ـ بشأنها ، كما يمكنه الاطلاع على شروط الاشتراك المنشورة على الصفحة الثالثة من المجلة .

● القاريء : عادل محمد عز الدين ، من شبرا مصر ـ القاهرة ، جمهورية مصر العربية ـ يقول : طالعت في العدد رقم ٣٦٧ يونيو ١٩٨٩ مقالا بعنوان : (العمارة للفقراء) ، للدكتور عبدالرحيم ابراهيم أحمد ، وأنا مع مجموعة من قراء « العربي » نشكركم على هذا الجهد الطيب في كل النواحي التي تهم غالبية القراء في الوطن العربي ، وإنه لجهد كبير في توثيق فن العمارة الإسلامية وإحيائه .

● القاريء: طاهر السراج، من كلية الهندسة، بجامعة دمشق، سوريا، يعتب علينا لكثرة نشر القصص المترجمة، ويقترح بأن نقصرها على نشر قصص من نتاج المبدعين العرب. ونقول له: إننا في المجلة ننشر لجميع الأذواق، ومن الضروري أن نقرأ للمبدعين العالميين، ونتعرف على ما ينشر خارج الوطن العربي، فعن طريق هذا التواصل توجد الفرص للتطوير والاستفادة للجميع.

● القاريء: مطر بن سالم بن علي السعيدي، صحم ـ سلطنة عمان، يشيد بالموضوع الذي نشرته المجلة في العدد ٣٦٩ أغسطس ١٩٨٩ بقلم د. نعيم الشربيني. وعنوانه: «النمو الاقتصادي: لماذا يتعثر في الوطن العربي؟»، ويقول: إننا في أمس الحاجة إلى مثل هذه المواضيع المطلوبة في الوطن العربي في قضية تطوير الاقتصاد الوطني المتنامية، بحسبانها من أخطر التحديات التي تواجهها دول العالم الثالث، ولا سيما الوطن العربي.



● القاريء: نضال علي ديبة، اللاذقية، سوريا، بعث رسالة فيها كثير من الاقتراحات، بخصوص تطوير بعض أبواب المجلة، وإضافة أبواب جديدة.

حوار القراء

● القارىء الدكتور تامر أبو القاسم العماري، من جامعة باسن، رومانيا، بعث مجموعة من الاقتراحات، تتعلق بالجوانب الفنية والرسوم، كما يقترح استخدام حروف كبيرة، غير التي تستخدم الآن في المجلة.

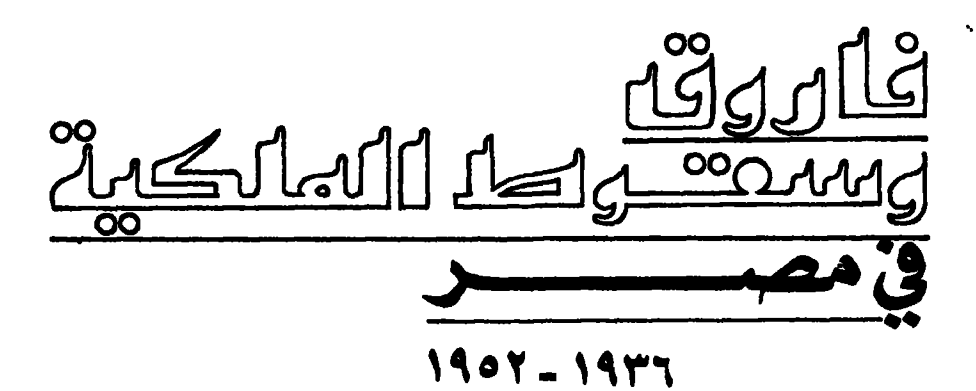
● القارىء: خالد الحلي من ملبورن باستراليا، أرسل يقترح بأن تتوافر مجلة «العربي» في استراليا، نظرا للطلب الشديد عليها، ولكونها منارة ثقافية يحرص الجميع على اقتناء نسخة منها.

● القارىء: محمد نعيم الجاني، من كلية الفنون الجميلة، بجامعة دمشق، سوريا، بعث لوحة فنية، بعنوان: «لن يولد حي من خبر»، وهي مهداة إلى طفل فلسطيني رضع من ثدي أمه حجراً. واللوحة معبرة عن فرحته بدخول الانتفاضة الفلسطينية عامها الثالث.

● القارىء: سليمان فؤاد أحمد، من طرابلس، لبنان، بعث رسالة يعبر فيها عن صمود الشعب اللبناني البطل أمام كل أشكال الطائفية والدعوة إلى التقسيم، وهبوب رياح من الخارج، وخلق عدم التوازن. □



من المكتبة العربية



فاروق وسقوط الملكية في مصر

١٩٣٦ - ١٩٥٢

تأليف : الدكتورة لطيفة محمد سالم

عرض وتعليق : الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى

تاريخ فاروق ، ملك مصر الأسبق ، ينتمي إلى حقبة تاريخية قريبة بعيدة . قريبة لأنها سبقت الثورة المصرية التي فتحت الباب على مصراعيه أمام قوى جديدة ، ما زالت موجودة في الحكم بشكل أو بآخر ، وبعيدة لأنها تنتمي أساساً إلى عالم الحرب العالمية الثانية وما قبلها ، بكل ما تحتوي من نقاط مضيئة ومظلمة .

وهذه استعادة لهذا التاريخ من خلال عرض للكتاب التالي .

لم يكن عهد الملك فاروق ، حتى الآن ، موضعا للدراسة الجادة والموضوعية بمعنى الكلمة ، فخلال حكمه ألفت فيه القصائد ، ولحنت الأغاني ، في الوقت الذي أحيط فيه بتملق من بعض الكتاب الذين أثنوا عليه ثناء مبالغا فيه ، وإن قلب الكثيرون منهم له ظهر المجن بعد رحيله إلى خارج البلاد في عام ١٩٥٢ ، وحينئذ بولغ في وصف فساده وشذوذه ، واوتوقراطيته ، وتعرض حكم أسرة محمد علي برمته للنقد الشديد ، فألصقت به السلبيات ، وتجوهلت الايجابيات . وهذه الظاهرة تتكرر في البلدان الخاضعة للحكم الأوتوقراطي التي يطفو فيها المتملقون على السطح ، ويضطهد من يجرون وراء تحري الحقيقة ، مما يحجب الأحكام الموضوعية ، ويغلب النظرة الواحدة والنفاق ، ويطمس الحقائق ، ويوجه التاريخ لخدمة أهداف

الحكام وإرضائهم . ولعل الكتاب الذي نعرض له في طليعة المؤلفات المتوازنة التي لا تقصد إلا وجه الحقيقة ، فقد تتبعت المؤلفة شخصية الملك فاروق منذ ميلاده حتى خلعه ، وربطت ربطا موضوعيا بين صفاته وبين أهم أحداث مصر الداخلية ، وعلاقاتها الخارجية في عهده الذي وصفته بأنه « أخصب الفترات في تاريخ مصر » . وقد استنبطت عرضها وأحكامها من الوثائق البريطانية ، والمذكرات الشخصية ، ومحاضر جلسات « البرلمان » المصري ، والدوريات المصرية ، بالإضافة إلى المصادر العربية والأجنبية المتاحة . ولكنها لم توفق ، حين استبعدت المقابلات الشخصية ، على اعتبار أن أصحابها « ذوو رؤى معينة » ، وأن الأحداث تتداخل في ذاكرتهم ، مما يقلل من أهميتها . فمثل



● غلاف الكتاب

هذا المنحى يتضمن نوعا من المبالغة : فأيا كانت الأحكام التي يدلي بها المعاصرون للأحداث ، فإن من واجب المؤرخ أن يرجع إلى كل المصادر المتاحة ، وأن يطبق المنهج العلمي على المعلومات التي يحصل عليها ، ويخرج في النهاية بأحكامه وآرائه .

وعلى الرغم من أن الكثيرين ممن كتبوا مذكراتهم ، أو فتحوا صدورهم للمؤلفين ، يميلون عادة إلى عرض معلوماتهم من زاوية ميولهم الشخصية إلا أن هذه المعلومات قد لا تخلو من حقائق تفيد المؤرخ .

تتبعت المؤلفة شخصية فاروق منذ طفولته وشبابه المبكر ، خاصة أن التربويين والنفسانيين يتتبعون مفتاح الشخصية خلال السنوات الخمس الأولى ، وما قد يترسب خلالها من ميول وعقد وغير ذلك . فقد وكل أمر فاروق وهو طفل إلى مربية انجليزية ، كانت تقسو عليه ، وتعاقبه إن خالف أوامرها ، ومن ثم كانت مسؤوليتها عن عزله عن أنداده ، وهو الاتجاه الذي أيدهّ الملك فؤاد ، فلم يسمح له بمخالطة أنداده ، بل أحاطه بطائفة من الأتباع ، ومن ثم افتقاده صداقة الند للند ، واعتياده مجالسة الخدم الذين تسابقوا إلى إرضائه . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد وُضِعَ له برنامج تعليمي مكثف ، يمتد من الصباح الباكر إلى غروب الشمس ، وحين بلغ الخامسة عشرة أبدت الدوائر البريطانية ، صاحبة السلطة الحقيقية في البلاد ، رغبتها في أن يستكمل تعليمه في بريطانيا ، وبالتالي فإنه توجه في اكتوبر ١٩٣٥ إلى هناك ومعه بعض الرجال ، وعلى رأسهم أحمد حسنين ، ممن آلوا على أنفسهم أن يسترضوه ، ويلبوا رغباته ، حتى يسيطروا على مقاليد البلاد بعد وفاة الملك فؤاد الذي كانت أحواله الصحية تنذر بالخطر . وفي ابريل ١٩٣٦ توفي الملك



●الملك فاروق

فؤاد ، وعاد فاروق إلى مصر ولما يستكمل تعليمه بعد ، وجرت مراسم توليه الحكم .

صراع الوفد والقصر :

منذ البداية زينت له حاشيته أن يملك وأن يحكم ، ومعنى ذلك اشتراكهم في حكم البلاد ، على أساس أوتوقراطي ، بخاصة أن مصر لم تكن مهيأة حينئذ للحكم الديمقراطي الحقيقي ، بمعنى استئناف الصراع الذي بدأ في عهد والده بين بريطانيا تستغل هذا الصراع لخدمة مصالحها ، بمساندة هذا الطرف أو ذاك . وظل الصراع بين الوفد والقصر قائما حتى زوال النظام الملكي في مصر ، وعلى حين أن الوفد كان يحظى بمساندة أغلبية المصريين ، فإن الملك أحيط في بداية عهده بشعبية قل أن حظى بها أحد حكام البلاد السابقين ، وهي الشعبية التي تفنن مستشارو الملك ، وعلى رأسهم علي ماهر ومحمد مصطفى المراغي ، في اختلاق الوسائل التي تعززها ، وتحبب الشعب في الملك الشاب .

وكما واجه الملك مخططات حزب الوفد الذي اتجه إلى التضييق على سلطته ، فإنه واجه النفوذ البريطاني في الوقت الذي لاحت فيه نذر الحرب

القصر وبين حزب الأغلبية (الوفد) الذي كان قادته يميلون إلى جعل الملك يملك ولا يحكم ، حتى وإن أدى الأمر إلى تنازله عن العرش أو عزله ، خاصة أن سير مايلز لامبسون ، سفير بريطانيا الذي لم يكن احتراما للملك ، وكان يشك في اتصال بعض رجال حاشيته بايطاليا الفاشستية ، كان لا يمانع في خلعه . وفي ديسمبر ١٩٣٧ أقال الملك الحكومة الوفدية ، وأزمع حرمان الوفد من العودة إلى الحكم ، مما جعل العالمية الثانية ، مما جعل حدود مصر الغربية تواجه الخطر الايطالي . فقد سعي لامبسون في بداية عهد فاروق إلى ابعاد النفوذ الايطالي عن مصر ، واحتواء الملك الذي ورث عن أبيه ميوله الايطالية التي صبغت القصر بالطابع الإيطالي ، ولما كان فاروق يتمسك بالايطاليين فقد خشيت بريطانيا أن تميل مصر إلى الحياد في حالة نشوب الحرب التي بدأت بالفعل في عام ١٩٣٩ ، ودخلتها ايطاليا إلى جانب ألمانيا في عام ١٩٤٠ ، ولم يرضخ علي ماهر ، أهم مستشاري الملك ، ورئيس الوزراء ، في بداية الحرب ، لطلب بريطانيا إعلان الحرب على ألمانيا ، فطبق شعار « تجنيب مصر ويلات الحروب » ، مما جعل

بـريطانيـا تبعده عن الحكم ، في الـوقت الذي واصل فيه فاروق اتصالاته بألمانيا ، رغبة منه في المحافظة على عرشه في حالة خروجها منتصرة من الحرب . ولما كانت دوائر المعلومات البريطانية على ثقة من اتصاله بدولتي المحور ، فإنها هددته بالخلع في أوائل عام ١٩٤٢ ، في الوقت الـذي كانت فيه القوات الألمانية ـ بقيادة روميل ، قد اقتربت من الاسكندرية ـ ما لم يكلف النحاس بتأليف الوزارة ، فكانت حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ التي فرض فيها الانجليز النحاس على الملك ، على اعتبار أنـه رأس وفد المفـاوضة الـذي وقع معاهدة ١٩٣٦ ، وبالتالي كان من المتوقع أن ينفذ بنودها نصاً وروحاً .

● مصطفى النحاس

حرب فلسطين

وبعد انتصار الانجليز في العلمين وهي من المعارك الفاصلة في الحرب العالمية الثانية تقرب فاروق من الانجليز واستسلم لهم في ٤ فبزاير ، وكـان هدفـه من ذلـك ألا تسـانـد بـريـطانيـا النحاس بما يمكنه من خلعه ، وحين ابتعد الخطر المحوري عن مصر ، أقال الملك النحاس في عام ١٩٤٤ ، واستند في حكمه للبلاد على ما عرف باسم « أحزاب الأقلية » التي سعت إلى تعديـل معاهدة ١٩٣٦ ، في الـوقت الذي كـانت فيه الحرب العالمية قد تمخضت عن مشاكل اجتماعية واقتصادية ، آلت إلى ازدياد السخط والمعارضة في البلاد ، سواء على الملك أو الحكومات المتعاقبة . ولكي يحول الملك الأنظار عن هذه المشاكل ، في الوقت الذي زين له فيه بعض المحيـطين به أن يتزعم العرب والمسلمين ، زج بالجيش في حرب فلسـطين في عـام ١٩٤٨ ، ولم يـوفق في تحقيق النصر الذي وعد العرب والمصريين به ، مما آذن باضطرابات لا حصر لها ، على أيدي التنظيمات الدينية والماركسية على حد سواء .

ولامتصاص السخط القائم سمح للوفد بأن يشكل آخر حكوماته في عام ١٩٥٠ ، بعـد أن علمته التجارب أن بقاءه في الحكم رهن برضـا الملك عن طريق الاستسـلام لـه ، عـلى غـير العادة ، مما زعزع مكانة الحزب في نظر الجماهير المصرية التي لم تعد تكن للملك أي احترام ، في الوقت الذي اتضح فيه أن الحزب قد شاخ ودب فيـه الفساد . ولكي يستعيـد النحـاس شعبيـة حزبه ، ويغطي على النقد أقدم في اكتوبر ١٩٥١ على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ ، مما أدى إلى نشوب القتال في منطقة القناة بين الانجليز والفـدائيين المصريين . ولكي تواجه بريطانيا انقلاب الوفد ضدها سعت إلى الاعتمـاد على الملك ، فكـان

حريق القاهرة في أوائل ١٩٥٢ الذي استغل في التخلص من حكومة الوفد ، وتخفيف حدة القتال في منطقة قناة السويس ، في الوقت الذي اتضح فيه أن الملك يود الاعتماد على الولايات المتحدة ، في التوصل إلى اتفاقية مع بريطانيا ، مما جعل السفير الأمريكي جيفرسون كافري يصبح هو المحرك للأحداث ، فأخذ يحث حكام مصر على القيام بالإصلاح الاجتماعي ، حتى لا تستغل الاتجاهات الراديكالية سوء الأوضاع ، خاصة أن الصحافة المحلية قد جاهرت بانتقاد الملك ، ونددت بالأسرة الحاكمة ، وبالنظام القائم .

الحرس الحديدي

حاول الملك أن يواجه كل ذلك بالاستناد إلى الجيش الذي أبدى بعض صغار ضباطه سخطهم على الزج بهم في حرب فلسطين ، دون استعداد أو خطط سليمة ، ورد الملك على ذلك بتشكيل « الحرس الحديدي » الذي استهدف التخلص من العناصر الساخطة ، وبخاصة بعد أن تكاثرت منشورات « الضباط الأحرار » الذين استطاعوا ، في يولية ١٩٥٢ ، أن يقضوا على النظام الملكي .

بينما تتناول المؤلفة الأحداث التي انتهت بسقوط الملكية ، نجدها تفرد فصلا خاصا عن حياة الملك الخاصة ، وشراهته للمال والنساء ، وهذا يدخل في نطاق تداخل تبويب الكتاب ، وسيطرة المادة على المؤلفة ، حتى لم تستطع تجنب الاستطراد الذي أدى إلى تضخم حجم الكتاب إلى ما يزيد عن ألف صفحة ، يمتلىء الكثير منها بالتفاصيل مما يجعله من الكتب المهمة عن الملك فاروق وعهده . □

مكتبة العربي
مختارات

اسم الكتاب: دراسات في الحضارة.
اسم المؤلف: د. لويس عوض.
الناشر: دار المستقبل العربي ـ القاهرة.
عدد الصفحات: ٢٩٠ من القطع الكبير
سنة النشر: ١٩٨٩م

كتاب جديد للمفكر الكبير د. لويس عوض، يقدم فيه بعض مقالاته التي تتناول قضايا مختلفة حول الحضارة العربية والمصرية والإنسانية، يثير فيها قضايا تاريخية وفلسفية عميقة، لكنه يقدم وجهة نظره ـ كالعهد به ـ وفق منهج علمي وأسلوب شيق، وينفتح على آفاق إنسانية رحبة.

وينقسم الكتاب إلى أربعة أبواب، خصص الباب الأول لمقالات وتأملات في المسألة القومية، والباب الثاني عن لقاءات حضارية، والباب الثالث خصص لمواجهات حضارية، والباب الأخير ضمنه مقالات «المحاورات الناقصة».



□□□

اسم الكتاب: الصمت مزرعة الظنون.
اسم المؤلف: يعقوب السبيعي.
الناشر: رابطة الأدباء في الكويت.
عدد الصفحات: ١٤٠ من القطع الصغير
سنة النشر: ١٩٨٩م



ديوان جديد للشاعر المبدع يعقوب السبيعي، يقدم فيه عشرين قصيدة جديدة، يحمل بعضها سمات القصيدة التقليدية وظواهرها، ولكن بعضها الآخر يدخل الحداثة من بوابة حمل هموم العصر، والتجديد في بعض التراكيب والصور. يقول في قصيدة «العطش الأسود»:

تقول: غداً، ويمر غدُ
يمر بلا غدها الأبد
كأن الزمان الذي ينتهي
إلى غدها قدر موصد
كأن الليالي خلت من غدٍ
وأفزعها العطش الأسود
أصيح بها: أين منا غد؟
يرد الصدى: أين منا غد؟

ولا تخلو قصائد الشاعر من بعض الصور الساخرة التي تحمل حساً نقدياً عالياً.

□□□

اسم الكتاب: حضور الإبداع
اسم المؤلف: الأب يوسف سعيد
الناشر: دار مصباح الفكر ـ بغداد
عدد الصفحات: ٢٤٨ من القطع الكبير
سنة النشر: ١٩٨٩م

دراسة نقدية لأعمال الشاعر العراقي الكبير حميد سعيد، يقدمها الناقد الكاتب الواعي الأب يوسف سعيد، حيث يقدم

الكاتب في كتابه دراسة ست مجموعات شعرية للشاعر، وقد ألزم الكاتب نفسه بإفراد جزء لكل مجموعة، وتناولها ككل بالدراسة، ثم عرض لكل قصيدة على حدة، فتناولها بالنقد والدراسة والتحليل، ليقدم في النهاية كتابا نقديا بالغ الأهمية لكل دارسي الشعر والنقد.

□□□

اسم الكتاب: قصص من الخيال العلمي
اسم المؤلف: رؤوف وصفي
الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب
عدد الصفحات: ١١٩ من القطع المتوسط
سنة النشر: ١٩٨٩م

مجموعة قصصية من قصص الخيال العلمي، يمتزج فيها الخيال الأدبي بالخيال العلمي، ليحاول أن يقدم صورة فنية عن الحياة في عصر قادم، وفي عوالم غير التي نعرفها. يضم الكتاب ثماني قصص، يبدو بعضها بعيدا عن التصديق. وبعضها الآخر ممكناً في زمن القفزات العلمية التي نعيشها.

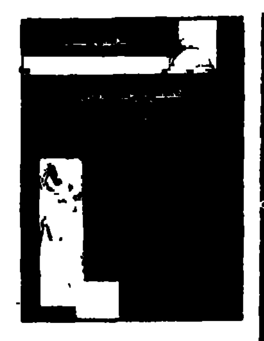
□□□

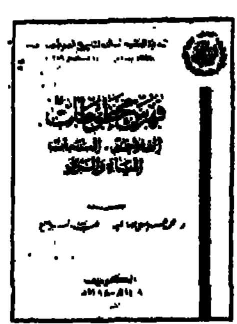
اسم الكتاب: فهرس مخطوطات الفلاحة ـ النبات ـ المياه والري
اسم المؤلف: د. محمد عيسى صالحية وعبدالله الفليح
الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت
عدد الصفحات: ٤٣٦ من القطع المتوسط
سنة النشر ١٩٨٨م

فهرس جمع فيه صانعوه كل المعلومات المتعلقة بالكتب العربية المخطوطة في علوم الفلاحة والنبات والمياه والري، عند العرب والمسلمين، عبر قرون نهضتهم وتصدرهم للعالم في الحضارة والإبداع في شتى العلوم.

وقد حوى الكتاب بين دفتيه عناوين تلك الكتب المخطوطة وأسماء مؤلفيها وناسخيها، وتواريخ التأليف والنسخ، وأعداد أوراقها، وتوصيفات لحالاتها، وذكراً لأبوابها وفصولها، وتحديداً لأماكن وجودها في المكتبات التي تضم مخطوطات عربية في كل أقطار الأرض.

هذا الكتاب دليل علمي للباحثين حول الكتب المخطوطة في الفلاحة ووسائلها وأساليبها وأنواع الأراضي والسرقين، وفي النبات وأنواعه ومنافعه واستنباته وإكثار نتاجه وتهجينه، وفي الماء وأنواعه ومصادرها وإصلاح الفاسد منها واستنباطها وحفظها صالحة للشرب أو للزراعة. وفي الري ووسائله من شق القنوات وتجهيز الأفلاج وطرق إسالة المياه ورفعها إلى الأماكن العالية وبناء السدود والأحواض للزراعة والحروب.□





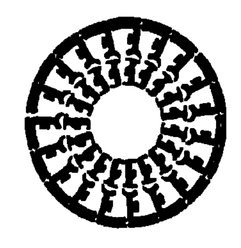
لم لا تقول الشعر؟

● قيل للخليل بن أحمد: لم لا تقول الشعر؟ أجاب: يأباني جيده وآبى رديئه.

وقيل للمفضل بن سلمة: لم لا تقول الشعر، وأنت أعلم الناس به؟ فقال: علمي به ضيعني منه.

يصدر في

١٥ أبريل ١٩٩٠م



كتاب العربي

الكتاب السابع والعشرون

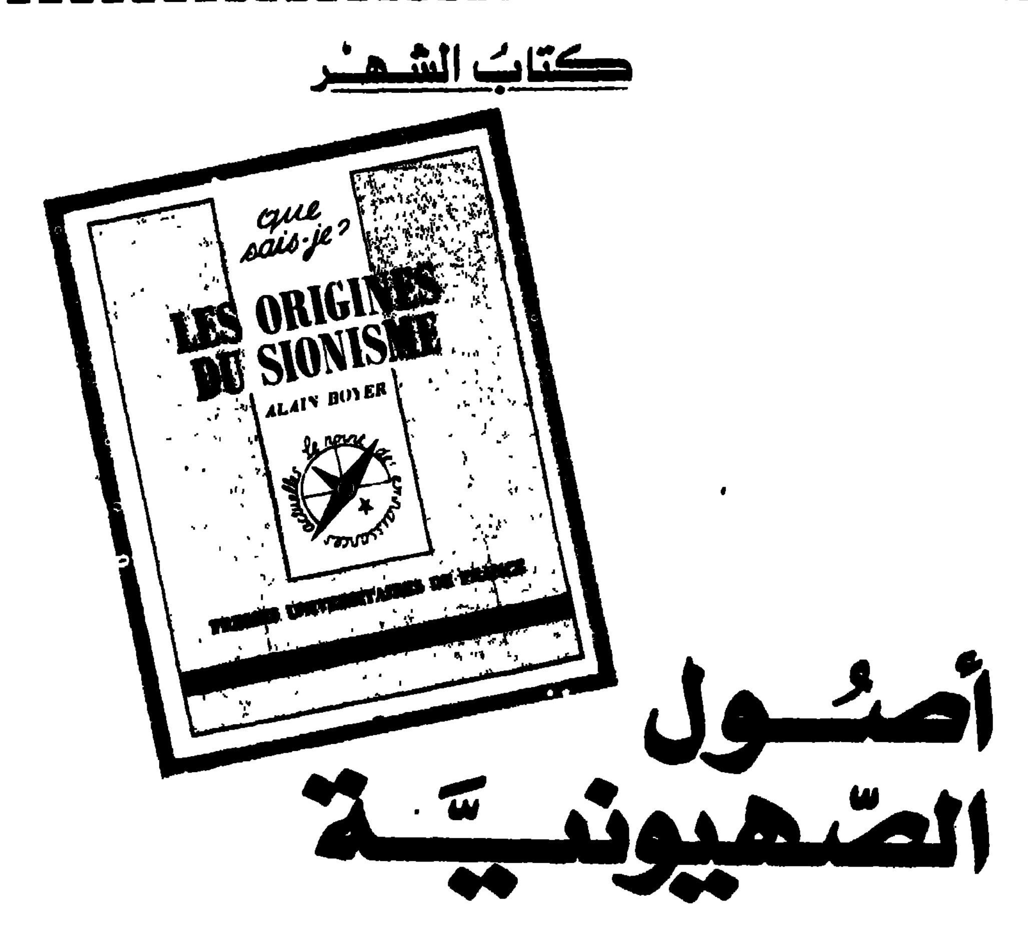
نافذة على فلسفة العصر

بقلم د. زكي نجيب محمود

كتاب العربي مرآة العقل العربي



كتاب الشهر



أصول الصّهيونيّة

تأليف : آلان بوايبه عرض وتحليل : الدكتور جليل العطية

لقد مضى الوقت الذي كانت فيه الصهيونية فوق النقد في الفكر الأوروبي الغربي ، فأمام وحشية أداتها القمعية « اسرائيل » ، وصعود الأطراف الأكثر فاشية لتسلم زمام السلطة فيها ، بدأت تظهر بعض الدراسات التي تعيد البحث فيما كان يوما مسلمات بشأن هذه الحركة ، من وجهة نظر لا تخلو من نقد .

كتاب الشهر

على الرغم من وفرة الكتب التي تتناول الحركة الصهيونية ، تاريخها ، أهدافها ومطامعها ، فإن الكتب التي أعدت عنها من قبل مؤلفين أوربيين موضوعيين تظل أجدر بالمطالعة والاهتمام والتأمل .

و « أصول الصهيونية » أحد هذه الكتب المهمة ، فقد ألفه « آلان بوابيه » ، وهو أستاذ جامعي بارز في فرنسة ، ونشرته دار الصحافة الجامعية ، إحدى دور النشر الفرنسية الرصينة ، وهي دار عرفت بالموضوعية والاتزان في ما تنشره وتوزعه ، ليس في فرنسة فحسب ، بل في أنحاء العالم .

تناول الكتاب « الأبعاد السياسية » للحركة الصهيونية ، وسلط الأضواء على جذورها ، ونشأتها ، وأبرز العاملين في سبيل بلورة أفكارها .

ولا بد من التذكير أن « الصهيونية » تعبير أطلقه الصحفي الألماني اليهودي « ناتان بيرنبوم » عام ١٨٩١ م ، ثم حدده في مؤتمر عام عقد في ٢٣ كانون الثاني (يناير) ١٨٩٢ ، ومنذ ذلك الوقت أخذ تعبير « الصهيونية » طريقه ، وانتشر عبر وسائل الإعلام المختلفة .

الجيتو :

عاش يهود أوربة في القرو[illegible] في ظل قانون استثنائي ، [illegible] الأجانب » ، وهو قانو[illegible] أحياتهم الضيقة الم[illegible] حيث كانوا معزولين فكري[illegible] [illegible]معات الأوربية التي تحيط بهم ، وكانوا يمارسون في أحيائهم طقوسهم الغريبة ، وكأنهم وحدة اجتماعية مستقلة .

لقد استمرت هذه الحالة طوال قرون ، حتى اندلاع الثورة الفرنسية « ١٧٨٩ م » التي رفعت شعارات : المساواة والعدالة والحرية ، وغيرها من المبادىء التي هزت العالم حينذاك . تأثر اليهود بهذه المبادىء ، فطالبوا بتحطيم نظام « الأحياء اليهودية » الذي اشتهر باسم « الجيتو » ، فتم لهم ما أرادوا . غير أن غالبية اليهود الذين كانوا يسكنون في أوربة الشرقية بقوا على حالتهم ، وتعرض اليهود في روسية إلى مشكلات في أعقاب اغتيال الامبراطور الكسندر الثاني (١٨٨١ م) ، فبدأت موجة من الأعمال الانتقامية ضدهم ، وأدى ذلك إلى فرض قيود جديدة على يهود روسية الذين عاشوا في نوع خاص من « حارات اليهود » عرف باسم « رقعة الاستيطان » .

ويمكن القول بأن النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي شهد حصول يهود أوربة الغربية على نوع من الحرية ، بينما بقي يهود أوربة الشرقية يراوحون في جمودهم ، ولم يتم « تحررهم » إلا في العقد الثاني من القرن العشرين .

وبسبب الثورة الفرنسية وغيرها بدأت الظاهرة « القومية » تنتشر في أوربة ، وراح المفكرون القوميون يستحثون اليهود على الالتحاق بهم ، بعد أن تحطمت « الأحياء اليهودية » ، وأتاحوا المجال أمام اليهود للاندماج في المجتمعات الأوربية ، ولكن فور حدوث لقاء بين الجماعات اليهودية والمجتمعات الأوربية بدأت الفروقات العميقة بين الطرفين ، سواء على الصعيد اللغوي أو الاجتماعي أو الطبقي . وشاركت الحركات القومية الأوربية في تعميق هذه الخلافات بتأكيدها على قومياتها الخاصة ، وعدها الجماعات اليهودية في أوربة مجرد مجموعة من الدخلاء .

مؤتمر بال

وحين اكتشف « اليهود » أن قوى « التحرر » أعطت نتائج عكسية ، حيث تعمقت « اللاسامية » ، راحت تظهر في الجماعات اليهودية ردود فعل متعددة ، هدفها إيجاد حلول للقضية اليهودية .

وشارك عدد من المفكرين اليهود في بلورة الفكر الصهيوني ، ومن أبرز هؤلاء المنظرين : الحاخام زفي هيرش كاليشر ، وموسى هيس وليوبنسكر وثيودور هرتزل .

ولا شك أن هرتزل كان أنشط هؤلاء في بناء « الفكر الصهيوني » .

يرى المؤلف أن اليهود الغربيين كانوا وراء « البناء الأيديولوجي للصهيونية السياسية » ، بينما قدم لها اليهود الشرقيون « بعدها الروحي » .



ثيودور هرتزل

ومن خلال اللقاء التاريخي والجغرافي لهذين التيارين (الغربي والشرقي) تشكل الطرح الذي أدى إلى انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بال بسويسرة عام ١٨٩٧ م ، حيث تم وضع أسس بناء المنظمة الصهيونية العالمية .

في التاسع والعشرين من آب (أغسطس) ١٨٩٧ م افتتح ماركس ليبي المؤتمر ، حيث ناقش المؤتمرون قضايا مهمة ، منها البرنامج الصهيوني الذي عرف لاحقاً ببرنامج بال ، وإعلان قيام المنظمة الصهيونية العالمية . وفي ختام المؤتمر تم انتخاب مجلس عام يتكون من ثلاثة وعشرين عضواً .

هنا لا بد أن نلاحظ أن المؤتمر الصهيوني الأول تميز بمسألتين :

ـ الأولى : أنه تصرف وكأنه مؤتمر تأسيس ، وأنه أعطى الحياة لمنظمة أصبح هو نفسه جزءاً من جهازها التشريعي .

ـ الثانية : أن المشتركين في أعماله لم يكونوا مندوبين ـ شرعيين ـ حيث إنهم لم ينتخبوا من قبل يهود العالم ، وبالتالي فإنه لا يحق لهم النطق ، والتعبير عن مشاكل اليهود وطموحاتهم .

أدرك جميع زعماء الحركة الصهيونية ضرورة قيام تنظيم قوي مركزي مستمر ، غايته جمع شمل اليهود المؤمنين بالفكرة الصهيونية وأهدافها ، غير أن صعوبات جمة واجهت هؤلاء الزعماء ، منها صعوبات سياسية وأخرى جغرافية واقتصادية ، وهكذا .

على أن من جملة هذه الصعوبات مسألة غاية في التعقيد ، هي :

رفض كثير من اليهود أنفسهم للصهيونية ، وعلى الرغم من هذا سار زعماء المنظمة الصهيونية في تنفيذ ما اتفقوا عليه ، ففي عشية انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول كتب هرتزل :

« في بال وجدت الدولة اليهودية » .

وأضاف في مذكراته اليومية الخاصة ، حول

الموضوع نفسه :

« لو قلت ذلك اليوم بصوتٍ عالٍ لأثرت موجة من الضحك والسخرية . ربما سيحدث هذا بعد خمس سنوات ، لكنه بعد خمسين عاماً سيكون محتماً ، وسيعترف الجميع بذلك » .

شكل المؤتمر الصهيوني الأول أجهزة لتنظيم الحركة الصهيونية ، وتعرضت تلك الأجهزة للتغييرات والتعديلات ، حسب الظروف الخارجية والداخلية ، وبعد المؤتمر مباشرة أقيمت في كل بلد من بلدان أوربة منظمات فرعية ، تضم جماعات يهودية ، وشمل هذا أمريكة الشمالية والجنوبية والشرق الأوسط ، ومن ضمنه الأقطار العربية والدول الإسلامية .

وفي ١٨٩٨ م نشأت اتحادات صهيونية في الولايات المتحدة وكندة ، كما تأسست الاتحادات الصهيونية في بريطانية (١٨٩٩ م) .

مؤتمرات ومخططات

وفي آب (أغسطس) ١٨٩٨ م عقد المؤتمر الصهيوني الثاني الذي بلغ مجموع أعضائه أربعمائة عضو ، أي ضعف عدد المشاركين في المؤتمر الأول ، وبعد ذلك بعام واحد ، عقد المؤتمر الصهيوني الثالث ، وتميز بزيادة عدد المشاركين . وكان ذلك نتيجة لازدياد عدد أعضاء المنظمة الذين بلغت نسبة زيادتهم الثلث في روسية ، والربع في البلاد الأخرى ، مقارنة بعدد الأعضاء المشاركين في المؤتمر الثاني . وكان أهم قرار للمؤتمر الثالث تبني الأجهزة الدائمة للمنظمة التي حلت مكان الأجهزة المؤقتة .

وفي المؤتمر الصهيوني الرابع الذي عقد في آب (أغسطس) ١٩٠٠ م ، تبين أن عدد الجمعيات الصهيونية في بريطانية قد بلغ ٣٩ جمعية ، بينما لم يكن يتجاوز العشر . وفي الولايات المتحدة ارتفع العدد إلى ١٣٥ جمعية ، وهكذا زاد عدد الجمعيات الصهيونية نتيجة لنشاط اليهود المدروس .

وشهد المؤتمر الصهيوني الخامس الذي عقد عام ١٩٠١ م ، ظهور الحزب الصهيوني الأول الذي عرف باسم « الجناح الديمقراطي الصهيوني » .

واتخذ المؤتمر قرارات خطيرة لتنفيذ المخطط الصهيوني ، لعل أهمها :

- إنشاء الصندوق القومي اليهودي الذي عهد إليه (شراء) أرض فلسطين .

وعمل هرتزل على إقامة « بنك صهيوني » وأوضح أهمية ذلك المصرف في « استيطان فلسطين » ، وذلك في كتابه : « الدولة اليهودية » .

وقد شهد هذا المصرف (البنك) الذي أطلق عليه اسم « صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار » النور عمليا عام ١٩٠٠ م .

وعندما انعقد المؤتمر الصهيوني السادس (١٩٠٢ م) كان هذا المصرف الصهيوني قد حقق ربحاً مقداره ستة آلاف جنيه ، ثم تم إنشاء مصرف فرعي للصندوق في يافا بفلسطين ، برأسمال مقداره ٥٠ ألف دينار ، وقد حمل هذا المصرف اسم « البنك البريطاني - الفلسطيني » .

في هذا الوقت استفادت الحركة الصهيونية من مشاركة اليهود في الحركات الثقافية والاجتماعية والسياسية ، خاصة في القرن التاسع عشر ، وذلك إثر ابتعادهم عن « النزعات التقليدية » ، وبدأ العديد من مثقفي اليهود الابتعاد عن « الأرثوذكسية » التي بدت لهم مرتبطة إلى حد كبير بفكرة « الجيتو » .

كان « سبينوزا » المفكر الهولندي المرفوض من قبل السلطة الدينية اليهودية (الحاخامية)

يجسد المفكر الحر الذي يطالب بالحرية الفكرية ، ورفض الممارسات العتيقة لليهود ، وفي الوقت نفسه انخرط اليهود في المجتمعات الأوربية بشكل واسع .

إن تأكيد المؤلف على هذه المؤثرات الفكرية والفلسفية ، يهدف إلى اعتبار أن :

الصهيونية كمشروع سياسي حديث ، يأتي نتيجة التميز عن النزعة اليهودية التقليدية .

وبشكل آخر يؤكد المؤلف ، أن فكرة إقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين ، كانت فكرة سياسية غربية ، استخدمت الصهيونية الدينية والثقافية ورقة رابحة .

وفي ختام الكتاب يعقد المؤلف مقارنة بين « الحركة الصهيونية » و « حركة القومية العربية » ، فيقول :

« إذا كانت الحركة الصهيونية قد ظهرت متأخرة في أوربة ، فإن الحركة القومية العربية هي - على العكس - من أولى حركات التحرر في العالم الثالث » .

ويقرر « بواييه » أيضا ، أن اليهود ليسوا مالكين مقدراتهم بأنفسهم ، إنهم في كل مكان خاضعون لسلطات ليست يهودية ، غريبة عنهم ، إنهم مستغلون مادياً ، قلقون .

كذلك يوضح المؤلف الضغوط التي مارستها الصهيونية وتمارسها بمنظماتها على اليهود . إذ يتوجب على كل يهودي ، سبق أن أقر برنامج مؤتمر « بال » ، أن يدفع مبلغاً من المال بالعملة المحلية للبلد الذي يعيش فيه ، وقد شكل « التنظيم العالمي » للحركة الصهيونية مصدر قوتها الرئيس بين مختلف التيارات اليهودية ، على الرغم من أنها كانت « أقلية » في البداية .

وفي الختام يعترف المؤلف بأنه لم يعط الموضوع حقه في الدراسة ، إذ « لم تكن فلسطين حقيقة بمثابة أرض بدون شعب » ، بل « إن الحركة القومية العربية كانت قد بدأت تؤكد وجودها هناك » . □

إلى أن نلتقي

كأنهم في حياتهم نوارس

آخر ما يراه المسافر بحراً من موانيء الانطلاق ، ليس رؤوس البنايات العالية ، وليس رؤوس المنارات والفنارات ، أو حتى رؤوس الجبال العالية ، بل هو النورس . ذلك الطائر الذي اتخذ من البحر موطناً له ، وملعباً وملجأً ومجال حياة .

وأول ما يراه المسافر بحراً عندما يقترب من اليابسة ، ليس المنارات أو رؤوس الجبال ، بل هو النورس ، ذلك الطائر الذي يقترب في حجمه من طائر الحمام ، والذي لا يكل عن الطيران والتشاقي وركوب الموج . نعم ركوب الموج !

راقبت ذلك جيدا ذات مرة ، فرأيت أجساماً غريبة قد حطت على الموج ، لقد اقترن اللون الأبيض بزرقة البحر ، فاعتقدت لأول وهلة أنه لون الموج ورغوته البيضاء ، فاقتربت أكثر . فإذا هي صفوف من مئات النوارس بألوانها البيضاء ، الموشاة أجنحتها وأعرافها ببقع سوداء أو بنية ، قد حطت على سطح الموج ، وأخذ بعضها يفرد أجنحته ويغمسها بالماء ويرفرف ويتشاقى ، وبعضها كان ينقر بعض ما يطرحه الإنسان أو البحر من أكل وأعشاب وغيرها . . . كانت صفوف طويلة وكثيرة تفعل ذلك ، تعيش وتمضي ، وتتابع دورة حياتها على الرغم من عصف الموج وهيجانه أحياناً ، أو شدة الريح وتقلباتها أحياناً أخرى ، فأدركت حينئذٍ أنه حتى الموج المتقلب الهادر ، الغدار يمكن اتخاذه وطناً ! نعم وطناً ، فهل رأى أحدكم نورساً خارج محيط الموانيء والبحار !؟

وإذا ما كانت النوارس توجهها غرائزها للعيش واختيار هذا النوع من الحياة ، فإن الإنسان المبدع ، كان دائماً وأبداً ، ومنذ أن نشأت الحياة ، يملك قدرة اجتراح معجزات البقاء والاستمرار ، وتجنب كل ما يهدد حياته من أخطار الطبيعة ، أو الأخطار التي تخرج من بين يديه ، أو هي من نتاج عقله وملكاته نفسها ، التي وجهتها الأهواء والغرائز ونزعة التدمير وحب الذات المتوحشة .

وإذا ما كانت النوارس هي بشير المسافر أو الغريق أو التائه عند اقترابه من اليابسة واحتمالات نجاته وعودته إلى ممارسة دوره في الحياة ، فإن بعض الأفراد من بني البشر يمارسون النورس نفسه في الحياة تشبثاً بالوطن والمبادىء ، وتبشيراً بالآتي والحياة الأفضل . □

سليمان ؟

العربي

ذو القعدة ١٤١٠ هـ - يونيو (حزيران) ١٩٩٠ م

■ الزيتون.. ثروة تونس الأولى!



على بعد ٦٠٠ ميل الى الشمال من الدائرة القطبية الشمالية ، قطعة جليد كدية تشق طريقنا في البحث عن الصحيفة - بريد الباين .

البحث عن حطام سفينة تحت جليد القطب الشمالي ليس من شأن الغوّاصين العاديّين ، ولا من شأن السّاعات العاديّة

"هناك سفينة في مكان ما". والمكان المشار إليه قاع البحر في مضيق لانكاستر على بُعد ٦٠٠ ميل إلى الشمال من الدائرة القطبية الشمالية.

السفينة هي "بريد الباين" التي احتجزها الجليد وحطمها وأغرقها سنة ١٨٥٢ وكان المتكلم الدكتور "جو ماك اينيس"، أول عالم غاص تحت القطب الشمالي، وهو الذي أنشأ "سوب - ايغلو"، أول محطة بُنيت تحت المياه القطبية.

الدكتور ماك اينيس مع مركبته الموجهة من بُعد.

كان "جو ماك اينيس" مأخوذاً بفكرة تعويم السفينة "بريد الباين" أبعد سفن العالم الغارقة في الشمال. لكن كان عليه أولاً تحديد موقع غرقها بالضبط.

في أصقاع تنخفض حرارتها إلى خمسين درجة تحت الصفر، ورياح جليدية تخفض الحرارة إلى ٧٠ درجة مئوية تحت الصفر، فيما كتل الجليد تهدّد دوماً بعرقلة المعدات الحسّاسة، كان البحث في أعماق المياه القطبية المظلمة تحت الجليد تحدّياً تقنياً بالغ المشقة.

والتحدّي بالنسبة إلى الغواصين هو البرد وهو شديد درجة أن استنشاق قطرة صغيرة واحدة من ماء البحر يؤ إلى تقلّص الحنجرة فالاختناق

استغرق تحديد موقع السفينة "بريد الباين" أربعة مو صيف قطبية ، وأخيراً توصّل "ماك اينيس" بجهاز سونار للاس الجانبي إلى التقاط شكل سفينة في وضع قائم ، اث من صواريها منتصبان على عمق ٥٧ قامة .

وكانت لحظة ابتهاج بالغ .

وصرح "ماك اينيس" قائلاً: "الآن وجدتها وددت لو استطعت لمس لكن الغوص تحت الجليد القطبي في الأعماق الصقيعية المظلمة لا ير الإقدام عليه بخفة .

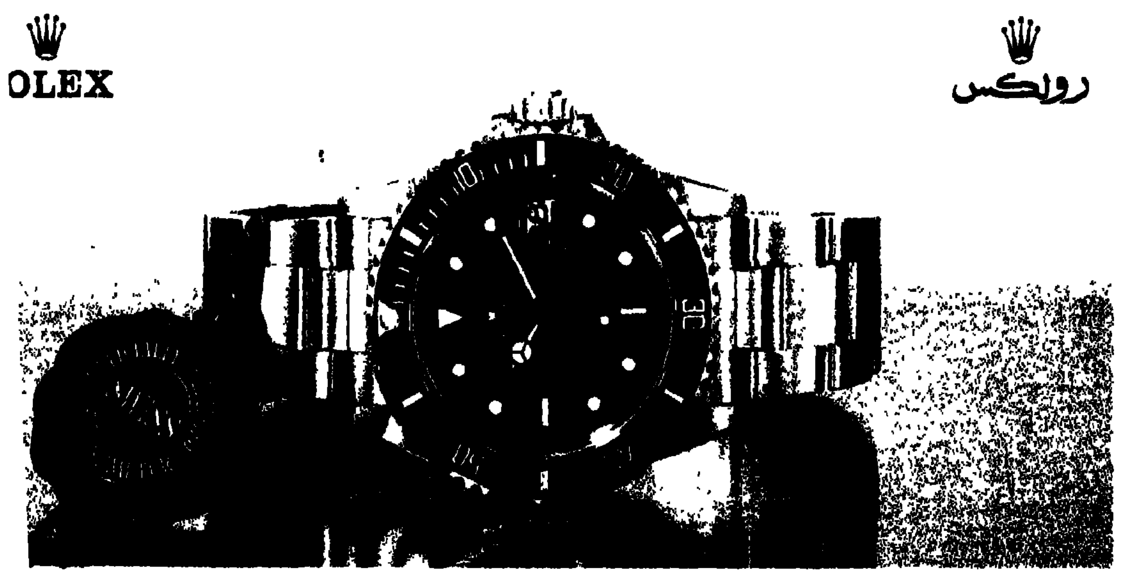
أولاً التقطت على السطح صوّر بثّتها الكاميرات. وتبيّن أنّ الدلائل الأولى أوحت بها صحيحة عندما رفع "جو ماك اينيس" ورفاقه إلى سطح البحر سفينة سليمة . فالبرد الذي كان مصدر خطر دائم على البحّارة ا حفظ السفينة من التلف طوال ١٢٨ سنة .

لابُدّ من ساعة غير عادية للعمل في البحار القطبية حيث السا بالاعتماد قد تكون الفارق بين الحياة والموت للغواصين .

منذ ١٥ سنة يعتمد الدكتور "جو ماك اينيس" على ساعة رولكس ص وهو يقول : "حملتها في كل مكان ، من القطب الشمالي إلى البحر الأحمر" ، انتظار معرفة المكان الذي فيه سيغوص بها في المرة التالية.

رولكس

OLEX



ساعة رولكس صبمارينر ديت كرونومتر من فولاذ لا يصدأ ، أو من الذهب عيار ١٨ قيراطاً ، أو من الفولاذ والذهب عيار ١٨ قيراطاً.

العدد ٣٧٩ السنة الثالثة والثلاثون - يونيو ١٩٩٠



مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL - ARABI
Issue No 379 - June 1990, P.O.Box: 748
Postal Code No. -13008 Kuwait.
A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information
State OF Kuwait.

عنوان المجلة
العربي
ص.ب: ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 الكويت
تلفون: ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٤٧١٤١
برقيًا: "العربي" - الكويت
تلفون فاكسملي: ٢٤٢٤٣٧٥ - تلكس: MITR. 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الاعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الاعلانات

الاشتراكات
ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - الإعلام الخارجي
وزارة الإعلام - ص.ب: ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة
مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٦ د.ك أو ٢٠ دولارًا باقي دول العالم ٨ د.ك أو ٣٠ دولارًا

ثمن النسخة

الكويت ٣٠٠ فلس	تونس ٥٠٠ مليم	سوريا ١٥ ليرة
العراق ٤٠٠ فلس	الجزائر ٥ دنانير	الامارات ٧ دراهم
الأردن ٢٥٠ فلسًا	السعودية ٦ ريالات	المغرب ٥ دراهم
البحرين ٤٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٦ ريالات	ليبيا ٥٠٠ درهم
اليمن الجنوبي ٣٠٠ فلس	قطر ٧ ريالات	أوروبا: جنيه استرليني ونصف
مصر ٣٥ قرشًا	سلطنة عُمان ٤٠٠ بيسة	فرنسا ٢٥ فرنكًا
السودان ٢٥ قرشًا	لبنان ٥٠ ليرة	أميركا ٣ دولارات
موريتانيا ٨٠ أوقية		



محتويات العدد



● نقاد احسان عبدالقدوس .... [ص ٤٦]

● زامبيا : الضعفاء يأكلون الحصرم ..... [ص ٧٤]

[illegible]

[illegible]

استطلاعات مصورة :



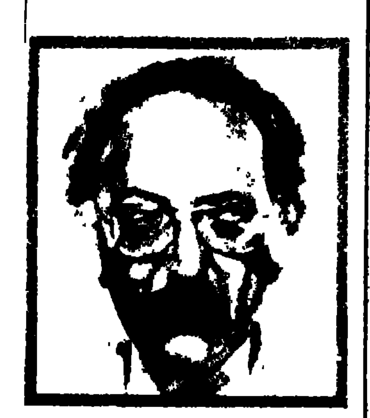
[illegible] وعلوم :

أدب وفنون :



● إشتهرت تونس منذ القديم بكثافة إنتاجها من الزيتون ، اذ تحتل المساحة المزروعة به ما يعادل ثلث المساحة الكلية تقريبا من الأراضي الزراعية .

[طالع الاستطلاع ص١٣٢]



● وجها لوحه :

دريد لحام وحسن يوسف

[ص٩٧]



● من دفتر الذكريات

د . عبدالعزيز كامل :

عاش بين العقبات والآمال

[ص٢٠]



● [illegible]

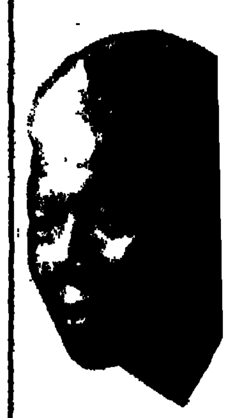
المجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر والوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء



● عصر سلاطين المماليك [ص٥٨]

منتدى العربي :

تاريخ وتراث أشخاص :



● مانديلا : أنا المتهم الأول [ص٦٦]

مكتبة العربي :

أبواب ثابتة :

صورة الغلاف

في وطننا العربي تبدو تفاصيل الواقع التعليمي مخيبة لكثير من الآمال. عن التحدي القادم في القرن الحادي والعشرين يتحدث الدكتور حسن الابراهيم عن واقع مجتمعنا العربي، وطريقنا للخروج من المأزق .

[طالع ص ٢٤]

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

عزيزي القارئ

قراءة تستحق الكتابة عنها

نحن في « العربي » نعمل جاهدين لنقدم لك أفضل ما يمكن تقديمه على صفحات مجلة ثقافية ، تسعى إلى التنوير والتثقيف ، رائدها الأساس هو الموضوعية ، ونتحرك في هذه الموضوعية من خلال إطار له أربعة أضلاع :

الضلع الأول : أن أسرة العربي تتابع بانتظام ما يصدر في المجلات العالمية المشابهة لمجلتنا أو القريبة منها ، ندرسه بدقة ، ونستفيد من ايجابيات ما نطلع عليه .

والضلع الثاني : هو ذلك التدفق من الرسائل الكثيرة التي تصلنا من قرائنا في داخل الوطن العربي الكبير وخارجه ، يقترحون أو ينتقدون أو يتعرضون لبعض ما ننشر ، ونتعلم نحن من كل ذلك ، بل إن بعضهم يكلف نفسه ، إن أعجبه موضوع ، بالاتصال هاتفيا من أماكن بعيدة أو يستخدم « الهاتف المكتوب » « الفاكسميلي » .

والضلع الثالث : هو أن « العربي » قد استنت سُنة حميدة في الكتابة إلى كل من ينشر فيها مقالاً أو قصة أو موضوعا ، تطلب منه فيها إبداء رأيه في الموضوع الذي نشر ، ورأيه العام في موضوعات المجلة ، ويستجيب كتابنا أيضا بآراء وأفكار جديدة .

وهناك أخيراً : الحوار الديمقراطي الذي تقيمه أسرة التحرير ، تناقش فيه وتقترح ، دون قيود وبلا تحفظ ، مجمل سير عمل المجلة ، في سبيل أن نحصل على الأفضل من أجل تدعيم مسيرة هذه المطبوعة . إن هدفنا من كل ذلك أن نقدم مادة مقروءة تستحق النشر ، تفيد وتضيف جديداً .

وسوف تجد أيها القارىء في هذا العدد جهداً متكاملاً - كما وجدت في أعداد سابقة - فهناك قضية التربية والتعليم التي تؤرق [illegible] جميع التربويين والتنمويين في بلادنا ، كتبها مرب ومسهم في التعليم هو الدكتور حسن الابراهيم عن « العرب والتربية في القرن القادم » .

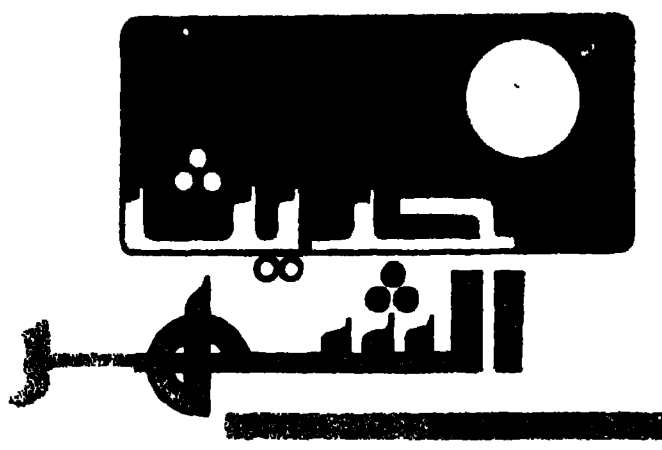
وفي اطار النقد الذي كنا دائما نطالب به ننشر مقالاً نقديا ، كتبه لنا الدكتور غالي شكري عن الراحل احسان عبدالقدوس .

وفي ملف الابداع العربي هناك موضوعان عن الرواية في كل من فلسطين والعراق ، وفي الاستطلاعين نأخذك في هذا العدد إلى أفريقيا شمالا في تونس ، كي نتعرف على زراعة الزيتون وصناعته ، وجنوبا إلى زامبيا المحاذية لجنوب أفريقيا . وعن الرهاب ، وطبائع البشر ، تجد موضوعين نفسانيين اجتماعيين . وفي « وجها لوجه » نقدم لأول مرة لقاء مع فنان اختار التمثيل أداة ليوصل رسالته ، ويعبر عن آرائه ، لتقول من خلال نشر اللقاء : إننا مع الفن الجاد الملتزم الهادف .

وفي هذا العدد أيضا مقال يعرض لمسيرة المناضل الأفريقي نلسون مانديلا الذي خرج من سجن بعد أن سُجن مدة طويلة ثمناً لمبادئه ودفاعاً عن أفكاره ورفضاً للتمييز والتفرقة العنصرية . ويثير الدكتور عبدالمنعم النمر قضية الفتاوى والأحكام الاسلامية وضرورة مسايرة الفتوى لطبيعة العصر وروحه .

إنه عدد يجمع بين المتعة والفائدة ، موضوعاته تدفع إلى التفكير ، وتضيف إلى رصيد المعرفة جديداً . هذا ما نسعى إليه ، وإليه نأمل ونحاول . □

« المحـــرر »



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

تباشير الديمقراطية في الكويت



ما أن يصل هذا العدد من «العربي» إلى أيدي القراء حتى تكون الاستعدادات قد اكتملت ليعقد المجلس الوطني الكويتي أولى جلساته ، بعد أن يقوم الشعب الكويتي بالتوجه إلى صناديق الاقتراع ، لاختيار أعضاء للمجلس الذي أنيط به ، من ضمن أمور أخرى ، النظر في تخطيط مسار المشاركة الشعبية في هذا القطر العربي .

ليس هناك أهم ولا أخطر من هذا الموضوع (الديمقراطية) الذي تحدثنا عنه كثيرا في هذا المكان ، إما بالتصريح أو بالتلميح ، من حيث الجغرافيا البعيدة أو القريبة ، أو من حيث التاريخ البعيد أو القريب ، والحديث لازال مطروحا هذه الأيام ، وهو مطروح بشدة لدى الأقربين ، من الجزائر إلى تونس ، إلى مصر ، إلى الأردن ، إلى أقطار عربية عديدة ، وهو أيضا مطروح لدى الأبعدين في أماكن كثيرة من العالم ، في أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتي ، ودول آسيوية وافريقية ، بل حتى في أوربا الغربية ، إنه حديث العالم . فحري بنا أن نتدارس الموضوع صيغته الكويتية ، وهي بالتأكيد جزء لا يتجزأ من التجربة العربية والدولية



● الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح أمير دولة الكويت

تتداخل بعض دوائرها ببعض إلى حد التشابه ، ويختلف بعضها عن بعض إلى حد الخصوصية .

إن الديمقراطية والمشاركة هما صيحة العصر ، وما حدث في الكويت تجربة ناصعة البياض من مدخلاتها الكثيرة في التفكير والمأسسة والتطبيق .

لها ثوابت واضحة المعالم ، ولها طرق ووسائل متغيرة بتغير الظرف الزماني والمحيط السياسي والاقتصادي ، وهي لا تنبع أساسا من فراغ ، فالكويت أحد الأقطار العربية التي لها جذور تاريخية طويلة في المشاركة ، هذه الجذور لها شواهد تثبت صحتها وقوتها أكثر فأكثر كلما حلت بالكويت أزمة ، أو أحاطت بها خطوب ، وكلما انتقلت من طور إلى طور أفضل في مسيرتها السياسية والاجتماعية ، ولا حاجة بنا إلى الغوص في تاريخ هذا المجتمع لفترة طويلة من الزمن ، من أجل تحديد هذه الثوابت في المشاركة ، يكفي أن نعرف ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ أن الصيغة التي ارتضتها الكويت ، منذ فجر الاستقلال في مطلع الستينيات ، صيغة قد أرست نصاً كل ما كان ممارسات عرفية ، ارتضاها المجتمع منذ فترة طويلة ، وهي كذلك ، فالنصوص في المجتمعات لا تسبق الممارسات ، بل إن الممارسات تسبق النصوص والدساتير ، وتأتي منسجمة مع ما ارتضته الجماعة ، والمجتمع الحي يغير النصوص متى ما تغيرت الظروف ، فهو الذي يقيدها ، لكنها ـ النصوص ـ لا تقيده .

وفي العقود القليلة الأخيرة تعرضت الكويت لمجموعة من المتغيرات الداخلية والإقليمية ، وأصبحت أولوياتها الحفاظ على الوطن ، وهو الأصل قبل أي شيء آخر . وكان المزاج الكويتي كله متوجهاً نحو الحفاظ على الكيان ، وعلى البلاد التي كانت تهددها نذر الخطر ، ولم يكن مزاجها محبذاً للدخول في التفاصيل ، فالحفاظ على الأرض والوطن أولى من الحفاظ على ممارسة قد يختلف عليها بعض مع بعض أو قد يتفقون .

ولم يكن المزاج الكويتي العام يقبل ، ولم يكن الظرف العام يسمح بالحديث في شيء آخر عدا الحفاظ على الوطن ، فقد تعرضت الكويت ـ ربما أكثر من أي قطر عربي على ضفاف الخليج العربي في السنوات الأخيرة ـ لكثير من الأزمات التي نبعت نتيجة اضطراب شديد في المحيط الإقليمي ، واستطاعت بثبات أعرافها وتماسك جبهتها الداخلية أن تتخطى كل تلك العقبات والاضطرابات .

ويكفي أن نشير هنا إلى اضطراب منطقة الشرق الأوسط ، والتغيرات الجذرية التي أحاطت بالثوابت السياسية العربية في السبعينيات والثمانينيات التي وضعت الوطن العربي كله ضمن دائرة الخطر ، وقد يكفي أيضا التذكير بأن الكويت قد تعرضت حتى إلى محاولة اعتداء على حياة أميرها ، الشيخ جابر الأحمد الصباح ، لا لشيء سوى أن الكويت قد مارست استقلاليتها الكاملة ، وقدمت قوة منطقها العربي والإسلامي على منطق القوة الإقليمي ، وتعرضت بعد ذلك وقبله إلى اختطاف طائراتها ، وترويع آمنيها ، بل والاعتداء على أراضيها . في هذه الحالة الكبيرة من الاضطراب التي شملت الإقليم كله لم تفقد الكويت ، قيادة وشعباً ، نظرتها الثاقبة المستمرة على الثوابت ، داخلية كانت أو خارجية .

وعندما اضطرت القيادة السياسية إلى وقف العمل ببعض مواد دستور ١٩٦٢ في يوليو ١٩٨٦ ، كانت الأسباب بينة ، والنوايا أيضا واضحة ، فالأسباب في مجملها كانت تعرض الكويت ، وهي قريبة من خطوط اشتعال الحرب الضروس حينذاك بين الجارتين ، العراق وإيران ، تعرضها إلى بعض شواظ هذه الحرب ، وظهرت الأسباب المادية في مجموعة الأحداث الاقتصادية والأمنية والسياسية . كانت فترة محن وظروف قاسية وساعة عسرة ، لم تجد القيادة السياسية إذ ذاك مناصا من وقف العمل ببعض مواد الدستور الذي ارتضاه الجميع حكما ومرجعا لتنظيم الحياة بأشكالها المختلفة في الكويت . وكما كانت الأسباب بينة لكل ذي بصيرة ، فقد كانت النوايا واضحة أيضا ، وقد تجلت في خطاب أمير الكويت بكلمات معدودة ، تكشف عن النوايا الخيرة ، فقد قال سموه : «إننا بعون الله وتوفيقه لن نتخلى عن مسيرتنا النيابية التي آمنا بها بما يكفل المحافظة على الكويت وشعبها ، ويعمق مشاعر الحب والتضحية لهذا الوطن ، ويحفظ وحدته من أي انقسام ، كي يكون سداً منيعاً أمام المؤامرات التي تريد النيل من صلابته» .

لقد استخدم سموه في هذا النص مفهوم «مسيرتنا النيابية» ، والنيابية هنا لها



● الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الكويتي

معنى واضح ، وهو أنها أحد ثوابت التواصل السياسي القادم .

أي العودة إلى الناس كي يقرروا هم من خلال ممثليهم ، توجهات الكويت الداخلية والخارجية .

وحتى إبان الغياب المؤقت للحياة النيابية كان هاجس القيادة الكويتية هو دعم الثوابت هذه ، فقد صرح أمير الكويت في الأشهر الأخيرة من العام الماضي ، بأننا في التسعينيات مقبولون على «نقلة نوعية» ، من أجل نقل الممارسة التنموية الكويتية إلى آفاق أرحب .

تلك بعض النوايا المعلنة الواضحة التي تمثل تراثا في هذا الجزء من الوطن العربي ، حافظ عليه الآباء والأجداد وقد كان الدافع الأساس ولا يزال هو أن ليس لنا خيار إلا أن ينتصر الوطن ، فهو الأبقى .

الاستقرار والإشباع الاجتماعيّ :

إن الاستقرار الذي حظيت به الكويت ، ومكنها من التغلب على العقبات الناتجة عن تغيرات شديدة في المحيط الإقليمي والدولي ، كان نابعا أساسا من قوة المشاركة الشعبية وعمقها ، وقد تدرجت من تواصل مفتوح بين الحاكم والمحكوم إلى دستور ثابت مقنن ، قائم أساساً على التراضي الطوعي الذي مكنها خلال ثلاثين سنة ماضية من تحقيق ما أمكن تسميته دولة الرفاه الاجتماعي ، إلى حد

جعل بعض المراقبين الاجتماعيين يعتقدون بأن المشاكل والقضايا التي لا يمكن حلها في الكويت ، قليلة على عظم المشاكل والقضايا التي تواجهها نتيجة للتطور السريع .

وعندما ننظر إلى مسيرة الخدمات الاجتماعية ، من تعليم وخدمات صحية وخدمات إسكان ومياه وكهرباء ودعم للسلع الاستهلاكية الأساس ، نعرف كم تحقق حتى الآن في هذه المسيرة من إيجابيات ، وبمقارنة الأرقام المتوافرة مع مثيلاتها في الدول الأخرى ، إقليميا وعالميا ، نجد التجربة مثيرة للاهتمام ، وجديرة بالإعجاب ، فمتوسط نصيب الفرد من الدخل القومي يبلغ ، وفق تقارير البنك الدولي عن عام ١٩٨٨ ، ١٣٨٩٠ دولاراً أمريكياً ، وهو بذلك أكثر من مثيله في كل من اسبانيا ، ونيوزيلندا ، وايطاليا ، والمملكة المتحدة ، وبلجيكا ، وهولندا ، وفرنسا ، والمانيا الاتحادية ، والدانمارك ، واليابان ، والسويد . والكويت بهذا المعدل هي سادس دولة في العالم كله من حيث متوسط نصيب الفرد من الناتج القومي .

وعلى مستوى الخدمات فإننا نجد في قطاع، كالتعليم مثلاً ، أن نسبة الاستيعاب في الكويت ، في المرحلة الابتدائية ، تصل إلى ٩٥٪ ، بينما يصل متوسط النسبة للمرحلة نفسها في الأقطار النفطية العربية ٨٠٪، وفي بلدان العالم الثالث ٧٤٪ ، وفي مرحلة التعليم الثانوي تبلغ نسبة الاستيعاب في الكويت ٨٣٪ ، بالمقارنة مع الأقطار النفطية العربية التى تصل النسبة لديها ٤٢٪ ، وفي بلدان العالم الثالث تتراوح بين ٣٠٪ - ٥٥٪ .

وفي مجال الاسكان قفزت إسهامات الدولة من٤٨ ألف مسكن عام ١٩٦١ ، إلى ٢٣٠ ألف مسكن عام ١٩٨٥ ، بالإضافة إلى قروض الإسكان التي تقدمها الدولة للمواطنين ، وهي قروض بدون فوائد ، وعلى فترة سداد تمتد أجلا طويلا ، بأقساط ميسرة ، تتناسب مع أقل الدخول للمواطنين . وتقدم الحكومة نوعين من القروض ، فهناك قرض نقدي للمواطنين ، لبناء بيت أو لشرائه جاهزاً ، ويقدم لهم بنك التسليف والادخار مبلغ ٥٤ ألف دينار كويتي (حوالي ١٨٣ ألف دولار) ، ويسدد المستفيد ٦٥ دينارا كويتياً كل شهر (٢٢٠ دولارا) . وهناك المساكن التي تبنيها الحكومة ، وتقدمها لمستحقي الرعاية السكنية ، وتبلغ قيمة المسكن الواحد منها ٤٠ ألف دينار (١٣٦ ألف دولار) ، ويسدد المستفيد الثمن أقساطاً حدها الأقصى ٤٠ ديناراً كل شهر (١٣٦ دولاراً) ويتألف المسكن من هذا النوع من طابقين ، وغرفة استقبال ، وغرفة طعام وغرفة معيشة ، وديوانية ، وثلاثة حمامات ، ومطبخ و ٤ غرف للنوم ، وموا[illegible] للسيارات ، وحديقة صغيرة .

كما تقدم الحكومة بدل إيجار لمن لم يصلهم دور الرعاية السكنية . [illegible]
[illegible] الانتظار حتى توزع عليهم المساكن . وتبلغ قيمة هذا [illegible]

فتيــــة الديمقراطية ليست في نيل حقوقك فقط ولكن سيطة سماحك للآخرين أيضا بأن يأخذوا حقهم منك

دينار كويتي شهرياً (٣٥٠ دولارا) . وقد تصل فترة الانتظار إلى قرابة خمس سنوات في بعض المناطق ، بينما لا تتجاوز عامين في مناطق أخرى .

وفي قطاع الصحة حققت الحكومة مستوى رفيعا في تقديم الخدمات الصحية ، ففي الكويت الآن ١٧ مستشفى ، تضم ٥٤٤٠ سريرا ، و٦٢ مستوصفا ، لتقديم الخدمات الصحية الأولية ، بالإضافة إلى العيادات المتخصصة والمدرسية ، وقد بلغ الإنفاق الحكومي على هذا القطاع في عام واحد قرابة ١٩٦ مليون دينار ، وبجانب ذلك فهناك المراكز الصحية المتقدمة لعلاج الأورام وزراعة الأعضاء ، والرعاية الصحية المتخصصة .

والخدمات الصحية مجانية تماما ، بدءا من علاج حالات الانفلونزا وأمراض البرد البسيطة ، وانتهاء بعمليات زرع الكلى وتغيير صمامات القلب .

هذا الأداء الاجتماعي الذي تقدمه الكويت هو الذي جعلها ـ كما قلنا ـ دولة الرفاهية الاجتماعية .

وبالتأكيد ليس توافر المال وحده ، على أهميته ، هو الذي مكن من تقديم أشكال الرعاية الاجتماعية التي ذكرناها ، فقد كانت إلى جانب ذلك نظرة اجتماعية ، تحولت إلى سياسات بناءة ، فهي من جانب حرصت أن تشمل مظلة التأمينات الاجتماعية كل مواطن ، حتى لا يقع تحت طائلة الحاجة في حالة انقطاع عمله الرسمي ، وشجعت من جهة أخرى على التكاتف الاجتماعي والعمل التطوعي والخيري ، حتى غدا المال الناتج عن الأعمال التطوعية والخيرية ثاني أكبر ما تصدره الكويت بعد النفط .

إن الثلاثين سنة الأخيرة من مسيرة المجتمع الكويتي يمكن أن ننظر إليها على أساس أنها كونت المجتمع المدني بكل عناصره المعروفة ، وهو مجتمع يخطو خطوات ثابتة ، لتأكيد مكانته ، وتطوير نفسه على كل الأصعدة العلمية والثقافية والاجتماعية والسياسية

هذا المجتمع المدني المتكون هو الذي حقق تجربة تكاد تكون مثالية في الحوار الوطني الموسع الذي حدث في الأشهر الأولى من هذا العام ، أمام سمع العالم كله وبصره .

الحــوار الكبير

قد يكتب التاريخ في وقت لاحق أن الكويت من الأقطار القليلة التي أخذت على نفسها ـ حكما ومجتمعا ـ فتح أشرعتها للتغير دون خوف أو وجل ، ومصاحبة العصر بعقل وقلب مفتوحين . لقد اختارت آلية التطور السلمي في عالم يتحرك حركة سريعة . هذا التحرك هو تحرك سياسي واع ، وليس ايديولوجياً مغلقاً على نفسه . فالسياسيون ـ شيبا ـ يستطيعون أن يتعلموا من الخبرة والمران ، ويتحركوا

باتجاه الحلول الوسطى الممكنة اليوم، التي قد تتغير في المستقبل ، أما الأيديولوجيون فهم من حملوا أفكاراً لا يرغبون أن يناقشهم أحد فيها ، أو يزحزحهم عن بعضها ، مهما كانت غير قابلة للتطبيق .

ولقد شهد المجتمع الكويتي حواراً شعبيا كبيراً ، منذ أن أطلق أمير الكويت الإشارة إلى بدء هذا الحوار في خطابه في العشرين من يناير الماضي ، ومما قاله في ذاك الخطاب التاريخي : «لقد سبق أن قلت ، وأحب أن أؤكد أنني مع توسيع قاعدة الشورى والحياة النيابية والمشاركة الشعبية» ، كما قال : «إننا نؤمن إيمانا راسخاً بقيمة الحرية ، وهو إيمان يعكسه السلوك الكويتي ، وتؤكده الممارسات اليومية في علاقات الناس ببعضهم» .

«نحن جميعا شركاء في بناء الكويت ، وآية حب الكويت أن نحافظ على وحدتها ، وأن نعمل على تقدمها» .

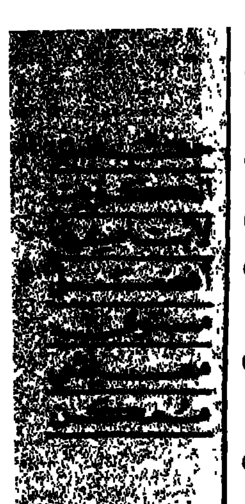
وانطلق الحوار بعد ذلك ، يقوده بحق رجل الحوار ، ولي العهد ، رئيس مجلس الوزراء ، الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح ، فقد التقى بمجموعات من النواب السابقين في مجالس الأمة الكويتية المنتخبة منذ المجلس التأسيسي حتى المجلس الأخير(مجلس ١٩٨٥) ، والتقى كذلك بممثلين لشرائح مختلفة من أبناء الكويت ، من بينهم رؤساء جمعيات النفع العام ، ورؤساء الاتحادات والنقابات العمالية ، ورؤساء مجالس الشركات والقيادات الاجتماعية والرياضية والتعاونية . وانطلقت بعض الأقلام تقدم مساهمتها على صفحات الصحف حول مفهوم الحوار والمنطلقات التي يجب أن ينبثق منها ، والثوابت والمتغيرات التي يرونها في هذا الموضوع .

لقد كان حواراً حضارياً بحق ، فقد أدلى كل بدلوه دون ضغط أو مخافة عقاب ، ولأن المجتمع الديمقراطي مجتمع تعددي في الأساس فقد كانت هناك وجهات نظر متقاربة في جزء ، ومتباعدة في جزء آخر .

ولقد كان الهدف أن تتحقق «المعالجة من خلال المشاركة» ، أو البحث عن حلول من خلال حركة تبادل الآراء الواسعة .

أن يقوم هذا الحوار ، ويتسع ، ويتطور ، فإن ذلك بحد ذاته ظاهرة اجتماعية وسياسية ملفتة للنظر ، وهو حوار سلمي ، يمكن أن يكون في قادم الأيام مثالا حضاريا تحتذيه شعوب أخرى .

لقد كان قاعدة الحوار الكبير هو خطاب الأمير الذي أكد فيه الإيمان بالمشاركة الشعبية ، بحسبانها مبدأ أقره الدين الحنيف ، وجُبل عليه المجتمع . وقد طبق ولي العهد مبدأ الحوار القائم على تبادل الكلام الحر الذي يمكن أن يأخذ فيه طرف المبادرة ، ويستردها الطرف الآخر ، ومقارعة الحجة بالحجة ، والرأي بالرأي ، دون أن يضيق صدر مع ما يتطلبه الحوار الحسن من مواصفات .



وأثبت من جديد مرة أخرى رئيس مجلس الوزراء أنه رجل حوار ، فقد تقبل الآراء على اختلافها ، صبوراً متفهماً مبدياً الإيجاب قبل السلب . وخرج معظم المتحاورين على اختلاف وجهات نظرهم برأي موحد تقريباً وهو قدرة رجل الحوار الكبير على التحاور بمعناه الحضاري الإيجابي .

وهكذا استقر رأي القيادة السياسية ، في نهاية المطاف ، على أن تدعو إلى مجلس وطني انتقالي ، يضمن مزيداً من الحوار لتقييم التجربة النيابية الكويتية ، واقتراح خطواتها المستقبلية ، ودراسة ممارسات نقلتها النوعية ، مع التأكيد على قاعدة الشورى وتوسيع قاعدة المشاركة .

لقد كان خطاب أمير الكويت الذي جاء في نهاية مرحلة الحوار الكبير خطاباً شاملاً ، من أجل نقل الحوار إلى أماكنه الصحيحة بوجود مجلس وطني منتخب من الشعب ، كما أن الخطاب أكد أن (تعدد الاقتراحات ظاهرة صحية في مجتمع يكفل حرية الرأي ، ويحتفظ بموقف متوازن بين الأصالة والاتصال العالمي) .

وجاءت هذه الخطوة قراراً حكيماً بتحديد مرحلة انتقالية ، أقصاها أربع سنوات ، ومن خلال ممثلين منتخبين من الشعب ، للتقييم من جهة ، وللتشريع والمراقبة من جهة أخرى ، في هذه الفترة الانتقالية .

لقد تمخض الحوار الكبير عن خطوات محددة ، تخطو فيها الكويت خطوات حثيثة نحو المشاركة الشعبية الكاملة .

الديمقراطية : هدف أو وسيلة ؟

لقد انطلق الحوار الكبير في الكويت ليس من نقطة محاكمة النوايا أو مناقشة الماضي لتحميل أخطائه وأوزاره لهذا الطرف أو ذاك، بل انطلق الحوار من أجل الوصول الى هدف ونتيجة، فبوجود المجلس الوطني يمكن أن ينظم هذا الحوار بشكل أدق وأوضح، للوصول الى الصيغة المطلوبة. الخطأ في الحوار أن يعتقد أحد أطرافه أنه يملك الحقيقة النهائية، والصيغة الكاملة، وأن يصادر الرأي الأخر، وهذا ما لم يحدث حتى الآن. ومن خلال المجلس الوطني يمكن أن تحتدم الآراء لمصلحة الكويت، فالديمقراطية، بدون تقاليد ديمقراطية، قاعدتها أنه ليس هناك رأي نهائي ومطلق في القضايا المطروحة، وأن كل الآراء نسبية، قابلة للخطأ، حتى يحدث الحوار والإقناع، هي ديمقراطية ظاهرية وكلامية، كما أن الديمقراطية لا تأتي من فراغ، إنها تأتي من خلال مجموعة ناشطة متفاعلة من الناس.

لقد انطلقت أقلام كثيرة تناقش «الديمقراطية» في وطننا العربي، ولعلها في كثير من الأوقات تسير على عادة احتضان ما يجري في أماكن أخرى من العالم، علّه يكون مخرجاً لما نعانيه من أزمات، واذا كانت «الديمقراطية»، بمعناها «الأكاديمي»،

يمكن وصفها بمفهوم أو عدة مفاهيم بسيطة، فإن الإشكالية الحقيقية أنه ليس هناك طريق واحد لتحقيقها، أي أن المشكلة في الممارسة. ومع اقتراب قرننا هذا من نهايته فإن كثيراً من المراقبين يرون شواهد كثيرة بأن عالمنا يدخل عصراً من «الليبرالية» الاقتصادية والسياسية، وفكرة «الديمقراطية»، و«التصويت العام»، و«صناديق الاقتراع»، و«الحرية والمساواة» كلها شعارات مشوقة للكثيرين، الى درجة أن كثيراً من الأنظمة، في شرق العالم وغربه، يتحدث عنها «لفظا»، بل يصر على أن يدخلها في تسميته الوطنية الى درجة تكاد الكلمة نفسها أن تبتذل.

المشكلة ليست إذن مشكلة لفظ «الديمقراطية»، فالمشكلة الحقيقية هي آلية الحكم، أي كيف تدار عجلته، وذلك كالفرق بين الظاهر والباطن، بين الإعلان والتطبيق.

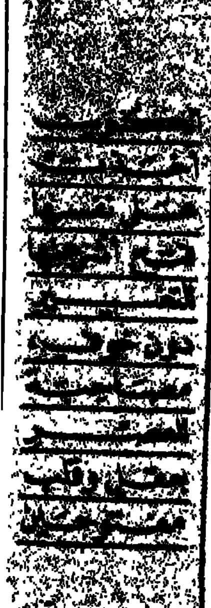
لقد باتت التجارب والممارسات تؤكد يوما بعد يوم أن آلية الحكم «الديمقراطي» لا يمكن أن تستورد، بل إنها تعكس تاريخ البلد المعني، وتراث شعبه، والعلاقات السائدة بين فئاته المختلفة. ومن يعتقد بأن الديمقراطيات متشابهة كمن يعتقد - لأول وهلة - أن النخيل متشابهة، إذ أنها متشابهة في الشكل، لكن ثمارها مختلفة متنوعة، يعرفها من يتعامل مع نتاجها بشكل مباشر.

والديمقراطية حتى تعكس النظرية التي سادت بقاع كثيرة من العالم في الخمسين سنة الأخيرة على الأخص، وأقصد بها النظرية «الماركسية اللينينية»، كانت نظرية أكثر تشويقا وأقرب إلى الفهم البسيط، لأنها تقدم منطوق متكاملا من الأفكار، وفي المقابل لا توجد نظرية كاملة وموحدة للديمقراطية.

لو سألت مجموعة من الناس عم يعنيه «الديمقراطية» لديهم لأشار بعضهم إلى التاريخ الغربي الحديث، وبعضهم قد يشير إلى إعلان الاستقلال الامريكي والدستور الاتحادي الأمريكي، وآخرون قد يشيرون إلى أفكار روسو Rousseau ، أو ادموند بيرك Edmund Burke. وهناك كتابات تكوافلي Tocquevillus ، خاصة كتابه ذو الجزئين «الديمقراطية في أمريكا». وبعض آخر منهم قد يشير إلى كتاب والتر بجوت ممتاز Walter Bagehot عن الدستور الانجليزي إذا أخذت كل هذه الأعمال أمكن لبعضنا أن يعدها بأنها تضم الخطوط العريضة للأفكار الرئيسة «للديمقراطية الغربية».

بيت القصيد أن أشخاصا مختلفين يعطون إجابات مختلفة عندما نسألهم عن يعنونه «بالديمقراطية»

تكوافلي الذي كتب عمله قبل نيف ومائة سنة (١٨٣٥) حدد مجموعة من العناصر التي وجدها أساسا لديمقراطية الولايات المتحدة، إلى درجة أنه اعتقد بصعوبة قابليتها لتحويل والتصدير. والتر بجوت يكاد يفعل الشيء نفسه



بخصوص دراسة عن الديمقراطية البريطانية، حيث يلاحظ أن «عليك أن تكون انجليزياً حتى تتمكن من التعامل مع الدستور الانجليزي».

كل ذلك يعزز الرأي القائل بأن هناك احتمالا ضعيفاً لوجود نظرية متكاملة للديمقراطية، يمكن تطبيقها، بصرف النظر عن الزمان والمكان والظرف التاريخي والمجتمع الذي نريد أن نطبق فيه آلية الديمقراطية.

وعندما ندرس تجارب الأمم تظهر لنا موضوعات عديدة ومتفرقة، بعضها متناقض وتسمى كلها «ديمقراطية»، فنحن نتعرف في هذا المقام على الجمهورية الديمقراطية، والحكومة الحرة، والحكومة التمثيلية، والملكية الدستورية، الى سلسلة تطول من الأسماء المختلفة، هذا بجانب مفاهيم أخرى مثل الحقوق المدنية والمساواة أمام القانون، والفرص المتساوية للمواطنين، وحقوق الإنسان. ثم بعد ذلك هناك الانتخابات العامة للمواطنين، وحكومة الأغلبية، وفصل السلطات، والاستفتاء، والتمثيل النسبي، ونظام الحزبين أو أكثر، وتداول السلطة، وحقوق الأقليات، والموازنة بين أسرار الدولة حفاظا على المجتمع، وحق المواطن في أن يعرف. بجانب موضوعات أخرى تزيد قليلا عن عدد أصابع اليد الواحدة.

وجود بعض هذه العناصر التي ذكرناها يعني وجود ديمقراطية ما، في المجتمع. ولكن لا يعني أن المجتمع «ديمقراطي» عندما تتواجد بعض هذه العناصر فيه، فالمهم كيف تدار آليتها.

القضية هي : كيف يمكن ربط هذه العناصر أو ربط بعضها ببعض، ولا يستطيع أحد حتى الآن، حتى في الغرب، أن يحدد لنا ـ بالضبط ـ العناصر التي إن وجدت توجد ديمقراطية، وإن لم توجد فقد فقدت تلك الديمقراطية.

الديمقراطية ليس لها نظرية، لكن للديمقراطية إطاراً مقبولاً بشكل عام، وهي أن يعيش الناس أحراراً متساوين، ويقبلوا جميعا التنازل عن معرفتهم القطعية للحقيقة. والحقيقة يتوصل إليها المجتمع من خلال حوار، ينظمه القانون الذي ارتضوه. إنها باختصار ليست شكلا، ولكنها محتوى، فكثير من البلاد فيها أحزاب وانتخابات ومجالس، وهي بلاد موجودة في طول العالم وعرضه، لكن هذه الدول ليست بالضرورة ديمقراطية، فالسؤال : كيف تدار شؤون الحكم في هذا البلد أو ذاك ؟

وهذه الإدارة ليست بعيدة عن تاريخ الشعب نفسه وتراثه، فالممارسة الانجليزية وتطورها الدستوري غير المقنن يختلف عن الدستور الأمريكي المقنن. وحتى في بلاد توافرت لها قواعد ديمقراطية، كالتصويت الحر وإظهار الرغبة الشعبية، استخدمت في وقت ما، لتثبيت «الدكتاتورية»، كما فعل هتلر في ألمانيا بين الحربين، فمن خلال صناديق الاقتراع، ومن خلال شعب يعيش تحت حكومة

ديمقراطية، ومن خلال دستور يحمل أفضل النصوص التي عرفتها الدساتير المكتوبة حتى ذلك الوقت، وصل هتلر إلى السلطة، واستخدم «الديمقراطية» طريقا إلى «الدكتاتورية».

هناك إذن أطر عامة للديمقراطية، وخصوصية لكل تجربة وشعب وبيئة، لابد أن تؤخذ بعين الاعتبار.

وهذه نقطة من الدقة بحيث أن علينا أن نتفهمها، فقد أصبح من لغو الكلام القول بخصوصية مفرطة، تضع تجارب شعب ما، بمعزل عن العالم، أو القول بتشابه متطابق بين تجارب الشعوب، فهناك خطوط عريضة في التشابه، وخطوط تفصيلية في الاختلاف.

ويحدثنا التاريخ - في هذا المقام - عن قضية لم تذكرها كتابات كثيرة، ولكنها قضية معروفة لدى الباحثين، فعندما وضع جان جاك روسو كتابه الموسوم بـ «العقد الاجتماعي»، ووضع فيه أفكاره الأولى التي أصبحت إحدى لبنات «الديمقراطية»، ذكر فيه أن الناس متساوون، وجميعهم عليهم أن يختاروا ممثليهم وقادتهم، لتسيير أمورهم العامة، وانتشرت هذه الأفكار لدى المستنيرين في أوربا.

سُئل روسو من ممثلين لدولتين معاصرتين له، هما بولندا Poland وكورسيكا Corsica ، عن أفضل الطرق لتطبيق الديمقراطية في بلديهما ، لقد كتب لكل واحد منهما كتيباً صغيراً عن : كيف يمكن تطبيق نظريته عندهم، ولقد أشار في هذين الكتيبين إلى أهمية التاريخ والشخصية القومية والدين والتعليم، وكل العناصر الأخرى التي تجعل مجتمعاً مختلفا عن مجتمع آخر، كل هذه العناصر لابد من وضعها في الحسبان قبل وضع آلية للحكم في مجتمع ما، فلا قواعد أو طرق يمكن تعميمها في هذا الإطار عالميا.

يمكن وضع قواعد للمساواة السياسية في قانون، لكن الحرية لا توضع في نصوص القانون . روسو حذر البولنديين حينها بأن يخطوا خطوات لتحرير أنفسهم ببطء لخوفه، وهم في حالة تخلف اقتصادي، أن تزيد (الحرية) بؤسهم، بدلا من أن تنقذهم منه.

هنا تبدو روعة تحليل ادموند بيرك لقوة «الحرية» الانجليزية (بالطبع عندهم ولهم)، حرية عجمت تحت التاج البريطاني، وعن تطور تدريجي، يعكس ما حدث عند الفرنسيين عندما وضعوا مبادئهم - بعد الثورة - على ورق، ثبت في وقت لاحق صعوبة تحويل هذه المبادىء الى سلوك. هنا يدرك كثير من المفكرين الدرس الحصيف المكون من نقطتين : عامل الوقت، وتدريب الناس من خلال التطور التاريخي.

وبذلك أشار أحد الممارسين الكويتيين، خلال الحوار الكبير الذي ولد في الكويت

خلال الأشهر الأخيرة: «عندنا ديمقراطية دون تقاليد ديمقراطية»، ويشير كثيرون بهذا المعنى إلى سهولة تقليد آلة ما، بنقل تصنيع أجزائها جزءاً جزءاً، ولكن التقليد في نظام حكومة لا يتم إلا بصعوبة، أو هو من المستحيل.

الديمقراطية لا تُفرض من الخارج، ولا تستنبت من الداخل بشكل عشوائي دون رعاية لها ، فلها عوامل ومهمات وتقاليد. حتى اليابانيين الذين أثبتوا أنهم أكثر شعوب العالم تكيفاً مع الجديد، أخذوا فترة طويلة للوصول إلى شيء يشابه الديمقراطية الغربية. كما أن مبادىء الديمقراطية الغربية وممارساتها نفسها تتغير أمامنا من مواءمتها للثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، إلى تكيفها للثورة الاجتماعية في القرن العشرين، إلى الثورة الثقافية التي هي على الأبواب في القرن الواحد والعشرين القادم إلينا بعد سنوات قليلة.

في انجلترا ـ أم الديمقراطية التراكمية ـ نجد الأمور تتجه بشدة للمطالبة بدستور مكتوب، نظراً للظروف المستجدة التي تدخل فيها بريطانيا حظيرة أوربا الغربية، فالأوربيون لديهم دساتير مكتوبة، لها قواعد ثابتة، وفي انجلترا يتم الحكم عن طريق «السوابق» By Precedence ، مما أوقع المشرع الانجليزي في مشكلات، دفعت بعض المواطنين البريطانيين الى الالتجاء إلى محكمة حقوق الإنسان الأوربية. وتظهر هذه الأيام إعلانات سياسية كبيرة في الصحف البريطانية، تحث الناس، وتشرح لهم أهمية وجود دستور مكتوب.

وقد غير الفرنسيون دستورهم في المائتي سنة الأخيرة خمس عشرة مرة، في المتوسط كل ثلاث عشرة سنة مرة واحدة، ولم يكن ذلك إلا ليواكبوا المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية الحادثة في المجتمع الفرنسي وفي العالم. وكذلك فعلت دول اعتمدت الدستور المكتوب، فالولايات المتحدة في المائتي سنة الأخيرة أيضاً أثرت دستورها عن طريق الإضافة ستا وعشرين مرة، الإضافات العشر الأولى كانت في السنتين الأوليين من العمل بالدستور. أما الهند فقد تم تعديل دستورها الذي صدر في سنة ١٩٥٠ حتى ابريل الماضي أربعا وستين مرة .

وما يمكن فهمه من كل ذلك أن تجارب الأمم في موضوع الديمقراطية تجارب تخضع في الفروع إلى اجتهادات وتغيرات تتواصل مع الزمن والظروف التي يعيشها المجتمع نفسه .

الديمقراطية العربية والديمقراطية في الكويت :

لم نكن بعيدين ـ نحن العرب ـ عن السير في التيار الجديد، فقد كانت لنا تجاربنا بين الحربين العالميتين التي تعثرت لأسباب عديدة، لا داعي لتفصيلها هنا،

ولكن ها هي «فكرة الديمقراطية» تعود من جديد، وتظهر بشائرها عند العرب، حتى قبل ما حدث ويحدث في الاتحاد السوفيتي وأوربا الشرقية، ففي الجزائر ومصر والأردن وتونس ظهرت بشائر تطبيقات ديمقراطية في السنوات الأخيرة من العقد الماضي، وعندما يقيس المراقبون الغربيون بعض هذه التجارب فهم لا ينفكون بقياسها من خلال المعايير الغربية التي قبلوها، يصفونها إجمالاً « بالنقص » ، كما أن الكتابات العربية « الأكاديمية » التي تناولت الموضوع تجاوزتها الأحداث، وحتى بعض الكتابات التي ظهرت في النصف الأول من العام الماضي. وعندما نعود الى قياس بعض المؤشرات، ومنها على سبيل المثال نسب الإقبال على صناديق الاقتراع في بعض الأقطار العربية، نجد أن هذه النسب متدنية جزئيا، وهو دليل يـأخذه بعض الكتاب على «ضعف الوعي السياسي». وعندما نقرأ تجربة الكويت نجد أن هذا الوعي في تقدم، فانتخابات ١٩٧٥ (المجلس الرابع) شارك فيها ٥١٪ من جملة من يحق لهم الانتخاب، وارتفعت هذه النسبة بعد عشر سنوات ١٩٨٥ إلى ٨٥٪. وتنعكس هذه الأرقام في التجربة الكويتية على مجموعة من النتائج، ومن بينها أن هناك حيوية وفاعلية في العملية الديمقراطية، فيشعر المواطن بأنه قادر على التأثير والتغيير في مجريات الحياة السياسية، من خلال صناديق الانتخاب، كما أن المواطن يشعر بأن كل الآراء والتوجهات يمكن أن تعبر عن نفسها بالطريق الصحيح، دون قيود، طالما أنها لا تشكل تهديداً لنظام المجتمع، إنه قبول لمبدأ التنافس واحترام الرأي الآخر.

ووضع الكويت من جديد على طريق الديمقراطية التي تتمثل المعطيات الاقتصادية والاجتماعية والتراثية للمجتمع وتتداخل معها، على الرغم من بعض المحاذير الإقليمية، قرار شجاع بحد ذاته، وماهذا المجلس الوطني الانتقالي الذي تظهر نتائجه بُعيد انقضاء هذا الشهر إلا طريق لتعميق حوار، يؤصل الديمقراطية التمثيلية القانونية، في بلاد حباها الله بممارسات ديمقراطية، لها من التقاليد والأعراف والعمق ما استطاعت أن تتجاوز بها ساعة العسرة.

إن الديمقراطية ليست مرآة للحرية فقط، بل هي أولا مرآة للمسئولية، وهي كما تشمل شروطاً صعبة ودقيقة لاكتسابها، تشمل كذلك شروطاً أصعب وأدق للاحتفاظ بها، وبالمجلس الوطني تكون الكويت قد خطت الى الأمام خارج دائرة الخطر، مقدمة من جديد تجربة غنية، لمرحلة انتقالية، تقود السفينة الى بر الأمان. □

محمد الرميحي



(الحياة مجموعة من الخبرات المتنوعة ، وليس بالضرورة أن تتشابه وتتكرر ، إنما كثير من الخبرات منفردة تضيف معنى جديدا للحياة ، وتعطيها لذة التراكم ، وقد اختارت العربي مجموعة من المتميزين العرب ليروي كل بطريقته الخاصة بعضا من ذكرياته التي أصبحت دروسا في الحياة) .

عاش بين العقبات والآمال

بقلم : الدكتور
عبدالعزيز كامل

كان أول لقائي بتنكو عبد الرحمن بوترا الحاج ، رئيس وزراء ماليزيا الأسبق ، في مارس (آذار) ١٩٦٩ ، بمناسبة عقد المؤتمر الإسلامي العالمي الأول ، في كوالالمبور ، بدعوة من حكومة ماليزيا . وكنت رئيس وفد مصر الذي تعاون مع الهيئة المنظمة للمؤتمر شهورا قبل عقده ، ثم قدّم ستة بحوث . واستمر التعاون على تخطي عقبات مؤتمر تتعدد فيه الآراء والمذاهب الدينية ، وترتفع درجة الحرارة بين أجيال متعاقبة ، وممثلي دول من أنظمة سياسية واجتماعية لايربط بينها إلا الإسلام . وتحاول من هذا الخيط الأساسي أن تنسج رداء حياتها الجديد

وكان علي أن أبلغ فخامته رسالة شفهية من الرئيس جمال عبدالناصر عن التعاون الإسلامي بين مصر وماليزيا بخاصة ، والتعاون الإسلامي العام ، ومجالاته ، وكان اللقاء في قصر الحكم .

المكان جميل ، والحضرة فيه فرحة ، باسمة الزهر، هكذا أحسست ، وهكذا وجدت منذ وصلت ، رعاية ومودة ، صادرة من قلوب مخلصة لديهم ، راغبة في العمل له .

وحديث إخوتنا في ماليزيا هادىء ، أقرب إلى الهمس ، حديث أحضر ، كأنه نبع من الطبيعة الجميلة التي يعيشونها ، والتي انعكست حتى على ثيابهم ، فهي ملونة بهيجة،وقمصان « الباتيك » لباس قومي ، تحس حين ترتديه ، أنك أصبحت جزءا من هذه الحديقة الإلهية . لذلك كانوا يعجبون من حماسنا ، واندفاعنا في القول ، نحن أبناء المشرق والمغرب العربيين ، حماسنا الذي يحمل أحيانا روح العواصف الرملية أو الترابية ، وشواظا من قيظ الصيف ، ثم هدوءا بعده كأنه الليل إذا سجى.

كان هذا في ذهني عندما دخلت القصر ، وجلست إلى الرجل الكبير ، مؤسس ماليزيا الحديثة ، وحملّني شكره للسيد الرئيس على تحيته ، ومشاركة مصر الإيجابية بهذا الوفد الذي ضم سماحة مفتي الديار المصرية ، وأساتذة من الجامعة ، لهم إنتاجهم ومكانتهم في فروع المعرفة ، فضلا عن إرسال جريدة الأهرام ممثلا لها ، يتابع عمل المؤتمر بكل دقة وإخلاص (وهو الأستاذ فهمي هويدي) .

وأطرق قليلا ثم قال :

عندما حصلنا على استقلالنا ، نظرنا إليكم ، نأمل منكم العون ، ولكن وجدناكم تنظرون إلى غيرنا في العالم المتقدم ، فاضطررنا - آسفين - إلى أن ننظر حيث تنظرون ، وخططنا مصالحنا على هذا ، ومرت أعوام ، فإذا أنتم تنظرون إلينا ، بينما أنظارنا نحو غيركم . وجاء الوقت الذي ينبغي أن ينظر فيه بعضنا إلى بعض ، دون أن ننقطع عن العالم من حولنا .

إن العمل للإسلام ليس مجرد عاطفة أو رغبة ، إنه تخطيط طويل ، يبدأ أولا بأن نشعر نحن ، ويشعر العالم من حولنا ، أننا أصحاب وحدة إسلامية . ولقد طلبت من علمائنا أن يلتقوا على أمور سياسية هي صورتنا أمام أنفسنا وأمام العالم : قضايا في العبادات كمواقيت الصلاة في الأقطار النائية شمالا وجنوبا ، ومواقيت الصوم من حيث طول الليل والنهار هناك ، وأوائل الشهور ، وتحديد الأعياد . ثم قضايا المعاملات الاقتصادية الحديثة ، وقضايا التخلف العلمي الذي يعاني منه العالم الإسلامي ، كل هذا محتاج إلى حوار هادىء ، ولقاء ينتهي إلى التقاء الأفكار والقرارات ، يعطينا أمام أنفسنا وأمام العالم ، أننا فعلاً نمثل وحدة إسلامية .

ثم قال بعد هنيهة صمت وتأمل :

- لقد تقدمت بي السن ، وآن الأوان أن أسلم المسئولية الوزارية إلى يد شابة ، وقد أعددت لهذا تون عبد الرزاق (وقد تولى الرياسة بعده) ، وأدعو الله له بالتوفيق . وسأفرغ للعمل الإسلامي العالمي ، أختم به حياتي . لقد أعطيت وطني زهرة عمري ، وأنا الآن أعطي الإسلام ثمرته وخواتيمه .

إن طريقنا الإسلامي حضاري طويل . وقد تكون من مشكلات مصر أنها عنيت بأبناء العالم



● تنكو عبدالرحمن

الإسلامي من وقت مبكر ، وخصصت لهم هذا القدر من المنح الدراسية ، وأنشأت مدينة « البعوث الاسلامية » ، ووفرت لهم تعلّم العلوم الحديثة ، إلى جانب العلوم الإسلامية التقليدية . وان تكوين الكوادر (الإطارات) العلمية في البلاد الإسلامية ، هو الطريق الأساسي لتحررها الاقتصادي ، وهو الثمرة المرجوة من التحرر السياسي . ولو كان عندى الخبراء الذين يعملون في مزارع المطاط ، وفي استخراج القصدير وتصنيعه ، لشعرت باستقرار أكبر في الاستقلال الوطني . ولكن مادامت المصانع عندهم ، والخبرة في أيديهم ، فسنظل

عمليا تحت سيطرتهم العلمية ، ومنها تمتد السيطرة إلى الاقتصاد والسياسة . الحياة الآن علم وبحث ، شبابنا ينبغي أن يكونوا مزودين بكل فنون العلم في رءوسهم وأيديهم ، والإيمان في قلوبهم وتعاملهم ، وأعتقد أن جانبا من محاربة الاستعمار لكم يعود إلى عنايتكم بشباب العالم الإسلامي .

وذكرت له أن الرئيس عبد الناصر لم يرض مع ضغط الميزانيات بعد هزيمة ١٩٦٧ ، والظروف القاسية التي تواجهها مصر ، أن تخفض ميزانية « البعوث الإسلامية » . وكان من قوله : « لو معي رغيف لاقتسمته معهم » . وكان تعقيب تنكو عبد الرحمن :

ـ نحن نحس بذلك ، ولكن المسئولية الآن أكبر من طاقة مصر ، وأكبر من طاقة أي قطر إسلامي بمفرده ، إن علينا جميعا أن نقوم بمسئوليتنا المشتركة . ولاسبيل إلى ذلك بجهود فردية أو ثنائية ، وإنما بجهود على المستوى الإسلامي العام . وهذا هو الخط الذي حددته لحياتي ، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقني إلى القيام به .

وأحسست أن الوقت قد امتد بنا ، وعنده مسئولياته ، وشكرته مودعا مستأذنا في السفر إلى الفلبين ، وكانت المحطة التالية في الرحلة ، ودعاني إلى زيارته مرة أخرى ، وترك الموعد مفتوحا ، لأخطر به سفارة ماليزيا في القاهرة .

وتكونت منظمة المؤتمر الإسلامي عام ١٩٧٠ ، بعد اجتماع القمة الإسلامي الأول في سبتمبر-أيلول ١٩٦٩ في الرباط . وكان تنكو عبد الرحمن هو الأمين العام الأول للمنظمة ، وعاش بين الآمال والعقبات ٠ حتى آثر العودة إلى دياره ، بعد انقضاء مرحلة التأسيس الأولى التي أرسى فيها قواعد منظمة إسلامية على هذا المستوى العالمي . □



العرب والتربية

في القرن الحادي والعشرين

تحديات بلا استجابة

بقلم : الدكتور حسن الابراهيم*

يحمل العقد الأخير من القرن العشرين تحديات كبيرة للعالم كله ، فهو العقد الفاصل بين قرنين ، وهو عقد يُتوقع فيه مزيد من الاكتشافات العلمية والقفزات التقنية ، وإذا لم يلحق متخلفو العالم متقدميه فإن الفجوة العلمية ستزداد اتساعا . وفي وطننا العربي تبدو تفاصيل الواقع التعليمي مخيبة لكثير من الآمال . عن التحدي القادم ، وواقع مجتمعنا العربي ، وطريقنا للخروج من المأزق ، يتحدث هذا المقال .

مع دخول العقد الأخير من القرن العشرين تزداد التحديات التي تواجه الأمه العربية ، تلك التحديات التي تتراوح مابين تحديات تعيق التنمية والتطور ، إلى تحديات تكاد تهدد وجود الأمة وهويتها ، وتبدأ بالتبعية الاقتصادية والثقافية . وأزمة المديونية والانفجار السطاني ، إلى الهجرة اليهودية الجديدة إلى فلسطين التي إذا لم نوحد الوسائل لمواجهتها فقد تؤدي مع نهاية هذا العقد ، إلى بروز

* رئيس مجلس ادارة الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية ـ ووزير التربية والتعليم الكويتي السابق

مايسمى «اسرائيل» الكبرى ،نتيجة لابتلاع ماتبقى من فلسطين ، وبدء مرحلة التوسع «الاسرائيلي» إلى ماوراء حدود فلسطين .

على الرغم من تضخم هذه التحديات ، ولجوء العديد من المثقفين العرب إلى حالة اليأس ، فإنه لايزال أمامنا فرصة لإحياء الأمل في مستقبل أمتنا ، ومواجهة التحديات المصيرية التي تواجهنا ، وأعتقد أن تطوير التعليم ، والتركيز على الاستثمار البشري ، يمثل لنا الفرصة المبتغاة للخلاص ، والانطلاق نحو مستقبل أفضل ، فالتعليم هو رأس الحربة نحو تغيير شامل للقيم المجتمعية المتوارثة التي أسهمت في الماضي ، ولا تزال تسهم في مانحن فيه من أزمة خانقة . والتعليم يسهم في خلق نظام قيم ، غير معروف من قبل ، يهدف هذا النظام القيمي الجديد إلى الارتقاء بالفرد إلى مستوى من العطاء والإنتاج ، يزيد إنتاجية المجتمع ، ويحسن مستوى الفرد المعيشي ، إن هذا الدور الأساس للتعليم هو الدور نفسه الذي لعبه التعليم في أوربا في القرن التاسع عشر ، وهو الدور نفسه الذي لعبه التعليم في اليابان في عصر ميجي ، في النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، فوقف وراء الحراك الاجتماعي ، ووضع نهاية للنظام الاجتماعي القديم ، ذي القيم العائلية والقبلية والإقطاعية والطائفية ، وفتح الطريق في نهاية الأمر لخلق مجتمع جديد ، تشتق فيه قيمة الفرد من انتاجيته . وليس من انتمائه القبلي أو الأسري أو الطائفي .

انطلاقا من هذه الأهمية المتميزة للتعليم ، ودوره الحاسم في خلق مجتمع جديد ، ماوضع التعليم في الأقطار العربية في الوقت الحاضر ؟

واقع المجتمع العربي

منذ بدأ التعليم النظامي في الوطن العربي ، مع مطلع القرن العشرين ، لم يخضع هذا النظام التعليمي لأي تقييم جاد شامل . نعم كانت هناك بعض المحاولات لتقييم بعض الأنظمة التعليمية ، على المستوى القطري ، ولكن لم يكن هناك التقييم الشامل لنظام التعليم العربي . لذا فإن مشروع مستقبل التعليم العربي الذي يشرف على تنفيذه منتدى الفكر العربي ، يعد أول محاولة جادة ، على طريق المراجعة الذاتية لما تم إنجازه ، ولمحاولة سبر أغوار المستقبل ، واقتراح التغييرات المطلوبة ، بهدف الوصول إلى نظام تعليمي مستقبلي لأمتنا .

البداية هنا هي أن نعرف وضعنا التعليمي الحالي ، حتى نستطيع أن نقترح التغييرات المطلوبة . كان في نتائج البحث والتمحيص لأوضاعنا التعليمية الحالية مايؤكد ماتوقعناه ، وما توقعه غيرنا من قبل . وهو أن وضع التعليم وضع هزيل هامشي ، فمعدلات الأمية الهجائية (عدم معرفة القراءة والكتابة) في الوطن العربي من المعدلات المرتفعة في العالم ، حيث تصل إلى حوالى ٥٠٪ ، وترتفع هذه النسبة بين النساء العرب إلى ٦٥٪ . ولكن حتى غالبية غير الأميين هجائيا يتسمون (بالأمية الثقافية) ، وأهم من ذلك (بالأمية التقنية) ، والأمية الثقافية هي غياب المعرفة العامة بأحوال المجتمع وتاريخه



ومشكلاته ، والقدرة المنهجية على التحليل النقدي ، والقدرة العملية على حل المشكلات المتجددة . والأمية التقنية ، هي غياب المعارف والمهارات الأساس للتعامل مع الآلات والأجهزة والمخترعات الحديثة ، وفي مقدمتها الحاسوب (الكمبيوتر) ، فغير الأميين ثقافيا لايتجاوزون في الوقت الحاضر أكثر من ٣٠٪ من مجمل السكان ، وغير الأميين تقنيا لايتجاوزون ١٪ من العرب فوق سن العاشرة (تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين ـ التقرير النهائي ١٩٩٠) ، كما يشير التقرير إلى أن تفشي الأمية بأنواعها الثلاثة (الهجائية ، والثقافية والتقنية) ، هو مظهر للتخلف العربي وأحد أسبابه ، واستمرار هذه الأمية بنسبها المرتفعة ، يعني استمرار التخلف . وإذا كان التخلف أمرا نسبيا ـ بالمقارنة بمجتمعات أخرى ـ فإن استمرار الأوضاع الحالية سيعني في الواقع زيادة التخلف العربي ، فكل مناطق العالم الأخرى ، باستثناء افريقيا جنوب الصحراء ، قد أحرزت خلال السنوات العشر الأخيرة (١٩٨٠ ـ ١٩٩٠) نسبا من التعليم ، أعلى من نظائرها في الوطن العربي ، أي أن نسب الأمية بأنواعها الثلاثة قد انخفضت في هذه المناطق بسرعة أكبر من انخفاضها في الوطن العربي .

علاقات وأسباب

أما مايتعلق بالتنمية الاقتصادية وتقصير التعليم في دفع عجلتها فهو مثال آخر لعجز وهزال هذا التعليم ، فانتشار البطالة بين خريجات هذه الأنظمة التعليمية آخذ في الازدياد . وهي بدورها تزعزع الاستقرار السياسي للأقطار العربية ، وقد شهد عقد السبعينيات والثمانينيات بداية ثورة العاطلين عن العمل في أقطار عربية عديدة . ومن المتوقع تضاعف أعداد الخريجين العاطلين عن العمل في نهاية هذا العقد .

أما محنة غياب الديمقراطية والمشاركة السياسية ، فيلعب التعليم دورا أساسا فيها ، حيث تشير الدراسات الحديثة في ميدان التطور السياسي للمجتمعات الإنسانية إلى التأثير الحاسم للتربية والتعليم على السلوك السياسي للمواطن ، فليس هناك مؤسسة أهم من المؤسسة التربوية ـ باستثناء العائلة ـ لتأهيل الأطفال وتنشئتهم سياسيا . إن الديمقراطية والمشاركة الشعبية ، ومساهمة المواطن في حكم نفسه وتقرير مصيره ، كلها أفكار ذات معان سامية ، تمثل أعلى درجات الارتقاء ، يتمكن الفرد معها من الشعور الذاتي بحكم نفسه وقدرته على الانصياع لأسس العقلانية وواجباتها . إن الفرد لايأتي إلى هذه الحياة قادرا على حكم نفسه ، وإنما يبدأ تدريبه على الحكم الذاتي منذ طفولته المبكرة ، لهذا السبب دعا الفلاسفة والمربون إلى أهمية التدريب على المواطنة . ومن هنا كانت العلاقة بين الدولة والتعليم علاقة بالغة الأهمية أيضا . وهذا يفسر لنا اهتمام الدول بالتعليم ، ليس استثمارا بشريا فقط ، بل ومستلزما لوجود الدولة نفسها .

التعليم ونظم الحكم

من الواضح أنه ليس هناك أي متغير من المتغيرات نستطيع مقارنته من حيث التأثير على السلوك والتوجه السياسي للفرد ، كتأثير متغير التعليم ، فالفرد غير المتعلم ، أو ذو التعليم المحدود ، يختلف سلوكه السياسي عن الفرد ذي المستوى التعليمي الأعلى . وتشير جميع الدراسات إلى أن الفرد ذا التعليم الابتدائي ، يختلف من ناحية السلوك السياسي عن الفرد ذي التعليم الثانوي أو الجامعي . لذا نستطيع القول ، بكل ثقة ، إنه كلما ارتفع مستوى التعليم في مجتمع ما ، توافرت أفضل الفرص لترسيخ الديمقراطية . وكلما ارتفع المستوى التعليمي ، وارتفع معه المستوى الاقتصادي

لبلد ما ، ازدادت المطالبة بالمشاركة السياسية من قبل المجتمع ككل ، فهناك علاقة ارتباطية وثيقة بين المعدلات التعليمية وطبيعة النظام السياسي ، ففي أمريكا اللاتينية ، على سبيل المثال ، نجد أن نوعية الحكم مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأمية ، ففي نظم الحكم ، الأكثر ديكتاتورية ، ترتفع نسب الأمية ، أما في الدول ذات نظم الحكم الأقل ديكتاتورية فنجد أن نسبة الأمية منخفضة . ولو تركنا موضوع الأمية جانبا لوجدنا أن مستوى الديمقراطية في تلك الدول له علاقة وثيقة بمعدلات إكمال مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والعالي .

التعليم الجيد الذي تحتوي مناهجه على تدريب التلميذ على المواطنة هو من الشروط الضرورية للنظام الديمقراطي ، فهناك شرطان أساسيان للنظام الديمقراطي ، أولهما وجود القنوات القانونية التي تضمن للمواطن المشاركة السياسية في تقرير مصيره . وتكون هذه الضمانات مكتوبة أو غير مكتوبة . فالمكتوب منها هو الدساتير المستخدمة في دول عديدة من العالم ، أما الشرط الثاني فهو المؤسسات التي تؤهل المواطن لمثل هذه المشاركة ، وأهمها المؤسسات التربوية في جميع مراحل التعليم . هنا تأتي أهمية طبيعة المؤسسات التربوية التي يجب أن تسودها روح الديمقراطية ، وأن تكون المناهج المقررة هادفة لتدريب الطفل لحياته الديمقراطية المستقبلية ، إن ما نلاحظه في مؤسساتنا التعليمية في الوطن العربي ، ليس غياب مثل هذه المناهج فحسب ، وإنما وجود المعلم السلطوي - وهذا مايزيد الأمر سوءا - الذي يحرم على الطالب المشاركة والتفاعل مع زملائه ، ويقتل فيه روح الإبداع والابتكار ، بالإضافة إلى وجود الإدارة التربوية التسلطية التي لاتؤمن بغرس بذور الحوار بين الطلاب ، وروح التسامح التي هي في نهاية الأمر إحدى الغايات الأساس المنشودة من التعليم ، كما أنها من أهم مرتكزات النظام الديمقراطي .

مشروع للإنقاذ

ما سبق طرحه هو بعض من ملامح التقصير في النظام التعليمي العربي ويؤكد ماطرح سنن كثير من الدراسات التي تشير إلى أن النظام التعليمي العربي لم يتمكن - ولن يتمكن بشكله الحالي - من الوفاء بمتطلبات القرن الحادي والعشرين ، بدون إحداث تغييرات أساس في بنيته . كما أن استمرار هذا الوضع سوف يؤدي إلى كارثة قومية ذات آثار مدمرة على مستقبل الأمة العربية ، فمستقبل الأمة إذن مرهون بمثل هذه الإجراءات .

إجراءات التغيير يجب أن تمس القضايا الرئيسة الآتية :

١ - أهداف التعليم :

إن أهداف التعليم تعد بحق نقطة الانطلاق نحو انتشال التعليم العربي من الوضع الحالي ، والتطلع إلى التعليم المستقبلي المنشود . وهذا الأمر يتطلب إعادة صياغة أهداف التعليم وسياساته ومضمونه ووسائله وآلياته . وهنا يجب



أن يكون المستقبل الركيزة الأساس في هذه الصياغة ، فتلاميذ اليوم سوف يكونون رجال القرن القادم ، وسوف يعيشون جل حياتهم يتعاملون مع قرن جديد ، ذي ملامح ونظام دولي جديد . لذا فالمستقبل ينبغي أن يكون الإطار العام الذي يحكم صياغة أهداف التعليم العربي . مثل هذا التعليم هو الذي سوف يحدد الملامح الرئيسة لمستقبل الأمة العربية . فالسؤال الرئيس في عملية إعادة صياغة أهداف التعليم يجب أن يكون على النحو الآتي .

هل يعمل التعليم على إعداد المواطن العربي للمستقبل أو لا ؟ ومنه ننطلق إلى تحديد الاهداف الأتية :ـ

١ ـ الهدف السياسي ، ونعني هنا تدريب الفرد على المواطنة والديمقراطية ، وإعداده لهما
٢ ـ الإعداد للمستقبل ، وتكوين الإنسان القادر على التكيف مع شروط الحياة في المستقبل .
٣ ـ إعداد الإنسان القادر على الاستجابة للمتغيرات الحياتية .
٤ ـ الاهتمام بمرحلة ماقبل التعليم المدرسي .
٥ ـ تحديد دور التعليم في تحقيق الأهداف التنموية ، وربط مخرجات التعليم بسوق العمل .
٦ ـ سد الفجوة التقنية والعلمية الآخذة في الاتساع بين دول الشمال ودول الجنوب .

هذه بعض من الأهداف الأساس للنظام التعليمي ، ومنها ننتقل إلى نوعية الإنسان المستقبلي المنشود الذي ينبغي أن يتسم بالصفات الآتية :ـ

١ ـ يستطيع استخدام الوقت والموارد والتنظيم استخداما أمثل .
٢ ـ لديه روح المبادرة والمشاركة والابتكار .
٣ ـ إرادة التجديد والسعي للتواصل مع الأخرين والأحداث والعمل الجماعي .
٤ ـ الوعي بنفسه وبمحيطه المحلي والوطني والقومي والعالمي .
٥ ـ السعي لتحقيق إنسانيته وسعادته .

حتى يتمكن النظام التعليمي من تحقيق أهدافه الأساس لابد من إعادة نظر جذرية في مكوناته الأساس الثلاثة ، وهي المعلم والمناهج والإدارة . ونظرا لأهمية دور المعلم في الوصول إلى الأهداف المرسومة للنظام التعليمي ، فسوف أركز هنا على أهم صفات المعلم المطلوب توافرها .

من أهم هذه الصفات التي ينبغي توافرها في المعلم العربي أن يكون ذا أخلاق رفيعة ، وصاحب خيال ، ويتمتع بشخصية جذابة ، ولديه ثقة بالنفس ، وديمقراطي السلوك ، ومتمكنا من وعي مناهج التعليم ، وقادرا على التعامل مع أعمار مختلفة ، ويؤمن بالتعليم وظيفة اجتماعية وواجبا وطنيا .

ولاجتذاب المعلم الجيد يجب :ـ

ـ إعادة النظر في المكانة المهنية والاجتماعية والاقتصادية للمعلم .
ـ جذب عناصر جيدة للمهنة .
ـ وضع معايير لمهنة التعليم ، كالحصول على شهادة اختصاص في التعليم ، بعد اجتياز اختبار قدرات لدخول المهنة ، على أن تتم هذه الاختبارات خارج كليات التربية ومعاهد إعداد المعلمين .
ـ رفع مستوى المعلمين الحاليين ، واتباع نظام التدريب المستمر ، حتى يكون محتواه مواد تخصص ومواد تربية ومواد ثقافة عامة .
ـ إنشاء مركز مستقل على مستوى الوطن العربي ككل ، يتولى عمليات إعداد المعلمين وتدريبهم وتقويمهم واختبارهم ، من أجل خلق قيادات تعليمية على المستوى القومي .

٢ ـ اقتصاديات التعليم :

إن الاجراءات المطلوبة في أنظمة التعليم العربي باهظة التكاليف في الواقع . فقد قدرت دراسة «للبنك الدولي» بأن إجراء إصلاحات في

نظم تعليم دول العالم الثالث سوف يكلف حوالي أربعة دولارات إضافية على تكلفة الطالب الواحد في البلدان ذات الدخل المنخفض ، حتى تصل إلى مستويات التعليم في دول العالم الثالث ذات الدخول المتوسطة ، ككوريا وتايلند . هناك وسائل متعددة لتمويل مثل هذه الزيادة ، منها على سبيل المثال :

١ ـ تحصيل ضرائب إضافية من أجل التعليم .
٢ ـ تشجيع المزيد من العطاء والمساهمة من قبل المجتمع .
٣ ـ استخدام أفضل للموارد المتاحة .
٤ ـ إعادة ترتيب أولويات الإنفاق .
٥ ـ البحث عن مساعدات خارجية .
٦ ـ إنشاء الصندوق العربي لدعم التعليم وتطويره .

٣ ـ كيفية الوصول إلى الإرادة السياسية :

أهم النقاط التي يجب التركيز عليها في مخاطبة صانع القرار السياسي :ـ

١ ـ التركيز على النواحي السياسية والاقتصادية في عملية إحداث التغييرات الجذرية المطلوبة في الأنظمة التعليمية . وأشير هنا إلى دور الاتحادات والنقابات المهنية ، والجمعيات ، والمنظمات غير الحكومية ، في إثارة الوعي الشعبي الجماهيري بدور التعليم في المرحلة القادمة ، وهذا الأمر قد يقود إلى زيادة الضغوط الشعبية على صانع القرار .

٢ ـ يجب التركيز على ربط هذه النواحي السياسية والاقتصادية بالمعاناة اليومية لصانع القرار ، تلك المعاناة التي تمس الأمن الداخلي والأمن الخارجي للقطر :

أ ـ فيما يتعلق بالأمن الداخلي فإن الأحداث التي وقعت في مصر عام ١٩٧٧ وعام ١٩٨٦ ، وأحداث الجزائر في عام ١٩٨٨ ، وأحداث الأردن في عام ١٩٨٩م ، كل هذه الأحداث لها علاقة وثيقة بمخرجات النظم التعليمية ، فالبطالة ، المقنعة منها والسافرة ، هي نتيجة حتمية لعدم ربط مخرجات النظم التربوية والتعليمية مع احتياجات القطر من القوى العاملة .

ب ـ أما الأمن العسكري فمن المعروف أن كفاية الجيوش لها علاقة وثيقة بكفاية المواطنين والمجتمع ككل .
وهنا نستطيع أن نرى تجارب كثيرة في التاريخ تؤيد هذه المقولة . أقرب تجربة لها هي هزائم العرب المتلاحقة على يد العدو «الاسرائيلي» .

٣ ـ يضاف إلى هذا كله العلاقة الحميمة بين النظام التعليمي والنظام السياسي ، فاستمرار الأخير يرتبط ارتباطا وثيقا بكفاية الأول ونوعيته ، فمن المعروف والمتفق عليه هو أن النظام التعليمي الجيد يسعى إلى تكوين المواطن ذي التفكير النقدي الذي لاينقاد بسهولة للغوغائية والخطب البليغة التي تخاطب القلب قبل أن تخاطب العقل ، ويتسم مثل هذا المواطن بميله نحو الحوار والابتعاد عن العنف .

٤ ـ النظم التعليمية الجيدة تكون مخرجاتها ذات كفايات عالية أيضا ، ترفع في نهاية الأمر كفاية المجتمع وإنتاجيته ككل .
لقد أثبتت الدراسات الحديثة صحة هذه المقولة ، فالأمم تقاس قوتها ومناعتها لابما تملكه من اسلحة فتاكة فحسب ، وإنما بنوعية مواطنيها وكفاءتهم ، واليابان الحديثة خير مثال على ذلك .

٥ ـ النظام التعليمي الجيد يقود في نهاية الأمر إلى العدالة الاجتماعية والاقتصادية ، فهو يفتح باب الحراك الاجتماعي على مصراعيه للفئات الاجتماعية الأقل حظا ، وهذا بطبيعة الحال يؤدي إلى زوال الفروق الاجتماعية والاقتصادية ، مما ينتج عنه توسيع قاعدة الطبقة الوسطى ، وهذا في

حد ذاته يوفر لنا أحد الشروط الأساس المهمة للنظام الديمقراطي .

٦ ـ النظام التعليمي الجيد ينتج عنه مؤسسات علمية عالية ، تسعى بالبحوث العلمية التطبيقية لحل مشاكل المجتمع ، وإعطاء صانع القرار السياسي دراسات علمية ، واختيارات متعددة ، تهدف إلى عقلنة القرار السياسي ، الأمر الذي يجعل صاحب القرار في غنى عن تقديم الوعود البراقة التي قد لاتكون مرتكزة على معطيات الواقع ، والتي تؤدي دائما إلى إحباط جماهيري ، يقود إلى أزمات سياسية ، تلحق الضرر بالاستقرار السياسي الذي يعد من أهم شروط التنمية الشاملة للمجتمع ، إن هذا هو ما يسمى ثورات الآمال المتصاعدة التي لاتكاد تخلو منها معظم دول العالم الثالث .

٤ ـ من هم الذين نريد مخاطبتهم من صانعي القرار السياسي ؟

١ ـ يجب علينا أن نتعرف على الفئات التي نود أن نخاطبها من صانعي القرار السياسي :

أولا : رؤساء الدول .

ثانيا : رؤساء الوزارات .

ثالثا : وزراء التربية والاقتصاد والتخطيط .

٢ ـ في المجتمعات الديمقراطية تتسم وسائل الاتصال بالسهولة والوضوح ، فتتم مخاطبة صانع القرار عن طريق العملية الانتخابية نفسها . ويلعب الناخب دورا مهما في حجب الثقة عن صانع القرار الذي لايلتزم ببرنامج حزبه من القضايا التي تواجه المجتمع .

ولكن على الرغم من غياب الانتخابات والديمقراطية في أغلب الأقطار العربية يظل الرأي العام في بعضها يتمتع بتأثير قوي ، على الرغم من كونه غير مباشر على عملية صنع القرار السياسي .

٣ ـ انطلاقا من ذلك نحتاج إلى تعبئة مجتمعية متكاملة (الاستراتيجية الإعلامية) . ويجب التركيز هنا على فكرة ندوات موسعة مع المواطنين العاديين (ندوات استماع) ، لعرض وجهة نظرهم لنوعية التعليم الذي يتلقاه أبناؤهم في المدارس .

٤ ـ عقد ندوات أو ورش عمل ليوم واحد فقط ، لمجموعة مختارة من وزراء التربية ووزراء التخطيط .

٥ ـ دراسة جدوى عقد اجتماع مماثل من مجموعة مختارة من رؤساء الوزارات ، ومحاولة الوصول إلى بيان عن التعليم وتطويره .

٦ ـ مخاطبة الجامعة العربية وأمانات المجالس الإقليمية ، لإقناع المسؤولين فيها بوضع قضية التعليم على جداول عمل مؤتمرات القمم الإقليمية ، والسعي لعقد قمة عربية من أجل التعليم .

٧ ـ العمل على تبني فكرة أن يكون العقد الأخير من هذا القرن عقد التعليم ، انطلاقا من مؤتمر بانكوك الأخير (مارس ١٩٩٠) ، مع جعل شعار ردم فجوة المعرفة والعلم بين الشمال والجنوب شعارا لهذا العقد . □

تخلف الترجمة

● لقد تخلفنا في مجال الترجمة بصورة واضحة ، وأستطيع أن أقول بغير أن أتجاوز الحقيقة : إننا أصبحنا متأخرين عما يصدر في العالم من آثار أدبية فكرية وعلمية بما لا يقل عن نصف قرن .

رجاء النقاش

الفتاوى والأحكام الإسلامية

بين التغيير والثبات

بقلم : الدكتور عبدالمنعم النمر

تتجاوز قضايا الإفتاء حدودها الظاهرة ، المتمثلة في الرد عن سؤال أو بيان موقف الشرع من قضية ما ، لتعد دلالة على مدى إعمال العقل وعدم جمود الفكر . وعلى امتداد تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، كان ازدهار الأمة والمجتمع في عصور ازدهار الاجتهاد ، وإرساء قاعدة أن العقل قبل النقل ، وأن ما انتهى إليه السابقون قابل للنقد والتغيير .

ذلك أمر يجب أن يتنبه له المسلمون ـ وخاصتهم على الأقل ـ فليس لكل الأحكام والفتاوى الإسلامية حصانة من تغييرها حسب الزمان والمكان ، والظروف التي تمر ببيئة المسلم ومجتمعه .

لأن الأحكام المتصلة بالعبادات ، والمنصوص عليها في القرآن والسنة ، وكذلك الأحكام الدنيوية المتعلقة بالمعاملات والتصرف الحياتي القائمة على نصوص من القرآن والسنة ، كحل البيع وتحريم الربا ، وكيفية تقسيم المواريث ، وحكم القتل العمد والخطأ أو شبه العمد ، والطلاق والزواج ، كما جاءت فيه نصوص ، هذه الأحكام لا مجال لأحد في تغييرها ، [illegible] في بعض الظروف السائدة [illegible]

[illegible]

يكون معناها محتملا لأكثر من وجه ، وهذه يجري فيها الرأي الذي يقوم به العالم المتخصص على ضوء مايفهمه من الكتاب والسنة . لا على ضوء ظروف الحياة وتحقيق المصلحة . مثل قراءة الفاتحة في كل ركعة بالصلاة ، هل هي ضرورية لصحة الصلاة ، أو مكروهة في بعض الحالات . ومثل قراءة البسملة فيها، هل هي ضرورية أو مكروهة ، ومثل مسح بعض الرأس في الوضوء ولو بمقدار أصبع أو مسح الربع منه ، أو مسحه كله ، ومثل لمس المرأة الأجنبية بدون حائل ، هل ينقض الوضوء أو لا ينقضه . هذه الأمور الفرعية المتصلة بهذه العبادات جرى فيها استعمال الرأي على ضوء فهم ما ورد من القرآن أو السنة [illegible] ، وحفلت الكتب بآراء المجتهدين [illegible] رأى الشافعي مثلا غير رأي أبي [illegible]

[illegible]

وليس لي أو لك أو لأي عالم أن يخرج عن إطار مافهمه وقاله هؤلاء الأئمة وأمثالهم من المجتهدين في المذاهب الأخري ، بحجة مراعاة المصلحة الوقتية ، لأن المصلحة التى نفهمها لم يكن لها دخل في ما ذهب إليه الأئمة من آراء في أداء العبادات ولم يبنوا آراءهم عليها ، بل على ضوء فهم النص القرآني أو النبوي .

اجتهادات للفهم

فالموضوعات التى جاء بخصوصها نص قطعي المعنى ، وقطعي الثبوت ، لم يحصل فيها اجتهاد ، وعلى ذلك تبقى ثابتة لاتتغير على مدى الزمان ، والموضوعات التى جاء بها نص قطعي الثبوت ، ولكنه يحتمل معنيين أو أكثر ، فيجد العلماء فيه مجالا لفهم المعنى ، فيفهم أحدهم معنى ويرجحه غير مايفهمه الآخر . مثل مايفهمونه من معنى الباء في قوله تعالى « فامسحوا برؤوسكم » فالباء تأتي للتبعيض ، أي بعض رؤوسكم ، وهو صالح لمسح شعيرات ، أو مثل وضع اليد يعنى ربع الرأس ، وتأتى زائدة ، فالمعنى فامسحوا رؤوسكم ، فيكون مسح جميع الرأس .

فتعددت الآراء حسب فهم كل لمعنى « الباء » وليس في هذا الفهم اجتهاد بمعناه الصحيح ، لأن هذه المعاني لغوية ، واختار كل من الأئمة معنى لغويا راجحا عنده ، ولم يجهد فيه عقله . ومثل عدة المطلقة التى تأتيها الدورة التي قال الله فيها : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » ، والقرء في اللغة يأتي بمعنى الحيض ومعنى الطهر ، فهو من الألفاظ المتضادة . فالشافعى اختار ثلاث حيضات للعدة ، وأبو حنيفة اختار لها ثلاث دورات من الطهر بين حيضتين ، ليس عن اجتهاد منهما في فهم المعنى ، ولكن عن اختيار لمعنى منهما ، ولذلك لايعد اختلافهم اختلاف اجتهاد ، ولكن اختلاف اختيار ، ولم يتبعوا فيه كما يتبعون في الاجتهاد . والمآل هنا واحد على كل حال ، فالأحكام التى جاءت للعبادات في كتب أو آيات التشريع أو السنة التشريعية لاتتغير حسب ظروف الزمان والمكان ، وقد حقق المشرع ، وهو الله ، المصلحة للعباد ، كما يعلمها سبحانه ونحن لانعلمها كعلمه كما يقول سبحانه : « آباؤكم وأبناؤكم لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا » ، بعد تحديد بعض المواريث ، فالله الذى يعلم المصلحة في هذا هو الذي حدد وحكم ، وأنتم لاتدرون أين تكون المصلحة في إعطاء هذا وترك ذاك .

ومن هنا قرر الأصوليون أن العبادات حق لله ، فمن شأنه وحده أن يحدد كيف نعبده ، وليس لأحد دخل في هذا .

أحكام المعاملات :

أما المعاملات وترتيبها وأحكامها ، فهي حق للعباد ، ومن أجل مصالحهم في دنياهم ، فمن حقهم أن يحددوا أين تكون مصالحهم ، إذا لم يأت من المشرع الحكيم نص قرآنى يحددها ، كما جاء مثلا في المواريث ، لما يعلمه سبحانه من تدخل العواطف فيها ، فحسم فيها الرأي .

وقد أشار الرسول - ﷺ - إلى هذا في حديثه المشهور بعدما حدث في تلقيح النخل : « إذا أمرتكم بأمر من أمور دينكم فخذوا منه مااستطعتم وماكان من أمر دنياكم فإليكم ، أنتم أعلم بشئون دنياكم » .

وكان هذا الحديث هو الأصل في إمكان تغير بعض الأحكام الخاصة بالمعاملات ، حسب تغير عللها ، وظروفها ، والمصلحة للناس فيها ، على أن يكون التغير على أساس القواعد العامة الشرعية : مثل « لاضرر لاضرار » ، « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » وغيرها ، أي يدور الاجتهاد والتشريع والفتوى في فلك الهدف العام للشريعة لاحسب الهوى ، فيكون الرأى فيها رأيا بشرياً ، مجرداً عن الهوى ، محكوما بالهدف العام النبيل للشريعة لا حكما إلهيا ، وقد بدأ هذا منذ عهد التشريع في حياة الرسول ﷺ .

فالرسول ﷺ عندما جاء للمدينة ، وطوال مدة حياته فيها ، أخذ يقدر معاملات الناس في مجتمعه ، على ضوء الهدف العام من

الشريعة ، فهذه المعاملة مثلا ليس فيها ضرر على الناس ، ولا تحدث بينهم شقاقا ولانزاعا ، فهي إذن جائزة ، يمكن أن يظلوا يعملون بها ، مثل معاملة « القراض » المال من جانب والعمل من جانب ويتقاسم الجانبان الربح ، فقد كانت معاملة يتعامل الناس بها في الجاهلية حسب مصلحتهم ، فأعطاها الرسول - ﷺ - إذن مرور للعمل بها إسلاميا ، دون أن ينزل وحي بها .

وأحيانا وجد معاملة يتعاملون بها ، دون نزاع وضرر ، فأجازها ، ثم وجد أن النزاع والشكوى بدأت تظهر منها ، فأوقفها ، وأرشدهم إلى طريقة أخرى في المعاملة ، تقضي على هذا النزاع ، وغير رأيه الأول - الاجتهادي طبعا - وبين للناس السبب في ذلك ، وعلى سبيل المثال :

جاء الرسول - ﷺ - للمدينة فوجدهم يتبايعون في الثمار قبل نضجها وبدون صلاحها دون تضرر ونزاع ، فأباحها لهم في ظل الإسلام ، ثم بدأ المتعاملون بها يتنازعون وتكثر شكواهم : الثمرة أصابها مرض ، أصابها . . أصابها ، وجاءوا للرسول (ﷺ) يتحاكمون إليه ، فغير رأيه الأول بناء على هذا ، وقال لهم : « أما وقد تنازعتم فلا تبيعوا الثمر قبل ظهور صلاحه ونضجه » ومنع بذلك بيع الثمر قبل ظهور صلاحه ، حتى لايتعلل المشتري بما طرأ عليه من تلف ، ليرجع في الصفقة ، أو ينقص له البائع من ثمنها الذي تبايعا عليه .

وكان الهدف من ذلك أمام الرسول - ﷺ - هو تحقيق المصلحة للمجتمع ، والقضاء على أسباب الخلاف والنزاع ، وعلم الرسول ﷺ بذلك أصحابه ، كيف يتصرفون في مثل هذا الأمر ، ويديرون أحكامهم على ضوء المصلحة ، وعدم حدوث نزاع بين الناس ، وأن الواحد منهم لايستنكف من نقض حكم حكم به بالأمس ، إذا وجد المصلحة في نقضه ، وهذا مما وصى به عمر - رضي الله عنه - ولاته وقضاته .

ومعنى هذا بوضوح أن أحكام الرسول - ﷺ - في مثل هذه الأمور الجزئية ، لم تكن على أساس وحي من الله ، نزل عليه ، خاصا بهذه الجزئية ، بل كانت باجتهاد منه وتقدير للمصلحة على ضوء الظروف التي أمامه ، وكان الصحابة والتابعون يعرفون ذلك ، وعلى ضوء معرفتهم هذه أجازوا لأنفسهم الاجتهاد والتصرف في هذه المسائل الحياتية الدنيوية الخالصة ، على ضوء ظروفهم ومصالح الناس في أيامهم ، فغيروا بعض الأحكام ، حتى التى حكم بها الرسول ﷺ ، لأن الظروف التي حملته على الحكم في أيامه قد تغيرت ، وأصبح تمسكهم بهذا الحكم ، على الرغم من تغير الظروف ، مضيعا للمصالح ، محدثا للضرر ، مما يخالف هدف الشريعة من أحكامها .

وقد ذكرت كتب الأصول وتاريخ الفقه أمثلة متعددة لهذه الأحكام النبوية التي غير فيها الصحابة ، والتابعون ، لتغير الظروف في أيامهم عما كانت عليه أيام الرسول عليه الصلاة والسلام ، منها إجازة التقاط ضالة الإبل ، بعد أن كان الرسول ﷺ قد منعه ، رأى ذلك عثمان وعلي ، رضى الله عنهما ، لمصلحة صاحب الإبل ، ولم يخالفهما أحد من الصحابة لماتغيرت الظروف ، وإجازة التسعير للسلع ، بعد أن امتنع عنه الرسول (ﷺ) ، كما رأى سعيد بن المسيب ، رضي الله عنه ، وأفتى به ، لما رأى جشع التجار وقلة أمانتهم ، مما لم يكن موجودا أيام الرسول ﷺ ، فأحدث حكما يواجه به حالة الناس ، ويمنع من الضرر ؛ بل إننا وجدنا القاضى شريحا يحكم في الموضوع الواحد في أواخر حياته ، غير الحكم الذي كان قد حكم به في أوائل عمله بالقضاء ، ولما سئل : كيف ذلك ؟ قال : لتغير الذمم وتجرؤ الناس على الكذب .

فتاوي السابقين لاحصانة لها

هذه الآراء وغيرها من الآراء الاجتهادية في فهم شريعة الله هي - كما قلنا - آراء وأحكام بشرية ، وليس من الصواب أن نسميها أحكاما إلهية ، ونقول : هذا حكم الله ، بل نقول : هذا رأينا ، ومبلغ علمنا ، فإن كان صوابا فمن

الله ، وإن كان خطأ فمنا ومن الشيطان . كما كان يقول أسلافنا ، اهتداء بقول رسول الله - ﷺ - حين كان يوصى أمير الجيش أو السرية فيقول : وإذا حاصرت حصنا فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لاتدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا ؟ رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه .

ولذلك كان يقول المجتهد من الأئمة : « حكمي صواب يحتمل الخطأ ، وحكم غيري خطأ يحتمل الصواب »، وقال ابن القيم في إعلام الموقعين : لايجوز للمفتي والحاكم أن يقول : « هذا حكم الله ، أو أحل الله ، أو حرم الله لما يجده في كتاب تلقاه عمن قلده » .

وقد حضر ابن تيمية مجلسا ذكرت فيه قضية وقيل : حكم فيها بحكم الله ، فقال : بل حكم فيها برأي زفر بن الهذيل (صاحب أبي حنيفة) ، ومن هذا كله يتبين لنا بجلاء أن الآراء الاجتهادية في الشريعة لايصح أن نقول فيها : إنها آراء وأحكام الهية ، بل إنها آراء بشرية ، رآها المجتهدون في فهمهم لشريعة الله ، وعلى أساس قواعدها وأهدافها ، ونحن نقول الآن : هذا رأي الشافعي أو مالك .. الخ .

ومن هنا كان من البديهى ، أن هذه الآراء أو الأحكام الاجتهادية لاتأخذ حكم الخلود ، كالآراء والاحكام المنصوص عليها نصا قطعيا كالعبادات والمواريث والحدود وكتحريم الربا ، وللذكر مثل حظ الأنثيين من أخواته ، بل تكون آراء وأحكاماً قابلة للتغيير حسب الظروف المحيطة بالمجتمع ومصلحته .

أخطاؤنا :

ولذلك كان من أخطائنا نحن العلماء التي لاتغتفر أن نحيط هذه الاجتهادات والأحكام التى صدرت في ظل زمان مضى وظروف خاصة ، بقداسة ، وأن نأخذها كلها قضية وأحكاما مسلمة ، لايصح النظر فيها ، ولا تعديلها ، ولو كانت الظروف والمصلحة الآن تقتضي منا تعديلها ، بحيث لو بقي الحكم على حالة لزم منه المشقة والضرر ، ولخالف قواعد الشريعة في التيسير ، كما يقول الفقيه الحنفي ابن عابدين ، إذ لايجوز أبدا أن نأخذ برأي فلان أو فلان من الأئمة والعلماءالسابقين في أحكام المعاملات الحياتية التي تقوم أصلا ، أو قامت ، على أساس ظروف ومصالح سابقة ، دون نظر إلى ظروفنا ، وإلى مايحقق المصلحة للناس في زمننا .

ومن المجازفة والخطورة التي نفعلها نحن العلماء والناشرين لفتاوى السابقين وآرائهم في أحكام المعاملات أن ننشرها دون أن ننبه فيها إلى هذه الحقيقة : من أنها قيلت في زمن ، وفي ظل ظروف قد لاتتوافر الآن ، ومن الضروري على من يريد الإفتاء في موضوع من موضوعاتها الآن ، أن يأخذ في اعتباره قبل أن يستشهد بها ، ويفتي على أساسها ، ظروفنا ومصالحنا الآن ، لأنها آراء أشخاص اجتهدوا وقالوها ، وربما لاتكون المصلحة الآن في أخذها قضية مسلمة ، بل لابد من البحث والنظر ، إذا كانت تناسب ظروفنا ، وتحقق المصلحة للناس الآن ، فاذا وجدوها مناسبة أخذوا بها ، وإن وجدوها على غير ذلك ، بدّلوها وعدلوها ، على ضوء حالنا ومصلحتنا ، وبما يحقق المصلحة واليسر على الناس في حياتهم .

وهذا أمر قد يصدم بعض الناس ، من المقدسين لآراء السابقين ، مع أنه ليس بغريب على مسيرة الفقه الإسلامي ، في عهود ازدهار الاجتهاد والمجتهدين ، إذ أن كون الظروف والمصالح تتغير حسب الزمان والبيئة أمر مسلم به ، منذ عهد الرسول ، ﷺ ، وضرورة تأثر الحكم بهذه المتغيرات أمر مسلم به كذلك.ولذا غير الإمام الشافعي بعض آرائه التي أبداها في العراق لما حضر إلى مصر ، وراعى تغير الظروف فيها عن العراق والبلاد التى عاش فيها زمنا وأبدى رأيه فيها .

فليس في ما ندعو إليه غرابة ، بل الغرابة والخطر في الشريعة أن نعد الآراء الاجتهادية المتأثرة بالظروف والزمن التي رآها بشر اجتهدوا

قدر طاقتهم ، نعدها مقدسة أو شبه مقدسة ، كالأحكام الإلهية المأخوذة من النصوص القرآنية القطعية المعنى والثبوت . وأحمد الله على أن الآراء والعقول الآن قد بدأت في مراعاة هذه الحالة ، ولذلك نجد الآن بعض فتاوى تغاير بعض ماصدر في ما سبق من الزمان .

فقد صدرت مثلا فتوى في النصف الأول من هذا القرن بعدم السماح للمرأة أن تكون ناخبة أو نائبة ، وتجاوز الزمن هذه الفتوى ، كما تجاوزتها الفتوى البصيرة من العلماء الآن إذ لم يقروا الدليل الذي استند عليه المانعون ، ونظروا إليه من وجهة نظر أخرى ، فوق أن المرأة تعلمت وقطعت أشواطا في العلم كالرجل ، وكذلك في الوظائف ، وبرز الكثير منهن في عملهن وتخصصهن . فلم يعد من المستساغ باسم الدين منعهن من إبداء الرأى في الانتخابات أو المجالس التشريعية ، أو الأعمال الإدارية ، بينما نعطيه الرجل الأمي ، على أن لكل بلد وضعا يراعيه المفتون في فتاواهم ، قد لايوجد في بلد آخر ، ولذلك وجدنا مثلا الفتوى في قيادات السيارات تتغير حسب أوضاع كل بلد ، وهذا أصل من أصول الفتوى ، لايعاب الذين أخذوا به ، وعندما تتغير الأوضاع في البلاد التى منعت ، ستتغير الفتوى حسب الأوضاع الجديدة .

في شهادات الاستثمار :

ومنذ صدر القانون سنة ١٩٦٥ بإنشاء شهادات الاستثمار وأخذ أرباح محددة عليها في أ ، ب ، والعلماء يفتون بأن هذه الأرباح من الربا المحرم ، لكن بدأت النظرة تتغير ، وقدم عالمان جليلان رأيهما سنة ١٩٧٦ لمؤتمر مجمع البحوث بالأزهر بجوازها ، كما نشرت رأيي في الأهرام في ٥ فبراير ٨٢ ، ثم في كتابي : « الاجتهاد » بجوازها ، وانضم الى رأيى الأغلبية من أعضاء المجمع في آخر اجتماع عقدته اللجنة الفقهية برئاسة شيخ الأزهر ، بينما كان المفتي الأسبق (شيخ الأزهر الآن) قد أفتى بحرمتها .

والتأمين : كان العلماء ومايزالون يفتون بحرمته ، بناء على رأى الفقيه ابن عابدين ، حتى قدم عالم جليل هو المرحوم الشيخ علي الخفيف رأيا بجوازه لمجمع البحوث في مؤتمره سنة ١٩٦٤ ، وفي سنة ١٩٦٥ أصدر المجمع رأيا بجوازه في ما تقوم به الجمعيات التعاونية للمشتركين فيها ، وفي ما تقوم به الحكومة لموظفيها ، أما التأمين الذي تقوم به شركات التأمين فلم يبد فيه رأيا ، وطرحه لمعرفة رأي العلماء فيه ، ولم يبت فيه حتى الآن . وقد أجازته جماعة وحرمه آخرون ، وقدمته فيه رأيى بالجواز ، ونشرته مع تحفظ ، وهو أن تشرك هذه الشركات الأفراد المؤمن عليهم أو أصحاب التأمين على السيارات وغيرها في ما يعود من ربح من تشغيل أموالهم ، كل منهم بنسبة مادفعه ، مع تفصيل ذكرته في محله .

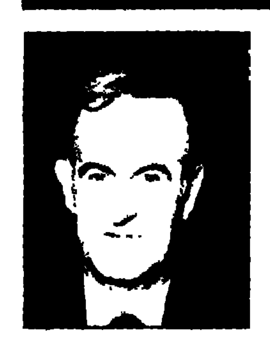
وهكذا ، وبعد كل ما سبق ، نعرف أن الأحكام والفتاوى التي صدرت في شأن من شئون المعاملات الدنيوية ، بناء على اجتهاد المجتهدين لاتأخذ كلها ميزة الثبوت والخلود ، كما هو الشأن في أحكام العبادات ، بل هي قابلة للتغير حسب الزمان والمكان والمصلحة والعرف السائد ، وهو أصل من أصول التشريع ، ومن هنا كان نشرها وإذاعتها وترويجها بين عامة المسلمين ومقلديهم ، عملا غير مناسب لايخدم شريعة الله ، بل يسيء إليها وإلى الفكر الاسلامى الذي يجب أن يتجدد ، وهو يتجدد فعلا في حيز ضيق ، ويحدث حيرة واضطرابا في الناس ، بين فتاوى كانت مقبولة في أيامها ، وفتاوى حديثة قائمة على أصول الفتوى من مراعاة الزمان والمكان والمصلحة .

ولو أن الفتاوى في الأمور الدينية العبادية استخلصت ونشرت للناس بشكل واسع لحمدنا للناشر عمله ، وماكان لنا عليه أي ملاحظة ، اللهم إلا نادر النادر ، يمكن أن نضعها في الهامش لمجرد التنبيه ، ولكن الأمور والنوايا الطيبة قد يفوتها أحيانا شيء، والكمال لله وحده . □

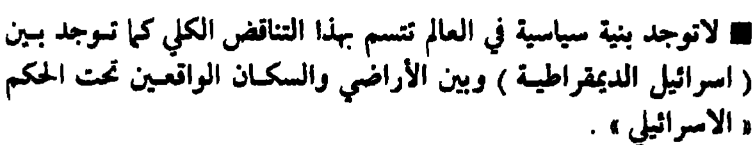
أقوال

■ إن ما يحدث من تطورات في العالم اليوم يشكل إنذارا إضافيا كي نتحسب ونعد العدة ، إن لم يكن لاستدراك ماخسرناه ، فمن أجل ألا نضيع ماورثناه ومازال في حوزتنا .

الرئيس السوري حافظ الأسد



● حافظ الأسد



■ لاتوجد بنية سياسية في العالم تتسم بهذا التناقض الكلي كما توجد بين (اسرائيل الديمقراطية) وبين الأراضي والسكان الواقعين تحت الحكم « الاسرائيلي » .

ابا إيبان

وزير خارجية « اسرائيل » الأسبق



■ اصطناع الطاعة أشد ضلالة من تصيد الخطأ .

كامل زهيري

● كامل زهيري

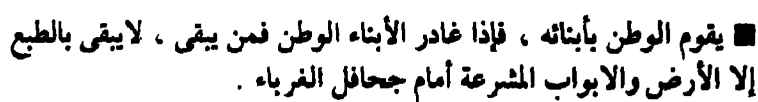
■ يقوم الوطن بأبنائه ، فإذا غادر الأبناء الوطن فمن يبقى ، لايبقى بالطبع إلا الأرض والابواب المشرعة أمام جحافل الغرباء .

منى الهراوي

حرم الرئيس اللبناني



● منى الهراوي



■ أعتقد أن الحياة بدون شعر ليس لها معنى ، والشعر ليس هو الكلام الموزون والمقفى ، الشعر هو السلوك الانساني العظيم .

الشاعر عبدالوهاب البياتي



■ العمل التشكيلي يصدر عن وجدان إنساني مليء بالتجارب والرؤى ، وهو غير التقنية .

محمد ستيتية

فنان تشكيلي ليبي

● عبدالوهاب البياتي



بقلم : الدكتور عبدالله حمد المعجل*

ما بين الحلم الإنساني بالعودة إلى الماضي، والحلم بالانتقال إلى المستقبل نما كثير من الخرافات والأوهام والآمال، استند بعضها على خزعبلات، وبعضها على خيال علمي، اتخذ شكل نفق للزمن، يتجول فيه الإنسان بين عصور انقضت وأخرى ستأتي، ولكن ماذا إذا عرفنا أن العلم يؤكد أننا لا نرى إلا ماضي الأشياء وأنه يستحيل رؤية حاضرها ! وبعد أن أكد أن الكون لا يتحدد بطول وعرض وارتفاع فقط، ولكن بزمن أيضاً، أيظل الحلم حلماً؟ أم أننا أصبحنا على أعتاب عصر تتلاقى فيه كل العصور ؟

حين ننظر إلى السماء في ليلة صافية، يغيب فيها القمر، فإننا نرى الكثير من النجوم تزينها، وتشع بدرجات مختلفة وبألوان متعددة ضمن حدود معروفة، كما نرى تجمعاتها في مجرة الطريق اللبني (التي ننتمي إليها)، وقد نرى أيضا بعض المجرات البعيدة باستعمال المناظير المكبرة. هل نحن فعلا نرى هذه النجوم والمجرات كما هي؟ في الحقيقة نحن لا نرى إلا تاريخ هذه النجوم، بعضها منذ آلاف وربما ملايين السنين، فأغلبها يحتاج الضوء الصادر عنها إلى آلاف أو ملايين من السنين ليصل إلينا. وربما تكون بعض هذه النجوم قد انفجرت أو انكمشت على نفسها وتلاشت، ولكننا لن نعرف هذه الحقيقة إلا بعد فترة طويلة من الزمن تلك التي يحتاجها الضوء الصادر لحظة الانفجار أو الانكماش ليصل إلينا. نحن إذن نستطيع أن

* كاتب اقتصادي من القطر العربي السعودي.

نرى الماضي. وفي الواقع نحن لا نرى إلا الماضي، ولكن إذا كانت الأجسام التي ننظر إليها قريبة فإن هذا الماضي يصبح قريبا جدا، وقد لا يزيد عن جزء ضئيل من الثانية. إننا لا يمكن أن نرى الحاضر لجسم ما، إلا إذا التصق بشبكية العين، ولكن ذلك بالطبع سيؤدي إلى فقدان البصر وعدم الرؤية إطلاقا.

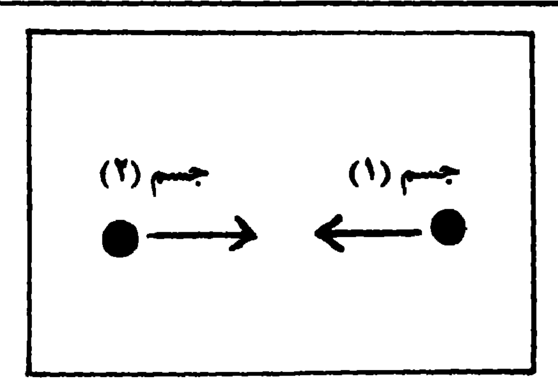
هل نستطيع أن نرى المستقبل أيضا؟ لقد أثرى موضوع رؤية المستقبل أدب الخيال العلمي بكثير من المواضيع والروايات الشيقة. ولكن ماذا عن الواقع العملي؟ إننا نستطيع أن نضع البدائل المختلفة للأشكال المستقبلية لواقع ما، وقد نصل إلى تصور دقيق إلى درجة كبيرة في بعض الأحيان، ولكننا لا نستطيع أن نرى المستقبل.

اتجاهات الزمن

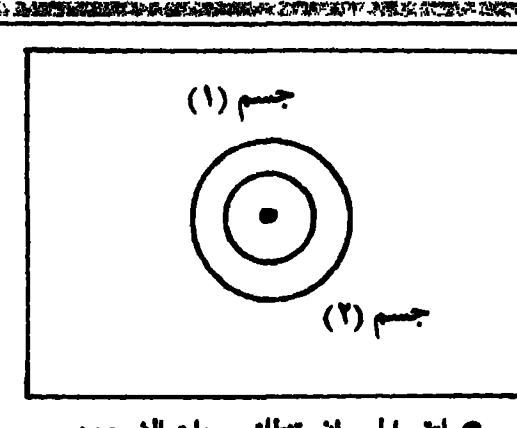
ويقول العالم ستيفن هوكنغ في كتابه «تاريخ موجز للزمن»:

نحن نستطيع أن نتذكر الماضي، ونستعيد صور الأحداث التي جرت فيه، ولكننا لا نستطيع أن نتذكر المستقبل. وهذه الحقيقة في الواقع أحد الأساسيات لتحديد مفهوم الزمن واتجاهه، فالزمن ظاهره ينقسم إلى ماض ومستقبل. الماضي هو الجزء الذي نستطيع أن نراه، وأن نتذكره، والمستقبل هو الجزء الذي لا نراه ولا نتذكره. والزمن يسير بالاتجاه من الماضي إلى المستقبل. ويسمى هذا الاتجاه بالاتجاه السيكولوجي. حيث إنه يتصل مباشرة بالقدرات العقلية للانسان.

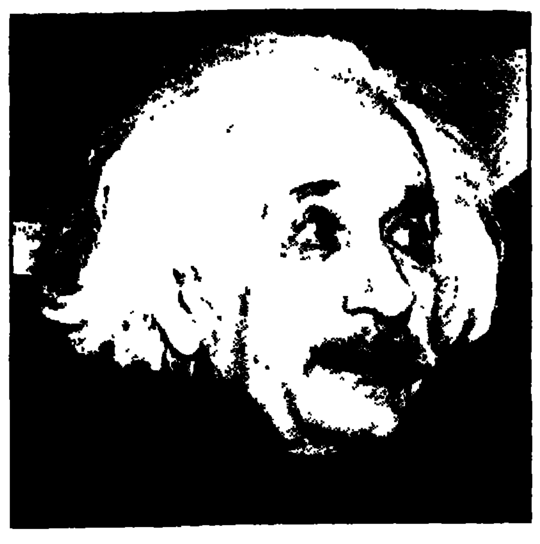
ما الاتجاهات الأخرى التي تحدد مسيرة الزمن؟ هناك اتجاهان آخران تم تحديدهما من خلال ملاحظات وتجارب وقوانين الفيزياء الحديثة. أولهما هو اتجاه زيادة الفوضى أو ظاهرة «انتروبي». تصف هذه الظاهرة حقيقة أن الأمور تتجه دائما نحو الفوضى - ونقصد بالفوضى هنا التبعثر والابتعاد عن التجانس والانسجام الموقعي - . فلو قسمنا غرفة مغلقة - مثلا - عدة أجزاء معزولة، يحتوي كل جزء على غاز معين، ثم أزلنا الحواجز فإن الغازات ستختلط وتزداد اختلاطا مع مرور الزمن. وإذا أسقطنا كأسا من الزجاج على أرض صلبة فإننا نراه يتفتت قطعا صغيرة مختلفة الأشكال، لكن ظاهرة «انتروبي» تؤكد أن العكس لا يمكن أن يحدث، أي أن تتجمع القطع المتناثرة حول نفسها وتتلاصق لتكون الكأس مرة أخرى، كما نرى إذا ما قمنا بتصوير الحدث على شريط «فيديو» ثم أعدنا العرض بالاتجاه المعاكس.



● الجسمان يسيران في اتجاهين متعاكسين بسرعة ثابتة



● يلتقي الجسمان وتنطلق موجات الضوء من المصدر



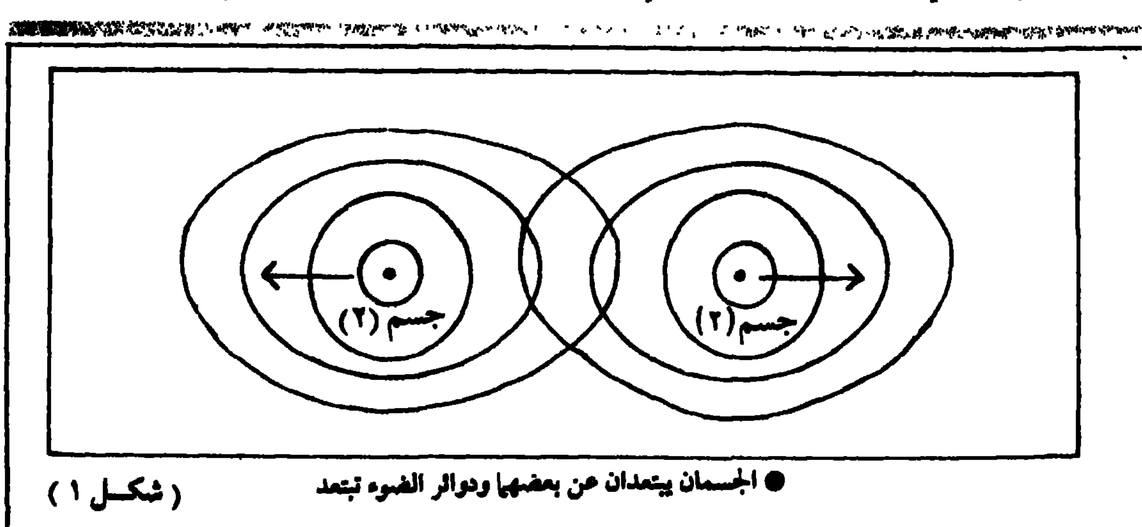
● أينشتين

فظاهرة انتروبي إذن تحدد اتجاه الزمن بأنه يسير من الواقع المنظم الى اتجاه الفوضى. ويسمى هذا الاتجاه الاتجاه « الثيرموديناميُ » . والاتجاه نحو الفوضى هنا مبني على نظرية الاحتمالات التي تؤكد أن احتمال الوصول إلى الشكل المنظم احتمال ضئيل جدا أو مستحيل .

أما الاتجاه الثاني فهو ما يطلق عليه اسم الاتجاه الكوني. وهو يتحدد بحقيقة أن الكون حولنا باتساع مستمر. كيف أمكن الوصول إلى هذه الحقيقة ؟ لقد تم تطبيق ما يسمى «تأثير دوبلر»، الذي يؤكد أن عدد الموجات في الثانية التي تصل إلينا من مصدر للطاقة متحرك، يزداد إذا اتجه المصدر نحونا، ويقل إذا تحرك بالاتجاه المعاكس. إن فكرة هذه الظاهرة تعتمد ببساطة على حقيقة أن ما يصدره مصدر الطاقة من موجات يتراكم بسرعة في حالة اتجاهه نحونا، ويتباعد في حالة سيره بالاتجاه المعاكس. وفي حالة الضوء المرئي الذي ينقسم إلى ألوان الطيف السبعة، فإنه من المعروف أنه كلما قل عدد الموجات في الثانية فإن اللون يتجه نحو الأحمر، وكلما زادت فإنه يتجه نحو البنفسجي. ولقد أوصلت الملاحظة الفلكي الأمريكي هوبل إلى حقيقة مذهلة، فقد اكتشف أن الغالبية العظمى من المجرات تطلق أشعة أقرب إلى اللون الأحمر. والتفسير الوحيد لذلك هو أن هذه المجرات تبتعد عنا، ويتباعد بعضها عن بعض، أي أن الكون من حولنا باتساع وتمدد مستمرين وبالتالي فإن الزمن يسير باتجاه تزايد حجم الكون واتساعه.

الحقيقة نسبية

حتى البدايات الأولى لهذا القرن كان الإعتقاد السائد هو أن الزمن بلا بداية ولا نهاية، وأنه يسير بمعدل ثابت في الكون، فالزمن الذي يمر على جسم ما هو الزمن نفسه



● الجسمان يبتعدان عن بعضهما ودوائر الضوء تبتعد

(شكـــل ١)

لجسم آخر. وقد ارتبطت هذه القناعة بافتراض وجود مادة في الكون، بكثافة متساوية في أرجائه، سميت الأثير، وتمثل الوسط الذي تنتقل فيه موجات الضوء، إلا أن تجربة قام بها الفيزيائيان مايكلسون ومورلي، باستعمال مجموعة من المرايا العاكسة، بأوضاع مختلفة، وعلى مسافات متباعدة، مع أجهزة قياس دقيقة، أثبتت أن سرعة الضوء واحدة في جميع الاتجاهات بالنسبة للأرض. ونتيجة لهذه التجربة فقد اهتزت قناعات كثيرة سابقة وأصبحت فكرة الأثير غير مقبولة، إلا إذا افترضنا أن الأرض ثابتة فيه، وبقية الأجرام تتحرك، بمعنى إذا افترضنا أن الأرض هي مركز الكون، وبذا نعود إلى النظريات البدائية لأرسطو حول مفهوم الوجود والكون. لقد أدت الثورة التي أحدثتها تجربة مايكلسون ومورلي والتحديات التي وضعتها أمام النظريات الكلاسيكية إلى قبول بعض العلماء للفكرة البدائية التي تقول: إن الأرض هي مركز الكون، حتى جاء أينشتين لينطلق من الفرضية البسيطة بعدم وجود أثير، وأن سرعة الضوء ثابتة في جميع الاتجاهات لأي جسم في الكون.

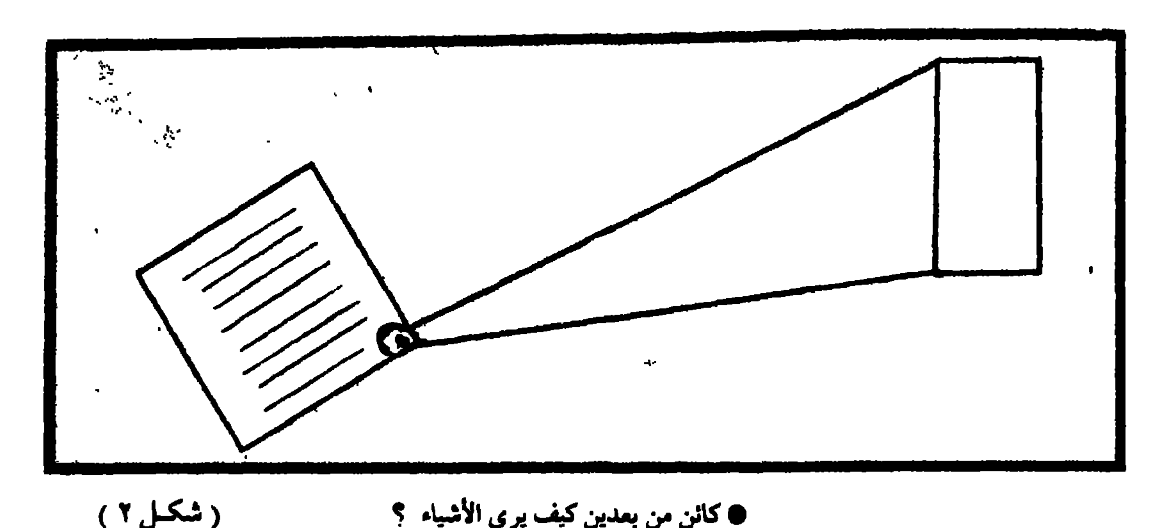
وهنا طرح السؤال التالي: ماذا يحدث لو أن جسمين يسيران كل منهما باتجاه الآخر في الفضاء، بسرعة ثابتة، وفي لحظة لقائهما ينطلق ضوء من مصدر بجانبهما. يفترض الجسم الأول أنه ثابت، وأن الجسم الثاني يسير، وكذلك يفترض الجسم الثاني أنه هو الثابت وأن الجسم الأول يسير، (كلاهما على حق، فكل جسم يعد نفسه المرجع للقياس. إننا حين نتحدث عن السرعة لجسم ما، بشكل مطلق، فنحن ضمنا نقصد السرعة بالنسبة للأرض، أي أننا نعد أنفسنا المرجع الذي نقيس منه حركات الأجسام الأخرى). والآن ماذا يحدث في الواقع لموجات الضوء؟ وما المسافة التي يصل إليها محيط دائرة الضوء بعد فترة من الزمن؟ وكما نعرف فالمسافة تساوي السرعة مضروبة في الزمن (م = س × ن حيث م = المسافة، س = السرعة، ن = الزمن). فإذا ضربنا سرعة الضوء (الثابتة) في الزمن سنصل الى نتائج مختلفة بين تقديرات الجسم الأول وتقديرات الجسم الثاني.

والآن ما الحقيقة؟ أو؛ هل هناك حقيقة مؤكدة مطلقة بالنسبة لموقع الموجات الضوئية ومسافتها؟ يجيب أينشتين بأن الحقيقة نسبية. فكلا الجسمين على حق، إلا أن الاختلاف في حساباتهما ناتج عن الاختلاف في زمنيهما. فالزمن الذي يمر على الجسم الأول ($ن_١$) يختلف عن الزمن الذي يمر على الجسم الثاني ($ن_٢$). وباستعمال بعض الأساليب الرياضية البسيطة التي يستطيع طالب الثانوية أن يقوم بها أمكن إيجاد علاقة بين ($ن_١$) و($ن_٢$)، تعتمد على السرعة النسبية الثابتة بين الجسمين. من هذه العلاقة انبثقت مجموعة من العلاقات بين الكميات الفيزيائية في كلا المرجعين، كونت ما يسمى النظرية النسبية الخاصة التي أدت الى اكتشاف حقيقة هي أن الطاقة والمادة تمثلان ظاهرة واحدة، والعلاقة بينهما تتمثل في المعادلة الشهيرة: (الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء، أو $ط = ك ن^٢$).

«النسبية» خاصة وعامة

لقد أكدت النسبية الخاصة أن سرعة الضوء ثابتة، والزمن متغير، وأنه لا يمكن لمادة (أو طاقة) أن تسير بأكثر من سرعة الضوء، فالعلاقات التي أفرزتها النظرية تؤكد استحالة ذلك وعدم انسجامه مع القوانين الفيزيائية المجربة.

إلا أن ذلك طرح مشكلة أخرى، فنظرية نيوتن حول الجاذبية تؤكد أن الجاذبية بين الأجسام في الكون تتم مباشرة وبدون فترة زمنية. وعلى هذا فقوى الجاذبية تسير بسرعة لا نهائية، وهذا مناقض لاستنتاجات النسبية



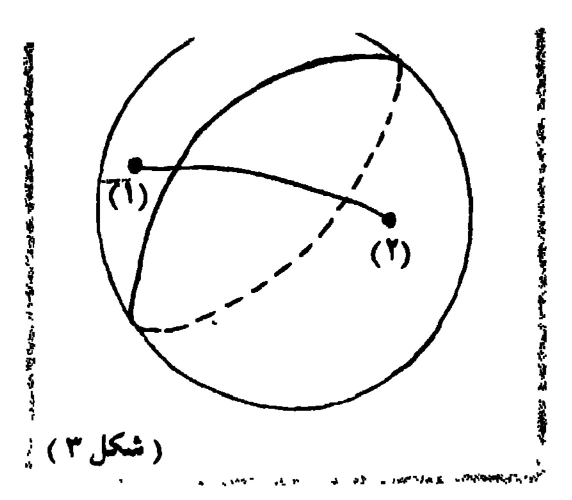
● كائن من بعدين كيف يرى الأشياء ؟ (شكـل ٢)

الخاصة التي تقول : إنه لاشيء يسير بأكثر من سرعة الضوء. لقد أمضى أينشتين قرابة ست سنوات لمعالجة هذه المعضلة، حتى خرج في عام ١٩١٥ بفكرة ثورية، مثلت النواة للنظرية المعروفة بالنسبية العامة. تقول هذه الفكرة : إن الكون ليس منبسطا كما نتصور، وإنما هو مكون من أربعة أبعاد، يمثل الزمن رابعها، بعد الطول والعرض والارتفاع، وأننا نعيش على سطح هذا الكون وجميع الأجسام على هذا السطح تتبع أقرب مسار ممكن، فهي لا تسير في منحنيات بسبب فعل قوة تسمى الجاذبية، وإنما بسبب انحناءات سطح الكون ذي الأبعاد الأربعة. إن ذلك ينطبق أيضا على مسار الطاقة، ومنها الضوء، فهي جميعها تسير في ممرات منحنية. والآن دعونا نتعرف أكثر على مفهوم الأبعاد الأربعة.

إن الخط المستقيم من بعد واحد، فله اتجاه واحد فقط، بينما السطح المستوي من بعدين (مثل سطح هذه الورقة وهنا نقصد السطح فقط، وليس الورقة نفسها) فهناك اتجاهان متعامدان، يمكن السير في أي منهما، أو باتجاه مختلط بينهما. وأي نقطة على السطح تحتاج للبعـدين لتحديد موقعها . وعلى المنوال نفسه، فالصندوق المكعب مكون من ثلاثة أبعاد، وكذلك الشكل الكروي. ولأن الإنسان نفسه في تكوينه المادي من ثلاثة أبعاد، فانه يستطيع أن يتحسس الأبعاد الثلاثة ويدركها ويتعامل معها باستعمال « ذكائه » الخاص (أغلب الحيوانات يتعامل مع بعد واحد، فلو رمينا قطعة لحم في الهواء لقط فإنه يقفز عليها باتجاه واحد، بدل أن ينتظر سقوطها على الأرض، وذلك باستعمال بعد ثانٍ ، إلا أن أغلب الحيوانات يمكن تدريبها لتتعامل مع بعدين أو ثلاثة). شكل (٢) .

والآن لو تصورنا كونا من بعدين على شكل سطح دائرة، فإن سطحه الخارجي سيكون محيط الدائرة وهو من بعد واحد، وإن كان منحنيا. يمكن السير فيه باتجاه واحد، وإن كان ذلك الاتجاه يعيدنا الى نقطة البداية. ولنتصور كونا من ثلاثة أبعاد على شكل كرة (بما في ذلك داخلها). ان سطح هذا الكون الذي يمثل سطح الكرة من بعدين، فهو كسطح الورقة، إلا أنه منحنٍ أيضا. ولو كان هناك كائن من بعدين (على شكل ظل) يعيش على هذا السطح، فإنه أولا لا يمكن أن يشعر بالبعد الثالث، أو يتعامل معه، فهو أينما تحرك سيبقى على بعدين، ولو كانت له قدرة الرؤية فلن يستطيع أن يدرك بها البعد الثالث ، لأن شبكية

المطلق، وجاءت النسبية لتنهي فكرة الزمان المطلق، فهو ليس إلا بعداً رابعا لهذا الكون المادي، وهو جزء لا يتجزأ منه، وليس له وجود بدونه، وبدايته (إن وجدت) أو نهايته (إن وجدت) مرتبطة بالبداية والنهاية لهذا الكون. وهو متغير، يمكن السير فيه ببطء أو بسرعة، شأنه شأن الأبعاد الأخرى. ولكن هل يمكن - كالأبعاد الأخرى - أن نسير فيه إلى الخلف ؟ وهل يمكن أن نصل إلى المستقبل أو نتذكره ؟ كما يغرينا العديد من روايات الخيال العلمي وأفلامه ؟



(شكل ٣)

● اقصر مسار بين نقطتين على سطح كرة هو مسار منحنٍ

عينه ستكون من بعد واحد (الكائن ذو الثلاثة أبعاد كالإنسان له شبكية من بعدين يتعرف بها على الثلاثة أبعاد). وهو ثانيا لو أراد الوصول من نقطة الى نقطة أخرى على كونه المتمثل في سطح الكرة (ويمكن أن نستعمل أي كون محدب ، سطحه غير مستو بدل الكرة) وأراد أن يستعمل أقصر مسار فلابد أن يسير في طريق منحنٍ . شكل (٣) .

والآن ماذا عن الكون الذي نعيش فيه، المكون من أربعة أبعاد، لا نتحسس منها إلا ثلاثة ؟ إن الحقيقة بكل بساطة أننا نعيش على « سطح » هذا الكون، وهذا السطح من ثلاثة أبعاد، وجميع الأجرام السماوية تسير على هذا السطح باستعمال أقصر مسار، وهذا ما يجعل بعضها يسير حول بعض، وتتحرك باتجاهات منحنية. هذه الفكرة تمثل نواة النسبية العامة. إن الموضوع أكثر تعقيدا مما طرحناه بهدف زيادة التبسيط، إلا أن ما تجدر الإشارة إليه هو أن النسبية العامة أدت الى نتائج عملية مذهلة، وأخضعت استنتاجاتها لتجارب دقيقة، جاءت لتؤكد أنها أشمل وأعم وأقدر على تفسير الظواهر الطبيعية من نظريات نيوتن.

إن السؤالين وجهان لسؤال واحد، فإننا إن تذكر المستقبل معناه أن نعود إلى الخلف والعكس صحيح. ولنصل إلى إجابة عن هذا السؤال، دعونا نستعرض كيف يقوم الحاسوب بتكوين ذاكرته. في البداية، وقبل بناء مكونات الذاكرة، فإن ذاكرة الحاسوب تكون في حالة غير منظمة. وكلما استمرت تغذية الذاكرة بالمعلومات فإنها تنتقل من حالة الفوضى إلى حالة النظام، إلا أن ما يبثه من طاقة حرارية إلى الخارج يؤدي بالعكس إلى زيادة الفوضى في الكون. ويمكن بحسابات بسيطة الوصول إلى حقيقة أن حجم الفوضى الناتجة عن هذه الطاقة الحرارية أكثر بكثير من التنظيم الحادث عن التخزين في الذاكرة، فالحاسوب يقوم إذن بعملية التذكر في الاتجاه المؤدي إلى زيادة الفوضى. والآن ماذا عن الإنسان ؟ إن الإنسان أيضا يحتاج ليستمر في حياته إلى زيادة الفوضى، فهو يستهلك أشكالاً منظمة من الطاقة (المادة) على شكل غذاء، ليحيلها إلى طاقة وحرارة، وهي شكل أكثر فوضى للمادة. نستنتج إذن أن الاتجاه السيكولوجي والاتجاه الثيرموديناميكي للزمن لابد أن يسيرا في الاتجاه نفسه، فالإنسان

مكونات الكون تسير من الفوضى إلى التنظيم. إلا أن ما يميز الإنسان كوجود «ذكي» هو أنه أوجد لنفسه زاوية صغيرة في هذا الكون، يقوم فيها بزيادة التنظيم، ولكن ليس بالقدر الكافي الذي يجعله يسير في الزمن إلى الخلف، وإنما بدرجة تجعله يستطيع تذكر الماضي، ووضع التصورات والتوقعات المختلفة للمستقبل. وقوانين الطبيعة والكيمياء لن تسمح له بأن تكون قدرته على التنظيم أكبر مما ينتج عنها من تخريب للمادة المنظمة إلى مادة فوضوية.

والآن ماذا عن الاتجاه الثالث للزمن، أي الاتجاه الكوني، أو اتجاه اتساع وتمدد الكون؟ هل هو يسير أيضا في الاتجاهين الآخرين نفسيهما؟ بعد اكتشاف حقيقة تمدد الكون ساد الاعتقاد بأن الكون بدأ كنقطة بدون حجم، وبكتلة لا نهائية، ثم بدأ «الانفجار الكبير» والتمدد المستمر، وعلى هذا فهناك بداية للزمن، وربما نهاية في «الانكماش النهائي» للكون. إلا أن هذا التصور يبقى قاصراً، فعند نقطتي البداية والنهاية تختل جميع قوانين الفيزياء، فيصبح منحنى الزمن لا نهائيا ومن ثم فإننا نفقد الأمل في الوصول إلى فهم علمي للكون، ووضع نموذج رياضي لحركته.

السوداء، أي أن نموذج الكون ـ كما تفسره النسبية العامة ـ يترك الكثير من النقاط في هذا الكون التي تختل فيها جميع قوانين الفيزياء الغامضة، ولا يمكن احتواؤها ضمن النموذج. هل يعني ذلك أن النسبية العامة نظرية خاطئة يجب نبذها؟ بالتأكيد لا، فتطبيقاتها في الواقع لا يمكن الاستغناء عنها. وفي الحقيقة أن نظريات نيوتن والنظريات البدائية لأرخميدس وجاليليو لا يمكن أن يقال: إنها خاطئة، ولكنها قاصرة عن فهم جميع الظواهر. إن جميع الأعمال الهندسية ووسائل الإنتاج مازالت، وستستمر، تعتمد بالدرجة الأولى على قوانين نيوتن، وعمليات الفضاء ستبقى معتمدة على نظريات أينشتين، إلا أن هذه النظريات في قصورها لما تصل بعد إلى فهم كامل للكون في مادته وحركته. ولكن هل هناك نظرية كاملة؟ وهل يمكن للإنسان أن يصل إلى فهم لهذه النظرية؟ هذا هو ما يسعى إليه علماء الفيزياء والرياضيات، وكل جيل من هؤلاء العلماء يأتي بنظرية أكثر كمالاً، بمعنى أنها تتطابق مع النظريات السابقة في استنتاجاتها المطابقة للتجربة والملاحظة، وتزيد عنها بتمكنها من تفسير ظواهر عجزت عنها سابقاتها. □

● قالت حفصة لأبيها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ماعليك لو لبست ثوبا ألين من هذا، قد فتح الله عليك الأرض وأوسع الرزق؟».

وقال له غيرها مثل هذا القول، فرد عليهم: إنما مثلي ومثلكم كقوم سافروا فدفعوا إلى رجل منهم، فقالوا: أنفق علينا، فهل يحل له أن يستأثر بشيء منها؟ قالوا: لا، فقال عمر: فذلك مثلي ومثلكم.



الأفريقي، وتبلغ مساحتها ما يزيد قليلا على ٧٥٢ ألف كيلو متر مربع، بينما لا يتجاوز عدد

إحسان عبدالقدّوس

بقلم : الدكتور غالي شكري



انهالت التعليقات الصحفية في جوقة منسجمة بعد رحيل . احسان عبدالقدوس متهمة النقد والنقاد بتجاهل الرجل في حياته ، فهل لمثل هذه التهم نصيب من الصحة ؟

لابد من تحديد معالم هذه الظاهرة إن وجدت ، ولابد من محاولة التوصل إلى أبعادها الحقيقية في سياق أكثر شمولا ، ذلك أن الإلحاح على ما يسمى بتجاهل النقد لاحسان عبدالقدوس ينطوي على اتهام صريح لمجمل النقد ، وليس لنقد بعينه . أي أن المتهم ليس تياراً نقدياً محدداً ، وإنما مختلف تيارات النقد ، خاصة التيارات ذات الهيبة والاحترام في الساحة الثقافية ، أي أن التعليقات السريعة في الصحافة اليومية أو الاسبوعية ليست محسوبة ضمن النقد « المتهم » .



● يحيى حقي

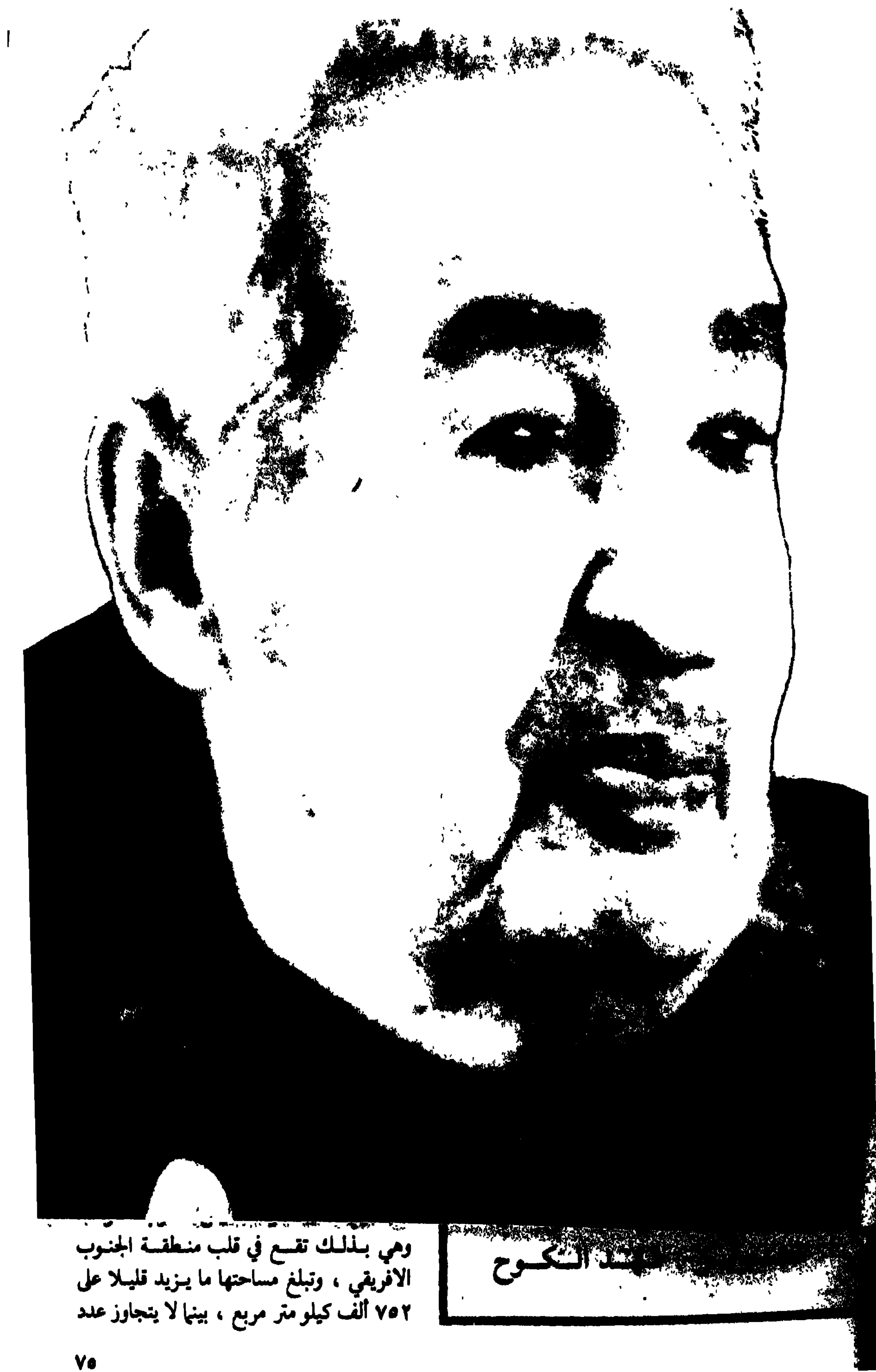


● د .لويس عوض -



● فؤاد دوارة





وهي بـذلـك تقـع في قلب منـطقـة الجنوب الافريقي ، وتبلغ مساحتها ما يـزيد قليـلا على ٧٥٢ ألف كيلو متر مربع ، بينما لا يتجاوز عدد

« المديح » و « الاعتذار » ...
تقول بأعلى صوت :

إن المفهوم الغالب للنقد مايـزال هو « الدعاية » ، فقد أكد بعض أن النقد الذي تناول إحسان « لم يكن منصفا »، وأكد بعض آخر أنه كان « هجوما » ومعنى ذلك أن الانصاف المطلوب هو أن يكون النقد « تقريظا » للكاتب وعمله .

إن اغلب الذين انفعلوا بغياب احسان وقعوا في رد الفعل ازاء الغياب نفسه ، فهم لم يسجلوا هذه الآراء التي يقدرون بها أدبه تقديراً عالياً في حياته ، ولم يكن هناك ما يمنعهم . والأرجح أن هذه الآراء الجديدة أقرب إلى المجاملات في الوفاة ، وأبعد ما تكون عن الأفكار الثابتة ، إنها لاتخلو من « الارتجال » الذي يجمع في الصياغة بين مقتضيات المفاجأة وواجبات العزاء ، وإلا يصبح الأمر على هذا النحو : « يجب ان يموت الكاتب أولا حتى نقول رأينا في أدبه » ، وكان من الممكن أن يكون هذا صحيحا إذا كانت الآراء بعد رحيله سلبية . ولكن حين نلاحظ أن الآراء بعد الرحيل في جملتها ايجابية ، يتبلور الشك في مدى مصداقيتها .

ومع ذلك ، فانه يمكن الاشارة إلى موقف أساس « ايديولوجي » ، فقد كان ... البعض أنه يكتب أدبا برجوازيا لايستحق النقد .

ولم ينتبه هذا الفريق إلى أن جمهور الكاتب جدير بالالتفات ، وأن احسان عبدالقدوس قد استحوذ على قطاعات عريضة من القراء لابد من مخاطبتهم ، ولابد من تحليل العلاقة بين النص عند احسان وبين نظام القيم ، وأنساق الفكر ودلالات التذوق لدى جمهوره ، هذا بالإضافة إلى أن أدب « الآخرين » ممن كان يطلق عليهم النقد الايديولوجي « لقب الواقعية » ، كان في الصميم أدبا برجوازيا . وكان من واجب النقد أي نقد الحصول على خريطة موضوعية صحيحة لتيارات الأدب في بلادنا .

ولقد خاصم البعض كتابات احسان عبدالقدوس لأسباب ظنوها اخلاقية ، وهؤلاء هم الذين أشاعوا عن الرجل أنه « كاتب جنسي » ، وهي استجابة صريحة لموقف بعض القطاعات الاجتماعية ذات الثقافة المزدوجة الفكر والسلوك . ولم يلتفت هؤلاء إلى أن الاساس الاخلاقي للأدب لايعني بالضرورة الانسجام الاخلاقي مع القيم السائدة في كل



● أمينة السعيد



● رجاء النقاش



● محمود أمين العالم

محمد الرميحي

وقد تحالف النقد الايديولوجي والنقد الاخلاقي ضمنا في تجاهل أدب احسان عبدالقدوس . وهي مفارقة غفرتها « نجومية » احسان في المجتمع والصحافة ، فقد وجد الكثيرون أن ما تقوله فاتن حمامة ونادية لطفي ونبيلة عبيد عنه لا يفسح لهم مكانا للكلام بأسلوب آخر . إن المجتمع الذي يحتفل باحسان بين نجمات ونجوم السينما وبقية أجهزة الاعلام لن يستمع إلى أصوات أخرى في الزحام ، ولن يكون سهلا أن يرى المعجبون والمعجبات كاتبهم في وضع آخر .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد تصدى النقد الجاد لاحسان عبدالقدوس ، إذا اعتبرنا الكيف وليس الكم في رصدنا لأهم الأسماء التي كتبت عن احسان ، وهم يحيى حقي ، محمد مندور ، لويس عوض ، محمود العالم ، احمد رشدي صالح ، رجاء النقاش ، فؤاد دوارة ، امينة السعيد ، عباس خضر ، انيس منصور . هذه عشرة اسماء يكتفى بها لرصد أهم التيارات التي تناولت أدب احسان عبدالقدوس من زوايا مختلفة ، وهي لاتنفي المواقف الايديولوجية والاخلاقية للنقد الذي تجاهل أعمال الكاتب . ولكنها تؤكد أن النقد لم يكن غائبا ، وأن النقد في مجموعه لم يتعمد الإساءة إلى احسان ، وإنما هناك صفوة من خيرة النقاد تصدوا بشجاعة لأدبه . وهي شجاعة في مواجهة المجتمع ، وفي مواجهة الكاتب معا ، لأن النقد غالبا يكشف ما كان مضمراً في الأدب . وعلى الرغم من أن إحسان قد استخدم لغة مباشرة ذات مستوى واحد ، فان مواجهة النقد لما تتضمنه هذه اللغة من خطاب ، كان يحتاج إلى شجاعة من نوع

عبدالقدوس ـ رغم شبابه ـ حقيقا بأن يكون كاهنه الأكبر ، إليه يصعد بريد القلوب فيلقي عليه نظرة فهم واشفاق ، ثم يستخلص منه عن أبناء هذا الجيل وبناته صورة يكفيه أنها عنده صادقة ، وليس غير الصدق فضيلة تجمل الخير ، وتستل من الشر مكمن الخطر فيه ، خفاؤه وخبثه ونفاقه » .

(.. لاينكر إلا مكابر بأن احسان عبدالقدوس من أساتذة فن القصة في مصر ، فالشرط الاول لنجاح كل قصة متوفر عنده ، وهو أن يكون عندك حكاية ترويها وتخلب بها لب القارىء ، والقماش في يده متين النسيج



● حنان الأمومة أيام الطفولة .

استطلاع : محمود عبد الوهاب
تصوير : فهد الكوح

زيمبابوي ، وبتسوانا ، ومن الغرب أنغولا . وهي بذلك تقع في قلب منطقة الجنوب الافريقي ، وتبلغ مساحتها ما يزيد قليلا على ٧٥٢ ألف كيلو متر مربع ، بينما لا يتجاوز عدد

وتفصيله يتم عن ذوق وبعد ، الحوار سهل طبيعي غير متكلف ، أما اللغة وتحديد الألفاظ فإنه لايغلق من أجلها رأسه مادام قد وصل لغرضه ، وكتب لجيل يضيق ذرعا بالمتقعرين والمتحذلقين ، وبذلك تحققت الدورة التي يطلبها كل مؤلف بينه وبين قرائه ، وهذا فيما أعتقد غاية مطلب احسان ، فلا أظنه يطمع إلى أن تعد قصصه من الأعمال الادبية التي يكتب لها البقاء . ومع ذلك لا أقول إنها ستموت بعد عمر طويل ، فستظل مرجع الباحثين لا لقيمتها الأدبية الفنية ، بل لكونهاسجلا صادقا لطبائع هذا الجيل حين يراد كتابة تاريخه في مستقبل الأيام).

قول في الفن

من هذا النص نستكشف خطوات يحيى حقي في نقد احسان . وحقي ليس ناقداً فقط ، بل هو أحد اعلام القصة العربية . وهو ينتمي الى جيل « الأساتذة »، فيرى أن احسان يمتلك ناصية الكتابة القصصية وفقا لمفهوم « الحكاية » ، ولكن هذه الكتابة الطازجة بسبب موضوعاتها ولغتها ، لن تعيش لأمد طويل . وإنما ستتحول إلى وثائق اجتماعية للمؤرخين .

ليس هذا كلاما عن « الايديولوجيا » ولا عن الأخلاق ، وإنما عن الفن . ولكنه كلام لا تنقصه الجديِّة ، على الرغم من لهجة السخرية . يحيي حقي وضع يده على مصدر احسان عبدالقدوس ، وهو حكايات العشاق في رسائلهم ، ثم وضع يده على المصب ، وهو هؤلاء العشاق أنفسهم الذين يكتب لهم احسان ، فأعماله هي الاخرى رسائل في لغة تناسب هؤلاء الشباب .

ولا يختلف كثيراً نقد لويس عوض لكتاب « منتهى الحب » الذي نشره ضمن « دراسات في أدبنا الحديث » عام ١٩٦١ فقال « ولولا اعتراضي على القالب الذين صيغت فيه هذه القصة الرمزية ، لقلت إن احسان عبدالقدوس قد وفق في هذه القصة إلى شيء عال نبيل ، فمثل هذه المعاني العالية النبيلة لايجوز نقلها في هذه اللغة اليسيرة ، ولا في هذا الاسلوب السريع ، ولا في هذا القالب الاخباري الخفيف الذي تميز به احسان عبدالقدوس ، وملك ناصيته حتى بلغ فيه حد الاتقان » (ص ٢٣٧)

النقد الايديولوجي

يختلف هذا النقد الجمالي عند يحيى حقي ولويس عوض عن النقد الايديولوجي -الذي كان يمثله في بداية الخمسينيات محمود امين العالم خير تمثيل ، فقد كتب ينفي عن احسان صفة الواقعية على هذا النحو : « هنالك سؤال لابد أن يتبادر إلى اذهان الكثيرين من المعنيين بقضية الادب في مصر : لماذا يختار احسان كل ابطال قصصه أفرادا في طريق الهاوية الى الانحلال الخلقي النفسي وتدهور الضمير؟ لماذا كانت الدعارة وبيع الاجساد بالمال موضوعا عاماً في انتاج احسان الادبي؟ إن احسان يجيبنا : لا استطيع غير ذلك، هذا هو الواقع .ومن المسلم به



● أجيال تلتقي

أن أبطالا من هذا الطراز موجودون أحياء في مصر ، وانه يستطيع أن يجدهم متى ذهب إليهم وقضى معهم بعض الوقت في ملاهي عماد الدين او سهرات الاوبرج او نوادي السباق أو حفلات الطبقة (الراقية) ، فمثل هذه الاماكن مملوءة بالارواح الميتة التي لا تعرف هدفا لوجودها ، مملوءة بالنفوس التي حطمها الضجر والخمول وشراء الاجساد بالمال وتعاطي المخدرات وموت الضمير .

ولكن هل صحيح أن مصر كلها على هذا الطراز ؟ إن هناك مصر اخرى ، مصر التي يعيش فيها ملايين من العمال والفلاحين والطلبة والموظفين ، يعملون في المصانع والحقول والمعامل والدواوين ، مصر التي يتصارع في ضميرها القلق والأمل ، مصر التي حاربت في القنال ، ومازالت تصارع دفاعاً عن استقلالها وشرفها وحريتها » . .

ولكن النقد الايديولوجي اتخذ شكلاً آخر في موقف محمد مندور الشهير من رواية « لاأنام » التي رأي البعض أن صاحبها قد تأثر في كتابتها تأثراً شديداً برواية فرانسواز ساحان « صباح الخير أيها الحزن » يقول محمد مندور في جريدة « الجمهورية » ٢٨ - ٢ - ١٩٦٠ :

« إنه وإن يكن هناك تشابه بين موضوع القصتين ، إلا أنه لا يستطيع منصف أن يتهم احسان بأخذ موضوعه عن فرانسواز ساغان ، فقصة فرانسواز بالغة التفاهة والسطحية ، وبطلتها لاتكاد تعي شيئا ، وإنما هي طفلة عابثة تحكي قصة وكأنها تسرد (حدوتة) لا تمت إليها بصلة ، ولا تتعمق لها أثراً ، وأما قصة احسان ففيها المأساة ومرارتها ، وبطلتها تملك قدرة نافذة على تحليل مشاعرها كما أنها تعي مأساتها وعيا كاملا » .

وليس هذا دفاعا عن احسان فقط ، وإنما هو توصيف فني للرواية المصرية بأنها « مأساة » وأن بطلتها تملك « الوعي » بالمأساة .

النموذج الأول

رواية (في بيتنا رجل) لاحسان عبدالقدوس تعد من أجل الاعمال الأدبية التي تكشف المعاني الانسانية في البطولة بطريقة فنية ناجحة ، إلى جانب أنها تصور مرحلة حية من تاريخنا قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وفي هذه الرواية يتخلص احسان عبدالقدوس من العناصر التي كانت تشعل ثورة النقاد عليه ، وعلى رأس هذه العناصر عنصر الجنس الذي كان احسان يعتمد عليه كركن أساسي في رواياته ، ولكنه في هذه الرواية والروايات التالية يتخلص من هذا العنصر فيبدو ثانويا في كتابته أمام تصويره للعواطف والعلاقات البشرية الأخرى .

(. .) إن التحول في قصة (في بيتنا رجل) يلعب دوراً عميقا فى إعطائها قيمة فنية كبيرة ، فهو الذي يحفظ لها عناصر التشويق والحيوية والصراع ، ونفسيات الأبطال ليست سطحية ترتكز على حالة واحدة لاتتغير ، بل هي نفسيات انسانية يمتزج الخوف فيها بالشجاعة ، والتردد بالصلابة ، وتحس بكثير من المشاعر المتناقضة التي وفق احسان توفيقا كبيراً في الكشف عنها . « رجاء النقاش مجلة الشهر مارس ١٩٦١ »

النموذج الثاني

لاتستطيع أن تقرأ هذه الرواية دون أن تذكر كتابات احسان عبدالقدوس الوطنية الملتهبة التي بعد عهدنا بها منذ أيام الاحتلال ، وحكم فاروق وقضية الأسلحة الفاسدة ، ولابد كذلك أن تتذكر في مواقف كثيرة من الرواية أشخاصا حقيقيين عاشوا بيننا ، وقاموا بدورهم في حياتنا السياسية في السنوات التي سبقت قيام ثورة يوليو .

وكل هذه مشابهات مقصودة بالحياة ، قد يستطيع القارىء الواعي أن يفطن لها بلا مشقة كبيرة ، وتبقي مشابهات أخرى بين الرواية



● ويبقى إنساناً ، تأتيه النهاية عندما يحين وقتها

والواقع تحتاج إلى إعمال فكر وتأمل ، حتى يستطيع القارىء إدراك كنهها ، وبصفة خاصة فيما يتصل بشخصية محيي . إن الاسرة البسيطة التي تحيا حياة رتيبة على وتيرة واحدة منتظمة لاتكاد تتغير ، ماذا يحدث لها إذا وجدت وسطها سجينا سياسيا هاربا ، وضعت الحكومة خمسة آلاف جنيه مكافأة لمن يرشد عنه ، وقررت عقوبة قاسية لمن يؤويه أو يعاونه في فراره ؟ .

لقد ترددوا واضطربوا وخافوا ، ولكنهم لم يتراجعوا ، ولم يتصرفوا بخسة أو نذالة ، وقاموا بواجبهم الانساني والوطني ، فتعرضوا نتيجة لذلك لكثير من المتاعب والآلام . وأثناء خوضهم لتلك التجربة المريرة ازداد وعيهم بمشكلات بلادهم وأزمتها الحقيقية .

وتستطيع بعد ذلك أن تأخذ على الكاتب أشياء قليلة مثل اسرافه في استعمال التشبيهات ، وعلى الرغم من جمال غالبيتها إلا أن المبالغة فى استعمالها كانت تجني على جمالها . « فؤاد دوارة يناير ١٩٥٩ عن« في الرواية المصرية ص ١٢٥ » (١٩٦٨) .

نقاد لهم مواقف

هذا النقد الفني من جانب الجيل الأكبر « لويس عوض - محمد مندور » ومن الجيل الأوسط « فؤاد دوارة - رجاء النقاش » لم يصلنا بواسطة دعاة ما يسمى « الفن للفن » ، بل من نقاد لهم ايديولوجياتهم التي يدافعون عنها ، أى أنهم نقاد لهم مواقف مما يجرى في المجتمع . ولكنهم فى ساحة الفن لم يتجاهلوا « الجمال » ، جيلان إذن من النقد الجاد لم يكفا عن تناول ادب احسان عبدالقدوس .

وكان هذا التناول شجاعاً في مواجهة النص الأدبي ، والنص الاجتماعي على السواء .

إن احسان الذي اتهمته بعض قطاعات في

الدولة والمجتمع على السواء اتهامات اخلاقية ، وجد كاتبة مثل أمينة السعيد تقول عن كتابه « زوجة أحمد » إنه بتأليفه هذا الكتاب قد استحق لقب صاحب الفضيلة . والكتاب في الواقع صورة ممتعة لكفاح المرأة الذكية في معركة السعادة الاجتماعية داخل البيت وخارجه ، وقد وضعه في أسلوب قصصي ممتع على لسان البطلة ، زوجة أحمد الفتاة الذكية الواعية ، صاحبة الآراء الصائبة ، والنظرة الاجتماعية السليمة ، والمثل والمبادىء الكريمة » (عن « حواء » ٢١ ـ ١٠ ـ ١٩٦١) . وبعد أكثر من عشرين عاما يؤكد زكي نجيب محمود هذا الرأي فيقول « إن احسان عبدالقدوس هو أقدر من كتب عن المرأة ، وصور نوازعها ومشاعرها بدقة بالغة » (حواء ١٥ ـ ١ ـ ١٩٨٣) .

بداية المتغيرات

وكانت بداية السبعينيات مؤثراً لهذه المتغيرات التي أوحت إلى إحسان بمجموعته « النساء لهن أسنان بيضاء » التي علق عليها احمد رشدى صالح في « الأخبار » بتاريخ ١ ـ ٦ ـ ١٩٧٣ قائلا « في مجموعته القصصية الأخيرة يذكرنا احسان عبدالقدوس بأن القلم الذي شن به الحملة الصحفية الشهيرة على الأسلحة الفاسدة قبل ثورة ١٩٥٢ قد عاد يبدع في فن القصة السياسية بمجموعة لايصيبها النسيان . أبطال هذه المجموعة رجال ونساء من لحم ودم ، لكنهم رموز لحالات اجتماعية ظهرت كالأسلحة الفاسدة . وكان ينبغي أن يقع عليها كتاب القصة السياسية ، وأن يحاصروها وينزعوا عنها الأقنعة ، ويجعلوا من القصص المكتوبة عنها شاهدا أدبيا على ما حدث في التاريخ ذات مرة .

وفي هذا كله يسيطر احسان على فنه ويقدمه بعد أن يضع عليه لمساته الناعمة الأخيرة . ويعود بهذا النوع من الكتابة القصصية ليذكرنا بأنه هو الذي حارب بالقلم طويلا ، وبأن الأديب الذي يلاحق الحقيقة في زمانه يعيش شابا لا يهتز القلم بين أصابعه ، ولو كان الشيب يمشي مختالا في شعر رأسه » .

لقد عمدت إلى ابراز هذه النصوص النقدية ، ليس دفاعاً عن النقد وليس نفيا عن أوجه تقصيره ، ولكني قصدت إبراز الحقيقة الثقافية في مظانها دون تدخل شديد من جانبي .

هذه الحقيقة التي تؤكد أن كتابات إحسان عبدالقدوس أحد ملامحها ، وان القراءة العربية لم تستغن في أي وقت عن هذه الكتابات على مدى اربعين عاماً تعاقبت خلالها اعمال احسان ، وتواصلت مع جمهور متجدد في كل جيل . وهو جمهور القراءة في الصحف والمجلات والكتب ، وهو ايضا جمهور السينما والاذاعة والتلفاز . ولم يتخل النقد ولم يتخلف عن متابعة هذه الظاهرة . وقد شاركت في هذا النقد أجيال مختلفة ، وتيارات فكرية وفنية مختلفة . وقد كان الحجم الاعلامي في « الاحتفال » باحسان عبدالقدوس ، أكبر بكثير من حجم النقد الجاد الذي اختلف مع نصوصه ، واتفق دون اخلال بالموضوعية .

هكذا كان احسان في صورة النقد المصري المعاصر : ليس « عريسا » كنجيب محفوظ أو يوسف ادريس ، وليس « منسيا » كمحمود البدوي أو سعد مكاوي او فتحي غانم ، وانما هو في الذاكرة بوضوح أقل من لمعان صورته في مهرجان الألوان . □

● الأطفال الصغار يحلمون أحلاما كبيرة .

« نيكوس كازنتزاكي »



أرقام

بقلم : محمود المراغي

اللصوص المحترمون !

مرت سنين طويلة حتى ينتقل استهلاك الإنتاج الفني في العالم من « الخاص » إلى « العام » .

كانت الأغنية تتداولها الحلقات الشعبية، أو تتداولها الصفوة في مجالسها، حتى جاء المذياع واسطوانات التسجيل، لتجعل للأغنية شيوعا لم تعرفه من قبل.

وكانت فنون المسرح و« التشخيص» قديمة قديمة، لكن السينما نقلت هذا الفن إلى مستوى آخر، ومعه تقدمت فنون القصة والرواية. وكان الكتاب أيضا، بل كانت الصحيفة في بعض الأحيان، مجرد مخطوطات يتبادلها الخاصة، فلما جاء عصر الاختراعات، وعرف العالم صناعة الورق، وصناعة الطباعة، شهدت الكلمة المكتوبة قفزة تاريخية.

ثم حدثت الثورة الثانية : التلفاز، والفيديو، والكاسيت، وأصبح متاحا أن تكون لك مكتبتك الخاصة من السمعيات والمرئيات.

أصبح الاستنساخ عملية سهلة، وأصبح التقليد «تقليدا شائعا». وبينما يقف القانون بالمرصاد لأي سرقات مادية، فإن السرقة الأدبية بالتمتع بإنتاج الآخرين، أصبحت مهمة «اللصوص المحترمين»، ومن يستطيع أن يمنع مستمعا مرهف الحس والذوق من أن يعيد طبع اسطوانة لبتهوفن، أو فيلما لشارلي شابلن، أو أغنية لأم كلثوم ؟ من يستطيع أن يمنعك في بيتك من أن تملك أجهزة التسجيل اللازمة لتؤسس بها مكتبة فنية كاملة ؟

وعندما عقد المجتمع الدولي اتفاقية عالمية لحماية الإنتاج الفني والأدبي، المعروفة باسم «اتفاقية بيرن»، فإنه كان معلوما أنها تستهدف التقليد التجاري الذي يساعد على الشيوع والذيوع، دون أن ينال المؤلف أو الممثل أو شركة الإنتاج شيئا من حقوقه الأدبية، أما ما استجد من أجهزة تسجيل منزلية فليس وارداً أن تتم مطاردته، ليس لأنها السرقة « الحلال »، ولكن لأنها المطاردة المستحيلة .

عربيا ودوليا

في وطننا العربي عانى المؤلفون والفنانون والمنتجون «التقليد»، وخرجت كتب كاملة دون الرجوع لأصحابها، وشاعت الفوضى في استخدام الأفلام والأغنيات والبرامج التلفازية والمقالات الصحفية.

وبينما كانت «الاتصالات العربية» كفيلة بتقديم بعض العلاج فإن اتصالات محظورة قد حالت دون أن يحدث ذلك على نطاق آخر، وهي السرقات «الاسرائيلية» المستمرة للأغنية العربية، والقصيدة العربية، والفيلم العربي. وتكاد الإذاعة «الاسرائيلية» العربية تقتصر على السرقة من السوق من الوطن العربي !.

دوليا كانت المشكلة أكبر

في الولايات المتحدة الأمريكية، ذات الصادرات الضخمة، تشكل المواد المطلوب حمايتها ربع إجمالي صادراتها !

وفي خطاب للسفير الأمريكي بالقاهرة، أمام «المؤتمر الثاني لمكافحة القرصنة لحقوق التأليف والطبع والنشر» الذي عقد في القاهرة خلال ديسمبر ١٩٨٩، قال السفير : « إن الولايات

المتحدة قد خسرت في عام ١٩٨٦ - على سبيل المثال - (٤٣) مليار دولار »، نتيجة ما سماه القرصنة الدولية، وأبرزها : سرقة الفيلم السينمائي، وسرقات الفيديو !

يبرز الرقم ضخامة حجم المشكلة، فالولايات المتحدة هي أكبر منتج للسينما في العالم، والانتاج الفني قد أصبح ينافس الانتاج الصناعي المادي، ومكانة الدولار، وتشغيل اليد العاملة، ورواج الفكر الأمريكي أصبح كله معلقا بهذه القضية .

ويبدو أن الحملة الدولية الثانية - بعد حملة المخدرات التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية - هي حملة الكاسيت، والفيديو كاسيت، والفيلم السينمائي !

إنها الحرب الجديدة التي تخوضها أمريكا، وتحاول أن تجعل عام ١٩٩٠ عاما لحشد الجهود الدولية في هذا الاتجاه.

وقد بدأت القصة بتعديلات قانونية أدخلها الكونجرس، ليسمح للإدارة الأمريكية بأن تتفاوض مع العديد من الدول للحد من أعمال القرصنة بهدف اقناعها بإصدار تشريعات توفر الحماية لهذا النوع من الإنتاج.

وبدأت الاتصالات مع ٢٥ دولة لتحقيق هذا الغرض.

في الوقت نفسه فرض القانون الأمريكي عقوبات تجارية صارمة على الدول التي تسمح بالسرقات، ووفقا لتعبير السفير الأمريكي في القاهرة، فرانك ويزنر، في خطابه السابق فإنها عقوبات لا تقدم عليها دولة إلا اذا أصبح الموقف خطيرا، وأن هناك تهديدا للمصالح القومية الأساس».

وقد تخطى الأمر مجرد التفاوض والإقناع إلى مستوى التهديد الدولي، فها هو ويزنر يقول :

«وبصفتي سفير الولايات المتحدة لدى جمهورية مصر العربية أود أن أرى حلا لتلك المشكلة، قبل أن تصل إلى مستوى الأزمة، كما حدث مع ثماني دول نتاجر معها على نطاق كبير، أود أن أتفادى حدوث المشادات الحادة التي تحدث الآن بين الإدارة الأمريكية وحكومات تلك الدول الثمانية ».

هو الإنذار إذن، ومصر مجرد واحدة من دول كثيرة تتعرض للشيء نفسه، ويجري إغراؤها بأنها - بما تملكه من إنتاج فني - من مصلحتها تقوية الحملة ضد القرصنة الفنية والأدبية .

كلمة السر

السؤال : ما السر في تلك الحملة الدولية الجديدة ؟

بالطبع فإن مقولة أن ربع الصادرات الأمريكية كلمة مسموعة، أو مرئية، سبب كاف للحملة.

كذلك فإن رقم الخسائر السنوية التي تخطت أربعين مليارا من الدولارات - وفق التقدير الأمريكي - سبب واضح آخر.

لكن الأهم هو دخول عصر المعلومات الذي يعده الغرب امتيازا خاصا له، حيث زاد سعر خدمة المعلومات عن أي سلعة أخرى، وفاقت عوائد هذه الصناعة عوائد النفط والصلب !

إنها رحلة القرن الواحد والعشرين، حيث ينتشر الحاسوب، وتتناقل الدول والهيئات برامج بالمجان، أو بالثمن.

لقد بدأت قصة « فيروس الحاسوب » باختراع لمقاومة تقليد البرامج، حتى يقوم البرنامج الأصلي وحده بالعمل الصحيح، ويقوم البرنامج المقلد بإفساد الأجهزة !

إنها حرب من نوع جديد، تستهدف حماية الكلمات « التي أصبحت أغلى سلعة في العالم ! إنها حملة ضد اللصوص المحترمين » . □

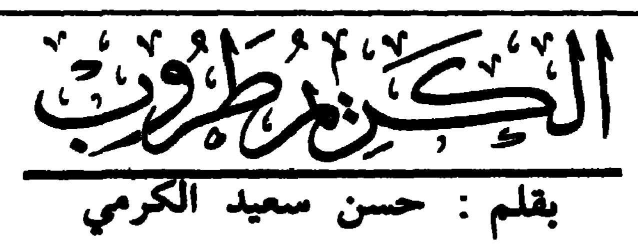
أصوات الرجال



● رشح فكري أباظة نفسه في انتخابات مجلس النواب ذات مرة ، وفي أثناء مروره بإحدى القرى، قابله أهلها بالهتافات والتصفيق ، ونساؤها بالزغاريد ، فالتفت إليهم فكري وقال : «أنا لاأريدكم أن تزغردوا ، إنني أريد منكم أن تجعلوا رجالكم «يصوتوا . . !»

على هامش فواصل الفن

الغناء الجميل يترك في نفس سامعه أريحية لو طلب إليه عندها أن يجود لما تردد ، ولو لاقاه من يود نزاله لأبلى البلاء الحسن !



الكرم طروب

بقلم : حسن سعيد الكرمي

كان لمعاوية بن أبي سفيان محاورات في السياسة مع الرجال والنساء ، كما كانت محاورات في الشعر والأدب مع الشعراء والأدباء ، كمحاوراته مع أبي الأسود الدؤلي زوجته ، ومحاورته مع ليلى الأخيلية في صاحبها توبة بن الحُمَيِّر ، وكان محبا للشعر يحفظ ه الشيء الكثير ، وكان محبا للطرب والغناء . ومن ذلك أنه يروى عنه أنه أقبل حاجّاً في بعض السنين ، ونزل المدينة ، وكانت مشهورة بمجالس طربها وغنائها ، فمر ليلة بدار عبدالله جعفر بن أبي طالب ، وكان من الأجواد المشهورين ، فسمع عنده غناء وطربا على أوتار ، فوقف ساعة يستمع ثم مضى ، ولما عاد في آخر الليل ومرّ بدار عبدالله بن جعفر فوجده قائما يصلي فتعجب منه كيف يأنس بالغناء والطرب ، ويخشع في الصلاة ، فمضى وهو يردد الآية الكريمة «خَلَطُوا عَمَلاً صالحاً وآخَرَ سَيِّئاً عسى الله أن يَتُوبَ عليهم»

فبلغ الخبر عبدالله بن جعفر ، فأعد لمعاوية طعاما ودعاه إلى منزله ، وأحضر ابن جعـ المغني ابن صياد وقال له : إذا رأيت معاوية واضعا يده في الطعام فحرك أوتارك وغن . ، وضع معاوية يده في الطعام غنى ابن صياد ، بشعر عدي بن زيد ، وكان هذا الشعر يرو لمعاوية .

يَـا لُبَيْنَـى أوْقِـدِي النَّـارَا إنَّ مَـنْ تَهْوَيْـنَ قَـدْ حَـ
رُبَّ نَـارٍ بِـتُّ أرْمُقُـهَـا تَـقْـضِـمُ الهِـنْـدِيَّ والـغَـ
عِـنْـدَهَـا ظَـبْـيٌ يُـؤَجِّـجُـهَـا عَـاقِـدٌ فـي الخَصْـرِ زُنَّـ

فطرب معاوية ، حتى قبض يده عن الطعام . فقال له عبدالله : يا أمير المؤمنين إنما هو ء الشعر يركّب عليه مختار الغناء ، فهل ترى بأساً ؟ فقال معاوية : لابأس بحكمة الشعر حكمة الألحان .

ثم قدم عبدالله بن جعفر على معاوية في الشام في بعض السنين ، فأنزله معاوية في دار ناحية منها ، واتفق أن معاوية أرق ذات ليلة ، فقال لخادم له : اذهب فانظر من عند عبدالله جعفر ، وأخبره أنني قادم عليه . وكان عند عبدالله عدد من سماره ومن أهل الطرب والغنـ فلما علموا بمجيء معاوية تواروا عن الأنظار . فلما جاء معاوية لم يجد في المجلس غير عبدالا ورأى الأماكن خالية ، فقال معاوية : مجلس من هذا ؟ قال عبدالله : مجلس فلان يـ

المؤمنين . قال : مره فليرجع إلى مجلسه ، فرجع . ثم قال : مجلس من هذا ؟ قال عبدالله : مجلس فلان يا أمير المؤمنين : قال : مره فليرجع إلى مجلسه . وهكذا ، حتى لم يبق إلا مجلس رجل واحد . فسأل معاوية عنه عبدالله ، فقال عبدالله : هذا مجلس رجل يداوي الآذان يا أمير المؤمنين . فقال معاوية : مره أن يرجع إلى مجلسه ، وكان مجلس بديح المغني ، فعاد بديح إلى مجلسه ، وأمره عبدالله أن يأخذ عوده ويغني ، فأخذ العود وغنى :

وَدِّعْ هُـرَيْـرَةَ إنَّ الـركـبَ مرتحـلُ ... وَهَـلْ تُـطِيقُ وداعـاً أيها الـرجلُ

وهو من شعر الأعشى . فحرك عبدالله رأسه طربا . فقال معاوية : لم حركت رأسك يابن جعفر ؟ فقال : أريحية أجدها يا أمير المؤمنين ، لو لقيت عندها لأبليت ولو سئلت لأعطيت .

وكان معاوية يخضب شعره ، وكانت له جارية أعز الجوارى عليه ، تتولى خضابه ، فقال عبدالله لبديح : غن بشيء من الشعر في هذا ، فأخذ بديح العود وغنى :

ألـيس عـنـدكَ شكـر للتي جـعلتْ ... ما ابْيَضَّ من قادمات الرأس كالحمم
وجـددتْ منكَ ما قد كـانَ أخلقـه ... صرفُ الزمانِ وطولُ الدهرِ والقِدَمِ

فطرب معاوية طربا شديدا . وجعل يحرك رجله ، فقال له ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنك سألتني عن تحريك رأسي فأجبتك وأخبرتك ، وأنا أسألك عن تحريك رجلك . فقال معاوية : كل كريم طروب .

عاش معاوية حتى جاوز الستين ، وكان يخاف الموت ، وتعرى مرة ، فرأى هزال جسمه ، فتمثل ببيتين من شعر الأغلب العِجلي .

أرى الليالـي أسرعـت في نقضي ... أخـذن بعضـي وتـركـن بـعضـي
حَنَيْـنَ طُـولـي وَتَـرَكْـنَ عَـرْضـي ... أَقْعَـدْنَنِي مِنْ بَعْـدِ طُـولِ النَّهْضِ

ومات معاوية ويزيد ابنه غائب ، فلما قدم بعد الوفاة دخل منزله ، ولم يظهر للناس ثلاثة أيام . فلما كان في اليوم الرابع خرج إلى الناس ، وصعد المنبر فحمدالله ، وأثنى عليه ، ثم قال : إن معاوية كان حبلا من حبال الله ، مدّه الله ماشاء أن يمدّه ، ثم قطعه حيث شاء أن يقطعه ، وكان دون من قبله وخير من بعده ، فإن الله إذا أراد شيئا كان ، اذكروا الله واستغفروه . ثم نزل ودخل منزله .

وبلغ عبدالله بن الزبير وفاةُ معاويةَ ، فقال : رحم الله معاوية ، لقد كنا نخدعه فيتخادع ، وما ابن أنثى بأفكر منه ، وما الليث المحرَّب بأجرأ منه . كان والله كما قالت بنت رُقيقة :

ألا يـابـنـتـه ابـكـيـه ألا كـل الـغـنـى فـيـه

والله لبودي أن بقي مابقى أبو قُبَيْس . لايُتَخَوَّنُ له عقد ، ولا يُنْقَضُ له قوة ، وبلغ عبدالله بن عباس وفاة معاوية ، وكان يتعشى مع أصحابه وقد رفع اللقمة إلى فمه ، فألقاها ، وأطرق هنيهة ، ثم قال :

جَبـلٌ تَـدَكْـدَكَ ثُمَّ مَـالَ بِجَمْعِـهِ ... في البحـرِ واشتملت عليه الأبحـر

لله در ابن هند ماكان أجمل وجهه ، وأكرم خلقه ، وأعظم حلمه . فقطع عليه الكلام رجل من أصحابه وقال : تقول هذا فيه ؟ فقال : ويحك ، إنك لاتدري من مضى عنك ولا من وَلي عليك ، وستعلم ، ثم سكت . وكان عبدالله بن عباس يكره ولاية يزيد بعد أبيه معاوية . □

العربي ـ العدد ٣٧٩ ـ يونيو ١٩٩٠ م

صور من الحياة اليومية في القاهرة

بقلم : الدكتور قاسم عبده قاسم

تعد الحرف والصناعات المتصلة بالحياة اليومية للإنسان من أهم المؤشرات الدالة على طبيعة المجتمع ، وتركيب طبقاته ، ودرجة ثرائه ، ومستوى رفاهيته . وهذه بعض صور من الحياة اليومية في القاهرة ـ عصر سلاطين المماليك ـ تكشف عن جوانب الحياة الاجتماعية في مصر ، خلال هذه الحقبة المهمة ، كيف كانت . . ؟ وما مظاهرها ؟ . .

لقد كانت بداية عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧) في مصر مصحوبة بأحداث تاريخية جليلة ، جعلت من مصر المعقل الأخير للحضارة العربية الإسلامية ، وظلت مصر تقوم بهذا الدور الخطير قرابة ثلاثة قرون . ولأن قيام دولة المماليك كان موازيا للضربات الموجعة التي تعرض لها العالم الإسلامي في مشرقه ومغربه (سقوط الخلافة العباسية في بغداد وتصاعد الانتصارات الكاثوليكية ضد مسلمي الأندلس) ، فإن مصر فتحت أبوابها لهجرات كثيرة من الشرق والغرب . ومن الطبيعي أن تكون لهذه الهجرات تأثيرات إيجابية على معدلات النمو السكاني .

هذا النمو السكاني ، في ظل ظروف الاستقرار التي كفلتها دولة المماليك في الشطر الأول من تاريخها ، لم يكن عبئا على موارد البلاد الاقتصادية ، وإنما كان عاملا من عوامل الازدهار الاقتصادي ، والاستقرار الاجتماعي بفضل عوامل خارجية وداخلية عديدة . بيد أن طبيعة النظام السياسي (وهو نظام عماده الاقطاع العسكري) وعلاقته بالرعية من ناحية ، وطبيعة البناء الاجتماعي (وهو بناء طبقي في أساسه واتجاهاته) من ناحية أخرى ، هي التي فرضت إلى حد ما أنماط الحرف والصناعات التي ازدهرت في خدمة المجتمع المصري في حياته اليومية آنذاك .

لقد ارتبطت بعض الحرف والصناعات بالناس العاديين في حياتهم اليومية ، على حين ارتبطت حرف وصناعات بعينها بالحكام وأتباعهم الذين استأثروا بالشطر الأكبر من ثروة البلاد ومواردها ، سواء أكانت أرضا زراعية أم ربحا من تجارة المرور) وهو يعني أن بعض الحرف والصناعات ازدهرت في خدمة الأغراض الاستهلاكية اليومية ، وبعضها الآخر ارتبط بحياة من سكنوا القصور وبالغوا في اقتناء كل ما هو نفيس ، وتمسكوا بمظاهر الرفاهية في مساكنهم وملابسهم وزينتهم وأسلحتهم .

للغذاء سبع عشرة حرفة

ليس بوسع من يدرس التاريخ الاجتماعي أن يدعي أنه يعرف مجتمعا ما دون أن يعرف قائمة طعامه التي تكشف عن ذوقه وتراثه ، وحاباً من عاداته وتقاليده ، وموارده وإمكاناته ، والصحة العامة لأبناء هذا المجتمع . . وما إلى ذلك .

وفي مصر أحصى لنا أحد كتب الحسبة زمن سلاطين المماليك سبع عشرة حرفة أساسية تتصل بالغذاء ، وتتوزع ما بين الجزارة والطبخ وصناعة الحلوى ، فقد تحدث عن الطحانين ، والفرانين ، والخبازين ، والشوايين ، والنقانقيين ، (بائعي النقانق) ، والكبوديين (بائعي الكبدة) ، والبواردين (بائعي المشهيات أو الطرشي) والجزارين ، والرواسين (بائعي لحمة الرأس) ، فضلا عن الطباخين ، والشرائحيين ، والهراسيين ، وقلايي السمك ، وقلايي الزلابية ، والحلوانيين ، والشرابيين واللبانين .

ومن ناحية أخرى تكشف دراسة بعض الحرف المتصلة بالغذاء عن جانب من العادات والتقاليد التي كانت تحكم حياة المجتمع المصري آنذاك . فالواقع أن عامه سكان القاهرة في ذلك العصر لم يعتادوا تناول الطعام في منازلهم سوى في الأعياد والمناسبات ، وكانت حوانيت الطباخين والمطاعم هي المكان الذي يشترى منه العامة طعامهم . وإلى جانب هذه المطاعم ، التي يبدو أنها كانت نقدم نوعا من الوجبات الساخنة بسعر رخيص ، كان هناك عدد من الباعة الجائلين يطوفون شوارع المدينة ، ومعهم الطعام المطهي على عربات ، أو طبليات ، وتحته المواقد مشتعلة حتى يظل ساخنا (وهو مشهد ما يزال يفرض نفسه على من يتجول في شوارع المدن المصرية حتى اليوم) . كذلك كان بعض باعة الطعام المطهي يفترشون الأرض في الأسواق والشوارع وبجوار المساجد وأمامهم «طبليات» عليها الطعام وتحتها المواقد المشتعلة .

وفي شهر رمضان كانت مطاعم القاهرة تفتح قبل المغرب بقليل لكي توفر طعام الإفطار للصائمين ، وتظل مفتوحة طوال الليل حتى وقت السحور ، وهو الأمر الذى استرعى انتباه بعض الرحالة الأجانب

أما الأثرياء والميسورون من سكان القاهرة ، فكانوا يرسلون ما يريدون طهيه من طعام إلى مطابخ تخصصت في ذلك . وقد عرف أصحاب هذا النوع من المطابخ باسم «الشرائحية» أو «الشرائحيين» . وفي عصر سلاطين المماليك كانت الأسر ترسل اللحم والخضراوات إلى دكان الشرائحي لكي يطهيه بعد أن يخلطه بالتوابل والأفاويه لكي يكتسب مذاقا طيبا ونكهة جيدة ، ثم يرسل الشرائحيون الطعام بعد طهيه إلى بيوت «الزبائن» في قدور مغطاة حتى لا يتلوث الطعام بغبار الطريق ، أو تقتحمه عين فضولية

رفاهية المجتمع زمن المماليك

من ناحية أخرى ، يكشف كلام المؤرخ تقي الدين المقريزي عن مدى رفاهية المجتمع المصري في العصر المملوكي الأول ، من خلال حديثه عن معدلّ ما يستهلكه المصريون من سكان العاصمة يوميا من أنواع الجبن ، وقيمة مواد التعبئة المستهلكة في كل يوم ، إذ يقول « . . . وسمعت الكافة يفاخرون بمصر سائر البلاد ، ويقولون : يرمى بمصر كل يوم ألف دينار دهبا على المزابل والكيمان .

ومن الواضح أن كلام المقريزي يحمل دلالة لا يخطئها الباحث عن معدلات عالية في الاستهلاك اليومي لمجتمع يعيش حياة رخاء وازدهار .

ولعل الخبز في حياة المصريين آنذاك كان قوام الحياة ـ مثلما هو الآن ـ فقد كان العنصر الرئيس في غذاء العامة والفقراء . ولهذا السبب عرفه أبناء مصر باسم معبر ودال هو «العيش» . وكان ثمة نوع من الخبز يباع جاهزا في الأسواق وحوانيت الخبازين ، ونوع آخر يتم عجنه في البيوت ، ثم يرسل إلى الأفران لخبزه (وهي عادة ما تزال موجودة في المجتمع المصري حتى اليوم ،

على الرغم من تناقص عدد الأفران الآن) .

ويبدو من استقراء مصادر ذلك العصر أن الميسورين من الناس كانوا هم فقط الذين يرسلون خبزهم إلى الأفران ، فالواقع أن عددا كبيرا من سكان العاصمة كانوا يشترون الخبز من الأسواق جاهزا مثلما كانوا يرتادون المطاعم لتناول الوجبات الجاهزة . وكان أولئك هم أيضا الذين يعانون من أي نقص في الغلال والخبز فيهجمون على الخبز والعجين في الأفران من فرط جوعهم في أثناء الأزمات .

وكانت صناعة السكر واحدة من الحرف الغذائية المهمة . وقد أحصى لنا «ابن دقماق» الذي توفي سنة ٨٠٥ هجرية ، ثمانية وخمسين «مطبخا» للسكر في الفسطاط وحدها . وهذا ما يوحي بأن عددها في العاصمة كان كبيرا بالفعل من ناحية ، وأن نسبة الاستهلاك في السكر كانت مرتفعة من ناحية أخرى .

كما أن بعض أمراء المماليك كانوا يملكون مطابخ السكر التي كانت مصدرا مهما من مصادر دخلهم . بل إن بعض سلاطين المماليك كانوا يملكون مطابخ خاصة بهم ، فقد ذكر ابن دقماق أن مطابخ السكر السلطانية التي كانت بخط دار الملك عددها سبعة مطابخ على صف واحد .

وقامت صناعة الحلوى على صناعة السكر ، ويبدو أن قائمة الطعام المصرية في عصر سلاطين المماليك قد ضمت عددا كبيرا من أنواع الحلوى ، فقد ذكرت بعض المصادر التاريخية قائمة بأشهر أنواع الحلوى تحوي أسماء ثلاثة وخمسين نوعا ، عدا الأصناف الشعبية ، وهو ما يدل على مدى رفاهية بعض الشرائح الاجتماعية في مصر في تلك العصور .

حرف تكشف عن التركيبة الاجتماعية

أما الحرف والصناعات المتصلة باحتياجات الأسرة القاهرية ، وحياتها اليومية ، فكانت من الكثرة والتعدد والرقي في بداية عصر سلاطين المماليك . ويذكر المؤرخ تقي الدين المقريزي أن سكان القاهرة كانوا مولعين بالنحاس المكفت (أي المطعم بالذهب والفضة) ويقول : «فلا تكاد تخلو دار بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفت ، ولابد أن يكون في شورة العروس دكة نحاس مكفت» وهو الأمر الذي يشي بأن مظاهر الترف والتمسك بالكماليات ، في حياة القاهريين آنذاك ، كانت بدورها انعكاسا للوضع الاجتماعي والاقتصادي المزدهر في بداية عصر سلاطين المماليك ، كما كانت تعبيراً عن حال الاستقرار والأمن النسبي التي تمتع بها المجتمع في ذلك الحين .

وكانت بالقاهرة في عصر سلاطين المماليك أسواق خاصة لبيع ما يلزم أفراد الأسرة ، ففي «سوق الخراطين» ، مثلا ، هناك حوانيت خاصة لبيع المهد الذي يربى فيه الطفل ، كما كان «سوق الصنادقيين» مخصصا لبيع الأثاث المنزلي .

كذلك ازدهرت صناعة الأقمشة والمنسوجات والملابس والحرف المتصلة بها ازدهارا كبيرا ، بيد أننا لن نهتم سوى بالجوانب المتصلة بالحياة اليومية في مجتمع القاهرة آنذاك . ويتضح من مدى تنوع الحرف المتصلة بالملابس مدى حرص القاهريين على أناقتهم بشكل عام . وهو أمر يتفق في تصورنا وحقيقة النظام القيمي والأخلاقي الذي حكم المجتمع ذا البنية الطبقية فكان حرصه على الشكل والمظهر كبيرا . فقدكانت لكل فئة في المجتمع ملابس تميز وضعها الطبقي بحيث أنه لم يكن من حق أي فرد من غير هذه الفئة أن يتزيا بزيهم .

أما ملابس العامة ، فيمكن أن نستنتج من صمت المصادر التاريخية عن وضعها أنها كانت عاطلة من الزخارف والزينة التي ميزت ثياب الحكام وأرباب السيوف من الأمراء ، وموظفي الدولة ، والقضاة والفقهاء من أهل العمامة . فقد كان أهل القاهرة عامة يرتدون الجلباب القصير والطاقية .

وقد عرفت عمليات تصنيع القماش في مراحله المختلفة باسم «القزازة» ، وعرف المشتغلون بها باسم «القزازين» . وكان بعضهم يعمل بالأجرة لدى أصحاب المصانع الصغيرة ،



● بائع سجاد في أحد أسواق القاهرة المملوكية

والقسم الآخر يعمل لحسابه . وكانت هذه الفئة الأخيرة من القزازين تعمل بإحدى طريقتين ، إذ كان بعضهم ينسج الغزل للناس لقاء أجر معلوم ، على حين كان بعضهم الآخر يشتري الغزل ويبيعه بعد نسجه أثوابا جاهزة . وقد ميزت بعض كتب الحسبة هذا النوع الأخير باسم «الحائك» . أما نساجو الحرير فقد عرفوا في مصطلح ذلك العصر باسم «الحريريين» .

كانت المرحلة التي تلي النسيج تعرف باسم «القصارة» ، إذ كان نسج القماش يتم بواسطة أنوال يدوية مما يستدعي القيام بعمليات تكميلية حتى تتداخل لحمة النسيج وسداه تداخلا كاملا . فكان القماش يرش بالماء بعد نسجه ، ثم ينشر ليجف ، وتتكرر هذه العملية عدة مرات حتى يبيض . وكان بعض أولئك القصارين يفتقر إلى الأمانة فيأخذ القماش من «الزبون» ليستخدمه في منزله وكأنه ملك له فترة من الزمن «ويتعلل لصاحبها كلما طالبه بها أنها لم تفرغ قصارتها» .

وتلي ذلك الصباغة ، سواء صباغة القماش الجديد ، أو الملابس القديمة حتى تستعيد رونقها ، وقد جرى العرف على إلزام الصباغ بدفع تعويض مناسب إذا أفسد لأحد الناس قماشه .

وكانت هناك مجموعة من حوانيت «الرفائين» و «الحباكين» و «الرسامين» و «الفرائين» و «الخياطين» في سويقة أمير الجيوش التي كانت من أكبر أسواق القاهرة في ذلك الزمان .

وكان المصريون مولعون باستخدام الفراء لتزيين ملابسهم ، لدرجة أن الرجال والنساء من



● واحد من مطاعم القاهرة كما تخيله الرسام

كل الشرائح الاجتماعية كانوا يحرصون على تزيين ملابسهم بهذا الفراء المستورد .

ويبدو أن سعر خياطة الثوب كان يتحدد على أساس وزنه ، كما جرى العرف على أن يتسلم الخياط الثوب بالوزن ويسلمه لصاحبه بالوزن أيضا .

وكانت هناك مهنة تخصص أصحابها في غسل الثياب وكيها على نحو يشبه دور «المصبغة» حاليا ، وقد عرف أصحاب هذه المهنة باسم «البابية» . وقد اعتاد القاهريون من أبناء الطبقات الميسورة على إرسال ثيابهم وفرشهم إلى مغاسل عامة لغسلها وصقالها (أي كيها) . وكان بعض الأثرياء يحتفظون في منازلهم بعامل أو أكثر لغسل الثياب وكيها . أما الفقراء من عامة سكان القاهرة فكانوا يتولون غسل ملابسهم في أماكن معينة على شاطيء النيل بالقاهرة عرفت باسم «المغاسل» .

الحلاقون وأصحاب الحمامات

وفي مجال الزينة الشخصية لعب «المزين» و «الحلاق» دورا مهما في حياة القاهريين اليومية . وكان «المزين» يتولى أعمالا غير أعمال «الحلاق» الذي كانت مهمته قص الشعر وتهذيب الشوارب والذقون ، على حين كان «المزين» يتولى عمليات الجراحة الخفيفة مثل ثقب الأذنين لوضع الحلق (وكان بعض الرجال يأتون للمزين لهذا الغرض على نحو ما يذكر السبكي) ، كما كان يتولى ختان الأطفال . ويبدو أن الناس اعتادوا أن يحلقوا في الحمامات العامة قبل الاستحمام . كما كان هناك حلاقون متجولون

يجوبون الشوارع والطرقات والأسواق ، وقد نبتوا المرايا إلى صدورهم ، وراحوا ينادون بأصوات عالية لجذب انتباه من يريد الحلاقة .

وقد شهد بعض الرحالة الذين زاروا مصر في ذلك العصر عددا من الصبية السود ، دون سن البلوغ ، يطوفون شوارع القاهرة ينادون على زيانة النسوة في البيوت وقد كانت هناك عدة حرف تتعلق بزينة المرأة لكنها كانت جميعا تتم على أيدي نسوة مثل (الماشطة والبلانة) ، كما كانت تتم في البيوت أو في حمامات النساء

وفي ذلك العصر كان القاهريون يقصدون الحمامات العامة حيث ينظفون أبدانهم وينعمون بالحديث مع رفاقهم . وقد بلغ عدد حمامات القاهرة العامة حوالي ثمانين حماما في ثمانينيات القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) . وكانت ثمة حمامات خاصة بالرجال وأخرى خاصة بالنساء .

وارتبطت الحمامات العامة ببعض العادات والتقاليد التي حكمت سلوك المجتمع القاهري في عصر سلاطين المماليك . فقد كانت الحمامات من مراكز تبادل الأخبار وتكوين الرأي العام . كما كان دخول المريض الحمام بمثابة اعلان بشفائه . ويتوجه العريس ليلة زفافه إلى حمام الرجال ، على حين تتوجه عروسه إلى حمام النساء في موكبين منفصلين تصحب كل منهما الأغاني والموسيقا والراقصات والراقصون . وفي حمامات النساء كانت القاهريات يجتمعن بأفخر ثيابهن حيث يتباهين ويتبارين بإظهار الأناقة . وكانت تلك الحمامات مجهزة بالمياه الساخنة التي لم يكن ممكنا توفيرها بالمنازل .

السقا والمكاري

وبالنسبة لمياه الشرب كان «السقاؤون» يجلبونها من نهر النيل على ظهور جمالهم أو حميرهم أو على أكتافهم ، ويسيرون في طرقات المدينة وهم ينادون بالصلاة على النبي حتى يفسح الناس لهم الطريق ، وكان بالقاهرة عدد ضخم من السقائين الذين يبيعون الماء «بالقربة» .

وقد عرفت شوارع القاهرة آنذاك طائفة من السقائين ، عرفت باسم «سقائي الكيزان وأرباب الروايا والقرب والدلاء» . ويبدو أنهم كانوا هم أصحاب الحوانيت التي كانت توضع بها الأزيار والكيزان ليشرب منها الناس لقاء مبلغ معلوم . وكان على المحتسب أن يراقب نظافة هذه الأزيار والكيزان ويتأكد من عدم غش مياه النيل بمياه الآبار . أما أرباب الروايا والقرب والدلاء ، فيبدو أنهم كانوا يبيعون المياه في الأسواق من قرب يحملونها فوق ظهورهم .

وفي عصر سلاطين المماليك كانت الحمير وسيلة المواصلات الرئيسة في مدينة القاهرة . وكانت ثمة مواقف خاصة بحمير الأجرة التي عرف أصحابها باسم «المكارية» . وكان أولئك «المكارية» يهتمون كثيرا بتجهيز حميرهم وزينتها لأنها كانت تقوم بدور سيارات الأجرة في أيامنا هذه . ويبدو أن بعضهم كان يهتم بالربح على حساب الاعتبارات الأخرى ، وتذكر بعض المصادر أن كثيرين من «المكارية» لا يعجبه أن يكاري إلا الفاجرات من النساء والمغاني منهن لمغالاتهن في الكراء ، فإنهن يعطين من الأجرة فوق ما يعطيه غيرهن» .

هذه صورة لبعض حرف الخدمات والغذاء المتصلة بحياة القاهريين اليومية ، وهي ليست بطبيعة الحال كل الحرف . فقد عرفت القاهرة في عصر سلاطين المماليك عددا من حرف اللهو والتسلية التي تستحق أن تخصص لها دراسة مستقلة .

بيد أنه يبقى علينا أن نوضح حقيقة مهمة مؤداها أن التدهور العام الذي بدأت الدولة المملوكية تعانيه منذ القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) . والذي انتهى بسقوط هذه الدولة تحت سنابك الخيول العثمانية في مرج دابق والريدانية في مطلع القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) قد ترك أثره السلبي بالضرورة على شكل الحياة في مجتمع القاهرة ، وعلى الحرف والصناعات المتصلة بالحياة اليومية بشكل جعل الدولة المملوكية في عيون المصريين ، وحشا لا يستحق الانقاذ . □

واحة العربي

في الصميم

● آه ما أخبث الناس ، إنهم لايحبونني بقدر ماأحب نفسي ، وعندهم من اللامبالاة نحوي بقدر ما عندي من اللامبالاة نحوهم .

« تريستان برنار »

● قبل أن أنقد أي كتاب أحرص على عدم قراءته ، وذلك حتى لا أكون متحيزا .

« برنارد شو »

● هناك فئة من الناس تفكر بالمال أكثر من الأغنياء ، إنهم الفقراء .

« أوسكار وايلد »

● لا توجد إلا امرأة شريرة في العالم ، وكل زوج يخالها زوجته .

« مثل روسي »

قاموس الظرفاء :

● المشورة : هي أن تسأل أخاك أن يوافقك على أمر قد قطعت فيه برأي .

● الكتاب النادر : هو الكتاب المستعار الذي يرد .

● السخف : صفة كل قول يرى المرء أنه يناقض رأيه .

● الحماة : هي المرأة التي لولاها لما كنت زوجا تعيسا .



التزام :

● وضع أحدهم شرطا ساعة عقد زواجه ، يتلخص بأن يكون مساء كل يوم اثنين إجازة أسبوعية له ، فيحق له الخروج بمفرده من المنزل ، وعقد الزواج على هذا الأساس ، وراح الزوج يتغيب مساء كل يوم اثنين طوال سبعة أعوام ، إلى أن جاء يوم لم يعد فيه إلى البيت كعادته ، وبقي غائبا عن بيته طوال عشرة أيام .

واتفق أن عاد بعد هذا الغياب يوم اثنين ، فبادرته زوجته بقولها :

لكم أنا سعيدة بعودتك ، سندعو الليلة جميع الأصدقاء والأقارب للاحتفال بعودتك .

فصاح الزوج غاضبا : ماذا تقولين ؟ أتريدين إقامة احتفال الليلة ، ألم نتفق على أن يكون مساء الاثنين إجازتي الأسبوعية ؟

أكثر كسلا :

● صاح ضابط انجليزي في جنوده : ليتقدم أكثركم كسلا خطوة إلى الأمام ، فتقدم الجميع إلا واحدا ، ذهب إليه الضابط وربت على كتفه وقال له : قل لنا : لماذا لم تتقدم مع الآخرين ؟ فغمغم الجندي قائلا : أليس في ذلك مشقة ؟



الحل المناسب :

● التقى صديق بمحمد خطاب وراح يشكو له قائلا :

- لقد نجح ابني في الإعدادية ، ولم أجد له أي مكان في مدرسة ثانوية

فقال له خطاب : ياأخي أرسله إلى الجامعة .

انتصار الحق :

● روى المحامي فوزي البردويل عن زميله الياس سلامة أنه ربح دعوى كبيرة ، فأبرق إلى صاحبها قائلا : « لقد انتصر الحق » ، وبعد ساعات تلقى الجواب التالي : « استأنفوا حالا »

الكنية كنيتي :

● قصد رجل الحجاج بن يوسف فأنشده :

أبا هشام ببابك
قد شم ريح كبابك

فقال : ويحك ! لم نصبت « أبا هشام » ؟

فقال : الكنية كنيتي ، إن شئت رفعتها وإن شئت نصبتها .

مبادرة :

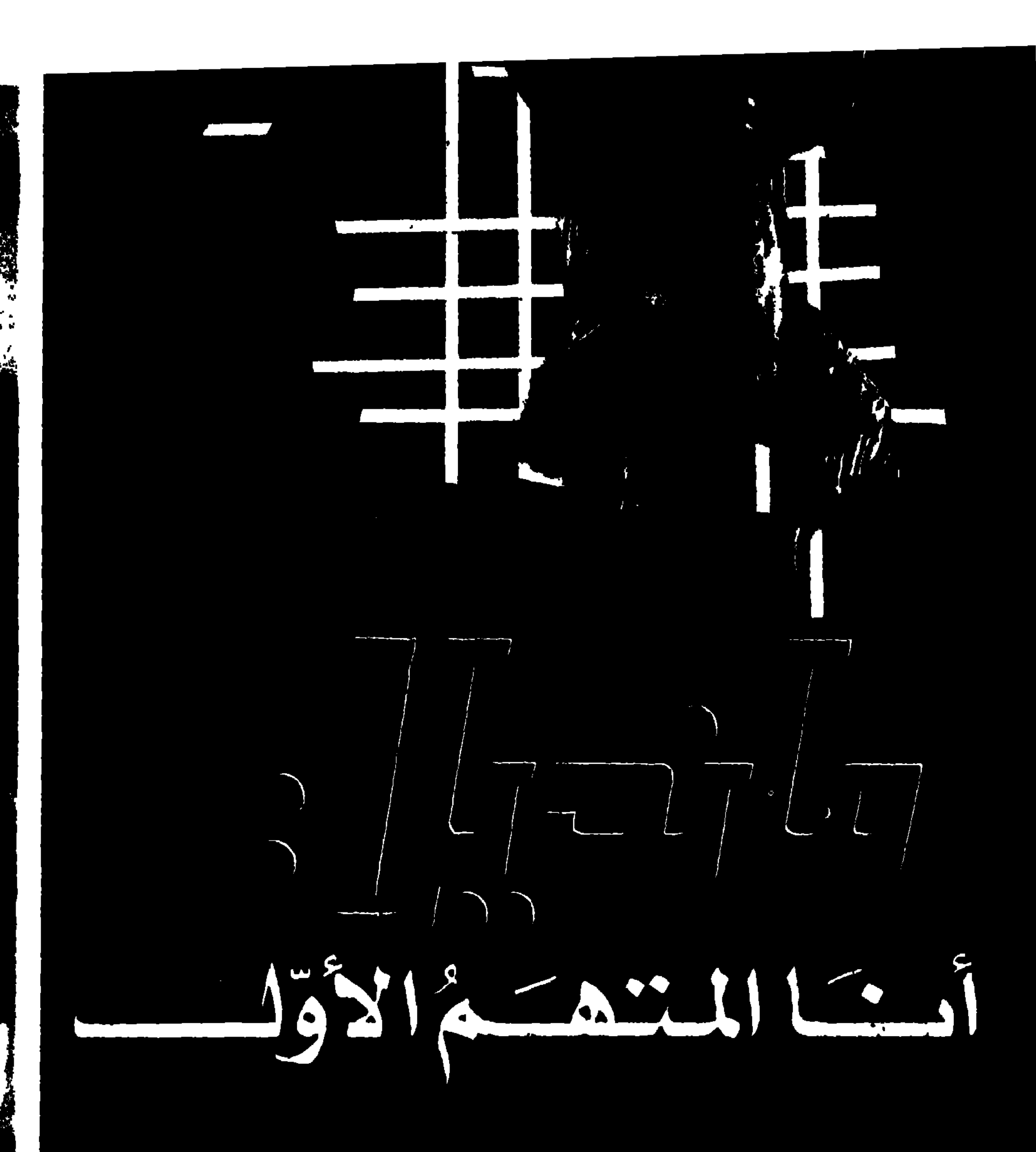
● تزوج أعرابي على كِبَر سنه ، فعوتب على مصير أولاده القادمين ، فقال :

- أبادرهم باليتم قبل أن يبادروني بالعقوق .



تشويق

● كان من عادة الأديب الفرنسي الفونس آلليه ارتجال القصص الغريبة ، وهذه واحدة منها ، قال : « في ذلك اليوم استقل البحار قاربه مع ولديه قاصدين الصيد . وكان من عادتهم العودة ظهرا . ولكن بلغت الساعة في ذلك اليوم الرابعة ولم يعودوا . واستولى القلق على الزوجة ، لأن الهواء بدأ يهب عنيفا ، وراحت الأمواج تتكسر ثائرة على الصخور . وجلست زوجة البحار على نافذتها تنتظر - وهي تزداد قلقا - عودة الزوج والولدين . ومضت الدقائق ، واشتدت معها ثورة البحر والهواء » ، واندفع آلليه يصف عنف العاصفة بإسهاب وتفصيل ، ثم قال : « والمرأة المسكينة مازالت على النافذة لا ترى في الأفق القارب الذى يحمل من تحب ، وطبعا هذا لم يكن غريبا ، لأن النافذة كانت تطل على الحديقة لا على البحر » .



أنا المتهمُ الأوّل

بقلم : حلمي شعراوي *

بعد سبعة وعشرين عاما من السجن أفرج النظام العنصري، في جنوب افريقيا، عن المناضل الافريقي نلسون مانديلا. وخرج مانديلا إلى جموع الشعب بتواضع جليل، ليقول لهم: لاتصفقوا لي، ولا تنظروا إلي كنبي. فأنا خادم لهذا الشعب. وأنا مجرد رجل أدى دوره. وقبل أن يدفع ثمن مايعتقده.

الرحلة الطويلة الأليمة والثمن الفادح يوضحها هذا المقال.



في سجن من سجون النظام العنصري بجنوب أفريقيا عاش واحد من أكبر رموز الحرية في عالمنا، نلسون روليهلاهلا مانديلا، المولود على أرض ترانسكي في ١٨ يوليو ١٩١٨، السجين، المتهم رقم واحد منذ يوليو ١٩٦٣. كان قد صدر عليه حكم المحكمة العنصرية بالسجن مدى الحياة، في الحادي عشر من يونيو ١٩٦٤، وعلى مدى ربع قرن حاول العنصريون التلويح لمانديلا بالخروج من السجن، مقابل أن يصدر تصريحا بأنه «ضد العنف»، وكانوا يتلقون دائما ردا واحدا منه: «ليس أمامنا خيار سوى أن نضرب بكل مالدينا من وسائل القوة، لندافع عن شعبنا ومستقبلنا، وحريتنا». وظل حتى الثانية والسبعين من عمره يقود - وهو في سجنه - شعبا يزيد على خمسة وعشرين مليون نسمة، يعيش معهم - وعلى كواهلهم - حوالي خمسة ملايين مستوطن من الأوربيين، ويتعايشون مع حوالي ثلاثة ملايين من الملونين والآسيويين، في بلد من أكبر البلاد الافريقية مساحة (١,٢١ مليون كيلومتر مربع) ومن اغناها بالثروات المعدنية والزراعية.

البيئة العنصرية

نلسون مانديلا شاب محام، زعيم حزب المؤتمر الوطني الافريقي، قائد «كوادر» منظمة «رمح الأمة» العسكرية «أو مخونتو وي سيزوي»، الجناح العسكري لحزب المؤتمر، لايدافع عن شعب جنوب إفريقيا وحده، وإنما عن الإنسان الإفريقي، والشعوب الإفريقية المقهورة كلها، من رأس الرجاء الصالح إلى اخر نقطة في الشمال الإفريقي، بل ويدافع عن شعوب العالم المقهورة كلها، فليس أمام الشعوب - حسب قول مانديلا - إلا أحد



● مانديلا وزوجته لحظة انتصار المبادئ

خيارين: الكفاح أو الخضوع. ومنطق التاريخ يقول مع مانديلا: إن الشعوب لاتخضع، ولا تستسلم، ولذا لم ينطق مانديلا كلمة الاستسلام، تلك الكلمة التي كانوا يريدونه أن ينطق بها.

لم يكن مانديلا يعيش وحده في سجنه الصغير، ولا يشاركه فيه سبعة من القادة الذين حكم عليهم بالسجن معه فقط، بل إنه يعرف أن شعب جنوب إفريقيا كله يعيش في سجن كبير، بل هو سجن ضيق في الواقع، فالكثيرون لايعرفون أن الشعب الافريقي، وفق تنظيمات قانونية رسمية في جنوب أفريقيا، معزول في مستوطنات أو معازل، أو في ما يسمى الأن «البانتوستانات»، على مساحة لاتزيد على ١٣٪ من مساحة أرض جنوب إفريقيا كلها، وتعيش الأقلية البيضاء على ٨٧٪ من أراضي هذا البلد المناضل. ومن هنا لايمكننا الحديث عن سجن مانديلا وحده.

الاستقلال الذاتي المزعوم

البيئة الأولية للعنصرية إذن كانت في تأكيد «السيادة للبيض»، على أساس اللون والجنس والدين والمستوى الحضاري، وكان مانديلا متأكدا بدوره من بطلان كل هذه الادعاءات، فالسواد لم يرتبط قط بالتدني، وقد عاش - وهو ابن إحدى العائلات الإفريقية الحاكمة - تاريخ الممالك الإفريقية عند الزولو والخوزا والمتابيلي وغيرهم القريبين من قريته أوماتاتا في الترانسكي. ويعرف أن الأوربي - جنسا - عاش إلى وقت قريب حياة التوحش والعدوانية والتدمير، في ما يسميه الأوربيون أنفسهم «العصور المظلمة»، وحتى فترة صبا مانديلا وشبابه كانت أوربا تعيش عصر الفاشية والنازية المدمرة، أما الديانة والمستوى الحضاري، فقد عرفت منها أفريقيا وتفاعلت مع تنويعاتها بما لم يقطع مسيرتها الحضارية، ومسار تقدمها، إلا



● انا خادم هذا الشعب

وصول الأوربيين، وأساليبهم «غير المتحضرة» في التمييز والقهر والاستغلال.

وأدرك مانديلا سريعا أن المسألة لاتتعلق بحلم «رومانسي» حول السيادة البيضاء وإنما كل ذلك زيف «أيديولوجي»، يغطي توسعات الرأسمالية الأوربية تجاريا وماليا، وحماية اكتشافاتهم للثروات «الاستراتيجية» التي تزخر بها بلاده من الذهب والفحم والأرض الزراعية. أدرك مانديلا ذلك ببساطة، عندما رأى القوانين تتوالى - وهو الحقوقي النابه - لانتزاع الأراضي من أيدي الأفريقيين، واختراع الأساليب المختلفة، من ضريبة الرأس والدخل وغيرها، لطردهم، ليعملوا بأرخص الأجور في مزارع الأوربيين ومناجمهم وموانيهم ومشروعاتهم للطرق والسكك الحديدية، حتى سجل في مقال له عام ١٩٥٣ أنه شهد اعتقال ستين ألف افريقي من منطقته وحدها، ليتم ترحيلهم للعمل في المشروعات الأوربية عقابا لعدم دفعهم الضرائب، وحين يذهب هؤلاء للعمل، فإنه لايسمح لهم بالإقامة في «الحضر» مثل جوهانسبرج وغيرها إلا بتصريح له شروط ومواصفات لاتجعل الإفريقي «مقيما». ومن تلك الشروط ألا يعيش مع زوجته لوكانت من

المطرودين معه، حتى لايستقروا بتكوين الأسرة. وعندما تنتهي الحاجة لهذه الآلاف يعودون «للمعازل»، مناطق كثيفة بالسكان، يزداد تكثيفها من حول المدن، حتى يضطر أهلها للعمل في مزارع الأوربيين، وهو التنظيم الذي تطور عنصريا وسياسيا، ليصبح هو نفسه «البانتوستان» ذات الاستقلال الذاتي المزعوم!

لعل كل ذلكَ ومثله هو الذي جعل مانديلا يتحمل الكثير ليكون محاميا، مع زميله أوليفر تامبو- وبرعاية سجين آخر هو سيسولو.

بدء رحلة النضال: المقاومة السلبية

عاش مانديلا تجربة النضال الطويلة ضد «السيادة البيضاء»، عاش خبرة «نهر الدم» التي راح ضحيتها الآلاف من أبناء الزولو، في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، حتى ملأت دماؤهم نهر الدم الشهير في منطقة ناتال، وعاش الخبرة الهندية التي بدأها غاندي في جنوب إفريقيا وسط أبناء آسيا في البلاد، ممن شحنهم الإنجليز والهولنديون للعمل في الأعمال الشاقة بأجور بخسة للإفريقيين. عاش تطور سياسة «المقاومة السلبية» والنضال المطلبي السياسي على الطريقة الغاندية، وعاش تجربة حزب المؤتمر الوطني الأفريقي الذي يعد من أقدم المنظمات السياسية في أفريقيا فقد بدأ عام ١٩١٢ حاملا شعار سياسة اللاعنف حتى نهاية الخمسينيات.

لقد انضم نلسون مانديلا إلى حزب المؤتمر عام ١٩٤٤ وعمره ستة وعشرون عاما، وحينذاك سارع مع رفاقه لتشكيل رابطة شباب الحزب واختاروه أمينا عاما. ويعترف مانديلا أنه لم يكن «ثوريا» في عمله السياسي، كان يتصور أن تستجيب السلطات لمطالبه الخاصة بالإفريقيين المظلومين، فكان يكتب النداءات والمطالب للحكومة والبرلمان، ويطالب بميثاق وطني، ويناشد الحكومة أن تعفي البلاد من حرب أهلية، تتطور إليها الأوضاع بالضرورة إذا استمرت أساليب العنف التي يتبعها النظام وأدواته. كان يقول دائما، وظل على قوله هذا حتى الآن : إن جنوب أفريقيا لكل سكانها من البيض والملونين والافريقيين . ولكن العنف الذي يتبعه « الحزب الوطني » حزب البوير لا يولد الا عنفا .

قانون التخريب وحملة التحدي

وخلال سنوات ١٩٤٩ ـ ١٩٥٢ التي عرفتها معظم شعوب العالم الثالث بسنوات النهوض الوطني الكاسح، وتحقق فيها العديد من الانتصارات في آسيا والشمال الافريقي، عانت شعوب الجنوب الافريقي أقسى أنواع الاجراءات العنصرية، «قانون التخريب»، وقانون مكافحة الشيوعية ١٩٥١/٥٠، وهيَ القوانين التي وضعت الوطنية والسياسات السلمية في مأزق واضح.

ليس مصادفة أن يقفز وعي مانديلا وزملائه قفزة كبيرة ففي تلك المرحلة نفسها تمت صياغة برنامج العمل المباشر، وتدعيم التنظيم السياسي الجماهيري لحزب المؤتمر الوطني، ورابطة شباب الحزب، وحملات المقاطعة والاحتجاج، ورفض أي شكل للتعاون مع الحكومة العنصرية، ثم الرد على القوانين الإرهابية (التخريب ومكافحة الشيوعية) بتنظيم أوسع موقف للمقاومة تحت شعار «حملة التحدي» عام ١٩٥٢. قال مانديلا: «إن انتفاضات الجماهير العفوية، وبخاصة من الفلاحين، لابد أن تنظم سياسياً، وتتسع جماهيرياً»، لكنه ظل قريبا من شعار اللاعنف، على الرغم من اتساع حملة الاحتجاج، واعتقال النظام ثمانية آلاف وخمسمائة مواطن افريقي، والحكم بالسجن على مانديلا وتسعة عشر آخرين معه في ما عرف بيوم الحرية في ٢٦ يونيو ١٩٥٢، ومنع مانديلا من العمل، بعد حظر نشاط حزب المؤتمر الوطني الافريقي، لكنه رفض حل الحزب، وقرر مع زملائه استمراره، عن طريق العمل السري. ولأنهم معروفون

زعماء فعالين للحزب، فقد اشتد ضده الاضطهاد، لكن الشعب كرمه بانتخابه رئيسا للحزب في إقليم ترنسفال، ونائبا للرئيس العام للحزب، وأصدر مانديلا في مؤتمر الحزب ١٩٥٣ نداءه الشهير: «ليس طريق الحرية سهلاً».

من النضال السلمي إلى العنف

وبينما هو بين العمل السري والعلني، والعمل في المحاكم للدفاع عن حقوق الأفارقة المظلومين، وحضور المحاكمة الخاصة به هو نفسه، تعرف على «نومزامو ويني»، وتزوجها عام ١٩٥٨. وقد كان مانديلا بين نضال وسجن حتى سجن مؤبدا منذ عام ١٩٦٤.

كان الجدل الذي خاضه مانديلا، وسط الحركة الوطنية، قاسيا في الفترة بين ١٩٥٨ و١٩٦١. وعلى الرغم من تحمله لقساوة التشرد ودخول المعتقلات والخروج منها فقد كان النموذج الهندي للتحرر الوطني - نموذج المقاومة السلبية - هو النموذج المعتمد لدى قيادة حزب المؤتمر ومانديلا نفسه، على الرغم من فارق الأوضاع تماما في البلدين، وكان مانديلا زعيما شعبيا بحق، يدعو للاضراب فيستجيب له الآلاف، أو يدعو للمقاطعة فتتوقف مجالات كثيرة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، لكن صورة حزب المؤتمر الوطني الإفريقي كادت أن تبدو على الرغم من ذلك مجرد حركة حقوق مدنية تطالب بتحسين - أو بتغيير - أوضاع التمييـز العنصري السـائـدة، «وتحقيق الديمقراطية». أحد القضاة البيض حكم ببراءة مانديلا يوماً من عدة تهم قدم بها للمحاكمة في تلك الفترة وبرر ذلك بأنه «ثبت لديه أن المتهم يريد فعلا تغيير الشكل الحالي للدولة جذريا وجوهريا، إلا أنه لم يثبت للمحكمة تهمة لجوء المتهم للعنف، أو أن حزب المؤتمر يخضع للشيوعية».



رمح الأمة

وأعلن حزب المؤتمر الوطني الإفريقي عن تشكيل منظمة «رمح الأمة» - «مخونتو وي سيزوي» - التي تأسست في الفترة بين يونيو وديسمبر ١٩٦١.

حينذاك أعلن مانديلا، في بيان شهير آخر في ٢٦ يونيو ١٩٦١، بعنوان «النضال حياتي»، «ان الحزب لابد أن ينتقل الآن إلى المرحلة الثانية من نضاله بالعمل السري والكفاح ضد النظام العنصري، وتحويل مطلب الميثاق الوطني إلى تعبئة الجماهير من أجل دولة الشعب، بكل الشعب ومن أجل الشعب»، وطالب الجماهير بالضغط الجماعي، وعدم التعاون مع النظام العنصري، وبدأ اختفاء مانديلا عن أعين السلطة إذ أصبح مطلوبا القبض عليه معظم الوقت. وكتب يوما: «كان علي أن أنفصل عن زوجتي العزيزة وأولادي، وعن أمي وإخوتي، لأحيا في بلادي كالهارب من العدالة. كان علي

أن أتخلى عن مهنتي، وأعيش في فقر وبؤس مثل الكثيرين من أبناء شعبي الذين يناضلون.»

ومن تحت الأرض شكل مانديلا ورفاقه «رمح الأمة».

أصدرت منظمة «رمح الأمة» أو«مخونتو وي سيزوي» في ١٦ ديسمبر ١٩٦١ - الجناح العسكري لحزب المؤتمر الوطني الإفريقي ـ منشورا صغيرا، وزع في أنحاء البلاد على صوت تفجيرات في عشرات المدن صباح يوم الاجازة العامة في جنوب إفريقيا، حيث يحتفل فيه «البوير»، خاصة بذكرى انتصارهم العسكري على مملكة الزولو في ناتال في هذا التاريخ من عام ١٨٣٨، وسميت يومها الموقعة «بنهر الدم».

حركة التحرر الإفريقية

امتدت حركة مانديلا من حدود جنوب أفريقيا إلى حدود القارة كلها، وعندما أحس أن النظام العنصري يشدد الحصار على الحزب وعليه شخصيا قرر الخروج بالقضية إلى حركة التحرر الافريقية. يلزمها بها ويلتزم معها.

قام الحزب بتهريبه خارج الحدود في مطلع ١٩٦٢، ليفجر القضية أمام مؤتمر كبير يعقد في أديس أبابا في يناير باسم «حركة التحرر الافريقية الجامعة لشرق افريقيا ووسطها» المعروفة باسم «بافميكا» وقد جعلتها مشاركة مانديلا تضم جنوب افريقيا أيضا.

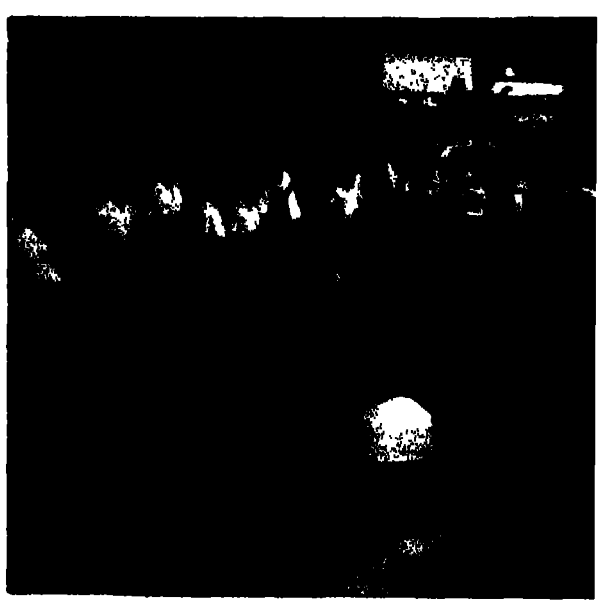
كان ظهوره هناك مفاجأة مفزعة للحكم العنصري وللقوى الاستعمارية كلها، وهناك تحدث مانديلا بلغة جديدة قوية عن الامبريالية في بلاده، عن العمل من الداخل والتعاون مع الخارج، عن حركة التحرر الوطني في جنوب افريقيا، وكل افريقيا.

وخرج مانديلا من أديس أبابا إلى جولة في أنحاء القارة، زار خلالها الجزائر ومصر ـ وليبيا وتونس والمغرب والسودان، كما زار تنزانيا وغينيا وليبيريا ونيجيريا وكينيا، ثم اتجه إلى لندن. وكانت مؤتمراته الصحفية وتصريحاته إعلانا صريحا عما سماه المرحلة الثانية من النضال في هذه البلاد.

أنا المتهم الأول

وبدأت محاكمة ريڤونيا الشهيرة لمانديلا في ٩ اكتوبر١٩٦٣، بعد أن بقي في السجن أكثر من عام بدون محاكمة، في حبس انفرادي هو وعدد من قادة حزب المؤتمر، وكان حكم الإعدام يلوح في الأفق دون منازع. يومذاك قرر الحزب أن يعترف قادته بالتهم الموجهة اليهم، وأن يقدموا دفاعا سياسيا عن القضايا المركزية لشعب جنوب افريقيا، واستمرت المحاكمة من اكتوبر ٦٣ حتى ٢٠ ابريل ١٩٦٤، حين قرر مانديلا وسيسولو وغيرهما بدء الدفاع، وبدأ مانديلا بالدفاع عن نفسه، ليصبح هذا الدفاع من أشهر وثائق الأدب السياسي في عصرنا، وهو الذي ينشر غالبا بعنوان إحدى جمله الشهيرة «إنني مستعد للموت»، ويبدأ الدفاع: «أنا المتهم الأول».

ثم ينتقل مانديلا سريعا إلى الهجوم، ويكشف عدم شرعية النظام، ومعاداته حقوق



● خطه الخروج من بوابة السجن الطويل .

الشعب في أرضه، وثرواته الطبيعية، وحق الإنسان في عائد عمله، وحرية التنقل في بلاده، وحقه في حكم نفسه، وفي تقرير مصيره.

وفي الحادي عشر من يونيو ١٩٦٤ صدر الحكم بالسجن المؤبد على مانديلا ورفاقه.

لم يكن نلسون مانديلا وحده، فقد كان معه الشعب كله محاصرا في المعازل والبانتوستانات، وهو الذي تفجر بعد سجن مانديلا بالكفاح المسلح، واختار من بين الشعارات أقرب كلمة أفريقية لاسم مانديلا، إنها «ماندلا» أي القوة التي تحولت في فلسفة الحزب «للسلطة». تحت شعار «السلطة للشعب».

الحق والعدل لكل الجماهير

وفي زنزانة بجزيرة روبن المعزولة بعيدا بقي مانديلا أكثر من ربع قرن، يرفض أن يخرج للحرية المنقوصة بكلمة واحدة تستنكر العنف، فضل أن يبقى في سجنه مع رفاقه السبعة: والترسيسولو - جوفان مبيكي - رايموند مهالابا - إلياس موتسواليدي - أندرو مالانجيني - أحمد كاترادا - دينيس جولدبرج.

ومن السجن لم تنقطع علاقته بالنضال أو المناضلين، كانت قيادات المؤتمر الوطني الافريقي، بل والتنظيمات الشعبية الأخرى، تتصل به، وتتشاور معه في تطوير البرامج «والتكتيكات»، بقيادة زميله أوليفر تامبو، وحينما احتدمت أزمة النظام العنصري نفسه في منتصف الثمانينيات أرسل إليه في السجن من يحدثه في الإفراج عنه مقابل التصريح برفض العنف وسيلة للنضال، فرفض، وحاول النظام العنصري تقديم إصلاحات شكلية، قاطعتها الجماهير الافريقية، بل وقاطعها الملونون والهنود لتحالفهم مع حزب المؤتمر، وأرسل له الأوربيون والأمريكان الرسائل في سجنه عام ١٩٨٧ و١٩٨٨، عبر شخصيات كبيرة زارت جنوب أفريقيا، ولم يقبل بأي تنازل قبل إعلان النظام عن تغيير الأوضاع العنصرية القائمة. وأمام تنشيط الاتصالات أصدر وثيقة جديدة أوائل عام ١٩٨٩، لم تنشر إلا قبل خروجه بأيام، شبيهة بوثيقة محاكمته، أعاد فيها التأكيد على أن العنف والكفاح المسلح الذي يلتزم به حزب المؤتمر الوطني الافريقي هو رد فعل لعنف النظام العنصري وقساوته، ولذا يجب تغيير هذا النظام أولا لصالح كل الأجناس ومبادىء المساواة وحقوق الأغلبية، ودافع عن تحالفات المؤتمر الوطني الافريقي مع القوى اليسارية في الداخل، بل وعلاقاته مع الدول الاشتراكية، مشيرا إلى أن الدول الرأسمالية تقيم العلاقات الوثيقة الآن مع الدول الاشتراكية، فكيف لاتفعل ذلك قوى مقهورة في جنوب أفريقيا لتحقيق التحرر والسلام.

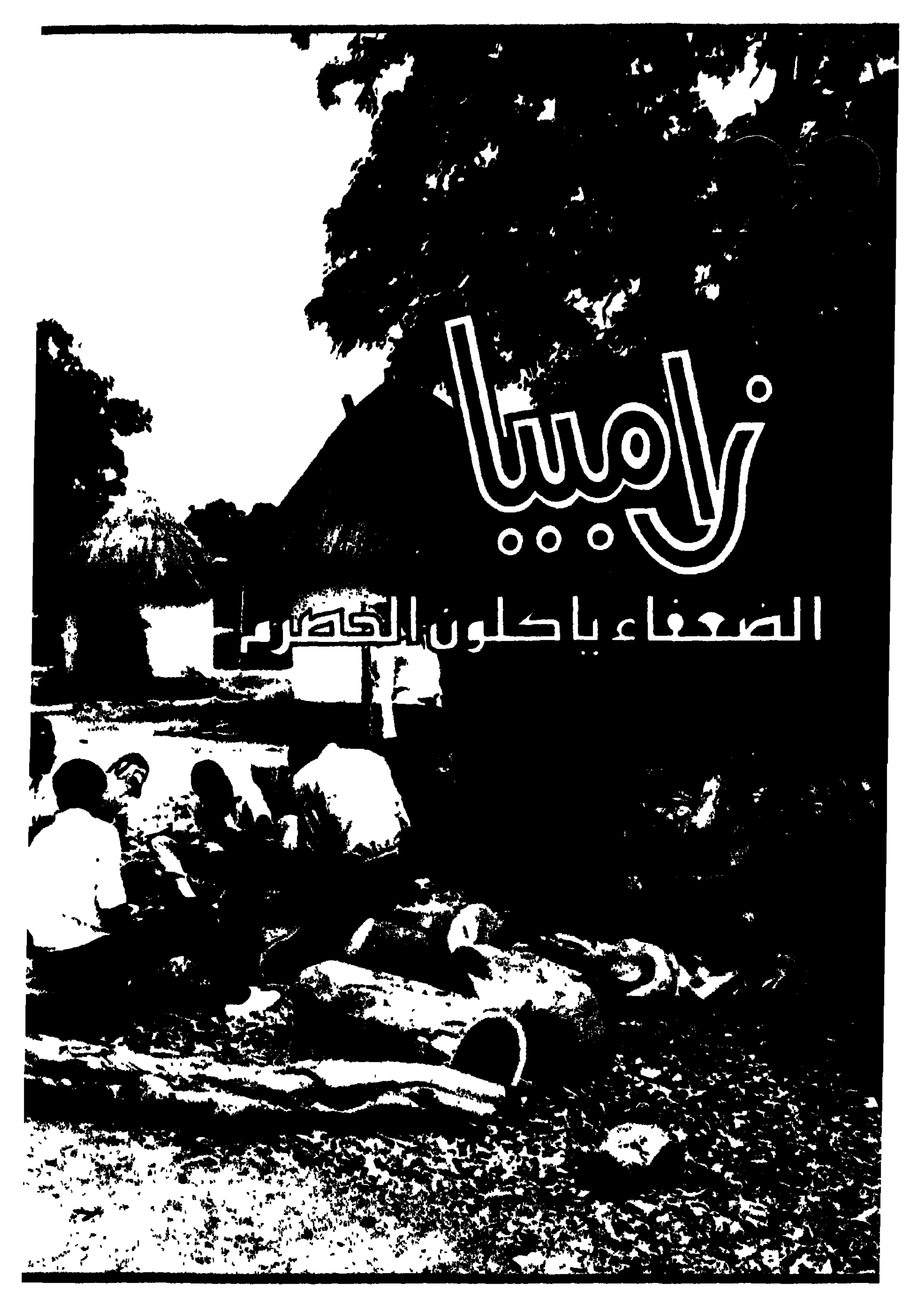
وعندما بدأت خطواته الأولى إلى خارج سجنه ظهيرة الحادي عشر من فبراير ١٩٩٠، بعد حوالي سبعة وعشرين عاما في السجن، عاد يكرر بأنه لايتنازل عن العنف والكفاح المسلح بين شعبه إلا إذا تغير النظام العنصري القهري الذي يعاني منه هذا الشعب، وأنه مستعد للتفاوض، ولكن حول الحق والعدل لكل الجماهير، ومن يعيش في جنوب أفريقيا من كل الأجناس. □

تقدم التخلف

● إن التقدم وحده الذي يتخلف، والتخلف وحده الذي يتقدم في الوطن العربي.

مطاع صفدي




زامبيا
الضعفاء يأكلون الحصرم



استطلاع : محمود عبد الوهاب
تصوير : فهد الكوح

كانت بالغة الثراء منذ ربع قرن مضى فقط ، فقد كانت من أهم منتجي النحاس في العالم ، قبل ثورة الاختراعات الجديدة التي ابتكرت بدائل لهذا المعدن العريق .

ساندت هذه الدولة كل حركات التحرر في افريقيا تقريباً ، وتقود حالياً حركة مواجهة التمييز العنصري . طالبت العالم بأن يكون أكثر إنسانية مع الفقراء والمدانين ، ولذلك فهي تسدد « قائمة حساب » باهظة ، فليس للضعفاء أن يحتجوا على الأقوياء في هذا العالم .

إلى زامبيا في قلب منطقة الجنوب الافريقي كانت رحلتنا ، ولكنها كانت رحلة مغايرة لما اعتدناه . كانت الأسباب كثيرة ، فزامبيا حالة تاريخية اقتصادياً وسياسياً ، وهي صاحبة كثير من المواقف المساندة للقضايا العربية ، وهي عزيز قوم . . كانت ثروتها في الستينيات عظيمة ، لكن الزمن لم يبق لها الكثير .

بلا مرافىء

تقع زامبيا في وسط جنوب افريقيا ، وهي بلد داخلي لا منفذ له على البحار ، يحده شمالا زائير ، ومن الشمال الشرقي تنزانيا ، ومن الشرق موزمبيق وملاوي ، ومن الجنوب زيمبابوي ، وبتسوانا ، ومن الغرب أنغولا . وهي بذلك تقع في قلب منطقة الجنوب الافريقي ، وتبلغ مساحتها ما يزيد قليلا على ٧٥٢ ألف كيلو متر مربع ، بينما لا يتجاوز عدد

سكانها ٦,٩ ملايين نسمة . ويتوزع سكان زامبيا على عدد من الأعراق الافريقية ، فتبلغ ٧٣ عرقاً ، أهمها البامبا ، واللوزي ، والتونغا ، الغنوني ، والسيوا . وقد تسببت الهجرات القديمة نحو نهر الزامبيز الذي اشتق منه اسم البلاد في هذا الخليط من الأعراق ، وبالتالي من القبائل .

وقد عرف العالم الغربي زامبيا في عام ١٨٥٠ ، عندما وصل المستكشف البريطاني ليفينجستون (١٨١٣ - ١٨٧٣) في رحلاته إلى نهر الزامبيز ، وبعد ذلك امتدت نشاطات شركة جنوب افريقيا ، لتسيطر على البلاد ، خاصة بعد اكتشاف النحاس بوفرة هائلة . وفي عام ١٨٩٩ ، وبموجب اتفاق مع شركة جنوب افريقيا ، خضعت البلاد للاحتلال البريطاني حتى استقلالها منه في عام ١٩٦٤ . وتغير اسم البلاد من روديسيا الشمالية ، تميزاً لها عن روديسيا الجنوبية ، فأصبح زامبيا ، تماماً كما فعلت زيمبابوي بعد ذلك ، واسقطت اسم روديسيا الجنوبية .

بطاقة تعريف

الوصول إلى لوساكا العاصمة يتم عبر أحد المطارات الافريقية ، وأكثر الرحلات انتظاماً هي



● حدائق السفاري تنتشر في زامبيا .

التي بين هراري عاصمة زيمبابوي ، أو نيروبي عاصمة كينيا وبين لوساكا . في قاعة السفر في مطار هراري ، ونحن ننتظر الطائرة ، أعلن المذيع الداخلي عن تأخر الطائرة مدة ساعة ، لتأخرها في الإقلاع من مطار لوساكا ، وكالعادة دائماً فإن المسافرين المنتظرين سرعان ما يسقطون حواجز الغربة ، وتتوالد الأحاديث . قالوا لنا : منذ أسبوعين - في ذلك التاريخ - لم يكن هناك بالعاصمة التي هي وجهتكم كلها رغيف خبز ، وقالوا لنا : إن رجال الأمن في القرى الصغيرة هم الذين قاموا بعمليات نهب وسرقة لبعض البيوت ، لأنهم هم الذين يملكون السلاح ، وحذرونا من الفنادق ، فما أسهل أن يقتحم مسلح ما فندقا ، ويسرق ما يجده ، ولذا فهناك فندق كبير ، هو أحد فروع مؤسسة فنادق عالمية شهيرة ، هو الذي يحتفظ برجال أمن تابعين له .

ووصلنا مطار لوساكا أخيراً ، بعد حاجز الجمارك ، ذهبنا إلى موظف إقرارات العملة الأجنبية لكي نسجل ما معنا رسمياً ، حتى إذا خرجنا بفائض عملة لا نقع تحت طائلة القانون ، ابتسم الموظف وقال لا توجد نماذج إقرارات ، وبعد طول انتظار قطع ورقة عادية من دفتر قديم وكتب عليها أسماءنا وأرقام جوازاتنا ، ومقدار النقد الأجنبي ومهرها بخاتم الدولة ، وابتسم .

السيارة التي أقلتنا إلى الفندق متهالكة ، والطرق بالغة السوء ، مليئة بالحفر والمطبات والطريق - على الرغم من أننا كنا وقت الظهر - شاغر تماماً . في الفندق بدأت أولى المشاكل ، فقد أصر موظف الاستقبال أنه لا يوجد حجز باسمنا . أغرقنا الموظف بقدر من الابتسامات وكلمة أخي ، وهما مفتاح سحري في كثير من بلدان افريقيا ، لكن دون جدوى . أخيراً قدمنا بعض المال ، فبدأ يبتسم ، وبعد ثلاث ساعات كاملة منحنا غرفة ، في الفندق الكبير .

صباح اليوم التالي توجهنا إلى إدارة الإعلام الخارجي . أمام الموظف المسئول شرحنا له

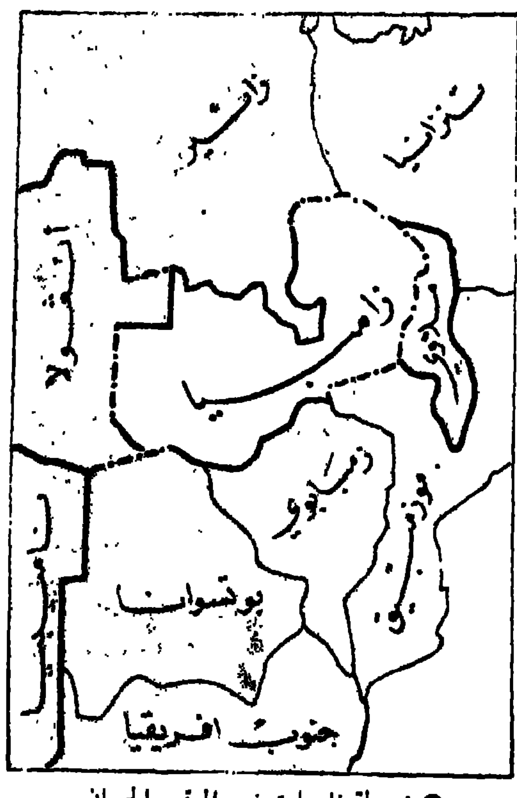
مهمتنا ، أعطانا استمارة بيانات مكونة من ثلاث صفحات ، وحجز جوازات سفرنا وطلب أن نصور هذه الاستمارة ست صور ضوئية لكل واحد منا ، ونعيد إليه الأصل ، لأنه لا يوجد في الإدارة سوى نسخة واحدة ، لا يستطيعون التفريط فيها . خرجنا من إدارة الإعلام ، وعدنا للفندق . صورنا الاستمارة وعدنا إليه ، فابتسم مدهوشاً وقال : كنت أنتظركم في الغد . بعد ملء الاستمارات قال بهدوء : اتركوها وسوف نتصل بكم بعد ذلك لنخطركم بالموافقة على ممارسة العمل وحق التصوير .

وغادرنا زامبيا ولم نحصل على التصريح . وكما قالوا لنا : إنه لابد من بقائك فترة أسبوع إلى عشرة أيام ، ويكون عنوانك معروفاً لديهم ، وتخضع للمراقبة الدقيقة ، وبعد أن يتأكدوا منك يقررون هل يمنحونك التصريح أو لا ؟ .

هذا الأداء

هذا الأداء المكتبي الرتيب ليس مقصوراً على معاملة الأجانب ، ولا على الصحفيين . يقول لنا د. ثورهانز ، أحد مستشاري هيئة المعونة : لظروف تاريخية واجتماعية معقدة فإن الناس هنا لا تعمل ، وفيهم قدر من الإهمال والكسل ، فعلى سبيل المثال هناك ١٥٠ مليون فدان صالحة للزراعة ، وهي أراض تتنوع تربتها ، فمنها أراض صالحة للمحاصيل المثمرة ، وأخرى للفواكه ، وثالثة للزراعات المجهدة ، وزامبيا واحدة من البلدان الافريقية القليلة التي لم تتأثر بالجفاف ، ولديها مصادر مياه متنوعة ، سواء أنهار وبحيرات أو حتى مياه جوفية ، وعلى الرغم من ذلك فقد استوردت زامبيا عام ١٩٨٦ من الحبوب ١٤٨ ألف طن ، وحصلت على ٨٢ ألف طن متري معونة ، ولم تكف هذه الواردات ولا هذه المعونة في تغطية الاحتياجات .

ولكي تدرك حجم هذا الأداء الذي عايشتم جزءاً منه وآثاره فإن الثابت إحصائياً أن هناك



● خريطة زامبيا توضح الموقع والجيران .

٤٠٪ على الأقل مفقوداً من كل المحاصيل ، نتيجة سوء عمليات الحصاد ، والتعبئة والنقل .

في الطريق إلى الفندق حاول زميلي المصور التقاط صورة من نافذة السيارة ، وصرخ بنا السائق محذراً ، فعلى رصيف الشارع كثير من المتسكعين ، منهم عدد من أفراد الشرطة السرية الذين لم يترددوا في القبض علينا نحن الثلاثة .

لكل شيء ثمن

في طريقنا إلى لقاء أحد أساتذة الجامعة اخترقت بنا السيارة قلب العاصمة . حول المباني الحكومية لافتات « ممنوع التصوير » ، رجال الشرطة الرسمية على مفارق الطرق بأسلحتهم ، الفقر لا تخطئه العين ، شوارع بالغة الإهمال ، مبان قديمة ، ارتفاعها لا يزيد عن ثلاثة طوابق ، الباعة في السوق يعرضون سلعاً قليلة ، منظر السوق والباعة والمشترين يبعث على الرثاء ،

الفقر جعل الناس يعودون إلى طعامهم الشعبي الأساس المكون من دقيق الذرة المعجون بالماء الذي يوضع فوق النار فترة حتى يجهز ويبقى ليناً ، ثم يقدم للأكل .

يقول لنا د. ونستون بوانجا : « نحن في زامبيا نتعرض لضغوط شديدة ، أخشى أن تكون أقسى من قدرتنا على الاحتمال ، فنحن قد قررنا وقف العمل بمقترحات صندوق النقد الدولي ، وتوقفنا جزئياً عن سداد أقساط الديون ، ونحن نتعرض من جراء ذلك إلى ضغط عنيف من الغرب الذي امتنع تماماً عن مساعدتنا ، ويحاول الغرب عزلنا تماماً ، باستثناء ايطاليا وبعض المساعدات من اليابان التي قدمت ٤٥٨ مليون دولار منحاً منذ الاستقلال حتى عام ١٩٨٩ ، وعلى الرغم من ذلك فقد اضطرت الحكومة إلى رفع الدعم عن كثير من الخدمات ، فأصبح العلاج بأجر ، والتعليم بمصاريف بعد أن كان مجانياً ، ومع استمرار التضخم الذي يقارب ٢٣,٥٪ - وفق أرقام البنك الدولي - فإن الحياة قد أصبحت صعبة على كثيرين من المواطنين . بالإضافة إلى هذا الضغط هناك ضغوط نظام جنوب أفريقيا ، نتيجة مواقفنا السياسية المضادة للتمييز العنصري ، وبقبولنا بوجود مكتب لمقر حركة المؤتمر الوطني الافريقي المناهض لنظام جنوب افريقيا العنصري في لوساكا . نحن في المجمل العام نسدد قائمة حساب باهظة لمواقف سياسية اخترناها » .

نسأل د. ونستون عن الجامعة ، فيقول لنا وهو ينظر إلى طفلته الصغيرة : أنا خارج الجامعة منذ الاضطرابات التي حدثت عام ١٩٨٨ ، أتقاضى مرتبي ولا أعمل . المنزل متواضع الأثاث ، لكن نظافته تداري كثيراً من الأشياء ، ساق مقعد مكسورة ، خيوط ستارة مفككة ، أكواب بلاستيكية لشرب الشاي ، قطعة سجاد بالغة القدم . ونغادر البيت إلى الطريق مرة ثانية .

عيد ميلاد سعيد

في طريق عودتنا إلى الفندق مررنا على إدارة الأمن ، سألنا عن التصاريح ، أحالنا الضابط إلى مسئول كبير ، لم يدعنا للجلوس ، تشاغل بعض الوقت في أوراقه ، نظر إلينا وقال : أريد إجابة واضحة ، لماذا هذه العجلة ؟ إن استعجالكم يريبني ، وبخاصة أن بابا روما سيزورنا الأسبوع القادم ، والبلاد كلها ستحتفل بعد غد بعيد ميلاد الرئيس ، أرجو أن تلتزموا بعدم ممارسة العمل لكي لا تضطرونا إلى اتخاذ إجراء آخر ، وسوف نتصل نحن بكم في الفندق ، ولا داعي لمروركم ثانية .

في الطريق إلى الفندق كان العمال يضعون الملصقات على الجدران ، وهي ملصقات تحمل صورة الرئيس الزامبي كينيث كاوندا ، وتحتها ٦٥ عاماً ، ثم عبارة « عيد ميلاد سعيد » .

وفي المساء قدم التلفاز ساعات طويلة من صور الاستعدادات للاحتفالات بعيد ميلاد الرئيس : مدارس الأطفال ، عمال المصانع ، موظفي الحكومة ، فالكل سيطفىء شمعة عيد الميلاد .

والدكتور كينيث كاوندا من جيل الزعماء القدامى لأفريقيا ، فهو رئيس حزب الاستقلال الموحد الذي قاد حركة النضال ضد الاستعمار البريطاني منذ عام ١٩٥٩ ، حتى حصول زامبيا على استقلالها في اكتوبر ١٩٦٤ . ولقد ناصر الرئيس كاوندا حركات الاستقلال في منطقة الجنوب الافريقي ، ففتح حدوده لثوار زيمبابوي قبل استقلالها ،وفي أثناء مقاومتهم للنظام العنصري ، وهو حالياً رئيس مجموعة دول مواجهة نظام جنوب افريقيا العنصري ، والدكتور واحد من دعاة ما يسميه نظام الاشتراكية الإنسانية . وقد بدأ منذ الستينيات مشروعات صناعية وتنموية ، لكنها لم تحظ بالنجاح ، سواء بأسباب ضغوط من الغرب ، أو بأسباب متاعب من جراء سياساته الافريقية







● معروضات كثيرة ولا أحد يشتري

وحرمان زامبيا من منفذ بحري يكفل لها حرية التجارة ، وقطع الطريق أمامها نحو ميناء بيرا في موزمبيق حتى عام ١٩٧٨ .

الأحلام الضائعة

عندما استقلت زامبيا كان لديها احتياطات نقدية تقدر بأربعمائة مليون جنيه استرليني ، وكان ذلك في عام ١٩٦٤ ، وكان سعر خام النحاس مرتفعاً ، ومعدل أسعاره بارتفاع دائم ، وبعد أربع سنوات فقط على الاستقلال أجبرت ٢٦ شركة كبرى على أن تتخلى عن ٥١٪ من رأسمالها للدولة ، وفي عام ١٩٧٠ كانت عمليات التأميم قد شملت الصناعات المنجمية والمصارف ، لكن السبعينيات لم تكن سنوات طيبة لزامبيا ، فقد بدأ الهبوط العالمي لأسعار النحاس في الازدياد ، وفي الوقت نفسه كانت الدولة قد أخذت على عاتقها كل المسئوليات الاجتماعية ، من تعليم مجاني ، ورعاية صحية ، ورواتب أو إعانات لكل مواطن حتى إن لم يكن موظفا . كانت السنوات الأولى هانئة ، فقد توسعت زامبيا في الاقتراض لإقامة صناعات تحويلية ، وللتوسع في استكشاف النحاس ، والتنقيب عن المعادن . كانت الأحلام تتسع يوماً بعد يوم ، فزامبيا هي رابع منتج للنحاس في العالم ، والنحاس يدخل في معظم الصناعات ، والطلب متزايد عليه . في هذا الوقت ترعرعت الأحلام ، وتمنى كثيرون أن تذوب الفروق الاجتماعية ، وأن يتحقق بعض العدل ، وأن يستمر الازدهار .

وبدأت الأحلام تتراجع وتضيع ، فقد بدأ سعر النحاس يهبط ، وبالتالي قلت عائدات الدولة ، وزاد عبء الديون التي كانت قد توسعت فيها ، فاضطرت للاقتراض من جديد ، وفشلت مشروعات الصناعة ، وقلت الاستثمارات ، وأصبحت في حاجة إلى تجديد المصانع وإحلالها ، أو قطع غيار ، لكن عجزها

● هذا السوق المفتوح المهمل هو سوق «لوساكا» العاصمة . (الصورة العليا)

عن سداد أقساط الديون لم يجعل العالم الخارجي مستعدا لمساعدتها . وأصبحت الحياة صعبة ، وضاعت الأحلام ، وبدأت تظهر كل المشاكل التي أخفاها الازدهار البائس ، وبدأ الاقتصاد يئن من حجم الديون الذي يبلغ ٣٥٧٥ مليون دولار (أرقام البنك الدولي حتى عام ١٩٨٦) . وتمثل خدمة الدين ؛ أي نسبة الفوائد والأقساط إلى الناتج القومي ٢٤٠٪ ، أي ٢٤٠ مرة بقدر الناتج القومي الاجمالي .

تحالفات المصالح

بعدما تأزمت الأوضاع الاقتصادية في زامبيا ، بدأت في السنوات الأخيرة متاعب عدم الاستقرار ، فقد تحرك بعض رجال الأعمال ، وبعض أعضاء الجماعات ذات الاتجاهات المخالفة للدكتور كاوندا ، وبعض قوى الجيش وبدأوا يمارسون ضغوطا على الحكومة من خلال التجار ، بحجة أن الحكومة تتدخل في نظام تحديد الأسعار ، وأنها فرضت حظراً على التعامل مع الغرب .

وجاءت المناسبة عندما عينت الحكومة الجنرال « اوليفر تامبو » سفيراً في إحدى العواصم الأوربية ، ولأن الرجل كان محبوباً داخل القوات المسلحة ، فقد بدأت جماعات التجار في الاتصال به ، واتخاذه واجهة ، وقد قدم الرجل مذكرة إلى الحكومة ، يطالب فيها ببعض التعديلات الجذرية لإنقاذ الأحوال الاقتصادية ، فاستدعت الحكومة الجنرال للتشاور ، وفي المطار ألقي القبض عليه ، وبدأت حملة اعتقالات ضد التجار والقوى المناوئة ، وبعد فترة أطلق سراح الجنرال ، وخاضت الحكومة مفاوضات مع التجار ، ومنحتهم بعض الامتيازات ، فقد بدأت سياسة جديدة ، رفعت الحكومة بموجبها الدعم عن كثير من الخدمات والسلع ، فأثرى التجار ، بينما التهبت حياة الفقراء . وبعدما عبر العمال والطلاب عن تأزمهم في عدد من







● الدب الكسلان أكثر الحيوانات عددا في حديقة الحيوانات في لوساكا .

الاضطرابات عادت الحكومة فقررت صرف كمية محدودة من السلع بالسعر المدعوم ، وما زاد عن هذه الكميات يباع بالأسعار غير المدعومة ، لكن صغر الكميات التي تخصص لكل أسرة ، جعل هذا النظام غير مجد كثيراً للفقراء .

يقول « لو سيناجا » ، موظف في إحدى الشركات : إن راتبه يعادل ٥٠ دولاراً أمريكياً في الشهر ، وهو أفضل من زملائه الذين يعملون لدى الحكومة ، لكن هذا الراتب لا يكفي لسد حاجاته الشخصية ، وهو على الرغم من أنه قد تجاوز الثلاثين فإنه لا يفكر في الزواج ، فتكاليف الزواج فوق طاقته . نطلب منه أن نصحبه إلى قريته التي تبعد عشرين كيلو متراً فقط عن لوساكا العاصمة ، فيقول : لن تجدوا أحداً ، ففي زمن مضى ترك الآباء القرية للعمل في المناجم ، وبعد ذلك ترك الأبناء القرية للعمل في مكاتب المدن ، والآن لا أحد هناك ، إلا الذين لا يستطيعون السكن في المدينة .

نعود إلى الدكتور ثورهانز نسأله عن الريف في زامبيا ، يقول : هناك مغالطة حقيقية ، تعداد سكان الريف يقارب ٥٢٪ من السكان ، لكنهم واقعياً لا يعملون في قطاع الزراعة ، والدليل أن الزراعة تسهم في الناتج القومي العام بما نسبته ١١٪ تقريباً . والانتاج الزراعي الأول هو الذرة ، أما الزراعة التجارية الأساس فهي التبغ ، والميزان التجاري الزراعي في عجز دائم ، وعلى الرغم من أن زامبيا لديها بالإضافة إلى النحاس مادة الكوبالت ، وإنتاجها منه يعادل ١٠٪ من الإنتاج العالمي ، والفحم ، وهو مصدر الطاقة الأساس ، فإن هذا لم يكفل لاقتصادها تجاوز الأزمة . وتستورد زامبيا الكهرباء اللازمة لها من جارتها زيمبابوي لتعويض نقص الطاقة لديها .

وجه آخر

كلما ازداد الناس بساطة كانوا أكثر و[...] لكن في زامبيا ، على الرغم من مظاهر [...] التحضر الكثيرة ، فإن الأزمة الاقتصادية أ[...] بظلالها على الناس ، فالوجوه متجهمة والسائرون في الطرقات تائهون ، ومحاو[لات] التودد فاشلة ، والكل ينظر حوله بريبة ، فم[ن] رجال الشرطة السرية الذين يندسون [بين] المدنيين . والكل يتوقع منك أن تدفع ، فا[...] على الرغم من كل الإجراءات الصارمة تتد[...] ففي المصرف « البنك » تساوي المائة ١٧٠٠ « كواتشا » ، لكن خارج « البنك » قرابة ستة آلاف كواتشا ، والقوة الشرائية للعملة تضعف يوما بعد يوم ، ومـ[...] المواطنين لا تكفي لتلبية حاجاتهم . وعلى [الرغم] من ذلك فقد كانوا في التلفاز يرقصون بعيد ميلاد الرئيس ، تعبيراً عن حبهم [لمن] قاد بلادهم منذ ربع قرن إلى الاستقلال [...] عاشوا أياما سعيدة على الرغم من أن الز[من] لم يعد أبداً زمن رخاء . □



الأربعون

أعيدُ إلى الدهرِ مالا يُعَا ...

وليس يُعيرُ الزمانُ اهتماماً

وماذا يريدُ الزمانُ المبيدُ ؟

وأخشى - لِعُنْفِ الجوابِ - السؤالَ إلى أين ...

هي الأربعون ، وفي نظرتيّ لما بَعْدَها رجفةٌ ...

يغالط عَيْنَيَّ طَبْعُ الزمانِ فحتى أرى في البياضِ ...

هي الأربعون ، لها كُلَّ يوم وساوسُ تُضْعِفُ نَبْضَ الفؤادْ

تكادُ الهمومُ التي كنتُ عنها كبيراً تُصَغِّرُنُ ... أكادْ

هي الأربعون ، ذوى بَعْضُها وبعضٌ أتى زَرْعَهُنَّ ...

وكانَ ارْتِقائي إليها حريقاً فصارَ انحداريَ عَيْشاً رمادْ

كأنَّ الذي قَبْلَها موطني وفارقني هادِماً ما أشادْ

يُضاعِفُ لي كُلَّ يومٍ جديدٍ بضاعةَ عمرٍ بسوقِ الكسادْ

فماذا أبيعُ ؟ ومن يشتري شموساً لديَّ بغيرِ اتّقادْ

****

تحوَّلْنَ عنّي بناتُ الفؤادِ وأنْكَرْنَ - بَعْدَ اندفاعي - اتّئادْ

وكنتُ إذا افتقرتْ لي المنى وهبتُ لها الصّافِنَاتِ الجيادْ

نحثُّ المَسِيرَ إلى روضِ عمرٍ لِنَقْطِفَ مِنْ وردِهِ المُسْتَجادْ

إذا أمنياتٌ أبَتْ لي انقياداً فما أكثرَ الطّيِّعاتِ القِيادْ

****

فَمَنْ ليَ في الأربعينَ التي أُكابِدُ في وَصْلِها الابْتعادْ ؟

عَزائي إذا الشيبُ أدْمَى يدي ، ليَ اللهُ فالأربعون الرَّشادْ

الشيخ والمدينة

همنغواي في هافانا

استطلاع: صلاح حزين
تصوير: طالب الحسيني





● (الأعلى) هافانا التي أحبها همنغواي . (والى
غرفة الطعام بمنزل الكاتب الكبير وقد زينـ
برؤوس الغزلان التي اصطادها في رحلاته

المدن كالأشخاص. هناك مدن نحبها، ومدن نعشقها، ومدن نرتاح إليها ونطمئن إلى حضنها. وهافانا. كانت حب الكاتب الأمريكي الكبير آرنست همنغواي وعشقه. لها كان يرتاح، وبها كتب أعظم أعماله الأدبية، وعنها صاغ أجمل رواياته. وكان رحيله الأخير عنها مقدمة لرحيله عن دنيانا. الشيخ، هو همنغواي، والمدينة هافانا وعنهما هذا الاستطلاع.





في عام ١٩٣٩ كان الروائي الأمريكي الكبير ارنست همنغواي قد عاد لتوه من اسبانيا، بعد مشاركته إلى جانب الجمهوريين في محاربة الفاشية هناك بقيادة الجنرال فرانكو، شأنه في ذلك شأن كثير من الأدباء والكتاب والشعراء العالميين الذين رأوا بأعينهم تجربة ديمقراطية فريدة تجهض، على أيدي فاشيي اسبانيا المدعومين من فاشيي ايطاليا ونازيي ألمانيا.

كانت التجربة ما تزال حية طازجة في ذاكرته، وهناك في الطرف الاخر من العالم، في هافانا، بدأ همنغواي يسجل تجربته الاسبانية تلك في عمله الأدبي العظيم «لمن تقرع الأجراس».

لم يكن همنغواي قد عشق بعد تلك المدينة الجميلة الوادعة، فإقامته في أحد فنادقها لم تساعده كثيراً على انجاز روايته، وفي تلك الظروف قرأ الكاتب الكبير إعلاناً عن منزل للبيع يقع في إحدى ضواحي هافانا فقرر شراءه. ومنذ ذلك الوقت بدأت تلك العلاقة الحميمة بين الكاتب والمدينة. وهي علاقة لم تنته بموت الروائي انتحاراً عام ١٩٦١، بل بقيت حتى الآن من خلال المنزل المتواضع الذي يقع على تلة صغيرة، وسط غابة من الأشجار المثمرة، والاستوائية قرب هافانا. فقد بني هذا المنزل ليكون مركز مراقبة يستخدمه الجيش الاسباني حين أتى إلى المنطقة غازياً، وبقي كذلك حتى عام ١٨٨٨ حيث أقيمت - مكان هذا المركز العسكري - فيلا على الطراز القطالوني، امتلكتها سيدة فرنسية حتى عام ١٩٣٩ عندما اشتراها الروائي الكبير.

الرحيل الأخير

في عام ١٩٦٠ غادر همنغواي كوبا إلى اسبانيا، وكانت جراح الحرب الأهلية الاسبانية قد شفيت تماما، لكن جراح جسده التي أصابته في أثناء مغامراته العديدة في الحروب، وفي ادغال افريقيا كانت تثقل كاهل الشيخ الذي



● منزل همنغواي الذي أوصى الكاتب بتحويله إلى متحف وتقدمه هدية لكوبا .



دخل عقده الستيني. ذهب همنغواي إلى اسبانيا ليكمل روايته التي كان بدأها في هافانا. ومن المفارقات أن تكون نهاية علاقته الجسدية بهافانا تماماً مثل بداية العلاقة، فقد حدثت كل منهما في أثناء كتابته رواية عن اسبانيا.

ولكن بينما كانت رواية البداية عن الحرب الأهلية الاسبانية، كانت الرواية الأخيرة عن مصارعة الثيران، وهي رواية «صيف خطر».

وبينما كانت الرواية الأولى عن الأمل من الهزيمة العسكرية، فقد كانت الخطر ومعايشة الموت في رقصة دموية، الثيران. وبينما كتب الرواية الأولى الشباب، فقد كتب الثانية وهو بجراح الزمن والحرب والمغامرة.

كانت حالته الصحية قد ساءت يطل مكوثه في اسبانيا، ونقلته

الولايات المتحدة ليكمل علاجه هناك في ولاية ايداهو. ولم يحتمل الروائي انتظار الموت فوق السرير، ودخل في حالة اكتئاب تخلص منها برصاصة في الرأس وضعت حدا لآلام الجسد المتعب، والقلب والعقل المعذبين.

ومات همنغواي إلا أنه لم ينس هافانا، فقد كان لها في وصيته نصيب. وفي عام ١٩٦١ حضرت زوجة الروائي الكبير إلى كوبا، وسلمت وصيته لزعيمها الثوري فيديل كاسترو. كانت للجزء الخاص بالمنزل، يوصي فيها همنغواي بأن يصبح المنزل الذي قضى فيه واحدا وعشرين عاما ملكا للحكومة الكوبية بكل ما يحويه من ممتلكات.

وطلب أن يبقى كل شيء في المنزل على حاله لحظة مغادرة الكاتب له ليصبح متحفاً للزائرين.

هكذا كان المنزل حين زرناه منزلا متواضعا مغلق الأبواب مفتوح النوافذ. ومن خلال النوافذ العديدة يمكن للزائر أن يرى المنزل بمحتوياته، وأثاثه البسيط الذي رتب بعناية في الصالة وغرفة الضيوف، وفي غرفة النوم والغرف الأخرى.

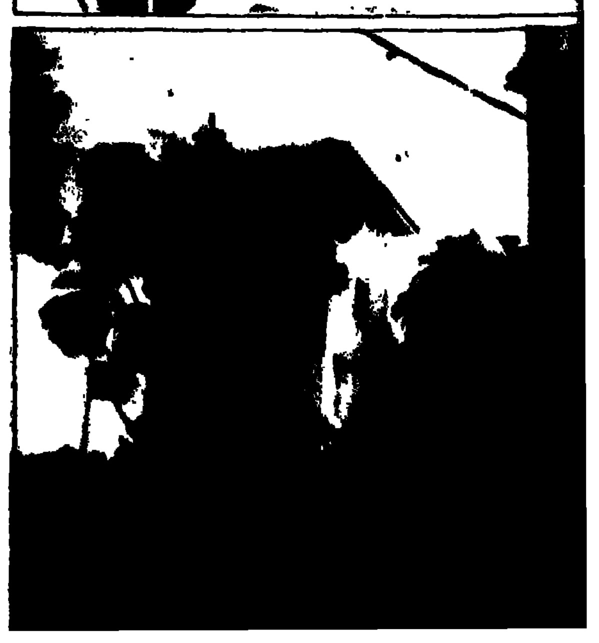
كتب وصور ولوحات

في صدر الصالة علقت صورة ضخمة شهيرة للكاتب وهو يرتدي (بلوفر) من الصوف، وانتشرت صور أخرى في أماكن عديدة من المنزل، للكاتب ولأولاده وبناته، وعلى الجدران علقت بعض رؤوس الغزلان والأيائل التي اصطادها همنغواي في رحلاته العديدة في أدغال افريقيا وفي أمريكا، فقد كانت افريقيا حبه الأخر، وهناك تعرض همنغواي للخطر أكثر من مرة في أثناء رحلات الصيد في الأدغال، وعنها كتب بعض أهم أعماله مثل «ثلوج كليمنجارو» و«تلال افريقيا الخضراء» التي تدور في أرض قبائل الماساي الافريقية الشهيرة. وفوق أماكن أخرى من الجدران علقت صور وسجادات جمع بينها أنها تحمل صوراً تمثل مشاهد لمصارعة الثيران، وكثير منها من رسم (روبرتو دمنخو) ومصارعة الثيران واحدة من أنواع



● فرقة موسيقية تغني لزبائن مقهى كان يرتاده المشاهير، وتبدو الجدران وقد امتلأت بكتابة الأسماء والتمنيات.

● (وإلى أسفل) برج همنغواي (العاجي) الذي استخدمه أحيانا للكتابة





● مقهى لابوديغيتا ديل ميديو حيث كان همنغواي يقضي كثيرا من أوقاته

الرياضة العنيفة التي أحبها همنغواي كثيرا، فكتب عنها أشهر رواياته على الاطلاق مثل «والشمس تشرق أيضا» التي دشنت عصر شهرته الأدبية و«موت في الظهيرة» وروايته الأخيرة «صيف خطر». فكل هذه الأعمال تدور حول مصارعة الثيران، وحول اسبانيا. لذا فمن بين الكتب التي تضمها مكتبته والتي يبلغ عددها ثمانية آلاف كتاب هناك الكثير منها الذي يدور حول اسبانيا التي احبها همنغواي كثيراً وحارب من أجلها في تلك الفترة المضطربة من الثلاثينيات.

ومن بين هذه الكتب هناك عدد كبير آخر حول الصيد البري، وصيد الاسماك الذي يحتل مكانا عزيزاً في قلبه الموزع، وحياته الحافلة العريضة، وعن صيد الاسماك كتب عمله الرائع الذي نال عنه جائزة نوبل للأدب عام ١٩٥٤ (الشيخ والبحر)، بعد أن كان قد نال عنه جائزة بوليتزر الادبية الاميركية قبل ذلك بعام واحد.

ويعد هذا العمل العظيم نتاجاً صافياً لمرحلة هافانا الأدبية، إن جاز التعبير، فقد كتب هذا العمل وأنهاه في هذا المنزل عام ١٩٥٢.

وإلى جانب موهبته الأدبية الفذة التي كانت قد برزت، وجعلت منه روائياً عالمياً منذ سنوات بعيدة، فقد أبرز هذا العمل أيضا معرفة همنغواي الواسعة بعالم البحر والصيد. وهي معرفة لم تأت نتيجة قراءاته في الكتب العديدة عن البحر التي تحتويها مكتبته الكبيرة، بل من خلال تجربة شخصية خاصة. فمن المعروف أن همنغواي كان صياداً ماهراً للسمك، وانه كان يقضي جزءا كبيراً من وقته يمارس هذه الهواية قرب شواطيء هافانا. لذا فقد كانت معرفته بالبحر وأحواله وتقلباته، وبالصيد وظروفه، وبالاسماك وأنواعها كبيرة. كما كان له قاربه الخاص الذي اشتراه من أحد الصيادين القدماء في المدينة، ولأن تاريخ صنعه يعود إلى عام ١٩٣٤ فقد أصبح بحاجة إلى ترميم، وهو ما تقوم به حالياً الحكومة الكوبية بارشاد من قبطان القارب الخاص واسمه «غريغوريو فوينتس» الذي مازال على قيد الحياة في التسعينيات من عمره.

مشغول بما فيه الكفاية!

كانت فيلا همنغواي مرتبطة من خلال المساحة المشجرة المحيطة بها بمزرعة أخرى يمتلكها أحد الأثرياء الكوبيين في عهد ما قبل الثورة.

وكان هذا الثري يحب أن يشعر بالتميز في كل شيء. ويروى أنه أقام حفلاً كبيراً دعا إليه أثرياء ومشاهير من جميع أنحاء العالم، وفوجيء همنغواي باسمه بين المدعوين. فذهب إلى الحفل الارستقراطي الضخم، وهو يرتدي سروالاً قصيرا (شورت) ونعالاً قديمة، وبيده عصاه الشهيرة. وعندما رأى الثري همنغواي على هذه الهيئة أرسل خادماً يسأله أن يذهب ليرتدي ثيابا أفضل. فأجابه همنغواي: كما ترون فإنني مشغول بما فيه الكفاية. وكل ما يمكنني فعله في هذه اللحظة هو ترك الحفل.. فهل تسمحون لي؟!.

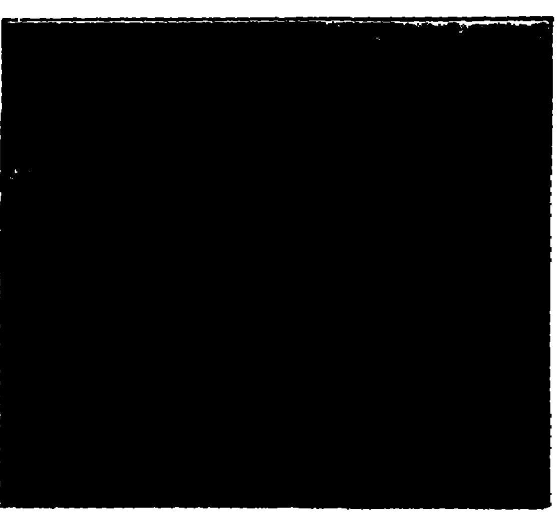
الكتابة وقوفاً

ولم يكن القارب بالنسبة لهمنغواي مجرد وسيلة لممارسة هواية الصيد، بل كان في بعض الأحيان يكتب في أثناء وجوده في القارب. وكثيرا ما كان يصل به الى المكسيك عبر خليجها القريب.

وفي موسم الصيد من كل عام، وهو شهر يونيو/حزيران، كان همنغواي يشترك في مسابقات الصيد التي كانت تجرى في مكان قريب من هافانا، اعطته الحكومة الكوبية اسم (مارينا همنغواي) أي احواض همنغواي. وتخليداً لذكرى الكاتب الكبير مازال التقليد جارياً بإقامة مسابقات صيد السمك في مارينا همنغواي، ومازالت إحدى حفيدات الروائي تحضر للمشاركة في هذه المسابقات.

ومن الطريف أن نذكر أن هذا المكان يشتهر بوجود سمكة السيف بكثرة. وهذه السمكة على الأخص هي التي تدور حول صيدها رواية «الشيخ والبحر» حيث يصطاد سنتياغو، الصياد الكوبي العجوز، سمكة السيف العملاقة. إلا ان أسماك القرش تتكاثر على السمكة الكبيرة والصياد العجوز، فتفترسها ليعود سنتياغو وهو يجر خلف قاربه هيكل السمكة حزينا للهزيمة التي لحقت به على الرغم من بسالته ومهارته وتمكنه من فن الصيد، وعلى الرغم من ان الانسان لم يخلق للهزيمة. «الانسان قد يدمر، لكنه لايهزم» هكذا يقول سنتياغو لنفسه وهو في عرض البحر، لكنه في النهاية يكتشف ان الانسان يهزم أيضا.

لا شيء غير عادي في منزل همنغواي سوى الاسطوانات الكثيرة وتلك الكميات الكبيرة من الكتب التي انتشرت في كل مكان، كتب في المكتبة، وفي الصالة، وفي المكتب وفي غرفة النوم.. وأيضا في الحمام. كتب وقواميس ومجلات اميركية: نيوزويك، ولايف، وتايم التي تناثر بعضها فوق سرير همنغواي قرب نافذة غرفة نومه، وتوجهت لاحدى المسؤولات عن المتحف اللواتي انتشرن بصمت وهدوء في غرف المنزل من الداخل ليجبن عن استفسارات الزائرين والسائلين، وسألتها عبر النافذة المفتوحة



● صورة نادرة تجمع بين الكاتب الكبير والزعيم الكوبي فيدل كاسترو.

إن كانت هذه المجلات هناك منذ رحيله الا- فقالت: لاأدري. لكننا وجدنا كل شيء هك

على أرضية الغرفة اصطفت أزواج الأحذية، وعصا كان يستعملها همنغواي م أصيب في الحرب العالمية الاولى على ا الايطالية. تلك التجربة التي خلدها في الشهيرة «وداع للسلاح». وفوق احدى المكتبة، وليس فوق طاولة كما هي العادة و الآلة الكاتبة التي كتبت عليها معظم أعمال

وقد وضعت في هذا المكان المرتف همنغواي تعود استخدامها، وهو واقف جالساً.

برج غير عاجي

وقد كان همنغواي يحب أن يبدأ ال الصباح حيث كان يكتب لمدة ساعتين متواصل يومياً على الآلة الكاتبة، ثم كثير يتوجه الى بركة السباحة التي تتصل بالمن اسمنتي شق بين الأشجار الاستوائية.

وبالقرب من المنزل قام برج مكون ، طبقات. الأول خصصه لقططه والثاني مخزنا يضع فيه الاشياء التي كان يحم من سفره، أما الثالث فكان مخصص بعيداً عن أي ضوضاء أو صخب ضيوف همنغواي الذين كثيراً ما كانوا : منزله ويقضون عنده أياماً.

قلت للمسؤولة عن متحف همنغ فهذا هو البرج العاجي الذي كان ليكتب رواياته.

اجابت: لكنه مع ذلك كان يفضل المنزل حيث آلته الكاتبة. ولم يكن يس كثيرا.

وعدت اكمل جولتي حول المنزل الخارج الى الداخل، مرة اخرى ولابنه مع زوجته، واسطوانات لمو ولموسيقا الجاز بالاضافة إلى الكلاسيكية. فقد كان همنغواي على غيره من الموسيقيين، بالاض



● حجرة نوم همنغواي كما تركها. الآلة الكاتبة في مكان مرتفع، فقد كان يستخدمها وهو واقف.

بتهوفن. وكان يفضل توزيع أوركسترا فيلادلفيا الفيلهارموني.

وأعود مرة أخرى لأسأل، إن كانت هناك أي مشكلات تواجه محتويات المتحف في جو هافانا الحار الرطب. فتجيب المسؤولة: إن هذه مشاكل حقيقية. وأن العمل جار لاستحداث طرق يمكن بواسطتها الحفاظ على الكتب التي بدأت أغلفتها تتأثر بالرطوبة والحرارة، فهذه هي المشاكل التي مازالت مستعصية، إذ أن القائمين على المتحف توصلوا إلى منع الحشرات من التأثير على الكتب فلم يبق غيرها.

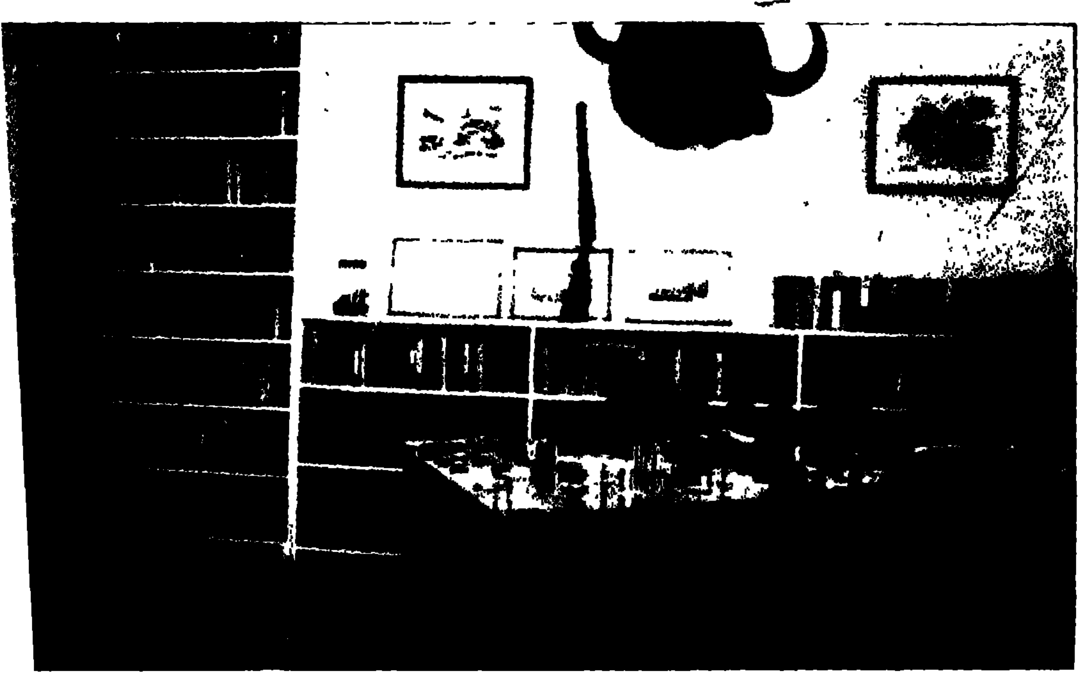
في مقاهي هافانا

لكن حياة همنغواي لم تكن كتابة وقراءة وصيداً فحسب. بل كانت حياته الكاملة هناك في هافانا القديمة بأزقتها وحاراتها وساحاتها.

وفي زقاق بالقرب من ساحة الكاتيدرائية، بوسط هافانا القديمة يقع مقهى (لا بديغيتا ديل ميديو).

إلى هذا المقهى كان يأتي همنغواي بعصاه المميزة ليشرب «الموهيتو» وهو شراب كوبي شعبي، ويتناول الطعام برفقة عدد من أصدقائه. وكثيراً ما كان بين هؤلاء الأصدقاء مشاهير من العالم أجمع.

حين دخلنا المقهى فوجئنا بحجمه الصغير، واكتظاظه بالنزلاء الذين ملأوا المكان. على الكراسي، ووقوفاً، وفي الزوايا والممرات. وعلى واجهة زجاجية عُلقت صورٌ عديدةٌ للمشاهير الذين اعتادوا التردد على هذا المقهى ومن بين هؤلاء المشاهير ممثلون وشعراء وكتاب أوربيون وامريكيون، وأمريكيون لاتينيون ميزت من بينهم وعن بعد، غابرييل غارسيا ماركيز الذي حصل ـ مثل همنغواي ـ على جائزة نوبل للادب



● مكتب همنغواي كتب وأقلام ورأس جاموس اصطاده

والذي يعد - كهمنغواي أيضا - عاشقاً لهافانا ومازال.

بقية المساحة امتلأت بالكتابات والتوقيعات، من بينها كتابات لهمنغواي وماركيز وللمشاهير الآخرين. وتتبعنا الكتابات التي ملأت الجدران من الأسفل إلى الأعلى، وعلى النوافذ والأبواب، وعند مفاصل النوافذ والابواب.

وحاولت - مأخوذاً بنشوة الانتماء إلى هذا العالم البديع - أن أجد مكاناً أكتب فيه اسمي لكنني لم أعثر على بقعة يمكن الكتابة عليها.

ودلفت من ممر مزدحم بصعوبة إلى الداخل، وهناك كان المشهد مثيراً حقاً. فقد امتلأ بالنزلاء الذين كانوا يشاركون فرقة موسيقية غناءها بمرح وسرور.

ولم أجد مكاناً مهما صغرت مساحته لكتابة كلمة واحدة، فقد كان علي إن أردت ذلك أن أتسلق الجدار للكتابة على مكان ما في الأعلى. وحاولت أن أسأل كيف كان همنغواي بعصاه يحتمل كل هذا الضجيج، وهذا الازدحام. إلا أنني وقبل أن أتفوه بكلمة تذكرت أن هذا كله لم يكن عندما كان همنغواي يأتي إلى المقهى، بل حدث بعد ذلك، لأن همنغواي أتى يوما إليه.

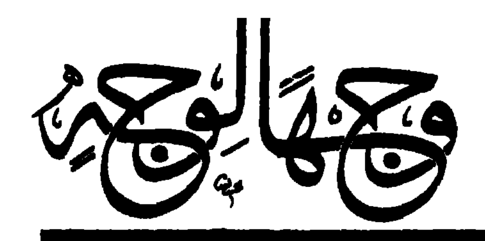
صداقة لم تعمر

لم يعش همنغواي في هافانا كثيراً بعد الكوبية التي انتصرت مع بداية عام ٥٩ أن همنغواي غادر كوبا عندما اشتد علي عام ١٩٦٠ ولم يعد إليها. لذا فإن الروائي الكبير بالثوري الشاب آنذاك لم يتح لها أن تتعمق.

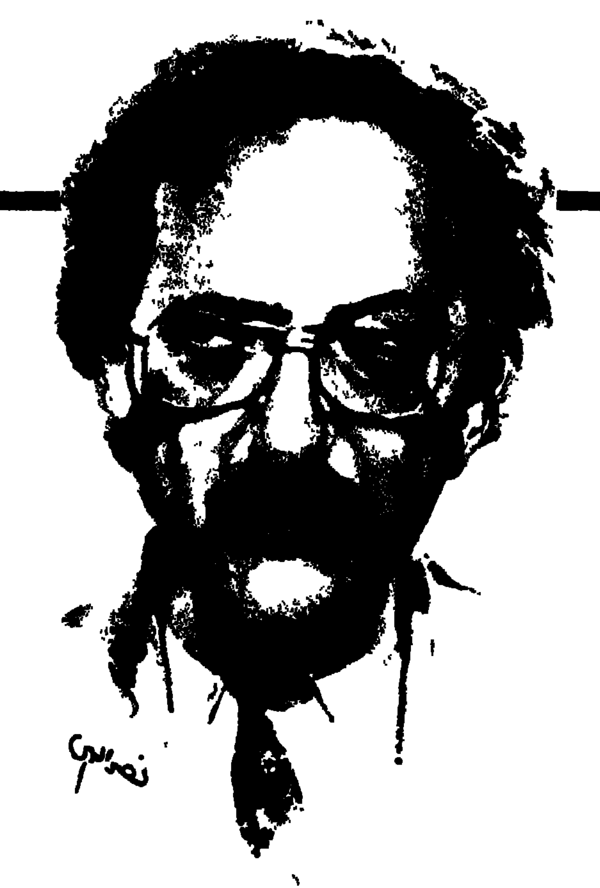
ولكن كثيراً ما حدث أن التقى ا مسابقات صيد سمكة السيف في يونيو من كل عام. فقد كانت هذه الهواية لديهما.

وقد حدث أكثر من مرة أن تنافس هذه المسابقة، وسألت عن أيهما كان فقالت مسؤولة متحف همنغواي:

- ليس لأنه فيديل. لكن ما أعرفه أ حصل على أكثر من جائزة خلال ; همنغواي، وأضافت: وفي كل الأحوال المؤكد أنه لو لم يمت همنغواي مبكر العيش في هافانا لكان الاثنـ وهمنغواي، صديقين جيدين. □







دُرَيد لحّام و حسَن يوسُف

الفنان العربي السوري دريد لحام ممثل ومخرج وكاتب، يعرفه الناس في كل أنحاء الوطن العربي، من خلال مسرحياته وأفلامه السينمائية ومسلسلاته التلفازية. وهو مرتبط في أذهان الكثيرين بشخصية «غوار» ابن البلد الدمشقي الذي يحتال على قسوة الحياة بذكائه الفطري.

يتميز دريد لحام عن معظم نجوم الكوميديا العرب المعروفين، بكونه لايدور في فلك الفن التجاري البحت الذي يجتذب الجماهير العريضة، من خلال مخاطبة غرائزها، وتحويل مشاكلها الضاغطة إلى مادة للتهريج. كما أنه لا ينضوي تحت راية الفن الجاد الذي تشرنق في معظمه داخل أطر بعيدة عن الحياة، فتحول إلى ممارسة نخبوية متجهمة تطرح إشكالات الوجود الكبرى على جمهور صغير متجهم. انه حالة ثالثة في الفن العربي.

أدار الحوار معه حسن محمد يوسف وهو صحفي من سوريا.



● وجها لوجه : دريد لحام وحسن يوسف

من قسم الكيمياء بكلية العلوم في جامعة دمشق إلى حيث أنت الآن، هل كان المسرح جسرا لعبورك إلى السينما والتلفاز، أم بيتا تغادره لتعود إليه؟

- أنا بدأت في المسرح. لكن المسرح عندي ليس البداية فقط، بل هو النهاية أيضا، فالتربية الحقيقية للفنان تتم في المسرح لا في السينما ولا في التلفاز، بسبب العلاقة الحميمة بينه وبين الجمهور فجمهور المسرح يتدخل في الصياغة النهائية للعرض، بحيث يصبح في اليوم العاشر مختلفا عنه في اليوم الأول.

وأنا حتى الآن ما أزال أعد المسرح بيتي، ففيه يتربى حس الفنان، ومن خلاله يقيم علاقته الحميمة والمباشرة مع الناس، لأنه يتيح له إمكانية التصاعد الجميل من البداية إلى النهاية، أما السينما فهي بحكم طبيعتها، تقوم على تقطيع الإحساس، ليتم وصله لاحقا عن طريق المونتاج.

والممثل في السينما لا يخاطب إنسانا، بل كتلة معدن فيها عين من زجاج. وبما أننا لم نعد النفسات الحديثة كثيرا، يبقى المسرح هو الأصل لنا.

■ سر علاقتي الحميمة بالجمهور يكمن في بساطتي.

■ الفن وجهة نظر، لا نظريات، وأنا أمارسه بالحس لا بالمنطق.

■ تركيبة الفيلم العربي تبدأ بالمكتوب ومعظم أفلامنا صور متحركة.

■ الفيديو حل للسينما لأن الصالات مزعجة والجمهور غير مهذب.

فن بالحس لا بالمنطق

أعتقد أنك لا تبرح المسرح حتى في السينما، ففي فيلميك الروائيين الطويلين اللذين قمت ببطولتهما وإخراجهما، وشاركت في كتابة السيناريو لهما، ثمة مسرح حاضر، وبخاصة في فيلم «الحدود»، حيث تبدو خصوصية المكان المسرحي واضحة في أكثر من مشهد، فما رأيك؟.

- صحيح المسرح أثر في تأثيرا كبيرا. أول عمل مسرحي قدمته كان في عام ١٩٦١م بمناسبة مرور عام على تأسيس التلفاز السوري، وقد كانت مسرحية استعراضية غنائية بعنوان



«عقد اللولو»، حولناها في ما بعد إلى فيلم بالاسم نفسه، وتلك المسرحية هي أول مسرحية تسجل وتنقل في التلفاز السوري.

أنا لم أدرس الفن في معاهد الفنون، ومارسته بالحس لا بالمنطق، لذا لم يكن هاجسي اكتشاف خصوصية السينما عندما عملت فيلم «الحدود» وهو أقرب للمسرح منه إلى السينما.

فأنا عندما أتم مشهدا ما، سواء في المسرح أو في السينما، لاأسأل نفسي، لماذا أتممته بهذا الشكل؟ المهم هو أنني أحسست به هكذا، فقدمته كما أحسست به ببساطة. وسر علاقتي الواسعة والحميمة بالجمهور يكمن في كوني انساناً بسيطاً أصلا. أنا لست أكاديميا، ولو كنت أكاديميا لكان عملي السينمائي قد تعقد أكثر، وربما أدى ذلك إلى تغيير علاقتي بالجمهور. أنا أمارس الفن كما يمارس الفلاح الدبكة في الساحة، بالحس لا بالمنطق. لذا أعود فأقول لك إن المسرح قد أثر في عملي السينمائي، لكن هذا التأثير لم يحل دون وصول أفلامي إلى جمهور عريض في كل أرجاء الوطن العربي.

الفن وجهة نظر

*** عندما ولدت السينما، سُميت الفن السابع. لأنها جاءت نتيجة لتلاقح الفنون الستة التي سبقتها. لكن السينما ليست فنا وحسب، بل هي صناعة وتجارة أيضا. والحس العفوي مطلوب وضروري. لكن إلى أي حد يؤثر عدم معرفة الفنان بأسرار الصنعة العلمية والتقنية على فرصته في إيصال حسه العفوي الصادق إلى الجمهور؟**

- على الرغم من كل شيء يبقى الفن وجهة نظر، لا نظريات. النظرية شيء ووجهة النظر شيء آخر. النظرية شيء محسوم لا جدال حوله، فلن تجد الآن من يناقش نظرية الجاذبية الأرضية لأنها محسومة. أما الفن فهو وجهة نظر. عندما أعطي قصيدة واحدة للسنباطي، والطويل وسهيل عرفه، وعبدالفتاح سكر، وبليغ حمدي، سأحصل على خمسة ألحان مختلفة لأن الفن ليس نظرية، بل وجهة نظر واحساس

هناك أفلام كثيرة من هذا النوع، بعض يسميها مسرحا، وبعض آخر يسميها سين لكن العملية الفنية تبقى دائما وجهة نظر نظريات جاهزة.

ولو كانت للفن قوانين ودساتير جاهزة، لما بمقدور أي إنسان أن يصبح مخرجا.

*** في سؤالي أشرت إلى خصو المكان المسرحي، ولم أقل إن «الحد ليس سينما. فقد فاز هذا ال بجائزة أفضل سيناريو في مهر فالنسيا لسينما حوض البحر المت عام ١٩٨٦.**

- صحيح. لكن ما أريد قوله هو أن القصة قد تفرض خصوصية المكان المسر كما في فيلم «روزالي» الذي تدور أحداثه بيت منعزل في صحراء بين شاب وفتاة. شاهدت هذا الفيلم سحرني، فمشيت في

*** أنت تُشَدِّدُ كثيرا على ال وتتمسك بها، ما سر ذلك؟**

- هذا الأمر له علاقة ببدايتي. فأنا بالكيمياء من كلية العلوم بجامعة دمشق. الفن عزفاً وتلحيناً، ثم مثلت فسحرني ال كانت بدايتي بسيطة. وقد فضلت أن أبة بساطتي، لأن البساطة تصل إلى الجمهو أنني أرفض مقولة «الجمهور عايز كده»، على الساطة في الإطار، لكنني لا أة تنازل على مستوى الفكرة المطروحة علمتني تجارب الآخرين، وخاصة ا الأكاديميين، أن مجتمعنا العربي ليس ة على التواصل مع التجارب السينمائ ينقلونها إلينا كما هي.

عند الإعداد لأي عمل جديد، أفكر واحبي أن أصل للفتى الواقف ع الأوراس، وللعجوز التي تصطاد الس شط العرب. والأسلوب الأكاديمي لا

من الوصول إليها، فمعظم الأفلام التي صنعها المخرجون الأكاديميون ظلت غريبة عن الجمهور على الرغم من الجوائز التي فازت بها في المهرجانات.

هذه الغربة تحصل في العمل المسرحي أحيانا، لأن خريجي المعاهد الأجنبية ينسون أن أصول الفن عندنا مختلفة عنها في البلدان التي درسوا فيها.

فنحن حتى الآن نمزق الصور التي نراها في الطريق، ونشطب عليها بالقلم، وقد يرشقنا الناس بالحجارة لو عملنا مسرحا في الشارع، فجمهورنا حتى قبل عشر سنوات كان يعد الفن إثما! لذا يجب أن نقدم له أفكارنا بأسلوب قريب منه، أي يجب علينا ألا نسبق الجمهور، وإلّا نكون خلفه، بل أن نمسكه من يده كما يقول أحد المخرجين.

بين البساطة والتبسيط

*** هذا الكلام يضعنا أمام إشكالية البساطة والتبسيط. أنا احترم البساطة وأعتقد أنها الشرط الأساس لتحقق الصدق الفني، فالبساطة لا تتنافى مع التركيب، لكنني أرى أن التبسيط أمر غير ديمقراطي، لأنه يعتمد على التلقين، ويلغي دور المشاهد في الوصول إلى استنتاجات خاصة به. في بعض أعمالك تتداخل الحدود، فكيف تعرف الحد بين البساطة والتبسيط؟**



- لا أعرف! عندما أمارس العمل الفني بكل أنواعه: سينما، مسرح، تلفاز، أمارسه بحسي لا بمنطقي. أنا أقدم الأشياء كما أحسها، ولا أعرف متى يكون احساسي بسيطا ومتى يكون مبسطا. فأنا أساسا لا أعرف الحد بين البساطة والتبسيط.

شكل غوار ولد أولاً

*** شخصية غوار التي اشتهرت بها قيل إنها مستوحاة من «متشرد» شارلي شابلن، وقيل إنها تستمد بعض ملامحها من «لوريل وهاردي»، وقيل إنها تأخذ بعض ملامحها من شخصية «كركوز» الشهيرة في مسرح خيال الظل. كيف ولدت شخصية غوار؟ وما العوامل التي أثرت في تكوينها؟**

- عندما بدأت العمل في التلفاز، كنت معجبا بمطرب أسباني يدعى انطونيو مولينا. وبسبب عشقي الشديد للفلامنكو ظهرت في برنامج كوميدي بعنوان «الإجازة السعيدة» جمعني بنهاد قلعي، مثلت فيه دور شخص أسباني يدعى كارلوس ميراندا. لكن البرنامج أوقف في الأسبوع الرابع نتيجة احتجاج الناس على دوري! فقد ظهرت في ذلك البرنامج غليظاً على الرغم مما عرفت به من خفة دم على المسرح!

كانت تلك صدمة لي. وبعد أن فكرت طويلاً توصلت إلى أن الناس يتعاطفون مع الفنون المستمدة من بيئتهم، لذا بدأت البحث في هذا الاتجاه، إلى أن وجدت بغيتي في الحارة التي ترعرعت فيها. ففي الأعياد والموالد والعراضات كان حيّنا يتحول إلى غرفة استقبال مفتوحة، الناس يجلسون فيها على الكراسي أمام بيوتهم، يسلّمون على الغادي والبادي، ويستقبلون العراضات من الأحياء الأخرى. وكنا نخرج «بالقباقيب والشراويل»، ومن تلك الأجواء أخذت شكل غوار.

*** ما أهم السمات التي تتميز بها مرحلة بدء الالتزام، ولنأخذ مسرح الشوك منطلقا؟**

ـ أنا لم أقل هذا الكلام مائة في المائة، إذ أشرت لوجود استثناءات، النقد برأيي ثلاثة أنواع: هناك ناقد تربطك به علاقة شخصية طيبة، فيرى كل الأشياء من خلال حبه لك، وهذا لا تستفيد منه. وهناك ناقد بينك وبينه نفور، إن لم يكن كره متبادل، فيرى الأشياء من خلال مشاعره. وهذا لا تستفيد منه أيضا، وأسميه منتقداً لا ناقداً.

وهناك ناقد قادر على أن يرى جوانب السخف في العمل دون أن يستخف بالجهد المبذول فيه. والناقد الذي يستطيع أن يرى الأسود والأبيض بموضوعية أتعلم منه، ويساعدني في الوصول إلى الصيغة النهائية للعمل الفني. هل تستطيع القول إن كل من يكتب النقد ناقد؟

* بالطبع لا ....

ـ هذا ما أقوله أنا، إضافة إلى أن العلاقة بين العمل الفني والنقد الفني مثل العلاقة بين الدجاجة والبيضة، كل منهما هو نتاج للآخر، وفي بلد انتاجه الفني قليل أصلا، فمن الطبيعي أن يكون النقاد قلة.

* هل ترى أن «الفيديو» يشكل خطرا على العمل الفني أو وسيلة ايجابية توصل الفنان إلى شرائح أخرى من الجمهور؟

ـ في أمريكا لم يؤثر الفيديو على جماهيرية السينما، بينما عندنا أثر عليها بوضوح، وذلك يرجع لأسباب عديدة تأخذ شكل تفاصيل صغيرة. قد تضحك إذا قلت لك إن نظافة دورات المياه في المسرح لها علاقة بالعرض المسرحي. وأنا في كل يوم أتفقد دورات المياه قبل أن ألتقي الجمهور، فالمسرحية عندي تبدأ بحسن الاستقبال في الخارج، وتنتهي بتهذيب الحضور.

وقد ابتعد الناس عن السينما، لأن أجواء الصالات لم تعد مريحة ولا مهذبة، لا بسبب انتشار الفيديو فقط. الشيء الآخر الذي أوصلنا إلى هذا الوضع هو أن الجهات المعنية بالثقافة لم تشارك ايجابيا في بناء الحس الجمالي لدى الناس، لذلك تجد من يستمع لفيروز وهو على الدراجة الهوائية! ولذلك حل شريط الكاسيت عندنا محل الاسطوانة! بينما الاسطوانة ما تزال هي الأصل في البلدان التي تحترم الموسيقا. نحن لم نعلم المشاهد أن يرفض فيلما ما، لأن صوته سيىء أو لأن في ألوانه خطأ، ولهذا يقبل أن يشاهد الفيديو، حتى لو كان الناس يظهرون فيه كالأشباح، لأن حسه الجمالي غير مهذب بشكل صحيح.

الوطن علاقة

*** أنت فنان مقل، هل النص هو السبب الأساسي لإقلالك، وما المعايير التي تشترط توافرها في النص؟**

ـ يجب أن يحرك النص شيئا ما في داخلي. عندما كتب الماغوط سيناريو فيلم «التقرير» سحرتني الشخصية، ووجدت أنها منسجمة مع منطلقاتي. أما في «الحدود» فقد كان الحدث هو الذي سحرني، المهم هو أن يكون الحدث أو الشخصية في دائرة الالتصاق. والدائرة الأوسع لي هي العلاقة بين الإنسان والأرض التي يعيش عليها. الوطن ليس مجرد جغرافية، بل هو علاقة. لو كان الوطن مجرد جغرافية لكانت هاواي أجمل من سورية، لكنني لا أستطيع العيش في هاواي على الرغم من أنها تشبه الجنة، لأن سورية ستظل في قلبي، وأنا أراها من خلال علاقتي بها أجمل بلد في العالم. □

● كم تبدو لي الحرب شريرة ومقززة، إنني لأفضل أن يقطع جسدي نتفا على أن أقبل بالمشاركة في علم كريه كالحرب.

«اينشتين»

ـ نحن كجيل تربينا على الأناشيد الوطنية. فالأعمال الفنية كانت تقدم لنا الصهيوني رعديدا ينتصر عليه العربي باستمرار. وقد كمل الإعلام الصورة فأقنعنا أن النصر سهل. وقد صدقنا ذلك لأننا شحنا به طوال عشرين سنة. ولهذا أصابنا شرخ عندما توضحت لنا الهزيمة خلال ساعات، صار الواحد منا يخجل من الظهور على شاشة التلفاز، وصار الناس يخجلون من بعضهم. وقد استمرت حالة انعدام التوازن التي أحدثتها هذه الهزة الكبيرة فينا حوالي سنة.

في تلك الظروف جاء مسرح الشوك على يد الأستاذ عمر حجو الذي كتب له بعض النصوص. وعندما شاهدت أول تجربة له في المركز الثقافي السوفيتي بدمشق، سحرتني التجربة وأحببتها كثيرا. فاقترحت على عمر حجو أن نصنع عرضا متكاملا، لأن العرض الأول كانت مدته حوالي نصف ساعة فقط، فوافق، وهكذا بدأت مرحلة الالتزام.

وقد أحدث مسرح الشوك ضجة بوصفه بداية لفن ملتزم بقضايا الناس ومعاناتهم، بأحلامهم وتعاساتهم، لا على مستوى الجمهور وحسب، بل على مستوى المسرحيين والمثقفين العرب. ومنذ ذلك الوقت أصبح الفن قضية لا مجرد مهنة. لهذا أنا لا أحسب عملي بالكم بل بالكيف. الفنانون المصريون يسألونني باستمرار هل من المعقول أن تكتفي بفيلم واحد كل سنتين؟ فأجيبهم: أنا مستعد لأن أنتظر سنتين وثلاثا حتى أجد الموضوع الذي أريده، وإذا لم أجده سأنتظر أكثر. وهذا الأمر ينطبق على أعمالي المسرحية؛ فبين «كاسك يا وطن» و«شقائق النعمان» ثماني سنوات. القضية تكمن في أنني اعتنقت الفن الملتزم، ولم أعد أستطيع التخلي عنه، ولو استطعت فلن يقبلني الناس خارج هذه الصورة.

*** إلى أي حد استطاع دريد لحام المخرج أن يحقق طموح دريد لحام الممثل؟**

ـ أنا لست أفضل مخرج في الوطن العربي، وإذا شئت أن أصنف نفسي، سأضع اسمي مع من هم دون الوسط. أما كمتعامل مع الممثل دريد لحام، فأنا أفضل مخرج يتعامل معه. الكوميديا فن صعب، بل غاية في الصعوبة، ولذلك نجد معظم الممثلين الكوميديين يخرجون أفلامهم بأنفسهم بدءا بشارلي شابلن وانتهاء بوودي ألن. أنت تحكي النكتة ببطء، لكنك عندما تصل إلى قفلتها تطلقها كالرصاصة، فإذا سبقك أحد الحاضرين وخمّن نهايتها، أفسدها عليك.

والممثل الكوميدي قد يلجأ لإخراج أعماله، لا انتقاصا لإمكانيات المخرجين السينمائيين، بل لأنه يعرف أكثر كيف يجب أن يركب المشهد، وكيف يتم إيصاله إلى ذروته.

في الحدود كان الفكر أكثر أهمية من الصورة. وقد وصل فكر الفيلم إلى الناس، وتعاطفوا معه، وهذا أمر مهم لي، وكذلك الأمر لفيلم «التقرير»، أما فيلمي القادم «الكفرون» فأرجو أن يكون أكثر سينمائية.

صحيح أنني كنت مرعوبا من التجربة، لكنني أستطيع القول في إطار بساطتي: إن هذين الفيلمين ليسا صورا متحركة، ففيهما تناغم بين الممثلين على الأقل، وهذا ما لفت أنظار السينمائيين المصريين. كان هاجسي الدائم هو حركة الممثل، وتعامله في محيطه، ومن حوله وهذا عنصر مسرحي مهم، وقد حرصت على أن تكون حركة الممثلين طبيعية تماما، فخرج العملان بنوع من الانسجام بين الممثلين، وبانسجام الممثلين مع الأفكار المطروحة، وانسجام ذلك كله مع البساطة التي اعتنقها.

ثلاثة أنواع من النقد

*** على الرغم من إنك فنان مقل، يمكن القول أنك من أكثر الفنانين العرب حضورا على صفحات الجرائد والمجلات وغيرها من وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية. مع ذلك سبق أن نفيت وجود أي ناقد سينمائي أو مسرحي نزيه في الوطن العربي! كيف تعلل هذه المفارقة؟**

ـ أنا لم أقل هذا الكلام مائة في المائة، إذ أشرت لوجود استثناءات. النقد برأيي ثلاثة أنواع: هناك ناقد تربطك به علاقة شخصية طيبة، فيرى كل الأشياء من خلال حبه لك، وهذا لا تستفيد منه. وهناك ناقد بينك وبينه نفور، إن لم يكن كره متبادل، فيرى الأشياء من خلال مشاعره. وهذا لا تستفيد منه أيضا، وأسميه منتقدا لا ناقدا.

وهناك ناقد قادر على أن يرى جوانب السخف في العمل دون أن يستخف بالجهد المبذول فيه. والناقد الذي يستطيع أن يرى الأسود والأبيض بموضوعية أتعلم منه، ويساعدني في الوصول إلى الصيغة النهائية للعمل الفني. هل تستطيع القول إن كل من يكتب النقد ناقد؟

*** بالطبع لا ....**

ـ هذا ما أقوله أنا، إضافة إلى أن العلاقة بين العمل الفني والنقد الفني مثل العلاقة بين الدجاجة والبيضة، كل منهما هو نتاج للآخر، وفي بلد انتاجه الفني قليل أصلا، فمن الطبيعي أن يكون النقاد قلة.

*** هل ترى أن «الفيديو» يشكل خطرا على العمل الفني أو وسيلة ايجابية توصل الفنان إلى شرائح أخرى من الجمهور؟**

ـ في أمريكا لم يؤثر الفيديو على جماهيرية السينما، بينما عندنا أثر عليها بوضوح، وذلك يرجع لأسباب عديدة تأخذ شكل تفاصيل صغيرة. قد تضحك إذا قلت لك إن نظافة دورات المياه في المسرح لها علاقة بالعرض المسرحي. وأنا في كل يوم أتفقد دورات المياه قبل أن ألتقي الجمهور، فالمسرحية عندي تبدأ بحسن الاستقبال في الخارج، وتنتهي بتهذيب الحضور.

وقد ابتعد الناس عن السينما، لأن أجواء الصالات لم تعد مريحة ولا مهذبة، لا بسبب انتشار الفيديو فقط. الشيء الآخر الذي أوصلنا إلى هذا الوضع هو أن الجهات المعنية بالثقافة لم تشارك ايجابيا في بناء الحس الجمالي لدى الناس، لذلك تجد من يستمع لفيروز وهو على الدراجة الهوائية! ولذلك حل شريط الكاسيت عندنا محل الاسطوانة! بينما الاسطوانة ما تزال هي الأصل في البلدان التي تحترم الموسيقا. نحن لم نعلم المشاهد أن يرفض فيلما ما، لأن صوته سيء أو لأن في ألوانه خطأ، ولهذا يقبل أن يشاهد الفيديو، حتى لو كان الناس يظهرون فيه كالأشباح، لأن حسه الجمالي غير مهذب بشكل صحيح.

الوطن علاقة

*** أنت فنان مقل، هل النص هو السبب الأساسي لإقلالك، وما المعايير التي تشترط توافرها في النص؟**

ـ يجب أن يحرك النص شيئا ما في داخلي. عندما كتب الماغوط سيناريو فيلم «التقرير» سحرتني الشخصية، ووجدت أنها منسجمة مع منطلقاتي. أما في «الحدود» فقد كان الحدث هو الذي سحرني، المهم هو أن يكون الحدث أو الشخصية في دائرة الالتصاق. والدائرة الأوسع لي هي العلاقة بين الإنسان والأرض التي يعيش عليها. الوطن ليس مجرد جغرافية، بل هو علاقة. لو كان الوطن مجرد جغرافية لكانت هاواي أجمل من سورية، لكنني لا أستطيع العيش في هاواي على الرغم من أنها تشبه الجنة، لأن سورية ستظل في قلبي، وأنا أراها من خلال علاقتي بها أجمل بلد في العالم. □

● كم تبدو لي الحرب شريرة ومقززة، إنني لأفضل أن يقطع جسدي نتفا على أن أقبل بالمشاركة في علم كريه كالحرب.

«اينشتين»

ـ نحن كجيل تربينا على الأناشيد الوطنية. فالأعمال الفنية كانت تقدم لنا الصهيوني رعديدا ينتصر عليه العربي باستمرار. وقد كمل الإعلام الصورة فأقنعنا أن النصر سهل. وقد صدقنا ذلك لأننا شحنّا به طوال عشرين سنة. ولهذا أصابنا شرخ عندما توضحت لنا الهزيمة خلال ساعات، صار الواحد منا يخجل من الظهور على شاشة التلفاز، وصار الناس يخجلون من بعضهم. وقد استمرت حالة انعدام التوازن التي أحدثتها هذه الهزة الكبيرة فينا حوالي سنة.

في تلك الظروف جاء مسرح الشوك على يد الأستاذ عمر حجو الذي كتب له بعض النصوص. وعندما شاهدت أول تجربة له في المركز الثقافي السوفيتي بدمشق، سحرتني التجربة وأحببتها كثيرا. فاقترحت على عمر حجو أن نصنع عرضا متكاملا، لأن العرض الأول كانت مدته حوالي نصف ساعة فقط، فوافق، وهكذا بدأت مرحلة الالتزام.

وقد أحدث مسرح الشوك ضجة بوصفه بداية لفن ملتزم بقضايا الناس ومعاناتهم، بأحلامهم وتعاساتهم، لا على مستوى الجمهور وحسب، بل على مستوى المسرحيين والمثقفين العرب. ومنذ ذلك الوقت أصبح الفن قضية لا مجرد مهنة. هذا أنا لا أحسب عملي بالكم بل بالكيف. الفنانون المصريون يسألونني باستمرار هل من المعقول أن تكتفي بفيلم واحد كل سنتين؟ فأجيبهم: أنا مستعد لأن أنتظر سنتين وثلاثا حتى أجد الموضوع الذي أريده، وإذا لم أجده سأنتظر أكثر. وهذا الأمر ينطبق على أعمالي المسرحية، فبين «كأسك يا وطن» و«شقائق النعمان» ثماني سنوات. القضية تكمن في أنني اعتنقت الفن الملتزم، ولم أعد أستطيع التخلي عنه، ولو استطعت فلن يقبلني الناس خارج هذه الصورة.

*** إلى أي حد استطاع دريد لحام المخرج أن يحقق طموح دريد لحام الممثل؟**

ـ أنا لست أفضل مخرج في الوطن العربي، وإذا شئت أن أصنف نفسي، سأضع اسمي مع من هم دون الوسط. أما كمتعامل مع الممثل دريد لحام، فأنا أفضل مخرج يتعامل معه. الكوميديا فن صعب، بل غاية في الصعوبة، ولذلك تجد معظم الممثلين الكوميديين يخرجون أفلامهم بأنفسهم بدءاً بشارلي شابلن وانتهاء بوودي ألن. أنت تحكي النكتة ببطء، لكنك عندما تصل إلى قفلتها تطلقها كالرصاصة، وإذا سبقك أحد الحاضرين وخمّن نهايتها، أفسدها عليك.

والممثل الكوميدي قد يلجأ لإخراج أعماله، لا انتقاصاً لإمكانيات المخرجين السينمائيين، بل لأنه يعرف أكثر كيف يجب أن يركب المشهد، وكيف يتم إيصاله إلى ذروته.

في الحدود كان الفكر أكثر أهمية من الصورة. وقد وصل فكر الفيلم إلى الناس، وتعاطفوا معه، وهذا أمر مهم لي، وكذلك الأمر لفيلم «التقرير»، أما فيلمي القادم «الكفرون» فأرجو أن يكون أكثر سينمائية.

صحيح أنني كنت مرعوبا من التجربة، لكنني أستطيع القول في إطار بساطتي: إن هذين الفيلمين ليسا صورا متحركة، ففيهما تناغم بين الممثلين على الأقل، وهذا ما لفت أنظار السينمائيين المصريين. كان هاجسي الدائم هو حركة الممثل، وتعامله في محيطه، ومن حوله وهذا عنصر مسرحي مهم، وقد حرصت على أن تكون حركة الممثلين طبيعية تماما، فخرج العملان بنوع من الانسجام بين الممثلين، وبانسجام الممثلين مع الأفكار المطروحة، وانسجام ذلك كله مع البساطة التي اعتنقتها.

ثلاثة أنواع من النقد

*** على الرغم من إنك فنان مقل، يمكن القول أنك من أكثر الفنانين العرب حضورا على صفحات الجرائد والمجلات وغيرها من وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية. مع ذلك سبق أن نفيت وجود أي ناقد سينمائي أو مسرحي نزيه في الوطن العربي! كيف تعلل هذه المفارقة؟**

ـ أنا لم أقل هذا الكلام مائة في المائة، إذ أشرت لوجود استثناءات. النقد برأيي ثلاثة أنواع: هناك ناقد تربطك به علاقة شخصية طيبة، فيرى كل الأشياء من خلال حبه لك، وهذا لا تستفيد منه. وهناك ناقد بينك وبينه نفور، إن لم يكن كره متبادل، فيرى الأشياء من خلال مشاعره. وهذا لا تستفيد منه أيضا، وأسميه منتقداً لا ناقداً.

وهناك ناقد قادر على أن يرى جوانب السخف في العمل دون أن يستخف بالجهد المبذول فيه. والناقد الذي يستطيع أن يرى الأسود والأبيض بموضوعية أتعلم منه، ويساعدني في الوصول إلى الصيغة النهائية للعمل الفني. هل تستطيع القول إن كل من يكتب النقد ناقد؟

*** بالطبع لا ....**

ـ هذا ما أقوله أنا، إضافة إلى أن العلاقة بين العمل الفني والنقد الفني مثل العلاقة بين الدجاجة والبيضة، كل منهما هو نتاج للآخر، وفي بلد انتاجه الفني قليل أصلا، فمن الطبيعي أن يكون النقاد قلة.

*** هل ترى أن «الفيديو» يشكل خطرا على العمل الفني أو وسيلة ايجابية توصل الفنان إلى شرائح أخرى من الجمهور؟**

ـ في أمريكا لم يؤثر الفيديو على جماهيرية السينما، بينما عندنا أثر عليها بوضوح، وذلك يرجع لأسباب عديدة تأخذ شكل تفاصيل صغيرة. قد تضحك إذا قلت لك إن نظافة دورات المياه في المسرح لها علاقة بالعرض المسرحي. وأنا في كل يوم أتفقد دورات المياه قبل أن ألتقي الجمهور، فالمسرحية عندي تبدأ بحسن الاستقبال في الخارج، وتنتهي بتهذيب الحضور.

وقد ابتعد الناس عن السينما، لأن أجواء الصالات لم تعد مريحة ولا مهذبة، لا بسبب انتشار الفيديو فقط. الشيء الآخر الذي أوصلنا إلى هذا الوضع هو أن الجهات المعنية بالثقافة لم تشارك ايجابيا في بناء الحس الجمالي لدى الناس، لذلك تجد من يستمع لفيروز وهو على الدراجة الهوائية! ولذلك حل شريط الكاسيت عندنا محل الاسطوانة! بينما الاسطوانة ما تزال هي الأصل في البلدان التي تحترم الموسيقا. نحن لم نعلم المشاهد أن يرفض فيلما ما، لأن صوته سيء، أو لأن في ألوانه خطأ، ولهذا يقبل أن يشاهد الفيديو، حتى لو كان الناس يظهرون فيه كالأشباح، لأن حسه الجمالي غير مهذب بشكل صحيح.

الوطن علاقة

*** أنت فنان مقل، هل النص هو السبب الأساسي لإقلالك، وما المعايير التي تشترط توافرها في النص؟**

ـ يجب أن يحرك النص شيئا ما في داخلي. عندما كتب الماغوط سيناريو فيلم «التقرير» سحرتني الشخصية، ووجدت أنها منسجمة مع منطلقاتي. أما في «الحدود» فقد كان الحدث هو الذي سحرني، المهم هو أن يكون الحدث أو الشخصية في دائرة الالتصاق. والدائرة الأوسع لي هي العلاقة بين الإنسان والأرض التي يعيش عليها. الوطن ليس مجرد جغرافية، بل هو علاقة. لو كان الوطن مجرد جغرافية لكانت هاواي أجمل من سورية، لكنني لا أستطيع العيش في هاواي على الرغم من أنها تشبه الجنة، لأن سورية ستظل في قلبي، وأنا أراها من خلال علاقتي بها أجمل بلد في العالم. □

● كم تبدو لي الحرب شريرة ومقززة، إنني لأفضل أن يقطع جسدي نتفا على أن أقبل بالمشاركة في علم كريه كالحرب.

(اينشتين)

ـ نحن كجيل تربينا على الأناشيد الوطنية. فالأعمال الفنية كانت تقدم لنا الصهيوني رعديدا ينتصر عليه العربي باستمرار وقد كمل الإعلام الصورة فأقنعنا أن النصر سهل. وقد صدقنا ذلك لأننا شحنّا به طوال عشرين سنة. ولهذا أصابنا شرخ عندما توضحت لنا الهزيمة خلال ساعات، صار الواحد منا يخجل من الظهور على شاشة التلفاز، وصار الناس يخجلون من بعضهم. وقد استمرت حالة انعدام التوازن التي أحدثتها هذه الهزة الكبيرة فينا حوالي سنة.

في تلك الظروف جاء مسرح الشوك على يد الأستاذ عمر حجو الذي كتب له بعض النصوص. وعندما شاهدت أول تجربة له في المركز الثقافي السوفيتي بدمشق، سحرتني التجربة وأحببتها كثيرا. فاقترحت على عمر حجو أن نصنع عرضا متكاملا، لأن العرض الأول كانت مدته حوالي نصف ساعة فقط، فوافق، وهكذا بدأت مرحلة الالتزام.

وقد أحدث مسرح الشوك ضجة بوصفه بداية لفن ملتزم بقضايا الناس ومعاناتهم، بأحلامهم وتعاساتهم، لا على مستوى الجمهور وحسب، بل على مستوى المسرحيين والمثقفين العرب. ومنذ ذلك الوقت أصبح الفن قضية لا مجرد مهنة. لهذا أنا لا أحسب عملي بالكم بل بالكيف. الفنانون المصريون يسألونني باستمرار هل من المعقول أن تكتفي بفيلم واحد كل سنتين؟ فأجيبهم: أنا مستعد لأن أنتظر سنتين وثلاثا حتى أجد الموضوع الذي أريده، وإذا لم أجده سأنتظر أكثر. وهذا الأمر ينطبق على أعمالي المسرحية، فبين «كأسك يا وطن» و«شقائق النعمان» ثماني سنوات. القضية تكمن في أنني اعتنقت الفن الملتزم، ولم أعد استطيع التخلي عنه، ولو استطعت فلن يقبلني الناس خارج هذه الصورة.

*** إلى أي حد استطاع دريد لحام المخرج أن يحقق طموح دريد لحام الممثل؟**

ـ أنا لست أفضل مخرج في الوطن العربي، وإذا شئت أن أصنف نفسي، سأضع اسمي مع من هم دون الوسط. أما كمتعامل مع الممثل دريد لحام، فأنا أفضل مخرج يتعامل معه. الكوميديا فن صعب، بل غاية في الصعوبة، ولذلك تجد معظم الممثلين الكوميديين يخرجون أفلامهم بأنفسهم بدءا بشارلي شابلن وانتهاء بوودي ألن. أنت تحكي النكتة ببطء، لكنك عندما تصل إلى قفلتها تطلقها كالرصاصة، فإذا سبقك أحد الحاضرين وخمّن نهايتها، أفسدها عليك.

والممثل الكوميدي قد يلجأ لإخراج أعماله، لا انتقاصاً لإمكانيات المخرجين السينمائيين، بل لأنه يعرف أكثر كيف يجب أن يركب المشهد، وكيف يتم ايصاله إلى ذروته.

في الحدود كان الفكر أكثر أهمية من الصورة. وقد وصل فكر الفيلم إلى الناس، وتعاطفوا معه، وهذا أمر مهم لي، وكذلك الأمر لفيلم «التقرير»، أما فيلمي القادم «الكفرون» فأرجو أن يكون أكثر سينمائية.

صحيح أنني كنت مرعوبا من التجربة، لكنني أستطيع القول في إطار بساطتي: إن هذين الفيلمين ليسا صورا متحركة، ففيهما تناغم بين الممثلين على الأقل، وهذا ما لفت أنظار السينمائيين المصريين. كان هاجسي الدائم هو حركة الممثل، وتعامله في محيطه، ومن حوله وهذا عنصر مسرحي مهم، وقد حرصت على أن تكون حركة الممثلين طبيعية تماما، فخرج العملان بنوع من الانسجام بين الممثلين، وبانسجام الممثلين مع الأفكار المطروحة، وانسجام ذلك كله مع البساطة التي اعتنقها.

ثلاثة أنواع من النقد

*** على الرغم من إنك فنان مقل، يمكن القول أنك من أكثر الفنانين العرب حضورا على صفحات الجرائد والمجلات وغيرها من وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية. مع ذلك سبق أن نفيت وجود أي ناقد سينمائي أو مسرحي نزيه في الوطن العربي! كيف تعلل هذه المفارقة؟**

ـ أنا لم أقل هذا الكلام مائة في المائة، إذ أشرت لوجود استثناءات، النقد برأيي ثلاثة أنواع: هناك ناقد تربطك به علاقة شخصية طيبة، فيرى كل الأشياء من خلال حبه لك، وهذا لا تستفيد منه. وهناك ناقد بينك وبينه نفور، إن لم يكن كره متبادل، فيرى الأشياء من خلال مشاعره. وهذا لا تستفيد منه أيضا. وأسميه منتقداً لا ناقداً.

وهناك ناقد قادر على أن يرى جوانب السخف في العمل دون أن يستخف بالجهد المبذول فيه. والناقد الذي يستطيع أن يرى الأسود والأبيض بموضوعية أتعلم منه، ويساعدني في الوصول إلى الصيغة النهائية للعمل الفني. هل تستطيع القول إن كل من يكتب النقد ناقد؟

* بالطبع لا ....

ـ هذا ما أقوله أنا، إضافة إلى أن العلاقة بين العمل الفني والنقد الفني مثل العلاقة بين الدجاجة والبيضة، كل منهما هو نتاج للآخر، وفي بلد انتاجه الفني قليل أصلا، فمن الطبيعي أن يكون النقاد قلة.

* هل ترى أن «الفيديو» يشكل خطرا على العمل الفني أو وسيلة ايجابية توصل الفنان إلى شرائح أخرى من الجمهور؟

ـ في أمريكا لم يؤثر الفيديو على جماهيرية السينما، بينما عندنا أثر عليها بوضوح، وذلك يرجع لأسباب عديدة تأخذ شكل تفاصيل صغيرة. قد تضحك إذا قلت لك إن نظافة دورات المياه في المسرح لها علاقة بالعرض المسرحي. وأنا في كل يوم أتفقد دورات المياه قبل أن ألتقي الجمهور، فالمسرحية عندي تبدأ بحسن الاستقبال في الخارج، وتنتهي بتهذيب الحضور.

وقد ابتعد الناس عن السينما، لأن أجواء الصالات لم تعد مريحة ولا مهذبة، لا بسبب انتشار الفيديو فقط. الشيء الآخر الذي أوصلنا إلى هذا الوضع هو أن الجهات المعنية بالثقافة لم تشارك ايجابيا في بناء الحس الجمالي لدى الناس، لذلك تجد من يستمع لفيروز وهو على الدراجة الهوائية! ولذلك حل شريط الكاسيت عندنا محل الاسطوانة! بينما الاسطوانة ما تزال هي الأصل في البلدان التي تحترم الموسيقا. نحن لم نعلم المشاهد أن يرفض فيلما ما، لأن صوته سيىء أو لأن في ألوانه خطأ، ولهذا يقبل أن يشاهد الفيديو، حتى لو كان الناس يظهرون فيه كالأشباح، لأن حسه الجمالي غير مهذب بشكل صحيح.

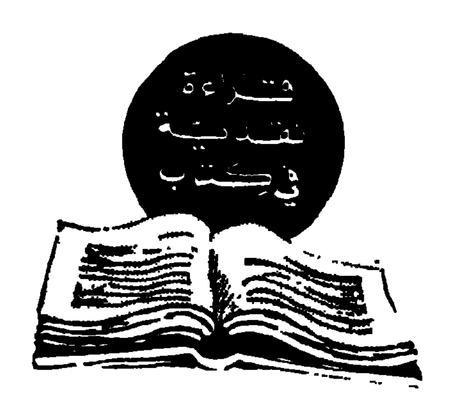
الوطن علاقة

*** أنت فنان مقل، هل النص هو السبب الأساسي لإقلالك، وما المعايير التي تشترط توافرها في النص؟**

ـ يجب أن يحرك النص شيئا ما في داخلي. عندما كتب الماغوط سيناريو فيلم «التقرير» سحرتني الشخصية، ووجدت أنها منسجمة مع منطلقاتي. أما في «الحدود» فقد كان الحدث هو الذي سحرني، المهم هو أن يكون الحدث أو الشخصية في دائرة الالتصاق. والدائرة الأوسع لي هي العلاقة بين الإنسان والأرض التي يعيش عليها. الوطن ليس مجرد جغرافية، بل هو علاقة. لو كان الوطن مجرد جغرافية لكانت هاواي أجمل من سورية، لكنني لا أستطيع العيش في هاواي على الرغم من أنها تشبه الجنة، لأن سورية ستظل في قلبي، وأنا أراها من خلال علاقتي بها أجمل بلد في العالم. □

● كم تبدو لي الحرب شريرة ومقززة، إنني لأفضل أن يقطع جسدي نتفا على أن أقبل بالمشاركة في علم كريه كالحرب.

«اينشتين»



"أنْتَ وَاحِدُهَا ، وَهِيَ أعْضَاؤُكَ انْتَثَرَتْ"

دِيوان شِعْر مِن تأليف : محمد عفيفي مطر

بقلم : الدكتور حامد أبو أحمد

محمد عفيفي مطر ، شاعر أثار من التساؤلات بقدر ما أثار من الدهشة وهو يضع قراءه دائما على حافة التأهب والاستعداد ، ذلك أنك لكي تقرأه لابد أن تحتشد لذلك بكل قواك الذهنيّة والوجدانية ، وبكل ما تملك من خلفية ثقافية ، حتى تغوص في ما وراء الكلمات والرموز والإشارات والتلميحات . وفي هذا المقال ، يتصدى الناقد الدكتور حامد أبوأحمد ، لهذه المهمة مع القاريء ومن أجله .

إن عفيفي مطر شاعر يفهم الشعر على أنه بحث خلاق ، لتأسيس خطاب شعري جديد فعّال . وفي هذا يقول : « الخطاب الشعري هو نداء ما يبقى ، هو الخلاصة المكثفة لروح واتجاه طاقة الابداع وتأسيس الأسئلة الجذرية ، وطرح أقصى مغامرات الخيال الخلاق في أمة من الأمم أو شعب من الشعوب ، والخطاب الشعري يؤجج ما يندلع فيه من نار المعرفة وجرأة الخيال وإثارة المرحلي المؤقت بضوء الكل الشامل ، بقدر ما يلتقط ويكشف من جوهر كامن في المؤقت والمرحلي » .

وقد صدر ديوان الشاعر الأول بعنوان : « من دفتر الصمت » عام ١٩٦٨ ، عن وزارة الثقافة السورية ، ثم صدر ديوانه الثاني « ملامح من الوجه الانبادوقليسي » عام ١٩٦٩ ، عن دار الآداب اللبنانية . وظلت دواوينه تتوالى حتى جاء ديوانه الأخير « أنت واحدها وهي أعضاؤك انتثرت » الصادر عن وزارة الثقافة والإعلام في العراق عام ١٩٨٦ . ولعل هذا من الأشياء غير العادية ، لأن دواوينه - كما نرى - تنشر في العادة خارج مصر . وقد أخبرني الشاعر أن لديه عددا كبيرا

من القصائد لم تنشر في أي ديوان . انتقى منها مجموعة أولى وضع لها عنوان : « مكابدات في الصوت الأول » وقدمها للهيئة العامة للكتاب في الستينيات ، وتم صرف مكافأة الكتاب له ، لكنه لم يظهر حتى الآن ، ويبدو أنه فقد إلى الأبد . وهذه الحادثة ، وإن كانت تبدو عادية بسيطة فإنها تنطوي على دلالات خطيرة ، من أهمها أن عفيفي مطر منذ أن بدأ يكتب الشعر حتى الآن كان يُتهم بأنه شديد الغموض ، فعلى الرغم من أن دواوينه الأولى (من دفتر الصمت ـ ملامح من الوجه الإنبادوقليسي ـ الجوع والقمر ـ يتحدث الطمي) تعد الآن من الشعر الواضح إذا قورنت بما يُكتب حاليا من شعر ، أو إذا قورنت بما يكتبه محمد عفيفي مطر نفسه ، إلا أنها كانت في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات تُحسب من أهم التجارب الشعرية دخولا في ساحة الغموض . وإذا كانت قصيدة عفيفي مطر قد تعقدت بعد ذلك وتشابكت بصورة خطرة ، فإننا لا نصاب بالدهشة إذا قرأنا لناقد كبير ، مثل الدكتور عبدالقادر القط ، في عام ١٩٨٠ ، هذا الرأي عن عفيفي مطر . يقول : « عفيفي أول ما ظهر كان شاعرا مجددا ، وهو شاعر كبير ، وله أسلوبه المميز الذي كان يتسم بصور حسية مأخوذة من الطمي والطين والخصب وغير ذلك ، ولفت إليه الأنظار من هذا الجانب .

بعد مدة اتجه إلى هذا الغموض وهذا التفكك اللغوي ، وأنا حقيقة بصدق أقف حائرا أمام قصائد عفيفي الأخيرة ، ولا أستطيع إطلاقا أن أعايشها رغم محاولتي ألا أفهم ، بمعنى أن هذا الشعر يفترض فيه ألا يفهمه الناقد بمعنى الفهم المنطقي ، بالضبط كما يقف الإنسان أمام لوحة سيريالية بالذات ، فليس مفترضا أن يسأل ماذا تريد اللوحة أن تقول ، لكن لا أستطيع إطلاقا أن أعايش قصائد عفيفي الأخيرة » . وقد كان الدكتور القط صادقا مع نفسه كل الصدق ، لأن معظم قصائد عفيفي مطر التي تنشر في « إبداع » ، توضع عادة في باب « تجارب » ، وهو باب يقول عنه الدكتور القط : « . . نسميه (تجارب) حتى يعلم القاريء أنه يواجه نصًا يقتضي طريقة خاصة في القراءة . . يقتضى بذل مجهود أكثر . . يقتضي تطبيق معايير جديدة ، غير المعايير التى يطبقها على النص الشعرى المألوف » .



قصيدة جديدة

كانت هذه مقدمة ، لابد منها قبل الدخول في محاولة تحليل ديوان « أنت واحدها وهى أعضاؤك انتثرت » ، الصادر في العراق عام ١٩٨٦ كما أسلفنا . وهذا الديوان يضم خمس عشرة قصيدة ، تمضي جميعها على غير المألوف ، وتؤسس لقصيدة جديدة في الشعر العربي ، وان كانت لها امتداداتها الجذرية في دواوين الشاعر السابقة ، فالشاعر يمنح الكلمات دلالات جديدة ، ويؤلف بينها في نسق فني مثير للدهشة ، مفجر للطاقات التخيلية ، صادم للعادي والمألوف . إننا أمام قصيدة تصنع عالمها الخاص ، وتستخدم كل العناصر اللازمة، من

الموسيقا إلى ظلال الدلالة ، إلى إيحاءات اللاشعور ، لإثارة ذهن القارىء وعواطفه وأحاسيسه . ولنقرأ هذه الأبيات الأولى من قصيدة « قراءة » تقول .

تلبس الشمس قميص الدم
في ركبتها جرح بعرض الريح
والأفق ينابيع دم مفتوحة للطير والنخل
سلام هي حتى مشرق النوم سلام

فهذه أبيات تتحقق فيها كل الخصائص المعروفة عند السرياليين ، ولكننا لن نستطيع أن نضع لهذا الديوان لافتة سيريالية ، لأننا سوف نرى عندما نوضح بعض هذه الخصائص ونحن نتعامل مع الديوان أن عفيفي مطر لا يمكن أن يُعد شاعرا سرياليا ، وإنما هو شاعر شديد الخصوصية ، متح من عالم السرياليين ، لكنه لم يدخل إطلاقا في دائرتهم ، إنه شاعر مسكون بهمه الخاص ، وهذا الهمّ الخاص يصب في قنوات كثيرة ، منها الهم الفكري ومنها الصوفي ، والأسطوري ، والتراثي ، والواقعي ، والمستقبلي ، وهو في متحه من هذه القنوات يستخدم وسائل كثيرة وأدوات لاحصر لها ، بعضها يمضي في تيار اللاشعور ، وبعضها يغوص في أعماق الذات ، وبعضها يطير مع الأحلام والرؤى والكوابيس ، أو يحلق بأجنحة المتصوفة وأشواقهم

ونسوقف أولا عند الأبيات الأولى من قصيدة « زجر الطير » ، لنرى طبيعة النسق الشعري غير المألوف عند عفيفي مطر تقول هذه الأبيات

صحتْ من غاشية الإشراق وجلال النوم الحي
فمن تذكر شظايا النار الباردة وعروق الماء المتوهج
وملامسة النجوم المنطفئة إذ تزدهر ألوانها
هي الرحرجة على ماء المعرفة
ويقظة الطفو على جريان الأحداث
وعلم النسيان

والملاحظة الأولى التى نخرج بها من تأملنا لهذه الأبيات هي ولوع الشاعر بإسناد الكلمة إلى مايناقضها ، والإسناد هنا ليس بمفهومه البلاغي المعروف (مسند ومسند إليه) ، وإنما بالمفهوم الذي عرضه جان كوهين في كتابه الشهير « بنية اللغة الشعرية » ، ومنه إسناد الصفة إلى الموصوف ، أو المضاف إليه إلى المضاف . وفي هذه الأبيات القليله نجد أسئلة كثيرة لهذا الإسناد المتناقض . غاشية الإشراق/النوم الحي/النار الباردة/الماء المتوهج/النجوم المنطفئة/علم النسيان .

ويكاد يكون ديوان « أنت واحدها » بناء متكاملا لهذا النسق الذي يبدو أنه يلعب دورا خطيرا في قصيدة عفيفي مطر ، ففي الأبيات التي ذكرناها من قبل من قصيدة « قراءة » نجد « مشرق النوم » ، وفي القصيدة الأولى من الديوان « موت ما لوقت ما » نقرأ في أول بيت « أعلنت ميثاق الإقامة بالرحيل » . وبهذا يصبح التضاد عنصرا فعالا في رؤيه محمد عفيفي مطر الوجوديه ، وهذا التضاد ينقل قصيدة الشاعر إلى منطقة نائية جدا عن الحس ، وإذا أضفنا إلى هذا العنصر ، ما تنطوي عليه الأبيات من مستويات ذهنية وصوفية وسريالية لأدركنا منطقية أن تكون القصيدة غامضة ، وأن تكون محتاجة إلى بذل جهود جبارة من قبل المتلقي للوقوف على بعض أسرارها ومع ذلك فإن عفيفي مطر يرى في شعره عكس ذلك تماما يقول : « وأقول للمرة الألف : إنني أحس إحساسا قويا بأن شعري واضح إلى درجة الابتذال ، ولو كان الغموض بالتمني أو الإرادة لتمنيت وأردت أن يكون شعري معادلا في غموضه غموض الحياة والحب والحرية والإقدام على الاستشهاد . فهل تسمحون لي مرة - أيها القراء والنقاد - أن أقول لكم . كم أنتم متعنتون في إجاباتكم التي تطرحونها على هيئة أسئلة . وكم أنتم غامضون » .

غموض في الحياة أو في الشعر ؟

وهذه الفقرة تطرح مسألة غاية في الأهمية : فالقصيدة غامضة عند محمد عفيفي مطر ، لأن الحياة نفسها غامضة ، وكذلك كل ما يجري فيها من شئون الحب والحرية والإقدام على الاستشهاد ، وغير ذلك من أمور يقف أمامها الإنسان حائرا ، والقصيدة مركبة ومعقدة ، لأن طبيعة الحياة نفسها كذلك . ثم إن عفيفي مطر رجل عانى ومازال يعاني من التناقضات الخطيرة الموجودة لدى الناس في المجتمع ، وكلها تصب في بحر الغموض الرهيب الذي تنطوي عليه الحياة .

وإذا كنا لانريد أن نتيه في ديوان محمد عفيفي مطر (والتيهان أمر وارد ومنطقي جدا في مثل هذا الشعر ، ولا يستطيع أحد أن يدعي أنه عثر على المفاتيح الحقيقية له) ، فينبغي أن نتوقف عند قصيدة واحدة ، نرى أنها تجمع كل المستويات أو المحاور الإبداعية لهذا الديوان ، وهي قصيدة « زجر الطير » (ص ٦١) ، فبالإضافة إلى محور التضاد الذي تحدثنا عنه نجد القصيدة تقوم على مجموعة مستويات ، أول هذه المستويات هو المستوى الذهني ، فالقصيدة عند عفيفي مطر رجرجة على ماء المعرفة وعلم النسيان ، وإنها مغامرة ذهنية من أجل الوصول إلى الجوهري والمطلق ، وهي سياحة في تلافيف الـذاكـرة ، وصنـوف المعـارف ، وشتى التحولات ، ولهذا يقول الشاعر :

ينقشع السديم وتنحسر أمواج الذاكرة الملكية
وهي تطفو جسدا لخميرة الخلائق

وهذا المستوى الذهني ـ كما نرى ـ لايتوقف عند المعارف الإنسانية المتاحة ، وإنما ينداح في الآفاق ، ويمضي إلى ماوراء السديم في محاولة للبحث عن سر الوجود . ومعروف أن هذا الشعر الذهني التجريدي انتشر في أواخر القرن التاسع عشر ، على يد أتباع الرمزية في فرنسا ، ثم أخذ يتطور حتى أخذ شكلا تجريديا خالصا على يد شعراء الأجيال التالية ، مثل بول ڤاليرى في فرنسا ، وشعراء جيل ١٩٢٧ في إسبانيا ، حتى اضطر الفيلسوف الاسباني خوسيه أورتيجا إي جاسيت أن ينظر لهذا الاتجاه فى كتابه الشهير « تجريد الفن » ، ولكنني لا أعتقد أن هناك شاعرا بالغ في تجريد القصيدة على النحو الذي فعله محمد عفيفي في هذا الديوان . واقرأ معي قوله :



بين المهاد والرواسي يتغور البحر وينفجر
نهر هنا ونهر هناك
يلين الحجر بالعيون أو تنتشر عشوائية الهاجرة
بالرمل أو الغيوم الثقيلة

فنحن في مثل هذه الأبيات أمام عالم تجريدي ، صنعته الكلمات ، بعد أن أفرغت تماما من حقلها الدلالي الواقعي .

ثاني هذه المستويات هو المستوى الصوفي . وديوان « أنت واحدها » كله يمكن أن يدخل ضمن هذا التيار الذي انتشرت ساحته جدا على خارطة الشعر الحديث . ولعل عنوان القصيدة يدل هو نفسه على هذا المنحى ، فزجر الطير يورد إلى الذاكرة على الفور عنوانا آخر ، هو كتاب « منطق الطير » للشاعر الفارسي الصوفي فريد الدين العطار ، ولنقرأ هذه الأبيات التي تقول :

وبدأ الشاعر يزجر الطير ويتلو صدحة المطر
يتقلب في الآفاق ويسبح في الأرض
ونسْر الفضاء الشاسع يهم بالطيران في
غموض الزرقة وكثافة الليل المثقب بالمصابيح

لغة صوفية

نحن هنا أمام لغة صوفية ، وبناء يشبه أبنيتهم اللغوية ، وطرقهم في التعبير ، مع فارق واضح ، هو أن لغة عفيفي مطر وعوالمه الشعرية تمتح من قنوات كثيرة ، منها الصوفي ، ومنها الذهني ، ومنها السريالي - كما سوف نرى - وكل هذا ينصهر في النهاية في بناء له خواصه المميزة . ولعل التوجه الصوفي للقصيدة (ونقول دائما لعل) هو الذي ألجأ الشاعر إلى تشكيلها في بناء مرحلي ، أقيم بالتحديد على مرحلتين ، مرحلة أولى : تشبه مرحلة مجاهدة النفس عند الصوفية ، تنتهي بهذا البيت : « وتنظرنا إلى يوم الفصل ميقاتنا أجمعين » ، ومرحلة ثانية بدأ الشاعر فيها يزجر الطير ، ويتلو صدحة المطر ،



ويتقلب في الافاق ، ويسبح في الأرض ، أي أنه دخل عالم المتصوفة ، وتغلغل فيه ، وتنتهي هذه المرحلة أيضاً ببيت يشبه البيت السابق ، وإن كان يختلف عنه اختلافا بيّنا ، وهو « هذا يوم الفصْل ميقاتنا أجمعين » . ونظن أن الاختلاف بين البيتين واضح : فالبيت الأول مازال يحمل الانتظار والتحقق والصيرورة ، أما البيت الثاني فهو ختام المسيرة الصوفية بالطبع ، بقدوم يوم الفصل أويوم القيامة الذي دل عليه أو بالأحرى على قدومه اسم الإشارة « هذا » ، أي أنه صار واقعا ، بعد اكتمال مراحل التصوف مرحلة بعد مرحلة ، وبلوغ المرحلة الأخيرة التي تعنى الاتحاد أو بلوغ المآب . ومعروف أن هذا البيت مستلهم من الآية القرآنية الكريمة التى تقول : إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين » . (الآية ٤٠ - سورة الدخان)

اما المستوى الثالث فهو ما تنطوي عليه هذه القصيدة من توجه سريالي . ومن أهم خصائص السريالية أو الشعر السريالي أنه يقدم عالما يصنع واقعا في ذاته يختلف كل الاختلاف عن العالم الواقعي الحقيقي ، كما يلغي أي رقابة منطقية ، ويهرب تماما من الواقع المحسوس ، ويتحرر من قوانين الزمان والمكان ، ويبث الحياة في

الكائنات الجامدة ، متخطيا بذلك كل القوانين الفيزيقية ، ويربط بين الكلمات بطريقة غير مألوفة ، أو قل معتسفة إن صح هذا التعبير ، ويلجأ إلى تفجير الكلمات والجمل ، ويستخدم تقنيات مثل الكتابة الآلية أو تيار اللاشعور أو الحلم . وإذا نظرنا إلى القصيدة في ضوء هذه الخصائص نجد انها تنطبق تماما عليها ، وتعطينا مبررات لإمكانية إدراج شعر محمد عفيفي مطر ، ضمن الشعر السريالي ، ولكن الذي يمنعنا من التأكيد على هذه النسبة ، هو أن هناك مستويات أخرى ـ كما أشرنا ـ تحول دون نسبته إلى الشعر السريالي بمفهومه الصارم . ولنقرأ هذه الأبيات التي تقول :

انتبه الشاعر :
للمأتم طقس ومراسيم بكاء عائلي
هذه رائحة الموت ، وهذان هما السيد والسيدة
انسلا من القبر وقاما ، انتشرا ،
واستوطنا بيتا من الريح
ومن تحتها تسّايل الأنهر .

فالأبيات ـ كما نرى ـ تصنع واقعا في ذاته (السيد والسيدة اللذان انسلا من القبر واستوطنا بيتا من الريح .. الخ) ، وفيها هروب من الواقع المحسوس ، وفيها تحطيم للزمان والمكان . الخ ، وفضلا عن ذلك فإن الشاعر يلجأ أيضا في بعض الكلمات إلى عملية التفجير اللغوية المعروفة عند السرياليين ومن لف لفهم ، مثل قوله : يخلع عنه الرهبوت والطمعوت .. الخ « على وزن الملكوت والكهنوت » ، وهي كلها ألفاظ تشي بجزئية من عالم الشاعر ، وتدل على منحاه الصوفي أيضا .

أرجو أن يعذرني القاريء إذا كان كل ماقمت به هنا هو مجرد محاولة للاقتراب من الديوان وإلقاء بعض الضوء على ما ينطوي عليه من محاور ثرية ، وخصائص متميزة . □



الرّوايــة الفلسطينيّــة
الصّـــوت والصّـــدى

بقلم : الدكتور حسام الخطيب

في إطار الإبداع الروائي لبلاد الشام يتميز النتاج الفلسطيني في السنوات الأخيرة بالتنوع ، والخصوبة ، وتعدد الأصوات والمستويات .

فإلى أي مستوى فني بلغت الرواية الفلسطينية ؟ وإلى أي حد تمثلت قضية شعبها ؟ .

في وضع كالوضع الفلسطيني ، مبتلى بالشتات،ليس من السهل على الباحث أن يقدم « ببليوغرافيا » دقيقة للإنتاج القريب العهد ، بل حتى الإنتاج الأقدم ما زال مستعصياً على الحصر ، وما أكثر ما عانت قوائم الفهرسة التي قدمت حتى الآن من الإسقاط ، والالتباس في الأسماء ، والعجز عن تمييز المؤلف الفلسطيني من إخوانه المؤلفين العرب الذين يكتبون في الموضوع الفلسطيني ، ويظهرون من صنوف الحماسة ما يدفع مصنفي القوائم إلى عدهم من الفلسطينيين ، والأمثلة على ذلك كثيرة متكررة . لذلك يبدو من المبكر الحديث عن « ببليوغرافيا » دقيقة لروايات عقد الثمانينيات المنصرم . ومن أجل الغرض النوعي لهذه الدراسة يكفي أن نؤكد أنه تم جمع أكثر من عشرين عنواناً لروايات ظهرت في الوطن المحتل وخارجه ، وأنه من المؤكد وجود حوالي خمس أو سبع روايات أخرى ، لم تبلغ علم المؤلف ، وبذلك يكون مجموع روايات النصف الثاني من الثمانينيات من ٢٥ - ٣٠ رواية ، وهي نسبة إنتاجية عالية حقاً ، تؤكد أن الأدب العربي الفلسطيني يدخل العصر من خلال تركيزه على الرواية التي أصبحت المركبة الذهبية للأدب في العالم المعاصر ، ومما هو مثير ومبشر ، أدبياً على الأقل ، أن الاتجاه إلى الرواية متزايد في الأرض المحتلة ، وكلما اقتربنا من نهاية الثمانينيات تزايدت نسبة الإنتاج الروائي ، حتى تكاد تبلغ ثلاث روايات في السنة ، وهذه نسبة عالية في مجتمع صغير ، واقع تحت وطأة ظروف الاستعمار الاستيطاني ، ومعرض لمسلسل يومي من القمع والاضطهاد والارهاب « البوليسي » والفكري والضغط الاقتصادي والانقطاع العضوي عن محيطه العربي . أما مجتمع الشتات

فهو أيضاً يعاني من المشكلات الناجمة عن الانقطاع الاتصالي واللااستقرار ، وفي ما يتعلق بالموضوع المركزي للتجربة الفلسطينية ، وهو الثورة ، كانت الظروف دائماً مضادة للاستقرار ، وكان الكتّاب أنفسهم المنغمسون في التجربة هم الأقل استقرارا، والأكثر عرضة للتيه بين المنافي (من كتّاب الرواية دائمي التنقل : يحيى يخلف ، رشاد أبو شاور ، أفنان القاسم) . على أن هذه الحالة من التشرد ، والتحفز ، والمعاناة ، والمنافحة ، والتعرض ، والتغيير بوجه عام ، ليست ذات وجه واحد سلبي فقط ، إذ أنها في مقياس تجربة التفاعل الأدبي مع ممارسات الحياة ذات وجه آخر ، يمكن أن يكون حفزياً وإيجابياً ، وإن كان ـ والحق يقال ـ أكثر مواتاة للفنون ذات النفس القصير نسبياً ، كالشعر والقصة القصيرة ، وأقل مواتاة للرواية .

بين القصة والرواية

ومما يؤيد الحكم السابق أن الرواية الفلسطينية المعاصرة تبقى بوجه عام رواية قصيرة النفس ، وهي غالباً في منزلة بين المنزلتين ، وأقرب إلى أن تكون قصة .

ويلاحظ أن معظم الروايات الصادرة في الأرض المحتلة تقع في المنطقة المحرمة بين القصة القصيرة والرواية .

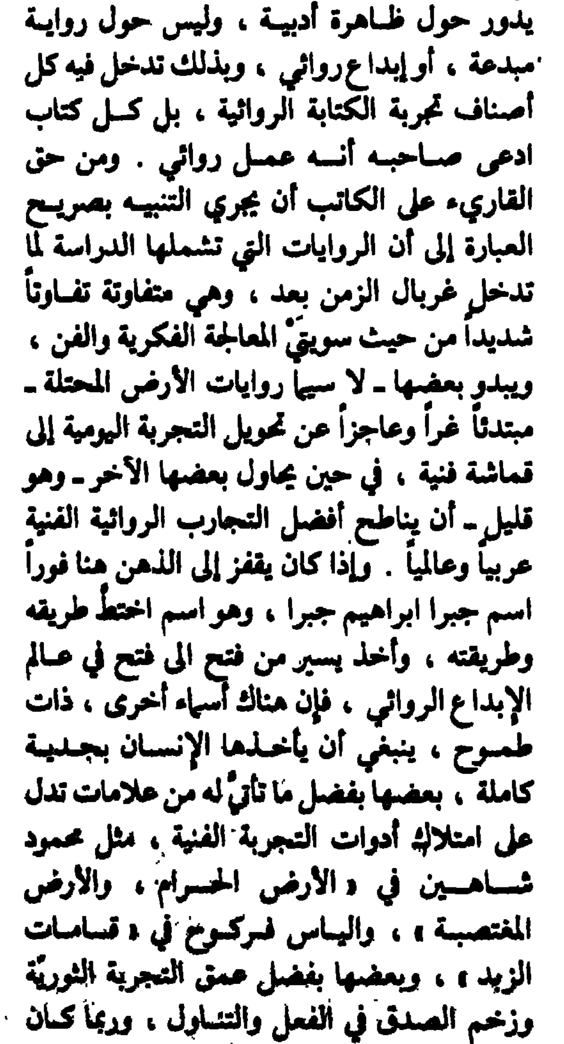
على أي حال ليست الرواية الطويلة الممتدة هي النمط الفلسطيني ، وباستثناء روايات كاتبين



● سحر خليفة

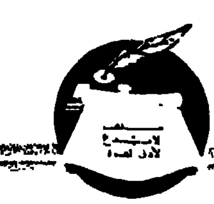


● الياس فركوح



معينين هما جبرا ابراهيم جبرا وأفنان القاسم ومجدداً محمود شاهين ، يمكن القول بأن الرواية الفلسطينية تنبثق من موقف متأزم صارخ لاهث ، وتتركز حول جوانب محددة من موضوعاتها الكبيرة ، وتخشى مغامرة الامتداد المكاني والزماني والقولي . وبذلك تظل خفيفة الوطأة على القارىء ، وتتماشى مع المناخ المتعارف عليه عالمياً في ما يتعلق بالجنوح إلى الإعتدال في حجم الرواية الحديثة .

وتحاول أن تحافظ على صلة القربى مع القصة القصيرة ، وربما الشعر . والحديث هنا يدور حول ظاهرة أدبية ، وليس حول رواية مبدعة ، أو إبداع روائي ، وبذلك تدخل فيه كل أصناف تجربة الكتابة الروائية ، بل كل كتاب ادعى صاحبه أنه عمل روائي . ومن حق القارىء على الكاتب أن يجري التنبيه بصريح العبارة إلى أن الروايات التي تشملها الدراسة لما تدخل غربال الزمن بعد ، وهي متفاوتة تفاوتاً شديداً من حيث سويتيْ المعالجة الفكرية والفن ، ويبدو بعضها ـ لا سيما روايات الأرض المحتلة ـ مبتدئاً غراً وعاجزاً عن تحويل التجربة اليومية إلى قماشة فنية ، في حين يحاول بعضها الآخر ـ وهو قليل ـ أن يناطح أفضل التجارب الروائية الفنية عربياً وعالمياً . وإذا كان يقفز إلى الذهن هنا فوراً اسم جبرا ابراهيم جبرا ، وهو اسم اختطّ طريقه وطريقته ، وأخذ يسير من فتح الى فتح في عالم الإبداع الروائي ، فإن هناك أسماء أخرى ، ذات طموح ، ينبغي أن يأخذها الإنسان بجدية كاملة ، بعضها بفضل ما تأتّى له من علامات تدل على امتلاك أدوات التجربة الفنية ، مثل محمود شاهين في « الأرض الحرام » و« الأرض المغتصبة » ، والياس فركوح في « قامات الزبد » ، وبعضها بفضل عمق التجربة الثوريّة وزخم الصدق في الفعل والتناول ، وربما كان رشاد أبو شاور في (الرب لم يسترح في اليوم السابع) أبرز ممثل لهذا الاتجاه .



وإذا تناولنا الموضوع من ناحية الطموح الفني والإصرار على التجديد في الإبداع فإنه لا بد من الاعتراف بوجود مفاجأتين إبداعيتين في النصف الثاني من الثمانينيات ، ألا وهما رواية « عربسك » لأنطون شماس التي أُلفت أصلاً بالعبرية ، وترجمت إلى الإنكليزية والفرنسية ، والثانية رواية « قامات الزبد » لإلياس فركوح التي تتألق بالعربية تألقاً لافتاً للنظر .

على أنه مقابل الإطلالات الإبداعية غير القليلة في الرواية الفلسطينية المعاصرة هناك محاولات كثيرة باهتة المظهر والمخبر ، لم تستطع أن تحقق حداً أدنى من شروط الإبداع أو من سوية تفهم التجربة المعالجة .

أي عالم وأي تجربة ؟

ليست الليالي الفلسطينية وحدها هي الحبالى التي لا يعرف ما تلد ، بل كذلك الأيام الفلسطينية تلقح كل دقيقة من صبح أو ظهر أو عصر ، وتنتج وتتئم على الطريقة الزهيرية ، فتلد كل يوم نكبة ، أو نكسة أو مصيبة أو مجزرة ، أو خروجاً ، أو تشريداً ؛ أو حصاراً ، أو نفياً ، أو إبعاداً ، أو قمعاً ، وحبل الأفعى لا يفتأ يجر . ومع غلمان أشأم الذين يلدهم الليل والنهار حيثما حل الفلسطيني ، هناك إرادة الحياة ، وهناك البطولة والصمود ، وهناك الرفض والتضحية ، وهناك الدأب والمحاولة وهناك ـ بل في أول القائمة ـ استقبال الشهيد بالزغاريد ، وانتصاب قامة أم الشهيد وتهليل وجهها كلما ضحى ولد بحياته ، في لعبة محو العار . هذا العالم الصاخب الدامي المتقلب المنطوي كل ثانية على مفاجأة ، استولى دائماً على الأدب العربي للفلسطيني والأدب العربي الذي كتبه عرب كثيرون ، كانوا أشد انتماء والتصاقاً بالهوية الفلسطينية من كثير من أبناء الدم والأرض . هذا العالم الصاخب أقوى من أي فن . إنه بحد ذاته رواية ذات فصول متداخلة من روايات جيمس جويس ، يفضي كل فصل إلى آخر ، وليس بين الفصول نقطة أو فراغ أو فاصلة ، وليس للصفحات أرقام ولا أشكال . إنها رواية تكتبها الأيام بمداد الدم ، وبحجارة الأنقاض ، وبأنفاس الحسرات ، فمن ذا الذي يستطيع أن يسل نفسه خارج التجربة بترفع نصف إله؛ (كما كان يقول جيمس جويس عن الروائي المسيطر على موضوعه) . إن الموضوع الفلسطيني أقوى من أي روائي ومن أي فنان ، ويكفي أنه لا يسمح لأي عمل فني أن ينتهي الى نهاية مقنعة ، سلبية كانت أو إيجابية أو محايدة أو مفتوحة للتأويل والتكهن . وهكذا يضغط الموضوع الفلسطيني على بنية الأعمال الروائية ، فإذا قصارى جهدها أن تقتطف منه ، وهي تحت وطأته ، ركناً من هنا ، أو زاوية من هناك ، أو حجراً ساقطاً ، أو حجراً منقضاً ، أو زفرة لاهثة باليأس ، أو نفخة عامرة بالثقة ، أو مشهداً عاماً . وفي أكثر الأحيان ، وبما أن كل لحظة تأتي هي أقسى مما سبق ، وأدهى وأمر ، فإن إيقاع اللحظة الراهنة هو الذي يفرض نفسه .

لنقل إذاً باختصار شديد : إن لب الموضوع الفلسطيني في النصف الثاني من الثمانينيات هو الخروج من بيروت . فذاك الخروج (١٩٨٢) الأسطوري الذي سبق خيال كل عبقرية أدبية ، أتى موضوعاً مقلوباً في الرواية الفلسطينية ، فهو الرواية ، والرواية هي الواقع ، والكلام هنا مقصود بحرفيته . إن قراءة أي رواية متأثرة بهذا



الموضوع لا تثير أي مشكلة من ناحية المصداقية ، ولكن قراءة وقائع تاريخ الخروج ، وظروفه ، تثير كل مشكلات المصداقية (ما قولك بثورة ترحل في سفينة تحميها منشآت في البحر كالأعلام وترفع شارة النصر ؟ ليس من الضروري أن تكون هذه التجربة فلسطينية أو عربية أو أفريقية أو غير ذلك . لتكن أي حالة إنسانية في زمن لا معطى) .

هذه الحقيقة ـ الرواية تفسر لنا لماذا يتكرر موضوع الخروج في الرواية الفلسطينية ولماذا أيضاً يبدو باهتاً وكأنه لعبة قدر لاهية من ألاعيب ديونيسيوس أوديانا أونبتون ؟

حتى الآن ليس في الرواية موضوع خروج فلسطيني ملحمي ، يمكن أن ينجح في أي امتحان بسيط (للمحاكاة) على الطريقة الأرسطوطالية . قد يحتاج الأمر الى بعض الوقت . وهناك روايات بادرت وقدمت إرهاصات سريعة . فيها إطلالات والتقاطات مأساوية ، ولكن الخروج الروائي التراجيدي ما زال في بطون الإبداع .

الروايــة المثــال

أكثر هذه الروايات حرارة وصراحة وجرأة ومباشرة وإحساساً وإخلاصاً ، رواية رشاد أبو شاور : « الرب لم يسترح في اليوم السابع » ، ١٩٨٦ ، انها رواية الخروج بعينه ، وهي رؤية ساخنة من داخل التجربة . تقدم عملية تكوين الخروج في سبعة أيام ، وتنسى يوم الراحة ، على شكل حلقات ملحمية متلاحقة . يتخللها حزن كثير ، ونقد جارح ، ونقمة ورهبة ، وروح مرحة أيضاً .

« في اليوم الثالث . . وفي اليوم الثالث خلق الرب أسماك القرش التي اندفعت لتلاحق الفلسطينيين ، وكانت سيرسة تراقبهم ، وتدفع بالماء ليكبر كي تغرق سفينة الفلسطينيين فتتلقفهم أسماك القرش . . . » (ص ١١٥ من



الرواية) . وفيها بعد يصبح منظر أسماك القرش التي تلاحق سفينة الثورة موضع تفكه لطيف يجعل المأساة إنسانية وربما يقوي مصداقيتها .

هذه الرواية التي تنتهي بنزول الثورة في تونس ، تنزّ حزناً وأسى ونقمة ورهبة . وفيها لقطات أقوى من أي تعبير . حسبنا هنا بعض الالتقاطات ، حين يسألون إلى أين تسير السفينة يجيب صوت بأنه لا يهم ولا ينبغي أن يهم ، ذلك أن « الرحيل إلى كل البلاد متشابه ، ما دمت غير عائد إلى فلسطين » (ص ٢٨) .وحين تزداد مرارة رشيد وتطفو على السطح يعمل الدكتور جميل على تنفيسها . « . . . دائماً تحولها جد . . انس يا رجل . . انس . . الفلسطيني يجب أن ينسى أحياناً وإلا فقد عقله » (ص٧٠) إنهم يبكون ويضحكون ، أولئك المبحرون على سفينة التغريبة الهلالية . ويخيل إليهم أحياناً أنها رحلة بحرية إلى عالم الجزر اليونانية ، الرحلة التي طالما حلم بها كثيرون ، ولم يستطيعوا تحقيقها . وأخيراً سينطلقون إلى الواقع الجارح .

وهناك روايات أخرى غير رواية « رشاد » من مصلحتها ، ومصلحة التجربة ، ألا يتوقف عندها المرء . « رشاد » التقط التقاطات بديعة ، وفاتته اللوحة الكبرى ، ولكن تلك الروايات صغرت الموضوع حتى بدا مثل رحلة الحماة من بيتها إلى بيت كنة لها في حارة مجاورة ، وقد تكون رواية عوض سعود عوض « الوداع » ١٩٨٧ أكثر هذه الروايات تركيزاً على الموضوع ، ولكن بينها وبين أبعاده الملحمية مسافة ما بين اليومي والمأساوي .

وخلافاً للشعر تتعرى الرواية من الأوهام ، وتخلع عنها الزينات الرومنتية ، وتحاول مواجهة الواقع الجاثم بجانبيه المشرق والمظلم . لذلك ينطوي عالم روايات التجربة الثورية على إيمان عميق لا يتزعزع بالثورة وبالمستقبل ، وكذلك على نقد جارح لبنية الثورة ، لا سيما من الناحية التنظيمية ، وكذلك على هجوم مرٌ على الإطار الرسمي من حولها . وفي رواية الثورة جدلية وصراع وتردد وحيوية ، كلها تكشف عن روح التربية الديمقراطية الثورية التي تميزت بها تجربة الشعب المنكوب ، على مدى عقود القرن الماضي . وتعد رواية « قامات الزبد » لإلياس فركوح وهي الرواية الأقرب إلى التقاط روح التجربة الثورية الفلسطينية وإطارها المكاني ببيروت ولبنان . والزماني في السنوات الأولى من الحرب الأهلية . وتقدم التجربة من ثلاث زوايا للرؤية على الأقل هي زوايا الأبطال الثلاثة الفدائيين : زاهر النابلسي (من فلسطين المقيمة ، نابلس) ، خالد الطيب (من مواليد ١٩٤٨ ومن فلسطين المهاجرة) ، ونذير الحلبي (من حلب ، من إطار الثورة القريب) - وترصد الرواية تصرفاتهم في أثناء الحرب الأهلية ، وخواطرهم ومخاطرهم وخيالاتهم ومخاوفهم وذبذبات ولائهم وغموض مصيرهم . وترسم من حولهم جو الأحقاد والتدمير والقنص والانتحار المجاني لمنطقة بأسرها . وينتقد الأبطال ، ولكنهم لا يضخمون السلبيات ، ولا يحيدون عن الطريق ، لأنهم يعرفون أنه أصلاً طريق مفروش بالألغام لا بالورود ، وأنهم يواجهون قدرهم المحتوم بعراقة ثورية وباستسلام مأساوي كذلك .

موضوعات أخرى

وفي الرواية الفلسطينية المعاصرة موضوعات أخرى ، تعد استمراراً للموضوعات السابقة ، لكنها هذه المرة تتصف بانتقادية أوضح ، وتفهم

أعمق ، لتركيبية العوامل الداخلة في صنع المأساة المتجددة ، ولا يقينية بالنسبة للمصير . وتتفاوت هذه الروايات تفاوتاً شديداً ، وتتصدرها تجربة محمود شاهين في « الأرض المغتصبة عودة العاشق » ، إذ تقدم التجربة الثورية الفلسطينية ؛ أي تجربة القتال والكفاح المسلح ، في إطار التجربة الأوسع للشعب الذي يريد أن يصمد ، ويبقى ، وهو يدرك بالتدريج عوامل الحثّ الداخلية ، وعوامل الهدم المحيطة التي تعد أكبر مساعد لهجمة العدو والمتربص .

وهناك رواية يحيى يخلف « نشيد الحياة » التي تختلف عن سائر روايات المرحلة بما تحتفظ به من إيمان لا يتزعزع ، وروح معنوية عالية ، وتقدم العمل الفلسطيني تقديماً انتقادياً ، لكنها تضع الأبطال أمام خيار وحيد هو الصمود ، ولذلك يبدو الموت ممارسة عادية ، وكل فلسطيني هو في حالة نضال وتربص حتى تحين ساعة عطائه .

وهناك موضوع حياة المخيم أيضاً ، وهو استمرار لتيار سابق ، وقد برز مجدداً موضوع متبلور ، له جذور في الماضي ، لكنه ينبيء بغنىً فني وتاريخي كبيرين ، هو موضوع المدينة الفلسطينية بين الماضي والحاضر (الاحتلال وتغيير الهوية) . ويمكن الإشارة هنا إلى تجربة أميل حبيبي الحيفاوية في روايته « أخطية » ١٩٨٥ ، إذ تدور الرواية حول مدينة حيفا بين الماضي والحاضر ، من خلال خواطر البطل في أثناء توقف سيارته بسبب (جلطة سير) ، نجمت عن ملاحقة ملثم يركض في الشارع . وهناك الرواية العكاوية « عكا والرحيل » ، من تأليف الياس أنيس خوري ، ١٩٨٩ ، وهي سلسلة مذكرات ، كتبها بطل الرواية في نيويورك ، وأرخ فيها لتغيرات الحياة في عكا وتجربتها مع موجات تغيير هويتها .

ويسود روايات الأرض المحتلة هاجس مواجهة الاحتلال ، والبحث عن أفضل السبل لتحقيق الصمود في وجه الطغيان (رواية اسماعيل) «لأحمد حرب». وكما هو متوقع يستمر موضوع الخروج ، أو النزوح ، أو اللجوء ، ويعالج اليوم بوعي متجدد ، كما هو شأن رواية « السواد : الخروج من البقارة » لحسن حميد ، ١٩٨٨ .

وأخيراً هناك روايات فلسطينية خرجت عن إطار الهمّ الفلسطيني المباشر ، وعانقت القضايا الوجودية الاجتماعية للإنسان ، مثل : « الغرف الأخرى » لجبرا ابراهيم جبرا (١٩٨٦) ، أو قضايا خاصة متصلة بهموم الحياة ، كقضية الاستقرار المكاني في رواية جمال ناجي : « مخلفات الزوابع الأخيرة » (١٩٨٨) ، أو قضايا قومية ، مثل : الوحدة العربية والمصير العربي ، كما في رواية « حافة النهر » لعلي حسين خلف أو قضايا المرأة في إطار الشرط الفلسطيني الخاص مثل رواية سحر خليفة : مذكرات امرأة غير واقعية ، ١٩٨٦ .

ولا بد في الختام من الإشارة الى التجربة الفريدة التي قدمها انطون شماس في رواية « عربسك » التي حاولت أن تتفحص المصير الفلسطيني المتعرج ، والهوية الفلسطينية الحائرة تحت وطأة الكلكل الاستيطاني المنيخ بكل قوته . وترقى هذه الرواية إلى مستوى رفيع ، وتلتحم فيها التجربة الحياتية مع التجربة الفنية ، لتقدم لنا رؤية فكرية فنية متعرجة متداخلة متحيرة محيرة ، تنجح في جعل الموضوع الفلسطيني إنسانياً وناضجاً ، وتنأى عن الخطابية والمجانية . □

● إن هذه الأمة لم تختلف في دينها ولا في نبيها ولا في كتابها ، وإنما اختلفت في الدينار والدرهم . .

«عمر بن عبدالعزيز»



الرواية العراقية

من الريادة إلى النضج

بقلم : فاضل ثامر*

أين تقف الرواية العراقية اليوم ، وهي تضع خطوتها الأولى على أعتاب العقد الأخير من هذا القرن ، وتستشرف آفاق الألف الثالث للميلاد ؟ وأين تقف هذه الرواية بين التجارب الروائية العربية الحديثة ؟ وما الذي يُؤمل تحقيقه في المستقبل ؟

ليس من السهل دائما تقديم مراجعة شاملة وموضوعية لمسيرة الرواية العراقية التي جاوزت السبعة عقود دونها صعوبات . فهذه الرواية ليست وليدة عقد أو عقدين من السنين ، كما هو شأن بعض التجارب الروائية العربية المحلية ، بل هي تضاهي في تاريخها وعمرها الرواية العربية في نشأتها ومولدها وسيرورتها . إذ لا يمكن موضوعيا دراسة المهاد التاريخي والثقافي والروحي لنشوء الرواية العربية ، كجنس أدبي متميز في هذا العصر ، بمعزل عن نشوء الرواية العراقية ، بل يمكن القول ، وبثقة تامة ، إن عملية تشكل الرواية العربية كانت تتم وتنضج في مناخات متقاربة ، وإن كان ذلك بمستويات متباينة من النضج والأصالة ، في أوقات متقاربة نسبياً ، في عدد محدد من الأقطار العربية ، وبشكل خاص في مصر وسوريا ولبنان والعراق .

البدايات

فإذا ما كان مؤرخو الرواية العربية ونقادها يتأرجحون في تحديد نشأة الرواية العربية بين رأيين أساسيين ؛ أولهما يرى أن الرواية العربية هي جنس أدبي جديد تماما على الأدب العربي ، نشأ نتيجة الاحتكاك الثقافي بالغرب ، وبذا يقطعون جذوره عن موروثنا الأدبي الكلاسيكي والشعبي . وثانيهما يرى أن الرواية العربية هي امتداد طبيعي للموروث النثري العربي المتمثل في ألوان نثرية كالسير والأخبار والحكايات الشعبية والمقامات وغيرها ، وتبعاً لذلك يحاول الدارسون تحديد « شهادة ميلاد » الرواية العربية ، وهو ما يفعله أيضا وإلى درجة كبيرة من التشابه في السياقات والحيثيات ـ الدارسون العراقيون .

إن دارسي الرواية العراقية يشيرون إلى

* باحث من القطر العربي العراقي .

بدايات تراثية ذات طبيعة « مقامية » تؤرخ للرواية العراقية ، منها « مقامات. أبي الثناء الألوسي » الصادرة عام ١٨٥٦ ، وكذلك نص أحدث هو « الرواية الايقاظية » لسليمان فيضي الصادرة عام ١٩١٩ ، حيث يذهب أحد الدارسين إلى أن في « الرواية الايقاظية » ما يبرر وصلها بمقامة الألوسي في نواحي الروح والتفكير والمادة السجعية المتكلفة ، مع ملاحظة التوسع في اللون المحلي، واخضاع القصة لغرض الاصلاح الاجتماعي .

ومن جانب آخر ، هناك من يقرن نشوء الرواية العراقية بأعمال روائية أحدث ، تمتلك الكثير من ملامح الرواية الفنية ، ونعني بها أعمال محمود احمد السيد (١٩٠٣ - ١٩٣٧) وبشكل خاص أعماله الروائية المبكرة ، « في سبيل الزواج » ١٩٢١ ، و « مصير الضعفاء » ١٩٢٢ ، و « النكبات » ١٩٢٢ وأخيراً عمله الروائي الأنضج « جلال خالد » ١٩٢٨ . وكما نرى فإن وجه التشابه كبير جداً بين ظروف نشأة الرواية العربية في كل من مصر والعراق وسوريا ولبنان . لكن يجب الاعتراف هنا بأن الرواية العربية في مصر وسوريا ولبنان كانت السبّاقة قليلا في هذا المضمار ، وكان لها الفضل - إضافة إلى عوامل أخرى - في لفت أنظار الأدباء العراقيين إلى الجنس الروائي آنذاك .

علامات على الطريق

ولئن كانت أعمال محمود أحمد السيد الروائية المبكرة بسيطة وساذجة إلى حد ما ، وتعتمد بنية سردية تقليدية وتقريرية ، ويسود فيها الراوي الكلي فإن عمله الروائي « جلال خالد » الصادر عام ١٩٢٨ الذي كتبه قبل ذلك التاريخ بعام واحد على الأقل يشكل نقلة مهمة في حركة تأصيل هذا الجنس الأدبي الحديث .

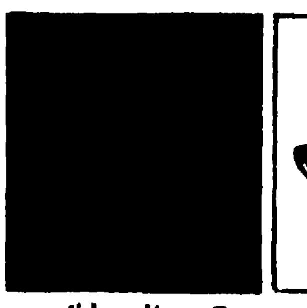
ولم يشهد العقدان الثاني والثالث من هذا القرن - فترة ما بين الحربين - إلاّ ظهور نماذج روائية محدودة لم تستطع أن ترتقي بالبناء الفني للرواية العراقية إلى مرتبة فنية متقدمة . فلا نكاد نجد إلى جانب محمود احمد السيد سوى قلة من الروائيين ، ربما يتقدمهم في الأهمية « ذو النون أيوب » الذي أصدر رواية « الدكتور ابراهيم » عام ١٩٣٩ ، وعبدالحق فاضل الذي أصدر رواية « مجنونان » في العام نفسه (١٩٣٩) وهذا لا ينفي ظهور أعمال روائية مختلفة لعدد من الأدباء العراقيين ، وإن لم تلفت النظر إلى أهميتها حينذاك .

ورواية « الدكتور ابراهيم » لذي النون أيوب من الروايات المهمة خلال هذه المرحلة . ومن المؤسف أن هذه الرواية لم تُنصَفْ من قبل النقّاد الدارسين ، ونُظِرَ إليها بالطريقة نفسها التي نظر فيها إلى أقاصيص أيوب ورواياته الأخرى . فالرواية تستند إلى بنية متقدمة نسبيا ، وان كانت تبدو في المظهر معتمدة على السيرة الذاتية ، والشكل الرسائلي في الصوغ الروائي .

وتتألق خلال هذه المرحلة أيضاً بخصوصيتها وشفافيتها رواية « مجنونان » لعبدالحق فاضل (١٩٣٩) التي ترتكز حبكتها على « لعبة » ذكية وبارعة ، وبشكل أكثر تحديداً « لعبة اختباء » يمارسها البطلان ؛ صادق شكري وهو كاتب وصحفي ومحام مشهور ، وصفية سعدى وهي كاتبة متحررة . وتعتمد الرواية أو تكاد على الحد الأقصى من صدمة التعرف في الدراما الارسطية إلا أن المؤلف لا يحاول الوصول إلى نتيجة سريعة ، يحسم فيها الموقف ، بل نراه أكثر ميلا للدوران والمواربة والافادة من تقنية « إبطاء الحديث » ، والمفارقة ، والتلغيز « البوليسي » أحياناً .

ومؤلف « مجنونان » ينجح إلى حد كبير في خلق لغة رشيقة ومشوقة وساخرة تختلف إلى حد كبير عن تلك اللغة المتجهمة « الجادة » التي


● غائب طعمه فرمان


● عبد المجيد لطفي



عرفناها سابقا في روايات « جلال خالد » و « الدكتور ابراهيم » وقبلها في « الرواية الايقاظية ». وفي الوقت الذي نجد فيه أن « مجنونان » كانت قد منحت الرواية العراقية - خلال فترة ما بين الحربين - دماً جديداً،وكشفت عن أفق جديد للتجربة الروائية ، فقد كانت هي الأخرى تعاني من بعض الأمراض الخطيرة التي لم تتخلص منها . فهي أولا مبنية بطريقة محكمة ، وتلعب فيها « المصادفة » دوراً كبيراً ، وتمتلىء بشخصيات خيالية لا يمكن أن تنتمي إلى واقع عراقي ملموس ، كما أن المؤلف غالبا ما يقتحم عالم الرواية والشخصيات باشارات وإيحاءات وعبارات تضعف من تلقائية التجربة الروائية .

وإذا ما افترضنا بعد هذا أن حركة الريادة في الرواية العراقية قد استطاعت في فترة ما بين الحربين أن تؤصل لهذا الجنس الأدبي الجديد ، وأن ترسي الدعائم التي سيقام عليها بالضرورة صرح روائي متين ، فان افتراضنا هذا سرعان ما سيتهاوى . إذ ظلت الرواية العراقية شبه غائبة خلال ما يقرب من عقدين من الزمن . وربما أدى قيام الحرب العالمية الثانية إلى إحداث خلل في النمو المتوقع - أفقيا وعموديا - للتجربة الروائية الوليدة . وهكذا لم تصدر خلال الأربعينيات إلا روايات محدودة وغير ذات أهمية كبيرة ، ومنها على سبيل المثال رواية « اليد والأرض والماء » لذي النون أيوب (١٩٤٨) ، ورواية جعفر الخليلي « في قرى الجن » (١٩٤٨)، ورواية عبدالله نيازي « نهاية حب » (١٩٤٩). كما لم تسهم الخمسينيات في نهوض الفن الروائي ، على الرغم من الازدهار الملحوظ للقصة القصيرة ، على يدي عبدالملك نوري وفؤاد التكرلي ، ولحركة الشعر الحر على أيدي بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبدالوهاب البياتي .

وجاءت الأعمال الروائية القليلة التي صدرت خلال هذا العقد امتداداً باهتاً لمرحلة سابقة في التقنية الروائية . ويمكن أن نذكر من روايات الخمسينيات « أناهيد » لعبدالله نيازي (١٩٥٣) و « شيخ القبيلة » لحمدي علي (١٩٥٢) و « أفول وشروق » لخالد الدرة (١٩٥٣) و « قصة من الجنوب » لمرتضى الشيخ حسين (١٩٥٣) و « الأخطبوط » لأنيس زكي حسن (١٩٥٩) ، والتائهة التافهة » لحازم مراد (١٩٥٨) « وسبي بابل » لعبدالمسيح بلايا (١٩٥٥) و « الخالة عطية » لأدمون صبري (١٩٥٨) وغيرها . ومن الملاحظ أن أغلب هذه الأعمال الروائية لم تترك أثرا واضحا في مسيرة الرواية العراقية .

تنويعات ناضجة في الستينيات

ويمكن القول أن الرواية العراقية لم تستطع حتى مطلع الستينيات أن تؤكد حضورها ، أو تفوقها فنيا ورؤيويا . وشهد النصف الثاني من الستينيات المخاض الابداعي الحقيقي للرواية العراقية ، حتى بات بالإمكان اعتبار الستينيات هي التاريخ الحقيقي لولادة الرواية الفنية الناضجة في الأدب العراقي الحديث . وعلينا أن نعترف أن الروائي الذي كان له الفضل الأكبر في توكيد هوية الرواية العراقية خلال هذه المرحلة لم



● برهان الخطيب ● عبد الرحمن مجيد الربيعي

يكن .روائيا ستينياً (بالمصطلح الفني الشائع - آنذاك)، وإنما كان قاصاً خمسينياً معروفاً ، ذلك هو القاص والروائي « غائب طعمة فرمان » الذي أصدر خلال الستينيات روايتين مهمتين هما « النخلة والجيران » (١٩٦٦) و « خمسة أصوات » (١٩٦٧) ، وقد استطاع هذا الروائي أن يرسي بفنه الروائي تقاليد راسخة للفن الواقعي في الرواية العراقية ، وأن يغني المكتبة الروائية العربية فيما بعد بمجموعة طيبة من الأعمال الروائية منها « المخاض » (١٩٧٤) و « القربان » (١٩٧٥) و « ظلال على النافذة » (١٩٧٩) وغيرها .

كما بدأ الجيل الشاب من كتاب الستينيات تجربته الأدبية الجريئة في ميدان الشعر والقصة والرواية ، فأغنى التجربة الروائية ببعض الأعمال ذات الطابع التجريبي ، منها رواية مخلوقات فاضل العزاوي الجميلة » لفاضل العزاوي (١٩٦٩) و « عراة في المتاهة » لمحمد عبدالمجيد ١٩٦٩ .

كما ظهرت في أوقات متفاوتة من الستينيات مجموعة من الأعمال التي تكشف عن عدد من الاتجاهات والتيارات المتباينة ، منها روايات « ضباب في الظهيرة » لبرهان الخطيب (١٩٦٨) و « رجلان على السلالم » لمنير مراد (١٩٦٨) و « الرجال تبكي بصمت » لعبدالمجيد لطفي (١٩٦٩) و « المدينة تحتضن الرجال » لموفق خضر (١٩٦٠) و « الزقاق المسدود » لياسين حسين ١٩٦٦ و « السجين » لأنيس زكي حسن (١٩٦١) و « الحب أقوى » لحازم مراد (١٩٦٧) و « الأيام المضيئة » (١٩٦١) و « الحقد الأسود » لشاكر خصباك (١٩٦٦) و « الظامئون » لعبدالرزاق المطلبي (١٩٦٧) وغيرها .


● فؤاد التكرلي


● عبد الخالق الركابي

ومن الملاحظ أن النزعة التجريبية التي تبناها الستينيون لم تتجذر في الرواية العراقية ، ولم تترك نماذج كثيرة وواضحة ، إذ سرعان ما عادت التقاليد الواقعية للتأصل في القصة العراقية منذ السبعينيات . وربما يمكن أن تعد رواية فاضل العزاوي « مخلوقات جميلة » نموذجاً للرواية التجريبية التي تفيد من تقنية روايات الخيال العلمي ، وتميل إلى خلق ما يمكن تسميته بالرواية الضد ، إلا أن هذه الرواية بدت موغلة في « الفنتازيا » والتغريب والرغبة في التدمير ، بحيث لم تستطع أن تترك بصماتها على التجربة الروائية ، بدليل أن مؤلفها نفسه عاد فيها بعد إلى لون من الرواية السياسية الواقعية في « القلعة الخامسة » (١٩٧٢). إلا أننا يجب أن نعترف أن التجربة الستينية قد نجحت في تجاوز الاطار التقليدي في البناء الروائي ، والتخلص من الأساليب البدائية والفوتوغرافية وتجديد اللغة الروائية ، والاهتمام بتعدد الأصوات والضمائر والحوارات والتخلص من بعض العناصر التي كانت تثقل الرواية ، وتؤدي إلى ترهلها واضطرابها . ويبدو أن تأثير الستينيات في مجال الرواية لم يتضح إلا في العقد السبعيني أولا ثم في الثمانينيات ، عندما بدأت بالظهور مجموعة من الأعمال الروائية الناضجة منها روايات عبد الرحمن الربيعي ، ويوسف الصائغ ، وجهاد مجيد ، وأحمد خلف ، ونجيب المانع ، وسميرة المانع ، وعبد الرزاق المطلبي ، وعبد الأمير معلة ، وعزيز السيد جاسم ، وشمران الياسري ، وعبد الخالق الركابي وغيرهم .

رواية الحرب

كما صدرت خلال سنوات الحرب الثمانية عشرات من الروايات التي سجلت جوانب مهمة من الحرب ، وشكلت مكتبة كاملة جديدة بالدراسة والتقييم .

ويمكن للباحث أن يكتشف بسهولة أن سنوات الحرب قد أسهمت في خلق جيل روائي جديد من الأدباء الشبان، لم يسبق له الكتابة قبل هذا التاريخ، وهو أمر سيكون له بالتأكيد، تأثيره الايجابي على الرواية العراقية مستقبلا، خاصة إذا ما حاول هذا الجيل تجنب عناصر الضعف والقوة المتمثلة في التسرع والافتعال، وضعف العناية بالجوانب التقنية والبنائية في مقابل اهتمام خاص بالمضامين والدوافع الفكرية والتعبوية والسياسية.

وبعد: هل برر الروائي العراقي الثقة بمسيرة سبعة عقود على الأقل من عمر التجربة الروائية؟



وهل يقف اليوم بثقة أكبر وهو يستشرف رفاق العقد الأخير من الألف الثاني للميلاد؟ في اعتقادي أن الروائي العراقي اليوم يتحمل مسؤولية خاصة ودقيقة. فهو ابن تراث روائي متنوع وشامل وغزير، وهو اضافة الى ذلك يمتلك خبرة الرواية العربية والعالمية بكل تنوعاتها وتجاربها، ولم يعد ذلك الطفل الذي يحبو. فلقد تجاوز مرحلة الطفولة والمراهقة، وأصبح ممتلكا لناصية اللغة والتقنية والخبرة والرؤيا، وامتحنته الحياة امتحاناً قاسيا. ولذا فنحن نتطلع إليه بثقة أكبر، وكلنا تفاؤل بأن انجازاته القادمة تشكل إضافة نوعية خاصة للرواية العربية التي تمتلك الكثير من ملامح الابتكار والتجديد والتجريب. وما يدفعنا إلى هذا التفاؤل هو النضج الملموس لتجربة القصة القصيرة خلال الأعوام القليلة الماضية، وتمرس القاص العربي بآليات السرد القصصي والروائي بطريقة تنم عن نضج ووعي واجتهاد. والروائي العراقي مطالب اليوم بتوظيف خبراته هذه في خلق منحى روائي جديد عن طريق فهم أعمق لدلالة التجربة الروائية نفسها، واتصالها العميق بالصراعات الاجتماعية والثقافية في المجتمع، والتوغل عميقاً في مواجهة البنية الاشكالية للمجتمع والانسان، بعيداً عن الدوران في حلقة الهموم الاصطناعية الملفقة التي لا يمكن لها أن تخلق فناً عميقاً وأصيلاً.

فالتجربة الروائية الكبيرة هي تلك التجربة التي تكشف عن الموقف الاشكالي للإنسان إزاء الواقع، وتومىء إلى رؤيا مبدعها وامتلاكه لقضية انسانية واجتماعية محددة.

فهل يا ترى سيبرر الروائي العراقي هذه الثقة، وهذا التفاؤل؟ هذا ما ستكشف عنه الصفحة الأخيرة من صفحات هذا العقد الرائع. □



صدر العدد الجديد من:
العربي الصغير
مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي
يونيو
١٩٩٠
رئيس التحرير: د. محمد الرميحي
يشترك في تحريرها مع الفتيان والفتيات العرب
نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين.
في هذا العدد:
نجيب محفوظ ـ مسلسل تاريخي.
جحا يبحث عن قصة ـ موضوع محلي.
تحقيق عن عالم الثعالب.
سوزان والمدرسة ـ
قصة عالمية.
صغار في محطة قطار "استطلاع".
توتة وكيكو وزيكو.
اللؤلؤ ـ أصل
الحكاية.
إضافة إلى الأبواب الثابتة:
● إسلاميات.
● كمبيوتر.
● ٨ صفحات لأخيك
الصغير وأختك الصغيرة.



قضـــــية

بقلم : الدكتور علي الوردي

لم تزل الطبيعة البشرية تثير من الاختلاف أكثر مما تثير من الاتفاق . وتعددت المدارس والاجتهادات في محاولة للتعريف بها ، وتحديد مفاتيح لها .

وهذه خلاصة رأي حول طبيعة البشر ، لواحد من شيوخ علماء الاجتماع العرب ، في محاولة لوضع إطار وتصور عام لطبيعة البشر .

هل الإنسان مسير في حياته أو مخير ؟ إن هذا السؤال الذي شغل أذهان المفكرين قديما مازال يشغلها حتى الآن . وقد تمكن العلم اليوم من الجواب عن بعض جوانب هذا السؤال ، ولاندري ما سوف يأتي به العلم غدا .

لقد تبين اليوم علميا أن الإنسان يخضع في تفكيره وسلوكه وتكوين شخصيته ، لقوانين تشبه قوانين الطبيعة من بعض الوجوه ، وهي التي نسميها « نواميس بشرية » .

لكن هناك فرقا بين القوانين الطبيعية والنواميس البشرية ، وهو أن الأولى تجري على وتيرة واحدة ، لاشذوذ فيها ، كما ليس فيها تفاوت بين حالة وأخرى ، أما النواميس البشرية فالأفراد يختلفون في درجة خضوعهم لها ، أو تأثرهم بها قليلا أو كثيرا ، ومنهم من لايتأثر بها على الإطلاق ، وهناك نماذج متعددة من النواميس البشرية أورد بعضها ، كي تكون موضوعا للمناقشة والنقد على الأقل .

نواميس وأنماط

إن الانسان الذي ينشأ منذ طفولته في بيئة اجتماعية معزولة يخضع لتنويم نسميه « التنويم الاجتماعي » ، وإذا بقي الانسان في كبره ، قابعا في تلك البيئة المعزولة ، لايعرف غيرها ، فإن التنويم الاجتماعي يظل مسيطرا على عقله ، وهو لايكاد يتصل ببيئات أخرى حتى يبدأ التنويم بالانقشاع عنه قليلا أو كثيرا ، تبعا لما لديه من ذكاء وسعة في الاطلاع .

وعندما يكون التنويم الاجتماعي شديدا في

الإنسان يجعله مؤمنا كل الإيمان بصحة التراثية التي نشأ عليها ، ويعدها أفضل التراثيات في العالم . ونعني بالتراتية ما يسمى في علم الاجتماع « ثقافة » ؛ أي مجموعة المعتقدات والأعراف والتقاليد والقيم السائدة في مجتمع ما ، فالإنسان تحت تأثير التنويم الاجتماعي ينظر في الأمور من خلال التراثة التي نشأ عليها ، ويعدها معيارا للمعتقدات الصحيحة والأخلاق الفاضلة . وهو يعجب حين يسمع عن معتقدات أو أخلاق مختلفة في تراثية أخرى ، إنه لايدري أنه لو كان قد نشأ في تلك التراثية الأخرى لصار مثل غيره من الناس الذين نشأوا عليها

ولذلك فإن كل دعوة اصلاحيه أو تقدمة جديدة لابد أن يقاومها أكثر أفراد المجتمع الذي تظهر الدعوة فيه ، وذلك من جراء التنويم الاجتماعي المسيطر على عقولهم . وكلما كان المجتمع أكثر انعزالا وانغلاقا كانت المقاومه للدعوة الجديدة فيه أشد .

الأنا محور الشخصية

الأنوية محور الشخصية البشرية ، ونعني بها : شعور الانسان« بالأنا » وسعيه المتواصل لرفع مكانتها في نظر الاخرين ، وكسب تقديرهم . والإنسان لايقف عند حد في سعيه هذا ، ، فهو كلما نال مكانة عالية طمح الى مكانة أعلى منها . وهذا هو الذي جعل الانسان راكضا لاهثا طوال حياته ، الى أن يدركه الموت ، فيستريح ويريح . والأنوية في الانسان تجعله يكره أي قرين له يصل إلى المكانة التي كان هو يطمح إليها ، فهو يعده منافسا له في نيل تقدير الناس . وهذا هو ما يسمى « الحسد » ، وهو موجود في كل إنسان ، إنما هو يختلف شدة وضعفا في الأفراد ، تبعا لاختلاف تكوين الشخصية لكل فرد . والذي لاجدال فيه أنه لايمكن أن يتماثل اثنان في تكوين شخصيتيهما إلا نادرا ، فشخصية كل انسان هي حصيلة التفاعل بين مجموعتين من العوامل ، هما عوامل الوراثة وعوامل المحيط الاجتماعي ، وليس في مقدور الانسان أن يصنع شخصيته كما يريد إلا ضمن نطاق محدود .

التقوقع على الذات

الانسان يأخذ صورة عن نفسه أفضل مما هي عليه حقيقتها قليلا أو كثيرا ، فهو يبالغ في ذكر محاسنه وينسى مساوئه ، وهو يفعل العكس من ذلك تجاه خصومه ومنافسيه ، وهذا هو ما يسمى « التقوقع الأنوي » ، وهو كالحسد الذي يختلف في الأفراد شدة وضعفا ، تبعا لاختلاف تكوين الشخصية .

والتقوقع الأنوي قد يكون في احد الأفراد شديدا أكثر مما ينبغي له ، وهذا هو ما يسمى « النرجسية » ، أو « جنون العظمة » وإذا كان المصاب بهذا الداء ذا مكانة منخفضة في المجتمع ، صار موضع سخرية الناس وتندرهم ، أما إذا كان ذا نفوذ ومكانة عالية فإن المتزلفين والمنافقين يحفون به ويدفعونه إلى ما لا تحمد عقباه .

كما أن المجاملات التي اعتاد الناس عليها في حياتهم تؤدي إلى تضخيم التقوقع الأنوي في الأفراد قليلا أو كثيرا ، فهي تجعل الفرد يسمع ما يقول الناس عنه من مديح في حضوره ، بينما هو لايدري ما يقولون عنه من ذم في غيابه . ولكن المجاملات مع ذلك لها وظيفتها في الحياة الاجتماعية ، فلو عرف الانسان كل ما يقول الناس عنه لضاعت المقاييس لديه ، ولما تمكن من القيام بدوره في الحياة .

وقد جرت سنة الحياة أن الانسان لايقتنع بنصيبه من هذه الدنيا أو يسعد به الا نادرا ، لأن التقوقع الأنوي لديه يجعله معتقدا بأنه نال نصيبا من الدنيا أقل من نصيب الذين هم أقل شأنا منه ، وهو بالإضافة الى ذلك ينسى النعم التي

حصل عليها في الحياة ، بينما يركز نظره على النعم التي حصل عليها غيره .

مسرح حيّ

والحياة الاجتماعية تشبه التمثيلية في بعض الوجوه ، فكل فرد مكلف بدور فيها ، وهو يحاول إتقان القيام بدوره ، بغية الحصول على إعجاب الآخرين أو تصفيقهم ، ولكن الحياة الاجتماعية تختلف عن التمثيلية بأن الفرد فيها ممثل ومتفرج في آن واحد .

وتلعب القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع دورا مهما ، فهي التي تعين الأدوار للأفراد فيه ، والأهداف التي يطمحون إليها . ونعني بالقيم الاجتماعية : تلك الأعراف التي يجري تقدير الفرد بها . ومن الممكن قياس المستوى الحضاري في أي مجتمع بنوع الأشخاص الذين ينالون المكانة الرفيعة فيه .

والمواعظ المثالية التي هي مخالفة للقيم الاجتماعية السائدة في المجتمع لاتؤثر إلا في القليل من الناس ، فإن أكثر الناس يظلون متمسكين بالقيم الاجتماعيه في سلوكهم ، على الرغم من المواعظ التي تلقى عليهم ، ومنهم من يصاب بازدواج الشخصية ، إذ هو يجري في أعماله تبعا للقيم السائدة ، بينما هو في أقواله ووعظي مثالي .



القدرة على التوازن

إن الفرد الذي يوصف « بالعقل » عادة هو الذي يملك المقدرة على الانسجام مع القيم الاجتماعية السائدة في مجتمعه ، أما الذي يوصف « بالجنون » فهو الذي يندفع مع دوافعه اللاشعورية ، ورغباته المكبوتة ، دون اهتمام بالناس حوله وما يقولون عنه . والواقع أن كل إنسان لايخلو من شيء من الجنون ، قليلا أو كثيرا ، فالعاقل الكامل لاوجود له بين البشر . أما الحد الذي يفصل بين العاقل والمجنون فهو أمر اعتباري نسبي ، يختلف باختلاف المجتمعات وقيمها الاجتماعية .

وكل انسان يفكر بشكل يختلف عن الاخر ، قليلا أو كثيرا ، ولا يمكن أن يتشابه اثنان في تفكيرهما تشابها تاما ، فهناك عدة عوامل لاشعورية ، تؤثر في تفكير الانسان من حيث لايدري كقوة التنويم الاجتماعي فيه ، وتقوقعه الأنوي ، ومصالحه الخاصة ، وعواطفه وتجاربه المنسية ، ورغباته المكبوتة ، ودرجة ذكائه ، وسعة ثقافته واطلاعه فهذه العوامل لابد أن تختلف بقوة تأثيرها أو باتجاهها بين الفرد والآخر . والثابت من خلال المشاهدة والعلم أن الدليل العقلي لايؤثر في اقناع الانسان إلا إذا كان منسجما مع العوامل اللاشعورية لديه أو بعضها . وكلما كان انسجام الدليل مع تلك العوامل أكبر كان تأثيره في الاقناع اقوى . ولايمكن أن يكون هناك دليل قوي واضح ، أو على درجة واحدة من الوضوح ، في نظر الناس جميعا .

ومن هنا فإن شهادتي اثنين عن حادثة من الحوادث لايمكن أن تكونا متطابقتين ، فإن العوامل اللاشعورية لدى كل واحد منهما تجعله يأخذ صورة عنها ، تختلف قليلا أو كثيرا عن الصورة التي يأخذها الاخر ، وهو قد يرى من الحادثة نطاقا أو جوانب لايراها الآخر . أو

لايراها بالوضوح نفسه . وهذا ينطبق على ناقل الخبر الى حد ما .

رضا البشر غاية لاتدرك

ولا يمكن أن يظهر في الدنيا شخص أو نظام يرضى عنه الناس جميعا ، فالذي ترضى عنه فئة منهم قد تسخط عليه فئة أخرى . وهذا هو ما أدركته الديمقراطية الحديثة ، إذ هي أقامت حكمها على تصويت الأكثرية من الناس ، علما بأن هذه الأكثرية تغير رأيها بين حين وآخر .

فالتنازع بين البشر أمر محتم لاخلاص منه ، إذ أن تضارب المصالح والعواطف بين البشر ، علاوة على وجود الاختلاف في نمط تفكيرهم ، والتقوقع الأنوي لديهم ، لابد أن يؤدي إلى اثارة التنازع بينهم على وجه من الوجوه . إن معيار التقدم الحضاري في البشر ليس بالغاء التنازع بينهم ، بل بإيجاد الوسيلة العملية لحل التنازع سلميا .

وعند التنازع فإن العقل لايصلح أن يكون حكما بين الناس لحل هذا التنازع ، فكل فريق من المتنازعين حين يحتكم الى عقله ، يتصور أن الحق معه ، وأن الباطل مع خصمه ، ولايمكن حل التنازع بين الخصمين سلميا إلا عن طريق فريق ثالث ، يقبلان بحكمه أو هو قادر على فرض حكمه عليهما بالقوة .

وهناك ثلاث وسائل عملية ، تمكن البشر من التوصل اليها لحل التنازع بينهم ، هي المحكمة القضائية لحل التنازع الشخصي ، والنظام الديمقراطي لحل التنازع السياسي ، والمنهج الاستقرائي لحل التنازع العلمي . وهناك نوع رابع من التنازع لم يتوصل البشر الى وسيلة عملية لحله حتى الآن ، هو التنازع الدولي الذي يتمثل في الحروب . ولاندري متى سوف يتوصلون إليه .□



التعليم الجامعي ولغتنا العربية

تعقيبا على مقال التعليم الجامعي ولغتنا العربية المنشور بعدد العربي ٣٧٣ ديسمبر (كانون أول) ١٩٨٩ للدكتور سعد واصف ، وما ساقه من مبررات ، فإنني أود أن أتعرض بقدر من التفصيل لنقطتين بالغتي الأهمية . فمن المعروف أن استيعاب الطالب للمادة الدراسية يتأثر بكثير من العوامل ذات الصلة بالمعلم والمتعلم ، وبكل التسهيلات المتوافرة في المواقف التعليمية ، وعلى رأسها اللغة المستخدمة وسيلة للاتصال بين المعلم والمتعلم . ويحقق الاتصال الكفء ـ كما يقول « بياجيه » ـ المزيد من نشاط التعلم وفاعليته .

وحتى يبلغ هذا الاتصال ذروة فاعليته ، فلابد من أن تكون اللغة المستخدمة في إيصال المعلومة مفهومة لدى الطالب أولا ، وطيعة للسان المعلم ثانيا . فإلى أي مدى يمكننا إسقاط مثل هذه الحقيقة على عملية التعليم في كلياتنا العلمية ومعاهدنا العليا ، إذا علمنا أن معظم هذه الكليات والمعاهد لاتعتمد اللغة العربية لغة اتصال تعليمية ؟

قبل أن نسترسل في مداخلتنا هذه ، ودفعا لتهمة التعصب الأعمى للغتنا العربية ، نود أن نسوق نتائج دراستين ميدانيتين ، تدور محاورهما حول أثر اللغة الأم وهي لغة اتصال تعليمية في رفع مستوى التحصيل « الأكاديمي » الجامعي عند الطالب ، وزيادة قابليته للإنجاز . ولندع الكلام للأرقام ، فهي أقدر على البيان ، وأكثر حسما لقضية كثر حولها الجدل ومايزال .

أجريت الدراسة الأولى في الجامعة الأمريكية في بيروت ، وفيها تم اختيار عينتين عشوائيتين من طلاب كلية الطب . ألقيت على الأولى مادة دراسية باللغة الانكليزية ، وعلى الثانية المادة نفسها باللغة العربية ، فكانت النتائج حسب الآتي :

ـ بلغ استيعاب المجموعة الأولى ٦٠٪ من المادة التعليمية المسموعة .

ـ بلغ استيعاب المجموعة الثانية ٧٦٪ من المادة نفسها ، أي بفارق قدره ١٦٪ .

وأعيدت التجربة لتعيين نسبة استيعاب المادة المقروءة ، فكانت نتائجها مقاربة لنتائج التجربة الأولى .

وأجريت الدراسة الثانية في كلية العلوم بجامعة الكويت ، وأفادت نتائجها بما يلي :

ـ أجمع ٨٣٪ من عينة أعضاء هيئة التدريس العرب بالكلية ، و٨٤٪ من عينة الطلاب ، على أنهم يواجهون صعوبات حقيقية ، سواء في تدريس المادة باللغة الانكليزية ، أو باستيعاب الطلاب لها .

ـ أفاد معظم من جرى استبيان رأيهم ، من أعضاء هيئة التدريس من غير العرب ، بأن الطلاب يعانون مشكلات في اللغة المستخدمة للتدريس ، سواء منها مايتعلق بالقدرة على الكتابة الصحيحة ، أو التعامل الشفوي ، أو القدرة على تلخيص مايدور في المحاضرة ، وهذا يرجع ، برأيهم ، إلى أن الطلاب يفكرون بالعربية .

إذن فمسألة الاستيعاب مسألة ذات شقين ، يتعلق أولهما بالمحاضر ، ويتعلق ثانيهما بالطالب ، وبصرف النظر عن العوامل الأخرى التي تزيد فاعلية هذا الاستيعاب ، نجد أنفسنا مركزين على دور اللغة المستخدمة وسيلة اتصال تعليمية ، مسلطين الضوء على بعض المشكلات النابعة من استخدام اللغة الأجنبية لغة تعليم ، والتي يشترك في المعاناة منها الطالب والمدرس على حد سواء .

هموم الطلاب

١ ـ يعاني معظم طلاب الكليات العلمية من ضعف مستوطن في اللغة الثانية التي سبق لهم أن تلقوا مبادئها في الصفوف الإعدادية والثانوية ، ولذلك فهم يصلون إلى المرحلة الجامعية بخلفية لغوية متدنية ، الأمر الذي يعيق تفاعلهم مع المادة العلمية الجامعية حين تقدم لهم بهذه اللغة .

٢ ـ يبذل الطالب الجامعي الذي يتلقى دروسه بغير لغته الأم مجهودين لفهم المادة الدراسية : مجهودا لفهم الألفاظ التي سيقت بها هذه المادة ، ومجهودا آخر لفهم المضمون . وربما لايؤثر مثل هذا الجهد المضاعف على دافع التعلم عند الصفوة من الطلاب ، لكنه ذو أثر في تثبيط هذا الدافع عند السواد الأعظم منهم .

٣ ـ يتميز الطالب الذي يتمكن من فك رموز الرسائل العلمية التي يبعثها المدرس ، بقدرة أكبر على الاستيعاب . وتلعب لكنة المدرس (مخارج الحروف) ، وسرعة إلقائه دورا متميزا بهذا الخصوص . ويبرز أثر هذين العاملين (اللكنة ، والسرعة) جليا إذا كان المستمعون غير ناطقين باللغة المستخدمة للتدريس .

للمعلم

١ ـ معظم أساتذة الكليات العلمية تلقوا علومهم العالية في جامعات أجنبية ، لاتشترك بالضرورة بلغة تعليمية واحدة . ولسوف يعاني

هؤلاء من صعوبات لاتقل عن صعوبات طلابهم عندما يحاضرون بلغة أجنبية ، غير اللغة التي تلقوا بها علومهم في الخارج .

٢ ـ قد يلجأ المحاضر العربي إلى الجمع بين اللغة الأجنبية والعربية في محاولة لإجلاء فكرة علمية تدق على فهم الطالب ، ومثل هذا التيسير ينأى عن المحاضر الأجنبي الذي لايجيد التعبير بالعربية .

٣ ـ هناك حاجز وهمي من الخوف ، أقامه بعض الأساتذة العرب أمام تدريس العلوم باللغة العربية ، وهم يرون في اللغة العربية قصورا في التعبير عن جزيئات العلم ومصطلحاته ، أو صعوبة في نحوها وصرفها ، أو عدم مرونتها ومطاوعتها . ووجهة نظرهم هذه ناجمة ، في أغلب الأحوال ، عن اغترابهم الطويل عنها . وعلى كل حال ، فلقد أثبتت الممارسة العلمية ، والنتائج المستقاة من تدريس العلوم بالعربية ، خطل مثل هذه التصورات .

٤ ـ يتصور بعض الأساتذة أن تدريس العلوم بالعربية يعني إهمال اللغة الأجنبية ، مع اعترافهم المسبق بجدوى التدريس باللغة الأم . ومثل هذا الأمر يمكن معالجته عن طريق التركيز على اللغة الأجنبية خلال المرحلة الجامعية ، وعدها مقررا لابد من إتقانه قبل الارتقاء من سنة دراسية إلى أخرى .

٥ ـ يرى بعضهم أيضا أن التدريس بالعربية يحرم الطالب من الرجوع إلى المراجع الأجنبية ، ومع تقديرنا لهذا السبب الذي يبدو من الناحية النظرية أمرا غاية في الأهمية ، إلا أن واقع الحال غير ذلك تماما ، فلقد جرت العادة أن يعتمد الطلاب في دراستهم الجامعية الأولى على « أمليات أو مستخلصات » أعدها الأساتذة أو معاونوهم ، ومن النادر أن تتاح للطالب فرصة للاطلاع على مرجع أجنبي ، وإذا ما أتيحت له مثل هذه الفرصة فلسوف يجد نفسه تائها بين صفحاته ، ويخرج في النهاية بحصيلة علمية أقل بكثير من الجهد الذي بذله في البحث وفك رموز المادة المرجعية . إلا أن هذا لايعني أن تبخس المراجع دورها في تأهيل الطالب ، خصوصا في المراحل الجامعية العليا (ماجستير ، دكتوراة) ، لكننا نقترح أن تواكب عملية التدريس بالعربية حركة ترجمة وتعريب واسعة النطاق ، تتناول معظم الكتب المنهجية والمرجعية ، مع الاستمرار في تأهيل الطالب باللغة الأجنبية خلال المرحلة الجامعية الأولى . حتى يصبح بمقدوره متابعة دراساته العليا ، معتمدا على أرضية علمية متينة ، أمنتها له دراسته الجامعية الأولى ، باللغة العربية ، مطورا نفسه فيما بعد ، معتمدا على مراجع أجنبية ، لايلاقي في قراءتها الصعوبة عينها التي لاقاها في المرحلة الجامعية الأولى ، فلديه الآن مقدرة لغوية متقدمة ، وخلفية علمية متينة ، وفسحة من الوقت .

من كل ماتقدم ، يتضح لنا الدور التربوي الكبير الذي تلعبه اللغة الأم ، وهي لغة اتصال تعليمية ، في رفع مستوى استيعاب الطالب ، وزيادة قابليته للإنجاز ، وليس من باب التعصب الأعمى أن نقول :

إن التعليم العالي بالعربية ، أمر أساس في توطين العلم ، وتمثله ، تمهيدا للإبداع فيه . □

الدكتور زهير عبد الوهاب
مدير المعهد الطبي التقني ـ دير الزور ـ سوريا

● ماتعاظم أحد على من دونه إلا بقدر ماتصاغر لمن فوقه

«أبو حيان التوحيدي»



الجديد في العلم والطب

إعداد : يوسف زعبلاوي

أسلوب علمي جديد للتثبت من الحمل

● «ترى هل أنا حامل ؟!» هذا هو السؤال الذي تطرحه الزوجة ، كل زوجة ، لاسيما العروس ، في وقت أو في آخر . وهو السؤال الذي تتلمس الإجابة عنه بإحدى الطرق التقليدية ، كطريقة فحص الأرانب المعروفة ، أو طريقة فحص البطيخ المنتشرة في بلاد أخرى غير بلادنا ، وقوام هذه الطريقة:البطيخ المعصور ، تضيف إليه الزوجة قليلا من حليب الثدي من أم مرضعة ، على أن تكون أما لصبي ذكر ، ثم تشرب المزيج ، فإن مرضت أو أصابها مغص معوي فإنها حامل ، وإلا فإنها ليست حاملا أو أن حملها كاذب ، وليس هنا مجال للتحدث عن طرق تحري الحمل ، وهي كلها بدائية كما لايخفى ، ولا يمكن الاعتماد على نتائجها التي قد تصيب وغالبا ماتخطيء ، لأنها لاتقوم على أساس علمي .

كان ذلك في الأمس القريب ، وقبل أن ينجح العلماء في تطوير أسلوب جديد في تحري الحمل ، يقوم على أسس علمية ، ويضمن للزوجة الإجابة عن سؤالها السالف الذكر والحصول على الرد الصحيح الأكيد الذي لاتقل نسبة صحته عن ٩٩٪ .

وقوام الأسلوب الجديد أداة كالقلم الذي نكتب به ، وبحجم القلم نفسه ، تضعها الزوجة في مجرى البول في أثناء التبول الأول في الصباح مدة ثوان خمس فحسب ، ثم ترفع القلم وتمضي في مراقبته نحو ثلاث دقائق ، وتراقب بخاصة الفتحتين (أو النافذتين) الموجودتين على سطحه ، فان ظهر الخط الأزرق على إحدى النافذتين - الكبرى منها على الأخص - فإن هذه المرأة حامل ، أما إن ظهر الخط الأزرق الثاني الذي قد يظهر على النافذة الأخرى الصغرى فالقصد منه التطمين ، فإن ظهوره دليل على أن الطريقة التي أجرى بها الفحص سليمة ولا خطأ فيها ، وأن النتيجة التي حصلت عليها الزوجة سليمة أيضا ، ويمكن الاعتماد عليها .

وتسأل : لم الشرط بإجراء هذا الفحص عند أول تبول في الصباح الباكر ؟!

والجواب : لأن هرمون الحمل ، واسمه : Hamanm Chorionic gonadotropin ، يكون أكثر تكثيفا في التبول الأول .

وتسأل ثانية : كيف يتم ذلك ؟

والجواب : بالإفادة من فعل الأجسام المضادة الأحادية القدرة على

التناسل monochonal ، والفعل الشعري Capillary action .

وذلك أن البول يصعد إلى أعلى القلم لدى تشبع رأسه به ، ويمر عبر فتيلة ماصة ، مصنوعة من السليولوز . ويتفاعل البول أولا مع أجسام مضادة ، ويتفاعل ثانية مع جسم مضاد آخر معد لالتقاط اللون الأزرق ، ويترتب على هذا وذلك في حالة وجود هرمون الحمل ظهور الخط الأزرق على النافذة الكبرى .

ثم يمضي البول إلى جسم مضاد آخر . معد للتأكد من الضبط ، فيصبح أزرق اللون في الحالة التي تكون فيها الفتيلة مشبعة بالبول ، وهذا هو الشرط الأساسي لسلامة الفحص .

ويمتاز هذا الأسلوب الجديد بفاعليته حتى في المراحل الأولى من الحمل ، بل قل في أول يوم يعقب توقف العادة الشهرية . ويمتاز أيضا بعدم غلائه (٩-١٤ دولاراً). لاعجب إذن إن انتشر القلم الجديد في أسواق أوربا واستراليا ونيوزيلندة وأمريكا الشمالية . أما اليابان وأمريكا اللاتينية فالمفروض أن يكون قد انتشر في أسواقها قبل بداية ١٩٩٠ م .

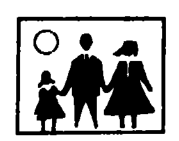
□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

هرمون النمو:



يؤخذ هرمون النمو حقنا بالجسم ، وذلك للتعويض عن النقص في إفراز الهرمون فيه الذي قد يؤدي الى قصر الطفل نسبة إلى عمره ، وعندئذ تكون حقن هرمون النمو علاجاً ناجعاً .

أما الصورة فلا علاقة لها بهرمون النمو ، وإن كان يظهر فيها أطول رجل في العالم (سنة ١٩٨٨) ، وهو من موزمبيق ، ويبلغ طوله ٢٦٥ سم ووزنه ١٨٩,٦ كيلو غراماً ، وطول هذا العملاق لا صلة له بحقن هرمون النمو .



سلامة البشرية في سلامة البيئة



صخر خزفي من النفايات

كانت النفايات الصلبة ومازالت في طليعة المشاكل البيئية المستعصية ، وقد عمدوا إلى طمرها في باطن الأرض ، في الدول المتقدمة ، فيما يعرف بالعبوات الأرضية ، لكن طمرها على هذا النحو لايحل المشكلة ، فقد أوشكت هذه العبوات على الامتلاء . وستبلغ أقصى طاقاتها في التسعينيات ، في الولايات المتحدة على الاقل ، ثم إن بعضها يسمح بتسرب بعض المحتويات إلى خارج العبوة ، بحيث تتعرض المياه الجوفية القريبة إلى التلوث

وعمد آخرون إلى حرق تلك النفايات في مواقد أو محارق خاصة ، وهذا الأسلوب كفيل بخلق مشاكل بيئية ، لعلها أخطر من المشكلة التي تحلها ، فهو يولد كميات لايستهان بها من الرماد السام في كثير من الأحيان .

من هنا كانت الطريقة الجديدة التي ابتكرها العلماء الاستراليون للتخلص من النفايات موضع ترحيب كبير ، وحسبك أنها تستهدف الإفادة من النفايات ، لا التخلص منها ، وذلك بخلطها بالطين ، لتصبح خامة هامدة خفيفة الوزن ، أو صخرا خزفيا يصلح لصنع الطوب الاسمنتي الذي يناسب أغراض البناء ، وقد أثبتت التجارب العلمية لياقة هذا الصخر الخزفي لأعمال الإنشاء والتعمير ، كما أثبتت الدراسات البيئية المتخصصة خلوه من السموم .

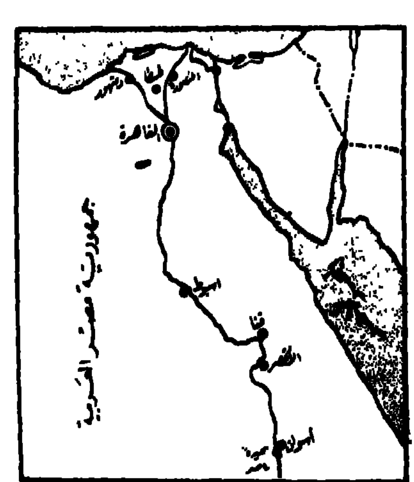
أضف إلى ذلك تحويل النفايات إلى صخور خزفية ، وهو يقوم على تقنية صناعية تعتمد على الحرارة ، فيولّد الطاقة التي يمكن تحويلها إلى بخار أو كهرباء ، تعود بالفوائد الكبيرة على المجمعات السكنية ، هذا إلى جانب المنتج الجانبي الذي تتيحه هذه الطريقة ، وهو خردة معدنية تدخل في أعمال البناء أيضا .

وتسمي الشركة الاسترالية طريقتها هذه (نيوتر اليسيس) ، وتعتمد فيها أكثر على الحرارة ، وحرق النفايات على أربع مراحل ، تضمن طرد الغازات الطيارة منها أولا ، وأكسدتها ثانيا ، وتزجيجها ثالثا ، ثم تقسيتها لتصبح صخرا خزفيا خفيف الوزن ، على أن مايسبق عملية الحرق هذه هو أن النفايات الصلبة تخلط بنفايات أخرى سائلة ، لتصبح خليطا من « الطفال » والماء ، ثم يحول الخليط إلى حبيبات أو كريات صغيرة بواسطة آلات خاصة بذلك .

والصخر الخزفي هو المنتجْ الأخير الذي تصنعه الشركة الاسترالية ، والذي تبيعه لشركات أخرى ، تعمل على تحويله إلى لبن (طوب) للبناء ، وذلك بخلطه بالماء والاسمنت بنسب محددة .

□□□





● صورة بحيرة ناصر ، قرب أسوان ، التقطتها أجهزة الأقمار الصناعية ، لاحظ الدّقة والوضوح اللذين تظهر فيهما التضاريس ، هذا على الرغم من العلو الشاهق الذي التقطت منه الصورة . لاعجب إذن إن بادرت وكالة الفضاء الأمريكيّة (ناسا) إلى الاضطلاع بأعباء مشروعات بيئية عملاقة .



شجرة الزيتون شجرة مباركة كريمة ، ورد ذكرها في القرآن الكريم ، عرفها الإنسان منذ فجر التاريخ ، واستفاد من ثمارها وزيتها وأخشابها فائدة كبيرة ، موطنها حوض البحر الأبيض المتوسط ذو الاعتدال والدفء ، وبالإضافة إلى أنها شجرة مباركة كريمة فهي شجرة صابرة ، تتحمل العطش والجفاف فترة من الزمن قد تطول ، كما أن زراعتها تنجح في جميع الأراضي ، لذلك أصبحت بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط تنتج معظم محصول الزيتون العالمي .

الزيتون

لموسم جني محصول الزيتون في تونس الخضراء مذاقه الخاص ، فهو أشبه بحفل عرس ممتد ، يبدأ من منتصف نوفمبر ، فتنشط الحركة والحياة في غابات الزيتون ، وتتوجه الفتيات إلى الحقول في ملابسهن التقليدية بألوانها الزاهية على عربات تجرها الخيول أو في شاحنات مرددات الأهازيج والأغاني التي تمتلىء معانيها بالدفء والتفاؤل والدعاء بان يكون المحصول وفيرا مباركاً .

وفي غابات أشجار الزيتون ، ينقسم العمال إلى مجموعات عمل ، كل مجموعة من عشرة أشخاص ، بين رجل وامرأة ، يقوم الرجال بركوب سلالم مزدوجة ، واضعين في أصابعهم الثلاثة الوسطى ما يسمى « الصوانع » ، وهي تساعدهم على إسقاط ثمر الزيتون من الأشجار

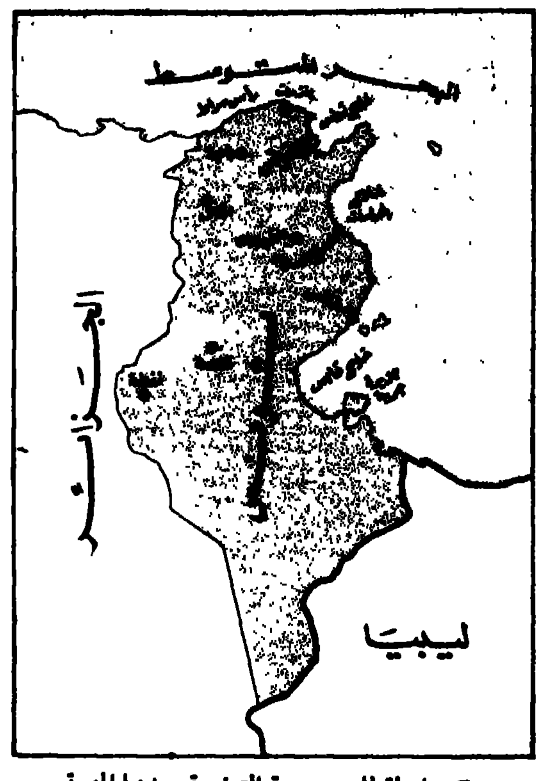
أما النساء فيقمن بجمع الزيتون المتساقط على قطعة من القماش في سلال معدة لهذا الغرض .

وما أن ينتهي موسم القطف ، في منتصف شهر مارس ، حتى تبدأ الأفراح والأعراس ، فبين أشجار الزيتون يتعارف الفتيان والفتيات ، وببيع المحصول تمتلىء الجيوب بالأموال اللازمة لمهور الفتيات وتأثيث المنازل .

وللزيتون في تونس قصة أخرى .

الجفاف

اشتهرت تونس التي شددنا الرحال إليها ، مع بداية موسم القطف ، منذ القديم بكثافة إنتاجها من الزيتون ، فهي تحتل المرتبة الرابعة بعد ايطاليا واسبانيا واليونان في إنتاجها من زيت الزيتون . فلا غرابة إن كان الزيتون إحدى الركائز المهمة للاقتصاد التونسي ، « فزيت الزيتون » وإلى سنتين خلت يحتل المرتبة الأولى من صادرات تونس ، ولكن بسبب الجفاف الذي يجتاح المنطقة منذ عدة سنوات ، احتلت الثروة السمكية مكان الصدارة في صادراتها ، ففي عام ١٩٧٨ صدرت تونس ٥٧ ألف طن من زيت الزيتون ،



● خارطة للجمهورية التونسية ومدنها المهمة

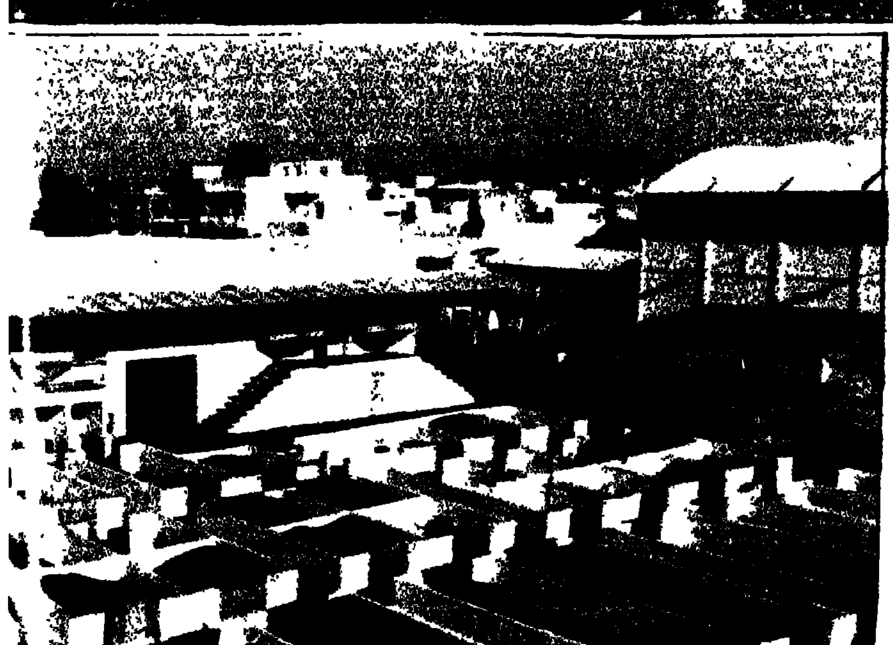
وانخفضت الكمية عام ١٩٨٨ إلى ٥٢,١ ألف طن .

كما يقول السيد محمد العزبي ، مدير عام التخطيط بوزارة الفلاحة : غابات الزيتون وأشجاره ـ أو « الزياتين » كما يحلو لأهل تونس أن يسموها ـ تحتل مليونا وثلاثمائة ألف هكتار ، وهو ما يعادل ثلث المساحة الكلية تقريبا من الأراضي الزراعية التي تقدر بنحو خمسة ملايين هكتار ، كما أن هناك ما يقرب من مائة ألف عائلة ، تعمل بصفة رئيسة في فلاحة الزيتون وتسويقه وتصنيعه ، لذلك فإننا نتوقع أن يعود الزيتون مرة ثانية ليحتل المرتبة الأولى بين صادرات تونس ، مع انحسار موجة الجفاف الذي نأمل أن تنتهي مع موسم الأمطار هذا العام الذي بدأت تباشيره مشجعة وموافقة للمراد .

وفي مارس ١٩٨٨ شكلت لجنة وزارية ، أنيط بها وضع خطة لإنقاذ ثروة الزيتون ، وإيجاد الحلول لمشكلة الجفاف . يقول عنها الاستاذ محمد



● تساهم المرأة التونسية شقيقها الرجل في جني محصول الزيتون في كل أنحاء تونس .



● وضع عجينة الزيتون فوق أطباق الخوص استعداداً لوضعه تحت المكابس

وتوضع حبات الزيتون المعدة للعصر في أحواض ، لتنظيفها وتنقيتها من الشوائب والأوراق الجافة أسفل



العزبي : لقد أصاب الجفاف المناطق التي تكثر فيها أشجار الزيتون ، وهي : منطقة الساحل الشرقي ، ومنطقة صفاقس ، ومنطقة الجنوب . مما أدى إلى تقهقر إنتاجنا ، وتدني دخل الفلاح ، نتيجة قلة المردود على الرغم من أن أسعار زيت الزيتون قد تحسنت عالميا ، لذلك جاءت خطتنا لتلافي السلبيات التي صاحبت الجفاف الذي استمر عدة سنوات ، ووضع عدد من الإجراءات الكفيلة بإعادة الحياة إلى هذه الثروة ، ومنها : تجديد غابات الزيتون ، وتشبيت الأشجار المسنة بالطرق العلمية الحديثة ، ومكافحة الآفات الزراعية والطفيليات التي تصيبها .

ويضيف الأستاذ محمد العزبي قائلا : « هناك آفة نطلق عليها اسم « النجم » أو « النجيل » ، وهي عشبة طفيلية خطرة ، تزحف على غابات الزيتون ، وتزاحم أشجارها ، فتمتص كميات من المياه ، أشجارنا في أمس الحاجة إليها ، وبخاصة في بعض المناطق التي لا يتعدى معدل هطول الأمطار فيها ٢٠٠ مليمتر ، كذلك علمنا الفلاحين الطريقة المثلى في تهيئة الأرض ، للاستفادة من كميات الأمطار ، حتى لو كانت قليلة ، وهي « طريقة المسقاة » ، وتتلخص في عمل حوض بالقرب من الشجرة لجمع المياه والاستفادة منها في ريها . وتتضمن الخطة كذلك حث الفلاحين على استخدام الأسمدة الكيماوية والطبيعية ، بطرق علمية حديثة ، أثبتت نجاحها في إيطاليا واسبانيا ، بالإضافة إلى مساعدتهم لاقتناء آلات تقليم الزيتون ، واستخدام التقنيات الحديثة ، من آلات ومبيدات ، وطائرات عمودية للقضاء على الآفات الزراعية التي تداهم غابات الزيتون ، ورصدت الخطة كذلك أموالا بغرض تقديم قروض مالية ، بفائدة بسيطة ، لتمكين الفلاح من غرس أشجار جديدة ، أو تثبيت الأشجار المعمرة ، أو توسيع الرقعة الزراعية ، كما تتضمن الخطة كذلك إقرار عيد قومي لشجرة الزيتون ، في الأسبوع الثالث من شهر نوفمبر من كل عام ، للتأكيد على أهمية اقتصاد الزيتون للبلاد ، والتعرف على الطرق الكفيلة بتنمية هذا القطاع ، والمشاكل التي تواجه الفلاحين..

وتتضمن الخطة كذلك تطوير تصنيع الزيتون ، وإدخال الآلات الحديثة كالمعاصر المتقدمة التقنية والأجهزة الحديثة لتكرير زيت الزيتون وتعليبه ، وكذلك الاهتمام بتنمية إنتاج زيتون الأكل ، وذلك للطلب الكبير عليه في داخل البلاد وخارجها .



● سلم مزدوج ، و « صوانع » ، ورجال ونساء يعملون في جني محصول الزيتون .

مركز إكثار الزيتون

ومن الوسائل المهمة التي اتبعتها تونس في تنمية ثروتها من الزيتون إنشاء « مركز إكثار الزيتون » في منطقة بجاوة التي تبعد عن العاصمة تونس نحو ٢٠ كيلو متراً ، ومهمة هذا المركز إنتاج شتلات الزيتون بتقنية حديثة ، وهي طريقة « العُقَلْ » وهي من الطرق الحديثة التي تتبعها الدول المتقدمة كايطاليا واسبانيا واليونان . يحدثنا الاستاذ عبد الكريم ازريقية ، المسؤول الأول عن المركز ، قائلا : « تتمثل الطريقة المتبعة حاليا في إكثار الزيتون بغرس العقل النباتية ، باختيار مجموعة من الأشجار الجيدة ذات الإنتاج الوفير الخالية من الآفات والطفيليات ، لكي تكون أمهات مثالية ، ثم تأتي المرحلة الأولى ، وهي قطع العقل من بستان الأمهات ، أما المرحلة الثانية ، وهي مرحلة تجذير العقل في بيت زجاجي ، ويكون طولها ما بين ١٥ ـ ١٨ سم ، وتحمل ما بين أربع إلى ست ورقات ، ثم نقوم بوضعها في مادة هرمونية مدة خمس ثوان ، ثم تنقل إلى بيت زجاجي ، حتى تتكون لها جذور وفي المرحلة التالية ، وهي مرحلة التقسية أو



التأقلم ، توضع العقلة ، ذات الجذور ، في بيت بلاستيكي ، فترة تتراوح بين شهر وشهرين ، ثم تأتي مرحلة التربية ، فتنتقل إلى أكياس بلاستيكية سوداء ، وتوضع في الحقل مدة ٢٨ شهراً ، حتى يصبح طولها نحو ٦٠ سم . وهكذا تكون جاهزة. لتوزيعها على الفلاحين . والمعروف أن مركز إكثار الزيتون ينتج ما يقرب من ٢٠٠ ألف شتلة موزعة بين « زيتون الزيت » وأشهر أنواعه الشملالي والشفلي اللذان يمتازان بجودة زيتهما ، ويناسبان مناخ تونس وطبيعة أرضها . وقد حاولنا جلب عدة أنواع من الزيتون من ايطاليا واليونان والبرتغال ، إلا أن هذه الأنواع لم تنجح زراعتها في بلادنا ، ولم يكن لها دور تجاري ، فبقي الشملالي والشفلي وهما من أجود الأنواع

أما الجزء الآخر فهو زيتون الطاولة ، أو ما يعرف في المشرق العربي بزيتون الأكل الذي زاد الطلب عليه مؤخرا ، سواء في السوق المحلي أو العالمي . والمسكي من أشهر أنواعه ، ويمتاز بطعمه اللذيذ ، وملاءمته لطبيعة بلادنا . وقد أدخلنا بعض الأنواع الأوربية من زيتون الطاولة ، مثل البيوشولين والكلمنوصو ، وأنواع أخرى ، جلبت من تركيا ، تمتاز بكبر حجمها ، إلا أن هذه الأنواع ما تزال حتى الآن في طور التجربة .

وقد بدأ العمل بهذه التجربة الرائدة منذ عام ١٩٧٥ ، كاحدى ثمرات مشروع المنظمة الدولية للتغذية والزراعة ، بالتعاون مع الوكالة السويدية للتنمية العالمية . ويقوم المركز ببيع هذه الشتلات بأسعار مدعومة تشجيعا للفلاحين الذين أقبلوا على هذه الشتلات إقبالا منقطع النظير ، حتى أن المركز لا يستطيع تلبية الطلبات الكثيرة ، وهناك دراسة توصي بمضاعفة إنتاج شتلات الزيتون إلى نحو ٦٠٠ ألف شتلة سنويا ، لتلبية الطلب المتزايد عليها من قبل الفلاحين . ويعود الإقبال الكبير على هذه الشتلات إلى أنها تستطيع أن تعطي إنتاجاً خلال ثلاث سنوات فقط بعد أن كان على الفلاح أن ينتظر أكثر من ثماني سنوات لاستقبال بشائر إنتاج شجرة الزيتون المزروعة بطريقة البذرة ، كما أن هذه الشتلات تنمو بطريقة أفضل من الأشجار المزروعة بالطرق التقليدية .

صفاقس مدينة الزيتون

ليس من قبيل المبالغة أن نقول : إنك لن تجد مدينة في تونس ، تقع على الساحل أو الوسط أو الجنوب ، تخلو من أشجار الزيتون ، لكن مدينة صفاقس هي بحق مدينة الزيتون ، إذ فيها وحدها نحو ١٥ مليون شجرة . حتى أن مدير

منظمة التغذية والزراعة العالمية ، عندما زار المدينة ، وقف مشدوها أمام غابات الزيتون ، مبديا إعجابه بأشجار « الشملالي » التي تحمل ثمراً يحتوي على أكثر من ٢٥٪ من وزنه زيتا . وفي زيارته المجمع الزراعي ، شمال صفاقس ، وعندما شاهد المجاميع الكبيرة من أشجار الزيتون العملاقة ، قال : « حقا هذه المجموعة تمثل أضخم أشجار زيتون شاهدتها خلال زياراتي في مختلف أنحاء العالم » .

جعلتنا هذه الشهادة نتوجه إلى هذا المجمع المسمى « الشعال » ، ويقع على بعد ٣٠ كيلومترا شمالي صفاقس ، وهو مجمع أقامته الدولة ، وتستخدم فيه أحدث الأساليب العلمية الزراعية والتقنية الحديثة .

لم يبالغ الرجل في شهادته ، فلقد كان باستقبالنا عند وصولنا ٣٠٠ ألف شجرة زيتون ، يجاورها ٥٠ ألف شجرة من أشجار الفستق واللوز والبرتقال والليمون والرمان ، ومساحات شاسعة من المراعي الطبيعية ، يرعى فيها ٦ آلاف رأس من الأغنام .

يقول السيد رضا الشرفي ، مدير المركب ، وهو الاسم الذي يطلقه التونسيون على المجمعات الزراعية : إننا نعتمد في زراعة المركب على مياه الأمطار التي تصل في سنوات الوفرة إلى ٢٦٠ مليمتراً أما في السنوات الشحيحة فإنها لا تتجاوز ١٦٠ مليمتراً .

يعمل في هذا المجمع حوالي ٧٠٠ فلاح وعامل فني ، ويتضاعف هذا العدد في موسم جني الثمار ، حتى يصل إلى نحو أربعة آلاف عامل . ويبلغ إنتاجه من الزيتون حوالي ٢٠ ألف طن ، في سنوات الوفرة ، سيخرج منها أربعة آلاف إلى خمسة آلاف طن من أجود أصناف الزيت المتدني الحموضة .

ويضيف السيد الشرفي : لقد استطعنا منذ سنوات في المجمع استغلال أوراق شجرة الزيتون التي تجمع بعد تقليم الأشجار عند نهاية موسم





● يقوم مركز إكثار شتلات الزيتون في تونس بإنتاج نحو ٢٠٠ ألف شتلة سنويا ، ويوزعها على المزارعين بأسعار رمزية .

كما تقوم المختبرات التابعة لديوان الزيت بالعديد من الاختبارات ، لمعرفة مدى صلاحية هذه الزيوت للتصدير أو للاستعمال اليومي .

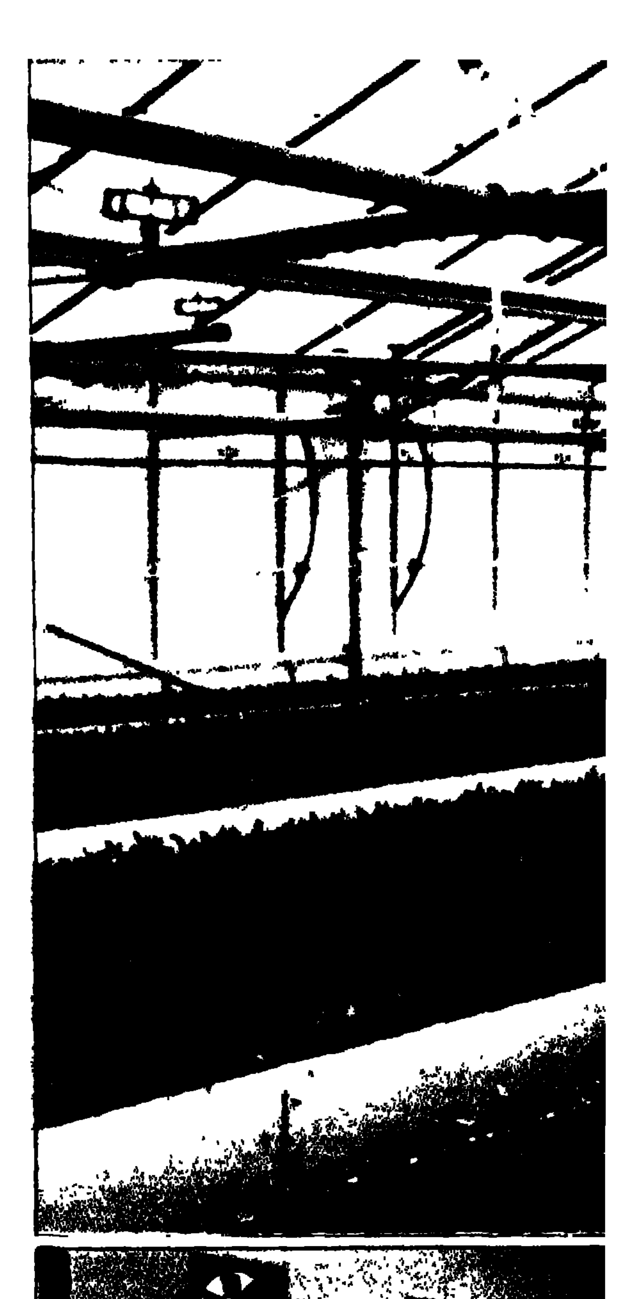
(أسفل)

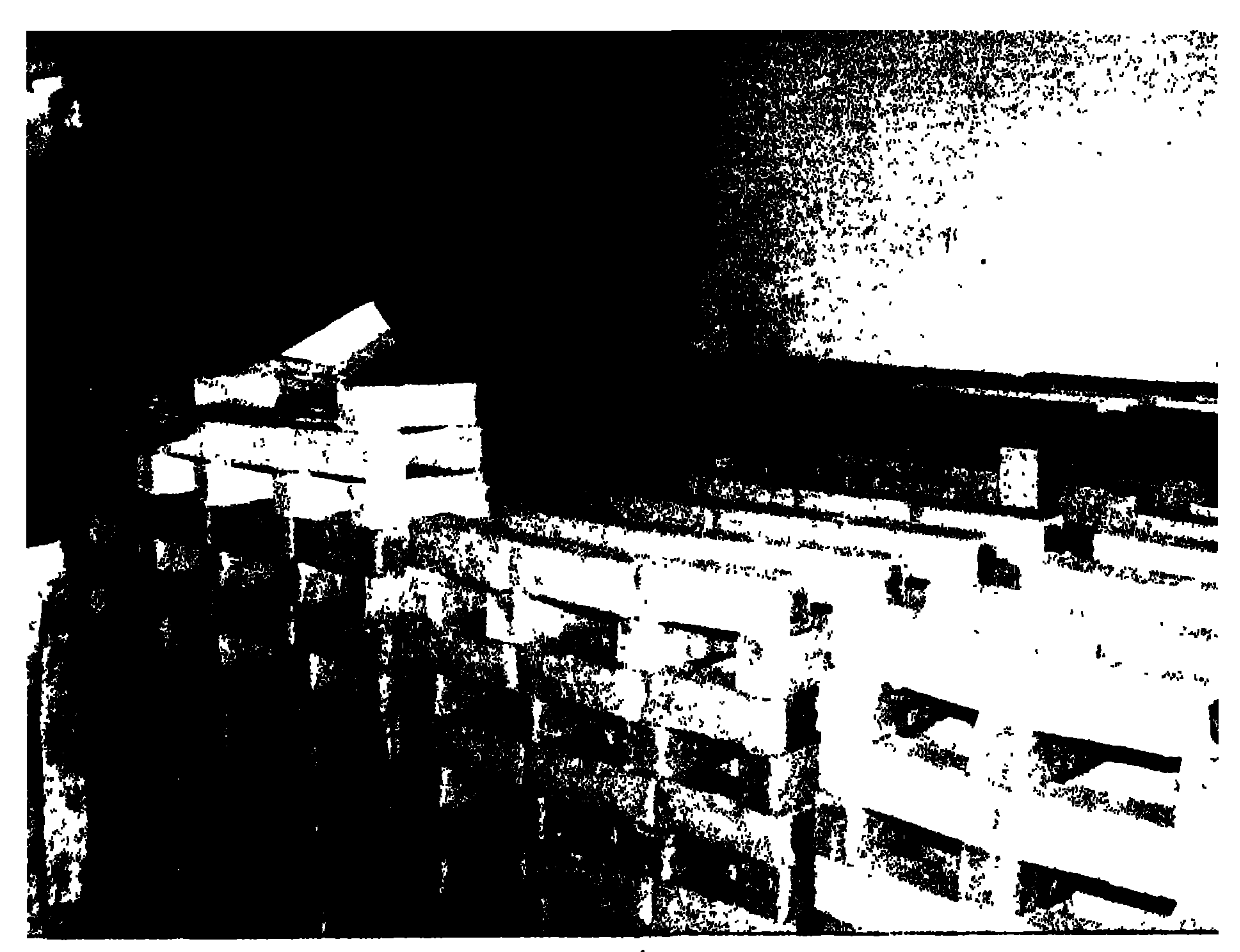
الحصاد ، وبقايا عجينة الزيتون بعد استخراج الزيت منها ، في إنتاج علف حيواني ، لا تقل جودته وقيمته عن الشعير أو الذرة » .

ومدينة المعاصر

كان الزيتون في الماضي يزرع وفق نظام عرف « بالمفارسة » ، حيث كان الفلاح يقوم بزراعة الأرض وريها ، والقيام بجميع الأعمال التي تحتاجها الشجرة ، نظير اقتسام المحصول مع مالك الأرض ، أما في هذه الأيام فقد تغير الوضع ، إذ أن معظم غرسات الزيتون تتبع شركات تعاونية ، أو تعاضديات كما يطلقون عليها في مغربنا العربي ، ولهذه التعاضديات معاصر خاصة بها ، تقوم بعصر الزيتون ، وتوريد الزيت إلى الديوان القومي للزيت الذي يقوم بعمليات البيع والشراء في داخل تونس وحارجها . وعن إحدى المعاصر التعاضدية التي قمنا بزيارتها ، يقول مديرها ، الأستاذ عبد السلام اللوز : إن هذه التعاضدية يشترك فيها ٩٠٣ أشخاص ، وهي تعاضدية خدمات لصالح المشتركين ، فنحن لا نعصر زيتونا لغير مشاركينا ، ونحن نستطيع عصر نحو ١٠٠ طن من الزيتون يوميا ، تنتج نحو ٢٥٪ من وزنها زيتا . يعمل بها نحو ٣٥٠ عاملا على ثلاث ورديات . ومعصرتنا هذه ليست ذات تقنية عالية ، فهي معصرة متوسطة ، تؤدي غرضها المطلوب بمساعدة العمال الذين يقع على عاتقهم جانب مهم من عمل المعصرة . وهذه المعصرة تعرف باسم السوبر برس » .

وإلى جانب هذا النوع من المعاصر ، هناك المعاصر الحديثة ، ذات التقنية المتقدمة التي لا تحتاج إلى مجاميع كبيرة من العمال والفنيين ، ولكن المعاصر التقليدية القديمة ما زالت تشكل العدد الأكبر بين المعاصر المستخدمة ، فمن بين ١٢٠٠ معصرة موزعة على مناطق أشجار الزيتون هناك ٧٠٠ معصرة قديمة . لذلك وضعت الدولة





● الصابون التقليدي المصنوع من زيت «الفيتورا» يغطي احتياجات الجمهورية التونسية كلها .

بالاشتراك مع التعاضديات خطة لتحديث هذه المعاصر ، بإضافة بعض الأجهزة الحديثة إليها ، وتقوم المصارف (البنوك) بتمويل هذا المشروع . كما تتضمن الخطة شراء معاصر حديثة ، وتوزيعها على المناطق التي لا توجد فيها معاصر على الرغم من كثرة أشجار الزيتون فيها : كالقيروان وجرجيس ، ومنطقة سيدي أبو زيد . وتأتي أهمية هذه الخطوة أن الزيتون يفقد كثيراً من زيوته ، وتزداد نسبة الحموضة فيه بمرور الوقت الذي قد يستغرقه نقله إلى مناطق المعاصر البعيدة .

ولما كانت مدينة صفاقس من أشهر مدن تونس المنتجة للزيتون فلا غرابة أن تحظى بأكبر عدد من المعاصر ، ففيها وحدها نحو ستمائة معصرة ، ما بين معاصر عالية التقنية ، جلبت حديثا من ايطاليا ، ومعاصر متوسطة التقنية ومعاصر تقليدية تستخدم الأساليب القديمة . وفي موسم جني الزيتون تعمل هذه المعاصر ليل نهار بلا توقف في طحن آلاف الأطنان من الزيتون فتحوله إلى عجينة رخوة ، قبل أن يوضع في المكابس الكهربائية الضاغطة ، ثم يعرض لضغط مقداره ١٠٠ كيلو غرام على السنتيمتر الواحد ، فينساب الزيت من جوانب المكبس ، وهذا الزيت هو ما يطلق عليه اسم الزيت البكر ، وهو زيت ممتاز ، وبزيادة ضغط المكبس إلى ٢٠٠ كيلو غرام يتم الحصول على زيت أقل جودة من الأول ، أما الزيت الناتج عن ضغط يصل إلى ٢٥٠ كيلو غراما فهو الزيت الذي يستخدم غالبا في صناعة الصابون . وفي المعاصر الحديثة العالية التقنية تكبس العجينة تحت ضغط واحد مقداره ٢٠٠ كيلو غرام . ويتم الحصول على زيت على درجة واحدة من الجودة . والزيوت ذات الحموضة المرتفعة ترحل إلى معمل التكرير ، حيث تعالج لإزالة الحامض الزيتوني منها ، فتغسل بالماء

الساخن تحت درجة حرارة عالية ، ثم تعالج بتراب خاص لإزالة لونها ، ثم يعاد تسخينها مرة أخرى إلى درجة حرارة تصل إلى ٢٤٠ درجة مئوية ، للتخلص من الروائح الكريهة التي قد تكون فيها .

وهناك تسعة مصانع تقوم بتعليب زيت الزيتون المعد للاستهلاك المحلي ، موزعة على المناطق المختلفة ، في العاصمة تونس ثلاثة منها ، ومصنع واحد في مدينة سوسة وتستأثر صفاقس بخمسة مصانع . ويستطيع كل مصنع من هذه المصانع التسعة إنتاج نحو ١٢٠ ألف قارورة ، سعة لتر واحد ، يوميا .

وتنفرد صفاقس بمعمل خاص يقوم باستخلاص الزيوت من « الفيتورا » ، وهي بقايا عجينة الزيتون بعد استخراج الزيت منها . يقول الاستاذ محمد الخراط ، المسؤول عنه : في المصنع معمل ينتج زيت الزيتون الصالح للاستعمال من الفيتورا ، أما الزيوت الثقيلة التي تمتاز بارتفاع حموضتها فنستخدمها لإنتاج الصابون ، على اختلاف أنواعه ، ويستطيع المصنع أن يكرر نحو ٦٠ طناً من زيوت « الفيتورا» ،بالإضافة إلى ٣٠ طناً من زيوت الحبوب .

الخبراء الذواقة

بعد الانتهاء من عصر الزيتون تنقل عينات من الزيت إلى مختبرات الديوان القومي للزيت ، وهو الهيئة المنوط بها إدارة جميع الأعمال التي تخص ثروة الزيتون ، وهناك يتم تحديد درجة جودته .

وما يحدد درجة جودة الزيت بالدرجة الأولى هي نسبة حموضته ، فكلما قلت هذه النسبة زادت جودته .

وهناك عوامل أخرى تؤثر على درجة الحموضة ، فالزيوت المستخلصة من الزيتون المتساقط من الأشجار تكون أكثر حموضة من غيرها ، وبهذه الطريقة يستطيع العامل الزراعي أن يحكم ببساطة وبدون مختبرات على نوعية الزيت . كما أن الزيتون الذي يتأخر عصره أكثر من ٤٨ ساعة يزداد تركيز الحموضة فيه ، لفقدانه نسبة عالية من الزيت . أضف إلى هذا أن العوامل المناخية تلعب دوراً في التأثير على هذه النسبة ، ولا تقصر الاختبارات التي تجرى على الزيت لتحديد جودته على استعمال آلات المختبرات ، بل إن للإنسان رأيا أيضا ، فهناك « الخبراء الذواقة » الذين يستطيعون بمجرد تذوقهم للزيت الحكم على جودته ، وآراؤهم - إلى جانب المعايير المختبرية - هي التي تحدد ترتيب كل نوع من الزيوت بالنسبة لغيره .

وبعد الانتهاء من هذه المرحلة ينقل الزيت إلى صهاريج ، أنشأها الديوان في الموانيء ، ليسهل تحميل البواخر المجهزة لشحن الزيوت ، وتستوعب هذه الصهاريج كميات كبيرة من الزيوت تصل إلى ٢٢ ألف طن .

السياسة والزيتون

تعد دول أوربا ، وبخاصة دول السوق الأوربية المشتركة ، المستورد الأول للزيت التونسي ، ويليها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، لذلك فإنه من المتوقع أن تتأثر صادرات تونس من زيت الزيتون بقيام أوربا الموحدة عام ١٩٩٢ . وعن هذا يقول السيد عبد الحميد الرقيقي ، المدير العام المساعد للديوان القومي للزيت : إن الوحدة الأوربية المرتقبة أحد هواجسنا ، فالسوق الأوربية هي سوقنا التقليدية ، وتربطنا ببلدانها اتفاقيات عديدة ، إننا نعلم أننا سنتأثر كثيرا بهذه الوحدة ، لا سيما أن من ضمن بلدان السوق دولاً منافسة لنا ، تنتج زيت الزيتون بكميات كبيرة ؛ كايطاليا واسبانيا واليونان ، ومع أننا لم نشرع حتى الآن في الدخول في مناقشات رسمية مع المجموعة الأوربية ، إلا أن ما يشغلنا الآن هو دراسة



الموضوع في نطاق التعاون الشامل مع المجموعة الأوربية وتونس ، وكذلك بين هذه المجموعة واتحاد المغرب ككل ، علما بأن دول المغرب العربي منتجة للزيت ، والموضوع حتى الآن قابل للنقاش والحوار والأخذ والرد ، إلا أننا نعمل بكل جهد للحصول على مزايا ، وأن نثبت أقدامنا . إننا نعتقد أن استيراد زيت الزيتون لن يتوقف ، فالسوق الأوربية إذا أرادت الحفاظ على أسعار زيت الزيتون والميزان التجاري وتنمية جنوب البحر الأبيض المتوسط ، فإن عليها تنمية استهلاكها من الزيت . وتسعى تونس للإبقاء على أسواقها التقليدية الأوربية ، وهذا لا يمنعنا من فتح أسواق جديدة ، وعندنا في هذا المجال أمريكا مثلا ، فهي سوق كبيرة ، ففي سنة ١٩٨٠ استهلكت أمريكا نحو ٢٥ ألف طن ، أما في سنة ١٩٨٦ فقد استهلكت نحو ٥٢ ألف طن ، وهذا يعني أن استهلاكها قد تضاعف خلال ست أو سبع سنوات ، وأعتقد أننا بقليل من الإعلام والتوجيه وقليل من الدعاية سوف تكون لدينا أسواق جديدة لاستهلاك زيتنا وزيتوننا .

ولقد توجهنا مؤخرا إلى الأسواق العربية ،

● الزيتون ثروة تونس الأولى

الزيتون هو الزيت النباتي الوحيد الذي لا يحتوي على نسبة عالية من الكوليسترول .

الفلاح الفصيح

في بستان صغير ، لا تتجاوز أشجار الزيتون فيه خمسمائة شجرة ، بالقرب من مجمع الشمال ، التقينا بالسيد الهادي خليفة ، وهو فلاح في العقد الخامس من عمره ، ورث البستان ، ومهنة الفلاحة ، عن أبيه قال : إننا نستعد لجني محصول الزيتون ، فقد اتفقت منذ يومين مع مجموعة من الفلاحين والعمال ، نظير ستة دنانير ، أدفعها لكل عامل يوميا . إن ارتفاع أجور الأيدي العاملة أحد الأسباب الرئيسة للإهمال الذي تلاقيه زراعة أشجار الزيتون .

ويضيف السيد خليفة : كما أن قلة الأمطار أثرت على زراعتنا كثيرا . ولقد طالبنا المسؤولين بحفر بعض الآبار الارتوازية ، كي نقوم بسقاية أشجارنا في الفترات التي تقل فيها الأمطار ، وأعتقد أن هذا هو الحل الأمثل لمواجهة هذه المشكلة .

ونعود للسيد محمد العزبي الذي أكد على الأثر المدمر للجفاف على زراعة أشجار الزيتون . قال :

إن الجفاف الذي أصابنا ، منذ سنتين ، قد أثر على إنتاجنا بصورة ملحوظة ، فقد خرب مناطق وجود غابات الزيتون في صفاقس ومنطقة الجنوب ، مما أدى إلى تدني إنتاجنا بصورة لم نعهدها منذ سنوات ، فقد كان المعدل العام الذي نسجله في سنوات الانتاج المتوسطة يصل إلى ١٠٠ ألف طن ، ونأمل أن نصل بهذا الإنتاج ، في السنوات القليلة القادمة ، بعد أن وضعت خطة متكاملة للاهتمام بالزيتون ، إلى ١٣٠ أو ١٤٠ ألف طن سنويا ، وبخاصة أننا استطعنا أن نتجاوز هذا الرقم فعلياً عام ١٩٧٥ ، فقد بلغ إنتاجنا ١٨٠ ألف طن ، وكانت تلك السنة من السنوات المشهورة بوفرة الإنتاج . □



● جانب من مركز مدينة صفاقس المشهورة بجودة إنتاجها من الزيتون بنوعيه السملالي والمسكي .

وبخاصة أقطار الخليج العربي ، وتعد المملكة العربية السعودية الآن من أكبر الأقطار المستهلكة لزيت الزيتون التونسي . كما أننا نقوم بمحاولات جادة لاكتشاف أسواق جديدة ، خاصة في افريقيا وآسيا ،سواء عن طريق الإعلام أو المعارض .

ومن خلال عضويتنا بالمجلس العالمي لزيت الزيتون ، فإننا نسهم في الحملة التي يتبناها للوقوف أمام الشركات التي تقوم بالترويج للزيوت النباتية الأخرى ، مثل زيت فول الصويا وزيت الذرة وزيت وردة عباد الشمس ، متمدين على ما توصل إليه العلماء ، من أن زيت



- كلنا نخاف ، لكن الخوف المرضيّ هو المشكلة .
- عندما يتحوّل الرهاب إلى كابوس كيف نتخلص منه؟

بقلم : الدكتور دري حسن عزت

الخوف سلوك طبيعي عند الانسان، يشعر به نتيجة جهله بأمر جديد عليه، أو نتيجة تجربة مر بها. ولكنه يصبح حالة مرضية إذا تمكن من الانسان، وأخذ صفة الملازمة التي تنعكس فيها ردود فعل تعجزه عن التصرف اليومي. إن هذه الحالة هي التي يعدها الأطباء حالة الرهاب. فكيف تتكون عند الإنسان؟ وما علاجها؟

الرهاب أو الفوبيا تعني الخوف الشديد الذي يحدث لبعض الناس عندما يواجه بعض المواقف، أو يتواجد في أماكن، أو يرى أشياء أو حيوانات معينة.

والرهاب له ثلاثة مكونات، المكون النفسي: وهو الشعور بالهلع عند الاقتراب من الشيء المرهوب، والمكون البدني: كالخفقان واضطراب التنفس والتعرق واصفرار الوجه، والمكون السلوكي: الذي يهدف إلى تفادي الموقف أو الشيء المرهوب والابتعاد عنه.

الخوف والرهاب

وليس للرهاب صورة واحدة محددة عند جميع المرضى المصابين به ولكنه يتعدد بوجود انعكاسات المواقف المختلفة على الشخص المهيأ نفسياً للاستجابة له، ومن صور الرهاب:

○ الرهاب الأحادي أو النوعي: وهو ينتج من الخوف المرضي من رؤية أشياء محددة كأدوات الطعن أو القطع الحادة أو الاقتراب من الحيوانات كالقطط والكلاب أو الثعابين والعناكب والطيور. والشعور بالخوف يصاحبه المكونان الآخران للرهاب، ويستمر طوال فترة الوجود مع هذه الحيوانات أو الأشياء، ويزداد حدة عند الاقتراب منها، ويقل بنسبة الابتعاد عنها، ويحدث الخوف أيضا عند مجرد مشاهدة صور هذه الأشياء أو سماع الحديث عنها. وبعض الناس، ممن يحبون المزاح الثقيل، يلقون أمام المرضى بهذه الأشياء عمداً، لإثارة فزعهم، والسخرية منهم، دون مراعاة لمعاناتهم النفسية.

○ رهاب الأماكن المتسعة أو الضيقة أو المرتفعة: في رهاب الأماكن المتسعة (اجورافوبيا) ـ ويعنى حرفيا: الخوف من ساحة السوق ـ تظهر الأعراض عند الاقتراب أو الوجود في الأماكن الفسيحة، مثل الميادين ومحلات التسوق، وأبهاء الفنادق، وصالات المطارات. وهذا النوع ينتشر عادة بين النساء وهن في منتصف أعمارهن.

فالمرأة إذا ابتعدت بضع خطوات خارج منزلها تشعر بأن ساقيها تلينان كالعجين، ولا تقويان على حملها، وتشعر بالغثيان والدوخة، ويمكن أن تسقط على الأرض، فيتحلق حولها المارة، ويسدون عليها تيار الهواء، مما يضيق عليها التنفس، ويزيد انزعاجها. وهؤلاء المرضى يتفادون التعرض لهذه الأماكن، ويحتمون داخل منازلهم، مما يحد من حركتهم الطبيعية في حياتهم اليومية.

وفي رهاب الأماكن الضيقة (كلوستروفوبيا) لا يستطيع المريض دخول القطارات أو الحافلات أو المصاعد أو التواجد في الحجرات فترة طويلة، وإذا اضطر لذلك يشعر بالضيق والتوتر وعدم استقرار القدمين على الأرض. ومن يعانون من هذا الرهاب يجدون أن رحلة السفر بالطائرة تجربة مزعجة، ويتفادون السفر ما وسعهم، وإذا اضطروا لممارستها يستعدون لها بطقوس معقدة.

وفي رهاب الأماكن المرتفعة نجد المثال النموذجي له في الشخص الذي يصعد الدرج، فعند وصوله للطابق الثاني يبدأ يشعر بالتعب والإجهاد والإحساس بدنو الإغماء وتقلصات بالمعدة، فيتهاوى جالسا على الدرج وظهره إلى أعلى، موجها نظره إلى أسفل المبنى، وأصحاب هذه الحالات يعرفون ما سيحدث لهم في مثل هذه المواقف، ولذلك فإنهم يتحاشونها، ولكنهم يعانون آثارها عندما يضطرون لممارستها.

رهابات اجتماعية

هناك من يشعرون بالخوف الشديد عند الظهور في المناسبات الاجتماعية، فمثلا عند تناولهم الطعام في المطاعم، يشعرون أنهم تحت مراقبة الآخرين، وأنهم هدف للنقد والتعليق ممن حولهم، فيتوترون وتفسد شهيتهم. وإذا دعوا لتناول الشاي عند الأصدقاء يشعرون بالحرج من المناسبة الاجتماعية، فتهتز الأقداح في أيديهم، وتصطك الصحون، فتلتفت إليهم الأنظار، مما يزيد توترهم، وغالبا ما ينتهي بهم الأمر إلى الامتناع عن تلبية هذه الدعوات.

ومن أمثلة الرهاب الاجتماعي الخوف من مجابهة الجمهور عند إلقاء محاضرة، أو الاشتراك في ندوة، أو مناظرة. وهذا النوع من الرهاب غالباً ما يبدأ في سن المراهقة، حين يكون المراهق شديد الحساسية للنقد وتعليقات الآخرين على أسلوبه الخاص في التصرف، ولكنه يتلاشى بعد تجاوز هذه المرحلة، وقد يستمر بعضه حتى سن متأخرة.

ويمكن أن يتواجد نوعان أو أكثر من الرهاب عند الشخص نفسه، فيتواجد رهاب الأماكن الضيقة مع رهاب الارتفاعات، كما هو الحال في الطائرات والمصاعد. أو رهاب الحيوانات مع الرهاب الاجتماعي.

وهناك رهاب آخر ليس نادر الانتشار، وعلى الأخص في مرحلة منتصف العمر. وهو رهاب



● المتوتر: شكل لا يتغير

الخوف من الإصابة بالأمراض الخطيرة «كفوبيا السرطان»، أو أمراض القلب، أو السكر، وفي الماضي كان رهاب الإصابة بمرض السل الرئوي منتشراً، وفي الحاضر بدأ يظهر رهاب الايدز والأشخاص الذين يعانون من هذه الحالة يعلمون أنهم غير مصابين فعلا بهذه الأمراض، لكن لديهم الخوف المبالغ فيه من الإصابة بها في المستقبل القريب أو البعيد.



والأطفال يصابون

وإذا كان الرهاب يصيب الكبار فإنه ينتشر عند الأطفال، نتيجة للخوف من الظلام، والحيوانات الأليفة، والحشرات، والأشخاص الغرباء والخوف من الظلام والحيوانات يقل تدريجيا بالاقتراب من مرحلة المراهقة، لكن الخوف من الغرباء غالبا ما يستمر في الكبر.

وإذا كان الخوف من الظلام شديداً لدرجة تمنع النوم عن الطفل، فيمكن استخدام ضوء ليلي خافت، أو يشارك الطفل في سريره دمية يرتاح إليها، يداعبها حتى يهدأ وينام إذا لم تتواجد الأم لأي سبب، وهي التي غالبا ما توفر للطفل الأمان والاطمئنان.

ومن أنواع الرهاب المعروفة عند الأطفال رهاب المدرسة، وهو منتشر بدرجة ملحوظة في سن المراحل الدراسية الأولى. ويتمثل في الخوف الشديد من الذهاب إلى المدرسة، أو حتى عند ذكر اسمها، فيحتال الطفل، ويتجل الأعذار لعدم الذهاب، أو يرفض ذلك صراحة وبإصرار . وغالبا لا يكون لسبب في المدرسة، بل في وجود تلاميذ يخشى عدوانهم أو سخريتهم، أو مدرسين يهددونه بالعقاب. وأحيانا يكمن السبب في المنزل الذي تتوافر فيه الحماية الزائدة والتدليل المفسد، فيتمسك الطفل بالبقاء في المنزل، كارها المدرسة التي لا تتوافر فيها مثل هذه المعاملة اللينة. وفي حالات رهاب المدرسة لا يصح إرغام الطفل على الذهاب بالقوة والقسر، إذ ينتج عن هذا ردة فعل نفسية عنيفة، فيتبول الطفل في ملابسه، أو حتى يتبرز بسبب الهلع. وهذه الحالات تحتاج لتفهم كبير لاحتياجات الطفل النفسية في مراحله الدراسية الأولى، وكذلك لتعاون كل من له علاقة وثيقة بتربية الطفل في المنزل والمدرسة.

لماذا يحدث الرهاب

تحدث معظم هذه الأنواع من الرهاب نتيجة للتعلم من الأخرين، فالأم التي ترهب القطط يتعلم منها أولادها هذا السلوك، وعلى الأخص بناتها، كما أن الخوف من الظلام يتعلمه الطفل من الوالدين الصارمين إذا هددا الطفل بالعقاب، وارتبط هذا العقاب بالظلام. وكذلك الحال في رهاب الأمراض الخطيرة، فغالبا ما تكون هناك تجربة سابقة، عايش فيها المريض صديقا أو قريبا عانى من الإصابة بها. لكن في بعض أنواع الرهاب الأخرى كالأماكن الفسيحة، يؤدي الرهاب وظيفة دفاعية عن النفس، وآلية حماية لها، لتفادي مواقف معينة، أو الامتناع عن القيام بمهام بغيضة، تكون مزعجة للشخص، ويكون الرهاب هو العذر اللاواعي، أو حتى الواعي لذلك. وينطبق هذا المفهوم أيضا على معظم حالات رهاب المدرسة.

نماذج علاجية

معظم الحالات تستجيب للعلاج السلوكي، وعلى الأخص أنواع الرهاب الأحادي، ويعتمد هذا العلاج على نظرية التعلم، ففي حالة رهاب القطط تعالج الحساسية الزائدة منها بالتدريج، فيدرب المريض على الاسترخاء العضلي والنفسي، ثم تعرض عليه من مسافة بعيدة صورة لقطة فترة، حتى يتعود على منظرها ولا يخافها. ثم تقرب إليه الصورة بالتدريج، وهو في حالة تحمل لمنظرها مسترخياً.

وفي جلسات علاجية لاحقة تستخدم قطة حقيقية في قفص مغلق، ويكرر هذا الأسلوب معه حتى يتدرب ويتعود على منظر القطة وهي قريبة منه، ويخرجها بنفسه من القفص ويداعبها باطمئنان وثقة.

ويمكن استخدام أسلوب آخر، مبني على علم نظرية التعلم نفسها، وهو ما يسمى الاغراق، فتقرب قطة حقيقية إلى المريض، لتثير فيه الخوف والفزع فترة زمنية يستنفد خلالها شحنة الخوف المتراكمة لديه حتى يرى بنفسه أنه لا يوجد خطر حقيقي يلحق به من جراء التصاقه بالقطة. وهذا العلاج يستلزم تعاونا كبيرا من المريض لكي ينجح.

وفي حالات الخوف من الظلام توضع للطفل الحلوى أو اللعب في حجرة مظلمة، ويطلب منه أن يأخذ منها ما يشاء إذا أحضرها من داخلها، فتتغلب رغبته في اكتساب ما يحبه على خوفه من الظلام. وبتكرار التجربة يتحول الخوف إلى اطمئنان، لارتباط الظلام عنده بما يفرحه ويسره.

ويمكن استخدام العلاج بالتنويم في رهاب السفر بالطائرات وأمثاله، فينوم المريض، ويدرب على الاسترخاء التام، ثم يطلب منه أن يتخيل وجود طائرة بعيدة عنه، وعليه أن يقترب منها تدريجيا وهو في حالة الاسترخاء، ويكرر معه ذلك في جلسات لاحقة، حتى يستطيع أن يدخل الطائرة وهو واثق مطمئن، وعند الوصول إلى هذه المرحلة تحت تأثير التنويم يمكن تطبيقها بسهولة في الواقع.

ويفضل بعض المعالجين استعمال المهدئات النفسية المتوسطة المفعول قبل الخروج من المنزل للسفر، حتى يصل المريض إلى المطار وهو هادىء، ويتمكن من دخول الطائرة. وبعضهم يوصي بتناول عقار منوم وهو داخل الطائرة، إذا طالت فترة الطيران. وأحيانا تصاحب بعض أنواع الرهاب حالات الاكتئاب النفسي. وفي هذه الأحوال يمكن استخدام العقاقير المناسبة المضادة للاكتئاب بنجاح كبير. □

● إذا علمت ولدا فقد علمت فردا ، وإذا علمت بنتا فقد علمت أمة .

الامام ابن باديس

التمسك بالجوهر



● ما أكثر الذين يغرقون في مستنقع التفاصيل الصغيرة المكررة والمعادة والمملة ، وما أندر الذين يضعون أياديهم على الجوهر ، إنهم لا يتكررون كثيرا في تاريخ الأوطان .

يوسف القعيد



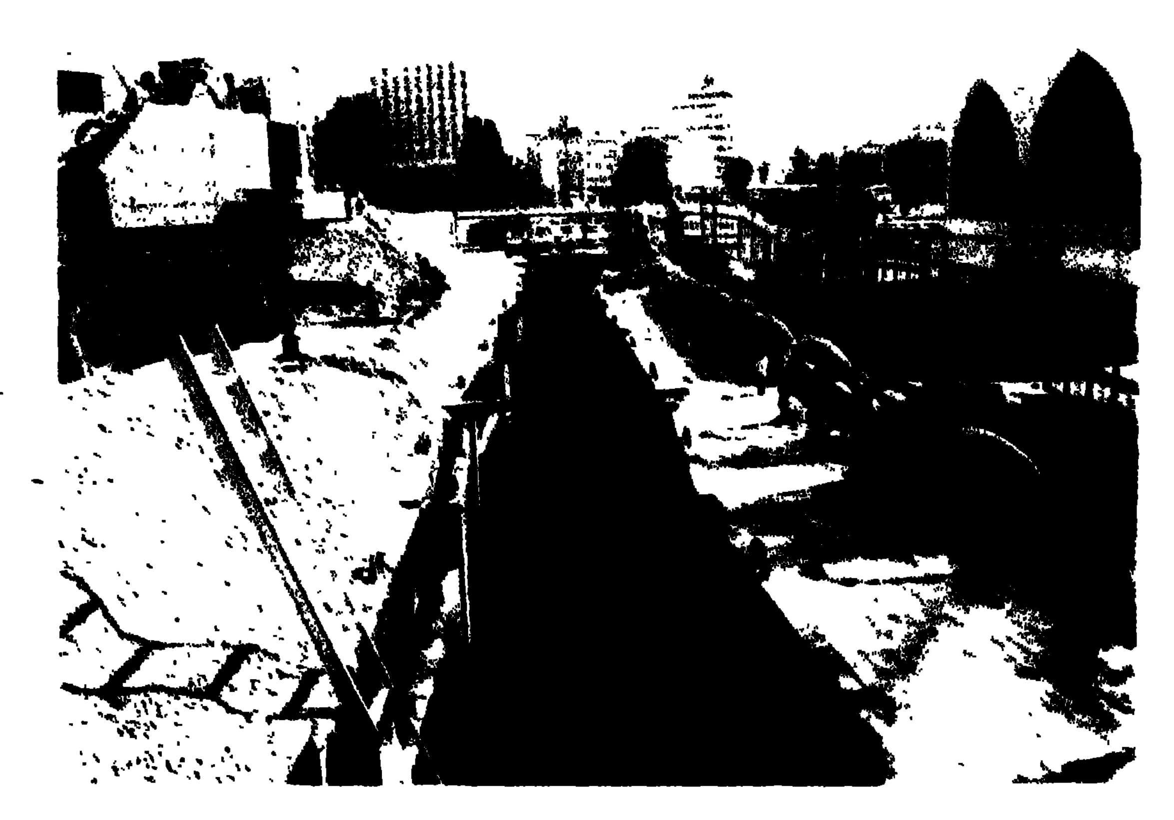
بقلم : رضا الصخني

تجديد أنابيب الخدمات المختلفة المدفونة تحت سطح الأرض بدون حفر ، طريقة تقنية حديثة ، لجأت إليها الهندسة المدنية لتفادي المشاكل الكثيرة التي يحدثها حفر الشوارع التي تعج بحركة الأعداد الهائلة من البشر والمركبات . فما هذه الطريقة الحديثة ؟ وكيف تستبدل الأنابيب ؟

تزخر الأرض المسكونة بأعداد كبيرة من الأنابيب ، مدت عبر مسافات طويلة ، لأغراض مختلفة . فهذه الأنابيب تنقل المياه التي يحتاجها الإنسان في حياته اليومية أو لري مزروعاته ، كما تنقل مياه الأمطار التي تجمع من مسيلها على الطرقات والساحات إلى حيث يرغب لها أن تكون . وتنقل الأنابيب مياه المجاري الصحية ضمن نظام نقل يبدأ من البيوت والأماكن العامة والمحلات التجارية خلال سلسلة من غرف صغيرة ، تسمى غرف التفتيش ، وغرف كبرى تحتوي على مضخات أو أحزمة ناقلة لمواد المجاري . وكل هذه الغرف ـ شأنها شأن الأنابيب ـ مدفونة تحت الأرض .

وتستخدم الأنابيب أيضاً لنقل كل أنواع النفط ومشتقاته ، كما أنها تنقل الغاز ، سواء للتصدير أو للتوزيع الداخلي ، على أن عملها لا يقصر على نقل السوائل والغازات ، فهي تستعمل لكي تمد خلالها الأسلاك الكهربائية ، وأسلاك الهواتف ، وموصلات البث التلفازي ، وغير ذلك . ولكن وجود الأنابيب تحت الأرض لا يكفي لحمايتها ، مما يعني حفريات تلو أخرى ، لاستبدال التالف منها ، وهنا تبرز مشكلة كثرة الحفريات ، فبالإضافة إلى ما تؤدي إليه تلك الحفريات من إزعاج للجمهور ، وتأخير لحركة المرور العامة ، فإنها أصبحت عالية الكلفة ، تستغرق كثيراً من الوقت ، كما أن العمل لحفر إحدى الخدمات يؤدي في الغالب إلى الإضرار بالخدمات الأخرى .





● طريقة حفر الخنادق التقليدية لتمديد الأنابيب وتبدو في الصورة نقاط سحب المياه الجوفية لحفظ الخندق جافاً .

آكلات الأنابيب

لا تعد طريقة استخدام الأنابيب ومدها تحت الأرض من الفنون الجديدة . فقد عرفها الإنسان ، واستخدمها ، منذ أكثر من ألفي عام . وما تزال الكولوسيوم في روما شاهدة على عمارة فخمة الطراز ، تتخلل صخورها أقنية لنقل ماء المطر . كما استخدمت القنوات المائية المغلقة ، وهي شكل من أشكال الأنابيب في جنائن بابل المعلقة . وأظهرت أعمال الحفر الأثرية في جرش بالأردن أن أنابيب من الفخار قد استعملت قبل أربعة عشر قرناً ، وهي تشبه كثيراً أنابيب الفخار المصنعة حديثاً .

وتختلف الأنابيب في أشكالها وأنواعها باختلاف المواد التي تصنع منها ، وهذه تختلف حسب الغاية المطلوبة منها ، فهناك أنابيب من الحديد ، وهي بأنواع كثيرة أيضاً ، وأنابيب من الطين المفخور ، وأنابيب من الاسبست ، وأخرى من الاسمنت . وقديماً صنعت الأنابيب من الخشب ومن الصخر أيضاً ، لكن القرن العشرين حفل بأنواع جديدة من الأنابيب البلاستيكية على اختلاف موادها وأحجامها وأنواعها .

وتتعرض الأنابيب المدفونة تحت سطح الأرض لعوامل عديدة ، تؤثر على كفاءتها ، أو قد تسبب تلفها تماماً ، فقد تتعرض للكسر ، أو لانفصال أجزائها في أثناء تمديدها وقبل أن يبدأ استعمالها ، وقد يصيبها مثل ذلك بعد الاستعمال ، نتيجة لتخلخل أو هبوط في التربة أسفلها أو المحيطة بها ، كما تتآكل الجدران الخارجية لبعض الأنابيب بفعل الأملاح الموجودة في التربة ووجود المياه الجوفية . أما الأنابيب التي يدخل الحديد في مكوناتها الرئيسة ، مثل الحديد المطاوع وحديد الصب ، فإنها تتآكل نتيجة تأكسدها ؛ أي تفاعل بعض مكوناتها مع الأوكسجين ، مكونة مواد

جديدة ، تنفصل عن جسم الأنبوب على شكل كتل أو قشور .

لكن الأنابيب تتآكل من الداخل أيضاً . وأخطر (آكلة) للأنابيب هي البكتيريا . وحتى عهد قريب ، قبيل استخدام المواد المقاومة للأحماض ، لم يكن ثمة مفر من القبول بفكرة تآكل معظم أنواع الأنابيب المستعملة في نقل المجاري الصحية بتأثير البكتيريا .

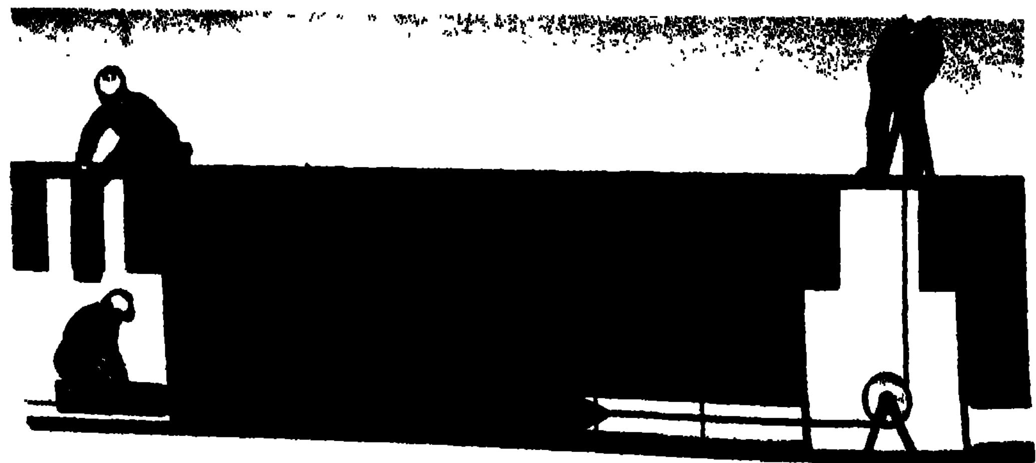
وتحتوي مياه المجاري الصحية في المناطق السكنية (غير الصناعية) على فضلات الطعام ومخلفات الهضم البشري . وتتكون هذه من مواد بروتينية وكربوهيدراتية ، وتضم هذه المواد الكربون والهيدروجين والأوكسجين والنيتروجين وقليلا من الكبريت . كما تحتوي مياه المجاري على البول الذي يتكون في معظمه من الأمونيا مع كمية قليلة من الكبريت . وبالإضافة إلى ذلك فإن مياه المجاري تحتوي على مواد التنظيف ، كالصابون ، وبعض هذه المواد يحتوي على الكلور .

وتتخذ البكتيريا من الطبقة الغروية المبطنة لجدران الأنبوب مرتعاً لها ، تتغذى على المواد العضوية . وبوجود الأوكسجين تتنفس هذه البكتيريا الأوكسجين ، وتعطي غاز ثاني أوكسيد الكربون ، شأنها شأن البشر أنفسهم ! ويسمى هذا بالتنفس الهوائي . أما في غياب الأوكسجين فتنتج غاز الميثان في تنفسها اللاهوائي .

على أن وجود الأوكسجين أو غيابه يؤثر في تكوين كبريتيد الهيدروجين ، وهو الغاز الذي يعطي للمجاري رائحتها الكريهة التي تشبه رائحة البيض الفاسد . ففي وجود الأوكسجين المذاب في الماء يتحد الكبريت (وهو في حالة أيونية قلقة) بالأوكسجين ، مكوناً أيون الكبريتات . أما في غياب الأوكسجين فإن الكبريتيد يتحد مع الهيدروجين ، مكوناً كبريتيد الهيدروجين الذي يتصاعد بشكل غاز في جو المجرى ، ويتحد مع الأوكسجين الموجود في الجو نفسه ، وبفعل البكتيريا الهوائية والحرارة (عوامل مساعدة) تتكون قطرات من حمض الكبريتيك على سقف المجرى ، ثم تنزل على الجوانب . وهذا الحامض هو الذي يسبب تآكل الأنابيب .

الرؤية من الداخل

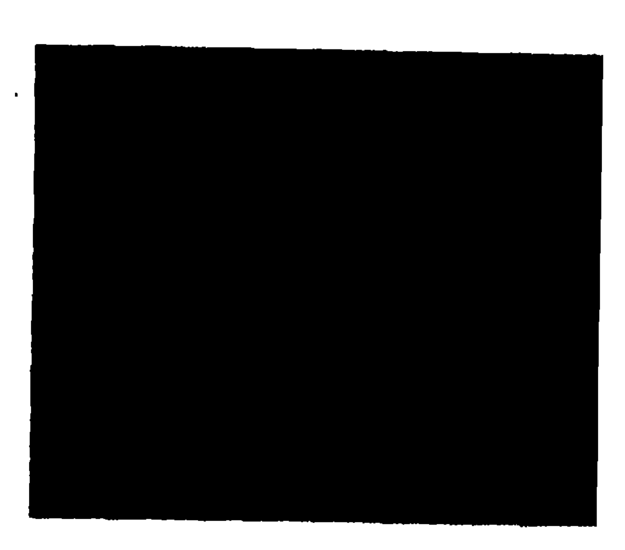
تختلف درجات تآكل الأنابيب باختلاف الظروف المسببة والمساعدة ، مثل مادة الأنبوب ، وطريقة تركيبه ، وتهويته ؛ أي إمرار الهواء فيه ، حيث يعرقل الأوكسجين الموجود في الهواء عمل البكتيريا لتوليد الحامض ، كذلك يؤدي ارتفاع درجة الحرارة إلى زيادة فاعلية البكتيريا ، وبذلك



● تبطين الأنبوب القديم بأنابيب صغيرة مسبقة الصنع .

تكـون المناطق الحـارة أكثر عـرضـة لتلف الأنابيب .

ولمشاهدة تلك الأنابيب من الداخل صنعت آلات تصـوير تلفـازيـة صغيـرة الحجم ، يمكن تشغيلها بجهاز التحكم عن بعد ، يكون عـادة ضمن سيـارة تحمل جهـاز تلفاز ، تـظهر عـلى شـاشته بـوضـوح صـورة أنبـوب المجـاري . وبتحريك آلة التصوير بين غرفة تفتيش وأخرى يمكن التصوير والتسجيل لطول الأنبوب ومعرفة حالته ، كما يمكن تسجيل معلومـات إضافيـة ؛ مثـل مكان العمـل ، وتـاريخه ووقتـه ، وقـطر الأنبوب ونوعه .



● الأنبوب القديم والبطانة الجديدة بعد تصلبها .



● أنبوب متآكل بفعل البكتيريا .

وقبـل أن يتم إدخال آلـة التصـوير تغسـل الأنابيب ، وتنظف بخـراطيم مياه مضغـوطة ، تمـرر على عجـلات صغيرة عبـر الأنبوب المـراد فحصه من طرفيه في عرفتي تفتيش .

بعد أن يتم تسجيل ما صورته الة التصوير ، يقـوم أحد المختصـين بتصنيف الأنابيب حسب درجة تآكلها ، ومدى الحـاجة إلى تجـديدهـا ، وتدخل في حساباته المعلومات التي سبق أن جمعها عن التخطيط المستقبلي للمنطقة ، وفيما إذا أريد لتلك الأنـابيب أن تظل بـالحجم نفسـه للفتـرة القادمة (خمس أو عشر سنين تالية) أو أنها بحاجة إلى تـوسعة مثـلا . فإذا قـرر أن تلك الأنابيب بحاجة إلى تجديد فإنه سيختار الطريقة المناسبة لذلك .

التبطين والتفتيت

تطورت خلال السـوات العشرين الأخيـرة بضعـة أسـاليب لتجـديـد الأنـابيب في بـاطن الأرض ، بدون حفر ، وأغلب تلك الأساليب يعتمد على تبطين الأنبوب بمادة جديدة ، تستطيع مقـاومة الأحمـاض التي تحملها مياه المجاري ، ويصبح بعد إتمام التبطين أنبوباً جديداً قوياً من الناحية الإنشائية . وتصلح مثل هذه البطانة حتى يكون الأنبوب واسعاً بدرجة كافية ، ولم يصل إلى درجـة الانهيار في مـدى تآكله ، وإلا فـإنـه يتم استخدام طرق أخرى ، تقوم بتفتيت الأنبـوب بجهاز ، يحفر أفقياً في باطن الأرض ، ويوضع من مدخل خاص عند أحد طرفي الأنبوب ، ويتم استبدال الأنبوب القـديم بآخـر جديـد بالحجم نفسه أو بحجم أكبر .

وطـرق التبطين تختلف فيـما بينها اختـلافـا كبيراً ، ولكل منها فوائد ومحاذيـر ، فقد تحتـاج إحدى الطرق إلى مساحة كبيـرة للعمل ، بينـما تأخذ طريقة أخرى حيزاً كبيراً من فراغ الأنبوب نفسه ، فيضيق حجمه بعد التبطين .



● عمال يرسلون آلة التصوير إلى داخل غرفة التفتيش .

جورب مقلوب على بطانته

في سنة ١٩٧١ أنشأ مهندس بريطاني ، اسمه أريك وود ، طريقة جديدة لتبطين الأنابيب وهي في مواضعها من التربة ، دون الحاجة إلى الحفر . ويروى أن هذا المهندس كان يتطلع إلى زوجته هي ترتق جورباً طويلاً ، فتمد يدها فيه لتقلبه بطناً لظهر ، حين لمعت في ذهنه الفكرة . وسواء صحت تلك الحكاية أم لم تصح فإن تلك الطريقة (وتسمى البطانة الموقعية) ببساطة هي قلب جورب طويل على بطانته .

تتكون البطانة الموقعية من نسيج من البوليستر ، يصنع على شكل أسطواني بقطر يقل قليلا عن القطر الداخلي للأنبوب المراد تجديده . ويشرب هذا النسيج بسائل بلاستيكي صمغي يتصلب بالحرارة ، كما يحدث عند وضع بيضة طازجة في ماء مغلي . يحفظ أنبوب النسيج في ماء بارد للاحتفاظ بسيولة المادة الصمغية البلاستيكية إلى حين نقله إلى موقع العمل ، حيث يقلب داخل الأنبوب المهيأ للتجديد على طريقة الجورب ، وذلك باستعمال الماء البارد كقوة دافعة . وبعد الانتهاء يدور الماء البارد على سخان يرفع درجة حرارته تدريجيا حتى يتصلب الصمغ ، وعند ذلك يتكون أنبوب بلاستيكي حديد مبطن للأنبوب القديم . وفي طريقة أخرى تصنع أنابيب قصيرة بأحجام مختلفة ، تتناسب وحجم الأنبوب المعد للتجديد ، ثم تزلق هذه الأنابيب من إحدى غرف التفتيش ، ويربط بعضها مع بعض . لتكون أنبوباً جديداً يبطن الأنبوب القديم . كما يستعمل شريط « حلزوني » طويل في طريقة ثالثة ، يلف داخل الأنبوب القديم ، ويكون بطانة له .

وقد طورت في السنوات القليلة الماضية ، طريقة لصنع أنبوب بلاستيكي مبطن للأنبوب القديم ، وذلك برش مادة بلاستيكية صمغية مع مادة مصلدة برشاشين دوارين . وكل هده الطرق استفادت من التقدم الكبير لتقنية الحاسوب (الكمبيوتر) ، وأجهزة التصوير ، والتسجيل التلفازي ، وعلم المواد وصناعتها . وتتنافس الدول المتقدمة تنافسا شديداً على السوق الذي ولدته أساليب تجديد الأنابيب بدون حفر ، حتى صار لكل من اليابان وانجلترا وفرنسا واستراليا والولايات المتحدة أسلوبها الخاص بها . □



عضة كلب

قصة بقلم : سعيد سالم

اقتحمت العجوز مدخل المستشفى الخيري بعويل زلزل أركاني ، وكاد لوحشيته الغريبة أن يأتي على بقية ما احتفظت به من ثبات عصبي في مواجهة الحياة حتى تجاوزت الخمسين . تجسد كيانها الإنساني في عود رفيع هش ، تكسوه مُزق بالية من قماش أسود جَرِب ملطخ بآثار الزمن ، تولول في ألم شديد ، والدماء تسيل من كفها اليمنى . تبكي ولا دموع في عينيها :

- الكلب عضني ، عضني الكلب .

عندما فاجأني الورم ، كان في بدايته صغيرا ، فلم ألتفت له ، وعندما ازداد حجمه ذهبت إلى طبيب التأمين الصحي المجاني التابع للمصلحة التي أعمل بها . كشف على صدري بلا مبالاة وقال دون أن ينظر إلى وجهي ويده تسرع في كتابة الدواء :

إنه تمزق بسيط أسفل عضلات الصدر . غادرت طابور المرضى الطويل من الموظفين التعساء ، وتوجهت إلى الصيدلية . قال لي الصيدلي ؛ إن هذا الدواء مسكن للألم لا أكثر .

لم يجد الدواء نفعا ، فنصحني ولدي الأكبر بالتوجه إلى طبيب خاص . ابتسمت في وجهه ، فأطرق خجلا ، وعاد إلى كتبه وكراساته ، وصفت لي جارتي موقع هذا المستشفى الخيري الذي يتقاضى من المرضى أجورا رمزية .

لم يختلف طابور المرضى من عموم الفقراء عن طابور المرضى الحكوميين . لم يزعجني الأمر كثيرا ، فأنا في النهاية أنتمي بالقدر نفسه إلى الفئتين معا .

انفك عقد الطابور ، تجمهر المرضى حول العجوز ينظرون في ألم شديد إلى كفها المعروقة ، وعلامات أسنان الكلب قد حفرت في عظامها



أخاديد عميقة . كان واضحا أنها تجاوزت الثمانين من العمر حسبما أوحت إليّ تضاريس وجهها المعقدة ، قالت الممرضة بلا انفعال واضح :

ـ ليس لدينا استقبال للحالات الطارئة .

سألتها بمرارة استقر أثرها في دمي وعلى خطوط وجهي :

ـ أليس لديكم ولو قليلا من صبغة « اليود أو الميكروكروم » وقطعة من الشاش حتى يتدبر أحد أمرها ؟

ـ للأسف لا .

ـ وما العمل ؟ هل نتركها حتى يسري داء الكلب في دمها ؟

بدت علامات الضيق والتبرم على وجه الممرضة ، لكنها اغتصبت ابتسامة صفراء كالحة قالت من خلالها :

ـ يمكنك ـ إن شئت ـ أن تصطحبيها في عربة خاصة إلى مستشفى الكلب .

لو فعلت هذا فلن أستطيع دفع ثمن التذكرة ، ولا ثمن الأشعة وقد مضى شهران كاملان حتى استطعت تدبيرهما في صمت ، سارعت إلى العجوز أسألها :

ـ أين تسكنين ؟

أجاب حارس المستشفى وهو يدخن سيجارة أخذها من مريض ليضعه في مقدمة الطابور :

ـ إنها تسكن في عشة صفيحية خلف المسجد القديم .

لم أعبأ بقوله إذ أصابني منظره بالتقزز منذ

رأيته ، وعاودت سؤالي للعجوز فراحت تولول دون أن تنظر إلي :

- عضني الكلب ، الكلب عضني .

- أليس لك أبناء ؟

- لا أعرف .

حيرتني إجابتها ، وألقت على كاهلي بخوف من الزمان لا قبل لي به ، رحت أتفحص يدها المصابة بذهول شديد ، أمن المعقول أن تكون هذه العضة النافذة العميقة عضة كلب ؟

قال أحد الواقفين مخاطبا نفسه :

- إنها تعيش في هذا المكان وحيدة منذ سنين ، ولا أحد يعرف لها أهلا أو أقارب .

لو سألني أحد سؤالي نفسه لها لأجبته بأن لي أولاداً ثلاثة ، أكبرهم يدرس بالجامعة ، وأصغرهم بالتعليم الإعدادي . ولو سألني :

- لماذا لم يأت أحدهم معك ؟

سأجيبه بأنني أتيت هنا دون علمهم ، حتى لا أضيع من وقت أحدهم دقيقة واحدة . ولو سألني :

- فلماذا لم يأت معك زوجك ؟

سأجيبه بأنه عض يدي التي امتدت إليه بالخير والحب والعطاء ، ثم هجرني - بعد أن أثرى - إلى زوجة أخرى في عمر أبنائه .

قالت الموظفة الجالسة إلى شباك التذاكر بانفعال شديد الصدق :

- فليأخذها أحدكم إلى المستشفى الجامعي على بعد أربع محطات « ترام ».

تروح العجوز وتجيء في مدخل المستشفى ، بين عشرات الكلمات يتقاذفها المرضى ، ويتبادلون النظر في إشفاق إليها أحيانا وإلى بعضهم بعضا أحيانا أخرى . لكن الحصيلة النهائية للكلمات والنظرات والمشاعر تمثلت أمامي على وجوههم الذابلة في أن الامر لا يمكن أن يعني أحدا سوى صاحبته ، وأن أحدا لن يفعل لها شيئا حتى لو سرى السم في دمها ، وماتت أمامهم على مدخل المستشفى الخيري .

في الطريق سألني سائق العربة الخاصة .

- أمك ؟

أجبته بلا تردد :

- نعم .

اعتقد السائق أنه يزف إليّ بشرى رائعة حين أخبرني أنه لم يعد هناك مبرر الآن لإعطاء مريض الكلب عشرين حقنة في البطن . لقد تطور الطب في بلادنا ، واستبدلت بهذه الحقن العشرين حقنة واحدة مكثفة ، سألته بلهفة :

- وهل تعطى هذه الحقنة بالمجان ؟

ضحك السائق كمن يداعب طفلا ، ثم قال لي ياشفاق :

- سوف يحدث هذا يوما ، ولكن في الأحلام .





فوجئت بصمت العجوز عن الصراخ والعويل ، خيل إليّ أن مقاومة جسدها العليل قد انهارت ، وأن السم قد تمكن منها إلى الأبد . لعلها إرادة الله أن تستريح هذه المخلوقة التائهة في خضم حياة لا تعرف الرحمة ، وأن تسكن البيت الأخير في هدوء ، استراحت نفسي قليلا لهذه الخاطرة ولكنني فوجئت بها تنظر إليّ نظرة عميقة نافذة أصابتني بشيء من الفزع . تجلت في نظراتها أمارات الدهشة والشك والعرفان واليأس والفرحة والزهد واللامبالاة ، ولأول مرة أرى الدموع تتساقط من عينيها في ندرة تشف عن غلوها وامتناعها ورغبتها في البقاء متحجرة بمقلتيها المنطفئتين .

تحول الفزع في نفسي إلى وجيب في قلبي ، فمسحت دموعي بظهر كفي ، وتبددت آلام الورم المجهول ، فرأيت أبنائي وقد صاروا كبارا حين سافر منهم من سافر ، وبقي منهم من بقي ، وقد استقل بزوجته وأبنائه بعيدا عني ، وبقيت في وحدتي أجتر آلام عضة زوجي القاسية ليدي، وتضخم الورم في صدري ، وعجزي عن الاحتماء بأحد من أفاعيل الزمان وغدر المجهول. وتساءلت ترى هل تنتهي أيامي إلى مثل ما انتهت إليه أيام هذه المخلوقة التعسة القابعة إلى جواري كنفاية لفظت بها هموم المكان والزمان إلى بالوعة النسيان ؟

ـ للأسف لا يوجد لدينا مصل اليوم .

ـ هل يعقل حدوث هذا في مستشفى تخصصي ؟

ـ هذا أمر خارج عن حدود علمي واختصاصي .

ـ وما العمل ؟

ـ اذهبي بها إلى المستشفى الأميري فربما كان لديهم مصل .

استعوضت الله بما تبقى معي من نقود قليلة ، وتوجهت بالعجوز في عربة أخرى إلى المستشفى الأميري العام ، ذلك المكان الذي يدق قلبي رعبا لمجرد أن يتبادر اسمه إلى مسمعي .

لم أهتم كثيرا بآلية العجوز في استجابتها الاستسلامية إلى سلوكي معها ، فيقيني أن الحياة قد انهكتها بما فيه الكفاية . لم يعد يعنيها أن تعبر عن شعورها بالامتنان أو الغضب ، اركبي ، تركب ، انزلي ، تنزل ، تعالي ، تجيء . لا معنى عندها للقبول أو الرفض ، بل إن ملازمتي لها ووجودي إلى جوارها في محنتها لا يعنيان شيئا عندها ، وكأنني مسخرة مثلها تماما بفعل قوة أكبر مني ومنها ، ومن الوجود والتلازم والمحنة والأشياء لأن ننتقل من هنا إلى هناك ، ومن هناك إلى هنا ، هكذا خيل إليّ بتأثير صمت العجوز ذات النظرات الغريبة .

لم يتفوه السائق الثاني بكلمة واحدة ، بعد أن اكتفى بالنظر إلينا برهة في حنو شديد . عاودت النظر في فضول لا مبرر له إلى يد العجوز ، لابد أنها عضة ذئب أو أسد ، أو انها عضة مخلوق آخر ، إلا أن يكون كلبا .

عندما تفحصت يدها هذه المرة ، رأيت اختلالا قد حدث في ناموس الحياة القائم على العدل ، فأنا لم أفعل ما يسيء إلى زوجي حتى يهجرني ، وليس بنيتي أن أتردد ـ فيما بقي لي من عمر ـ لحظة واحدة في التضحية بحياتي من أجل ابنائي ، فلماذا فعل بي زوجي ما فعل ؟ ولما سيتركني أبنائي وحيدة حين يكبرون ؟

أفاقت العجوز من غيبوبتها ، ، فأفقت معها حين قالت فجأة بصوت يحمل رنة انتقام يائس :

- يجب أن نبلغ الشرطة .

بدأت المسكينة تستسلم لسريان لعاب الكلب في دمها ، ها هي ذي بوادر الهذيان ، فأي شيء تريد أن تبلغ الشرطة

- خذيني أولا إلى الشرطة حتى يقبضوا على الكلب

- ارتاحي يا أمي ، بعد المستشفى نذهب إلى الشرطة بإذن الله .

- لو تأخرنا سيغلق دكانه ويهرب .

- من هو ؟!

اندفعت في الصراخ الآلي من جديد . تهيأ لي أنها لم تكن تشعر هذه المرة بألم حقيقي ، بل إنها تحتال لدفعي إلى تحقيق رغبتها باتباع تلك الوسيلة ، أخيرا نطق السائق بمجرد أن توقف بالعربة أمام المستشفى .

- هناك مركز للشرطة قريب من المستشفى .

فوجئت به يحملها بين يديه ، ويطلب مني انتظاره بالعربة ، حتى ينتهي من مهمته التي كلف بها نفسه في صمت .

تنفست بارتياح ، وزالت عني كل أسباب الكدر دفعة واحدة . بعد قليل عاد السائق مبتهجا ، والعجوز بين يديه كعود من القصب . وضعها إلى جواري وهو يعبر بكلمات مهذبة عن دهشته لسذاجتي إذ قضيت معها كل هذا الوقت دون أن ادري أن الذي عضها إنما هو رجل يعد الشاي في دكان صغير مجاور لعشتها الصفيحية ويبيعه للعمال .

سألتها في ذهول :

- ماذا فعلت به حتى يعضك بهذه القسوة ؟

في مقر الشرطة لم يجد الضابط بدا من اغلاق المحضر وحفظه ، لكون الجاني من المتخلفين عقليا ، بغض النظر عن أسباب خلافه مع جارته العجوز التي لا يعرف لها أحد نسبا ، وفي طريق عودتي إلى بيتي كنت على ثقة أقرب إلى اليقين من أن الورم الذي ظهر في صدري ورم حميد □

البيت العربي

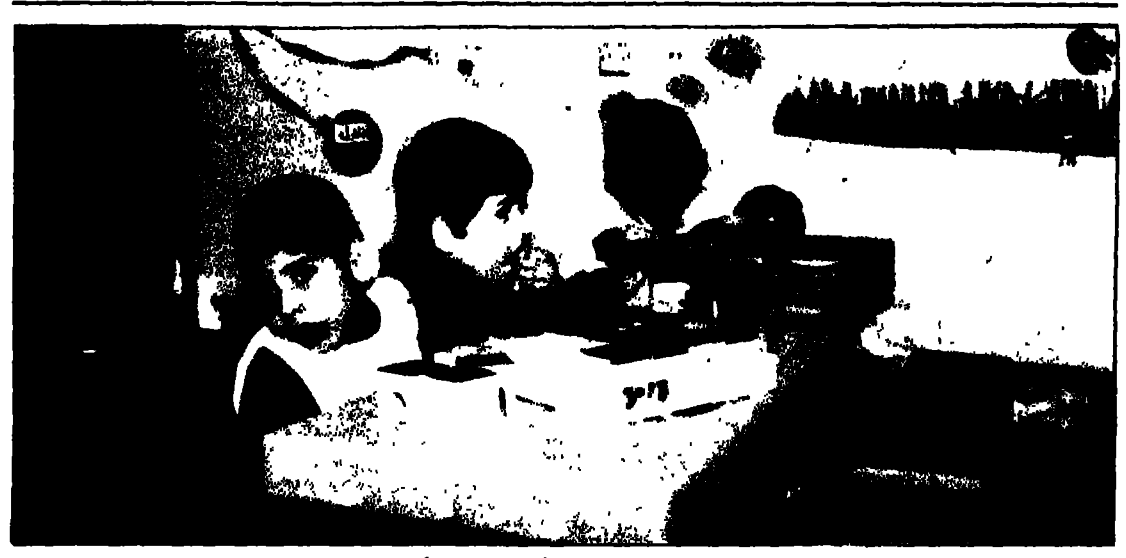
مجلة الأسرة والمجتمع



■ دموع الرجل الممنوعة

■ المعاقون مشكلة أسرة ، وهم مجتمع

١٦١



● هم أيضا لديهم أصدقاؤهم وألعابهم



المعاقون
مشكلة أسرة، وهمّ مجتمع

بقلم: ريم الكيلاني

هو واحد من أبناء الأسرة وإن اختلف عنهم، هو حبهم وهمهم في الوقت نفسه، وهو محور عطفهم وحزنهم، وفي كل الأحوال هو مصابهم الذي يكبر مع مرور الزمن، إنه الطفل المعاق.

أي حياة تعيشها أسرة، أحد أفرادها أصابته إعاقة ما؟ إنها بالتأكيد أسرة لها طابع خاص، تختلف بشكل أو بآخر عن بقية الأسر، فوجود الطفل المعاق في المنزل يفرض عليها مسلكا خاصا، ونظاما خاصا، يختلف باختلاف نوع الإعاقة، ودرجتها فقد تكون المشكلة وجدت نتيجة لمجموعة عوامل وراثية، وربما أوجدناها نحن بسبب جهل أو إهمال، وقد تكون نتيجة مرض لم تستطع العائلة أن تتجنبه، فبقيت ملازمة لصاحبها ولمن حوله، والأيام تزيد المشكلة حدة، بقدر ما يزيد الشعور بها لدى أسرة المعاق الذي يكبر وتكبر معه الآلام والمعاناة.

أطفالنا ولكن

ترى الدراسات الحديثة أن المعاق ليس إنسانا عديم الفائدة، لا قيمة له في المجتمع، بل هو فرد كباقي الأفراد، قادر على العطاء في حدود إمكانياته اذا أتيحت له فرصة جيدة، ملائمة لظروفه العقلية والجسمية. ولعل من

المناسب أن نتذكر معا بعض هؤلاء الذين وقعوا ضحية الإعاقة بأشكالها المتعددة، والذين نجحوا في تحدي الظروف التي وقعوا تحت طائلتها، فكانت لهم مكانة عظيمة في العالم.

مثل : فرانكلين روزفلت ، الرئيس الأمريكي الذي أخرج بلاده من أزمتها الاقتصادية ، وعبقري الفن والموسيقا بتهوفن ، وأبي العلاء المعري ، صاحب رسالة الغفران ، وطه حسين ، وهيلين كيلر ، فكل هؤلاء انتصروا على إعاقتهم وأصبحوا في عداد العظماء .

أما ستيفن هوكنغ فهو من أبرز علماء الفيزياء النظرية المعاصرين، وهو يحتل الآن مقعد أستاذ الرياضيات في جامعة كمبردج، وهو المقعد الذي كان يشغله اسحق نيوتن من قبل. وستيفن هوكنغ عقل دون جسد ، فهو لا يستطيع الحركة أو حتى الكلام، فقد أصيب فور تخرجه من الجامعة بمرض ضمور الأعصاب، وكان من المتوقع ألا يعيش حتى يحصل على درجة الدكتوراه. وقد نجح الأطباء في إيقاف المرض لكن بعد أن أصبح ـ كما ذكرنا ـ بلا جسد وقد نجح في مواصلة الكتابة والبحث العلمي، فقامت مؤسسة أمريكية بكاليفورنيا باهدائه برنامجا خاصا، يسمى المركز الحي، يستطيع عن طريقه ـ باستخدام حاسوب مثبت في كرسيه المتحرك ـ الاتصال بالآخرين .

المشكلة إذن ليست معقدة بالدرجة التي نتصورها، لكن ماذا لو قمنا باستطلاع آراء بعض الآباء في مشكلتهم، لنرى أي حياة يعيشها الآباء مع أبنائهم المعاقين؟ وكيف يواجهون المجتمع؟

يقول الشقيق الأكبر لطفل معاق، يبلغ من العمر أحد عشر عاما:

حاولت والدتي في البداية ـ رغبة في الاهتمام به، وكنوع من إرضاء الضمير ـ أن تعتني به، وتوليه كل الرعاية، لكنها وجدت بعد أقل من سنة أن الأمر صعب جداً، فرأت أن تسند مهمة رعايته وإيوائه الى مؤسسة اجتماعية متخصصة.

وتقول أم لثلاث بنات معاقات : تتراوح أعمار بناتي بين عشرين وثلاثين عاما، اثنتان منهن تعانيان من تخلف عقلي وشلل كلي، والثالثة تكمن إصابتها في تشوه خلقي في الأرجل واليدين، إلى جانب التخلف العقلي. حاولت في البداية رعايتهن، لكن بدأ الأمر يزداد صعوبة مع ازدياد عدد افراد الأسرة، ورأيت مع زوجي أن إبقاءهن في مؤسسة لرعايتهن هو البديل الأمثل، ويبدو أن البنات اعتدن الحياة هناك، ويفضلن البقاء في المؤسسة، كما أن إخوتهن في المنزل يفضلون ذلك، ولكنني آتي لزيارتهن في كل مناسبة، وأوفر لهن ما قد يحتجن إليه .

ويروي أب قصته عن أبنائه الثلاثة المصابين بتخلف عقلي وشلل كامل: لدى من الأبناء خمسة، اثنان منهم حالتهما الصحية سليمة تماما، والباقون يعانون من الاعاقة الكاملة، وقد عرفت فيما بعد من أحد الأطباء أن زواج الأقارب هو



● الدكتور موسى الحموري



● الأستاذة هناء المسلم

السبب في ذلك، وتقبلت وزوجتي الوضع، وإن فضلنا إسناد رعايتهم لمؤسسة خاصة لرعاية المعاقين، بعدما واجهنا صعوبة بالغة في العناية بهم، لكنني أصحبهم إلى المنزل، ليقضوا بيننا أيام الاجازات، كما يخرجون مع باقي أفراد الأسرة في النزهات، ولكنهم يفضلون البقاء داخل المنزل بسبب نظرات الألم والشفقة التي ينظر بها الناس اليهم.

الطب التطوري

لم تعد قضية الاعاقة قضية فردية مقصورة على الأفراد المصابين بها، بل هي قضية جماعية، وهي أحد مقاييس تقدم الأمم وحضارتها. وقد حظي هذا الموضوع في كثير من الدول المتقدمة، كالولايات المتحدة الامريكية والسويد وانجلترا، باهتمام كبير من قبل الأطباء، فقد أصبح هناك فرع قائم بذاته، يعرف باسم الطب التطوري للأطفال، وهو الفرع الذي يتابع حالة الطفل الحيوية والنفسية والعقلية والاجتماعية، اذ يتم فيه تحديد نوع الاعاقة وأسبابها، بناء على قواعد علمية سليمة.

ويجدر بنا هنا البحث أولا عن تعريف واضح للمعاق، يوصلنا لفهم هذه الحالة. ومن ثم البحث عن الطريقة الفضلى للتعامل معه. الدكتور موسى



● بين أقرانهم حتى لايشعروا بالعزلة

الحموري، رئيس وحدة الطب التطوري في مستشفى الصباح والمتطوع لرعاية المعوقين، يتولى الحديث في هذه القضية:

«المعاق هو ذلك الشخص المصاب بعجز ما، في جسمه أو شخصيته أو نفسيته، مما يؤثر سلبا على نموه الطبيعي، وعلى قدرته على التعلم والتكيف الاجتماعي». وللاعاقة عدة أسباب، تختلف باختلاف الشخص أو الطفل وعمره، فهناك نوع من الاعاقة يحدث في فترة ما قبل الاخصاب،

وعادة ما تكون أسبابها وراثية، ناتجة عن اضطراب في الكروموسومات، حين لا يكتمل انقسام هذه الكروموسومات في أثناء عملية انقسام الخلية، وينتهي الأمر بحصول الخلية البيضية أو الخلية المنوية على عدد من الكروموسومات، يزيد أو يقل عن العدد المفروض أن تحصل عليه، وهذا يؤدي الى خلل في تركيب الجنين. والطفل المغولي هو نتاج هذا الخلل

ومن مظاهر الإعاقة الذي يحدث في فترة ما قبل

الإخصاب، كذلك، اضطراب الجينات أو نقصها، مما يؤدي الى عدم قدرة الجسم على أكسدة الأحماض، ومن ثم الى خلل في القوى العقلية للطفل، وهذا ما يعرف بأمراض التمثيل الغذائي .

أنواع أخرى من الإعاقة تصيب الطفل في فترة الحمل، كتعرض السيدة الحامل للأشعة، أو إصابتها بداء السكري أو فقر الدم أو الحصبة الالمانية، وتهمل بعض الأمهات إرشادات الطبيب ونصائحه لهن في أثناء الحمل، فتتناول الأدوية، وبخاصة المهدئة، اذا شعرت بأي ألم، ويجب ألا يفوتنا أيضا أن كثيرا من المواد المجمدة والمعلبة تحتوي على مواد كيميائية حافظة، تضر الأم الحامل. كذلك فإن الاضطراب النفسي والعصبي للأم له تأثير سيىء على صحة الجنين، وبخاصة في حالات الحروب والقتل والدمار، اذ أن أغلب ولادات الحروب ينتج عنها أطفال معاقون بهذا الشكل أو ذاك .

ولكن أيا كانت الأسباب فالمعاق اليوم لم يعد ذلك الشخص الذي ينبذ بعيدا عن المجتمع ، بل هو شخص مريض يتلقى العلاج اللازم ، استعدادا لدخوله دائرة المجتمع الواسعة ، ومؤسسات الرعاية ودورها منتشرة بشكل واسع في كل مجتمع حضاري ، وتكاد توفر لهم كل ما يحتاجونه من رعاية وعلاج ووسائل تعليم وترفيه ، بل إن دورات رياضية كاملة تنظم للمعاقين على مستوى العالم .

حساسية مفرطة

الدكتورة سهام أبو عيطة ، أستاذة علم النفس التربوي في جامعة الكويت ، واحدة من المهتمين بهذه القضية ، فقد سبق لها أن عملت في دار رعاية المعاقين بالكويت . تتحدث حول هذا الموضوع قائلة : يدرك المعاق مشكلته ، لكنه لايعرف أنواع السلوك ، ولا يفرق بين الصواب والخطأ ، وما قد يترتب على ذلك من ثواب أوعقاب ، فقد يسلك سلوكا عدوانيا ، غير حضاري ، كالاعتداء والسرقة إذا شعر أنه منبوذ اجتماعيا .

ويجب أن نذكر هنا أن الأطفال الذين يعانون من الشلل النصفي ، أو من المشاكل السمعية والبصرية ، يمكنهم باستعمال الوسائل المساعدة أن يندمجوا في المجتمع ، ويحصلوا على مراتب علمية عالية ، لأن هذا النوع من الإعاقات لاعلاقة له بنسبة الذكاء ، لكن المشكلة الكبرى تكمن بين الأسر التي يعاني أطفالها من التخلف العقلي ، إذ يحتاج هؤلاء الأطفال لرعاية واهتمام مضاعفين من قبل الأهل ودور الرعاية ، حتى يتمكنوا من تأدية عمل بسيط ـ على الأقل ـ يخرجهم من عزلتهم وانطوائهم ، وهذا يحتاج


● هيلين كيلر


● فرانكلين روزفلت


● بيتهوفن


● أبو العلاء المعري


● طه حسين

لبرنامج نفسي خاص ، يضعه طبيب بالتعاون مع أخصائي نفسي ، وتتبع المؤسسة والأسرة ، في آن واحد ، بنود هذا البرنامج ، لينجحا معا في إمداد الطفل المعاق بالرعاية والحب والدفء . والحقيقة أن هؤلاء الأطفال في حاجة ماسة لرعاية خاصة من ذويهم ، لأنهم داخل نطاق الأسرة يشعرون بالأمان وهدوء النفس ، ومهما بلغت درجة التطور والتقدم بالمؤسسة التي ألحق بها الطفل ، فهي في النهاية لاتستطيع أن توفر مشرفة واحدة لكل طفل ، بينما هو يكتفي بابتسامة من أمه إذا كان بجانبها .

المشاكل مستمرة

لاتنتهي مشاكل المعاق بعد أن يكبر ، فلكل مرحلة من عمره مشاكلها الخاصة ، فهو في الطفولة المبكرة يحتاج لوقت طويل من الرعاية ، وفي مرحلة التعرف والتجريب قد يؤذي نفسه ، إذا لم يكن مراقبا جيدا من قبل أسرته أو المؤسسة التي ألحق بها ، وفي مرحلة المراهقة يخشى على الفتى والفتاة من الاستغلال في أعمال مخالفة للقانون ، وما قد يترتب على ذلك من جرائم . لذلك فنحن نركز دائما في حديثنا مع هذه الأسر ، حول ضرورة امداد



● بالحب والحنان ، تسير الحياة .

الطفل بالحب والحنان ، لنجنبه كثيرا من المخاطر التي قد يقع فيها ، فإبقاؤه داخل نطاق الأسرة يكسبه بعض المبادىء والقيم الأساس التي يقوم عليها بنيان الأسرة .

وتتحدث الأستاذة هناء المسلم ، الاخصائية النفسية ، في الجمعية الكويتية لرعاية المعاقين ، عن تجربتها العملية في الجمعية : « يبدأ الدور الإيجابي للأسرة عندما تقتنع بضرورة تعليم الطفل أولا : الاعتماد على نفسه ، وبذل مجهود كبير في تدريبه على أسس الحياة اليومية ، لأن ذلك هو أكثر ماقد يحتاج المعاق لتعلمه ، كتناول طعامه ، وارتداء ملابسه ، ولامانع من مشاركته في بعض الأعمال المنزلية البسيطة ، كتحضير مائدة الطعام ، أو عمل عصير ، أو جمع أوراق الشجر من الحديقة ، فهذه كلها أعمال بسيطة ، تشغل وقته ، وتعطيه الاحساس بذاته ، وبقيمة ما يقدمه من أعمال .

لكن ما هو متبع عند أسر كثيرة غير ذلك ، فكثير من الأهل يفضلون إيداع طفلهم في مؤسسة خاصة لرعايته ، هروبا من تحمل المسئولية ، بل إن كثيرا منهم يحرمون الطفل حتى الاندماج في المجتمع ، ويفرضون عليه البقاء داخل حجرته ، خجلا من منظره أو من تصرفاته أمام الناس ، وهذا يؤدي الى جعل الطفل شرسا عدوانيا ، ومحبطا إلى أبعد الحدود .

ويبقى سؤال : هل من الممكن مستقبلا أن تتكيف هذه الفئة مع المجتمع بعيدا عن نظرات العطف والشفقة ؟

ويؤكد الأطباء أن المعاق إنسان كلما أتحنا له فرصة التعلم ازدادت أمامه فرص النجاح ، وأصبح قادرا على إكمال مسيرة الحياة بطريقة مقبولة لنفسه على أقل تقدير .

ويبقى ذلك الكم الهائل من الحب الذي يحتاجه المعاق لكونه إنسانا شديد الحساسية ، وهو كم لايتوافر إلا في وسط عائلي حميم ، وبهذا فقط يمكن النجاح في هذه المهمة الصعبة . □



بقلم : نجوى قلعجي

يقال إن عملية ترويض النار كانت الحجر الأول في أساس البنيان المادي للحضارة ، فهل نستطيع القول بأن عملية ترويض الرجل لدموعه هي تلك الخطوة في تاريخ الحضارة البشرية التي نهض على أساسها البعد المعنوي للحضارة ؟

لعلني لم أجعل دموع الرجل موضوع مقال إلا لأنني تساءلت ، منذ حداثة سني عن هذا الموضوع . فلماذا دموع النساء تجري سيولا لأتفه سبب ؟ ولماذا يرفع الرجل بين الدمعة ووجنتيه جدار « لا » ؟

وبما أنني أصرح الآن بإعجابي بعلاقة الرجل مع الدمعة ، لذا أكتب مقالتي هذه بصيغة مدح تحليلي . ويدفعني ربما الى صيغة التحليل المديحي هذا أن أحداً لم يكتب بحثا عن دموع الرجل على الرغم من كونها تستحق التقدير ، فحين كتب « رولان بارت » في صفحة من كتابه « خطاب عاشق » عن الدمع ، تحدث عنه تجريديا وبشكل عام ، متناولا الدلالة النفسية والعاطفية للدموع عادًا إياها لغة ولسانا ناطقاً بحرارة العاطفة ، فحين يبكي إنسان فكأنه يعلن لنفسه ألمه ، أي حتى يعي حزنه ويقره ، وكأن الدمعة إمضاء وتوقيع على حالة الألم . كما أنه يذرف الدمع ليطالب الآخر بالاعتراف به وبألمه .

وكذلك فإن الفيلسوف الكبير « رينيه ديكارت » حين كتب صفحة خاصة عن الدموع فقد تناول معناها وصيرورتها الانفعالية ، يقول :

« هكذا نرى أن هؤلاء المصابين بحزن لا يذرفون الدموع باستمرار ، بل على مراحل ، وذلك حين يتذكرون مجدداً الأمور التي أحزنتهم »

لكن - وفي حدود ما أعلم - لم يتوقف أحد عند علاقة الرجل بالدمع ، وهي علاقة جديرة بالتوقف عندها لأهميتها التربوية والحضارية .

الرجل ، لا يبكي !

ممنوع الرجل من ذرف الدموع ، فالرجل الرجل لا يبكي ، تلك هي نصيحة أو توصية ، بل تحذير وتربية من الأبوين للابن الطفل ، فالشاب ، أي شاب ، يسمعها قبل المراهقة ، ومنذ أن يبدأ وعيه بالتفتح ، وهو ما زال طفلا ، فإذا بكى ابن الخامسة قالت له أمه : « عيب يا بني أنتِ رجل ، والرجال لا يبكون » ، وقال له الأب : « ألست رجلا ؟ كيف تبكي ، دع البكاء لأختك » .

وهذا التحذير ، يظل ملازما الرجل طوال حياته ، وهو إن نسيه في وعيه فإن لاوعيه لا ينساه مطلقا . كما أن كل شيء حوله يذكره به ، نظرات الآخرين المستهجنة أو ضحكاتهم الساخرة ، إذا أفلت انفعال ما في لحظة ما ، من عينيه دمعة ، بل إن الرجل يجاهد حتى لا تغرورق عيناه بالدموع ، حتى قبل أن تصل إلى مرحلة الانهمار على الوجنتين ، فإذا اشتعل في قلبه الحزن أو الأسى أو الحنين أو الألم أو الوجع « وترقرق » في عينيه الدمع أحس بذنب حضاري ، « فالرجل الرجل لا يبكي » . هكذا تعلم منذ نعومة أظفاره ، بل إنه رضع هذا الموقف المتسامي مع الحليب .

لا عزاء للرجال

إن الموقف الرجالي والنسائي من الدموع واضح ، لا يحتاج المرء لإدراكه إلى تحليل الألوان في قوس قزح ، فدموع الغيوم على كثرتها في فصل الشتاء لا تساوي حجم ما ذرفته وتذرفه النساء عبر القارات . لكننا هنا نجد تقييما مكثفا لهذين الموقفين التربويين أصلا ، فهل يجب أن يبكي الرجل ويكف عن كفكفة دموعه حتى لا يتحجر قلبه وتتيبس عواطفه ، أو حتى لا يبدو كذلك ؟ أو على العكس من ذلك يجب أن يدخل في التربية النسائية نوع من لملمة الدموع الغزيرة ، لتكون دمعة المرأة مثار تقدير واحترام ، لا مدعاة للشفقة والرثاء ؟ ثم هل حقاً أن الدموع علامات للحزن الشديد والفرح الكبير ؟ هل هي حقاً دلالة على القلب الرقيق المفعم بالعواطف الدافئة أو أنها تعبير عن شيء ما ؟

لعل « رولان بارت » قد أصاب حين عد الدموع علامات اعتراف بالألم ، وطلب اعترافاً من الآخرين على الرغم من حصره البحث في مسألة الحب ، فالدموع ، كما يبدو ، تشكل عادة نوعاً من العودة إلى الذات ، والشفقة عليها ، وهي حين تأتي في ذروة ألم أو عذاب إنما تأتي



،معاليا ، لتشكل نوعاً من العزاء والسلوى والمواساة ، لذا فإن الدموع ليست بالتحديد علامة غم وكدر بقدر ما هي علامة عزاء وبحث عن مواساة .

لذا حين لا يستسلم الرجل لدموعه فهذا لا يعني أنه ليس حزينا ، أو أنه دون قلب رقيق ، بل على العكس ، فإن ذلك يعني أن الرجل لا يبحث عن عزاء لنفسه من نفسه أو من الآخرين .

وهذا لا يعني أيضا أن الرجل يصل إلى لحظات ضبط الدمع بسهولة ويسر ، فإنه يمر بلحظات صعبة محرجة « وطقطقة » الدموع في حنجرته وتهدج صوته يعرفها الجميع ، لكن الرجل لا يستسلم لعزاء الدموع ، ولا يسبح مختبئا في بحيرتها المالحة ، بل يواجه ضعفه ، ويتجاوزه .

ضابط الدموع

وحين تستسلم المرأة لدمعها تشعر بعجزها ، وحين لا يستسلم الرجل لدمعه يشعر بإنسانيته .

نعم ، الشعراء يبكون ، ربما عن سائر الرجال يبكون ، ولعلهم لا يبكون إلا ليصوغوا الدموع لآلىء منيرة للشعور والاحساس والعاطفة .

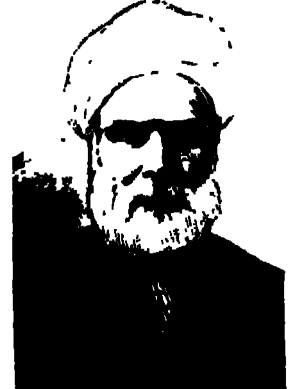
وإذا كان الدمع كما يرى الأطباء حلاً مؤاتيا للحالات القصوى من الألم والحزن فإن الرجل الذي يسمح لنفسه بالبكاء في تلك الحالات ، ويمنع البكاء عن نفسه في الأمور العادية ، وما تحت تلك الحدود القصوى ، يستحق كل تقدير ، وتستحق دمعته كل محبة واحترام . ويبقى أن ذلك المبدأ التربوي الحضاري الساري في كل زمان ومكان ، والذي اختص الرجل بعملية « ضبط » الدمع ، فتعلم بذلك التسامي على أفراحه وأحزانه ، لعل هذا المبدأ التربوي الحضاري يجب أن لا تحرم منه المرأة ، وتتركه لدموعها ، فعملية « ضبط » المرأة لدموعها هو أول دروب ارتقائها فوق طبيعتها . فإلى متى يبقى هذا التمييز الحضاري بين المرأة والرجل قائما ، يرفع الرجل فوق طبيعته ويغرق المرأة في بحيرة طبيعتها ؟

تقول الكاتبة الروائية الفرنسية « كوليت اودري » :

« نعم ، إن المرأة تجني فوائد ضعفها » .

فهل تتخلى المرأة بسهولة عن دموعها التي تذرفها كل آن ولأتفه سبب ، وهي السلاح « الذرّي » لضعفها ؟ □

الخوف من العمامة



● اشتهر الإمام محمد عبده أيام توليه القضاء ، بأنه إذا أراد الحكم على متهم بالبراءة ، رفع عمامته إلى ظاهر رأسه ، وإذا أراد الحكم بالسجن على متهم ، عوج العمامة بحيث تغطي نصف جبهته ، فوقف ذات يوم ليتلو حكما على متهم ، فمد يده إلى عمامته ، فصاح المتهم :

«سايق عليك النبي متعوجهاش لقدام» .

هو.. هي

مبالغــــة

بدأنا باتفاق على كثير من نواحي حياتنا ، ثم بدأت الأمور الصغيرة تنغص علينا استمرارية هذه الحياة كما بدأناها .

وقد لاحظت على زوجتي مؤخرا ميلها إلى اقتناء الذهب وتجميعه ، ولبس القطع الكبيرة التي تستفز كل من يراها . صحيح أنني في حياتي أراعي الميول الطبيعية للمرأة في التزين ، إلا أن حالة زوجتي خرجت عن حدودها الطبيعية ، ودخلت في حدود المبالغة ، إن لم أقل مرحلة الاستعراض غير المبرر .

وعندما كنت ألفت نظرها الى ذلك ، فإنها كانت تجيبني في البداية إجابات مقنعة ، حول ضرورة اضفاء جماليات تزينية للمرأة بمثل الذهب من مختلف الأشكال والأحجام .

إلا أنني عندما كنت أضيف : بشرط أن لايصل التزين الى المبالغة ، أو اختيار القطع غير المناسبة ،لا لسبب الا كبر حجمها وربما ارتفاع ثمنها ، فإنها كانت تكتم إجاباتها ، وتجيب « بقفشات » ونكات في البداية ، ثم أصبحت تضيق ذرعا بملاحظاتي مؤخرا ، وتعد ذلك تدخلا في خصوصيات حياتها .

كنت أشرح لها باستفاضة وجهة نظري ، حول ضرورة مراعاة الاعتدال ، وعدم المبالغة ، مكررا ذلك عدة مرات

وفي المرة الأخيرة وصل بي الأمر الى التهديد بمنعها من الالتحاق بعملها إذا ما استمرت على ما هي عليه . فكادت تخرج عن طورها ، ولم يمنع تطور الأمور الى مالاتحمد عقباه إلا دقات جرس الباب التي أوقفت عراكا كاد أن ينشب .

هو..



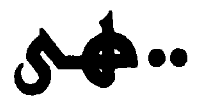
توفـــــير



لست أدري ما أصاب زوجي ! لقد بدأ في الفترة الأخيرة مستثارا متحفزا إذا ما لبست بعض قطع الذهب التي أهداني إياها ، أو التي اشتريتها من مالي الخاص الذي أوفره ، بعد أن أقوم بواجباتي نحو أهلي وبيتي .

وقد أخذ يهدد في الفترة الأخيرة بمنعي من الالتحاق بعملي ، اعتقادا منه أن ما أوفره من عملي هو الذي يدفعني لشراء الذهب وغيره من أدوات التزين . ولقد بينت له وجهة نظري أكثر من مرة ، بأن التزين حاجة ضرورية وطبيعية للمرأة ، وكان يقر بذلك ويتفق معي لكنه كان يضيف بأنني أبالغ بلبس قطع الذهب ، وأكثر منها في عنقي وأذني واصبعي ، مما يدفعني الى الرد عليه أحيانا بأن امتلاك الذهب في النهاية ما هو الا نوع من التوفير .

وأن ماأقوم به ليس إلا ما يقوم به نفسه حين يضع ما يوفره من مال في أحد المصارف أو في تجارة ، وإنني لست أقل من صديقاتي مركزا ورتبة . لكنه كان يعود الى ترديد « اسطوانة » المبالغة والإكثار ، وأحيانا كان يصف ذلك بالفجاجة وعدم النضوج ، مما كان يوتر أعصابي أحيانا تماما كما حدث في المرة الأخيرة ، حين بالغ في اتهاماته ، فأخرجني عن طوري ، وكادت تحدث واقعة خلافية كبيرة ، لولا دقات جرس الباب ، ووفود بعض الأقارب لزيارتنا ، مما أوقف ذلك الى حين ! □



قاض ظريف



● كان حفني ناصف ـ وهو قاض ـ في مجلس من المجالس ، فسمع أحدهم يستشهد بالحديث المأثور : «قاض في الجنة ، وقاضيان في النار» . فقال حفني : «والناصف هو الذي في الجنة !»



طبيب الأسرة
قضايا منزلية

الطعام الذي نهواه
الفقع (الكمأة)

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

الفقع هو جمع لكلمة فقعة .. هكذا يطلقون عليه في بعض من مناطق الخليج والجزيرة العربية ، وفي منطقة بلاد الشام يسمونه الكماه تحريفا عاميا لاسم الكمأة وهو اسمه العربي العتيق ، ولما كان بعض من محبيه على قناعة لاتقبل جدلا ، هي أنه من فعل الرعد في أرض الصحراء ، عقب شتاء ممطر ، لهذا يشيع موسمه في نهاية فصل الشتاء، أو بداية فصل الربيع ، وعليه فقد تعارفوا على تسميته باسم نبات الرعد .

ربما كانت قلة من الناس تعرف عنه أنه فطر لا ورق له

ولا جذوع ، ينمو وحشيا في شقوق الأرض ، أو ربما يحلو له أن ينمو قريبا من جذور الاشجار الضخمة ، كشجر البلوط على سبيل المثال ، ،لكن كثرة من الناس يهوون التهامه ويستطيبون تعاطيه . وينتظرون موسمه بشغف مميز . لابل إن بعضا منهم قد يختزنه لأيام لافقع فيها ، وقد تفننوا في طهيه وإعداده أشكالا وأصنافا . وكلمة الكمأة تعني الشيء المستتر ، وفطر الكمأة ينمو كما عرفنا على هيئة درنات تتجمع كل عشرين منها معا أو ربما ثلاثين ، وتكون في حجوم تتفاوت وتختلف ، وقد يصغر بعضها حتى يكون في حجم حبة البندق ، أو يكبر ليصل حجم البرتقالة .

في يومنا هذا يعدّ الفقع طعاما معروفا مألوفا ، بل إنه طعام شهي مرغوب في كثير من بلدان العالم الشرقي ، والعالم الغربي معا ، إذ نجد أنهم في فرنسا يجمعونه ويفخرون أن فطرهم هذا هو أجود أنواع الفطريات ، لهذا فهم يجمعونه ويستهلكونه وقد يصدرون منه ، وتقول أرقام الاحصائيات عندهم : إن إنتاجهم من الفقع يتراوح ما بين مائتي طن وثلاثمائة ، كما يشتهر الفرنسيون بجمعه ، فقد دربوا لجمعه كلابا خاصة تتعرف عليه من رائحته المميزة .

إن انتشاره في قارة أوربا منذ القرن الرابع عشر للميلاد يعزوه بعضهم الى الأسبان أولا ، في ما يخص بعض آخر الطليان بهذا الفضل ، فهم يألفون نوعاً من الفقع أبيض اللون ولكنه فقع أدنى قيمة غذائية من سواه .

ويجدر بالذكر أن الفقع منه أنواع شتى ، إذ منه الاسود وهو أفضل أنواعه ، ومنه الأحمر وهو فقع نادر مرتفع الثمن ، كما أن منه الابيض كما أشرنا .

كما أن نوعا من الفقع قد يكون ساما لمن يتناوله ، بينما هناك نوع آخر منه غير سام ، ولكن التفريق بين هذا وذاك يتقنه أصحاب الخبرة في الأمر .

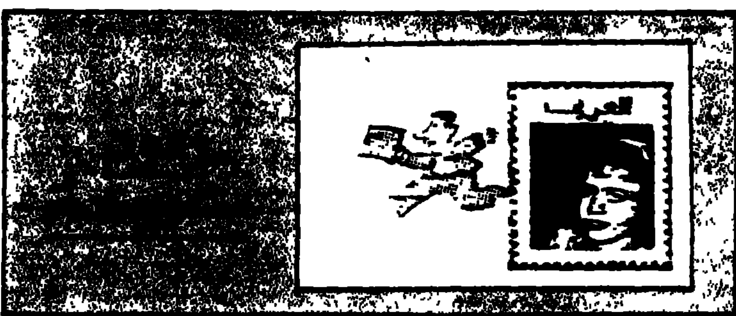
يبدو أن الانسان قد استشعر قيمة الفقع الغذائية العالية في قديم الزمان ، مما



● الفقع خير الأرض بعد المطر

لايتفق مع النظرة العلمية الحديثة التى تعتمد التحاليل المخبرية ، والتي تؤكد أن ثلاثة أرباعه (٧٥ ٪) من الماء ، ويكون الزلال أو البروتين بين ٣٪ إلى ٤ ٪ فقط على أحسن حال ، أضف الى هذا شيئا قليلًا من الدهن لايتجاوز ١ ٪ منه ، وبعضا من النشويات لا يعتد بها العلماء ، لهذا فهو ذو مردود حراري متواضع ، ولايذكرون أن فيه من الأملاح والفيتامينات ما يستحق الذكر أو الاشارة ، ولكننا لو كان لنا أن نقارن الفقع بعيش الغراب ، وهو من فصيلة الفطريات أيضا ، ويرتبطان بصلة القربى معا ، سنجد أن الفقع أفضل من ابن عمه عيش الغراب ، ويعلوه قيمة غذائية قدرت بالضعف ، أضف الى هذا رائحة الفقع المحببة وطعمه الأشهى ، مما يغري الكثيرين بالاقبال عليه مهما غلا الثمن وارتفع .

نذكر هنا أن أطباء الماضي كانوا ينتصرون للفقع ، قناعة منهم أنه يجلو العين ويقوى البصر ، بل عزا بعضهم قوة الجنس الى الفقع ، وهو أمر فيه إغراء لبعض القوم ، غير أن التحاليل الطبية التي أجريت مؤخراً لم تجد في الفقع ميزة طبية ، فيها ما يدعون أو يزعمون . □



● الأخت منى محمد اللاذقية ـ سوريا :

ـ اذا كانت معاناتك هي الشرى ، كما وصف الطبيب المختص ، فهذه شكل من أشكال الحساسية ، تعرف في الطب باسم « ارتيكاريا » ، تنتج من سبب ما ، لا يتقبله جسمك .

وهناك اختبارات وتحليلات لاستطلاع السبب ، ومعرفة المسبب ، وقد يكون السبب رد فعل عصبي للأوعية الدموية في الجلد ، وهذا أمر يتطلب مشورة مختص في الأمراض الباطنية للتأكد منه بالفحص .

● السيد رعد وليد ـ العراق :

ـ يصعب علينا تشخيص الداء اعتماداً على ما وصفت في رسالتك . وننصحك باستشارة طبيب مختص في الأمراض الجلدية والتناسلية ، لفحصك ، ثم علاجك .

● الأخ أسامة الرفاعي ـ درعا ـ سوريا :

ـ لعلك متشائم بسبب قصر القامة ، وهو أمر أمكن للطب أن يتغلب عليه بعملية جراحية ، ولكن العلاج الطبي بالعقاقير قد فات زمانه .

وعلى أي حال فإن المشاكل الأخرى ثانوية ، تنبع من المشكلة الرئيسة .

● السيد طارق محمد ـ حماة ـ سوريا :

ـ سقوط الشعر يفتيك في أمره أخصائي الأمراض الجلدية ، ولكن قضية الحول من اختصاص جراح العيون ، وسيدرك علاجها بعد فحصك فحصاً دقيقاً . أما المراسلات فلن تفيدك في شيء أبدا .

● الأخت / منى سلام ـ دمشق ـ سوريا :

ـ يبدو أنك بحاجة لمشورة طبيب مختص في الغدد الصماء لدراسة التوازن الهرموني في الجسم ، فربما كان هو السبب في معاناتك .



● السيد منصور حبيب ـ المنصورة ـ جمهورية مصر العربية :

ـ ما تشكو منه هو شكل من (حب الشباب) ، نتيجة الطفرة الهرمونية في فترة المراهقة ، وسوف يزول تلقائياً عند اكتمال البلوغ ، فلا داعي للقلق . وننصحك بالحرص على النظافة التامة وعدم العبث في هذه الحبوب أو البثور . واستشر طبيباً مختصاً في الأمراض الجلدية .

● السيدة عفاف كامل ـ الزقازيق ـ كلية التربية ـ جمهورية مصر العربية :

ـ زيادة الشعر ربما كان سببها فرط إفراز الهرمونات الذكرية . ولا نعرف وسيلة آمنة لإزالة الشعر غير التي درجت على استعمالها ، ويمكنك استشارة طبيب مختص في الأمراض الجلدية ، فربما تجدين لديه حلا آخر .

أما الرائحة التي تشعرين بها في فمك ، ولا يشعر بها الآخرون ، فالأغلب أن تكون معاناة نفسية ، وستجدين لها علاجاً لدى الطبيب النفساني ، فربما كانت نزعة انطوائية ، بسبب ما . □

مساحة ود!

وتمضي الأيام

لاشك أن مساحة الذاكرة تحتفظ في جوانب مهما بقايا من أيام الطفولة ، حيث الوعي يخط أولى خطوات تفتحه ومحاولته التقاط بعض تكوينات البيئة المحيطة .

والأصدقاء في تلك المرحلة يأتون صدفة ، تلقاهم في الحي ، أو في المدرسة أو في الملعب ، تخوض معهم غمار العراك أو التحالف ، ورسم المؤامرات الصغيرة ، أو « التشاقي » في هذا المجال أو ذاك ، او الالتقاء لممارسة هذا الواجب المدرسي ، أو الحديث عن آلام الواقع ، ومعاناة العيش ، والوصول إلى الاكتفاء المعيشي ، أو تحقيق الوظيفة المناسبة ، أو الزواج من الفتيات اللواتي نصادفهن ، ونعتقد أنهن حبيباتنا ، أو الحديث عن أحلام ورغبات أخرى كبيرة .

وكما أن بعض صداقات الطفولة كانت تأتي صدفة فإنها كانت تذهب صدفة أيضا ، وقد تكون اليوم صداقة ، تنقلب إلى عداوة غدا ، وإلا كيف نكون « عيالا » وصغارا ، وغير ناضجين إن لم نرتكب الأخطاء أو حتى الخطايا ، ونحن نتلمس طريقنا لامتلاك المعارف والوعي النسبي بما يحيط بنا ؟

ثم نكبر وتكبر همومنا وتتوزعنا الأيام والظروف بعد ذلك .

وندخل في معترك حياة الجد والمسئولية ، قد نسافر بعيدا عن أماكن النشأة الأولى وقد توزعنا ظروف الحياة في شتى بقاع الأرض .

لكننا عندما تجمعنا الصدف ثانية بأحد أصدقاء الطفولة ، فإن اللقاء هذا إذا ما تعرف أحدنا على الآخر قد يبدأ حميما مشبوبا . وقد تنبش ذاكرتنا أجزاء من الذكريات الحميمة في فترة صداقة الطفولة ، ثم يمضي السؤال والجواب عن الأحوال والتوزع والغربة والوظائف والأولاد والصحة ، ثم يرتبك اللسان وتتلجلج الكلمات ، وينتهي الحديث عن الماضي ، لتحضر وقائع فترة الانقطاع الطويلة ـ الطويلة التي لا يوجد فيها ما هو مشترك ، فنضطر إلى قطع اللقاء بوعد على لقاء تالٍ ، قد لا يحدث . وإذا ما حدث فإن الكلمات لن تخرج عن ترديد ما تم ترديده في اللقاء الأول . لقد كانت صداقة طوحت بوقائعها الأيام ، وأفقدها التباعد وقع الحميمية والحرارة . لقد كانت صداقة طفولة فقط . □

سليمان الشيخ



بقلم : الدكتور حسن عباس

□ صفحة لغة

من خصائص الأسلوب العربي

كنا في حديثنا عن بعض مساويء الترجمة الحرفية،وجنايتها على طرائق التعبير في العربية،قد تحدثنا عن عناية اللغة العربية بحروف العطف ، وأدوات الوصل ، فالأسلوب العربي في الكتابة لا يسيغ توالي المعطوفات دون أداة تصل بينها كالواو والفاء وثم ، وليس الوصل من خصائص الأسلوب العربي وحده ، بل هو « خاصية من خصائص اللغات السامية ، لا نكاد نراها في اللغات الأوربية » ، كما يقول الدكتور ابراهيم أنيس في كتاب « من أسرار اللغة » .

فالذى يترجم قطعة من اللغة الانجليزية إلى العربية سوف يجد أن هناك معطوفات تتوالى دون رابط بينها إلا كلمة « and » ، وهي التي تقابل الواو من حروف العطف العربية ، ولا تذكر إلا مع المعطوف الأخير ، في حين يلجأ من يترجم قطعة من اللغة العربية إلى الانجليزية إلى حذف عدد من حروف العطف على اختلافها ، حيث تكثر الحاجة لها في العربية ، وتقل في اللغة الانجليزية وفي غيرها من اللغات الأوربية ، قلة تتفاوت من لغة إلى أخرى .

ويضيف الدكتور ابراهيم أنيس : والوصل والفصل في اللغات لايعدو أن يكون أمر أسلوب ، ولايصح أن نلتمس منه حُكما على عقلية الشعوب التي تصل ، أو عقلية الشعوب التي تفصل . في اللغة الانجليزية يعد تكرار أداة الوصل "and" مظهرا من مظاهر ضعف الأسلوب ، لذلك « يتفاداها الكاتب الماهر ، ولا نكاد نراها إلا في بعض الرسائل التي تحررها النساء » !

والفصل والوصل أقرب إلى البلاغة منه إلى النحو ، ويبدو أن أول من تطرق إلى ذكره هو الجاحظ في كتابه « البيان والتبيين » وهو بصدد إيراد تعريفات مختلفة للبلاغة فقال : قيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل والوصل . ثم يأتي أبو هلال العسكري ليعقد فصلا كاملا في كتابه « الصناعتين » عن الفصل والوصل ، ويصدره بما قاله الجاحظ ، ثم يأتي بحديث للمأمون ، يدل على بصيرة ناقدة وذوق جمالي راقٍ ، فيقول : « ولكن البليغ من كان كلامه في مقدار حاجته ، ولايجيل الفكرة في اختلاس ماصعب عليه من الألفاظ ، ولايكره المعاني على إنزالها في غير منازلها ، ولايتعمد الغريب الوحشي ، ولا الساقط السوقي . . فإن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآليء بلا نظام » .

إن أهم مايشير إليه هذا القول هو أن المقصود بالفصل والوصل تأليف الكلام الأدبي ، تأليفا

فنيا سليما ، تظل فيه الألفاظ والمعاني في منأى عن العيب والنقص ، ولا يحول بين الأديب والكاتب وبين أن يبلغا الغاية المنشودة مما يكتبان مثل الفوضى والخروج على القيم الجمالية المتوارثة .

وقد نصح أكثم بن صيفي كُتّابه بقوله : افصلوا بين كل من معنى منقض ، وصلوا إذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض . وهذه الأقوال وغيرها بلغت من الكثرة مبلغا لايتسع المقام معه لذكرها جميعا ، والاستشهاد بها ، ولكننا قصدنا من ذلك ضرب المثل على أن لكل لغة أسلوبها ، ولكل شعب طرائق في التعبير يستحسنها ، ويعد التمسك بها ضربا من البلاغة . ولما اتصل الأمر بعبد القاهر الجرجاني طلع بنظرية النظم التي أرجع إليها إعجاز القرآن ، وربط البلاغة بمعاني النحو ، وألحق الفصل والوصل في البلاغة العربية بباب العطف . ولقد فسر الجرجاني الوصل بعطف جملة على أخرى بالواو ، أو بأي أداة من أدوات العطف الأخرى ، وحدد المواضع التي يتم فيها الفصل والوصل بحسب أنواع الجمل ، ولما كانت عنايتنا تنصب على الوصل دون الفصل فإننا ـ هنا ـ نخصه بمزيد من الإيضاح .

يتم الوصل في العادة في ثلاثة مواضع ، أولها : أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع الابهام ، وذلك بأن تكون إحداهما خبرية والثانية إنشائية ، بحيث لو ترك الوصل لأوهم الفصلُ خلاف المقصود . يتضح ذلك من إجابتك لمن يقول لك : « هل لك حاجة أساعدك في قضائها ؟ فتجيب « لا ، وبارك الله فيك » . تقدير « لا » في هذا الموضع أنها تقوم مقام جملة خبرية هي « لا حاجة لي » ، أما جملة « باركِ الله فيك » ، فهي جملة إنشائية معنى ، خبرية لفظا ، فالفصل بين هاتين الجملتين يوهم السامع بالدعاء عليه ، لا له . لذلك صار الوصل واجبا . وثاني تلك المواضع أن تكون الجملتان متفقتين خبرا أو إنشاء ، لفظا ومعنى ، وبينهما تناسب تام في المعنى ، وليس بينهما مايستدعي الفصل ، « مثال الخبريتين لفظا ومعنى قوله تعالى : « إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجّار لفي جحيم » ، ومثال الإنشائيتين لفظا ومعنى قوله تعالى : « واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا » . أما الموضع الثالث الذى يجب معه الوصل فهو أن يكون للجملة الأولى محل من الإعراب ، وكان القصد إشراك الجملة الثانية لها في الحكم الإعرابي ، وليس هناك مايمنع من هذا الاشتراك كقول أبي الطيب :

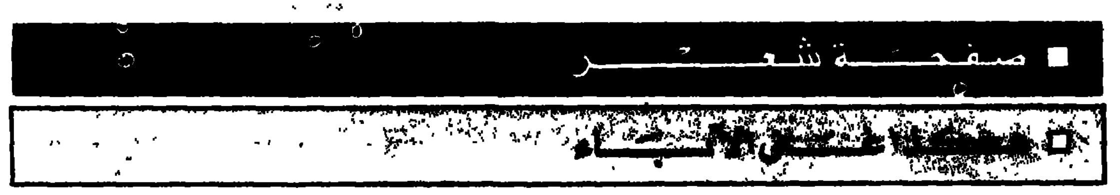
وللسرِّ مني موضعٌ لاينالُهُ
نديمٌ ولايُفْضي إليه شَرَابُ

فكلمة « موضع » نكرة ، وجملة « لا يناله نديم » صفة لها ، وكان قصد الشاعر أن يشرك جملة « ولا يفضي إليه شراب » في الحكم الإعرابي ، وليس هناك مايمنع من هذا الإشراك .

هذا الموضوع من مواضيع البلاغة واسع كبير ، يستطيع الرجوع إلى مصادره ومراجعه ـ على كثرتها ـ كل من يعنيه التوسع والاختصاص ، أما المثقف العام الذي نتوجه إليه بالخطاب فحسبه ماقدمنا من أمثلة تعينه وتعيننا على القول : بأن لكل لغة من اللغات بلاغتها وأسرار فصاحتها وأسلوبها المميز . فإذا قلنا : إن العطف باللغة الانجليزية لايحتاج إلى تكرار أداة الوصل ، وأن الكتّاب المهرة يجتنبون استخدامها ، ولايلجأون إليها إلا اضطرارا ، نقول أيضا : إن الوصل في العربية يقتضي تكرار حرف العطف ، وهو في الوقت نفسه أداة من أدوات الوصل . إذا قلنا ذلك فلن نجاوز تقرير حقيقة هي أن لكل لغة أساليبها وطرائق التعبير الخاصة بها ! □

● أصحابي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم . «حديث نبوي»





لو ملكت الدنيا

للشاعر المهجري مسعود سماحة

لم يقدر لمسعود سماحة أن يحظى بشهرة مماثلة للشهرة التى حظى بها غيره من الأدباء المهجريين كنعيمة ، وجبران ، وأبي ماضي ، وغيرهم ، ولعل مرد ذلك إلى بعده عن الرابطة القلمية التي أنشأها المهجريون ، فقد قيل : إنه لم يتأثر بها وبأهدافها ، ولم يكن من أنصارها ، وهذا يعني أن سماحة كان أكثر التصاقا بالقديم ، وأقل حماسة لنزعة التجديد في الشعر التي أخذ بها شعراء الرابطة القلمية أنفسهم وفنهم .

ولد هذا الشاعر في دير القمر بلبنان عام ١٨٨٢ ، وما أن بلغ الثامنة عشرة من عمره حتى زار الولايات المتحدة الزيارة الأولى ، وكان ذلك عام ١٩٠٠ ، وعاد إلى لبنان عام ١٩٠٨ ليعمل على إنشاء جريدة « دير القمر » ، بالاشتراك مع نعوم البستاني . ويبدو أن مشروع الجريدة لم يفلح ، فقد عاد ليعمل في التجارة بالولايات المتحدة سنة ١٩١٣ . ولما اندلعت الحرب العالمية الأولى عمل محررا في جريدة « البيان » التي أنشأها في نيويورك سليمان بدور وعباس أبو شقرا ، ولكن يبدو من سيرة حياته أنه لم يمكث في نيويورك طويلا ، بل كان يختار الإقامة في واشنطن التي مارس فيها التجارة والأدب . أما ديوانه فقد طبع في مطبعة جريدة « السميد » العربية بنيويورك ، وكان يصدر هذه الجريدة شاعر المهجر الكبير ايليا أبو ماضي .

لم يقطع سماحة صلته بلبنان ، بل ظل يزوره بين حين وآخر ، ولم يكن ممن حالفهم الحظ في التجارة ، ويبدو أنه في كل زيارة له للبنان كان يسعى إلى الاستقرار فيه ، لكن الأوضاع الاقتصادية لم تكن تسمح بذلك . فقد زاره عام ١٩٢٥ ، فوجد أحواله لا تبشر بخير ، فقال في ذلك :

مَشَت القرونُ وكلُّ شعبٍ قَدْ مَشَى
مَعَها وقومُكَ واقفون وَنُوَّمُ
لم تَرْتَفِعْ كَفٌّ لصَفْعَةِ غاشمٍ
فيهم ، ولم يَنْطِقْ بتهديدٍ فَمُ

ولقد امتدح الأمير شكيب أرسلان شعر مسعود سماحة ، ووضعه في مصاف فحول الشعراء لزمانه . وقد يكون السبب في ذلك ميل كل منهما إلى المحافظة والإبقاء على الطابع القديم

في الشعر . والقصيدة التي اخترناها له لاتخلو من طرافة ، فهو يبتعد فيها عن أجواء الشكوى من العسر والضيق ، ويطلق العنان لصبوات النفس .

لو ملكتُ الدُّنا سماءً وأرضا لوضعتُ الأكوانَ بَينَ يديكِ !
ولقَلَّدْتُ جيدَكِ الشمسَ والبدرَ وصفتُ النجومَ في قُرْطَيْكِ
وأخذتُ السوادَ من لَمَّةِ الليلِ وألقيتُهُ على فُودَيْكِ
ولَحُكْتُ الضبابَ ثوباً وبُرْداً ووضعتُ النسيمَ في بُرْدَيْكِ !
وجعلتُ الورودَ حولَكِ تَنْمُو واحمرارَ الورودِ في خَدَّيْكِ
ووضعتُ الجلالَ فوقَ مُحَيَّا كِ ولمعَ البُروقِ في عَيْنَيْكِ
وأخذتُ الجمالَ من روعةِ الفجرِ وحولتُهُ إلى صدغَيْك
وأخذتُ ابتسامةَ ابنةِ خمسٍ طابعاً مِثْلَهَا على شَفَتَيْكِ
ومزجتُ الرُّقَى بطلسمِ سحرٍ ووضعتُ المزيجَ في مُقْلتيْك !
وجعلتُ السلامَ فرشاً وثيراً ورميتُ الهنا دِثاراً عَلَيْك !
ومددتُ الطريقَ دُراً وماساً ووضعتُ الياقوتَ في خُفَّيْك !
وثنى الغصونِ ما بينَ جَنْبَيْكِ وشكل السيوفِ في حاجبَيْكِ !
ولألقيتُ ما ملكتُ ، وزندي وفؤادي ، والروحَ في رَاحَتَيْكِ !
وفعلتُ الذى فعلتُ لَعَلِّي أسعدُ النَّفْسَ بالوصولِ إِلَيْك





ترويض الصقر

قصة بقلم : الكاتب الصيني زهاو دانيان
ترجمة : وهبي موحي *

لم يستطع كاتب الحوار ، العجوز « تشين » مقاومة الاجهاد ، فخر صريعا : فالحوار الذي تقدم به تداولته أيدٍ عديدة : قرىء ، فحص بدقة ، انتقد ، صحح ، عدل ، نبذ من جديد ، موحك في مناقشته ، بتر ، أعيد قبوله من جديد ، أنكر مرة أخرى ، نقح ، أهمل ، غربل ، وتبني ، بعد ثلاث سنوات ، وثلاثة أشهر ، وثلاثة أيام ، وسبع وعشرين ترجمة مختلفة . ووجد « تشين » نفسه محاطا بمجموعة من المؤلفين الشركاء ، بعد أن كان في البداية هو المؤلف الوحيد لعمله . وبفضل تلك الجهود المتضافرة شرع أخيرا في التصوير .

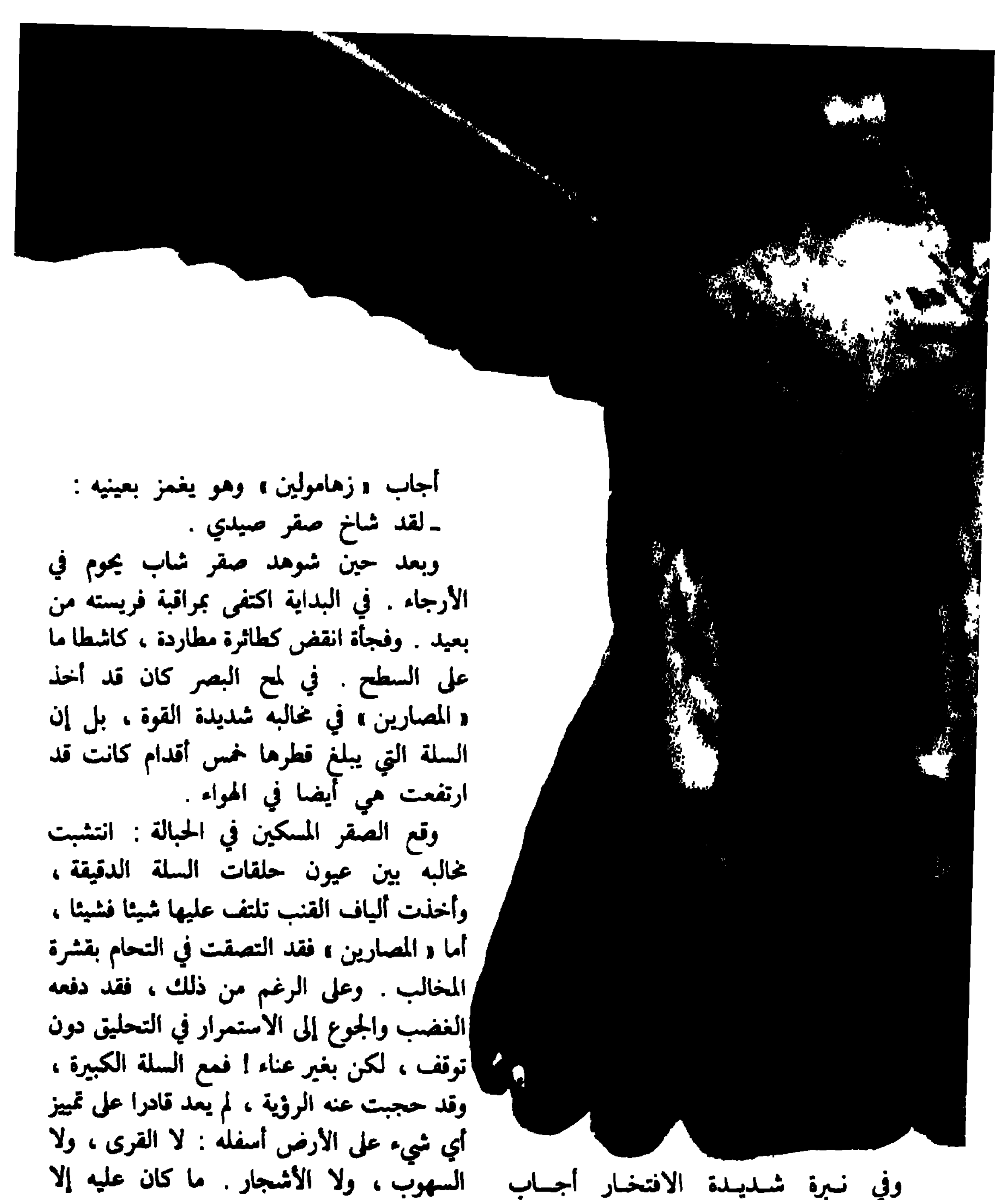
لكن العجوز « تشين » كان قد انهار ، فقرر أن يلوذ بسهب منغولي ، لاستنشاق الهواء النقي ، ورؤية السماء الزرقاء ، والسحب البيضاء ، والصقور المحلقة بكامل الحرية ، ثم العشب . . العشب الأخضر على مد البصر ، فلربما أنعشه تأمل الاخضرار ، فالخضرة هي الحياة الأصلية .

هنالك تعرف على « زهامولين » الصياد العجوز الذي يقطن دارا فيحاء ، مربعة على النمط « البكيني » ، حتى ليظن الناظر إليها بأنها نسخة طبق الأصل عن منازل ضواحي العاصمة . على أن العجوز « تشين » يؤثر خيام اللباد المنغولية ، والمركبات التي تجرها الثيران .

كان « زهامولين » يخرج إلى الصيد كل يوم ممتطيا فرسه وصقره على قبضة يده . صقر قوي على اصطياد كل شيء : الأرانب ، والثعالب وبنات عرس ، بل إن له من القوة في مخالبه ما يمكنه من تخطف عيون الظباء . تساءل العجوز « تشين » عما يجعل الصقر يكتفي بما يلقى إليه من نصيب في الصيد دون أن يستأثر بكل ما يصطاده ، وأضاف :

- لماذا لا يتناول ما أقدمه له أنا ؟

* كاتب ومترجم من القطر العربي المغربي .



أجاب « زهامولين » وهو يغمز بعينيه :

ـ لقد شاخ صقر صيدي .

وبعد حين شوهد صقر شاب يحوم في الأرجاء . في البداية اكتفى بمراقبة فريسته من بعيد . وفجأة انقض كطائرة مطاردة ، كاشطا ما على السطح . في لمح البصر كان قد أخذ « المصارين » في مخالبه شديدة القوة ، بل إن السلة التي يبلغ قطرها خمس أقدام كانت قد ارتفعت هي أيضا في الهواء .

وقع الصقر المسكين في الحبالة : انتشبت مخالبه بين عيون حلقات السلة الدقيقة ، وأخذت ألياف القنب تلتف عليها شيئا فشيئا ، أما « المصارين » فقد التصقت في التحام بقشرة المخالب . وعلى الرغم من ذلك ، فقد دفعه الغضب والجوع إلى الاستمرار في التحليق دون توقف ، لكن بغير عناء ! فمع السلة الكبيرة ، وقد حجبت عنه الرؤية ، لم يعد قادرا على تمييز أي شيء على الأرض أسفله : لا القرى ، ولا السهوب ، ولا الأشجار . ما كان عليه إلا المداومة على التحليق ، ودائما نحو السموات العلا . وشيئا فشيئا ، وقد أخذ ريشه يلتمع عرقا ، بدأت بروق دقيقة كالشرر تمرق أمام ناظريه . بلغ به الاعياء مبلغه . لكن ما عسانا نقول عن التيارات الهوائية المدوية بين جناحيه والسماء ! هناك لا يدرى المرء هل هو بصدد دوامات هوائية ، أم ريح مضادة ، أم حمل حراري . ولا شك أن اختصاصيا في مجاري

وفي نبرة شديدة الافتخار أجاب « زهامولين » :

ـ لأنه صقر مروض .

وذات يوم رأى العجوز « تشين » « زهامولين » يأخذ كمية من أحشاء الأرانب الدقيقة ، ويعقدها في سلة بألياف القنب ، ثم يضعها على سطح المنزل . ومرة أخرى استفسر « تشين » :

ـ ما قصدك من هذا الصنيع ؟

التيارات الهوائية سيبدو عاجزا عن توضيح ذلك ، وإن كان الصقر أقل عجزا من الإنسان في هذا المجال أصبحت حياة الطائر المسكين عرضة للخطر حينما أسبل ذنبه الذي فقد وظيفته كدفة توجيه معطلة .

كان المشهد بالنسبة للعجوز « تشين » من تلك الأعاجيب التي لم تبصرها عيناه من قبل : سلة كبيرة تحوم على منزل « زهامولين » كأنها صحن طائر أو بالأحرى ذبابة عمياء . إن الصقر لن يفلت من قدره السيىء والمحتوم .

أما الصياد العجوز ، والحال هذه ، فأغمض عينيه نصف إغماضة ، وأخذ يرتشف الحليب بهدوء ، ويدخن سيجارة ، دون أن يكلف نفسه عناء القاء ولو نظرة على ضحيته . « إن صقرا شابا لا يمكن أن يقاوم هكذا أكثر من ساعة » . صرح بذلك فعل المتأكد من ضربته . وفعلا ، فما كاد ينطق بهذه الكلمات حتى سقطت السلة على بعد مائة متر منه . وانهار الصقر البائس وقد تحطم اعياء .

ربطه « زهامولين » على مجثم معلق في الهواء بين خيطين ، كأنه ميزان صغير . وعلى الرغم من حاجته الشديدة إلى النوم ، فإن الصقر في وضعه ذاك ، لم يستطع أن يغمض عينيه ، فقد كان مضطرا إلى التشبث بمجثمه بكل ما أوتي من قوة ، ناشرا جناحيه محافظاً على توازنه . وحينما أقبل الليل أضاء « زهامولين » مصباحا قرب المجثم ، وبذا لم يستطع الصقر لذعره ، أن ينام . على هذا المنوال بدأ الترويض . وفي الصباح وجد الطائر صعوبة كبيرة ليظل مستيقظا . فبمجرد أن يهم بالاغفاء تنهال عليه فرقعات السوط كالمطر ، فيفتح عينيه حالا ، ويحاول قسرا عليه مغالبة السوط . وعندما جاء اليوم الثالث أصبحت عينا الحيوان قانيتين تماما ، أما معدته فلم تعد قادرة على مقاومة الجوع . فأخذ يطلق صيحات أليمة فاتحا منقاره باستمرار طلبا للطعام .

تلك كانت هي اللحظة التي تدخل فيها جيران « زهامولين » : فقد ألقم أحدهم للطائر كبة من ألياف القنب بعد أن غمسها في زيت الجلجلان ، وتلقفها الطائر دفعة واحدة دون أن يفطن إلى أن الطرف الآخر من الخيط ظل بيد الرجل . وما أن استقرت الكبة في بطنه حتى أخذ الرجل يسحب الخيط : فيا للألم المهول الذي استبد بالطائر ! والواقع أن الخيط كان ينسل وهو مغموس في دم وشحم معدته !

هكذا تعرف الصقر على الرجل الذي أعطاه الطعم . وحينما ناوله جار آخر قطعة من لحم الأرانب صدف عنها . وظهر جار ثالث ، ومرة أخرى لم ينل منه الطائر إلا كبة من خيوط القنب المدهون بالزيت .

لم يعد يصدق أي انسان ، ودأب على رفض كل طعام يقدم له . عندئذ انبثق أمامه العجوز « زهامولين » ليبدي له كبير شفقته وعطفه عليه . فتح منقار الطائر وألقى فيه بقطعة من لحم الضأن ، ما تزال تقطر دما . ويا له من مذاق لذيذ سرى عبر كيانه كله حتى آخر خلايا دماغه ! ومنذئذ أخذ الصقر ينظر إلى سيده نظرة المعترف بمنته عليه ، كأنه المنقذ من الهلاك والدمار .

هكذا تحول الصقر المتوحش إلى صقر للصيد طيعا يرافق سيده كل يوم ، يجلب له الأرانب ، وصغار الثعالب ، وبنات عرس ، وكلما ازدادت به وطأة الجوع استعجل العودة إلى المنزل . لأنه لم يعد يثق في أي غذاء إلا ما يقدمه له سيده الذي احتاط ، وإلى الأبد ، أن لا يعطيه كبة من ألياف القنب .

مات الصقر العجوز للسيد « زهامولين » بعد أن هرم . فحنط ، ثم بيع إلى أحد المتاحف . *أما الكاتب السينمائي العجوز « تشين » الذي كان قد استرد عافيته في هذه الأثناء ، فيبدو بأنه قد أدرك شيئا ما ، ولذا غادر السهب الكبير .* □

وزارة الإعــــلام

الإعلام الخارجي

دوريات وزارة الإعلام

اسم الدورية		قيمة الاشتراك السنوي			
		الوطن العربي		البلاد الأجنبية	
		فلس	دينار	فلس	دينار
مجلة « العربي »	(شهرية)	٠٠٠	٦	٠٠٠	٨
كتاب العربي	(فصلي)	٥٠٠	٢	٠٠٠	٣
مجلة « العربي الصغير »	(شهرية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
مجلة « الكويت »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
سلسلة « من المسرح العالمي »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
مجلة « عالم الفكر »	(فصلية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »	(أسبوعية)	٠٠٠	١٧	٠٠٠	٢٠

تحول قيمة الاشتراكات في دوريات الوزارة المبينة أعلاه بالدينار الكويتي ، أو بما يعادله من العملات الأجنبية ، بموجب شيك مصرفي أو حوالة مصرفية ، باسم وزارة الاعلام ، ويرسل الشيك أو الحوالة مع اسم وعنوان المشترك والدورية التي يرغب الاشتراك فيها إلى :

الإعلام الخارجي ـ قسم التوزيع والاشتراكات
وزارة الاعلام ـ ص. ب ١٩٣ ـ الصفاة
الرمز البريدي ١٣٠٠٢ ـ الكويت

قسيمة الاشتراك

الاسم والعنوان : ....
....
....

أرغب الاشتراك في الدورية أو الدوريات المشار إليها أدناه ، وأرفق لكم طيه ☐ شيكا
☐ حوالة مصرفية بمبلغ ....

☐ مجلة « العربي » ☐ مجلة « الكويت » ☐ سلسلة « من المسرح العالمي »
☐ مجلة « العربي الصغير » ☐ مجلة « عالم الفكر » ☐ الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »
☐ كتاب العربي .

العربي - العدد ٣٧٩ - يونيو ١٩٩٠ م



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يونيو ١٩٩٠م

حاجات الإنسان الأساسية

في الوطن العربي

تأليف : برنامج الأمم المتحدة (اليونيب)

ترجمة : عبدالسلام رضوان



الكتاب ١٥٠

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة .

والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذى سينشر فى العدد القادم .

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١										
٢						■		■		
٣										
٤		■				■		■		
٥						■				
٦					■					
٧						■				■
٨		■		■				■		
٩	■						■			
١٠	■	■						■		

كلمات أفقية

١ . أول سفير في الإسلام أرسله الرسول (ﷺ) إلى المدينة .

٢ . أول من اسـ.. مـ.. الفرس ، حرف مكرر

٣ . أول من عرف.. ـسون من ملائكة السماء ، حطّمن

٤ . زوجها ، تجدها في بيت .

٥ . وصَلوه بشيء آخر ، لجلج متفرّقة

٦ . بكى عليه ، مثنى قمر

٧ . غرقت في الظلام ، سفينة الصحراء مقلوبة

٨ . أبو أبيك أو أمك ، والدة

٩ . مثنى قطر ، حفل زواج

١٠ أول من خطّ بالقلم من الرسل اسمه مشتق من كثرة الدراسة ، مثل أو نظير .

كلمات عمودية

١ . أول مسجد بني في الإسلام

٢ . قاس ، ظهرك مبعثرة ينقصها حرف واحد .

٣ . أول من تسمى بأمير المؤمنين في الإسلام بحذف آخر حرف من اسم أبيه .

٤ . عاهدوهم على الطاعة والولاء ، جواب

٥ . حرف نفي ونصب معه اسم فعل أمر مبعثران . جمع تاجر

٦ . قريب

٧ . أول مَن صرب الدراهم والدنانير في الإسلام

٨ . رَمْل متفرقة

٩ . أول من صعد الى الفضاء من الروس .

١٠ . أول من اكتشف الأشعة السينية أو المجهولة ، ليف .

● حل مسابقة العدد الماضي

عدد مايو ١٩٩٠ رقم ٣٧٨

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١	ا	ن	ط	و	ن	ش	ي	ك	و	ف
٢	ب	ق	■	ش	ر	ل	و	ك	■	■
٣	ر	ا	ح	و	ا	■	س	و	ر	ن
٤	ه	و	ل	م	ز	■	ف	م	■	ا
٥	ي	م	ق	■	■	ت	ا	■	ش	و
٦	م	■	ا	ر	ث	ر	د	و	ي	ل
٧	ن	ب	ت	لا	■	ب	ر	ي	خ	ت
٨	ا	ن	■	ن	ص	■	ي	ف	■	ه
٩	ج	■	س	و	م	ر	س	ت	م	م
١٠	ي	س	ا	ه	م	ن	■	ن	د	■

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٧٩

يونيو ١٩٩٠

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الإجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الصفاة . الرمز البريدي 13008 ـ الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٧٩ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات إلينا هو ١٥ يوليو ١٩٩٠م . والرجاء كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي واضحين ـ ورقم الهاتف إن وجد .

أرفق هذا الكوبون بالحل
كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٧٩

١

أقدم سد يذكره التاريخ أقيم سنة ٣٢٠٠ ق . م أو مايقاربها ، وكان من تراب وذا واجهة حجرية ، ترى في أي بلد أقيم هذا السد ؟

× في العراق القديم .
× في الأردن .
× في مصر القديمة .

٢

نشطت أعمال الري ، وكثرت الترع والقنوات في مصر القديمة ، ترى هل عرف قدماء المصريين السدود التي لاتكتمل شبكات الري من دونها ؟!

× كلا ، لم يعرف المصريون القدماء السدود .
× نعم ، عرفوا السدود وأنشأوا الكثير منها هنا وهناك .
× عرف المصريون القدماء السدود ، لكنهم لم ينشئوا إلا واحدا منها .

٣

يضرب المثل بضخامة هرم خوفو الأكبر ، ولكن الكثيرين يؤكدون أن سد الجراند كولي في أمريكا لايقل ضخامة عن الهرم ، بل يزيد ، وقد تبين لدى التدقيق أن أحد هذين الصرحين يبلغ حجمه ثلاثة أضعاف حجم الآخر ، ترى أي الصرحين هو هذا ؟

٤

القوس أسلوب معروف وقديم بين أساليب البناء والتعمير ، ترى ماالفائدة التي نجنيها من الأقواس ؟

× الأقواس كفيلة بتقوية الجسور والسدود وغيرها .
× تفيد الأقواس في إنشاء القناطر لاسيما قناطر جر المياه .
× الغاية من إنشاء الأقواس غاية جمالية في المقام الأول .

٥

أتقن الرومان فنون البناء ، واشتهروا أكثر ما اشتهروا بقناطر جر المياه .
ترى هل عرف الرومان السدود التي تبنى من أجل ري المزروعات ؟

× نعم ، عرفوها وأتقنوها .
× نعم ، عرفوا سدود الري ، ولكنهم لم يتقنوها .

٦

كان نهر التيميز يفيض على جوانب واسعة من العاصمة البريطانية ويغرقها في الماضي القريب ، ولكنه توقف منذ سنة ١٩٨٤ ، وأصبحت لندن في مأمن من فيضانه ترى ما السبب ؟

٧

شريعة حمورابي نصت على معاقبة المقصرين من الأطباء والمهندسين كما يعرف الجميع ، فأي شرائع العالم القديم نصت على معاقبة المتخاذلين في حماية السدود ؟

× شريعة حمورابي نفسها .
× قوانين مصر القديمة ، وكانت صارمة ، بحيث حكمت بالإعدام على كل من يقتل قطة .
× ملحمة مهابهارتا الهندوسية الشهيرة .

٨

الاسمنت والاسمنت المسلح كلاهما اكتشفا في القرن الماضي ، الأول سنة ١٨٢٤ ، والثاني سنة ١٨٤٩ ، وكان المكتشفان هما الانكليزي جوزف اسبدين ، والفرنسي جوزف مونيير على التوالي ، وكان الأول بنّاء ، فماذا كان الثاني ؟

× مزارعا .
× مهندسا معماريا .
× عالما كيميائيا متخصصا بالمواد .

٩

اشترت إحدى الولايات الأمريكية جسر لندن القديم الذي شيد سنة ١٨٣١ ، دفعت ثمنه ١,٠٢٥,٠٠٠ جنيه استرليني ، وأعادت انشاءه في السبعينيات ، وذلك في مصيف يقع على بحيرة هافاسو ، ترى أي الولايات الأمريكية التي اشترت ذلك الجسر ؟

× ولاية اريزونا
× ولاية لويزيانا
× كاليفورنيا

١٠

كثر الحديث عن سد أتاتورك التركي في المدة الأخيرة ، ترى هل هو بالضخامة التي نسبتها إليه الصحف ؟!

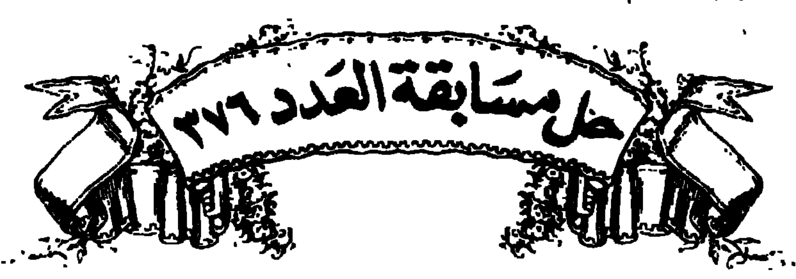
١١

تقول الموسوعة البريطانية ، إن أطول جسر هو جسر همبر في شمال بريطانيا ، وتؤكد الموسوعة نفسها في موضع آخر أن الجسر القائم على بحيرة بونتشاترين في ولاية لويزيانا في أمريكا هو أطول جسور العالم ، لكن الموسوعة تحدد طول الجسرين ، الأول (١٤١٠) أمتار ، والثاني بـ (٣٨,٤٢٢) مترا ، فما السر في ذلك ؟

× أخطأت الموسوعة وناقضت نفسها بنفسها .
× لم تخطيء الموسوعة ولم تناقض نفسها ، فجسر همبر جسر معلق وهو أطول الجسور المنخفضة التي تقوم على عوارض تثبت في القاع .

١٢

نجح العلم في تحديد الأساليب التي يقوى بها الاسمنت ، فكان هناك الاسمنت المسلح ، فهل نجح العلم في اكتشاف الطرق التي يقوى بها الحديد والفولاذ ؟



مـــارس ١٩٩٠

١

١٥ ثانية هي المدة التي استغرقها زلزال سان فرانسيسكو ١٩٨٩ .

٢

بلغت قوة زلزال سان فرانسيسكو سنة ١٩٠٦ (٨،٣) على مقياس ريختر ، ولم تزد قوة زلزال ١٩٨٩ عن ٦،٩ بمقياس ريختر ، ومعنى هذا أن قوة الأول تبلغ أضعاف قوة الزلزال الأخير ، وقل مثل ذلك في الضحايا ، فقد بلغ عددهم في الزلزال الأول نحو (٧٠٠) نسمة ، ولم يجاوز عددهم في زلزال ١٩٨٩ (٦٠) نسمة .

٣

سنة ١٧٥٥ زلزال لشبونة ٨،٩ بمقياس ريختر . إنه أقوى الزلازل في التاريخ حسب مقياس ريختر .

سنة ١٩٢٣ زلزال طوكيو ٨،٣ بمقياس ريختر عدد ضحاياه ٩٩٠٠٠ نسمة ، ولكنه تسبب بتدمير كلي لنصف العاصمة اليابانية .

سنة ١٩٧٦ زلزال الصين ٨،٠ بمقياس ريختر عدد الضحايا ٦٥٥٠٠٠ نسمة ولكن دماره جزئي .

٤

زلزال سان فرانسيسكو ١٩٨٩ لم يدمر أيا من ناطحات السحاب التي اشتهرت بها المدينة الجميلة ، بل إنه لم يدمر إلا قلة من المباني القديمة التي لم تحظ بأعمال الصيانة والتجديد ، وقلة أخرى من المباني المشيدة على أرض رخوة (٦٠) منزلا من منازل حي مارينا .

٥

مقياس ريختر ، هو المقياس الذي ابتكره عالم الجيولوجيا شارلز فرنسيس ريختر سنة ١٩٣٥ ، وتجدر الإشارة إلى أن ريختر هذا كان من سكان ولاية كاليفورنيا الشهيرة بزلازلها . أما مقياسه فيحدد قوة الزلزال التفجيرية ، بصرف النظر عن مدى الدمار والضرر الذي يحدثه الزلزال . ويبدأ المقياس من الصفر ولكنه لايقف عند نهاية ، وكانت أعلى قوة سجلها المقياس في التاريخ ٨،٩ ومن يدرى فقد يسجل في المستقبل قوة (١٠) أو يزيد ، عندئذ يكون الزلزال شاملا ويحس به العالم أجمع ، والجدير بالذكر أن الزيادة في مقياس ريختر زيادة لوغارتمية فقوة (٧) تبلغ عشرة أضعاف قوة (٦) ، ومائة ضعف قوة (٥) .

أما مبتكر المقياس شارلز فرنسيس ريختر فهو أمريكي ولد في ولاية أهايو سنة ١٩٠٠ .

٦

تكثر الزلازل في البلدان التي تقع في إحدى المناطق الزلزالية ، فالساحل الشرقي من أمريكا مثلا لايقع في منطقة زلزالية كالساحل الغربي حيث توجد كاليفورنيا ، إذ يقع هذا الساحل ضمن منطقة الزلازل الكبرى التي تعرف باسم « حزام النار » والتي تشمل سواحل آسيا الشرقية واليابان بالإضافة إلى سواحل أمريكا الغربية .

٧ انكلترا لاتقع ضمن أي منطقة زلزالية ، ومع ذلك فقد تعرضت لزلزال مدمر سنة ١٨٨٤ ، وقد استمر ذلك الزلزال نحو دقيقة ، ودمر حوالى ١٢٠٠ بناية في مدينة كولشستر وحدها ، ولم يكن ذلك الزلزال الأول ولا الأخير الذي ضرب انكلترا ، فقد تعرضت البلاد إلى أكثر من ٤٠ زلزالا منذ عام ١٠٣٠م وهي السنة التي شهدت أول زلزال يضرب انكلترا .

٨ الهزات الضعيفة تضرب العالم باستمرار ، وإن كنا لانشعر بها ويقدر العلماء مجموع مايضرب العالم من هزات ضعيفة في السنة حوالى مليون هزة ،

٩ مقياس مركالي هو المقياس الذي يحدد مايحدثه الزلزال من دمار بصرف النظر عن قوته التفجيرية ، وهو مرقم من الصفر إلى ١٢ .

١٠ تضرب الزلازل قيعان البحار كما تضرب اليابسة ، وقد تسبب ظهور الأمواج العملاقة التي اشتهرت باسمها الياباني (تسونامي) نقول : عملاقة ، لأنها قد تبلغ سرعتها نحو ٨٠٠ كم في الساعة ، وارتفاعها حوالى ٨٠ مترا .

١١ كلا ، لما ينجح العلم بعد في التنبؤ الدقيق بمكان وزمان الزلازل قبل وقوعها ، فهم يتحدثون مثلا عن الزلزال الكبير الذي سيضرب سان فرانسيسكو ، ويؤكدون أنه واقع لاريب ، وذلك بناء على ماتؤكده الأجهزة العلمية ، ولكنهم عاجزون عن تحديد مكان وزمان ذلك الزلزال المرتقب ، على نحو من الدقة ، وعاجزون بالتالي عن العمل على تجنب دماره وأضراره .□

الجائزة الأولى : محمود الحاج حسن بعجور ـ بيروت ـ لبنان .

الجائزة الثانية : محمد منصور اشتيوى ـ مصراتة ـ ليبيا

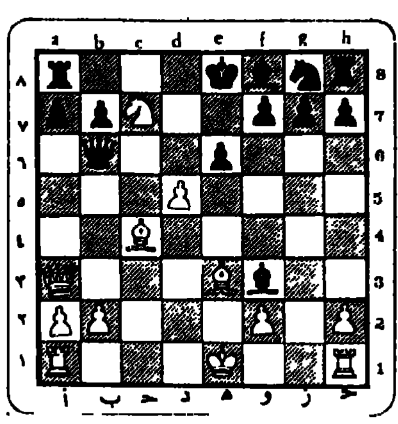
الجائزة الثالثة : أحمد جمعة عبد محمد ـ مدينة عيسى ـ دولة البحرين .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ قاسم عبدالمجيد قاسم ـ المنصور ـ بغداد ـ العراق .
٢ ـ د . محمد طلال بلاني ـ دمشق ـ سوريا .
٣ ـ أحمد عوض السيد المنسي ـ المحلة الكبرى ـ مصر .
٤ ـ راشد عبدالله عودة ـ عمان ـ الأردن .
٥ ـ عبدالمنعم العجيمي ـ الصفاة ـ الكويت .
٦ ـ يحيى محسن الملحم ـ الدمام ـ السعودية .
٧ ـ محمد بن محمد بن أحمد المجاهد ـ صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية .
٨ ـ دليلة بن عثمان ـ صفاقس ـ تونس .

معركة بلا سلاح



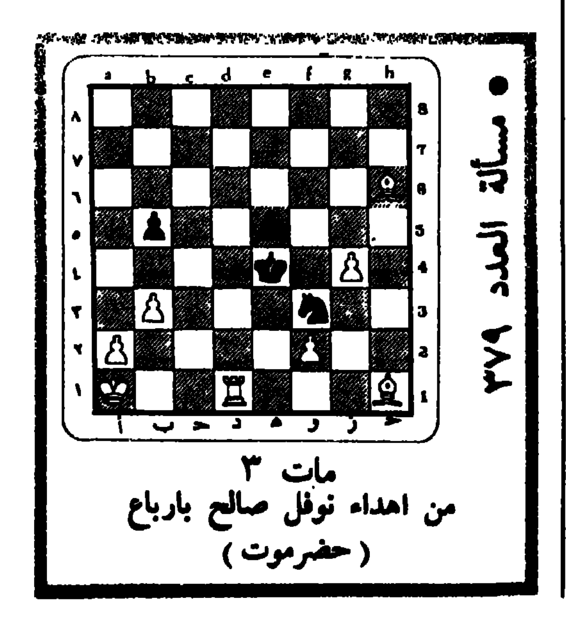


ما من شك في أن الوقت الذي تنتزع فيه الآلة بطولة الشطرنج من بني الانسان قد غدا وشيكا ، فقد استطاع الشطرنج الآلي هزيمة اثنين من كبار أبطال العالم في الشطرنج،هما بنت لارسن الدانمركي (٢٥٨٠ نقطة) وروبرت بيرن المحرر الشطرنجي الأمريكي المعروف (٢٤٦٥ نقطة) علما بأن بطل العالم الحالي للشطرنج السوفيتي جاري كاسباروف كان يصل تصنيفه في الوقت نفسه الذي جرت فيه المباراة (٢٧٧٥ نقطة)أي أقل بخمس نقاط من أعلى رقم تمكن من تحقيقه أقوى لاعب في العالم وهو بوبي فيشر اللاعب الأمريكي المعجزة.غير أن تصنيف كاسباروف حاليا بعد أن هزم جميع خصومه في المباراة الأخيرة في تلبرغ قد ارتفع ارتفاعا خياليا وصل الى ٢٧٩٥ نقطة وهو رقم لم يسبقه الى تحقيقه أي انسان من قبل .

وقد جرى تطوير الشطرنج الآلي المذكور في جامعة كارنيجي ميلون الأمريكية في مدينة بيتسبرغ . ويعد أول شطرنج آلي يتمكن من الحصول على الجائزة الأولى في مسابقة مشتركة بين الإنسان والآلة . ويجمع الشطرنج الآلي المذكور بين السرعة الفائقة (٧٢٠,٠٠٠ احتمال في الثانية) والتحليل الدقيق من أرفع المستويات .

وفي زيارة كاسباروف الأخيرة للولايات المتحدة في اكتوبر ١٩٨٩ كانت المباراة التي جرت بينه وبين الحاسب الآلي المذكور أهم أحداث الزيارة لما نالته من تغطية اعلامية كبرى . تألفت المباراة من دورين مدة كل منهما تسعون دقيقة . وقد أخطأ الحاسب الآلي في أولهما في التقدير فأخذ بمبادلة القطع بحيث بقي له أخيرا فيل مشلول أمام حصان كاسباروف النشيط فخسر المباراة . أما الدور الثاني والذي نورده فيما يلي فقد تمكن كاسباروف فيه من السيطرة على اللعب منذ البداية وكان رد مصممي البرنامج بأنه يلعب في العادة أفضل من ذلك بكثير .

● مسألة العدد ٣٧٩



مات ٣

من اهداء نوفل صالح بارباع

(حضرموت)

الدور من جامبيت الوزير المقبول

□ كاسباروف	■ديب ثوت
٠١ د٤	د٥
٠٢ جـ٤	د × جـ٤
٠٣ هـ ٤	ح - جـ ٦
٠٤ ح - و٣	ف - ز٤
٠٥ د٥	ح - هـ ٥
٠٦ ح - جـ ٣	جـ ٦ ؟
٠٧ ف - و ٤	ح - ز ٦
٠٨ ف - هـ ٣	جـ × د٥
٠٩ هـ × د٥	ح - هـ ٥؟
٠١٠ و - د٤ (بديعة)	ح × و٣ +
٠١١ ز × و٣	ف × و٣
٠١٢ ف × جـ٤ (لاحظ ف - ب٥+)	و - د٦؟
٠١٣ ح - ب ٥	و - و٦
٠١٤ و - جـ٥	و - ب٦
٠١٥ و - أ٣	هـ ٦
٠١٦ ح - جـ٧ + (الشكل)	و × جـ ٧
٠١٧ ف - ب٥ +	و - جـ ٦ (مضطرا)
٠١٨ ف × جـ ٦+	ب × جـ ٦
٠١٩ ف - جـ ٥	ف × جـ ٥
٠٢٠ و × و٣	ف - ب ٤+
٠٢١ م - هـ ٢	جـ × د٥
٠٢٢ و - ز٤	ف - هـ ٧
٠٢٣ ر(حـ) - جـ١	م - و٨
٠٢٤ ر - جـ٧	ف - د٦
٠٢٥ ر - ب٧	ح - و٦
٠٢٦ و - أ٤	أ٥
٠٢٧ ر - جـ ١	حـ ٦
٠٢٨ ر - جـ ٦	ح - هـ ٨
٠٢٩ ب٤ ! (رائعة)	ف × حـ ٢
٣٠ ب × أ٥	م - ز٨
٠٣١ و - ب ٤	ف - د٦

لمنع الوزير من الوصول الى هـ ٧ وهكذا نرى أن اللعب منذ البداية يكاد يكون من جانب واحد والذي يؤكد ان الشطرنج الآلي مازال بحاجة الى مزيد من التطوير ليتمكن من ملاقاة أبطال على قدم المساواة .

□□□

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ايمان سليمان حسن - القليوبية/ ج.م.ع
٢ . علي صالح اسماعيل الجميلي - الأنبار/ العراق
٣ . رائد احمد نمر - أبو ظبي / الامارات
٤ . عبد الرزاق البرداوي - جربة/ الجمهورية التونسية
٥ . علي أحمد الصباح - عمان/ الأردن

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ . فراس نقشبندي - دير الزور/ سوريا
٢ . عبد الرحمن نصر الهاشمي - طرابلس/ الجماهيرية الليبية
٣ . يونس علي أحمد - العمرية/ الكويت
٤ . أحمد عبد الخالق أحمد - إمبابة/ ج.م.ع
٥ . محمد سعيد الرماحي - نيقوسيا/ قبرص

حل مسألة العدد ٣٧٧ ابريل ١٩٩٠

١ . و - أ٧ م - هـ ٥ ٢ . و - د٤ + م × د ٤ ٣ . ح - جـ ٦+ (مات)



العربي - ص.ب : ٧٤٨ الصفاة - الرمز البريدي : 13008 الكويت

العرب في أفغانستان يطلبون «العربي»

الاستاذ الدكتور رئيس التحرير
تحية طيبة

● نحن طلاب عرب ندرس في أفغانستان، ومن قراء ومتابعي مجلة «العربي» التي كنا نتابعها باستمرار ونترقب صدورها في مطلع كل شهر. أما في الوقت الحاضر بعد أن أتينا إلى هنا منذ فترة تتجاوز السنتين بغرض الدراسة - فقد حرمنا من متابعتها وقراءتها ومطالعة مواضيعها المهمة والشيقة والقيمة، كما حرمنا من قراءة ومطالعة المجلات والصحف العربية الاخرى وذلك لندرتها أو لعدم وجودها هنا، أو بالأحرى يصل عدد أو عددان من العربي وهو غير كاف للأسف الشديد.

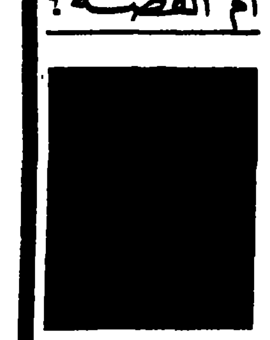
أما بعد فإننا نأمل منكم جميعا في مجلة العربي الغراء أن يلقى هذا الموضوع عندكم العناية والاهتمام البالغ بمشاعرنا كطلاب عرب، نتلهف الى كل شيء يخصنا ويربطنا بوطننا الغالي: الوطن العربي، مع مزيد من التقدم والازدهار لمجلتنا «العربي» ولكم مزيد من السمو وبلوغ أعلى الدرجات مع أحلى الامنيات بالسعادة والتوفيق ودوام الصحة والعافية.

ودمتم ذخراً لنا ولكل قارىء للعربية.

القارىء: محمد سمارة
كابول: افغانستان

□□□

الكاتب أم القصة؟



الدكتور رئيس التحرير
تحية طيبة وبعد

● في باب قراءات نقدية المنشور في العدد/٣٧٤/ يناير ١٩٩٠ «من قتل مريم الصافي» المجموعة القصصية للمؤلف الدكتور/ محمد المنسي قنديل/ وبقلم الاستاذ: ابو المعاطي ابو النجا، هذا الموضوع كان من أجمل المنشورات في هذا العدد، حيث ينقل القارىء إلى الاثارة والاهتمام بكل كلمة وكل جملة حتى آخر مطاف في الحديث عن القصة، إذ أن الكاتب عاش في جو الحزن فراح ينسج من خلال فكره القصص التي توحي بالتأثر في البداية كذلك المؤثرة بالنهاية المحزنة.

وأود أن أنوه عن ناحية مهمة، وهي أن الاهتمام الذي شد القارىء ليس فقط عن مجريات القصة ودرجة إثارتها فحسب، وانما تشوق القارىء لمعرفة المزيد من المعلومات عن حياة المؤلف (محمد المنسي قنديل) والمؤثرات التي ظهرت على حياته الثقافية والادبية.

القارىء: وضاح بياهو
حلب: سوريا

هل الهيدروجين عنصر أو غاز؟

● لقد استنتجت من خلال قراءتي لرد الدكتور مسعد الحاروني على مقال المهندس سعد شعبان وتعقيب هذا الأخير عليه في عدد المجلة رقم ٣٧٥ فبراير ١٩٩٠ أنهما يخلطان بين غاز الهيدروجين، والهيدروجين كعنصر يدخل في تكوين مركبات كثيرة كالماء والمركبات العضوية. فقول الدكتور: إن غاز الهيدروجين أحد العناصر المكونة للماء، هو تعبير غير علمي، والتعبير الصحيح أن نقول: عنصر الهيدروجين أحد العناصر المكونة للماء، وكذا عنصر الاكسجين. أما اعتقاد المهندس سعد شعبان ان غاز الهيدروجين موجود في الهواء لكونه موجودا في بخار الماء فتعبير غير علمي أيضاً، والموجود في بخار الماء هو عنصر الهيدروجين.

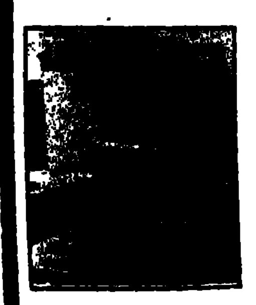
أما كون جزيء الماء يتكون من ذرتين من الهيدروجين وذرة من الاكسجين فلا يعني أن الهيدروجين في هذه الحالة غاز. ولا يعبر عن الهيدروجين في حالة دخوله في تركيب الماء أو بخار الماء بغاز الهيدروجين، لكن يعبر عنه بعنصر الهيدروجين، فكثيرا ما يقع خلط بين الجسم النقي البسيط كغاز الهيدروجين، وبين العنصر الذي يدخل في تركيب أجسام كثيرة كعنصر الهيدروجين.

أما قضية وجود غاز الهيدروجين في الهواء فصحيحة، لكن بكمية قليلة جداً لدرجة أن العلماء إذا تكلموا بلغة الكمية التي يمكن أن تكون مصدراً سهلاً لتسييله، كما يعتقد المهندس سعد شعبان لايعدونه موجوداً في الهواء. وما ذكرته دائرة المعارف البريطانية من أن الهيدروجين يشكل نسبة ١٤٪ من القشرة الأرضية من حيث الوزن فصحيح، لكن الهيدروجين على شكل عنصر وليس على شكل غاز.

القاريء: رشيد بركات
صحار - سلطنة عُمان

□□□

من القطاع العام الى الخاص



الاستاذ الدكتور رئيس التحرير

● قرأت في العدد رقم (٣٧٣) ديسمبر ١٩٨٩ مقالا بعنوان «تغير ملكية القطاع العام ظاهرة تنتشر» للدكتور سلطان ابوعلي يطرح فيه الكثير من وجهات النظر في قضية بدأت الكتابات عنها تنتشر في وطننا العربي، ونحن نشكر المجلة على إعطاء مثل هذه القضية مساحة لا بأس بها للمناقشة، وإبداء الرأي في ظل اقتصاديات الوطن العربي التي تعتمد الى حد ما نوعا من الثبات والخطط الواضحة.

أقول في إطار مناقشة القضية: إننا إذا أردنا أن نعرف جملة القيود التي يجب أن نضعها من أجل تحديد الحجم الأمثل للقطاع العام في بلد ما، وبالتالي الميل إلى تحويل هذا القطاع الى قطاع خاص يعمل وفق آلية السوق في حال تضخم القطاع العام، فيمكن ايراد عدد من القيود لعملية التحويل هذه، مثل معرفة مدى كفاءة السلطة العليا والارادة الحكومية في ادارة المشاريع العامة، كذلك درجة التخطيط والتنظيم المتبع ودرجة الرقابة وفاعليتها، وأساليبها. في الاشراف على تنفيذ الخطط. وهنا لابد لنا من الأخذ بعين الاعتبار مدى الوعي الاجتماعي،

حوار القراء

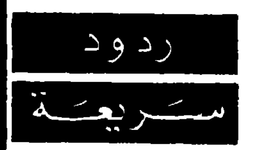
والمسؤولية الاجتماعية في ذلك المجتمع، ولابد أيضا من معرفة مدى القدرة على استخدام عمالة مدربة ومبدعة وأمينة للأعمال التي تقوم بها.

ومن الأمور المحددة لعملية التحويل هي طبيعة النظام الاقتصادي الاجتماعي القائم، وكذلك العلاقات الاقتصادية الدولية، وأثرها من خلال العمل على زيادة الصادرات الاستراتيجية، والتي تتطلب درجة كبيرة من التخصص، ورأس المال والادارة، والتي لا يستطيع القيام بها سوى القطاع العام أو القطاع الخاص بأفضل حالاته «وبإشراف الحكومات القائمة بشكل مباشر من خلال سن القوانين الناظمة لهذه الاعمال والتي يسهل القيام بها.

كذلك لابد من الاشارة وبشكل مهم جداً إلى وجود الجدوى الاقتصادية والجدوى الاجتماعية كقطبي جذب للميل نحو الخصخصة ام لا.

القاريء: احمد سعيد محمد سالم
قسم الاقتصاد ـ كلية الاقتصاد
جامعة دمشق ـ سوريا

□□□





● القاريء: محمود دياب محمود من كلية الآداب بجامعة أسيوط ـ جمهورية مصر العربية. بعث يشيد بالمجلة وبالعدد رقم ٣٧٥ لشهر فبراير ١٩٨٩ وكذلك يبدي رغبته في الكتابة للمجلة، ونحن بدورنا نرحب بكل القراء الذين لديهم رغبة في النشر بالمجلة مع الأخذ بعين الاعتبار أن جميع المواد تعرض على اللجان القارئة في المجلة، لبيان مدى تلاؤمها مع خطة المجلة في النشر.

● القاريء: محمد الزيعر ـ من ولاية البيض، الجمهورية الجزائرية بعث يطلب زيادة الكمية المرسلة من «العربي» للجزائر لان الكمية تنفد بسرعة، ونحن نقول إننا في سبيلنا لزيادة الكمية في القريب العاجل.

● القاريء: محمد عماد الدين فنرى من حلب، سوريا، يشيد بهدية مجلة العربي لشهر يناير، وهي خريطة عليها أهم خطوط المواصلات البرية في الوطن العربي، كما يشيد بالموضوع المنشور للدكتور فهمي مصطفى محمود عن مملكة نحل العسل. ويطالب بأن نزيد جرعة المواد العلمية.

● القاريء: سليمان شفيق العجان من جدة بالمملكة العربية السعودية يشيد بملف الابداع الأدبي العربي في الربع الاخير من هذا القرن الذي بدأت المجلة في نشره من العدد ٣٧٤ يناير ١٩٩٠.

● القاريء: أحمد أنور مدرس بمدرسة العدء الاسلامية بمدينة بارا ـ جمهورية ساحل العاج يقول في رسالة طويلة: إن الدور الذي تقوم به المجلة في نشر الثقافة العربية الاسلامية دور تاريخي تشكر عليه، وانه في الحقيقة يود لو أن المجلة فتحت مراكز توزيع في المناطق الافريقية التي تكثر بها الجالية الاسلامية لتحققت امنية كبيرة لكثير من المسلمين الذين يتشوقون لكل ما هو عربي.

● القاريء: عمار خلفه من دمشق، سوريا، بعث يسأل هل بالامكان أن يرسل مواد علمية كتبت بحيث يسهل فهمها من قبل جميع قراء المجلة ونقول له: إن المجلة ترحب بكل مادة ترسل إليها، وهي مفتوحة لكل الاقلام الشابة.

● القاريء: احمد عبدالوهاب العلي من حولي ـ الكويت يقترح أن تخصص المجلة باباً ثابتا لقضايا المسرح وللمساعدة على نشر الثقافة المسرحية.

● القاريء: شقان شيار ارام ـ من محافظة الحسكة. سوريا بعث ببعض المعلومات التاريخية عن القوميات الكردية في العالم، وحركة هجرتهم عبر التاريخ.

● القاريء: ضياء الدين الحبشي بعث يبدي ملاحظة عن القصائد الشعرية التي تنشرها المجلة، فيقول: إنها تسير بالتدريج نحو الرومانسية أو على نحو أدق نحو «الرمزية» ويقول: لاشك أن الرمزية من المذاهب الفنية الرحبة والرائعة، ولكن بحدود معينة من الوضوح، أما الذي ألاحظه على قصائد «العربي» فإنها وصلت مرحلة رمزية ايمائية عالية، وربما برأيي أصبحت القصائد صعبة الفهم، ويستعصي على الكثير من القراء فهمها.

● القاريء: بدوي احمد من سوهاج ـ جمهورية مصر العربية، بخصوص عرض الكتاب المنشور في العدد ٣٧٤ يناير ١٩٩٠ عن قصة ديون مصر الخارجية من عصر محمد على الى اليوم تأليف الدكتور جلال أمين، فهو في الحقيقة كتاب قيم ورائع، ويطالب بالمزيد من القاء الضوء على هذا الموضوع، كما أنه يقترح تخصيص باب ثابت في المجلة لنشر اعمال الشباب الموهوبين في القصص والقصائد الشعرية.

● القاريء: علي عيد الحافظ النجار من محافظة قنا ـ الاقصر ـ جمهورية مصر العربية يقترح أن تقوم المجلة بعمل استطلاع عن مدينة الاقصر التي يقول إنها من أهم المراكز السياحية في الوطن العربي.

● القاريء: سيد صديق محمد من محافظة قنا ـ جمهورية مصر العربية يقول: إن المجلة تتأخر كثيراً في الوصول الى قريته في مركز دشنا، وانه يعاني من صعوبة في الحصول على العدد، نظراً للاقبال الشديد عليها، كما أنه يقترح أن تقوم المجلة بعمل استطلاع عن محافظة قنا، حيث يوجد أكبر مجمع للالمنيوم، وكذلك الكثير من الآثار التي تستحق الزيارة والاطلاع.

● القاريء: سامر أحمد رون من دمشق ـ سوريا ـ يقترح زيادة المواد العلمية بالمجلة، وكذلك كتابة مواضيع عن الفضاء ورحلة الفضاء التي قام بها رائد الفضاء السعودي الامير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز، والسوري محمد فارسي.

● القاريء: احمد ادريسي ابوبكر من محافظة قنا ـ جمهورية مصر العربية يقول: إن العدد رقم ٣٧٤ يناير ١٩٩٠ كان بالفعل اكثر من عدد ممتاز فهناك حديث الشهر الذي يتحدث فيه رئيس التحرير عن مستقبل الأمة العربية بنظرة موضوعية وثاقبة، وكذلك تنوع المواد، والجديد في تبويب المجلة، وإضافة ابواب جديدة تحمل الكثير من المعاني والفائدة.

● القاريء: ابراهيم الطيار من اربد ـ الاردن، يقترح ان تنشر المجلة استطلاعاً عن مراكز البحث العلمي في الوطن العربي، ودورها في التقدم العلمي العربي.



● القارىء محمد محمود الحسيني من دار المعلمين ـ محافظة الغربية ـ جمهورية مصر العربية يبدي اعجابه بالعدد رقم ٣٧٤ يناير ١٩٩٠ وخاصة الاستطلاعات المصورة، كما يقترح زيادة المساحة المخصصة للقصص.

● القارىء: احمد طاهر عبدالعظيم من محافظة اسوان ـ جمهورية مصر العربية ـ يقترح زيادة الموضوعات الادبية والعلمية والقيام باستطلاع عن مدينة اسوان والسد العالي ومتابعة تجربة كهرباء السد.

● القارئة: غالية البدوي النجار من كلية الحقوق ـ جامعة دمشق ـ سوريا، أرسلت قصة بعنوان «موطن الروح» تدل على أن لديها استعداداً وتجربة، ويتوقع لها مستقبل جيد، لكن تحتاج إلى كثير من المتابعة والقراءات.

● القارىء: عيسى عبدالله السعد، من الاردن، بعث برسالة طويلة يبدى بها وجهة نظر موضوعية في مجمل احداث العالم السياسية ولماذا تطورت الاحداث سريعة في اوربا الشرقية وتأثير ذلك علينا نحن العرب.

● القارىء: عبدالله احمد عبده مرعي من قرية الملتقية ـ المملكة العربية السعودية، يقترح أن تزيد المجلة من الاستطلاعات الخاصة بالآثار، وخصوصا في اليمن حيث انها مناطق اثرية لم تعط حقها من الكتابة وتسليط الضوء.

● أرسل مدير مدرسة اساس الدين ـ في جمهورية تايلند، رسالة للمجلة يشيد باصداراتها وبالمعلومات القيمة التي تتضمنها، ويقول المدير الحاج داودين عبدالله حاج، اننا هنا كمدرسة أهلية تعمل على نشر ثقافتنا الإسلامية ولغتنا العربية، نأمل التزود من هذا المنهل العذب كي يعيننا على أداء أمانتنا ورسالتنا واكمال مسيرتنا التعليمية في أحسن صورة.

● القارئة: نورا فاروق محمد من درب اللبان ـ الاسكندرية، جمهورية مصر العربية تسأل في رسالتها: ان كانت المجلة ترحب بالمواد التي ترسل اليها بدون تكليف؟، ونحن سبق أن ذكرنا على هذه الصفحات ان المجلة ترحب بكل ما يرسل اليها من مادة.

● القارىء: احمد حسن علان من اربد ـ الاردن يقول: انه من عشاق المجلة ومتابعتها باهتمام كل شهر، وهو معجب بالعدد رقم ٣٧٤ يناير ١٩٩٠ وخصوصا مقال الدكتور رئيس التحرير عن العرب في الالف الثالث بعد الميلاد وكذلك بمقال الدكتور غسان سلامة عن الوطن العربي في التسعينيات.

● القارىء: رويس سالم فهد من محافظة شبوه ـ جمهورية اليمن الديمقراطية، يقول: لاشك ان نجاح العربي في غرس بذرة ولو واحدة من بذور الحب والانتماء في نفس قارئها، تثمر على المدى البعيد شخصية متكاملة ومتوازنة، هذا النجاح هو اغلى ثمن يقابل أي مجهود يبذل مهما عظم، وما أعظمه من هدف وما أنبلها من رسالة.

دراســـــــات في :

الترجـــــمة والمصطـــلح والتعـــريب

تأليف : شحادة خوري

عرض وتحليل : ياسر الفهد

للعرب مع الترجمة قصة بدأت منذ القدم ولم تنته ، فقد بدأت نهضة العرب الفكرية بها ، ومن خلالها انتقلت إنجازاتهم العلمية والفلسفية والأدبية إلى الغرب . واليوم ، ونحن نعيش عصر النهضة الحديثة ، تمثل الترجمة محورا من محاور استكمال نهضتنا . لكن كما أن للترجمة أهميتها فإن لها مشكلاتها أيضا .

الحديث عن الترجمة هو حديث الحضارة والتواصل بين الثقافات ، حديث التطور ومواكبة المستجدات ، والسير في طريق التحديث والمعاصرة . هو حديث طويل متشعب غاية في الأهمية ، لكنه يكتسب أهمية خاصة بالنسبة لنا ـ نحن العرب ـ لسببين أساسيين ، أولهما أن الازدهار العلمي الغابر الذي نعمنا به في ماضينا الزاهر ، إنما قام إلى حد معين على أكتاف الترجمة من اللغات القديمة ، لا سيما اليونانية والفارسية . وثانيهما أن تخلفنا الحاضر يفرض علينا ضرورة اللجوء إلى العلوم والثقافات المتقدمة ، حتى نترجمها ، ونستفيد منها في معركة لحاقنا بركاب العصر . فمن الطبيعي والحال كذلك أن نهتم اهتماما خاصا بكل دراسة أو كتاب جاد يتصدى لقضية الترجمة .

الترجمة

يبين المؤلف أن الترجمة حرفة قديمة ، استلزمها وجود جماعات متعددة اللغات ، في بقاع مختلفة من العالم ، وهي تزدهر بازدياد التمازج والتواصل بين الأمم . أما بالنسبة للعرب ، فقد بدأت الترجمة في عهد الأمويين ، فقدتمّ في أثناء خلافة مروان بن الحكم نقل أول

كتاب طبي إلى العربية . وكان أشهر المترجمين في ذلك الزمن يعقوب الرهاوي . وفي العصر العباسي اتسعت حركة الترجمة وازدهرت بشكل لم يسبق له مثيل ، ومن بين أسباب ذلك احتدام الجدل بين الفرق المسلمة ، مما أوجد حاجة إلى ترجمة الفلسفة اليونانية تدعيما للحجج والآراء .

وتتضمن هذه الفترة دورين ، يمتد أولهما من قيام الدولة العباسية حتى مجيء المأمون . وقد تمت خلاله ترجمة العديد من أمهات الكتب ، مثل كتاب المجسطي لبطليموس ، وكتاب المنطق لأرسطو . وكان أشهر المترجمين جورجيس بن جبرائيل . وخلال هذا الدور عنى المنصور والرشيد بالترجمة عناية فائقة . أما الدور الثاني فيبدأ منذ عهد المأمون ، ويستمر خلال هذا العهد وبعده . وقد أضفى المأمون على الترجمة سمة رسمية ، وأنشأ مجمع بيت الحكمة في بغداد ، مهتما بترجمة كتب الفلسفة على نحو خاص . ويقال : إن تشجيعه للترجمة بلغ حداً جعله يمنح حنين بن اسحق وزن كل ما يترجمه ذهبا ، مثلا بمثل . وفي هذا الدور جرت ترجمة كتب أبقراط وجالينوس وارسطو وافلاطون وغيرهم من كبار المفكرين والفلاسفة . وهكذا ، فقد كان العهدان ، الأموي والعباسي ، عهدين بلغت فيهما الترجمة أوجها الذهبي ، واتسمت حركتها بالاتساع والتنظيم وتعدد المصادر . وبعد ذلك ، وعقب هجوم التتار ، تأتي فترة ركود طويلة الأمد ، استمرت عدة قرون ، وحل فيها الظلام ، واستشرى التخلف . وفي مطلع القرن التاسع عشر ، وبعد حملة نابليون بونابرت على مصر ، تنبه العرب إلى ضرورة الشروع في الأخذ بأسباب العلم ، واستئناف ما انقطع ، فانبثق عصر النهضة ، وظهر مترجمون أكفاء أمثال يوحنا عنحوري ويوسف فرعون وغيرهما ، ويبدأ عهد الترجمة الحديثة . ويأسف المؤلف ، لأن هذه الحركة ، على الرغم من انقضاء أكثر من قرن ونصف قرن على ظهورها ، لما تستطع بعد أن تحقق أهدافها ، لأسباب عديدة منها التعددية السياسية والثقافية ؛ بمعنى عدم وجود جهة سياسية أو جهة ثقافية واحدة ، تتولى تخطيط السياسات المتعلقة بالترجمة وتنفيذها .

ويحدد الكتاب شروط الترجمة الجيدة بالأمانة في النقل ، والدقة في اختيار اللفظ ، والإيضاح في التعبير ، ووضع المصطلح الصحيح في مكانه المناسب . ولإنعاش حركة الترجمة ، يدعو المؤلف إلى تحسين أوضاع المترجمين ، وإقامة دورات تدريبية لهم ، وإتاحة الفرصة أمامهم لحضور الندوات والحلقات ، وتخصيص جوائز للمتفوقين . كما يشدد على ضرورة الاتفاق على تولي هيئة عربية مركزية واحدة الإشراف على حركة الترجمة وتنظيم شؤونها .



● غلاف الكتاب

المصطلح :

يتحدث المؤلف مطولا عن المصطلح ، مبينا أن معناه الأصلي في اللغة التصالح والاتفاق . ومن هنا فإن المصطلح يعني الاتفاق على معنى واحد . وقد أسفرت ترجمة العلوم القديمة إلى العربية عن إيجاد مصطلحات كثيرة ، دخلت لغتنا العربية ، وأصبحت جزءا من ألفاظها . ويُعزي الفضل الأكبر في وضع المصطلح لحنين ابن اسحاق الذي يقال : إنه أول من فعل ذلك . وكان الأقدمون قبل حنين يبقون على المصطلح اليوناني بلفظه الأعجمي . وكانت طريقة إيجاد المصطلح تتم إما :

أ ـ بتحويل المعنى اللغوي الأصلي للكلمة العربية وتضمينها المعنى العلمي الجديد .

ب ـ أو باشتقاق ألفاظ جديدة من أصول عربية .

جـ ـ أو بترجمة كلمات أعجمية بمعانيها . وهذا يشبه ، إلى حد ما ، الطرق الحديثة المستعملة في وضع المصطلح التي تعتمد على الاشتقاق والمجاز والنحت والدخيل والتركيب المزجي .

وكالحال بالنسبة لنا ، فعندما ترجم الأوربيون عن العرب ، دخلت لغاتهم مئات من الألفاظ العربية التي ما زالوا يستخدمونها حتى الآن . ويشكل المصطلح اليوم ، بعد تطور العلوم الحديثة ، مشكلة مهمة ، وذلك بسبب سرعة التطور،وعدم قدرة الأقطار العربية على الاتفاق على معانٍ عربية موحدة . وأحد أسباب ذلك أن وضع المصطلح ظل فترة طويلة من الزمن عملا مُشاعا متروكا للأفراد من مترجين ورجال علم ، مما أفسح المجال للتباين بين مصطلح وآخر .

وقد بدأت بعض المؤسسات العربية ، لا سيما مكتب تنسيق التعريب في الرباط ، بالإسهام في توحيد المصطلحات ، وذلك عن طريق إصدار معاجم ، تتضمن معاني مصطلحات صادق عليها عدد كبير من أهل العلم والاختصاص .

ويأتي المؤلف على ذكر الجهات العربية وغير العربية التي تهتم بالمصطلح ، وصفا وتوحيدا ، وأهمها الأمانة العامة للجامعة العربية ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، والمنظمة العربية للمواصفات والمقاييس ، والمنظمة العربية للعلوم الإدارية ، واتحاد الأطباء العرب ، واتحاد الكيمائيين العرب ، وغير ذلك من المنظمات والاتحادات ، بالإضافة إلى منظمة أوبك . كما أن للمجامع اللغوية دورا مهما في هذا المجال . ولمعظم هذه المجامع مجلات خاصة بها . أما على المستوى العالمي ، فيذكر الكتاب بشكل خاص منظمة اليونسكو واتحاد المترجين الدولي . ويؤكد المؤلف تأكيدا خاصا على دور منظمة « الاليكسو » في مجال الترجمة . ويتجلى هذا الدور في عدة مهام منها :

أ ـ الإعلام : أي جمع المعلومات من مؤسسات الترجمة والنشر حول ما تُرجم فعلا ، وما تجري ترجمته الآن ، وما ستتم ترجمته في المستقبل ، من كتب .

ب ـ التوثيق : أي مسح المعلومات المحصلة وإصدارها بنشرات « ببليوغرافية » .

جـ ـ الإرشاد : أي مساعدة الناشرين والمترجين على التلاقي والتعاون المفيد . ويبين المؤلف أن المنظمة تسعى الآن لإصدار دليل عام بالمترجين ومؤسسات الترجمة العربية .

ولكنه يأسف لأن جهود جميع الجهات العربية المعنية بمشكلة المصطلح ، أثبتت أنها غير كافية للوصول إلى حل نهائي للمشكلة المذكورة . ومثل هذا الحل إنما يكمن ، كما يبين الكاتب ، في توطين العلم والتقنية ، واستنباتهما في الأقطار العربية ، فالمكتشف هو عادة الذي يطلق الاسم الذي يريده ، وبلغته ، على ما يكتشفه ، وبعد ذلك تقتبس اللغات الأخرى هذا الاسم أو توجد مقابلا له .

التعريب :

يوضح الكتاب أن كلمة تعريب تحمل ثلاثة معان :

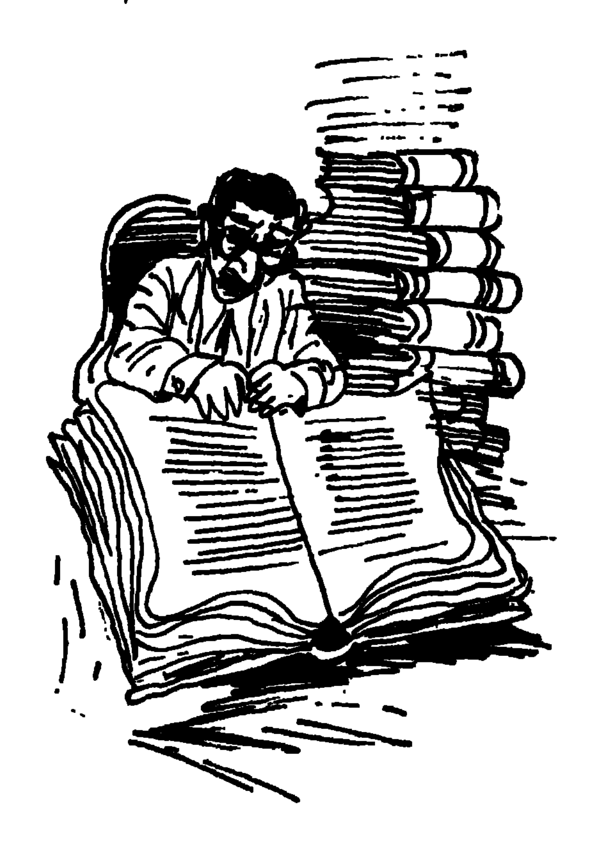
١ - نقل النص من لغة أجنبية إلى اللغة العربية .

٢ - استخدام ألفاظ أعجمية على الطريقة العربية في اللفظ والنطق والإيقاع .

٣ - جعل العربية لغة الحياة والعلم والطب وأداة التفكير في كل فن .

وحسب المعنى الثالث للتعريب ، فقد بدأت حركة التعريب في الأقطار العربية منذ القرن التاسع عشر ، ونشطت في النصف الأول من القرن العشرين ، لا سيما في دول المغرب العربي .

ويشمل التعريب تعريب التعليم بشقيه النظامي وغير النظامي ، وتعريب المجتمع بكل ما فيه من نشاط فكري وثقافي وأعمال إدارية وتجارية وصناعية وغيرها . ويمجد المؤلف اللغة العربية في أجزاء كثيرة من الكتاب، ويكرمها تكريما كبيرا ، مشيدا بميزاتها العديدة ، وقدرتها الاستيعابية ، وتقبلها الجديد ، واعتمادها على التكاثر والتوالد بدلا من الإلحاق والتبني . وهذا الوضع يشكل عاملا إيجابيا في عملية التعريب .



ملاحظات :

تنبع أهمية الكتاب الذي عرضنا أبرز أفكاره الرئيسة من عدة أسباب ، منها أن موضوع الترجمة بحد ذاته مهم جدا ، وأن لمؤلفه من الخبرة الطويلة فيه ما يؤهله للكتابة حوله بجدارة ، ومنها كذلك أن عمله رئيسا لوحدة الترجمة في منظمة « الاليكسو » يتيح له فرص الاطلاع على التقارير والدراسات والبيانات والإحصاءات التي ترد إلى المنظمة من مختلف المؤسسات الثقافية ومراكز الترجمة ، مما يضفي درجة كبيرة من المصداقية على المعلومات والأحكام الواردة في الكتاب . ومن الأمور المهمة أيضا أن المؤلف يعالج قضايا الترجمة من منطلقين : تراثي ومستقبلي ، في آن واحد . وهو يدعو إلى تنشيط حركة الترجمة من خلال تشجيع المترجم ، وتثقيفه ، وتحسين أوضاعه . وكذلك بواسطة تنظيم عملية الترجمة وتطوير التشريعات الخاصة بها .

وبالاضافة إلى ما اقترحه المؤلف نرى أن الخطوات التالية مفيدة وهي :

١ - إيجاد حل حاسم لمشكلة تعددية الترجمة أو ازدواجيتها ، فهذه المشكلة تشكل عاملا إحباطيا كبيرا لكثير من المترجمين الذين كان يمكن لأي منهم أن يقوم بترجمة العديد من الكتب المهمة لولا خوفه من أن تكون هذه الكتب قد ترجمت ، أو

أنها قيد الترجمة من قبل جهات أو أفراد آخرين .

٢ ـ لقد بينت القوائم « البيلوغرافية » التي نشرتها منظمة « الاليكسو » ، كما ذكر المؤلف ، أن عدد الكتب الأدبية والفنية المترجمة التي تصدر في الوطن العربي أكثر من عدد الكتب العلمية . ونعتقد أن من الضروري العمل على تعديل هذا الاتجاه ، إذا كان هذا هو السائد ، لأن المرحلة الحالية التي نمر بها تستلزم الإفادة بشكل خاص من الترجمات العلمية والتقنية والاقتصادية والطبية ، بالإضافة إلى الترجمات الأدبية والفنية .

٣ ـ عندما تكون الكتب المرشحة للنشر مهمة أو اختصاصية أو معقدة أكثر من المعتاد ، يستحسن ، بل ربما يجب اللجوء إلى الترجمة الجماعية بواسطة اللجان بدلا من الأفراد ؛ أي أن يقوم عدة أفراد عوضاً عن فرد واحد بترجمة الكتاب ، كل حسب دور معين . وذلك نظرا لأن الترجمة عملية بالغة الصعوبة والتعقيد ، وتتضمن الحاجة إلى معرفة معاني أعداد غير محددة من المصطلحات والمختصرات والتعبيرات الاختصاصية .

وعلى الرغم من مزايا الكتاب ، فإنه لا يخلو من بعض النقاط السلبية ، مثل تكرار بعض الأفكار ، لا سيما ما يتعلق منها بتاريخ الترجمة . ويعود السبب في ذلك إلى أن الكتاب لا يتضمن معلومات متدرجة بطريقة منظمة ، بل إنه عبارة عن دراسات منفصلة ، تتكرر فيها بعض المعلومات في أكثر من دراسة .

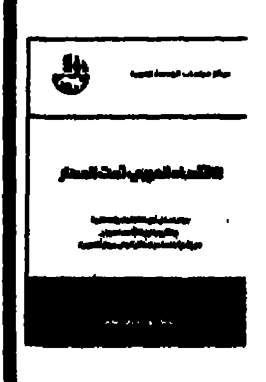
والنقطة السلبية الثانية ، كما يبدو لنا ، أن المؤلف يستخدم في أمكنة كثيرة من الكتاب أسلوبا وعظيا عاطفيا مبالغا فيه ، مع أن موضوعاً ، كموضوع الترجمة ، يستلزم أسلوبا هادئا رصينا ، لا يحتاج فيه الكاتب إلى إثارة حماس القارىء بقوة . □





اسم الكتاب : الاقتصاد العربي تحت الحصار
اسم المؤلف : د. رمزي زكي
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية
عدد الصفحات : ٣٥٧ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٩ م

يسجل الكتاب حالة الحصار لاقتصادنا العربي ، على صعيد العلاقات الاقتصادية الخارجية للأقطار العربية ، وهو الصعيد الذي كانت له قوة شديدة ، وفاعلية عالية في تدعيم آليات الحصار ، ويضم الكتاب خمسة فصول مقسمة إلى مدخل تمهيدي وثلاث دراسات وخاتمة ، المدخل التمهيدي (الفصل الأول) فهو يرصد الدروس التي يمكن استخلاصها من مسيرة العمل العربي التنموي في ربع القرن الماضي ، في ضوء ما يمكن تسميته « بالأوهام التنموية » ، وفي الدراسة الأولى (الفصل الثاني) عرض لأزمة الاقتصاد الرأسمالي العالمي الذي يُعَدُّ وطننا العربي جزءاً منه ، ومن ثم نتأثر به دون أن تكون لنا قدرة التأثير فيه ، أما الدراسة الثانية (الفصل الثالث) فتتعرض لمشكلة الديون الخارجية المستحقة الآن على الأقطار العربية وتفاقمها وتأثيرها على الخطة الانمائية العربية ، وفي الدراسة الثالثة (الفصل الرابع) محاولة لتحليل المخاطر الناجمة عن علاقة المديونية والدائنية العربية خلال السنوات الخمس عشرة الماضية وآليات الحصار التي حكمت العلاقة ، وفي الفصل الخامس والأخير ، محاولة لرسم بعض معالم آليات فك الحصار ، من خلال البحث عن كيفية توظيف علاقاتنا الاقتصادية الخارجية لخدمة قضايانا القومية .



□□□

اسم الكتاب : علي أحمد باكثير ، رائد التجديد في الشعر العربي المعاصر
اسم المؤلف : د. عبدالعزيز المقالح
الناشر : دار الكلمة ـ صنعاء
عدد الصفحات : ٣١٠ من القطع المتوسط
سنة النشر : ١٩٩٠ م



كتاب جديد يقدمه د. المقالح إلى المكتبة العربية ، يضم دراسة علمية موسعة ونقدية ، لشاعر كبير عانى من الجحود والنكران ، وشكا من التأثير السلبي على مجمل إنتاجه الأدبي ، ويقدم الكاتب باكثير من خلال ثلاثة محاور ، المحور الأول كشاعر كما يراه المؤلف رائداً من رواد حركة الشعر الجديد ، ومؤسساً حقيقياً للصيغة الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، والمحور الثاني قراءة نقدية لبعض النماذج الروائية لباكثير ، والمحور

الثالث محاولة لتناول العطاء المسرحي الضخم الذي خلفه الشاعر الكبير ، كما يضم الكتاب ملحقاً يحتوي على سبعة نماذج من التمثيليات الشعرية والنثرية التي لم يسبق جمعها من المجلات والصحف أو نشرها في كتب .

□□□

اسم الكتاب : ثورة التراث ، دراسة في فكر خالد محمد خالد
اسم المؤلف : د. شاكر النابلسي
الناشر : مكتبة مدبولي ـ القاهرة
عدد الصفحات : ٦٤٠ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٩٠ م

يضم الكتاب دراسة علمية موسعة لفكر الكاتب الاسلامي الكبير خالد محمد خالد ، الذي يعد من أبرز المفكرين الاصلاحيين العرب المعاصرين ، الذين حاولوا تقديم حل علمي لإشكالية الأصالة والمعاصرة ، على أساس فهم عميق للتراث ووعي بضرورات النهضة المعاصرة ، وهو أحد رموز الحركة الليبرالية العربية ، وكتاباته عن الحرية ومناهضة الديكتاتورية من أكثر الكتب شيوعاً في هذا المجال . ويضم الكتاب ثمانية أبواب ، تبدأ بترجمة يسيرة لحياته وروافد تكوينه العقلي ، ثم يعرض للبيئة الاجتماعية والسياسية التي شب فيها وملامحها الفكرية ، ثم يقدم خارطة للعقل العربي ، وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى الخطاب السياسي عند خالد محمد خالد ، ثم الخطاب الاجتماعي ، ثم أفكاره في الإصلاح الديني ، وبعد ذلك الخطاب الإنساني في كتاباته . وفي نهاية الكتاب يقدم الباحث عرضاً لمواقف خالد محمد خالد من السلطة ومن الأفكار الفكرية السائدة .

□□□

اسم الكتاب : الروائيون
اسم المؤلف : غالب هلسا
الناشر : الزاوية للطباعة والنشر ـ دمشق
عدد الصفحات : ٣٩١ صفحة من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٨ م

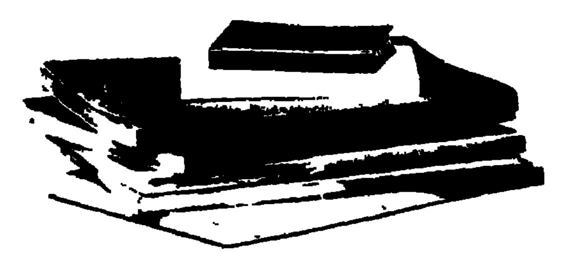
آخر أعمال الكاتب الراحل غالب هلسا ، وهي رواية تستمد حوادثها من واقع معاش ، تصور هذا الانكسار الحاد الذي حدث للمثقفين العرب عقب هزيمة يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، وهذا الشرخ الذي لم يلتئم لفترة طويلة ، وأسفر عن نتائج وتفاعلات متعددة داخل المجتمع العربي ، ويقدم الكاتب روايته بأسلوب شيق ، وعالم شديد الخصوصية ، وأبطاله مرسومون بعناية ودقة ، وهيكل روايته متسق . الروائيون شهادة على عصر ، وعلى جيل بأكمله ، قالها صاحبها وغادر الدنيا ومضى .

• حقائق وأوهام

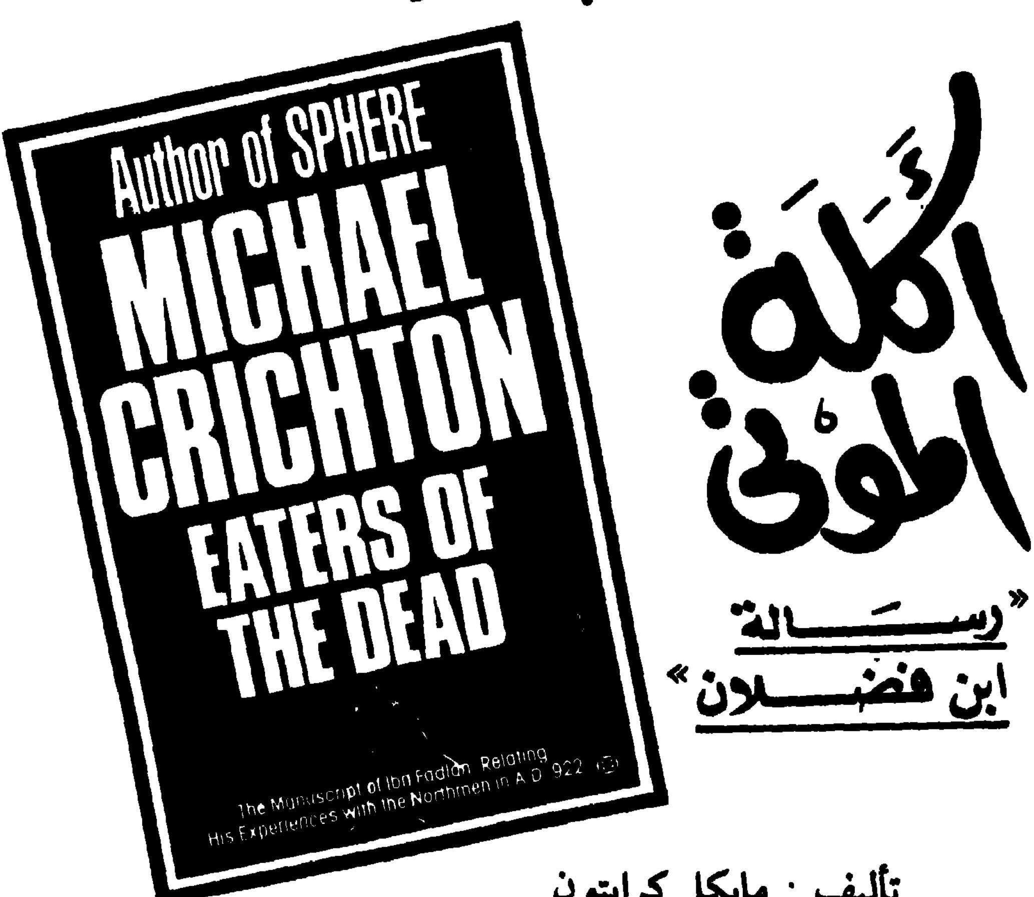
● علينا أن نعيش اليوم بما توصلنا إلى معرفته عن الكون حتى اليوم ، ولكن علينا أن نعد أنفسنا لتسميته غدا مجرد أوهام ، حين نكتشف حقائق أخرى .

«وليام جيمس»





كتاب الشهر



تأليف : مايكل كرايتون

بقلم : الدكتور شاكر الفحام

كانت دار السلام بغداد عاصمة الدنيا فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ، فقد بلغت ذروة الحضارة ، واستبحر فيها العمران ، وسمقت أدواح العلوم والمعارف ، وامتدت آفاق الثقافة ، وبسطت بغداد سلطانها الروحي فى الخافقين ، فرنت نحوها العيون ، وهفت اليها الأفئدة والنفوس ، وتطلعت إلى معونتها الممالك .

كتاب الشهر

في أيام الخليفة العباسي المقتدر بالله ، وصل كتاب ملك الصقالبة يسأل أمير المؤمنين المقتدر أن يبعث إليه من يفقهه في الدين ، ويعرفه شرائع الاسلام ، ويبني له مسجدا ويسأله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له .

واستجاب المقتدر لرغبة ملك الصقالبة ، وأرسل وفدا من أربعة رجال ، فيهم أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد مولى أمير المؤمنين ثم مولى محمد بن سليمان .

رحل الوفد من مدينة السلام بغداد في شهر صفر سنة ٣٠٩ هـ ، وظل يصعد شرقا وشمالا مارا بهمذان فالري (قرب طهران) فنيسابور ، وعبر نهر جيحون حتى بلغ مدينة بخارى عاصمة السامانيين . ويحدثنا ابن فضلان أن الوفد لقي ببخارى : الجيهاني كاتب أمير خراسان ، فأحسن استقبالهم ، واستأذن لهم على الأمير أبي الحسن نصر بن أحمد بن اسماعيل الساماني (تولى الملك : ٣٠١ - ٣٣١ هـ) ، وكان في السادسة عشرة من عمره آنذاك ، ولذلك قال ابن فضلان في صفته : « وهو غلام أمرد » وقابلهم الأمير ببشاشة وود ، وأمر بتلبية رغباتهم .

ثم أوغل الوفد في البوادي حتى وصل إلى بلد ملك الصقالبة في حوض نهر إتل (نهر الفولغا) سنة ٣١٠ هـ ، فاستغرقت رحلته في الذهاب أحد عشر شهراً ، لاقى في أثنائها مصاعب كثيرة ، وأهوالاً مذهلة ، وصفها ابن فضلان وصفاً دقيقا بارعا .

الرســالة :

ولما عاد أحمد بن فضلان عمل رسالة ذكر فيها ما شاهده منذ انفصل عن بغداد إلى أن عاد إليها .

وتاريخ الرجعة وخط سيرها غير معروفين لنا ، إذ أن خاتمة الرسالة قد امتدت إليها يد الضياع . ويرى الأستاذ (م . كانار) أن العودة تمت في سنة ٣١١ هـ .

ويرجح العلماء والباحثون أن الجغرافيين العرب الذين أتوا بعد ابن فضلان قد أفادوا في تآليفهم من رسالته ، وإن لم يصرحوا في كتبهم بالنقل عنه .

وأول من تحدث عن رسالة ابن فضلان ، وصرح بالنقل عنها ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) ، فقد اقتبس منها في ستة مواضع في كتابه معجم البلدان هي : (إتل ، باشغرد ، بلغار ، الخزر ، خوارزم ، روس) .

وكان ياقوت يتخفف في نقوله من بعض التفاصيل حيناً ، ويتقيد بالنص حرفا حرفا حينا ، ويبرأ من عهدة الكلام إن تسرب إلى نفسه شيء من الشك ، ويصحح ماوقع فيه ابن فضلان من وهم ، إن كان قد أتيح له معرفة الموضع معرفة مشاهدة وعيان .

ويصرح ياقوت أن رسالة ابن فضلان كانت في أيامه معروفة متداولة ، يقول : « وقصة ابن فضلان وإنفاذ المقتدر له إلى (بلغار) مدونة معروفة مشهورة بأيدي الناس ، رأيت لها عدة نسخ » .

وطوت الأيام رسالة ابن فضلان في ما طوت من تآليف العرب العظيمة الجليلة ، فلما كان القرن التاسع عشر الميلادي فطن المستشرقون لها ، حين طالعتهم النصوص القيمة التي أوردها ياقوت الحموي في معجم البلدان ، فأفردوا تلك النصوص بالدرس والبحث ، وعنوا بها أبلغ العنـاية ، وتـرجمـوهـا إلى اللغـات الأوربية



المختلفة ، وزخرت دراساتهم بالتعليقات والتحقيقات النافعة المفيدة .

وقد عرض الأستاذ سامي الدهان جانبا من هذا النشاط العلمي الواسع الذى قام به المستشرقون فى خدمة نصوص ابن فضلان ، منذ أيام المستشرق راسموسن سنة ١٨١٤ م ، والمستشرق فران سنة١٨٢٣ م حتى مطلع القرن العشرين .

ثم كشف النقاب عن وجود مخطوطة لرسالة ابن فضلان فى خزانة المخطوطات بمدينة مشهد . ولكن هذه المخطوطة الثمينة لم تسلم من يد الحدثان ، فقد سطا النقص على ختامها ، فضاعت أوراق منها لاتعرف عدتها .

وسارع المستشرقون لنشر ماوجد من مخطوطة ابن فضلان وتحقيقه ومقابلته بنصوص ياقوت .

وتصدى العالم التركي زكي وليدي طوغان لتحقيق النص العربي والتعليق عليه ، وتم له نشره سنة ١٩٣٩ م .

ونهض بمثل ذلك المستشرق الروسي كراتشكوفسكى ، فصور المخطوط العربي ، وترجمه إلى الروسية ، وقدم دراسة واسعة تناول فيها الرحلة وصاحبها ابن فضلان ، وصدر الكتاب فى موسكو سنة ١٩٣٩ م .

وتتابعت الجهود والتحقيقات ، ويجد الباحث فى مقدمة الدكتور سامي الدهان ، وفي مقالة دائرة المعارف الاسلامية التي تحدثت عن ابن فضلان ، وفى أمثالها من الدراسات شيئاً مفصلاً يتناول هذه الجهود الواسعة التى وقفها أصحابها على تعميق المعرفة بابن فضلان ، ورسالته .

وقام الأستاذ الدكتور سامي الدهان بعبء تحقيق نص رسالة ابن فضلان والتعليق عليه ، ليقدمه لقراء العربية ميسراً ، سهل التناول بعد أن طال انتظارهم له . فأكبَّ على الرسالة سنوات طوالاً ، ونظر فى كل الدراسات التي سلفت نظرة فاحص مدقق ، وأخرج الرسالة بعد أن استقام له نصها على الوجه الذي ارتضاه ، وصدرت بثوبها القشيب فى مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٥٩ م ، وأعادت وزارة الثقافة بدمشق طبعها سنة ١٩٧٨ م ، ثم طبعت طبعة ثالثة (مجمع اللغة العربية بدمشق) سنة ١٩٨٨ م .

ابن فضلان والفايكنغ

ولكن قصة ابن فضلان لم تنته . وهاهو ذا الكاتب الامريكى مايكل كرايتون يخرج على الناس فى عام ١٩٧٦ م بقصته التى جعل عنوانها (أكلة الموتى) ، وتحدث فيها عن ابن فضلان والأحداث التى لاقاها بين رجال الشمال



كتاب الشهر

(الفايكنغ) . وذكر الكاتب أنه حكى فى قصته تفاصيل رحلة ابن فضلان ، وانه لم يخرج عن الأصل المخطوط الذي اعتمده ، إلا فى أحيان قليلة . فمن أين استقى الكاتب الامريكي مادة كتابه الجديد ؟

يذكر كرايتون فى مقدمة كتابه (بعد أن تحدث عن جهود راسموسن وفران) أنه فى سنة ١٨٧٨ م تم العثور على مخطوطين جديدين فى تركة السير جون ايمرسون السفير البريطاني بالقسطنطينية :

أحدهما كتاب جغرافي بالعربية لأحمد الطوسي .

والثانى كتاب لأمين الرازي مكتوب باللاتينية ، ومترجم عن الأصل العربي لابن فضلان ، يتحدث عن الأتراك الغز ، وعن غيلان الضباب .

وفى سنة ١٩٣٤ ، عثر على نص مترجم إلى لاتينية القرون الوسطى فى دير كسيموس قرب تسالونيكا فى شمال شرق اليونان ، ويتضمن مخطوط كسيموس تعاليق أخرى عن علاقة ابن فضلان بالخليفة ، وتجاربه مع مخلوقات بلاد الشمال .

وقد نهض الاستاذ فراوس دولوس الأستاذ الفخرى بجامعة اوسلو بالنرويج بمهمة ترجمة كل هذه الوثائق التى شغلته حتى وفاته سنة ١٩٥٧ م ، ونشرت أجزاء من ترجمته فى محاضر متحف اوسلو الوطني ، سنة ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ م .

وهكذا تهيأ لكرايتون المادة المبتغاة ليصوغ قصته متحدثا عن رحلة ابن فضلان ، وماحوته من حوادث مثيرة .

مصادر القصة

ثم يعود كرايتون ليؤكد لقرائه صحة ماسرد من أحداث ووقائع ، فيذكر مصادره التي اعتمدها ، وقد صنفها إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : المصادر الرئيسة هي :

أ ـ نصوص ياقوت الحموي فى معجم البلدان .

ب ـ مخطوطة سان بطرسبورغ التى طبعتها اكاديمية سان بطرسبورغ سنة ١٨٢٣ م .

جـ ـ مخطوطة أحمد الطوسي .

د ـ مخطوطة أمين الرازي .

هـ ـ مخطوطة كسيموس .

القسم الثانى : المصادر الثانوية :

وأشار فيها إلى مسرد المصادر التى تحدثت عن مخطوطة ابن فضلان ما بين سنتي : ١٧٩٤ ـ ١٩٧٠ م ، وقد ألفه (أ . بيرندت) و (ر. هـ. بيرندت) ، ونشر في سنة ١٩٧١ م .

وقد بلغت جملة المصادر التى أوردها المؤلفان : (١٠٤٢) مصدراً .

القسم الثالث : مصادر عامة .

حظى كتاب (أكلة الموتى) لكرايتون بالذيوع والانتشار ، وآخر طبعة اطلعت عليها صدرت فى سنة ١٩٨٨ ، وتناولته أقلام كثيرة بالنقد ، وفى مقدمتها مجلة نيوزويك ، ونيويورك تايمز .

وقد ظهرت ترجمة للكتاب بالعربية ، قام بالترجمة الاستاذ احمد عبدالسلام البقالي ، وصدرت عن دار تهامة (جدة ـ السعودية) سنة ١٩٨٨ م ، بعنوان : (مغامرات سفير عربي في اسكندنافيا منذ ١٠٠٠ عام) .

وهذه هى الفصول التي تضمنها كتاب كرايتون :

١ ـ الرحيل عن مدينة السلام .
٢ ـ طرق الاتراك الغز .
٣ ـ أول اتصال برجال الشمال .
٤ ـ ما بعد جنازة رجال الشمال .
٥ ـ الرحلة الى البلد البعيد .
٦ ـ مخيم تريلبورغ .

٧ ـ مملكة روثغار فى ارض فندن .
٨ ـ الأحداث التى تلت المعركة الاولى .
٩ ـ هجوم الكورغون : التنين الوهاج .
١٠ ـ صحراء الرعب .
١١ ـ مجلس الأقزام .
١٢ ـ أحداث الليلة التي سبقت الهجوم .
١٣ ـ كهوف الرعد .
١٤ ـ احتضار الفندول .
١٥ ـ العودة من بلد الشمال .
١٦ ـ تعقيب غيلان الضباب .

إن العرض الذى قدمناه آنفا يوضح أن الكاتب الامريكي كرايتون لم يتمكن من الاطلاع على رسالة ابن فضلان كما روتها مخطوطة مشهد ، وهى رواية أوسع وأغنى مما أورده ياقوت الحموي فى معجم البلدان .

ولكن الاستاذ أحمد عبدالسلام البقالي الذى نهض بعبء ترجمة الكتاب قد أفاد من رسالة ابن فضلان التى حققها الدكتور الدهان وطبعت بدمشق ، فكانت معتمدة فى الفصول الأولى من الرسالة التى شغلت الصفحات (١٩ ـ ٥٤) من الكتاب المترجم .

أما بقية الكتاب (ص ٥٥ ـ ١٦٤) فلا مرجع له إلّا قصة الكاتب الامريكي كرايتون التي صاغها نقلا عن الترجمة التى قام بها الاستاذ النرويجي فراوس دولوس .

ولقد صرح كرايتون بأنه لم يلتزم نص دولوس ، بل أجاز لنفسه شيئا من التصرف ، كما أنه تخفف من بعض العلامات المميزة للأعلام العرب .

إنني لأتمنى أن تثير هذه القصة الرغبة في ترجمة النص الأساس الذى هيأه دولوس إلى اللغة العربية ترجمة أمينة ، فقد يكون ذلك وسيلتنا الصحيحة لنتبين ما يقال فيه ، وما أثير حوله من شكوك .

ولقد صدق دولوس حين قال فى مقدمة ترجمته : « من طبيعة اللغات أن الترجمة الجميلة لاتكون دقيقة ، ولكن الترجمة الدقيقة تشرق بجمالها الذاتي دون مساعدة » . □

للحقيقة وجه آخر

يأسرني دائماً مايمكن أن نسميه « الفكرة النقيض » ، أو « الوجه الآخر للعملة » ، أو « نصف الكأس » الذي يراه المتشائم فارغاً ، ويراه المتفائل ممتلئاً ، ما أعنيه أن للحقيقة وجهها الآخر الذي قد يكون مكملاً لها ، وربما كان أكثر صدقاً منها .

بدأ عشقي ـ ولنقل بحثي ـ عن الوجه الآخر للحقيقة مع قصيدة لأحد الشعراء ، يقول فيها : إنه كلما سار في الطريق راكبا عربته القديمة وجد العربات الأخرى تسبقه ، ولما استبدل بعربته عربة جديدة ، ليسبق الجميع ، اكتشف أن العربات في الطريق مازالت تسبق عربته ، عند ذلك أدرك أنه لاعيب في العربة ، لكن العيب في السائق !

وتأمل معي هذه الفكرة المجنونة التي قالها عبقري، وربما كانت فكرة عبقرية قالها مجنون ، فللحقيقة وجهها الآخر . يقول : « لولا الزواج لما كان هناك طلاق » . فهل نستطيع أن نحاجيه؟

والقضية لاتقتصر على قصائد الشعراء ، أو تظرف المتظرفين ، بل هي أعمق من هذا بكثير ، فكثير من إبداعات البشرية تدين لشخص بحث عن هذه « الفكرة النقيض » ، أو أنه قلب الصورة ليرى الحقيقة كما لم يرها غيره ، فهذا الحسن بن الهيثم يفكر بطريقة معكوسة ، فيقول : إن العين لايخرج منها شعاع يسقط على الأشياء فيمكنها من رؤية الأشياء ـ كما اعتقد الأولون ـ بل النقيض تماماً ، إن الشعاع يأتي من الأشياء ساقطاً على العين ، فترى الأشياء .

عالم آخر فكر بطريقة معكوسة ، « غاليليو» الذي رفض عدّ الأرض محور الكون ، وأن الشمس تدور حولها ، فقلب الآية لتصبح الشمس هي المحور ، والأرض تدور حولها ، فكرة أثرت تأثيراً عميقاً في تاريخ البشرية ، ليس في الجانب العلمي فقط ، ولكن في جميع جوانب الحياة ، فبعد أن كان الإنسان سيد هذا الكون ، يسيطر على مركزه (الأرض) ، أصبح مجرد كائن صغير ، يعيش على أحد الكواكب .

ولو قلبنا الصورة في مجال تنظيم المجتمع وقوانينه ، لوجدنا نتائج مبهرة ، فعلى سبيل المثال تقول الإحصائيات : إن أغلب الناس لا يمانع بالتبرع بأعضائه بعد الوفاة ، ومع ذلك تعاني مراكز نقل الأعضاء نقصاً شديداً في توافر الأعضاء البشرية ، لأن أغلب الناس لا يقدم موافقة مسبّقة ـ كما تنص أغلب القوانين ـ على تبرعه بأعضائه بعد الوفاة ، إما إهمالاً ، أو جهلاً ، أو لأي سبب آخر . إذن لنقلب القانون : ماذا يحدث لو اعتبرنا جميع الناس موافقين على منح أعضائهم ، وأن من لايرغب عليه التوصية بغير ذلك ؟ هذه « الفكرة النقيض » تحل ـ للدول التي أخذت بها ـ نقص الأعضاء البشرية .

القائمة طويلة ، وكل ما فيها يؤكد أن للحقيقة وجهاً آخر ، وأن ماقد يبدو صحيحاً ، قد تكون الحقيقة نقيضه تماماً ، وأن المشكلات ربما تجد حلها إذا نظرنا إليها من الضفة الأخرى من النهر . وما عليك الآن سوى أن تحاول قلب بعض أفكارك ، فربما اكتشفت أنك كنت على خطأ ، وربما خرجت بفكرة عبقرية ، تغير مجرى الحياة . وإلى أن نلتقي تمعن في « فكرة » إيليا أبي ماضي : « النقيض » :

قَالَ السماء كئيبة وتجهما قلتُ ابتسم يكفي التجهم في السما □

طارق حسني



■ ماذا تعرف عن المعجزة **الكورية؟**

■ الإسلام بين الوحدة والتنوع

■ المياه والأمن القومي العربي



(شهـــرزاد) للفنانة اللبنانية منى باسيلي

العدد ٣٨٠ السنة الثالثة والثلاثون - يوليو ١٩٩٠



مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الإعلام بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

العربي
ص.ب: ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدي 13008 الكويت
تلفون: ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا: "العربي" - الكويت
تلفون فاكسملي: ٢٤٢٤٣٧٥ - تلكس: MITR. 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL - ARABI
Issue No : 380 - July 1990. P.O. Box : 748
Postal Code No. -13008 Kuwait.
A Cultural Monthly - Arabic
Magazine in Colour Published by :
Ministry Of Information
State OF Kuwait.

الاشتراكات

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - الإعلام الخارجي
وزارة الإعلام - ص.ب: ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة
مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٦ د.ك أو ٢٠ دولارًا باقي دول العالم ٨ د.ك أو ٣٠ دولارًا

ثمن النسخة

الكويت ٣٠٠ فلس
العراق ٤٠٠ فلس
الأردن ٢٥٠ فلسًا
البحرين ٤٠٠ فلس
اليمن الجنوبي ٣٠٠ فلس
مصر ٣٥ قرشًا
السودان ٢٥ قرشًا
موريتانيا ٨٠ اوقية

تونس ٥٠٠ مليم
الجزائر ٥ دنانير
السعودية ٦ ريالات
اليمن الشمالي ٦ ريالات
قطر ٧ ريالات
سلطنة عُمان ٤٠٠ بيسة
لبنان ٥٠ ليرة

سوريا ١٥ ليرة
الامارات ٧ دراهم
المغرب ٥ دراهم
ليبيا ٥٠٠ درهم
أوروبا: جنيه استرليني ونصف
فرنسا ٢٥ فرنكًا
أميركا ٣ دولارات

محتويات العدد



● المياه والأمن القومي العربي .... [ص ٢٣]



● ارتيريا وردة البحر المنسية .... [ص ١٣٢]

قضايا عامة :

سياسة واقتصاد :

عروبة وإسلام :

استطلاعات مصورة :

طب وعلوم :

أدب وفنون :

منتدى العربي :

● صفحات خالدة في تاريخ الكيمياء . .... [ص٤٢]



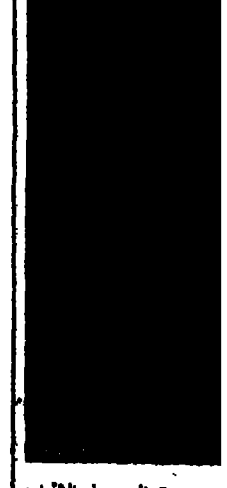

● من دفتر ذكريات حمد عيسى الرجيب : المحنة حين تملي القرار .... [ص٢٠]




● تشخيص الأمراض باللسان [ص١٢٤]



● وجها لوجه د لويس عوض ود عالي شكري [ص٩٧]



● العرب في الاتحاد السوفيتي .... [ص٩٢]



● كارايان امبراطور الموسيقا الراحل [ص١٥٢]

تاريخ وتراث أشخاص :

مكتبة العربي :

أبواب ثابتة :



صورة الغلاف

خلال ثمانية وعشرين عاما فقط أصبحت كوريا الجنوبية من أهم القوى الاقتصادية في العالم . وتفسيرا لهذه الظاهرة كانت رحلة بعثة « العربي » في المدن والمصانع والمدارس ، وللإجابة عن السؤال القائل : كيف يعمل الكوريون ويلهون ؟

[طالع الاستطلاع ص ٦٨]

البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع

عزيزي القارئ

مَسْؤُولِيَّة كَبِيرَة

عندما يصلك هذا العدد لشهر (يوليو) تموز نرجو أن تكون بعض مشكلات التوزيع قد حُلتّ ، والقضية أنه قد وصل إلينا ، في الأشهر القليلة الأخيرة ، رسائل عديدة من قراء وموزعين ، تشكو من التأخير في وصول الأعداد في الوقت المناسب ، فبعضها وصل متأخرا عشرين يوما ، وبعضها الآخر وصل متأخرا حوالي عشرة أيام في كل شهر ، ولقد كانت صعوبات الوصول إلى القاريء تقلقنا أيضا ، وأسباب ذلك تعود إلى مجموعة من العوامل ، منها قليل من التأخير في الطباعة . وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلناها في الماضي ، من أجل تنسيق عملنا مع الإخوة في المطبعة فإن التأخير استمر فترة . ونرجو حين صدور هذا العدد الذي بين يديك أن تكون المشكلة قد حُلتَ برمتها ، بتعاون خيِّر وثيق مع الإخوة المسؤولين في المطبعة ، وكذلك مع الإخوة في التصدير والتوزيع . جزء من المشكلة هو الطلب الكبير المتزايد من قبل القراء على المجلة ، ونحن فخورون أن نعلن أن عدد نسخ «العربي» قد وصل الآن إلى حوالي ثلاثمائة وخمسين ألف نسخة مطبوعة وموزعة في مناطق الوطن العربي من أقصاه إلى أقصاه ، ولقاريء العربية ـ تقريباً ـ في كل مكان من أنحاء العالم . وتقديرنا أن عدد قرائنا سيربو على مليون ونصف مليون قاريء تقريبا ، وهذا يحملنا المزيد من المسؤولية عن كل جوانب إنتاج هذه المطبوعة من تحرير إلى طباعة إلى توزيع .

المسؤولية الكبيرة التي يضعها قراء «العربي» بهذا العدد الكبير منهم على أكتافنا هي هاجسنا الدائم اليومي ، ونحاول في التحرير أن نكون على مستوى المسؤولية العظيمة هذه ، فنقدم كل ماهو جديد على صفحاتنا . وهذه المسؤولية هي التي دفعتنا لإرسال فريق من «العربي» إلى أرتيريا ، ليرصد مقاومة شعبها وسعيه إلى الاستقلال في ظروف استثنائية عاشتها بعثة «العربي» مع المقاتلين ، لتقف على قدراتهم وطموحاتهم ، وجاءت من هناك تحكي للعرب قصة مقاومة عربية أخرى ، مضى عليها حتى الآن سنين طويلة .

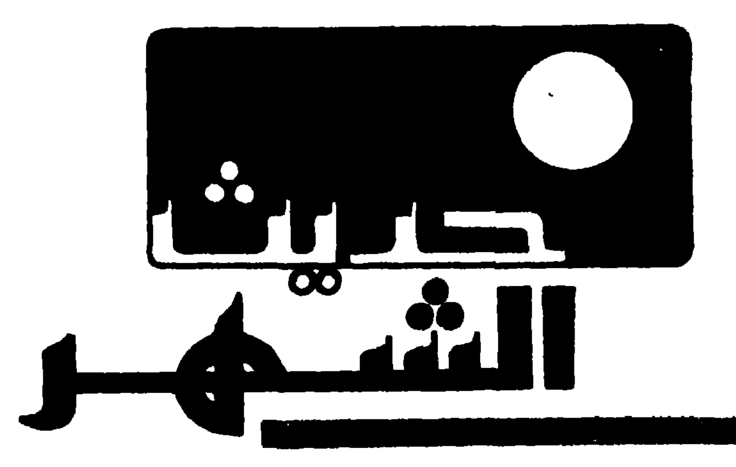
إن قضية المياه العربية التي أولتها «العربي» اهتمامها أكثر من مرة ، في سنوات سابقة ، تعود من جديد لتذكر للقراء مستجداتها ، بمقال كتبه أستاذ الاستراتيجية العربية أمين هويدي . ومن القضايا الثقافية والفكرية المطروحة للنقاش روافد النهضة الإسلامية الحديثة ، وقد شاركنا في الكتابة عن أحد مواضيعها مفكر متخصص ، له باع طويل في الموضوع ، هو الأستاذ طارق البشري .

ومن الأندلس كتبت لنا أستاذة متخصصة ، هي سلمى الحفار الكزبري ، عن حضارة العرب هناك ، من خلال عيون الأسبان المعاصرين ، وكيف ينظرون إلى حضارتنا .

وعن هجرة اليهود السوفييت إلى فلسطين كتب لنا الدكتور أسعد عبدالرحمن . أما استطلاعات «العربي» فهي بجانب ماتناولته عن أرتيريا وثورتها تسافر بعثتها ، لاستقصاء الجديد في الصناعة والتجارة ، إلى أحد النمور الخمسة في جنوب شرق آسيا (كورياالجنوبية) ، وتكتشف سر نجاح الصناعة والتجارة هناك . وفي الموسيقا والطب والثقافة والعلوم وقضايا البيئة والذكريات الشخصية كتبت لنا في كل ذلك كوكبة من المثقفين العرب : حمد الرجيب ، حسن سعيد الكرمي ، فيليب جلاب ، غالي شكري ، سمحة الخولي ، من بين مجموعة كبرى من الكتاب والمثقفين العرب الذين أسهموا في عددنا هذا .

صحيح أن عددنا هذا عدد صيف ، لكن الصحيح أيضا أنه مليء مشبع بالنتاج الثقافي . نرجو لكم إجازة ممتعة وقراءة أكثر متعة . □

« المحـــرر »



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

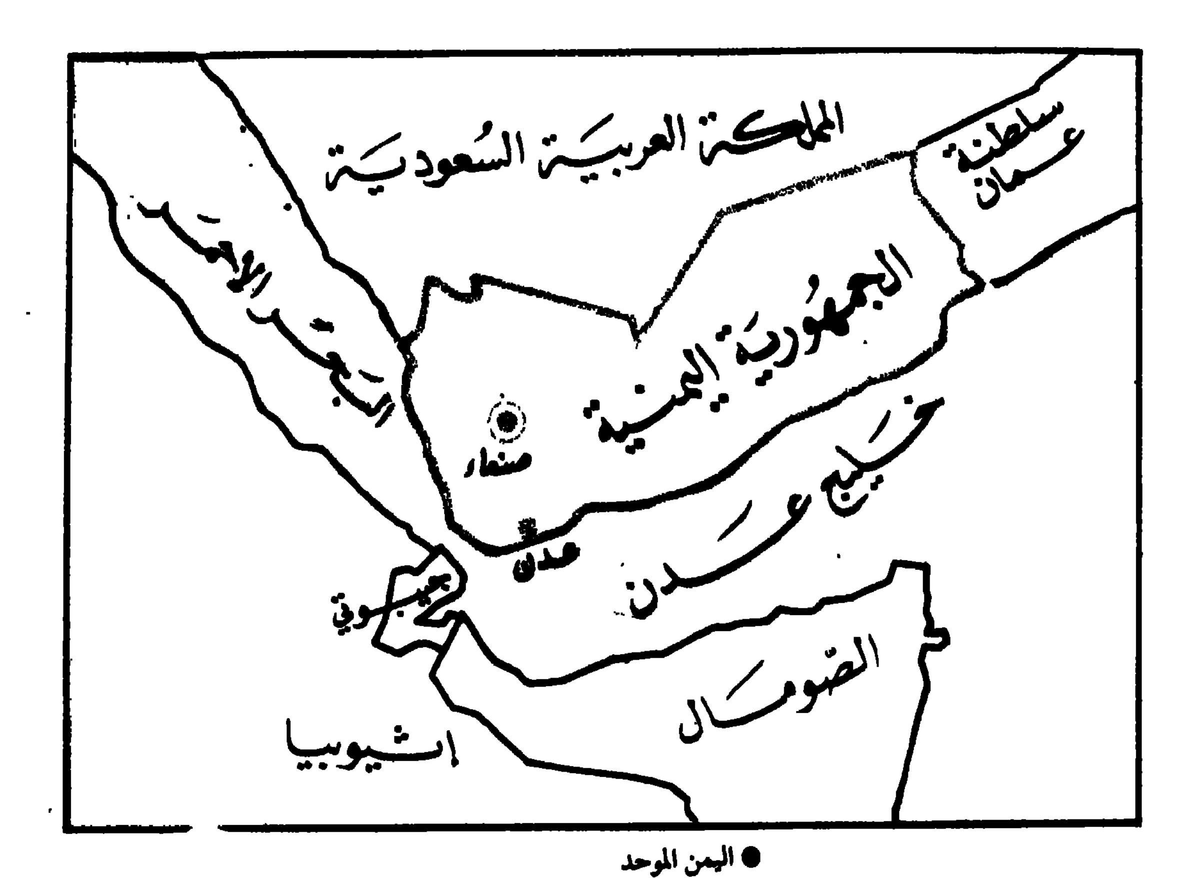
أهداف الوحدة
تنجز على قدر عزم أهلها



في بريدي هذا الشهر مجموعة من الرسائل ، بعثها أصدقاء وقراء من اليمن ، بعضهم يعتب ، وبعضهم يرغب ، العتاب في أنني قصرت في الكتابة عن وحدة اليمن حتى الآن ، أما الرغبة فهي أن أخصص حديثاً للوحدة اليمنية ، وهي أهم - كما قال أحدهم في رسالته - من الوحدة الألمانية التي خصصت لها حديث شهر (مايو) الماضي .

كم أسعدتني هذه الرسائل ، وقد صادفت هوى في نفسي ورغبة واستعداداً ، وكنت (بالفعل) أحضر للكتابة والحديث في الموضوع ، ولكنني أرجأته قليلاً ، انتظاراً لترسب الغبار الإعلامي - إن صح التعبير - واتضاح الرؤية ، وبروز المشهد بتفاصيله .

إنني مع عدد كبير من أبناء جيلي أكثر فرحاً بالوحدة اليمنية وأوفر استبشاراً بها ، فنحن جيل قد شبّ على ثقافة سياسية ، ترى أن الحدود بين الأقطار العربية ما هي إلا (ندوب) من جروح قديمة ، وكم يسعد الإنسان منا عندما تختفي



● اليمن الموحد

بعض هذه (الندوب) من على ذلك الوجه ـ الخارطة العربية ـ كي تظهر ملامحه الحقيقية شيئاً فشيئاً مزدانة باهرة .

وما من أحد مثلي ومثل أبناء جيلي يجيش فرحة وسعادة بهذا الإنجاز الكبير الذي تحقق على أرض اليمن في الأيام الأخيرة من الشهر الخامس من هذا العام ، فهو بكل المعايير إنجاز حضاري في معناه وفي مبناه ، ولكن كما يقول الشاعر العربي : « ليس كل مطروق الحديد يماني » . فقضية الوحدة وتبعاتها وتحدياتها أعظم وأكبر من كل التمنيات الخيرة والتبريكات اللفظية ، لذلك فإنني أشعر بمسئولية مضاعفة عند الحديث عن هذا الموضوع ، وبخاصة عند الحديث عن صعوباته وتحدياته .

> الأيديولوجيات والنظريات إن لم تكن مستنبتة من الواقع فإن نسمات الهواء وإن رقت قد تطيح بها

تاريخ اليمن الحديث :

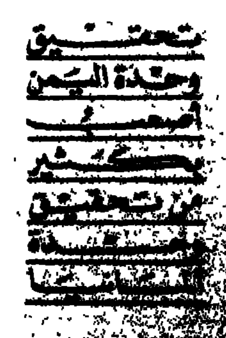
التاريخ الحديث لليمن تاريخ طويل من الصراع والتآلف ، لمّا يكتب بعد بتفاصيله الدقيقة ، واختلاف صوره وظلاله وألوانه ، وأنا لست مع القائلين ، باديء ذي بدء ، في غمرة كل الحماس للوحدة المحققة ، بأن الوحدة أسهل من الانفصال ، كما تحدث بعض الناس ونشر ، لا لأنني اعتقد أن الانفصال هو

الأسهل ، أو التشطير كما كنا نسميه لا سمح الله ، ولكن موقفي هذا ضد موقف تسهيل الصعب ، فلقد كان تاريخ نضال الشعب اليمني في المائتي سنة الأخيرة ، وحتى لا نغوص بعيداً في التاريخ ، نضالاً شاقاً وصعباً ، وكانت أكثر مراحله التهاباً وتلاحقاً ودموية وانكساراً ونصراً هي الثلاثون سنة الأخيرة ، لذلك فإن ما يُقْدِم عليه أهلنا في اليمن اليوم ـ ومن موقف المسئولية التاريخية ـ يحتاج إلى عمل ، وصبر أكبر وأكثر مما احتاج إليه من العمل والصبر في الكفاح ضد الشرور التي ألـمّت باليمن في المائتي سنة الأخيرة ، لذلك فإن تحدي استمرار الوحدة أعظم من تحقيقها بحد ذاته .

وهذه الشرور الكثيرة التي أصابت اليمن ، وكان بعض أسبابها الرئيس ، ليس بُعد اليمن عن الوطن العربي ، وليس هامشية موقعه ، وضعف قدرته على الفعل ، بل على العكس من ذلك على طول الخط ، فالشرور أصابته بسبب موقعه الجغرافي الحضاري المهم ، وبسبب مركزيته في التأثير على بقية المناطق العربية في الشمال أو في الغرب ، وبسبب قدرته ـ إن ملك استقلاله ـ على الفعل ، فمن احتلال بريطانيا لعدن ـ درة التاج البريطاني ، كما سميت لاحقاً ـ سنة ١٨٣٩ ، والاحتلال التركي (العثماني) للحديدة وقمران ١٨٤٨ ، تتابعت فصول رواية تاريخ اليمن الحديث ، وزاد في تسارع تعاقب هذه الفصول ودمويتها افتتاح قناة السويس ١٨٦٩ الذي سهل تحرك الجنود الأتراك من اليمن وإليه ، وسهل تحرك جنود الامبراطورية البريطانية من عدن وإليها ، مما أتاح التوسع للنفوذ التركي من جهة ، وللبريطاني من جهة أخرى .

ولقد لعبت في هذه الفترة التاريخية ـ من النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، إلى النصف الأول من القرن العشرين ـ مجموعة من العوامل في تحديد مسار الأحداث في اليمن الذي لم يكن يعرف بحدوده الدولية الحالية . ومن هذه العوامل التركيب القبلي لأهل اليمن وانتماءاتهم السياسية من جهة ، والأتراك (العثمانيون) من جهة ثانية ، والانجليز من جهة ثالثة ، يشاركهم ويسبقهم بين وقت وآخر قوة أوربية ، مثل الفرنسيين أو الطليان ، وأخيراً العامل الأهم وهو الجغرافيا اليمنية .

في هذه الفترة هُدّدت صنعاء وبقية المدن اليمنية أكثر من مرة ، واحْتُلّت عدن ، وغيرت القبائل تحالفاتها ، ووسع الانجليز نفوذهم ، من عدن غرباً إلى محميات وسلطنات عديدة ، أذكر أن طلابي كانوا يحتارون في عددها ، عندما كنت أشرح لهم ، على مقاعد الدراسة ، التطورات السياسية والاقتصادية لجنوب اليمن قبل الاستقلال .





● رئيس الجمهورية اليمنية
علي عبدالله صالح

هذا الصراع بين اللاعبين العديدين على ساحة اليمن وحوله الذي واجه بجانب الاحتلال البريطاني أو التركي تهديدات من فرنسا ، وإيطاليا ، وألمانيا ، والامبراطورية النمساوية الهنغارية ، ومطالبات بنفوذ من قبل الاتحاد السوفيتي من جهة ، والولايات المتحدة من جهة أخرى ، وذلك يدلل بما لا يرقى إليه الشك على أهمية هذا الجزء من وطننا العربي استراتيجياً وأمنياً ، إذ أن اليمن هو ظهير هذه الأمة ، وعينها على جنوب البحر الأحمر وبحر العرب ، ومفصلها المتحرك تجاه أفريقيا وآسيا ، ومخزون حضارتها ، ومنجم تدفق ثروتها البشرية .

تجارب التنمية والوحدة في اليمن يمكن أن تفيدنا دروسها في المستقبل

وقد ابتلي اليمن للأسباب التي ذكرناها ، ونتيجة أيضاً لأسباب موضوعية في هذه الفترة العصيبة من تاريخه ، بتخلف في مناح كثيرة من شؤونه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وما لدينا من كتابات ، سواء تلك التي كتبها بعض أبناء اليمن المستنيرين ، أو بعض الرحالة العرب والأجانب ، تقدم لنا وصفاً أليماً لذلك الواقع الذي عانى من جرائه أهلنا في اليمن من الجهل والمرض والتخلف ونقص في الأرزاق والثمرات والأموال والرجال ، إلا أن ميزة أهل اليمن التي يجب أن تُذكر فتُحمد أن جذوة رفضهم لذلك الواقع ظلت وَقّادة ، تصغر وتكبر حسب الظروف السائدة ، ولكنها هناك لم تنطفيء قط ، ولم تستطع إطفاءها حملات الأتراك المتكررة وقسوتهم على أبناء اليمن ، ولم يستطع إطفاءها حكم متجمد ضعيف البصر أعمى البصيرة ، ولم يستطع إطفاءها احتلال من دولة عظمى في ذلك الوقت وهي بريطانيا .

فقد كان من يريد المقاومة للاحتلال البريطاني في الجنوب يجد من إخوة له في شمال البلاد الملاذ والعون ، ومن يريد مقاومة حكم شبه إقطاعي متجمد جاهل في الشمال يجد الملاذ والعون من إخوة له في الجنوب ، على الرغم من صعوبة الاتصال وقسوة البيئة ، وضعف الإمكانيات .

ولم تكن القوى الأخرى جامدة أو مستكينة لرغبات أهل اليمن وطموحاتهم ، بل كانت على العكس من ذلك ، فقد حركت تلك القوى أشكالاً عديدة من العصبيات ، واستفادت من كل التناقضات التي يحملها المجتمع اليمني لازدياد الفرقة وتعميقها ، ودق اسفين التناحر والحروب الأهلية .

وخضع اليمن فترة طويلة ، خاصة في النصف الأول من هذا القرن ، لتفاوت قسري في مستوى التنمية بين مناطقه المختلفة ؛ ففي الوقت الذي كانت فيه عدن مزدهرة على مفترق ربط الشمال الصناعي بالجنوب المُستَعْمَر ، المليء بالمواد الخام والمتنوع الأسواق ، كانت بقية مناطق اليمن تعاني من فقر وفاقة ، وتخلف طوعي وقسري ، وكذلك لم يكن الحكم في اليمن شمالاً ، قبل ثورة ١٩٦٢ ، قادراً ولا راغباً في التطور ، تحكمه عقدة الخوف والعزلة في آن واحد ، ولم يكن المواطن اليمني تحت ظل هذا الظرف أو ذاك قادراً على أن يحقق طموحاته ويلج ببلاده آفاق القرن العشرين .

لست مع القائلين - وبعض الناس قد قالها أو كتبها هنا أو هناك - بأن اليمن تعود اليوم إلى « الوحدة » ، فلو قلت ذلك ، مقارنة مثلاً بوحدة ألمانيا ، لأصبت خطأ في التاريخ ، وخطأ في حق أنفسنا ، فتحقيق وحدة اليمن أصعب - في نظري - من تحقيق وحدة ألمانيا . وقد كان الرئيس علي عبد الله صالح محقاً كل

الحق عندما أجاب عن سؤال لصحفي ألماني في قمة بغداد (مايو السابق) قائلاً : إننا على استعداد لإرسال خبراء لمساعدة ألمانيا في تحقيق الوحدة . قد تكون في ذلك دعابة وطرفة ، ولكنني أعتقد بأن وحدة اليمن ، أو ظهور الدولة الجديدة الموحدة في جنوب الجزيرة العربية ، عمل غير مسبوق ، بمعنى وجود دولة مركزية واحدة حديثة من المهرة وحضرموت إلى صعدة وحَجة . ألمانيا انقسمت إلى بلدين فقط مدة أربعة عقود ونيف ، أما اليمن فلم تكن كذلك .

صحيح أن الشعور اليمني كان واحداً ، وصحيح أن حركة الشعب اليمني السياسية قد بقيت في بعض أطرافها موحدة ، وصحيح أن ظروف التجزئة الطويلة لم تؤدِ إلى خلق أكثر من نظام متميز بالمعنى العميق والمختلف ، لكن الصحيح أيضاً أن الوحدة بهذا المعنى الذي تحقق ، وبهذه الطريقة ، ولهذه الأسباب ، وفي الإطار الجغرافي الذي نعرفه الآن ، لم تكن مسبوقة . ومن هنا تأتي أهمية الوحدة اليمنية اليوم ، وتأتي عظمة تحدياتها أيضاً .

إنها غير مسبوقة من جهة بشروطها ومعطياتها وجغرافيتها الحالية ، ونقلة نوعية تحتاج إلى تضحيات أكثر مما تحتاج إلى تسرع في قطف ثمار .

الاستقلال وَالخروجُ الى رحَابِ المسؤوليَّة :

جدلية الصراع والتوافق جدلية ظاهرة ، بارزة للعيان في تاريخ اليمن المعاصر ، أو في الثلاثين سنة الماضية على وجه التحديد ، فهناك عوامل خارجية يتأثر بها اليمن ، وكانت على مر تاريخه الحديث - كما رأينا - عوامل جوار جغرافي أو سياسي ، وهناك عناصر وتفاعلات داخلية في اليمن نفسه ، فثورة ١٩٦٢ قد سبقتها إرهاصات طويلة داخل اليمن نفسه ، بعضها كان دعوة سياسية مستمرة للتغير ، وبعضها كان محاولة للتغير بالقوة ، كما واكبتها أحداث عربية كبرى ، هي نقاط التغير التي حدثت ، بدءاً من ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر ، ومروراً بما حدث في سوريا والعراق وأماكن عربية أخرى ، وبعد ١٩٦٢ لم يكن الاستقرار مقدماً على طبق من فضة لأهل اليمن كما يقال ، فقد شهد اليمن تغيرات وحروباً أهلية دامية طويلة ، وانشقاقاً في الصف الوطني ، ولم يستقر الأمر إلا في الفترة الأخيرة التي لا تتجاوز اثنتي عشرة سنة ، في عهد الرئيس علي عبد الله صالح بعد سنة ١٩٧٨ .

التحدي الاقتصادي هو أكبر تحدٍ يواجه دولة الوحدة في اليمن

أليس من الملفت للنظر أن السلطة البريطانية في جنوب اليمن قد سارعت ، في النصف الثاني من الخمسينيات وما بعدها ، لتشكل اتحاداً لإمارات الجنوب ، في محاولة منها أولاً لامتصاص النقمة الشعبية ، والتذمر المتصاعد ،



● نائب رئيس الجمهورية
علي سالم البيض

على الأوضاع الاقتصادية والتشتت السياسي ، ومن جهة ثانية لمحاولة الوقوف أمام أي تغيرات جدية تحدث في الشمال أيضاً ، وفي الليلة التي تحدد فيها عقد المجلس التشريعي لإعلان اتحاد إمارات الجنوب في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، تقوم الثورة في الشمال ، وبقيامها تجد القوى الوطنية العاملة على التغير في الجنوب ملاذاً لها ، لتنظيم نفسها ، وإعادة الكرَّة ، وتصعيد مطالبها . وبعد هذا التنظيم والاستعداد تعلن الثورة المسلحة ضد الوجود الاستعماري البريطاني في جنوب

اليمن ككل ، في ١٤ أكتوبر ١٩٦٤ ، من ذرى جبال ردفان .

وتراوح هذه الجدلية بين الشمال والجنوب مراوحة تنبيء عن هذه العلاقة المتلاحمة التي يجمعها نسيج واحد ، وإن اختلفت ألوانه ، ومساحاته .

وفي الثلاثين سنة الأخيرة تقريباً ـ أي بين سنة ١٩٦٢ وسنة ١٩٩٠ ـ تراوحت الاختلافات والوفاقات في (مسرح ملهاة ومأساة) يمني فريد ، وفي بعض الأوقات دخل طرف ثالث أو أكثر في هذا المسرح اليمني ، ولكنه في النهاية ـ بعد سقوط الضحايا وظهور الأبطال ـ حقق هدفه ، وهو وحدة اليمن .

لقد شُغل اليمن في الشمال وقتاً في ضبط التناغم الداخلي الذي تنافر بشدة بعد الثورة ، وكان ذلك مُراً وأليماً في كثير من الأوقات ، فمن الحرب الأهلية إلى حصار صنعاء ، إلى تبدل وتغير في أنظمة الحكم المختلفة ، وكأن « يمن ما بعد الثورة سنة ١٩٦٢ » يبحث عن مخرج ومسار .

جزءاً من هذا الانشغال كانت العلاقة مع الجنوب .

كما شُغل الجنوب أيضاً في ضبط التناغم الداخلي ، وتغيرت التحالفات أكثر من مرة ، وتعددت النماذج المؤدية إلى التنمية ، أو التي ساد اعتقاد بأنها تؤدي إلى ذلك ، وكانت جزءاً من هذا الانشغال العلاقة مع الشمال .

ولم يكن هذا الطريق في الشمال أو الجنوب خالياً من الآلام ، وقد سقط على الدرب الطويل الشهداء من جهة ، والضحايا من جهة أخرى ، وكانت سنة ١٩٧٨ في الشمال ، وسنة ١٩٨٦ في الجنوب ، آخر محطات الصراع الطويل الذي توقف عنده قطار التجربة والخطأ في اليمن .

وعلى صعيد آخر فإن الوفاق والصراع قد استمرا بين اليمنين ، ومن الغريب أن العشرين عاماً ، بين ١٩٧٠ و ١٩٩٠ ، شهدت عشرين اتفاقاً تقريباً ، بشكل أو بآخر بين اليمنين ، وكذلك شهدت حربين قصيرتين في عامي ١٩٧٢ و ١٩٧٩ .

بالحوار الديمقراطي فقط توصلت اليمن إلى الوحدة وبهذا الطريق فقط يمكن أن تتحقق وحدات أخرى في الوطن العربي

الحلم حقيقة :

محاولات الاتفاق على آلية لضبط العلاقة بين شمال اليمن وجنوبه بدأت باتفاق تعز في نوفمبر ١٩٧٠ ، مروراً باتفاقية القاهرة (١٩٧٢) التي تضمنت قيام الوحدة اليمنية ، واتفاقية طرابلس الغرب في العام نفسه ، وقمة الجزائر ، ولقاء تعز الحديدة (١٩٧٣) ، ثم لقاء قعطبة ١٩٧٧ ، ثم قمة الكويت ١٩٧٩ ، ثم اتفاق عدن الأول مايو ١٩٨٠ ، وعدن الثاني يونيو ١٩٨٠ ، ثم قمة تعز الأولى ١٩٨١ ، وتعز الثانية ١٩٨٢ ، والثالثة (ابريل ١٩٨٨) ، ثم قمة صنعاء (مايو

الوحدة اليمنية ليست حاصل جمع بل هي تفاعل كيميائي تذوب فيه المواد المكونة لأجزائه لينتج مكونا جديدا!

١٩٨٨) ، ثم اتفاق عدن التاريخي نوفمبر ١٩٨٩ ، وقمة صنعاء في ديسمبر ١٩٨٩ ، ثم أربعة لقاءات قمة في هذا العام ، وقد توجت بلقاء التوقيع على الوحدة في الثاني والعشرين من مايو الفائت الذى أعلن بعده ذوبان الدولتين في دولة عربية واحدة هي جمهورية اليمن .

معظم اللقاءات العشرين أو الأكثر تمت على مستوى القمة بين الدولتين (رئيس الوزراء أو رئيس الجمهورية) ، وتمخضت كلها عن توقيع اتفاقيات تصب في التوجه نفسه ، وهو إقامة الوحدة ، ومن كثرة هذه اللقاءات والاتفاقات ثم الاخفاقات التى تليها ، بل في بعض الأوقات الصراع المسلح ، لم يكن الكثير من المراقبين العرب ينظر الى جدية الوحدة اليمنية نظرة متفائلة ، خاصة إذا ما قورنت بمحاولات الوحدات العربية الكثيرة التي وقعت على ورق ، ولم تتجاوز نصوص ذلك الورق قط ، ولم يكن الكثيرون متفائلين أيضا في جو عربي عام ، تضرب الفرقة شواطئه وأجزاءه ، والانصراف العربي لمحاولة الحفاظ على ماهو قائم ، دع عنك تطويره الى الأفضل ، إلا أن اتفاق عدن التاريخي في نوفمبر ١٩٨٩ ، وما تلاه من خطوات ، جعل الأمر يبدو في البداية جديا بما فيه الكفاية ، ثم تحقق بالفعل ، قبل خمسة أشهر من الوقت المضروب لتحققه . وتنقسم الأراء التي تدرس وتحلل الأسباب الموضوعية التي جعلت ماهو قريب الى الحُلم حقيقة ملموسة ، الى عدة اجتهادات .

بعض هذه الاجتهادات يقول : إن الأسباب داخلية يمنية ، دفعت إلى طريق الوحدة ، وهي عوامل كانت ولازالت مؤثرة ، تدفع باتجاه التوحد ، منها الشعور المشترك بالمصير الواحد ، ومنها التطلع إلى مستقبل واحد ، ومنها الاشتراك الطويل في النضال من أجل التحرر ، وأضيف على كل ذلك الاستقرار السياسى في السنوات السابقة ، والرغبة الأكيدة لدى القيادات السياسية على أكثر من صعيد في تحقيق هذا الهدف (الوحدة) .

وتقول اجتهادات أخرى : إنه بجانب كل هذه الأسباب لابد من ذكر التدخل الخارجي ، وهو أكثر من عامل قريب وبعيد ، ولكنه في النهاية أدى إلى أن يشعر اليمنيون بأن الاعتماد على الخارج أصبح غير ممكن ، كما كان في العقود القليلة الأخيرة ، لا الاعتماد الإقتصادى والا الاعتماد السياسي ، كما أن الايديولوجيات والنظريات ، إن لم تكن مستنبتة من الواقع ، ومن البيئة العامة ، ولا تستطيع أن تضرب جذورها في المجتمع ، وتبقى عالقة على السطح ، فإن نسمات الهواء وإن رقّت ، قد تطيح بها .

قضيـة الوحـدة وتبعـاتـها وتحـدياتـها أكبر مـن كل التمنيات الخـيرة والتبريكات اللفظيـة

هذا الجانب الذي يكفي فيه التلميح بدلا من التصريح ، هو الذي أسرع بخطوات الوحدة ، وهو الذي سيظل يدفع ـ جزئيا ـ بجانب كل الأمال والنيات الطيبة ، سفينة الوحدة إلى مرفئها الصحيح .

أسوأ ما يمكن أن يحدث في هذه المرحلة هو محاكمة النوايا السابقة ، وتقليب المواجع ، ومحاولة إثبات أن هذا الطرف أو ذلك كان على حق ، أو كـان على باطل ، فالتجربة التنموية والسياسية في كل من الشمـال والجنوب (القـطرين السابقين) كانت لها إخفاقاتها ، كما كانت لها نجاحاتها ، وكانت الاختلافات في الاختيارات الفكرية محط جدال ، وأولَى بها أن تكون محطّ فخار ، فلم يكن أحد يستطيع أن يقرر أي الطرق أسلم إن لم تجرب هذه الطرق ، أخذا بعين الاعتبار حداثة تجربة الحكم ككل ، وقرب زمن التخلف والاستعمار . لقد أنجزت تجربة جنوب اليمن في بعض مراحلهـا ، وفي بعض قطاعـاتها نجـاحات ، يمكن ان يستفاد منها دروسا للمستقبل ، وكذلك مثلها تجربة شمال اليمن .

كما أن أحد الدروس المستفادة الكبيرة التي يمكن أن تشكل سابقة لتجارب عربية قادمة ، أنه مهما صلحت النوايا وحسن القصد ، فإن الوسائل الصحيحة لا تخرج عن سبيل الغايات الصحيحة ، فلم يُفرض رأي على رأي ، ولم يُدمج جزء مع جزء ، بقوة السلاح أو الإرغام الأيديولوجي ، بل لقـد تمت الوحـدة بـالتراضي بـين أفراد الحكم وأفـراد الشعب ، وعلى الجميـع أن يدفـع عجلة التراضي إلى الأمام ، مع منعها ، بالقانون المتفق عليه بين ممثلي الشعب ، من العودة إلى الوراء والتراجع .

لقـد سقطت أنـظمة وأحـزاب في الوطن العـربي في الفـراغ السيـاسي والأيديولوجي ، عندما أرادت ، أو ظنت أنها تستطيع ، أن تفرض وجهة نظرها على شقيق أو جار . بالحوار الديمقراطي فقط ، توصلت اليمن إلى الوحـدة ، وبهذا الطريق فقط يمكن أن تتحقق وحدات أخرى في الوطن العربي ، فنحن مع اختفاء الندوب (الحدود) من على سطح الخارطة العربية ، ولكن مع اختفائها بالطريقة الصحيحة ، الطريقة الحضارية الممكنة ، بالحوار والإقناع ، ولسنا مع الفرض والجبر الذي يخلق ندوبا أعمق وأوجع من سابقاتها .

تحديـات الوحـدة اليمـنـية :

لا يستطيع أحد أن يستخلص الدروس الحقيقية للتجربة اليمنية غير أبناء اليمن ، وما المشاركة في النقاش والحوار الكبير إلا من باب المساهمة الطوعية غير

اليمن ظهير الأمة وعينها على البحر الأحمر وبحر العرب ومفصلها المتحرك تجاه أفريقيا وآسيا ومخزون حضارتها ومنجمها البشري

المقيدة بشروط ، وفي هذا المقام فمن الخطأ أن ينظر إلى اليمن الجديد على أنه محصلة لدولتين أو نظامين سابقين ، فإن نظرنا إلى ذلك لفترة مؤقتة لا تتعدى المرحلة الانتقالية ، فترة الثلاثين شهرا المقبلة ، فقد يكون ذلك مقبولا ، ولكن إن استمرت هذه النظرة فذلك خطأ جسيم . فالوحدة اليمنية يجب أن ينظر إليها على أنها ليست حاصل جمع ، بل على أنها تفاعل كيميائي ، تذوب فيه المواد المكونة لأجزائه ، كي نحصل على خصائص أخرى جديدة ، إذ أن الوحدات التي قامت على حاصل الجمع قد انتهت ، في تجربتنا العربية ، بعملية طرح ، بسبب خلاف شخصي في الرأي ، وهذا مما يجب ألا يسمح به في اليمن ،-بعد كل هذه التضحيات وبعد كل هذه المحاولات الطويلة .

والوحدة التفاعلية عطاء وليست أخذاً ، فالإقليم أو المجموعة السياسية أو المدينة أو الناحية التي سوف تعلق المشكلات التي تواجهها في المستقبل على مشجب (الوحدة) لن تكون قليلة ، وسوف نسمع من ناس أو مجموعات أو تجمعات بأن مصالحهم ما كان لها أن تتضرر لولا الوحدة ، وسنسمع من آخرين أن هذه الخطوة أو تلك أو هذا القانون أو ذاك أو هذا التعيين أو ذاك ، أو هذه السياسة أو تلك ما كان لها أن تمر لولا ضغط الأيديولوجية الفلانية ، أو ضغط هذا أو ذاك من الأفراد . سنسمع ذلك من داخل اليمن ومن خارجه ، وذلك هو أحد تحديات الوحدة الكبرى . وهنا يجب التفكير بدقة في ضبط آلية الديمقراطية والتعددية ، وهو ليس ضبطاً سهلاً أو ميسوراً .

ومن تحديات الوحدة الكبرى التي يمكن أن تواجه اليمن الموحد التحدي الاقتصادي ، وهو أعظم وأكبر تحدٍ ، فالدولة الجديدة تظهر في فترة عصيبة ، عربياً وعالمياً من المنظور الاقتصادي ، وهي ليست فترة السبعينيات ، فترة الفوائض النفطية العربية ، وهي أيضاً ليست فترة دعم بعض الدول الكبرى لدول صغرى بسبب أيديولوجي واستراتيجي ، فالكل مشغول بنفسه ، وتقع مسؤولية التطور الاقتصادي على اليمنيين أنفسهم ، فالقاعدة السكانية التي تضم حوالي اثني عشر مليون نسمة ، واحتمال ارتفاع مداخيل النفط اليمني الذي عمل باتجاه إيجابي نحو الوحدة ، بعد أن كان في أماكن أخرى سبباً للفرقة ، وتطور المكامن الغازية الذي يقدر احتياطيها الثابت بسبعة تريليونات من الأقدام المكعبة ، وتطوير القاعدة الزراعية ، مع إطلاق حرية التجارة ، والانفتاح في حدود المصالح العليا للمجتمع اليمني ، مع تطور القوة العاملة ، ورأس المال

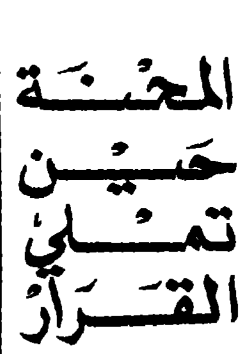
البشري اليمني ، عن طريق تجويد التعليم والتدريب ، هي مهام ليست سهلة أو في متناول اليد بمجرد التمني .

لقد شغلتني بعض التوجهات الاقتصادية التي ظهرت في بعض التحليلات في غمرة الحديث عن اليمن في الأشهر القليلة الأخيرة ، من أن صنعاء ستكون العاصمة السياسية ، وعدن ستكون العاصمة التجارية . لا بأس من حيث المبدأ بهذا التوزيع ، لكن الاحتياط واجب بالإشارة إلى أن عدن التجارية لن تعود إلى عدن ما بعد الحرب العالمية الثانية ـ عدن الخمسينيات ـ والتفكير بهذا التوجه فيه شيء من نقص القدرة على التخيل ، فالفرق على الأقل في الزمن ثلاثون عاماً ، فقد تطورت أمور كثيرة خلال هذه الفترة ، والانتقال من النقيض إلى النقيض ، كما كان فيه من سلبيات في الماضي ، فإنه قد يحمل سلبيات أخرى في المستقبل .

وتبقى تحديات أخرى كثيرة أمام اليمن : آلية التعددية والديمقراطية المبتغاة ، وإصدار القوانين العصرية ،وتبعات الإدارة الحديثة ، وحكم الصراع الاجتماعي والقبلي ، وتجاوز بذور المفتتات المتساكنة وغير المتعايشة في بعض الأوقات من أجل الانطلاق بها إلى محيط أشمل ، وتجاوز خيبة الأمل التي يعيش فيها المواطنون ، الخيبة لعدم ظهور حلول جذرية لمشكلاتهم ، وتحولها إلى أزمات دورية تنفث سلبياتها في البناء السياسي ، أي تقديم رؤية واضحة لخلاص وطني ، تكون قضية الوحدة فيه مدخلاً لمغادرة التخلف وبناء دولة مركزية واحدة .

لقد عانى الإنسان اليمني فترة طويلة من التخلف ، وعندما قُدّر له أن يُعتق (١٩٦٢ و ١٩٦٧) ، كُتب عليه أن يدخل صراعاً مع نفسه وأهله ، تحت شعارات مختلفة ، بعضها غير منطقي ، سحب نفسه بشكل مخيف على الاقتصاد والسياسة في اليمن وعلى مواطنيه ، وعند الخلاص الثاني (قيام الوحدة) مايو ١٩٩٠ تتجه كل القلوب المحبة لليمن واليمنيين بآمال التخلص من شوائب الماضي ، ومعالجة الأمور معالجات موضوعية إنسانية حكيمة مقننة ، وبالخلاص الثاني يدخل اليمن بقوة الساحة العربية والساحة الدولية ، ليلعب دوراً مميزاً في قاعدة الجزيرة العربية ، دوراً يحتاج إليه إخوانهم العرب ، دوراً بعيداً عن نفي الآخر ، بل قبوله والتعايش معه ، وهو دور يقاس على قَدْرِ عزم أهلنا في اليمن ، وهو عزم ـ لو تدركون ـ عظيم . □

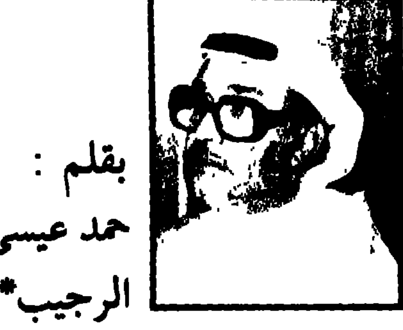
محمد الرميحي



من دفتر الذكريات

(الحياة مجموعة من الخبرات المتنوعة ، وليس بالضرورة أن تتشابه وتتكرر ، إنما كثير من الخبرات منفردة تضيف معنى جديدا للحياة ، وتعطيها لذة التراكم ، وقد اختارت العربي مجموعة من المتميزين العرب ليروي كل بطريقته الخاصة بعضا من ذكرياته التي أصبحت دروسا في الحياة) .

المحنة حين تملي القرار

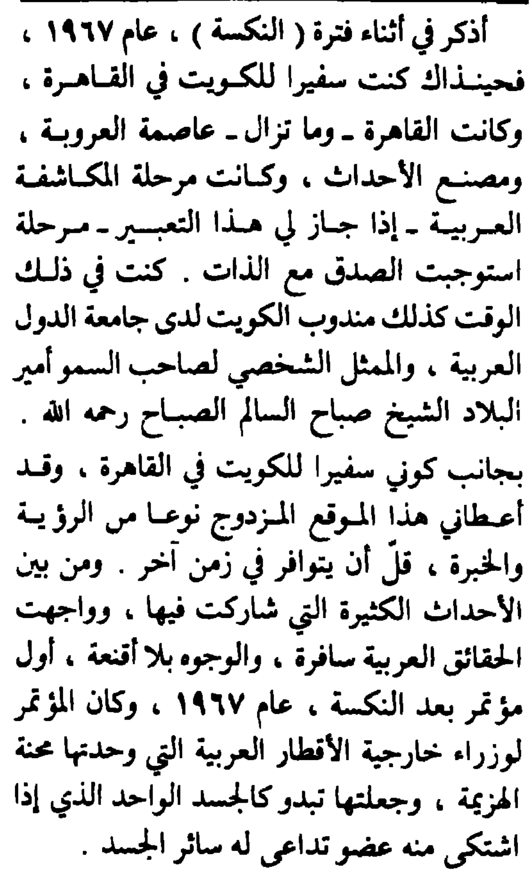


بقلم : حمد عيسى الرجيب*

ملكتني الحيرة وأنا أقلب صفحات دفتر الذكريات لأختار موقفا أو حدثا كان له تأثيره وبصمته على مسيرتي في دروب الزمن ، لأنني عاصرت مرحلة خصبة وثرية بالرجال والمواقف ، لذلك كان الاختيار صعبا ، فقد عاصرت أيام الشدة بكل ما فيها من حلو ومر ، وعرفت من مواقف الآباء والأجداد ما يبعث على الاعتزاز والفخر ، فرأيت في طفولتي وصباي كيف تعطي كلمة الشرف ونخوة الضمير للكويتي عراقته وثراءه ، ورأيت الثراء الحقيقي لدى إنسان هذه الأرض ، قبل أن تمنحنا السماء مكافآتها على الصبر ، وعلى الجهد الذي كنا نبذله سخيا من أجل هذا الوطن ، وعشت مرحلة ثانية بعيدا عن الوطن ، في مرجل الحدث السياسي العربي ، وأيام المد القومي ، حين ألقت بي المقادير في عالم الدبلوماسية المتلون بكل حدث وموقف ، والذي يحدث في كل لحظة وكل ثانية وبالعبرة والعظة من وراء الموقف والكلمة ، فالكلمة في عالم الدبلوماسية قد تكون سيفا يقطع الأمر في حرب مشتعلة ، فتصبح برداً وسلاماً ، وقد تكون مجرد ومضة (فلاش) ، يبرق وينطفيء ، فيعطي في كل ثانية بعدا مختلفا ، كل ذلك يحدث بين الكواليس قبل أن يلبس الممثلون أرديتهم الملونة ، ويضعون مساحيق « المكياج » ، والديكور ، حتى يقدم النص بأفضل إخراج من أجل الترويج للجمهور .

* وزير الشئون الاجتماعية والعمل الأسبق في الكويت

مرحلة مكاشفة :



أذكر في أثناء فترة (النكسة) ، عام ١٩٦٧ ، فحينـذاك كنت سفيرا للكـويت في القـاهـرة ، وكانت القاهرة ـ وما تزال ـ عاصمة العروبـة ، ومصنـع الأحداث ، وكـانت مرحلة المكـاشفـة العـربيـة ـ إذا جـاز لي هـذا التعبـير ـ مـرحلة استوجبت الصدق مع الذات . كنت في ذلـك الوقت كذلك مندوب الكويت لدى جامعة الدول العربية ، والممثل الشخصي لصاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح السالم الصبـاح رحمه الله .

بجانب كوني سفيرا للكويت في القاهرة ، وقـد أعـطاني هذا المـوقع المزدوج نوعـا من الرؤيـة والخبرة ، قلّ أن يتوافر في زمن آخر . ومن بين الأحداث الكثيرة التي شاركت فيها ، وواجهت الحقائق العربية سافرة ، والوجوه بلا أقنعة ، أول مؤتمر بعد النكسة ، عام ١٩٦٧ ، وكان المؤتمر لوزراء خارجية الأقطار العربية التي وحدتها محنة الهزيمة ، وجعلتها تبدو كالجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد .

عقـد المؤتمر في الكـويت ، وكان المـوضـوع الرئيس للمؤتمر هو مناقشة قطع النفط عن الدول التي تساعد « اسرائيل » . حضرت المؤتمر ضمن وفد الكويت الذي ترأسه الشيخ صباح الأحمد ، نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية . وللأسف أن المساحة المخصصة لدفتر الذكريات لا تتسع لكي يكون للحدث نكهته ، ومذاقه المثير ، كما حدث على مسرح المؤتمر وفي جلسـاته ، ولكن أهم مـا في هذا المؤتمـر هـو جـرأة بعض وزراء الخارجية ، فالموقف لا يحتاج إلى رتوش ولا أردية أو مزايدات ، والأقنعة مكشوفة . ما زلت أذكر بـالإعجاب مـوقف المنجي سليم ، رحمه الله ، وزير خارجيـة تونس ، ومـوقف الشيخ صبـاح الأحمد ، فقد وضعا باقي الوزراء أمام ضمائرهم وأمام الشعب العربي بـأكمله ، وقبل كـل ذلك أمام التاريخ العربي الذي كنت أحسه مسيـطرا



● الشيخ صباح الاحمد

عـلى الجلسات ، يعـد عـلى كـل دولـة عـربيـة أنفاسها ، ويعطيها علامات الرسوب والنجاح في دفتر المحن العربية ، بأسلوب يتسم بالصراحة والموضوعيـة . قال المنجي سليم ، رحمـه الله ، للدولة التي طرحت فكرة قطع النفط ، بالحرف الواحد : هذا الاقتراح كان لا بد أن أصفق له ، لأنه لن يكلفني شيئا ، فأنا أمثل دولة ليس لديها نفط ، وبعد ذلك أصبح بطل مقـاطعة أمـريكا وحلفائها ، لكن ذلك لن يكون موقفي ، يجب أن نسأل أولا وقبل كل شيء تلك الدول العربية التي تعيش وتحيا على النفط الذي يمثل مـوردها الرئيس ، يجب أن نسألهم : هل هذا الاقتـراح ممكن أو غير ممكن ؟

هل سيضرهـم أو ينفعهم ؟ اسألوا هؤلاء أولا وقبل كل شيء ، وبعد أن تسمعوا الحقيقة اتخذوا قراركم .

ولم يتخذ المؤتمر قراره

وقـد انتهى المؤتمر ولم يتخـذ قـراراً في هـذا الشأن . وعقد المؤتمر الثاني لحسم هذا الأمر ،

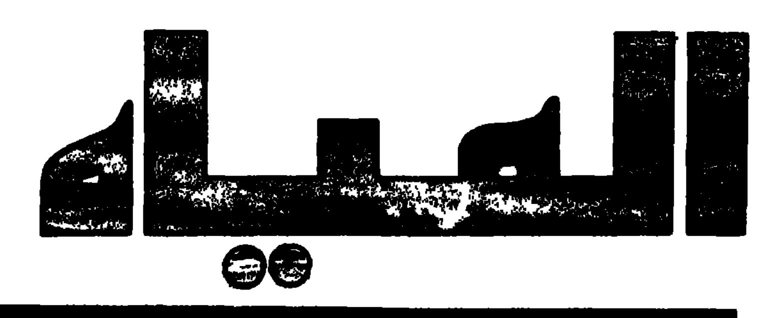
وأذكر أنه كان في الخرطوم وفي العام نفسه ، وكان رئيس الجلسة محمد محجوب ، رئيس وزراء السودان ووزير الخارجية في ذلك الوقت ، فطلب الكلمة أحد وزراء الخارجية (لا داعي لذكر اسمه) ، والسيد محجوب ، رحمه الله ، كان جريئا صريحا . نظر إليه من بعيد نظرة أبلغ من أي كلام ، وقال له بابتسامة لها مغزى : (عايز إيه ؟ . أظن ستقول لي لا بد من إلقاء « اسرائيل » في البحر ؟ وكان الوزير يريد تأييد قطع النفط ويلح على مناقشة هذا الموضوع .

الشيخ صباح الأحمد ، باعتباره يمثل دولة يمسها الموضوع في الصميم ، قال : نحن دولة تؤمن بواجبها القومي بلا مزايدة ، ولذا نوافق على قطع النفط ، فنحن شعب قليل العدد ، قد تعودنا أن نعيش ونكد ، قبل أن يكون لدينا نفط ، ولن يضيرنا أن نضيف بضع سنوات من التعب والعمل لنأكل ونعيش ، لكن علينا أن نغلق المدارس لدينا ، لأننا لن نستطيع الإنفاق



● محمد محجوب

عليها ، وعلينا أن نعود إلى شط العرب لنستطيع أن نجد الماء ونشرب ، فلن نستطيع الإنفاق على محطات تحلية المياه ونفقاتها الباهظة ، وأيضا لن تكون لدينا الأموال لدفع رواتب إخوة لنا عرب ، يعيشون على أرضنا ، ونتقاسم معهم لقمة العيش ، وهؤلاء سيتركوننا ويعودون إلى أوطانهم ، هذه هي الصورة ، ونحن مستعدون للقطع بكل ما يمثل من معنى . وبعد أن قال كل رأيه لم يتخذ المؤتمر قراره بالقطع ، وكانت المحنة هي التي أملت القرار . □



المياه والأمن القومي العربي

بقلم : أمين هويدي

تفجرت مؤخرا قضية المياه العربية ، وبدأ بعض العرب يدرك أن القضية تمس الوجود العربي نفسه ، وتهدد مصالح كثير من الأقطار .

وللحقيقة فإن القضية قديمة ، وهي تمس الأمن القومي العربي وترتبط به ، وتخفي الأزمة الحالية وجوها كثيرة متعددة ، وتطرح بدائل وإمكانيات للتعامل ، وهذا مايناقشه هذا المقال .

في عام ١٩٥٥ ؛ أي منذ خمسة وثلاثين عاما ، كنت في بعثة دراسية بكلية القيادة والأركان « بليفينوورث » بولاية كنساس بالولايات المتحدة الأمريكية ، وهي أعلى كلية للقيادة يمكن لأجنبي من أبوين غير أمريكيين أن يلتحق بها . وفي حوار ساخن ، مع أحد زملائي الأمريكيين في الدراسة ، عن المتاعب والتهديدات التي يسببها لهم جمال عبد الناصر في كل مكان بسياسته القومية المستقلة ، قال لي الرجل في ثورة عضبه : « هل تعلم أنه يمكننا أن نقطع عنكم المياه التي تصلكم من أثيوبيا ؟ » . وضحكت ساخرا ، واتهمته ـ في فورة الشباب التي ألهبت لثورة خياله وآماله ـ بالجهل ، إذ كيف يمكن لبشر ، أيا كان ، أن يقطع سيل المياه التي تنهمر من السماء بإرادة الله ومشيئته ؟ مستحيل . . . مستحيل . . فهكذا كنت أظن وأعتقد .

ولم يمر عام واحد على هذا الحوار إلا وكانت طائرات « الكامبيرا » البريطانية تقصف المطارات المصرية والمناطق الآهلة بالسكان ، معلنة بدء العدوان الثلاثي بتنفيذ الخطة « موسكتير » بواسطة القوات الفرنسية والبريطانية ، والخطة «قادش» بواسطة القوات « الاسرائيلية » . وكانت الشرارة التي أطلقت

العدوان قصة « السد العالي » الشهيرة ، فقد حلم عبد الناصر أن يقيم سدا تتجمع فيه المياه أمامه لتنفع مصر أيام شح مياه النهر ، « فالقرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود » وتعهدت الولايات المتحدة وبريطانيا والبنك الدولي بتمويل بناء السد ، إلا أنهم ـ في الفترة الحرجة ـ سحبوا التمويل بطريقة فجائية مهينة ، فرد عبد الناصر بتأميم قناة السويس ، لتصبح شركة مصرية ، فكان العدوان الثلاثي الذى فشل في النهاية ، وتم بناء السد الذي حمى مصر من العطش والفيضان .

مشروعات قديمة :

وقبل ذلك بسنوات ثلاث ، في عام ١٩٥٣ ، بدأت الولايات المتحدة في تقديم مشروعها لاستغلال مياه نهر الأردن الذى عرف بمشروع « اريك جونسون » ، لتلبية المطامع « الاسرائيلية » القديمة ، إذ تقدم الصهاينة عقب الحرب العالمية الأولى إلى مؤتمر السلام بمذكرة ، يحددون فيها حدود فلسطين بنقطة تبدأ من أعلى البحر المتوسط ، شمال منبع نهر الليطاني ، وتتجه شرقا إلى المنابع التي تغذى نهر الأردن ، وهي الحصباني في لبنان ، وبانياس في سوريا ، ثم إلى الضفة الشرقية لبحيرة طبرية إلى كل أفرع اليرموك بالأردن ، ثم تمر الحدود المفترضة بالقرب من درعا ، ثم شرقا إلى عمان ، ثم بحذاء خط حديد الحجاز حتى خليج العقبة ، بل قام وايزمان بإرسال خطاب إلى اللورد كيرزون ، وزير الخارجية البريطاني في ذلك الوقت في ١٩٢٠/١٠/٣٠ ، أوضح فيه أن « الصهيونية لاتريد فلسطين فحسب ، بل تريد أيضا مدّ حدودها لتشمل جنوب لبنان ، ولايكفي أيضا أن يكون اليرموك والليطاني داخل الحدود ، بل من الضروري ضم الأراضي التي يسير فيها أيضا » .

وعلى أي حال فقد رفض العرب مشروع جونسون هذا . وفي مؤتمر القمة الأول الذي عقد في القاهرة عام ١٩٦٤ ناقش الملوك والرؤساء المكرة « الاسرائيلية » لتحويل مياه نهر الأردن إلى النقب بحسبانها عدوانا على المصالح العربية ، ووافقوا على القيام باستثمار مياه الحصباني والليطاني واليرموك ، وتمويل مشروع استغلال روافد نهر الأردن . وتدخلت « اسرائيل » لإيقاف المشروعات المعتمدة وبعد عدوان ١٩٦٧ ألغى العرب مشروعاتهم في الوقت الذي أكملت فيه « اسرائيل » مشروعاتها التي أعلنتها من قبل .

وللذكرى أيضا نعرج بسرعة على « الفرات » ، ففي ١٩٨٩/١١/٢٠ أعلمت تركيا سوريا والعراق بأنها ستقوم بحجب كمية كبيرة من نهر الفرات مدة ثلاثين يوما ، وذلك لملء سد أتاتورك ، الأمر الذى هدد المصالح العراقية والسورية . والخطير في الموضوع أن تأثير فترة الحجب هذه ستستمر مدة تتراوح بين ٤ ـ ٥ سنوات ، إذا كان معدل الأمطار فوق المتوسط ، أما إذا كان المعدل دون ذلك ، فقد تصل فترة الملء إلى ثماني سنوات ، وخلال هذه الفترة ستنخفض كمية المياه التي يطلقها الجانب التركي



●قسم من شط العرب ـ التقاء بين نهري دجلة و الفرات

كثيرا ، وتنخفض تبعا لذلك كمية المياه الداخلة إلى أرض العراق وسوريا .

لماذا نفاجأ الآن ؟

الذى نريد أن نقوله هو أن مشكلة المياه العربية لم تتجسد فجأة ، فتجعلنا نصيح ونتدارس الآن ، بل هى موجودة منذ زمن . « اسرائيل » مثلا حددت مشكلتها ، واعترفت بوجودها ، وخططت - ومازالت - لمواجهتها ، ووضعت برامج التنفيذ ، ونسقت أهدافها الاقتصادية بخصوص المياه ، مع تحركاتها العسكرية ، لايجاد الأمر الواقع الذى يحقق استراتيجيتها في الأمن .

أما نحن العرب فليس لنا القدرة على الاستمرارية والتخطيط الطويل ، فنحن نترك المشكلة تكبر وتتنامى أمام أعيننا ، وربما نساعد في خلقها ، وربما نصيح ونهدد ونتوعد أيضا ، لكننا لانفعل شيئا أكثر من ذلك ، وهذه الطريقة في معالجة الأمور هي أكبر تهديد لأمننا القومي ، وهى طريقة - كما نرى - من صنع أيدينا ، وعلاجها أيضا بأيدينا ، فالأمن القومي يواجه التهديدات والتحديات ، أما تركها حتى تصبح أمرا واقعا من الصعب تغييره ، فهذا هو التهديد الحقيقي للأمن القومي .

فسد أتاتورك قد استغرق بناؤه سنوات وسنوات ، ومن الطبيعي أن يأتى اليوم الذى تقوم فيه تركيا بملئه ، ومن الطبيعي أيضا أن هذا سيؤثر على العراق وسوريا - فماذا فعلنا ؟ والسدود التي يقال إن اثيوبيا تبنيها على النيل الأزرق،ماذا فعلت مصر والسودان لمواجهتها ؟ الشيء الغريب في السدود التى يقال انها تبنى على النيل الأزرق ، هو أن أحدا لم يحددها على وجه اليقين إن كانت قائمة أو غير قائمة ، والسد ليس « نملة » لايمكن رؤيتها ، أو من السهل إخفاؤها ، بل هو جسم كبير ، يمكننا أن نستطلعه ونراقبه ، ونحدد مراحله ، والتدخل في كل مرحلة بما يناسبها ، تماما كما نقول بأنه من المحتمل أن اثيوبيا قدمت تسهيلات « لاسرائيل » في جزيرتى « دهلك وفاتيما » في البحر الأحمر ، وهذا أمر خطير جدا لأمن الأقطار العربية الواقعة على البحر الأحمر ، لايجوز أن يعامل على أنه مجرد احتمال . صحيح أن اثيوبيا قد كذبت هذا مرارا ، لكن أين أجهزة الأقطار العربية ، لتؤكد أو لتنفى ، بل لتتدخل عند اللزوم خاصة أن الجزر كبيرة معزولة ، يمكن رؤية من فيها ومافيها بالعين المجردة من الجو والأرض والبحر ؟ كيف نواجه شئون أمننا القومي التى تحدد علاقاتنا مع غيرنا بمجرد احتمالات ، علما بأن الاحتمال المشكوك فيه يظل تهديدا قائما حتى نقطع بنفيه ؟ هذا هو أحد مبادىء الأمن القومى .

موارد معطلة :

إذا كنا قد عرضنا بإيجاز شديد للمسألة الأولى من قضية المياه والأمن القومي العربي ، وهى تتعلق بمواجهة التهديدات ، بناء على معلومات مؤكدة ، وتخطيط طويل المدى ، فإننا ننتقل إلى المسألة الثانية ، وهى تتعلق باستغلال الإمكانيات المتاحة .

فالمياه العربية ميسرة والحمد لله ، سواء أكانت من الأنهار أم من الأمطار أم من المياه الجوفية أم المياه المتوافرة من الصرف الصحي بعد معالجتها ، أم مياه البحار بعد تحليتها . فماذا فعلنا بكل هذه الموارد ، للتغلب - مثلا - على إحدى فجوات الأمن القومي ، وهي مشكلة الغذاء ؟ فالوطن العربي يستورد نسبة كبيرة من احتياجاته الغذائية ، ومن يطلع على التقرير الاقتصادي الأخير الذي أصدرته الجامعة العربية ، أو تقارير الصناديق العربية المختلفة ، يجد الحقائق الآتية :

× هناك وفرة في الأراضى القابلة للزراعة ، لكنها غير مزروعة .

× هناك وفرة في المياه المتاحة ، لكنها غير مستغلة .

× هناك فائض في العمالة العربية التي يمكنها القيام بأعمال الفلاحة والزراعة ، لكننا نستورد العمالة الأجنبية ، لتصبح مشكلة جديدة ، من صنع أيدينا ، تهدد الأمن القومي .

× هناك وفرة في رؤوس الأموال لكنها تستثمر في غالبيتها خارج حدودنا ، فقد بلغت ـ كما نشرت بعض المصادر ـ إيداعاتنا أكثر من ٦٠٠ مليار دولار في المصارف الأجنبية ، في حين بلغت مديونيتنا أكثر من ٢٥٠ مليار دولار .

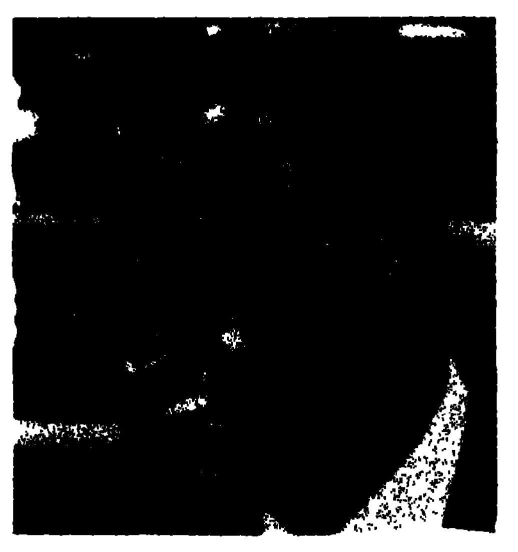
يعني أنه يتوافر لنا كل أركان مانسميه المعادلة الثلاثية للإنتاج الزراعي ، وهي : رأس المال ، العمالة ، الأرض والمياه ، ولكن على الرغم من ذلك فالفجوة الغذائية موجودة ، والأخطر من ذلك أنها تتسع في وقت تكثر فيه الاحتمالات :

ـ احتمال الضغوط الخاصة بتوفير المياه من الدول المشتركة معنا في منابع الأنهار .

ـ احتمال استخدام الحبوب بصفة خاصة ، والمواد الغذائية بصفة عامة ، وسيلة ضغط استراتيجي لتحقيق مكاسب سياسية .

ـ احتمال زيادة أسعار المواد المستوردة مع زيادة المديونية والسكان .

هذه الحقائق مشكلة حقيقية في تعاملنا مع الإمكانيات الكثيرة التي أعطانا إياها الله سبحانه



● جمال عبدالناصر

وتعالى ، ونتساءل : هل نستخدم حقيقة كل مصادر مياهنا استخداما عقلانيا ، لنتغلب على مشاكلنا ؟ وهل نستخدم هذه الموارد استخداما اقتصاديا ، لمنع الإسراف وتبديد المياه التى نشكو من ندرتها وقلة وفرتها ، وذلك باستخدام الطرق الحديثة للرى عن طريق الرش والتنقيط ؟ وهل هناك خطط ري كاملة للأراضي القابلة للزراعة ، من قنوات وترع ومصارف ، يعاد استخدام مياهها بعد معاملتها المعاملة العلمية الفنية ، لاستعادة صلاحيتها إليها ؟ أبداً ، وإن أردنا الدقة فإن هذا يحدث في القليل النادر ، وعلى استحياء .

ثم هل هناك خطة لاستخدام مياه الأمطار ، كما حدث مثلا في سد مأرب الذي بناه اليمن الشمالى مؤخرا بأموال خليجية ؟ من يرى السد وكميات المياه الكبيرة التى تمكن من حجزها يمكنه أن يتخيل المساحات الواسعة من الأراضى التى يمكن زراعتها ولكن للأسف الشديد فإن هذه المساحات المؤملة لن تضيف شيئا كثيرا لزراعة المحاصيل اذ تهدر مساحات كبيرة أخرى في مناطق متعددة عن طريق زراعتها « بالقات » ولذلك فمياه سد مأرب ستضيع هباء في زراعة القات ولو بطريق غير مباشر .

وبالمثل لاتوجد خطط طموحة لتحلية مياه البحار ، أو لاستخدام المياه الجوفية أو مياه الصرف والمجارى بعد معاملتها ، وهذا موضوع خطير ، لكن هل هو خطر وارد إلينا ، أو مفروض علينا من غيرنا ، كما يحلو لنا دائما أن نصور التهديدات التى تحيط بنا وكشماعة نعلق عليها أسباب قصررنا أو هو خطر من صنعنا ؟

تساؤلات تثير الدهشة :

وهناك ملاحظات عجيبة سنسردها على سبيل المثال :

× يعانى سكان السودان من العطش القاتل ، وهم على بعد لايزيد عن مئات الأمتار من النيل

العظيم وروافده ، ويضطرون لحفر الآبار بمعونات أجنبية .

× بعد إنفاق ملايين الدولارات على حفر قناة « جونجلى » في جنوب السودان أمر العقيد « قرنق » بإيقاف العمل ، حتى لاتزداد موارد نهر النيل من المياه الضائعة في أحراش الجنوب .

× عند وقوع الأزمة الأخيرة بين تركيا وكل من العراق وسوريا بخصوص مياه الفرات واجه كل من العراق وسوريا الموقف مع تركيا كل على حدة ، فالبلدان بينهما اختلافات .

× في الوقت الذى تسرق فيه « اسرائيل » مياهنا الجوفية في سيناء ، لانحدار هذه المياه نحو الشرق ، وفي الوقت الذى تستولى فيه « اسرائيل » على مياه الليطاني وتحولها فعلا لري الجليل الأعلى ، بعد أن نهبت معظم مياه نهر الأردن ، والمياه الجوفية في البيارات العربية ، لايرتفع صوت واحد للتحذير أو للاحتجاج ، وتنادى الغالبية في الوقت نفسه بأن اتفاقية ١٧ (مايو) أيار قد سقطت ، بعد أن فرضتها « اسرائيل » على لبنان . وفي رأينا ان الاتفاقية باقية ، وتنفذ عن طريق الخطوط الحمراء ، والجيش اللبنانى الموالى « لاسرائيل » في الجنوب ، مع قيام الدوريات والقوات والطائرات « الاسرائيلية » بالإشراف الفعلي على مايجري في جنوب لبنان ، بطريق مباشر ، وعلى مايجري في كل لبنان بطريق غير مباشر ، وعن طريق تحويل المياه اللبنانية إلى الجليل .

× في الوقت الذي استنفدت فيه « اسرائيل » كل مياهها المتاحة في مشروعاتها الداخلية تستقبل آلاف المهاجرين من الاتحاد السوفيتي ، بل استقبلت آلافا غيرهم ، نقلتهم اثيوبيا قبل ذلك عن طريق السودان ، بإشراف « بوش » ـ نائب رئيس الولايات المتحدة في ذلك الوقت ـ رئيسها الحالي ، فما معنى هذا ؟ ومن أين تدبر لهم الأرض والمياه ؟

على الرغم من أنه يتردد أن خبراء





● نموذج للسد العالي

« اسرائيليين » يشتركون في الدراسة والبناء لبعض السدود على النيل الأزرق في اثيوبيا ، في مقابل تسهيلات عديدة ، منها مايتردد أيضا عن وجودها في جزيرتي فاتيما ودهلك بالبحر الأحمر ، نجد أن خبراء « اسرائيليين » موجودون لدى شركات مصرية وأفراد مصريين ، لإعطاء خبرتهم في مشروعات الأمن الغذائي ، مثل تطهير التربة ، وإصلاح الأراضي ، وزراعة الفراولة والكانتالوب والخيار والموالح ، وتربية المواشي والدواجن ، وإنتاج البيض .

بدائل سياسية مقترحة :

لعل حديثنا عن المسألتين الأولى والثانية قد حدد لنا بعدا غير تقليدى للمشكلة التي نعالجها ، وننتقل الآن إلى عامل جديد ، يتعلق بالمياه

والأمن القومي العربي . وهو مشكلة « المشاركة » في المياه مع دول أخرى . فالنيل مثلا طوله ٦٨٢٥ كيلومترا ، وهناك تسع دول تقع على منابعه وحوضه ومصبه ، باختلاف توجهاتها التنموية والسياسية ، وتضارب مصالحها . وكذلك الحال مع نهر الفرات ، إذ يبلغ طوله من الأراضي التركية حتى « كريات علي » عند نقطة التلاقي مع نهر دجلة في شط العرب ٢٣٣٠ كيلومترا ، منها ١٢٠٠ كيلومتر في الأراضي العراقية ، ٦٧٥ كيلومترا في سوريا ، ومنابع هذا النهر تقع في أرضروم في تركيا ، بين البحر الأسود وبحيرة فان ، ولذلك فالمشاركة بين كل من تركيا والعراق وسوريا . أما نهر الأردن فالمشاركة فيه متناهية الحساسية ، إذ أنها بين لبنان والأردن وسوريا و « اسرائيل » التي تحدد حدودها تبعا لمصادر المياه من الليطاني والحصباني وقارون واليرموك والأردن .

وفي مثل هذه الأوضاع ليس أمامنا لمواجهتها إلا بدائل ثلاثة :

ـ السبيل الأول هو ترك الأمور كما هي حاليا للظروف ، دون تخطيط أو اتفاق مع أنفسنا أولا ثم مع غيرنا ثانيا ، وهذا الحل فيه خطر كبير ، إذ يؤدي إلى ضياع الحقوق من جانب ، وإلى الخلافات الشديدة في المستقبل من جانب آخر ، مما يضعنا أمام ماكان يسميه « متيرنيخ » بالموقف الثوري ، وهو الموقف الذى يهدد المصالح الحيوية لدولة ما ، وليس من حل له إلا استخدام القوات المسلحة أو التنازل عن الحق موضع النزاع ، وكلاهما أمران يجب تجنبهما . فالانتحار أو الاستسلام ليس حلا للمشاكل

ـ البديل الثاني هو مانسميه الأمن الكامل ، وهذا بديل غير عملي ، يؤدي إلى النزاع الحتمي ، واللجوء إلى القوات المسلحة لفرضه ، فالأمن الكامل لطرف هو تهديد لأمن الطرف الآخر ، ولابد أن نعرف أن العلاقات الدولية ـ وهو أمر لاتفهمه « اسرائيل » حتى الآن ـ تتم على أساس الأغراض الناقصة ، لأن التحرك السياسي يتم بإرادات ناقصة ، « فالكعكة » لابد أن يتذوقها الجميع ، واستخدام القوة أمر تتم فيه الموازنة بين الرغبة والقدرة ، فقد تكون الدولة راغبة في « قطع رقبة » دولة أخرى ، لكن ليس هذا مهما ، فالأهم أن تكون قادرة على دلك .

ـ البديل الثالث وهو مانسميه الأمن المتبادل ، خاصة بين دول الجوار ، أو الدول ذوات المصالح المشتركة ، وهذا البديل يعترف بالمصالح المتبادلة بين الأطراف ، على أساس حاجة كل منها ، دون محاولات للمغالاة أو التجاوز غير العادل . والمهم أن نحدد حاجياتنا الحالية والمستقبلية ، وأن نعرف لحاجة غيرنا الحالية والمستقبلة أيضا ، مع إجراء حوار عاقل ، يفضل فيه أن يبدأ الان وليس غدا ، حتى نعرف حدودنا وامكانياتنا ، الأمر الذي يحتاج إلى علاقات حسن الجوار ، إلا إذا كانت دولة ما ـ مثل « اسرائيل » ـ تريد أن تستمر في إجراءاتها التي تعتمد على النهب والإرهاب ، وأن تبقى طول عمرها دولة معزولة ، لاتريد أن تعترف بأن للآخرين حقوقا مشروعة لابد من تحقيقها .

بين القطري والقومي :

لاشك أن البديل الثالث هو البديل الأكثر حكمة ، فهو يحدد مالنا وما علينا ، ويحافظ على



● فرع من نهر الليطاني

حق الجوار ، ويعزز السلام والاستقرار ، ويتفق مع المناخ العالمي لحل التناقضات عن طريق استخدام الوسائل المتعددة المتاحة ، باستثناء استخدام القوة ، وهذا يتطلب .

× تحديد خططنا حتى آجال بعيدة ، تبعا لتصورنا للإمكانيات المتاحة

× استخدام الموارد المتاحة خير استخدام ، بعد أن أشار تقرير منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة (الفاو) إلى حدوث خسائر فادحة في مياه الري في دول منطقتنا ، تزيد على ٧٠٪ من مجموع الكميات المسحوبة ، وذلك في أثناء نقل المياه في القنوات وتوزيعها ، وكمثال فإن المفقود في بحيرة ناصر وحدها يصل إلى ١٠ مليارات من الأمتار المكعبة .

× اتباع الحل القومي ، وليس الحلول القطرية ، حتى تحشد مواردنا المائية لتحقيق أغراضنا الجماعية .

× الابتعاد عن معالجة الموضوع بالدعاية المثيرة التي توسع الخلافات ، مع استخدام وسائل الدعاية المحتلفة لإقناع الجماهير بالحرص في استخدام موارد المياه في كل الأنشطة ، جنبا إلى جنب مع العمل على إدخال الوسائل التقنية الحديثة لاستغلال الموارد المتاحة استغلالا كاملا .

× التحرك الدبلوماسي النشط للاتفاق مع الدول المشتركة على استغلال الموارد ، على أساس تحقيق المصالح المتبادلة ، فلا ظالم ولا مظلوم .

× تشكيل هيئات إقليمية لإدارة موارد الأنهار وللقيام بالتخطيط المشترك لزيادة مواردها وترشيد استغلالها .

× استغلال الموارد المائية في سد الفجوات التي تهدد أمننا القومي . □



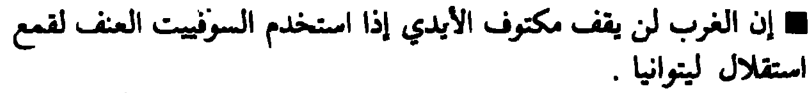


أقوال

■ إن تعدد الاقتراحات ظاهرة صحية في مجتمع يكفل حرية البحث والرأي ، ويحتفظ بموقف متوازن بين أصالته العربية والإسلامية واتصالاته العالمية ، وإفادته من الجديد النافع من تجارب الأمم .

الشيخ جابر الأحمد الصباح
أمير دولة الكويت


● سمو أمير الكويت



■ إن الغرب لن يقف مكتوف الأيدي إذا استخدم السوفييت العنف لقمع استقلال ليتوانيا .

دوغلاس هيرد
وزير الخارجية البريطاني

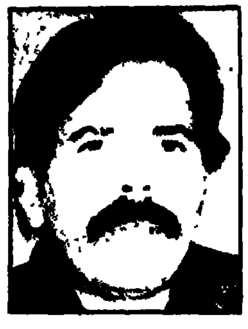
■ علينا أن نحرص أن تظل ألمانيا الموحدة داخل إطار حلف شمال الأطلسي ، حتى لا ينشأ فراغ استراتيجي ، يحمل معه أخطار عهد جديد من الاضطرابات .

جان بياردو شوفينمان
وزير الدفاع الفرنسي


● ادوارد شيفا رنادزا

■ إيماني بأننا دولة عظمى يعتمد اعتماداً كبيراً على شيء متأصل داخلي ، لكن عظمى بماذا ؟
أفي الأرض أم السكان أم السلاح ، أم في مشاكل الناس ؟

ادوارد شيفارنادزا
وزير خارجية الاتحاد السوفيتي

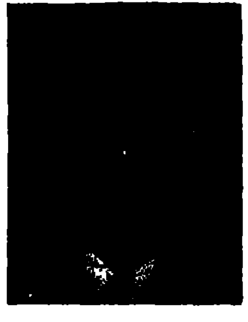

● دانييل اورتيغا

■ إن الساندينيين هم المنتصرون ، لأنهم نجحوا في أن يحولوا كلماتهم إلى أفعال ، وفي التصرف وفقاً لمبادئهم .

دانييل أورتيغا
رئيس نيكارجوا السابق

■ إن الغد يصنعه أهله ، ولا يأتي جاهزاً كمنحة أو هبة . إن حاضرنا يائس ، فلننقذ مستقبل أجيالنا القادمة .

الشاعر العراقي بلند الحيدري


● بلند الحيدري

الإسلام بين الوحدة والتنوّع

بقلم : طارق البشري

من مشكلات الفكر الديني المعاصر ادعاء بعض الناس بامتلاكهم وحدهم دون الآخرين حق الكلمة النهائية في تفسير القضايا الدينية ، على الرغم من أن أسس الدين العامة وأصوله ، والطبيعة البشرية ، تسمح بالاختلاف والتنوع .

فإلى أي مدى يكون الاختلاف ؟ وما حدود التنوع ؟

هذان السؤلان من الاسئلة التى شغلت عقول المسلمين قديما ، ومازالت في حاجة للاجتهاد .

أتت رسالة الإسلام في وقت هُيِّئت فيه البشرية للإدراك العقلي المجرد لوجود الذات الإلهية ، وذلك تتويجا لكل المجاهدات الماضية التي مرت على البشرية عبر تاريخها الديني الطويل . أتت رسالة الإسلام في الضوء الساطع للتاريخ ، فلم تلتبس بأي أسطورة من الأساطير . وقد أتت في الضوء الساطع للتاريخ بمعنى آخر أيضا ، إذ هي الرسالة الوحيدة التي سُجِّل تاريخها ، وسُجِّلت وقائعها بأدق التفصيلات الممكنة . والقرآن الكريم نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم ونطق به وتناوله الحفاظ والكتبة ، ثم جُمع ودُوِّن . كل ذلك من أوله لآخره ، جرى في ضوء التاريخ أمام الأعين والأبصار . ووقائع الرسول والرسالة جرى لها كل هذا التوثيق التاريخي ، بالرواية ، وبتحقيق الروايات والتثبت العقلي منها ، وبالتدوين . ولا أخال إنسانا في التاريخ سُجِّلت وقائعه ، ودُوِّنت بمثل ما حدث مع محمد صلى الله عليه وسلم .

اكتمال العقيدة يسمح بالتنوع

اكتملت للإنسان أدوات التثبيت العقلي والتوثيق ، كما اكتملت له أدواته العقلية التي تمكنه من إدراك الوجود المطلق ، تمام الإطلاق ، المجرد كل التجريد ، المنزه الكامل التنزيه لله سبحانه . وبهذا بلغ الإنسان رشده ، واكتمل له تبليغ السماء بالرسالة الخاتمة التي تصاحب الإنسان من بعد ما دام على ظهر الأرض .

وباكتمال تهيؤ العقل البشري للتقبل والاستيعاب للحقيقة الإلهية ، في وضعها المطلق المجرد المنزه ، بهذا الاكتمال صار الدين متينا على الأرض ، وفي عقول البشر وقلوبهم . وصارت حدود العقيدة - عقيدة التوحيد والتنزيه - مدعومة راسخة . ومتى قوي الكيان المركزي للعقيدة ، وقويت أطرها وضوابطها الفاصلة لها عما عداها ، متى جرى ذلك ، أمكن لهذه العقيدة أن تضم داخلها بعضا من التنوع المذهبي ، تتفاعل أطرافه بعضها مع بعض ، دون أن يؤثر ذلك في أصول العقيدة وحدودها الفاصلة . وهو تنوع يجرى به مزيد من التأكيد على أي العناصر التي تترابط في إطار التصور العقيدي .

لذلك اتسعت العقيدة الإسلامية لعديد من المذاهب ، وتنوعت بتنوع الأزمان والبلاد على مدى التاريخ ، واستطاعت العقيدة أن تطرد بحسم وحزم ما خرج من الفرق عن الأطر المبينة لأصول المعتقد الإسلامي ، كالبهائية والقاديانية وغيرهما ، واستطاعت أن تستبقي بهذا الطرد الجماعة الإسلامية كاملة ، داخل إطار النسق العقيدي الإسلامي الصحيح . واستطاعت ، من جانب اخر أن تستبقي مايعد من المتنوعات المذهبية داخل الإطار الجامع للعقيدة الإسلامية ، ومن هذه التنوعات ماتجده من مذاهب السنة والشيعة والصوفية ، وغير ذلك كثير ، وهذا كله على مدى خمسة عشر قرنا من الزمان ، مما يدل على حيوية الحسم ، ورسوخ البناء . أدامهما الله .

علينا أن نعرف أن الإسلام جامع كبير ، وهو جامع معد ليسع الخلق أجمعين ، على الرغم من كل مايفرق هؤلاء الخلق من صفات فردية وجمعية ، وعلى الرغم مما يندرجون فيه من تصنيفات وفئات ، وشعوب وطبقات ، وألوان وألسن ، ولهجات وأزمان وأصقاع . فهو يسع العربي والفارسي والهندي والزنجي والأوربي ، وغيرهم كثير ، وهو يسع العامل وصاحب العمل ، ويسع كل صاحب لغة ، وكل صاحب لهجة ، ويسع من عاش من ألف عام ، ومن يعيش الآن بعد ألف عام ، ويسع من في المشارق ومن في المغارب .

هو كلمة الله سبحانه ، بموجب كونه الخالق ، إلى الناس كافة ، بموجب كونهم المخلوقين ، والقرآن نص يأتي من اللازمان ، ليحكم الزمان ، ويرد من اللامكان ، ليحكم المكان ، ويأتي من خارج المجتمع ، ليحكم أسس حركات المجتمع ، وإن تغيرت نظمه وأوضاعه .

إن الدين بهذا يأتي من المطلق ليحكم النسبي ، ويرد من الثابت ليحكم المتحرك ، والثبات في هذا السياق لايعني السكون ، لكنه يعني الدوام ، أي الوجود والبقاء المستمر ، ومن ثم فالدين دائم يحكم المؤقت والمتغير .

وإن التوقيت والتغيير يقتضيان الحركة التي تحتوى التغيير ، فليس ذلك يعني خروج الحركة عن نطاق محكوميتها وخضوعها للذات الثابتة السرمدية ، جل شأنها ، وإن حركة الأجرام السماوية ، وحركة المجتمعات الإنسانية ، وحركة البشر ، كل ذلك يرد من كونها نسبية ، والتغيير يطرأ عليها ، فتؤول من حال إلى آخر ، ومن وضع إلى غيره ، يرد ذلك بموجب ماتتسم به من نقص واحتياج ، فالكامل لايلحقه التغيير ولا التعديل ، والسرمدي الدائم لايؤول من حال لحال ، ولا من وضع لغيره .

ثبات المعبود الخالق ، جل شأنه ، يسع كل نسبي ، بموجب كون المعبود مطلقا ، وهو يسع كل تغيير بموجب كونه الكمال .

أسس واحدة عامة

ونحن نذكر قول عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : إننا نفر من قضاء الله إلى قضاء الله . وهو قول فيه فقه أصيل ، لأنه يضع فهمنا لقضاء الله سبحانه قضاء موسعا ، يفسح لحركة الخلق والأكوان والمجتمعات والبشر ، ويستوعب كل ما يرد عليهم من تغيير وتبديل ، ويشمل كل ما هم عليه من تعدد وتنوع واختلاف . كل ذلك حادث ، ويحدث ، فى نطاق الهيمنة الالهية ، وفي نطاق قدر الله وقضائه . ونحن نقصد بالتنوع الاختلاف بين الظواهر والأشياء في المكان ، ونقصد بالتغيير الاختلاف بين الظواهر والأشياء في الزمان ، بمعنى أن كلا من التنوع والتغير إنما يرد منسوبا للزمان والمكان، في إطار شمول الهيمنة الالهية ، وسرمديتها المستوعبة كل ما نسميه زمانا ومكانا .

بهذه النظرة وهذا الفهم يمكن أن ندرك أن الناس تقترب من الدين الواحد اقترابا تتنوع تصوراته تنوعا نسبيا ، وتتفاوت مثيراته وتوجهاته ، وتتباين دوافعه وأحواله ، وكل ذلك في نطاق الضوابط الدينية . . الواحدة ، وفي حدود ما تسمح به أسس الدين وأصوله ؛ بمعنى أن ثمة أسسا للدين وأصولا عامة واحدة ، وهي : الايمان بالله وحده ، وبمحمد رسولا لا نبي بعده ، وبالقرآن كتابا منزلا ، وبالملائكة والرسل والأنبياء ، والبعث واليوم الآخر ، وبوجوب اتباع ما أمرنا الله به في الكتاب وسنة النبي الشريفة .

في هذا النطاق تتنوع مواقف الناس وأحوالهم واستجاباتهم ، وتختلف وجهات انجذاب كل منهم لأي عنصر من عناصر الدين وخصائصه ، وتتعدد فيهم جوانب الاهتمام به .

فمن الناس من يؤكد على الجانب التعبدي ، من صلاة وصوم ، أكثر مما يؤكد على غير ذلك من جوانب . ومنهم من يتوجه لله بالشوق والوجد المشبوب . ومنهم من يثيره الجانب الفكري الباحث في أصول العقيدة . ومنهم من يصرف غالب همه في جانب الأحكام الاجتماعية والمعاملة بين بني البشر . ومنهم من تحركه الاستجابة لنداء النهوض بجماعة المسلمين بالنشاط السياسي . وهذا التنوع لا يتعلق بالبشر لكونهم أفراداً فقط ، لكنه يتعلق بهم لكونهم جماعات ، وحركات فكرية ، وروحية وسياسية ، واجتماعية ، وتعليمية ، « ولكلٍ وجهة هو مُوليّها » ، « لكل جعلنا منكم شِرعةً ومنهاجا » ، « ولكل قوم هاد » .

ونحن نجد القرآن الكريم قد استجاب لكل أولئك ولغيرهم ، و مد لهم حبال العون ، وأفسح في العطاء والاستجابة لكل وجهة . فنجد آيات تشير إلى الاعجاز في خلق الطبيعة ، وآيات تشير إلى الاعجاز في البيان القرآني ، وآيات تشير إلى الاعجاز في تقرير الأحكام ، ونجد الخطاب القرآني يتوجه إلى كل وجهة من وجهات البشر في شئون العبادات والسياسة وغير ذلك . والقرآن يخاطب كل هذه الوجهات لأنها في الواقع ، وفي الحياة ، تتكامل ، لتكمل جوانب العقيدة بين الناس ، ولتضع أسس النظم المترابطة ، وأسس بناء الانسان من جوانبه المختلفة .

من هذا جميعه يظهر أن واحدية الدين تسع التنوع والتغيير في إطار المقدور لأصول الدين وأسسه ، وأن هذا التنوع والتغيير في هذا الاطار المقدور لا يتنافى ولا يشكل ، إزاء العلاقة بالمعبود عز وجل ، بمعنى أنه اختلاف لا تنشأ معه مشكلة ما ، إزاء العلاقة الدينية . وما من علاقة يعرفها البشر تتسع لهذا الأمر ، وتفسح للتنوعات والتحركات في إطار الهيمنة الواحدة ، والثبات ، والدوام ، ما من علاقة تتسع لهذا كله بمثل ما يتسع الدين .

ونحن في عبوديتنا لله نفهم كيف يتنوع البشر أفرادا وجماعات ، وكيف يتغيرون أحوالا وأوضاعا عبر الزمان ، في إطار أصول الدين وأسسه . ونحن في هذا الاطار علينا أن نتحلى بالحرص على التحمل وعلى حسن التقبل .

أدوار موزعة

يقودنا هذا إلى نقطة أخرى ، فإن هناك مذاهب وآراء وفرقا كثيرة عرفها ويعرفها الاسلام في تاريخه الطويل العريض ، الباقي طولا وعرضا بإذن الله . ونحن اليوم ننظر إليها معا ، ونضعها بعضها إزاء بعض ، ونجد الخلافات كثيرة بينها ، وقد يؤثر ذلك على نظرتنا لما للعقيدة الإسلامية من اتساق وثبات .

في حين أنه ما دامت هذه المذاهب والآراء والفرق منضوية تحت لواء الإسلام وأسسه العقدية ، فيجب علينا أن نتدبر في الظروف التاريخية التي أوجدت كلا من هذه المذاهب والآراء . إن أي مجتمع ، وأي كيان عقيدي حي ، عندما يجد له وجه تحد من وجهة معينة ، فهو إنما يواجه ذلك بأن يشد بعضه بعضا ، وتتداعى سائر أعضائه تحشد قواها ، وتجند إمكاناتها لرد الغائلة ، ودفع التحدي الذى يواجه جوانب محددة من جسم المجتمع أو العقيدة .

وبهذا النهج ننظر في مجال الكيان العقيدي العام للاسلام ، فنرى مثلا جماعة كجماعة المعتزلة ، وعلماء الكلام ، ظهروا في فترة ، كان الجانب العقيدي يواجه الكثير من حملات التشكيك الفلسفية من العقائد والفلسفات الأخرى ، فحدث هذا « البروز » أو « النتوء » المعتزلي الذي يؤكد على العقل ، ليواجه حملات التشكيك « العقلية » ، يواجهها بسلاحها . وقد يكون في تأكيده على هذا الوجه مما أخلّ لديه بالتوازن الواجب بين النص والعقل . لكن ذلك معركة فكرية جرت ، وكان لها رجالها ، وردوا الغوائل عن العقيدة من هذه الجهة ، وأكسبوا الجسم الاسلامي ، لدى المؤمنين ، حصانة تجاه الهجمات الفلسفية . وانتهى هذا الدور واستنفد المذهب وظيفته بنجاحه في أداء هدفه التاريخي لحماية عقيدة المؤمنين .

ثم نجد الحركة الصوفية ، مثلا ، تقوم لتؤكد على الجانب الوجداني الروحي ، إزاء من يسميهم الإمام الغزالي « الحدادين » الذين يبالغون في قصر التصور الاسلامي على ضبط القيام بالشعائر وضبط التعامل . وهي بحكم قيامها بهذا الدور قد تؤكد عليه تأكيدا مبالغا فيه ، لتلفت النظر إلى الخلل الحادث .

وهذا الوضع نفسه نلمسه في عصرنا الحاضر ، بين نزعتي التجديد والمحافظة في ظروف واقعنا المعين . والأولى تهتم بتفتيح الفقه الإسلامى على ما يستجيب لمتطلبات الحياة الحاضرة ، وبعضها يلتزم بالمحافظة ، ليدرأ عن العقيدة وأسسها وأصولها غوائل العدوان من العقائد والحضارات الأخرى . وكل منهما يقوم باستجابة واجبة ، ليرد عن ثغور المسلمين الغوائل الآتية من ناحيته . وقد يبالغ بعض الناس ، ويظن أن الصواب مطلقا في موقفه هو ، وهذا هو وجه التحفظ على هذا الموقف . □

● إن الحياة لا توهب للإنسان إلا مرة واحدة ، فما أجمل أن يعيشها عيشة لا يشعر فيها بندم على ماض رذل تافه ، ويستطيع أن يقول وهو يحتضر : كانت كل قواي موهوبة لأجل شيء في الحياة ، ألا وهو النضال في سبيل تحرر الإنسانية .

نيقولاي استروفسكي
ثوري بلغاري



الحضارة العربيّة في الأندلس كما يراها الإسبان المعاصرون

بقلم : سلمى الحفار الكزبري

هل هناك « معجزة عربية » تحققت يوما ما في الأندلس ؟
ذلك ما أكده بعض المستعربين من قبل . فما رأي الاسبان المعاصرين ،
ومثقفيهم خاصة في ما أنجزه المسلمون في اسبانيا ؟

الجديد في موضوع الحضارة العربية الإسلامية التى سطعت أنوارها على العالم من الأندلس ، في العصورة الغابرة ، وجنت منها الحضارة الإنسانية فوائد كبيرة ، هو اهتمام المؤرخين والباحثين الاسبان بها في العصر الحديث . إن اهتمامهم المتزايد بالكشف عن كنوزها مما يسترعي الانتباه ، ويدل على تطور ملحوظ في نظرتهم إليها ، إذ أمسوا يعدونها تراثا فكريا وفنيا مشتركا . لقد سماها المستعرب الارجنتيني الدكتور « اوزفالدو ماتشادو »[1] ، في أبحاثه المنشورة في النصف الأول من القرن العشرين : « المعجزة العربية » ، وقد سبقه وعاصره وتبعه رهط من المستعربين الأوربيين الذين اطلعوا على سماتها ، وألقوا الأضواء على ماقدمت من خدمات جلى للفكر الإنساني ، والتقدم عبر المؤلفات العلمية والفلسفية والأدبية التي وضعها أعلامها العرب المشهورون . أما اهتمام الاسبان الكبير في يومنا الحاضر بالكشف عن هذا التراث ، وتلك الحضارة ، والإقبال على تدريسها ، ونشر الأبحاث والمجلات والكتب عنها ، فإن له دوافع أخرى - في ظني - وهي زوال رواسب التعصب العرقي والديني الذى بلغ ذروة

(١) Osvaldo Machado

حدته في القرن الخامس عشر الميلادي ، ولاريب في أن البعد الزمني قد أثر في توضيح رؤ ياهم لذلك الماضي الحضاري المشترك ، فأخذوا يتبصرون فيه بروح صافية ، وأفكار جديدة بناءة ، ويعترفون بالآثار والبصمات العربية المترسخة في تقاليدهم ، ولغتهم ، وفنونهم ، بكثير من الموضوعية والاعتزاز . إن من يزور المكتبات الاسبانية في سائر أنحاء اسبانيا ، لا في الأندلس فحسب ، يدهش لوفرة الكتب المنشورة ، المخصصة لتأريخ الحضارة العربية فيها ، فهي تشمل سائر العلوم والفنون ، بأقلام مؤرخين معاصرين وأساتذة جامعيين ، وكتاب وموسيقيين وشعراء .

الثقافة الاسبانية العربية

إن من هذه الكتب القيمة التي أحاطت بمعالم تلك الحضارة دراسة موسعة وضعها الدكتور خوان فيرنيه ، الأستاذ بجامعة برشلونة ، وهو مستعرب وكاتب مرموق ، نشرها باللغة الاسبانية سنة ١٩٧٨ ، بعنوان : الثقافة الاسبانية العربية في الشرق والغرب . ثم ترجم كتابه إلى اللغة الفرنسية ، ونشرته دار سندباد في باريس سنة ١٩٨٥ ، بعنوان « بم تدين الثقافة لعرب اسبانيا ؟ » ، ولقد صدره بمقدمة قال فيها : إنه رمى إلى غاية صعبة ، هي جرد مآثر عرب اسبانيا في خدمة الثقافة ، وأشار إلى أنه قصد بكلمة : « العرب » اللغة العربية التي شاعت في اسبانيا عامة ، وفي الأندلس خاصة ، في القرون الوسطى ، والتي كان يتكلمها ويكتبها حينذاك أولئك الذين وفدوا إلى الأندلس من عرب وفرس وترك ويهود ، إلى جانب الاسبان المستعربين أنفسهم . ثم أضاف مايلي : « إن للغة العربية الفضل الأكبر في نقل العلوم الشرقية القديمة ، والعلوم الإسلامية إلى اللغة اللاتينية واللغات المشتقة منها ، أي إلى الغرب ، مما كان له أثر كبير في انتشار العلوم الواسع في عصر النهضة الأوربية » .

وجواب عن سؤ ال يتردد كثيراً على ألسنة الناس ، ويشغل بالهم ، وهو : « من هم عرب اسبانيا ؟ وكيف يكون لهم ذلك الأثر العظيم ، وقد كانوا أقلية فيها ، إبان الفتح » يقول الدكتور فيرنيه في كتابه الذي تقدمت الإشارة إليه : (عرف الغزو الإسلامي ، القادم من الغرب إلى اسبانيا عبر افريقيا ، موجتين عربيتين : أولاهما موجة موسى بن نصير ، الحجازي المنبت ، الدمشقي النشأة ، سنة ٧١٢م ، والثانية موجة بلج بن بشر ، القائد الدمشقي الذى قدم إلى الأندلس سنة ٧٤٠م . ويقدر عدد جنود هاتين الموجتين بمابين ثلاثين ألف عنصر ، وأربعين ألف عنصر ، من العرب والبربر ، لكن العنصر العربي فيهما كان الأقوى ، وإن كان أقل عددا ، فنشر اللغة العربية ، والتقاليد والفنون الهندسية ، في شبه الجزيرة الأيبيرية . وهكذا تمكنت هذه الطبقة التي سيطرت على اسبانيا كلها ، في غضون مائة سنة فقط ، من تعريب عدد كبير من الاسبان ، وأضحت اللغة العربية هي اللغة السائدة في البلاد ، لما كان للمسيطرين عليها سياسيا من نفوذ ، ولتفوق ثقافتهم على ثقافة القوط المسيحيين) .

معارف كانت متقدمة

وفي فصل موسع من كتابه عن العلوم والفنون العربية التي ازدهرت في الأندلس قال الأستاذ خوان فيرنيه : (إن من جملة الخدمات التي أداها العرب للثقافة الإنسانية نقل خبراتهم في الملاحة البحرية ، وهندسة السفن وصنعها ، ووضع الخرائط الجغرافية والمائية ، بسبب السبق الذي أحرزوه في معرفة أحوال الطقس وتقلباته . لقد أدخلوا هذه العلوم إلى الأندلس في زمن مبكر ، فإليهم يرجع الفضل في عبور المحيط الأطلسي بعد ذلك بعدة قرون . ولاريب في أنهم استفادوا من تقدم الفنيقيين الذين سبقوهم في إتقان

الملاحة ، في سواحل البحر المتوسط ، لكنهم طوروا تلك العلوم ، وبرعوا فيها ، إذ بنوا الأساطيل التجارية والحربية ، وسيروها في مياه الخليج ، وفي البحر الأبيض المتوسط ، وأضحوا أسياد البحر إبان حكمهم للأندلس ، ولقد كانت صناعة الورق آخر ماأدخلوه إليها في القرن الحادي عشر الميلادي ، مما ساعد كثيرا في نقل التراث ، ونشر الذخائر العلمية النفيسة) .

لقد أحاط الأستاذ فيرنيه بكل ماقدمه العرب من خدمات جلى للغرب إبان وجودهم الطويل المستمر في الأندلس ، فتحدث عن تفوقهم في العلوم كالفلك والطب والجغرافيا والجبر والري والزراعة والفلسفة ، وفي الفنون كالهندسة والزخرفة والشعر والموسيقا والأدب . مما حدا به إلى القول بأن غزوهم لاسبانيا كان غزوا ثقافيا وفنيا مذهلا بسرعته واتساعه ، وأنه مازال يدهش المؤرخين ، إذ لم يسبق له مثيل في التاريخ .

وإذا قرأنا كتاب اللغوي المعاصر ، الأستاذ « رافائيل لابيسا » الذي نشره سنة ١٩٦٢ بعنوان : « تاريخ اللغة الاسبانية » ، نجد في أحد فصوله القيمة مايلي : (تأتي أهمية العنصر العربي في اللغة الاسبانية بالدرجة الثانية بعد العنصر اللاتيني ، ويوجد في لغتنا اليومماينوف على أربعة آلاف كلمة عربية ، ماعدا التعابير الدارجة على ألسنة الأندلسيين المأخوذة منها ، فقد تبناها الناس وتوارثوها جيلا بعد جيل ، بدافع تفاعل حضارة العرب في أرضهم قديما ، وتأثرهم بأسلوب حياتهم وتفكيرهم ، إلى جانب تأثرهم بلغتهم) .

من آثار اللغة العربية

من تلك التعابير الدارجة في لغة الاسبان الأندلسيين ، في يومنا الحاضر قولهم للصديق : « سلمك الله » ، وللشحاذ : « ليرزقك الله » ، وإذا عزموا على أمر ما يقولون : « إن شاء الله » ، وإن طربوا لشيء أو أعجبوا به ، كالمغني والراقص ومصارع الثيران يصيحون : « OLe » ؛ أي : الله ، أما إذا ما مدحوا إنسانا طيبا فيقولون له : « ليبارك الله الأم التي وضعتك » . إنها تعابير خاصة بالأندلسيين وحدهم ، لا أثر لوجود مايماثلها في سائر اللغات الأوربية المعروفة ، بل ربما يوجد مايشابهها في اللغة البرتغالية . كما أنه توجد في اللغة الاسبانية عامة كلمات وأسماء جغرافية كثيرة من أصل عربي ، بعضها بقي على حاله ، وأكثرها أصابه بعض التحريف ، لكن هنالك قواميس خاصة ، ترجع تلك الكلمات والأسماء إلى أصلها العربي ، وجلها يبتدىء بأل التعريف : « كالمخدة » و « الضيعة » و « الرز » و « السكر » و « الكحول » و « الحبر » ، وغيرها كثير . أما الكلمات المحرفة ، ذات الأصل العربي التي لاتبتدىء بأل التعريف ، فمنها : « حتى » و « فلان » و « بطاقة » و « الشقيقة » ؛ أي : الألم الذى يصيب نصف الرأس وغيرها . إن المعاجم والدراسات اللغوية التي أشرت إليها قد وضعها علماء اسبان في هذا القرن ، من أهمها قاموس ضخم ، قدم له المؤرخ العالم : « رامون منندث بيدال » ، نشر ، وأعيدت طباعته مرات عديدة ، بعنوان : « فوكس » ، ومنها كذلك كتاب : « تاريخ أسماء المواقع الجغرافية العربية في اسبانيا » الذي حققه ونشره العالم المستعرب المشهور آسين بالاثيوس ، واستند في فصوله على دراسات سابقة في هذا الموضوع ، قام بها مستعربون معروفون ، أمثال : دوزي ، وكوديرا ، وغوميث مورينو ، وسيمونيه ، وستيغر (٢) .

يقول المثل العربي : « ليس الخبر كالعيان » ، وهو ينطبق على ماآلت إليه آثار الحضارة العربية وبصماتها الظاهرة الخالدة في يومنا الحاضر ، لأن من يزور مدن الأندلس العريقة وقراها الوادعة ،

(٢) Dozy - Codera - Gomez - Moreno - Simonet - Steiger

وسواحلها الفضية الممتدة على شواطيء البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي ، يشاهد عن كثب عظمة تلك الآثار وجمالها ، ويرى ، بدهشة ، بصمات عربية في التكوين الفيزيولوجي للأندلسيين ، وطباعهم وتقاليدهم الاجتماعية ، وميولهم الفنية ، مما سيكون لنا عنه حديث لاحق مفصل

لقد ذكرني الخوض في هذا الموضوع أبياتا أنشدها أبو البقاء الرندي ، في مرثيته المشهورة ، إذ قال :

وكان ماكان مِنْ مُلْكٍ ومنْ ملكٍ
كَمَا حَكى عنْ خيالِ الطَّيْفِ وسْنَانُ

فَاسْأَلْ بلنسيَّة ماشأنُ مرسيَّةَ
وأينَ شاطبةُ أمْ أينَ جيَّانُ

وأين قرطبةٌ ، دارُ العلوم ، فكم
من عالمٍ قدْ سَمَا فيها لَهُ شَانُ



قواعدُ كُنَّ أركانَ بلادٍ فما
عسى البقاءُ ، إذا لم تَبْقَ أرْكَانُ

كتب الرندي مرثيته الرائعة عندما اصطرمت الفتنة في الأندلس ، في القرن الثالث عشر الميلادي ، وسقطت قواعدها الكبرى ، ولم يبق للعرب سوى مملكة غرناطة الصغيرة . ولو بعث اليوم من قبره ـ رحمه الله ـ لذهل من خلود آثار أسلافه ، وماتحظى به من اهتمام وإقبال عليها ، لعله يجد في ترسخها وخلودها عزاء لحرقته على زوال صانعيها . □



أرقام

بقلم : محمود المراغي

النساء أقل حظا

يصعد الإنسان إلى الفضاء ، لكنه مايزال يعاني من الأمية .

في دراسة إحصائية لمنظمة « اليونسكو » ، تبدى المنظمة انزعاجها لما آلت إليه أحوال الأمية وأحوال المدارس الأولية أو الأساس في العالم .

كانت هناك قفزة في الستينيات والسبعينيات ، زادت نسبة التعليم ، انخفضت نسبة الأمية ، تم في الدول الصناعية استيعاب كل الأطفال الذين هم في سن المدرسة الابتدائية ، قفز عدد المستوعبين في المدارس الابتدائية في العالم الثالث من (٢١٧) مليون طفل عام ١٩٦٠م إلى (٤٧٨) مليونا عام ١٩٨٧م .

كانت هاتان الحقيقتان هما العصر الذهبي للخروج من الظلام ، حتى بلغت نسبة نمو طلاب المدرسة الابتدائية في افريقيا الأكثر تخلفا ٧,٥٪ سنويا .

في الثمانينيات حدثت النكسة ، وفي غير الأقطار العربية اتجهت النسبة إلى التراجع ، وتكدس الأطفال خارج فصول التعليم ، وتكدس الأميون بلا خطوة إلى الأمام .

فوق المليار

الآن ، وبينما لايزيد سكان العالم كثيرا عن خمسة مليارات ، تسجل الأرقام أن من بين هؤلاء (٩٠٠) مليون أمي ، بينهم (١٣٠) مليونا تتراوح أعمارهم بين (٦) سنوات و(١١) سنة ؛ أي أنهم في سن المدرسة الأساسة ، لكنهم لم يذهبوا للمدرسة قط .

وتشير التوقعات إلى أن عدد الأميين في العالم سوف يصل إلى (٩٤٢) مليونا عام ٢٠٠٠ .

وبقراءة متأنية للأرقام نستطيع أن نلمح اتجاهات النكسة . فهي أولا تتركز في البلدان النامية ، وفي افريقيا بالدرجة الأولى .

وخلال الأعوام (٨٠ - ١٩٨٥) تراجع عدد طلاب المدارس الابتدائية في أمريكا بنسبة الثلث ، وكان ذلك الثلث بين هارب لم يدخل المدرسة أو هارب في وقت لاحق ، دخل إلى التعليم ثم تسرب خارج الفصل في الأعوام الدراسية الأربعة الأولى .

خلال هذه الأعوام تراجعت - كما تلاحظ اليونسكو - العملية التعليمية ، فلم يكن التدهور كميا فقط ، لكنه كان نوعيا أيضا ، فقد قصر التعليم في معظم البلدان النامية على المدارس الابتدائية في الأرياف ، وقلت المتابعة ، وانخفض مستوى المدرس ، حتى بات يستكمل دخله من مصادر أخرى غير التعليم . وسجلت بعض الحالات أن دخل المدرس قد أصبح غير منتظم ، وأن بعض المدارس تغلق أبوابها .

وتقول الأرقام : إن التعليم قد أصبح أقل شأنا في الموازنات الحكومية العامة ، فقد كان

نصيب التلميذ من الموازنة العامة ، في الدول المنخفضة الدخل (٤٤) دولارا عام ١٩٧٠ ، فإذا به ، بدلا من أن يزيد ، يتراجع إلى (٢٩ دولارا في العام) سنة ١٩٨٧ .

هل نقارن بالدول المرتفعة الدخل ؟

النتائج سوف تكون مذهلة ، إذ يسجل نصيب التلميذ في هذه الدول ما يقرب من (٢٠٠٠ دولار في العام) سنة ١٩٨٧ ؛ أي نحو سبعين ضعفا لما يناله أطفال الفقراء .

في التفسير تأتي الأزمة الاقتصادية في مقدمة الأسباب ، فعندما تفاقمت الأزمة ، وزادت مديونية البلدان النامية ، وباتت الدول بحاجة إلى أن تعيد النظر في إنفاقها ، كان التعليم ضحية برامج التقشف والاصلاح الاقتصادي .

لم يحظ التعليم بالأولوية المناسبة ، ونظروا له على أنه استثمار بطيء ، أو خدمة يمكن تأجيلها أمام إلحاح أزمات الغذاء والكساء والمسكن والمياه النقية .

أما الاتجاه الثاني للأزمة ، فهو نصيب الإناث منها ، فبين كل ثلاث من نساء العالم الثالث واحدة أمية بينما تختلف النسبة بين الرجال تصعد إلى ٢٠٪ : واحد إلى خمسة وتسجل الأرقام : أن ٦٠٪ من الأطفال المتخلفين عن المدرسة من الإناث . وأنه في عام ١٩٨٧ بقي خارج جدار المدرسة الأساس أو الابتدائية الافريقية ٤٩٪ من البنات ، في مقابل ٤٠٪ من الصبية الذين بلغوا سن الدراسة .

وتختلف النسبة في آسيا ، إذ يتخلف ٢٧٪ من الفتيات و١٤٪ من الصبية .

المعونات لاتفيد

وإذا كانت ميزانيات الحكومات قد قصرت عن أن تمد يدها لكل الأطفال فإن موقف المعونات الخارجية الموجهة للتعليم لم يكن أفضل . إن ٥٪ من المعونات الدولية يجري توجيهها للتعليم ، وبما يعني تخصيص مليارين ونصف مليار دولار لهذا الغرض . لكن إذا علمنا أن عدد التلاميذ في البلدان النامية يفوق (٧٠٠) مليون ، فإننا ندرك أن نصيب التلميذ من المساعدات الأجنبية لا يصل إلى أربعة دولارات في العام ، بل إنه يهبط في افريقيا إلى دولار واحد كل سنة .

والأكثر ـ كما تشير دراسات معهد اقتصاديات التعليم في فرنسا ـ أن استخدام هذه المعونات غير سليم ، وأن النقود تذهب إلى غير ما خصصت له ، إنها معونات بلا فاعلية حقيقية

علامات استفهام حول المستقبل

هل تتغير الأوضاع مستقبلا ؟ هل ترتفع قامة طفل العالم الثالث لتلحق زميله ، طفل العالم الأول ، في مسألة واحدة هي القراءة والكتابة ؟ هل يتغير وضع المرأة الذي يسجل انحيازا ضدها في معظم ربوع الدول الفقيرة ؟

دراسات اليونسكو غير متفائلة ، وتقول : إن هدف محو الأمية واستيعاب الأطفال في المدرسة الابتدائية ، سوف يظل قائما حتى عام ٢٠٢٥ على الأقل . وتقول التوقعات إن نحو (٩٠) مليون طفل في افريقيا وآسيا والباسفيك سيكونون خارج المدرسة في ذلك التاريخ ، وأن وضع الفتيات لن يتغير .

ومع ذلك فالأمل ليس معدوما ، فالتسعينيات تشهد انفراجا دوليا ، بما يعني اعتمادات أقل في بند التوتر والحرب ، واعتمادات أكثر في بند السلام والتنمية . وفي مواجهة الأزمة انعقد مؤتمر دولي في تايلاند خلال مارس ١٩٩٠ ، وكان شعاره « التعليم للجميع » ، لكن ذلك الشعار اصطدم بواقع العالم الثالث ، حيث تتفاقم المشاكل الاقتصادية ، ويتضاءل نصيب الفقراء من « انقلاب الأغنياء » الذي تتراجع فيه فرص الحرب ، وتتقدم فيه فرص الرخاء .

لنا عالمنا ، ولهم عالمهم ، ولن يحل مشاكل الجنوب غير الجنوب . وأبسط المشاكل : إيجاد إنسان يقرأ . □



بقلم : الدكتور مظفر شعبان

في عام ١٩٨٤ احتفلت الأوساط العلمية بذكرى مرور ١٥٠ سنة على مولد عالم الكيمياء الروسي ديمتري مندلييف الشهير بتصنيفه الدوري للعناصر ، وبغيره من الإنجازات العلمية المهمة . وخلف هذه الحياة الحافلة بالمنجزات الرائعة التي صمدت أمام امتحان الزمن كانت قصة كفاح عنيد تتشكل لتسطر هذه الصفحات الخالدة في تاريخ الكيمياء .

لقد أهدى مندلييف الإنسانية الكثير ، في مجالات واسعة متنوعة ، فقد أرسى قواعد كثيرة كرست لفهم الطبيعة ، ولاكتشاف الحقيقة ، وكان له الفضل الأكبر في تمهيد الطريق للكيمياء الحديثة ، الأمر الذي يقره الجميع في كل مكان ، على مدى الدهر . وهو يعد بحق أحد مؤسسي الكيمياء الحديثة وأحد آبائها الروحيين .

ولد ديمتري ايفانوفيتش مندلييف في (فبراير) ١٨٣٤ ، في مدينة توبولسك ، الواقعة في سيبيريا الروسية ،وكان هو الولد السابع عشر - الأخير - لمدير مدرسة المدينة ، وقد عانده الحظ منذ اللحظة الأولى لميلاده ، إذ سرعان ما فقد والده بصره ، واضطر لترك العمل ، مما دفع والدته إلى حمل أعباء العائلة الكبيرة بمفردها ، وانتقلت العائلة بجميع أفرادها إلى قرية مجاورة ، وقامت الأم بإدارة ورشة صغيرة لصنع الزجاج والأواني الزجاجية . وقد أشار مندلييف إلى هذه الفترة من حياته ، فقال : « هناك ، في تلك الورشة التي أشرفت عليها أمي ، تشكلت

لدي الانطباعات الأولى عن الطبيعة والناس والصناعة » .

وفي ١٨٥٥ أتم مندلييف دراسته ، وقد منح ميدالية ذهبية ، تقديرا لكفاءته ، إلا أن الحظ السيء لم يفارقه هنا أيضا ، إذ اضطر بسبب صحته المعتلة أن يسافر إلى شبه جريرة القرم ، وبعد ذلك عمل في أوديسا . وبعد أن قدم أطروحة الماجستير انضم إلى عضوية هيئة التدريس ، في جامعة بطرسبورغ ، حيث منح لقب أستاذ مساعد . وفي عام ١٨٥٩ حصل على منحة دراسية ، فسافر إلى المانيا ، وفرنسا ، وايطاليا . وفي مختبرات هايدلبرغ الألمانية تعرف على رجالات العلم الألمان ، مثل بنسن ، وكيرشوف وايرلنماير ، وغيرهم . ويتذكر مندلييف هذه الزيارة إلى المانيا ، بقوله . « إنني أعد عام ١٨٧٠ ، والمؤتمر الكيميائي في كارلسروبه الذي حضرته صاحبي الفضل الأكبر في تشكيل أفكاري الأولى حول القانون الدوري للعناصر » .

أماكن فارغة بالجدول

في ١٨٦٩ قدم مندلييف مقالة بعنوان « نظام تجريبي للعناصر ، يعتمد على وزنها الذري ، وتشابهها الكيميائي » إلى الجمعية الروسية للكيميائيين . وهي المقالة التي قادت إلى اكتشاف الجدول والقانون الدوري للعناصر الذي يحمل اسم مندلييف حتى الآن . وقد صاغ مندلييف قانونه على النحو التالي « إن الخصائص الفيزيائية والكيميائية للعناصر تتبع شكل دوري الوزن الذري للعناصر » وقد سمح له ذلك تدريجيا بتصحيح الأوزان الذرية لأحدعشر عنصراً من العناصر الثلاثة والستين التي كانت معروفة آنذاك

وفي وثبة من العبقرية المبدعة توصل في عام ١٨٧١ إلى مقالته الشهيرة : « القانون الدوري للعناصر الكيميائية » ، للنظام الدوري بشكله المعروف اليوم ، والذي تنبأ فيه بوجود بعض العناصر التي لم تكن معروفة آنذاك ، حتى أنه ترك لهذه العناصر المجهولة أمكنة فارغة في الجدول .

والغريب أن كثيرين من زملاء مندلييف وأصدقائه استهجنوا أفكاره الجريئة هذه ، حتى أنهم نعتوها « بالتخمينات الفارغة التي لا طائل منها » وقد تعذر على كثير من الكيميائيين في ذلك الوقت فهم المغزى الأساس للجدول الدوري واستيعابه . كما أن بعضهم اتهمه بأن فكرة الجدول الدوري ليست من وحيه الشخصي ، بل سبقه إليها آخرون ، منهم الانجليزي بروت (في ١٨١٦) ، والألماني دوبراينر (في ١٨٢٩) ، والفرنسي شانكورتوا (في ١٨٦٢) ، والألماني ماير (في ١٨٧٠) .

ومن المنطقي الإشارة إلى أن مندلييف لم يبدأ من الصفر ، وأن اكتشافه الكبير هذا لم يظهر كلمح البرق ، إلا أن ترتيب العناصر حسب القانون الدوري ، وكذلك إنشاء الجدول ، يتطلبا شجاعة من نوع خاص ، وهذا - بالضبط - ما أظهره مندلييف . ولعل ذلك أهم ما يميز عمل مندلييف عن أعمال سابقيه .

باختصار . لقد أظهر مندلييف بوضوح قانون الطبيعة العظيم ، وقد برهنت الأيام على صحة هذا القانون .

التصنيف الدوري للعناصر

مع أن عدد العناصر المعروفة في مطلع القرن التاسع عشر كان لا يزيد على ١٣ عنصرا فإن عددها قد ارتفع تدريجيا ، وبلغ ٦٣ عنصرا في منتصف القرن نفسه . كانت صفات العناصر مختلفة متباينة . وكذلك أوزانها الذرية ، فبعضها كان على شكل غازات (كالأكسجين والهيدروجين والكلور والآزوت) ، وبعضها كان على شكل سائل في الدرجة العادية من الحرارة (كالزئبق والبروم) ، والعناصر الباقية كانت جوامد ، وكان منها فلزات صلبة كالبلاتين والحديد ، وبعضها الآخر كان على شكل فلزات طرية ، كالصوديوم والبوتاسيوم ، وكان بعضها خفيفا يطفو فوق الماء ، وبعضها الآخر يغوص فيه ، منها الأحمر والأصفر والرمادي ، ومنها

اللامع البراق ، ومنها الباهت الكامد .

ومن العناصر ما اتحد مع ذرة من الأكسجين ، ومنها ما اتحد بذرتين أو ثلاث أو أربع .

وسط هذه « الغابة » الكثيفة من الغموض والفوضى ، شعر الكيميائيون بضرورة التوصل إلى تصنيف عام لهذه العناصر ، يسمح بدراستها بشكل سهل ، وبمقارنة خواصها المتعددة ، ويساعد على معرفة المركبات التي تتألف منها . وشعر الكيميائيون بأنه لا بد من وجود نظام معين ، يوحد هذه العناصر .

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر بذل الكيميائيون عدة محاولات ، لتوحيد الفوضى في غابة العناصر ، وكان منها ، التصنيف الدوري لمندلييف (١٨٦٩) ، وقد اعتمد مندلييف في تصنيفه على الدراسات الطويلة التي قام بها ، حيث توصل إلى قانونه الشهير القائل « إن الخواص الفيزيائية الكيميائية للعناصر ومركباتها تتدرج تدرجا دوريا ، بزيادة الوزن الذري للعنصر » .

فعندما رتب مندلييف العناصر ترتيبا تصاعديا حسب أوزانها الذرية ، مبتدئا بالهيدروجين أصغرها وزنا ذريا) ، وانتهاء باليورانيوم (وهو أثقلها) ، وجد أن الخواص تتشابه بعد عدد ثابت من العناصر تقريبا ، ولذلك كان يضع العناصر المتشابهة تحت بعضها ، وبذلك حصل على ترتيب الجدول المسمى باسمه .

وحسب الطريقة التي اتبعها مندلييف في ترتيب العناصر ظهرت في الجدول فراغات ، عزاها العالم الكبير إلى وجود عناصر في الطبيعة لما تكتشف بعد ، وكان على يقين من صحة استنتاجاته إلى درجة أنه شرح بعضا من خواصها وطرق الحصول عليها ، وسماها على التوالي : الايكابورون ، والايكالومنيوم ، والايكاسيليكون (ايكا تعني في اللغة السنسيكريتية الشيء نفسه) .

وفي عام ١٨٧٥ وقع الفرنسي لوك دي بوابودران على فلز جديد ، تنطبق عليه جميع مواصفات الايكالومنيوم الذي حدده مندلييف ، فأطلق على هذا العنصر الجديد اسم « غاليوم » ، تشريفا لاسم بلاده التي تعرف أيضا باسم بلاد الغال .

الخبر الثاني من السويد

وقد تصور كثيرون أن اكتشاف الغاليوم لا يعدو كونه مصادفة من المصادفات ، ولا يدل على صحة الجدول الدوري ودقته ولا على صحة توقعات مندلييف وآرائه .

وهكذا بقي الموضوع محفوفا بالشكوك ، إلى أن جاء الخبر الثاني من السويد ، ففي ١٨٧٩ وجد الكيميائي السويدي ، لارس نيلسون ، العنصر الثاني شبيه البورون ، وأطلق عليه اسم سكانديوم ، (تشريفا للدول الاسكندنافية) ، بعد ذلك بعدة أعوام كان فينكلر يبحث - بناء على المواصفات التي حددها مندلييف لعنصر الايكاسيليكون - عن عنصر رمادي ، غير بهيج المظهر له وزن ذري يبلغ نحو ٧٢ ، وله كثافة تبلغ نحو ٥,٥ ، ولا يتأثر بالحموضة كثيرا . وقد نجح فينكلر باستعمال أحد خامات الفضة من فصل مادة بيضاء لونها يميل الى الرمادي ، وزنها الذري حوالي ٧٢,٣ ، وكثافتها ٥,٥ ، ولم يكن هناك أدنى شك في أن نبوءة مندلييف هذه صادقة ، وأعلن فينكلر اسم العنصر الجديد «الجرمانيوم» (تشريفا لبلده المانيا) .

ونود أن نشير هنا إلى أنه لم يتجرأ أحد ممن سبقوا مندلييف على التنبؤ بخواص عناصر غير مكتشفة .

لا يصح إلا الصحيح

كذلك فقد أظهر مندلييف جرأة غير عادية عند ترتيب العناصر حسب خواصها وأوزانها الذرية ، فحينما وجد أن خواص العنصر لا تتفق مع مكانه المناسب حسب وزنه الذري ، فإنه لم يتردد في تغيير مكان العنصر ، ووضعه في المكان المناسب حسب خواصه ، انطلاقا من قناعته بأن خواص العنصر أهم بكثير من وزنه الذري .

● ديمتري مندلييف

وقد تبين فيما بعد أنه كان محقا في ذلك .

كذلك برهن مندلييف ـ استنادا إلى ترتيب العناصر في الجدول ـ على أخطاء في حساب الأوزان الذرية لبعض العناصر ، فقد لاحظ أن اليود ـ ووزنه الذري ١٢٧ ـ يأتي قبل عنصر التلوريوم ـ ووزنه الذري ١٢٨ ـ لقد كان أحدهما في غير مكانه ليأتلف معهما النظام . ولم يتردد مندلييف في الإعلان بأن الوزن الذري لعنصر التلوريوم خاطيء ، وهو ليس ١٢٨ ، ولا بد أن يقع بين ١٢٣ و ١٢٦ . وقد بينت البحوث التالية أن مندلييف كان مصيبا . وكان الحدث من أكثر التنبؤات التي سجلت في تاريخ الكيمياء إثارة .

ومن الجدول أيضا استنتج مندلييف ضرورة تبديل مكاني الذهب والبلاتين ، وتوقع وجود خطأ في حساب الوزن الذري لكل منهما . وقد أتت الموازين الكيميائية لتبين صحة توقعات مندلييف ، ولتؤكد مرة أخرى صحة الجدول العجيب ودقته .

يعد اكتشاف الجدول الدوري للعناصر نقطة وضاءة في تاريخ الكيمياء ، وهو ما يزال مقبولا حتى الآن ، إلا أن هذا الجدول الحالي يختلف قليلا عن الجدول الأصلي الذي وضعه مندلييف عام ١٨٦٩ .

ففي سنة ١٨٧١ اضطر مندلييف نفسه إلى إجراء بعض التغييرات في مواقع عدد من العناصر التي استطاع أن يتوصل إلى أوزانها الذرية بدقة كبرى

وابتداء من عام ١٨٩٤ ، أي بعد أن وضع مندلييف جدوله بمدة طويلة ، تم اكتشاف الغازات الخاملة التي تدعى أيضاً (الغازات النبيلة) ، وقد اقتضى ذلك إضافة المجموعة رقم (صفر) إلى الجدول ، فأصبح الجدول يتكون من سبع دورات ، وهي الصفوف الأفقية ، وتسع مجموعات هي الصفوف الرأسية .

وتتميز طريقة التصنيف لهذا الجدول بأنها : تبين بسرعة وبوضوح العلاقة بين العناصر المختلفة وبين خواصها وخواص مركباتها ، كما يمكن عن طريقها حساب الوزن الذري للعنصر بمعرفة الوزن الذري للعنصرين المجاورين له . فعلى سبيل المثال ، عندما تنبأ مندلييف عام ١٨٧١ بوجود عنصر الجرمانيوم (ايكاسيليكون) فإنه حسب وزنه الذري بهذه الطريقة ، ووجد أنه يساوي ٧٢,٧٧ . وبعد أن اكتشف هذا العنصر عام ١٨٨٦ عين وزنه الذري فوجده ٧٢,٦٠ .

كما يمكن أيضاً ، وفق هذا التصنيف ، ملاحظة أن العناصر كثيرة الانتشار في الطبيعة ـ مثل الهيدروجين والأزوت والأكسجين والصوديوم والألمنيوم ـ هي نفسها أوزان ذرية صغيرة . أما العناصر القليلة الوجود في الطبيعة فأوزانها الذرية كبيرة ، مثل الذهب والرصاص واليورانيوم والراديوم .

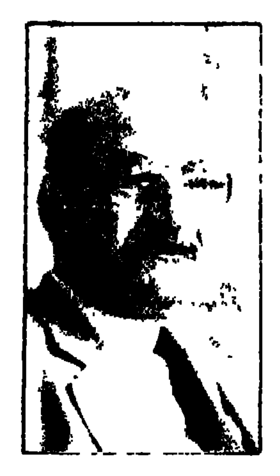
الاكتشاف والزمن

[illegible]

النهاية وبداية جديدة

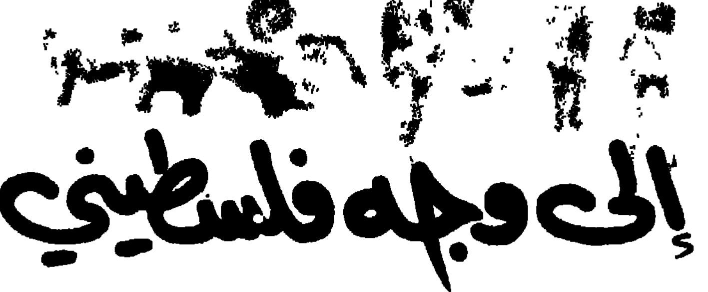
[illegible]

تأصيل الأصول



● إن المطلوب اليوم في ميدان الشريعة هو القيام بمثل ما قام به فلاسفة الأشاعرة في مجال العقيدة ـ فخر الدين الرازي مثلا ـ أعني بناء منهجية التفكير في الشريعة ، انطلاقا من مقدمات جديدة ، و « مقاصد » معاصرة . وبعبارة أخرى : إن المطلوب اليوم هو تجديد ينطلق ، لا من مجرد استئناف الاجتهاد في الفروع ، بل من إعادة تأصيل الأصول : من إعادة بنائها .

د . محمد عابد الجابري



إلى وجه فلسطيني

شعر : عبد الستار سليم



يا أيها الوجه المسافر في
قطارات الزمن
يا أيها الوجه المضرج بالوطن
لا تقنط
حتى ولو لفوك بالريح الغضوب
وجردوك من الكفن
يا أيها الوجه الموشى بالمدن
لا تقنط
حتى ولو سلبوك كل سطورك
الملأى بلون الصبح . والحبلى
بأحلام الوسن
حتى ولو أضناك جهد الحمل ،
آلام الولادة ،
طلق ساعات المخاض المبهمة
يا أيها الوجه المعذب بالفصول
المؤلمة
في صرخة المولود يبتسم الفرح
ويكون بدء للعواصف ،
والقواصف ،
والسيوف المرهفات ،
وللحروف الملهمة



كاثوليكي أكثر من البابا واشتراكي أكثر من جورباتشوف

بقلم : فيليب جلاب*

لدي اعتقاد جازم بأن مثقفا عربيا من بني جنسنا هو الأصل في ظهور المثلين المعروفين في العالم كله وتداولهما . وهما : « كاثوليكي أكثر من البابا » . و « ملكي أكثر من الملك » .

وهذه المساهمة منا في ثقافة العالم لا يجب أن ننكرها على أنفسنا ، خاصة أن الآخرين يتجاهلون أفضالنا على العالم في مجالات شتى .

وقد فكرنا في العودة إلى التراث لتقديم بعض هؤلاء المثقفين لولا أن المجال لا يتسع الآن من ناحية ، والأمثلة المعاصرة كثيرة من ناحية أخرى . وهي تؤكد على أي حال أن التواصل بين الأجيال العربية لم ينقطع ، وأن الأصالة ليست غريبة عنا مهما تطورت المجتمعات ، بل حتى لو وصلنا إلى المريخ وخرقنا طبقة « الأوزون » !

* كاتب سياسي ورئيس تحرير جريدة الأهالي المصرية

عندما بدأ ميخائيل جورباتشوف ثورته التي هزت العالم شرقاً وغرباً ووجئنا بملايين السوفييت يؤيدونه بحماس ، وكان على رأسهم مفكرون وقادة بارزون من أساطين الاشتراكية والشيوعية . وكشف جورباتشوف والمفكرون والمواطنون السوفييت عن تجاوزات وجرائم خطيرة في حق الاشتراكية نفسها ، وضد أسط مبادئها . واستبشر الجميع هناك وهنا خيرا .

فليس لنا مصلحة أو مصالح خاصة تدفعنا إلى أن لا نحب لغيرنا ما نحب لأنفسنا ، لكن لأن « المثقف » العربي المعاصر « كاثوليكي » أكثر من البابا ، فقد استشاط غضباً لما يحدث من جورباتشوف ضد المكاسب الاشتراكية والبروليتاريا السوفيتية !

واجتمع المثقف العربي مع نفسه ، وأعاد قراءة أمهات الكتب الماركسية ، فاكتشف أن ثورة جورباتشوف « ثورة مضادة » ، وهي خطة مدبرة من المخابرات المركزية الأمريكية ، لنسف الاشتراكية من أساسها .

حوار مع مثقف

ولأن « المثقفين » يتصفون عادة بالشجاعة ، ولا يخشون في الحق لومة لائم ، فقد كتب أحد المثقفين خلاصة استنتاجاته هذه ونشرها على رؤوس الأشهاد .

ودار الحوار التالي بيني وبين المثقف .

*** قلت : كيف تتهم رجلاً مثل جورباتشوف بأنه ينفذ خطة للمخابرات الأمريكية ؟**

ـ قال : إنه يفتري على المجتمع السوفيتي وإنجازات لينين وستالين ونظرية ماركس وانجلز .

*** لكنه مواطن سوفيتي ، يريد إصلاح ما أفسده بعضهم باسم الاشتراكية .**

ـ هذه دعاوى أعداء الاشتراكية دائماً .

*** ألا ترى أن المواطنين والزعماء السوفييت أعلم بمجتمعهم ومشاكلهم منا ؟**

ـ إن أهل مكة أعلم بشعابها ، لكن أهل موسكو ليسوا أعلم بالاشتراكية منا

*** وما المانع ؟**

ـ لأننا درسنا كل ما كتبه منظرو الاشتراكية ، وزرنا الاتحاد السوفيتي ، وشاهدنا بأنفسنا « البلهنية »* التي يحيا فيها المواطن السوفيتي في ظل الاشتراكية .

*** تعني تلك « البلهنية » في فنادق « راسيا » و « أوكرانيا » و « سوفيتسكايا » ؟**



● جوزيف ستالين



● لينين

ـ بل في كل مكان ، وقد تناقشت مع مواطنين سوفييت ، وعرفت مدى سعادتهم بالحياة في ظل الاشتراكية .

*** وهل تعرف الروسية ؟**

ـ من خلال مترجم .

*** لكن ثبت كما قال جورباتشوف والصحف السوفيتية نفسها أن الناس لم تكن لديهم الجرأة على إعلان رأيهم الحقيقي .**

ـ هذه أكاذيب امبريالية ؟

*** وهل تحولت قيادة الحزب السوفيتي وكل**

* رغد العيش ونعيمه .

وسائل الإعلام السوفيتية فجأة إلى عملاء للامبريالية ؟

- إن معلوماتي الخالصة هي أن الاشتراكيين الحقيقيين لا يستطيعون إعلان رأيهم الآن في هذا الانقلاب .

لكننا نقرأ لهم وعنهم انتقادات لسياسة جورباتشوف .

*** وهل تعجبك هذه الفوضى ؟ هل سمعت عن مجتمع اشتراكي تسوده فوضى الآراء إلى هذه الدرجة ؟**

- هذه ديموقراطية وليست فوضى .

الاشتراكية شيء والديمقراطية شيء آخر مختلف تماماً .

وجورباتشوف هذا إما أن يكون اشتراكياً أو ديموقراطياً ، وليس هناك طريق ثالث .

*** وما المانع في أن يكون الناس اشتراكيين ومن حقهم الحديث بحرية ؟**

- لم نسمع عن هذه الاشتراكية الجديدة التي يتحدث فيها كل من « هب ودب » بحرية .

*** كل الاشتراكيين الآن يتحدثون عن حقهم في الديمقراطية ، من موسكو إلى بكين إلى برلين .**

- كانوا اشتراكيين فيما مضى ، أما الآن فقد جرفتهم موجة « الردّة » .

*** إذن فأنت الاشتراكي الوحيد ؟**

- ليس صحيحا ، فهناك مجتمع اشتراكي عظيم في دولة البانيا ، لم يستطع أحد اختراقه أو جره إلى معسكر الامبريالية .

*** يقولون : إن الشعب الألباني متذمر ؟**

- ولماذا يتذمر ؟ إنهم يأكلون ويشربون وينامون في التاسعة مساء لكي يبدءوا العمل مبكرا . ماذا يريد الإنسان أكثر من ذلك ؟

*** لكنك تأكل وتشرب وتسهر وتسافر إلى حيث تشاء ، ألست اشتراكيا ؟**

- كل حسب قدرته ، أنا مفكر ، ولا أعامل مثل العامة .

*** وبم تفكر الآن ؟**

- أفكر في المصير الذي سينتهي إليه المجتمع السوفيتي على يد جورباتشوف .

*** السوفييت راضون عما يفعله جورباتشوف .**

- وهل من حق السوفييت أن يقرروا وحدهم مستقبل المجتمع السوفيتي ؟ أي اشتراكية هذه ؟ ألم يقرأوا لكارل ماركس ؟

*** وبماذا تنصحهم ؟**

- أن يحذروا أعداء الاشتراكية ، ويعيدوا قراءة الأعمال الكاملة للرفيق ستالين والرفيق أنور خوجة . □



● شكا وفد من أهل الكوفة واليهم إلى الخليفة المأمون ، فقالوا بلسان أحدهم : هو شر عامل في الأرض ، أما في أول سنة ولي علينا ، فإنا بعنا أثاثنا وعقارنا ، وفي السنة الثانية بعنا ضياعنا وذخائرنا ، وفي السنة الثالثة خرجنا عن بلدنا فاستغثنا بأمير المؤمنين ليرحم شكوانا ، ويتطول علينا بالأمر بصرفه عنا ، فرد المأمون على المتكلم : كذبت ، بل هو رجل أحمدت سيرته ومذهبه وارتضيت دينه وطريقته ، واخترته لكم لمعرفتي بكثرة سخطكم على عمالكم وهنا قال المتكلم : يا أمير المؤمنين صدقت وكذبت أنا ، ولكن هذا الوالي الذي ارتضيت دينه وأمانته وعدله وإنصافه ، كيف خصصتنا به هذه السنين دون سائر البلاد حتى يشملهم من إنصافه وعدله مثل الذي شملنا ؟! فلم يجد المأمون جوابا على ذلك إلا *بعزل الوالي* .

قـــالوا في الحشـــرات

بقلم : حسن سعيد الكرمي

قالوا : إن أطول ليل ليل المحبين ، وما علموا أن هناك ليلاً أطول منه هو : ليل تصحبك فيه البراغيث والبق والبعوض ! .

هذه الهوام بلاء على الإنسان ، يتتابعه عقابا على خروجه من البداوة إلى الحضارة . ولكل طور من أطوار العيش على الأرض آفاته . وأسماؤ ها جميعها مبدوءة بحرف الباء ، وقد قالوا عنها : إنها الباءات الثلاث . ويضعون البعوض مكان البرغش ، أو البرغش مكان البعوض ، فقال أبو الحسن المقدسي :

ثلاث بـاءات بليـنـا بهـا البـق والبـرغـوث والبـرغش
ثـلاثـةٌ أوحش مـا في الـورى ولسـت أدري أيهـا أوحش

وذكر أبو شرف القيرواني الذباب بدلاً من البق ، فقال :

لـك منـزل كملـت ستـارتـه لنـا للهـو لكـن تحـت ذاك حـديـث
غنّى الـذبـاب وظـلّ يـزمـر حـولـه فيـه البعـوض ويـرقص البـرغـوث

وللشاعر الفلسطيني نزار أبو السعود ثلاثة أبيات في هذا المعنى . وكان قد قضى ليلة في « القشلة » ، وهي قلعة القدس ، وذكر فيها مرقصا في القدس اسمه بريستول :

بتنـا بقشلتكـم والـدّنُصُ حـاضـرنـا فخلت نفسي في أرض البـريستـول
إن قـام يـرقص بـرغـوث بسـاحتهـا غنّ البعـوض لـه طيب الأقـاويـل
نصـارع البـق فيـهـا دائـما أبـدا فـلا تـرى غـير قتّـالٍ ومَـقـتـولِ

وفي كتاب « الأوراق » للصولي قصيدة في البق والبراغيث والبرغش لأحمد بن يوسف قال فيها :

قَـدْ مُـنِـيـنَـا بِهـنـاتٍ هُـنَّ مِـنْ شَـرِّ الهَـنـاتِ
نـافـراتٍ آمـراتٍ قـلـقـاتٍ مـقـلـقـاتِ
سـافـكـاتٍ لـدمـاء النـاس مـنـهـا شـاربـاتِ
مـعـنـا في الـفُـرش والـقمص عـنـيـنـا واثـبـات
بـاسـطـاتٍ بـاحـثـاتٍ صـائـداتٍ قـاتـلاتِ
تخضب الأصبـعَ والثـوبَ دمـاً مـن دامـيـات

هذا عن البق ويقول عن البرغش :

ومـنـيـنـا بهـنـاتٍ واقـعـاتٍ طـائـرات
جـارحـاتٍ داخـلاتٍ مُـسْـهـراتٍ سـاهـراتِ

زامـراتٍ لـك بـالتسهيد ... في وقـتِ السـبـاتِ
مـن لحـوم في دمـاء ... وارداتٍ شـاربـات
بـخـراطـيـم مـدلاةٍ ... طـوالٍ جـارحـاتِ
طعنهـا أنفـذ في الأبـدانِ ... مـن طـعْـنِ الـكُـمَـاةِ

ثم يقول عن البرغوث :

ومـنـيـنـا بـصـغـارٍ ... لابـسـاتٍ آثـرات
بـجـلـودٍ لاصـقـاتٍ ... عـن قـلـوب ثـاقـبـاتِ
بـالغـاتٍ حيث لا تبلغ ... أيـدي الـلامـسـاتِ
لا ولايـدركـهـا لَحْظُ ... عـيـون الـنـاظـراتِ

والقصيدة طويلة . ورأيت لأحدهم قوله :

ليـل البـراغيث والبعـوض ... ليـل طـويـل بلا غمـوض
فـذاك يـنـزو بـغـيـر رقص ... وذا يُـغـنـي بـلا عـروض

وقال أحمد بن أيوب من شعراء اليتيمة :

لا أعـذلِ الليـل في تـطاولـه ... لو كان يدري ما نحن فيه نَقَصْ
لي والبـراغيثَ والبعـوضَ إذا ... أجَنَّنَـا جِندسُ الليـل قِصَصْ
إذا تَغَنَّى بـعـوضَـةٌ طـربـاً ... أطْـرَبَ برغـوثَه الغِنَـا فرَقَصْ

وقالوا في البق وحده وفي البراغيث وحدها وفي البعوض وحده إلى غير ذلك .
ورأيت لأعرابي نام ليلة في المدينة :

ليـل البـراغيث أعيـاني وأنصبني ... لابـارك الله في ليـل البـراغيـث
كـأنهن وجـلدي إذ خـلون بـه ... أيتـام سـوء أغـاروا في المـواريث

ويقول أبو الرماح الأزدي في البرغوث :

تـطاول في الفسـطاط ليـلي ولم يكن ... بـوادي الغضـا ليـلي عَـلَيَّ يـطولُ
تُـؤرِّقُـنِي حُـدْبٌ قِـصَـارٌ أذلـةٌ ... وإنَّ الـذي يـؤذيـنـه لـذلـيـلُ
إذا جُلتُ بعضَ الليـل منهن جـولـةً ... تـعلّقن في رجـلـيَّ حيـث أجُـولُ
ألاَ لـيـت شـعـري هـل أبيـتنّ لـيلة ... ولـيس لـبـرغـوث عَـلَيَّ سـبـيـلُ

ويقول ابن أيبك الصفدي في البراغيث :

أشـكـو إلى الـرحمن مـا نـابـني ... من البـراغيث الخِفَـافِ الثِّقَـالْ
تـعـصـبـوا بـالـلـيـل لَمـا دروا ... أني تَـقَـنَّـعْـتُ بـطـيـفِ الخَـيَـال

وألغز مجد الدين أبو الميمون الكناني في البراغيث فقال :

ومعشـرٍ يستـحـلّ النـاس قتلهـم ... كما استحلّوا دَمَ الحجاج في الحرمِ
إذا سفكت دمـا منهم فـما سفكت ... يـداي من دمـه المسـفـوك غـير دمي

وقال الحسن بن سكرة الهاشمي في صديق له يعرف بابن برغوث :

بُليت ولكن لاأقول بمن لأنّي ... متى ما قلت من هو يعشقوه
حبيب قد نفى عني رُقادي ... فإنْ أغمضت أيقظني أبوه

وقال السُّمَيْسَر في البعوض :

بعوض شربن دمي قهوة ... وَغنَّيْنَني بضروب الأغانْ
كأنَّ عروقيَ أوتارهنّ ... وجسمي الرَّباب وهنّ القيانْ

وقال ابن رشيق القيرواني :

مالي بعثتَ إليّ ألف بعوضة ... وبعثتَ واحدة إلى النمروذ
يارب لاأقوى على دفع الأذى ... وبك استعنتُ على الضعيف الموذي

والضعيف الموذي هو البعوض ، وكانوا يحتقرون البعوض ، كما قال أبو الفتح البُستي :

لا تَسْتَخِفَّنْ بالفتى بعداوة ... أبدا وإنْ كان العدو ضئيلا
إنّ القَذَى يُؤذي العيون قليله ... ولربما جرح البعوض الفيلا

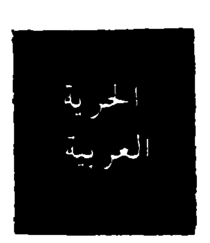
ويقول محمد بن العباس الخوارزمي في الوزير أبي القاسم المزَني لمّا قبض عليه :

لا تعجبوا من صيد صعو بازيا ... إن الأسود تُصادُ بالخرفان
قد غرّقَتْ أملاكَ حميَرَ فأرةٌ ... وبعوضةٌ قتلت بني كنعان

وفي هذا إشارة إلى قول عُمارة اليمني :

ولا تحتقر كيد الضعيف فربما ... تموت الأفاعي من سموم العقارب
فَقَدْ هَدَّ قدْماً عرشَ بلقيس هدهدٌ ... وخرَّبَ فأرٌ قبل ذا سدّ مأرب

والعرب يحتقرون البعوضة ، كما ذكرنا ، والعوام يسمونها (ناموسة) . ومن قولهم في احتقارها في المثل : « ناموسة هدت على قرن جاموسة » . ويحتقرون أيضا البقة ، وفي حديث لعلي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ : « وما ابن آدم ، تؤلمه بقة ، وتنتِنُه عَرقة ، وتقتله شرقة » . □



● إن عالمنا عالم من جملة عوالم يتركب منها كوكبنا ، ولقد هبت فيه اليوم ريح الحرية ، فعلينا أن نهيىء لها ، وأن نحسن تقبلها . فالمجتمع العربي يحفل بدعوة متجددة إلى الحرية ، ولذا توجب علينا أن نعمق طرح القضية على مستوى الوعي والضمير ، وأن نصرح علنا أنها أصبحت أولى وأهم قضايا الوطن العربي .

هشام جميط



في الهجرة اليهودية إلى فلسطين

بقلم : الدكتور أسعد عبدالرحمن

تفجرت هجرة اليهود السوفيت إلى أرض فلسطين المحتلة . لتمثل إضافة جديدة ونوعية « جريمة العصر » القائمة التي ينقل فيها شعب ليحل محل شعب آخر . ويستولي على أراضيه ومزارعه وبيوته

والقضية ليست مجرد اعتداء على حق شعب من الشعوب . وحرمانه من العيش على أرضه فقط . ولا مجرد انتهاك للقوانين والمعاهدات الدولية فحسب . بل هي استهانة بكل القيم والعقول أيضا ، وخرق فاضح لحقوق الإنسان .

في واحدة من أكثر المناورات السياسية افتضاحا لعبت القوى الكبرى لعبة تهجير اليهود السوفيت إلى أراضي فلسطين المحتلة .

فقد مارست الإدارة الأمريكية والإدارة الأوربية الغربية ضغوطا سياسية على الاتحاد السوفيتي . وساومته سياسيا على ضرورة إثبات حسن نواياه نحو الوفاق بإطلاق حرية هجرة اليهود السوفيت . وبعد أن أعلن الاتحاد السوفيتي ذلك بادرت الولايات المتحدة ، ممثلة في الكونجرس الأمريكي ، باتخاذ قرار يحد من دخول اليهود السوفيت إليها . لكي ... المهاجرين للتوجه قسرا إلى فلسطين ... واستثنى القرار الأمريكي من المهاجرين ... كان له أبناء في الولايات المتحدة ... الذين لا يحتاجهم الكيان « الإسرائيلي » لا في بناء المستوطنات ولا في كتائب ... وبدأت « مكينة » الإعلام ... ومؤسسات الكيان الصهيوني ...

عن عمد لتوطين هؤلاء المهاجرين الجدد ، مكان العرب أصحاب الارض والوطن ، متجاهلة بذلك كل قوانين المجتمع الدولي ، وكل الاتفاقات الدولية . ويبدو التناقض أكثر ما يكون وضوحا في موقف أطراف اللعبة كلها ، فالولايات المتحدة تزعم أنها نصيرة للحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان ، في الوقت الذي تتحيز فيه [illegible] حقوق الانسان ، و[illegible] شلهم

ويبدو أن حقوق الانسان للفلسطيني والعربي لا [illegible] هذه الاهتمامات . والاتحاد السوفييتي يسمح لليهود بالهجرة من قبيل احترام حقوق الانسان ، ولكنه يتغاضى عن أن هذه الهجرة ليست حرة ، وأنها مخططة لكي يجبر الانسان على الذهاب قسرا إلى الكيان الصهيوني . و«اسرائيل» تقول ان اليهود السوفييت كانوا مضطهدين ومستهدفين من حملة معادية للسامية في الاتحاد السوفييتي ، ولكنهم لا يعترفون بحق الإنسان المضطهد في اختيار المكان الذي يهاجر إليه

إن هذه اللعبة يدفعنا الى الذهول والغضب والتشكيك بمواقف القوى المشاركة فيه ، وبخاصة الولايات المتحدة الامريكية ، التي لا تعادي [illegible] حقوق المشروعة للامة



العرب ، وإنما أيضا لأنها تزعم بأنها قلعة الحرية والديمقراطية ، وأنها تدافع عن حقوق الإنسان ، وأنها تريد إقامة سلام دائم عادل في منطقتنا ، وأنها تعادي التوسعية « الاسرائيلية » . وها قد جاءت مناسبة جديدة « حرصت » فيها الولايات المتحدة على إظهار موقفها المعادي للعرب ولقضيتهم المركزية ، قضية فلسطين ، ونقصد بذلك مناسبة هجرة يهود الاتحاد السوفيتي إلى الأراضي الفلسطينية . وواضح الآن أن لموضوع هجرة يهود الاتحاد السوفيتي جانبين : جانب سياسي نختم به ، وجانب رقمي نبدأ به . فماذا عن « حكاية » الأرقام والقوانين الأمريكية المنظمة لحركة الهجرة إلى الولايات المتحدة ، وبخاصة حركة الهجرة اليهودية ؟

بدايات تاريخية

بدأت القيود الرسمية الأمريكية على الهجرة في عام ١٨٨٢ ، وقد جاءت هذه القيود على شكل موجات قانونية مانعة أو مقيدة . وبالإضافة إلى قانون ١٨٨٢ توالت القوانين الكابحة ، في أعوام ١٩١٧ و ١٩٢١ و ١٩٢٤ . ومنذ عام ١٩٢١ ، بدأ السماح بالهجرة إلى الولايات المتحدة ، وفق نظام الحصة أو « الكوتا » ، وعلى أساس الجنسية والأصل العرقي ، بعد أن كان مستنداً إلى شخصية المهاجر وكفاءته . وقد خصص لكل قومية ٣٪ من مجموع الأمريكيين من أبناء تلك القومية ، وفقاً للإحصاء السكاني لعام ١٩١٠ ، مما جعل *الأمر ينطوي على تمييز قومي لصالح سكان شمال أوربا وغربها . ثم إن قانون ١٩٢٤ عاد فقلص النسبة المئوية إلى (٢٪) من جهة ، واستخدم الإحصاء السكاني لعام ١٨٩٠ من جهة ثانية ، الأمر الذي عنى مزيدا من التمييز لصالح القوميات في الشمال والغرب الأوربيين ، لأن* نسبتهم كانت (٨٥,٦٪) من مجموع المقبولين للهجرة سنويا ، البالغ عددهم (١٦٤,٦٦٧) مهاجرا ، وسرعان ما أفرز قانون ١٩٢٤ « خطة الأصول القومية » التي أصبحت نافذة المفعول عمليا ابتداء من ١٩٢٩/٧/١ . ووفقا لهذه الخطة ، فإن الحصص كانت تحتسب على أساس التركيب القومي لمجموع الشعب الأمريكي ، كما كان عليه في عام ١٩٢٠ ، ضمن سقف هجرة بلغ (١٥٠,٠٠٠) مهاجر إلى الولايات المتحدة سنويا . على أن يكون لكل قومية نسبة من هذا ، تعادل نسبتها إلى مجموع الشعب الأمريكي الذي بلغ (٩٤) مليونا في عام ١٩٢٠ . وكانت محصلة هذا « النظام الجديد » تخصيص (٨١٪) من مجموع الحصص لشمال أوربا وغربها ، و (١٦٪) لجنوب أوربا وشرقها ، والبقية لغير الأوربيين ! ولأن هذا « النظام » عنصري على نحو واضح وقاطع ، فإنه سرعان ما أثار معارضة ونقمة لدى جميع الأقليات « غير المحظوظة » ، أي تلك التي لا تنتمي إلى أصحاب « الدم الأزرق » من الأنجلو ساكسون ، على الرغم من أنه يجمعها معا « وطن واحد » ، هو الوطن الأمريكي - القلعة الحصينة للديمقراطية ! - والذي يطل عليه تمثال الحرية الشهير !

أكثرهم حظا

انعكس هذا الوضع العنصري النزعة - في موضوع الهجرة - على الأقليات اليهودية في الأقطار الأوربية المختلفة ، فاليهودي المواطن في انجلترا وايرلندا مثلا كان محظوظا أكثر من *اليهودي المقيم في تشيكوسلوفاكيا أو في ألمانيا أو هنغاريا أو لاتفيا أو بولندا أو رومانيا أو روسيا .*

ولأن عدد البريطانيين والايرلنديين المسموح لهم بالهجرة إلى الولايات المتحدة وفقا لذلك « النظام » بلغ (٦٥,٧٢١) مهاجرا في عام ١٩٣٣ مقابل (٢,٨٧٤) تشيكوسلوفاكيا ، و (٢٧,٣٧٠) ألمانيا ، و (٨٦٩) مجريّا ،



● يهود سوفييت عند وصولهم إلى مطار « بن غوريون » في فلسطين المحتلة

مغالطات وتناقضات

تؤكد الأدبيات الرسمية الأمريكية أنه منذ ١٩٥٠ فإن الإدارات الأمريكية المختلفة ، مع مجالس الكونغرس المتعاقبة ، كانت تضع باستمرار سقفين لنوعين من الهجرة . أما النوع الأول ، وسقفه نصف مليون مهاجر سنويا ، فإنه يختص بالمهاجرين العاديين . ويختص النوع الثاني بالمهاجرين « اللاجئين » وسقفهم (١٢٥,٠٠٠) مهاجر سنويا ، يأتون من شتى لاجئي بقاع العالم . ولطالما عاملت الولايات المتحدة يهود الاتحاد السوفيتي ، في سنوات الحرب الباردة ، بوصفهم مهاجرين لاجئين .

وفي هذا الصدد ، ومن أصل (١٢٥,٠٠٠) لاجيء مسموح بدخولهم إلى الولايات المتحدة سنويا ، سمحت الادارة الأمريكية في عام ١٩٨٧ مثلا بهجرة (١٨,٠٠٠) لاجيء سوفيتي ، ثم ارتفع هذا الرقم في عام ١٩٨٨ إلى (٤٠,٠٠٠) لاجيء سوفيتي ، ثم الى (٥٠,٠٠٠) لاجيء روسي في عام ١٩٨٩ ، علما بأن الأغلبية الساحقة لهؤلاء اللاجئين في السنوات المذكورة هي من اليهود . تشير المصادر الأمريكية إلى أن إدارة الرئيس بوش تحاول رفع سقف تلك الهجرة السوفيتية اللاجئة إلى (٨٠,٠٠٠) في عام ١٩٩٠ . إذن ، ليس القول دقيقا أن الادارة الأمريكية قد أغلقت أبوابها أمام الهجرة اليهودية ، أو أنها خفضت سقف الهجرة اليهودية السوفيتية إليها ، وإنما الأمر الصحيح الدقيق هو أن الولايات المتحدة رفعت سقف تلك الهجرة ، وربما رفعته أكثر هذا العام . ا على صعيد الأرقام العادية التي لا يختلف أحد مع الولايات المتحدة حولها .

لكن الخلاف يتأتى من الموقف السياسي الذي تضع الولايات المتحدة نفسها فيه . ومن هنا ، يأتي الباطل إلى موقفها ، ومن هنا يأتي انتقادنا لها ، فماذا عن الموقف السياسي الأمريكي الذي

و (٢٣٦) لاتفيا ، و (٦,٥٢٤) بولنديا ، و (٣٧٧) رومانيا و (٢,٧١٢) روسيا ، فإن اليهود « الأنجلوساكسون » كانوا محظوظين بما لا يقارن . وهذا هو السبب الرئيس لهجرة يهود أوربا الشرقية إلى فلسطين ، بدلا من الولايات المتحدة ، وبخاصة البولنديين منهم ، فقد كانت هنالك « جالية يهودية » ، قوامها في عام ١٩٣٣ (٣,٠٥٠,٠٠٠) مليون يهودي بولندي ، مقابل (٣٣٠,٠٠٠) يهودي بريطاني وايرلندي ، و (٣٦٠,٠٠٠) يهودي تشيكوسلوفاكي و (٥٥٠,٠٠٠) يهودي ألماني ، و (٥٠٠,٠٠٠) يهودي مجري . و (٩٥,٠٠٠) يهودي لاتفي ، و (٩٠٠,٠٠٠) يهودي روماني ، و (٢,٧٥٠,٠٠٠) يهودي روسي . وفي هذا السياق ، لولا القوانين السوفيتية الكابحة للهجرة يومئذ ، لكان طوفان يهود الاتحاد السوفيتي قد غمر فلسطين ، كما حدث مع يهود بولندا في الثلاثينيات والأربعينيات . وفي هذا السياق ، يجدر التنويه بأن عدد المهاجرين اليهود الأوربيين إلى الولايات المتحدة ، طوال فترة (١٩٣٣ - ١٩٤٣) بلغ (١٧٠,٨٨٣) ، مقابل (٢٣٢,٥٢٤) غزوا فلسطين في الفترة نفسها . هذا في الماضي ، فماذا عن الحاضر ؟

نعيب عليه في موضوع هجرة يهود الاتحاد السوفيتي ؟

حقوق أي إنسان ؟

لقد تمزقت شبكات عيوننا ونحن نقرأ المرافعة الأمريكية المستمرة حول حق الإنسان اليهودي في الهجرة ، بعيدا عن سجن « الستار الحديدي » عموما ، والستار الحديدي السوفيتي خصوصا . وتمزقت طبلات آذاننا ونحن نستمع إلى الصراخ الأمريكي حول حق الإنسان اليهودي في الهجرة من معتقل كبير ، اسمه الاتحاد السوفيتي ، وعلى مدى سنوات الحرب الباردة ، وخصوصا في عصر الهوس الريغاني ،

ازداد ضجيج تلك المرافعة ، وذلك الصراخ المعيب ، وبمضامين معيبة للمضامين الأخلاقية الأمريكية المعلنة ، وعلى الأخص عندما تقلصت ـ أمريكيا ـ حقوق الإنسان ، وتقزمت ، فغدت مساوية ومطابقة لحق الإنسان اليهودي في الهجرة من الاتحاد السوفيتي تحديدا !!! ثم جاء ما يعيب الموقف الأمريكي أكثر ، عندما أصرت الولايات المتحدة على ضرورة أن يتقدم الراغب في الهجرة بطلبه إلى القنصلية الأمريكية من موسكو ، وليس من أي بلد أوربي آخر ، وعندما ظلت الزيادة في عدد اليهود الممنوحين سمات هجرة إلى الولايات المتحدة ، ضمن حدود السنوات السابقة ، دون أن تأخذ بعين الاعتبار حقيقة فتح الاتحاد السوفتي الأبواب على مصاريعها أمام هجرة اليهود منه إلى الخارج ، انسجاما منه ـ كي لا نقول خضوعا منه ـ مع الرغبات الأمريكية القوية ، كي لا نقول خضوعا منه أمام الضغوط الأمريكية القوية !! ثم ازداد مقدار العيب في الموقف الأمريكي ، وبلغ حدود إذلال العرب وإهانتهم ـ ليس فقط عندما رفض وزير الخارجية الأمريكية قبل أيام من زيارته الأخيرة للاتحاد السوفيتي التوقيع على بيان ضد توطين « اليهود السوفيت » في الأراضي الفلسطينية المحتلة ١٩٦٧ ، وإنما أيضا عندما أعلن الرئيس الأمريكي ـ لا فُضَّ فُوه ـ عن ضرورة استمرار هجرة أولئك اليهود إلى « اسرائيل » ، وعبر خط مباشر ، يجب على الاتحاد السوفيتي أن يقيمه مع الدولة الصهيونية !!!

سياسة عنصرية

أي سياسة عنصرية تلك !! سياسة تتحدث عن حق يهود العالم في الهجرة من أوطانهم القومية ، لكن ليس إلى الولايات المتحدة إلا بنزر قليل ؟ سياسة تتحدث عن حقوق الإنسان اليهودي دون أي مراعاة لحقوق الإنسان العربي عموما ، والفلسطيني خصوصا ! سياسة تتحدث لفظيا عن رفض فكرة « اسرائيل الكبرى » ، وتمارس عمليا تجسيد تلك الفكرة على أرض الواقع !! سياسة تتحدث عن « الحقوق السياسية المشروعة » للفلسطينيين ، مع ممارسات متزامنة تقضي على تلك الحقوق وإمكانيات إحقاقها من خلال جعل الأبواب مشرعة أمام تهجير الفلسطيبيين ، وطردهم من أراضيهم !!! سياسة تتحدث عن السلام وضرورة إقامته في المنطقة ، مع ممارسات عملية تشجع على مزيد من الغزو اليهودي ، وتشجع من ثم على المزيد من الاحتقان السكاني اليهودي المصهين ، وتشجع بالتالي على مضائية التوسع « الاسرائيلي » المفتوحة اليوم على حساب ما تبقى من الأراضي المحتلة ١٩٦٧ ، وغدا على حساب الأراضي العربية المحيطة !!! □

● إن الله ينصر الدولة العادلة ولو كانت كافرة ، ولاينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة

«ابن تيمية»

دور البحر في تخفيض تركيز النفايات الصناعية



بقلم : الدكتور عادل عوض *

تحولت قضية التلوث في الفترة الأخيرة الى قضية عالمية . وأصبح الدفاع عن البيئة كناية عن الدفاع عن حق البشرية في العيش بسلام . والمقال التالي يطرح وجهة نظر خاصة في التلوث ، ودور البحر في التخفيف من النفايات الصناعية التي تلقى فيه .

تعمد كثير من دول العالم المتقدمة لاستخدام الوسط البحري مقلبا لنفايات الصرف الصحي ، مستفيدة من آلية عمل البحر بتياراته ورياحه وأمواجه ، لتخفيف تركيزها وبعثرتها . والنفايات الملقاة في مياه البحر بشكل رئيس هي نفايات الصرف الصحي المدينية ، من خلال المصبات البحرية ، إلا أن هذه الدول لا ترمي نفاياتها في مياه البحر مالم تقم بمعالجتها بالشكل الملائم .

أما النفايات الأخرى ، غير القابلة للهضم (النفايات الصناعية) ، أو التي يحتاج هضمها إلى مدة طويلة ، كمركبات المبيدات الزراعية ، ومركبات الكلور العضوية ، أو نفايات المواد المشعة التي تشكل تأثيرات سلبية ضارة بالنظام الايكولوجي (البيئي) كله، فإن جميع هذه الدول متفقة على منع استخدام الوسط البحري مقلبا لها ، نظرا لخطورة تراكم تأثيراتها مع الزمن ، ولتسببها في القضاء على الحياة

* رئيس قسم الهندسة البيئية بكلية الهندسة المدنيّة ، بجامعة تشرين - سوريا

البحرية .

لـو كان لـدينا مجموعة كبيـرة من النفايـات الصنـاعيـة ، ذات الـطبيعـة السـامـة،والهضم العضـوي المعقـد أو المستحيـل ، كمـركبـات المبيدات الزراعية ، وبقايا الأصباغ والبقايا التي تحتوي على مركب السيانيد الناتجة عن صناعات « الغلفنـة » ، وهي من أخطر أنـواع النفايـات الصناعية ، ثم قمنا بإلقاء هـذه النفايات السامة في مياه البحر ، دون أن تتم معـالجتها ، فمـاذا سيكون مصيرها ؟ وكيف ستتعا ' مياه البحر مع هـذه الملوثـات التي صبت بطريقـة مـرفـوضـة أصلا ؟

يبعثر البحر عادة أي كتلة غير صلبة ألقيت في مياهـه بأنواع مختلفة من التأثيرات هي (الشكل رقم ١) :

* التيـارات الـدوامـة المحليـة ، والتيـارات الساحلية ، وتقوم التيارات بـالمهمة الـرئيسة في عمليات انتشار الملوثات وتخفيف تركيزها .
* الأمواج ، وتحقق خلط كتلة الملوثات ونقلهـا من مكان إلى آخر .
* الـريـاح السـطحية : تجـرف المـواد الـطافيـة كالزيوت فوق سطح البحر .

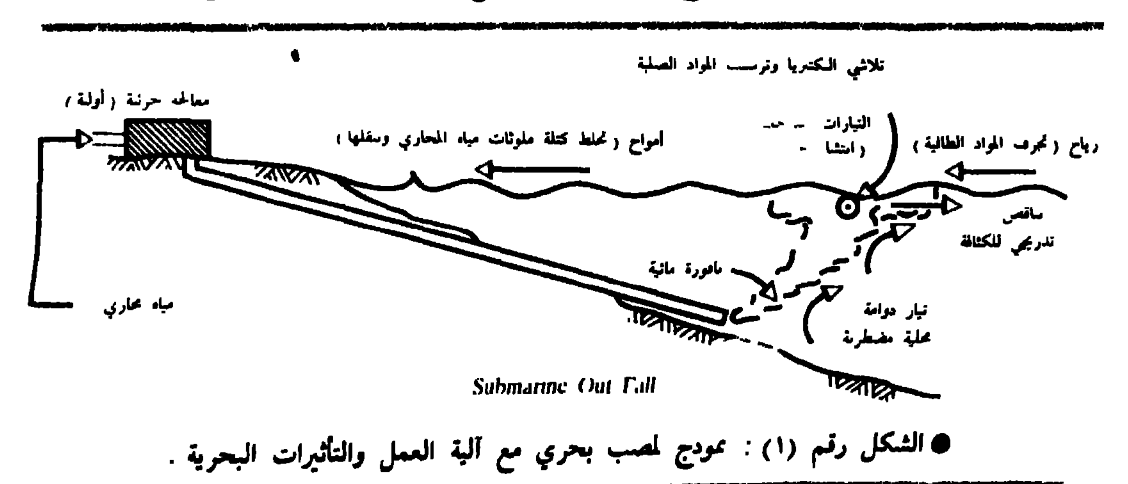
البحر مقلب للنفايات

وإذا اعتبرنا بالمقاييس الكبيرة فترات التجدد لمجمل محتويات المياه ، في مختلف أنواع المصادر المائية التي تساوي نظريـا مخزون المصـدر بالمـتر المكعب ، مقسوما على الغزارة الوسطيـة للمياه التي تصب في هذا المصدر بالمتر المكعب في اليوم أو الأسبوع أو الشهر ، فإن هـذه المدة في البحر ، تبعا للمقاييس الأمنية الجيولوجية ، تعد كبيرة إلى حد كبير ، ويبين حساب الاحتمـال تجدد ميـاه البحـر الأبيض المتوسط مـره كـل (٧٥ ـ ٨٥) سنة . وهذا يعني نظريا أن عملية تجدد مياه البحر لا تتأثر بوجود المواد الملوثة غير القابلة للهضم في البحر ، أي أن هـذه المواد لا تعيق عملية التجدد هـذه . ولكن هذا لا يعني أبدا أن نسمح بإلقاء النفايات والمواد غير القابلة للهصم البيولوجي في مياه البحر ، لأن تراكمها مع الزمن يؤثر تأثيرا سلبيا مدمرا على البيئة البحرية .

ولو افترضنا أن مجموعـة من البراميـل المليئة بالنفايات الصناعيـة تم إلقاؤ هـا في مياه البحـر الإقليمية ، في دولة ما ، فماذا سيحـل بها ؟ لا تتـوافر حتى اليـوم نماذج شـاملة لالية التيـارات البحرية ، للتنبؤ بعمليات الخلط والانتقال التي تحدث للملوثات المسوقة في وسط مائي للنحر أو المحيط ، لذلك تتم الدراسات بشكـل مجزأ في حقلين :

الحقل القريب : وهـو الحقل المـائي المجاور للملوثات .

الحقـل البعيد : وهـو الحقـل المـائي الـذي يستقبل انتشار الملوثات بعيداعن مصبها .



● الشكل رقم (١) : نموذج لمصب بحري مع آلية العمل والتأثيرات البحرية .

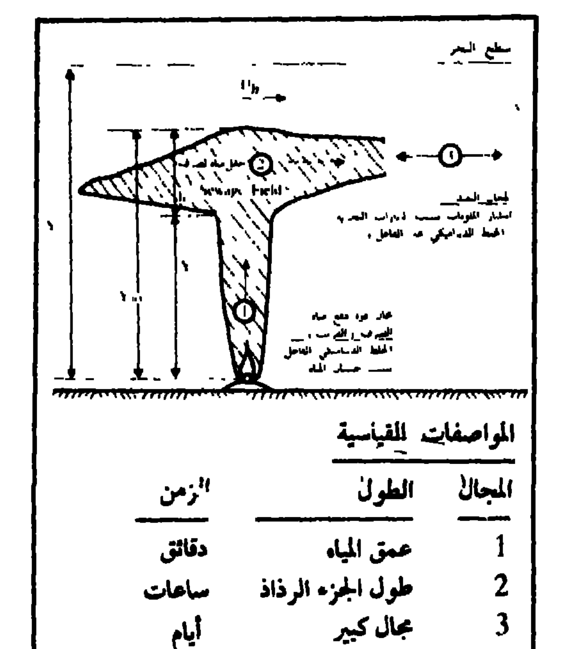
ويعتمد على طرق التكامل الرياضية لتحديد الحقل القريب ، وعلى نماذج تفاضلية ، ذات بعدين ، لتحديد الحقل البعيد .

ومن خلال التصور الهندسي الحاذق نستطيع أن نضع صورة متكاملة دقيقة ، لوضع الملوثات وانتشارها في الحقلين معا .

والشكل رقم (٢) يبين الحقول المائية وحركة انتشار الملوثات فيها .

وإذا كانت مكونات الملوثات الصناعية ذات كثافة أثقل من كثافة مياه البحر فإنها ستترسب قرب نقطة رميها في قاعه ، أما إذا كانت كثافتها أقل من كثافة مياهه ، فإنها ستأخذ بالارتفاع التدريجي على شكل نافورة ، حتى تصل إلى مستوى تصبح فيه كثافة الملوثات مساوية لكثافة الوسط البحري المحيط ، وعندئذ تقف كتلة الملوثات ، وتشكل طبقة حيادية ، وتسير عملية ارتفاع الملوثات بالصورة التي شرحناها ، إذا كانت مياه الوسط البحري غير متجانسة الكثافة (حقل ٢ شكل ٢) . أما إذا كانت متجانسة فإن حقل الملوثات سرعان ما يطفو فوق سطح البحر . وفي الحالتين تبدأ عمليات الانتشار الجانبية لحقل الملوثات . إن حركة الملوثات نحو الأعلى تخضع لفاعلية جيشان التيارات البحرية ، نتيجة لقوى الدفع والرفع ، وهذا الاختلاط « الديناميكي » الفعال يعمل على تشتيت الملوثات ، وبالتالي على تخفيض تركيزها ، إذ يكون مجموع الفعاليات « الديناميكية » الخاصة بالتيارات . في مجال تخفيف تركيز الملوثات في الحقل القريب تركيزا كبيراً ؛ أي أن تركيز الملوثات بسبب هذه العمليات الفيزيائية سينخفض انخفاضاً كبيراً .

أما عملية الانتشار في الحقل البعيد ، وهو الانتشار الجانبي . فإن لسرعة التيار البحري دورا مهما في هذه العملية . ومن خلال شروط الاستمرارية نستطيع أن نحدد هذه السرعة التي تمكننا من معرفة سماكة حقل الملوثات . وفي



المواصفات للقياسية

المجال	الطول	الزمن
1	عمق المياه	دقائق
2	طول الجزء الرذاذ	ساعات
3	مجال كبير	أيام

التركيز الممكن تخفيفه .

في المجال الديناميكي الفعال حتى ١٠°٢
في المجال الديناميكي غير الفعال حتى ١٠°٠

من حلال عمليات ميكانيك التيارات حتى ١٠°٢

● الشكل رقم (٢) - حركة انتشار الملوثات في الوسط البحري في المجالين القريب والبعيد .

الحالة الشاذة ـ حالة انعدام سرعة التيار البحري ـ تصبح عمليات نقل التيارات لحقل الملوثات قليلة أو معدومة ، ممايؤدى إلى زيادة كبيرة فى سماكة حقل الملوثات ، فى نقطة رمى الملوثات في البحر . مما يهيىء الفرصة أمام حقل الملوثات أن يمتد عموديا باتجاه الأسفل ، ليأخذ كل مساحة عمق المياه . وخير مثال على هذه الحالة : صب مياه تبريد المصانع للمحطات الحرارية أو النووية بكميات كبيرة جدا في مصادر مائية بطيئة الحركة ، قليلة الأعماق .

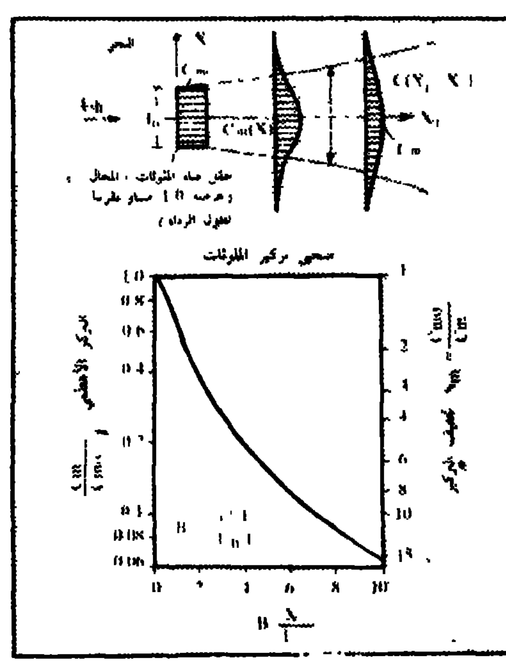
وفي حال حدوث ذلك فإنه يمكن الاطمئنان إلى أن خطر الملوثات باقٍ في المساحة المحدودة لانتشار الوسط البحري الذى تم فيه إلقاء

الملوثات ، دون أن يتجاوزها إلى أماكن أخرى .
أما الحالة الاعتيادية ، وهي حالة نشاط الانتشار الجانبي لحقل الملوثات بفعل التيارات البحرية الدوامة ، فيكون الانتشار الجانبي متحركا في الاتجاه الأفقي والاتجاه الشاقولي . والعامل المهم في تفتيت الملوثات وتشتيتها يعود إلى عامل الانتشار الجانبي الأفقي ، بينما يهمل الانتشار الشاقولي ، لأن قيمته في تفتيت الملوثات هامشية .

عوامل تخفيض التركيز

والحقيقة العلمية المهمة هنا هي أنه كلما ازدادت المسافة الأفقية لانتشار حقل الملوثات في المجال البعيد انخفضت قيمة الملوثات وأخطارها . وفي العادة تحدد مدة البقاء الصغرى لمياه المجاري الملقاة في مياه البحر على مسافة تتراوح بين (٢ ـ ١٢) كم ، التي تقودها التيارات المائية باتجاه الشاطئ في عملية ينخفض خلالها التركيز الأصلي لملوثات هذه المياه حتى ١٠٪ ، مابين (٢ ـ ١٢) ساعة . فمثلا تعطى للمحيط الباسفيكي مدة ٦ ساعات . إن العامل المهم في بعثرة الملوثات وتفتيتها وانتشارها هو عمليات الخلط والانتقال لهذه الملوثات بفعل التيارات البحرية الدوامة . ويحدد عادة الانتشار الجانبي لحقل الملوثات بمعدلات توازن الكتلة كمادة محمولة بواسطة التيارات المحيطة عبر حجم تحكم تفاضلي ثابت .

ونحن لم نذكر سوى العملية الفيزيائية البحتة ، وهي عملية خلط ونقل التيارات البحرية الدوامة لحقل الملوثات ، خلال رحلة يخف معها تركيز ملوثاتها إلى حد كبير ، دون أن نتطرق إلى العملية البيولوجية ، وهي هضم مياه البحر للملوثات التي تعني - إذا وضعناها بعين الاعتبار - تخفيضا كبيرا وإضافيا للملوثات . ومن الشكل رقم (٣) نلاحظ أنه عند نقطة تتضاعف فيها المسافة عشرة أضعاف وتكون عادة مساوية



● الشكل رقم (٣) . تخفيف تركيز الملوثات في الوسط البحري في المجال البعيد من خلال عمليات الانتقال والخلط وذلك لملوثات غير قابلة للهضم والتدوير « المصدر بروكس »

لكيلومترين (بعيدا عن مكان رمي النفايات) فإن التركيز الأعظم سيخفض تخفيضاً كبيراً . ونشير هنا إلى أن دراسة الانتشار الجانبي السابق قائمة على أساس نماذج انتشار آنية ، غير مستقرة لحقل الملوثات ، وتأخذ شكل القمع .

ولإجراء التطبيق على ما سبق نعد أن قيمة غزارة الملوثات الصناعية الملقاة في البحر معادلة لقيمة ملوثات ناتجة عن مدينة يبلغ عدد سكانها حوالي ٣٠٠ ألف شخص مكافيء،و« حسبان الشخص مكافئاً يعني التعبير عن قيمة الملوثات الصناعية بقيمة الملوثات الناتجة عن عدد معين من الأشخاص» وإذا اعتبرنا أن كثافة مياه البحر الأبيض المتوسط متجانسة وتبلغ ١٠٢٥ كغ/م٣ (وهي قيمة لقياسات بحرية أجريت في تونس) . وبنتيجة الحسابات التي قمنا بها توصلنا إلى تحديد احداثيات الحقل في المجال القريب وكانت نسبة الاختلال كبيرة .

هذا في حالة تجانس كثافة مياه البحر فإذا

اعتبرنا أن كثافة مياه البحر غير متجانسة تكون الاحداثيات السابقة ١١,٦م افقياً و ٢٤,٢ عمودياً .

وقد أكملنا الحساب في دراسة انتشار هذه الملوثات على مسافة كيلومترين من نقطة رمي الملوثات بالمجال البعيد وللوسط المتجانس نفسه . فكانت عوامل الانتشار كبيرة ، وذلك نتيجة لعمليات الخلط بسبب التيارات البحرية الدوامة وحركة الأمواج .

وكنا قد أشرنا في الشكل رقم (٣) إلى أن على مسافة كيلومترين في البحر (المجال البعيد ٣) سيخفض التركيز الأعظم للملوثات ، وهذا يعني أن دور البحر في تخفيف تركيز الملوثات في المجال البعيد في حال الملوثات غير القابلة للهضم أقل منه في تخفيف تركيز الملوثات القابلة للهضم .

وهذا يعني أنه إذا وجدت في مياه البحر تراكيز لملوثات شديدة الكثافة كالجراثيم ، فإنه بعد مسافة ١٠ كم من الانتشار القريب والبعيد للملوثات ، وبسبب عمليات الخلط الفيزيائي لتيارات البحر والأمواج فإن قيمة الملوثات الجرثومية لمياه المجاري ستتلاشي نهائيا ، وأي تركيز لملوثات صناعية لمختلف أنواع النفايات الصناعية لن يزيد عن تركيز الجراثيم في مياه المجاري بالنسبة المذكورة .

النتيجة :

إن كل ما ذكرناه يعني بالنتيجة أنه إذا ألقيت ملوثات صناعية على بعد عشرة كيلومترات في البحر فإن آثارها التلويثية ستتلاشى ، حتى لا يبقى لها أي ضرر على الصحة البشرية وصحة السابحين . أما إذا غالى البيولوجيون في تشاؤمهم ، مدعين وجود آثار تراكمية طفيفة ، لا يمكن إهمالها ولا إهمال تأثيرها على الصحة ، فالجواب الذي نقدمه بين أيديهم هو أن مياه الشرب نفسها ، حسب مواصفات منظمة الصحة العالمية ، يسمح بوجود قيم للمبيدات الزراعية (DDTمثلا) فيها ، حتى القيمة ٠,٠٠١ ملغ / ليتر ، بينما إذا وجدت القيم نفسها في مياه البحر التي لن تستخدم إلا للسباحة فإن الوضع سيكون طبيعيا جدا ، ولا يستحق أن تثار من جرائه أي مخاوف .

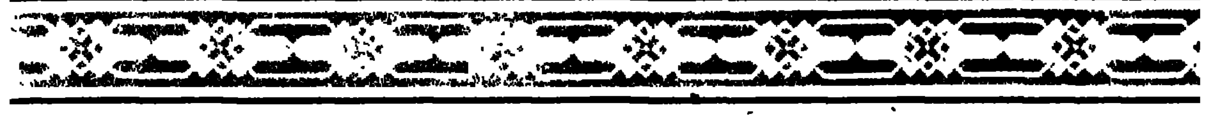
ونحن في مثالنا التطبيقي درسنا حالة شاذة هي إلقاء الملوثات الصناعية غير المعالجة في مياه البحر ، دون أن ننسى أن تقاليد اعتبار المياه البحرية مقلباً للنفايات الصناعية وما شابهها في الدول المتقدمة تقتضي معالجة هذه النفايات ، ومنع رميها في البحر حتى لا تتراكم آثارها السلبية مع مرور الزمن ، وتؤثر تأثيرا سلبيا على النظام الأيكولوجي للبحر بأكمله .□

هوية الشعب



● عندما يسألونك من أنت . تستطيع أن تبرز وثيقة ، أو جواز سفر ، يحتوي على المعلومات الأساس ، أما إذا سألوا شعبا من أنت ، فإنه سيقدم علماءه ، كتابه ، فنانيه ، موسيقييه ، رجاله السياسيين وقادته العسكريين كوثائق .

« رسول حمزاتوف »
شاعر داغستاني



البيان في أسباب نزول القرآن

بقلم : حسين أحمد أمين

قوله تعالى (أَوَ لَمَّا أَصابَتْكُم مُصِيبةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِثْلَيْها قُلْتُم أَنَّىٰ هَذَا ، قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ، إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَمَا أَصابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ) آل عمران ١٦٥ - ١٦٦ .

يرى الواحدي : أنها نزلت في هزيمة المسلمين يوم أحد ، وما أصابهم يومذاك من غمّ شديد حتى لقد نصح بعض الناس بالصلح مع المشركين والاستسلام لهم . وتساءل بعضهم من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله بالنصر ؟ بل إن النبي عليه الصلاة والسلام كان ينظر إلى المرأة تجيء بزوجها وابنها مقتولين وهي تلطم فيسأل ربه : أهكذا يُفعَل برسولك ؟ فنزلت هاتان الآيتان وغيرهما من سورة آل عمران توضح للمسلمين أن ما قد يلحقهم من هزائم أو محن هو بإذن الله ، وبسبب تقصير قد بدر منهم ، أو اختبار من الله عز وجل لدرجة إيمانهم .

ومع ذلك فقد ظل كثيرون من المسلمين من زمن النبي ﷺ إلى يومنا هذا يربطون بين الثقة في صحة دينهم وصدق الرسالة المحمدية ، وبين استمرار انتصاراتهم على أعدائهم . وقد أزعج هؤلاء بالأخص ما منوا به خلال القرنين الماضيين من هزائم متتالية على يد الفرنجة ، ووقوع معظم أقطار العالم الإسلامي في براثن الاستعمار الأوربي . وكان أن بدأت ثقتهم بأنفسهم وبالإسلام تهتز ، إذ يرون تفوق المسيحيين الغربيين في مضماريّ السلاح والحضارة ، وهو تفوق استمر حتى بعد أن نالت الأقطار الاسلامية استقلالها ، وكان منهم من لم يفهم الهزيمة الحربية على معناها الدنيوي ، وإنما عجب لما أصابه من مذلة والقرآن يقول : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » . ولما حل بهم من هزيمة ، والقرآن يقول : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » . ولو أنهم قرأوا كتاب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وهو يستعد لقتال الفرس لوجدوا فيه :

« وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم . وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، ولا تقولوا إن عدوّنا شرٌ منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا ، فرب قوم قد سُلِّط عليهم شر منهم كما سلّط على بنى



اسرائيل لمّا عملوا بمساخط الله ، كفار المجوس (فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا) .

فما كان الله إذن لينصر المسلمين بدون أدنى مزية فيهم ، سوى أنهم يعلنون كونهم مسلمين . وما كان لهم أن يتعجبوا من خذلان الله لهم بعد أن قعدوا عن العزائم التي كانت لآبائهم وغيروا ما بأنفسهم ، بل العجيب ألاّ يغير الله ما بهم وأن لا ينقل حالهم من العز والرفعة إلى الذل والضعة .

وأما ما رحل عن مجتمعنا ، فتلك العزيمة التي كانت لدى المسلمين في زمن ما لمواجهة تحديات الظروف المستجدة والبيئات المختلفه ، والتي هي الشرط الأول لتمتع أي مجتمع بالحق في البقاء على قيد الحياة بين الأمم النشطة المتوثبة حوله . وقد كان المفروض حين ووجه المجتمع الإسلامي بالتحدي الغربي أولا ، ثم بالتحدي « الإسرائيلي » ، أن يخرجه التحدي الأول من العزلة القاتلة التي فرضها عليه الحكم العثماني ، وأن يوقظه الثاني من السبات العميق الذي أغرقنا فيه الركود الفكري . وقد خلقت التحديات له مشكلة حضارية ضخمة . غير أن المشكلة لم تكن بالمستعصية على الحل ، وإنما كانت إحدى تلك المشكلات التي وصفها نيتشه بأنها إن لم تقتلنا زادتنا قوة . وقد كان بوسع أفراد هذا المجتمع أن يتضافروا على إرساء دعائم نظم اجتماعية جديدة مهتدين بالقيم التي احتضنها المجتمع البدوي في القرن السابع ، بعد توسيع مفاهيمها بحيث تشمل البيئة المغايرة التي نعيش فيها في القرن العشرين .

كان علينا أن ندرك أن الحياة هي عملية مستمرة من التكيف وفق مواقف دائمة التغير . ولن يعني هذا التكيف تنازلا أو تراجعا أو هزيمة كما يدّعي المتطرفون المتزمتون . فالمسلم قد يقرر قبول الأوضاع ، وقد يقرر مقاومة بعضه ويكون كل من قراريه من قبيل التكيف . ومعياره في هذا القبول أو هذا الرفض يحدده تفسيره الإسلامي للحياة ، ومفهومه عن السلوك . غير أنه ما كان عليه أبدا أن يتقاعس عن أداء واجبه الذي يفرض عليه اتخاذ موقف إيجابي واضح من البيئة المتطورة ، أو أن يرضى لنفسه أن ينسحب من التاريخ .

إن مجتمعنا الإسلامي اليوم مطالب بخلق أداة للتغيير الواعي وللتوجيه العلمي الرشيد ليحلا محل التغيير العفوي أو اللاشعوري . وفي اعتقادي أن من أهم واجباته أن يوفر الإجابات الواضحة الشافية عن الأسئلة التالية :

ما القيم الإسلامية الأساسية التي ينبغي أن تحكم أي اتجاه إلى التكيف والمواءمة ؟

ما طبيعة التغيرات الرئيسية التي يشهدها عالمنا المعاصر ؟ كيف يمكن مواجهة هذه التغيرات على ضوء القيم الإسلامية الأساسية ؟

ما التعديلات التي ينبغي إدخالها على القيم الأساسية من أجل ضمان كفاءة أكبر في مواجهة التغيرات ؟

ما حقائق البيئة المتغيرة التي يمكننا قبولها على ضوء القيم الإسلامية ؟ وما الحقائق التي تلزمنا تلك القيم بواجب مقاومتها ؟

* * *

لقد التقى الجمعان في زمننا هذا ، فأصابت العالم الإسلامي مصيبة هي من عند نفسه ، وبسبب تقصير منه ، يتمثل في العجز عن مواجهة تحديات العصر . □


تصدر العدد الجديد
يوليو
١٩٩٠
العربي الصغير
مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي
رئيس التحرير: د. محمد الرميحي
يشترك في تحريرها مع الفتيان والفتيات العرب
نخبة من كبار الفنانين والكتاب المتخصصين
في هذا العدد
• العم "كاسكو" يطهو فوق السحاب
"استطلاع محلي"
• تحقيق عن عالم الحمير
• عمر المختار.. مسلسل
• دعوة مفتوحة لزيارة اثينا
• امير النهر .. حكاية من السودان
• حلقة جديدة عن الزير سالم
إضافة للأبواب الثابتة
■ إسلاميات
■ كمبيوتر
■ ٨ صفحات
لأخيك الصغير واختك الصغيرة
■ دائرة معارف العربي الصغير
مسابقة العدد ٥٤



نهر الكوندو

شعر الدكتور كمال نشأت

يجري نهر « الكوندو »
منزلقاً من قمم الثلج
أبوه الغيم الرحّال المدرار
النهر الشيخ
لا يخشى الصخرَ المحدودب
منعرجات الجبل المعترضةِ
مندفعاً كالولد الأهوج
نهر « الكوندو »
شربتْ منه الأطيار
وبجانبه تنعسُ في الليل الأزهار
سبحتْ فيه نجوم « الماو »
وصبايا كن عرايا
يصرخن إذا اشتدّ التيار
لا تستصغرْ هذا الشيخ المكّار
فلديه أسرار الأس...
في الليل ...
عن ...

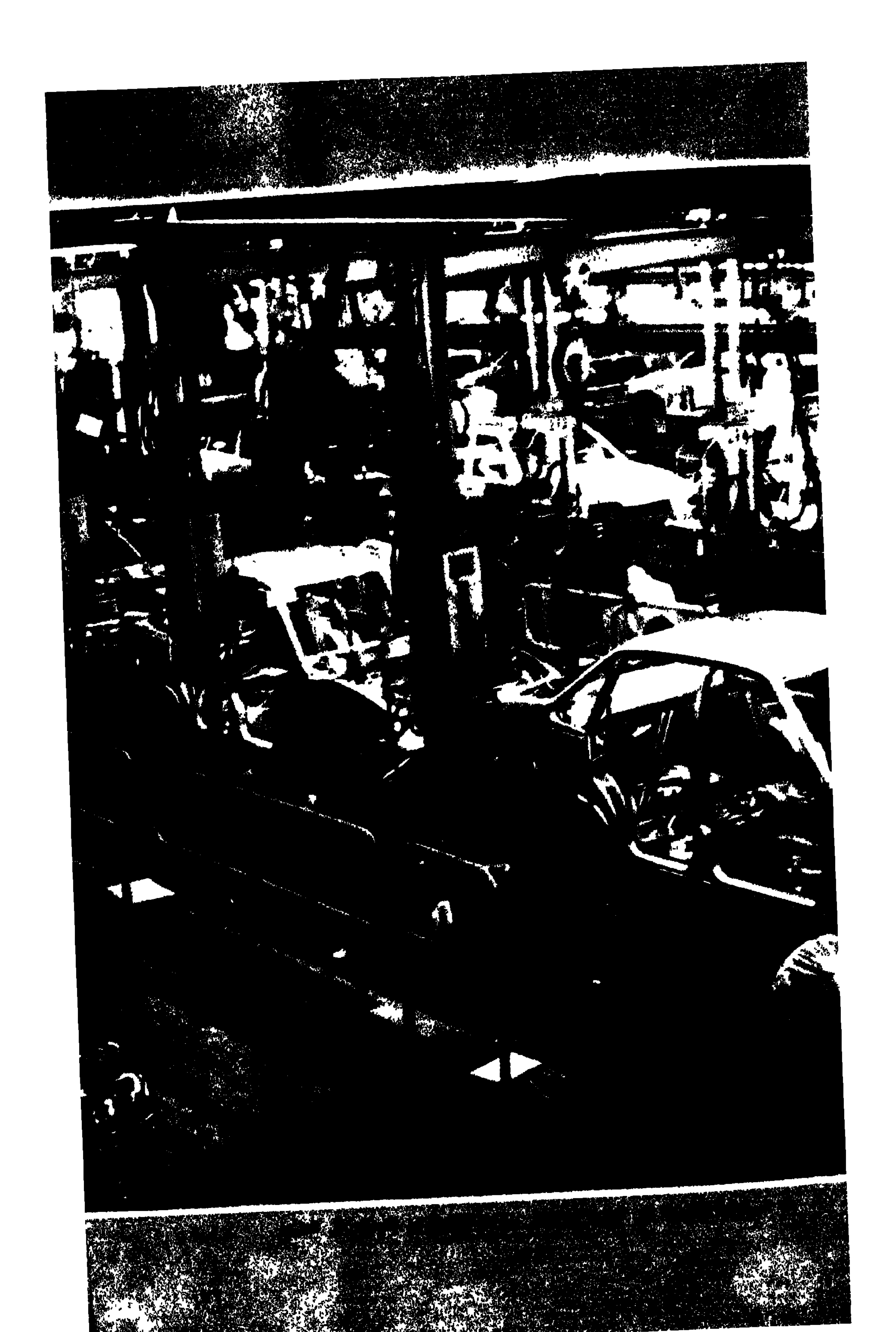
نامت فيه
عن ليل وَلّى ، ونهار
يتسلّق أغصان الأشجار
الشيخ الثرثار
ما أبرعه في التمويه
يعرف عمره
لكن يخفيه
ممتد في الأبد ...
...
لم يعرف يوماً ...
يمشي نفس الدرب ، و...
فأبوه الغيم الرحال المدرار
مندفعاً كالولد الأهوج
منزلقاً من قمم الثلج
منهمراً ، ضاحكاً ، هدّاراً



استطلاع : أنــور الياسين
تصـوير : طالب الحسني

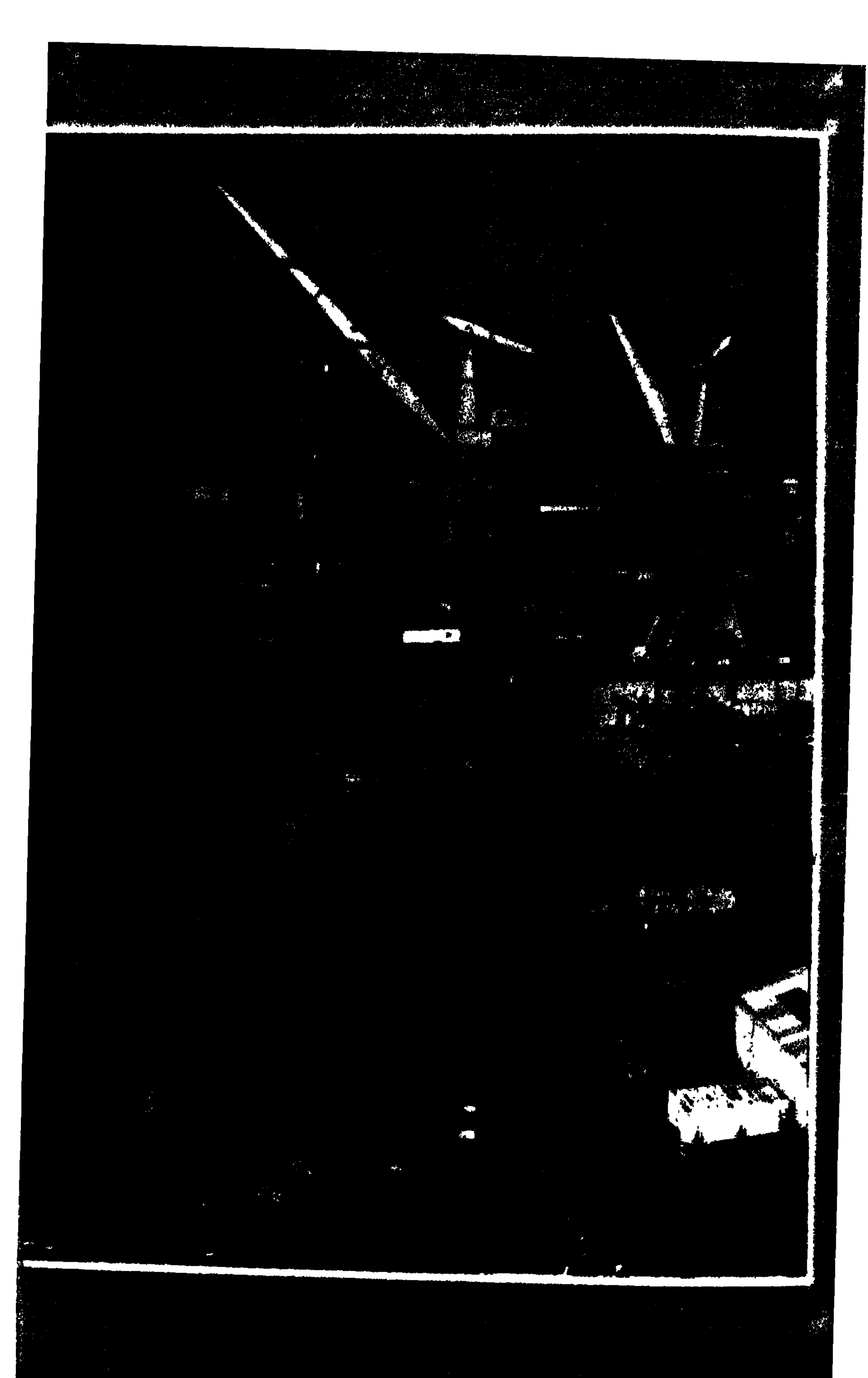
كيف يعمل الكويتيون ويلهون ؟

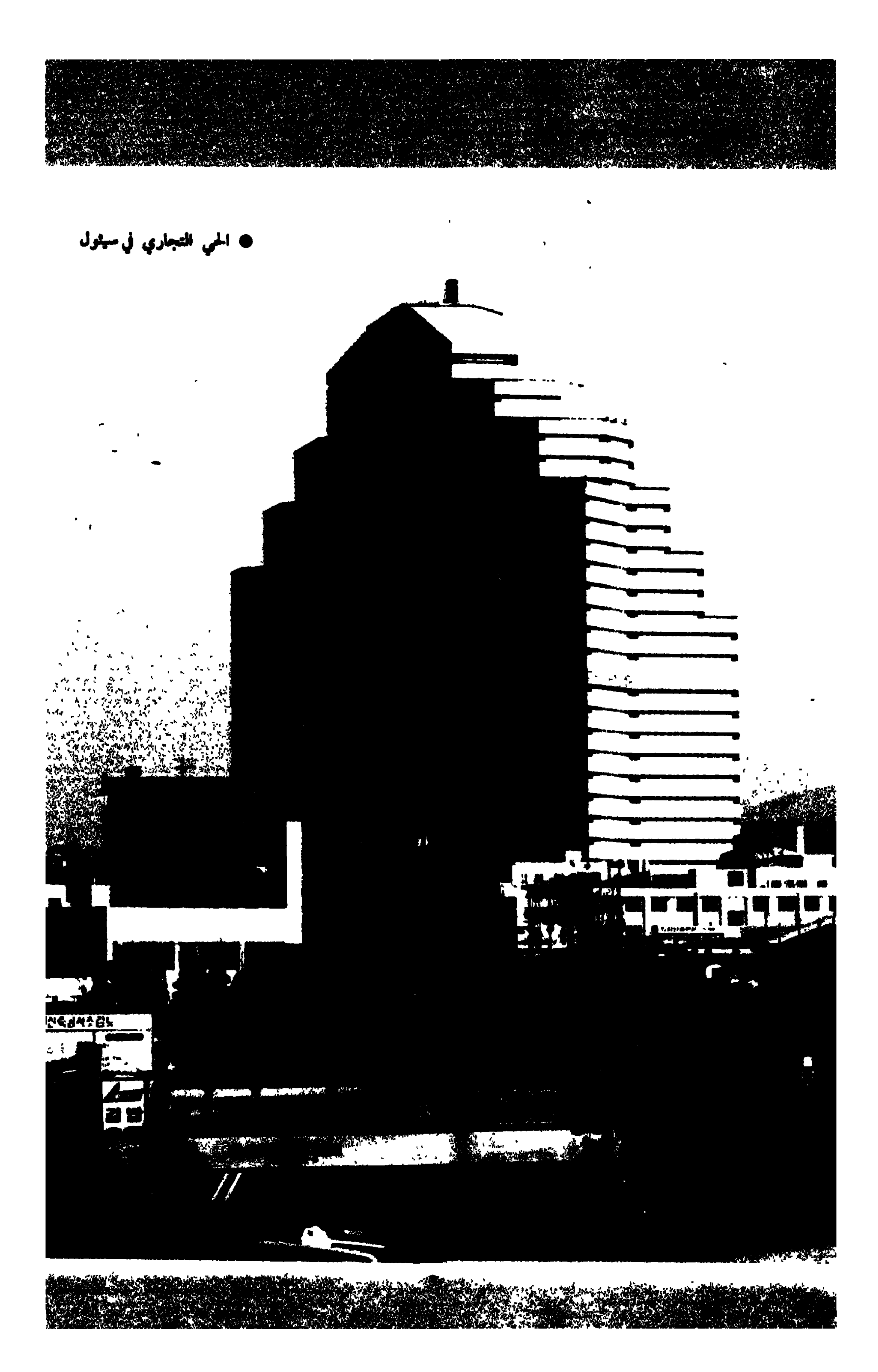






جمهورية الصين الشعبية
كوريا الشمالية
بحر اليابان
بيونغ يانغ
سيئول
سوان
اولسان
بوسان
جزيرة جيدوا





● الحي التجاري في سيئول

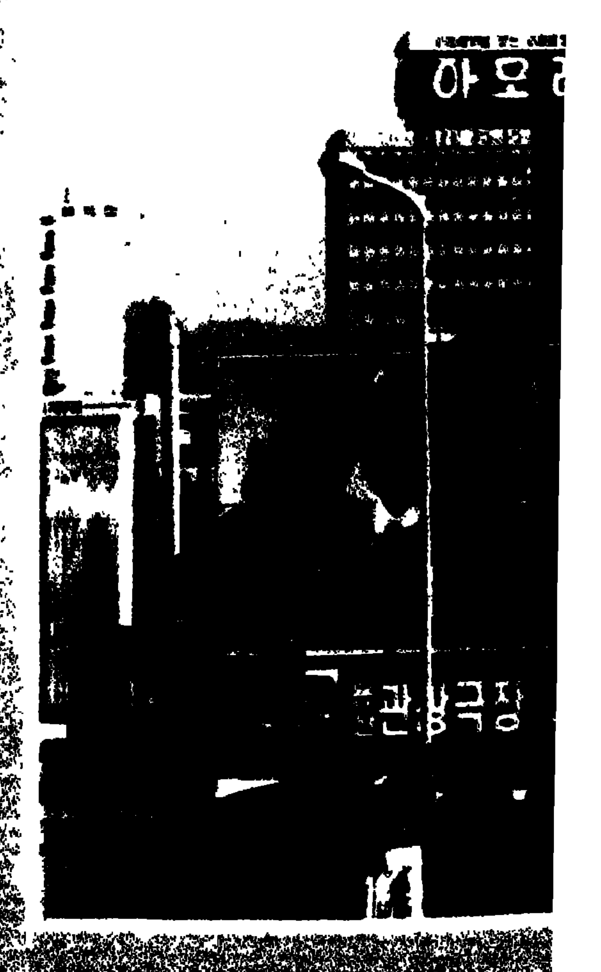


[illegible]

[illegible] الناس أن الأجور [illegible] ولكنها في الوقت نفسه [illegible] العمالية. وتظهر التقارير [illegible] الأرقام، [illegible] متوسط نصيب الفرد من [illegible] ٣٦ دولاراً أمريكياً، [illegible] المعدل السنوي للتضخم ٥٫٤٪، أي أن أسعار السلع والخدمات تتزايد سنوياً بهذه النسبة، [illegible] كما أن هناك زيادة نسبية في الأجور [illegible] ١٢ و١٦٪، أي تظل الزيادة في الأجور أعلى بقليل من معدل التآكل الحاصل بسبب التضخم.

وبنظرة سريعة فإننا نجد أن متوسط [illegible] التضخم ـ التآكل في الأجور [illegible] الاستثماري في بلدان أخرى كالتالي: [illegible] ١١٫٨٪، إيرلندا ١٠٫٧٪، [illegible] ٢٣٫٢٪، المملكة المتحدة ٦٪، [illegible] ٨٫٣٪.

ونجد أن متوسط النمو السنوي [illegible] الإجمالي في كوريا الجنوبية [illegible] ١٩٨٠-١٩٩٤ بلغ ٩٫٥٪، [illegible] ١٩٨٩-١٩٩٨ بلغ ٨٫٢٪، [illegible] ١٢٫٨٪ [illegible] في الفترة الثانية، [illegible] ٨٫٢٪ في الفترة الأولى [illegible] ٦٪ [illegible]





● الجيل الجديد من أجهز
التلفاز الملون الذي
يغزو أسواق العالم.



[illegible] - والد

[illegible] في بعثة دراسية [illegible] ، ويعد هذا [illegible] من [illegible] في بلد [illegible]

[illegible] في المواقع :

غادرنا العاصمة سيئول بالطائرة إلى مدينة [illegible] التي تقع على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة الكورية ، وهي مدينة صناعية من الدرجة الأولى ، وكذلك هي مدينة تجارية ، وتحتوي على أكبر ميناء في كوريا ، قاصدين زيارة الأحواض الجافة التي هي مقر صناعة السفن . وبمجرد وصولنا لمدينة بوسان ، استقلينا طائرة

[illegible] ، [illegible] في جولة في [illegible] الذي [illegible] في صناعة السفن ، من تصميم السفينة حتى إنزالها إلى البحر .

تعد كوريا اليوم ثاني دولة في العالم في إنتاج سفن النقل والناقلات الكبيرة ، بالإضافة إلى الناقلات الصالحة للنفط ومشتقاته ، وهي بذلك تجاوزت [illegible] مراكز صناعة السفن التقليدية في أوربا التي كانت وارثة لاحتكار السوق بشكل تاريخي .

يمتد مركز صناعة السفن بمحاذاة شاطئ جزيرة كوجي التي تبعد حوالي ٤٠ كيلو متراً عن مدينة بوسان ، حوض بناء سفن سامسونج يمتد على مساحة ١,٧٥٠,٠٠٠ متر مربع (مليون وسبعمائة وخمسين ألف متر مربع) وقد أنشيء عام ١٩٧٧ ، بتعاون مع شركات من الدانمارك وألمانيا الاتحادية ، وبدأ بالإنتاج عام ١٩٨٠ ، وفي نهاية عام ١٩٨٩ أنتج الحوض حوالي ٥٠ سفينة بمختلف الأحجام والأنواع ، ويبلغ متوسط إنتاج أي سفينة في الحوض حوالي عشرة شهور ، وينتج الحوض بمعدل ثلاث سفن في السنة ، ويعمل في الحوض حوالي (١٥٠٠) ألف وخمسمائة عامل ومهندس وفني وإداري ، ويوفر الحوض لهم كل الاحتياجات : من سكن وغذاء وعلاج ومدارس داخل حدود الحوض .

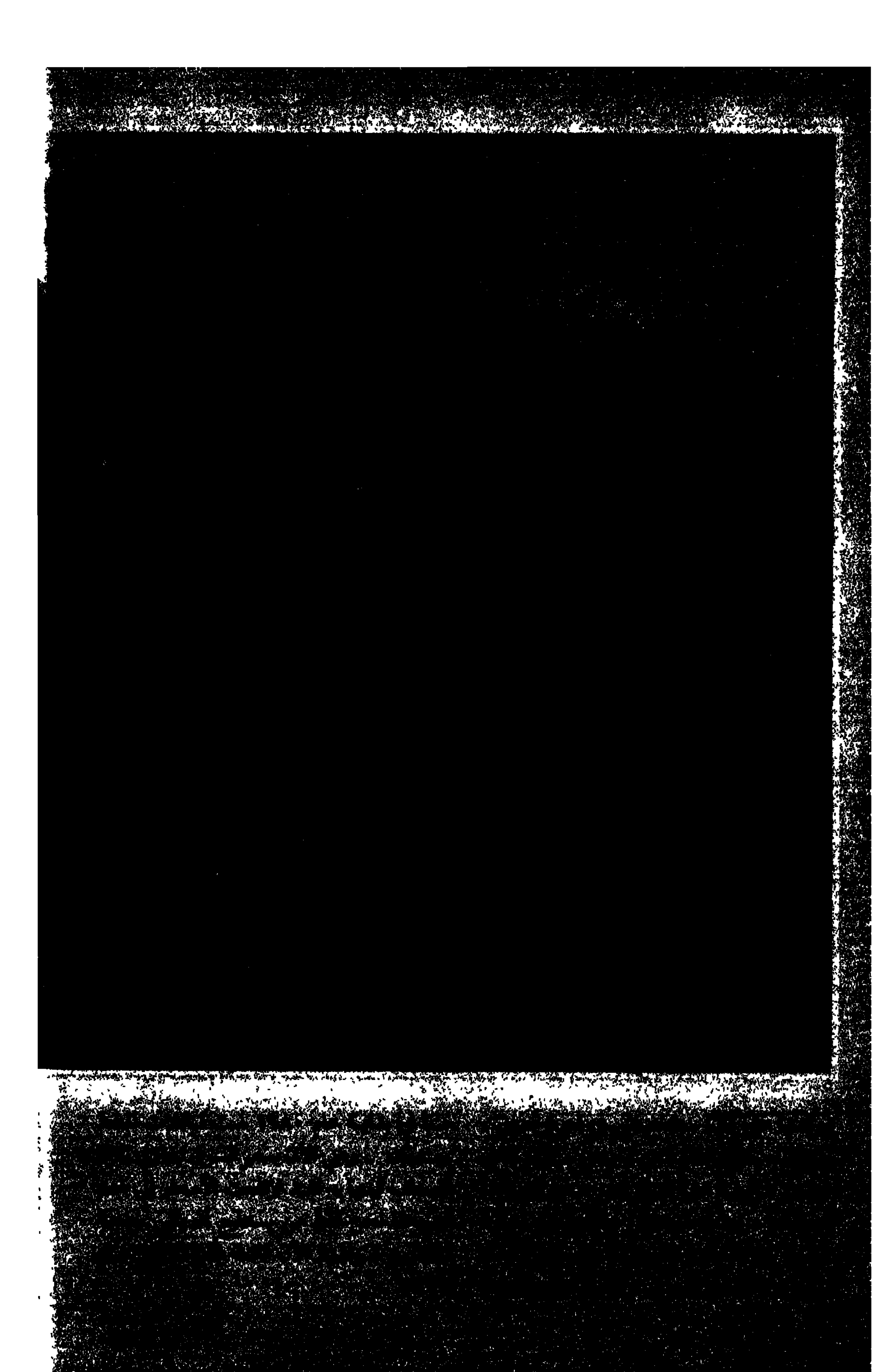
تبيع كوريا إنتاجها إلى عدد كبير من دول العالم ، منها الكويت والسعودية وإيران ، إضافة إلى كوريا نفسها التي تستخدم هذه السفن لنقل شحناتها .

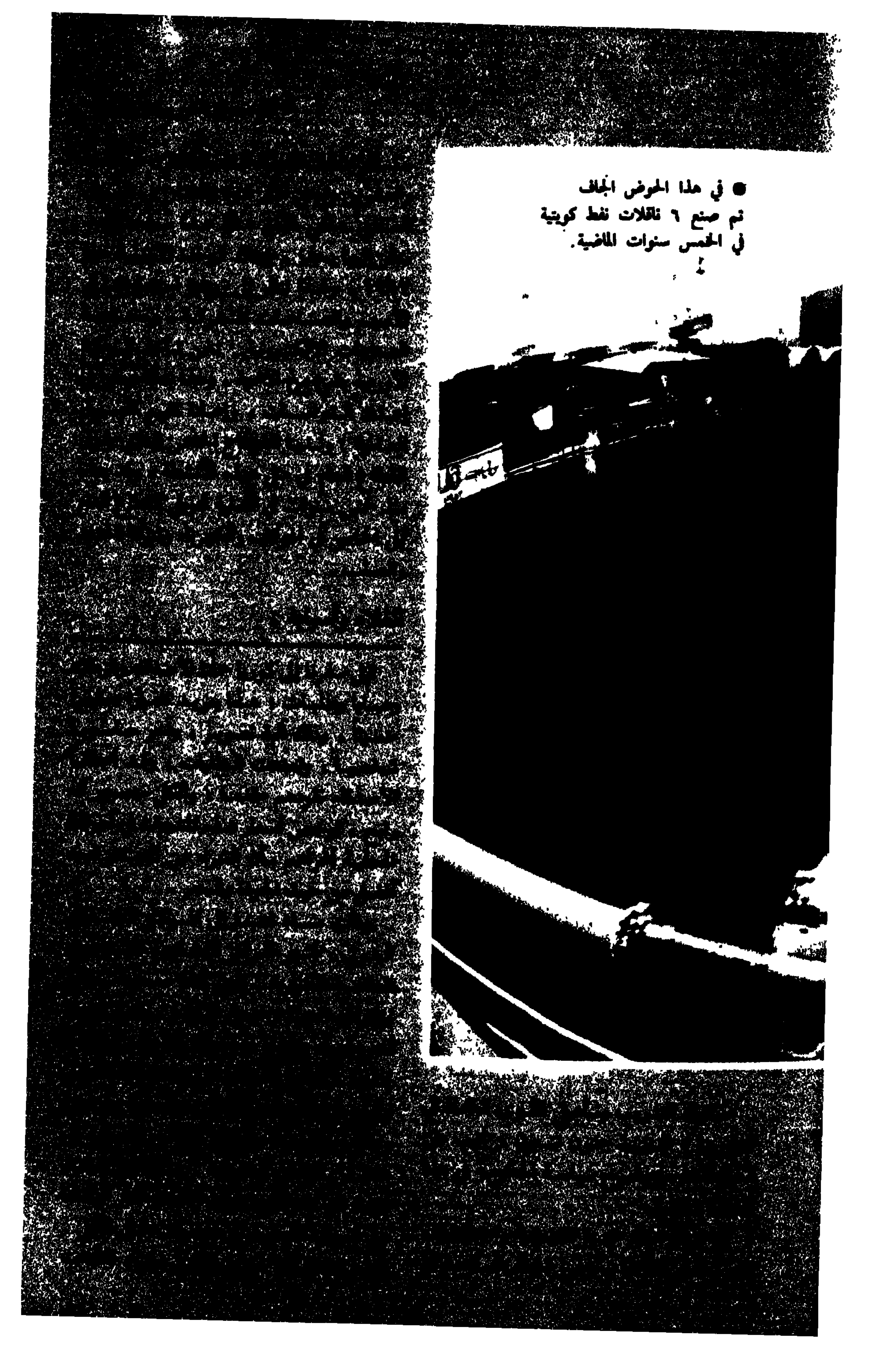
[illegible] هذا المشروع [illegible] سنوات [illegible] في وقت [illegible] وركود السوق العالمي ، [illegible]



[illegible] صورة [illegible] المركز [illegible] إحدى معجزات [illegible]







● في هذا الحوض الجاف
تم صنع ٦ ناقلات نفط كويتية
في الخمس سنوات الماضية.

[illegible] الأجهزة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] يمكن أن
[illegible] أو عشرات [illegible] إلى أن
[illegible] من المشترين ، تفرح الجهاز المراد
[illegible] المنافسون ، وبعد ذلك نعيد النظر

[illegible]

[illegible] ومختصر [illegible] في الداخل [illegible] للترويج ، فالمشتري هنا [illegible] التسهيلات في الشراء بالأقساط أو من خلال المصرف أو البنك ، وهو في النهاية سوف يسدد بالعملة المحلية ، وليس بالعملة الصعبة ، ولكن حريصون على العملة الأجنبية لضمان تدفق الموارد اللازمة لصناعتنا ، وارتفاع الأسعار ظاهرة ليست مقصورة على المنتجات المصنعة فقط ، ولكنها تنسحب على مستوى الحياة المعيشية ، فوجبة الطعام في مطعم متوسط تتكون من قطعة لحم وبعض « السلطة » فقط تكلف في المتوسط ٤٠ دولارا أمريكيا ، ويقفز هذا الرقم إلى أضعافه إذا انتقلت إلى مطعم أكثر أناقة .

وأسعار الملابس قد تكون أقل من مثيلاتها خارج كوريا ، فهناك عدد ضخم من أشهر بيوت الأزياء في العالم وأكبرها ، نقلوا مقار مصانعهم إلى كوريا ، أو منحوا الكوريين حق التصنيع ووضع العلامة التجارية ، شريطة ألا يقل ثمن البيع الدولي عن السعر الذي تفرضه هذه البيوت الشهيرة . ولأن هذه البيوت تغالي في أسعار منتجاتها فهي تبيع اسماً وشهرة وعلامة تجارية ولهذا فأسعار هذه المنتجات في السوق المحلي الكوري أرخص .

سباق لا ينتهي :

في كوريا يراهنون على أنهم سيكونون ضمن ما يعرف بمجموعة السبعة الكبار في العالم في سنة ٢٠٠٠ . والسبعة الكبار تعبير يطلق على الدول الصناعية الكبرى في عالمنا المعاصر ، [illegible] تشكلت كوريا [illegible] في كل [illegible] المختلفة [illegible] ، فقد [illegible] إلى أمة [illegible] العلم [illegible] وأنه لا [illegible]
[illegible]



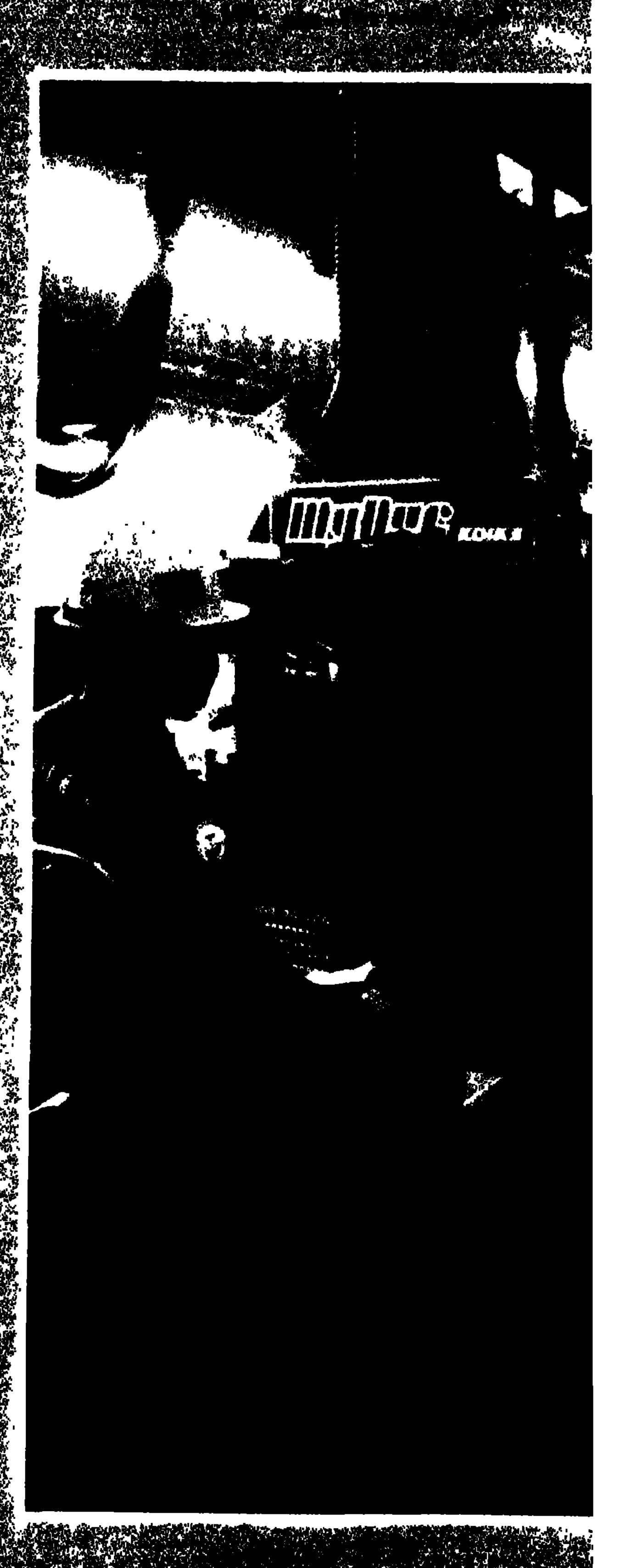
[illegible]

AP

المعقدة

صغيرة ، وليس

الاجتماعية



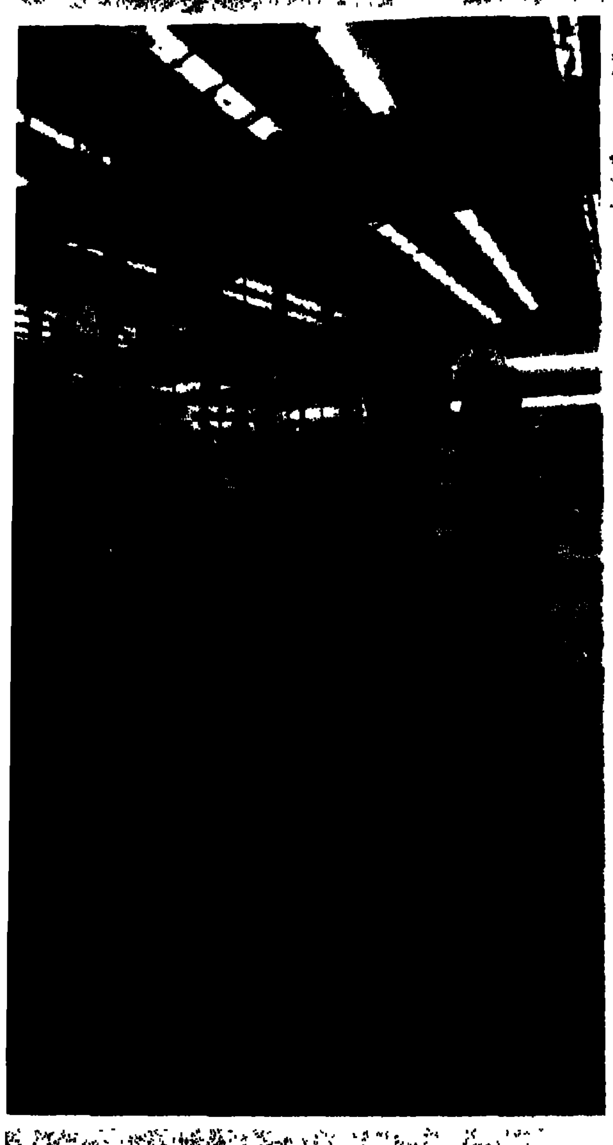


● محلات بيع التجزئة في «بوسان». وفي الأسفل عامل كوري في حوض بناء السفن التابع لسامسونج

تناسب أحدث ما في العصر من علوم ومعارف وتقنية . وخريج الجامعة في كوريا لا يقل مستواه عن أي خريج في العالم المتقدم ، إن لم يتفوق عليه .

تسألني عن نقل التقنية فأقول : نعم ، نحن نعتمد على التقنية العالمية ، ونحن نأخذ من الآخرين لكي نبدأ من حيث انتهوا ، ونتعامل بشكل قانوني تماما في هذه المسألة ، لكننا نطور فيها ونعدل ونضيف ، ويستطيع أي متابع أن يدرك هذه الإضافات بوضوح شديد في منتجاتنا .





[illegible] آخرين يقولون : إن الأسلحة النووية الكورية كلها صناعة أمريكية ، وأنها وجدت لتهديد العملاق الياباني ، ودليلهم على ذلك أن الولايات المتحدة تخزن أسلحة في كوريا بالغة التطور ، منها ١٩٢ قنبلة نووية (تكتيكية واستراتيجية) ، تحملها قاذفات قنابل فانتوم (٤) ، وصواريخ أرض أرض من طراز Honest John ، مجهزة بـ ١٤٤ رأسا نوويا ، وصواريخ أرض جو من نوع Sergeant ، مجهزة بـ ١٢ رأسا نوويا ، وعشرات من الأسلحة والصواريخ . ومعارضو الرأي يقولون : إن كوريا ليست البلد الوحيد الذي تربطه بالولايات المتحدة علاقات عسكرية وتحالفات ، ففي منطقة الشرق الأقصى هناك أكثر من قاعدة عسكرية للولايات المتحدة ، في دول متعددة ، ولكنها لم تحقق ما حققته كوريا الجنوبية .

أما فيما يتعلق باليابان ، فهي من أولى الدول التي وجهت استثماراتها إلى كوريا ، ومعظم الشركات اليابانية العملاقة شريك مع مؤسسات صناعية كورية ، واليابان شريك تجاري مهم لكوريا .

ومع [illegible] يجزم بعض الناس بأن [illegible] علاقات أخرى جديدة ، [illegible] ١٩٩٢ ، وإزاء [illegible] منطقة الباسيفيك ، فإن [illegible] بين أمريكا واليابان وكوريا [illegible] من القوى الاقتصادية الجديدة في [illegible] تلك المجموعة ، لكسر طوق

● تعتمد كوريا في اقتصادها على الصناعات [illegible] رخص الأيدي العاملة [illegible] حصولها على [illegible] الرخيصة لها

الناجح الاقتصادي الأبرز الذي يكاد يكون مقصوراً على أصحابه

وفي كوريا يستطيعون [illegible] اليوم ، ونحن [illegible] على أول الطريق ، على الرغم من أن كثيراً من [illegible] ، [illegible] كوريا [illegible] في [illegible] ، [illegible] هو [illegible] □

ابن عم زوج المرحومة

قصة بقلم : ابرهيم زعرور

لم يعجبني الرجل الجالس إلى يساري ، فليس فيه ما يثير الانتباه على الرغم من تلك المسحة الخفيفة من الصرامة التي تظل مرافقة لوجوه الضباط القدامى ، حتى بعد أن تتقدم بهم السن ، ويحالوا إلى التقاعد .

صرامة فقدت صلاحيتها ، وكادت تطمس بفعل الزمن بين تجعدات الوجه وثنياته الجلدية المتهدلة كعرف الديك .

لم يعجبني الرجل .

ونحن قليلا مانعير اهتمامنا لأولئك الناس ، سيئ الهندام ، ممن تكرشوا حتى ضاق عنهم الحزام ، وتغلظت أصابعهم القصيرة وتيبست أكفهم الغليظة بطريقة تجعل من مصافحتهم مشكلة ينبغي تجنبها .

تمدد بجانبي كبرميل فارغ ، أسنده أحدهم على جدار الباحة وتركه هناك ، ولما كان انتباهنا انتقائيا حيال الناس فقد تجاهلت الرجل تماما ، وانصرفت لمتابعة ما يدور بين الثلاثة الآخرين من حديث ، وكانوا من المغتربين الذين يعودون لقضاء الصيف .

وحيثما يكون هناك صيف ويكون مغتربون فلا بد أن يكون هناك دعوات للغداء مملة ، وأحاديث مملة .

وكنا قد نفضنا أيدينا من الغداء توّاً ، حينما انتقل بنا مضيفنا إلى « الفرندة » هربا من جو الشقة المكتوم وحرارتها الخانقة ، عندما انضم إلينا الرجل بأصابعه الغليظة ، وألقى بجذعه على أحد الكراسي المبعثرة في جوانب « الفرندة » إلى يساري .

وقدمه المضيف قائلا :

« أقدم لكم ابن عم زوج المرحومة شقيقتي . . . ». ولم أكلف نفسي عناء الاستماع لأكثر من ذلك ، فقد كانت هذه القرابة المركبة ، وطريقة التقديم الفاترة ، أكثر من كافية لانصرافي عنه ، واستغراقي في ما كان يتداوله الآخرون من نتف أحاديث مابعد الظهيرة حول مرارة الغربة وقسوة العيش وكثرة العيال .

ومع أن الحديث كان غثا مكرورا مستهلكا إلا أنه كان يفي بالغرض ، فقد صرفني عن الرجل الذي اكتفى بنعاسه وتكاسله ، وظل مرخيّ *الفك ، متدلي الشفة السفلى ، كأنه لايسمع إلا رجع أصداء قصية المأتى ، لاتتصل بعالمه بسبب ، عالمه الذى تخيلته مزيجا من البلادة والسمنة المفرطة وأمراض الضغط والسكر .*

لم يعجبني الرجل ، فانصرفت عنه وكأنه لم يكن موجودا قط .

وكالعادة تشعب الحديث بلا رابط ، وطال حتى أصبح مملا ، فسرى خدر مابعد الظهيرة في مفاصلي ، فأطلقت لأطراف العنان ، ... ما وسعني المكان ، وبدأت تحت إحساس غامض بالذنب ، أتفقد المكان وأنا نصف ... كان الغبار الأسود يوسخ الجدر...



الشقوق ، ويغطي الأرضية ، ويتجمع في الأركان . والهواء السخامى الساخن يترك على الجلد أثرا زيتيا ، يختلط بروائح العرق والبنزين المحروق .

ومن نهاية الشارع كانت تهب من حين إلى حين رائحة مجرور ، تصاحب أبخرة الثوم الحادة التي انبعثت فجأة من الشقة المجاورة .

وبين الحين والحين كان ينبعث من شقة مضيفنا صوت ارتطام ، أو سقوط آنية معدنية ، تثير جلبة مضنية ، وصغار يتصايحون وقد ضاق بهم المكان ، ورويدا رويدا تسلل إليّ النعاس من خلال الجمل المتباعدة البليدة التي كانوا ـ باستثناء الرجل البدين ـ يتبادلونها بلا رابط منطقي .

كان من الواضح أنهم جميعا وباستثناء الرجل البدين ، ابن عم زوج المرحومة ، يحرصون على التشبث برابطة من القربى ، لامعنى لها ، بتودد مبالغ فيه ،تفضحه قوة خفية ، تزيدهم تباعدا ونفورا كلما زادوا في المجاملة ، قوة تفرض نفسها كحقيقة مكينة ، غير ملحوظة ، تكشف زيف محاولات التواصل المقطوعة بحديث بدا كأنه الصمت نفسه .

ظلوا يتكلمون ويتكلمون ، حتى ضاعت أصواتهم ، ولم يبق منهم غير الشفاه المتحركة ، والوجوه المحايدة ، فرأيت بطونهم تنتفخ ، وأحزمتهم تضيق ، وترهلت جلود وجوههم ، وأصبحوا كالبراميل المتروكة في زاوية الباحة ، فداخلني شعور مفاجيء بالذنب حيال الرجل الممدد على يساري ، وأحسست أنه أقل سوءا على نحو ما .

وأخذ المكان يضغط على صدري ، وعاودتني الرغبة في التقيؤ عندما أفلت من بين شفتي على نحو غير متوقع سؤال أحمق : من أين أحصل على زوج من الحمام؟

ولم يبد السؤال مستهجنا ، ولا خارجا عن السياق ،فسرعان ما أضافوا حيثياته إلى مخزون اللغو . وخرج البدين من صمته ، وراح يرسم



لي بدقة طريقة الوصول إلى سوق مخصصة لبيع الحمام . وسألني :

*أتريده للأكل أو للتربية ؟

-وهل هناك فرق كبير؟

*قال الرجل واثقا :

فروق كثيرة . ثم اعتدل في جلسته ، وراح يبين الفروق الدقيقة بلهجة الخبير ، قال :

*أفضله طعما الورداني ، بعد شهر من فقسه ، يسمونه « أبو وردة » أو الشامي ، أما المصري فهو أكبر حجما ، وقد يصل إلى حجم الدجاجة إذا ماجرى تهجينه مع نوع . . فقاطعته :

*هل تعرف جميع أنواع الحمام ؟

-نعم ، أعرفها ، أنا مثلا أفضل زوجا من « النفاخ » الذى ينفش ريش الحوصلة والعنق للزينة على مثيله الميسيسبي الأمريكي الذى يسمونه « أبو فوطة » ، فهو من أقوى الأنواع ذكورة ، أقوى حتى من نوع « المذاكير » و« الشمسي » ، أما « أبو مطرقة » فهو خامل مختال أحيانا ، والبغدادي أكثر حنانا للمكان من الشامي ، ولكن الشامى أكثر تأنقا في بناء عشه ،

والجاحظ يعد القمري نوعا من الحمام ، ولكنني أراه شيئا آخر بالتأكيد . وهو لايفرّق إلا بصعوبة بين « الفاختة » و« الورشان » واليمام والزاغبي ، وأنت تعرف أن الزاجل أنواع عديدة ، فمنه و . . . و . . و . .

كان الكلام يتدفق من بين شفتي الرجل بإسهاب ممتع ، يفصل في تشريح الفروق بين الأنواع بطريقة مذهلة ، فهذا النوع جؤجؤه عريض ، وهذا قصير الذيل ، أو طويل الساقين ، أو ضعيف الأصابع . ذاك متوقد الحدقات ، أو طويل العنق ، ولا يكون الأسود عدوانيا . والحمام كالناس ، بعضه مطبوع على البهلوانية ، وفي بعضه رزانة وخيلاء . ذاك فيه لؤم وحقد ، وهذا مسالم متسامح أليف . بعضه مسافد لا تفتر له همة مع الأنثى ، يقضي وطره ويحلق راحلا ، وبعضه غَزِل مرح ، تستمر دعاباته إلى ما بعد السفاد بساعات .

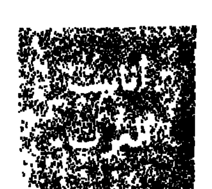
كان الرجل يتجول في عالم مدهش من بكارة الألفاظ والصور ينتقيها بافتتان ساحر ، ويميز برهافة الفنان بين الألوان والعادات والأصوات ، فيأخذك العجب للتوازن المذهل الذي يقيمه الرجل بين ساعات النهار وحالات الصوت ، فأوقات الهديل غير ساعات الترجيع ، ومواعيد الدعاء غير فترات البعاق ، والفروق ما بين الحدة والرخامة تتساوق مع الحالات والمواعيد ، وتعطى للزمن معنى نغميا لم تسمع عنه من قبل .

كنت مذهولا أمام سيل المعلومات المتدفقة ، فطار عني النعاس ، واستدرت نحو الرجل ، وأخذت أسأله ، وأستزيد ، فتغير شكل وجهه ، وبدا أكثر جمالا بتلك الابتسامة الغامضة كلما ذكر شيئا من تجاربه الخاصة في هذا المضمار ، ورويدا رويدا بدأنا ننعزل عن الآخرين ، فأخرج من جيبه « البومـاً » صغيرا ، يزدحم بشتى الصور المدهشة عن حياة الحمام : كيف ينفخ الأب في بلعوم فرخه الصغير ، وكيف يعينه على توسيع حوصلته قبل أن يدفع بها أول وجبة من الطعام ، وكيف يبحث الذكر عن الملح ليفتح به شهية فراخه ، وكيف يتعلم الطيران ، وكيف يستكين لدى هبوب العاصفة ، وكيف يبنى العش ، ويتودد للأنثى ، وكيف تحدث الخيانة الزوجية ، وكيف وكيف وكيف .

كان الرجل موسوعة كاملة ، يتدفق حديثه غنيا أخاذا ، عن عالم عجيب مدهش ، فتحه أمامي على مصراعيه دفعة واحدة .

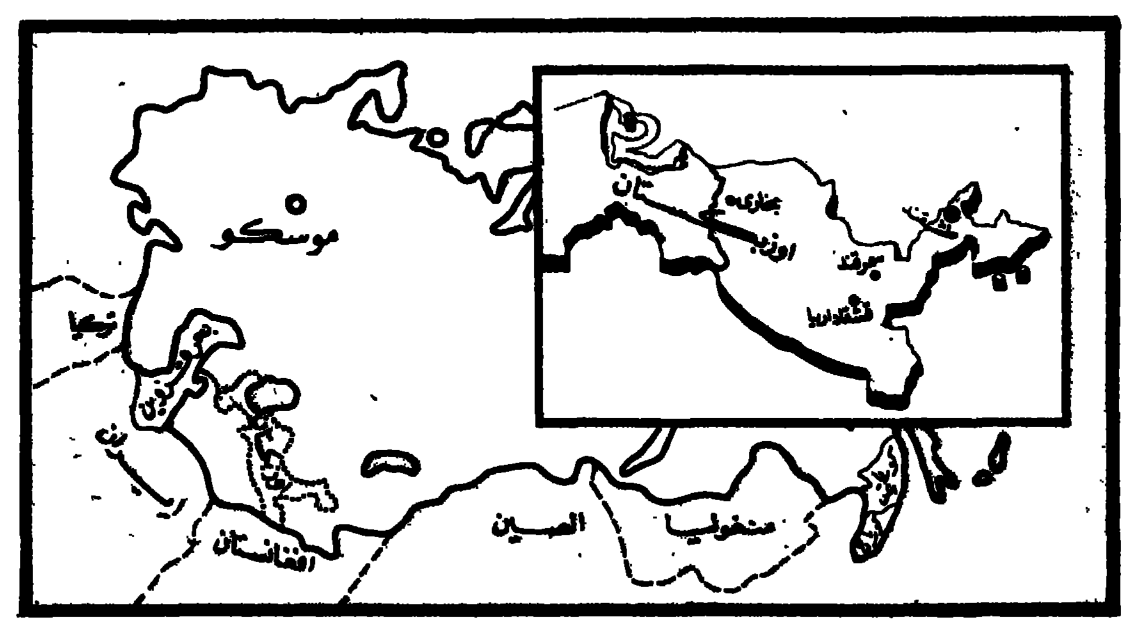
وبدا لي في أثناء حديثه المتدفق رشيقا أنيقا ، جميل الطلعة ، ينتقى أوصافه بعناية ودقة لا مثيل لها .

وكانت ابتسامته تزداد إشعاعا كلما زادت دهشتي ، وفي غمرة إحساسي بعظمته خيل لي أنني رأيت شيئا يطير من صدره ، وكانت أصابعه الرشيقة تشير إلى ناحية بعيدة ، فنظرت فإذا حمامة بيضاء تحوم فوق العمارة المقابلة ، وسرعان ماضمت جناحيها كما تضم ذيل العباءة ، وفردت ذيلها ، وحطت على حافة السور فوق البناية ، فانطلقت معه في ضحك باتساع المكان ، وكانت يده مبسوطة نحوي بترحيب دافيء ، فطرقت عليها بكفي بفرقعة جفل منها الآخرون ، وأخذت أضغط على يده الرقيقة بكل حرارة . □



● إن عالم « التكنولوجيا » المتطورة في الغرب يمكن أن تدب فيه البرودة ، ويغتاله الموت ، لو لم تمتد إليه تلك الأنابيب التي تحمل رحيق الحياة من الأرض العربية .

د . أمير اسكندر



● خارطة الاتحاد السوفيتي يظهر عليها موقع جمهورية أوزبكستان والمدن المهمة التي ورد ذكرها في المقال



بقلم : الدكتور غورام تشيكوفاني*

تحدثنا كتب التاريخ عن هجرات عربية صاحبت الفتح العربي الإسلامي إلى بلدان كثيرة . فهل وصلت هذه الهجرات إلى بعض الجمهوريات الآسيوية السوفيتية ؟ وما طبيعتها ودوافعها إن وجدت ؟ وما اللهجة أو اللهجات المتداولة بين أحفاد من هاجروا ؟

توجد قريتان في جمهورية أوزباكستان السوفيتية هم : جوكاري وعربخانه ، قريتان من بخارى ، يتكلم سكانها العرب ، وعددهم ثلاثة آلاف نسمة تقريبا ، لغة عربية ، تختلف في لهجتها عن اللهجات العربية الأخرى ، سميت لهجة بخارى . وقريتان في قاشقادارية هما : جيناو وقاماشي ، يتكلم سكانها العرب ، وعددهم ألف وخمسمائة نسمة تقريبا ، لغة عربية ، تختلف في لهجتها أيضا عن سابقتها ، سميت اللهجة القاشقادارية .

والآن تجري في « أكاديمية » العلوم في جورجيا السوفيتية ، وفي معهد الاستشراق ، دراسة للهجات العربية في آسيا الوسطى . فيكمل الدكتور بروفسور فلاديمير اخفليدياني دراسة

* مستعرب من جمهورية جورجيا السوفيتية .

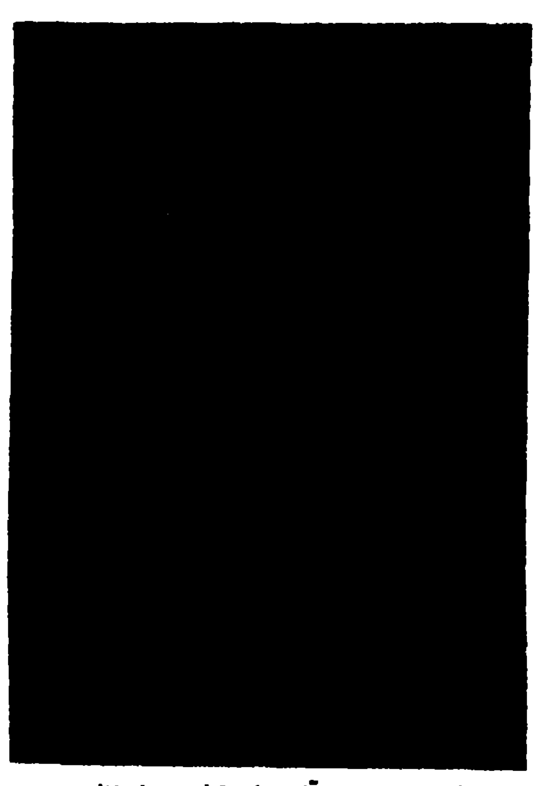
قواعد اللهجة البخارية ، بينما أتابع دراسة قواعد اللهجة القاشقادارية .

إن ما يلفت النظر في اللهجتين - البخارية والقاشقادارية - أنهما لم تتطورا إلا في حيز ضيق ، بسبب عزلة أهلها لغويا . وهذا ما يدعو بالحاح الى ضرورة دراستها بدقة . واستجابة لهذه الضرورة بدأت بدراسة تاريخ العرب في آسيا الوسطى ، لأن الدراسة التاريخية تساعد على الوصول إلى دراسة اللغة . وبالمقابل تساعد اللغة على تيسير دراسة بعض اللوحات التاريخية .

هجرة العرب إلى آسيا الوسطى

يعود تاريخ الهجرات العربية إلى آسيا الوسطى إلى عدة قرون ماضية . ولهذه الهجرات علاقة وثيقة بالفتوحات الإسلامية ، وتبدأ في الفترة ما بين القرن السابع والقرن الثامن للميلاد ، حسب ماتؤكده المصادر التاريخية . ولقد اقتصر وجود العرب في تلك الفترة على المدن الكبرى ، ثم بدأوا بالتوسع والانتشار . وتدل المعلومات التي أوردها جغرافي القرن التاسع (اليعقوبي) على أن العرب كانوا يعيشون بأعداد كبيرة في بلاد ما بين النهرين* التي كانت تابعة لخراسان ، ويتمركزون في مدنها الكبرى . ويبدو لنا أن وجودهم في المدن قد شمل الضواحي أيضا . ولقد راودتنا هذه الفكرة بعد ما علمناه من اتساع رقعة الهجرات . ولما كان العرب سكان المدن على علاقة مباشرة بسكان البلاد الأصليين ، لذا زالت معالم لغتهم مع الزمن ، وانصهرت في بوتقة اللغة المحلية . يقول الجاحظ : لقد امتزج العرب في القرن التاسع بالسكان الأصليين في البلاد التي حلوا فيها ، وزالت الفوارق بينهم . ومن المحتمل أن يكون قاطنو الضواحي والبوادي قد حافظوا على لغتهم وطباعهم وتقاليدهم .

كذلك كانت الهجرات إلى شمال نهر عمودارية ، إذ استقر المهاجرون في مدينتي (مرو) و (بلها) ، بينما انتشر البدو في ضواحيها . وفي القرن الثاني عشر وجدت قرية في ضواحي شهرستان يقطنها العرب . ومن المعلومات التي استقيناها من جغرافيي القرن العاشر ، تبين أن عدد العرب الرحل المتجولين حول « كوزغانان » في أفغانستان قد بلغ عشرين ألفا . وتوجد معلومات تشير إلى وجود العرب في جنوب « كوزغانان » في أفغانستان منذ زمن بعيد في القدم . وفي بداية القرن الـ دس عشر سجل وجودهم في مدينة كابول وضواحيها ، بأعداد ذات أهمية . وتؤكد المصادر التاريخية أن البقاع التي كان يسكنها العرب في آسيا الوسطى ، ومازالوا فيها حتى الآن ، كانت مشغولة بسكان عرب منذ منتصف القرن السادس عشر . أما



● كتابات عربية وآثار إسلامية لم يعلو عليها الزمن .

*المقصود ما بين نهري جيحون وسيحون

المعلومات عن حياة العرب في آسيا الوسطى في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر فقليلة جدا . في بداية القرن التاسع عشر شكل عرب محيط بخارى وآفجة إدارة محلية ، تزعمها الأمير هازور . يقول « ميندورف » في كتابه « رحلة من أورنبروغ إلى بخارى » : إن العرب في العشرينيات من القرن التاسع عشر كانوا يعيشون في ضواحي مدينتي قارشي وتيرميز . كذلك يقدم المطلعون والباحثون معلومات عن وجود العرب في آسيا الوسطى في القرن التاسع . نذكر منهم (خانيكوف) و (فاميرى) و (كريبينكين) و (بوريكينا واسماعيلوفا) وغيرهم . ويلاحظ كل هؤلاء وجود بقايا هذه الهجرات الواسعة في آسيا الوسطى .

علمنا أن هجرات عربية واسعة اتجهت إلى آسيا الوسطى ، وبقي علينا أن نعلم ، إلى أي موجة هجرة ينتمي القاطنون الآن في ضواحي قارشي في منطقة قاشقادارية . هناك تاريخ غير كامل في بحث هذه المسألة . إذ يقول « ميندورف » عام ١٨٢٠ ، دون تقديم وثائق ثابتة : إن جدود عرب ضواحي بخارى الحاليين قد جاؤا إلى هذه البقاع في القرن الأول الهجري . وكتب هو نفسه احتمالا يقول فيه : إن جدود عرب قاشقادارية قد وفدوا إلى آسيا الوسطى للتبشير بدين محمد صلى الله عليه وسلم (الاسلام) .

وحذا فاميري حذو ميندورف ، وذكر ، دون دليل ، أن جدود عرب بخارى هم من مهاجري القرن الأول الهجري . ومن معلومات كريبيتكين رواية ساقها عرب بخارى ، تقول : إنهم من العرب الذين أسرهم تيمورلنك ، ووطنهم في هذه الديار . وفي رواية أخرى لبعض هؤلاء تقول : إن جدودهم جاءوا إلى هذه البلاد في القرن السابع الميلادي ، ولم يذكر كريبيتكين شيئا عن أصل هذه الفئة وتاريخ هجرتهم ، ولم يزد على قوله غير أنهم أصحاب خيول مطهمة ومواش ومواش سمينة .

ولا تختلف معلومات اندريف وبوريكينا واسماعيلوفا في شيء عن معلومات « كريبيتكين » إلا النزر اليسير .

أصول قرشية

في تشرين الثاني من ١٩٨٠ قمت بزيارة استطلاع علمية إلى آسيا الوسطى ، للتعرف على أصل العرب الموجودين في هذه البلاد ولغتهم . وسجلت في قرية جيبناو القاشقادارية رواية تتعلق بجدود العرب هناك . تقول هذه الرواية : إن جدود سكان « جيبناو » قد وفدوا إلى هذه البلاد في بداية الفتوحات الإسلامية في القرن التاسع أو الثامن الميلادي . تتألف قرية « جيبناو » من ستة أحياء هي : حروق ، بافورا ، عافونا ، عندخوي ، جوقورقول ، كاتاباي ، ثلاثة من هذه الأحياء ، وهي : حروق وبافورا وعافونا ، يتكلم سكانها اللغة العربية بلهجة خاصة بالقاشقادارية . وتوجد بالقرب منها قرية كاماشي ، يتكلم سكانها العربية باللهجة نفسها . وتختلف اللهجة البخارية كثيرا عن اللهجة القاشقادارية ، ويكاد سكان المنطقتين أن لا يتفاهموا فيما بينهم ، بسبب التباين بين اللهجتين أما تسمية اللهجتين بهذا الاسم فقد جاءت على لسان المستشرق « الأكاديمي » البروفسور « جورج تسيريتيلي » الذي كان هو السابق إلى دراستها في الثلاثينيات من هذا القرن .

هذه الرواية في رأينا مهمة جدا ولكنها ليست كافية ، ولا بد لنا من القيام بدراسة أوفى عليها . فمن الجدير بالذكر أن بعض سكان بخارى يدعون أنهم من الوافدين في القرن السابع . ولتحديد الزمن الذي استوطن فيه العرب هذه البلاد قمت بدراسة بعض المصادر التاريخية المتعلقة بالهجرات العربية إلى آسيا الوسطى . وفي أثناء دراستي توصلت إلى معلومة ، أخذتها



● سوافق بين الملابس وألوانها والآثار الاسلامية في جمهورية أوزبكستان .

من كتاب الاصطخري . يقول هذا المؤرخ بأن قرية مقاطعة قاشقادارية كانت في بدايات القرون الهجرية تدعى قريش . واستنتجت من اسم القرية وإمكان وجود عرب فيها .

بعد تبلور المعلومة في فكري سافرت إلى قاشقادارية مرة أخرى ، في العام التالي ، وقصدت قرية « جيناو » . بعد التحدث إلى أهلها أفادني معظمهم أنهم من أصل قرشي . فسجلت أحاديثم ورواياتهم عن الموضوع ، وتبين لي بوضوح وجود علاقة بين التسمية التاريخية للاصطخري وبين الناس الموجودين هنا . وحصلت لدي قناعة أساس علمية عن وصول جدود العرب إلى قاشقادارية في القرون الهجرية الأولى .

مقارنة لغوية

وبعد محاولتي في دراسة الموضوع تاريخيا بدأت بدراسته لغويا . بدأت بمقارنة بين لهجتي اللغة في منطقة بخارى ومنطقة قاشقادارية ، في ما يتعلق بالفعل المضارع وعلاماته ، فوجدت فرقا كبيرا في العلامة . فحين يستعمل عرب قاشقادارية علامات اللغة الفصحى ، يزيد عرب بخارى إلى أولها حرف (م) ، أو (م ي) ، على غرار حرف (ب) المزيد في اللهجة السورية ، وربما حروف شبيهة في بعض لهجات الأقطار العربية الأخرى . وفي ما يلي أمثله عن اللهجة البخاري :

« كثير دولة لروحن ميوخدون ميوغدون » يعني : كبار الدولة يأخذون لأنفسهم ويغدون .

« حد صغير ضابط أبيض ميوركب وميوغدو » يعني : واحد صغير يركب على حصان أبيض ويغدو .

« ميعرفون كي من ايد حد فاض شغل زين ميجي ميوخدون ايل بوشو ميصونو » يعني : يعرفون واحدا يفيض الشغل الجيد من يده فيأخذونه إلى الباشا يصونه .

أما اللهجة القاشقادارية فلا يوجد فيها حرف (م) ، أو (م ي) المزيد كما ذكرنا .

مثلا : « يأكلون يشربون » ، ويعني أنهم يأكلون ويشربون .

« الي زرعوني بروحي يشبهون » يعني : أبنائي بروحي يشبهونني .

« مراتنا خبز تخبز لحم تطبخ » يعني : زوجتنا تخبز الخبز وتطبخ اللحم .

ونلاحظ أن (ال) التعريف موجودة في اللهجة القاشقادارية وغير موجودة في اللهجة البخارية . إضافة إلى أن تركيب الجملة في اللهجة القاشقادارية أقرب إلى الفصحى من اللهجة البخارية . ويدعونا قرب اللهجة القاشقادارية من الفصحى إلى التخمين ببقاء أهلها في عزلة لغوية .


● عمامات المسلمين وعباءاتهم في بلاد ماوراء النهر .

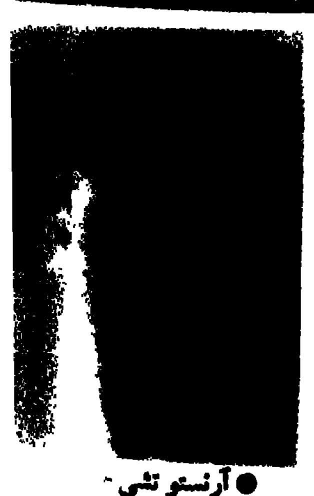
تؤيد هذه الأمثلة والدراسة اللغوية ما ذكرته آنفا عن وصول أجداد العرب هؤلاء إلى البلاد في فترة القرون الأولى للهجرة .

ومن المحتمل جدا ، استنادا إلى الدراسات العلمية ، أن يكون دخول الحرف المزيد م ، م ى ، ب ، بي ، على الفعل المضارع في اللهجات العربية المختلفة قد حدث بعد القرن الرابع عشر ، إذ لم تشاهد في الكتب والنصوص المكتوبة إلا بعد هذا التاريخ .

قد يتبادر إلى الذهن أن الحرف المزيد (م) و (مي) في لهجة العرب البخاريين قد دخل إليها عن طريق اللغة الفارسية التي يحمل فيها هذا الحرف مهمة توقيتية ، ولكن انتشار الحروف المزيدة الأخرى في اللهجات العربية المختلفة ينفي هذه الفكرة .

مما تقدم نميل إلى الاعتقاد بأن أجداد عرب بخارى قد جاءوا إليها في غضون القرن الرابع عشر ، أي في الفترة التي كان فيها تيمورلنك حاكما عليها ، وبذلك تكون رواية البخاريين صحيحة .

وأعتقد أخيرا أن نتيجة محاولتي في الدراسة التاريخية واللغوية المطروحة ستسهل على الدارسين مهمة دراسة تاريخ حياة هؤلاء الناس وطراز حياتهم ولغتهم في المستقبل . ولا شك في أن دراسة لهجة عرب آسيا الوسطى مهمة جدا ، لأنهم عاشوا عزلة لغوية ومازالوا كذلك . □


● آرنستو تشي

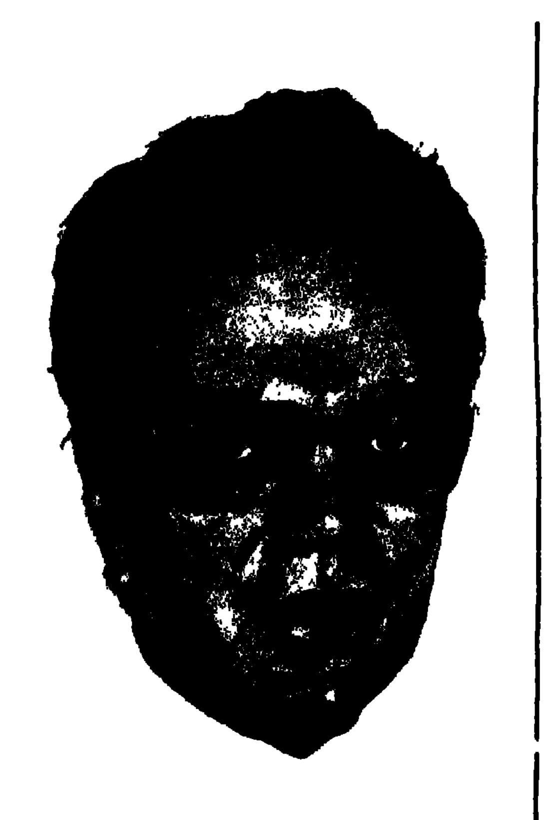
● أنا لا ألوم الذين لا يعملون ، ولكنني ألوم الذين يحز في أنفسهم أن يعمل الآخرون .

آرنستو تشي جيفارا

● كل الكمية المعطاة من الحرية في الوطن العربي لا تكفي كاتبا واحدا .

د . يوسف ادريس

وجهاً لوجه





د. لويس عوض و د. غالي شكري

- إضاءة كل الشموع هو أسلوبي في الرد على الظلام.
- هل انتهى الشعر في مصر بموت أمل دنقل ؟
- انكسار الشعر يعني موت روح الأمة.
- الذوق لا يتناقض مع العلم، والعلم ليس إحصاء.
- ليس المطلوب من الناقد أن يكتب كل شيء.

يتجاوران في غرفة مكتبيهما في الأهرام القاهرية ، لكنهما قبل التجاور صديقان قديمان ، يفصل بينهما حاجز زمني مقداره عشرون عاما ، فقد ولد الدكتور لويس عوض في الخامس من يناير عام ١٩١٥ ، بينما ولد الدكتور غالي شكري عام ١٩٣٥ . هذا الحاجز الزمني يعني أنهما من جيلين مختلفين ، كما أنهما من بيئتين اجتماعيتين مختلفتين ، ومن ثم فقد باعدت بينهما ظروف ثقافية عديدة .

لكن هذا الحاجز الزمني لا ينفي وجود جسور متينة قد وصلت بين الجيلين ، أولها وأقواها على الإطلاق تلك المرحلة التاريخية ، الممتدة من الثورة الناصرية إلى اليوم ، وهي مرحلة «مشتركة» باختلاف انعكاساتها عليهما . أما الجسر الثاني فهو الاشتغال بالثقافة بعامة ، والنقد الأدبي بخاصة. والجسر الثالث هو الالتقاء حول بعض القيم الحضارية ومناهج الفكر .

وقد برز كل واحد منهما في جيله ، سواء من خلال الإنتاج الثقافي (خمسون كتابا للويس عوض وثلاثون كتابا لغالي شكري) ، أو من خلال الدور الثقافي الذي قاما به ، والمعارك التي خاضاها . يبدأ غالي شكري قائلا :-

* يبدو أنك ستظل مشغولا بالثورة الفرنسية حتى الصيف المقبل ، إذ أنك نشرت حتى الآن حوالي ١٣ مقالا منذ عودتك من باريس .

- ما زال في الجعبة حوالي خمسة وعشرين مقالا ، إنه «كتاب» كما ترى . وبعض الناس يقول : إن نشره في الصحيفة اليومية عبء على القاريء . ربما كانت المادة الثقافية ثقيلة على القاريء اليوم ، لكنها لم تكن هكذا في أيامنا . كان طه حسين والعقاد وسلامة موسى يكتبون أهم أعمالهم ، وينشرونها أولا في الصحافة ، للجمهور الواسع . وليس هذا الأمر استثناء ، فأكبر النقاد والمفكرين في العالم يسرهم أن تجد أعمالهم طريقها في البداية إلى «القاريء العادي» ، وليس هذا الطريق سوى الصحافة . ولكنني أعتقد أن هناك من لا يوافق على مقالاتي في الثورة الفرنسية من حيث المبدأ ، وأعني هؤلاء الذين يرون فيها سلاحا فكريا ضد التفكير السلفي . ولعلك تذكرت أن ناقدا أو أكثر ، من أبناء جيلك ، قد لامني على مقالات النهضة الأوربية التي نشرتها في «المصور» ، وسألني : لماذا أهتم بالماضي الغربي ، ولا أهتم بالحاضر المصري والعربي ؟ وجوابي هو : أنني لم أنفصل عن الحاضر في بلادي لحظة واحدة ، ولكنني أختار الوسيلة المناسبة . منذ ثلاث سنوات صدر لي «ثورة الفكر في النهضة الأوربية» ، ومجلد من «تاريخ الفكر المصري الحديث» ، في وقت واحد ، وكلاهما عن النهضة في بلادنا وعند غيرنا . هذا هو أسلوبي في الرد على الظلام ، أن تضاء الشموع كلها ، سواء أكانت من صنعنا أم من صنع غيرنا .

هل تؤمن بوحدة المصير البشري ؟

المصير المشترك

* بالتأكيد ، لكن هذه الكلمة وحدها لا تفي بالجواب الصحيح . هناك مصير إنساني مشترك في ما يخص المسائل الكونية ، وهناك حضارة بشرية واحدة في ما يخص الغايات البعيدة للإنسان ، لكن البشر ينظرون إلى الاشتراك في المصير ، أو إلى وحدة الحضارة ، من «الزاوية» التي يسكنون فيها الزاوية الاقتصادية والزاوية الاجتماعية والزاوية السياسية والزاوية الثقافية . إن «العالم» بالنسبة للأوروبي أو الأمريكي هو الغرب ، والحضارة الواحدة من وجهة نظره هي الحضارة الغربية . ولست أظن أن هذه هي الزاوية التي نسكن فيها أنا أو أنت

وافقت تماما على أن هناك سلبيات مفزعة في الحياة العربية المعاصرة . ووافقت أيضا على عمق شمول النهضة التي تبدد نطلاه ، ... هذا الأسلوب في المواجهة أشبه ... بالالتفاف ... أن النقد لدى ... بعضهم إنك بشأن «مواجهة الحاضر» يجب أن ... همومك

... هي كم من اهتمامي ... لتعلم ... المواجهة محاولة ... العودة إلى المعلم ... وت ؟ ألا النقد شعر صلاح عبد الصبور ... أحمد حجازي ومحمد عفيفي مطر ومحمد إبراهيم أبو سنة وفاروق شوشة ومنك عبدالعزيز ؟ أليس هذا كله اهتماما بالحاضر ؟ أم تكم تريدون اهتماما مماثلا لاهتماماتكم ؟ ما هي اهتمامات الجيل الحالي ؟ هل هي البنيوية ؟ لست أقصدك ، ولكنني أشعر أنك تشايع أدب الشباب أكثر من اللازم . لقد قرأت في البنيوية العديد من الكتب ولم أفهم أكثرها . فهل يفهمها حقا هؤلاء الذين يطبقونها على الأدب العربي ؟ وقرأت أيضا بعض أدب الشباب ، فمن منهم في مستوى نجيب محفوظ أو يوسف إدريس ؟

البنيوية والألسنية

* لقد طرحت مسألتين لا مسألة واحدة أما الأولى فهي البنيوية التي أرى أنها مع الألسنية من الإنجازات المنهجية التي يجدر بالنقد العربي المعاصر ان يتفاعل معها لا أن ينقلها نقلا حرفيا إلا في حالة الترجمة أما في التطبيق فإن تمثل «الجديد» ، من أي مكان اتى ، بالغ الأهمية أنت نفسك في مقدمات «بروميثيوس طليقا لشلي» و «فن الشعر لهوراس» و «بروميثيوس طليقا لشلي» و «في الأدب الانجليزي» نقلت أطيافا من النقد الماركسي الانجليزي في الأربعينيات هذا على الصعيد النظري . ولكنك في التطبيق لم تكن ... في وقت واقعيا اشتراكيا

صحيح أن البنيوية والألسنية سكنت ظاهرة بين منتصف السبعينيات ومنتصف الثمانينيات في النقد العربي . وكانت في الأرجح ظاهرة سلبية في النقل المشوه والتطبيق العاجز . ولكنها لم تخل من فائدة حين أتيح لها بعض الدارسين الموهوبين المثقفين وفي ظني أن السنوات العشر التي أشرت إليها تجسد «الذروة» لازدهار البنيوية سلبا وإيجابا ولكنها الآن تعود إلى حجمها الطبيعي كجزء من الخلفية الثقافية للناقد ، أيا كان منهجه أو اتجاهه

- ربما كان كلامك صحيحا أقول ربما ، فلست متأكدا . ولكنني أفهم اتجاه بعضهم فجأة إلى البنيوية ، وكأنهم يفرون من الماركسية . لقد كانت مرحلة السبعينيات شديدة القسوة على أصحاب الرأي . والبنيوية وما شابهها تستجيب سلبيا لهذه القسوة بالابتعاد عن ساحة الرأي ، فهي كمن يبعد عن الشر ويغني له .

■ لم أنفصل عن الحاضر ، وأختار وسيلتي المناسبة في ذلك .

رد فعل عنيف

* لست من أنصار البنيوية ، ولكنني أستبعد تماما أن تكون «غناء للشر» ، إنه تعبير شديد القسوة .

- لأنه رد فعل عنيف على هذه المحاولة المستحيلة ، للانعطاف بالنقد عن مساره منذ ارسطو إلى اليوم . لقد عرف النقد ثورات عظيمة ، سواء في فلسفة الفن وعلم الجمال أو في التطبيق . ولكن هذه الثورات لا علاقة لها من قريب أو من بعيد بهذا الذي يحاوله بعضهم باسم الحداثة للأسف . لقد عرفنا الكلاسيكية بأنواعها ، والرومانسية بأنواعها ، والواقعية بأنواعها ، والدادية وغير ذلك .

وعرفنا النقد اللغوي والنقد العروضي ، وكلاهما ليس نقدا حداثيا أو حديثا ، ولكنني لم أعرف في مذاهب النقد الكبرى وأدواته ما يزيد الشعر الغامض غموضا ، أو ما يحيل القصيدة إلى معادلات «انثروبولوجية» . هناك قياسات رياضية لذبذبات الصوت ، ولكن هذه دراسة في الإيقاع وليست نقدا أدبيا ، الذوق لا يتناقض مع العلم ، والعلم ليس إحصاء للتكرار أو المشابهات أو المتناقضات . هذه كلها في خدمة العلم . وهو في النقد دراسة الأدب والعصر والمجتمع وكل العناصر التي شاركت في خلق العمل الأدبي . التاريخ الأدبي مهم للمقارنة ، والبلاغة مهمة للتحليل اللغوي ، والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع كلها مهمة للتحليل الفكري والنفسي والاجتماعي . هذا هو النقد الذي يضيء القصيدة أو الرواية أو المسرحية. وهو، كما ترى وتعرف، يختلف عن النقد الذي يضيف إلى الغموض غموضا. أنت نفسك لست ناقدا تقليديا، ولكنني أفهم ما تكتب. إنني أعتز كثيرا بكتابيك المبكرين: «أزمة الجنس في القصة العربية» (١٩٦٢)، و «المنتمي - دراسة في أدب نجيب محفوظ» (١٩٦٤). و هما ليسا من النقد «الإيديولوجي» الذي نادى به محمد مندور، أو النقد الاجتماعي الذي نادى به محمود العالم. إنهما أكثر تركيبا، لأنهما يعتمدان على تحليل العمل الأدبي من داخله ومن خارجه، ومن خلال العلاقة بين الداخل والخارج بواسطة التحليل والمقارنة. ولم تزدك الأيام إلا تعميقا لأدوات هذا الاتجاه . وأظن أنك طورت أدواتك خلال فترة وجودك في فرنسا . ولكنني أرى أن ما تدعوه أنت بالحداثة يختلف عما يدعوه الآخرون بالبنيوية .

من هم الشباب ؟

* إنها بالفعل ليست «شرا» ، فهي قد مثلت تحديا للتيارات الأخرى . وكان من شأن هذا التحدي أن يدفع الآخرين إلى البحث عن رؤى جديدة ومفاهيم جديدة وأدوات جديدة ، لأن بعض الاتجاهات التي استفادت من سلامة موسى ، ومفيد الشوباشي ، ومنك ، ومن عصام الدين حفني ناصف ، ومن محمود العالم في مصر ، ومن عمر فاخوري ورئيف خوري وحسين مروة في لبنان ، قد انتهت في عديد من المراحل إلى الجمود . وكان الوضع الأدبي يتغير ، والنقد الواقعي - كما أحب أن أسميه - يتخلف .

وهنا أصل الى ما تصفني به من مشايعة أو انحياز لأدب الشباب ، ولو صح هذا «الاتهام» لسعدت به . وأتمنى أن يكون صحيحا ، ولكنني أحب ، مع احترامي الشديد لك ، أن نحدد معا هؤلاء «الشباب» ، فقد لا يكونون كذلك ، وأن نحدد «الأدب الجديد» الذي قد يكون شابا وقد لا يكون .

- أنت منحاز فعلا للمعروفين منهم ولأنصاف المعروفين وللمجهولين .

لا حديث في السياسة

* ألا تلاحظ أنك كتبت في السنوات الأخيرة عن أمل دنقل ، ومحمد عفيفي مطر ، وأحمد حجازي ، ومحمد ابراهيم أبو سنة ، وفاروق شوشة ، ونصار عبدالله ، ومهران السيد ، ولم تكتب عن نظرائهم في القصة والرواية ؟ وهل تعلم أن أصغر شاعر

بين هؤلاء «الشباب» قد تجاوز الخمسين ، وبلغ بعضهم سن التقاعد ؟ وهل تعرف أيضاً أن لهؤلاء الشعراء المصريين زملاء عرباً في غير مصر ؟

هذه مشكلة ، ولا تغضب مني أرجوك ، أنت ميزت الشعر على القصة والرواية ، وميزت مصر على غيرها

ـ إنني لا أميز أحداً ولا شيئا ، لقد كتبت عن بكر الشرقاوي في روايته «وقائع» يوم القيامة في مصر وهو يعيش خارج مصر .

* ولكن صنع الله ابراهيم ، وعبدالحكيم قاسم ، وبهاء طاهر ، وجمال الغيطاني ، ومحمد البساطي ليسوا «شبابا» ، إنهم «شباب القلب» فقط ولا تنس أن ادوار الخراط قد بلغ الستين وأقصد بخارج مصر كتابا من أمثال عبدالرحمن منيف ، جبرا ابراهيم جبرا ، وغادة السمان ، وحنان الشيخ ، وحنا مينه ، وهاني الراهب ، ورشيد بوجدره ، والطاهر وطار ، وغيرهم عشرات ممن ودعوا «الشباب» منذ زمن قريب أو بعيد . هؤلاء وأولئك هم زملاء بدر شاكر السيّاب ، والبياتي ، وصلاح عبدالصبور ، وأحـمـد حجـازي ، ممن «تحبـهـم» ، وأدونيس ، ومحمود درويش ، ومحمد عفيفي مطر ، ممن «لا تكرههم». لا تكتمل خريطة الأدب العربي المعاصر ، والأدب المصري جزء منه ، بغير القصة القصيرة والرواية والقصيدة ، وبغير الأجيال الطالعة موجة بعد أخرى ، وبغير أن تمتد أبصارنا من المحيط إلى الخليج .

ـ لست أريد لحوارنا أن «يضطر» لاتخاذ وجهة سياسية . لست أخشى المواجهة السياسية ، ولكن مباشرة دون لف أودوران .

أسباب الحرج !

* أين السياسة في كلامي ؟

ـ كلامك عن المحيط والخليج . لست أخشى أنا كذلك الاختلاف السياسي معك ، ولكن لم أتكلم في السياسة ، وإنما قصدت بالمحيط والخليج أنه لم يعد ممكنا تجاهل علاقة الأدب المصري بالأدب العربي ، في أي نقد أو تحليل لثقافتنا المعاصرة .

هذا هو الكلام في السياسة إنني أذكر تفضلك بإعطائي دواوين بدر شاكر السياب بعد وفاته ، وقد كتبت عنه ثلاثة مقالات . ولعلك تذكر أنك أعطيتني كذلك روايات غسان كنفاني بعد وفاته ، ولكنني لم أكتب عنه . لقد كتبت عن السياب شاعراً لأنني شخصيا أحب الشعر . لم أكتب لأنه عربي ، وهي الصفة التي تطغى على غسان كنفاني بصفته فلسطينيا . وقد شرحت لي بنفسك ، كما أنني قرأت لك ، أن قضية فلسطين هي محور أدبه ، لذلك تحرجت في الكتابة عنه ، على الرغم من أنه قد يكون روائيا جيدا . ولكنني آسف ، إذ أن السياسة في بلادنا تخلق ظواهر إعلامية أحيانا ، تضر الأدب عالبا ، وهذا هو موقفي من محمود درويش ، فأنا لا أعرف يقينا ما إذا كانت القضية الفلسطينية هي التي تمنحه هذا الحجم


● عباس محمود العقاد


● صنع الله ابراهيم


● محمد ابراهيم ابو سنة


● حنا مينـــا

الإعلامي ، أم أن شعره يستحق كل هذه الضجة . على أي حال فالشعر أو الرواية هما اللذان يَشُدّانِني إلى أدب الكاتب ، إذا لم يكن مصريا ، أيا كانت جنسيته . أما الأدب المصري فهو جزء من ثقافة وطني ، وعليَّ نحوه واجب خاص . وهو الواجب الذي لا يشعر به الناقد الأمريكي نحو الكاتب البريطاني . قد يكتب مقالا أو حتى كتابا عن شاعر انجليزي ، ليس من باب الواجب الوطني ، ولكن من باب المتعة الفنية أو الفكرية الخالصة .

* لقد تداخلت الإشكاليات تداخلا مثيرا ، ولابد من عملية «فك اشتباك» بينها ، حتى نتناولها واحدة واحدة . ولنبدأ من أنني لست أعتقد أن العلاقة بين العقاد وميخائيل نعيمة ، أو بين طه حسين ومحمود المسعدي ، أو بين عبد الرحمن منيف ونجيب محفوظ كالعلاقة بين شتاينبك وديكنز ، أو بين همنغواي وبرناردشو . نعم تشكل اللغة نسقا رئيسا في القرابة الأدبية والثقافية عموما . ولكنها اللغة التي تختزن رصيدا من الذاكرة والخيال والقيم والرموز الأكثر غنى من معجم المفردات ومنظومة الإيقاعات وفهرس المعاني وكتاب القواعد إن اللغة التي تصل بين المتنبي وأحمد شوقي ومحمد مهدى الجواهري تنتمي إلى النوع الأول على الرغم من انسابها إلى النوع الثاني . وهناك فرق عظيم بين «على الرغم من» و «بفضل» . لذلك فالأدبان الأمريكي والانجليزي قد ينتميان أحيانا نادرة إلى خيال مشترك ، بفضل اللغة الانجليزية وليس على الرغم منها . ولكنهما في الأغلب الاعم ينتسبان إلى معجم اللغة ، وليس إلى رصيد الذاكرة والخيال والقيم والرموز . هذا الرصيد هو الذي يربط بين الكتاب العرب ومن هنا فالسياب شاعر عربي كصلاح عبدالصبور ، وليس شاعرا فقط . ليس هناك شاعر فقط . وغسان كنفاني روائي عربي . بالتأكيد . ولكن عروبته لا تختنق أدبيته . أي أن القضية الفلسطينية لم تخلقه ، ولم تخلق عشرات الشعراء والكتّاب الفلسطينيين ، ولكن حضورها في كتاباتهم يزيدها نبضا بالانسانية ، كشأن أي قضية أخرى في أي أدب آخر .

ـ قبل أن تستطرد أريد أن أسألك ، هل من فرق بين أحمد حجازي ومحمود درويش ، إذا كتب كلاهما قصيدة عن فلسطين ؟ إنني أتساءل عن الفرق ، وليس عن القيمة .

الخيال الشعري والرموز المشتركة

* بالطبع هناك فرق بين شاعر وآخر من أبناء اللغة نفسها ، فذاكرة محمود درويش كفرد مثقلة بالفلسطينيات اليومية الملموسة ، ولكنهما شاعران ينهلان من معين لغوي مشترك ، يحمل خيالا شعريا وذاكرة شعرية وقيما ورموزا مشتركة .

وفلسطين لا تخرج عن نطاق هذا الرصيد والتكوين النفسي والثقافي ، على الرغم من اختلاف التفاصيل بين شاعر فلسطيني وآخر مصري أو عراقي

ـ هل ترى حقا أن الفلسطيني بلا وطن إذا أصبح شاعرا كان وضعه المغتصب من قبيل التفاصيل ، أو كان مفعمه من التفاصيل ؟ إني لا أشاركك الرأي . فلابد أن تختلف الرؤى بين شاعر مسلوب الوطن وآخر يعيش في وطنه . وإن شاركت الأول الكفاح من أجل فلسطين . ليس الجرح في الجسد الفلسطيني مساويا للشعور بهذا الجرح في أي جسد آخر . ومن هنا ارى أن أي ناقد فلسطيني أقدر على رؤية الأدب الفلسطيني وتحليله من بقية النقاد العرب . وهذا واجبه ومسؤوليته وكذلك للناقد المصري فالأدب المصري هو مسؤوليته الأولى ، وقد يختار الشعر من بين فروع هذا الأدب ، إنه حر في ذلك . وفي العالم كله هناك من يتخصص في الشعر فقط ، أو في الرواية فقط ، أو في المسرح . وليس المطلوب من الناقد أن يكتب في كل شيء .

من يمارس التأثير الأعمق ؟

* أنت حر فعلا ، ولكن حريتك الشخصية لا تقيم نظرية ، فما زلت أرى أن تقييم شعر

صلاح عبدالصبور أو أحمد حجازي أو محمد عفيفي مطر لا ينفصل عن رؤية شاملة للشعر العربي الحديث والمعاصر هناك ، بعيدا عن أي اطروحات سياسية حول العروبة ، شعر عربي قديم وحديث ، وشعرية عربية قديمة وحديثة . وإلى هذه الشعرية ينتمي المعاصرون من الشعراء العرب جميعاً لا أستبعد الخصوصيات هنا . ولكنها ليست خصوصيات وطنية بالضرورة . قد تكون وطنية ، كما هو حال الشعر الحديث في المغرب العربي ، حيث تمثل الازدواجية اللغوية تحديا للسان العربي ، يشارك في صنع الخصوصية المغربية . ولكن هذه الخصوصية وحدها



● امل دنقل



● محمد محمود

لا تصنع شعراً عربيا في المغرب العربي المعاصر إن تأثيرات ادونيس وسعدي يوسف على الشعر المغربي لا تحتاج إلى برهان . ولكن التأثير الاعمق هو البنية الثقافية للشعر العربي الكامنه في البياتي أو ادونيس أو سعدي يوسف هذه البنية ذات الانساق القيمية الواحدة . وذات السياقات الدلالية الواحدة ، هي التي تفعل فعلها في توحيد الشعرية . وتنويع خصوصياتها لذلك لا تختلف معايير النقد من شاعر جزائري إلى شاعر يمني . وإن اختلفت تحديات اللغة ، أو حدود الخيال ، أو اختراقات الذاكرة ، من بلد إلى آخر

ـ على أي حال فهذه كلها افتراضات ، وفي محاولة اختبارها أريد أن أعرف منك مدى تأثير كتب مثل «بلوتولاند» على الشعراء العرب المحدثين إن الشائع هو أن أحدا من اثنين كان رائداً للشعر العربي الحديث : إما نازك الملائكة أو بدر شاكر السياب ، وليس هذا صحيحا . فالحداثة الشعرية قد بدأت في مصر وهذا لا يعير من الأمر شيئا ، فالسياب شاعر عظيم ، وقيمته عندي تتجاوز أهمية الريادة التي يكثرون من الكلام عنها بلا طائل ، فالتاريخ سيقول شيئا آخر حتى أنت في كتابك الذي أصبح من «كلاسيكيات» النقد «شعرنا الحديث إلى أين ؟» لم تحسم هذه القضية ، كأنها غير واضحة لك إن تجارب المصريين سابقة على غيرهم

مفهوم الريادة

* لست أرى في الريادة حركة فرد ، بل حركة جيل وما من عبرة في السبق الزمني ، سواء بلغ شهرا أو سنوات ، العبرة في الإضافة ولست أرى في الريادة حركة قطر بعينه ، بل حركة العرب جميعا العبرة أيضا في الإضافة هناك بلا شك جذور مصرية كشفة ، المازني وأبو حديد وباكثير ولست وهناك بلا شك ينبوع عراقي متفجر السياب ، البياتي ، الملائكة . الحيدري وهناك بناء طليعي سوري أورخان ميسر ، وقيمة تاريخية نزار قباني ، ورؤيا متجددة ومجددة أدونيس . ومن ينكر الرائد اللبناني العظيم من جبران إلى خليل حاوي . ولكن الريادة ، سواء كانت جيلا أم حركة قومية ، فإنها ليست محدودة «بالماضي» الذي كان منذ أربعين عاما أو أكثر قليلا لا سعدي يوسف ولا محمود درويش من «الرواد» بهذا المفهوم «الماضوي» ، ولكني أراهما في طليعة الرواد . أصحاب الإضافة وأي شاعر جديد يظهر اليوم ، وفي شعره إضافة نوعية جديدة ، فهو من الرواد لا يجوز لهذا المصطلح أن يرادف الشيخوخة أو الماضي . حتى لا نقع مرة أخرى في براثن التقليدية إن ثورة الشعر الحديث لم تكتمل ، وأربعون عاما من العمر الأدبي ليست زمنا كافيا للاكتمال .


● جمال الغيطاني


● فاروق شوشة

ـ أنت تبرر بذلك حالة التوقف إن لم يكن الارتداد في الشعر . لست أدري ماذا يجري خارج مصر ، سوى أن نازك الملائكة تراجعت عن ريادتها للتجديد . وهي بالمناسبة شاعرة رقيقة راقية . ولكنني أعني بالتوقف حالة الشعر في مصر . إن ما ينشر في الصحافة اليومية بالغ الرداءة ، ونموذجه السيىء هو ما ينشر في «الاهرام» . ولا تكمن عيوبه في أنه شعر عمودي ، ولكنه ليس شعرا . إنه نظم عاجز عن أن يكون شعرا . والصفحة الأدبية في جريدة يومية كبرى هي ، كما نفترض ، مرآة الحركة الشعرية ، وأقرأ أحياناً في مجلة «إبداع» تجارب غامضة ، وأخرى كسيحة ، والقليل النادر من الشعر . لا أعرف ماذا حدث أو ماذا يحدث . إنني من أنصار التجديد ، بل من المحرضين عليه . ولكنني أرى نفسي محاصرا بالزيف العمودي من جانب ، والتفعيلة المزيفة من جانب آخر . هل انتهى الشعر في مصر بموت أمل دنقل ؟ إنني أقرأ محمد عفيفي مطر بعسر شديد هل غاضت المواهب مع مياه النيل المنحسرة ، أو أن المناخ العام يعادي أصحاب المواهب ، أو أن الارتداد في نظم الحياة الاجتماعية والثقافية واكبه ارتداد في الشعر ، أو أن نظام التعليم بلغ من العقم حدا لا يشد الشعراء ، أو أن هناك أسبابا أخرى خافية على سبب الشيخوخة ؟

لقد كنا في شبابنا نريد أن نغيّر العالم ، كنا ننطح الصخر ، فما الذي تغير ؟ لقد التهمت في صباي وشبابي آلاف القصائد الجميلة في مختلف اللغات . وكان الواقع التعيس في بلادنا والشعر الجميل في بلاد غيرنا يلهم جماعة أبوللو أروع رايات الرومانسية العربية . وكان أبو القاسم الشابي ينشر في مجلة أبوللو شعرا عذبا راقيا ، وكنا نراه «إنجيلا» للشعر الجديد . فما الذي حدث ؟ ماذا يقتل الخصوبة في الشعراء ؟ ما الذي يغتال الروح ويترك لنا أجسادا محنطة من النظم الركيك الذي يشبه الأكفان المزخرفة ؟ إنني حائر وغاضب وحزين ، فانحسار المسرح مفهوم ، لأن الانفتاح الاستهلاكي قضى على المسرح الجاد ، وأسس مكانه «الكابريهات» ، أما انكسار الشعر فيعني موت روح الأمة . وهذا الخاطر يزلزلني في الأعماق . □



● لو أنصف الناس لاستغنوا عن ثلاثة أرباع ما في الصيدليات بالضحك ، فضحكة واحدة خير ألف مرة من قرص من «الاسبرين» ، ذلك لأن الضحكة علاج الطبيعة ، و «الاسبرين» وما إليه من علاج الإنسان ، والطبيعة أمهر علاجا ، وأصدق نظرا ، وأكثر حنكة

«أحمد أمين»





سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

يوليو ١٩٩٠ م

نحو فلسفة تربوية عربية

الفلسفة التربوية ومستقبل الوطن العربي

تأليف

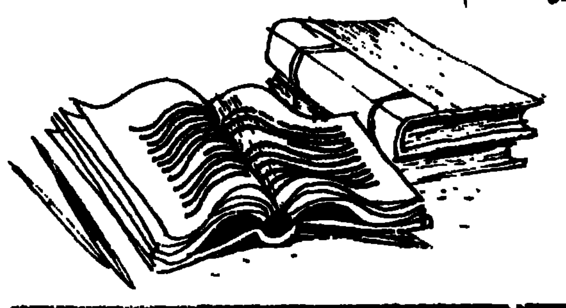
د. عبدالله عبدالدايم



الكتاب ١٥١

المراسلات : باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

١٠٥



قراءة نقدية في أعمال غالب هلسا

صورة الفنان في أعماله الروائية

بقلم : خيري الذهبي*

تعودت ان نقدم تحت عنوان «قراءة نقدية في كتاب» مناقشة لنص أدبي واحد، لكاتب أو روائي أو شاعر أو قصاص.

وفي هذه المرة نقدم في هذا الباب مناقشة لجملة أعمال الأديب غالب هلسا. ونأمل أن تضيف هذه المحاولة بعض الثراء والتنوع لهذا الباب.

اللافت للنظر أن «غالب» كان يستخدم في كتاباته ضمير الهو، وليس ضمير الأنا، ولكنه الهو المختلط بالأنا، حتى ليضيع الفارق بين الضميرين، مما يذكرنا بلعبة الروائي الأمريكي هنري ميلر الذي كان يستخدم في رواياته ضمير الهو، ويسميه هنري، دون أن ينسى طوال الوقت أن ينشر أصابعه فوق أنفه ملوحاً لنا في سخرية: لا تصدقوا اللعبة إنه أنا، هنري.

بين الأنا والهو

ولكن ما الذي يجعل الكاتب الذي يريد الحديث عن أناه وحياته يلجأ إلى ضمير الهو؟

أعتقد أن السبب الأساس في ذلك يعود إلى أن ضمير «الأنا» الذي يفيد الكاتب حين يحرمه من المعرفة الشاملة بخبوات الأبطال الآخرين كروائي. ويضطره إلى أن يجد نفسه محصوراً في إهاب معرفة الأنا الشخصية في هذا الشكل من الكتابة الذي يصنع فيه الكاتب من أناه ذاتا وموضوعاً، وإذا ما عرفنا أن كاتبنا، غالب هلسا، قضى فترات طويلة من عمره في السجون، عرفنا من كتاباته أن هذا هو المكان الأمثل لمراجعة النفس، واستبطان الذات، وتحليلها، ومحاكمتها. وفي سؤال لي، وجهته للراحل «غالب» عن المكان في كتاباته قلت: هناك ملمحان واضحان للمكان في كتاباتك،

* كاتب روائي من القطر العربي السوري

مكان الذاكرة الرحب الواسع . الشديد التفاصيل ، كما في « وديع والقديسة ميلادة » مجموعتك الأولى ، والجزء الأول من « سلطانة » ، وكلاهما يدور في قريه معين ، ومكان ضيق هو الغرفة أو المكتب شديد التفاصيل دقيقها تتحدث فيه عن الستائر والشراشف وصحون السكائر وأنواع الطعام والشراب وهيئات الجلوس وحركات الأجساد ، فكيف تم هذا ؟

فقال بما معناه : الروايات التي تدور في القاهرة روايات مراجعة للذات ومكاسبها ومخاسرها ، مكاسب جيلنا وتجاربه ، وما أنجزه ، وما أخفق فيه ، أما قصص الأردن فهي قصص القلب . ثم ضاع الحوار في أشياء أخرى .

أما أنا فأعتقد أن روايات القاهرة قد كتبت كلها في السجن ، كتبت في أثناء فترات الخلوة مع النفس ، كتبت كمراجعات وتساؤلات ، كتبت في الأحلام الليلية وأحلام اليقظة ، كتبت على ورق من خيال ، وبأقلام من ذاكرة ، وما كانت تحتاج إلا إلى خروج من الجدران الضيقة الأربعة ، وقليل من ورق حقيقي وقلم لتكتب في : « البكاء على الأطلال » و « السؤال » ، و « الروائيون » . لذلك دمغها المكان الضيق بطابعه ، أما « وديع والقديسة ميلادة » ، و « سلطانة » ، تلك الترجمات التي كتبتها ذاكرة الطفل الحارة الطازجة،فقد حفلت بكل ما حملته الذاكرة الطفلة من حارات معين وبستانها المهجور والجبال المطلة على القدس والبحر الميت .

عين الطفل

في محاولتي هذه لدراسة عالم « غالب هلسا » الروائي سأحاول أن أعيد قراءة ما كتب ، محاولاً عقد مقارنة بين العملين الأردنيين « وديع والقديس ميلادة » و « سلطانة » والعملين القاهريين ، « الضحك » و « الروائيون » .

في « وديع والقديس ميلادة » وهو العمل المنشور الأول لغالب يقدم لنا الكاتب تلك القرية المسيحية الوادعه ، وهي تحج إلى حيث الطفله التي ظهرت لها العذراء القديسة ميلادة ، وفي هذا العمل نلاحظ عالم الذاكرة المصفى من أدران المساجلات السياسية ، فالأحداث يراها بعين الطفل وديع - غالب هلسا الطفل - وهنا نجد الهو الدقيق تقنيا ، فقد استطاع « غالب » الانسلاخ من غنائية الترجمة الذاتية ، ساخا من « غالب » الذاكرة شخصيتين هما : وديع مراقب هذا الحج العجيب ، وإن كانت المراقبة الحنون الرقيقة مع لمسة سحرية هادئة ليست جارحة ، بل متأملة ومشاركة ، وغالب هلسا الكاتب الشاب الذي سماه في هذه المجموعة الياس ، وجعله الأخ الأكبر لوديع . الياس هذا كتب قصة نالت نجاحاً ، فعدّ نفسه كاتباً ، وتحول « ديكتاتوراً » مترفعاً عن هؤلاء الحجاج من أهله .

يرحلون إلى القدس سعياً وراء القديسة ميلادة ، تلك التي يصفها غالب الشاب الياس بأنها طفلة عصابية ، تحتاج إلى طبيب معالج ، رافضاً هذا الحج وطقوسه ، ولكن غالب الطفل - وديع - يحج معهم إلى القديسة ميلادة ، يرحلون وفيهم « الأشل » و « المجسوسة » و « العمياء » ، ولكن روح الريفي الذكي البخيل تغلب حتى الساعين إلى مجد السموات وشفائها ، تغلبهم فيساومون على الزيت الشافي المقدس ، تغلبهم فيسرقون بعضاً من هذا الزيت المقدس ، تغلبهم فيبتزون أبا القديسة ليحصلوا على الرشوة مقابل صمتهم عن كشفهم خديعته .

حلل غالب هذه المجموعة من الناس ، سخر من أوهامهم بعطف ، كشف لنا عالمهم البسيط ، وأعلن ، دون أن يدري ، أنه في سبيله إلى بناء روايته الجميلة « سلطانة » .

في « سلطانة » قدم لنا غالب ثانية ذكريات الطفل جريس وعالمه في القرية ، وإن لم يسمها هذه المرة ، وكان من الواضح أنه يخطط لبناء رواية ريفية ، تتحدث عن ذلك العالم الذاكري الهادىء ، عالم الطفولة واكتشاف الأنثى - المرأة -

الجمال ـ الأم ـ الشبق،فقدم لنا القرية ، بيوتها ، حاراتها ، الجبال المحيطة بها ، الهربش أو البستان المهجور المنخفض المغري بالغرائز المنفلتة من ضغط المجتمع الأبوي . قدم لنا مكاناً كامل الجماليات ، انتزع فيه كل تفصيل من حنايا الذاكرة الطفلة ، البيت ، غرفه ، المضافة التي تحولت إلى مستودع ، الباحة والدجاجات ، الكلب العجوز الهادىء ، البنت المعشوقة خضرة ، وعجزه عن التواصل معها ، ولكننا فجأة نلاحظ أن هذا البيت لا يسكنه إلا جريس وأمه نجمة ، فما الذي جرى لتلك العائلة الكبيرة التي عرفناها في « وديع والقديسة ميلادة » ؟ ما الذي جرى لسعاد الأخت ، ولموسى وميخائيل وحلوة ؟ لم تقلصت هذه الأسرة حتى حدود جريس والأم ؟ وفجأة نتنبه إلى أن الأسرتين ليس فيهما أب . حسن . ها هي الأسرة ناقصة الأب تتقلص لتكتفي بالولد وأمه وحيدين .

هذه الوحدة ماذا تعني على المستوى النفسي ؟ ولم ألغى الكاتب الآخرين ليخلو له وجه الأم والابن ؟ ربما كان هذا لدواع روائية ، ولكننا حين نعرف أن « غالباً » كان دائماً صانعاً لعالم شخصي ، فلا بد لنا أن نتوقف ها هنا أمام هذا الإلغاء ، خاصة وأنه لم يكتف بأم واحدة ، فجعلها اثنتين : نجمة الأم الحنون العجوز الرقيقة المنكسرة ، وآمنة الجمال العتيق ومعشوقة الجميع . أليس هذا هو التعبير المثقف الجديد عن انتمائه لثقافتين معاً : الثقافة المسيحية بالدم والولادة ، والثقافة الإسلامية التراثية المتبناة بوعائها العربي ؟

أمـــــان

في « سلطانة » يقول ، بعد أن يقدم لنا وصفاً مطولاً شاعرياً لأصابع آمنة ولأنفها ولعنقها ولعينيها : كنت أدعوها أمي ، لأنها أرضعتني فترة ، لا أعرف طولها عندما مرضت أمي بالحمى .

وبعد أربع صفحات : لقد ولدتُ ولي أمّان ، واحدة أدعوها (يمّة) فقط ، والأخرى أناديها (يمّة آمنة) . ثم لا يكتفي بهذا أيضاً ، فبعد أن صنع لنفسه أمًّا ، هي الحنان المنكسر بلا حدود ـ نجمة ـ وأمًّا هي الجمال المطلق بلا حدود ـ آمنة ـ إذا به يتخلى عنهما ، سعياً وراء أم جديدة ، هي الشهوة المطلقة ـ سلطانة ـ ثم يهرب من هؤلاء الأمهات جميعهن إلى عمّان ، متخلياً عن مشروعه الأساس في بناء رواية ريفية ، ولكنه بهذا الانتقال من القرية إلى عمّان انكسر معه البناء المعماري لرواية سلطانة ، فصارت روايتين متجاورتين ، واحدة ريفية غنائية (باستورال) ، خالية من عيب الروايات الشامية القاتل ، أعني المساجلات السياسية للآتي والراهن ، وأخرى حوت كل هذه العيوب التي طالما عابها ـ محقاً ـ على الروايات الشامية .

يعود جريس إلى عمّان ، محاولاً الخروج من العزلة إلى رحابة المدينة ، ليبدأ لقاءه مع الحزب الشيوعي ، فيقول (ص ٢٣٠) : أي عالم سحري ينفتح أمامي ، أكثر إثارة وغرابة من عالم الروايات ، ولكنه عالم واقعي ، عالم أصدقائي ، وسوف يكون حتماً عالمي .

وبما أننا نعرف أن « غالباً » عاش شبه يتيم الأب ، فقد كان أبوه عجوزاً جداً ، منفصلاً عن الطفل الأصغر « غالب » ، فتعلق بالأم حتى فقدها ، وبما أننا نعرف أنه كثيراً ما يتحدث في رواياته عن أوديب وعقدته ، وبما أننا نعرف أن الوطن ـ الأم ـ قد هجره منذ مرحلة مبكرة ، فسنستطيع فهم هذه الحرقة الطويلة عنده لصنع أمّ يلجأ إلى حضنها ولا يخشى الوحدة ، فتقلب في الذاكرة بين الأم الحنان ـ الأم الدموية ـ الأم الأولى ، والأم الجمال ، الأم المرضع فاتنة الجميع ، ثم جمعهما معاً في الأم الشهوة سلطانة الجميلة المشتهاة ، ولكنه يتخلى عنهن جميعاً سعياً وراء الأم الحزب ، ولكنه بحساسية عالية يكتشف مبكراً أنه أيضاً عالم مخادع ، حين يهمس

له صديقه في النادي ذي النكهة اليسارية مشيراً إلى طعمة ، وهو الشيوعي المجمد المعزول : « لا تناقشه ، فيه شكوك بتدور حواليه .

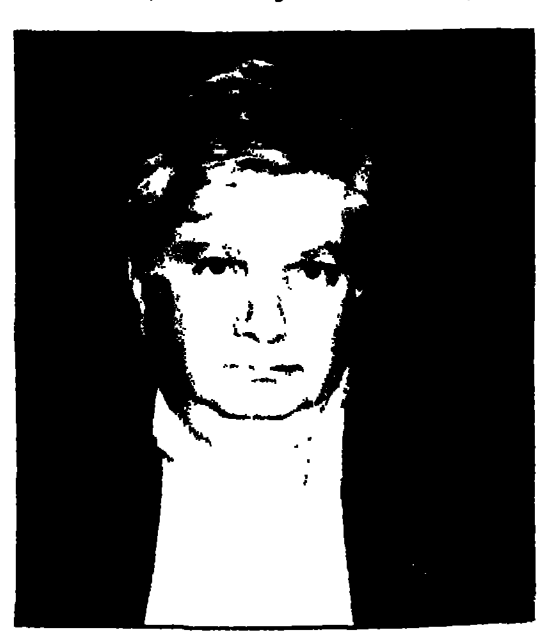
التفت إليه وقلت : مش فاهم .

قال : فيه شكوك بأنه على علاقة بالشرطة » .

العيش في « الغيتو »

وهكذا يدخل جريس في تلك الثنائية المرعبة ، الخروج من عزلة الطفل القروي الصغير ، ليدخل في عالم الأمية الرحب ، واكتشاف أنه في الوقت نفسه ينتقل إلى عالم سري ، محاصر بقوى الليل المباحثية ، وليكتشف بعد رحلة طويلة ، طويلة ، أنه ينتقل من « غيتو » إلى « غيتو » آخر ، « غيتو » سيحدثنا عنه طويلاً في « الضحك » و « الخماسين » و « السؤال » و « الروائيون » .

المعمار الروائي كمخطط انتهى منذ اليوم الذي تزك فيه جريس القرية ، فلم استمر في كتابة الجزء الثاني ؟ أتراه أحس بأن أحلام اليقظة والذكريات التي أيقظها جعلت الوطن الهاجر - الأم الأوديبية - أكثر جمالاً مما أراد المؤلف ؟ وحين راجعها اكتشف أن غفرانه لهذه الأم كان أكثر مما



● غالب هلسا

يجب ، فرأى أن يكملها في عمان ، ليكشف أن المدينة قد دنستها ، فَحَوَّلَتها مع ابنتها أميرة إلى مومس ومهربة . ولكن لماذا ؟ حَسَن إنه أراد أن يصف ، ويكشف ، ويحلل الطبقة التي ستصبح سائدة كما يعتقد ، ولكن بم نفسر وصفه للحزب الشيوعي الأردني في بداياته بهذه السذاجة والببغائية وضيق الأفق ؟

وحين نعقد المقارنة بين مجموعة وديع والقديسة ميلادة » و « سلطانة » ، متابعين استخدام الكاتب حماليات مكانه ، نلاحظ أنه حين كتب « وديع والقديسة ميلادة » لم يكن قد مضى الكثير على فراق « غالب » الأم الوطن ، ولم يكن قد اعتاد استحلاب الذكريات خبز المنفى المهجور ، ولم يشيء معابد جميلة لمخزونات الذاكرة ، فرأينا قرية « معين » في « وديع والقديسة ميلادة » علاقات وأشخاصاً أكثر منها مكاناً مزركشاً موصوفاً مؤنقاً ، فمعين هي الصمت والضوء الخافت المنبعث من مصباح « الجاز » ، كتل الرجال الصامتين يخلق إحساساً كابوسياً ، يذكر بلوحة العشاء الأخير ، الرجال بلا تفاصيل ، والملامح متداخلة يضيعها اللون القاتم الذي يحط على الدار .

أما في « سلطانة » فلكل مكان سحره ، ولكل شخصية حياتها ومكانها ، بدءاً من الخوري صليبا ، تلك الشخصية الزوربالوية الخارقة ، وحتى زعيِّل عاشق آمنة ، مروراً بنجمة ومسرحها البيت الكبير ، وسلطانة وهربها دون أن ينسى معين وجبالها وبحرها الميت وأحلامها المنكسرة .

رعب الوحدة

بعد أن كتب غالب مجموعتيه الأوليين اتحفنا بروايته الأولى المهمة في تاريخه الروائي ، وفي تاريخ الرواية العربية ، أعني : « الضحك » ، ورواية « الضحك » هي رواية الرعب ، الرعب الإنساني العميق من الوحدة ، ومن الخصاء ، ومن العجز . رواية تنوس بين الواقع بكل قسوته

التي أناخ بها على جيلنا ، وبين « فانتازيا » العالم الداخلي للمثقف المعاصر ، « فـانتازيـا » تستثير التراث الثقافي والأحلام ، والأحلام المصنعة ، وأحلام يقظة المثقف المناضل الذي خصي ومُنع من الفعل .

في روايـة « الضحك » يحـاول غالب صنـع حداثته الخاصة ، فهو لن يلتزم بحدث مركزي ، يدير الأحداث والشخصيات من حوله ، قدر ما سيعمل بجد لإضاءة الحالة ، فهو في البداية يقدم لنا شهادات منتزعة من التراث العربي ، في الأولى انتزع من الأغاني فقرة يحدثنا فيها عن مغن مبدع هـو الدلال ، غنى فشغـل جاريـة الخليفـة عن سيـدها عن بعـد ، فغـار الخليفـة ، وسـأل ، وحقق ، حتى عرف المغني فأمر بخصائه .

وفجأة يدخلنا في صلب الرواية في حياة بطله الـذي لم يسمه ، وإن استخـدم له دائـماً ضمير الأنا ، فيعرفنا على علاقته بنـادية التي ستتـطور لتصبـح قصة حب مـرشحة لتكـون واحدة من قصص الحب الجميلة ، ثم لا يكتفي بنادية امرأة جميلة ، فما تلبث أن تتكشف عن المثقفة الحساسة التي تحـدثه عن بـاشلار ، وكتـابـه « جمـاليـات المكان » ، وهذا سيذكرنا بزيـب « الـروائيون » المثقفة التي تحدثه عن العودة إلى الأصول وقراءة (كانت وهيغل وفويربـاخ) . من هذا الثنـائي المغترب اليساري المثقف نزيل السجون ، والمرأة الجميلة المشتهـاة ، سيبدأ « غـالب » بناء عـالمه الـروائي الـذي سيتكـرر في كـل روايـاتـه ، سيتكرر ، ويتكرر معه عطب المرأة الجميلة المثقفة المشتهـاة المعـطوبـة أبـداً بتهمـة التعـامـل مـع المخابرات ، ثم بالعهر ، وإذا بالعلاقة تُدَمّر ليبدأ الرواية من جديد . هذه العلاقة التي بدأت جميلة يختمها غالب في نهاية القسم الأول بقوله : ما كان لنا أصبح عدونا ، أصبح يدبننا ويخزينا .

بعـد ست روايات يعـود في آخر روايـاتـه ـ الروائيون ـ ليقول مخاطباً زينب ـ نادية : هل كنا نعلم ونحن نبني أحـلامنا في الخمسينيات أننـا ستتحول إلى مخصيين وومسات في النصف الثاني من الستينيات ؟ وإذا بالدائرة تكتمل ، وإذا بعالم غالب الروائي يعود إلى حيث بدأ .

في القسم الثاني من « الضحك » يعود الراوي إلى طفولة البطل في الأردن ، وإلى المدينة الصغيرة التي نُفي إليها ، وأعتقد من وصفها أنها معين ، ليدخلنا في عـالم خصاء عيسى الـذي ناضـل ، وأحب ، وفشل ، وجن ، فخصي . ثم ينتقل ثانية إلى عالم السياح الأمريكان بكـل شذوذهم وانفلاتهم المترفع مع البدائيين من أهل القرية ، وهكذا يتغير الخط الأساس للرواية ، ولكنـه في سعيـه وراء الحـداثـة تخـلى عن حـرفيـة الخط المركزي ، مصـرًا على تقـديم الحالـة عاكسـة العالم .

في القسم الثالث يعود إلى الحدث المركزي ، لكنه هذه المرة يبدأ بجلاء عالمه الروائي ، عـالم المثقف اليساري ، الملاحق بقوى الليل السوداء والمثقفة اليسارية ، وعالم الجنس بصراحته وقسوته وتعذيبه ، حين يتحول الجنس إلى شيء آخر غير الجنس ، يتحـول إلى الهـرب من الـعـالم ، والاختفاء في الآخر من العـالم المهدد . ثم يختم هذا القسم بمقتطفات من نصائح لجمال المرأة ، مستخدماً لغة المجلات المصورة ونصائحها . ثم يكرر هذا « الموتيف » في نهاية كـل فصل ، مما يذكرنا بدوس بأسوس في مفهـومه عن الـرواية الحياة ـ المرآة اللغوية والحادثية ، ولكننا منذ نهاية هذا القسم نرى عـالم العشق والثورة يـذوي ، ليدخل عالم الملاحقات الكابوسية ، وتحلل الحب والعلاقات الانسانية تحت وقـع الرعب الأسـود والمحيط ، وكأنه لم يكتف برواية واحـدة تشرح رعبه هذا ، فعاد إليها بعد عشرين سنة في روايته الأخيرة « الروائيون » .

بين ناديـــة وزينب

أول ما يفاجؤك في « الروائيون » اكتشاف أنها الجـزء الثاني لـروايـة سـابقـة للكـاتب اسمهـا



● غلاف الرواية

« السؤال » ، تكتشف هذا فترتاح . فها أنت تتعامل مع أحداث الكاتب يقول : إنها لم تكتب ، ومع شخصيات ألفتها ، يفتتح الرواية بشخصياتها وهم في السجن يبلؤون يوماً قاسياً حديداً من أيام طحن الأضراس والبكاء على العالم الخارجي الذي فقدوه ، ومحاولة التماسك ، ثم بعد أن يعرض لنا الشخصيات في رواية يحاول أن يقدمها لنا رواية أصوات ، وإذا بالأصوات كلها تقريباً تختفي ، لتتمحور الرواية حول الثنائي العجيب الذي تعلق به كاتبنا لعشرين سنة روائية ، يعمرها رواية إثر رواية ، حتى إذا ما وصل إلى « الروائيون » كانت هاتان الشخصيتان قد بلغتا ذروة كمالهما الفني كموع . المثقف اليساري المهزوم والخائر والزاجد متعته في الجنس ، والمثقفة اليسارية المهزومة المتفسخة التي حين تنهار لا تتوقف عند حد ، والحب المستحيل الذي يبرد تحت تأثير شكوك التعامل مع المباحث والمحاط بالرعب الذي ينتهي دائماً بالعنة ، المرادف الجنسي للموت .

وحين نصل إلى هذا نكتشف أن « الروائيون » ليست فقط الجزء الثاني من السؤال ، بل هي التجلي الثاني للضحك ، إذ نجد هذين القطبين قد تحولا إلى « كريستال » للشخصيات السابقة ، تحولا إلى شخصيتين روائيتين تراجيديتين ، تحملان إلينا كل القسوة والألم والإرهاب والتمزق الذي عاشه وعايشه جيل الخمسينيات والستينيات ، وهو يبحث عن حل جذري ونهائي لمشاكل هذا الوطن العربي الممزق المسحوق تحت طواحين التجزئة والتخلف وضياع الهدف .

في « الضحك » حاول غالب تحديث الرواية العربية ، فقدم لنا الشكل الذي سبق لنا التحدث عنه ، أما في « الروائيون » فقد تخلى عن هذا الشكل المتقدم ، عائداً إلى رواية « الأصوات » ، ثم تخلى عن رواية « الأصوات » عائداً بحنين إلى العالم الذي عمره ، وأنسه طويلاً ، رواية « المونولوغات » وتيار الوعي .

في « الروائيون » لم يكتف غالب بأتون الشكوك المباحثية المعتادة ، ولا بأحزان تحلل الحب بين قطبي روايته ، فأدخلهما مطهر هزيمة السابعة والستين ، وأخذ يقلبهما على نار الهزيمة الهادئة ، وكأنهما المسؤولان الوحيدان والأساسان عن هذه الهزيمة التي ما إن تتم حتى يحس هذان الملاكان الساقطان أن العالم انهار من حولهما إلى الأبد ، في تعذيب الذات وإهانتها عبر الجنس والمخدرات . وفي حلم يقظة يهرب بطل روايتنا هذه « إيهاب » إلى الأيام المجيدة ، فيذكر تطوعه مع الفدائيين عام ١٩٥٦ مع نادية . في رواية « الضحك » (يستعيد صوره نادية في لباسها العسكري . يستعيد ذلك الانفعال ، الحب الصوفي ، الحلم المحض ، والشوق للبطولة ، فيداهمه إحساس ثقيل ، يضغط عليه بالبكاء ، قال : نادية . ولكن زينب التجلي الأخير والأقسى لنادية القديمة تنظر إليه باستغراب وتقول : اسمي زينب) .

وحين تقول له اسمي زينب ، تعني أن زمن الأحلام والبطولة والقدرة على الفعل انقضى وها هو زمن أسود جديد ، عليك أن تواجه فيه النفس ، فأكاذيب الماضي وخدعه لم تعد تنطلي على أحد ، والهزيمة الوقحة أسفرت عن وجهها أمام الجميع دون خجل ، ونبدأ في متابعة تحطم هذين المخلوقين الحساسين .

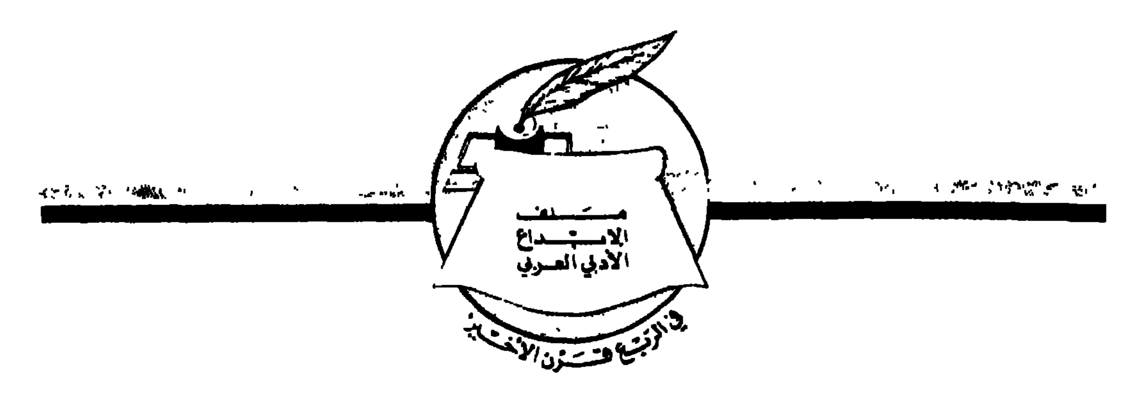
أكثرهـــا عذابـــاً

يعتصر غالب هـاتين الشخصيتـين التوأمـين ويشويهما على ناره الهـادئة ، فيعجـز إيهاب عن الكتابة ، ثم يصاب بالعنة ، وتسقط زينب ، في تركيز مبالغ فيه ، إلى أحط درك ممكن ، ولكنها تخـاطب « غالب » ، « إيهـاب » فتقـول : أنت فشلت في السيـطرة على حـركة المجتمـع ، كما فشلت مساعينا في تغيير المجتمع ، في الإمساك بحركته ، فشلت يا إيهاب في الإمسـاك بالعـالم والسيطرة عليه من خلال الرواية . فشل السياسة أدى إلى فشـل الرواية ، فلم يبق أمـامـك إلا زينب ، تسيطر على روحها وعلى جسدها (ص ٣١٠) .

وإذا مـا عدنـا إلى مقولـة إن إيهـاب وزينب وجهـان لعملة واحدة ، وإنهما تـوأمان ، عـاقبا نفسيهما على جريمة ارتكبها غيرهما ، فهمنا الحمأة التي طرحا نفسيهما فيها في صوفية مازدكية تذكرنا بحفلات جلد النفس والبكاء على جريمة ارتكبها آخر ضد آخر في زمن آخر ومكان آخر .

بعد هذا الإخفاق والإحباط والشعور بالتفاهة يتأمل إيهاب زينب ، ويسأل : مـا الذي يفعله السواح وضباط المباحث بهذه الفراشة الحـالمة ، أخته وتوأمه وعذابه ؟ بعد هـذا السؤال المفتاح الختـامي يكتشف إيهـاب أن لا فـائـدة من أي شيء ، ينتـزع حبتي « السايـانايـد » من جيبـه يبتلعهما ويموت .

وهكذا أنهى غالب هلسا آخر رواياته وأكثرها عذاباً ، وإن لم تكن أفضلها فنياً ، إلا أن البؤس الحزين الجارح الممـزق للقلب الذي كشفـه لنا فعرانا ليكشف لنا أننا كنا نعرف ، وأننا تواطأنا على التجاهل ، فما الذي جرى لهذا الجيل الذي بـدأ بـالحلم ، وانتهى بخصيـان ومـومسـات وفزاعات ؟ □



المجرى والمسارب
في المسرح العراقي المعاصر

بقلم : ياسين النصير *

ككل الفنون الإبداعية تأثر المسرح العراقي المعاصر بتطور حركة الواقع الاجتماعي على مستويين : إنساني خاص ، وعام ، وتفاعلت على خشبته تيارات فكرية وفنية متنوعة .

فإلى أي مدى نجحت التجارب المسرحية في تأصيل هذا الفن ؟ وما معالمه ، واتجاهاته ؟

تكشف حركة المسرح العراقي اليوم ، عن جملة اتجاهات فنية وفكرية ، ماكان لها أن تظهر وتتضح ، لولا العمل الموار الذي بدأ منذ خمسينيات هذا القرن ، ولما ينته بعد . ونعني به : الفاعلية المتجددة بين المسرح قضية ثقافية وبناء فنيا ، وبين الجمهور والمجتمع واقعا وأفقا معرفيا .

ولم يكن مسار هذه العلاقة خطا مستقيما ، بل خط متعرج ، ينحرف تارة بالفن ، فيجعله ترفيها ساذجا ، خاليا من المعنى والمتعة الجمالية ، كما يحدث الآن في بعض عروض المسرح التجاري ، وطورا يسير به باتجاه تعميق الصلة بين مشكلات الواقع المحلي وظروف الإنسان كلها ، وفق بناء فني متماسك ، يصبح هو المحتوى أحيانا ، كما حدث في أواسط السبعينيات . والنظرة العامة لكلا الاتجاهين تكشف عن أرضية متسعة من الممارسات المتبادلة التأثير . يمكن القول بأنها كانت مواجهة بالفن عن قيم اجتماعية كبرى ، ووفق سياق نضالي ومعرفي في آن واحد ، فالاهتمام بمشكلات المجتمع في جانب ، والاهتمام بمشكلات الفرد في جانب آخر ، كان هو الأساس المعتمد في الفكر المسرحي . ونستطيع القول بأن هذين الاتجاهين بدآ مع المسرحية الاجتماعية النقدية في الخمسينيات ، ومازالا مستمرين معها إلى الوقت الحاضر .

* ناقد من القطر العربي العراقي



المسرح يقترب من الواقع

كانت الخمسينيات بكل ما تعج به من قضايا ومشكلات ، هي الأرضية التي أنشأت الحس النقدي ، فأقدم المسرح دون سواه من فنون القول والإبداع على عرض مشكلات الفقر والأمراض والأمية والسجون والمنافي والاضرابات ، والمواقف اليومية لابن الشارع وهو يواجه سجانيه ، ومفتري النعمة عليه . فما كان من المؤلف إلا أن يلتفت إلى بنية الإنسان العامة ، وهو يمزج بين القول والفعل ، في مرحلة اتسمت ، وعلى نطاق واسع ، بالمواجهات .

لهذا كله ، ولغيره ، أنشأت المشكلات الاجتماعية والفردية طريقة واقعية في العرض ، وفي البناء الفني ، فكان الفنان يوسف العاني ، وهو من أبرز مؤلفي المسرح في تلك الفترة ، قد عالج هذه المشكلات من خلال تبنيه لنموذج بطولي شعبي ، هو الإنسان الكادح الذي أصبح مجسا حقيقيا لمواطن الخلل والعيوب . فكانت أمكنته تتراوح بين الوظائف ، والبيوت والعيادة الطبية والمحلات التجارية ، وكانت الأحداث تنمو وفق سياق التناقض الفكري بين موقفين أو رؤيتين : إحداهما يتبناها المؤلف ، أو بطله النموذجي ، كجزء من موقف المثقف الثوري .

وثانيتهما يتبناها موظفو الحكومة ، أو السلطات ، كجزء من الدفاع عن واقع متمسكين به . وكلتا الرؤيتين تفرضان على المؤلف شكلا فنيا لإظهارهما معا ، وبطريقة المحاورة المتجاورة على أرضية المسرح - الواقع - المحتدمة . هي إذن مشكلات الناس ، تقدم أمامنا بصيغ الصراعات الدرامية الانتقادية ، فيكون ممثلوها في وضع الدفاع أو الهجوم . أما المادة المستخلصة من الرؤيتين فهي عرض الحال ، ونقدها بأسلوب فني ، يجمع بين المحكى المشبع بحس سياسي ، والملهاة المأساوية التي تقدم بطلا ضحية لواقع ، ولقوى ضاغطة كبيرة ، لايستطيع تحديها ، أو القضاء عليها . وقلما نجد مسرحا ترفيهيا فقط ، أو للمتعة الخالية من الموقف ، بل إن الحياة الفنية لدى كُتّاب المسرح يومذاك كانت تطرح في سياقاتها الشعبية العامة الواضحة ؛ بمعنى أن المسرحيين لم يفتعلوا حدثا أو بطلا أو حالا ، وإنما كانوا ينهلون من واقع أشمل وأكبر .

وجمعت البنية الفنية لمسرح الخمسينيات ، بين الإطار التقليدي السائد في المسرحية التاريخية يومذاك ، وهو خمسة فصول ، والإطار الحديث الناشيء المعتمد وهو الفصول الثلاثة . والالتزام بهذه الحرفية البنائية المزدوجة مبعثه عاملان : الأول هو ماتوارثه المسرحيون العراقيون من مسرح الأربعينيات التاريخي . والثاني هو نتيجة للتأثير المباشر لما قدمه الفنانون المصريون من مسرحيات في العراق ، أو مااطلع عليه المؤلفون من كتابات حديثة . إلا أن الأداء ، وحرفية العرض ، لم يحافظا على هذه البنية دائما ، فأحيانا تدمج الفصول لتقدم المسرحية بفصلين بينهما فترة راحة ، وأحيانا تملأ هذه الفترة مابين الفصول - خاصة في النوادي والجمعيات ومسرح النقابات العمالية - بفعاليات رياضية ، أو بقراءة القصائد الوطنية .

ومع أن البناء الفني في المسرحية الواقعية الانتقادية يعتمد البطولة الفردية في الأغلب ، والنمطية في المشكلة ، إلا أن الفردية بمعناها الضيق لم تكن هي السائدة ، وإنما الفردية الحاملة لهوية اجتماعية . إن أبطال يوسف العاني ، وعبد الجبار ولي ، وأدمون صبري ، كانوا نماذج

مألوفة لقطاعات أوسع ، وكانت مشكلاتهم هي الصراعات التي تستوعبها الأسرة ، أو علاقات الوظيفة ، أو العمل المشترك . ولم يرتفع مسرح الواقعية الانتقادية الخمسيني إلى مستوى الصراعات الطبقية الكبيرة إلا في مرحلة لاحقة ، عندما بدأت بعض الشخصيات تمثل اتجاها سياسيا أو فكرا متميزا .

تطورات جديدة

تأتي النقلة الثانية للمسرحية العراقية بعد أن استنفدت في العقد الخمسيني ومنتصف الستينيات طروحاتها ، في ما يخص بنية الشكل الفني ، أو تطورات المحتوى ، بما في ذلك الإخراج والتمثيل ، لتصبح المسرحية العراقية ، في منتصف الستينيات مهيأة لاحتواء مرحلة التطورات الجديدة والمتناقضة التي حدثت في العراق بعد ثورة تموز ، لكن الطرح هذه المرة اختلف بدرجات كبيرة عما كانت عليه يومذاك ، وبدت المسرحية بأثوابها الجديدة ، كأنها نقلة بين قرون . ولذلك كله أسبابه .

فعلى المستوى الموضوعي ، بدت القناعات الخمسينية في النضال ، وفي الكشف ، ساذجة أمام المستجدات التي ظهرت في الواقع العراقي على صعيد الأسرة ، حيث بدأ الخلل يتسرب إلى الآباء والأبناء (مسرحية صورة جديدة ١٩٦٧ ، ليوسف العاني) . واحتدم الصراع داخل الأسرة الواحدة وداخل المجتمع . وبدأ التاريخ الشخصي للأسرة أو للشخصية ينهض متفردا بصوته أو بماضيه . إنها مرحلة الفرز الأولى بعد عام ١٩٥٨ التي تحسس كل عراقي فيها ذاته الضائعة . وعلى مستوى البنية الاجتماعية الأعم ، ظهرت ضحالة التوجهات العامة للشعارات وللوقائع ، أمام تخطيطات الامبريالية للمنطقة العربية كلها .

وعلى المستوى الذاتي بدأ الفنان في هذه المرحلة يبحث عن أفق آخر للإبداع ، بعدما وجد أن طرق التعبير السابقة ، المتمثلة بالواقعية الانتقادية ، وتقديم النماذج المسحوقة اجتماعيا وماديا ، والمزج بين ماهو مباشر وساذج ، غير قادرة على استيعاب مشكلات الواقع الجديدة وطروحاته ، فاتخذ بحثه عن الجديد مسلكين : الأول تمثل في البحث عن التيارات التجريبية الأوربية الجديدة ، تيارات العبث واللامعقول واللاانتماء والوجودية والواقعية الجديدة التي كانت أكثر استيعابا لطموح الكتّاب الجدد ، وتمثّل الثاني في البحث عن الموروث الشعبي والتراثي القديم ، في محاولة لتأصيل التجديد ، وإسناده بمادة لها أفق معرفي راسخ .

وأنتج المسلكان معا لونا من المسرح الجاد ، لكنه افتقر إلى أساس نظري واضح .



● من مسرحية « البيتونة »



الذين استوعبوا هذا النمط من المسرحيات، وفهموا إمكاناته التعبيرية، فقدموا فيها مايمكن أن نسميه اتجاها جديدا في الإخراج والتمثيل والمشاهدة. فكان سامي عبد الحميد، وابراهيم جلال، وقاسم محمد، ومحسن العزاوي، وعزيز خيون، روادا في ترسيخ هذا اللون من المسرحيات.

الواقعية الجديدة

الخط الثالث في المسرحية العراقية، وهو خط المعاصرة والواقعية الجديدة، متشعب، متعدد الإنجازات، يجمع في إنجازاته بين الانفتاح على التراث الشعبي والبعد الواقعي الاجتماعي، بمعنى أن نماذجه البطولية قد صنعت في الواقع المعاش، وتجمع بين الحس النقدي، والرؤية الاجتماعية التقدمية لأحداث الواقع والإنسان.

ويلاحظ المتتبع لهذا التيار من التأليف أنه بدأ منذ خمسينيات هذا القرن، لكنه لم ينضج إلا في العقد السبعيني والثمانيني، بعدما توافر له مناخ اجتماعي وأدوات تعبير جديدة. ويمكن القول بأن المنحى «البرشتي» في التأليف هو الغالب عليه.

الملاحظة العامة التي تؤكد أحقية هذا الخط في التأليف والإخراج والتمثيل أنه مايزال معولا عليه في إعطاء المسرح العراقي هويته التقدمية الجادة، فهو المسرح الأكثر حضورا في ثقافة المشاهدين والنقد ووعيهم.

للتجريب دور أيضا

ويوجد ثمة خط جانبي مهم في مسار المسرح العراقي، ذلك هو المسرح التجريبي الذي يعد الرافد الحقيقي له، ومن أبرز العاملين فيه، الدكتور صلاح القصب، ومسرحه الخاص «مسرح الصورة»، وقد أنتج رؤيا فنية متميزة، تجمع بين الحلم والواقع لعدد من الأعمال «الكلاسيكية» المهمة، فقدم «ماكبث» و «الملك لير» و «العاصفة» و «الحلم الضوئي»، كما قدم مخرج طليعي آخر، هو شفيق المهدي، مسرحيات في الاتجاه نفسه، وإن اختلفت أوراقه. قدم «الحارس» لهارولد بنتر و «لعبة حلم» لستندبرج: وقدم عوني كرومي «غاليلو غاليلي» و «الإنسان الطيب» و «قصائد ممسرحة»، وغيرها، كل هذه الأعمال أكدت أن فاعلية الكتابة والتأليف المسرحي الجديد لاتتم إلا عبر معايشة الواقع المعاصر، ولابأس من أن تسند هذه المعايشة بترجمة، أو بموروث، أو برؤية إخراجية جديدة.

ومايزال مسرحنا محملا بالرعود والوعود، ففي السنوات الأخيرة وجدنا تأثيراً سلبيا على مجمل أعمال المسرح العراقي، وتوجهاته، وأفكاره. والمتتبع يرى أن موجة من المسرح التجاري الهابط المتهافت، بدأت تظهر على سطح الواقع، وكان هدفها الترويح عن الناس، إلا أنها أساءت من حيث لاتدري، لتسهم في ترسيخ أحزان الناس، لأنها لاتقدم لهم فنا كوميديا جادا، كما هو المطلوب، وإنما تقدم لهم «تابلوهات» غنائية، وأداء حركيا فجاً عن مظاهر وظواهر لاتمت إلى الفن الجميل بصلة. وخلال السنة الأخيرة ١٩٨٩ بدأت بوادر انحسار واضحة في هذا اللون من المسرحيات. ولذلك نجد الآن، وربما من قبيل العرض والطلب، أن كل الخطوط التي أشرنا إليها تحيا معا على أرضية الواقع الفني والثقافي. □



مفهوم إسلامي عن الملكية الخاصة والعامة

بقلم : الدكتور عبد الرحمن زكي ابراهيم

تمثل قضية تحويل القطاع العام إلى قطاع خاص ، أو ما تعارف الاقتصاديون على تسميته « الخصخصة » ، واحدة من القضايا المثارة على امتداد الوطن العربي كله . وهذا المقال عرض للإطار الفكري الذي تستند إليه نظرة الإسلام للقضية . وهو اسهام يلقي أضواء جديدة على الموضوع .

يقرر الإسلام الأشكال مختلفة للملكية في وقت واحد ، فهو يقر الملكية الخاصة والملكية العامة وملكية الدولة ، ويخصص لكل واحد من هذه الأشكال الثلاثة للملكية مجالا خاصا تعمل فيه ، وهدفا معينا تسعى إلى تحقيقه .

وقد وضع الإسلام قواعد لتوزيع الملكية صالحة في كل زمان ومكان ، لايختلف في ذلك عصر الكهرباء والذرة عن عصر البخار ، ولا عصر الطاحونة الهوائية عن عصر العمل اليدوي . ومن هنا فإن الإسلام لايقر الصلة التي تقضي بأن يتغير شكل الملكية كلما استجدت حاجة للإنتاج إلى تغيير ، أو كلما استجاب بعض الناس لأهواء دعاة التبديل لكن القضية في نظر الإسلام هي قضية إنسان ، له حاجات عامة ، وميول أصيلة ، يجب إشباعها في إطار يحافظ على إنسانيته وينميها . والإنسان بفطرته كيان مستقل من ناحية ، وعضو في جماعة من ناحية أخرى . ومعنى أنه كيان مستقل أن لكل فرد ذاتيته الخاصة ، فليست هناك صور مكررة من الأفراد سواء في الخصائص المادية أو الصفات المعنوية « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم » (سورة الروم الاية ٢٢) واختلاف اللسان واللون يعكس الكيان

الخاص . وعليه فالفرد بوصفه إنسانا خاصا لـه حاجات خاصة ، لابد من إشباعها ، عن طريق الملكية الخاصة التي أقرها الإسلام ، ووضع لها أسبابها وشروطها . وإلى جانب ذلك يرعى الإسلام الشعور الاجتماعي الفطري في الإنسان ، إذ يشعر كل فرد بأنه عضو في المجتمع ، ولا يستطيع أن يعيش بمفرده ، فهو مدني بالطبع . ولذا تأتي الملكية العامة لإشباع الحاجات العامة .

غير أنه كثيرا ما لا يتمكن بعض الأفراد من إشباع حاجتهم عن طريق الملكية الخاصة ، فيمنى هؤلاء بالحرمان ، ويظهر التفاوت بين الأفراد في الثروات . وعليه جعل الإسلام الشكل الثالث للملكية ، وهو ملكية الدولة أو ملكية بيت المال ، لتكون رصيدا للدولة ، تمدها بالأموال اللازمة ، لتحقيق التوازن الاجتماعي . ويقصد بالتوازن الاجتماعي التوازن بين أفراد المجتمع في مستوى المعيشة ؛ بمعنى أن يكون المال موجودا لدى أفراد المجتمع ، متداولا بينهم ، إلى درجة تتيح لكل فرد العيش في المستوى العام .

مراعاة الفطرة والغريزة

ومع أن ماتقدم كاف في تقرير أن الإسلام يرعى الغريزة والفطرة في الملكية الخاصة والملكية العامة فإنه مما يزيد الأمور وضوحا هو أن الإسلام دين الفطرة ، بدليل قوله تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لاتبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون » (سورة الروم ، الآية ٣٠) . وبهذا المعنى فإنه عندما نتكلم عن الملكية في الإسلام ، فلننظر إليها من خلال عروقها الضاربة في خوافي فطرة الإنسان . والمقصود بفطرة الإنسان الذاتية : الطبع الخاص الذي يمثل الوجود الفردي له ومزاجه المستقل ، أما فطرته الاجتماعية فهي نزوعه الأزلي إلى الاجتماع بأفراد نوعه ، وهو نزوع يتضمن قيما للحق ، واستجابة له ، مع استعداد ذهني مرن إلى أقصى حد في ضروب عمارة الأرض .

العمل سبب رئيس للملكية :

جعل الإسلام العمل المشروع السبيل الطبيعي للملكية الخاصة ، فمن عمل فله حصيلة عمله بحكم جهوده المشروعة ، وبالتالي يتفرق المال بين الأفراد على سبيل الملك بحكم الجهد الفردي . ومن هنا يقصر نطاق الملكية الخاصة على الأموال التى يمكن للعمل أن يتدخل في إيجادها أو تكوينها ، دون الأموال التي ليس للعمل فيها أي تأثير . أما حقوق الملكية الخاصة فلا تتصل بالفطرة أو الغريزة . وعليه فقد تدخل الإسلام في تحديد حقوق الاختصاص هذه ، فأنكر بعضها ، واعترف ببعضها الآخر ، وفقا للقيم والمثل التي يتبناها . فقد أنكر مثلا حق المالك في التبذير بماله أو الإسراف به في مجال الإنفاق ، وأقر حقه في الاستمتاع به دون تبذير أو إسراف ، وأنكر حق المالك في تنمية أمواله التي يملكها عن طريق الربا ، وأجاز له تنميتها عن طريق التجارة ، ضمن حدود وشروط معينة .

وقد جاء الإسلام بتقرير حماية الملكية الخاصة من السرقة والغصب وأساليب التواطؤ الباطلة والجباية الظالمة . ومن نصوص تلك الحماية قوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتُدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » (سورة البقرة ، الآية ١٨٨) . ومن أكل أموال الناس بالباطل « الربا » ، وتطفيف الكيل والميزان ، والاحتكار والتزوير ، وأكل أموال اليتامى . ولكن شر ماتؤكل به الأموال بالباطل أن يدلى الأغنياء بأموالهم إلى الحكام ، على سبيل الرشوة أو الهدايا أو نحوها ، وذلك ليغمضوا عنهم ، وليطلقوا أيديهم ، وليساعدوهم على ماهم بصدده من استغلال الناس وأخذ أموالهم . وقد كان ذلك

شر أساليب التواطؤ ، لأن الناس إنما يعصمون أموالهم بالقانون الذي تقوم الدولة بتنفيذه ، فإذا أصبحت الدولة طرفا في تلك الأساليب أدى ذلك إلى تخريب للاقتصاد القومي ، وتقويض لأخلاق المجتمع ، وحشو للضمائر بغصص الألم والنقمة .

خصائص الملكية العامة :

عرفت الدولة الإسلامية في تاريخها المبكر نوعا من الملكية العامة ، في صورة أرض الحمى . ويقصد بالحمى أن يقوم ولي الأمر بتخصيص جزء من الأرض ، بهدف تحقيق منفعة عامة . وقد حمى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ النقيع في المدينة ، وحمى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ الربذة (مكان يقع بين مكة والمدينة) . وقد أنكر الإسلام الحمى الخاص الذي يقوم به الأفراد ، فقد روى الصعب بن جثامة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « لا حمى إلا لله ورسوله » (رواه البخارى وأبو داود) . والمعنى الظاهر لهذا الحديث أن الحمى إنما يكون لمنفعة عامة ، لا تخص أحدا ، وذلك ما عبر عنه بأن الحمى لله ورسوله ، لأن مالله هو للمسلمين ، وإنما نسب إليه سبحانه وتعالى لأنه أمر به ورتب الجزاء وإلى هذا التأويل ذهب أبو عبيد في كتابه « الأموال » .

ويستند الفقهاء إلى قول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ « الناس شركاء في ثلاثة : الماء والكلأ والنار » (رواه أحمد وأبو داود ورجال ثقات) لإباحة تملك الدولة موارد إنتاجية ، لها صفات مماثلة . وذلك أن ذكر الثلاثة في هذا الحديث للتمثيل لا للحصر ، بدليل أن هناك أكثر من رواية لهذا الحديث ، تذكر تلك الأمور الأربعة منها الملح ، وأن أحاديث قد وردت بالملح وحده . والرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذ يمثل بهذه الأمور الثلاثة لاينظر إلى أعيانها ، بل ينظر إلى مافيها من خصائص الملك العام ، أي أنها من صنع البشر ، وأن نفعها يعود على المجموع ؛ وأن نفعها ضروري .

وقد نظر فقهاء المسلمين إلى معادن الأرض فجعلوها ملكا عاما

والملكية العامة هي ماكانت لمجموع أفراد الأمة ، دون أن يختص او يستأثر بها أحد . وتتنوع الملكية العامة تنوعا واقعا بالنظر إلى ماأعدت له ، وتشمل الأشياء والأموال التي تمنع أو تحول طبيعتها دون أن تكون محلا للملكية الخاصة ، كالأنهار والقناطر والسدود والموانيء ، وغيرها من الأشياء التي يرتفق بها المجتمع في تيسير مصالحه . يضاف إلى ذلك ما تعلقت به مصلحة الناس ومنافعهم وحاجاتهم العامة ، كالأراضي الموقوفة لمصلحة المسلمين . فقد رصد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أرض بني النضير وفداء وبصف خيبر لمصلحة جماعة المسلمين . كذلك فعل عمر بن الخطاب بأرض السواد في العراق

والذي يعنينا أن كل مادة ، أو كل مرفق ، تتوافر فيه خصائص الملكية العامة يعد ملكا عاما ، لايجوز للأفراد تملكه بأي سبب وفيه روى عن أبيض بن حمال المأربي قال : « استقطعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ معدن الملح بمارب ـ من بلاد اليمن ـ فأقطعنيه ، فقيل يارسول الله : إنه بمنزل الماء العد (الجاري) ، بمعنى أنه لاينقطع ، فقال رسول الله : « فلا إذن » (رواه أحمد وأبو داود والترمذي وأبو عبيد في الأموال) وبما أن هذا تتعلق به مصالح المسلمين العامة فلم يجز إحياؤه ولا إقطاعه ، كمشارع الماء وطرقات المسلمين . وقال ابن عقيل : « هذا من موارد الله الكريم ، وفيض وجوده الذي لاغناء عنه ، فلو ملكه أحد بالاحتجاز ملك منعه ، فضاق على الناس ، فإن أخذ العوض عنه أغلاه ، فخرج عن الموضع الذي وضعه الله من تعميم ذوي الحوائج من غير كلفة ، وهذا مذهب الشافعي ، ولا أعلم فيه

مخالفا » (المغني لابن قدامه حـ ٥) ومعنى ذلك أن المشروعات الخاصة التي يحتكر فيها الأفراد استثمار المعادن تمنع منعا باتا ، ولو مارست تلك المشروعات العمل والحفر للوصول إلى المعدن واكتشافه في أعماق الأرض ، ذلك أنه ليس من حق هذه المشروعات تملك المعدن وإخراجه عن نطاق الملكية العامة . وعليه يمنع أي فرد من احتجاز شيء من المنافع العامة لنفسه ليختص به اختصاصا دائما . لذلك قال بعض المحدثين : إن القطارات وغيرها من وسائل المواصلات التي تعتمد على وضع أدوات ثابتة في المرافق العامة يجب أن تكون داخلة في الملكية العامة ، وكذلك الشركات التي تعتمد في أداء خدماتها على وضع أدوات ثابتة في المرافق العامة .

ملكية الدولة والتوازن الاجتماعي

تهدف ملكية الدولة ـ كما أسلفنا ـ إلى حفظ التوازن الاجتماعي . وقد أدرج الإسلام التوازن الاجتماعي ضمن مبادئه الأساس انطلاقا من حقيقتين إحداهما كونية والأخرى مذهبية ، أما الحقيقة الكونية فهي تفاوت أفراد البشر في الخصائص والصفات النفسية والفكرية والجسدية . وهذه الاختلافات بين الأفراد حقيقة مطلقة ، وليست ناتجة عن أحداث عرضية في تاريخ الإنسان ، أو على أساس ظرف اجتماعي . فالناس يختلفون في مواهبهم وإمكانياتهم الخاصة ، قبل كل تفاوت اجتماعي بينهم في التركيب الطبقي للمجتمع . ولا يمكن لنظام اجتماعي إلغاء هذا التفاوت في تشريع ، أو في عملية تغيير لنوع العلاقات الاجتماعية . وأما الحقيقة الأخرى فهي القاعدة المذهبية في التوزيع ، القائلة بأن العمل هو أساس الملكية ، وما لها من حقوق ، « وأن ليس للإنسان إلا ماسعى » (سورة النجم الآية ٣٩) .

ونتيجة للإيمان بهاتين الحقيقتين السابقتين يظهر التفاوت بين الأفراد في الدخول والثروات . وهنا تؤدي ملكية الدولة وظيفتها في إقرار التوازن الاجتماعي من خلال مواردها المالية التي تتكون من الزكاة وضريبة الأرض الخراجية (الخراج) والفيء والجزية والعشور (الجمارك) وخمس الغنائم ، وما إلى ذلك . فالزكاة عبادة مالية ، جعلها الله من أبواب تكافل المجتمع وتعاونه . وقد عين القرآن الكريم مصارف الزكاة (الأوجه التي تنفق فيها الزكاة) ، وحددها في الأصناف الثمانية ، وذلك في قوله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (سورة التوبة الآية ٦٠) . والدولة هي التي تجبى الزكاة ، وليس أمرها متروكا للأفراد أنفسهم . ودليل ذلك ماورد في آية الزكاة من ذكر « العاملين » ، أي القائمين بجمعها وحفظها . والخراج أجرة لرقبة الأرض التي هي ملك المسلمين جميعا . وأول من فرض الخراج عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لّما حبس أرض السواد بالعراق ، بعد مشاورة بين كبار المهاجرين والأنصار . وتعد ضريبة الأرض الزراعية ضريبة لأغراض الضمان والتوازن وحماية الأفراد الضعفاء في الجماعة . ويؤدي هذه الضريبة الأقوياء من الجماعة بمالهم من حق مسبق في مصادر الطبيعة . هذا الحق يرتب التزاما على الأفراد الذين يحيون تلك المصادر ويستثمرونها حماية لمصالح الجماعة وإنقاذ ضعفائها . والفيء هو كل مال وصل إلى المسلمين عفوا من غير قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب . والأصل فيه وفي توزيعه قول الله تعالى : « ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لايكون دُوَلَة بين الأغنياء منكم وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب » (الحشر ، الآية ٧) .

وهناك ضريبة أخرى عرفت باسم الجزية ، وقد أخذها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين نزل قوله تعالى : « قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ماحرّم الله ورسوله ولايدينون دين الحقّ من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (سورة التوبة ، الآية ٢٩) . وقد فرض عمر بن الخطاب ضريبة العشور (الجمارك) ، وجعلها متنوعة المعايير ، تختلف باختلاف المكلفين وليست العشور من الموارد المالية التي ذكرها القرآن ، لكنها اجتهاد من عمر . أما خمس الغنائم فهي ضريبة تحصلها الدولة من الأموال التي تصل إلى المسلمين من أعدائهم المحاربين ، ويكون وصولها بطريق قتلهم وقتالهم والغنيمة هي فوق الله بارك بهم « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (سورة الأنفال ، الآية ٤١) ... به الغنيمة بعد استقطاع خمس الغنيمة ، ... ضريبة تتقاضاها الدولة ، لصالح ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وقد ... هذه الضريبة ... بحسب ... من ... الغنيمة بعد مفهومه الإسلامي ، ويجاد ... التوازن الاجتماعي في مستوى المعيشة

والإسلام أول تشريع في العالم ، جعل مكافحة الفقر واجبا رئيسا من واجبات الدولة ، وجعل الفرائض المالية لمكافحة الفقر بجميع أشكاله وألوانه وإشباع حاجات الأفراد دون استعلاء أو استعباد

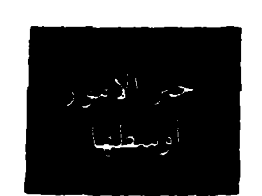
بين الملكية العامة وملكية الدولة :

والتمييز بين الملكية العامة وملكية الدولة موجود في الفقه الإسلامي ، وإن لم يسمّ هذه التسمية ، فالفقهاء المسلمون يميزون بين ما عرف بالملكية العامة وبين ماعرف بملكية الدولة ، وذلك بتمييزهم بين ماهو ملك لجماعة المسلمين ، وبين ماهو ملك لبيت المال ، وما أعد للاستعمال العام لايصح التصرف فيه . وما ملكته الدولة يصح التصرف فيه في حدود المصلحة العامة وهنا قد يكون من الملائم أن نوضح الفروق الجوهرية على النحو التالي :

أ) هدف الاستثمار : تستثمر الأموال العامة لإشباع حاجات عامة للأمة ، مثل بناء المدارس والمستشفيات ، أما أموال الدولة فيمكن استثمارها لمصلحة معينة ، كإعطاء جزء من أموال منها لمن هم بحاجة إلى ذلك من أفراد المجتمع الإسلامي

ب) الحقوق الفردية : لاتسمح الملكية العامة بظهور حق خاص للفرد ، ولكن قد يكتسب الفرد حقا خاصا في أموال الدولة على أساس العمل .

جـ) نقل الملكية : لايجوز لولي الأمر نقل الملكية العامة إلى الأفراد ببيع أو هبة ، أما أموال الدولة فيجوز فيها ذلك ، وفقا لما يقدره ولي الأمر من مصلحة اجتماعية □



● لو استعمل الناس الدماثة في كل حال ، والجد في كل مقال ، وتركوا التسمح والتسهيل ، وعقدوا في كل دقيق وجليل ، لكان الشر صراحا خيرا لهم ، والباطل محضا أردّ عليهم . ولكن لكل شيء قدر ، ولكل حال شكل ، فالضحك في موضعه كالبكاء في موضعه ، والتبسم في موضعه كالقطوب في موضعه . وكذلك المنع والبذل ، والعقاب والعفو ، وجميع القبض والبسط .

«الجاحظ»



تشخيص الأمراض باللسان

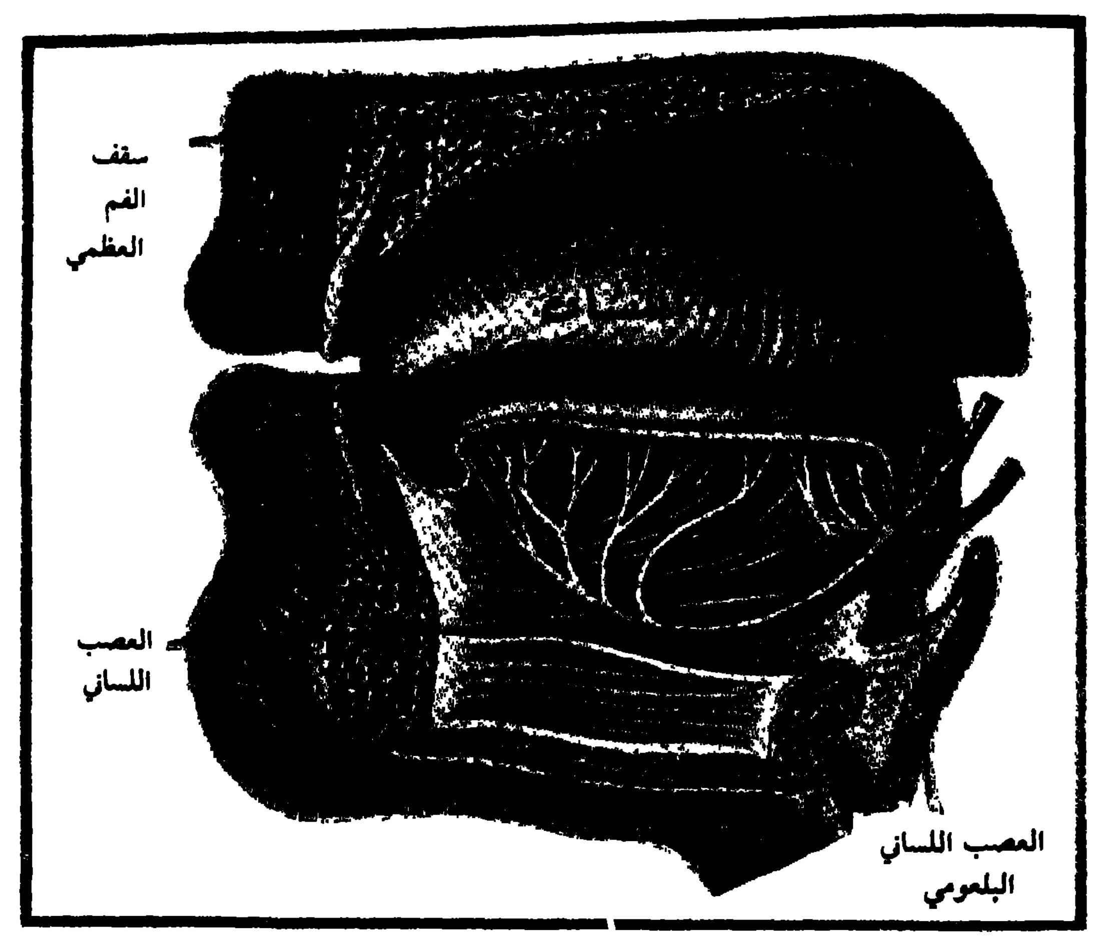
بقلم : الدكتور محمد مصطفى السمري *

ماذا يعني لون اللسان ؟ وما دلالة زيادة حجمه أو نقصانه ؟ هذه وغيرها ظواهر قد لاتثير اهتمام أي واحد منا ، ولكنها تكتسب أهمية فائقة عند الأطباء . لماذا ؟ وكيف ؟ .

اقتضت حكمة الله تعالى خلق اللسان ، حتى يقوم بما قدر له من وظائف مهمة .
واللسان عضو عضلي قوي ، يساعد في عملية مضغ الطعام ، إذ أنه يعمل باستمرار على تحريك الطعام من مكان إلى آخر داخل الفم ، في أثناء عملية المضغ ، ويؤهله لذلك تركيبه العضلي القوي ، كما تؤدي هذه التحركات إلى اختلاط الطعام الممضوغ باللعاب اختلاطا جيدا ، وفي النهاية يساعد اللسان على بلع الطعام وانتقاله من الفم إلى المريء .

وبالإضافة إلى هذا العمل « الميكانيكي » الذي يؤديه اللسان خلال عمليتي المضغ والبلع ، فإن له عملا أساساً آخر هو القدرة على تذوق المواد ، والتعرف على خصائصها ، عن

* طبيب من القطر المصري



● اللسان في حالة الصحة : قرنفلي اللون ، سطحه غير أملس ، يتحرك في جميع الاتجاهات وبدون رعشات ، ويكون رطبا مبللا باللعاب .

طريق البراعم الذوقية التي تنتشر انتشارا كبيرا على سطح اللسان ، وعلى جوانبه ، ويوجد منها ما يقرب من عشرة آلاف برعم ، تستقر بين خلايا الغشاء المخاطي الذي يغلف اللسان .

هذه الوظائف هي مايراه الناس وما تعارفوا عليه ، ولكن يختلف الأمر لدى الطبيب ، إذ يعد اللسان إحدى الأدوات التي يرتكز عليها الطبيب في تشخيص كثير من الأمراض .

وتعتري بعض الأشخاص الدهشة عندما يطلب الطبيب من أحدهم أن يخرج لسانه ، فإنه ينظر إلى الطبيب وكأنه جاء أمرا إدًا ، ولسان حاله يقول : ما العلاقة بين اللسان وبين إصابتي بالأنيميا مثلا ؟ والإجابة تقول : إن اللسان مرآة صادقة ، ينعكس عليها كثير من الحالات المرضية التي تنتاب الجسم البشري .

دلالة لون اللسان :

يبدو اللسان في حالة الصحة قرنفلي اللون أو أحمر ورديا ، فإذا تغير لونه فثمة مرض ما ، قد أصاب الجسم . فإذا أصبح لون اللسان (باهتا) في احمراره ، فإن ذلك يعني أن صاحبه مصاب بفقر الدم (الأنيميا) ، أو ببعض الطفيليات والديدان ، وبخاصة دودة الانكلستوما كما أنه قد يصاحب الحمل .

وإذا تلون اللسان باللون الأصفر - وبخاصة أطرافه - فإن ذلك يدل على ارتفاع نسبة الصفراء في الدم ، أو الإصابة بمرض اليرقان (الصفراء) على الأخص ، أو أمراض الكبد والقنوات المرارية عموما .

وإذا أصبح لون اللسان (أحمر ناريا) فإنه

يدل على نقص فيتامين (ب) المركب بوجه عام . ومرض البلاجرا الذي يحدث نتيجة لنقص حمض النيكوتينيك أو فيتامين ب (٧) بوجه خاص . كما يظهر هذا اللون نتيجة للمثيرات أو الالتهابات الموضعية التي تصيب اللسان .

كما أن الإصابة بأمراض الجهاز الدوري ، مثل هبوط القلب ، أو وجود مرض الجهاز



● كثرة التدخين جعلت لون جزء من اللسان بنيا

التنفسي (مثل هبوط وظائف التنفس) ، أو وجود عيب خلقي بالقلب (مثل مرض فالوت) ، يجعل لون اللسان (أزرق) ، أما اللون (الأسود) الذي يظهر على سطح اللسان ، فإنه ينتج عن العدوى بإحدى الفطريات . أو عن تناول بعض المضادات الحيوية . ويصبح اللسان (بنياً) أو أصفر داكن في حالة كثرة التدخين ، أو نتيجة لمرض التسمم البولي

والجدير بالذكر أن اللسان يمكن أن يتغير لونه - بصفة مؤقتة - بتأثير بعض أنواع الأطعمة والفواكه والمشروبات ، مثل العرقسوس والخمور ، وكذلك بتأثير بعض الأدوية ، مثل مركبات الحديد أو بعض المضادات الحيوية ، أو دهان اللسان بمحلول نترات الفضة أو الميكروكروم .

ولسطح اللسان دلالة

من المعروف أن سطح اللسان الطبيعي غير أملس ، نتيجة لوجود نتوءات أو حلمات صغيرة على سطحه ، فاذا أصبح سطح اللسان أملس ناعما ، فإن ذلك يدل على حدوث أنواع معينة من الأنيميا ، مثل الأنيميا الناتجة عن نقص الحديد ، أو الأنيميا الخبيثة ، ويحدث ذلك أيضا في مرض البلاجرا ، أو بعد تناول بعض المصادات الحيوية .

ولأن اللسان الطبيعي رطب مبلل باللعاب فإنه يصبح جافا في حالات الجفاف التي تصيب الجسم . مثلا : الاسهال الشديد ، والتسمم البولي ، وغيرهما . ويصبح اللسان جافا أيضا في حالات التنفس عن طريق الفم ، مثل وجود لحمية خلف الأنف في الأطفال .

وإذا غطي اللسان بغطاء أبيض رفيع ، وهي العادة - فإنه يعطي انطباعا بتمام الصحة والعافية . أما إذا أصبح اللسان ذا غطاء سميك و (فروة) فإن ذلك علامة على حدوث الجفاف ، نتيجة لنقص كمية اللعاب ، مثلما يحدث في كثير من الحميات (مثل حمى التيفود) ، والإسهال ، والتسمم البولي . وعند الأطفال الرضع ربما يغطي اللسان بطبقة بيضاء جيرية وذلك نتيجة للاصابة ببعض الفطريات (مثل المونيليا) .

وإذا كانت هناك تشققات طبيعية على سطح اللسان فإنها في العادة ولادية - أي يولد بها الطفل - وهناك تشققات نتيجة لبعض الأمراض ، مثل : مرض الزهري ، أو التهاب اللسان المزمن ، أو مرض الطفح .

أما تقرحات اللسان فهي تحدث نتيجة لاعوجاج الأسنان ، أو احتكاك الأسنان الحادة باللسان . كما تحدث هذه التقرحات نتيجة عض اللسان في حالات الصرع ، أو بعد العمليات الجراحية أو الكسور .

حركة اللسان وحجمه :

يستطيع اللسان الطبيعي أن يتحرك في جميع الاتجاهات ، وبدون أي رعشات ، ولأن اللسان يستمد حركته من العصب الثاني عشر المخي ، فإنه يتأثر بالأمراض التي تصيب هذا العصب مثل الشلل ، ففي هذه الحالة ينحرف طرف اللسان إلى الناحية المشلولة ، لأن عضلات اللسان تشده من أساسه .

وقد تنتاب اللسان بعض الحركات غير العادية ، ويتضح ذلك جليا في بعض الأمراض العصبية مثل : مرض الكوريا (وهو مرض عصبي يتميز بعمل لاإرادي ، غير منتظم ، لعضلات الأطراف والوجه) ، ومرض الباركنسونية ، وكذلك إدمان الكحول .

أما الرعشات التي تنتاب اللسان فترجع إلى التوترات العصبية ، أو إدمان الكحول ، أو التسمم الدرقي ، وغيرها وقد تقل حركة اللسان عن معدلها الطبيعي ، كما هو الحال في ضعف العضلات الشديد .

وزيادة حجم اللسان عن حجمه الطبيعي أو تضخمه ، تظهران بوضوح في مرض أسنه المغولي الذي يصيب بعض الأطفال ، كما تظهران في أمراض هبوط وظائف الغدة الدرقية ، وبخاصة مرض القدامة ، وكذلك مرض ضخامة النهايات ، وهو مرض تتضخم فيه الأطراف نتيجة زيادة إفراز هرمون النمو في الفص الأمامي من الغدة النخامية . وكان الطبيب الفرنسي ، بيير ماري ، أول من وصف أعراضه عام ١٨٨٦ م ويقل حجم اللسان في مرض الزهري ، أو في حالات الجفاف ، أو في بعض التشوهات الخلقية لدى بعض الأطفال .

اللسان في حالة الحمى القرمزية :

تعد الحمى القرمزية أحد أمراض الطفولة المعدية الحادة التى تصيب الأطفال بين سن الثالثة والثامنة من عمرهم ، وتتميز بالتهاب الحلق ، وتغيرات مميزة في لسان المريض ، وطفح قرمزي اللون . (ولذلك سميت بالحمى القرمزية) ، وحدوث تقشر أو انسلاخ في الجلد بعد الطفح .

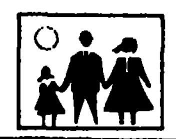
ومن العلامات المهمة التي تساعد الطبيب على تشخيص الحمى القرمزية تلك التي تعترى اللسان . ففي البداية يغطى اللسان بطبقة بيضاء ، تبرز من خلالها حلمات اللسان الحمراء ، فيشبه بذلك ثمرة (التوت) ، وبعد ذلك سقوط هذه الطبقة البيضاء ، تاركة اللسان أحمر اللون ، مع بروز حلماته الحمراء ، فيشبه بذلك ثمرة (الفراولة) .





● ما زلنا نتجادل حول طه حسين ورفاعة الطهطاوي والخديوي اسماعيل وشارل مالك وتوفيق الحكيم وسواهم ، وهل انبهروا بالعرب أم تفاعلوا معه صحيًا . والذي أعرفه أن « الانبهار » بالغرب ليس مرضا نسويا ، بل علة عربية ، تنتشر على طول حياتنا وعرضها ، بدءا بأسماء مطاعمنا ومقاهينا ، وانتهاء بحاجتنا المحزنة إلى استيراد معظم ما هو حضاري في حياتنا ، كالطائرات والجرافات والحاسبات وسواها ، وحاجتنا النفسية إلى بعض قيم الغرب في الحرية ، بدليل قضاء معظم القادرين إجازاتهم في أوربا « المنحطة » التي لا يكفون عن شتمها في سهرات العودة من شهر العسل أو الإجازة .

غادة السمان



وكالة الفضاء (ناسا)
تتجه إلى مشاريع بيئية ضخمة

كانت وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) موضع نقد شديد منذ اللحظة التي أنشئت فيها ، فمخصصاتها المالية عملاقة ، ومشاريعها لا تستهدف فائدة البشرية ، وما أجدرها بإنفاق الملايين من الدولارات المرصودة لأعمالها من اجل إنقاذ الملايين من الناس من المجاعة ، أو لسبر الثروات الهائلة التي ما زالت مستورة تحت مياه البحار والمحيطات . لا عجب إذن إن وقع (ناسا) اختيارها على مشروع سمته (كوكب الأرض) ، ليكون باكورة المشاريع النافعة التي تنوي القيام بها

ويعود الفضل في الاتجاه نحو هذا المشروع ، وهو مشروع بيئي ١٠٠ ٪ ، إلى رائدة الفضاء الامريكية الأولى سالي رايد ، وقد بدأت تفكيرها فيه سنة ١٩٨٧ ، ذلك أن سفن الفضاء والأقمار الصناعية التقطت من الفضاء ، وعن غير قصد ، صوراً واضحة دقيقة لأهم معضلات البيئة الثلاث ، وهي مشكلة الانفجار السكاني ، ومشكلة التلوث ، ومشكلة تبديد الطاقة الأحفورية . واستهلاكها الجائر . هذا إلى جانب الصور الواضحة الدقيقة أيضاً التي التقطتها للكوارث البيئية الثلاث ، وهي التحطيب ، وحرق أشجار الأحراج والغابات الاستوائية ، وكارثة تلف الأوزون ، وكارثة الكوارث البيئية جميعاً وهي التي اصطلحوا على تسميتها ظاهرة البيت الزجاجي .

ولعل ضخامة مشروع (كوكب الأرض) في غنى عن التعليق ، فحسبك أن تكاليفه تبلغ ٢٠,٠٠٠ مليون دولار ، وأن أعماله تستوجب إنشاء محطتين (EOS) ، ستدوران في الفضاء ، وهما معدتان للعمل طوال ١٥ عاماً ، على أن يبدأ تطبيق المشروع سنة ١٩٩٦ ، ويستمر نحو ٢٠ سنة

ويهدف هذا المشروع العملاق إلى الإحاطة بما سبقت الإشارة إليه من معضلات البيئة وكوارثها ، والحد من التفاعل القائم بينها وبين الظواهر الأساس للطبيعة ، كالأعاصير التي ما زالت غامضة إلى حد كبير . والأمل معقود على تفهم أسرار الطبيعة ، حتى يصبح في الإمكان معرفة مصائب



مسبقا ، والنجاح في تفاديها .

لذلك كان قوام المشروع الرحلات التي تحسن القيام بها الأقمار الصناعية الخاصة ، لترصد في أثنائها التقلبات التي تطرأ على حرارة الكرة الأرضية وعلى الرياح التي تعصف في أجوائها دون توقف ، ناهيك عن التغيرات التي تتعرض لها كيمياء تلك الأجواء .

لا عجب إذن إن تمكن المشروع من الحد من حجم التغيرات البيئية التي تعتري بيئة الأرض على مر السنين ، كتقلص الأحراج الاستوائية ، وذوبان الغطاء الجليدي في القطبين ، وسلامة البحيرات الصغيرة ، وأثر التلوث على أوراق أشجار النبات ، وذلك بأجهزة ومعدات متخصصة ، ستكون جاهزة للاستعمال في مستقبل قريب . وهكذا تتجمع المعلومات التي تسجلها شتى أجهزة المشروع ، ويجري تنسيقها ، وتصنيفها ، حتى يتاح للعلماء والباحثين تفهم العلاقة الوثيقة بين الأرض والماء والسماء .

وستباشر وكالة الفضاء الأعمال التمهيدية لمشروعها البيئي الضخم في عام ١٩٩٠ ، وقد خصصت لتلك الأعمال ، من ميزانيتها الخاصة مبلغ ٢٤,٢ مليون دولار ، ولعل أهم تلك الأعمال البدء في بناء منصة الفضاء(EOS) ، على أن البداية الفعلية للمشروع لن تكون قبل سنة ١٩٩١ ، وبعد موافقة الرئيس الأمريكي النهائية عليه ، المنتظرة في الخريف القادم .

جولات في طبقة الأوزون

■ يمضي العلماء الأمريكيون في بناء طائرة خاصة بطبقة الأوزون ، بل بالأبحاث التي يتطلبها تآكل تلك الطبقة ، وستقوم هذه الطائرة التي تعمل بدون طيار رحلتها الأولى في خريف (١٩٩٠) ، فتنطلق في أجواء القارة القطبية الجنوبية ، على ارتفاع (٨٥٠٠٠) قدم ، بقصد جمع المعلومات ، لأن تآكل طبقة الأوزون في نصف الكرة الجنوبي بلغ حوالي ٦٠٪ ، حسب آخر الدراسات ، ومعنى هذا - لو أثبتته الأبحاث التي ستقوم بها الطائرة السالفة الذكر - أن الأشعة فوق البنفسجية تصل إلينا بمقادير تزيد على المقادير السوية ، وأن الأضرار والأمراض التي تترتب على نقصان طبقة الأوزون قد بدأت تلحق بنا .

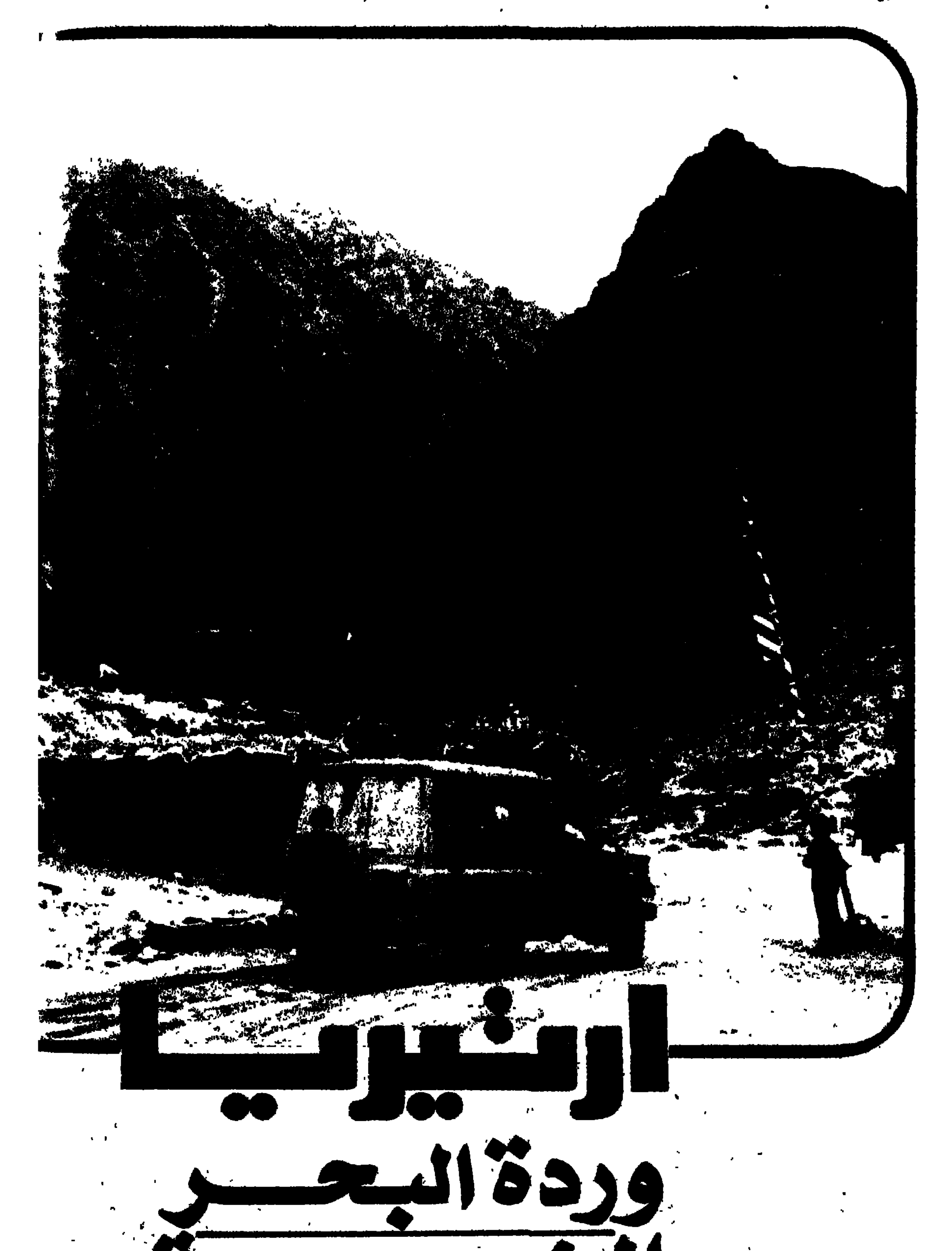
الفيتامينات والتلوث

■ أجرى عالم الكيمياء ، ريتشارد الرسون (من جامعة الليتوي في الولايات المتحدة) ، تجارب عديدة على فيتامين (B_2) ، وهو ما يسمى الريبوفلافين RIBOFLAVIN ، وبخاصة على أثره على المياه الملوثة ، وتبين له أن هذا الفيتامين يقضي على تلوث المياه ، ويعيد إليها صحتها ونظافتها .

ويفسر العالم تلك الفاعلية ، فيردها إلى الطاقة الشمسية ففيتامين(B_2)قادر على اصطياد تلك الطاقة ، والطاقة الشمسية قادرة على تحطيم الملوثات التي تسبب تلوث المياه . وحين تفعل ذلك يتلاشى الفيتامين ويذوب في الماء ، دون أن يؤدي إلى تلوثه .

موت الرضع المفاجئ وأسبابه

■ شهدت دول أوربا الغربية في المدة الأخيرة تزايدا في وفيات الأطفال المبكرة المفاجئة (بأعمار تتراوح بين شهر وستة شهور) ، وأدت هذه الظاهرة - ويسمونها بالانجليزية(SID) - إلى حيرة العلماء والأطباء ، نظرا لتعذر تحديد أسبابها . لكن العلماء السويديين أحرزوا نجاحا في تحديد تلك الأسباب ، فقد قاموا بدراسة واسعة للظاهرة ، شملت (٢٨٠,٠٠٠) مولود ، وطال أمدها نحو سنتين (١٩٨٣ - ١٩٨٥) ، تبين لهم أن ١٩٠ من أولئك الأطفال لاقوا حتفهم في موت مبكر مفاجيء ، وأن أسباب الوفاة في ٥٠ منهم تعود إلى تدخين أمهاتهم في أثناء الحمل . □



اريتيريا
وردة البحر المنسية



إنها قريبة بعيدة ، قريبة بالجغرافيا والتاريخ ، والانتماء إلى عالمنا الثالث ، ولكنها بعيدة بالصمت المتعمد ، وبالتجاهل أحياناً . إنسانها البسيط يصنع بصلابته وإصراره نموذجاً رائعاً في مزج الحلم بالفعل ، تبهجه المزحة ، فيبدو طفلاً ، لكنه يكون كجباله القاسية في مواجهة قاهريه . نساؤها المشهورات بجمالهن الأفريقي المميز قصصن شعورهن ، واستبدلن ـ إلى حين ـ بدفء البيوت خشونة الطبيعة . لم ندخلها من بوابتها الرئيسة ككل الأقطار والدول ، وإنما دخلنا من نافذة خلفية . وكانت رحلتنا فيها ممتعة بقدر ما كانت شاقة .

في اليوم الثاني لانتظارنا بمدينة بورسودان ، لإنهاء تصريح السلطات لنا بدخول الميدان الأرتيري ، حضرنا حفلاً للفرقة الفنية التابعة للجبهة الشعبية لتحرير أرتيريا . كان الحفل مقاماً في المسرح الرئيس بالمدينة ، وهو مسرح صغير مكشوف ، وعلى الرغم من صغره فقد غص بعدد هائل من البشر ، يتجاوز ثلاثة آلاف ، رجالاً ، وشباباً ، ونساءً وأطفالاً ، لم تكفِ مقاعده لاستيعاب الحضور منهم ، فجلسوا في الممرات ، وبالقرب من خشبة المسرح . ووقف كثيرون منهم ، عدا من لم تتح له فرصة الدخول . وعندما دخلنا المسرح بدا لنا الحاضرون كتلة بشرية متداخلة ، متلاحمة ، وجوه سمراء ، تبرق منها العيون بوميض متعدد المعاني والإيحاءات .

وعلى الرغم من سيماء الفقر التي توحي بها كل العناصر المحيطة ، فإن التوهج الإنساني وتدفق الحياة الذي تضج به ملامح هؤلاء البشر كان يصنع حالة من التحفز ، والتفجر الممزوج ببهجة إنسانية شفافة . وعندما امتلأ المكان بأصوات الفرقة وهي تغني للوطن بلهجاته المتعددة التي كان يترجمها مقدم الحفل باللغة العربية ، كان التفاعل بينها وبين الحاضرين يخلق حالة من الوجد المشبوب بشوق مكتوم ، فتلتهب المشاعر ، وتمتزج إرادة الحياة مع قسوة الغربة والشتات ، فيتدافع الحاضرون من كل الأجيال بالصعود إلى المسرح ، ليقدموا للفرقة التي تقيم حفلاتها دعماً للثورة ، بعض ما يملكون من نقود حتى لو كانت قليلة .

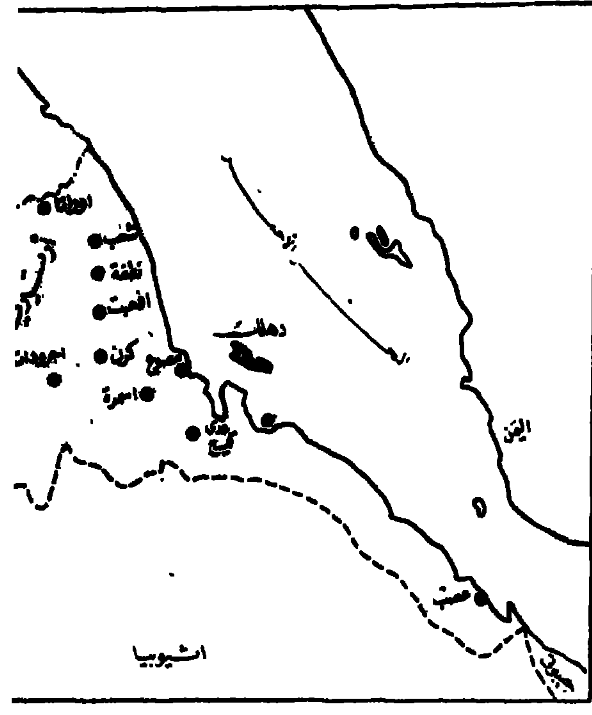
● تحية اللقاء عند الارتيريين تلامس الأكتاف مع الضغط على الكف



نساء فقيرات يعبرن عن أشواقهن للوطن ، ودعمهن لثورته التي يأملن لها أن تحقق له استقلاله ، حتى يعدن إلى قراهن ومدنهن ، يتبرعن بحليهن البسيطة أو بعض ملابسهن ، ويدفعن أطفالهن إلى التبرع أو مشاركة الفرقة بالتأييد ، ومن لا يملك من الشباب مالاً يتبرع ببعض ملابسه التي يرتديها . الروح المتوهجة التي عمت المكان ، وحدت الحاضرين ، وعززت لهفتنا على الاقتراب منهم في أرضهم .

الاتجاه جنوباً :

مع الخيوط الأولى من صباح اليوم التالي ، وبعد ستة أيام كاملة من انتظار استكمال التصاريح والإجراءات ، تحركت سيارة «الجيب» التي صحبنا فيها أرتيريان متجهان معنا للداخل ـ على الطريق باتجاه الجنوب إلى مدينة « سواكن » السودانية التي تبعد عن بورسودان ٦٠ كيلو متراً ، وبعد أن تجاوزناها بقليل انتهى الطريق المعبد بالقار ، ودخلنا طريقاً متربا ، اجتازته السيارة بصعوبة في تعرجات متتالية . الطريق يشق الصحراء الصامتة ، وليس فيها سوى صوت الرياح التي تتلاعب بالنباتات الصحراوية المتناثرة ، أو صوت الشاحنات المحملة بمواد الإغاثة إلى أرتيريا ، أو القادمة منها محملة ببعض الأسر المتجهة إلى بور سودان للانضمام إلى خمسين ألفاً من اللاجئين موجودين فيها . يوجد في السودان ما يقرب من نصف مليون لاجيء أرتيري ، تدفقوا عليه خلال العقدين الأخيرين ، نتيجة لاشتداد الأعمال العسكرية ، ولجوء أثيوبيا لسياسة الأرض المحروقة . يعيش اللاجئون في معسكرات تتركز النسبة الكبرى منها في المديريات الشرقية خاصة « كسلا » . قليل منهم يمارس عملاً ، والغالبية تعيش على ما يصلهم من ذويهم في أوربا والأقطار العربية الخليجية . أو مساعدات جمعيات الإغاثة الدولية التي لا تكفي لتوفير الحياة الإنسانية في



● خارطة أرتيريا . تظهر عليها المدن والبلدات الرئيسة

حدودها الدنيا ، لذلك فإن اللاجئين الأرتيريين يحتاجون إلى اهتمام جمعيات الإغاثة العربية ومساعداتها التي لا يصلهم منها إلا قدر غاية في الضآلة .

رحنا نقطع صمت الطريق بالحوار مع رفيقنا ، بعد أن تعرفنا عليهما . أحدهما اسمه « عبد الله » ، كان يعمل مدرساً قبل انضمامه إلى صفوف المقاتلين ، والآخر اسمه « صالح » ، يعمل في شركة أعمال بحرية « بجدة » التي استقر بها منذ عشر سنوات ، بعد خروجه من مدينته «مصوع» ، على إثر اشتداد حملات المداهمة والاعتقال التي كانت تقوم بها السلطات الأثيوبية ضد العناصر الأرتيرية النشطة ، أو التي كان يبدو منها أي معارضة للنظام آنذاك . وجاء بعد هذه الغيبة الطويلة ليرى أسرته وأبناءه في « مصوع » التي حررتها قوات الجبهة الشعبية أوائل شهر فبراير (شباط) الماضي .

عند تقاطع طرق ، والسيارة تنحرف يميناً في طريق ممهد ، قال السائق بنبرة زهو : إن رجال

الثورة هم الذين مهدوا هذا الطريق منذ سنوات ، ثم أردف ويده تمتد إلى مسجل مذياع السيارة بشريط وحيد معه : نحن الآن في الأراضي الأرتيرية ، وهذه النقطة تسمى « خور بركة » . ثم انساب في فضاء السيارة ، صوت شجي آسر ، مشحون بشوق متفجر حنيناً ، وحباً للوطن :

أرتيريا ، أرتيريا ليبرح الغزاة أرضنا

أرقام وبيانات أولية

* اشتق اسم أرتيريا من الاسم اليوناني القديم للبحر الأحمر « سينوسي أرتويوسي »
* سكان أرتيريا ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة تقريباً .
* يدين ٥٢٪ منهم بالإسلام ، و ٤٧٪ بالمسيحية ، والباقون وثنيون .
* تنقسم إدارياً إلى تسع محافظات ، وأهم مدنها « أسمرة » ، العاصمة وميناءا مصوع وعصب ، وكرن ، وأوغردات ، وتسني .
* يتركز نشاط السكان الاقتصادي في الزراعة (٧٠٪) ، والرعي ، والتجارة . وصيد الأسماك ، والصناعة الخفيفة .
* تعد الثروة الحيوانية أحد المصادر الرئيسة للاقتصاد الأرتيري ، وتتكون من الماشية : الماعز والأغنام والجمال .

ولقد تعرضت هذه الثروة للنقصان بسبب استمرار العمليات الحربية ، والجفاف .

* تغطي الغابات ٥٪ من مساحة أرتيريا .
* اكتشف النفط مؤخراً في جزيرة دهلك ، كما يوجد بأرتيريا مناجم للذهب ، والنحاس ، وخام الحديد ، والفضة ، والرخام .
* يسيطر الثوار الأرتيريون اليوم على ٨٥٪ من أراضي أرتيريا .

أرتيريا ، أرتيريا أنشودتنا

توقف رفيقانا عن استكمال الحوار ، وانكمش كل منهما داخل ذاته ، وهما يستروحان نسمات وطنهما المتدفقة من نوافذ السيارة ، ومن الصوت الشبابي المندفع من المذياع . احترمنا صمتهما ، واندماجهما في مشاعرهما ، وأشواقهما ، ورحنا ونحن أسرى الصوت الشجي نتابع معالم الطريق الصحراوي .

الجبل والوادي

مع انتصاف النهار احتوتنا المرتفعات الجبلية الشمالية لأرتيريا التي كنا نقترب من قممها الشاهقة عندما كانت السيارة تطوي الطرق الممهدة على حواف بعضها . وهي من الطرق الوعرة التي شقها الأرتيريون ـ ستة آلاف كيلومتر ـ بالقوة العضلية وأدوات حفر بدائية ، خلال سنوات النضال الطويلة التي ربت على ما يقرب من ثلاثين عاماً .

تهبط السيارة من الجبال إلى الأودية الجافة التي تتطاير ذرات رمالها الناعمة مع أي حركة عليها ، فتصنع ستاراً من الغبار المثير للضيق ، وتبطيء حركتها الصخور التي تجرفها سيول الأمطار من المرتفعات ، بدءاً من شهر (ابريل) نيسان ، حتى شهر (أكتوبر) تشرين أول ، ومرور قوافل الشاحنات الثقيلة أحياناً أخرى .

الحياة على جانبي الطريق معدومة الأثر لولا وجود أشجار ونباتات صحراوية متناثرة ، وبعض الرعاة خلف قطعانهم من الماعز أو الجمال ، وأحياناً نرى كوخ راع مصنوعاً من فروع الأشجار ، يذكرنا بأن إنساناً ما قد مرّ من هنا .

الوعورة ، والقسوة ، وجدب المكان ، تزحم النفس بتساؤلات وتداعيات كثيرة عن الحياة في هذه المناطق ، وكيف تكون ، وعن الدافع الذي يجبر الانسان على ممارستها هنا . . ؟ وكيف كان الانسان في الزمن الماضي يملك الصبر والقدرة على اجتياز هذه المسالك الوعرة على ظهور



● مرضى في أحد العنابر المفتوحة بالمستشفى المركزي (بشعب)

الجمال ، ناقلاً البضاعة والحضارة والعقيدة .

أفقت من تداعيات الخواطر على صوت « صالح » وهو يقول : « هذه منطقة رعاة ، ينتقلون منها إلى السودان ، ويعودون إليها تبعاً لمواسم الأمطار ، واخضرار الكلأ ، كعادة الرعاة في أي مكان ، ولم يتكثف وجودنا فيها إلا بعد لجوئنا للكفاح المسلح عام ١٩٦١ للحصول على حق تقرير المصير ، بعد فشل كل جهودنا السلمية في تحقيقه ، وتزايد أعمال القمع التي كان يمارسها ضدنا النظام الأثيوبي ، تمهيداً لتحويل أرتيريا إلى مقاطعة أثيوبية ، وكان الامبراطور « هيلي سيلاسي » قد أنزل علمنا الخاص عام ١٩٥٨ ، وألغى الإدارة الذاتية ، والبرلمان ، ودستور الاتحاد الفيدرالي الذي فرضته علينا الأمم المتحدة عام ١٩٥٢م . ولقد تدعم وجودنا هنا بعد الانسحاب الاستراتيجي أمام عنف الهجوم الأثيوبي المدعوم من السوفييت عام ١٩٧٨ - وخلال جولتكم سترون كيف أحال الأرتيريون



● أسياسي أفورقي - الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير ارتيريا

هذه المنطقة القاحلة إلى مجتمع متكامل ، تديره أجهزة ومؤسسات ، تقوم بأعمال الدولة الفعلية التي لا ينقصها سوى الإعلان الرسمي » .

وفي منعطف ضيق من الطريق اعترض السيارة حاجز ، يقف على جانب منه شاب صغير السن حاملاً سلاحه ، اقترب من السيارة ، وراح يحادث السائق بلهجتها المحلية ، ثم صحبه إلى غرفة لا يلوح منها إلا جدارها المواجه لنا ، فقد اختفت معالمها بين الجبل وفروع الأشجار . أبرز السائق تصريح الدخول ، ثم عاد ومعه فتاة في ربيع العمر ، قامت بتفتيش حقائبنا ، في أثناء ذلك قال أحد مرافقينا : إنه إجراء معتاد ، تقوم به قائدة بوابتنا الجمركية على هذا الطريق ، ولعلكم لمستم أنه أبسط من إجراءات معظم الدول .

بعد تجاوزنا للحاجز بدأت إيقاعات الحياة ومعالمها تتزايد ، بيوت من الأحجار متناثرة في عمق سفوح المرتفعات ، وفي الأودية بين الأشجار . أطفال حفاة بأسمال رقيقة الحال يلعبون ، نساء يمارسن حياتهن اليومية ، وبعضهن يحملن أسلحتهن ، مجموعات من الدجاج تتجمع حول مسارب مياه ضحلة ، سيارات نقل ، أجهزة مختلفة ، ورش لتصليح السيارات وغيرها ، مختفية بين الأشجار ، مضخات توزيع وقود ، لا يظهر منها إلا أداة التموين ، معسكرات للأسرى الأثيوبيين الذين يمارسون حياتهم بحرية ، على الرغم من انعكاس الحياة القاسية على ملامحهم التي تؤكد أن معظمهم لم يغادر العشرينيات من عمره .

حضور أولي للتاريخ

نحن الآن في أرتيريا ، وما زال الطريق طويلاً حتى نصل إلى أول محطة لنا ، والمخيلة تتلاحق في رحابها فصول من دوافع الصراع حول هذه المنطقة ، ومراحله التي تمتد قروناً طويلة ، فأرتيريا ، ذلك المثلث الذي لا تتعدى مساحته

مائة وعشرين ألف كيلو متر مربع تفصل بين أقطار عربية ثلاثة ، هي : السودان شمالاً ، والصومال وجيبوتي جنوباً ، وتشرف حدودها الشرقية على الساحل الغربي الجنوبي للبحر الأحمر ، بامتداد مقداره ألف وخمسون كيلومتراً ، وتشترك مع جمهورية اليمن في السيطرة على مضيق « باب المندب » ، إذ لا تبعد المسافة بين ميناء « عصب » والأراضي اليمنية أكثر من خمسة عشر كيلو متراً ، بالإضافة إلى امتلاكها أرخبيلاً من الجزر الاستراتيجية ـ أهمها « دهلك » ـ في مدخل هذا المضيق ، من شماله ، ومن يسيطر عليه يمكنه أن يتحكم في حركة التجارة الدولية المتنامية بين الشرق والغرب ، عبر البحر الأحمر ـ أحد أقدم الطرق البحرية القديمة الذي تزايدت أهميته بعد اكتشاف النفط في دول الخليج . لذلك أغرى موقع هذه البلاد الدول ذات الطموح العالمي للسيطرة عليها ، إما بالاحتلال المباشر ، أو عن طريق قوة أو دولة ثانية ، وبخاصة منذ بدأت الحركة الاستعمارية في القرن السادس عشر ، فدخلها البرتغاليون عام ١٥١٧ مدة أربعين سنة ، لكنهم لم يصمدوا طويلاً أمام الاندفاع العثماني الذي كان يتعقبهم على حدود الوطن العربي ، وتمكن الأتراك العثمانيون من التمركز على الساحل الأرتيري ، وإحكام قبضتهم على أرتيريا عام ١٥٥٧ مدة ثلاثة قرون كاملة ، وكانوا يسمونها بلاد « البوغوص » . ثم تولى الجيش المصري إدارتها بعد أن وقع الخديو اسماعيل مع السلطان العثماني اتفاقية تدفع مصر بموجبها ضريبة سنوية نظير هذه الإدارة .

وبعد فتح قناة السويس عام ١٨٦٩ ازدادت أهمية الموقع الأرتيري وتفتحت شهية الدول الاستعمارية للسيطرة عليه . لكن إيطاليا كانت الأسبق ، فقد وقع أحد التجار الايطاليين اتفاقاً مع سلطان « عصب » لتأجير مينائها ، ثم امتد نفوذ الجيش الإيطالي منه إلى « مصوع » ، بعد أن انسحب الجيش المصري منها لدعم وجوده في السودان لمواجهة « الثورة المهدية » ، وتمكنت إيطاليا من أن تحكم قبضتها على الساحل والهضبة الأرتيرية بتأييد من بريطانيا التي وقفت بعد ذلك أمام الزحف الإيطالي داخل أفريقيا ، وكانت المقاومة الأرتيرية قد أنزلت بالإيطاليين خسائر فادحة . . . .

وفي الجنوب كان الامبراطور « منيليك » ، امبراطور مقاطعة « شوا » الأثيوبية ، يحلم في بناء امبراطورية ضخمة تشمل اثيوبيا والأراضي الأرتيرية ، ولأنه لم يكن يملك القدرة على مجاراة الإيطاليين فقد وقع معهم اتفاقاً عام ١٨٨٩ ، كان من نتائجه إضعاف المقاومة الأرتيرية . واعترف « منيليك » ـ على غير ما كان يشتهي ـ



● المرأة تشكل ثلث المقاتلين الأرتيريين

بسيادة ايطاليا على الأراضي الواقعة شمال نهر « مارب » الذي يفصل بين الحدود الأرتيرية والأثيوبية ، وبالمقابل اعترفت إيطاليا به امبراطوراً على أثيوبيا بدون أرتيريا .

عند هذا الحد ، والنهار يقترب من نهايته وبعد رحلة طويلة وشاقة ، توقفت السيارة في قلب واد بالقرب من أحد البيوت المختفية بين الأشجار ، وتوقفت معها تداعيات التاريخ إلى حين . جاء إلينا رجلان ، تناولا أوراقاً من السائق ، رحبا بنا وبعد قليل قال لنا أحدهما : ستبيتون في « أوراتا » هذه الليلة ، وفي الغد تواصلون السير إلى المنطقة المركزية في « شِعْب » . وهناك سيتحدد برنامجكم . عرفنا أنهما من مفوضية الإعلام الخارجي .

لهجات متعددة

أوقف السائق السيارة تحت أشجار على جانب الطريق ، وقال وهو يتناول بعض « التمباك » من كيس صغير ، ويضعه بين شفته السفلى وأسنانه ، كعادة بعض السودانيين وأبناء المنخفضات في أرتيريا « كما قالوا لنا : سنذهب الآن إلى فندق الضيوف » . وقادنا عبر ممشى ضيق مليء بالصخور ، تحفه أشجار شوكية ، إلى مبنى مرتفع قليلاً على سفح جبل . ولا يظهر منه إلا عدة درجات حجرية ، وجدار به نافذة صغيرة مغلقة . أثارت مفارقة التسمية مع منظره الخارجي وطبيعة المكان الابتسام ، لكنها تلاشت عندما فتحت لنا مديرته الباب ، فقد بدا بنظافته ، وحسن تقسيمه ، وأثاثه الجيد المصنع محلياً ، مكاناً رائعاً للراحة والاستجمام .

وفيما راحت « مديرة الفندق » تقدم لنا الشاي المحلي بسكر كثير ، ومشروبات مثلجة ، دخل علينا شاب في الأربعينيات من العمر ، يسبقه صوته مرحباً .

- أهلاً بمجلة « العربي » في زيارتها الأولى لأرتيريا التي انتظرناها طويلاً .



وقدم لنا نفسه : « عبدالله جابر » ، ممثل الجبهة السابق في الكويت ، وأحد المسئولين في جهاز الإرشاد ، وهو يقابل وزارة الثقافة والإعلام في نشاطاته ، وأجهزته .

سألناه بعد أن تواصل الحوار بيننا عن ظاهرة تعدد اللهجات في التخاطب ، فبينما كان عدد من المتحدثين معنا يستخدمون اللغة العربية ، كان غالبيتهم يتخاطبون بلهجات محلية ، تدخلها بعض الألفاظ العربية .

قال : إن الشعب الأرتيري يتكون من عدة قوميات - القومية هنا لا تستخدم بالمعنى العلمي الدقيق لهذا المصطلح ، لأنها أقرب ما تكون إلى التكوينات القبلية - نتيجة ظروف اقتصادية وجغرافية ، وتاريخية ، منها اختلاط وتفاعل



● الخبز هو الغذاء الرئيس يصنع من الذرة والدخن، وأحيانا من قمح هيئات الاغاثة الدولية.

هجرات أجناس مختلفة مع العنصر النيلي القديم (الحامي) . وأهم هذه الهجرات التي لها تأثيرها المستمر حتى اليوم ، هي التي جاءت من جنوب الجزيرة العربية من ٦٠٠٠ ـ ١٠٠٠ ق.م. فقد صحبت القبائل العربية معها جنسها السامي ، وحضارتها ، ولغتها القديمة (الجئزية) ، بأبجديتها وحروفها الحميرية والسبئية ، واندمجت مع القبائل ذات الجنس الحامي التي سبقتها في الوجود في هضبتي أرتيريا وتجراي .

وأصبح لكل قومية لهجة خاصة بها ، فعندنا التجرينية ، والتجري، والساهو ، والدناكلة ، والبجة ، والبلين ، والكوناما ، والباريا ، وايليبيت ، بالإضافة إلى اللغة العربية . وفي الغالب تستخدم كل قومية أكثر من لهجة ، نتيجة التداخل الجغرافي والاقتصادي أو الديني ، وأكثر اللهجات انتشاراً مع العربية هي التجرينية ، والتجري ، وهما تكتبان بالأبجدية العربية القديمة (الحميرية ـ السبئية) التي ما تزال الكنائس تستخدمها حتى اليوم في كتابة طقوسها الدينية بها . ونحن نعد أنفسنا خبراء في أبجدية هذه اللغة القديمة التي ما تزال آثارها الكثيرة المكتشفة في اليمن تحتاج لمن يفك رموزها ، ونحن على استعداد لذلك .

عند منتصف الليل انقطع التيار الكهربائي ، فسألنا عن السبب ، قالوا : إننا نستخدم هنا مولدات صغيرة للطاقة الكهربائية ، ونظراً لظروفنا الاقتصادية الصعبة فإننا قصرنا استهلاك التيار الكهربائي على الفترة التي تلي حلول الظلام

وحتى منتصف الليل ، ما عدا المستشفيات والمصانع ، وبعض المؤسسات والأمكنة المستخدمة لمهام خاصة ، فإن التيار لا ينقطع عنها طوال اليوم .

مدن محررة

في الطريق إلى « شِعْبْ » شاهدنا تجمعات من سكان ينتظرون بحاجياتهم على مفترق طرق ، قيل لنا : إنهم ركاب ينتظرون سيارة النقل العام التي تسيرها مفوضية النقل بين أماكن التجمعات السكانية والمدن الرئيسة يومياً ، وهي مجانية ، ولكنها لا تتحرك - ككل السيارات - إلا بعد الظهر تجنباً لاحتمالات القصف الجوي من الطائرات الأثيوبية .



● الشاي هو المشروب اليومي الشعبي أما القهوة فتشرب في مجلس خاص أثناء تداول الحديث.

قلت لمرافقنا : لذلك تركتمونا نقضي النهار كله في فندق الضيوف ، ولم نبدأ حركتنا إلا في الرابعة مساء . ضحك قائلاً : لأننا نخاف عليكم . فقلت : لذلك زودتمونا بصديقنا الجديد بسلاحه الرابض في حضنه . فقال : نعم ، ولكنه بالإضافة إلى هذه المهمة فهو سائق ماهر ، يعرف مسالك الطريق ودقائقه جيداً .

على جانبي الطريق الجبلي الوعر لاحظنا زيادة الكثافة البشرية ، ووجود نسبة أكبر من الرعاة خلف قطعانهم من الماعز والجمال . وعندما حل الظلام أوحت إلينا الأضواء المنبعثة من بين أغصان الأشجار بضخامة القرى ، ولكننا عندما نراها في الصباح نجدها بيوتاً قليلة متناثرة ، ومموهة عن الطائرات .

وصلنا إلى « شِعْبْ » قرب منتصف الليل ، ناقشنا برنامجنا ، وغادرناها بصحبة « فيصل » ، مرافقنا الجديد ، عصر اليوم التالي - كالعادة - إلى مدينة « أَفْعَبَتْ » المحررة . في الطريق عرجنا على مزرعة « أقرع النموذجية » التي أقامتها مفوضية الزراعة واستصلاح الأراضي بالجبهة الشعبية ، على مساحة ٨٠ هكتاراً ، بعد أن أقاموا سداً من الصخور وجذوع الأشجار والتراب لحجز مياه الأمطار بدلاً من هدرها في البحر . المزرعة تقع في منطقة يحدها شرقاً السهل الساحلي الذي تنظر إليه الجبهة الشعبية على أنه « سلة القمح » الرئيسة في البلاد كلها ، لأنها تأمل أن تنجح سياستها في الاعتماد على الذات في ما يتعلق بالمواد الغذائية الأساس.عندما وصلنا إليها كان الفلاحون يحصدون محصولهم من « الدخن » الذي يستخدم في صناعة الخبز بالإضافة إلى الذرة .

قال مرافقنا ونحن نغادرها : إننا نملك مزارع كبيرة للحمضيات والبن والموز ، بالإضافة إلى القمح والذرة في مناطق الغرب والهضبة . وهذه المنطقة لم تكن مهيأة للزراعة كما ترون ، ولكننا



● باعة في السوق الشعبي بمدينة «أفعبت»

نحاول أن نستخدم كل الإمكانات لتوفير احتياجات شعبنا ، دون الاعتماد على الخارج ما أمكننا ذلك .

اقتربنا من مدينة « نقفة » ، عاصمة محافظة الساحل ، وهي مدينة تقع في هضبة تحيط بها الجبال ، ويمكن الوصول إليها عبر سهول واسعة من الشرق والغرب . كان يسكنها في السابق ٦ آلاف مواطن ، وفيها مياه للشرب ، تصل إلى المنازل بأنابيب ، ومحلات للبيع ، ومسجد وكنيسة . يحيط بالمدينة مساحات كبيرة من نباتات التين الشوكي الصحراوية التي تنبت بريًا بسبب مياه الأمطار ، ولذلك قل إنتاجها الموسم الماضي ، لأن أمطاره كانت ضئيلة ، والجميع يخشى أن يتعرضوا لموجة جفاف تشبه



● الفحص الدوري للمرضى بالمستشفى المركزي

موجة ٨٤ - ١٩٨٥ .

تنتج المنطقة ثلاثة أنواع من التين ، أحلاها الأحمر ، ثم الأصفر ، وكان يتم تصديره إلى (السعودية) ، كما توجد حول المدينة مزارع (للكرنب) .ويسمونه بكاولو ، لأن الايطاليين هم الذين أحضروه إلى أرتيريا .

المدينة التي كانت مركزاً تجارياً للرعاة ، خالية تماماً من السكان ، إلا من بعض أفراد الجبهة الشعبية ، فقد هجرها أهلها ، إما إلى الثورة ، أو إلى المرتفعات المحيطة ، هرباً من القصف الجوي الأثيوبي الذي أحال بيوتها إلى خرائب مهجورة ، ما عدا مسجد القرية الذي بدءوا في ترميمه .

من أعلى مئذنة المسجد أشار مرافقنا إلى المرتفعات في جنوب المدينة قائلاً : هنا كانت خطوط دفاعاتنا التي تمركزنا فيها بعد انسحابنا الاستراتيجي في بداية الثمانينيات ، وهناك كانت مواقع الأثيوبيين الذين حاولوا أكثر من مرة الاستيلاء على مواقعنا ، ولكنهم فشلوا تماماً ، وعلى جانبي الطريق في الاتجاه إلى « أفْعَبَتْ » شاهدنا أعداداً كبيرة من المدرعات والدبابات المحترقة التي تشير إلى عنف القتال . « أحرقها الأثيوبيون حتى لا تقع في أيدينا عند تحريرنا لجبهة « نادو » التي تقع « أفْعَبَتْ » في قلبها في مارس ١٩٨٨م » .

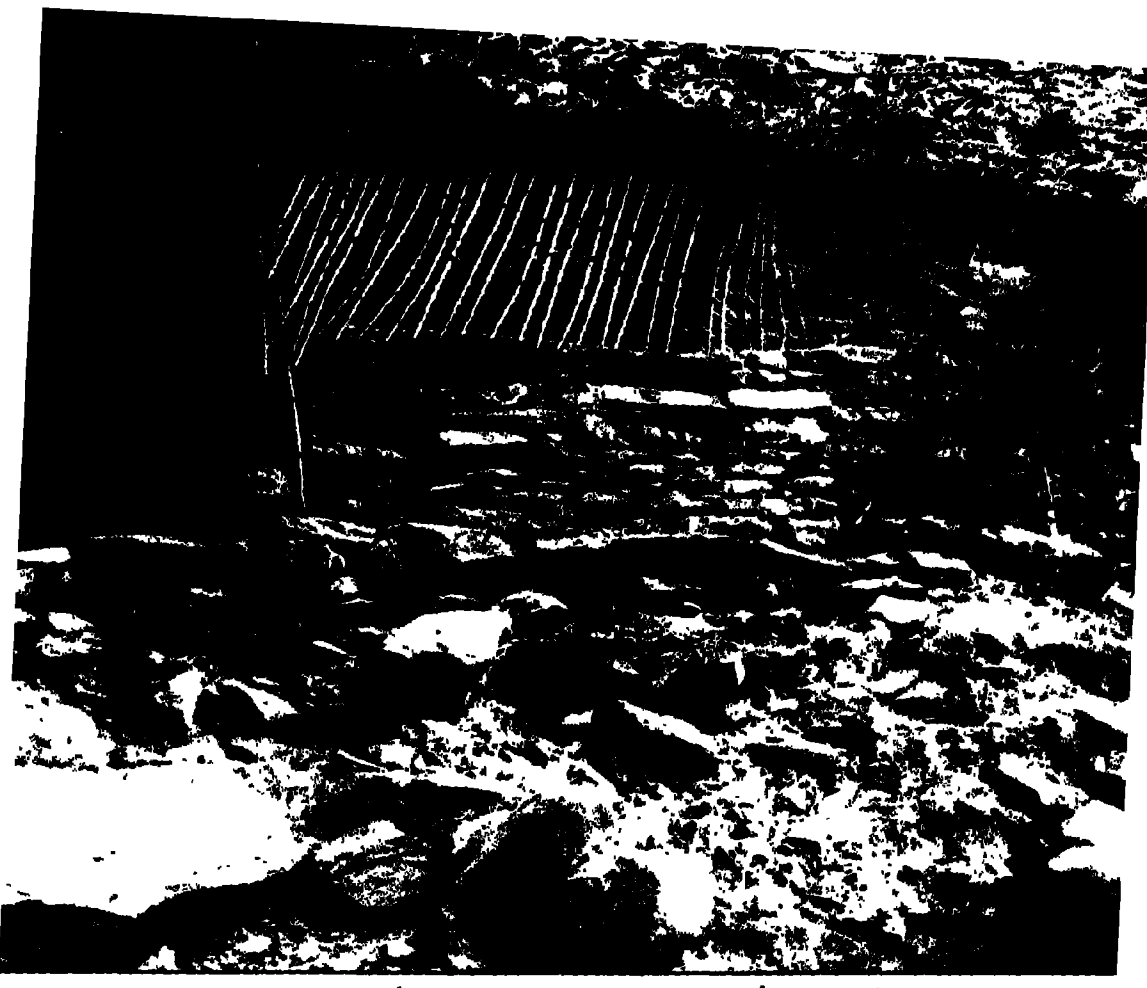
أين إخواننا العرب ؟

في منتصف الليل وصلنا « أفْعَبَتْ » ، أقمنا في إحدى غرف معسكر عسكري أثيوبي سابق . قال « فيصل » : في هذه الغرفة كانت تعقد الاجتماعات العسكرية بين الأثيوبيين والسوفييت، لإعداد خطط تدميرنا ، وقتل شعبنا .

« أفْعَبَتْ » هي ثاني مدن محافظة الساحل ، تغلب التجارة على نشاطات سكانها الذين كان يبلغ عددهم ١٦ ألف نسمة قبل دخول القوات الأثيوبية إليها عام ١٩٧٨ . هجرها معظم



● الرسالة، او بث الاذاعة الارتيرية وسيلة المقاتين لمعرفة اخبار الوطن.



● البيوت من الأحجار دون مونة لاصقة ومخفية تحت الأشجار اتقاء قصف الطيران

سكانها إلى المرتفعات ، وإلى منطقة وادي « لبكا » المجاور ، حيث يمارسون الزراعة ، ولم يبق فيها إلا أربعة آلاف نسمة .

آثار التدمير واضحة في كل مكان ، يقسم المدينة شارع رئيس ، تتعامد عليه شوارع فرعية ، تنتصب على جوانبها بيوت من طابق واحد . المحلات التجارية المتشابهة تتركز في الشارع الرئيس ، تجلب بضاعتها الآن إما من السودان على الجمال والشاحنات ، أو من السعودية عن طريق البحر . سلعها محدودة بسيطة ، لأنها تلبي الاحتياجات البسيطة لسكان المناطق المحيطة ، وأغلبهم رعاة أو مزارعون . العملة المتداولة هي الدولار الأثيوبي والجنيه السوداني ، ويفضل التجار الأول لثبات أسعار صرفه النسبية ، وهم يأملون في أن تكون لهم عملتهم المحلية بعد الاستقلال .

معظم السكان مسلمون ، يتحدثون العربية ، بالإضافة إلى لهجتهم المحلية . تحلق حولنا كثيرون منهم عندما عرفوا أننا عرب ، طلبوا منا أن ندعو الجمعيات الخيرية والأهلية العربية لمساعدتهم في استكمال مسجد المدينة . ثم تلاحقت أسئلتهم لنا : أين إخواننا العرب ؟ لماذا يتجاهلوننا ولا يدعمون قضيتنا ؟ ألا تجمعنا وإياهم أواصر قُربى وجوار ؟

ولم تكن المرة الأولى التي نواجه فيها بهذه التساؤلات المحملة بنبرة عتاب حزين ، فقد حاصرتنا في كل مكان ذهبنا إليه ، وسمعنا من بعضهم أنه إذا طرحنا علاقة القربى أليست المصلحة المشتركة تفرض على العرب أن يكون موقفهم منا إيجابياً ؟ إننا نعتقد أن خوف الغرب

تعاطف السكان الأرتيريين مع القضايا العربية ، ولتطوق الوطن العربي من الخلف . إننا كنا ـ وما زلنا ـ نتوقع أن يكون التأييد العربي لنا أقوى مما هو عليه ، على الأقل بالمساعدات الإنسانية .

لقـــاء مع القيـــادة

في حوارنا مع « أسياسي أفورقي » ، الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير أرتيريا ، لونت نبرة العتاب هذه حديثه وهو يتناول مـواقف الأقطار العربية من الثورة الأرتيرية : لقد ترسخت لدى الأرتيريين مفاهيم ـ ما زلنا نحترمها ـ على الرغم من نقض ممارسات بعض الأطراف العربية لها ، وهي أن شعبنا يجد في جيرانه عوناً له ، اليوم وفي المستقبـل ، وبخاصـة أن مـا يجمعنـا بهم عـلى مستـويات كثيـرة يفـرض أن نحـظى بـدعمهم وتأييدهم دون أن يُفرض علينا توجه أو أسلوب معين . ونحن نراهن على الثابت من الأمـور ، وعلى المستقبل كذلك .

عندما دخل علينا مـرافقنا ليبلغنـا أن الأمين العـام جـاء للقـائنـا لم نكن نتـوقـع أن تسمـح مسؤولياته الكثيـرة بهذا اللقـاء ، فقد تـزامنت زيارتنا إلى أرتيريا مـع مرور ثـلاثة أسـابيع من سيطرة قواتهم على ميناء « مصوع » ، مما استدعى انتقـال معظم القيـادات إلى الجبهة الأمـاميـة ، لتأمين انتصارهم الذي أحدث دوياً عالمياً ، لتأثير نتائجه على استراتيجيـات مختلف القوى المعنيـة بهذه المنطقة ، ولكنه جاء تقديراً منه « للعربي » .

شاب توحي ملامحه بأنه لم يتجاوز الأربعين من عمره ، لولا تعرفنا عـلى صورتـه في الصحافـة العالمية لما استطعنا تمييزه من بين مرافقيـه ، لأن بسـاطـة الملبـس ، وحميميـة العـلاقـة فيـما بـين الجميع ، توحد بينهم ، مهما كانت مواقعهم أو مسئولياتهم .

تطرق الحوار إلى مواقف القوى العظمى غير المتعاطف مع القضية الأرتيرية الذي لم يتبدل على الرغم من التطورات الجديدة في العـالم ، وأكد



من انبعاث المشاعر القومية العربية ـ بخاصة بعد ظهـور النفط ـ كان واحـداً من أسبـاب دعمـه للأباطرة الأثيوبيـين الذين كـانوا يتقـربون منه بـدعوى أن أثيـوبيا جـزيـرة مسيحيـة في وسط إسـلامي وآخر وثني ، ممـا دفعـه إلى تحقيق أطماعهم في ضم أرتيريا ، عندما استغل الغرب نفـوذه في الأمم المتحـدة ، وفـرض عـلينـا الفيدرالية ، بدلاً من حق تقرير المصير ، تمـاماً مثلما فعل في قضية فلسطين عام ١٩٤٧ ، وفور هذا الإعلان وقعت الولايات المتحدة الأمريكية اتفاقية دفاعية مع أثيوبيا مدتها ٢٥ عاماً ، مكنتها من إقـامـة أكبـر قـاعـدة لـلاتصـالات خـارج أراضيها ، بالقـرب من « أسمرة » عـاصمتنا ، بـالإضافـة إلى القـواعـد البحريـة . وفي رداء الولايات المتحدة دخلت « اسرائيل » لتحول دون



● محل تجاري في مدينة «افعبت» المحررة والزبائن خليط من المقاتلين والمدنيين

على إصرار الأرتيريين على الاستقلال ، إما عن طريق العمل العسكري أو الحل السلمي ، ولذلك شاركوا في مؤتمرين تمهيديين مع الأثيوبيين في أتلانتا بالولايات المتحدة ، ونيروبي بكينيا .

أما عن التنمية والاعتماد على الذات فقال : « نحن مجتمع ينتمي للعالم الثالث ، متخلف ، تابع ، وإمكانياتنا الاقتصادية لا تسمح بالاعتماد المطلق على الذات ، لكننا نحاول تطويع إمكاناتنا الحالية . ولعلك تعلم أن إيطاليا عندما غزت أرتيريا كانت تعمل على الاستمرار الأبدي فيها ، فعملت على إقامة البنية التحتية (طرق ، سكك حديدية ، تنظيم مدن) وأقامت المزارع ، وبعض الصناعات الخفيفة التي تخدم استغلالهم لاقتصادنا . والبريطانيون عندما حلوا محلهم عام ١٩٤١ قاموا ومعهم الأثيوبيون بنقل المصانع إلى أثيوبيا ، إلا أن هذه البنية التحتية ، على الرغم من التخريب والتدمير الذي تعرضت له ، ستفيدنا في عملية التنمية ، بالإضافة إلى أننا نملك تجارب ممتازة في مجالاتها المختلفة الاستثمارية والخدمات ، وستشاهدون بعضها في (أوراتا) ، وسنكون في حاجة للاستفادة من خبرة الآخرين وتجاربهم » .

مدارس ومستشفيات في الخلاء

في السادسة من صباح اليوم التالي لعودتنا إلى « أوراتا » توجهنا إلى المدارس التي تبعد مسيرة

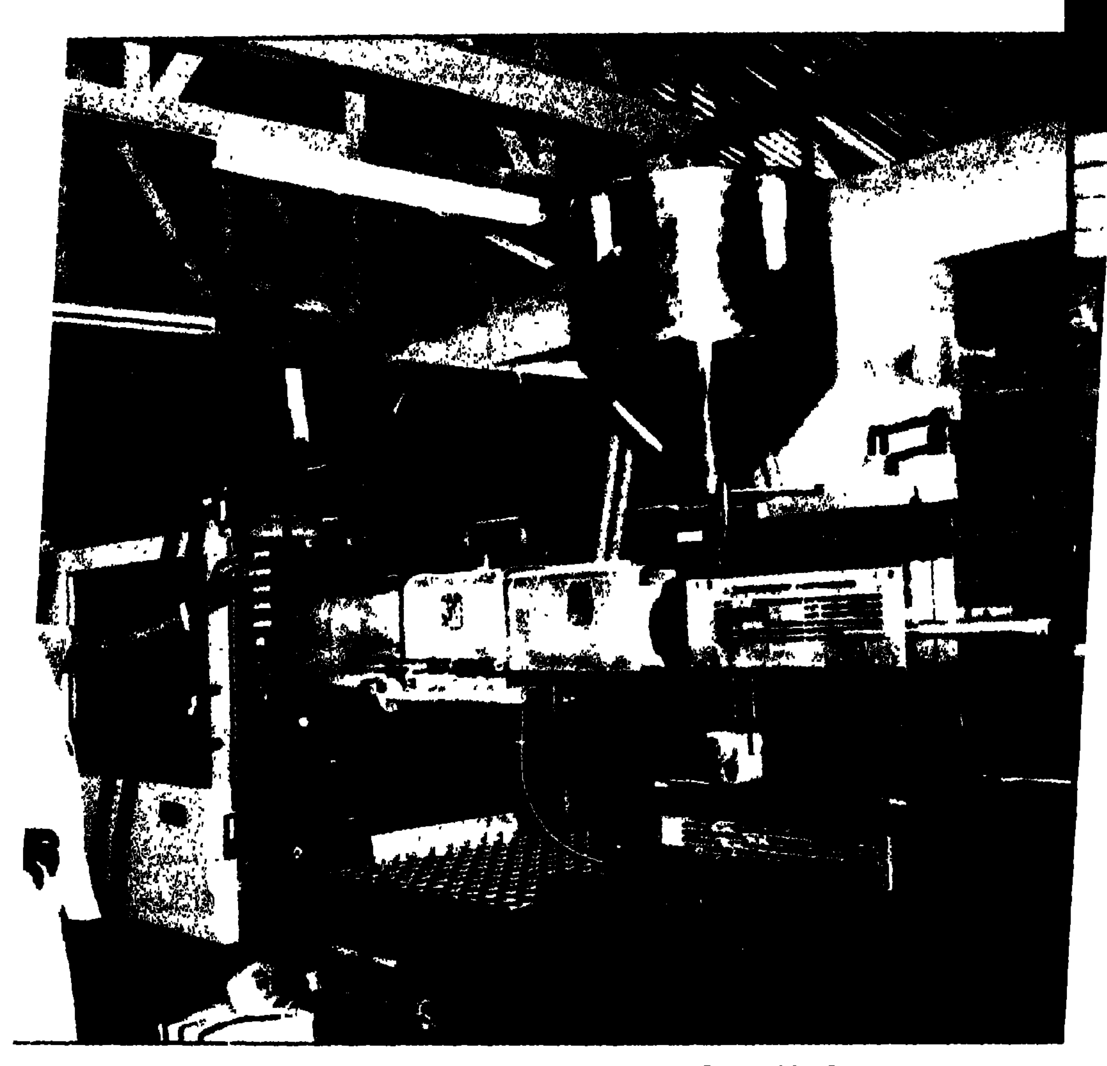


● أحدث أجهزة الفحص، وفتاة ارتيرية في المعمل المركزي للتحاليل

ساعة بالسيارة . المدارس عبارة عن فصول متفرقة تحت الأشجار ، كل فصل به « سبورة » ومقاعد حجرية ، وهي مدارس داخلية ، لأن معظم طلبتها أبناء شهداء أو مقاتلين أو من قرى وأماكن بعيدة .لازي موحد ، ولا تجهيزات ، والكتب والأدوات المدرسية محدودة ، وتمثل مشكلة في ضوء الإمكانات المحدودة .

عندما وصلنا كان الطلبة يعملون في تسوية الطرق المؤدية إلى مدرستهم ، وهي واحدة من عدة مدارس موزعة في أماكن تخدم المناطق المحيطة بها .

تشرف الجبهة الشعبية على ٧٣ مدرسة ابتدائية وإعدادية وثانوية ، بالإضافة إلى معهد صناعي . يقول المشرف على الجهاز التعليمي ، الدكتور « تخستي اقبري ميكائيل » ، عميد كلية الهندسة بجامعة أديس أبابا سابقاً (٦٢ - ١٩٧١) : لقد حاولت الثورة أن تتلافى عيوب النظم التعليمية السابقة ، فقد كان التعليم في عهد الإيطاليين مقصوراً على تخريج العناصر التي تخدم مصالحهم ، وكانوا يعمدون إلى تفضيل المسيحيين على غيرهم ، وأبناء المدن على أبناء الريف ، وعندما حل البريطانيون محلهم عمدوا إلى تغذية الطائفية ، فجعلوا التعليم بالعربية للمسلمين ، والتجرينية للمسيحيين . وفي عام ١٩٥٨ ألغى (هيلاسيلاسي) التعليم باللغتين اللتين اعتمدهما دستور الفيدرالية لغتين رسميتين ، وهما العربية والتجرينية ، وفرض الأمهرية مكانهما ، والآن يتم التدريس في المرحلة الابتدائية باللغات الأصلية للقوميات ، على أن يختار الطالب لغة إضافية بجوارها ، إما التجرينية ، أو العربية ، أو الانجليزية . وفي المرحلة الاعدادية والثانوية يكون تدريس المواد بالانجليزية ، بالإضافة إلى لغة إضافية ، العربية أو التجرينية . ولقد كان اختيارنا للتدريس باللغات الأصلية حتى لا تتغلب قومية على



● عامل يدير آلة ضخمة بمصنع البلاستيك في المنطقة الصناعية «بشعب» .

أخرى . على أننا نؤكد بأن اللغتين المنتشرتين هما العربية والتجرينية ، ولكننا نعاني من قلة الكتب بهاتين اللغتين .

وأضاف مرافقنا : إن التعليم عندنـا مشكلة صعبة ، بسبب ظروفنا غير المستقرة ، ولارتفاع نسبة الأمية (٨٠٪) ، ولضعف الإمكـانات ، ولكننا مستمرون ، فقد جعلنا محو الأمية الزاميا لكل الأعضاء في التنظيم ، وتوجد لجان سنوية تتولى تعليم الأعضاء الجدد .

وفي منطقة (أوراتا) صحبنا الطبيب « عندوم عقبة » ، مسئول المستشفى المركزي ، في جولة على أقسامه المدنية المختلفة ، عنابره تحت الأشجار ، أماكن مسورة ومسقوفة بالبطانيات أو الخيام ، أو الصفيح ، مقسمة وفقاً لنوعية الأمراض والمرضى . غرفة العناية المركزة يرقد فيهامصابون بالنابالم ، من جراء قصف الطائرات الأثيوبية في « مصوع » . في المستشفى ٢٥٠ مريضاً : مائة منهم جرحى عمليات تحرير « مصوع » . يتابع علاج المرضى ثمانية أطباء .

غرفة العمليات تتميز عن أقسام المستشفى الأخرى ببنائها الحجري ، والعناية الفائقة في تعقيم أدواتها وملابسها ، ومعداتها المتقدمة .



● مسجد مدينة «نقفة» شاهد على عنف التدمير

أنشيء المستشفى في عـام ١٩٧٦ ، وبالإضـافة اليه هناك مستشفيات ميدانية ، ومستوصفات في القـرى ، هذا غـير الأطباء الحفـاة . ومنه قسم مدني وآخر عسكري .

ملحق بالمستشفى معمل مركزي للتحاليل ، هو عبارة عن أربعة صناديق حديدية تستخدم في نقل البضائع « حاويات » ، جهزت وأعدت حتى تصبح مكاناً نظيفاً محكماً . الصيدلي « ملّس » ، المسئول عن المعمل ، صحبنا في أقسامه الثلاثة : الأول تجري فيه عمليات تحليل الدم والتحليلات العـادية ، و « بنـك » الدم ، والثـاني لتحليـل البكتيـريا والميكـروبـات ، والثـالث للخلطات الكيميائية .

وفي بور سودان يوجد مركز لعلاج المعاقين ، نقل من الميدان عام ١٩٨٨ لتزايد الأعداد المصابة نتيجة الأعمال العسكرية ، فيه ١٨٠ معاقاً من الجنسـين ، يشرف عليـه طبيبـان ، وعـدد من الممرضات .

تجولنا ليلاً في بعض المصانع التي أقاموها في أحضان الجبال ، مصانع للأدوية تغـطي بعض احتيـاجاتهم من سـوائل الـطاقـة والأقـراص ، مصانع يدوية للصابون يجري تطو رها . مصنع حديث لصناعـة البلاستيـك ، أنشيء في ينايـر ١٩٩٠ ، وما زال في مرحلة الإنتاج التجريبي .
وفي أثناء زيارتنا لمصنع الأحذية الذي ينتج نوعاً واحداً من الأحذية « البلاستونيل » المفتـوحة ، قام مرافقنا باستبدال حذائه القديم بغيره جديد ، ثم قال : إنها تقدم مجاناً للجماهير ككـل إنتاج المصانع الأخرى .

ثم اتجه بنا إلى قسم المطابع الذي يتم فيه طبع المناهج الـدراسية ، ومـطبوعـات الثورة ، وإلى وحدة التصوير السينمائي والفيديو .

عند عودتنا إلى « فندق الضيـوف » وجدنـاه مـزدحمـاً بـالـرواد ، بينهم « ديفيـد هيـرست » الصحفي الشهير بجريدة الغارديان البريطانية ، في طريقه إلى « مصوع » ، مجموعة من الإيطاليين حجزتهم العمليات الحـربية في « مصـوع » ، و « أمنّت » الجبهة خروجهم إلى السودان ، كانت بينهم امرأة عجوز ، « مليونيرة » ، كان لها أملاك ومصانع في أرتيريا ، لا تخـرج إلا ومعها كلبهـا « الوولف » وسلسلته الأنيقـة معلقة في يـدها ، وعلبة أكله في يدها الأخرى .

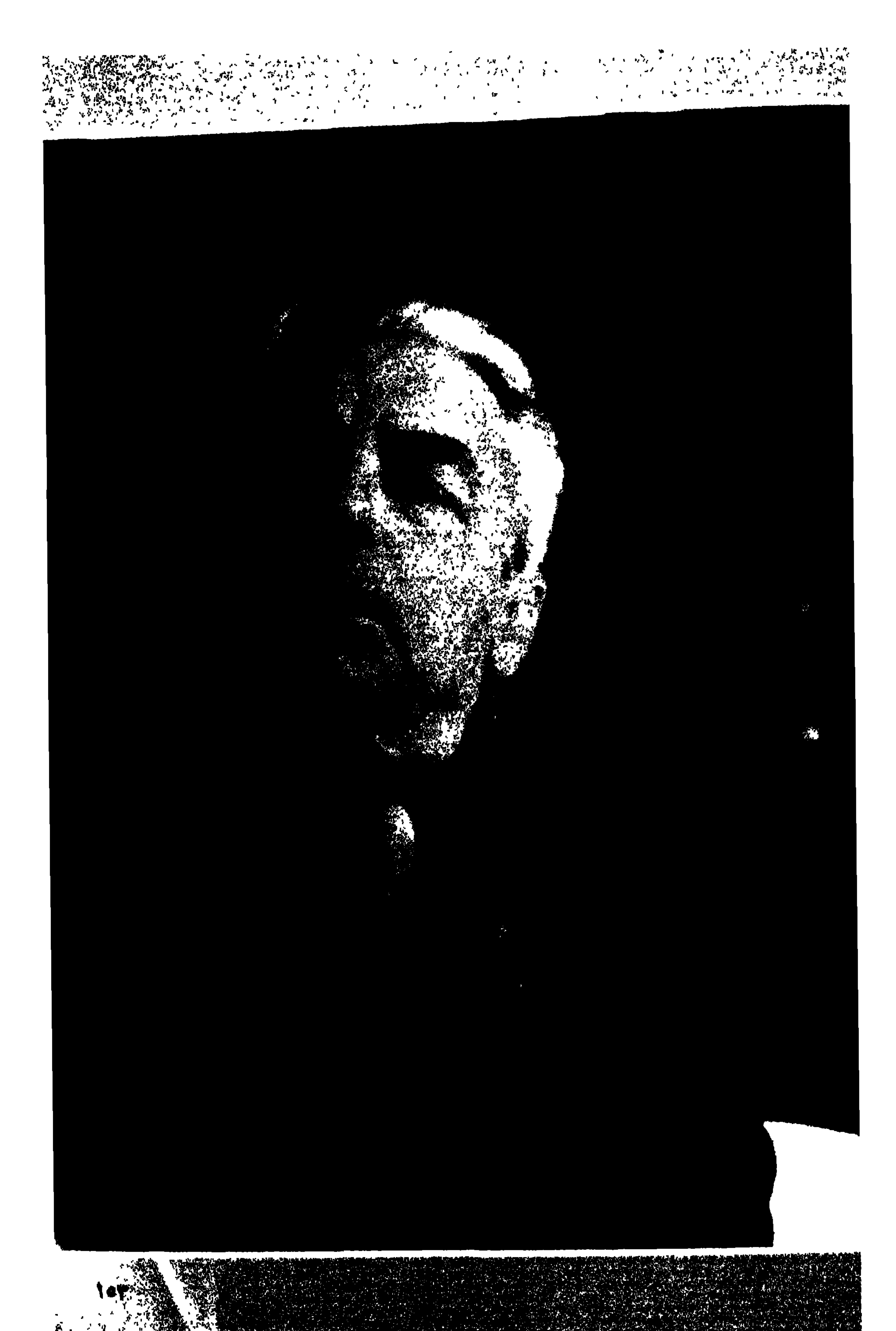
لقـد جسدت هـذه المرأة بعنـايتهـا الفـائقـة بكلبها ، وحماية الأرتيريين لها قصة أرتيريـا التي غزاها كثيرون ، لكنها لم تفقد قـط إصـرارها ، ولا تطلعها للاستقلال . ولا نظنها ستفقده يوماً ما . □

كارايان

إمبراطور الموسيقا الراحل

بقلم : الدكتورة سمحة الخولي

لم تمض على وفاة كارايان مدة طويلة ،
حتى بدأت حملة على ماضيه
التي اتهم فيه بأنه كان نازياً
أيام العهد الهتلري في ألمانيا .
وفتح باب الجدل حول واحد
من أعظم قادة الأوركسترا في العالم .



لم تشهد الساحة الموسيقية ، في قرننا هذا ، شخصية سلطت عليها الأضواء ، وحققت أمجاداً فنية وجماهيرية مثل شخصية هربرت كارايان ، قائد أوركسترا برلين الفلهارموني الذي توفي في العام الماضي ، عن عمر يناهز الواحدة والثمانين ، وظل يمارس فنه في قيادة الاوركسترا حتى آخر لحظة في حياته ، في ملحمة نجاح امتدت عبر نصف قرن أو أكثر ، انتزع فيها احترام العالم الموسيقي ، قادة ونقاداً وعازفين ومستمعين ، حتى قيل عنه : إنه الوحيد الذي يمكن أن يقارن بتوسكانيني . وأجمعت الأجيال التالية من قادة الاوركسترا العالميين على عظمته وفضله على تفسير الموسيقا وفن القيادة الاوركسترالية ، وقال عنه آندريه بريفن : إنه لا يتسنى لأي قائد اليوم أن يعمل في هذا المجال ، دون أن يكون لديه وعي كامل بتراث كارايان !

فمن هو هربرت فون كارايان ؟ وكيف اكتسب هذه المكانة العالمية النادرة ؟ وما طبيعة إبداعه الموسيقي الذي اعترف به المؤيدون والمعارضون ؟ وكيف تربع على عرش الموسيقا الغربية قرابة نصف قرن ؟

عشق عنيف

ولد هربرت فون كارايان سنة ١٩٠٨ في سالزبورج بالنمسا ، وكان والده على رأس المهنة الطبية في مدينته ، وكانت الموسيقا - على عادة النمساويين - جزءاً رئيسا في حياة الأسرة ، وكان والده يعزف الكلارينيت في إحدى فرق الاوركسترا ، ولذا عني بتوفير تعليم موسيقي جيد لطفله هربرت في سن مبكرة ، وبخاصة عندما اكتشف أنه كان يراقب دروس البيانو التي يتلقاها أخوه الأكبر ، بعناية فائقة ، محاولا تقليدها . وعندما بدأت دروس عزف البيانو لهربرت الصغير في طفولته ، استطاع أن يبلغ مستوى من التمكن في العزف ، جعله يقدم - وهو في الخامسة من عمره - حفل ريستال بيانو .

وكتب كارايان بعد ذلك عن طفولته قائلا : « من ذكرياتي المبكرة عشق عنيف للموسيقا ، وصل بي إلى حد كان ينسيني الطعام والنوم » .

ولم تمض سنين طويلة حتى التحق بمعهد الموزارتيوم الشهير بسالزبورج للتخصص في دراسة عزف البيانو ، غير أن رغبته العارمة في تحقيق ذاته ، من خلال الموسيقا ، لم تقنع بعزف البيانو وحده ، ووجهه عميد ذلك المعهد ، باومجارتنر ، لدراسة قيادة الاوركسترا قائلا له : إنها الوسيلة الوحيدة لإرضاء شوقه الغامر للأداء الموسيقي على أوسع نطاق . وتأكد لديه ذلك حينما استمع لبعض فرق الأوركسترا الألمانية الكبرى ، وسحره رنينها ، وأيقن بما لا يدع مجالا للشك ، بأنه يجب أن يصبح قائدا للاوركسترا .

واستمرت دراساته الموسيقية في أكاديمية الموسيقا بفيينا ، حيث درس قيادة الأوركسترا في جامعة فيينا وتخصص في تاريخ الموسيقا وعلومها (الموزيكولوجيا) .

وبدأ الطالب المتفجر الحماس يمسك عصا القيادة في أول حفل له لقيادة أوركسترا أكاديمية الموسيقا في عام ١٩٢٨ ، ولكنه كان يشعر بالضيق والإحباط لقلة الفرص المتاحة للقيادة أمام الطلاب ، إذ أنه لم يحصل خلال عامين من الدراسة إلا على نصف ساعة ، ليمارس فيها القيادة الحقيقية !

وتفتحت عيناه على سحر عالم القيادة الحقيقي ، حين حضر في عام ١٩٢٩ عروضا لأوبرات فولستاف ولوتشيا دي لاميرمور ، بقيادة أعظم قادة القرن العشرين ، آرتورو توسكانيني ، وكانت هذه التجربة الباهرة ، من العلامات الفارقة على طريق حياته الموسيقية ، وبدأ كارايان بعد ذلك يتطلع إلى آفاق من الكمال الموسيقي في الرنين الاوركسترالي ، تجاوز مجرد السيطرة « التكنيكية » على الأداء ، عزفاً وغناء .

وفي عام ١٩٢٩ بدأ سلسلة وظائفه الموسيقية التي تتحدى المقارنة بأي حالة أخرى ، في تنوعها

وكثافتها واتساع رقعتها ، وبخاصة بعد أن ذاع صيته ، واشتهر عالمياً بعد ذلك . وكانت أولى حلقات هذه السلسلة الحافلة ، حين عين مديراً للموسيقا بأوبرا مدينة أولم الألمانية بمسرح الدولة فيها ، وكان عمله هناك شاقاً ، ولكنه أقبل عليه بحماس كبير ، لأنه أتاح له فرصاً ذهبية للتغلغل في عالم الأوبرا حتى الأعماق ، فكان عليه أن يتولى تدريب المغنين ، وتدريب الكورال ، وقيادته ، بل وكان يقوم أحياناً بتشغيل أجهزة الإضاءة المسرحية ، وبذلك مارس خبرة الأوبرا ، موسيقيا وعمليا ، من القاع حتى القمة .

ثم عين بعد ذلك في مدينة آخن (ايكس لاشابيل) سنة ١٩٣٤ قائدا ومديرا لفرقة الأوبرا وللاوركسترا السيمفوني بها ، وكان من واجباته أن يعد حوالي أربعين برنامجاً سيمفونياً مختلفاً في كل موسم وأن يقودها ، وبذلك عمق صلته بالربرتوار الاوركسترالي . ثم امتدت وظائفه الموسيقية بعد ذلك إلى فيينا ، فقاد فيها سنة ١٩٣٦ ، لأول مرة ، وظلت فيينا وبرلين ثم لندن محاور رئيسة لنشاطه الموسيقي المتصاعد ، وعينته الحكومة النازية سنة ١٩٣٧ مديراً لاوركسترا الأوبرا في برلين ، بجانب عمله في آخن .

عداء صريح

كان فلهلم فورتفنجلر أعظم قادة الاوركسترا في أوربا ، وربما في العالم ، عندما تولى هتلر حكم ألمانيا . وبدأت السحب تتجمع في أفق الحياة الثقافية الألمانية ، تحت وطأة الإجراءات التعسفية التي فرضها النازي على الفنون ، واتخذت صوراً من المقاومة والقمع الأدبي ضد الفنانين الذين لا ترضى عنهم الحكومة ، إما لأسباب عنصرية ، أو لمواقف سياسية مناهضة لمبادىء النازية .

وتبلورت هذه الإجراءات التعسفية حول العمل الموسيقي الكبير « ماتياس المصور » لواحد من أبرز مؤلفي ألمانيا في تلك الفترة ، هو باول هندميت ، فقرر المسؤولون حظر تقديم هذا العمل ، في صورته الاوبرالية الأصلية ، أو في نسخته السيمفونية الاوركسترالية التي أعدها مؤلفه عن الأوبرا .

لكن فورتفنجلر ، قائد اوركسترا برلين الفلهارموني ، لم يقبل الرضوخ لهذا الحظر ، فقاد سيمفونية « ماتياس المصور » باوركسترا برلين الفلهارموني . وهكذا بدأ بينه وبين الحكومة النازية عداء صريح ، جعلها تسعى لإزاحته عن منصبه الخطير على رأس أكبر أوركسترات أوربا وأشهرها ، وكان تعيين كارايان الشاب في أوبرا برلين ، قرب موقع فورتفنجلر ، إحدى وسائل النازيين لمحاولة زحزحة فورتفنجلر ، تمهيداً لاستبداله بموسيقي شاب نابه مثل كارايان ، يدين بمبادىء النازية ، وينتمي إليها .

وكان كارايان قد انضم للحزب النازي منذ عام ١٩٣٣ (في سالزبورج ، وفي آخن بعد ذلك بعام) ، وكان واضحاً أن الشاب الطموح قد وجد في ذلك الانتماء الحزبي فرصة لتحسين أوضاعه الموسيقية ، وقد حظي بدعم كامل من حكومة هتلر ، (وبلغ من مسايرته لمبادئها أن أشيع أن طلاقه لزوجته الثانية ، آنيتا جوترمان كان بسبب أسرتها اليهودية !) .

أما فورتفنجلر فقد ظل على العكس أميناً مع نفسه ، ولم يقبل الانضمام للحزب النازي ، ودفع لذلك ثمنا فنيا ونفسيا في أثناء حكم هتلر . وقد ألقت هذه المقارنة بين مواقف هذين الفنانين السياسية ظلالا وغيوما على سمعة كارايان وشخصيته حينذاك ، بل تحولت إلى نقطة سوداء في سجله ، وضعته بعد نهاية الحرب وسقوط النازية في مواقف أليمة ، هددت مستقبله الموسيقي بالشلل والتوقف ، إذ أنه منع بعد الحرب من قيادة الاوركسترا ، بسبب انتمائه للحزب النازي ، ولم يفلح دفاعه عن نفسه بالسذاجة السياسية ، وقوله بأنه صدق ما قيل له عن أن الانضمام للحزب ضرورة لابد منها

لتعيينه في وظيفة آخن وغيرها . ولم يفلح هذا الدفاع المتهاوي في تحسين موقفه أمام الحلفاء .

وظل كارايان ممنوعاً من العزف ، وعاش فترة قاسية ، وإن لم تكن طويلة ، من العزلة والتقوقع ، واضطر في هذه الفترة لأن يقود الأوبرات « من الباطن » ، فكان يعمل من « كنبوشة » الملقن في أثناء فترة الحظر هذه . وأخيراً صدر قرار لجنة لتطهر من النازية بالإعفاء عنه ، والسماح له بالظهور علناً لممارسة فنه ، وعاونه في تلك المحنة الأمريكيون والبريطانيون .

وعاد نشاطه الموسيقي ، واختارته جمعية أصدقاء الموسيقا بفيينا عام ١٩٤٨ ، وهناك قاد عروضاً لأوبرا فاجنر ساطين الغناء من نورنبرج « الماسترسنجر » سنة ١٩٥١ نجحت نجاحا مدوياً .

فنان واحد

بدأ كارايان يشتهر بتفوقه المتميز في أداء أوبرات فاجنر ، وبفهمه الخاص لديناميات الأداء (خلال الشدة واللين) ، وللرنين الأوركسترالي فيها ، وبلغ من تعمقه في فهم أوبرات فاجنر أنه لم يعد يكتفي بمهمته على منصة القيادة وحدها ، بل كان يتمثل القيادة الأوبرالية بمفهوم أشمل ، هو مفهوم الإدارة الفنية الشاملة للعمل المسرحي الموسيقي ككل ، بحيث يتولاه فنان واحد ، تتجمع خيوط العمل الشامل بين يديه ، بدءاً من الغناء الأوبرالي والكورالي والعزف الاوركسترالي ، إلى الإخراج ، بل وإلى التنظيم المالي ، وإلى

[illegible]

[illegible] أوركسترا برلين الفلهارموني في عام [illegible] حلة فنية إلى الولايات المتحدة [illegible] ، بقيادة قائده الكبير فورتفنجلر ، ولكنه توفي فجأة قبل الرحلة ، فدعي كارايان ليحل محله ، وكان نجاحه مع تلك الاوركسترا في حفلاته في واشنطن ونيويورك وغيرها باعثاً لتعليق النقاد الأمريكيين وثنائهم ، على أفضل قائد أوركسترا في أوربا ، وهو ثناء انتزعه بفضل سيطرته المطلقة في القيادة ، فقد كان يقود جميع الأعمال من الذاكرة ، وبفضل تفهمه الدقيق المرهف لشتى تفاصيل النسيج والبناء الموسيقي ، وبفضل تفسيره الشخصي الطريف المقنع لأساليب المؤلفات التي قادها بهذا الاوركسترا الجليل .

وأخيراً حقق كارايان أمنية حياته التي طالما سعى إليها ، وهي أن يكون قائداً لاوركسترا برين الفلهارموني ، وهو الموقع الذي عين فيه سنة ١٩٥٥ مدى الحياة ، وبإجماع أعضاء الاوركسترا !

وكان كارايان قد عين مديراً فنياً لأوبرا فيينا ، إلا أنه استقال من منصبه إثر خلاف حاد بينه وبين مديرها الإداري ، وأقسم أنه لن يقود في فيينا ثانية ، وهو قسم حنث به بعد ستة أعوام .

علاقته بوسائل الاعلام

أشرنا إلى كفاءات كارايان التنظيمية غير العادية التي كانت من أسرار نجاحه العالمي ، فقد كان ، كما ذكرنا ، الموجه الوحيد لشتى تفاصيل العمل الموسيقي ، فهو يشرح للمغنين دقائق أدوارهم موسيقياً ودرامياً ، وهو الذي تجمعت بين يديه عناصر الإخراج موسيقياً ومسرحياً ، ولكن هيمنته المطلقة لم تقف عند حدود الموسيقا والمسرح ، بل امتدت إلى عالم التسجيل الصوتي والمرئي ، فكان يناقش الفنيين في الصوت والصورة حول أدق التفاصيل المرتبطة بعملهم ، وكانت لديه خبرات واسعة في عالم الصوتيات الذي كان من هواياته ، وكان يبذل جهداً خاصاً لكي تسجل الأوبرات للتلفاز بأفضل صورة ممكنة ، كما كان يحرص دائماً على أن يظهر كمحور للعمل الموسيقي ، وأن تسلط الأضواء على شخصه ، ولم يجد أي تعارض بين

فنه وبين وسائل الإعلام كالمذياع والاسطوانة والفيديو والتلفاز ، ولذلك استمتع ملايين المستمعين والمشاهدين بفنه ، وعرفوه ، وقدروه . وقد أنتج كارايان للتلفاز ١٢ عرضاً لأوبرات مختلفة ، بطريقته الخاصة ، تعد الآن من الكلاسيكيات في مجالها .

وربما كان من أعظم أسباب انتشار شهرة كارايان عالمياً ـ وهي شهرة اقتربت من شهرة نجوم السينما ـ ما تميزت به شخصيته من صفات نفسية وجسمانية غير عادية ، فقد كان وسيماً أنيقاً ، رياضياً ، يسبح ، ويقود طائرته الخاصة ، ويمشي مسافات طويلة يومياً ، ويتزحلق على الجليد ، وعلى الماء ، ويقود سياراته الخاصة (بسرعات كبيرة) ، وكان هو وزوجته الثالثة ، اليت موزيه ، (عارضة أزياء سابقاً) محط أنظار الصحفيين ، ومادة خصبة للمقالات والأحاديث الجذابة للمجلات والصحف ، وكان القراء يجدون فيها صورة تختلف جذرياً عن الصورة المعتادة للفنانين الكبار الذين يعانون من الترهل والبدانة والصلع . وفرض هولنفسه ، في وسائل الإعلام صورة خاصة ، صنعها بنجاحه الساحق وحيويته المتدفقة ، حتى أواخر حياته ، وممارسته لليوجا ، وحياة البذخ والثراء التي عاشها بين قصوره في كل من سويسرا وفرنسا والنمسا وألمانيا !!

وعلى الرغم من هالة العظمة والشهرة العالمية التي أحاطت به في الحقب الأخيرة ، والتي عاش فيها امبراطوراً في عالم الموسيقا ، فإنه وجد قدراً مهماً من خبرته ، وطاقته ، لدفع الشباب قدماً في حياتهم الموسيقية ، ولإبراز المواهب النادرة بينهم ، فنظم مسابقة دولية لشباب قادة الاوركسترا ، أسفرت عن ظهور قادة شبان بارعين من دول عديدة ، بعضها غير أوربي ، كما عاون بالتوجيه والتدريب المباشر عدداً من شباب الفنانين في عالم الأداء الموسيقي ، غناء وعزفاً ، وفتح أمامهم آفاق العمل الموسيقي برعايته ، وليس أدل على هذا من عازفة الفيولينة الألمانية الشهيرة ، آن صوفي موتر التي بلغت ، برعايته وتوجيهه الشخصي لها ، مرتبة عالمية رموقة بين عازفي الفيولينة المشاهير .

وقد اتخذ كارايان خطوة جريئة بتعيين عازفة الكلارينيت ، سابينا ماير ، عازفة بأوركسترا برلين الفلهارموني ، وهو الذي لا تسمح له تقاليده بتعيين عازفات من النساء بين صفوفه ، وكانت لهذه الخطوة آثارها ، إذ خلقت بينه وبين أعضاء الاوركسترا فجوة نفسية ، ألقت ببعض الظلال على السنوات الأخيرة من عمله في اوركسترا برلين الفلهارموني .

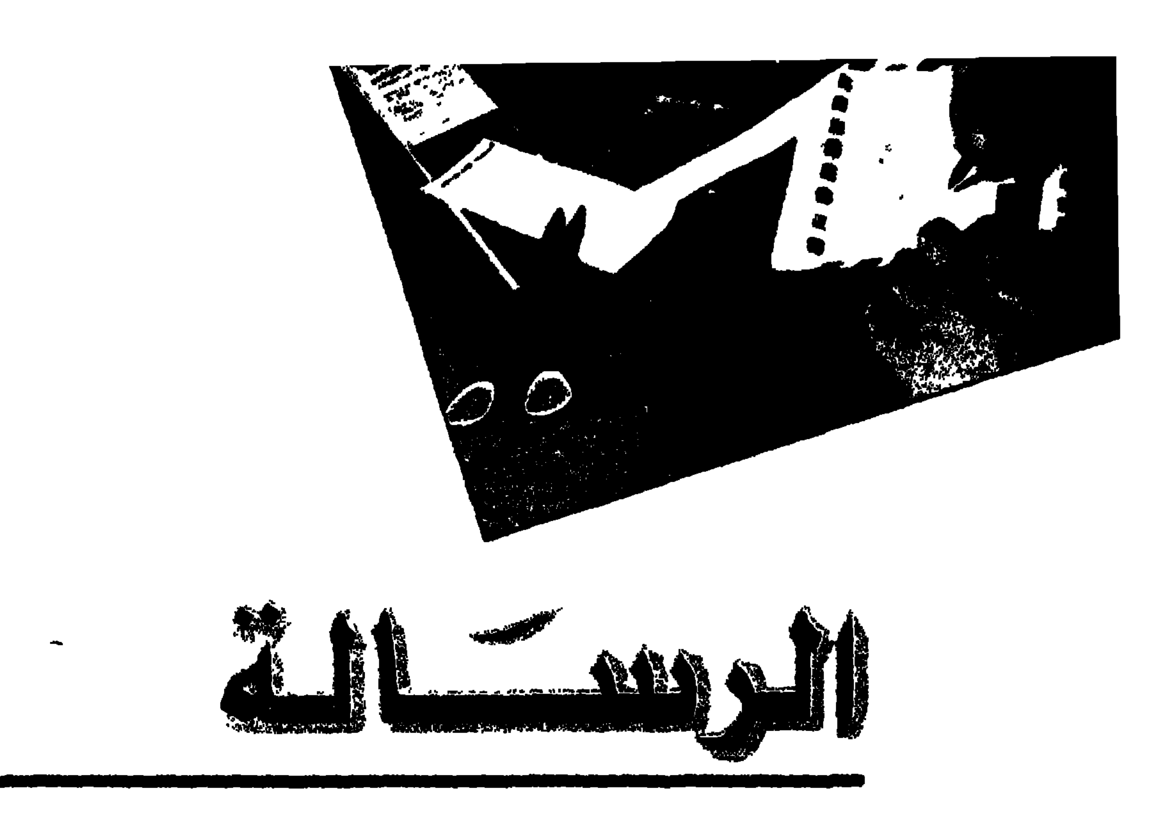
ولقد أغدقت عليه الأوسمة والألقاب ومظاهر التكريم ، بما أزال آثار السحب التي غشيت بدايات حياته الموسيقية (من جراء انتمائه النازي) ، وأجمع العالم الموسيقي في أوربا وأمريكا وآسيا على عظمته ، وعلى قيمة إضافاته الفنية للأداء الاوركسترالي والأوبرالي . □

لآلىء الأحلام

● الحلم يحققه السياسيون ، وأما الأدباء والشعراء والمسرحيون والرسامون والموسيقيون وغيرهم من الفنانين فيحملون هذا الحلم ويغوصون في أغواره ملتقطين لآلئه ، ثم يصعدون بها وبأنفسهم إلى اليابسة .

اميل حبيبي





الرســالة

قصة للكاتب السوفيتي يوري ريختر
ترجمة : الدكتور عبدالله الصوفي

كان آخر يوم في السنة ، وقد جلس (بيوتر بابانكوف) وراء مكتبه مشغولا بدراسة القضايا والمشكلات التي يتعين حلها قبل مجيء العام الجديد ، وكان إذا ما رن جرس الهاتف يرفع السماعة ويجيب باقتضاب ، بلهجة رجال الأعمال في غمرة الانشغالات ، دون أن يتوقف عن مهر الوثائق أمامه بإمضائه الكريم .

وفي أحد الأوقات دخلت السكرتيرة وقالت وهي تناوله رسالة :

عفواً ، إنها رسالة شخصية لكم وردت بالبريد .

وعلى المغلف اسمه وعنوانه ، بخط بدا له مألوفا ، ففض المظروف ، وراح يقرأ مضمون الرسالة الغريب ، بدهشة بالغة :

« أمي الغالية !

لقد قررت الكتابة إليك بعد فترة طويلة من الانقطاع بسبب المهمات ، الإجازات ، المأموريات ، مرضي الطويل ، نقاهتي في المستشفى بعد مرض ألم بي ... »

ذهل (بابا نكوف) وقال بصوت مسموع : ياللشيطان ، ما معنى هذا ؟

وتأمل المغلف من جديد : إنه يحمل اسمه وعنوانه بكل دقة ، بل وبخط مألوف لديه كثيراً أيضا .

وواصل مطالعة الرسالة ، وقد اعتراه شعور يختلط فيه الذهول بالفضول :

« إن الفصل الآن عندنا جميل ورائع كما ينبغي أن يكون عليه : الخريف ، الربيع ، الصيف ، الشتاء .

لقد تسنت لي منذ وقت قريب فرصة الذهاب إلى : المسرح ، السينما ، المطعم ، إحدى الحفلات الموسيقية .

إنني أفكر في المجيء إليك يا أماه ، لقضاء بعض الوقت ، وذلك بعد : شهر ، سنة ، الانتهاء من الخطة الخمسية الحالية ... القادمة .



لاشك أن حالتك المادية ليست على مايرام ، لذا أبعث إليك بمبلغ من الروبلات : ثلاثين ، عشرين ، عشرة ، خمسة .

من حيث العمل انني في تقدم مستمر ، وقد أصبحت الآن : كبير المهندسين ، رئيسا لأحد الأقسام ، مديرا للمصنع .

تحيات خاصة لك يا أمي العزيزة من زوجتي : فيرا ، ناتاشا ، أولغا ، ماروسيا »

مع قبلات ابنك البار

« بيتيا »

تلا (بابانكوف) الرسالة مرة أخرى ، وتأمل مظروفها من جديد ، وفي هذه اللحظة سقطت من المظروف قصاصة صغيرة من الورق ، كتب عليها بالخط المألوف نفسه مايلي :

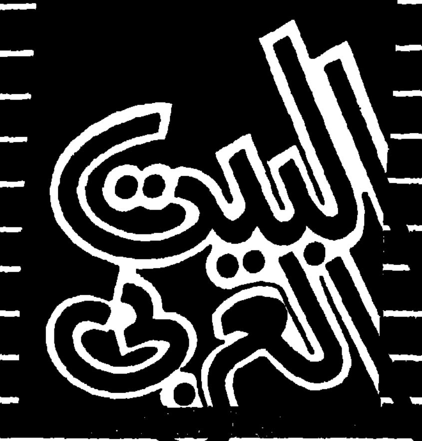
« ولدي العزيز بيتينكا

لست تدري كم طال انتظاري لرسالة منك ، أنا أعلم بأنك مشغول جدا بعملك ، وليس بوسعك حتى كتابة بضعة سطور لوالدتك الصابرة المنتظرة ، لهذا قمت بكتابة الرسالة اليها بدلا منك ، وكل ما أرجوه أن تقوم بشطب الكلمات الزائدة فيها .

« مع قبلات أمك »

أصلح (بيوتر بابانكوف) جلسته على المقعد وراء المكتب ، وقال مخاطبا نفسه : إن حس الفكاهة لاينقص أمي على ما أرى ، ولكننا الآن في اليوم الأخير من السنة ، وليس بوسعي الانصراف إلى أي شيء آخر عدا إنجاز العمل ، بل وليس بإمكاني حتى مجرد الراحة قليلا والتقاط أنفاسي .

ومع ذلك أزاح من أمامه كومة الوثائق والأوراق ، والتقط القلم ، وتنهد بارتياح ، وراح يشطب الكلمات الزائدة في الرسالة الموجهة من أمه إليها بنفسها ، باسمه . □



التعبير الفنى عند الأطفال

تفهُّم أحاسيس الجلد

بقلم : ديفيد ماكسويل*

إضافة للقيمة الجمالية التي يضفيها الجلد على الإنسان فإن له وظائف عديدة أخرى ، مثل نقل الإحساس بالحرارة أو البرودة أو بالألم أو الانتعاش . لكن وراء هذه الأحاسيس البسيطة تركيبا بالغ التعقيد .

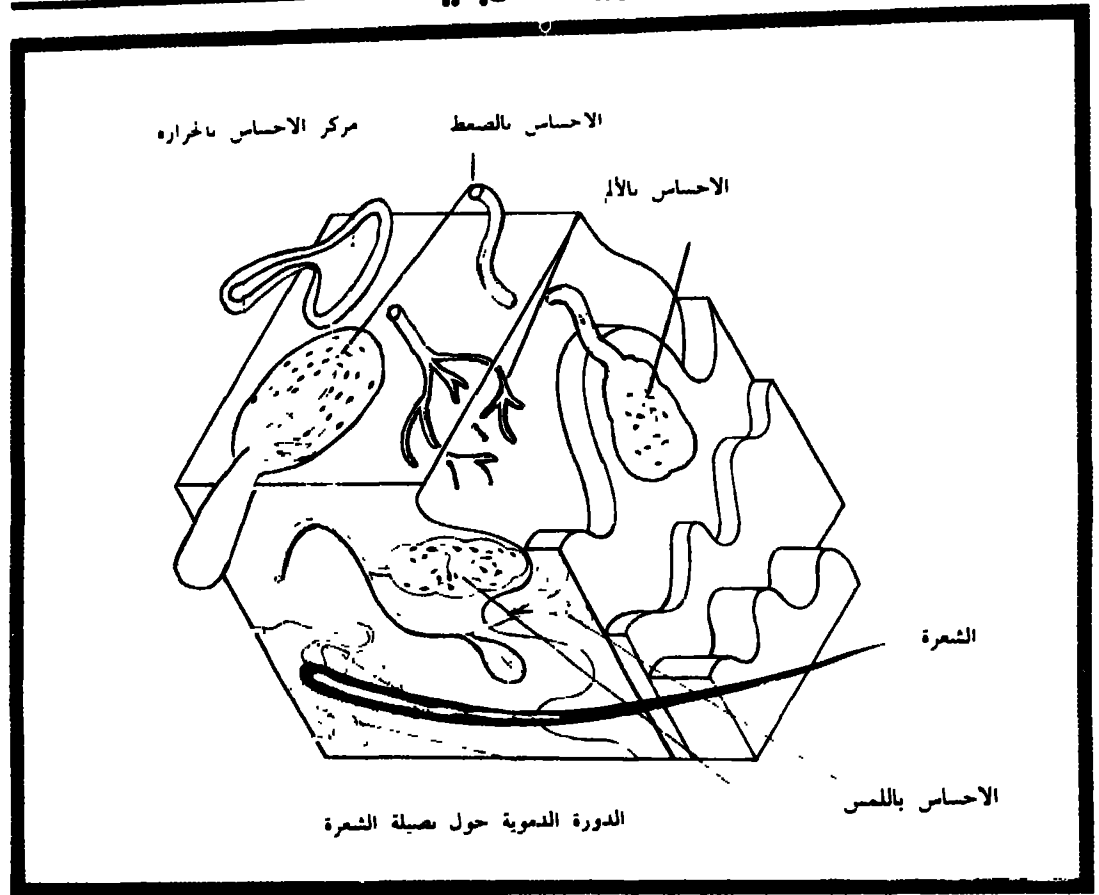
يزودنا جلدنا بمقدار هائل من المعلومات حول ما يحيط بنا، فهو يحتوي على ملايين عديدة من المستقبلات الحسيّة التي تستجيب لأنواع معينة من الحوافز، وينقل كثيراً من المعلومات إلى الحبل الشوكي ، بواسطة الألياف الحسيّة . والمعلومات الداخلة إلى الحبل الشوكي تتم معالجتها بطرق معقدة، وخلال القيام ببعض الأعمال الأخيرة التي موّل الجزء الأكبر منها مجلس الأبحاث الطبية في المملكة المتحدة، جرى تطوير أسلوب تقني، يجمع بين الأسلوب التشريحي والأسلوب الفسيولوجي، وقد أحدث ثورة في قدرتنا على دراسة آليات معالجة المعلومات في الجهاز العصبي المركزي.

وقد منعنا تعودنا على الاستخفاف بجلدنا أن ندرك الثروة المعلوماتية التي يزودنا بها، فهو يخبرنا عن درجة ماء حمامنا، أو إذا كنا قد جرحنا اصبعنا، ويمكننا حتى من أداء بعض المهام المعقدة الكامنة في التمييز اللمسي كالقراءة بطريقة بريل . ويمكنه القيام بكل هذا لكونه يحتوي على ملايين عديدة من الأعضاء الحسية الصغيرة ، والنهايات العصبية التي تنشط بواسطة أنواع معيّنة من الحوافز الخارجية. وفرك الجلد المكسو بالشعر بالفرشاة مثلا ينشط الألياف العصبية المرافقة لجريبات الشعر، ومن ثم تنقل الألياف الاندفاعات من الجلد إلى المرحلة التالية من المسار في الجهاز العصبي المركزي.

ورقعة الجلد الموجودة في البدن، أو في الذراعين ، أو في القسم السفلي من الجسم، ينتهي عدد كثير من أليافها العصبية بالحبل الشوكي . أما الألياف فهي تدخل الحبل الشوكي من خلال الجذور الظهرية، وتسير في منطقة من الحبل الشوكي تعرف بالعواميد الظهرية، وتتولد الألياف التي تعرف أيضا باسم « المحاور العصبية » ، الكائنة في الأعمدة الظهرية عن فروع متوازية، تدخل الحبل الشوكي، وتتفرّق بغزارة، وتشكل أنماطا شبيهة بالأشجار. وكل غصين في الشجرة ينشيء تورّمات عديدة، تشبه عناقيد من العنب، وتعمل هذه التورّمات، أو «البراعم» اتصالات مباشرة تعرف باسم التشابكات العصبية مع الخلايا العصبية للحبل الشوكي.

---

* استاذ العلوم البيطرية بجامعة أدنبرة بالمملكة المتحدة .



● مقطع من الجلد حيث مراكز الاحساس المختلفة.

وهذه «البراعم» تفرز مرسلات كيميائية تستهل الاندفاعات في الخلايا التي جرى الاتصال بها. وقد تتلقى خلايا الحبل الشوكي تشابكات عصبية من أعداد كبيرة من الألياف الحسية.

والمعلومات المرسلة بواسطة الألياف الحسية لا تنقل ببساطة بواسطة الخلايا في الحبل الشوكي إلى الدماغ، كما يجري في مركز تبادل هاتفي، وإنما تعالج وتحوّل بآليات معقدة، أقرب ماتكون إلى حاسوب صغير «ميكروكومبيوتر» مبرمج. والإنسان لا يعرف إلا الشيء القليل عن هذا الحاسوب الصغير الذي يؤلف دوائر المعالجة للحبل الشوكي، وإن كانت بعض الأبحاث الحديثة تتيح تبصرا أعظم حول كيفية عمل الشبكات الحسية في الحبل الشوكي

وفي أواسط السبعينيات حدث تقدم تقني باهر، غيّر جوهريا قدرتنا على تفهم كيفية قيام الجهاز العصبي بمعالجة المعلومات وقد حدث هذا التقدم الفذ عندما قام كل من البروفسور «ألان براون» والدكتور «كي روز» والدكتور «بيتر سو» بتطوير أسلوب تقني في مختبرنا، جمع بين التسجيل الكهربائي من ألياف وخلايا عصبية أحادية وحقن انزيم كاشف ضمن خلية بروتوبلازمية، وأصبح ممكنا فيها بعد تصويره بواسطة الميكروسكوبية الضوئية والالكترونية، لإعطاء صورة كاملة لسية ليفة حسية. وقبل ذلك كان من الممكن تحضير

الجهاز العصبي باتباع أساليب التسجيل، أو الأساليب التشريحية. غير أن الأساليب التشريحية لا تقدم إلا مقداراً قليلا من المعلومات حول العمل، وأساليب التسجيل الكهربائي لا تكشف أي شيء حول البنية، ولذلك فإن الأسلوب التقني الحديث يتيح فرصة استثنائية لدراسة بنية خليّة واحدة بمفردها وعملها.

ألياف الجلد الحسيّة

لقد قام علماء الفسيولوجيا الكهربائية بتصنيف الألياف الحسيّة للجلد، وهي ألياف أولية ناقلة نحو مركز عصبي، وفقا للسرعة التي تنقل فيها الاندفاعات،وأنواع الحوافز التي تنشطها . وقد جرى الحصول على معلومات من هذا القبيل بالتسجيل من ألياف أحادية في الأعصاب التي كان قد جرى تخفيضها تدريجيّا . ولم يكن ذلك بإنجاز عادي عندما يأخذ المرء بعين الاعتبار أن أصغر الألياف العصبية لا يتجاوز بضعة أجزاء من آلاف الأجزاء من المليمتر سمكاً .

وبعامة هنالك ثلاث مجموعات من الألياف، عند تصنيفها على أساس سرعة نقل الاندفاع بواسطة عصب من الأعصاب (سريعة، متوسطة، بطيئة)، ومجموعتان اثنتان عند تصنيفها بموجب خصائصها الاستجابية للحوافز (تلك التي تستجيب للحوافز الرقيقة وتلك التي تستجيب للحوافز الحادة، الضارة).

وكل طائفة مقسمة مرة أخرى وفقا لصفات الحوافز المعينة التي تنشطها، كالاهتزاز، والحرارة ، والقرْص مثلا وهلم جرا .

وباتباع أسلوب « التلطيخ الفضي » اكتشف عالم تشريح الأعصاب الأسباني الكبير، رامون كاثال ، أن نهايات الألياف الكبيرة القطر كانت تنزع إلى الوقوع في منطقة مختلفة من المادة الرمادية الظهرية للحبل الشوكي عن تلك التي تقع فيها نهايات الألياف الدقيقة القطر .

وهنالك علاقة متبادلة بين قطر المحور العصبي وسرعة نقل الاندفاع : إذ كلما كانت الليفة صغيرة كانت سرعة نقل الاندفاع أبطأ . ومن المعروف أيضا أن الألياف البطيئة تنزع إلى الاستجابة للحوافز الضارّة أو المؤذية، بينما تستجيب الألياف الكبيرة للحوافز الضعيفة . لذلك كانت تبدو ملاحظة كاثال بأنها تشير إلى وجود انعزال عملي في تنظيم المادة الرمادية الظهرية للحبل الشوكي . وقد أثبت ذلك بشكل لا لبس فيه في مختبرنا الأمريكي الدكتور ادوارد بيرل ، وذلك باتباع أسلوب التلطيخ ، فقد نزعت الألياف الصغيرة والمتوسطة المستجيبّة للحوافز الحادة إلى الانتهاء في منطقة من المادة الرمادية ، وكانت ظهرية بالنسبة لنهايات الألياف الكبيرة التي تستجيب للحوافز الرقيقة ، وتعد هذه الملاحظة ذات أهمية عظمى ، لأنها توحي بأن الاندفاعات التي تولّدها الحوافز التي يحتمل أن تكون مؤلمة قد تكون في مناطق مختلفة من الحبل الشوكي .

وأسلوب التلطيخ لم يكشف النقاب عن أن كل طائفة من الألياف كانت تنتهي في مناطق معينة من الحبل الشوكي فقط، بل أظهرت أيضا، على نحو مدهش، أن المحاور العصبية المتوازية، لكل طائفة ، كانت تشكل أنماطا متفرعة شجرية الشكل مميزة، تعرف بالتعريشات .

وهكذا فإن الدخول من الجلد إلى الحبل الشوكي منظم بدقة

متناهية في كل طائفة من الألياف الناقلة نحو مركز عصبي. وعندما جرى فحص تعريشات متوازية عديدة معا تبين أنها كانت تشكل أعمدة في الحبل الشوكي موضوعة في مكانها بدقة متناهية. وقد يتفاوت موضع هذه الأعمدة حسب منطقة الجلد.

بما أن الألياف الحسيّة لكل طائفة فسيولوجية تنتهي في مناطق محددة تماما من الحبل الشوكي، وتشكل أنماطا متفرعة مميزة، فهل من الضروري أن كل طائفة من الألياف تشكل تنظيمات تشابكية مميزة؟ لقد كانت البراعم في كل نوع من الألياف عند النظر إليها بمجهر الكتروني تشكل مجموعة منوعة من المنظومات المتشابكة. فلم يكن من الممكن عزو منظومة معينة إلى طائفة معينة من الألياف. وقد كانت بعض المنظومات بسيطة، إذ كانت البراعم تتصل بعنصر واحد فقط من خلية أحادية. أما المنظومات الأخرى فقد كانت معقدة جدا، إذ كانت البراعم تقيم تشابكات مع عناصر من خلايا عديدة، وكثيرا ما كانت تتلقى الاتصالات نفسها من براعم أخرى. وفي البداية كان من الصعوبة بمكان فهم



● الشرايين تحمل حرارة الجسم والاوردة تعود بحرارة الجو

أهمية هذا الأمر، إذ بدا كأنه مغاير للدراسات السابقة التي تصف التنظيم المحدد للنهايات الحسية.

والألياف الأولية الناقلة نحو مركز عصبي لا تؤدي مهمة واحدة، بل تؤدي مهمات عديدة آنيا، وبكلام أبسط: تتيح معلومات خاماً لبرامج مختلفة عديدة من الحبل الشوكي. فقد تكون بعض هذه البرامج معنيّة بالتمييز اللمسي، والأخرى قد تكون معنية بسحب أصبع اليد من اللهب، والأخرى قد تكون معنيّة بقطع الرسائل التي لم تعد ثمة حاجة إليها. ولذلك يتوقع من البراعم الأولية الناقلة نحو مركز عصبيّ أن تشكل مجموعة منوعة من المنظومات المتشابكة، إذ يمكن لليفة واحدة أن تسهم في عدد من دوائر المعالجة المختلفة. وقد أصبح ذلك أكثر جلاء عندما بدأ تحديد هوية شتى العناصر في الصفوف المتشابكة التي شكلتها النهايات الحسيّة.

وفي الوقت الحاضر يجري توضيح شبكات المعالجة الحسيّة للحبل الشوكي، وذلك بتطبيق أسلوب التلطيخ، وجمعه مع أساليب تقنية أخرى. إن دقّة هذه الدوائر وتعقدها أعظم مما كنا نتصوره في أي وقت مضى، وقد اقتضى الأمر القيام بإعادة تقييم كامل لبنية الحبل الشوكي وتنظيمه. ومن خلال تطوير أسلوب التلطيخ، يسير علم التشريح والفسيولوجيا معا يدا بيد، وليس بصورة مستقلة كما كان الحال في السابق. وسرعان ما سيصبح لدينا صورة كاملة مفصّلة لعدد كثير من دوائر المعالجة في الحبل الشوكي، وسيكون بإمكاننا تفهم البرامج التي تشغل هذه الدوائر. وعندئذ نصبح في الوضع المثير المنطوي على معرفة كيفية تزويد الجلد لنا بهذا المقدار الوافر من المعلومات حول الأشياء التي تحيط بنا. □



التعبير الفني عند الأطفال

بقلم : عادل ثابت *

إذا كنا قد أهملنا ـ فترة غير قصيرة ـ إبداعات الأطفال، وحسبناها أمرا لا يستحق الوقوف عنده طويلا ، فإن رواد الفن الحديث كان لهم رأي آخر فيها ، كتبوه في أعمالهم الفنية .

التعبير الفني سلوك فطري ، ولغة تعبيرية ، يعبر بها الطفل عن نفسه ، ليشبع رغباته وحاجاته ، وكلنا يعرف أن التعبير الفني يسبق الكلام ، ويسبق تعلم اللغة والكتابة ، فالطفل الصغير الذي لا يستطيع كتابة كلمة « رجل » ، يستطيع أن يعبر عن الرجل برسمه بالأقلام ، أو بتشكيله بالصلصال ، فالتعبير الفني في صوره المختلفة سلوك يقوم به الطفل بطريقة تلقائية ، كسلوكه حينما يريد قطعة من

* كاتب من القطر العربي المصري

الحلوى ليتغذى بها ، أو حينما يريد لعبة ليلعب بها ، وهذه الأعمال وغيرها أنواع من السلوك ، يقوم بها الطفل ليشبع رغباته تلقائيا .

وينقسم التعبير الفني عند الأطفال إلى المدرسة القديمة والحديثة ، فالمدرسة القديمة (التقليدية) اهتمت بالمواد النظرية اهتماما كبيرا ، وفسحت لها المجال ، ولم يكن للمواد العمليّة ، كالرسم والأشغال اليدوية ، نصيب يذكر ، وذلك لأن هذه المدرسة تأثرت بالفلسفة القديمة التي فضلت العقل على الجسم ، واحترمت كل الأعمال التي تتصل بالعقل ، وجعلتها في درجة عالية ، وأهملت كل الأعمال اليدوية لأنها تتصل بالجسم . وفي أواخر القرن التاسع عشر اهتمت المدرسة القديمة بالتعبير الفني ، وجعلت مادة الرسم ضمن مواد الدراسة ، وفي أوائل القرن العشرين أدخلت مادة الأشغال اليدوية ضمن المواد الدراسية ، إلا أن كل مادة من المادتين قد خضعت لفلسفة المدرسة القديمة .

ثم تطورت طرق التعليم ، وأصبح للمدرسة الحديثة فلسفتها التي تمتاز باهتمامها بالطفل وميوله واستعداداته وحاجاته ورغباته . وأكد علماء التربية في العصر الحديث الصلة الكبيرة بين العقل والجسم ، وأصبح معروفا أن الفكر أساسه الحس ، كما أصبح الطفل محور كل عملية تربوية سليمة . والمدرسة الحديثة (الناهضة) تتيح الفرصة للطفل ليعمل ويجرب عن طريق نشاطه الذاتي ، فيعالج الخامات المختلفة في حدود قدراته ، ليتعرف على خواصها وطرق تشكيلها . فيستعمل الألوان والورق والخشب وفروع الأشجار والأسلاك والمعادن الرقيقة والصلصال والجص والأحجار والفضلات والمهملات وغير ذلك من خامات البيئة . كما يستخدم الأدوات اللازمة لكل خامة ، ليعبر عن نفسه تعبيرا تلقائيا ، في جو من الحرية والأمن مع التوجيه والإرشاد . فينمو الطفل قادرا على الخلق والابتكار ، كما يكتسب الكثير من الخبرات الحية التي لها أثرها في سلوكه في الحياة .

« للأطفال قوانينهم »

ولابد هنا من وقفة مع الأستاذ « تشزك » الذي ولد في إحدى مدن النمسا عام ١٨٦٥ ، والتحق بكلية الفنون الجميلة بفيينا . لـ ـ أتاح هذا الرجل الفرصة للأطفال ليعبروا عن أنفسهم بانطلاق وحرية ، وكان ذلك في عام ١٨٩٧ ، حينما نادى باحترام تعبير الأطفال برسومهم . وقد اهتم كثير من العلماء بأعماله . وقال بعضهم : إنه سبق علماء النفس في النواحي النفسية « السيكولوجية » ، وإن كانت طريقته العلمية لم تسلم من الإملاء،وفرض بعض رغباته



● مشرفة توجه تعبيرات الأطفال الفنية وتتابعها

على الأطفال ليحققوها في رسومهم ، كما ترك الحرية المطلقة لتلاميذه دون توجيه أو إرشاد فني . ومن بعض أقواله المعروفة « أنا أرفع الغطاء عن فن الطفل » ، كما قال : « إن للأطفال قوانينهم الخاصة في رسومهم » .

الفنان الصغير

تبدأ مرحلة الطفولة المتأخرة في سن السادسة إلى سن الثانية عشرة تقريبا ، وتعد هذه المرحلة امتدادا للمرحلة السابقة التي تسمى مرحلة الطفولة المبكرة . ويلاحظ على الطفل في هذه السن النمو السريع الذي يصاحبه نشاط ذاتي ، وميل للعمل وكثرة الحركة .

ويمتاز التعبير الفني لهذه المرحلة بالنمو السريع ، والتغير ، والتطور الذي يعتمد على النمو ، فالطفل له القدرة على التعبير بلغته الفنية ، بطريقته الذاتية ، إذ ينطلق في رسمه وتجسيمه للعناصر ، نتيجة إدراكه لها ، وتأثره بكل ما يحيط به . وهو لا يهتم بالواقع ، ولايعرف شيئا عن المنظور ، وليس له القدرة على مزج الألوان حتى سن العاشرة تقريبا ، ويظهر التكرار للعنصر الواحد واللون الواحد للطفل في هذه المرحلة ، فهي سمة مميزة لمن يمارسون التعبير الفني .

وكان الفن طفلاً

إن مميزات التعبير الفني التي ظهرت واضحة في بداية المرحلة السابقة « مرحلة الطفولة المتأخرة » ، كالتكرار والتسطيح والشفوف والمبالغة والتصغير والحذف ، ظهرت في كثير من الأعمال الفنية القديمة والحديثة والمعاصرة ، فالفنان البدائي ، حينما عبر عن انفعالاته وعن إحساسه وشعوره بالنسبة للعجل البري (البيزن) ، ذلك الحيوان الذي كان يخشاه ، والذي كان يهدد حياته دائما ، رسمه وقد بالغ في مقدمته ، وصغر باقي الجسم تأكيدا لقوة ذلك الحيوان . إن هذا العمل الفني وغيره من الفنون البدائية ، عمل خالد ، لأنه تعبير صادق ، ويحمل قيما فنية ممتازة . كذلك الفنان المصري القديم قد استغل الشفوف في أعماله ، حينما رسم السمك ظاهرا في الماء ، ليوضح فكرته ، وليسجل عملا من أعماله اليومية . أو حينما رسم « فرعون » وبالغ في تصويره ، فرسمه بصورة كبيرة ، والرعية من حوله صغارا ، تعبيرا عن قوة فرعون وسطوته وجبروته كما ظهر أيضا في أعماله التكرار غير الممل ولم يتقيد الفنان المصري القديم بظرف الزمان أو المكان في تعبيره ، فقسم الصورة إلى عدة أقسام ، رسم في كل قسم منها عملا من الأعمال ليسجل ما يريد ، وكذلك سجل المواقع الحربية المختلفة في صورة واحدة بالطريقة نفسها دون التقيد بالزمان أو المكان أيضا



● استغراق في إنجاز عمل فني

وعاد الفن طفلاً

لم تمر تجارب التعبير الفني عند الأطفال ، سواء في مرحلة الطفولة المبكرة أو الطفولة المتأخرة ، دون أثر يذكر في تاريخ الفنان المعاصر ، فمثل هذه التجارب التلقائية ألقت الأضواء للباحثين والفنانين على هذه الكنوز التي يمكن استخراج أبعاد جديدة وقوانين توافق العصر الحديث منها ، بالمراقبة والدراسة والبحث وراء الرمز الذي يرسمه الطفل دون أن

يعرف ما يخبؤه له التاريخ .

فدأب الفنان الحديث على تذوق فنون الأطفال بجمالها وصدق تعبيرها ، واهتم بها ، واستغل بعض مميزاتها ؛ كالتكرار والتسطيح والشفوف والمبالغة ، في أعماله الفنية . ورأى بعض الناس أن الفنان الحديث المعاصر نزل بمستواه الفني ، حينما قام بتقليد مفردات فنون الأطفال ، لكن الحقيقة هي أن الفنان المعاصر لم يقلد تلك المعاني التلقائية الجميلة ، بقدر ما استوحى منها صدقها وطلاوة تبسيطها وعمق تكوينها ، بعد أن أضاف إليها من ثقافته الفنية وخبرته ومهارته، إيمانا منه بالتلقائية الصادقة في فنون الأطفال .

والفرق كبير بين ظهور مميزات التعبير الفني لفنون الأطفال في أعمال الكبار الفنية ، وبين ظهورها في فنون الأطفال . ففي الحالة الأولى تظهر عن قصد ، نتيجة فكر ووعي وثقافة فنية وخبرة ومهارة ، أما في الحالة الثانية فإن هذه المميزات تظهر في أعمال الصغار بطريقة تلقائية ، كما أنها تتصف بالتغير والتطور تبعا للنمو العام .

رواد في الطفولة

ومن أهم الفنانين الذين كرسوا حياتهم لاستلهام فنون الأطفال في أعمالهم الفنان الألماني « بول كلي » (١٨٧٩ - ١٩٤٠) ، فقد كرس كل عنايته للحفاظ على النقاوة الأولية لوسائطه ، (من هنا جاءت السمة « الطفولية » في فنه) ، إلا أنه سعى أيضا ليعبر عن أشياء معقدة ، وأن يحقق بالتالي نقاوة أسمى ، فالتنويع في رسومه التخطيطية لا يقل عظمة عن تلك التي في ألوانه .



● التعامل مع الخامات الفنية يفتح للطفل آفاقاً للتعبير

ولو استعرضنا أسماء فنانين آخرين سنجد كثيرين منهم اتخذوا من المعاني التلقائية لفنون الأطفال منطلقا لأعمالهم الفنية التي اشتهروا بها ، فاستلهم سلفادور دالي كثيرا من المفردات عند الأطفال ، كما استفاد بابلو بيكاسو من فكرة التسطيح والتبسيط عند الأطفال ، وأدخلها ضمن أروع أعماله التي كان لها أكبر الأثر في شهرته العالمية ، وجاءت لوحات الفنان كاندينسكي كأروع ما يكون التعبير عن عالم التعبير لفنون الأطفال . □

هو.. وهي

صادقة أكثر مما ينبغي

أول ما بهرني في زوجتي بساطتها وتلقائيتها ، لم تستطع أن تخفي ذلك عني حتى في أيام الخطوبة ، وهي الفترة التي يحرص فيها الشاب والفتاة على أن يتخفى وراء أزهى الأقنعة . كنت أشعر بأنها بلا قناع ، وأنني لست في حاجة إلى بذل أي جهد لأكتشف حقيقتها . وكم أحببت فيها تلك الجرعة الهائلة من الصدق ، وعدم التكلف . مافي قلبها على لسانها ، لاتتردد في طرح أي سؤال ، ولا في الاجابة عن أي سؤال أطرحه ، كأنه ليس في حياتها ماتخافه أو تخجل منه أو تحتاج إلى إخفائه .

ومع إدراكي بأنني ذو طبيعة مختلفة ، ربما لأن تجربتي في الحياة كانت مختلفة ، فلم أكن أضيق قط بعد زواجنا بما كنت أسميه تلقائية زوجتي ، فقد كنت أشعر بأن في داخلها ميزاناً حساساً غير مرئي ، يضبط هذه التلقائية عند حدود آمنة ومعقولة . كانت تعود فتروي لي ، ونحن على مائدة الغداء ، عن بعض مايحدث في العمل أو في الطريق أو مع الجيران ، وكانت حكاياتها التي تختلط أحيانا بدموعها أو بضحكاتها تتيح لي الفرصة لكي أتدخل ببعض النصائح ، بأكبر قدر ممكن من اللطف والمراعاة ، حرصا على مشاعرها ، وثقة في حسن نواياها ، وكانت زوجتي تتقبل نصائحي بالبساطة نفسها التي تروي بها حكاياتها .

متى بدأت زوجتي تضيق بنصائحي لها ؟ يبدو أنني لم أشعر بذلك في الوقت المناسب ، فقد فوجئت بزوجتي ذات يوم وهي تصرخ في وجهي : أليس لديك ما تقوله لي سوى هذه النصائح ؟ أنا واثقة من أنك لو حدثتني بما يقع في حياتك خارج هذا البيت لاكتشفت أنك في حاجة أيضا لنصائحي .

كانت زوجتي وهي تطلق هذه الصرخة صادقة كعادتها ، وأيقظني صدقها العنيف هذه المرة على حقيقة ، ربما كنت أعرفها عن نفسي ، ولكنني لم أشعر بأنني سأحتاج يوما إلى أن أعترف بها كما يعترف الناس بأخطائهم .

وفكرت بأنني لابد أن أصالح زوجتي باعترافي لها بأمرين في وقت واحد :

أولا : بأنني كتوم أكثر مما ينبغي ، وبأنها صادقة أكثر مما ينبغي أيضا .

فهل ياترى سوف تقبل زوجتي هذا الصلح أو هذه الصفعة ؟



.. هو

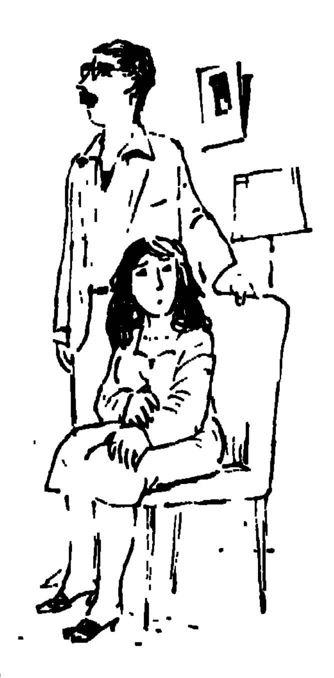
عيبه الكمال !

■ تقول لي صديقتي التي أثق في صدقها : مشكلتك الحقيقية أنه ليست عندك مشكلة ، فبدأت تخترعين لنفسك مشكلة ، لتكوني مثل بقية الزوجات .

وتقول لي أمي التي تعرفني أكثر مما أعرف نفسي : يا ابنتي زوجك رجل ناضج وهادىء ، تحسدك عليه جميع زميلاتك ، يزن كل كلمة قبل أن ينطق بها ، ولا يمكن أن تكون هذه الصفات مما تشكو منه الزوجة .

ويقول لي أبي الذي لا أشك في حكمته : ليس من الضروري أبدا أن يقول الرجل كل صغيرة وكبيرة في حياته لزوجته ، لابد أن تتركي له حرية تقدير ماينبغي أن يقوله ، وماينبغي أن يسكت عنه ، وإذا كنت لاتخفين شيئا عن زوجك فتذكري أنك تفعلين هذا بمحض اختيارك ، ودون طلب منه ، وتلك ميزة تحسب له .

ومع اقتناعي العقلي بكل مايقوله هؤلاء الذين لاأشك في إخلاصهم لي ، فإن عقل زوجي الزائد عن الحد يبدو لي وكأنه مشكلتي الحقيقية ، أحيانا أتمنى أن يفعل مثلي ، ويعبر عن فرحه أو حزنه ببساطة وتلقائية ، فأعرف مايدور في عقله ، في أعماق عقله ، وأشعر بحاجته إلى أن أشاركه ماهو فيه ، أما هذه الكلمات المحسوبة التي أشعر بأنها قد مرت بمصفاة ، قبل أن ينطق بها ، فإنها لاتقدم لي إلا جزءا من زوجي ، وتبقي أخطر

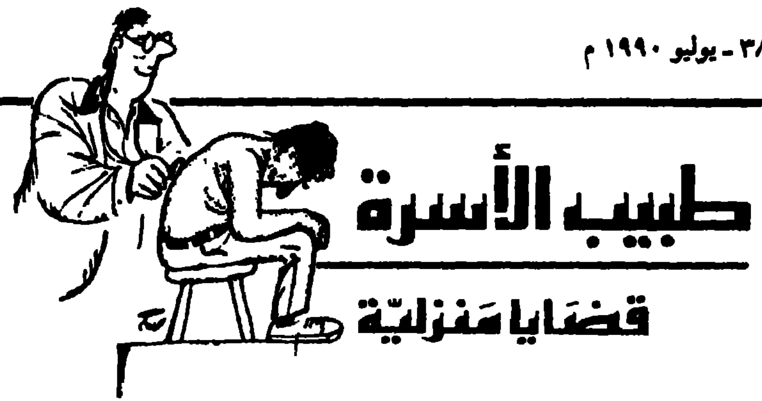


الأجزاء نائية ، بعيدة عني ، وهذا مايعذبني ، مايبعدني عنه ، ويبعده عني ، كأنه يراني مجرد طفلة ، لاترقى إلى مستوى مشاركته همومه الصغيرة والكبيرة .

أحيانا أتمنى أن يخرج زوجي عن طوره من الغضب أو الفرح ، حتى لو جرح مشاعري بكلمة ، ثم يلقي نفسه بين ذراعي باكيا أو معتذراً ، فسيكون في مثل هذه اللحظة أقرب إلى قلبي ونفسي منه في أي لحظة أخرى .

كيف أشرح له مثل هذا الأمر ؟ أنا واثقة من أن زوجي في النهاية مثل بقية الناس ، رجل له بعض الأخطاء ، وبعض حالات الضعف ، ولكنه بكلماته المحسوبة ، وهدوئه الواثق ، يصر على أن يبدو وكأنه الكمال بعينه ، وهذا مايعذبني . ماذا يمكن أن يقول الناس عن امرأة تشكو من أن زوجها يبدو كاملا ؟ □

.. هي



عِندمَا يُعادِي الجِسْمُ ذاتَهُ

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

منطق الأشياء هو أن يدافع الجسم الحي عن ذاته فلا هو يقبل الفناء ، ولا هو يرضى بالأذى ، لهذا كان لكل جسم حي وسائل دفاعه وهجومه ، حتى يأكل ولا يؤكل ، وحتى لايفنى هو ، بينما يفني أعداءه المتربصين به ، إنه قانون البقاء للأقوى والأفضل . لن نخوض في ذكر الأنياب والمخالب والأشواك والسموم ، من وسائل دفاع الحيوان ، وإنما الحديث هو استعراض لما لاتستشعره الحواس ، ولما لانراه ولا نسمعه ولا نلمسه ، ذلك هو الجهاز المناعي للأجسام الحية .

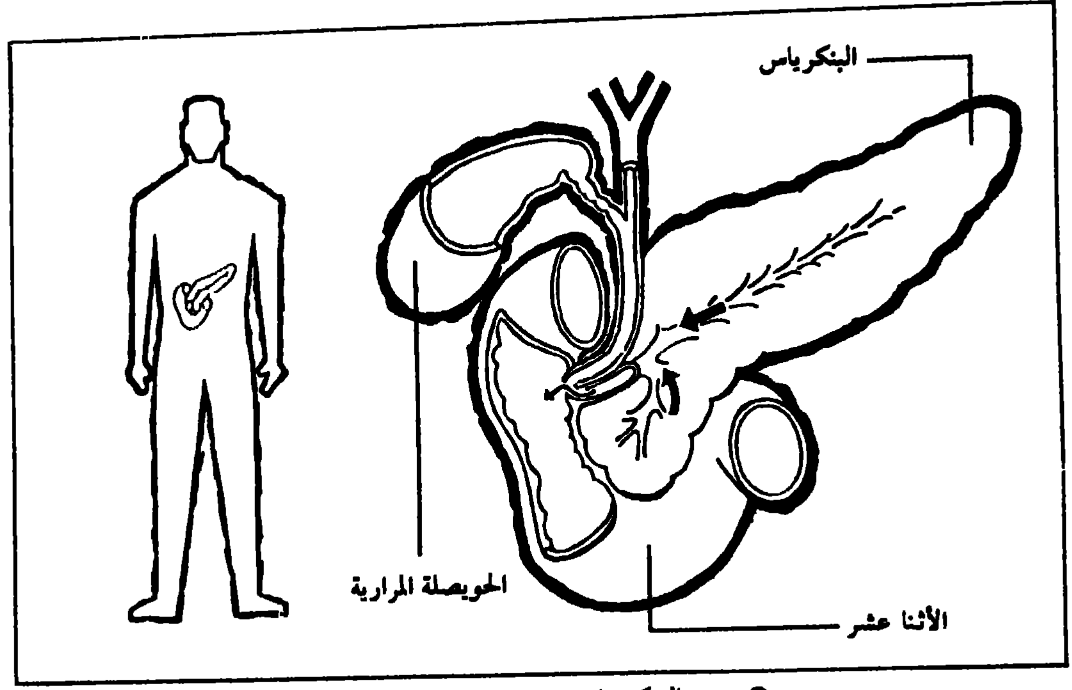
دور الخلايا اللمفاوية :

إن قضية المناعة التى تستهدف الحماية من غزو كل الأجسام الغريبة التي تتربص بالجسم شرا ، لكي يتمتع هذا الجسم بالوقاية ، والقدرة على مقاومة الأمراض والعلل ، تبدأ بخلايا تتخلق في النسيج اللمفاوي ، يدعونها الخلايا اللمفارية ، ولعل أشهر مواقع هذا التخليق هو العقد اللمفاوية والطحال والكبد والرئتان ونخاع العظام ، والأخير هو أوسع مواقع التخليق ، وإن لم يكن أهمها ، فهو أشهرها .

وهذه الخلايا اللمفاوية تتشكل في صورتين اثنتين ، الأولى منهما تمر في غدة في الصدر ، تعرف باسم التوتة ، أو الغدة السعترية ، أو التيموسية ، والخلايا التى تمر عبرها يدعونها خلايا « تي اللمفاوية » ، وهي تقوم بالفتك بكل ماهو غريب عن الجسم وتهلكه وتدمره .

أما الصورة الثانية فهي للخلايا اللمفاوية التي لا حاجة بها إلى التوتة (الغدد التيموسية) ، ولهذا فهي تتخطاها إلى الدم مباشرة ، وتعرف باسم خلايا « بي اللمفاوية » ، وهي التي تتولى مهمة إنتاج الأجسام المضادة ، وترسلها لتلاحق كل ماهو غريب عن الجسم ، وهي قابعة في موضعها ، ومن هنا عرفت خلايا « تي اللمفاوية » بالشق الخلوي للمناعة ، بينما عرفت خلايا « بي اللمفاوية » بالشق الدموي للمناعة .

ويفترض في هذا الجهاز المناعى بشقيه ، (تي وبي) ، أن يدرك (الجسم) الذي ينتمي إليه ، وهو مايعرف في لغة الطب (بالذات) ، ويميزه



● مرض السكر هل هو من امراض المناعة الذاتية ؟

عما هو غريب (دخيل) ، ويعرف الدخيل طبيا باسم (الغير) ، لهذا فوظيفته هي طرد (الغير) ، والفتك بما لايمت إلى الذات بصلة ، دون إدراك منه . وفي الوقت نفسه يستثنى من عمله الذات ومايمت لها بصلة ، فلا يؤذيها ، ولا يدمرها ، فهو قد وجد ليحميها ويصونها . وعمله هذا يسمى المناعة .

غير أن المرض قد يطال هذا الجهاز المناعي أيضا ، كما يصيب أي عضو آخر أو نسيج ، وبهذا تتعطل أجهزة أخرى حيوية في الجسم بسبب المرض المناعي .

تعطل جهاز المناعة :

وتعطل جهاز المناعة وأمراضه قد تتشكل في صور شتى ، وتصيب صاحبها بأكثر من شكل من أشكال المعاناة ، ومن هذه الأعطال :

أ ـ عطل جهاز المناعة وتقاعسه عن القيام بدور المناعة للجسم ، في ما يعرف « بالعوز المناعي » سواء كان هذا العطل موروثا أو كان مكتسبا ، كما يحدث في مرض الايدز حين تهاجم فيروساته خلايا « تي اللمفاوية » ، وتدمرها ، وتترك الجسم نهبا لكل ميكروب ضار ، قويا أو ضعيفا ، ولا حيلة لمقاومته ، فيدمر الجسم بالميكروب ، ومنه عرف مرض الايدز باسم عوز المناعة المكتسبة .

ب ـ خلل في عمل الجهاز المناعي ، عرفوه باسم الحساسية ، أو الأرجية ، حيث تسير الأمور على مايريد الجسم ويشتهي . وتتخلق الخلايا المناعية ، وتنتج الأجسام المضادة ، لكن اتحادها مع المستضد يؤدي إلى تخلق مواد جديدة ، يسمونها الهستامين ، لها أثر ضار على الأنسجة والأوعية الدموية الشعرية ، لهذا يعاني صاحبها من الربو أو الأكزيما أو الشرى ، وما إليه من أعراض عرفوها باسم أعراض الحساسية ، فالحساسية إذن هي مناعة مقلوبة ومعكوسة

ج - فقدان الإدراك المناعي : إن جوهر عمل الجهاز المناعي هو إدراك الذات ، والاستدلال على (الغير) ، لهذا فالتمييز مابين الذات وما ينتمى إلى (الغير) هو المنطلق لمهمة الجهاز المناعي .

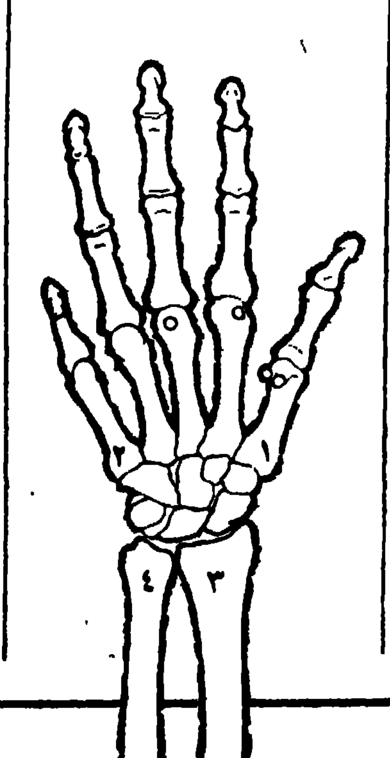
وهذه هي نقطة البداية لمهمته ، لكن لسبب ما ، لازال مجهولا وقيد الجدل ، تختلط أوراق اللعب ، ويعجز الجهاز المناعى عن التمييز بين هذا وذاك ، أو أن الأمر يختلط عليه . فيتوهم فى بعض أجزاء الذات أجساما دخيلة غريبة ، لامكان لها فى جسم صاحبها ، وتبدأ المأساة التي عرفت باسم أمراض المناعة الذاتية ، وهي ليست سوى اضطراب في التمييز بين ماهو من صلب الجسم،وما هو دخيل عليه وغريب عنه ، لهذا تبدأ الخلايا اللمفاوية فى التعامل مع ماتوهمته غريباً على إنه عنصر يتوجب إهلاكه وتدميره أو طرده ، حتى تستقيم الأمور وتتوافر للجسم أسباب المناعة . ومن هنا صرنا نألف أمراضا تنتمى إلى مجموعة أمراض المناعة الذاتية ، مما لاسبيل لحصرها في هذه العجالة ، كما أن الأخبار تحمل لنا في كل يوم جديداً على القائمة التى تطول يوما بعد يوم . لهذا سنكتفي بعرض أمثلة على ماذهبنا إليه .

أعراض وأمراض :

١ - مرض الروماتويد أو التهاب المفاصل الرثيائى :
في هذا المرض تهاجم الأجسام المضادة أجربة المفاصل وغضاريفها ، فتتشوه ، وتعتل ، وتتدمر ، وتعاني ضحيتها من ألم شديد وتشوه قميء وتعوق .

يغلب على المفاصل المصابة أن تكون بالأطراف وبخاصة مفاصل اليد وأصابعها .

● مفاصل اليد أكثر أجزاء الجسم تعرضاً لمرض الروماتويد.



٢ - مرض شوجرين : وهذا مرض آخر ، وصفه الطبيب شوجرين عام ١٩٣٣ مصاحباً لمرض الروماتديد أو التهاب المفاصل الرثيائي ، وعده من أمراض المناعة الذاتية ، مما يتميز بجفاف الغدد اللعابية ، وربما غدد الدمع معها أيضا ، هذا إضافة إلى جفاف الأغشية المخاطية والجلد .

٣ - مرض الذئبة الحمراء : هومرض من أمراض المناعة الذاتية ، يغلب على النساء أكثر مما يشيع بين الرجال ، ويتميز بشكلين اثنين ، أحدهما يصيب الجلد ببقع حمراء ، والآخر يصيب الأعضاء الداخلية ، وبخاصة المفاصل والكلى ، مع ارتشاح الخلايا اللمفاوية في نسيج الأعضاء الضحية .

ربما يطول بنا الحديث عن مجموعة أمراض المناعة الذاتية وتفصيلها ، لكن الإشارة التي تستحق أن تطرح ، ولا يصح أن تغفل ، هي ميل جمهور من الأطباء في يومنا هذا إلى عد مرض السكر مرضا من مجموعة أمراض المناعة الذاتية ، وليس مرضا هرمونيا من أمراض الغدد الصم كما كان سائدا فى قناعة الأطباء . □

مساحة ود!

كلمة السر

وأنت في سن التعليم يقولون لك : هذا وقت الجد والعمل ، يجب أن تحصل على أعلى المؤهلات ، لتظفر بفرصة عمل جيدة ، وآنذاك تبدأ حياتك الحقة ، أما الان فلا وقت للعب !

وحين تحصل على فرصة عمل طيبة يقولون لك . كافح ، واعرق ، لتحصل على مكانة مرموقة في عملك ، حيث تفتح الدنيا أبوابها لأهل القمة وحدهم ، أما الآن فلا وقت للراحة !

وتدخل الدنيا وفي يدك فتاة تحبها ، لايلبث همسها الساحر أن يتحول إلى هذه الكلمات : انظر كيف نضمن لأولادنا مستوى حياتنا ، علينا أن نبذل مزيدا من الجهد قبل أن نطمئن على مستقبلهم !

ودائما تبدو الحياة وكأنها تنقسم إلى « غايات » ، تبدل أقنعتها عند كل مرحلة ، و« وسائل » هي أشكال مختلفة من الجد والمعاناة ، لكن شيئا مختلفا يحدث وأنت في الأربعين ، فلأول مرة ينبعث الصوت من داخلك بوضوح · « أنت الآن في سن النبوة . فهل وجدت رسالتك ؟ ما تعلمته في الماضي كان من كتبهم ، وماقمت بإنجازه كان وفق برامجهم ، فماذا تنتظر لتكون لك رؤيتك الخاصة ، وإنجازك الخاص الفريد ؟ وتشعر أنك على عتبات أقسى المراحل ، « غايات جديدة من صنعك ، ووسائل تحمل بصماتك » ميلاد جديد أنت فيه وحيد تماما ، بلا أب يعين ، ولا أم تحنو !

وتدرك في هذه المرحلة أنك لن تستطيع أن تكسر جدران هذه الوحدة إلا إذا عرفت كيف تنجز رؤيتك الخاصة من خلال الناس وبهم ، ويصبح السؤال الأعظم كيف تكون معهم دون أن تفقد استقلالك الوليد ؟ أتكون الإجابة عن هذا السؤال هي كلمة السر إلى الحياة الحقة التي حدثوك عنها في بداية الرحلة ؟ بعض الناس ينكص أمام قسوة تحدي المرحلة ، وبعضهم يواصل لإنجاز المعادلة المتحدية ، وهؤلاء الذين يتاح لهم أن يروا من خلال هذه « المرحلة » كيف تسترد الحياة وحدتها العظمى ، وكيف تتلاشى المسافات بين الغايات والوسائل ، فيصبح للوسائل نبض الغايات ، ويصبح للغايات تحقق الوسائل وواقعيتها . يصبح الفكر هو خلاصة العمل ، ويصبح للعمل سحر اللعب ومتعته . يمكن للمرء أن يقضي ساعات الانتظار بالروحية نفسها التي يعيش بها لحظات اللقاء وان يتحمل الهزيمة دون أن يفقد كبرياءه ، وأن يعاني آلام الفقد دون أن يفقد الثقة بمن حوله

وفي هذه اللحظة لن يسأل أحدهم في رعب · ماذا تركت لأولادي ؟ لأنه سيترك لهم « كلمة السر » في الحياة الحقة ، وفي أن هذه الحياة يمكن أن تبدأ من البداية . من سن التعليم . □

أبو المعاطي أبو النجا

جمال العربية

بقلم : الدكتور حسن عباس

□ صفحة لغة

اختلاف في المنهج

في تاريخ الدراسات النحوية واللغوية مدرستان كبيرتان ، أولاهما نشأت في البصرة ، وسميت باسمها ، وثانيتهما نشأت في الكوفة ، وسميت باسمها ايضا . كان البصريون كلما ناقشوا مسألة من مسائل النحو ، واهتدوا فيها إلى رأي ، ووضعوا لها القاعدة ، يجابهون بمعارضة من نظرائهم ، أتباع مدرسة الكوفة ، حتى كثرت المسائل ، وكثر معها الاختلاف واتسع . فما الذي كان يؤدي بهم دائما إلى مثل هذا الجدل واللجاج ؟ هل هو ضرب من الشقاق يتخذ من الدراسات النحوية متنفسا ، أو هو تباين المواقف واختلاف المنهج في النظر إلى القضايا والبت فيها ؟ إنه لكذلك حقا .

المنهج واختلاف وجهات النظر : فإذا كان الأمر كذلك فما الذي تتصف به كل مدرسة من هاتين المدرستين ، وتتحدد به معالمها ، وطرائق البحث فيها ، فينشأ عنه مثل هذا الاختلاف ؟

في البصرة كانت البداية ، فهي أول حاضرة تضم أعداداً غير قليلة من الموالي ، وكان بهؤلاء القوم نهم لتعلم العربية وحب شديد ، فهي لغة الدين والدولة الجديدين ، يسعى كل من يود أن ينال حظوة فيها أو يدرك مكانا ، إلى تعلمها وإتقانها تجنبا للخطأ ، وبعدا عن اللحن .

لقد أصابت البصرة حظا وافرا من الاستقرار السياسي ـ خلافا لما كان عليه الحال في الكوفة ـ فقد شغلتها معارك القتال والسياسة ، وكان من نتيجة ذلك أن غدت البصرة دار علم وأدب ، ودار جدل ولجاج ، فقد التقى فيها أهل الملل والنحل ، فنشأ علم الكلام ، بعد أن دعت إليه الدواعي ، وساعد في ذلك نشاط حركة الترجمة التي كان من آثارها ظهور كتاب المنطق لأرسطو في البصرة نفسها . لقد أثرت حركة الترجمة في نشأة علم الكلام ، وكان للترجمة وعلم الكلام تأثير كبير على مدرسة البصرة النحوية ، تمثل في ظهور مدرسة النحو القياسية ، أي التي تأخذ مبدأ القياس ، وهو مغاير لمبدأ الرواية الذي أخذ به أصحاب الحديث وأصحاب القراءات ، لذلك نجد أصحاب الحديث يخاصمون نحاة البصرة ، « لأنهم سلكوا مسلك الفقهاء أو مسلك أصحاب الكلام في الاعتداد بأحكام العقل ، ومهدوا السبيل للحكمة الأجنبية ، لتؤثر في دراساتهم ، حتى سمي نحاة البصرة : أهل المنطق » .

لقد ظهر تأثير علم الكلام أو الثقافة البصرية اليونانية في النحو منذ زمن مبكر ، منذ أواخر القرن الأول ، وأوائل القرن الثاني ، وهي الفترة التي ظهرت فيها الفلسفة الكلامية ظهوراً واضحاً . وتأثير الكلام في بحوث اللغة لدى

البصريين ، كان له أثر بعيد في انتقال الدراسات اللغوية من عهدها الفطري إلى عهد أصبحت فيه تميل إلى الطابع العلمي الفلسفي ، وتجنح فيه إلى تقعيد القواعد وتقنين القوانين » : (د . مهدي المخزومي ، مدرسة الكوفة ص ٤٢) .

وقد أدى هذا المنحى الفلسفي بمدرسة البصرة وأتباعها إلى إحاطة اللغة بهالة من التقديس ، لم يعودوا يستطيعون معه رؤيتها بوصفها ظاهرة اجتماعية ، تخضع لقانون التطور ، وتتأثر بالاستعمال . كانوا إذن يضعون القواعد والقوانين ، وينتظرون أن تنطبق عليها أوضاع اللغة وأوصافها وصورها ، فإذا تعذر ذلك لايجدون الخلل في تلك القواعد التي اتخذت شكل القوالب الجاهزة ، بل يظنونه في اللغة نفسها ، مما يدفعهم إلى التأول والتفسير البعيدين .

إذا كان هذا هو منحى مدرسة البصرة ومنهجها ، فما هو منحى مدرسة الكوفة ؟ وما هو منهجها ؟

يحرص الكوفيون على الأخذ بالمسموعات والمرويات فهذان ـ في تقديرهم ـ هما أقوم سبيلين للوصول إلى اللغة . وكان البصريون قد أهملوا كثيرا من اللهجات العربية ، وبخاصة تلك المتاخمة لأقوام من غير العرب ، فلم يدخلوها في أمثلتهم ، ولم يستشهدوا بما جاء فيها ، في حين وسع الكوفيون دائرة اهتمامهم ، واعتدوا بالمثال الواحد الذي قد يرد في لهجة دون غيرها ، وعمموا الظاهرة ، وقاسوا عليها ، فهم « إذا سمعوا لفظا في شعر ، أو نادر كلام جعلوه بابا » (همع الهوامع ج ١ ص ٤٥) ، فهم يعتدون كثيرا بالسماع والرواية ، ويتحرون الدقة فيهما ، وهم بذلك أقرب إلى منهج أصحاب الحديث وأصحاب القراءات . واللغة عند الكوفيين كائن حي يخضع للتأثير والتأثر ، ويتغيّر بالاستعمال ، فلا تبقى الألفاظ فيها جامدة على حال واحدة ، وهم لذلك يعتمدون على الملاحظة والاختبار أكثر من اعتمادهم على القياس . لذلك كله تجد فهمهم للغة أقرب إلى طبيعة اللغة ، فلا يستعينون على فهمها بالفلسفة والمنطق . ويتضح الفرق جلياً بين المدرستين في هذا المثال :

ذهب الكوفيون في تفسير السين التي تدخل على الفعل في الاستقبال على أنها مأخوذة من سوف ، وقد حذف منها الواو والفاء للتخفيف ، وذلك لكثرة استعمالها ، وضربوا أمثلة مشابهة من اللغة ، كان معظمها قد ورد في القرآن الكريم والشعر ، كقولهم : « لا أدْرِ ، ولم أُبَلْ ، ولم يَكُ ، وَخُذْ ، وَكُلْ » وأشباهها والأصل في هذه جميعا : لا أدْرِي ، ولم أُبالِ ، ولم يكُنْ ، وَأأخُذْ ، وَأأكُلْ ، فحذفوا في هذه المواضع لكثرة الاستعمال ، وقالوا : « والذي يدل على أن السين تدل على ما تدل عليه سوف من الاستقبال ، فلما شابهتها في اللفظ والمعنى دل على أنها مأخوذة منها » . (الإنصاف في مسائل الخلاف ج ٢ ص ٦٤٦) . أما البصريون فقالوا : « إنما قلنا ان السين أصل بنفسها ، وليست مشتقة من سوف ، هو أنها ـ أي السين ـ حرف يدل على معنى ، فينبغي أن يكون أصلا في نفسه ، لا مأخوذا من غيره » (الإنصاف نفسه) .

وهكذا يؤدي الاختلاف في المنهج ، ووجهة النظر ، إلى اختلاف في النتائج . □

● من احتكر طعاما أربعين ليلة فقد بريء من الله ، وبريء الله منه ، وأيما أهل عرصة أصبح فيهم رجل جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى .

« حديث نبوي »

جمال العربية

□ صفحة شعر

□ هكذا غنى الآباء

في مديح صلاح الدين

التكسب بالشعر طريقة عمد إليها الشعراء ، في عصور مختلفة طلبا للرزق ، ودرءاً للفاقة ، يوم لم يكن للفنان المبدع مصادر دخل ثابتة مستقرة . كان المديح في الأعم الأغلب أداة ذلك التكسب ، ولكن ليس كل مديح يمكن أن يُرمى بهذه التهمة ، فما أكثر ما أخلص الشعراء في مدائحهم ، وما أكثر ما صدقوا .

سعادة الحمصي الأعمى من هؤلاء الشعراء المتهمين بالتكسب بالشعر ، ولعل أسفاره قد ساعدت على إلصاق هذه التهمة به . فقد غادر موطنه ، حمص ، إلى دمشق ، ومنها إلى القاهرة ، ثم عاد إلى دمشق ، فحمص وحماة ، ولكن هذه الأسفار جميعها ليست ذات بال ، فالمسافات بين هذه المدن قريبة ، سهلة المنال ، وقد قام كثير من الشعراء بأسفار أطول منها مدى ، وأكثر مشقة .

في دمشق التقى الشاعر سعادة الأعمى بالقائد صلاح الدين الأيوبي ، فمدحه بقصيدة تنم عن حب عميق ، لايصح مع عاطفتها الصادقة أن يقال بأن الشاعر قالها متكسبا ، على الرغم من أن صلاح الدين كان قد أجزاه عليها .

في الأبيات التي اخترناها من القصيدة يبدي الشاعر حزنا وأسفا على أيام كانت له في تلك المرابع ، حين كان العيش فيها رغدا هنيئا ، فإن الطيب الذي يفوح به هواؤها ، وتأتي به نسمات الصباح ، لتحسبه مِسكا يتضوع . أما أشجارها الخضراء فهي تتسربل النور أثوابا ، وقد وقفت على أغصانها حمامات تبدي من فنون الغناء وترجع ، وتفتنّ بألحان عذاب ، حتى أن غناءها وألحانها يبعثان الشوق حيًّا ، تترقرق من فرط شدته الدموع . تلك هي صورة الوطن . إنك لاتجد شبيها لها إلا الفردوس ، ولكن النظر حين يجول في مغانيه يرى أن الفردوس دونه حسنا ! كل ذلك الملك يسوسه ابن أيوب ، السلطان السخي الندي ، ويحسن التصرف فيه ، ويدفع عنه الأذى بسيفه الذي يجاوز مضاء حدّه مضاء صروف الدهر . وتثير جيوشه الزاحفة غباراً ، تلمع بروق النصر في ثناياه . إن لأبي المظفر أياما أبلى فيها البلاء الحسن في مقارعة الأبطال من الأعادي ، لم يَكْبُ له فيها فرس .

في هذه اللوحة الحسية النابضة بالحياة والحركة يصور الشاعر موطنه ، ويضفي عليه من الجمال بقدر ما يُكِنُّ له من محبة ، ويرى في ممدوحه مثال القائد الذي تكتمل بقيادته عزّة الوطن وسؤدده .

ومَرابِعٌ تَهْدي إلى سُكّانِها ... طِيباً إذا نَفَحتْ على سُكّانِها

أرجاً لدى الغَدَوات تَحْسَبُ أنّه ... مِسْكٌ إذا وافاكَ من أرْدانِها

فالنَّوْرُ تِيجانٌ على هاماتِها ، ... والنُّور أثوابٌ على أبدانِها ،

والوُرْقُ قَيْناتٌ على أوراقِها ... تَفْتَنُّ بالألحانِ في أفنانِها[1]

وأبِيتُ من وَلَهٍ وفَرْطِ صَبابةٍ ... أبكي على ما فاتَ من أزمانِها ،

أيّامَ كُنْتُ بها وكانت عيشتي ... كالرَّوْضةِ المَيْثاء في إبّانِها

دارٌ هي الفِرْدَوْسُ إلاّ أنّها ... أشْهى من الفِرْدَوْسِ عند عِيانِها .

سلطانُها المَلِكُ ابنُ أيوبَ الذي ... كَفّاه لا تَنْفَكُّ عن هَطَلانِها

بمواهبٍ لو لم أكُنْ نوحاً لَما ... نُجِّيتُ يومَ نَداهُ من طوفانِها .

تلك السُّيوفُ المُرْهفاتُ بكفِّهِ ... أمْضى على الأيام من حَدَثانِها .

وإذا جَحافِلُهُ أثَرْنَ سَحائباً ... لَمَعَتْ بُروقُ النصرِ في أحضانِها .

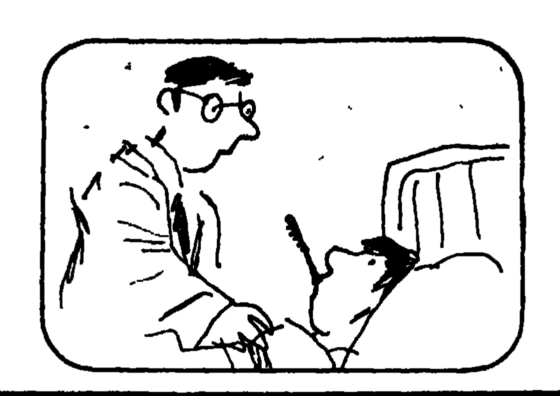
كم قُدْتَهُنَّ ، أبا المُظَفَّرِ ، ظافراً ... والأُسْدُ صائلةٌ على عُقبانِها

متواثباتٍ للطِّعانِ ، فلا كَبَتْ ... تلك العِتاقُ الجُرْدُ يوم طِعانِها .

أقْسَمْتُ ، ما هَدَمْنَ أركانَ العِدا ... إلاّ بما شَيّدْتَ من أركانِها !



(١) وُرْق : جمع ورقاء ، وهي الحمامة .
قينات : مغنيات .
تفتنّ : تتفنن ، أفنان : أغصان



حكايات طبية

بقلم : الدكتور غسان حتاحت

شرف المهنة

عندما قال لي زميلي الطبيب (س) إنه يريد مني خدمة يسيرة ، لم أشعر بارتياح ، ذلك أنني أعلم أنه عندما يطلب شخص ما ، من آخر ، خدمة « يسيرة » ، فإنه يقصد بذلك أمرا شاقا ، وحاجة يصعب قضاؤها . ولو كان (س) قد طلب صراحة خدمة كبيرة لربما كنت شعرت بشيء من الراحة .

قلت له مرحّباً : تفضل ، واطلب ، يسرني أن أبذل جهدي في مساعدتك . قال لي : إن أحد أصدقائي تقدم لخطبة فتاة ، وحصل بينهما إعجاب متبادل ، وتمت الموافقة على الزواج ، وفي أثناء ذلك تناهى إلى سمعه أن خطيبته تعالج لدى الطبيب (ع) ، وهو اختصاصي بالأمراض النفسية والعقلية ، فخشي أن يكون لدى هذه الفتاة مرض ذو أهمية ، أو يمكن أن ينتقل بالوراثة . ولذلك أريد منك ـ بحكم صداقتك الحميمة مع هذا الطبيب ـ أن تستفسر منه عن مرض هذه الفتاة ، ثم تخبرني بذلك .

نظرت إلى زميلي (س) نظرة لم تستطع أن تخفي الصدمة والدهشة اللتين أحسست بهما وأنا أصغي إليه ، وقلت له :

ـ لقد طلبت مني خدمة يسيرة ، وأنا أعلم أن من يطلب أمرا يسيرا إنما يعني عادة عكس ذلك تماما ، لكنني لم أتصور أن يكون طلبك بهذه الصعوبة والضخامة ، ولا يمكن أن أفكر ، حتى مجرد تفكير ، في أن أجيب هذا الطلب . وحتى لو وافق الطبيب (ع) على إجابتي عن سؤالك ـ ولا أخاله يوافق على ذلك ـ فإنني أنا نفسي أرفض أن يتم هذا الأمر . يازميلي (س) إنك تطلب من الطبيب أن يذيع سر مريضه الذي عرفه بحكم مهنته التي ينبغي أن تهيمن عليها الثقة المطلقة ، وما كان لطبيب أن يكشف ذلك . ولست أدري كيف خطر لك أن تسألني أن أكون واسطة في الإساءة إلى سر مهنة الطب التي هي قوام حياتنا بعد الروح ؟ على أنني سأساعدك على كل حال ، فثمة عدة خيارات أمام صديقك ، فهو يستطيع أن يصارح خطيبته بما سمع ، ويطلب منها أن تخبره بنفسها عن حالتها المرضية إن أرادت .

أو يمكن أن يطلب منها أن ترافقه بموافقتها ورضاها إلى ذلك الطبيب ، وتطلب هي منه أن يذكر لهما مايعرف عن حقيقة مرضها ، بعد أن تحله من ضرورة الاحتفاظ بسرها .

أما إذا رفضت الخطيبة هذين الخيارين فله أن يتركها ويبحث عن سواها ، وما أكثر خلق الله ، أو أن يتزوجها على علاتها إن أراد .

يازميلي (س) لو كان الطبيب سمع خبرا ما ، بحكم قرابة أو جوار ، أو كان ذلك في سهرة عادية أو مجلس عام ، فله ان يبدي رأيه ، ويشير بما أحب ، مادام ماسمعه لم يكن بوصفه طبيبا ، ولم يتعلق بسر مهنة الطب . أما سر المهنة نفسه فذلك أمر مقدس ، لايجوز بحال أن نتساهل فيه أبدا .

زميلي (س) لايهمني إن نجح ألف زواج أو فشل ، مابقي سر مهنة الطب مصانا محفوظا ، وما بقي شرف مهنة الطب سليما .

فشرف مهنتنا هو شرفنا . □





شعر : عادل العامل

(١)

أينَ وَجنتيكِ
استقى الوَرْدُ
ألوانَهُ
واستعارَ الصَّباحُ
بريقَ اشتعالاتِهِ
الهادِئة ؟!

(٢)

لِماذا تجيئينَ
في آخِرِ العُمْرِ
مُسْرِعَةً
حُلْوَةً
وَتمضينَ
مِثلَ انطِفاءِ المَرَح
كأنَّ الزَّمانَ الذي مَرَّ
آهاتُ قلبٍ أرادَ
الغِناء
فلمّا جُرِحْ
مضى كُلُّ شيْءٍ
إلى حالِهِ
الحُبُّ
والمُشْتَهى
والفَرَح ؟!

(٣)

مَتى كانَ عَهْدي
بِعَيْنَيْكِ
تَسْتَقْصِيانِي
تُعيدانِ لي
فَرْحَتي
بالزَّمانِ
فَما عُدْتُ أذْكُرُ
أينَ التقينا
لِماذا
وَكَيْفَ انْطَفَتْ
بهجةُ الافتِتان ؟



(٤)

لِماذَا إذَنْ

أبْرقَتْ بالضّياءِ الجَميلِ

السّماء

إذا كَانَتِ الرّيحُ خَجْلَى

وكَانَ السّحَابُ

شَحِيحَ المَطر

لِمَاذا

لِمَاذا إذَنْ ؟!

أتَدْرِيْنَ

حِينَ أُقَلّبُ أوْرَاقَكِ

الآنَ

مَاذا أرَى

خَلْفَ أسْطُرِهَا الفَاتِرَة ؟!

مَخَالِبَ لِامْرَأةٍ

كَاسِرَة !

(٦)

هَل احْسَسْتِ

يوماً

بشيءٍ مِنَ الحُزْنِ

يَمْتَصُّ روحَكِ

حَتّى الأخِيْرِ

وَيُلْقِي بها

خَارِجَ النّافِذَة ؟!

أَنَا

هَكَذَا

حِيْنَ تُغْضِيْنَ طَرْفَكِ عنّي

وَتَمْضِينَ مُثْقلةً

بالسُّكُوت

أنا هكذا

عندَمَا

حِيْنَهَا . .

لا أموت !

(٧)

أمِنْ وَجْهِكِ

امْتَدّت النّارُ

في غابَةِ القَلْبِ

أمْ مِنْ لَظَى رُوحِكِ الهَائِمَة ؟!

تَوَسّمْتُ فِيكِ

اشْتِعَالِي

الذي طَالَ شَوْقِي

إليهِ

وَهاأنْتِ

مفزوعةَ الفِكْرِ

مِمّا أقُولُ . .

فَكَيْفَ إذَنْ

لَوْ رَأيْتِ الذي لا يُقَال ؟!

وزارة الإعـــلام

الإعلام الخارجي

دوريات وزارة الإعلام

اسم الدورية		قيمة الاشتراك السنوي			
		الوطن العربي		البلاد الأجنبية	
		فلس	دينار	فلس	دينار
مجلة « العربي »	(شهرية)	٠٠٠	٦	٠٠٠	٨
كتاب العربي	(فصلي)	٥٠٠	٢	٠٠٠	٣
مجلة « العربي الصغير »	(شهرية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
مجلة « الكويت »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
سلسلة « من المسرح العالمي »	(شهرية)	٠٠٠	٤	٠٠٠	٥
مجلة « عالم الفكر »	(فصلية)	٠٠٠	٥	٠٠٠	٦
الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »	(أسبوعية)	٠٠٠	١٧	٠٠٠	٢٠

تحول قيمة الاشتراكات في دوريات الوزارة المبينة أعلاه بالدينار الكويتي ، أو بما يعادله من العملات الأجنبية ، بموجب شيك مصرفي أو حوالة مصرفية ، باسم وزارة الاعلام ، ويرسل الشيك أو الحوالة مع اسم وعنوان المشترك والدورية التي يرغب الاشتراك فيها إلى :

الإعلام الخارجي ـ قسم التوزيع والاشتراكات
وزارة الاعلام ـ ص. ب ١٩٣ ـ الصفاة
الرمز البريدي ١٣٠٠٢ ـ الكويت

قسيمة الاشتراك

الاسم والعنوان : ....
....
....

أرغب الاشتراك في الدورية أو الدوريات المشار إليها أدناه ، وأرفق لكم طيه □ شيكا
□ حوالة مصرفية بمبلغ ....

□ مجلة « العربي »   □ مجلة « الكويت »   □ سلسلة « من المسرح العالمي »
□ مجلة « العربي الصغير »   □ مجلة « عالم الفكر »   □ الجريدة الرسمية « الكويت اليوم »
□ كتاب العربي .

الكلمات المتقاطعة

يهدف هذا اللغز إلى تسليتك وإمتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر فى المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة .

والمطلوب منك الاجابة عن أسئلة هذا اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذى سينشر فى العدد القادم .

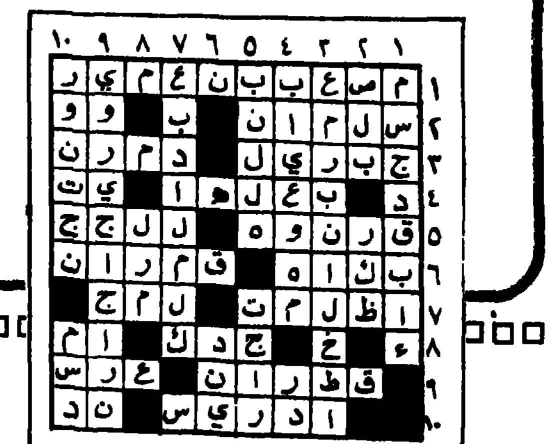
١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	
■										١
		■								٢
			■			■				٣
					■					٤
				■			■			٥
		■			■					٦
■								■		٧
	■				■					٨
			■		■					٩
				■						١٠

كلمات أفقية

١ ـ مِجْهر
٢ ـ أداة للسَّبْر أو القياس ، رمّم
٣ ـ يحمي ، قط معكوسة ، قصْد
٤ ـ احتمت وتوارت عن الأعين ، ضاحك
٥ ـ هر مقلوبة ، حرْف نصب ونفي واستقبال ، أوشك مبعثرة
٦ ـ ضعيف أو واهن ، رَشَفَ برقة ، إوز
٧ ـ آلة رصد قديمة لقياس مواقع النجوم
٨ ـ يذيب ويصب في قوالب ، هزَم وأذَلّ
٩ ـ جمع مَيْل مبعثرة ، ضمير المتكلّم
١٠ ـ معبأة في عُلَب ، ضَباب رقيق

كلمات عمودية

١ ـ فيلم يستخدم في حفظ الوثائق
٢ ـ يُطعمُها كما تفعل الطير ، من الحواس الخمس
٣ ـ مَكْمَن ، ثاني أبناء آدم وحواء
٤ ـ سر معكوسة ، منظار لتكبير ورؤية الأجسام البعيدة .
٥ ـ شعر الجمل
٦ ـ شارَك ، مكان المراقبة
٧ ـ نوع من حالات القتال ، أداة لمعرفة الجهات
٨ ـ أخَذ أو نَتَفَ ، شاة
٩ ـ منظار يستخدم في الغواصات ، غير ناضج
١٠ ـ أداة في مؤخر حذاء الفارس ، المعدن قبل التصنيع .



أنــزلــتُ آمــالي بغَـيرِ الخَـالـقِ

بيتان من الشعر قالهما أحد كبار الشعراء ، على الرغم من أنهما لايوجدان في ديوانه فمن هو هذا الشاعر ؟
× المتنبي × المعري × اللخمي

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٨٠

يوليو ١٩٩٠

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الإجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الصفاة . الرمز البريدي 13008 ـ الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٨٠ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات إلينا هو ١٥ أغسطس ١٩٩٠م . والرجاء كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي واضحين ، ورقم الهاتف إن وجد .

أرغب الاشتراك في الدورية أو الدور

☐ حوالة مصرفية بمبلغ ....
☐ مجلة « العربي » ☐ مجلة « الكو
☐ مجلة « العربي الصغير » ☐ مجلة « عالم
☐ كتاب العربي .

١

من هو الشاعر الذي استنشده الخليفة عمر بن الخطاب أيام خلافته ، فكتب سورة البقرة في صحيفة ، ثم أتى بها إلى الخليفة ، وقال : «أبدلني الله هذه في الإسلام مكان الشعر » ، فسر عمر بجوابه ، وأجزل له العطاء ؟

حسان بن ثابت × عمرو بن معدي كرب × لبيد

٢

« الخوارزمي » لقب عرف به ثلاثة من أعلام السلف الصالح ، أولهم عالم منجم ، وصاحب الفضل في انتشار أرقام الحساب الهندية في الدولة الإسلامية ، واسمه محمد بن موسى الخوارزمي ، وثانيهم كاتب علمي ، مؤلف كتاب « مفاتيح العلوم » ، واسمه أبو عبدالله محمد الخوارزمي ، فما اسم الخوارزمي الثالث ، علما بأنه كان شاعرا ؟

٣

شاعر من فحول شعراء صدر الإسلام ، اشتهر بجهومة وجهه وغلظته ، وكان ردي الطباع ، سيء المخبر ، خبيث الهجو ، يقدر الكثيرون شعره بحجة جزالته وفخامته ومن قوله :

فلأمدحنّ بني المهلب مدحة
غرّاء قاهرة على الأشعار

فمن هو هذا الشاعر ؟ × الحطيئة × الفرزدق × الشنفري

٤

من القائل ؟ وما المناسبة :

بك أستجير من الردى
متعوذا من سطو بأسك
وحياة رأسك لا أعو
د لمثلها وحياة رأسك

٥

من القائل ؟ وما المناسبة ؟

أتتـه الخـلافـة منـقـادة
إلـيـه تجـرر أذيـالهـا
فـلم تـك تصلح إلا لـه
ولم يـك يصلح إلا لهـا
ولـو رامها أحـد غيـره
لـزلزلت الأرض زلزالهـا

٦

قال شاعر عن نفسه : « ثم جرت بالعراق حروب ومحن أوجبت بعدي عن عريني ، وهجر أهلي وقريني ، بعد أن تكمل لي من الأشعار ما سبقني إلى الأمصار ، فحططت رحالي بفناء ملوك آل أرتق ، أصحاب ماردين ، فثبتوا بالإحسان قدمي ، وصانوا عن بني الزمان وجهي ودمي ، فنظمت في مدح السلطان الأعظم نجم الدين أبي الفتح غازي تسعا وعشرين قصيدة ، كل منها تسعة وعشرون بيتا على حرف من حروف المعجم ، يبدأ في كل بيت وبه يختم . فأي شاعر هذا ؟

× صفي الدين الحلي × الفارضي × الطغرائي

٧

أين ولد البحتري ؟ وأين مات ؟

× ولد ومات في بلاد الشام × ولد ومات في بلاد العراق × ولد ومات في أرض الكنانة

٨

من القائل ؟ وما المناسبة ؟

لاتعتب الدهر في خطب رماك به
إن استرد فقدماً طالما وهبا
ورأسُ مالِك، وهي الروحُ قد سلمتْ
لاتأسفنّ لشيء بعدها ذهبا
ما كنتَ أوّل ممدوح بحادثة
كذا مضى الدهر لابدْعاً ولاعَجبا

٩

الفرزدق وجرير والأخطل ، ثلاثة من فحول الشعراء ترى من هو أشعر هؤلاء الثلاثة ؟

١٠

من القائل ؟ وما المناسبة ؟

بلد صحبت به الشبيبة والصبا
ولبست ثوب العيش وهو جديدُ
فإذا تمثل في الضمير رأيته
وعليه أغصان الشباب تميدُ

١١

أي الشعراء الثلاثة اشتهر بأنه أعلم الشعراء وأشعر العلماء ؟

× ابن دريد × ابن خفاجة × ابن النبيه

١٢

أبعين مفتقر إليك نظرتني
فأهنتني وقذفتني من حالق
لستَ الملوم أنا الملومُ لأنني
أنزلت آمالي بغير الخالق

بيتان من الشعر قالهما أحد كبار الشعراء ، على الرغم من أنهما لايوجدان في ديوانه فمن هو هذا الشاعر ؟

× المتنبي × المعري × اللخمي



ابريل ١٩٩٠

١ - كان دافع الطبيب الفرنسي رينه لينك على ابتكار المسماع الطبي سنة ١٨١٦ هو حياؤه من الجنس الآخر .

٢ - رغبت الملكة فكتوريا وكانت حاملا بالأمير ليوبولد ، أن يتم وضعها بدون ألم ، تحت تأثير الكلوروفورم . وكان للمرسوم الملكي الذي أصدرته في ١٨٥٣م الأثر الحاسم في وضع حد لمفعول الحظر الكنيسي . وسأل بعضهم الملكة عن رأيها في التخدير فردت : إنه مهدىء ولطيف ومبهج إلى أقصى الحدود .

٣ - شبه الأوربيون الطاعون البوبوني بالدخان القاتل المنصب من السماء ، أو البخار المنبعث من الشهب الساقطة . أما نظرية العدوى القائلة بأن سبب الاصابة بالطاعون ، بل سبب انتشاره ، إنما هو البكتيريا ، فلم تعرفه أوربا إلا سنة ١٨٩٣ ، حين أثبت عالم ياباني ، اسمه (شيباسابورو كيتاساتو) أن سبب الإصابة بالطاعون هـو بكتيريا تحملها براغيث الفئران .

٤ - لفظ كورنتينا لفظ إيطالي ، ويعني أربعين ، وقد شاع استعماله بمعنى الحجر الصحي في أواخر القرن ١٤ ، وذلك أيام انتشر مرض الطاعون البوبوني الفتاك . وتحديدهم مدة الحجر بأربعين يوما استنادا إلى الانجيل ، وقوله بأن المدة التي ضمنت انحسار الطوفان لكفيلة أيضا بانحسار مرض الطاعون البوبوني ، أو الموت الأسود .

٥ - عرف الأطباء المسلمون العدوى ودورها في نقل الأمراض ونشرها في المشرق والمغرب ، وقد تحدث عنها ابن سينا ، وحذر بخاصة من الإصابة بداء السل بالعدوى . وكان ذلك في القرن العاشر الميلادي .

٦ - اكتشف الكسندر فلمنج البنسلين في خريف سنة ١٩٢٨ ، وذلك بالصدفة ، فقد لاحظ لدى عودته من إجازة امتدت أربعة أسابيع ، قضاها بعيدا عن مختبره ، أن البكتيريا التي تركها في طبق الاختبار ، واسمها (ستافيلوكوكس) قد اختفت ، وأن شيئا من العفن (فطريات وخمائر) قد لوث الطبق . وتبين للعالم أن واحدا معينا من تلك الفطريات العفنة هو الذي قضى على البكتيريا ، ولما كان اسم ذلك العفن الفطري العلمي هو (Penicillium notatum) ، لم يتردد فلمنج في تسمية العنصر الفعال فيه (بنسلين) .

٧ - عرف العرب أثر المضادات الحيوية في المعالجة منذ أيام الجاهلية ، فقد نزعوا من سروج حميرهم المواد العفنة المضادة للجراثيم ، واستخلصوا من نبات المليون ما صنعوا منه مراهم ذات أثر مضاد ، وعالجوا جراحاتهم الملتهبة بهذه وتلك .

٨ - انتشر التخدير بسرعة ، وشاع استعماله في كل المجالات الطبية منذ عام ١٨٤٦ ، ماعدا حالات الوضع ، وذلك

لأن الكنيسة الكاثوليكية حظرت التخدير في هذه الحالات

٩ عرف العرب التخدير ، وعمدوا إليه في العمليات الجراحية ، وفي غيرها من المجالات التي استوجبت التخدير ، أما وسيلتهم للتخدير فكانت الاسفنجة المخدرة ، فقد وضعوا الاسفنجة في عصير من الحشيش وست الحسن (الهيوسيامين) والزوان ، وغير ذلك ، ثم جففوها بالشمس ، ثم رطبوها ثانية عند الاستعمال ، ووضعوها على أنف المريض ، فتغلغلت المواد المخدرة عبر الأنسجة المخاطية في المريض ، فغط في نوم عميق . وقد نقله الأوربيون عن العرب وواصلوا الاعتماد عليه للتخدير زمنا طويلا .

١٠ كان قطع الأنوف هو العقوبة الشائعة التي أنزلها الهندوس في الزاني والزانية ، وذلك قبل عشرة قرون أو أكثر ، ومن هنا كان ظهور جراحة التجميل وتقدمها بينهم . فقد درج جراحوهم على إصلاح التلف بترقيع الأنف المقطوع بأنسجة ، أو قطع لحم يقطعونها من الرقبة ليعيدوا بناء الأنف بها .

ومن طريف ما يذكر أن أولئك الجراحين ضمنوا للمريض مواصلة التنفس عبر بوصات رفيعة طويلة ، ادخلوا طرفا منها في الأنف ، وأطلقوا طرفا آخر خارجه .

١١ اكتشاف أشعة اكس هو الإنجاز الذي نال عليه رونتجن جائزة نوبل سنة ١٩٠١ .

١٢ عرف الأطباء المسلمون الاسعافات الأولية ، ولعل أشهر كتبهم في هذا الباب :
« غُنية اللبيب في غيبة الطبيب » ، لمؤلفه شمس الدين الأكفاني . □

الفائزون في مسابقة العدد ٣٧٧ أبريل ١٩٩٠

الجائزة الأولى : صلاح محمد حسن / الجمهورية الجزائرية .
الجائزة الثانية مى يوسف عبدالكريم / دولة الكويت
الجائزة الثالثة مهد بحري فارس جبريل / المملكة الأردنية الهاشمية .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ـ ماجدي محمد النودي / الجمهورية التونسية .
٢ـ أسباعي محمد مصطفى / المملكة المغربية .
٣ـ فاضل ابراهيم نوري / الجمهورية العراقية .
٤ـ عبدالله عمر محمد / جمهورية السودان الديمقراطية الشعبية .
٥ـ طارق محمد سليم / جمهورية مصر العربية .
٦ـ ذمة اللطيف علي عبدالله يحيى / الجمهورية العربية اليمنية .
٧ـ نور محمد باعياد / جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .
٨ ـ أحمد عارف الفاني / الجمهورية اللبنانية .

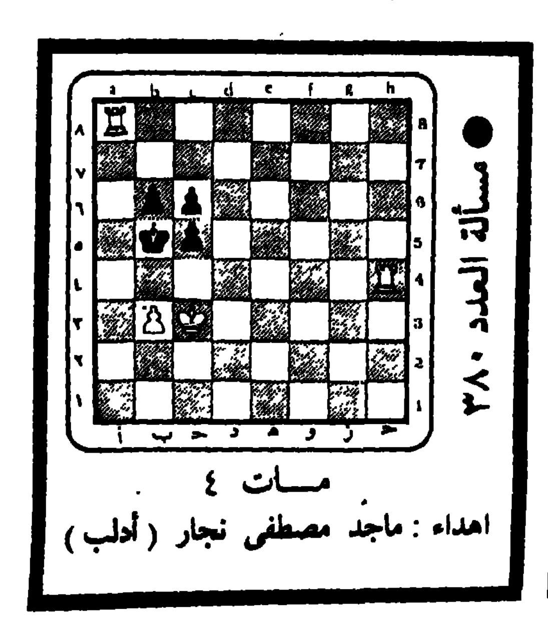


اختتم في أواخر شهر مارس من العام الحالي الدور النهائي لبطولة العالم للشطرنج المقامة في العاصمة الماليزية كوالالمبور ، بين بطل العالم الأسبق السوفياتي أناتولي كاربوف، وبين الهولندي بان تيمان، المصنف الثالث في العالم، بفوز كاربوف بفارق نصف نقطة فقط، بعد اثنتي عشرة جولة، حافلة بالإثارة والمفاجآت. وكان المراقبون يتوقعون الفوز لكاربوف منذ البداية، فقد سبق للبطلين أن تلاقيا أكثر من خمسين مرة، كان النصر حليفه في ١٦ من هذه اللقاءات، مقابل الهزيمة في ثلاثة لقاءات، والتعادل في الباقي.

وسيؤهل هذا الفوز بطل العالم الأسبق لملاقاة خصمه اللدود، مواطنه الشاب جاري كاسباروف ، بطل العالم الحالي للشطرنج الذي انتزع البطولة منه منذ عام ١٩٨٥، بعد تربع على عرش الشطرنج دام عشرة أعوام (١٩٧٥ - ١٩٨٥). وقد حدّد موعد اللقاء المذكور في شهر نوفمبر القادم ، وسيكون اللقاء على جزأين، يعقد أولهما في مدينة ليون الفرنسية (١٢ دوراً)، ويعقد الثاني في مدينة نيويورك الأمريكية (١٢ دوراً أيضاً).

والدور الذي اخترناه لكم من هذه المباراة الحاسمة من الجولة الأولى بين البطلين، وقد اعتمد فيه تيمان (أبيض) الافتتاح الاسباني ، وهو افتتاح تقليدي معروف، يرجع تاريخه الى القرن السادس عشر. ومن الطريف أن هذا الدور قد تكرر بحذافيره حتى النقلة ١٨ من الجولة الخامسة.

وقد اتبع اللاعبان في الدور الذي بين أيدينا الخط الكلاسيكي المألوف للدفاع الاسباني المعروف أيضا بالروي لوبيز . في النقلات الثماني الأولى، لكن كاربوف فاجأ رسيلهُ باعتماد التفريع المعروف بتفريع زايتسيف في النقلة التاسعة، وأتبعه سبع نقلات مبتكرة، وقد اضطر تيمان للاستسلام في النقلة ٣٧ كي لا يشهد مصرع مليكه بعينيه .



مسألة العدد ٣٨٠

مــات ٤

اهداء : ماجد مصطفى نجار (أدلب)

□ تيمان (هولندا)	■ كاربوف (السوفييت)
١ - هـ ٤	هـ ٥
٢ - ح - و ٣	ح - جـ ٦
٣ - ف - ب ٥	أ ٦
٤ - ف - أ ٤	ح - و ٦
٥ - ت (تبييت)	ف - هـ ٧
٦ - ر - هـ ١	ب ٥
٧ - ف - ب ٣	د ٦
٨ - جـ ٣	ت
٩ - حـ ٣	ف - ب ٧ (جيدة)
١٠ - د ٤	ر - هـ ٨
١١ - ح (١) - د ٢	ف - و ٨
١٢ - أ ٤	حـ ٦
١٣ - ف - جـ ٢	هـ × د ٤
١٤ - جـ × د ٤	ح - ب ٤
١٥ - ف - ب ١	ب × أ ٤
١٦ - ر × أ ٤	أ ٥
١٧ - ر - أ ٣	ر - أ ٦
١٨ - ح - حـ ٤	ح × هـ ٤
١٩ - ح × هـ ٤	ف × هـ ٤
٢٠ - ف × هـ ٤	د ٥
٢١ - ر (أ) - هـ ٣	ر (أ) - هـ ٦
٢٢ - ف - ز ٦	وزير × حـ ٤
٢٣ - ر × هـ ٦	ر × هـ ٦
٢٤ - ر × هـ ٦	و × هـ ٦
٢٥ - ف - هـ ٣	وزير - و ٦
٢٦ - وزير - ز ٤	ف - د ٦
٢٧ - حـ ٤	ح - جـ ٦
٢٨ - ف - هـ ٨	ح - هـ ٧
٢٩ - ف - د ٧	ح - و ٥
٣٠ - حـ ٥	م - و ٧ (الشكل)
٣١ - ف - جـ ٨	م - هـ ٧
٣٢ - ب ٣	جـ ٥ ! (بديعة)
٣٣ - وزير - هـ ٢	جـ × د ٤
٣٤ - ف - د ٢	د ٣
٣٥ - و - د ١	و - حـ ٤
٣٦ - ز ٣	ح × ر ٣
يستسلم	

□□□

الفائزون في مسابقة الشطرنج العدد رقم ٣٧٧ ابريل ١٩٩٠

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ - طلعت سرسم - بغداد / العراق
٢ - عصام دبور - طنطا /ج . م . ع
٣ - محمد عبد الله علي - بابكو / البحرين
٤ - عبد الله عمر باديب - فاكلافكا / تشيكوسلوفاكيا
٥ - محمد سالم ولد أباه - نواكشوط / موريتانيا

الفائزون باشتراك ستة أشهر

١ - تسنيم محمد حسي - الفروانية / الكويت
٢ - شوقي زكرى عبد الحق - الجيزة /ج . م . ع
٣ - سحر محمد نزيه برنبو - الرياض / السعودية
٤ - نغم الهدد - النبك / سوريا
٥ - صلاح محمد زعبية - مصراته / ليبيا

حل مسألة العدد ٣٧٨ مايو ١٩٩٠ .

١ - ر × د ٥ + ٢ - ح - د ٣ + ٣ - و - و ٤ (مات ؛



العربي ـ ص. ب : ٧٤٨ الصفاة ـ الرمز البريدي : 13008 الكويت

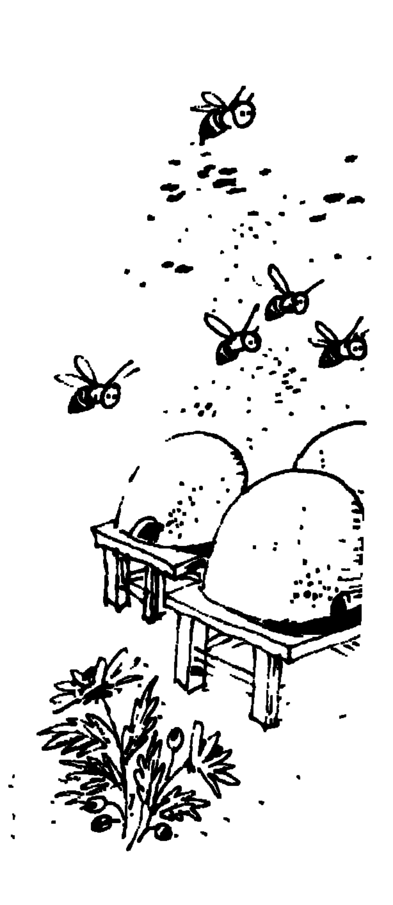
عالم النحل الغريب

الأستاذ الدكتور رئيس التحرير

تحية طيبة وبعد ،

● من خلال مطالعتي للعدد ٣٧٤ يناير ١٩٩٠ ، لفت نظري مقال الدكتور فهمي مصطفى محمود ، حول « مملكة نحل العسل » وقد قرأته أكثر من مرة ، لكن هناك بعض الإضافات ، أود أن أقدمها للقارىء ، فقد قال في مقدمة المقال إنه « وباستثناء وضع البويضات لا تقوم الملكة بعمل يذكر داخل الخلية ، لكن وجودها ضروري جدا لبقاء المملكة ، إذ غالباً ما يعني موتها تشرد النحل وفناء المملكة » .

أولا : النحل لا يتشرد ، بل يموت ، والنحلة لا تترك خليتها مهما كانت الموانع والظروف ، وفناء المملكة يأتي نتيجة حتمية لفقد الملكة التي هي مصدر الأجيال القادمة ، وحيث إن عمر الشغالات في موسم الجني لا يزيد على أربعة أسابيع إلى خمسة ، وحيث إن وضع البيض توقف بموت الملكة لذا فإن مصدر الأجيال التي سوف تأخذ على عاتقها إعمار الخلية توقف ، لذا نجد أن الموت مصير الخلية الحتمي .



ثانيا : أنا مع الدكتور في أن أولى مهام الملكة هي وضع البيض ، وأن موتها يعني موت النحل وفناء المملكة إلا في حالة واحدة ، حيث تموت في موسم النشاط ، والجني ، في هذه الحالة يشعر النحل بفقد الملكة ، بعد أقل من ساعة من ذلك يبادر الى النخاريب حاوية البيوض الحديثة العهد ؛ أي بعمر ساعة إلى ٢٤ ساعة ، يبادر النحل إلى تلك النخاريب فيتلف جدرانها ، ويبني على أنقاض تلك الجدران بيتا ملكيا جديدا ، ويأخذ في تغذية تلك البيضة بالغذاء الملكي حتى تكون لديه ملكة جديدة ، وإذا كشفنا على خلية بعد عدة أيام من موت الملكة نجد هناك أكثر من بيت ملكي ، قد بني (احتياطا) لضمان الحصول على ملكة حديثة .

ثم إن للملكة عملا كثيرا ، فهي التي تحكم على جودة ماء الشرب ، وتحدد المصدر الواجب اعتماده ، من خلال عينات تحضرها لها الشغالات ، وغالبا ما تفضل مصدر الماء الحاوي لنسبة معينة من الأملاح ، لا تتجاوز ٥٪ ، بينما ترفض الماء المقطر .

وهي التي تصدر الأوامر إلى الشغالات في قمة موسم الجني ببناء عدد لا يتجاوز مئات من النخاريب الواسعة وتقوم بوضع بيض غير ملقح فيها لتكون يعاسيب مهمتها التلقيح مستقبلا

وهي التي تصدر الأوامر للشغالات بإفناء الذكور ورميها خارج الخلية وعدم إطعامها إثر انتهاء موسم التلقيح .

وهي التي تأمر عند زيادة موسم الجني بفتح النخاريب المملوءة بالعسل ومطها من جديد (زيادة طولها) لتستوعب كمية إضافية من العسل .

وهي التي تقرر متى تضع البيض في البيوت الملكية ، بعد أن تكون قد أمرت ببنائها ، وذلك عند زيادة موسم الجني ، وزيادة الجيش العامل لديها ، بغية المحافظة على الجنس من خلال إنتاج طرد أو طرود جديدة .

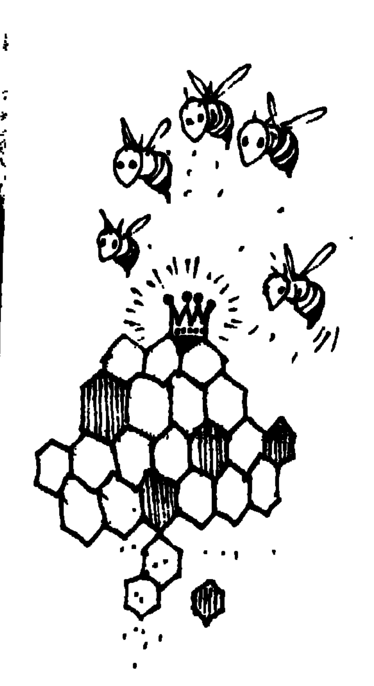
وجاء تحت عنوان : « الزفاف الملكي » ما يلي

أول ما تقوم به الملكة الجديدة ، ضمن استعدادها لرحلة الزفاف الملكي هو قتل منافساتها من الملكات ، والواقع أن الملكة الأم هي التي تكون قد أمرت ببناء البيوت الملكية ، وذلك عند زيادة جيشها من الشغالات ، وحين يصبح الوقت مناسبا للتطريد نكون أمام حالتين .

الأولى : خروج الملكة الأم من الطرد الحديث ، وعند ذلك لا مشكلة في تلقيح الملكة .

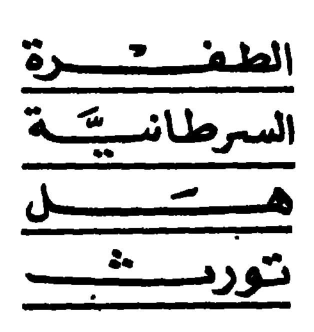
الثانية : في حالة خروج الملكات العذارى مع الطرد أو بقائها في الخلية فإنه بعد استقرار الطرد في مكان آمن تقوم أقوى الملكات العذارى بتجهيز نفسها لرحلة الزفاف ، بعد استطلاع مستفيض ، وبعد عودتها من رحلة الزفاف ، وعلى مؤخرتها العضو التناسلي للذكر مع ملحقاته ، تتوج ملكة جديدة ، بعد تنظيف مؤخرتها والاحتفال بها . عند ذلك تتفرغ للملكات العذارى المرافقة للطرد ، فتجبرها على الخروج من الخلية ، أو تنقض عليها لتقتلها وتتفرد بالمملكة .

القارىء : محمود حسيان
الأبك - سوريا



حوار القراء





الطفرة السرطانية هل تورث ؟

الاستاذ الدكتور رئيس التحرير

تحية طيبة وبعد ،

● قرأت في العدد (٣٧٣) ديسمبر ١٩٨٩م مقالا بعنوان « أغذية مسببة للسرطان » بقلم الاستاذ الدكتور أحمد محمد خير ، وفيه كم من الإحصاءات ، والمعلومات القيمة التي تمس الواقع . ولدي توضيح لبعض المعلومات المكتوبة بصورة موجزة التي يؤدي عدم فهمها الصحيح إلى إثارة الشكوك والخوف منها بين القراء . إن المواد الكيمائية الحافظة للأغذية ، ومساحيق التجميل ، وصبغات الشعر ، كما ذكر ، تسبب طفرات ، وأن هناك علاقة قوية جدا بين التسرطن والطفرة ، وأن كل مادة مسرطنة إذا دخلت أي خلية جسدية فإنها تسبب سرطانا يمكن أن يورث إلى الأجيال التالية . . وهنا أحب أن أوضح بأن هناك نوعين من الطفرات ، وهما الطفرة الجسدية التي توجد في أي نسيج من أنسجة الجسم ، وهذه الطفرة لا تورث ، والنوع الثاني هو الطفرة التناسلية التي توجد في الحيوان المنوي أو البويضة ، نتيجة أشعة اكس (×) أو الأشعة فوق البنفسجية ، وهذا النوع من الطفرات هو الذي يورث إلى الأجيال التالية إذا كان موجودا في الحيوان المنوي ، وقدر لهذا الحيوان المنوي أن يندمج مع بويضة فيها الطفرة نفسها لتكوين الزيجوت .

ومن هنا فإن أي مادة غذائية دخلت الجسم ، عن أي طريق ، أو أي مواد كيميائية تستخدم على البشرة ، أو الشعر ، يمكن أن تكون طفرة أو سرطانا بتأثيرها المدمر للخلايا ، ولكن هذه الطفرة لا تورث .

القارىء علاء الدين عبدالغني
كلية الطب - جامعة الزقازيق
بلبيس - جمهورية مصر العربية

ردود سريعة

● القارىء محمد بن محسن بن سعيد الذهلي ، من سمائل بسلطنة عمان ، يقول في رسالته : إنني معجب بالاستطلاعات المصورة ، وأقترح أن تقدموا استطلاعاً عن مدينة صلالة التي تقع في جنوب سلطنة عمان ، خاصة أنها تمتاز بمناخ ممتاز ، وفيها من آثار التاريخ التي تدل على حضارة الوطن العربي الشيء الكثير .

● القارىء محمد مصطفى عبدالمجيد من محافظة كفر الشيخ ، بجمهورية مصر العربية ، يقترح أن تنشر المجلة في صفحات « معركة بلا سلاح » قوانين لعبة « الشطرنج » .



● القارىء محمود محمد أحمد الصغير ، من أسوان ، بجمهورية مصر العربية ، يقترح زيادة مساحة الطرفة والفكاهة والصفحات الملونة ، وكذلك نشر استطلاع عن معابد الأقصر وحضارتها .

● القارىء محمد السيد عبدالجواد إدريس ، من المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالاسكندرية ، بجمهورية مصر العربية ، بعث عدة اقتراحات للمجلة ، مثل تخصيص عدد من صفحات المجلة للمراسلة ، وقيام المجلة باستطلاع لمدينة الاسكندرية ، وتوسيع صفحات «معركة بلا سلاح» (الشطرنج) .

● القارىء د. محمد فاضل السباعي ، من كلية العلوم بجامعة حلب ، بسورية ، يقترح تخصيص باب للحديث عن العلوم الألكترونية والذرية ونقول له : إننا نغطي هذا الموضوع في كثير من الأحيان .

● القارئة ليلى علي ، من مدينة العجيلات ، بليبيا ، تقترح نشر مواضيع عن قصة تحرير المرأة .

● القارىء مسعود يس محمود ، من محافظة قنا ، بجمهورية مصر العربية ، يقول : إنه بهر من مضمون العدد (٣٧٥) فبراير ١٩٩٠ ، لما احتواه من مواضيع ثقافية وعلمية وأدبية وجديد العلم والطب ، وقد شده استطلاع اكتشافات أثرية جديدة في مصر ، وكذلك الموضوع العلمي عن الغذاء والأعشاب كعلاج لقرحة المعدة والاثنى عشر .
كما أرسل القارىء إيهاب محمد أحمد شحاته ، من محافظة الشرقية ، بجمهورية مصر العربية يشيد بالاستطلاع المذكور أيضا .

● القارىء المحامي رمضان الهجرسي ، من الدقهلية ، بجمهورية مصر العربية ، يعتب على المجلة قائلا بأنها تهمل الرسائل التي يبعث بها إليها . ونقول : إن المجلة لا تهمل ما يردها إذا كان يستحق النظر فيه . أما بخصوص عدم نشر قصائد لشعراء معروفين ، فنقول له : إن المجلة تحرص على نشر كل جديد وذي مستوى ، وليلاحظ القارىء الأسماء والقصائد التي تنشر في المجلة ، فجميعها تحافظ على المستوى والنوعية . والمجال مفتوح للجميع للنشر .

● القارىء محمد رضا القدسي ، من أندونيسيا ، بعث يقول : إنه من خلال مجلة العربي استطاع أن يدعم ثقافته الإسلامية العربية ، لكنه يحتاج إلى المزيد من القراءة بالعربية .

● القارىء الطبيب البيطري ناصر الناطور ، كلية الطب البيطري ، حماة بسورية ، يطالب بالتركيز على نشر مواضيع تتعلق بالطب البيطري والإنتاج الحيواني بشكل عام ، والمؤثرات على الصحة العامة ، سواء أكانت بشرية أم بيطرية ، وتأثير ذلك على الأمن الغذائي للوطن العربي . ويقول : إن الأمل كبير في أن تولي المجلة هذا الموضوع الاهتمام الذي يستحقه والعناية المنشودة .

بريد القراء



● القارىء الشيخ عبدالصمد البركي من طوبى ، بجمهورية السنغال ، بعث رسالة يطلب فيها أن يكون هناك موزع يتولى توزيع مجلة « العربي » في السنغال ، نظراً لتزايد الطلب الشديد عليها ، للحاجة الماسة لمجلة ثقافية تهتم بشئون الإسلام والمسلمين والعرب وقضاياهم .

● القارىء علي فتحي علي الشافعي ، من محافظة الشرقية ، بجمهورية مصر العربية ، أرسل لوحة فنية ، بعنوان : قطاع عرضي في ضمير إنسان ، هدية للمجلة .

● القارىء مبارك عبدالله مبارك الجابري ، من حضرموت ، مركز ساة ، بعث رسالة يقول فيها : إنه اطلع على العدد رقم ٣٧٤ يناير ١٩٩٠ ، من « العربي » ، ولفت انتباهه ما كتبه الأستاذ حسن الكرمي في (على هامش قول على قول) ، وأنه قد سر جداً لهذا الكسب الجديد لقراء العربي ، ويذكر أنه كان يتابع الأستاذ الكرمي من خلال برنامجه قول على قول في هيئة الإذاعة البريطانية ، وهو برنامج محبوب ، وله عشاق كثيرون بين المستمعين ، لكن الأستاذ الكرمي اعتزل الإذاعة البريطانية . والذي نرجوه منه أن يواصل مقالاته للعربي . ونحن نقول : إن الأستاذ حسن سيكون معنا في تحرير بابه الثابت .

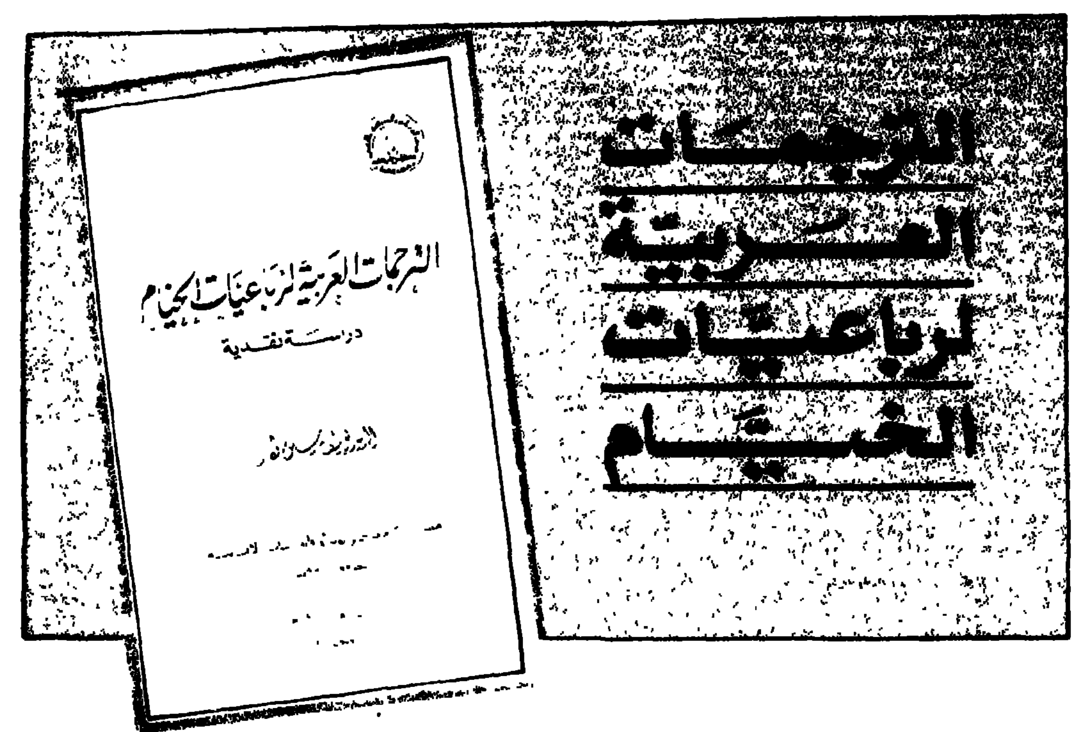
● القارىء محمود منصور رمضان ، من المعهد العالي للخدمة الاجتماعية ، من أسوان ، بجمهورية مصر العربية ، والقارىء عبدالمنعم عبدالرحمن صدقي ، من الشرقية بجمهورية مصر العربية ، والقارىء مهدي عوض سالم سالمين ، من محافظة شبوة ، بجمهورية اليمن الديمقراطية ، والقارىء السيد عبدالمنعم لطفي من الدقهلية ، بجمهورية مصر العربية ، والقارىء عبدالرحمن عبدالسلام ، من الاسكندرية ، بجمهورية مصر العربية ، والقارىء : ماجد القصاص ، من منوف ، بجمهورية مصر العربية . هؤلاء القراء يشيدون بحديث الشهر بقلم الدكتور رئيس التحرير (نهاية الطريق للنظام الشيوعي) ، المنشور في العدد (٣٧٥) فبراير ١٩٩٠ ، فقد كان فيه الجديد ، وفيه من الوضوح والتحليل ما نفتقر إليه في كثير من مطبوعاتنا العربية .

● القارىء أحمد عبدالحكيم كمال ، من كلية الآداب ، بسوهاج ، بجمهورية مصر العربية ، بعث رسالة يشيد فيها بالمجلة ، ويقترح أن تخصص صفحة بعنوان : مذاهب وأفكار ، يسلط الضوء فيها على شخصيات وفلاسفة عمالقة ، كان لهم أكبر الأثر في إثراء البشرية وتنويرها من أجل الحرية .

□□□



من المكتبة العربية



تأليف : الدكتور يوسف حسين بكار

عرض : روكس العزيزي *

ربما لم يحظ شاعر شرقي في الغرب بشهرة عمر الخيام ، ومنذ أن ترجم الانجليزي ادوارد فيتزجيرالد رباعياته إلى الانجليزية ، في أواخر القرن الماضي وحتى الآن ، لم تنقطع ترجمة الرباعيات إلى معظم لغات العالم الحية . والكتاب الذي نعرض له هنا يتناول جميع الترجمات العربية للرباعيات الشعرية منها والنثرية .

الكتاب الذي نتناوله هنا مؤلف من ٣٦٧ صفحة من القطع الكبير ، ماعدا دليل المراجع ودليل الكتاب . استغرق تأليفه ثلاث سنوات ، سلك فيه مؤلفه سبل التسلسل التاريخي لترجمات الرباعيات ، ولدقة المؤلف ، لم يهمل من المترجمين ، حتى الذي ترجم رباعية واحدة ، وهو أسلوب يستحق الاحترام في الدقة والأمانة العلمية .

* عضو مجمع اللغة العربية الأردني .

ذكر الفن الذي ترجمت فيه الرباعيات ، من شعر أو نثر ، أو أدب شعبي ، واللغات التي نقلت عنها إلى العربية ، وهي الفارسية ، والإنجليزية ، والإيطالية والاستعانة بالتركية .

وقد قسم الكتاب إلى أربعة مداخل : ـ

١ ـ فن الرباعيات الفارسي ، أقسامه ، خصائصه .

٢ ـ ترجمة ادوارد فيتزجيرالد ، لأن ما يقرب من ثلث الترجمات عنها ، وقد تصرف المترجمون الذين اعتمدوا ترجمة (فيتزجيرالد) كما تصرف هو .

٣ ـ الخيام والرباعيات .

٤ ـ تاريخ زمني تسلسلي للترجمات كلها .

وقد حرص المؤلف على التعريف بالمترجمين كلهم ، حتى من ترجم رباعية واحدة ، فجاء كتابه فريداً في بابه ، فهو أدب ، ودراسة ، ونقد حصيف ، وأحكام بارعة .

ولم يفته أن يذكر صعوبة الترجمة الأدبية لاستحالة نقل الأساليب ، أو ما يسمى أدبية النص .

لقد درس المترجم كل ترجمة ، أو منظومة ، وحللها من كل وجوهها ، وقومها تقويما غير نهائي ، تجنبا لمزالق الأحكام النهائية المطلقة .

المهم في الأمر أن المؤلف يتابع الترجمة ، رباعية فرباعية ، ويوازن بين الترجمات ، ويخرج بنتيجة هي الحكم بالأفضلية ، وأحكامه عايلة موجزة صائبة ، وهذا الأسلوب الاستقصائي المركز يجعل للأستاذ الفاضل السبق في عمله الدائب هذا .

روى المؤلف قصة ابتكار فن الرباعية في الفارسية ، وانتقالها إلى العرب ، وبين عناية فيتزجيرالد بالفارسية ، وترجم له ترجمة موجزة بارعة ، جاء فيها أن الناس لم يحفلوا في أول الأمر بترجمته للرباعيات ، وأن طبعتها الأولى ظلت مهمله على الرفوف ، لم يعن بها أحد ، حتى صار ثمن النسخة بنساً واحداً .

ثم سرد أسماء الذين ترجموا رباعيات الخيام ، واحداً واحداً ، وذكر سني الترجمة ونوعها ، أهي نثر أم شعر ، وعن أي لغة ، ولم يغفل ما نقل إلى الأدب الشعبي . ومما أثبت تفوق المؤلف الفاضل في دراسته هذه تمكنه الممتاز من العربية والفارسية والإنجليزية ، وكونه قرأ كل ترجمة ، وصحح ما فيها من الأوهام أو البعد عن روح الرباعيات ، فأعطى كل ذي حق حقه ، بموازنات عادلة منصفة ، ونقد هو أنموذج في الدقة ، أوصله إلى أحكام شديدة الإنصاف ، لما طبع عليه من حياد علمي ، ولتملكه ـ كما قلت سابقا ـ لنواصي ثلاث لغات هي العربية ، والفارسية ، والانجليزية ، تملكا يغبط عليه ، ويُحيّا .

المعلوف والبستاني وآخرون

فهو عندما ذكر ترجمة عيسى اسكندر المعلوف الذي ترجم ست رباعيات عن الإنجليزية ، قال : وليس ببعيد أن عدم التزامه بأي من قوالب الرباعية ، وعدم تقيده ببحر واحد ، قد أعانه كثيراً في تفوقه ، فالرباعية الثانية :

ديوان أشعار ، بظل حديقة
ورغيف خبز مع نبيذ الكأس
وحبيبتي تسبي العقول بحسنها
فردوس عدن ذاك بين الناس

ولما ذكر ترجمة (وديع البستاني) عرّف به ، وذكر أنه ترجم الرباعيات سباعيات ، وأتى على ترجمته رباعية (الطين الحي) :

أمس أبصرت جارنا الخزافا ،
يجبل الطين كيف شاء اعتسافاً

ويكيل المقدار منه جزافا
وكأني سمعت بين يديه
صوت حي يبكي ويدعو عليه
ويك رفقاً فأنت طين وماء
لتذوقته عذابي عذاباً .

ثم انتقل إلى ترجمة عبد الرحمن شكري الذي ترجم ثلاث رباعيات ، وقد تجاوزنا نحن ما قال عن المترجم المجهول ، لنرى رأيه في الرباعيات الثلاث التي ترجمها عبد الرحمن شكري إذ قال : وأعتقد أنه ـ وهو لايعرف الفارسية ـ ترجمها عن (فيتزجيرالد) فهي الرباعيات الى (٤ ، ٥ ، ٧) ترجمها ترجمة دقيقة جميلة ، ولما ذكر ترجمة (عبداللطيف النشار) قال : فقد استلم الفكرة دون أن يلزم نفسه بترجمة « الفيتزجيرالدية » شطراً شطراً ، ونسج منها مقطوعة جديدة ، لايكاد أثر الترجمة يبين فيها ، حيث يحس القارىء وهو يقرؤها ، أنه يقرأ رباعية (النشار) نفسه ، أو قطعة من شعره بصياغته العربية التي درج عليها .

ووقف عند ترجمة (السباعي) وقفة محترمة ، فكانت خلاصة رأيه في ترجمته قوله : « السباعي كالبستاني ، ترجم عن (فيتزجيرالد) ، وركب بساط المسمط ، وأخرج مختاراته نظماً في مخمسات ، ليست على النمط المعروف الشائع للمخمسات التي تكون الأشطر الأربعة الأولى فيها على روي موحد ، واللازمة هنا روي مختلف يلتزم في مخمسات القصيدة كلها » .

ثم تناول ترجمة عبد [illegible] الهاشمي البغدادي ، وذكر قصة الرجل في عالم الأدب ، ولم يبخسه حقاً من حقوقه ، لكنه قال عن ترجمته للرباعيات ما [illegible]

قال : رباعيات رامي منتقاة انتقاء فكرياً دقيقا من حيث الفلسفة التي تحاول الرباعيات أن تجلوها ، وعلى مدى تردد أصدائها في نفسه . وهو أقوى مكامن تجلي رامي الشاعر وتفوقه في الترجمة .

وقال عن ترجمة ابراهيم عبدالقادر المازني : « من شواهد التزام المازني بالأصل الانجليزي الذي عول على روح الرباعيات ـ لاحرفيتها ـ هذه الرباعية :

أبـدا يسطر ، ماشاء ، القلم
ثم يمضي نافذ الحكم أصم
ليس يمحو نصف سطر ورع
لا ، ولا يغسله دمع سجم

ويتناول ترجمتي جميل صدقي الزهاوي بشيء من عدم الرضى ، فيقول : « ترجمتا الزهاوي النظمية والنثرية مرتبطتان ارتباطا أحكم ، بحيث لا يصح الكلام عليهما منفصلين » . ويقول : « الترجمة النثرية في الغالب حرفية ، دقيقة ، تتقيد بالأصل تقيداً يخرجها من أن تكون لها أية سمات فنية واحدة ، أو أنها في نثر فني جميل ، يطال العربية أساليب ومجازات وصوراً وخيالات ودلالات » . ويقول : « ليست النظمية بأفضل من أختها في كل شيء » .

ويبدي رأيه في ترجمة نور الدين مصطفى التي مات ناظمها وأبقاها مخطوطة ، ولم ير المؤلف منها سوى ثلاث رباعيات لا تكفيه من الحكم الصحيح .

أطال المؤلف الوقوف عند ترجمة أحمد الصافي النجفي ، [illegible] فأتى على [illegible] الترجمة [illegible] المؤلف [illegible] واعتمد على وصف (الصافي النجفي) لنفسه إذ يقول : « [illegible] ولي شعري [illegible] وقال عن [illegible]

غدونا لذي الأفلاك ألعاب لاعب
أقول مقالا لست فيه بكاذب
على نطع هذا الكون قد لعبت بنا
وعدنا لصندوق الفنا بالتعاقب

ترجمها ترجمة معنوية ممتازة

شعر عن نثر

ويتحدث عن ترجمة أحمد زكي أبو شادي التي نظمها عن نثر الزهاوي، فقال: تقيد أبو شادي بترجمة الزهاوي تقيداً يكاد يكون تاما من غير حرفية، واستوعبها جيداً، ونقلها شعراً يفوح منه شذا الشعر.

أما رأيه بترجمة ابراهيم العريض فيلخصه بقوله: « لم يحالف المترجم الحظ كثيرا في عدد من الرباعيات، ويوازن بين ترجمة (العريض) وترجمة (أحمد الصافي النجفي)، فيفضل ما صنع النجفي على ما عند العريض، ويزيد على ذلك بقوله: « ولا تخلو الترجمة من تكلف، وصنعة ». ويورد آراء من لم يستسيغوا ترجمة (العريض) تعزيزاً لرأيه، كالأستاذ محمد جابر الأنصاري.

وعن ترجمة عباس محمود العقاد يقول: « إن العقاد ترجم رباعية واحدة في بيتين من قافية واحدة على (المجتث)، ترجمها ترجمة معنوية، لم يتقيد فيها بالمقابلات اللفظية.

وعن منظومة الدكتور مصطفى جواد التي استقاها من ترجمة أحمد حامد الصراف النثرية: يقول: « لقد صان مصطفى جواد المعنى الأصل الذي سلمه إليه الصراف. »

ويتناول ترجمة طالب الحيدري فيقول: « اختار الحيدري ١٥٩ رباعية، وترجمها شعراً. وليس من شك عندي في أن المترجم بذل جهداً كبيراً، إلا أنني بعد أن وازنت بين ترجمته وترجمتي الصراف والنجفي أكاد ازعم أنه قرأهما جيداً وهضمهما، واتكأ عليهما، واستأنس بهما، وأفاد منهما ».

أما ترجمة عبدالحق فاضل فقد أطال الوقوف عندها، وأثنى عليها في مواطن كثيرة، لكنه حاسب المؤلف بدقة، لقيمته اللغوية والعلمية.

وعن ترجمة (محمد حسن عواد) قال: « إنها مثل منظومة مصطفى جواد، كلاهما (صرافية)، لكن منظومة مصطفى جواد تتفوق على (العوادية) ب (الشعرية) التي تفتقدها رباعيات العواد كثيراً، بل تكاد تنعدم فيها، وهو ما يقربها إلى النثر ».

وعن ترجمة جميل الملائكة قال: « تجمع الترجمة بين تجنب الحرفية، مع المحافظة على الأصل، والتحكم بجوهر الرباعيات، والسيطرة عليه، والنسخ الشعري الحي الذي يسري في عروقها وأوصالها. وكأنها تجربة عاشها أو عاناها وكابد أحداثها، وليست أفكاراً يترجمها لغيره بوعاء من النظم ».

وعن ترجمة حكمت البدري يقول: تكاد الدقة، والابتعاد عن الحرفية، والاقتراب بقدر لابأس به من روح الشعر وفوح شذاه، تكون السمات الفنية العامة لترجمته.

الأمانة والجمال

ترجمة محمد مهدي كبة قال عنها: « مختاراته من الأمثلة الجيدة على الترجمة المعنوية... وتوفق بين المحافظة على الرباعيات نصاً وروحاً، والنسخ الشعري المتدفق، وكأننا أمام نصوص شعرية عربية، وليست مترجمة. وحين تعطي أية ترجمة انطباعاً كهذا، فهو دليل على نجاحها ».

أما عن محمد جميل العقيلي فقد نقل كلام المترجم الذي قال: -

« ولقد اخترت طراز السباعيات، وفضلتها

على الرباعيات ، لأني وجدتها أوفر نصيباً في تأدية المعنى كاملاً ، وألذ وقعا في السمع ، وأعذب على اللسان ، وأقرب إلى الفهم » .

وانتقل إلى ترجمة مهدي جاسم الشماسي فقال : « الترجمة غريبة حقا ، لأنها تكاد تجمع غرائب الأشياء ومتناقضاتها فهي تتسم بالدقة التي تقترب من اللفظية ، (أحيانا) وتبتعد عنها أحيانا . أما اللغة فيها فأم المشكلات وأظهرها » .

وعن ترجمة قيصر المعلوف قال المؤلف : « الترجمة بعامة فنية ، وإن تكن عن غير لغة الرباعيات الأم ، أو أن صاحبها ترجمها عمن ترجمها له نثراً ، ويبدو المترجم فيها متمثلاً ، باقتدار وتفوق ، آراء صاحبها وأفكاره ووجدانات نفسه ، ومتقمصا شخصيته . والتمثل والتقمص يأتيان في طليعة الشروط المطلوبة للإبداع الحقيقي في ترجمة الشعر شعراً » .

ترجم أحمد ابراهيم الشريف خمساً وعشرين رباعية عن فيتزجيرالد ، وقال المؤلف عن هذه الترجمة : الرباعيات من حيث التشكيل الموسيقي الخارجي ، منظومة كلها على (الرمل) ، في قالب (الرباعي الأعرج) . وقد تحقق للمترجم به شيء ما عناه « محافظة للنص على موسيقاه ونسقه » .

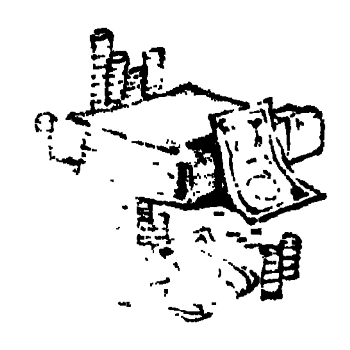
وترجم عامر بحيري ، وهو شاعر مصري ، ٧٥ رباعية . يقول المؤلف عنها : يصدق على الترجمة قول المترجم نفسه : « ولست أزعم بهذه الترجمة أنني اضفت جديداً للترجمات الكثيرة للرباعيات ، غير أني أحس أن هذه الإضافة تتمثل في الدقة في الالتزام بالأصل الذي نقلت عنه دون تصرف مني . »

ويتناول ترجمة محمد بن تاويت المغربي ، فيقول عن هذه الترجمة : « والمنتظر كثيرا في تنويع الأوزان ، وتعدد الأنماط القافيّة أن تكون عونا كبيراً للمترجم في تجنب كثير من أسباب التكلف والمؤاخذة ، غير أن العكس تماما هو ما وقع للمترجم في ترجمته هذه التي تغص بالزحافات والعلل المتكلفة تكاد عقد تفعيلاتها ، وخلخل إيقاعاتها ، وجار على معانيها وأفكارها ، وأفسدها إلى حد بعيد . »

ويأتي أخيرا لترجمة محمد الغراقي الذي كان يعرف الفارسية والتركية والفرنسية ، والذي ترجم الرباعيات عن الأصل الفارسي ، والترجمة بقيت مخطوطة ، وفقدت ، وقد نقل عنه أنه قال : « إنني أستطيع أن أثبت للعالم أن الرباعيات نسبت خطأ للخيام . ولم يثبت التاريخ الادبي بوثائق مدعومة بالحقائق صحة نسبتها إليه . »

واختار محمد غنيمي هلال ثلاثا وعشرين رباعية ، وترجمها نثراً ، في كتابه « مختارات من الشعر الفارسي » . الترجمة نثرية ، والمتوقع بداهة في الترجمة النثرية أن تتوخى الدقة في الأصل ، وتحافظ على المعاني والأفكار ، دون أن تجور على طبيعة اللغة . □

القاضي اللص



● جاءت امرأة إلى قاض فقالت : مات زوجي ، وترك أبويه وولدا وامرأة وأهلا ، وله مال ، فقال : لأبويه الثكل ، ولولديه اليتم ، ولامرأته الخلف ، ولأهله القلة والذلة ، والمال يحمل إلينا حتى لا تقع بينكم الخصومة .



مكتبة العربي

مختارات



اسم الكتاب : سفر
اسم المؤلف : محمد المخزنجي
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
عدد الصفحات : ١١٥ من القطع الصغير
سنة النشر : ١٩٨٩م

مجموعة قصصية تقدم تنويعات عن تجربة الغربة والاكتشاف ، يقدمها المؤلف في إطار الأقصوصة القصيرة ، هذا الجنس الأدبي الذي امتاز به المؤلف من خلال إنتاجه المتميز ، ويصوغها بشاعرية فائقة ولغة خاصة به ، ليقدم نموذجا من العلاقات بين مدركات الحواس وبين معطيات الوجدان وذكريات الذهن وأسلوب التفكير ، وهو لا يحاكي واقعا عايشه في أثناء غربته ، ولكنه يغرق في الواقع ، لكي يخرج بمعرفته به لا بصورته .





اسم الكتاب : معجم البلدان والقبائل اليمنية
اسم المؤلف : ابراهيم أحمد المقحفي
الناشر : دار الكلمة ـ صنعاء
عدد الصفحات : ٧٢٦ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٨م

معجم كامل للتعريف بالبلدان والقبائل اليمنية ، وقد اعتمد الكاتب الترتيب الأبجدي للبلدان والقبائل . ويتعرض خلال شرحه لتاريخ القبيلة أو البلد والتطورات التى طرأت عليها ثم التعريف بالأعلام الذين ينتمون إليها ودورهم وإسهاماتهم .

□□□



اسم الكتاب : بقعة ضوء .. بقعة ظل
اسم المؤلف : ياسين النصير
الناشر : دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد
عدد الصفحات : ٣٢٥ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٨٩م

يضم الكتاب مجموعة من المقالات عن المسرح العراقي المعاصر ، وقد جعله الكاتب في جزأين ، خصص الجزء الأول لعروض المسرح العراقي ، فتناول المسرحيات المبتكرة التأليف ، وناقش المسرح وتأثره بالتراث ، ثم عرض المسرحيات المقتبسة والمسرحيات المترجمة ، أما الجزء الثاني فناقش قضايا المسرح والثقافة وتناول فيه قضايا تخطيط الموسم المسرحي ، وبنية مقال النقد المسرحي ، والممثل وفنون الأداء ، وجمهور المسرح في العراق ، والبنية العامة لهوية المسرح العراقي المعاصر .

اسم الكتاب : الخيار النووي في الفكر الاستراتيجي الاسرائيلي
اسم المؤلف : حيدي قناص الحميدي
الناشر : الربيعان للنشر والتوزيع ـ الكويت
عدد الصفحات : ٢٧٦ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٩٠م

يحاول الكتاب أن يعرض للموقف النووي في الشرق الأوسط ، وقدرات أطراف الصراع العربي « الاسرائيلي » ، من خلال طرحه لاحتمالات الخيار النووي في الفكر الاستراتيجي « الاسرائيلي » .

ويبدأ الكاتب بعرض للاستراتيجية « الاسرائيلية » من خلال طرحه الأهداف السياسية ، ثم أهدافها العسكرية ، وبعد ذلك ينتقل إلى قدرات « اسرائيل » النووية ، مناقشا بدايات النشاط الذري في « اسرائيل » ، والتعاون مع الدول الأخرى ، وسياسة « اسرائيل » النووية ، والتصور « الاسرائيلي » بشأن امتلاك السلاح النووي ، والقوة النووية « الاسرائيلية » ، ودواعي استخدامها ، وبعد ذلك يعرض الكاتب لقدرات العرب الذرية ، وبدايات الاهتمام العربي بالسلاح النووي ، ومحاولات العرب لامتلاك هذا السلاح . ويعرض الكاتب في فصل كامل احتمالات المواجهة النووية بين العرب و « اسرائيل » ، وأخيرا موقف القوتين العظميين من الصراع النووي في الشرق الأوسط .

□□□

اسم الكتاب : المعونات الأمريكية لاسرائيل
اسم المؤلف : د . محمد عبدالعزيز ربيع
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت
عدد الصفحات : ٢٧٩ من القطع الكبير
سنة النشر : ١٩٩٠م

يقدم الكتاب دراسة موسعة للمعونات الأمريكية « لاسرائيل » ، يبدأ الكاتب في القسم الأول من الكتاب بعرض لبرنامج المعونات الخارجية في الأهداف والبرامج الرئيسة والتطور التاريخي لبرنامج المعونات الخارجية . وفي القسم الثاني يعرض للمعونات الأمريكية « لاسرائيل » ، فيقدم عرضا للمعونات الرسمية الإجمالية وللمعونات العسكرية والاقتصادية ، والمعونات الخاصة من الجالية اليهودية أفرادا ومنظمات ، ثم يناقش الكاتب ثمن الدعم الأمريكي « لاسرائيل » . وفي القسم الثالث ، الأخير ، يناقش المعونات الخارجية ومستقبل « اسرائيل » ، ومن خلال هذا القسم يقدم عرضا للاقتصاد « الاسرائيلي » ، مقوماته ، ومشكلاته ، وأزماته الحقيقية .

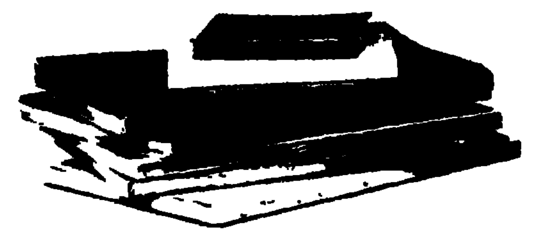


القدرة على الاعتدال

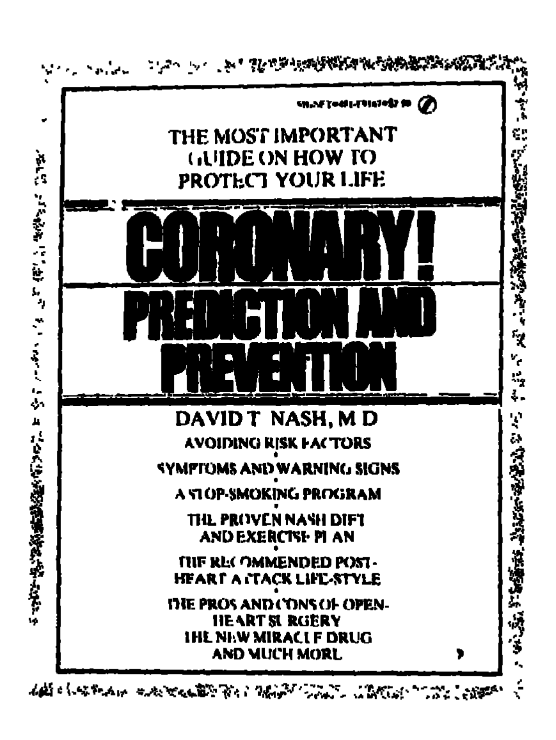
● الخروج عن الاعتدال انتهاك لحرمة الإنسانية ، وإنما تعرف عظمة النفس الإنسانية بقدرتها على الاعتدال ، لا بقدرتها على التجاوز .

« [illegible] »





كتاب الشهر



THE MOST IMPORTANT GUIDE ON HOW TO PROTECT YOUR LIFE

CORONARY! PREDICTION AND PREVENTION

DAVID T. NASH, M.D.

AVOIDING RISK FACTORS

SYMPTOMS AND WARNING SIGNS

A STOP-SMOKING PROGRAM

THE PROVEN NASH DIET AND EXERCISE PLAN

THE RECOMMENDED POST-HEART ATTACK LIFE-STYLE

THE PROS AND CONS OF OPEN-HEART SURGERY

THE NEW MIRACLE DRUG

AND MUCH MORE

الذبحة الصدرية: التنبؤ والوقاية

تأليف : ديفيد ناش

عرض : الدكتور سامي محمود علي

القلب ينبض مائة ألف نبضة كل يوم ، يضخ بها ١٤٣ غالوناً من الدم ، وهو مع ذلك يحافظ على معدل الضغط ثابتا خلال شبكة معقدة من الأوعية الدموية ، طولها ستون ألف ميل .

لكن ماذا يحدث إذا أصيبت الشرايين التاجية التي تغذيه بالتصلب ؟

كتاب الشهر

يقول المؤلف د. ديفيد ناش، أستاذ أمراض القلب في أحد المراكز الطبية بنيويورك، في مقدمة كتابه : إن اختياره لمرضى تصلب شرايين القلب التاجية موضوعاً لكتابه يعود لكونه من أكثر أمراض القلب انتشارا، كما أن إمكانية التنبؤ بحدوثه أسهل منها في أمراض القلب الأخرى.

ويرى المؤلف أن الإصابة بالمرض تعتمد على نمط الحياة التي نعيشها اليوم، وعلى مجموعة من العوامل التي تؤدي في نهاية الأمر إلى الإصابة به، ولعله ليس غريبا أن نجد معظم البالغين في الدول الغربية الغنية مصابين بدرجة من درجات تصلب الشرايين، في الوقت الذي لايشكو بعضهم من أي أعراض، فهذه الأعراض لاتظهر - عادة - إلا إذا هاجم التصلب أكثر من نصف الشرايين التاجية.

والآن ما الشرايين التاجية؟ إنها شريانان رئيسيان يتفرع أحدهما إلى جزأين، ليكونا ثلاثة شرايين تلتف حول عضلة القلب لإمداده بالأوكسجين.

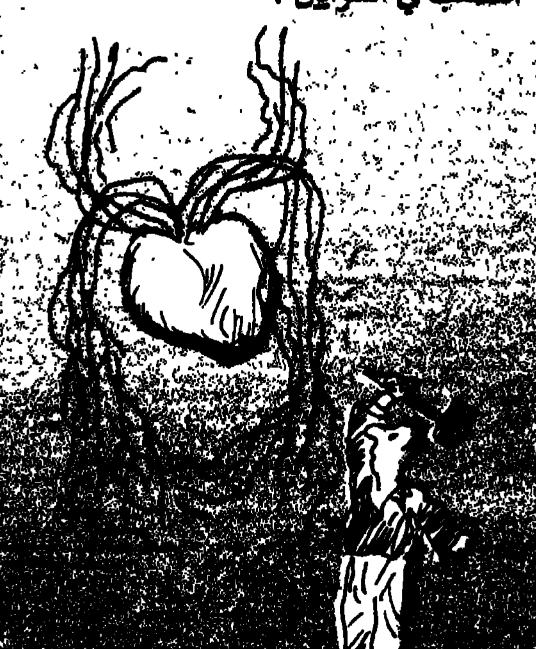
والشرايين التاجية تتفرع من الشريان الأورطي - أكبر الأوعية الدموية في الجسم - فور خروجه من البطين الأيسر. وهنا يتساءل المؤلف : لماذا لا يحصل القلب على الأوكسجين اللازم له من الدم الموجود فعلا بداخله؟

[illegible]

شرايين القلب. وقد خصص المؤلف لكل عامل فصلا مستقلا في كتابه، وهو يرى أن وجود هذه العوامل أو بعضها هو مايجعل من الإصابة بالمرض موضوعاً قابلاً للتنبؤ على مدى سنوات تالية. وفي نهاية الكتاب وضع المؤلف العديد من الجداول التي تشير إلى نسبة حدوث المرض خلال ثماني سنوات قادمة من حياة الشخص، عند توافر بعض هذه العوامل أو كُلّها تبعا لعمر الشخص.

الموت فجأة

يحاول المؤلف شرح الكيفية التي يحدث بها تصلب الشرايين، فيقول : إن جدار الشريان يتكون من ثلاث طبقات، الطبقة الداخلية : وتتكون من صف واحد من الخلايا، تنظم عملية مرور المواد الكيميائية والماء من الشريان إلى الأنسجة، وبالعكس. والطبقة الوسطى : وتتكون من ألياف عضلية رقيقة، وأخيرا الطبقة الخارجية. ومع تقدم العمر فإن الطبقة الداخلية التي تمتاز بالمرونة تأخذ في التصلب كإحدى مضاعفات الشيخوخة. لكن كيف يحدث التصلب في الشرايين؟



هناك نظريات ، أو تفسيرات ، إحداها نظرية الدكتور « رودلف فيركو » ، عالم الأمراض الألماني ، وقد وضع نظريته منذ أكثر من مائة عام ، وهو يرى أن زيادة دهنيات الدم ، خاصة الكوليسترول ، تؤدي إلى إثارة ، أو تهييج ، جدار الشريان الداخلي ، مما يؤدي إلى تصلبه . وقد دعمت الأبحاث الأخيرة هذه النظرية ، عندما تأكدت العلاقة بين كوليسترول الدم والإصابة بالتصلب . وفي عام ١٨٥٢ ظهرت نظرية الدكتور « كارل فون روكتنسكي » يقول فيها : إن التصلب يحدث عند تكوّن جلطة دموية داخل الشريان ، وهذا بدوره يكون مقدمة لتكون « جلطات » تؤدي في النهاية إلى تصلب جدار الشريان الداخلي . أما النظرية الأخيرة فقد قال بها دكتور « ايرل بندت » ، وهو يشير إلى أن التصلب يحدث نتيجة انقسام في خلايا الطبقة الوسطى المكونة لجدار الشريان ، وتجمع هذه الخلايا المنقسمة داخل الشريان في صورة انتفاخات ، أو بؤر ، سرعان مايترسب عليها الكوليسترول ، مما يؤدي إلى تصلبه .

ويؤدي تصلب الشرايين التاجية المغذية للقلب إلى حدوث الذبحة الصدرية ، ويكون الألم هو أبرز مايميز المرض . وشعور المريض بهذا الألم في صدره هو الذي دفع الطبيب « وليام هيبردين » في عام ١٧٦٨ إلى أن يطلق عليه اسم « الذبحة الصدرية » ، وليس القلبية . والاسم مأخوذ من تعبير باللغة اللاتينية معناه : الصدر المختنق ، إذ يشكو المريض من إحساسه بأن ثقلا يضغط على صدره ، ويظهر هذا الألم لدى المريض عند بذل أي مجهود عضلي أو نفسي ، أو بعد تناول وجبة ثقيلة ، فالقلب عندئذ يكون بحاجة إلى أوكسجين أكثر ، في الوقت الذي تكون فيه الشرايين القلبية له في حالة ضيق ، نتيجة التصلب . وهنا يحدث الألم ، كما أن المريض يشكو من صعوبة التنفس وغزارة العرق البارد والتعب لأقل جهد .

وعادة تختفي هذه الأعراض بعد دقائق قليلة ، يقضيها المريض في راحة تامة . وقد تتطور الحالة إلى هبوط في القلب . إلا أن المؤلف يقول : إن الأزمة القلبية قد تحدث دون أعراض تذكر ، وبالتالي يجهل المريض حالته ، وقد يموت فجأة نتيجة أزمة قلبية حادة ، دون أن يكون قد عانى من أي أعراض من قبل .

الكوليسترول . . أكثر شهرة :

يشير المؤلف إلى دهون الدم كأحد عوامل الخطورة التي تؤدي إلى تصلب الشرايين ، ويقصد بدهون الدم نوعين من هذه الدهون ، هما الكوليسترول والجليسريدات الثلاثية . وقد حقق الكوليسترول شهرة كبيرة في علاقته بتصلب الشرايين ، لكن الحقيقة أن الكوليسترول مادة طبيعية ، يحتاجها الجسم لبناء جزيئات الأحماض الصفراوية الضرورية للهضم ، كما يدخل الكوليسترول في بناء بعض هرمونات الجنس ، والكوليسترول لا يوجد في الخلايا النباتية ، لكن جميع الخلايا الحيوانية - بما فيها خلايا الإنسان - يمكنها تصنيعه ، والكوليسترول مادة كيميائية عرفت لأول مرة سنة ١٨٢٣ ، عندما استطاع الكيميائي الفرنسي « ميشيل شيفريل » استخلاصها من كيس المرارة . ولعل هذا هو السبب في التسمية ، فكلمة كوليسترول تعني باللغة اليونانية : « الصفراء الجامدة » .

أما علاقة الكوليسترول بمرض تصلب الشرايين فقد جاء ذكرها عام ١٩٢٦ ، عندما أعد طبيب إحدى المستعمرات الهولندية - ويدعى دكتور « دي لانجن » - تقريرا يؤكد فيه أن زيادة كوليسترول الدم له علاقة بالإصابة بالذبحة الصدرية ، إلا أن تقريره أهمل ، وطواه النسيان حتى عام ١٩٤٨ ، عندما أكدت أبحاث الدكتور « ج . جروين » أن الدهون المشبعة - الدهون الحيوانية - هي المسئولة عن زيادة كوليسترول

الدم ، ومن ثم الإصابة بالذبحة الصدرية . أما الدهون غير المشبعة - الزيوت النباتية - فهي لاتعمل على زيادة النسبة الطبيعية لكوليسترول الدم .

عوامل أخرى

أما الجليسريدات الثلاثية فهي إن لم تنل شهرة الكوليسترول نفسها فإنها لاتقل عنه أهمية كأحد الأسباب المهمة المؤدية إلى الإصابة بتصلب الشرايين ، ومن الضروري قيام الشخص بالصيام مدة ١٤ ساعة إذا عزم أمره على تحليل هذه المادة في دمه ، لأن معدلها يزداد عقب تناول الطعام مباشرة ، وارتفاع الجليسريدات الثلاثية في الدم يسبب - إضافة إلى الإصابة بالتصلب - اضطراب الدورة الدموية في الساقين ، وقد وجد أن الإفراط في تناول الخمور والسكر الأبيض ، إضافة إلى المداومة على استعمال حبوب منع الحمل ، كل ذلك من شأنه رفع نسبة الجليسريدات الثلاثية في الدم . وما تزال أبحاث أخرى تجري على الجليسريدات الثلاثية ، لأن هذه المادة لم تلق اهتماما إلا في السنين العشرين الأخيرة .

لاتدخن ، لاتتوتر ، لاتأكل !!

التدخين عامل آخر من عوامل الخطورة المسببة لأمراض القلب ، فالتدخين يمكن أن يغير في وظائف الأعضاء الحيوية بالجسم ، والنيكوتين يؤدي إلى زيادة ضربات القلب ، لكن تأثير التدخين على القلب يتضح من علاقة التدخين بالرئة ، ثم علاقة الرئة بالقلب ، فهناك عدة رواسب ضارة ، يرسبها الدخان في أنسجة الرئة ، ولعل هذه الرواسب هي السبب في مايطلق عليه اسم « سعال المدخن » . وقد أكدت عدة بحوث أن معدل الوفيات الفجائية بسبب أمراض القلب تزيد بين المدخنين بنسبة ثلاث أضعاف ونصف ضعف عن الذين لايدخنون . ويقول المؤلف : إن التدخين يرتبط بعادات الشخص ومزاجه ، وهذا أمر لابد من معرفته عند محاولة الإقلاع عن التدخين .

والتوتر أحد العوامل التي يركز عليها المؤلف ، والتي تصاحب الإصابة بأمراض القلب بعامة ، والذبحة الصدرية بصورة خاصة ، فالتوتر له انعكاسات عضوية ، يألفها الجميع ، فارتفاع ضغط الدم ، وزيادة ضربات القلب ، وإفراز العرق البارد ، كل هذه وغيرها مظاهر عضوية ، يعكسها الإحساس بالتوتر . وقد لوحظ أن الأشخاص الذين في حالة توتر مستمر يعانون من زيادة نسبة الدهون في الدم . وهؤلاء الأشخاص هم من جاء تصنيفهم بالفئة « أ » في بحوث كل من الدكتور « ماير فريدمان » والدكتور « راى روزمان » . أما هؤلاء الذين يتصفون بالهدوء والاستقرار فهم ينتمون إلى الفئة « ب » ، وهي فئة أصحابها أكثر أمنا وبعدا عن أمراض القلب .

أما البدانة (السمنة) فهي أحد العوامل غير المباشرة للإصابة بالذبحة الصدرية ، كما يقول المؤلف ، فالبدانة ترفع ضغط الدم ، وتزيد نسبة السكر والجليسريدات الثلاثية ، وهما عاملا خطورة على شرايين القلب . والبدانة تعني أيضاً المزيد من الإجهاد على عضلة القلب الذي عليه أن يوفر الدم لمزيد من الأنسجة .

ويضيف المؤلف لهذه العوامل بعض الأمراض التى تزيد استعداد الشخص للإصابة بالذبحة الصدرية . ومن أمثلة هذه الأمراض : الإصابة بمرض السكر ، ونقص إفراز الغدة الدرقية ، لكن مع كل ذلك فإن السبب الأكيد ، كما يقول المؤلف ، للإصابة بتصلب الشرايين غير معروف ، بيد أن وجود أحد العوامل التى جاء

ذكرها ، أو بعضها ، يزيد نسبة الإصابة ، وتزداد هذه النسبة مع ازدياد وجود أكثر من عامل من هذه العوامل .

وقد يكون القلب سلبياً

لاشك أن مضاعفات الذبحة الصدرية خطيرة ، وهي كلها نتيجة إهمال المريض لحالته ، وعدم مراعاة تطورها . ويحدد المؤلف ثلاثة مضاعفات خطيرة للذبحة الصدرية ، أولها هبوط القلب الذي يعني أن القلب غير قادر على ضخ كل مايتلقاه من دم . وإذا أصاب الهبوط الجانب الأيمن من القلب فإن الكبد يصاب بالاحتقان أما إذا كان الجانب الأيسر هو المصاب بالهبوط فإن الرئة هي التي تصاب بالاحتقان . ولكل منهما أعراضه ومظاهره ، ويعالج الهبوط بمدرات البول ، وعقار الديجتاليس الذي يزيد قوة انقباض القلب . وإذا أدى تصلب شرايين القلب إلى تلف أكثر من ٤٠٪ من عضلة القلب فإن المريض يعاني من أزمة قلبية حادة ، قد تكون قاتلة في بعض الأحيان ويعاني كذلك من الجلطة الدموية التي قد تحدث داخل القلب أو تسبح إلى أحد الشرايين وهناك مضاعفات أخرى ، مثل تمدد بعض الأوعية الدموية وانتفاخها ، أو التهاب غشاء التامور الذي يغلف القلب ، أو يؤدي إلى اضطراب في دقات القلب . المهم أن هذه المضاعفات كلها نتيجة وحيدة لإهمال الذبحة الصدرية ، وعدم ملاحظة تطورها .

الجراحة هي الملجأ الأخير

وعلاج الذبحة الصدرية يخضع في أطوارها الأولى إلى العلاج الدوائي ، وقد يستعين الطبيب بالجراحة عند تقدم الحالة وتطورها . وفي مجال العلاج الدوائي استعان الطب بعدة عقاقير لعلاج الألم الناشيء عن الذبحة ، وكل هذه العقاقير تعمل على توسيع شرايين القلب ، لإمداده بقدر أكبر من الأوكسجين . ويعد عقار « النيتروجليسرين » الذي استعمل لأول مرة عام ١٨٧٩ من أشهر العقاقير ، فالمريض يضع قرصا تحت لسانه عند حدوث الأزمة ، ويزول الألم بعد عدة دقائق ، ثم ظهرت بعد ذلك عقاقير عديدة ، تعمل على تقليل حجم التصلب الذي أصاب شرايين القلب ، مثل عقار « الاتروميدس » ، وعقار « كوليستيلي » ، وهذان وغيرهما من الأدوية التي تقلل نسبة الدهون الموجودة بالدم ، وبالتالي تعالج التصلب .

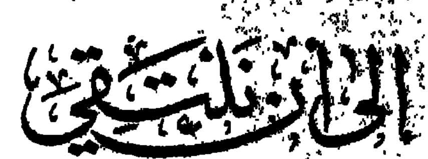
أما الجراحة فإنها الملجأ الأخير عند تطور المرض ، وازدياد حدته وضراوته ، أو عند فشل العلاج الدوائي . وقد طور د . آرثر فينبرج عملية ، ينقل فيها الشريان اللبني بالصدر ، ويحل مكان الشريان التاجي المتصلب . وفي سنة ١٩٦٩ ابتكر د . « رينيه فافلور » عملية أخرى ، يستخدم فيها أحد أوردة الساق ، لإحلاله مكان الشريان التاجي المريض . □



● أوسكار وايلد

● النساء القبيحات يغرن على أزواجهن ، أما الجميلات فهن مشغولات عن ذلك بالغيرة على أزواج غيرهن
« أوسكار وايلد »

● قال الحق [illegible]
« [illegible] »



إرادة التحدي

[illegible] المهتمون بالأدب الروسي واقعة كتابة ديستوفسكي لروايته الشهيرة : « المقامر » ، فقد كتبها في أقل من شهر واحد ، وتحديداً في ستة وعشرين يوماً ، وكان في أثناء كتابتها يكتب رواية أخرى هائلة « الجريمة والعقاب » ، وينشرها مسلسلة في جريدة « البشير الروسي » ، فقد كان الكاتب العظيم في [illegible] ، واضطر إلى قبول عقد نشر مجحف ، تعهد فيه أن يسلم الناشر رواية جديدة في موعد [illegible] ، وإذا لم يفعل فإنه يحق للناشر أن يحتكر نشر إنتاج ديستوفسكي الجديد مدة تسع سنوات بلا مقابل . [illegible] موعد تنفيذ العقد تزايد قلق الروائي الكبير وقلق أصدقائه عليه ، واقترح عليه أصدقاؤه أن [illegible] فكرة رواية جديدة ، وتصوره لها ، ولشخصياتها ، ثم يكتب كل منهم عدداً من [illegible] إليه ليراجعها ويعدلها ، ولكنه رفض هذا الاقتراح قائلا : إنه لا يضع اسمه على عمل لم [illegible] .

[illegible] لم يجد أمامه سوى أن يكتب الرواية بطريقة مبتكرة ، فقد أملاها على كاتبة اختزال ، وقسم يومه [illegible] ، كان يملي عليها من الثانية عشرة ظهرا إلى الرابعة عصرا جزءا من روايته : « المقامر » ، وبعد [illegible] ما اختزلته ، ويعكف هو على كتابة فصل جديد في « الجريمة والعقاب » ، ثم يسهر الليل [illegible] الذي سيمليه في غده من « المقامر » ، وفي الصباح الباكر ينقح ما كتبته في اليوم السابق كاتبة [illegible] في جو روايته ، ليبدأ الإملاء في منتصف النهار .

[illegible] من أيام العقد وفي العاشرة مساء بحث ديستوفسكي عبثاً عن الناشر ، ولم يجده ، فقد غادر [illegible] الروائي العظيم إلى مركز الشرطة الذي يتبعه بيت الناشر وأثبت في مذكرة رسمية عدم وجود [illegible] الرواية ، واستلم إيصالاً بالوقت والتاريخ .

وفي حياتنا [illegible] حالات كثيرة مشابهة لانتصار الإرادة الإنسانية ، وعدم رضوخها لقسوة [illegible] ، يعلم انتصار إرادات أبي العلاء المعري ، وطه حسين ، والعقاد ، وكثير من [illegible] كانت كل الظروف المحيطة بهم محبطة ، وتتكاتف على دفعهم إلى طرق لا يريدونها ، وعلى الرغم من [illegible] إرادات هؤلاء وهؤلاء ، وقد اجتهد كثير من العلماء والدارسين في تحليل الظاهرة ، [illegible] الإنسان وقدراته ، والذي أفضل أداء لها ، بل لقد ذهبوا إلى أن هناك قدرات [illegible]

[illegible] مروا بمثل هذه الحالات ، [illegible] عن قصصهم .

[illegible]

[illegible]

محمود عبد الوهاب

١- المرآة
٢- اليقظ دائمًا

تأليف : جواد فهمي باشكوت
ترجمة : جوزيف ناشف
مراجعة وتقديم : د. ابراهيم الداقوقي

العدد ٢٥٠ أول يوليو ١٩٩٠



(قطف اللوز في فلسطين) للفنان الفلسطيني محمد الاشطل